فهرست الجزء الاول من الفتوحات المكيه

﴿تم فهرست النصف الاول﴾

﴿ فهرست بقية الجزء الاول من الفتوحات المكية ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿تمت﴾

الجزء الاول

من كتاب الفتوحات المكية التى فتح الله بها على الشيخ
الامام العامل الراسخ الكامل خاتم الاولياء
الوارثين برزخ البرازخ محي الحق والدين
أبى عبد الله محمد بن على المعروف
بابن عربى الحاتمى الطائى
قدس الله روحه ونور
ضريحه آمين
آمين

﴿طبع على النسخة المقابلة على نسخة المؤلف الموجودة بمدينة قونية
وقام بهذا المهم جماعة من العلماء بأمر المغفور له الأمير عبد القادر
الجزايرلى رحم الله الجميع وأثابهم المكان الرفيع﴾

﴿طبع بمطبعة﴾

دار الكتب العربية الكبرى

(بمصر)

﴿على نفقة الحاج فدا محمد الكشميرى وشركاه﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(صلى الله على سيدنا محمد)

الحمد لله الذي أوجد الاشياء عن عدم وعدمه وأوقف وجودها على توجه كلمه لنحقق بذلك سر حدوثها وقدمها من قدمه ونقف عند هذا التحقيق على ما أعلمنا به من صدق قدمه فظهر سبحانه وظهر وأظهر ومابطن ولكنه بطن وأبطن وأثبت له الاسم الاول وجود عين العبد وقد كان ثبت وأثبت له الاسم الآخر تقدير الفناء والفقد وقد كان قبل ذلك ثبت فلولا العصر والمعاصر والجاهل والخابر ماعرف أحد معنى اسمه الاول والآخر ولا الباطن والظاهر وان كانت أسماؤه الحسنى على هذا الطريق الاسنى ولكن بينها تباين فى المنازل يتبين ذلك عند ماتضل وسائل حلول النوازل فليس عبد الحليم هو عبد الكريم وليس عبد الغفور هو عبد الشكور فكل عبد له اسم هو ربه وهو جسم ذلك الاسم قلبه فهو العليم سبحانه الذى علم وعلم والحاكم الذى حكم وحكم والقاهر الذى قهر وأقهر والقادر الذى قدر وكسب ولم يقدر الباقى الذى لم تقم به صفة البقاء والمقدس عند المشاهدة عن المواجهة والتلقاء بل العبد فى ذلك الموطن الانزه لاحق بالتنزيه لانه سبحانه وتعالى فى ذلك المقام الانزه يلحقه التشبيه فنزول من العبد فى تلك الحضرة الجهات وينعدم عند قيام النظرة به منه الالتفات أحمده حمد من علم انه سبحانه علا فى صفاته وعلى وجل فى ذاته وجلى وان حجاب العزة دون سبحاته مسدل وباب الوقوف على معرفة ذاته مقفل ان خاطب عبده فهو المسمع السميع وان فعل ما أمر بفعله فهو المطاع المطيع ولما حيرتنى هذه الحقيقة أنشدت على حكم الطريقة للخليقة

الرب حق والعبد حق * ياليت شعرى من المكلف
ان قلت عبد فذاك ميت * أو قلت رب أنى يكلف

فهو سبحانه يطيع نفسه اذا شاء بخلقه وينصف نفسه مما تعين عليه من واجب حقه فليس الأشباح خاليه على عروشها خاويه وفى ترجيع الصدى سر ما أشرنا اليه لمن اهتدى وأشكره شكر من تحقق ان بالتكليف ظهر الاسم المعبود وبوجود حقيقة لاحول ولاقوة الا بالله ظهرت حقيقة الجود والا فاذا جعلت الجنة جزاء لما عملت فأين الجود الالهى الذى عقلت فأنت عن العلم بأنك لذاتك موهوب وعن العلم بأصل نفسك محجوب فاذا كان ماتطلب به الجزاء ليس لك فكيف ترى عملك فاترك الاشياء وخالقها والمرزوقات ورازقها فهو سبحانه الواهب الذى لايعل والملك الذى عز سلطانه وجل اللطيف بعباده الخبير الذى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير والصلاة على سر العالم ونكتته ومطلب العالم وبغيته السيد الصادق المدلج الى ربه الطارق المخترق به السبع الطرائق ليريه من أسرى به ما أودع من الآيات والحقائق فيما أبدع من الخلائق الذى شاهدته عند انشائى هذه الخطبة فى عالم حقائق المثال فى حضرة الجلال مكاشفة قلبيه فى حضرة غيبيه ولما شهدته صلى الله عليه وسلم فى ذلك العالم سيدا معصوم المقاصد محفوظ المشاهد منصورا مؤيدا وجميع الرسل بين يديه مصطفون وأمته التى هى خير أمة عليه ملتفون وملائكة التسخير من حول عرش مقامه حافون والملائكة المولدة من الاعمال بين يديه صافون والصديق على يمينه الانفس والفاروق على يساره الاقدس والختم بين يديه قد جثى يخبره بحديث الانثى وعلى صلى الله عليه وسلم يترجم عن الختم بلسانه وذو النورين

مشتمل برداء حيائه مقبل على شانه فالتفت السيد الاعلى والمورد العذب الاحلى والنور الا كشف الاجلى فرآني وراء الختم لاشتراك بيني و بينه في الحكم فقال له السيد هذا عديلك وابنك وخليلك انصب له منبر الطرفاء بين يدي ثم أشار الى أن قم يا محمد عليه فأثن على من أرسلني وعلي فان فيك شعرة مني لا صبر لها عني هي السلطانة في ذاتيتك فلا ترجع الى الابكليتك ولا بد لها من الرجوع الى اللقاء فانها ليست من عالم الشقاء فما كان مني بعد بعثي شيء في شيء الا سعد وكان ممن شكر في الملأ الاعلى وحمد فنصب الختم المنبر في ذلك المشهد الاخطر وعلى جبهة المنبر مكتوب بالنور الازهر هذا هو المقام المحمدي الاطهر من رقي فيه فقد ورثه وأرسله الحق حافظا لحرمة الشريعة وبعثه ووهبت في ذلك الوقت مواهب الحكم حتى كأني أوتيت جوامع الكلم فشكرت الله عز وجل وصعدت أعلاه وحصلت في موضع وقوفه صلى الله عليه وسلم ومستواه و بسط لي على الدرجة التي أنا فيها كم قميص أبيض فوقفت عليه حتى لا أباشر الموضع الذي باشره صلى الله عليه وسلم بقدميه تنزيها له وتشريفا وتنبيها لنا وتعريفا ان المقام الذي شاهده من ربه لا يشاهده الورثة الا من وراء ثوبه ولولا ذلك لكشفنا ما كشف وعرفنا ما عرف ألا ترى من تقفو أثره لتعلم خبره لا تشاهد من طريق سلوكه ما شهد منه ولا تعرف كيف تخبر بسلب الاوصاف عنه فانه شاهد مثلا ترابا مستويا لا صفة له فتمشي عليه وأنت على أثره لا تشاهد الا أثر قدميه وهنا سر خفي ان بحثت عليه وصلت اليه وهو من أجل انه امام وقد حصل له الأمام لا يشاهد أثرا ولا يعرفه فقد كشفت ما لا يكشفه وهذا المقام قد ظهر في انكار موسى صلى الله على سيدنا وعليه وعلى الخضر فلما وقفت ذلك الموقف الاسنى بين يدي من كان من ربه في ليلة اسرائه قاب قوسين أو أدنى قمت مقنعا خجلا ثم أيدت بروح القدس فافتتحت مرتجلا

يا منزل الآيات والانباء * انزل علي معالم الاسماء

حتى أكون لحمد ذاتك جامعا * بمحامد السراء والضراء

ثم أشرت اليه صلى الله عليه وسلم

ويكون هذا السيد العلم الذي * جردته من دورة الخلفاء

وجعلته الاصل الكريم وآدم * ما بين طينة خلقه والماء

ونقلته حتى استدار زمانه * وعطفت آخره على الابداء

وأقمته عبدا ذليلا خاضعا * دهرا يناجيكم بغار حراء

حتى أتاه مبشرا من عندكم * جبريل المخصوص بالانباء

قال السلام عليك أنت محمد * سر العباد وخاتم النبآء

يا سيدي حقا أقول فقال لي * صدقا نطقت فانت ظل ردائي

فاحمد وزد في حمد ربك جاهدا * فلقد وهبت حقائق الاشياء

واثن لنا من شأن ربك ما انجلى * لفؤادك المحفوظ في الظلماء

من كل حق قائم بحقيقة * يأتيك مملوكا بغير شراء

ثم شرعت في الكلام بلسان العلام فقلت وأشرت اليه صلى الله وسلم عليه حمدت من أنزل عليك الكتاب المكنون الذي لا يمسه الا المطهرون المنزل بحسن شيمك وتنزيهك عن الآفات وتقديسك فقال في سورة ن (بسم الله الرحمن الرحيم) ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر و يبصرون ثم غمس قلم الارادة في مداد العلم وخط بيمين القدرة في اللوح المحفوظ المصون كل ما كان وما هو كائن وسيكون وما لا يكون مما لو شاء وهو لا يشاء أن يكون لكان كيف يكون من قدره المعلوم الموزون وعلمه الكريم المخزون فسبحان ربك رب العزة عما يصفون ذلك الله الواحد الاحد

فتعالى عما أشرك به المشركون فكان أول اسم كتبه ذلك القلم الاسمى دون غيره من الاسما انى أريد أن أخلق من أجلك يا محمد العالم الذى هو ملكك فاخلق جوهرة الما فخلقتها دون حجاب العزة الاحمى وأنا على ما كنت عليه ولا شئ معى فى عما فخلق الماء سبحانه بردة جامدة كالجوهرة فى الاستدارة والبياض وأودع فيها بالقوة ذوات الاجسام وذوات الاعراض ثم خلق العرش واستوى عليه اسمه الرحمن ونصب الكرسى وتدلت اليه القدمان فنظر بعين الجلال الى تلك الجوهرة فذابت حياء وتحللت أجزاؤها فسالت ماء وكان عرشه على ذلك الماء قبل وجود الارض والسماء وليس فى الوجود اذ ذاك الا حقائق المستوى عليه والمستوى والاستواء فارسل النفس فموج الماء من زعزعه وأزبد وصوت بحمد الحمد المحمود الحق عندما ضرب بساحل العرش فاهتز الساق وقال له أنا أحمد فخجل الماء ورجع القهقرى يريد ثبجه وترك زبده بالساحل الذى أنتجه فهو مخضة ذلك الماء الحاوى على أكثر الاشياء فأنشأ سبحانه من ذلك الزبد الارض مستديرة الفرش مدحية الطول والعرض ثم أنشأ الدخان من نار احتكاك الارض عند فتقها ففتق فيه السموات العلى وجعله محل الانوار ومنازل الملأ الاعلى وقابل بنجومها المزينة لها النيرات ما زين به الارض من ازهار النبات وتفرد تعالى لآدم وولده بذاته جلت عن التشبيه و بيديه فأقام نشأة جسده وسواها تسويتين تسوية انقضاء أمده وقبول أبده وجعل مسكن هذه النشأة نقطة كرة الوجود وأخفى عينها ثم نبه عباده عليها بقوله تعالى بغير عمد ترونها فاذا انتقل الانسان الى برزخ الدار الحيوان مارت قبة السماء وانشقت فكانت شعلة نار سيال كالدهان فمن فهم حقائق الاضافات عرف ما ذكرناه من الاشارات فيعلم قطعا ان قبة لا تقوم من غير عمد كما لا يكون والد من غير ان يكون له ولد فالعمد هو المعنى الماسك فان لم ترد ان يكون الانسان فاجعله قدرة المالك فتبين انه لا بد من ماسك يمسكها وهى مملكة فلا بد لها من مالك يملكها ومن مسكت من أجله فهو ماسكها ومن وجدت له بسببه فهو مالكها ولما ابصرت حقائق السعداء والاشقياء عند قبض القدرة عليها بين العدم والوجود وهى حالة الانشاء حسن النهاية بعين الموافقة والهدايه وسوء الغاية بعين المخالفة والغوايه سارعت السعيدة الى الوجود وظهر من الشقية التثبط والابايه ولهذا أخبر الحق عن حالة السعداء فقال أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون يشير الى تلك السرعه وقال فى الاشقياء فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين يشير الى تلك الرجعه فلولا هبوب تلك النفحات على الاجساد ما ظهر فى هذا العالم سالك غى ولا رشاد ولتلك السرعة والتثبط أخبرتنا صلى الله عليك ان رحمة الله سبقت غضبه هكذا نسب الراوى اليك ثم أنشأ سبحانه الحقائق على عدد أسماء حقه وأظهر ملائكة التسخير على عدد خلقه فجعل لكل حقيقة اسما من أسمائه تعبده وتعلمه وجعل لكل سر حقيقة ملكا يخدمه و يلزمه فمن الحقائق من حجبته رؤية نفسه عن اسمه فخرج عن تكليفه وحكمه فكان له من الجاحدين ومنهم من ثبت الله أقدامه واتخذ اسمه امامه وحقق بينه و بينه العلامه وجعله أمامه فكان له من الساجدين ثم استخرج من الاب الاول أنوار الاقطاب شموسا تسبح فى أفلاك المقامات واستخرج أنوار النجباء نجوما تسبح فى أفلاك الكرامات وثبت الاوتاد الاربعة للاربعة الاركان فانحفظ بهم الثقلان * فزال واميد الارض وحركتها فسكنت فازينت بحلى أزهارها وحلل نباتها وأخرجت بركتها * فتنعمت أبصار الخلق بمنظرها البهى ومشامهم بريحها العطرى وأحنا كهم بطعومها الشهى ثم أرسل الابدال السبعة ارسال حكيم عليم * ملوكا على السبعة الاقاليم لكل بدل اقليم ووزر للقطب الامامين وجعلهما امامين فى الزمانين فلما أنشأ العالم على غاية الاتقان ولم يبق أبدع منه كما قال الامام أبو حامد فى الامكان وابرز جسدك صلى الله عليك للعيان أخبر عنك الراوى انك قلت يوما فى مجلسك ان الله كان ولا شئ معه بل هو على ما عليه كان وهكذا هى صلى الله عليك حقائق الا كوان فما زادت هذه الحقيقة على جميع الحقائق الا بكونها سابقة وهن لواحق اذ من ليس مع شئ فليس معه شئ ولو خرجت

الحقائق على غير ما كانت عليه في العلم لا تمازت عن الحقيقة المنزهة بهذا الحكم فالحقائق الآن في الحكم على ما كانت عليه في العلم فلنقل كانت ولا شئ معها في وجودها وهي الآن على ما كانت عليه في علم معبودها فقد شمل هذا الخبر الذي أطلق على الحق جميع الخلق ولا تعترض بتعدد الاسباب والمسببات فانها ترد عليك بوجود الاسماء والصفات وان المعاني التي تدل عليها مختلفات فلولا ما بين البداية والنهاية سبب رابط وكسب صحيح ضابط ما عرف كل واحد منهما بالآخر ولا قيل على حكم الاول يثبت الآخر * وليس الا الرب والعبد وكفى وفي هذا غنية لمن أراد معرفة نفسه في الوجود وشفا ألا ترى ان الخاتمة عين السابقه وهي كلمة واجبة صادقه * فما للانسان يتجاهل ويعمى ويمشي في دجنة ظلماء حيث لا ظل ولا ما وان أحق ما سمع من النبا وأتى به هدهد الفهم من سبا وجود الفلك المحيط الموجود في العالم المركب والبسيط المسمى بالهباء وأشبه شئ به الماء والهواء وان كانا من جملة صوره المفتوحة فيه ولما كان هذا الفلك أصل الوجود وتجلى له اسمه النور من حضرة الجود كان الظهور وقبلت صورتك صلى الله عليك من ذلك الفلك أول فيض ذلك النور فظهرت صورة مثليه مشاهدها عينيه ومشاربها غيبيه وجنتها عدنيه ومعارفها قلبيه وعلومها يمنيه وأسرارها مداديه وأرواحها لوحيه وطينتها آدميه فانت أب لنا في الروحانيه كما كان وأشرت الى آدم صلى الله عليه في ذلك الجمع أبا لنا في الجسميه والعناصر له أم ووالد كما كانت حقيقة الهباء في الاصل مع الواحد فلا يكون أمر الا عن أمرين ولا نتيجة الا عن مقدمتين أليس وجودك عن الحق سبحانه وكونه قادرا موقوفا واحكامك عليه من كونه عالما موصوفا واختصاصك بامر دون غيره مع جوازه عليك عليه من كونه مريدا معروفا فلا يصح وجود المعدوم عن وحيد العين فانه من أين يعقل الاين فلابد أن تكون ذات الشئ أينا لأمر ما لا يعرفه من أصبح عن الكشف على الحقائق أعمى . وفي معرفة الصفة والموصوف تتبين حقيقة الاين المعروف والا فكيف تسأل صلى الله عليك بأين وتقبل من المسئول فاه الظرف ثم تشهد له بالايمان الصرف وشهادتك حقيقة لا مجاز ووجوب لا جواز فلولا معرفتك صلى الله عليك بحقيقتها ما قبلت قولها مع كونها خرساء في السما ثم بعد أن أوجد العوالم اللطيفة والكثيفة ومهد المملكة وهيأ المرتبة الشريفه أنزل في أول دورة العذراء الخليفه ولذلك جعل سبحانه مدتنا في الدنيا سبع آلاف سنه وتحل بنا في آخرها حال فناء بين نوم وسنه فننتقل الى البرزخ الجامع للطرائق وتغلب فيه الحقائق الطيارة على جميع الحقائق فترجع الدولة للارواح وخليفتها في ذلك الوقت طائر له ستمائة جناح وترى الاشباح في حكم التبع للارواح فيتحول الانسان في أي صورة شاء حقيقة صحت له عند البعث من القبور في الانشاء وذلك موقوف على سوق الجنه سوق اللطائف والمنه فانظروا رحمكم الله وأشرت الى آدم في الزمردة البيضاء قد أودعها الرحمن في أول الآباء وانظروا الى النور المبين وأشرت الى الاب الثاني الذي سمانا مسلمين وانظروا الى اللجين الاخلص وأشرت الى من أبرأ الاكمه والابرص باذن الله كما جاء به النص وانظروا الى جمال حمرة ياقوتة النفس وأشرت الى من بيع بثمن بخس وانظروا الى حمرة الابريز وأشرت الى الخليفة العزيز . وانظروا الى نور الياقوتة الصفراء في الظلام وأشرت الى من فضل بالكلام فمن سعى الى هذه الانوار حتى وصل الى ما يكشفه لك طريقها من الاسرار فقد عرف المرتبة التي لها وجد وصح له المقام الألى وله سجد فهو الرب والمربوب والمحب والمحبوب

انظر الى بدء الوجود وكن به * فطنا تر الجود القديم المحدثا
والشئ مثل الشئ الا انه * أبداه في عين العوالم محدثا
ان أقسم الرائي بان وجوده * ازلا فبر صادق لن يحنثا
أو أقسم الرائي بان وجوده * عن فقده أحوى وكان مثلثا

ثم أظهرت أسرارا وقصصت أخبارا لا يسع الوقت ايرادها ولا يعرف أكثر الخلق ايجادها فتركتها

موقوفة على رأس مهيمها خوفا من وضع الحكمة فى غير موضعها ثم رددت من ذلك المشهد النومى العلى الى العالم السفلى فجعلت ذلك الحمد المقدس خطبة الكتاب وأخذت فى تميم صدره ثم أشرع بعد ذلك فى الكلام على ترتيب الابواب والحمد لله الغنى الوهاب هذه رسالة كتبت بها أما بعد فانه

لما انتهى للكعبة الحسناء * جسمى وحصل رتبة الامناء
وسعى وطاف وتم عند مقامها * صلى وأثبته من العتقاء
من قال هذا الفعل فرض واجب * ذاك المؤمل خاتم النبآء
ورأى به الملأ الكريم وآدما * قلبى فكان لهم من القرناء
ولآدم ولدا تقيا طائفا * ضخم الدسيعة أكرم الكرماء *
والكل بالبيت المكرم طائف * وقد اختفى فى الحلة السوداء
يرخى ذلاذل برده ليريك فى * ذاك التبختر نخوة الخيلاء
وأبى على الملأ الكريم مقدم * يمشى باضعف مشية الزمناء
والعبد بين يدى أبيه مطرق * فعل الاديب وجبرئيل ازائى
يبدى المعالم والمناسك خدمة * لابى ليورثها الى الابناء
فعجبت منهم كيف قال جميعهم * بفساد والدنا وسفك دماء
اذ كان يحجبهم بظلمة طينه * عما حوته من سنا الاسماء
وبدا بنور ليس فيه غيره * لكنهم فيه من الشهداء
ان كان والدنا محلا جامعا * للاولياء معا وللاعداء
ورأى المويهة والنويرة جاءتا * كرها بغير هوى وغير صفاء
فبنقص ماقامت به أضداده * حكموا عليه بغلطة وبذاء
وأنى يقول أنا المسيح والذى * مازال يحمدكم صباح مساء
وأنا المقدس ذات نور جلالكم * وأتوانى حتى أبى بكل جفاء
لما رأوا جهة الشمال ولم يروا * منه يمين القبضة البيضاء
ورأوا نفوسهم عبيدا خشعا * ورأوه ربا طالب استيلاء
لحقيقة جمعت له اسماء من * خص الحبيب بليلة الاسراء
ورأوا منازعه اللعين بجنده * يرنو اليه بمقلة البغضاء
وبذات والدنا منافق ذاته * حظ العصاة وشهوتنا حواء
علموا بان الحرب حتما واقع * منه بغير تردد واباء
فلذاك مانطقوا بما نطقوا به * فاعذرهم فهم من الصلحاء
فطروا على الخير الاعم جبلة * لايعرفون مواقع الشحناء
ومتى رأيت أبى وهم فى مجلس * كان الامام وهم من الندماء
وأعاد قولهم عليهم ربنا * عدلا فانزلهم الى الاعداء
لقرابة الملأ الكريم عقوبة * لقالهم فى أول الآباء
أوماترى فى يوم بدر حربهم * ونبينا فى نعمة ورخاء *
بعريشه معلقا متضرعا * لاله فى نصرة الضعفاء
لما رأى هذى الحقائق كلها * معصومة قلبى من الاهواء

نادى فاسمع كل طالب حكمة * يطوى لها بشملة وجناء
طى الذى يرجو لقاء مراده * فيجوب كل مفازة بيداء
ياراحلا يقص المهامه قاصدا * نحوى ليلحق رتبة السمراء
قل للذى تلقاه من شجرائى * عنى مقالة أنصح النصحاء
واعلم بانك خاسر فى حيرة * لما جهلت رسالتى وندائى
ان الذى مازلت أطلب شخصه * ألفيته بالربوة الخضراء
البلدة الزهراء بلدة تونس * الخضرة المزدانة الغسراء
بمحله الاسنى المقدّس تربه * بجلاله ذى القبلة الزوراء
* فى عصبة مختصة مختارة * من صفة النجباء والنقباء
يمشى بهم فى نور علم هداية * من هديه بالسنة البيضاء
والذكر يتلى والمعارف تنجلى * فيه من الاصباح للامساء
* بدر الاربعة وعشر لا يرى * أبدا منوّر ليلة قمراء *
وابن المرابط فيه واحد شانه * جلت حقائقه عن الافشاء
و بنوه قد حفوا بعرش مكانه * فهو الامام وهم من البدلاء
فكأنه وكأنهم فى مجلس * بدر تحف به نجوم سماء *
واذا أتاك بحكمة علوية * فكأنه يبنى عش العنقاء
* فلزمته حتى اذا احلت به * أنثى لها المجل من الغرباء
حبر من الاحبار عاشق نفسه * سرالجبانة سيد الظرفاء
من عصبة النظار والفقهاء * لكنه فيهم من الفضلاء
وافى وعندى للتنفل نية * فى كل وقت من دجى وضحاء
فتركته ورحلت عنه وعنده * منى تغير غيرة الادباء
و بدا يخاطبنى بانك خنتنى * فى عترتى وصحابتى القدماء
وأخذت ثابتنا الذى قامت به * دارى ولم تخبر به سجرائى
والله يعلم نيتى وطويتى * فى أمر ثابته وصدق وفائى
فانا على العهد القديم ملازم * فوداده صاف من الاقذاء
ومتى وقعت على مفتش حكمة * مستورة فى الفضة الحوراء
* متحير متشوّف قلناله * ياطالب الاسرار فى الاسراء
أسرع فقد ظفرت يداك بجامع * لحقائق الاموات والاحياء
نظر الوجود فكان تحت نعاله * من مستواه الى قرار الماء
مافوقه من غاية يعنو لها * الا هو فهو مصرف الاشياء
* لبس الرداء تنزها وازاره * لما أراد تكوّن الانشاء
* فاذا أراد تمتعا بوجوده * من غير ما نظر الى الرقباء
شال الرداء فلم يكن متكبرا * وازار تعظيم على القرناء *
* فبدا وجود لا تقيده لنا * صفة ولا اسم من الاسماء *
ان قيل من هذا ومن تعنى به * قلنا المحقق آمر الامراء *

شمس الحقيقة قطبها وامامها * سر العباد وعالم العلماء
عبد تسوّد وجهه من محوه * نور البصائر خاتم الخلفاء *
سهل الخلائق طيب عذب الجنى * غوث الخلائق أرحم الرحماء
تجلت صفات جلاله وجماله * وبهاء عزته عن النظراء
يقضى المشيئة فى البنين مقسما * بين العبيد الصم والاجزاء
مازال سائس أمة كانت به * محفوظة الانحاء والارجاء
تمرى اذا نازعته فى ملكه * أرى اذا ماجئته لحباء *
صلب ولكن لين لصفاته * كالماء يجرى من صفا صماء
يغنى ويفقر من يشاء فامره * محيى الولاة ومهلك الاعداء
لا انس اذ قال الامام مقالة * عنها يقصر أخطب الخطباء
كنا بنار رداه وصلى جامع * قدوا تنافانا بحيث ردائى *
فانظر الى السر المكتم درة * مجلوة فى اللجة العمياء
حتى يحار الخلق فى تكييفها * غينا مكبرة عودة الابداء
* عجبا لها لم تخفها اصدافها * الشمس تنفى حندس الظلماء
فاذا أتى بالسر عبد هكذا * قيل اكتبوا عبدى من الامناء
ان كان يبدى السر مستورا فما * تدرى به أرضى فكيف سمائى
لما أتيت ببعض وصف جلاله * اذ كان عينى واقفا بحذائى
قالوا لقد ألحقته بالهنا * فى الذات والاوصاف والاسماء
فبأى معنى تعرف الحق الذى * سواك خلقا فى دجى الاحشاء
قلنا صدقت وهل عرفت محققا * من موجد الكون الاعم سوائى
فاذا مدحت فانما أثنى على * نفسى فنفسى عين ذات ثنائى
واذا أردت تصرفا بوجوده * قسمت ماعندى على الغرماء
وعدمت من عينى فكان وجوده * فظهوره وقف على اخفائى
جل الاله الحق أن يبدو لنا * فردا وعينى ظاهر وبقائى
لوكان ذاك لكان فردا طالبا * متجسسا لثنائى
هذا محال فليصح وجوده * فى غيبتى عن عينه وفنائى
فمتى ظهرت اليكم أخفيته * اخفاء عين الشمس فى الانواء
فالناظرون يرون نصب عيونهم * سحبا تصرفها يد الاهواء
والشمس خلف الغيم تبدى نورها * للسحب والابصار فى الظلماء
فيقول قد بخلت على وانها * مشغولة بتحلل الاجزاء
لتجود بالمطر الغزير على الثرى * من غير مانصب ولا اعياء
وكذاك عند شروقها فى نورها * تمحو طوالع نجم كل سماء
فاذا مضت بعد الغروب بساعة * ظهرت لعينك أنجم الجوزاء
* هذا لمينها وذاك لديها * فى ذاتها وتقول حسن رآء
خفاؤه من أجلنا وظهوره * من أجله والرمز فى الافياء

تخفائنا من أجله وظهورنا * من أجلنا فسناه عين ضيائى
ثم التفت بالعكس رمزاثانيا * جاءت عوارفه عن الاحصاء
فكأننا سيان فى أعياننا * كصفا الزجاجة فى صفا الصهباء
فالعلم يشهد خامسين تألفا * والعين تعطى واحدا للرائى
فالروح ملتذ بمبدع ذاته * وبذاته من جانب الاكفاء
* والحس ملتذ برؤية ربه * فان عن الاحساس بالنعماء
فالله أكبر والكبير ردائى * والنور بدرى والضياء ذكائى
والشرق غربى والمغارب مشرقى * والبعد قربى والدنو تنائى
والنار غيبى والجنان شهادتى * وحقائق الخلق الجديد امائى
فاذا أردت تنزها فى روضتى * أبصرت كل الخلق فى مرائى
واذا انصرفت أنا الامام وليس لى * أحد أخلفه يكون ورائى
فالحمد لله الذى أنا جامع * لحقائق المنشئ والانشاء *
هذا قريضى منبئ بعجائب * ضاقت مسالكها على الفصحاء
فاشكر معى عبد العزيز الهنا * ولتشكرا أيضا ألى العذراء
شرعا فان الله قال اشكرلنا * ولوالديك وأنت عين قضائى

وبعد حمد الله بحمد الجد لا بسواه والصلاة التامة على من أسرى به الى مستواه فاعلم أيها العاقل الاديب الولى الحبيب ان الحكيم اذا نأت به الدار عن قسيمه وحالت صروف الدهر بينه وبين حميمه لابد أن يعرفه بكل ما اكتسبه فى غيبته وما حصل له من الامتعة الحكمية فى عيبته ليسر وليه بما أسداه اليه البر الرحيم من لطائفه ومنحه من عوارفه وأودعه من حكمه وأسمعه من كلمه فكان وليه ما غاب عنه بما عرف منه وان كان الولى أبقاه الله قد أصاب صفاء وده بعض كدر لعرض وظهر منه انقباض عند الوداع لاتمام غرض فقد غمض وليه عن ذلك جفن الانتقاد وجعله من الولى أبقاه الله من كريم الاعتقاد اذ لا يهتم منك الا من يسأل عنك فليهنأ الولى أبقاه الله فان القلب سليم والود كالعلم بين الجوانح مقيم وقد علم الولى أبقاه الله ان الود فيه كان أليا لا عرضيا ولا نفسيا وثبت هذا عنده قديما عنى من غير علة ولا فاقة اليه ولا قلة ولا طلب لمثوبة ولا حذر من عقوبة وربما كان من الولى حفظه الله تعالى فى الرحلة الاولى التى رحلت اليه سنة تسعين وخمسمائة عدم التفات فيها الى جانبى ونفور عن الجرى على مقاصدى ومذاهبى لما لاحظ فيها رضى الله عنه من النقص وعذرته فى ذلك فانه أعطاه ذلك منى ظاهر الحال وشاهد النص فانى سترت عنه وعن بنيه ما كنت عليه فى نفسى بما أظهرته اليهم من سوء حالى وشره حسى وربما كنت ألوح لهم أحيانا على طريق التنبيه فيأبى الله أن يلحظنى واحد منهم بعين التنزيه ولقد قرعت أسماعهم يوما فى بعض المجالس والولى أبقاه الله فى صدر ذلك المجلس جالس بأبيات أنشدتها وفى كتاب الاسراء لنا أودعتها وهى

انا القرآن والسبع المثانى * وروح الروح لا روح الاوانى
فؤادى عند معلومى مقيم * يشاهده وعندكم لسانى
فلا تنظر بطرفك نحو جسمى * وعد عن التنعم بالمغانى
وغص فى بحر ذات الذات تبصر * عجائب ما تبدت للعيان
وأسرارا تراءت مبهمات * مسترة بأرواح المعانى

فوالله ما أنشدت من هذه القطعة بيتا الا وكأنى أسمعه ميتا وسبب ذلك حكمة أبى رضاها وحاجة فى نفس

يعقوب قضاها وما أحس بى من ذلك الجمع المكرم الا أبو عبد الله بن المرابط كلهم المبرز المقدم ولكن بعض احساس والغالب عليه فى أمرى الالتباس وأما الشيخ المسن المرحوم جراح فكنت قد تكاشفت معه على نيه فى حضرة عليه ولم أزل بعد مفارقتى حضرة الولى أبقاه الله له ذاكرا ولاحواله شاكرا وبمناقبه ناطقا ولآدابه عاشقا وربما سطرت من ذلك فى الكتب ما سارت به الركبان وشهر فى بعض البلدان وقد وقف الولى عليه ورأى بعض ما لديه فقد ثبت له الود منى قبل سبب يقتضيه وغرض عاجل أو آجل يثبته فى النفس ويمضيه ثم كان الاجتماع بالولى تولاه الله بعد ذلك بأعوام فى محله الاسنى وكانت الاقامة معه تسعة أشهر دون أيام فى العيش الارغد الاهنى عيش روح وشبح وقد جاد كل واحد منا بذاته على صفيه وسمح ولى رفيق وله رفيق وكلاهما صديق وصديق فرفيقه شيخ عاقل محصل ضابط يعرف بأبى عبد الله بن المرابط ذو نفس أبية وأخلاق رضية وأعمال زكية وخلال مرضية يقطع الليل تسبيحا وقرآنا ويذكر الله على أكثر احيانه سرا واعلانا بطل فى ميدان المعاملات فهيم لما يرد به صاحب المنازل والمنازلات منصف فى حاله مفرق بين حقه ومحاله واما رفيقى فضياء خالص ونور صرف حبشى اسمه عبد الله بدر لا يلحقه خسف يعرف الحق لاهله فيؤديه ويوقفه عليهم ولا يعديه قد نال درجة التمييز وتخلص عند السبك كالذهب الابريز كلامه حق ووعده صدق فسكالاربعة الاركان التى قام عليها شخص العالم والانسان فافترقنا ونحن على هذه الحال لانحراف قام ببعض هذه المحال فانى كنت نويت الحج والعمره ثم اسرع الى مجلسه الكريم الكره فلما وصلت أم القرى بعد زيارتى الخليل الذى سن القرى وبعد صلاتى بالصخرة والاقصى وزيارة سيدى سيد ولد آدم ديوان الاحاطة والاحصا أقام الله فى خاطرى ان أعرف الولى أبقاه الله بفنون من المعارف حصلتها فى غيبتى وأهدى اليه أكرمه الله من جواهر العلم التى اقتنيتها فى غربتى فقيدت له هذه الرسالة اليتيمه التى أوجدها الحق لاعراض الجهل تميمه ولكل صاحب صفى ومحقق صوفى ولحبيبنا الولى وأخينا الذكى وولدنا الرضى عبد الله بدر الحبشى اليمنى معتق أبى الغنائم ابن أبى الفتوح الحرانى وسميتها رسالة الفتوحات المكيه فى معرفة الاسرار المالكية والملكيه اذ كان الاغلب فيما أودعت هذه الرسالة ما فتح الله به على عند طوافى ببيته المكرم أو قعودى مراقبا له بحرمه الشريف المعظم وجعلتها أبوابا شريفه وأودعتها المعانى اللطيفه فان الانسان لا تسهل عليه شدائد البدايه الا اذا عرف شرف الغايه ولا سيما ان ذاق من ذلك عذوبة الجنى ووقع منه بموقع المنى فاذا حصر الباب البصر تردد عليه عين بصيرة الحكيم فنظر فاستخرج اللآلئ والدرر ويعطيه الباب عند ذلك ما فيه من حكم روحانيه ونكت ربانيه على قدر نفوذه وفهمه وقوة عزمه ووهمه واتساع نفسه من أجل غطسه فى أعماق بحار علمه

لما لزمت قـــرع باب الله ＊ كنت المراقب لم أكن بالالاهى

حتى بدت للعين سبحة وجهه ＊ والى هلم لم تكن الاهى

فاحطت علما بالوجود فمالنا ＊ فى قلبنا علم بغير الله

لو يسال الخلق الغريب محجتى ＊ لم يسألوك عن الحقائق ماهى

فلنقدم قبل الشروع فى الكلام على أبواب هذا الكتاب بابا فى فهرست أبوابه ثم أتلوه بمقدمة فى تمهيد ما يتضمنه هذا الكتاب من العلوم الالهية الاسرارية وعلى أثرها يكون الكلام على الابواب على حسب ترتيبها فى باب الفهرست ان شاء الله تعالى والله يقول الحق وهو يهدى السبيل انتهى الجزء الاول والحمد لله يتلوه الجزء الثانى ان شاء الله تعالى وصلى الله على محمد وعلى آله الطاهرين

بسم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿باب فى فهرست أبواب الكتاب وليس معدودا فى الابواب وهو على فصول ستة ﴾

﴿الفصل الاول فى المعارف﴾

﴿الفصل الثانى فى المعاملات﴾

﴿الفصل الرابع فى المنازل﴾

﴿ الفصل السادس في المقامات ﴾

(الباب التاسع عشر وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون
(الباب الموفى عشرين وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله انما يستجيب الذين يسمعون
(الباب الحادى والعشرون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون
(الباب الثانى والعشرون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون
(الباب الثالث والعشرون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله وأما من خاف مقام ربه
(الباب الرابع والعشرون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا
(الباب الخامس والعشرون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا
(الباب السادس والعشرون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
(الباب السابع والعشرون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
(الباب الثامن والعشرون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله وجزاء سيئة سيئة مثلها
(الباب التاسع والعشرون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا
(الباب الثلاثون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول
(الباب الحادى والثلاثون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه
(الباب الثانى والثلاثون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
(الباب الثالث والثلاثون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعانى فليستجيبوا لى
(الباب الرابع والثلاثون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله وانك لعلى خلق عظيم
(الباب الخامس والثلاثون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
(الباب السادس والثلاثون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب
(الباب السابع والثلاثون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه
(الباب الثامن والثلاثون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير
(الباب التاسع والثلاثون وخمسمائة) فى معرفة حال قطب كان منزله ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين

الجزء الثانى من هذا الكتاب والحمدلله وحده والصلاة على محمد نبيه وعبده

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ مقدمة الكتاب ﴾

فلما وقع عندي أن أجعل في هذا الكتاب أولا فصلا في العقائد المؤيدة بالادلة القاطعة والبراهين الساطعة ثم رأيت ان ذلك تشغيب على المتأهب الطالب للمزيد المتعرض لنفحات الجود بأسرار الوجود فان المتأهب اذا لزم الخلوة والذكر وفرغ المحل من الفكر وقعد فقيرا لا شئ له عند باب ربه حينئذ يمنحه الله تعالى ويعطيه من العلم به والاسرار الالهية والمعارف الربانية التي أثنى الله سبحانه بها على عبده خضر فقال عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وقال ويجعل لكم نورا تمشون به قيل للجنيد بم نلت ما نلت فقال بجلوسي تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة وقال أبو يزيد أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت فيحصل لصاحب الهمة في الخلوة مع الله وبه جلت هيبته وعظمت منته من العلوم ما يغيب عندها كل متكلم على البسيطة بل كل صاحب نظر وبرهان ليست له هذه الحالة فانها وراء النظر العقلي اذ كانت العلوم على ثلاث مراتب (علم العقل) وهو كل علم يحصل لك ضرورة أو عقيب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل وشبهه من جنسه في عالم الفكر الذي يجمع ويختص بهذا الفن من العلوم ولهذا يقولون في النظر منه صحيح ومنه فاسد (والعلم الثاني) علم الاحوال ولا سبيل اليها الا بالذوق فلا يقدر عاقل على أن يحدها ولا يقيم على معرفتها دليلا كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والعشق والوجد والشوق وما شاكل هذا النوع من العلوم فهذه علوم من المحال أن يعلمها أحد الا بأن يتصف بها ويذوقها وشبهها من جنسها في أهل الذوق كمن يغلب على محل طعمه المرة الصفراء فيجد العسل مرا وليس كذلك فان الذي باشر محل الطعم انما هو المرة الصفراء (والعلم الثالث) علوم الاسرار وهو العلم الذي فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروع يختص به النبي والولي وهو نوعان نوع منه يدرك بالعقل كالعلم الاول من هذه الاقسام لكن هذا العالم به لم يحصل له عن نظر ولكن مرتبة هذا العلم أعطت هذا والنوع الآخر على ضربين ضرب منه يلتحق بالعلم الثاني لكن حاله أشرف والضرب الآخر من علوم الاخبار وهي التي يدخلها الصدق والكذب الا أن يكون المخبر به قد ثبت صدقه عند المخبر وعصمته فيما يخبر به ويقوله كاخبار الانبياء صلوات الله عليهم عن الله كاخبارهم بالجنة وما فيها فقوله ان ثم جنة من علم الخبر وقوله في القيامة ان فيها حوضا أحلى من العسل من علم الاحوال وهو علم الذوق وقوله كان الله ولا شئ معه ومثله من علوم العقل المدركة بالنظر فهذا الصنف الثالث الذي هو علم الاسرار العالم به يعلم العلوم كلها ويستغرقها وليس صاحب تلك العلوم كذلك فلا علم أشرف من هذا العلم المحيط الحاوي على جميع المعلومات وما بقي الا أن يكون المخبر به صادقا عند السامعين له معصوما هذا شرطه عند العامة وأما العاقل اللبيب الناصح نفسه فلا يرمي به ولكن يقول هذا جائز عندي أن يكون صدقا أو كذبا وكذلك ينبغي لكل عاقل اذا أتاه بهذه العلوم غير المعصوم وان كان صادقا في نفس الأمر فيما أخبر به ولكن كما لا يلزم هذا السامع له صدقه لا يلزمه تكذيبه ولكن يتوقف وان صدقه لم يضره لانه أتى في خبره بما لا تحيله العقول بل بما تجوزه وتقف عنده ولا يهدم ركنا من أركان الشريعة ولا يبطل أصلا من أصولها فاذا أتى بأمر جوزه العقل وسكت عنه الشارع فلا ينبغي لنا أن نرده أصلا ونحن مخيرون في قبوله فان كانت حالة المخبر به تقتضي العدالة لم يضرنا قبوله كما نقبل شهادته ونحكم بها في الاموال والارواح وان كان غير عدل في علمنا فننظر فان كان الذي أخبر به حقا بوجه ما عندنا من الوجوه المصححة قبلناه والا تركناه في باب الجائزات ولم نتكلم في قائله بشئ فانها شهادة مكتوبة نسأل عنها قال تعالى ستكتب شهادتهم ويسألون وأما أولى من نصح نفسه في ذلك ولو لم يأت هذا المخبر الا بما جاء به المعصوم فهو حاك لنا ما عندنا من رواية عنه فلا فائدة زائدة عندنا بخبره وانما يأتون رضي الله عنهم باسرار وحكم من أسرار الشريعة مما هي خارجة عن قوة الفكر والكسب ولا تنال أبدا الا بالمشاهدة والالهام وما شاكل هذه الطرق ومن هنا تكون الفائدة

بقوله عليه السلام إن يكن في أمتي محدثون فمنهم عمر وقوله في أبي بكر في فضله بالسر غيره ولو لم يقع الانكار لهذه العلوم في الوجود لم يفد قول أبي هريرة حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فاما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع مني هذا البلعوم حدثني به الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبيد الله الحجري بسبتة في رمضان عام تسعة وثمانين وخمسمائة بداره وحدثني به أيضا أبو الوليد أحمد بن محمد بن العربي بداره باشبيلية سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة في آخرين كلهم قالوا حدثنا الا أبا الوليد بن العربي فانه قال سمعت أبا الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني قال حدثني أبي أبو عبد الله وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن منظور القيسي سماعا مني عليهما عن أبي ذر سماعا منهما عليه عن أبي محمد هو عبد الله بن أحمد بن حويه السرخسي الحموي وأبي اسحق المستملي وأبي الهيثم هو محمد بن مكي بن محمد الكشميهني قالوا أنا أبو عبد الله هو محمد بن يوسف بن مطر الفربري قال أنا أبو عبد الله البخاري وحدثني به أيضا أبو محمد يونس بن يحيي بن أبي الحسين بن أبي البركات الهاشمي العباسي بالحرم الشريف المكي تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة في شهر جمادى الاولى سنة تسع وتسعين وخمسمائة عن أبي الوقت عبد الاول بن عيسى السجزي الهروي عن أبي الحسن عبد الرحمن بن المظفر الداودي عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حويه السرخسي عن أبي عبد الله الفربري عن البخاري وقال البخاري في صحيحه حدثني اسمعيل قال حدثني أخي عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة وذكر الحديث وشرح البلعوم لابي عبد الله البخاري من رواية أبي ذر خرجه في كتاب العلم وذكروا ان البلعوم مجرى الطعام ولم يفد قول ابن عباس حين قال في قول الله عز وجل الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتموني وفي رواية لقلتم اني كافر حدثني بهذا الحديث أبو عبد الله محمد بن عيشون عن أبي بكر القاضي محمد بن عبد الله بن العربي المعافري عن أبي حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي ولم يكن لقول الرضي من حفدة علي بن أبي طالب صلى الله عليه وسلم معنى اذ قال

يارب جوهر علم لو أبوح به * لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي * يرون أقبح ما يأتونه حسنا

فهؤلاء كلهم سادات أبرار فيما أحسب واشتهر عنهم فقد عرفوا هذا العلم ورتبته ومنزلته أكثر العالم منه وان الاكثر منكرون له وينبغي للعاقل العارف أن لا يأخذ عليهم في انكارهم فانه في قصة موسى مع خضر مندوحة لهم وحجة للطائفتين وان كان انكار موسى عن نسيان لشرطه ولتعديل الله اياه وبهذه القصة عينها نحتج على المنكرين لكنه لا سبيل الى خصامهم ولكن نقول كما قال العبد الصالح هذا فراق بيني وبينك

﴿وصل﴾ ولا يحجبنك أيها الناظر في هذا الصنف من العلم الذي هو العلم النبوي الموروث منهم صلوات الله عليهم اذا وقفت على مسئلة من مسائلهم قد ذكرها فيلسوف أو متكلم أو صاحب نظر في أي علم كان فتقول في هذا القائل الذي هو الصوفي المحقق انه فيلسوف لكون الفيلسوف ذكر تلك المسئلة وقال بها واعتقدها وانه نقلها منهم أو انه لا دين له فان الفيلسوف قد قال بها ولا دين له فلا تفعل يا أخي فهذا القول قول من لا تحصيل له اذ الفيلسوف ليس كل علمه باطلا فعسى تكون تلك المسئلة فيما عنده من الحق ولا سيما ان وجدنا الرسول عليه السلام قد قال بها ولا سيما فيما وضعوه من الحكم والتبري من الشهوات ومكايد النفوس وما تنطوي عليه من سوء الضمائر فان كنا لا نعرف الحقائق ينبغي لنا أن نثبت قول الفيلسوف في هذه المسئلة المعينة وانها حق فان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال بها أو الصاحب أو مالك أو الشافعي أو سفيان الثوري وأما قولك ان قلت سمعها من فيلسوف أو طالعها في كتبهم فانك ربما تقع في الكذب والجهل أما الكذب فقولك سمعها أو طالعها وأنت لم تشاهد ذلك منه وأما الجهل فكونك لا تفرق بين الحق في تلك المسئلة والباطل وأما قولك ان الفيلسوف لا دين له فلا يدل كونه لا دين له على ان كل ما عنده باطل وهذا مدرك بأول العقل عند كل عاقل فقد خرجت باعتراضك على الصوفي في مثل هذه المسئلة عن العلم والصدق والدين وانخرطت في سلك أهل الجهل والكذب والبهتان ونقص العقل والدين وفساد النظر والانحراف أرأيت لو أتاك بها رؤيا رآها هل كنت الا عابرها

وتطلب على معانيها فكذلك خذ ما أتاك به هذا الصوفي واجتهد على نفسك قليلا وفرغ لما أتاك به محلك حتى يبرز لك معناها أحسن من أن تقول يوم القيامة بل كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين فكل علم اذا بسطته العبارة حسن وفهم معناه أو قارب وعذب عند السامع الفهم فهو علم العقل النظرى لانه تحت ادراكه ومما يستقل به لونظر الا علم الاسرار فانه اذا أخذته العبارة سمج واعتاص على الافهام دركه وخشن وربما مجته العقول الضعيفة المتعصبة التى لم تتوفر لتصريف حقيقتها التى جعل الله فيها من النظر والبحث ولهذا صاحب العلم كثيرا ما يوصله الى الافهام بضرب الامثلة والمخاطبات الشعرية • وأما علوم الاحوال فمتوسطة بين علم الاسرار وعلم العقول • وأكثر ما يؤمن بعلم الاحوال أهل التجارب وهو الى علم الاسرار أقرب منه الى العلم النظرى العقلى لكن يقرب من صنف العلم العقلى الضرورى بل هو هو لكن لما كانت العقول لا تتوصل اليه الا باخبار من علمه أو شاهده من نبى أو ولى لذلك تميز عن الضرورى لكن هو ضرورى عند من شاهده ثم اتعلم انه اذا حسن عندك وقبلته وآمنت به فأبشر انك على كشف منه ضرورة وأنت لا تدرى لا سبيل الا هذا اذ لا يثلج الصدر الا بما يقطع بصحته وليس للعقل هنا مدخل لانه ليس من دركه الا ان أتى بذلك معصوم حينئذ يثلج صدر العاقل وأما غير المعصوم فلا يلتذ بكلامه الا صاحب ذوق (فان قلت) فلخص لى هذه الطريقة التى تدعى انها الطريقة الشريفة الموصلة السالك عليها الى الله تعالى وما تنطوى عليه من الحقائق والمقامات بأقرب عبارة وأوجز لفظ وأبلغه حتى أعمل عليه ونصل الى ما ادعيت انك توصلت اليه وبالله أقسم انى لا آخذ منك على وجه التجربة والاختبار وانما آخذه منك على الصدق فانى قد حسنت الظن بك احسان قطع اذ قد نبهتنى على حظ ما أتيت به من العقل وان ذلك مما يقطع العقل بجوازه وامكانه أو يقف عنده من غير حكم معين فشكر الله لك ذلك وبلغك آمالك ونفعك ونفع بك • فاعلم أن الطريق الى الله تعالى التى سلكت عليه الخاصة من المؤمنين الطالبين نجاتهم دون العامة الذين شغلوا أنفسهم بغير ما خلقت له انه على أربع شعب بواعث ودواع وأخلاق وحقائق والذى دعاهم الى هذه الدواعى والبواعث والاخلاق والحقائق ثلاثة حقوق تفرضت عليهم حق لله وحق لانفسهم وحق للخلق فالحق الذى لله تعالى عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ والحق الذى للخلق عليهم كف الاذى كله عنهم ما لم يأمر به شرع من اقامة حد وصنائع المعروف معهم على الاستطاعة والايثار ما لم ينه عنه شرع فانه لا سبيل الى موافقة الغرض الا بلسان الشرع والحق الذى لانفسهم عليهم أن لا يسلكوا بها من الطرق الا الطريق التى فيها سعادتها ونجاتها وان أبت فلجهل قام بها أو سوء طبع فان النفس الابية انما يحملها على اتيان الاخلاق الفاضلة دين أو مروءة فالجهل يضاد الدين فان الدين علم من العلوم وسوء الطبع يضاد المروءة ثم نرجع الى الشعب الاربع فنقول الدواعى خمسة الهاجس السببى ويسمى نقر الخاطر ثم الارادة ثم العزم ثم الهمة ثم النية والبواعث لهذه الدواعى ثلاثة أشياء رغبة أو رهبة أو تعظيم والرغبة رغبتان رغبة فى المجاورة ورغبة فى المعاينة وان شئت قلت رغبة فيما عنده ورغبة فيه والرهبة رهبتان رهبة من العذاب ورهبة من الحجاب والتعظيم افراده عنك وجمعك به • والاخلاق على ثلاثة أنواع خلق متعد وخلق غير متعد وخلق مشترك • فالمتعدى على قسمين متعد بمنفعة كالجود والفتوة ومتعد بدفع مضرة كالعفو والصفح واحتمال الاذى مع القدرة على الجزاء والتمكن منه وغير المتعدى كالورع والزهد والتوكل • وأما المشترك فكالصبر على الاذى من الخلق وبسط الوجه • وأما الحقائق فعلى أربعة حقائق ترجع الى الذات المقدسة وحقائق ترجع الى الصفات المنزهة وهى النسب وحقائق ترجع الى الافعال وهى كن وأخواتها وحقائق ترجع الى المفعولات وهى الاكوان والمكونات وهذه الحقائق الكونية على ثلاث مراتب علوية وهى المعقولات وسفلية وهى المحسوسات وبرزخية وهى المخيلات • فاما الحقائق الذاتية فكل مشهد يقيمك الحق فيه من غير تشبيه ولا تكييف لا تسعه العبارة ولا تومى اليه الاشارة • وأما الحقائق الصفاتية فكل مشهد يقيمك الحق فيه تطلع منه على معرفة كونه سبحانه عالما قادرا مريدا حيا الى غير ذلك من الاسماء والصفات المختلفة والمتقابلة والمتماثلة • وأما الحقائق الكونية فكل مشهد يقيمك الحق فيه تطلع منه على معرفة الارواح والبسائط والمركبات

والاجسام والاتصال والانفصال . وأما الحقائق الفعلية فكل مشهد يقيمك فيه تطلع منه على معرفة كن وتعلق القدرة بالمقدور بضرب خاص لكون العبد لا فعل له ولا أثر لقدرته الحادثة الموصوف بها . وجميع ما ذكرناه يسمى الاحوال والمقامات فالمقام منها كل صفة يجب الرسوخ فيها ولا يصح التنقل عنها كالتوبة . والحال منها كل صفة تكون فيها في وقت دون وقت كالسكر والمحو والغيبة والرضى أو يكون وجودها مشروطا بشرط فتنعدم لعدم شرطها كالصبر مع البلاء والشكر مع النعماء وهذه الامور على قسمين . قسم كماله في ظاهر الانسان وباطنه كالورع والتوبة وقسم كماله في باطن الانسان ثم ان تبعه الظاهر فلا بأس كالزهد والتوكل وليس ثم في طريق الله تعالى مقام يكون في الظاهر دون الباطن . ثم ان هذه المقامات منها ما يتصف به الانسان في الدنيا والآخرة كالمشاهدة والجلال والجمال والانس والهيبة والبسط ومنها ما يتصف به العبد الى حين موته الى القيامة الى أول قدم يضعه في الجنة ويزول عنه كالخوف والقبض والحزن والرجاء ومنها ما يتصف به العبد الى حين موته كالزهد والتوبة والورع والمجاهدة والرياضة والتخلي والتحلي على طريق القربة ومنها ما يزول لزوال شرطه ويرجع لرجوع شرطه كالصبر والشكر والورع فهذا وفقنا الله واياك قد بينت لك الطريق مراتب المنازل ظاهر المعاني والحقائق على غاية الايجاز والبيان والاستيفاء العام فان سلكت وصلت والله سبحانه يرشدنا واياك

﴿فصل﴾ ومدار العلم الذي يختص به أهل الله تعالى على سبع مسائل من عرفها لم يعتص عليه شئ من علم الحقائق وهي معرفة أسماء الله تعالى ومعرفة التجليات ومعرفة خطاب الحق عباده بلسان الشرع ومعرفة كمال الوجود ونقصه ومعرفة الانسان من جهة حقائقه ومعرفة الكشف الخيالي ومعرفة العلل والادوية وذكرنا هذه المسائل في باب المعرفة من هذا الكتاب فلتنظر هنالك ان شاء الله ﴿تتمة﴾ ثم نرجع الى السبب الذي لاجله منعنا المتأهب لتجلي الحق الى قلبه من النظر في صحة العقائد من جهة علم الكلام فمن ذلك ان العوام بلا خلاف من كل متشرع صحيح العقل عقائدهم سليمة وانهم مسلمون مع انهم لم يطالعوا شيأ من علم الكلام ولا عرفوا مذاهب الخصوم بل أبقاهم الله تعالى على صحة الفطرة وهو العلم بوجود الله تعالى بتلقين الوالد المتشرع أو المربي وانهم من معرفة الحق سبحانه وتنزيهه على حكم المعرفة والتنزيه الوارد في ظاهر القرآن المبين وهم فيه بحمد الله على صحة وصواب ما لم يتطرق أحد منهم الى التأويل فان تطرق أحد منهم الى التأويل خرج عن حكم العامة والتحق بصنف ما من أصناف أهل النظر والتأويل وهو على حسب تأويله وعليه يلقى الله تعالى فاما مصيب واما مخطئ بالنظر الى ما يناقض ظاهر ما جاء به الشرع فالعامة بحمد الله سليمة عقائدهم لانهم تلقوها كما ذكرناه من ظاهر الكتاب العزيز التلقي الذي يجب القطع به وذلك أن التواتر من الطرق الموصلة الى العلم وليس الغرض من العلم الا القطع على المعلوم انه على حد ما علمناه من غير ريب ولا شك والقرآن العزيز قد ثبت عندنا بالتواتر انه جاء به شخص ادّعى انه رسول من عند الله تعالى وانه جاء بما يدل على صدقه وهو هذا القرآن وانه ما استطاع أحد على معارضته أصلا فقد صح عندنا بالتواتر انه رسول الله الينا وانه جاء بهذا القرآن الذي بين أيدينا اليوم وأخبر أنه كلام الله وثبت هذا كله عندنا تواترا فقد ثبت العلم به انه النبأ الحق والقول الفصل . والادلة سمعية وعقلية واذا حكما على أمر بحكم ما فلا شك فيه انه على ذلك الحكم . واذا كان الامر على ما قلناه فيأخذ المتأهب عقيدته من القرآن العزيز وهو بمنزلة الدليل العقلي في الدلالة اذ هو الصدق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . فلا يحتاج المتأهب مع ثبوت هذا الاصل الى أدلة العقول اذ قد حصل الدليل القاطع الذي عليه السيف معلق . والاصفاق عليه محقق عنده قالت اليهود لمحمد صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله تعالى عليه سورة الاخلاص ولم يقم لهم من أدلة النظر دليلا واحدا فقال قل هو الله فاثبت الوجود أحد فنفى العدد وأثبت الأحدية لله سبحانه الله الصمد فنفى الجسم لم يلد ولم يولد فنفى الوالد والولد ولم يكن له كفوا أحد فنفى الصاحبة كما نفى الشريك بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فيطالب صاحب الدليل العقلي البرهان على صحة هذه المعاني بالعقل وقد دل على صحة هذا اللفظ فياليت شعري هذا الذي يطلب يعرف الله من جهة الدليل ويكفر من

لا ينظر كيف كانت حالته قبل النظر وفي حال النظر هل هو مسلم أم لا وهل يصلي ويصوم أو ثبت عنده أن محمدا رسول الله اليه أو ان الله موجود فان كان معتقدا لهذا كله فهذه حالة العوام فليتركهم على ماهم عليه ولا يكفر أحدا وان لم يكن معتقدا لهذا الا حتى ينظر ويقرأ علم الكلام فنعوذ بالله من هذا المذهب حيث أداه سوء النظر الى الخروج عن الايمان وعلماء هذا العلم رضي الله عنهم ماوضعوه وصنفوا فيه ماصنفوه ليثبتوا في أنفسهم العلم بالله وانما وضعوه ارداعا للخصوم الذين جحدوا الاله أو الصفات أو بعض الصفات أو الرسالة أو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة أو حدوث العالم أو الاعادة الى هذه الاجسام بعد الموت أو الحشر والنشر ومايتعلق بهذا الصنف وكانوا كافرين بالقرآن مكذبين به جاحدين له فطلب علماء الكلام اقامة الادلة عليهم على الطريقة التي زعموا انها أدتهم الى ابطال ماادعينا صحته خاصة حتى لايشوشوا على العوام عقائدهم فمهما برز في ميدان المجادلة بدعي برز له أشعري أو من كان من أصحاب علم النظر ولم يقتصروا على السيف رغبة منهم وحرصا على ان يردوا أحدا الى الايمان والانتظام في سلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالبرهان اذ الذي كان يأتي بالامر المعجز على صدق دعواه قد فقد وهو الرسول عليه السلام فالبرهان عندهم قائم مقام تلك المعجزة في حق من عرف فان الراجع بالبرهان أصح اسلاما من الراجع بالسيف فان الخوف يمكن أن يحمله على النفاق وصاحب البرهان ليس كذلك . فلهذا رضي الله عنهم وضعوا علم الجوهر والعرض لا لغير ويكفي في المصر منه واحد فاذا كان الشخص مؤمنا بالقرآن انه كلام الله قاطعا به فليأخذ عقيدته منه من غير تأويل ولا ميل فنزه سبحانه نفسه ان يشبهه شئ من المخلوقات أو يشبه شيأ بقوله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وسبحان ربك رب العزة عما يصفون . وأثبت رؤيته في الدار الآخرة بظاهر قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وكلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وانتفت الاحاطة بدركه بقوله لاتدركه الابصار وثبت كونه قادرا بقوله وهو على كل شئ قدير وثبت كونه عالما بقوله أحاط بكل شئ علما وثبت كونه مريدا بقوله فعال لما يريد وثبت كونه سميعا بقوله لقد سمع الله وثبت كونه بصيرا بقوله ألم يعلم بان الله يرى وثبت كونه متكلما بقوله وكلم الله موسى تكليما وثبت كونه حيا بقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم وثبت ارسال الرسل بقوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم وثبت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى محمد رسول الله وثبت انه آخر الانبياء بقوله وخاتم النبيين وثبت ان كل ماسواه خلق له بقوله الله خالق كل شئ وثبت خلق الجن بقوله تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون وثبت حشر الاجساد بقوله منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى الى أمثال هذه مما تحتاج اليه العقائد من الحشر والنشر والقضاء والقدر والجنة والنار والقبر والميزان والحوض والصراط والحساب والصحف وكل مالابد للمعتقد أن يعتقده قال تعالى مافرطنا في الكتاب من شئ وأن هذا القرآن معجزته عليه السلام بطلب معارضته والعجز عن ذلك في قوله قل فأتوا بسورة من مثله ثم قطع أن المعارضة لاتكون أبدا بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وأخبر بعجز من أراد معارضته واقراره بان الامر عظيم فيه فقال انه فكر وقدر الى قوله ان هذا الا سحر يؤثر ففي القرآن العزيز للعاقل غنية كبيرة ولصاحب الداء العضال دواء وشفاء كما قال وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ومقنع شاف لمن عزم على طريق النجاة ورغب في سمو الدرجات وترك العلوم التي تورد عليها الشبه والشكوك فيضيع الوقت ويخاف المقت اذا لم تحصل لتلك الطريقة قلما ينجو من التشغيب أو يشتغل برياضة نفسه وتهذيبها فانه مستغرق الاوقات في ارداع الخصوم الذين لم يوجدهم عين ودفع شبه يمكن ان وقعت للخصم ويمكن ان لم تقع فقد تقع وقد لاتقع واذا وقعت فسيف الشريعة أردع وأقطع . أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وحتى يؤمنوا بي وبما جئت به هذا قوله صلى الله عليه وسلم ولم يدفعنا الجدال انهم اذا حضروا انما هو الجهاد والسيف ان عاند فيما قيل له فكيف بخصم متوهم تقطع الزمان بمجادلته ومارأيناه عينا ولا قال لنا شيأ وانما نحن مع ماوقع لنا في نفوسنا وتخيل أنا مع غيرنا ومع هذا فانهم رضي الله عنهم اجتهدوا وخيرا قصدوا وان كان الذي تركوا أوجب عليهم من الذي شغلوا نفوسهم به والله ينفع الكل بقصده ولولا التطويل لتكلمت على مقامات العلوم ومراتبها وان علم

الكلام مع شرفه لا يحتاج اليه أكثر الناس بل شخص واحد يكفى منه فى البلد مثل الطبيب والفقهاء العلماء بفروع الدين ليسوا كذلك بل الناس محتاجون الى الكثرة من علماء الشريعة وفى الشريعة بحمد الله الغنية والكفاية ولوامات الانسان وهو لا يعرف اصطلاح القائلين بعلم النظر مثل الجوهر والعرض والجسم والجسمانى والروح والروحانى لم يسأله الله تعالى عن ذلك وانما يسأل الله الناس عما أوجب عليهم من التكليف خاصة والله يرزقنا الحياء منه (وصل) يتضمن ما ينبغى أن يعتقد فى العموم وهى عقيدة أهل الاسلام مسلمة من غير نظر الى دليل ولا الى برهان فيا اخوتى المؤمنين ختم الله لنا ولكم بالحسنى لما سمعت قوله تعالى عن نبيه هود عليه السلام حين قال لقومه المكذبين به وبرسالته انى أشهد الله واشهدوا انى برىء مما تشركون فأشهد عليه السلام قومه مع كونهم مكذبين به على نفسه بالبراءة من الشرك بالله والاقرار باحديته لما علم عليه السلام ان الله سبحانه سيوقف عباده بين يديه ويسألهم عما هو عالم به لاقامة الحجة لهم أو عليهم حتى يؤدى كل شاهد شهادته وقد ورد أن المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب ويابس وكل من سمعه ولهذا يدبر الشيطان عند الاذان وله حصاص وفى رواية وله ضراط وذلك حتى لا يسمع نداء المؤذن بالشهادة فيلزمه أن يشهد له فيكون بتلك الشهادة له من جملة من يسعى فى سعادة المشهود له وهو عدو محض ليس له الينا خير ألبتة لعنه الله واذا كان العدو لا بد أن يشهد لك بما أشهدته به على نفسك فأحرى أن يشهد لك وليك وحبيبك ومن هو على دينك وملتك وأحرى أن تشهده أنت فى الدار الدنيا على نفسك بالوحدانية والايمان فيا اخوتى ويا أحبائى رضى الله عنكم أشهدكم عبد ضعيف مسكين فقير الى الله تعالى فى كل لحظة وطرفة وهو مؤلف هذا الكتاب ومنشئه أشهدكم على نفسه بعد أن أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضره من المؤمنين وسمعه أنه يشهد قولا وعقدا ان الله تعالى اله واحد لا ثانى له فى ألوهيته منزه عن الصاحبة والولد مالك لا شريك له ملك لا وزير له صانع لا مدبر معه موجود بذاته من غير افتقار الى موجد يوجده بل كل موجود سواه مفتقر اليه تعالى فى وجوده فالعالم كله موجود به وهو وحده متصف بالوجود لنفسه لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه بل وجود مطلق غير مقيد قائم بنفسه ليس بجوهر متحيز فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء مقدس عن الجهات والاقطار مرئى بالقلوب والابصار اذا شاء استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذى أراده كما ان العرش وما سواه به استوى وله الآخرة والاولى ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول لا يحده زمان ولا يقله مكان بل كان ولا مكان وهو على ما عليه كان خلق المتمكن والمكان وأنشأ الزمان وقال أنا الواحد الحى لا يؤوده حفظ المخلوقات ولا ترجع اليه صفة لم يكن عليها من صنعة المصنوعات تعالى ان تحله الحوادث أو يحلها أو تكون بعده أو يكون قبلها بل يقال كان ولا شىء معه فان القبل والبعد من صيغ الزمان الذى أبدعه فهو القيوم الذى لا ينام والقهار الذى لا يرام ليس كمثله شىء خلق العرش وجعله حد الاستواء وأنشأ الكرسى وأوسعه الارض والسموات العلى اخترع اللوح والقلم الاعلى وأجراه كاتبا بعلمه فى خلقه الى يوم الفصل والقضاء أبدع العالم كله على غير مثال سبق وخلق الخلق وأخلق الذى خلق أنزل الارواح فى الاشباح امناء وجعل هذه الاشباح المنزلة اليها الارواح فى الارض خلفاء وسخر لنا ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فلا تتحرك ذرة الا اليه وعنه خلق الكل من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه لكن علمه سبق بان يخلق ما خلق فهو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شىء قدير أحاط بكل شىء علما وأحصى كل شىء عددا يعلم السر وأخفى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور كيف لا يعلم شيأ هو خلقه ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير علم الاشياء منها قبل وجودها ثم أوجدها على حد ما علمها فلم يزل عالما بالاشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الانشاء بعلمه أتقن الاشياء وأحكمها وبه حكم عليها من شاء وحكمها علم الكليات على الاطلاق كما علم الجزئيات باجماع من أهل النظر الصحيح واتفاق فهو عالم الغيب والشهادة فتعالى الله عما يشركون فعال لما يريد فهو المريد الكائنات فى عالم الارض والسموات لم تتعلق قدرته بشىء حتى أراده كما انه لم يرده حتى علمه اذ يستحيل فى العقل

ان

أن يريد مالا يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل مالا يريد كما يستحيل أن توجد نسب هذه الحقائق في غير حي كما يستحيل أن تقوم الصفات بغير ذات موصوفة بها فما في الوجود طاعة ولا عصيان ولا ربح ولا خسران ولا عبد ولا حر ولا برد ولا حر ولا حياة ولا موت ولا حصول ولا فوت ولا نهار ولا ليل ولا اعتدال ولا ميل ولا بر ولا بحر ولا شفع ولا وتر ولا جوهر ولا عرض ولا صحة ولا مرض ولا فرح ولا ترح ولا روح ولا شبح ولا ظلام ولا ضياء ولا أرض ولا سماء ولا تركيب ولا تحليل ولا كثير ولا قليل ولا غداة ولا أصيل ولا بياض ولا سواد ولا رقاد ولا سهاد ولا ظاهر ولا باطن ولا متحرك ولا ساكن ولا يابس ولا رطب ولا قشر ولا لب ولا شئ من هذه النسب المتضادات منها والمختلفات والمتماثلات الا وهو مراد للحق تعالى وكيف لا يكون مراداله وهو أوجده فكيف يوجد المختار مالا يريد لا راد لأمره ولا معقب لحكمه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويضل من يشاء ويهدي من يشاء ماشاء كان ومالم يشأ أن يكون لم يكن لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيأ لم يرد الله تعالى أن يريدوه ما أرادوه أو يفعلوا شيأ لم يرد الله تعالى ايجاده وأرادوه عند ما أراد منهم أن يريدوه ما فعلوه ولا استطاعوا على ذلك ولا أقدرهم عليه فالكفر والايمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وارادته ولم يزل سبحانه موصوفا بهذه الارادة أزلا والعالم معدوم غير موجود وان كان ثابتا في العلم في عينه ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل أو عدم علم فيعطيه التفكر والتدبر علم ما جهل جل وعلا عن ذلك بل أوجده عن العلم السابق وتعيين الارادة المنزهة الازلية القاضية على العالم بما أوجدته عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه اذ هو القائل سبحانه وما تشاؤن الا أن يشاء الله وانه سبحانه كما علم فاحكم وأراد فخصص وقدر فأوجد كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن أو نطق في الورى من العالم الاسفل والاعلى لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ولا يحجب بصره القرب فهو البعيد يسمع كلام النفس في النفس وصوت المماسة الخفية عند اللمس ويرى السواد في الظلماء والماء في الماء لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور وهو السميع البصير تكلم سبحانه لا عن صمت متقدم ولا سكوت متوهم بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وارادته وقدرته كلم به موسى عليه السلام سماه التنزيل والزبور والتوراة والانجيل من غير حروف ولا أصوات ولا نغم ولا لغات بل هو خالق الاصوات والحروف واللغات فكلامه سبحانه من غير لهاة ولا لسان كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان كما أن بصره من غير حدقة ولا أجفان كما أن ارادته في غير قلب ولا جنان كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان كما أن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الاركان كما أن ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان فسبحانه سبحانه من بعيد دان عظيم السلطان عميم الاحسان جسيم الامتنان كل ما سواه فهو عن جوده فائض وفضله وعدله الباسط له والقابض أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه لا شريك له في ملكه ولا مدبر معه في ملكه ان أنعم فنعم فذلك فضله وان أبلى فعذب فذلك عدله لم يتصرف في ملك غيره فينسب الى الجور والحيف ولا يتوجه عليه لسواه حكم فيتصف بالجزع لذلك والخوف كل ما سواه تحت سلطان قهره ومتصرف عن ارادته وأمره فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور وهو المتجاوز عن سيئات من شاء والآخذ بها من شاء هنا وفي يوم النشور لا يحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله اخرج العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين فقال هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي ولم يعترض عليه معترض هناك اذ لا موجود كان ثم سواه فالكل تحت تصريف أسمائه فقبضة تحت أسماء بلائه وقبضة تحت أسماء آلائه ولو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيد السكان أو شقيا لما كان من ذلك في شان لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد فمنهم الشقي والسعيد هنا وفي يوم المعاد فلا سبيل الى تبديل ما حكم عليه القديم وقد قال تعالى في الصلاة هي خمس وهي خمسون ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد لتصرفي في ملكي وانفاذ مشيئتي في ملكي وذلك لحقيقة عميت عنها الابصار والبصائر ولم تعثر عليها الافكار ولا الضمائر الا بوهب الاهي وجود رحماني

لمن اعتنى الله به من عباده وسبق له ذلك بحضرة اشهاده فعلم حين أعلم ان الالوهة أعطت هذا التقسيم وانه من رقائق القديم فسبحان من لا فاعل سواه ولا موجود لنفسه الا اياه والله خلقكم وما تعملون ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلله الحجة البالغة فلو شاء لهدا كم أجمعين الشهادة الثانية وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه واياكم على نفسي بتوحيده فكذلك أشهده سبحانه وملائكته وجميع خلقه واياكم على نفسي بالايمان بمن اصطفاه واختاره واجتباه من وجوده ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الى جميع الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فبلغ صلى الله عليه وسلم ما أنزل من ربه اليه وأدى أمانته ونصح أمته ووقف في حجة وداعه على كل من حضر من أتباعه فخطب وذكر وخوف وحذر وبشر وأنذر ووعد وأوعد وأمطر وأرعد وما خص بذلك التذكير أحدا من أحد عن اذن الواحد الصمد ثم قال ألا هل بلغت فقالوا بلغت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد واني مؤمن بكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم مما علمت وما لم أعلم فما جاء به فقرر أن الموت عن أجل مسمى عند الله اذا جاء لا يؤخر فانا مؤمن بهذا ايمانا لا ريب فيه ولا شك كما آمنت وأقررت ان سؤال فتاني القبر حق وعذاب القبر حق وبعث الاجساد من القبور حق والعرض على الله تعالى حق والحوض حق والميزان حق وتطاير الصحف حق والصراط حق والجنة حق والنار حق وفريقا في الجنة وفريقا في النار حق وكرب ذلك اليوم حق على طائفة وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الاكبر وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين واخراج أرحم الراحمين بعد الشفاعة من النار من شاء حق وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة والامتنان حق والتأبيد للمؤمنين والموحدين في النعيم المقيم في الجنان حق والتأبيد لاهل النار في النار حق وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله علم أو جهل حق فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كل من وصلت اليه أن يؤديها اذا سئلها حيثما كان نفعنا الله واياكم بهذا الايمان وثبتنا عليه عند الانتقال من هذه الدار الى الدار الحيوان وأحلنا منها دار الكرامة والرضوان وحال بيننا وبين دار سرابيلها من القطران وجعلنا من العصابة التي أخذت الكتب بالايمان وممن انقلب من الحوض وهو ريان وثقل له الميزان وثبتت له على الصراط القدمان انه المنعم المحسان فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق

﴿فهذه عقيدة العوام من أهل الاسلام أهل التقليد وأهل النظر ملخصة مختصرة﴾

ثم أتلوها ان شاء الله بعقيدة الناشئة الشادية ضمنتها اختصار الاقتصاد بأوجز عبارة نبهت فيها على مآخذ الادلة لهذه الملة مسجعة الالفاظ وسميتها برسالة المعلوم من عقائد أهل الرسوم ليسهل على الطالب حفظها ثم أتلوها بعقيدة خواص أهل الله من أهل طريق الله من المحققين أهل الكشف والوجود وجودتها أيضا في جزء آخر سميته المعرفة وبه اثبت مقدمة الكتاب وأما التصريح بعقيدة الخلاصة فما أفردتها على التعيين لما فيها من الغموض لكن جئت بها مبددة في أبواب هذا الكتاب مستوفاة مبينة لكنها كما ذكرنا متفرقة فمن رزقه الله الفهم فيها يعرف أمرها ويميزها من غيرها فانه العلم الحق والقول الصدق وليس وراءها مرمى ويستوي فيها البصير والاعمى تلحق الاباعد بالادانى وتلحم الاسافل بالاعالى والله الموفق لا رب غيره

﴿وصل الناشي والشادي في العقائد﴾

قال الشادي اجتمع أربعة نفر من العلماء في قبة أرين تحت خط الاستواء الواحد مغربي والثاني مشرقي والثالث شامي والرابع يمني فتجاروا في العلوم والفرق بين الاسماء والرسوم فقال كل واحد منهم لصاحبه لا خير في علم لا يعطي صاحبه سعادة الابد ولا يقدس حامله عن تأثير الامد فلنبحث في هذه العلوم التي بين أيدينا عن العلم الذي هو أعز ما يطلب وأفضل ما يكتسب وأسنى ما يدخر وأعظم ما به يفتخر فقال المغربي عندي من هذا العلم العلم بالحامل القائم وقال المشرقي عندي منه العلم بالحامل المحمول اللازم وقال الشامي عندي من هذا العلم علم الابداع والتركيب وقال اليمني عندي من هذا العلم علم التلخيص والترتيب ثم قالوا ليظهر كل واحد منا ما وعاه وليكشف عن حقيقة ما ادعاه

﴿الفصل الاول فى معرفة الحامل القائم باللسان الغربى﴾ قام الامام الغربى وقال لى التقدّم من أجل مرتبة علمى فالحكم فى الاوليات حكمى فقال له الحاضرون تكلم وأوجز وكن البليغ المعجز ١ فقال اعلموا انه مالم يكن ثم كان واستوت فى حقه الازمان ان المكوّن يلزمه فى الآن ٢ ثم قال كل مالا يستغنى عن أمر مّا فحكمه حكم ذلك الامر ولكن اذا كان من عالم الخلق والامر فليصرف الطالب النظر اليه وليعوّل الباحث عليه ٣ ثم قال من كان الوجود يلزمه فانه يستحيل عدمه والكائن ولم يكن يستحيل قدمه ولولم يستحل عليه العدم لصحبه المقابل فى القدم فان كان المقابل لم يكن فالعجز فى المقابل مستكن وان كان كان يستحيل على هذا الآخر كان ومحال ان يزول بذاته لصحة الشرط واحكام الربط ٤ ثم قال وكل ما ظهر عينه ولم يوجب حكما فكونه ظاهرا محال فانه لا يفيد علما ٥ ثم قال ومن المحال عليه تعمير المواطن لان رحلته فى الزمن الثانى من زمان وجوده لنفسه وليس بقاطن ولوجاز أن ينتقل لقام بنفسه واستغنى عن المحل ولا يعدمه ضدّ لاتصافه بالفقد ولا الفاعل فان قولك فعل لاشئ لا يقول به عاقل ٦ ثم قال من توقف وجوده على فناء شئ فلا وجود له حتى يفنى فان وجد فقد فنى ذلك الشئ المتوقف عليه وحصل المعنى من تقدّمه شئ فقد انحصر دونه وتقيد ولزمه هذا الوصف ولو تأبد فقد ثبت العين بلا مين ٧ ثم قال ولو كان حكم المستند اليه حكم المستند لما تناهى العدد ولا صح وجود من وجد ٨ ثم قال ولو كان ما أثبتناه يخلى ويحلى لكان يبلى ولا يبلى ٩ ثم قال ولو كان يقبل التركيب لتحلل أو التأليف اضمحل واذا وقع التماثل سقط التفاضل ١٠ ثم قال ولو كان يستدعى وجوده سواه ليقوم به لم يكن ذلك السوى مستند اليه وقد صح اليه استناده فباطل ان يتوقف عليه وجوده وقد قيده ايجاده ثم انه وصف الوصف محال فلا سبيل الى هذا العقد بحال ١١ ثم قال الكرة وان كانت فانيه فليست ذات ناحيه اذا كانت الجهات الىّ فحكمها علىّ وأنا منها خارج عنها وقد كان ولا أنا ففيم التشغيب والعنا ١٢ ثم قال كل من استوطن موطنا جازت عنه رحلته وثبت نقلته من حاذى بذاته شيأ فان التثليث يحده ويقدره وهذا يناقض ما كان العقل من قبل يقرّره ١٣ ثم قال لو كان لا يوجد شئ الاعن مستقلين اتفاقا واختلافا لما رأينا فى الوجود افتراقا وائتلافا والمقدّر حكمه حكم الواقع فاذن التقدير هنا المنازع ليس بنافع ١٤ ثم قال اذا وجد الشئ فى عينه جاز أن يراه ذو العين بعينه المقيدة بوجهه الظاهر وجفنه وما ثم علة توجب الرؤية فى مذهب أكثر الاشعريه الا الوجود بالبنية وغير البنيه ولابدّ من البنيه ولو كانت الرؤية تؤثر فى المرئى لاحلناها فقد بانت المطالب بأدلتها كما ذكرناها ثم صلى وسلم بعد ما حمد وقعد فشكره الحاضرون على ايجازه فى العبارة واستيفائه المعانى فى دقيق الاشارة

﴿الفصل الثانى فى معرفة الحامل المحمول اللازم باللسان المشرقى﴾ ١٥ ثم قام المشرقى وقال تكوين الشئ من الشئ ميل وتكوينه لا من شئ اقتدار الازل ومن لم يمتنع عنك فقدرتك نافذة فيه ولم تزل ١٦ ثم قال ايجاد أحكام فى محكم يثبت بحكمه وجود علم المحكم ١٧ ثم قال والحياة فى العالم شرط لازم ووصف قائم ١٨ ثم قال الشئ اذا قبل التقدم والمناص فلا بدّ من مخصص لوقوع الاختصاص وهو عين الاراده فى حكم العقل والعاده ١٩ ثم قال ولو أراد المريد بما لم يكن لكان مالم يكن مرادا بما لم يكن ٢٠ ثم قال من المحال أن توجب المعانى أحكامها فى غير من قامت به فانتبه ٢١ ثم قال من تحدث فى نفسه بما مضى فذلك الحديث ليس بارادة به حكم الدليل على الكلام وقضى ٢٢ ثم قال القديم لا يقبل الطارى فلا تمار ولو أحدث فى نفسه ما ليس منها لكان بعدم تلك الصفة ناقصا عنها ومن ثبت كماله بالعقل

---

(١) باب الحادث له سبب (٢) باب حكم مالا يخلو عن الحوادث (٣) باب اثبات البقاء واستحالة عدم القديم
(٤) باب الكمون والظهور (٥) باب ابطال انتقال العرض وعدمه لنفسه (٦) باب ابطال حوادث لا أول لها
(٧) باب القدم (٨) باب ليس بجوهر (٩) باب ليس بجسم (١٠) باب ليس بعرض (١١) باب نفى الجهات
(١٢) باب الاستوا (١٣) باب الأحدية (١٤) باب فى الرؤية (١٥) باب القدرة (١٦) باب العلم (١٧) باب الحياة
(١٨) باب الارادة (١٩) باب الارادة الحادثة (٢٠) باب ارادة لا فى محل (٢١) باب الكلام (٢٢) باب قدم العالم

والنص فلا ينسب اليه النقص ١ ثم قال اولم يبصرك ولم يسمعك لجهل كثيرا منك ونسبة الجهل اليه محال فلا سبيل الى نفى هاتين الصفتين عنه بحال ومن ارتكب القول بنفيهما ارتكب محذورا لما يؤدى الى كونه مؤوفا ٢ ثم قال من ضرورة الحكم أن يوجبه معنى كما من ضرورة المعنى الذى لا يقوم بنفسه استدعاء مغنى فيا أيها المجادل كم ذا تعنى ماداك الا تخوفك من العدد وهذا لا يبطل حقيقة الواحد والاحد ولو علمت ان العدد هو الاحد ماشرعت فى منازعة أحد فهذا قد أبنت عن الحامل المحمول العارض واللازم فى تقاسيم هذه المعالم ثم قعد

﴿الفصل الثالث فى معرفة الابداع والتركيب باللسان الشامى﴾ ٣ ثم قام الشامى وقال اذا تماثلت المحدثات وكان تعلق القدرة بها لمجرد الذات فبأى دليل يخرج منها بعض الممكنات ٤ ثم قال لما كانت الارادة تتعلق بمرادها حقيقه ولم تكن القدرة الحادثة مثلها لاختلال فى الطريقه فذلك هو الكسب فكسب العبد وقدر الرب وتبيين ذلك بالحركة الاختيارية والرعدة الاضطرارية ٥ ثم قال القدرة من شرطها الايجاد اذا ساعدها العلم والارادة فاياك والعاده كل ما أدى الى نقص الالوهة فهو مردود ومن جعل فى الوجود الحادث ماليس بمراد الله فهو من المعرفة مطرود وباب التوحيد فى وجهه مسدود وقد يراد الامر ولا يراد المأمور به وهو الصحيح وهذا غاية التصريح ٦ ثم قال من أوجب على الله أمرا فقد أوجب عليه حد الواجب وذلك على الله محال فى صحيح المذاهب ومن قال بالوجوب لسبق العلم فقد خرج عن الحكم المعروف عند العلماء فى الواجب وهو صحيح الحكم ٧ ثم قال تكليف مالا يطاق جائز عقلا وقد عاينا ذلك مشاهدة ونقلا ٨ ثم قال من لم يخرج شئ على الحقيقة عن ملكه فلا يتصف بالجور والظلم فيما يجريه من حكمه فى ملكه ٩ ثم قال من هو مختار فلا يجب عليه رعاية الاصلح وقد ثبت ذلك وصح التقبيح والتحسين بالشرع والغرض ومن قال ان الحسن والقبح لذات الحسن والقبيح فهو صاحب جهل عرض ١٠ ثم قال اذا كان وجوب معرفة الله وغير ذلك من شرطه ارتباط الضرر بتركه فى المستقبل فلا يصح الوجوب بالعقل لانه لا يعقل ١١ ثم قال اذا كان العقل يستقل بنفسه فى أمر وفى أمر لا يستقل فلا بد من موصل اليه مستقل فلم تستحل بعثة الرسل وانهم أعلم الخلق بالغايات والسبل ١٢ ثم قال لو جاز أن يجيء الكاذب بما جاء به الصادق لانقلبت الحقائق ولتبدلت القدرة بالعجز ولاستند الكذب الى حضرة العز وهذا كله محال وغاية الضلال بما ثبت الواحد الاول يثبت الثانى فى جميع الوجوه والمعانى

﴿الفصل الرابع فى معرفة التخليص والترتيب باللسان اليمنى﴾ ١٣ ثم قام اليمنى وقال من أفنى شيأ بعد ما أنشأه جاز أن يعيده كما بدأه ١٤ ثم قال اذا قامت اللطيفة الروحانية بجزء ما من الانسان فقد صح عليه اسم الحيوان النائم يرى مالا يراه اليقظان وهو الى جانبه لاختلاف مذاهبه من قامت به الحياة جازت عليه اللذة والالم فمالك لا تلتزم ١٥ ثم قال البدل من الشئ يقوم مقامه ويوجب له أحكامه ١٦ ثم قال من قدر على امساك الطير فى الهواء وهى أجسام قدر على امساك جميع الاجرام ١٧ ثم قال قد كملت النشاة واجتمعت أطراف الدائرة قبل حلول الدائرة ١٨ ثم قال اقامة الدين هو المطلوب ولا يصح الا بالامان فاتخاذ الامام واجب فى كل زمان ١٩ ثم قال اذا تكاملت الشرائط صح العقد ولزم العالم الوفاء بالعهد وهى الذكورية والبلوغ والعقل والعلم والحرية والورع والنجدة والكفاية ونسب قريش وسلامة حاسة السمع والبصر وبهذا قال بعض أهل العلم والنظر ٢٠ ثم قال اذا تعارض

(١) باب السمع والبصر (٢) باب اثبات الصفات (٣) باب العالم خلق الله (٤) باب الكسب (٥) باب الكسب مراد الله (٦) باب لا يجب خلق العالم (٧) باب تكليف مالا يطاق (٨) باب ايلام البرئ ليس بظلم فى حق الله (٩) باب الحسن والقبيح (١٠) باب وجوب معرفة الله (١١) باب بعث الرسل (١٢) باب اثبات رسالة رسول بعينه (١٣) باب الاعادة (١٤) باب سؤال القبر وعذابه (١٥) باب الميزان (١٦) باب الصراط (١٧) باب خلق الجنة والنار (١٨) باب وجوب الامامة (١٩) باب شروط الامامة (٢٠) باب اذا تعارض امامان

امامان فالعقد للا كثر اتباعه واذا تعذر خلع امام ناقص لتحقق وقوع فساد شامل فابقاء العقد له واجب ولا يجوز ارداعه قال الشادى فوفى كل واحد من الاربعة ما اشترط وانتظم الوجود وارتبط

﴿وصل فى اعتقاد أهل الاختصاص من أهل الله بين نظر وكشف﴾

الحمد لله محير العقول فى نتائج الهمم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم ﴿مسئلة﴾ أما بعد فان للعقول حدا تقف عنده من حيث ماهى مفكرة لا من حيث ماهى قابلة فنقول فى الامر الذى يستحيل عقلا قد لا يستحيل نسبة الهية كما نقول فيما يجوز عقلا قد يستحيل نسبة الهية ﴿مسئلة﴾ أية مناسبة بين الحق الواجب الوجود بذاته و بين الممكن وان كان واجبا به عند من يقول بذلك لا لاقتضاء الذات أو لاقتضاء العلم وما أخذته الفكرية انما تقوم صحيحة من البراهين الوجودية ولا بد بين الدليل والمدلول والبرهان والمبرهن عليه من وجه به يكون التعلق له نسبة الى الدليل ونسبة الى المدلول عليه بذلك الدليل ولولا ذلك الوجه ما وصل دال الى مدلول دليله أبدا فلا يصح أن يجتمع الخلق والحق فى وجه أبدا من حيث الذات لكن من حيث ان هذه الذات منعوتة الالوهية فهذا حكم آخر تستقل العقول بادراكه وكل ما يستقل العقل بادراكه عندنا يمكن أن يتقدم العلم به على شهوده وذات الحق تعالى بائنة عن هذا الحكم فان شهودها يتقدم على العلم بها بل تشهد ولا تعلم كما أن الالوهة تعلم ولا تشهد والذات تقابلها وكم من عاقل ممن يدعى العقل الرصين من العلماء النظار يقول انه حصل على معرفة الذات من حيث النظر الفكرى وهو غالط فى ذلك وذلك لانه متردد بفكره بين السلب والاثبات فالاثبات راجع اليه فانه ما أثبت للحق الناظر الا ماهو الناظر عليه من كونه عالما قادرا مريدا الى جميع الاسماء والسلب راجع الى العدم والنفى والنفى لا يكون صفة ذاتية لان الصفات الذاتية للموجودات انما هى ثبوتية فما حصل لهذا المفكر المتردد بين الاثبات والسلب من العلم بالله شئ ﴿مسئلة﴾ أنى للمقيد بمعرفة المطلق وذاته لا تقتضيه وكيف يمكن أن يصل الممكن الى معرفة الواجب بالذات وما من وجه للممكن الا ويجوز عليه العدم والدثور والافتقار فلو جمع بين الواجب بذاته و بين الممكن وجه لجاز على الواجب ما جاز على الممكن من ذلك الوجه من الدثور والافتقار وهذا فى حق الواجب محال فاثبات وجه جامع بين الواجب والممكن محال فان وجوه الممكن تابعة له وهو فى نفسه يجوز عليه العدم فتوابعه أحرى وأحق بهذا الحكم وثبت للممكن ما ثبت للواجب بالذات من ذلك الوجه الجامع وما ثم شئ ثبت للممكن من حيث ماهو ثابت للواجب بالذات فوجود وجه جامع بين الممكن والواجب بالذات محال ﴿مسئلة﴾ لكنى أقول ان للالوهة أحكاما وان كانت حكما وفى صور هذه الاحكام يقع التجلى فى الدار الآخرة حيث كان فانه قد اختلف فى رؤية النبى عليه السلام ربه كما ذكر وقد جاء حديث النور الاعظم فى رفرف الدر والياقوت وغير ذلك ﴿مسئلة﴾ أقول بالحكم الارادى لكنى لا أقول بالاختيار فان الخطاب بالاختيار الوارد انما ورد من حيث النظر الى الممكن معرى عن علته وسببيته ﴿مسئلة﴾ فأقول بما أعطاه الكشف الاعتصامى ان الله كان ولا شئ معه الى هنا انتهى لفظه عليه السلام وما أتى بعد هذا فهو مدرج فيه وهو قولهم وهو الآن على ما عليه كان يريدون فى الحكم فالآن وكان أمران عائدان علينا اذ بنا ظهرا وأمثالهما وقد انتفت المناسبة والمقول عليه كان الله ولا شئ معه انما هو الالوهة لا الذات وكل حكم يثبت فى باب العلم الالهى للذات انما هو للالوهية وهى أحكام نسب واضافات وسلوب فالكثرة فى النسب لا فى العين وهنا زلت أقدام من شرك بين من يقبل التشبيه و بين من لا يقبله عند كلامهم فى الصفات واعتمدوا فى ذلك على الامور الجامعة التى هى الدليل والحقيقة والعلة والشرط وحكموا بها غائبا وشاهدا فاما شاهدا فقد يسلم وأما غائبا فغير مسلم ﴿مسئلة﴾ بحر العماء برزخ بين الحق والخلق فى هذا البحر اتصف الممكن بعالم وقادر وجميع الاسماء الالهية التى بأيدينا واتصف الحق بالتعجب والتبشبش والضحك والفرح والمعية وأكثر النعوت الكونية فرد ماله وخذ مالك فله النزول ولنا المعراج ﴿مسئلة﴾ من أردت الوصول اليه لم تصل اليه الا به وبك بك من حيث طلبك و به لانه موضع قصدك فالالوهة تطلب ذلك والذات لا تطلبه ﴿مسئلة﴾ المتوجه على ايجاد كل ما سوى الله تعالى هو الالوهة بأحكامها ونسبها واضافاتها وهى التى استدعت الآثار فان قاهرا بلا مقهور وقادرا بلا مقدور صلاحية ووجودا وقوة وفعلا محال

﴿مسئلة﴾ النعت الخاص الاخص التى انفردت به الالوهة كونها قادرة اذلاقدرة لممكن أصلا وانما له التمكن من قبول تعلق الاثر الالهى به ﴿مسئلة﴾ الكسب تعلق ارادة الممكن بفعل ما دون غيره فيوجده الاقتدار الالهى عند هذا التعلق فسمى ذلك كسبا للممكن ﴿مسئلة﴾ الجبر لايصح عند المحقق لكونه ينافى صحة الفعل للعبد فان الجبر حمل الممكن على الفعل مع وجود الاباية من الممكن فالجماد ليس بمجبور لانه لايتصور منه فعل ولا له عقل عادى فالممكن ليس بمجبور لانه لايتصور منه فعل ولا له عقل محقق مع ظهور الآثار منه ﴿مسئلة﴾ الالوهة تقضى أن يكون فى العالم بلاء وعافية فليس ازالة المنتقم من الوجود بأولى من ازالة الغافر وذى العفو والنعم ولو بقى من الاسماء مالا حكم له لكان معطلا والتعطيل فى الالوهة محال فعدم أثر الاسماء محال ﴿مسئلة﴾ المدرك والمدرك كل واحد منهما على ضربين مدرك يعلم وله قوة التخيل ومدرك يعلم وماله قوة التخيل والمدرك بفتح الراء على ضربين مدرك له صورة يعلمه بصورته من ليس له قوة التخيل ولا يتصوره ويعلمه ويتصوره من له قوة التخيل ومدرك ماله صورة يعلم فقط ﴿مسئلة﴾ العلم ليس تصور المعلوم ولا هو المعنى الذى يتصور المعلوم فانه ما كل معلوم يتصور ولا كل عالم يتصور فان التصور للعالم انما هو من كونه متخيلا والصورة للمعلوم أن تكون على حالة يمسكها الخيال وثم معلومات لايمسكها الخيال أصلا فثبت انها لا صورة لها ﴿مسئلة﴾ لو صح الفعل من الممكن لصح أن يكون قادرا ولا فعل له فلا قدرة له فاثبات القدرة للممكن دعوى بلا برهان وكلامنا فى هذا الفصل مع الاشاعرة المثبتين لها مع نفى الفعل عنها ﴿مسئلة﴾ لايصدر عن الواحد من كل وجه الا واحد وهل ثم من هو على هذا الوصف أم لا فى ذلك نظر للمنصف ألا ترى الاشاعرة ما جعلوا الايجاد للحق الا من كونه قادرا والاختصاص من كونه مريدا والاحكام من كونه عالما وكون الشئ مريدا ما هو عين كونه قادرا فليس قولهم بهذا انه واحد من كل وجه صحيحا فى التعلق العام وكيف وهم مثبتوا الصفات زائدة على الذات قائمة به تعالى وهكذا القائلون بالنسب والاضافات وكل فرقة من الفرق ماتخلصت لهم الوحدة من جميع الوجوه الا انهم بين ملزم من مذهبه القول بعدمها وبين قائل بها فاثبات الوحدانية انما ذلك فى الالوهية أى لا اله الا هو وذلك صحيح مدلول عليه ﴿مسئلة﴾ كون البارى عالما حيا قادرا الى سائر الصفات نسب واضافات له لا اعيان زائدة لما يؤدى الى نعتها بالنقص اذ الكامل بالزائد ناقص بالذات عن كماله بالزائد وهو كامل لذاته فالزائد بالذات على الذات محال وبالنسب والاضافة ليس بمحال وأما قول القائل لاهى هو ولا هى اغياره فكلام فى غاية البعد فانه قد دل صاحب هذا المذهب على اثبات الزائد وهو الغير بلا شك الا انه أنكر هذا الاطلاق لا غير ثم تحكم فى الحد بأن قال الغيران هما اللذان يجوز مفارقة أحدهما الآخر مكانا وزمانا ووجودا وعدما وليس هذا بحد للغيرين عند جميع العلماء به ﴿مسئلة﴾ لايؤثر تعدد التعلقات من المتعلق فى كونه واحدا فى نفسه كما لايؤثر تقسيم المتكلم به فى أحدية الكلام ﴿مسئلة﴾ الصفات الذاتية للموصوف بها وان تعددت فلا تدل على تعدد الموصوف فى نفسه لكونها مجموع ذاته وان كانت معقولة فى التمييز بعضها من بعض ﴿مسئلة﴾ كل صورة فى العالم عرض فى الجوهر وهى التى يقع عليها الخلع والسلخ والجوهر واحد . والقسمة فى الصورة لا فى الجوهر ﴿مسئلة﴾ قول القائل انما وجد عن المعلول الاول الكثرة وان كان واحدا لاعتبارات ثلاثة وجدت فيه وهى علته ونفسه وامكانه فنقول لهم ذلكم يلزمكم فى العلة الاولى أعنى وجود اعتبارات فيه وهو واحد فلم منعتم أن لايصدر عنه الا واحد فاما ان تلتزموا صدور الكثرة عن العلة الاولى أو صدور واحد عن المعلول الاول وأنتم غير قائلين بالامرين ﴿مسئلة﴾ من وجب له الكمال الذاتى والغنى الذاتى لا يكون علة لشئ لانه يؤدى كونه علة توقفه على المعلول والذات منزهة عن التوقف على شئ فكونها علة محال لكن الالوهة قد تقبل الاضافات فان قيل انما يطلق الاله على من هو كامل الذات غنى الذات لا يريد الاضافة ولا النسب قلنا لا مشاحة فى اللفظ بخلاف العلة فانها فى أصل وضعها ومن معناها استدعى معلولا فان أريد بالعلة ما أراده بالاله فسلم ولا يبقى نزاع فى هذا اللفظ الا من جهة الشرع هل يمنع أو يبيح أو يسكت ﴿مسئلة﴾ الالوهة مرتبة للذات لايستحقها الا الله فطلبت مستحقها ما هو طلبها والمألوه يطلبها وهى تطلبه والذات غنية عن كل شئ فلو ظهر هذا السر

الرابط لما ذكرنا لبطلت الالوهة ولم يبطل كمال الذات وظهر هنا بمعنى زال كما يقال ظهروا عن البلد أي ارتفعوا عنه وهو قول الامام للالوهية سرّ لو ظهر لبطلت الالوهية ﴿مسئلة﴾ العلم لا يتغير بتغير المعلوم لكن التعلق يتغير والتعلق نسبة الى معلوم مّا مثاله تعلق العلم بان زيدا سيكون فكان فتعلق العلم بكونه كائنا في الحال وزال تعلق العلم باستئناف كونه ولا يلزم من تغير التعلق تغير العلم وكذلك لا يلزم من تغير المسموع والمرئي تغير الرؤية والسمع ﴿مسئلة﴾ ثبت ان العلم لا يتغير فالمعلوم أيضا لا يتغير فان معلوم العلم انما هو نسبة لامرين معلومين محققين فالجسم معلوم لا يتغير أبدا والقيام معلوم لا يتغير ونسبة القيام للجسم هي المعلومة التي الحق بها التغير والنسبة أيضا لا تتغير وهذه النسبة الشخصية أيضا لا تكون لغير هذا الشخص فلا تتغير وما ثم معلوم أصلا سوى هذه الاربعة وهي الثلاثة الامور المحققة النسبة والمنسوب والمنسوب اليه والنسبة الشخصية فان قيل انما ألحقنا التغير بالمنسوب اليه لكونه رأيناه على حالة ما ثم رأيناه على حالة أخرى قلنا لما نظرت المنسوب اليه أمرا ما لم تنظر اليه من حيث حقيقته فحقيقته غير متغيرة ولا من حيث ماهو منسوب اليه فتلك حقيقة لا تتغير أيضا وانما نظرت اليه من حيث ماهو منسوب اليه حال مّا فاذن ليس المعلوم الآخر هو المنسوب اليه تلك الحالة التي قلت انها زالت فانها لا تفارق منسوبها وانما هذا منسوب آخر اليه نسبة أخرى فاذن فلا بتغير علم ولا معلوم وانما العلم له تعلقات بالمعلومات أو تعلق بالمعلومات كيف شئت ﴿مسئلة﴾ ليس شيء من العلم التصوّري مكتسبا بالنظر الفكري فالعلوم المكتسبة ليس الانسبة معلوم تصوّري الى معلوم تصوّري والنسبة المطلقة أيضا من العلم التصوّري فاذا نسبت الاكتساب الى العلم التصوّري فليس ذلك الا من كونك تسمع لفظا قد اصطلحت عليه طائفة ما لمعنى مّا يعرفه كل أحد لكن لا يعرف كل أحد أن ذلك اللفظ يدل عليه فلذلك يسأل عن المعنى الذي أطلق عليه هذا اللفظ أي معنى هو فيعينه له المسؤل بما يعرفه فلو لم يكن عند السائل العلم بذلك المعنى من حيث معنويته والدلالة التي توصل بها الى معرفة مراد ذلك الشخص بذلك الاصطلاح لذلك المعنى ما قبله وما عرف ما يقول فلا بدّ أن تكون المعاني كلها مركوزة في النفس ثم تنكشف له مع الاناة حالا بعد حال ﴿مسئلة﴾ ٧ وصف العلم بالاحاطة للمعلومات يقضي بتناهيها والتناهي فيها محال فالاحاطة محال لكن يقال العلم محيط بحقيقة كل معلوم والا فليس معلوما بطريق الاحاطة فانه من علم أمرا ما من وجه ما الا من جميع الوجوه فما أحاط به ﴿مسئلة﴾ رؤية البصيرة علم ورؤية البصر طريق حصول علم فيكون الاله سميعا بصيرا تعلق تفصيليّ فهما حكمان للعلم ووقعت التثنية من أجل المتعلق الذي هو المسموع والمبصر ﴿مسئلة﴾ الازل نعت سلبيّ وهو نفي الاولية فاذا قلنا أول في حق الالوهة فليس الا المرتبة ﴿مسئلة﴾ دلت الاشاعرة على حدوث كل ما سوى الله بحدوث المتحيزات وحدوث اعراضها وهذا لا يصح حتى يقيموا الدليل على حصر كل ما سوى الله تعالى فيما ذكروه ونحن نسلم حدوث ما ذكروا حدوثه ﴿مسئلة﴾ كل موجود قائم بنفسه غير متحيز وهو ممكن لا تجري مع وجوده الازمنة ولا تطلبه الامكنة ﴿مسئلة﴾ دلالة الاشعريّ في الممكن الاول انه يجوز تقدمه على زمان وجوده وتأخره عنه والزمان عنده في هذه المسئلة قدر لا موجود فالاختصاص دليل على المخصص فهذه دلالة فاسدة لعدم الزمان فبطل أن يكون هذا دليلا فلو قال نسبة الممكنات الى الوجود أو نسبة الوجود الى الممكنات نسبة واحدة من حيث ماهي نسبة لا من حيث ماهو ممكن فاختصاص بعض الممكنات بالوجود دون غيره من الممكنات دليل على ان لها مخصصا فهذا هو عين حدوث كل ما سوى الله ﴿مسئلة﴾ قول القائل ان الزمان مدة متوهمة تقطعها حركة الفلك خلف من الكلام لانّ المتوهم ليس بوجود محقق وهم ينكرون على الاشاعرة تقدير الزمان في الممكن الاول فحركات الفلك تقطع في لا شيء فان قال الآخر ان الزمان حركة الفلك والفلك متحيز فلا انقطاع الحركة الا في متحيز ﴿مسئلة﴾ عجبت من طائفتين كبيرتين الاشاعرة والمجسمة في غلطهم في اللفظ المشترك كيف جعلوه للتشبيه ولا يكون التشبيه الا بلفظة مثل أو كاف الصفة بين الامرين في اللسان وهذا عزيز الوجود في كل ما جعلاه تشبيها من آية أو خبر ثم ان الاشاعرة تخيلت انها لما تأولت قد خرجت من التشبيه وهي ما فارقته الا انها انتقلت من التشبيه بالاجسام الى التشبيه بالمعاني المحدثة المفارقة لنعوت القديمة في الحقيقة والحد فما

٧ ايضاح هذه المسئلة في باب ١٧٧ من كتابنا هذا اهـ

انتقلوا من التشبيه بالمحدثات أصلا ولو قلنا بقولهم لم نعدل مثلا من الاستواء الذي هو الاستقرار الى الاستواء الذي هو الاستيلاء كما عدلوا ولا سيما والعرش مذكور في نسبة هذا الاستواء ويبطل معنى الاستيلاء مع ذكر السرير ويستحيل صرفه الى معنى آخر بنا في الاستقرار فكنت أقول ان التشبيه مثلا انما وقع بالاستواء والاستواء معنى لا بالمستوي الذي هو الجسم والاستواء حقيقة معقولة معنوية تنسب الى كل ذات بحسب ما تعطيه حقيقة تلك الذات ولا حاجة لنا الى التكلف في صرف الاستواء عن ظاهره فهذا غلط بين لا خفاء به وأما المجسمة فلم يكن ينبغي لهم أن يتجاوزوا باللفظ الوارد الى أحد محتملاته مع ايمانهم ووقوفهم مع قوله تعالى ليس كمثله شيء ﴿مسئلة﴾ كما انه تعالى لم يأمر بالفحشاء كذلك لا يريدها لكن قضاها وقدرها بيان كونه لا يريدها لان كونها فاحشة ليس عينها بل هو حكم الله فيها وحكم الله في الاشياء غير مخلوق وما لم يجر عليه الخلق لا يكون مرادا فان ألزمناه في الطاعة التزمناه وقلنا الارادة للطاعة ثبتت سمعا لا عقلا فأثبتوها في الفحشاء ونحن قبلناها ايمانا كما قبلنا وزن الاعمال وصورها مع كونها اعراضا فلا يقدح ذلك فيما ذهبنا اليه لما اقتضاه الدليل ﴿مسئلة﴾ العدم للممكن المتقدم بالحكم على وجوده ليس بمراد لكن العدم الذي يقارنه حكما حال وجوده ان لو لم يكن الوجود لكان ذلك العدم منسحبا عليه هو مراد حال وجود الممكن لجواز استصحاب العدم له وعدم الممكن الذي ليس بمراد هو الذي في مقابلة وجود الواجب لذاته لان مرتبة الوجود المطلق تقابل العدم المطلق الذي للممكن اذ ليس له جواز وجود في هذه المرتبة وهذا في وجود الالوهة لا غير ﴿مسئلة﴾ لا يستحيل في العقل وجود قديم ليس باله فان لم يكن فمن طريق السمع لا غير ﴿مسئلة﴾ كون المخصص مريد الوجود ممكن ما ليس تخصيصه لوجوده من حيث هو وجود لكن من حيث نسبته لممكن ما تجوز نسبته لممكن آخر فالوجود من حيث الممكن مطلقا لا من حيث ممكن ما ليس بمراد ولا بواقع أصلا الا بممكن ما واذا كان بممكن ما فليس هو بمراد من حيث هو لكن من حيث نسبته لممكن ما لا غير ﴿مسئلة﴾ دل الدليل على ثبوت السبب المخصص ودل الدليل مثلا على التوقيف فيما ينسب الى هذا المخصص من نفي أو اثبات كما قال لنا بعض النظار في كلام جرى بيني وبينه فكأنقف كما زعم لكن دل الدليل على ثبوت الرسول من جانب المرسل فأخذنا النسب الالهية من الرسول فحكمنا بانه كذا أو ليس كذا فكيف والدليل الواضح على وجوده وان وجوده عين ذاته وليس بعلة لذاته لثبوت الافتقار الى الغير وهو الكامل بكل وجه فهو موجود ووجوده عين ذاته لا غيرها ﴿مسئلة﴾ افتقار الممكن للواجب بالذات والاستغناء الذاتي للواجب دون الممكن يسمى الها وتعلقها بنفسها وبحقائق كل محقق وجودا كان أو عدما يسمى علما تعلقها بالممكنات من حيث ما هي الممكنات عليه يسمى اختيارا تعلقها بالممكن من حيث تقدم العلم قبل كون الممكن يسمى مشيئة تعلقها بتخصيص أحد الجائزين للممكن على التعين يسمى ارادة تعلقها بايجاد الكون يسمى قدرة تعلقها باسماع المكوّن لكونه يسمى أمرا وهو على نوعين بواسطة وبلا واسطة فبارتفاع الوسائط لا بد من نفوذ الامر وبالواسطة لا يلزم النفوذ وليس بأمر في عين الحقيقة اذ لا يقف لامر الله شيء تعلقها باسماع المكوّن لصرفه عن كونه أو كون ما يمكن أن يصدر منه يسمى نهيا وصورته في التقسيم صورة الامر تعلقها بتحصيل ما هي عليه هي أو غيرها من الكائنات أو ما في النفس يسمى أخبارا فان تعلقت بالكون على طريق أي شيء يسمى استفهاما فان تعلقت به على جهة النزول اليه بصيغة الامر يسمى دعاء ومن باب تعلق الامر الى هذا يسمى كلاما تعلقها بالكلام من غير اشتراط العلم به يسمى سمعا فان تعلقت وتبع التعلق الفهم بالمسموع يسمى فهما تعلقها بكيفية النور وما يحمله من المرئيات يسمى بصرا ورؤية تعلقها بادراك كل مدرك الذي لا يصح تعلق من هذه التعلقات كلها الا به يسمى حياة والعين في ذلك كله واحدة تعددت التعلقات لحقائق المتعلقات والاسماء للمسميات ﴿مسئلة﴾ للعقل نور يدرك به أمور مخصوصة وللايمان نور به يدرك كل شيء ما لم يقم مانع فبنور العقل تصل الى معرفة الالوهة وما يجب لها ويستحيل وما يجوز منها فلا يستحيل ولا يجب وبنور الايمان يدرك العقل معرفة الذات وما نسب الحق الى نفسه من النعوت ﴿مسئلة﴾ لا يمكن عندنا معرفة كيفية ما ينسب الى الذوات من الاحكام الا بعد معرفة الذوات المنسوبة والمنسوب اليها وحينئذ

تعرف كيفية النسبة المخصوصة لتلك الذات المخصوصة كالاستواء والمعية واليد والعين وغير ذلك ﴿مسئلة﴾
الاعيان لا تنقلب والحقائق لا تتبدل فالنار تحرق بحقيقتها الا بصورتها فقوله تعالى يا نار كوني برداً وسلاماً خطاب
للصورة وهي الجمرات واجرام الجمرات محرقة بالنار فلما قام النار بها سميت ناراً فتقبل البرد كما قبلت الحرارة ﴿مسئلة﴾
البقاء استمرار الوجود مثلا على الباقي لا غير ليس بصفة زائدة فيحتاج الى بقاء ويتسلسل الا على مذهب الاشاعرة في
المحدث فان البقاء عرض فلا يحتاج الى بقاء وانما ذلك في بقاء الحق تعالى ﴿مسئلة﴾ الكلام من حيث ما هو كلام
واحد والقسمة في المتكلم به لا في الكلام فالامر والنهي والخبر والاستخبار والطلب واحد في الكلام ﴿مسئلة﴾
الاختلاف في الاسم والمسمى والتسمية اختلاف في اللفظ فما قول من قال تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك فكانهى
بالسفر بالمصحف الى أرض العدو وأما القول في الحجة بأسماء سميتموها على ان الاسم هو المسمى فالمعبود الاشخاص
ونسبة الالوهة عبدوا فلا حجة في ان الاسم هو المسمى ولو كان لكان بحكم اللغة والوضع لا بحكم المعنى ﴿مسئلة﴾
وجود الممكنات لكمال مراتب الوجود الذاتي والعرفاني لا غير ﴿مسئلة﴾ كل ممكن منحصر في أحد قسمين في ستر
أو تجل فقد وجد الممكن على أقصى غاياته وأكملها فلا أكمل منه ولو كان الاكمل لا يتناهى لما تصوّر خلق الكمال وقد
وجد مطابقا للحضرة الكمالية فقد كمل ﴿مسئلة﴾ المعلومات منحصرة من حيث ما تدرك به في حس ظاهر
وباطن وهو الادراك النفسي بديهة وما تركب من ذلك عقلا ان كان معنى وخيالا ان كان صورة فالخيال لا يركب الا
في الصور خاصة فالعقل يعقل ما يركب الخيال وليس في قوة الخيال أن يصوّر بعض ما يركبه العقل والاقتدار الالهي سر
خارج عن هذا كله يقف عنده ﴿مسئلة﴾ الحسن والقبح ذاتي للحسن والقبيح لكن منه ما يدرك حسنه
وقبحه بالنظر الى كمال أو نقص أو غرض أو ملايمة طبع أو منافرته أو وضع ومنه ما لا يدرك قبحه ولا حسنه الا من جانب
الحق الذي هو الشرع فنقول هذا قبيح وهذا حسن وهذا من الشرع خبر لا حكم وهذا نقول بشرط الزمان والحال
والشخص وانما شرطناه هذا من أجل من يقول في القتل ابتداء أو قودا أو حدا أو في ايلاج الذكر في الفرج سفاحا
ونكاحا فمن حيث هو ايلاج واحد لسنا نقول كذلك فان الزمان مختلف ولوازم النكاح غير موجودة في السفاح
وزمان تحليل الشيء ليس زمان تحريمه ان لو كان عين المحرم واحدا فالحركة من زيد في زمان ما ليس هي الحركة منه في
الزمان الآخر ولا الحركة التي من عمرو هي الحركة التي من زيد فالقبيح لا يكون حسنا أبدا لان تلك الحركة الموصوفة
بالحسن أو القبح لا تعود أبدا فقد علم الحق ما كان حسنا وما كان قبيحا ونحن لا نعلم ثم انه لا يلزم من الشيء اذا كان
قبيحا أن يكون أثره قبيحا فقد يكون أثره حسنا والحسن أيضا كذلك فقد يكون أثره قبيحا كحسن الصدق وفي مواضع
يكون أثره قبيحا كقبح الكذب وفي مواضع يكون أثره حسنا فتحقق ما نبهتك عليه تجد الحق ﴿مسئلة﴾
لا يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول فعلى هذا لا يصح قول الحلولي لو كان الله في شيء كما كان في عيسى لأحيا الموتى
﴿مسئلة﴾ لا يلزم الراضي بالقضاء الرضى بالمقضي فالقضاء حكم الله وهو الذي أمرنا بالرضى به والمقضي المحكوم به فلا
يلزمنا الرضى به ﴿مسئلة﴾ ان أريد بالاختراع حدوث المعنى المخترع في نفس المخترع وهو حقيقة الاختراع فذلك
على الله محال وان أريد بالاختراع حدوث المخترع على غير مثال سبقه في الوجود الذي ظهر فيه فقد يوصف الحق على
هذا بالاختراع ﴿مسئلة﴾ ارتباط العالم بالله ارتباط ممكن بواجب ومصنوع بصانع فليس للعالم في الازل مرتبة
فانها مرتبة الواجب بالذات فهو الله ولا شيء معه سواء كان العالم موجودا أو معدوما ومن توهم بين الله والعالم بونا يقدر
تقدّم وجود الممكن فيه وتأخره فهو توهم باطل لا حقيقة له فلهذا نازعنا في الدلالة على حدوث العالم خلاف ما نزعت اليه
الاشاعرة وقد ذكرناه في هذا التعليق ﴿مسئلة﴾ لا يلزم من تعلق العلم بالمعلوم حصول المعلوم في نفس العالم ولا مثاله
وانما العلم يتعلق بالمعلومات على ما هي المعلومات عليه في حيثيتها وجودا وعدما فقول القائل ان بعض المعلومات له في
الوجود أربع مراتب ذهني وعيني ولفظي وخطي فان أراد بالذهن العلم فغير مسلم وان أراد بالذهن الخيال فمسلم لكن
في كل معلوم بتخييل خاصة وفي كل عالم بتخييل ولكن لا يصح هذا الا في الذهني خاصة لانه يطابق العين في الصورة

واللفظي والخطي أيضا كذلك فان اللفظ والخط موضوعان للدلالة والتفهيم فلا يتنزل من حيث الصورة على الصورة
فان زيدا اللفظي والخطي انما هو زاي وياء ودال رقما أو لفظا ماله يمين ولا شمال ولا جهات ولا عين ولا سمع فاهذا قلنا
لا يتنزل عليه من حيث الصورة لكن من حيث الدلالة ولذلك اذا وقعت فيها المشاركة التي تبطل الدلالة افتقرنا الى النعت
والبدل وعطف البيان ولا يدخل في الذهني مشاركة أصلا فافهم ﴿مسئلة﴾ كنا حصرنا في كتاب المعرفة الاول
ما للعقل من وجوه المعارف في العالم ولم ننبه من أين حصل لنا ذلك الحصر فاعلم ان للعقل ثلاثمائة وستين وجها يقابل كل
وجه من جناب الحق العزيز ثلاثمائة وستين وجها يمده كل وجه منها بعلم لا يعطيه الوجه الآخر فاذا ضربت وجوه العقل
في وجوه الاخذ فالخارج من ذلك هي العلوم التي للعقل المسطرة في اللوح المحفوظ الذي هو النفس وهذا الذي ذكرناه
كشفا الهيا لا يحيله دليل عقل فيتلقى تسليما من قائله أعني هذا كما تلقى من القائل الحكيم الثلاثة الاعتبارات التي للعقل
الاول من غير دليل لكن مصادرة فهذا أولى من ذلك فان الحكيم يدعي في ذلك النظر فيدخل عليه بما قد ذكرناه في
عيون المسائل في مسئلة الدرة البيضاء الذي هو العقل الاول وهذا الذي ذكرناه لا يلزم عليه دخل فانا ما ادعيناه نظرا
وانما ادعيناه تعريفا فغاية المنكر أن يقول للقائل تكذب ليس له غير ذلك كما يقول له المؤمن به صدقت فهذا فرقان
بيننا وبين القائلين بالاعتبارات الثلاثة وبالله التوفيق ﴿مسئلة﴾ ما من ممكن من عالم الخلق الا وله وجهان وجه الى
سببه ووجه الى الله تعالى فكل حجاب وظلمة تطرأ عليه فمن سببه وكل نور وكشف فمن جانب حقه وكل ممكن من عالم
الامر فلا يتصور في حقه حجاب لانه ليس له الا وجه واحد فهو النور المحض ألا لله الدين الخالص ﴿مسئلة﴾ دل
الدليل العقلي على ان الايجاد متعلق القدرة وقال الحق عن نفسه ان الوجود يقع عن الامر الالهي فقال انما قولنا لشيء
اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فلا بد أن ننظر في متعلق الامر ما هو وما هو متعلق القدرة حتى أجمع بين السمع
والعقل فنقول الامتثال قد وقع بقوله فيكون والمأمور به انما هو الوجود فتعلقت الارادة بتخصيص أحد الممكنين
وهو الوجود وتعلقت القدرة بالممكن فأثرت فيه الايجاد وهي حالة معقولة بين العدم والوجود فتعلق الخطاب بالامر لهذه
العين المخصصة بأن تكون فامتثلت فكانت فلولا ما كان للممكن عين ولا وصف لها بالوجود يتوجه على تلك العين الامر
بالوجود لما وقع الوجود والقائل بشيء المراد في شرح كن غير مصيب ﴿مسئلة﴾ معقولية الاولية للواجب الوجود
بالغير نسبة سلبية عن وجود كون الوجوب المطلق فهو أول لكل مقيد اذ يستحيل أن يكون له هناك قدم لانه لا يخلو
أن يكون بحيث الوجوب المطلق فيكون اما هو نفسه وهو محال واما قائما به وهو محال لوجوه منها انه قائم بنفسه ومنها
ما لزم للواجب المطلق لو قام به هذا من الافتقار فيكون اما مقوما لذاته وهو محال أو مقوما لمرتبته وهو محال
﴿مسئلة﴾ معقولية الاولية للواجب المطلق نسبة وضعية لا يعقل لها العقل سوى استناد الممكن اليه فيكون أولا بهذا
الاعتبار ولو قدر أن لا وجود لممكن قوة وفعلا لانتفت النسبة الاولية اذ لا تجد متعلقا ﴿مسئلة﴾ أعلم الممكنات لا يعلم
موجده الا من حيث هو فنفسه علم ومن هو موجود عنه غير ذلك لا يصح لان العلم بالشيء يؤذن بالاحاطة به والفراغ منه
وهذا في ذلك الجناب محال فالعلم به محال ولا يصح أن يعلم منه لانه لا يتبعض فلم يبق العلم الا بما يكون منه وما يكون
منه هو أنت فانت المعلوم فان قيل علمنا بليس هو كذا علم به قلنا نعم لك جردته عنها بما يقتضيه الدليل من نفي المشاركة
فتميزت أنت عندك عن ذات مجهولة لك من حيث ما هي معلومة لنفسها ما هي تميزت لك لعدم الصفات الثبوتية التي لها
في نفسها فافهم ما علمت وقل رب زدني علما ولو علمته لم يكن هو ولو جهلك لم تكن أنت فبعلمه أوجدك وبعجزك
عبدته فهو هو لهو لا لك وأنت أنت لانت وله فأنت مرتبط به ما هو مرتبط بك الدائرة مطلقة مرتبطة بالنقطة النقطة
مطلقة ليست مرتبطة بالدائرة نقطة الدائرة مرتبطة بالدائرة كذلك الذات مطلقة ليست مرتبطة بك الوهية الذات
مرتبطة بالمألوه كنقطة الدائرة ﴿مسئلة﴾ متعلق رؤيتنا الحق ذاته سبحانه ومتعلق علمنا به اثباته الها بالاضافات
والسلوب فاختلف المتعلق فلا يقال في الرؤية انها مزيد وضوح في العلم لاختلاف المتعلق وان كان وجوده عين ماهيته
فلا ننكر أن معقولية الذات غير معقولية كونها موجودة ﴿مسئلة﴾ ان العدم هو الشر المحض لم يعقل بعض الناس

حقيقة هذا الكلام لغموضه وهو قول المحققين من العلماء المتقدمين والمتأخرين لكن اطلقوا هذه اللفظ ولم يوضحوا معناها وقد قال لنا بعض سفراء الحق في منازلة في الظلمة والنور ان الخير في الوجود والشر في العدم في كلام طويل علمنا ان الحق تعالى له اطلاق الوجود من غير تقييد وهو الخير المحض الذي لا شر فيه فيقابله اطلاق العدم الذي هو الشر المحض الذي لا خير فيه فهذا هو معنى قولهم ان العدم هو الشر المحض ﴿مسئلة﴾ لا يقال من جهة الحقيقة ان الله جائز أن يوجد أمرا وجائز أن لا يوجده فان فعله للاشياء ليس بممكن بالنظر اليه ولا بايجاب موجب ولكن يقال ذلك الأمر جائز أن يوجد وجائز أن لا يوجد فيفتقر الى مرجح وهو الله تعالى وقد تقضينا الشريعة فما رأيناها ما يناقض ما قلناه فالذي نقول في الحق انه تعالى يجب له كذا ويستحيل عليه كذا ولا نقول يجوز عليه كذا فهذه عقيدة أهل الاختصاص من أهل الله وأما عقيدة خلاصة الخاصة في الله تعالى فأمر فوق هذا جعلناه مبددا في هذا الكتاب لكون أكثر العقول المحجوبة بأفكارها تقصر عن ادراكه لعدم تجريدها وقد انتهت مقدمة الكتاب وهي عليه كالعلاوة فمن شاء كتبها فيه ومن شاء تركها والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الثالث والحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الاول) في معرفة الروح الذي أخذت من تفصيل نشأته ما سطرته في هذا الكتاب وما كان بيني و بينه من الاسرار فمن ذلك نظم

قلت عند الطواف كيف أطوف * وهو عن درك سرنا مكفوف
جامد غير عاقل حركاتي * قيل أنت المحير المتلوف
انظر البيت نوره يتلالا * لقلوب تطهرت مكشوف
نظرته بالله دون حجاب * فبدا سره العلي المنيف
وتجلى لها من أفق جلالي * قمر الصدق ما اعتراه خسوف
لو رأيت الولي حين يراه * قلت فيه مسدّلها ملهوف
يلثم السر في سواد يميني * أي سر لو انه معروف
جهلت ذاته فقيل كثيف * عند قوم وعند قوم لطيف
قال لي حين قلت لم جهلوه * انما يعرف الشريف الشريف
عرفوه فلازموه زمانا * فتولاهم الرحيم الرؤف
واستقاموا فما يرى قط فيهم * عن طواف بذاته تحريف
قسم فبشر عني مجاوريبتي * بأمان ما عنده تخويف
ان أتيتهم فرحتهم بلقائي * أو يعيشوا فالثوب منهم نظيف

اعلم أيها الولي الحميم والصفي الكريم اني لما وصلت الى مكة البركات ومعدن السكنات الروحانية والحركات وكان من شأني فيها ما كان طفت ببيته العتيق في بعض الاحيان فبينما أنا أطوف مسبحا وحامدا ومكبرا ومهللا تارة ألثم واستلم وتارة للملتزم التزم اذ لقيت وأنا عند الحجر الاسود باهت الفتى الفائت المتكلم الصامت الذي ليس بحي ولا مائت المركب البسيط المحاط المحيط فعندما أبصرته يطوف بالبيت طواف الحي بالميت عرفت حقيقته ومجازه وعلمت ان الطواف بالبيت كالصلاة على الجنازه وأنشدت الفتى المذكور ما سمعه من الابيات عندما رأيت الحي طائفا بالاموات

شعر * ولما رأيت البيت طاف بذاته * شخوص لهم سر الشريعة غيبي
وطاف به قوم هم الشرع والحجا * وهم لحل عين الكشف ما هم به عمي
تعجبت من ميت يطوف به حي * عزيز وحيد الدهر ما مثله شي
تجلى لنا من نور ذات مجله * وليس من الاملاك بل هو انسي

* تيقنت أن الامر غيب وأنه * لدى الكشف والتحقيق سمع ومرئى

قلت فعندما وقعت منى هذه الابيات وألحقت بيته المكرم من جهة ما بجانب الاموات خطفنى منى خطفة قاهر وقال لى قولة رادع زاجر انظر الى سر البيت قبل الفوت تجده زاهيا بالمطيفين والطائفين بأحجاره ناظرا اليهم من خلف حجبه وأستاره فرأيته يزهو كما قال فأفصحت له فى المقال وأنشدته فى عالم المثال على الارتجال

أرى البيت يزهو بالمطيفين حوله * وما الزهو الا من حكيم له صنع

وهذا جماد لا يحس ولا يرى * وليس له عقل وليس له سمع

فقال شخيص هذه طاعة لنا * قد ابتهاطول الحياة لنا الشرع

فقلت له هذا بلاغك فاستمع * مقالة من أبدى له الحكمة الوضع

رأيت جمادا لا حياة بذاته * وليس له ضر وليس له نفع *

ولكن لعين القلب فيه مناظر * اذا لم يكن بالعين ضعف ولا صدع

يراه عزيزا أن تجلى بذاته * فليس لمخلوق على حمله وسع

فكنت أبا حفص وكنت عليا * فى العطاء الجزل والقبض والمنع

(وصل) ثم انه أطلعنى على منزلة ذلك الفتى وتنزهه عن أين ومتى فلما عرفت منزلته وانزاله وعاينت مكانته من الوجود وأحواله قبلت يمينه ومسحت من عرق الوحى جبينه وقلت له انظر من طالب مجالستك وراغب فى مؤانستك فأشار الى ايماء ولغزا أنه فطر على أن لا يكلم أحدا الا رمزا وان رمزى اذا علمته وتحققته وفهمته علمت أنه لا تدركه فصاحة الفصحاء ونطقه لا تبلغه بلاغة البلغاء فقلت له يا أيها البشير وهذا خير كثير فعرفنى باصطلاحك وأوقفنى على كيفية حركات مفتاحك فانى أريد مسامرتك وأحب مصاهرتك فان عندك الكفؤ والنظير وهو النازل بذاتك والامير ولولا ما كانت لك حقيقة ظاهره ما تطلعت اليه وجوه ناضرة ناظره فأشار فعلمت وجلى لى حقيقة جماله فهمت فسقط فى يدى وغلبنى الحين على فعندما أفقت من الغشيه وأرعدت فرائصى من الخشيه علم أن العلم به قد حصل وألقى عصا سيره ونزل فتلا حاله على ما جاءت به الانبياء وتنزلت به الملائكة الامناء انما يخشى الله من عباده العلماء فجعلها دليلا واتخذها الى معرفة العلم الحاصل به سبيلا فقلت له اطلعنى على بعض أسرارك حتى أكون من جملة أحبارك فقال انظر فى تفاصيل نشأتى وفى ترتيب هيأتى تجد ما سألتنى عنه فى مرقوما فانى لا أكون مكلما ولا كليما فليس علمى بسواى وليست ذاتى مغايرة لاسمائى فأنا العلم والمعلوم والعليم وأنا الحكمة والمحكم والحكيم ثم قال لى طف على أثرى وانظر الى بنور قمرى حتى تأخذ من نشأتى ما تسطره فى كتابك وتمليه على كتابك وعرفنى ما أشهدك الحق فى طوافك من اللطائف مما لا يشهده كل طائف حتى أعرف همتك ومعناك فأذكرك على ما علمت منك هناك فقلت أنا أعرفك أيها الشاهد المشهود ببعض ما أشهدنى من أسرار الوجود المنزلات فى غلائل النور والمتعديات العين من وراء الستور التى أنشأها الحق حجابا مرفوعا وسماء موضوعا والفعل بالنظر الى الذات لطيف والعدم دركه على شريف

فوصفه ألطف من ذاته * وفعله ألطف من وصفه

وأودع الكل بذاتى كما * أودع معنى الشئ فى حرفه

فالحاق مطلوب لمعنى كما * يطلب ذات المسك من عرفه

ولولا ما أودع فى ما اقتضته حقيقتى ووصلت اليه طريقتى لم أجد لمشربه نيلا ولا الى معرفته ميلا ولذلك أعود على عند النهاية وهذا سر جمع نفذ البركار فى فتح الدائرة عند الوصول الى غاية وجودها الى نقطة البداية فارتبط آخر الامر بأوله وانعطف أبده على أزله فليس الا وجود مستمر وشهود ثابت مستقر وانما طال الطريق من أجل رؤية المخلوق فلو صرف العبد وجهه الى الذى بابه من غير أن يحمل فيه النظر الى السالكين اذا وصلوا بعين بئس والله

ما فعلوا ولو عرفوا من مكانهم ما انتقلوا لكن حجبوا بشهدية الحقائق عن رؤية الحق الخالق الذي خلق الله به
الارض والطرائق فنظروا مدارج الاسماء وطلبوا معارج الاسراء وتخيلوها أعظم منزلة تطلب وأسنى حالة يقصد
الحق تعالى فيها ويرغب فسيرهم على براق الصدق ورفرفه وحققهم بما عاينوه من آياته ولطائفه وذلك لما كانت
النظرة شمالية وكانت الفطرة على النشأة الكمالية تقابل بوجهها في أصل الوضع نقطة الدائره فشطر مهجتها من
الجانب الايمن منقبة ومن الجانب الغربي سافره فلو سفرت عن اليمين لنالت من أول طرفتها مقام التمكين في
مشاهدة التعيين ويا عجبا لمن هو في أعلى عليين ويتخيل انه في أسفل سافلين أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين
فشمالها يمين مديرها ووقوفها في موضعها الذي وجدت فيه غاية مسيرها فاذا ثبت عند العاقل ما أشرت اليه وصح
وعلم ان اليه المرجع فمن موقفه لم يبرح لكن بتخيل المسكين الفرع والفتح ويقول وهل في مقابلة الضيق والحرج
الا السعة والشرح ثم يتلو ذلك قرآنا على الخصماء فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله
يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء فكما ان الشرح لا يكون الا بعد الضيق كذلك المطلوب لا يحصل
الا بعد سلوك الطريق وغفل المسكين عن تحصيل ما حصل له بالالهام مما لا يحصل الا بالفكر والدليل عند أهل النهى
والافهام وانه صدق فيما قال فانه ناظر بعين الشمال فسلموا له حاله وثبتوا له محاله وضعفوا منه محاله وقولوا له
عليك بالاستعانة ان أردت الوصول الى ما منه خرجت لا محاله واستروا عنه مقام المجاورة وعظموا له أجر التزاور
والزاورة والوازره فسيحزن عند الوصول الى ما منه سار وسيفرح بما حصل في طريقه من الاسرار وصار ولولا
ما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعراج ما رحل ولا صعد الى السماء ولا نزل وكان يأتيه شأن الملأ الاعلى وآيات
ربه في موضعه كما زويت له الارض وهو في مضجعه ولكنه سر الهي لينكره من شاء لانه لا يعطيه الانشاء ويؤمن به
من شاء لانه جامع للأشياء فعندما أتيت على هذا العلم الذي لا يبلغه العقل وحده ولا يحصله على الاستيفاء الفهم قال
لقد أسمعتني سرا غريبا وكشفت لي معنى عجيبا ما سمعته من ولي قبلك ولا رأيت أحدا تممت له هذه الحقائق مثلك
على انها عندي معلومة وهي بذاتي مرقومة ستبدو لك عند رفع ستاراتي واطلاعك على اشاراتي ولكن
أخبرني ما أشهدك عندما أنزلك بحرمه وأطلعك على حرمه «مشاهدة مشهد البيتة الالهية» قلت اعلم يا فصيحا
لا يتكلم وسائلا عما يعلم لما وصلت اليه من الايمان ونزلت عليه في حضرة الاحسان أنزلني في حرمه وأطلعني
على حرمه وقال انما أكثرت التماسك رغبة في التماسك فان لم تجدني هنا وجدتني هنا وان احتجبت عنك في
جمع تجليت لك في منى مع اني قد أعلمتك في غير ما موقف من مواقفك وأشرت به اليك غير مرة في بعض لطائفك اني
وان احتجبت فهو تجل لا يعرفه كل عارف الا من أحاط علما بما أحطت به من المعارف ألا تراني أتجلى لهم في القيامه
في غير الصورة التي يعرفونها والعلامة فينكرون ربوبيتي ومنها يتعوذون وبها يتعوذون ولكن لا يشعرون
ولكنهم يقولون لذلك المتجلي نعوذ بالله منك وها نحن لربنا منتظرون فحينئذ أخرج عليهم في الصورة التي لديهم
فيقرون لي بالربوبيه وعلى أنفسهم بالعبوديه فهم لعلامتهم عابدون وللصورة التي تقررت عندهم مشاهدون
فمن قال منهم انه عبدني فقوله زور وقد باهتني وكيف يصح منه ذلك وعندما تجليت له أنكرني فمن قيدني بصورة دون
صوره فتخيله عبده وهو الحقيقة الممكنة في قلبه المستوره فهو يتخيل انه يعبدني وهو يجحدني والعارفون ليس في
الامكان خفائي عن أبصارهم لانهم غابوا عن الخلق وعن أسرارهم فلا يظهر لهم عندهم سوائي ولا يعقلون من
الموجودات سوى أسمائي فكل شيء ظهر لهم وتجلى قالوا أنت المسبح الاعلى فليسوا سواء فالناس بين غائب
وشاهد وكلاهما عندهم شيء واحد فلما سمعت كلامه وفهمت اشاراته واعلامه جذبني جذبة غيور اليه
وأوقفني بين يديه (مخاطبات التعليم والالطاف بسر الكعبة من الوجود والطواف) ومد اليمين فقبلتها وصلتني
الصورة التي تعشقتها فتحولت لي في صورة الحياة فصولت له في صورة الممات فطلبت الصورة تبايع الصوره فقالت
لها لم تحتني السيره وقبضت يمينها عنها وقالت لها ما عرفت لها في عالم الشهادة كنها ثم تحولت لي في صورة البصر

فتحولت له فى صورة من عمى عن النظر وذلك بعد انقضاء شوط وتخيل نقض شرط فطلبت الصورة تبايع الصوره فقلت لها مثل المقالة المذكوره ثم تحول لى فى صورة السمع الاعم فتحولت له فى صورة الجهل الاتم فطلبت الصورة تبايع الصوره فقالت لها المقالة المشهوره ثم تحول لى فى صورة سماع النداء فتحولت له فى صورة الصمم عن الدعاء فطلبت الصورة تبايع الصوره فأسدل الحق بينهما ستوره ثم تحول لى فى صورة الخطاب فتحولت له فى صورة الخرس عن الجواب فطلبت الصورة تبايع الصوره فأرسل الحق بينهما رقوم اللوح وسطوره ثم تحول لى فى صورة الاراده فتحولت له فى صورة قصور الحقيقة والعاده فطلبت الصورة تبايع الصوره فأفاض الحق بينهما ضياءه ونوره ثم تحول لى فى صورة القدرة والطاقه فتحولت له فى صورة العجز والفاقه فطلبت الصورة تبايع الصوره فأبدى الحق للعبد تقصيره فقلت لما رأيت ذلك الاعراض وما حصل لى تمام الآمال والاغراض لم أبيت على ولم تف بعهدى فقال لى أنت أبيت على نفسك يا عبدى لو قبلت الحجر فى كل شوط أيها الطائف لقبلت يمينى هنا فى هذه الصور اللطائف فان يمينى هناك بمنزلة الذات وأشواط الطواف بمنزلة السبع الصفات صفات الكمال لا صفات الجلال لانها صفات الاتصال بك والانفصال فسبعة أشواط لسبع صفات وبيت قائم يدل على ذات غير أنى أنزلته فى فرشى وقلت للعامة هذا عندكم بمنزلة عرشى وخليفتى فى الارض هو المستوى عليه والمحتوى فانظر الى الملك معك طائفا والى جانبك واقفا فنظرت اليه فعاد الى عرشه وناء على بسموّ نعشه فتبسمت جذلا وقلت مرتجلا

يا كعبة طاف بها المرسلون * من بعد ما طاف بها المكرمون
ثم أتى من بعدهم عالم * طافوا بها من بين عال ودون
أنزلها مثلا الى عرشه * ونحن حافون لها مكرمون
فان يقل أعظم حاف به * انى أنا خير فهل تسمعون
* والله ما جاء بنص ولا * أتى انا الا بما لا يبين
هل ذاك الا النور حفت به * أنوارهم ونحن ماء مهين
فانجذب الشئ الى مثله * وكانا عبيد لديه مكين
هلا رأوا ما لم يروا انهم * طافوا بما طفنا وليسوا بطين
لوجود الالطف استوى * على الذى حفوا به طائفين
قد سهمو أن يجهلوا حق من * قد سخر الله له العالمين
كيف لهم وعلمهم انى * ابن الذى خروا له ساجدين
واعترفوا بعد اعتراض على * والدنا بكونهم جاهلين
وأبلس الشخص الذى قد أبى * وكان للفضل من الجاحدين
قد سهمو قد سهمو انهم * قد عصموا من خطأ الخاطئين

قلت ثم صرفت عنه وجه قلبى وأقبلت به على ربى فقال لى انتصرت لابيك حلت بركتى فيك اسمع منزلة من أثنيت عليها وما قدمته من الخير بين يديها وأين منزلتك من منازل الملائكة المقربين صلوات الله عليكم وعليهم أجمعين كعبتى هذه قلب الوجود وعرشى لهذا القلب جسم محدود وما وسعنى واحد منهما ولا أخبر عنى بالذى أخبرت عنهما وبيتى الذى وسعنى قلبك المقصود المودع فى جسدك المشهود فالطائفون بقلبك الاسرار فهم بمنزلة أجسادكم عند طوافها بهذه الاحجار فالطائفون الحافون بعرشنا المحيط كالطائفين منك بعالم التخطيط فكان الجسم منك فى الرتبة دون قلبك البسيط كذلك هى الكعبة مع العرش المحيط فالطائفون بالكعبة بمنزلة الطائفين بقلبك لاشتراكهما فى القلبيه والطائفون بجسمك كالطائفين بالعرش لاشتراكهما فى الصفة الاحاطيه فكأن عالم الاسرار الطائفين بالقلب الذى وسعنى أسنى منزلة من غيرهم وأعلى كذلك أتم بنعت الشرف والسيادة على

الطائفين بالعرش المحيط أولى فانكم الطائفون بقاب وجود العالم فانتم بمنزلة أسرار العلماء وهم الطائفون بجسم العالم فهم بمنزلة الماء والهواء فكيف تكونون سواء وما وسعنى سواكم وما تجليت فى صورة كمال الا فى معناكم فاعرفوا قدر ما وهبتكموه من الشرف العالى وبعد هذا فانا الكبير المتعالى لا يحدنى الحد ولا يعرفنى السيد ولا العبد تقدست الالوهة فتنزهت أن تدرك وفى منزلتها أن تشرك أنت الانا وانا أنا فلا تطلبنى فيك فتعنى ولا من خارج فما تتهنى ولا تترك طلبى فتشقى فاطلبنى حتى تلقانى فترقى ولكن تأدب فى طلبك واحضر عند شروعك فى مذهبك وميز بينى وبينك فانك لا تشهدنى وانما تشهد عينك فقف فى صفة الاشتراك والا فكن عبدا وقل العجز عن درك الادراك ادراك تلحق فى ذلك عتيقا وتكن المكرم الصديقا ثم قال لى اخرج عن حضرتى فثلك لا يصلح لخدمتى فخرجت طريدا فضج الحاضر فقال ذرنى ومن خلقت وحيدا ثم قال ردوه فرددت وبين يديه من ساعتى وجدت وكأنى ما زلت عن بساط شهوده وما برحت من حضرة وجوده فقال كيف يدخل على فى حضرتى من لا يصلح لخدمتى لو لم تكن عندك الحرمة التى توجب الخدمة ما قبلتك الحضرة ولرمت بك فى أول نظرة وها أنت فيها وقد رأيت من برهانك وتخفيها ما زيدك احتراما وعند تجليها احتشاما ثم قال لم تسألنى حين أمرت باخراجك وردك على معراجك وأعرفك صاحب حجة ولسان ما أسرع ما نسيت أيها الانسان فقلت بهرنى عظيم مشاهدة ذاتك وسقط فى يدى لقبضك عين البهجة فى تجلياتك وبقيت أردد النظر ما الذى طرأ فى الغيب من الخبر فلو التفت فى ذلك الوقت الى لعلمت ان منى أتى على ولكن الحضرة تعطى أن لا يشهد سواها وان لا ينظر الى محاسن محياها فقال صدقت يا محمد فاثبت فى المقام الاوحد واياك والعدد فان فيه هلاك الابد ثم اتفقت مخاطبات وأخبار أذكرها فى باب الحج ومكة مع جملة أسرار (وصل) فقال النجى الوفى يا أكرم ولى وصفى ماذكرت لى أمر الا أنا به عالم وهو بذاتى مسطر قائم قلت لقد شوقتنى الى التطلع اليك منك حتى أخبر عنك فقال نعم أيها الغريب الوارد والطالب القاصد أدخل معى كعبة الحجر فهو البيت المتعالى عن الحجاب والستر وهو مدخل العارفين وفيه راحة الطائفين فدخلت معه بيت الحجر فى الحال وألقى يده على صدرى وقال أنا السابع فى مرتبة الاحاطة بالكون وباسرار وجود العين والاين أوجدنى الحق قطعة نور حوّائى ساذجة وجعلنى للكليات ممازجة فبينا أنا متطلع لما يلقى لدى أو ينزل على واذا بالعلم القلمى الاعلى قد نزل بذاتى من منازله العلى راكبا على جواد قائم على ثلاث قوائم فنكس رأسه الى ذاتى فانتشرت الانوار والظلمات ونفث فى روعى جميع الكائنات ففتق أرضى وسمائى وأطلعنى على جميع أسمائى فعرفت نفسى وغيرى وميزت بين شرى وخيرى وفصلت ما بين خالق وحقائق ثم انصرف عنى ذلك الملك وقال تعلم انك حضرة الملك فتهيأت للنزول وورود الرسول فتجارت الاملاك الى ودارت الافلاك على والكل لعينى مقبلون وعلى حضرتى مقبلون وما رأيت ملكا نزل ولا ملكا عن الوقوف بين يدى انتقل ولحظت فى بعض جوانبى فرأيت صورة الازل فعلمت انّ النزول محال فثبت على ذلك الحال وأعلمت بعض الخاصة ما شهدت وأطلعتهم منى على ما وجدت فأنا الروضة اليانعة والثمرة الجامعة فارفع ستورى واقرأ ما تضمنته سطورى فما وقفت عليه منى فاجعله فى كتابك وخاطب به جميع أحبابك فرفعت ستوره ولحظت مسطوره فأبدى لعينى نوره المودع فيه ما يتضمنه من العلم المكنون ويحويه فأول سطر قرأته وأول سر من ذلك السطر علمته ما أذكره الآن فى هذا الباب الثانى والله سبحانه يهدى الى العلم والى طريق مستقيم

(الباب الثانى) فى معرفة مراتب الحروف والحركات من العالم وما لها من الاسماء الحسنى ومعرفة الكلمات ومعرفة العلم والعالم والمعلوم اعلم ان هذا الباب على ثلاثة فصول ﴿الفصل الاول فى معرفة الحروف﴾ ﴿الفصل الثانى فى معرفة الحركات التى تتميز بها الكلمات﴾ ﴿الفصل الثالث فى معرفة العلم والعالم والمعلوم﴾

﴿الفصل الاول فى معرفة الحروف ومراتبها والحركات وهى الحروف الصغار وما لها من الاسماء الالهية﴾

ان الحروف أئمة الالفاظ ٭ شهدت بذلك ألسن الحفاظ

دارت بها الافلاك فى ملكوته * بين النيام الخرس والايقاظ
ألحظنها الاسماء من مكنونها * فبدت تعز لذاك الالحاظ
وتقول لولا فيض جودى مابدت * عند الكلام حقائق الالفاظ

اعلم أيدنا الله واياك انه لما كان الوجود مطلقا من غير تقييد يتضمن المكلف وهو الحق تعالى والمكلفين وهم العالم والحروف جامعة لما ذكرنا أردنا أن نبين مقام المكلف من هذه الحروف من المكلفين من وجه دقيق محقق لا يتبدل عند أهل الكشف اذا وقفوا عليه وهو مستخرج من البسائط التى عنها تركبت هذه الحروف التى تسمى حروف المعجم بالاصطلاح العربى فى أسمائها وانما سميت حروف المعجم لانها عجمت على الناظر فهم معناها ولما كوشفنا على بسائط الحروف وجدناها على أربع مراتب (حروف) مرتبتها سبعة افلاك وهى الالف والزاى واللام (وحروف) مرتبتها ثمانية أفلاك وهى النون والصاد والضاد (وحروف) مرتبتها تسعة افلاك وهى العين والغين والسين والشين (وحروف) مرتبتها عشرة افلاك وهى باقى حروف المعجم وذلك ثمانية عشر حرفا كل حرف منها مركب عن عشرة كما ان كل حرف من تلك الحروف منها ماهو عن تسعة افلاك وعن ثمانية وعن سبعة لاغير كما ذكرناه فعدد الافلاك التى عنها وجدت هذه الحروف وهى البسائط التى ذكرناها مائتان وأحد وستون فلكا أما المرتبة السبعية فالزاى واللام منها دون الالف فطبعها الحرارة واليبوسة (وأما) الالف فطبعها الحرارة والرطوبة واليبوسة والبرودة ترجع مع الحار حارة ومع الرطب رطبة ومع البارد باردة ومع اليابس يابسة على حسب ما تجاوره من العوالم (وأما) المرتبة الثمانية فحروفها حارة يابسة (وأما) المرتبة التسعية فالعين والغين طبعهما البرودة واليبوسة (وأما) السين والشين فطبعهما الحرارة واليبوسة (وأما) المرتبة العشرية فحروفها حارة يابسة الا الحاء المهملة والخاء المعجمة فانهما باردتان يابستان والا الهاء والهمزة فانهما باردتان رطبتان فعدد الافلاك التى عن حركتها توجد الحرارة مائتا فلك وثلاثة أفلاك وعدد الافلاك التى عن حركتها توجد اليبوسة مائتا فلك وأحد وأربعون فلكا وعدد الافلاك التى عن حركتها توجد البرودة خمسة وستون فلكا وعدد الافلاك التى عن حركتها توجد الرطوبة سبعة وعشرون فلكا مع التواج والتداخل الذى فيها على حسب ماذكرناه آنفا فسبعة افلاك توجد عن حركتها العناصر الاول الاربعة وعنها يوجد حرف الالف خاصة ومائة وستة وتسعون فلكا توجد عن حركتها الحرارة واليبوسة خاصة لا يوجد عنها غيرهما البتة وعن هذه الافلاك يوجد حرف الباء والجيم والدال والواو والزاى والطاء والياء والكاف واللام والميم والنون والصاد والفاء والضاد والقاف والراء والسين والتاء والثاء والذال والظاء والشين وثمانية وثمانون فلكا يوجد عن حركتها البرودة واليبوسة خاصة وعن هذه الافلاك يوجد حرف العين والحاء والغين والخاء وعشرون فلكا توجد عن حركتها البرودة والرطوبة خاصة وعن هذه الافلاك يوجد حرف الهاء والهمزة وأما لام ألف فممتزج من السبعة والمائة والستة والتسعين اذا كان مثل قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون فان كان مثل قوله تعالى لانتم أشد رهبة فامتزاجه من المائة والستة والتسعين ومن العشرين وليس فى العالم فلك يوجد عنه الحرارة والرطوبة خاصة دون غيرهما فاذا نظرت فى طبع الهواء عثرت على الحكمة التى منعت أن يكون له فلك مخصوص كما انه ما ثم فلك يوجد عنه واحد من هذه العناصر الاول على انفراد فالهاء والهمزة يدور بهما الفلك الرابع ويقطع الفلك الاقصى فى تسعة آلاف سنة وأما الحاء والخاء والعين والغين فيدور بها الفلك الثانى ويقطع الفلك الاقصى فى احدى عشرة ألف سنة وباقى الحروف يدور بها الفلك الاول ويقطع الفلك الاقصى فى اثنى عشرة ألف سنة وهو على منازل فى أفلاكها فمنها ماهو على سطح الفلك ومنها ماهو فى مقعر الفلك ومنها ماهو بينهما ولولا التطويل لبينا منازلها وحقائقها ولكن سنلقى من ذلك مايشفى فى الباب الستين من أبواب هذا الكتاب ان ألهمنا الحق ذلك عند كلامنا فى معرفة العناصر وسلطان العالم العلوى على العالم السفلى وفى أى دورة كان وجود هذا العالم الذى نحن فيه الآن من دورات الفلك الاقصى وأى روحانية تنظر نافلنقبض العنان حتى نصل الى

موضعه أو يصل موضعه ان شاء الله (فلنرجع ونقول) ان المرتبة السبعية التي لها الزاي والالف واللام جعلناها للحضرة الالهية المكلفة أي نصيبها من الحروف وان المرتبة الثمانية التي هي النون والصاد والضاد جعلناها حظ الانسان من عالم الحروف وان المرتبة التسعية التي هي العين والغين والسين والشين جعلناها حظ الجن من عالم الحروف وان المرتبة العشرية وهي المرتبة الثانية من المراتب الاربعة التي هي باقي الحروف جعلناها حظ الملائكة من عالم الحروف وانما جعلنا هذه الموجودات الاربعة لهذه الاربع مراتب من الحروف على هذا التقسيم لحقائق عسرة المدرك يحتاج ذكرها وبيانها الى ديوان بنفسه ولكن قد ذكرناه حتى تمه في كتاب المبادي والغايات فيما تحوي عليه حروف المعجم من العجائب والآيات وهو بين أيدينا ما كمل ولا قيدنا منه الا أوراق متفرقة يسيرة ولكن سأذكر منه في هذا الباب لمحة بارق ان شاء الله فصلت الاربعة للجن الناري لحقائق هم عليها وهي التي أدتهم لقولهم فيما أخبر الحق تعالى عنهم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وفرغت حقائقهم ولم تبق لهم حقيقة خامسة يطلبون بها مرتبة زائدة وإياك أن تعتقد أن ذلك جائز لهم وهو أن يكون لهم العلو وما يقابله اللذان تتم بهما الجهات الستة فان الحقيقة تأبى ذلك على ما قررناه في كتاب المبادي والغايات وبينا فيه لم اختصوا بالعين والغين والسين والشين دون غيرها من الحروف والمناسبة التي بين هذه الحروف وبينهم وانهم موجودون عن الافلاك التي عنها وجدت هذه الحروف وحصل للحضرة الالهية من هذه الحروف ثلاثة لحقائق هي عليها أيضا وهي الذات والصفة والرابط بين الذات والصفة وهي القبول أي بها كان القبول لان الصفة لها تعلق بالموصوف بها وبتعلقها الحقيقي لها كالعلم يربط نفسه بالعالم به وبالمعلوم والارادة تربط نفسها بالمريد بها وبالمراد لها والقدرة تربط نفسها بالقادر بها وبالمقدور لها وكذلك جميع الاوصاف والاسماء وان كانت نسبا وكانت الحروف التي اختصت بها الالف والزاي واللام تدل على معنى نفي الاولية وهو الازل وبسائط هذه الحروف واحدة في العدد فما أعجب الحقائق لمن وقف عليها فانه يتنزه فيما يجهله الغير وتضيق صدور الجهلاء به وقد تكلمنا أيضا في المناسبة الجامعة بين هذه الحروف وبين الحضرة الالهية في الكتاب المذكور وكذلك حصل للحضرة الانسانية من هذه الحروف ثلاثة أيضا كما حصل للحضرة الالهية فاتفقا في العدد غير أنها حروف النون والصاد والضاد ففارقت الحضرة الالهية من جهة موادها فان العبودية لا تشرك الربوبية في الحقائق التي بها يكون الها كما ان بحقائقه يكون العبد مألوها وبما هو على الصورة اختص بثلاثة كهو فلو وقع الاشتراك في الحقائق لكان الها واحدا أو عبدا واحدا أعني عينا واحدة وهذا لا يصح فلا بد أن تكون الحقائق متباينة ولو نسبت الى عين واحدة ولهذا باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم ولم يقل باينهم بعلمه كما باينوه بعلمهم فان فلك العلم واحد قديما في القديم محدثا في المحدث واجتمعت الحضرتان في أن كل واحدة منهما معقولة من ثلاث حقائق ذات وصفة ورابطة بين الصفة والموصوف بها غير أن العبد له ثلاثة أحوال حالة مع نفسه لا غير وهو الوقت الذي يكون فيه نائم القلب عن كل شيء وحالة مع الله وحالة مع العالم والباري سبحانه مباين لنا فيما ذكرناه فان له حالين حال من أجله وحال من أجل خلقه وليس فوقه موجود فيكون له تعالى وصف تعلق به فهذا بحر آخر لو خضنا فيه لجاءت أمور لا يطاق سماعها وقد ذكرنا المناسبة التي بين النون والصاد والضاد التي للانسان وبين الالف والزاي واللام التي هي للحضرة الالهية في كتاب المبادي والغايات وان كانت حروف الحضرة الالهية عن سبعة أفلاك والانسانية عن ثمانية أفلاك فان هذا لا يقدح في المناسبة لتبين الاله والمألوه ثم انه في نفس النون الرقمية التي هي شطر الفلك من العجائب ما لا يقدر على سماعها الا من شد عليه مئزر التسليم وتحقق بروح الموت الذي لا يتصور ممن قام به اعتراض ولا تطلع وكذلك في نفس نقطة النون أول دلالة لنون الروحانية المعقولة فوق شكل النون السفلية التي هي النصف من الدائرة والنقطة الموصولة بالنون المرقومة الموضوعة أول الشكل التي هي مركز الالف المعقولة التي بها تميز قطر الدائرة والنقطة الاخيرة التي ينقطع بها شكل النون وينتهي بها هي رأس هذا الالف المعقولة المتوهمة فتقدر قيامها من رقدتها فتركز لك على النون فيظهر من ذلك حرف اللام والنون نصفها أي مع وجود الالف المذكورة فتكون النون بهذا الاعتبار تعطيك الازل الانساني كما أعطاك الالف والزاي واللام في

الحق غير أنه فى الحق ظاهر لانه بذاته أزلى لا أول له ولا مفتتح لوجوده فى ذاته بلا ريب ولا شك ولبعض المحققين كلام فى الانسان الازلى فنسب الانسان الى الازل فالانسان خفى فيه الازل فجهل لان الازل ليس ظاهرا فى ذاته وانما صح فيه الازل لوجه تامن وجوه وجوده منها ان الوجود يطلق عليه الوجود فى أربع مراتب وجود فى الذهن ووجود فى العين ووجود فى اللفظ ووجود فى الرقم وسيأتى ذكرهذا فى هذا الكتاب ان شاء الله فمن جهة وجوده على صورته التى وجد عليها فى عينه فى العلم القديم الازلى المتعلق به فى حال ثبوته فهو موجود أزلا أيضا كأنه بعناية العلم المتعلق به كما تحيز العرض بسبب قيامه بالجوهر فصار متحيزا بالتبعية فلهذا خفى فيه الازل ولحقائقه أيضا الازلية المجردة عن الصورة المعينة المعقولة التى تقبل القدم والحدوث على حسب ما شرحنا ذلك فى كتاب انشاء الدوائر والجداول فانظره هناك تجده مستوفى وسنذكر منه طرفا فى هذا الكتاب فى بعض الابواب اذا مست الحاجة اليه وظهور ماذكرناه من سر الازل فى النون هو فى الصاد والضاد أتم وأمكن لوجود كمال الدائرة وكذلك ترجع حقائق الالف والزاى واللام التى للحق الى حقائق النون والصاد والضاد التى للعبد ويرجع الحق يتصف بهذا بالاسرار التى منعنا عن كشفها فى الكتب ولكن يظهرها العارف بين أهلها فى علمه ومشربه ومسلم فى أكمل درجات التسليم وهى حرام على غير هذين الصنفين فتحقق ماذكرناه وتبينه يبدو لك من العجائب التى تبهر العقول حسن جمالها وتبقى للملائكة باقى حروف المعجم وهى ثمانية عشر حرفا وهى الباء والجيم والدال والهاء والواو والحاء والطاء والياء والكاف والميم والفاء والقاف والراء والتاء والثاء والخاء والذال والظاء فقل الحضرة الانسانية كالحضرة الالهية لا بل هى عينها على ثلاث مراتب ملك وملكوت وجبروت وكل واحدة من هذه المراتب تنقسم الى ثلاث فهى تسعة فى العدد فتأخذ ثلاثة الشهادة فتضربها فى الستة المجموعة من الحضرة الالهية والانسانية أو فى الستة الايام المقدرة التى فيها وجدت الثلاثة الحقية الثلاثة الخلقية يخرج لك ثمانية عشر وهو وجود الملك وكذلك تعمل فى الحق بهذه المثابة فالحق له تسعة افلاك للالقاء والانسان له تسعة أفلاك للتلقى فتمتد من كل حقيقة من التسعة الحقية رقائق الى التسعة الخلقية وتنعطف من التسعة الخلقية رقائق على التسعة الحقية فحيثما اجتمعت كان الملك ذلك الاجتماع وحدث هناك فذلك الامر الزائد الذى حدث هو الملك فان أراد أن يميل بكله نحو التسعة الواحدة جذبته الاخرى فهو يتردد ما بينهما جبريل ينزل من حضرة الحق على النبى عليه السلام وان حقيقة الملك لا يصح فيها الميل فانه منشأ الاعتدال بين التسعتين والميل انحراف ولا انحراف عنده ولكنه يتردد بين الحركة المنكوسة والمستقيمة وهو عين الرقيقة فان جاءه وهو فاقد فالحركة منكوسة ذاتية وعرضية وان جاءه وهو واجد فالحركة مستقيمة عرضية لا ذاتية وان رجع عنه وهو فاقد فالحركة ذاتية وعرضية وان رجع عنه وهو واجد فالحركة منكوسة عرضية لا ذاتية وقد تكون الحركة من العارف مستقيمة أبدا ومن العابد منكوسة أبدا وسيأتى الكلام عليها فى داخل الكتاب وانحصارها فى ثلاث منكوسة وأفقية ومستقيمة ان شاء الله فهذه نكت غيبية عجيبة ثم أرجع وأقول ان التسعة هى سبعة وذلك ان عالم الشهادة هو فى نفسه برزخ فذلك واحد وله ظاهر فذلك اثنان وله باطن فذلك ثلاثة ثم عالم الجبروت برزخ فى نفسه فذلك واحد وهو الرابع ثم له ظاهر وهو باطن عالم الشهادة ثم له باطن وهو الخامس ثم بعد ذلك عالم الملكوت هو فى نفسه برزخ وهو السادس ثم له ظاهر وهو باطن عالم الجبروت وله باطن وهو السابع وما ثم غير هذا وهذه صورة السبعية والتسعية فتأخذ الثلاثة وتضربها فى السبعة فيكون الخارج أحدا وعشرين فتخرج الثلاثة الانسانية فتبقى ثمانية عشر وهو مقام الملك وهى الافلاك التى منها يتلقى الانسان الموارد وكذلك تفعل بالثلاثة الحقية تضربها أيضا فى السبعة فتكون عند ذلك الافلاك التى منها يلقى الحق على عبده ما يشاء من الواردات فان أخذناها من جانب الحق قلنا أفلاك الالقاء وان أخذناها من جانب الانسان قلنا أفلاك التلقى وان أخذناها منهما معا جعلنا تسعة الحق للالقاء والأخرى للتلقى وباجتماعهما حدث الملك ولهذا أوجد الحق تسعة افلاك السموات السبع والكرسى والعرش وان شئت قلت فلك الكواكب والفلك الاطلس وهو الصحيح ﴿تتميم﴾ منعنا فى أول هذا الفصل أن يكون للحرارة والرطوبة فلك ولم نذكر السبب فلنذكر منه طرفا

في هذا الباب حتى نستوفيه في داخل الكتاب ان شاء الله تعالى وسأذكر في هذا الباب بعد هذا التتميم ما يكون من الحروف حارا رطبا وذلك لانه دار به فلك غير الفلك الذي ذكرناه في أول الباب فاعلم ان الحرارة والرطوبة هي الحياة الطبيعية فلو كان لها فلك كالاخوانها في المزجة لانقضت دورة ذلك الفلك وزال سلطانه كما يظهر في الحياة العرضية وكانت تنعدم أو تنتقل وحقيقتها تقضي بأن لا تنعدم فليس لها فلك ولهذا أنبأنا الباري تعالى ان الدار الآخرة هي الحيوان وان كل شئ يسبح بحمده فصار فلك الحياة الابدية الحياة الازلية عندها وليس لها فلك فتنقضي دورته فالحياة الازلية ذاتية للحي لا يصح لها انقضاء فالحياة الابدية المعلولة بالحياة الازلية لا يصح لها انقضاء ألا ترى الارواح لما كانت حياتها ذاتية لها لم يصح فيها موت البتة ولما كانت الحياة في الاجسام بالعرض قام بها الموت والفناء فان حياة الجسم الظاهرة من آثار حياة الروح كنور الشمس الذي في الارض من الشمس فاذا مضت الشمس تبعها نورها وبقيت الارض مظلمة كذلك الروح اذا رحل عن الجسم الى عالمه الذي جاء منه تبعته الحياة المنتشرة منه في الجسم الحي وبقي الجسم في صورة الجماد في رأي العين فيقال مات فلان وتقول الحقيقة رجع الى أصله منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى كما رجع أيضا الروح الى أصله حتى البعث والنشور يكون من الروح تجل للجسم بطريق العشق فتلتئم أجزاؤه وتتركب أعضاؤه بحياة لطيفة جدا تحرك الاعضاء للتأليف اكتسبته من التفات الروح فاذا استوت البنية وقامت النشأة الترابية تجلى له الروح بالرقيقة الاسرافيلية في الصور المحيط فتسري الحياة في أعضائه فيقوم شخصا سويا كما كان أول مرة ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها كما بدأكم تعودون قل يحييها الذي أنشأها أول مرة فما شقي واما سعيد واعلم أن في امتزاج هذه الاصول عجائب فان الحرارة والبرودة ضدان فلا يمتزجان واذا لم يمتزجا لم يكن عنهما شئ وكذلك الرطوبة واليبوسة وانما يمتزج ضد الضد بضد الضد الآخر فلا يتولد عنها أبدا الا أربعة لانها أربعة ولهذا كانت اثنان ضدين لاثنين فلو لم تكن على هذا لكان التركيب منها أكثر مما تعطيه حقائقها ولا يصح أن يكون التركيب أكثر من أربعة أصول فان الاربعة هي أصول العدد فالثلاثة التي في الاربعة مع الاربعة سبعة والاثنان التي فيها مع هذه السبعة تسعة والواحد الذي في الاربعة مع هذه التسعة عشرة وركب ما شئت بعد هذا وما تجد عددا يعطيك هذا الا الاربعة كما لا تجد عددا تاما الا الستة لان فيها النصف والسدس والثلث فامتزجت الحرارة واليبوسة فكان النار والحرارة والرطوبة فكان الهواء والبرودة والرطوبة فكان الماء والبرودة واليبوسة فكان التراب فانظر في تكون الهواء عن الحرارة والرطوبة وهو النفس الذي هو الحياة الحسية وهو المحرك لكل شئ بنفسه للماء والارض والنار وبحركته تتحرك الاشياء لانه الحياة اذ كانت الحركة أثر الحياة فهذه الاربعة الاركان المولدة عن الامهات الاول ثم اعلم ان تلك الامهات الاول تعطي في المركبات حقائقها لاغير من غير امتزاج فالتسخين عن الحرارة لا يكون عن غيرها وكذلك التجفيف والتقبض عن اليبوسة فاذا رأيت النار قد أيبست المحل من الماء فلا تتخيل ان الحرارة جففته فان النار مركبة من حرارة ويبوسة كما تقدم فبالحرارة التي فيها أسخن الماء وباليبوسة وقع التجفيف وكذلك التليين لا يكون الا عن الرطوبة والتبريد عن البرودة فالحرارة تسخن والبرودة تبرد والرطوبة تلين واليبوسة تجفف فهذه الامهات متنافرة لا تجتمع أبدا الا في الصورة ولكن على حسب ما تعطيه حقائقها ولا يوجد منها في صورة أبدا واحد لكن يوجد اثنان اما حرارة ويبوسة كما تقدم من تركيبها وأما أن توجد الحرارة وحدها فلا لانها لا يكون عنها على انفرادها الاهي (وصل) فان الحقائق على قسمين حقائق توجد مفردات في العقل كالحياة والعلم والنطق والحس وحقائق توجد بوجود التركيب كالسماء والعالم والانسان والحجر فان قلت فما السبب الذي جمع هذه الامهات المتنافرة حتى ظهر من امتزاجها ما ظهر فهنا سر عجيب ومركب صعب محرم كشفه لانه لا يطاق حمله لان العقل لا يعقله ولكن الكشف يشهده فلنسكت عنه وربما نشير اليمن به في مواضع من كتابي هذا يتفطن اليه الباحث اللبيب ولكن أقول أراد المختار سبحانه أن يؤلفها لما سبق في علمه خلق العالم وانها أصل أكثره وأصله ان شئت فألفها ولم تكن موجودة في أعيانها ولكن أوجدها مؤلفة لم

يوجدها مفردة ثم جمعها فان حقائقها تأبى ذلك فأوجد الصورة التي هي عبارة عن تأليف حقيقتين من هذه الحقائق فصارت كأنها كانت موجودة متفرقة ثم ألفت فظهرت للتأليف حقيقة لم تكن في وقت الافتراق فالحقائق تعطى ان هذه الامهات لم يكن لها وجود في عينها البتة قبل وجود الصور المركبة عنها اولها أوجد هذه الصور التي هي الماء والنار والهواء والارض وجعلها سبحانه يستحيل بعضها الى بعض فيعود النار هواء والهواء نارا كانقلاب التاء طاء والسين صادا لان الفلك الذي وجدت عنه الامهات الاول عنها وجدت هذه الحروف فالفلك الذي وجد عنه الارض وجد عنه حرف الثاء والتاء وماعدا رأس الجيم ونصف تعريقة اللام ورأس الخاء وثلثا الهاء والدال اليابسة والنون والميم والفلك الذي وجد عنه الماء وجد عنه حرف الشين والغين والطاء والحاء والضاد ورأس الباء بالنقطة الواحدة ومدة جسد القاف دون رأسها ورأس القاف وشئ من تعريقه ونصف دائرة الظاء المعجمة الاسفل والفلك الذي وجد عنه الهواء وجد عنه طرف الهاء الاخير الذي يعقد دائرتها ورأس الفاء وتعريق الخاء على حكم نصف الدائرة ونصف دائرة الظاء المعجمة الاعلى مع قائمته وحرف الذال والعين والزاي والصاد والواو والفلك الذي وجد عنه النار وجد عنه حرف الهمزة والكاف والباء والسين والراء ورأس الجيم وجسد الياء باثنتين من أسفل دون رأسها ووسط اللام وجسد القاف دون رأسه وعن حقيقة الالف صدرت هذه الحروف كلها وهو فلكها روحا وحسا وكذلك ثم موجود خامس هو أصل هذه الاركان وفي هذا خلاف بين أصحاب علم الطبائع عن النظر ذكره الحكيم في الاسطقسات ولم يأت فيه بشئ يقف الناظر عنده ولم نعرف هذا من حيث قرأنا علم الطبائع على أهله وانما دخل به علىّ صاحب لي وهو في يده وكان يشتغل بتحصيل علم الطب فسألني ان أمشيه له من جهة علمنا بهذه الاشياء من جهة الكشف لا من جهة القراءة والنظر فقرأه علينا فوقفت منه على هذا الخلاف الذي أشرت اليه فمن هناك علمته ولولا ذلك ماعرفت هل خالف فيه أحد أم لا فانه ماعندنا فيه الا الشئ الحق الذي هو عليه وما عندنا خلاف فان الحق تعالى الذي نأخذ العلوم عنه بخلوّ القلب عن الفكر والاستعداد لقبول الواردات هو الذي يعطينا الامر على أصله من غير اجمال ولا حيرة فنعرف الحقائق على ماهي عليه سواء كانت المفردات أو الحادثة بحدوث التأليف أو الحقائق الالهية لا نمترى في شئ منها فمن هناك هو علمنا والحق سبحانه معلمنا ورثا نبويا محفوظا معصوما من الخلل والاجمال والظاهر قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له فان الشعر محل الاجمال والرموز والالغاز والتورية أي مارمزنا له شيأ ولا لغزناه ولا خاطبناه بشئ ونحن نريد شيأ آخر ولا أجملنا له الخطاب ان هو الا ذكر لما شاهده حين جذبناه وغيبناه عنه وأحضرناه بنا عندنا فكنا سمعه وبصره ثم رددناه اليكم لتهتدوا به في ظلمات الجهل والكون فكنا لسانه الذي يخاطبكم به ثم أنزلنا عليه مذكرا بذكره بما شاهده فهو ذكر له لذلك وقرآن أي جمع أشياء كان شاهدها عندنا مبين ظاهر له لعلمه بأصل ماشاهده وعاينه في ذلك التقريب الانزه الاقدس الذي ناله منه صلى الله عليه وسلم ولنا منه من الحظ على قدر صفاء المحل والتهيؤ والتقوى فمن علم ان الطبائع والعالم المركب منها في غاية الافتقار والاحتياج الى الله تعالى في وجود أعيانها وتأليفها علم أن السبب هو حقائق الحضرة الالهية الاسماء الحسنى والاوصاف العلى كيف تشاء على حسب ما تعطيه حقائقها وقد بينا هذا الفصل على الاستيفاء في كتاب انشاء الجداول والدوائر وسنذكر من ذلك طرفا في هذا الكتاب فهذا هو سبب الاسباب القديم الذي لم يزل مؤلف الامهات ومولد البنات فسبحانه سبحانه خالق الارض والسموات ﴿وصل﴾ انتهى الكلام المطلوب في هذا الكتاب على الحروف من جهة المكان والمكانين وحظها منهم وحركتها في الافلاك السماوية المضاعفة وعينا سني دورتها في تلك الافلاك وحظها من الطبيعة من حركة تلك الافلاك ومراتبها الأربعة في المكان والمكانين على حسب فهم العامة ولهذا كانت افلاك بسائطها على نوعين فالبسائط التي يقتصر بها على حقائق عامة العقلاء على أربعة حروف الحق التي عن الافلاك السبعية وحروف الانس عن الثمانية وحروف الملك عن التسعة وحروف الجن الناري عن العشرة وليس ثم قسم زائد عندهم لقصورهم عن ادراك ماثم لانهم تحت قهر عقولهم والمحققون تحت قهر سيدهم الملك الحق سبحانه وتعالى فلهذا عندهم من الكشف

ماليس عنده الغير فبسائط المحققين على ست مراتب مرتبة للمكلف الحق تعالى وهى النون وهى ثنائية فان الحق لا نعلمه الا منا وهو معبودنا ولا يعلم على الكمال الا بنا فلهذا كان له النون التى هى ثنائية فان بسائطها اثنان الواو والالف فالالف له والواو لمنا لك وما فى الوجود غير الله وأنت اذا أنت الخليفة ولهذا الالف عام والواو ممتزجة كما سيأتى ذكرها فى هذا الباب ودورة هذه الفلك المخصوصة التى بها تقطع الفلك المحيط الكلى" دورة جامعة تقطع الفلك الكلى" فى اثنين وثمانين ألف سنة وتقطع فلك الواو والفلك الكلى" فى عشرة آلاف سنة على ما نذكرها بعد فى هذا الباب عند كلامنا على الحروف مفردة وحقائقها وما بقى من المراتب فعلى عدد المكلفين وأما المرتبة الثانية فهى للانسان وهو أكمل المكلفين وجودا وأتمه وأتمه خلقا وأقومه ولها حرف واحد وهى الميم وهى ثلاثية وذلك ان بسائطها ثلاثة الياء والالف والهمزة وسيأتى ذكرها فى داخل الباب ان شاء الله وأما المرتبة الثالثة فهى للجن مطلقا النورى والنارى وهى رباعية ولها من الحروف الجيم والواو والكاف والقاف وسيأتى ذكرها وأما المرتبة الرابعة فهى للبهائم وهى خماسية لها من الحروف الدال اليابسة والزاى والصاد اليابسة والعين اليابسة والضاد المعجمة والسين اليابسة والذال المعجمة والغين والشين المعجمتان وسيأتى ذكرها ان شاء الله وأما المرتبة الخامسة فهى للنبات وهى سداسية لها من الحروف الالف والهاء واللام وسيأتى ذكرها ان شاء الله وأما المرتبة السادسة فهى للجماد وهى سباعية لها من الحروف الباء والحاء والطاء والياء والفاء والراء والتاء والثاء والخاء والظاء وسيأتى ذكرها ان شاء الله والغرض فى هذا الكتاب اظهار لمع ولوائح اشارات من أسرار الوجود ولو فتحنا الكلام على سرائر هذه الحروف وما تقتضيه حقائقها لكلت اليمين وحفى القلم وجف المداد وضاقت القراطيس والالواح ولو كان الرق المنشور فانها من الكلمات التى قال الله تعالى فيها لو كان البحر مدادا وقال ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله وهنا سر" واشارة عجيبة لمن تفطن لها وعثر على هذه الكلمات فلو كانت هذه العلوم نتيجة عن فكر ونظر لانحصر الانسان فى أقرب مدة ولكنها موارد الحق تعالى تتوالى على قلب العبد وأرواحه البررة تنزل عليهم من عالم غيبه برحمته التى من عنده وعلمه الذى من لدنه والحق تعالى وهاب على الدوام فياض على الاستمرار والمحل قابل على الدوام فاما يقبل الجهل واما يقبل العلم فان استعد وتهيأ وصفى مرآة قلبه وجلاها حصل له الوهب على الدوام ويحصل له فى اللحظة ما لا يقدر على تقييده فى أزمنة لاتساع ذلك الفلك المعقول وضيق هذا الفلك المحسوس فكيف ينقضى ما لا يتصور له نهاية ولا غاية يقف عندها وقد صرح بذلك فى أمره لرسوله عليه السلام وقل رب زدنى علما والمراد بهذه الزيادة من العلم المتعلق بالاله ليزيد معرفة بتوحيد الكثرة فتزيد رغبته فى تحميده فيزاد فضلا على تحميده دون انتهاء ولا انقطاع فطلب منه الزيادة وقد حصل من العلوم والاسرار ما لم يبلغه أحد ومما يؤيد ما ذكرناه من انه أمر بالزيادة من علم التوحيد لا من غيره انه كان صلى الله عليه وسلم اذا أكل طعاما قال اللهم" بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه واذا شرب لبنا قال اللهم" بارك لنا فيه وزدنا منه لانه أمر بطلب الزيادة فكان يتذكر عند ما يرى اللبن اللبن الذى شربه ليلة الاسراء فقال له جبريل أصبت الفطرة أصاب الله بك أمتك والفطرة علم التوحيد التى فطر الله الخلق عليها حين أشهدهم حين قبضهم من ظهورهم ألست بربكم قالوا بلى فشاهدوا الربوبية قبل كل شئ ولهذا تأوّل صلى الله عليه وسلم اللبن لما شربه فى النوم وناول فضله عمر قيل ما أوّلته يا رسول الله قال العلم فلولا حقيقة مناسبة بين العلم واللبن جامعة ما ظهر بصورته فى عالم الخيال عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله فمن كان يأخذ عن الله لا عن نفسه كيف يتهى كلامه أبدا فشتان بين مؤلف يقول حدثنى فلان رحمه الله عن فلان رحمه الله وبين من يقول حدثنى قلبى عن ربى وان كان هذا رفيع القدر فشتان بينه وبين من يقول حدثنى ربى عن ربى أى حدثنى ربى عن نفسه وفيه اشارة الاوّل الرب المعتقد والثانى الرب الذى لا يتقيد فهو بواسطة لا بواسطة وهذا هو العلم الذى يحصل للقلب من المشاهدة الذاتية التى منها يفيض على السر والروح والنفس فمن كان هذا مشربه كيف يعرف مذهبه فلا تعرفه حتى تعرف الله وهو لا يعرف تعالى من جميع وجوه المعرفة كذلك هذا لا يعرف فان العقل لا يدرى أين هو فان مطلبه

الاكوان بلا كون لهذا كما قيل

ظهرت لما أبقيت بعد فنائه * فكان بلا كون لانك كنته

فالحمد لله الذى جعلنى من أهل الالقاء والتلقى فنسأله سبحانه أن يجعلنا واياكم من أهل التدانى والترقى ثم ارجع وأقول ان فصول حروف المعجم تزيد على أكثر من خمسمائة فصل وفى كل فصل مراتب كثيرة فتركنا الكلام عليها حتى نستوفيه فى كتاب المبادى والغايات ان شاء الله ولنقتصر منها على ما لا بد من ذكره بعد ما نسمى من مراتبها ما يليق بكتابنا هذا وربما نتكلم على بعضها او بعد ذلك نأخذها حرفا حرفا حتى تكمل الحروف كلها ان شاء الله ثم نتبعها باشارات من أسرار تعانق اللام بالالف ولزومه اياه وما السبب لهذا التعشق الروحانى بينهما خاصة حتى ظهر ذلك فى عالم الكتابة والرقم فان فى ارتباط اللام بالالف سرا لا ينكشف الالمن أقام الالف من رقدتها وحل اللام من عقدتها والله يرشدنا واياكم لعمل صالح يرضاه منا انتهى الجزء الرابع والحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ذكر بعض مراتب الحروف)

اعلم وفقنا الله واياكم ان الحروف أمة من الامم مخاطبون ومكلفون وفيهم رسل من جنسهم ولهم أسماء من حيث هم ولا يعرف هذا الا أهل الكشف من طريقنا وعالم الحروف أفصح العالم لسانا وأوضحه بيانا وهم على أقسام كاقسام العالم المعروف فى العرف فمنهم عالم الجبروت عند أبى طالب المكى ونسميه نحن عالم العظمة وهو الهاء والهمزة ومنهم العالم الاعلى وهو عالم الملكوت وهو الحاء والخاء والعين والغين ومنهم العالم الوسط وهو عالم الجبروت عندنا وعند أكثر أصحابنا وهو التاء والثاء والجيم والدال والذال والراء والزاى والظاء والكاف واللام والنون والصاد والضاد والقاف والسين والشين والياء الصحيحة ومنهم العالم الاسفل وهو عالم الملك والشهادة وهو الباء والميم والواو الصحيحة ومنهم العالم الممتزج بين عالم الشهادة والعالم الوسط وهو الفاء ومنهم عالم الامتزاج بين عالم الجبروت الوسط وبين عالم الملكوت وهو الكاف والقاف وهو امتزاج المرتبة ويمازجهم فى الصفة الروحانية الطاء والظاء والصاد والضاد ومنهم عالم الامتزاج بين عالم الجبروت الاعظم وبين الملكوت وهو الحاء المهملة ومنهم العالم الذى يشبه العالم منا الذين لا يتصفون بالدخول فينا ولا بالخروج عنا وهو الالف والياء والواو المعتلتان فهؤلاء عوالم ولكل عالم رسول من جنسهم ولهم شريعة تعبدوا بها ولهم لطائف وكثائف وعليهم من الخطاب الامر ليس عندهم نهى وفيهم عامة وخاصة وخاصة الخاصة وصفا خلاصة خاصة الخاصة فالعامة منهم الجيم والضاد والخاء والدال والغين والشين ومنهم خاصة الخاصة وهو الالف والياء والباء والسين والكاف والطاء والقاف والتاء والواو والصاد والحاء والنون واللام والغين ومنهم خلاصة خاصة الخاصة وهو الباء ومنهم الخاصة التى فوق العامة بدرجة وهو حروف أوائل السور مثل الم والمص وهى أربعة عشر حرفا الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون ومنهم حروف صفاء خلاصة خاصة الخاصة وهو النون والميم والراء والباء والدال والزاى والالف والطاء والياء والواو والهاء والظاء والثاء واللام والفاء والسين ومنهم العالم المرسل وهو الجيم والحاء والخاء والكاف ومنهم العالم الذى تعلق بالله وتعلق به الخلق وهو الالف والدال والذال والراء والزاى والواو وهو عالم التقديس من الحروف الكروبيين ومنهم العالم الذى غلب عليه التخلق بأوصاف الحق وهو التاء والثاء والخاء والذال والزاى والظاء المعجمة والنون والضاد المعجمة والغين المعجمة والقاف والشين المعجمة والفاء عند أهل الانوار ومنهم العالم الذى قد غلب عليهم التحقق وهو الباء والفاء عند أهل الاسرار والجيم ومنهم العالم الذى قد تحقق بمقام الاتحاد وهو الالف والحاء والدال والراء والطاء اليابسة والكاف واللام

والميم والصاد اليابسة والعين والسين اليابستان والهاء والواو الآتى أقول انهم على مقامين فى الاتحاد عال وأعلى فالعالى الالف والكاف والميم والعين والسين والاعلى مابقى ومنهم العالم الممتزج الطبائع وهو الجيم والهاء والياء واللام والفاء والقاف والخاء والظاء خاصة وأجناس عوالم الحروف أربعة جنس مفرد وهو الالف والكاف واللام والميم والهاء والنون والواو وجنس ثنائى مثل الدال والذال وجنس ثلاثى مثل الجيم والحاء والخاء وجنس رباعى وهو الباء والتاء والثاء والياء فى وسط الكلمة والنون كذلك فهو خماسى بهذا الاعتبار وان لم تعتبرهما فتكون الباء والتاء والثاء من الجنس الثلاثى ويسقط الجنس الرباعى فبهذا قد قصصنا عليك من عالم الحروف ما ان استعملت نفسك فى الامور الموصلة الى كشف العالم والاطلاع على حقائقه وتحقق قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فلو كان تسبيح حال كما زعم بعض علماء النظر لم تكن فائدة فى قوله ولكن لا تفقهون وصلت اليها ووقفت عليها وكنت قد ذكرت انه ربما أتكلم على بعضها فنظرت فى هؤلاء العالم ما يمكن فيه بسط الكلام أكثر من غيره فوجدناه العالم المختص وهو عالم أوائل السور المجهولة مثل الم البقرة والمص والر يونس واخواتها فلنتكلم على الم البقرة التى هى أول سورة مبهمة فى القرآن كلاما مختصرا من طريق الاسرار وربما ألحق بذلك الآيات التى تليها وان كان ذلك ليس من الباب ولكن فعلته عن أمر ربى الذى عهدته فلا أتكلم الا على طريق الاذن كما أنى سأقف عند ما يحد لى فان تأليفنا هذا وغيره لا يجرى مجرى التواليف ولا نجرى نحن فيه مجرى المؤلفين فان كل مؤلف انما هو تحت اختياره وان كان مجبورا فى اختياره أو تحت العلم الذى يبثه خاصة فيلقى ما يشاء ويمسك ما يشاء أو يلقى ما يعطيه العلم وتحكم عليه المسئلة التى هو بصددها حتى تبرز حقيقتها ونحن فى تواليفنا لسنا كذلك انما هى قلوب عاكفة على باب الحضرة الالهية مراقبة لما ينفتح له الباب فقيرة خالية من كل علم لو سئلت فى ذلك المقام عن شئ ما سمعت لفقدها احساسها فمهما برز لها من وراء ذلك الستر أمر ما بادرت لامتثاله وألفته على حسب ما يحد لها فى الامر فقد يلقى الشئ الى ما ليس من جنسه فى العادة والنظر الفكرى وما يعطيه العلم الظاهر والمناسبة الظاهرة للعلماء لمناسبة خفية لا يشعر بها الا أهل الكشف بل ثم ما هو أغرب عندنا انه يلقى الى هذا القلب أشياء يؤمر بايصالها وهو لا يعلمها فى ذلك الوقت لحكمة الهية غابت عن الخلق فلهذا لا يتقيد كل شخص يؤلف عن الالقاء بعلم ذلك الباب الذى يتكلم عليه ولكن يدرج فيه غيره فى علم السامع العادى على حسب ما يلقى اليه ولكنه عندنا قطعا من نفس ذلك الباب بعينه لكن بوجه لا يعرفه غيرنا مثل الحمامة والغراب اللذين اجتمعا لعرج قام بأرجلهما وقد أذن لى فى تقييد ما ألقيه بعد هذا فلا بد منه ﴿وصل﴾ الكلام على هذه الحروف المجهولة المختصة على عدد حروفها بالتكرار وعلى عدد حروفها بغير تكرار وعلى جانها فى السور وعلى افرادها فى ص وق ون وتثنيتها فى طس وطه وأخواتها وجمعها من ثلاثة فصاعدا حتى بلغت خمسة حروف متصلة ومنفصلة ولم تبلغ أكثر ولم وصل بعضها وقطع بعضها ولم كانت السور بالسين ولم تكن بالصاد ولم جهل معنى هذه الحروف عند علماء الظاهر وعند كشف أهل الاحوال الى غير ذلك مما ذكرناه فى كتاب الجمع والتفصيل فى معرفة معانى التنزيل فلنقل على بركة الله والله يقول الحق وهو يهدى السبيل (اعلم) ان مبادى السور المجهولة لا يعرف حقيقتها الا أهل الصور المعقولة ثم جعل سور القرآن بالسين وهو التعبد الشرعى وهو ظاهر السور الذى فيه العذاب وفيه يقع الجهل بها وباطنه بالصاد وهو مقام الرحمة وليس الا العلم بحقائقها وهو التوحيد فجعلها تبارك وتعالى تسعا وعشرين سورة وهو كمال الصورة والقمر قدرناه منازل والتاسع والعشرون القطب الذى به قوام الفلك وهو علة وجوده وهو سورة آل عمران الم الله ولولا ذلك ما ثبتت الثمانية والعشرون وجملتها على تكرار الحروف ثمانية وسبعون حرفا فالثمانية حقيقة البضع قال عليه السلام الايمان بضع وسبعون وهذه الحروف ثمانية وسبعون حرفا فلا يكمل عبد أسرار الايمان حتى يعلم حقائق هذه الحروف فى سورها (فان قلت) ان البضع مجهول فى اللسان فانه من واحد الى تسعة فمن أين قطعت بالثمانية عليه فان شئت قلت لك من طريق الكشف وصلت اليه فهو الطريق الذى عليه

أسلك والركن الذي اليه استند في علومي كلها وان شئت أبديت لك منه طرفا من باب العدد وان كان أبو الحكم عبد السلام بن برجان لم يذكره في كتابه من هذا الباب الذي نذكره وانما ذكره رحمه الله من جهة علم الفلك وجعله سترا على كشفه حين قطع بفتح بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فكذلك ان شئنا نحن كشفناه وان شئنا جعلنا العدد على ذلك حجابا فنقول ان البضع الذي في سورة الروم ثمانية وخذ عدد حروف الم بالجزم الصغير فتكون ثمانية فتجمعها الى ثمانية البضع فتكون ستة عشر فتزيل الواحد الذي للالف للاس فيبقى خمسة عشر فتمسكها عندك ثم ترجع الى العمل في ذلك بالجمل الكبير وهو الجزم فتضرب ثمانية البضع في أحد وسبعين واجعل ذلك كله سنين يخرج لك في الضرب خمسمائة وثمانية وستون فتضيف اليها الخمسة عشر التي أمرتك ان ترفعها فتصير ثلاثة وثمانين وخمسمائة سنة وهو زمان فتح بيت المقدس على قراءة من قرأ غلبت الروم بفتح الغين واللام سيغلبون بضم الياء وفتح اللام وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة كان ظهور المسلمين في أخذ حصن الكفار وهو فتح بيت المقدس ولنا في علم العدد من طريق الكشف أسرار عجيبة من طريق ما يقتضيه طبعه ومن طريق ماله من الحقائق الالهية وان طال بنا العمر فسأفرد لمعرفة العدد كتابا ان شاء الله فلنرجع الى ما كنا بسبيله فنقول فلا يكمل عبد الاسرار التي تتضمنها شعب الايمان الا اذا علم حقائق هذه الحروف على حسب تكرارها في السور كما انه اذا علمها من غير تكرار علم تنبيه الله فيها على حقيقة الايجاد وتفرد القديم سبحانه بصفاته الازلية فأرسلها في قرآنه أربعة عشر حرفا مفردة مبهمة فجعل الثمانية لمعرفة الذات والسبع الصفات منها وجعل الاربعة للطبائع المؤلفة التي هي الدم والسوداء والصفراء والبلغم فجاءت اثنى عشر موجودة وهذا هو الانسان من هذا الفلك ومن فلك آخر يتركب من أحد عشر ومن عشرة ومن تسعة ومن ثمانية حتى الى فلك الاثنين ولا يتحلل الى الاحدية أبدا فانها مما انفرد بها الحق فلا تكون لموجود الا له ثم انه سبحانه جعل أولها الألف في الخط والهمزة في اللفظ وآخرها النون فالالف لوجود الذات على كمالها لانها غير مفتقرة الى حركة والنون لوجود الشطر من العالم وهو عالم التركيب وذلك نصف الدائرة الظاهرة لنا من الفلك والنصف الآخر النون المعقولة عليها التي لو ظهرت للحس وانتقلت من عالم الروح لكانت دائرة محيطة ولكن أخفى هذه النون الروحانية الذي بها كمال الوجود وجعلت نقطة النون المحسوسة دالة عليها فالالف كاملة من جميع وجوهها والنون ناقصة فالشمس كاملة والقمر ناقص لانه محو فصفة ضوئه معارة وهي الامانة التي حملها وعلى قدر محوه وسراره اثباته وظهوره ثلاثة لثلاثة فثلاثة غروب القمر القلبي الالهي في الحضرة الاحدية وثلاثة طلوع قمر القلب الالهي في الحضرة الربانية وما بينهما في الخروج والرجوع قدما بقدم لا يختل أبدا ثم جعل سبحانه هذه الحروف على مراتب منها موصول ومنها مقطوع ومنها مفرد ومثنى ومجموع ثم نبه ان في كل وصل قطعا وليس في كل قطع وصل فكل وصل يدل على فصل وليس كل فصل يدل على وصل فالوصل والفصل في الجمع وغير الجمع والفصل وحده في عين الفرق فما أفرده من هذه فاشارة الى فناء رسم العبد أزلا وما ثناه فاشارة الى وجود رسم العبودية حالا وما جمعه فاشارة الى الابد بالموارد التي لا تتناهى فالافراد للبحر الازلي والجمع للبحر الابدي والمثنى للبرزخ المحمدي الانساني مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان هل بالبحر الذي أوصله به فأفناه عن الاعيان أو بالبحر الذي فصله عنه وسماه بالاكوان أو بالبرزخ الذي استوى عليه الرحمن فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج من بحر الازل اللؤلؤ ومن بحر الابد المرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجواري الروحانية المنشآت من الحقائق الاسمائية في البحر الذاتي الأقدسي كالاعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان يسأله العالم العلوي على علوه وقدسه والعالم السفلي على نزوله ونحسه كل خطرة في شأن فبأي آلاء ربكما تكذبان كل من عليها فان وان لم تنعدم الاعيان ولكنها رحلة من دنا الى دان فبأي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ منكم اليكم أيها الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان فهكذا لو اعتبر القرآن ما اختلف اثنان ولا ظهر خصمان ولا تناطح عنزان فتدبروا آياتكم ولا تخرجوا عن ذاتكم فان كان ولا بد فالى صفاتكم فانه اذا سلم العالم من نظركم وتدبيركم كان على الحقيقة تحت تسخيركم ولهذا خلق قال

تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه والله يرشدنا واياكم الى ما فيه صلاحنا وسعادتنا فى الدنيا والآخرة انه ولىّ كريم ﴿وصل﴾ الالف من الم اشارة الى التوحيد والميم للملك الذى لا يهلك واللام بينهما واسطة لتكون رابطة بينهما فانظر الى السطر الذى يقع عليه الخط من اللام فتجد الالف اليه ينتهى أصلها وتجد الميم منه يبتدئ نشوها ثم تنزل من أحسن تقويم وهو السطر الى أسفل سافلين منتهى تعريق الميم قال تعالى خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين ونزول الالف الى السطر مثل قوله ينزل ربنا الى السماء الدنيا وهو أول عالم التركيب لانه سماء آدم عليه السلام ويليه فلك النار فلذلك نزل الى أول السطر فانه نزل من مقام الاحدية الى مقام ايجاد الخليقة نزول تقديس وتنزيه لا نزول تمثيل وتشبيه وكانت اللام واسطة وهى نائبة مناب المكوّن والكون فهى القدرة التى عنها وجد العالم فأشبهت الالف فى النزول الى أول السطر ولما كانت ممتزجة من المكوّن والكون فانه لا يتصف بالقدرة على نفسه وانما هو قادر على خلقه فكان وجه القدرة مصروفا الى الخلق وهذا لا يثبت للخالق الا بالخلق فلا بد من تعلقها بهم علوا وسفلا ولما كانت حقيقتها لا تتم بالوصول الى السطر فتكون والالف على مرتبة واحدة طلبت بحقيقتها النزول تحت السطر أو على السطر كما نزل الميم فنزلت الى ايجاد الميم ولم يمكن ان تنزل على صورة الميم فكان لا يوجد عنها أبدا الا الميم فنزلت نصف دائرة حتى بلغت الى السطر من غير الجهة التى نزلت منها فصارت نصف فلك محسوس يطلب نصف فلك معقول فكان منهما فلك دائر فتكوّن العالم كله من أوله الى آخره فى ستة أيام أجناسا من أول يوم الاحد الى آخر يوم الجمعة وبقى يوم السبت للانتقالات من حال الى حال ومن مقام الى مقام والاستحالات من كون الى كون ثابت على ذلك لا يزول ولا يتغير ولذلك كان الوالى على هذا اليوم البرد واليبس وهو من الكواكب زحل فصار الم وحده فلكا محيطا من دار به علم الذات والصفات والافعال والمفعولات فمن قرأ الم بهذه الحقيقة والكشف حضر بالكل للكل مع الكل فلا يبقى شئ فى ذلك الوقت الا يشهده لكن منه ما يعلم ومنه ما لا يعلم فتنزه الالف عن قيام الحركات بها يدل أن الصفات لا تعقل الا بالافعال كما قال عليه السلام كان الله ولا شئ معه وهو على ما عليه كان فلهذا اصرفنا الامر الى ما يعقل لا الى ذاته المنزهة فان الاضافة لا تعقل أبدا الا بالمتضايفين فان الابوة لا تعقل الا بالاب والابن وجودا وتقديرا وكذلك المالك والخالق والبارئ والمصوّر وجميع الاسماء التى تطلب العالم بحقائقها وموضع التنبيه من حروف الم عليها فى اتصال اللام الذى هو الصفة بالميم الذى هو أثرها وفعلها فالالف ذات واحدة لا يصح فيها اتصال شئ من الحروف اذا وقعت أولا فى الخط فهى الصراط المستقيم الذى سألته النفس فى قولها اهدنا الصراط المستقيم صراط التنزيه والتوحيد فلما أمّن على دعائها ربها الذى هو الكلمة التى أمرت بالرجوع اليه فى سورة الفجر قبل تعالى تأمينه على دعائها فأظهر الالف من الم عقيب ولا الضالين وأخفى آمين لانه غيب من عالم الملكوت من وافق تأمينه تأمين الملائكة فى الغيب المتحقق الذى يسمونه العامة من الفقهاء الاخلاص وتسميه الصوفية الحضور وتسميه المحققون الهمة ونسميه أنا وأمثالنا العناية ولما كانت الالف متحدة فى عالم الملكوت والشهادة ظهرت فوقع الفرق بين القديم والمحدث فانظر فيما سطرناه تر عجبا ومما يؤيد ما ذكرناه من وجود الصفة المد الموجود فى اللام والميم دون الالف فان قال صوفىّ وجدنا الالف مخطوطة والنطق بالهمزة دون الالف فلم لا ينطق بالالف فنقول وهذا أيضا مما يعضد ما قلناه فان الالف لا تقبل الحركة فان الحرف مجهول ما لم يحرّك فاذا حرّك ميز بالحركة التى تتعلق به من رفع ونصب وخفض والذات لا تعلم أبدا على ما هى عليه فالالف الدال عليها الذى هو فى عالم الحروف خليفة كالانسان فى العالم مجهول أيضا كالذات لا تقبل الحركة فلما لم تقبلها لم يبق الا ان تعرف من جهة سلب الاوصاف عنها ولما لم يمكن النطق بساكن نطقنا باسم الالف لا بالالف فنطقنا بالهمزة بحركة الفتحة فقامت الهمزة مقام المبدع الاول وحركتها صفته العلمية ومحل ايجاده فى اتصال الكاف بالنون فان قيل وجدنا الالف التى فى اللام منطوقا بها ولم نجدها فى الالف قلنا صدقت لا يقع النطق بها الا بتحرك مشبع التحرّك قبلها موصولة به وانما كلامنا فى الالف المقطوعة التى لا يشبع الحرف الذى قبلها حركته فلا يظهر فى النطق وان رقت مثل ألف انما المؤمنون فهذان ألفان بين ميم انما وبين لام

المؤمنين موجودتان خطا غير ملفوظ بهما نطقا واعا الالف الموصولة التي تقع بعد الحرف مثل لام هاء حاء وشبهها فانه لولا وجودها ما كان المد لواحد من هذه الحروف فذها هو سر الاستمداد الذي وقع به ايجاد الصفات في محل الحروف ولهذا لا يكون المد الا بالوصل فاذا وصل الحرف بالالف من اسمه الآخر امتد الالف بوجود الحرف الموصول به ولما وجد الحرف الموصول به افتقر الى الصفة الرحمانية فأعطى حركة الفتح التي هي الفتحة فلما أعطيها طلب منه الشكر عليها فقال وكيف يكون الشكر عليها قيل له ان تعلم السامعين بان وجودك ووجود صفتك لم يكن بنفسك وانما كان من ذات القديم تعالى فاذ كره عند ذكرك نفسك فقد جملك بصفة الرحمة خاصة دليلا عليه ولهذا قال ان الله خلق آدم على صورة الرحمن فنطقت بالثناء على موجدها فقالت لام ياء هاء حاء طاء فاظهرت نطقا ما خفي خطا لان الالف التي في طه وحم وطس موجودة نطقا خفيت خطا لدلالة الصفة عليها وهي الفتحة صفة افتتاح الوجود فان قال وكذلك نجد المد في الواو المضموم ما قبلها والياء المكسور ما قبلها فهي أيضا ثلاث ذوات فكيف يكون هذا وما ثم الاذات واحدة فنقول نعم أما المد الموجود في الواو المضموم ما قبلها في مثل ن والقلم والياء المكسور ما قبلها مثل الياء من طس وياء الميم من حم فمن حيث ان الله تعالى جعلهما حرفي علة وكل علة تستدعي معلولها بحقيقتها واذا استدعت ذلك فلا بد من سر بينهما يقع به الاستمداد والامداد فلهذا اعطيت المد وذلك لما أودع الرسول الملكي الوحي لو لم يكن بينه وبين الملقى اليه نسبة ما ما قبل شيأ لكنه خفي عنه ذلك فلما حصل له الوحي ومقامه الواو لانه روحاني علوي والرفع يعطي العلو وهو باب الواو المعتلة فعبرنا عنه بالرسول الملكي الروحاني جبريل كان أو غيره من الملائكة ولما أودع الرسول البشري ما أودع من أسرار التوحيد والشرائع أعطي من الاستمداد والامداد الذي يمد به عالم التركيب وخفي عنه سر الاستمداد ولذلك قال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم وقال انما أنا بشر مثلكم ولما كان موجودا في العالم السفلي عالم الجسم والتركيب أعطيناه الياء المكسور ما قبلها المعتلة وهي من حروف الخفض فلما كانا علتين لوجود الاسرار الالهية من توحيد وشرع وهبا سر الاستمداد فلذلك مدتا وأما الفرق الذي بينهما وبين الالف فان الواو والياء قد يسلبان عن هذا المقام فيحركان بجميع الحركات كقوله ووجدك وتؤوي وولوا الادبار يتأون يغنيه انك ميت وقد يسكنان بالسكون الحي كقوله وما هو بميت وينأون وشبههما والالف لا تحرك أبدا ولا يوجد ما قبلها أبدا الا مفتوحا فاذن فلا نسبة بين الالف وبين الواو والياء فمهما حركت الواو والياء فان ذلك مقامها ومن صفاتها ومهما ألحقتا بالالف في العلية فذلك ليس من ذاتها وانما ذلك من جانب القديم سبحانه لا يحتمل الحركة ولا يقبلها ولكن ذلك من صفة المقام وحقيقته الذي نزلت به الواو والياء فنقول الالف قديم والواو والياء محركتان كانتا أو لا محركتان فهما حادثان فاذا ثبت هذا فكل ألف أو واو أو ياء ارتقمت أو حصل النطق بها فانما هي دليل وكل دليل محدث يستدعي محدثا والمحدث لا يحصره الرقم ولا النطق انما هو غيب ظاهر وكذلك يس ون فنجده نطقا وهو ظهوره ولا نجده رقما وهو غيبه وهذا سبب حصول العلم بوجود الخالق لا بذاته وبوجود ليس كمثله شيء لا بذاته واعلم أيها المتلقي انه كل ما دخل تحت الحصر فهو مبدع أو مخلوق وهو محالك فلا تطلب الحق لا من داخل ولا من خارج اذ الدخول والخروج من صفات الحدوث فانظر الكل في الكل تجد الكل فالعرش مجموع والكرسي مفروق

يا طالبا لوجود الحق يدركه * ارجع لذاتك فيك الحق فالتزم

ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فلو لم يرجعوا لوجدوا النور فلما رجعوا باعتقاد القطع ضرب بينهم بالسور والا لو عرفوا من ناداهم بقوله ارجعوا وراءكم لقالوا أنت مطلوبنا ولم يرجعوا فكان رجوعهم سبب ضرب السور بينهم فيدت جهنم فكبكبوا فيها هم والغاوون وبقي الموحدون يمدون أهل الجنان بالولدان والحور الحسان من حضرة العيان فالوزير محل صفات الامير والصفة التي انفرد بها الامير وحده هي سر التدبير الذي خرجت عنه الصفات فعلم ما يصدر له من صفته وفعله جملة ولم يعلم ذلك الوزير الا تفصيلا وهذا هو الفرق فتأمل ما قلناه تجد الحق ان شاء الله فاذا تبين هذا وتقرر أن الالف هي ذات الكلمة واللام ذات عين الصفة والميم عين الفعل وسرهم الحق هو الموجد اياهم ﴿وصل﴾

فنقول

فنقول فقوله ذلك الكتاب بعد قوله الم اشارة الى موجود بيد أن فيه بعدا وسبب البعد لما أشار الى الكتاب وهو
المفروق محل التفصيل وأدخل حرف اللام في ذلك وهي تؤذن بالبعد في هذا المقام والاشارة نداء على رأس البعد عند
أهل الله ولانها أعني اللام من العالم الوسط فهي محل الصفة اذ بالصفة تميز المحدث من القديم وخص خطاب المفرد
بالكاف مفردة لئلا يقع الاشتراك بين المبدعات وقد أشبعنا القول في هذا الفصل عندما تكلمنا على قوله تعالى اخلع
نعليك من كتاب الجمع والتفصيل أي اخلع اللام والميم تبق الالف المنزهة عن الصفات ثم حال بين الذال الذي هو
الكتاب محل الفرق الثاني و بين اللام التي هي الصفة محل الفرق الاول التي بها يقرأ الكتاب بالالف التي هي محل الجمع
لئلا يتوهم الفرق الخطاب من فرق آخر فلا يبلغ الى حقيقة أبدا فحفصل بالالف بينهما فصار حجابا بين الذال واللام
فارادت الذال الوصول الى اللام فقام لها الالف فقال بي تصل وأرادت اللام ملاقاة الذال لتؤدي اليها أمانتها فعرض
لها أيضا الالف فقال لها بي تلقاه فمهما نظرت الوجود جمعا وتفصيلا وجدت التوحيد يصحبه لا يفارقه البتة صحبة
الواحد الاعداد فان الاثنين لا توجد أبدا مالم تضف الى الواحد مثله وهو الاثنين ولا تصح الثلاثة مالم تزد واحدا على
الاثنين وهكذا الى مالا يتناهى فالواحد ليس العدد وهو عين العدد أي به ظهر العدد فالعدد كله واحد لو نقص من الالف
واحدا نعدم اسم الالف وحقيقته و بقيت حقيقة أخرى وهي تسعمائة وتسعة وتسعون لو نقص منها واحد لذهب عينها
فمتى انعدم الواحد من شيء عدم ومتى ثبت وجد ذلك الشيء هكذا التوحيد ان حققته وهو معكم أينما كنتم فقال ذا وهو
حرف مبهم فبين ذلك المبهم بقوله الكتاب وهو حقيقة ذا وساق الكتاب بحرفي التعريف والعهد وهما الالف واللام
من الم غير أنهما هاهنا من غير الوجه الذي كانتا عليه في الم فانهما هناك في محل الجمع وهما هنا في أول باب من
أبواب التفصيل ولكن من تفصيل سرأر هذه السورة خاصة لا في غيرها من السور وهكذا ترتيب الحقائق في الوجود
فذلك الكتاب هو الكتاب المرقوم لان أمهات الكتب ثلاثة الكتاب المسطور والكتاب المرقوم والكتاب المجهول
وقد شرحنا معنى الكتاب والكاتب في كتاب التدبيرات الالهية في اصلاح المملكة الانسانية في الباب التاسع منه
فانظره هناك فنقول ان الذوات وان اتحد معناها فلابد من معنى به يفرق بين الذاتين يسمى الوصف فالكتاب
المرقوم موصوف بالرقم والكتاب المسطور موصوف بالتسطير وهذا الكتاب المجهول الذي سلب عنه الصفة لا يخلو من
أحد وجهين اما أن يكون صفة ولذلك لا يوصف واما أن يكون ذاتا غير موصوفة والكشف يعطي انه صفة تسمى العلم
وقلوب كلمات الحق محله ألا تراه يقول الم تنزيل الكتاب قل أنزله بعلمه فخاطب الكاف من ذلك بصفة العلم
الذي هو اللام المخفوضة بالنزول لانه يتنزه عن ان تدرك ذاته فقال الكاف التي هي الكلمة الالهية ذلك الكتاب المنزل
عليك هو علمي لا علمك لا ريب فيه عند أهل الحقائق أنزله في معرض الهداية لمن اتقاني وأنت المنزل فأنت محله ولا بد
لكل كتاب من أم وأمه ذلك الكتاب المجهول لا تعرفه أبدا لانه ليس بصفة لك ولا لاحد ولا ذات وان شئت ان تحقق
هذا فانظر الى كيفية حصول العلم في العالم أو حصول صورة المرئي في الرائي فاست وليس غيرها فانظر الى درجات
حروف لا ريب فيه هدى للمتقين ومنازلها على حسب ما نذكره بعد الكلام الذي نحن بصدده وتدبر ما بثثته لك وحل
عقدة لام الالف من لا ريب تصير ألفان لان تعريقة اللام ظهرت صورتها في نون المتقين وذلك انتأخر الالف عن اللام
من اسمه الآخر وهي المعرفة التي تحصل للعبد من نفسه في قوله عليه السلام من عرف نفسه عرف ربه فقدم معرفة اللام
على معرفة الالف فصارت دليلا عليه ولم يمتزجا حتى يصيرا ذاتا واحدة بل بان كل واحد منهما بذاته ولهذا لا يجتمع الدليل
والمدلول ولكن وجه الدليل هو الرابط وهو موضع اتصال اللام بالالف فاضرب الالفين ا ا أحدهما في الآخر تصح
لك في الخارج ألف واحدة أو هذا حقيقة الاتصال كذلك اضرب المحدث في القديم حسا يصح لك في الخارج المحدث
ويخفى القديم بخروجه وهذا حقيقة الاتصال والاتحاد واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وهذا
نقيض اشارة الجنيد في قوله للعاطس ان المحدث اذا قورن بالقديم لم يبق له أثر لاختلاف المقام ألا ترى كيف اتصل لام
الالف من لا ريب فيه من الكرسي فبدت ذاتان لا جهل سر العقد بينهما ثم فصلها العرش عند الرجوع اليه والوصول

فصارت على هذا الشكل آل فظهرت اللام بحقيقتها لانه لم يقم بها مقام الاتصال والاتحاد من يردّها على صورته فاخرجنا نصف الدائرة من اللام التي خفيت في لام الالف الى عالم التركيب والحس فبقيت ألفان ا ا في الفرق فضربنا الواحد في الواحد وهو ضرب الشيء في نفسه فصار واحدا آ فلبس الواحد الآخر فكان الواحد رداء وهو الذي ظهر وهو الخليفة المبدع بفتح الدال وكان الآخر مرتديا وهو الذي خفي وهو القديم المبدع فلا يعرف المرتدي الا باطن الرداء وهو الجمع ويصير الرداء على شكل المرتدي فان قلت واحد صدقت وان قلت ذاتان صدقت عينا وكشفا ولله درّ من قال

رق الزجاج ورقت الخمر * فتشابها فتشاكل الامر

فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

وأما ظاهر الرداء فلا يعرف المرتدي أبدا وانما يعرف باطن ذاته وهو حجابه فكذلك لا يعلم الحق الا العلم كما لا يحمده على الحقيقة الا الحمد وأما أنت فتعلمه بوساطة العلم وهو حجابك فانك ما تشاهد الا العلم القائم بك وان كان مطابقا للمعلوم وعلمك قائم بك وهو مشهودك ومعبودك فاياك ان تقول ان جريت على اسلوب الحقائق انك علمت المعلوم وانما علمت العلم والعلم هو العالم بالمعلوم وبين العلم والمعلوم بحور لا يدرك قعرها فان سر التعلق بينهما مع تباين الحقائق بحر عسير مركبه بل لا تركبه العبارة أصلا ولا الاشارة ولكن يدركه الكشف من خلف حجب كثيرة دقيقة لا يحس بها أنها على عين بصيرته لرقتها وهي عسيرة المدرك فاحرى من خلقها فانظر أين هو من يقول اني علمت الشيء من ذلك الشيء محدثا كان أو قديما بل ذلك في المحدث واما القديم فابعد وأبعد اذ لا مثل له فمن أين يتوصل الى العلم به أو كيف يحصل وسيأتي الكلام على هذه المسئلة السنية في الفصل الثالث من هذا الباب فلا يعرف ظاهر الرداء المرتدي الا من حيث الوجود بشرط أن يكون في مقام الاستفاء ثم يزول ويرجع لانها معرفة علة لا معرفة جذب وهذه رؤية أصحاب الجنة في الآخرة وهو تجل في وقت دون وقت وسيأتي الكلام عليه في باب الجنة من هذا الكتاب وهذا هو مقام التفرقة وأمّا أهل الحقائق باطن الرداء فلا يزالون مشاهدين أبدا ومع كونهم مشاهدين فظاهرهم في كرسي الصفات ينعم بمواد بشرة الباطن نعيم اتصال وانظر الى حكمته في كون ذلك مبتدأ ولم يكن فاعلا ولا مفعولا لما لم يسم فاعله لانه لا يصح أن يكون فاعلا لقوله لا ريب فيه فلو كان فاعلا لوقع الريب لان الفاعل انما هو منزله لا هو فكيف ينسب اليه ما ليس بصفته لان مقام الدال أيضا يمنع ذلك فانه من الحقائق التي كانت ولا شيء معها ولهذا لا يتصل بالحروف اذا تقدم عليها كالالف واخوانه الدال والراء والزاي والواو ولا يقول فيه أيضا مفعول لم يسم فاعله لانه من ضرورته أن يتقدمه كلمة على بنية مخصوصة محلها النحو والكتاب هنا نفس الفعل والفعل لا يقال فيه فاعل ولا مفعول وهو مرفوع فلم يبق الا أن يكون مبتدأ ومعنى مبتدأ لم يعرف غيره من أول وهلة ألست بربكم قالوا بلى فان قيل من ضرورة كل مبتدأ ان يعمل فيه ابتداء قلنا نعم عمل فيه أم الكتاب فهي الابتداء العاملة في الكتاب والعامل في الكل حقا وخلقا الله الرب ولهذا نبه الله تبارك وتعالى بقوله أن اشكر لي ولوالديك فشرّك ثم قال الى المصير فوحد فالشكر من مقام التفرقة فكذلك ينبغي لك أن تشكر الرداء لما كان سببا موصلا الى المرتدي والمصير من الرداء ومنك الى المرتدي كل على شاكلته يصل فتفهم ما قلناه وفرّق بين مقام الدال والالف وان اشتركا في مقام الوحدانية المقدسة قبلية حالا ومقاما وبعدية مقاما لا حالا ﴿تنبيه﴾ قال ذلك ولم يقل تلك آيات الكتاب فالكتاب للجمع والآيات للتفرقة وذلك مذكر مفرد وتلك مفرد مؤنث فاشار تعالى بذلك الكتاب أوّلا لوجود الجمع أصلا قبل الفرق ثم أوجد الفرق في الآيات كما جمع العدد كله في الواحد كما قدّمناه فاذا أسقطناه انعدمت حقيقة ذلك العدد وما بقي للالف أثر في الوجود واذا أبرزناه برزت الالف في الوجود فانظر الى هذه القوّة العجيبة التي أعطتها حقيقة الواحد الذي منه ظهرت هذه الكثرة الى ما لا يتناهى وهو فرد في نفسه ذاتا واسما ثم أوجد الفرق في الآيات قال تعالى انا أنزلناه في ليلة مباركة ثم قال فيها يفرق كل أمر حكيم فبدأ بالجمع الذي هو كل شيء قال تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء في الالواح مقام الفرق من كل شيء اشارة الى الجمع موعظة وتفصيلا ردّ الى الفرق لكل شيء رد الى الجمع فكل موجود أيّ موجود كان عموما لا يخلو أن

يكون اما فى عين الجمع أو فى عين الفرق لا غير ولا سبيل ان يعرى من هاتين الحقيقتين موجود ولا يجمعهما أبدا فالحق والانسان فى عين الجمع والعالم فى عين التفرقة لا يجمع كما لا يفترق الحق أبدا كما لا يفترق الانسان فالله سبحانه لم يزل فى أزله بذاته وصفاته وأسمائه لم يتجدد عليه حال ولا ثبت له وصف من خلق العالم لم يكن قبل ذلك عليه بل هو الآن على ما كان عليه قبل وجود الكون كما وصفه صلى الله عليه وسلم حين قال كان الله ولا شئ معه و زيد فى قوله وهو الآن على ما عليه كان فاندرج فى الحديث مالم يقله صلى الله عليه وسلم ومقصودهم أى الصفة التى وجبت له قبل وجود العالم هو عليها والعالم موجود وهكذا هى الحقائق عند من أراد أن يقف عليها فالتذكير فى الاصل وهو آدم قوله ذلك والتأنيث فى الفرع وهو حواء قوله تلك وقد أشبعنا القول فى هذا الفصل فى كتاب الجمع والتفصيل الذى صنفناه فى معرفة أسرار التنزيل فآدم لجميع الصفات وحواء لتفريق الذوات اذ هى محل الفعل والبذر وكذلك الآيات محل الاحكام والقضايا وقد جمع الله تعالى معنى ذلك وتلك فى قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب فحروف الم رقما ثلاثة وهو جماع عالمها فان فيها الهمزة وهى من العالم الاعلى واللام وهى من العالم الوسط والميم وهى من العالم الاسفل فقد جمع الم البرزخ والدارين والرابط والحقيقتين وهى على النصف من حروف لفظه من غير تكرار وعلى الثلاث بغير تكرار وكل واحد منهما ثلث كل ثلاث وهذه كلها اسرار تتبعناها فى كتاب المبادى والغايات وفى كتاب الجمع والتفصيل فليكف هذا القدر من الكلام على الم البقرة فى هذا الباب بعد ما رغبنا فى ترك تقييد ما تجلى لنا فى الكتاب والكاتب فلقد تجلت لنا فيه أمور جسام مهولة رمينا الكراسة من أيدينا عند تجليها وفررنا الى العالم حتى خف عنا ذلك وحينئذ رجعنا الى التقييد فى اليوم الثانى من ذلك التجلى وقبلت الرغبة فيه وامسك علينا ورجعنا الى الكلام على الحروف حرفا حرفا كما شرطنا أولا فى هذا الباب رغبة فى الايجاز والاختصار والله يقول الحق وهو يهدى السبيل انتهى الجزء الخامس والحمد لله رب العالمين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فمن ذلك حرف الالف)

ألف الذات تنزهت فهل * لك فى الاكوان عين ومحل

قال لا غير اتفاقى فأنا * حرف تأييد تضمنت الازل

فانا العبد الضعيف المجتبى * وأنا من عز سلطانى وجل

الالف ليس من الحروف عند من شم رائحة من الحقائق ولكن قد سمته العامة حرفا فاذا قال المحقق انه حرف فانما يقول ذلك على سبيل التجوز فى العبارة ومقام الالف مقام الجمع له من الاسماء اسم الله وله من الصفات القيومية وله من أسماء الافعال المبدئ والباعث والواسع والحافظ والخالق والبارئ والمصور والوهاب والرزاق والفتاح والباسط والمعز والمعيد والرافع والمحيى والوالى والجامع والمغنى والنافع وله من أسماء الذات الله والرب والظاهر والواحد والاول والآخر والصمد والغنى والرقيب والمتين والحق وله من الحروف اللفظية الهمزة واللام والفاء وله من البسائط الزاى والميم والهاء والفاء واللام والهمزة وله من المراتب كلها وظهوره فى المرتبة السادسة وظاهر سلطانه فى النبات وأخوته فى هذه المرتبة الهاء واللام وله مجموع عالم الحروف ومراتبها ليس فيها ولا خارجا عنها نقطة الدائرة ومحيطها ومركب العوالم وبسيطها

(ومن ذلك حرف الهمزة)

همزة تقطع وقتا وتصل * كل ما جاورها من منفصل

فهى الدهر عظيم قدرها * جل أن يحصره ضرب المثل

الهمزة من الحروف التى من عالم الشهادة والملكوت لها من الخارج أقصى الحلق ليس لها مرتبة فى العدد لها من

البسائط الفاء والميم والزاى والالف والياء ولها من العالم الملكوت ولها الفلك الرابع ودورة فلكها تسع آلاف سنة ولها من المراتب الرابعة والسادسة والسابعة وظهور سلطانها فى الجن والنبات والجماد ولها من الحروف الهاء والميم والزاى والهاء فى الوقف والتاء بالنطقين من فوق فى الوصل والتنوين فى القطع لها من الاسماء ماللالف والواو والياء فأغنى عن التكرار وتختص من أسماء الصفات بالقهار والقاهر والمقتدر والقوىّ والقادر وطبعها الحرارة واليبوسة وعنصرها النار واختلفوا هل هى حرف أو نصف حرف فى الحروف الرقمية وأمّا فى التلفظ بها فلا خلاف انها حرف عند الجميع

﴿ومن ذلك حرف الهاء﴾

هاء الهوية كم تشير لكل ذى * انيـــة خفيت له فى الظاهـــر

هل لاتحقق وجود رسمك عندما * تبـــدو لاوله عيون الآخر

اعلم أن الهاء من حروف الغيب لها من المخارج أقصى الحلق ولها من العدد الخمسة ولها من البسائط الالف والهمزة واللام والهاء والميم والزاى ولها من العالم الملكوت ولها الفلك الرابع وزمان حركة فلكها تسع آلاف سنة ولها من الطبقات الخاصة وخاصة الخاصة ولها من المراتب السادسة وظهور سلطانها فى النبات ويوجد منه بآخرها ما كان حارّا رطبا وتحيله بعد ذلك الى البرودة واليبوسة ولها من الحركات المستقيمة والمعوجة وهى من حروف الاعراق ولها الامتزاج وهى من الكوامل وهى من عالم الانفراد وطبعها البرودة واليبس والحرارة والرطوبة مثل عطارد وعنصرها الاعظم التراب وعنصرها الاقل الهواء ولها من الحروف الالف والهمزة ولها من الاسماء الذاتية الله والاول والآخر والماجد والمؤمن والمهيمن والمتكبر والمتين والاحد والملك ولها من أسماء الصفات المقتدر والمحصى ولها من أسماء الافعال اللطيف والفتاح والمبدئ والمجيب والمقيت والمصوّر والمذل والمعزّ والمعيد والمحيى والمميت والمنتقم والمقسط والمغنى والمانع ولها غاية الطريق

﴿ومن ذلك حرف العين المهملة﴾

عين العيون حقيقة الايجاد * فانظر اليـــه بمنزل الاشهاد

تبصره ينظر نحو موجد ذاته * نظر السقيم محاسن العوّاد

لايلتفت أبدا لغير الهـــه * يرجوه ويحذر شيمة العباد

اعلم أن العين من عالم الشهادة والملكوت وله من المخارج وسط الحلق وله من عدد الجمل عقد السبعين وله من البسائط الياء والنون والالف والهمزة والواو وله الفلك الثانى وزمان حركة فلكه احدى عشرة ألف سنة وله من طبقات العالم الخاصة وخاصة الخاصة وله من المراتب الخامسة وظهور سلطانه فى البهائم ويوجد عنه كل حارّ رطب وله من الحركات الافقية وهى المعوجة وهو من حروف الاعراف وهو من الحروف الخالصة وهو كامل وهو من عالم الانس الثنائىّ وطبعــه الحرارة والرطوبة وله من الحروف الياء والنون وله من الاسماء الذاتيـة الغنىّ والاول والآخر وله من أسماء الصفات القوىّ والمحصى والحى ومن أسماء الافعال النصير والنافع والواسع والوهاب والوالى

﴿ومن ذلك حرف الحاء المهملة﴾

حاء الحوامیم سر الله فى السور * أخـــفى حقيقتـــه عن رؤية البشر

فان ترحلت عن كون وعن شبح * فارحـــل الى عالم الارواح والصــور

وانظر الى حاملات العرش قد نظرت * الى حقائقها جاءت على قـــدر

تجـــد لحائك سلطانا وعزته * أن لايدانى ولايخشى من الغـــير

اعلم أيها الولى ان الحاء من عالم الغيب وله من المخارج وسط الحلق وله من العدد الثمانية وله من البسائط الالف

والهمزة

والهمزة واللام والهاء والفاء والميم والزاى وله من العالم الملكوت وله الفلك الثانى وسنى حركة فلكه احدى عشرة ألف سنة وهو من الخاصة وخاصة الخاصة وله من المراتب السابعة وظهور سلطانه فى الجماد ويوجد عنه ما كان باردا رطبا وعنصره الماء وله من الحركات المعوجة وهو من حروف الاعراق وهو خالص غير ممتزج وهو كامل يرفع من اتصل به هو من عالم الانس الثلاثى وطبعه البرودة والرطوبة وله من الحروف الالف والهمزة وله من أسماء الذات الله والاول والآخر والملك والمؤمن والمهيمن والمتكبر والمجيد والمتين والمتعالى والعزيز وله من أسماء الصفات المقتدر والمحصى وله من أسماء الافعال اللطيف والفتاح والمبدئ والمجيب والمقيت والمصور والمذل والمعز والمعيد والمحيى والمميت والمنتقم والمقسط والمغنى والمانع وله بداية الطريق

﴿ومن ذلك حرف الغين المنقوطة﴾

الغين مثل العين فى أحواله * الا تجليه الاطم الاخطر

فى الغين أسرار التجلى الاقهر * فاعرف حقيقة فيضه وتستر

وانظر اليه من ستارة كونه * حذرا على الرسم الضعيف الاحقر

اعلم أيدك الله بروح منه ان الغين المنقوطة من عالم الشهادة والملكوت ومخرجه الحلق أدنى مايكون منه الى الفم عدده عندنا تسعمائة وعند أهل الاسرار وأما عند أهل الانوار فعدده ألف كل ذلك فى حساب الجمل الكبير وبسائطه الياء والنون والالف والهمزة والواو وفلكه الثانى وسنى فلكه فى حركته احدى عشرة ألف سنة يتميز فى طبقة العامة مرتبته الخامسة ظهور سلطانه فى البهائم طبعه البرودة والرطوبة عنصره الماء يوجد عنه كل ما كان باردا رطبا حركته معوجة له الخلق والاحوال والكرامات خالص كامل مثنى مؤنس له الافراد الذاتى له من الحروف الياء والنون له من الاسماء الذاتية الغنى والعلى والله والاول والآخر والواحد وله من أسماء الصفات الحى والمحصى والقوى وله من أسماء الافعال النصير والواقى والواسع والوالى والوكيل وهو ملكوتى

﴿ومن ذلك حرف الخاء المنقوطة﴾

الخاء مهما أقبلت أو أدبرت * أعطتك من أسرارها وتأخرت

فعلوها يهوى الكيان وسفلها * يهوى المكون حكمة قد أظهرت

* أبدى حقيقتها تخطط ذاتها * فتدنست وقتا وثم تطهرت

فاعجب لها من جنة قد أزلفت * فى سفلها ولهيب نار سعرت

اعلم أيدك الله ان الخاء من عالم الغيب والملكوت مخرجه الحلق ممايلى الفم عدده ستمائة بسائطه الالف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاى فلكه الثانى سنى فلكه احدى عشرة ألف سنة يتميز فى العامة مرتبته السابعة ظهور سلطانه فى الجماد طبع رأسه البرودة واليبوسة والحرارة والرطوبة بقية جسده عنصره الاعظم الهواء والافق التراب يوجد عنه كل ما اجتمعت فيه الطبائع الاربع حركته معوجة له الاحوال والخلق والكرامات ممتزج كامل يرفع من اتصل به على نفسه مثلث مؤنس له علامة له من الحروف الهمزة والالف له من الاسماء الذاتية والصفاتية والفعلية كل ما كان فى أوله زاى أو ميم كالملك والمقتدر والمعز أو هاء كالهادى أو فاء كالفتاح أو لام كاللطيف أو همزة كالاول

﴿ومن ذلك حرف القاف﴾

القاف سر كماله فى رأسه * وعلوم أهل العرب مبدأ قطره

والشوق يثنيه ويجعل غيبه * فى شطره وشهوده فى شطره

وانظر الى تعريقه كهلاله * وانظر الى شكل الرؤس كبدره

عجباً لآخر نشأة هو مبـــدأ * لوجود مبدئه وميـــدأ عصره

اعلم أيدنا الله ان القاف من عالم الشهادة والجبروت مخرجه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك عدده مائة بسائطه الالف والفاء والهمزة واللام فلكه الثاني ستي حركة فلكه احدى عشرة ألف سنة يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة مرتبته الرابعة ظهور سلطانه في الجن طبعه الامهات الاول آخره حار يابس وسائره بارد رطب عنصره الماء والنار يوجد عنه الانسان والعنقاء له الاحوال حركته ممتزجة ممتزج مؤنس مثنى علامته مشتركة له من الحروف الالف والفاء وله من الاسماء على مراتبها كل اسم في أوله حرف من حروف بسائطه له الذات عند أهل الاسرار وعند أهل الانوار الذات والصفات

﴿ومن ذلك حرف الكاف﴾

كاف الرجاء يشاهد الاجلالا * من كاف خوف شاهد الافضالا

فانظر الى قبض و بسط فيهما * يعطيك ذاصـدّا وذاك وصالا

الله قـد جلى لنا اجـلاله * ولذاك جلى من سناه جمالا

اعلم أيدنا الله واياك ان الكاف من عالم الغيب والجبروت له من المخارج مخرج القاف وقد ذكرنا انه أسفل منه عدده عشرون بسائطه الالف والفاء والهمزة واللام له الفلك الثاني حركة فلكه احدى عشرة ألف سنة يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة مرتبته الرابعة ظهور سلطانه في الجن يوجد عنه كل ما كان حارا يابسا عنصره النار طبعه الحرارة واليبوسة مقامه البداية حركته ممتزجة هو من الاعراق خالص كامل يرفع من اتصل به عند أهل الانوار ولا يرفع عند أهل الاسرار مفرد موحش له من الحروف ما للقاف وله من الاسماء كل اسم في أوله حرف من حروف بسائطه وحروفه

﴿ومن ذلك حرف الضاد المعجمة﴾

في الضاد سر لو أبوح بذكره * لرأيت سر الله في جبـــروته

فانظر اليـــه واحـــدا وكماله * من غـــيره في حضرتي رحموته

وامامه اللفظ الذي بوجوده * أسرى به الرحمن من ملكوته

اعلم أيدنا الله واياك ان الضاد المعجمة من حروف الشهادة والجبروت ومخرجه من أول حافة اللسان وما يليها من الاضراس عدده تسعون عندنا وعند أهل الانوار ثمانمائة بسائطه الالف والدال اليابسة والهمزة واللام والفاء فلكه الثاني حركة فلكه احدى عشرة ألف سنة يتميز في العامة له وسط الطريق مرتبته الخامسة ظهور سلطانه في البهائم طبعه البرودة والرطوبة عنصره الماء يوجد عنه ما كان باردا رطبا حركته ممتزجة له الخلق والاحوال والكرامات خالص كامل مثنى مؤنس علامته الفردانية له من الحروف الالف والدال وله من الاسماء كما أعلمناك في الحرف الذي قبله رغبة في الاختصار والله المعين الهادي

﴿ومن ذلك حرف الجيم﴾

الجيم يرفع من يريد وصاله * لمشاهـــد الابرار والاخيار

فهو العبيـــد القن الا أنه * متحقق بحقيقـــة الايثار

يرنو بغايتـــه الى معبوده * وببـــدئه يمشي على الآثار

هو من ثلاث حقائق معلومة * ومزاجه برد ولفح النار

اعلم أيدنا الله واياك ان الجيم من عالم الشهادة والجبروت ومخرجه من وسط اللسان بينه وبين الحنك عدده ثلاثة بسائطه الياء والميم والالف والهمزة فلكه الثاني سنيه احدى عشرة ألف سنة يتميز في العامة له وسط الطريق مرتبته الرابعة ظهور سلطانه في الجن جسده بارد يابس رأسه حار يابس طبعه البرودة والحرارة واليبوسة عنصره

الاعظم التراب والاقل النار يوجد عنه مايشا كل طبعه حركته معوجة له الحقائق والمقامات والمنازلات ممتزج كامل يرفع من اتصل به عند أهل الانوار والاسرار الا الكوفيون مثلث مؤنس علامه الفردانية له من الحروف الباء والميم ومن الاسماء كما تقدم

﴿ومن ذلك حرف الشين المعجمة بالثلاث﴾

في الشين سبعة أسرار لمن عقلا • وكل من نالها يوما فقد وصلا
تعطيك ذاتك والاجسام ساكنة • اذا الامين على قلب بها نزلا
لو عاين الناس ما تحويه من عجب • رأوا اهلال امحاق الشهر قد كملا

اعلم أيدنا الله نطقا وفهما ان الشين من عالم الغيب والجبروت الاوسط منه مخرجه مخرج الجيم عدده عندنا الف وعنه أهل الانوار ثلاثمائة بسائطه الياء والنون والالف والهمزة والواو فلكه الثاني سنى هذا الفلك قد تقدم ذكرها يتميز في العامة له وسط الطريق مرتبته الخامسة سلطانه في البهائم طبعه بارد رطب عنصره الماء يوجد عنه مايشا كل طبعه حركته ممتزجة كامل خالص مثنى مؤنس له الذات والصفات والافعال له من الحروف الياء والنون ومن الاسماء على نحو ما تقدم له الخلق والاحوال والكرامات

﴿ومن ذلك حرف الباء﴾

باء الرسالة حرف في الثرى ظهرا • كالواو في العالم العلوي معتبرا
فهو الممد جسوما ما لها ظلل • وهو الممد قلوبا عانقت صورا
اذا أراد يناجيكم بحكمته • يتلو فيسمع سر الاحرف السورا

اعلم أيدنا الله واياك بروح منه ان الباء من عالم الشهادة والجبروت مخرجه مخرج الشين عدده العشرة للافلاك الاثنى عشر وواحد للافلاك السبعة بسائطه الالف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاى فلكه الثاني سنيه قد ذكرت يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة له الغاية والمرتبة السابعة ظهور سلطانه في الجماد طبعه الامهات الاول عنصره الاعظم النار والاقل الماء يوجد عنه الحيوان حركته ممتزجة له الحقائق والمقامات والمنازلات ممتزج كامل رباعي مؤنس له من الحروف الالف والهمزة ومن الاسماء كما تقدم

﴿ومن ذلك حرف اللام﴾

اللام للازل السني الاقدس • ومقامه الاعلى البهي الانفس
مهما يقم تبدى المكون ذاته • والعالم الكوني مهما يجلس
يعطيك روحا من ثلاث حقائق • يمشي ويرفل في ثياب السندس

اعلم أيدنا الله واياك بروح القدس ان اللام من عالم الشهادة والجبروت مخرجه من حافة اللسان أدناها الى منتهى طرفه عدده في الاثنى عشر فلكا ثلاثون وفي الافلاك السبعة ثلاثة بسائطه الالف والميم والهمزة والفاء والياء فلكه الثاني سنيه تقدمت يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة له الغاية مرتبته الخامسة سلطانه في البهائم طبعه الحرارة والبرودة واليبوسة عنصره الاعظم النار والاقل التراب يوجد عنه مايشا كل طبعه حركته مستقيمة وممتزجة له الاعراف ممتزج كامل مفرد موحش له من الحروف الالف والميم ومن الاسماء كما تقدم

﴿ومن ذلك حرف الراء﴾

راء الحبيبة في مقام وصاله • أبدا بدار نعيمه لن يخذلا
وقتا يقول أنا الوحيد فلا أرى • غيري ووقتا يا أنا لن يجهلا
لو كان قلبك عند ربك هكذا • كنت المقرب والحبيب الاكملا

اعلم أيدنا الله واياك بروح منه ان الراء من عالم الشهادة والجبروت ومخرجها من ظهر اللسان وفوق الثنايا عدده في

الأثني عشر فلكا مائتان وفى الافلاك السبعة اثنان بسائطه الالف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاى فلكه الثانى سنى فلكه معلومة له الغاية مرتبته السابعة ظهور سلطانه فى الجماد يتميز فى الخاصة وخاصة الخاصة طبعه الحرارة واليبوسة عنصره النار يوجد عنه مايشا كل طبعه حركته ممتزجة له الاعراف خالص ناقص مقدّس مثنى مؤنس له من الحروف الالف والهمزة ومن الاسماء كما تقدم

﴿ومن ذلك حرف النون﴾

نون الوجود تدل نقطة ذاتها * فى عينها عينا على معبودها

فوجودها من جوده ويمينه * وجميع أكوان العلى من جودها

فانظر بعينك تصف عين وجودها * من جودها تعثر على مفقودها

اعلم أيد الله القلوب بالارواح ان النون من عالم الملك والجبروت مخرجه من حافة اللسان وفوق الثنايا عدده خمسون وخمسة بسائطه الواو والالف فلكه الثانى سنى حركته قد ذكرت يتميز فى الخاصة وخاصة الخاصة له غاية الطريق مرتبته المرتبة المنزهة الثانية ظهور سلطانه فى الحضرة الالهية طبعه البرودة واليبوسة عنصره التراب يوجد عنه مايشا كل طبعه حركته ممتزجة له الخلق والاحوال والكرامات خالص ناقص مفرد موحش له الذات له من الحروف الواو والاسماء كما تقدم

﴿ومن ذلك حرف الطاء المهملة﴾

فى الطاء خمسة أسرار مخبأة * منها حقيقة عين الملك فى الملك

والحق فى الخلق والاسرار نائبة * والنور فى النار والانسان فى الملك

فهذه خمسة مهما كلفت بها * علمت ان وجود الفلك فى الفلك

اعلم أيدنا الله به ان الطاء من عالم الملك والجبروت مخرجه من طرف اللسان وأصول الثنايا عدده تسعة بسائطه الالف والهمزة واللام والفاء والميم والزاى والهاء فلكه الثانى سنيه مذكورة يتميز فى الخاصة وخاصة الخاصة وله غاية الطريق مرتبته السابعة سلطانه فى الجماد طبعه البرودة والرطوبة عنصره الماء يوجد عنه مايشا كل طبعه حركته مستقيمة عند أهل الانوار ومعوجة عند أهل الاسرار وعند أهل التحقيق وعند تامها وممتزجة له الاعراف خالص كامل مثنى مؤنس له من الحروف الالف والهمزة ومن الاسماء كما تقدم

﴿ومن ذلك حرف الدال المهملة﴾

الدال من عالم الكون الذى انتقلا * عن الكيان فلا عين ولا أثر

عزت حقائقه عن كل ذى بصر * سبحانه جل أن يحظى به بشر

فيه الدوام لجود الحق منزله * فيه المثانى ففيه الآى والسور

اعلم أيدنا الله بأسمائه ان الدال من عالم الملك والجبروت مخرجه مخرج الطاء عدده أربعة بسائطه الالف واللام والهمزة والفاء والميم فلكه الاول سنى حركته اثنتا عشرة ألف سنة له غاية الطريق مرتبته الخامسة سلطانه فى البهائم طبعه البرودة واليبوسة عنصره التراب يوجد عنه مايشا كل طبعه حركته ممتزجة بين أهل الانوار والاسرار له الاعراق خالص ناقص مقدس مثنى مؤنس له من الحروف الالف واللام ومن الاسماء كما تقدم

﴿ومن ذلك حرف التاء باثنتين من فوق﴾

التاء يظهر أحيانا ويستتر * لحظه من وجود القوم تلوين

يحوى على الذات والاوصاف حضرته * وماله فى جناب الفصل تمكين

يبدو فيظهر من أسراره عجبا * وملكه اللوح والاقلام والنون

الليل والشمس والاعلى وطارقه * فى ذاته والضحى والشرح والتين

اعلم أيها الولى الحيم ان التاء من عالم الغيب والجبروت مخرجه مخرج الدال والطاء عدده أربعة وأربعمائة بسائطه الالف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاى فلكه الاول سنيه قد ذكرت يتميز فى خاصة الخاصة مرتبته السابعة سلطانه فى الجماد طبعه البرودة واليبوسة عنصره التراب يوجد عنه مايشا كل طبعه حركته ممتزجة له الخلق والاحوال والكرامات خالص كامل رباعىّ مؤنس له الذات والصفات له من الحروف الالف والهمزة ومن الاسماء كما تقدم

﴿ومن ذلك حرف الصاد اليابسة﴾

فى الصاد نور لقلب بات يرقبه * عند المنام وسترالسهد يحجبه

فنم فانك تلق نور سجدته * ينير صدرك والاسرار ترقبه

فذلك النور نور الشكر فارتقب الـ * شمشكور فهو على العادات يعقبه

اعلم أيها الصفى الكريم ان الصاد من عالم الغيب والجبروت مخرجه ممابين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى عدده ستون عندنا وتسعون عند أهل الانوار بسائطه الالف والدال والهمزة واللام والفاء فلكه الاول سنيه قد ذكرت يتميز فى الخاصة وخاصة الخاصة له أول الطريق مرتبته الخامسة سلطانه فى البهائم طبعه الحرارة والرطوبة عنصره الهواء يوجد عنه مايشا كل طبعه حركته ممتزجة مجهولة له الاعراف خالص كامل مثنى مؤنس له من الحروف الالف والدال ومن الاسماء كما تقدم ثم اعلم انى جعلت سرّ هذا الصاد اليابسة لاينال الا فى النوم لكونى مانلته ولا أعطانيه الحق تعالى الا فى المنام فلهذا حكمت عليه بذلك وليست حقيقته ذلك والله يعطيه فى النوم واليقظة ولما وقفت عنده بالتقييد جعلت بعض الاصحاب يقرأ على أسرار الحروف لاصلح ما اختل منها عند التقييد لسرعة القلم فلما وصل بالقراءة الى هذا الحرف قلت لهم ما اتفق لى فيه وان النوم ليس لازما فى نيله ولكن هكذا أخذته فوصفت حالى وانفض الجمع فلما كان من الغد من يوم السبت قعدنا على سبيل العادة فى المجلس بالمسجد الحرام تجاه الركن اليمانىّ من الكعبة المعظمة وكان يحضر عندنا الشيخ الفقيه المجاور أبو يحيى بكر بن أبى عبد الله الهاشمىّ التوبمى الطرابلسىّ رحمه الله فجاء على عادته فلما فرغنا من القراءة قال لى رأيت البارحة فى النوم كأنى قاعد وأنت أمامى مستلق على ظهرك تذكر الصاد فأنشدتك مرتجلا

الصاد حرف شريف * والصاد فى الصاد أصدق

فقلت لى فى النوم ما دليلك فقلت

لانها شكل دور * وما من الدور أسبق

ثم استيقظت . وحكى لى فى هذه الرؤيا انى فرحت بجوابه فلما أكمل ذكره فرحت بهذه المبشرة التى رآها فى حق وبهيئة الاضطجاع وذلك رقاد الانبياء عليهم السلام وهى حالة المستريح الفارغ من شغله والمتأهب لما يرد عليه من أخبار السماء بالمقابلة فاعلم ان الصاد حرف من حروف الصدق والصون والصورة وهو كرىّ الشكل قابل لجميع الاشكال فيه أسرار عجيبة فتعجبت من كشفه فى نومه فقرّت عينه على حالتى التى ذكرتها للاصحاب بالامس فى المجلس فقرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب حرف شريف عظيم أقسم عند ذكره بمقام جوامع الكلم وهو المشهد المحمدىّ فى أوج الشرف بلسان التمجيد وتضمنت هذه السورة من أوصاف الانبياء عليهم السلام ومن أسرار العالم كله الخفية عجائب وآيات وهذه الرؤيا فيها من الاسرار على حسب ما فى هذه السورة من الاسرار فهى تدل على خير كثير جسيم يناله الرائى ومن ريئت له وكل من شوهد فيها من الله تعالى ويحصل لهما من بركات الانبياء عليهم السلام المذكورين فى هذه السورة ويلحق الاعداء من الكفار ما فى هذه السورة من البؤس لا من المؤمنين نسأل الله لنا ولهم العافية فى الدنيا والآخرة فهذه بشرى حصلت واسرار أرسلها الحق الينا على يد هذا الرائى وذكر لى الرائى صاحبنا أبو يحيى انه لما استيقظ تم على البيتين اللذين أنشدهما لى فى النوم قريضا فسألته أن يرسل الىّ به حتى أقيده فى كتابى هذا عقيب هذه

الرؤيا في هذا الحرف فان ذلك القريض من امداد هذه الحقيقة الروحانية التي رآها في النوم فأردت أن لا أفصل بينهما فبعثت معه صاحبنا أبا عبد الله محمد بن خالد الصوفي التلمساني فجاء في بها وهي هذه

الصاد حرف شريف * والصاد في الصاد أصدق
قل ما العليل أجده * في داخل القلب ملصق
لانها شكل دور * وما من الدور أسبق
ودل هذا بأني * على الطريق موفق
حققت في الله قصدي * والحق يقصد بالحق
ان كان في البحر عمق * فساحل القلب أعمق
ان ضاق قلبك عني * فقلب غيرك أضيق
دع القرونة واقبل * من صادق يتصدق
ولا تخالف فتشقى * فالقلب عندي معلق
أفتحه أشرحه وافعل * فعل الذي قد تحقق
الى متى قاسي القلـ * ـب باب قلبك مغلق
وفعل غيرك صاف * ووجه فعلك أزرق
إنا رفقنا فرفقا * فالرفق في الرفق أرفق
فان أتيت كسونا * لك ثوب لطف معتق
ولا تكن كجرير * اذ ظل يهجو الفرزدق
والهج بمدحي فمدحي * من مشرق الشمس أشرق
انا الوجود بذاتي * ولي الوجود المحقق
من غير قيد كعلمي * على الحقيقة مطلق
فهل ترى الشاء يوما * بكيدها فرد ميسذق
من قال فيّ برأي * فقائل الرأي أحمق
ان ظل يهذي لوهم * رأيته يتشدق
وكل من قال قولا * فالذكر من ذاك أصدق
أنا المهيمن ذو العر * ش لا أبيد وأخلق
بعثت للخلق رسلي * وجاء أحمد بالحق
فقام فيّ بصدق * وحين أرعد أبرق
مجاهدا في الاعادي * ونارها ماتفتق *
لولم أغثهم بعبدي * أغرقت من ليس يغرق
ان السموات والار * ض من عذابي تفرق
وان أطعتم فاني * ألم ما يتفرق
واجمع الكل في الخلـ * ـد في حدائق تعبق
كل القلوب على ذا * وانني الله أصدق
فقمت من حال نومي * وراحتاي تصفق

﴿ومن ذلك حرف الزاي﴾

في الزاي سرّ اذا حققت معناه * كانت حقائق روح الامر مغناه
اذا تجلى الى قلب بحكمته * عند الفناء عن التنزيه أغناه
فليس في أحرف الذات التي منزهة من * يحقق العلم أو يدريه الاهو

اعلم أيدك الله بروح الأزل ان الزاي من عالم الشهادة والجبروت والقهر مخرجه مخرج الصاد والسين عدده سبعة بسائطه الالف والياء والهمزة واللام والفاء فلكه الفلك الاول سني حركته تقدم ذكرها يتميز في خلاصة خاصة الخاصة له الغاية مرتبته الخامسة سلطانه في البهائم طبعه الحرارة واليبوسة عنصره النار يوجد عنه مايشاكل طبعه حركته ممتزجة له الخلق والاحوال والكرامات خالص ناقص مقدس مثنى مؤنس له من الحروف الالف والياء ومن الاسماء كما تقدم

﴿ومن ذلك حرف السين المهملة﴾

في السين أسرار الوجود الاربع * وله التحقق والمقام الارفع
من عالم الغيب الذي ظهرت به * آثار كون شمسها تتبرقع

اعلم ان السين من عالم الغيب والجبروت واللطف مخرجه مخرج الصاد والزاي عدده عند أهل الانوار ستون وستة وعندنا ثلاثمائة وثلاثة بسائطه الياء والنون والالف والهمزة والواو فلكه الاول سنيه مذكورة يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة وخلاصة خاصة الخاصة وصفاء خلاصة خاصة الخاصة له الغاية مرتبته الخامسة ظهور سلطانه في البهائم طبعه الحرارة واليبوسة عنصره النار يوجد عنه مايشاكل طبعه حركته ممتزجة له الاعراف خالص كامل مثنى مؤنس له من الحروف الياء والنون ومن الاسماء الالهية كما تقدم

﴿ومن ذلك حرف الظاء المعجمة﴾

في الظاء ستة أسرار مكتمة * خفية مالها في الخلق تعيين
الا مجازا اذا جادت بفاضلها * يرى لها في ظهور العين تحسين
يرجو الاله ويخشى عدله واذا * ماغاب عن كونه لم يبد تكوين

اعلم أيها العاقل ان الظاء من عالم الشهادة والجبروت والقهر مخرجه ممابين طرفي اللسان واطراف الثنايا عدده ثمانية وثمانمائة عندنا وعند أهل الانوار تسعمائة بسائطه الالف واللام والهمزة والفاء والهاء والميم والزاي فلكه الاول سنيه مذكورة يتميز في خلاصة خاصة الخاصة له غاية الطريق مرتبته السابعة سلطانه في الجماد طبع ذاته بارد رطب وقائمته حارة رطبة فله الحرارة والبرودة والرطوبة عنصره الاعظم الماء والاقل الهواء يوجد عنه مايشاكل طبعه حركته ممتزجة له الخلق والاحوال والكرامات ممتزج كامل مثنى مؤنس له الذات له من الحروف الالف والهمزة ومن الاسماء كما تقدم

﴿ومن ذلك حرف الذال المعجمة﴾

الذال ينزل أحيانا على جسدي * كرها وينزل أحيانا على خلدي
طوعا ويعدم من هذا وذاك معا * يرى له أثر الزلفى على أحد
هو الامام الذي مامثله أحد * تدعوه أسماؤه بالواحد الصمد

اعلم أيها الامام ان الذال من عالم الشهادة والجبروت والقهر مخرجه مخرج الظاء عدده سبعمائة وسبعة بسائطه الالف واللام والهمزة والفاء والميم فلكه الاول سني حركته مذكورة يتميز في العامة له وسط الطريق مرتبته الخامسة سلطانه في البهائم طبعه الحرارة والرطوبة عنصره الهواء يوجد عنه مايشاكل طبعه حركته معوجة ممتزجة له الخلق والاحوال والكرامات خالص كامل مقدس مثنى مؤنس له الذات وله من

الحروف الالف واللام ومن الاسماء كما تقدم

﴿ومن ذلك حرف الثاء بالثلاثة﴾

الثاء ذاتيــة الاوصاف عاليــة * فى الوصف والفعل والاقلام توجدها
فان تجلت بسر الذات واحـــدة * يوم البـداية صار الخلق يعبـدها
وان تجلت بسر الوصف ثانيــة * يوم التوسط صار النعت يحمدها
وان تجلت بسر الفـعل ثالثــة * يوم الثلاثاء صار الكون يسـعدها

اعلم أيها السيدان الثاء من عالم الغيب والجبروت واللطف مخرجه مخرج الظاء والذال عدده خمسة وخمسمائة بسائطه الالف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاى له الفلك الاول سنيه مذكورة يتميز فى خلاصة خاصة الخاصة له غاية الطريق مرتبته السابعة سلطانه فى الجماد طبعه البرودة واليبوسة عنصره التراب يوجد عنه مايشا كل طبعه حركته ممتزجة له الخلق والاحوال والكرامات خالص كامل مربع مؤنس له الذات والصفات والافعال له من الحروف الالف والهمزة ومن الاسماء كما تقدم

﴿ومن ذلك حرف الفاء﴾

الفاء من عالم التحقيق فاذ كر * وانظر الى سرها يأتى على قدر
لها مع الياء مزج فى الوجود فما * تنفك بالمزج عن حق وعن بشر
فان قطعت وصال الياء دان لها * من أوجه عالم الارواح والصور

اعـلم أيدالله القلب الالهى أن الفاء من عالم الشهادة والجبروت والغيب واللطف مخرجه من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا عـددة ثمانون وثمانية بسائطه الالف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاى له الفلك الاول سنيه قد ذكرت يتميز فى الخلاصـة له غاية الطريق مرتبته السابعة سلطانه فى الجماد طبع رأسه الحرارة والرطوبة وسائر جسده بارد رطب فطبعه الحرارة والبرودة والرطوبة عنصره الاعظم الماء والاقل الهواء يوجد عنه مايشاكل طبعه حركته ممتزجة له الحقائق والمقامات والمنازلات عند أهل الاسرار وله الخلق والاحوال والكرامات عنـد أهل الانوار ممتزج كامل مفرد مثنى مؤنس موحش له الذات له من الحروف الالف والهمزة ومن الاسماء كما تقدم

﴿ومن ذلك حرف الباء بواحدة﴾

الباء للعارف الشبلى معتبر * وفى نقيطتها للقلب مـدّ كر
سرّ العبودية العلياء مازجها * لذاك ناب مناب الحق فاعتبروا
أليس يحذف من بسم حقيقته * لانه بدل منـــه فــذا وزر

اعلم أيها الوالى المتعالى ان الباء من عالم الملك والشهادة والقهر مخرجه من الشفتين عدده اثنان بسائطه الالف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاى فلكه الاول له الحركة المذكورة يتميز فى عين صفاء الخلاصـة وفى خاصة الخاصة له بداية الطريق وغايته مرتبته السابعة سلطانه فى الجماد طبعه الحرارة واليبوسة عنصره النار يوجد عنه مايشا كل طبعه حركته ممتزجة له الحقائق والمقامات والمنازلات خالص كامل مربع مؤنس له الذات ومن الحروف الالف والهمزة ومن الاسماء كما تقدم

﴿ومن ذلك حرف الميم﴾

الميم كالنون ان حققت سرّهما * فى غاية الكون عينا والبدايات
والنون للحق والميم الكريم لى * بدء لبـــدء وغايات لغايات
فبرزخ النون روح فى معارفه * وبرزخ المـيم رب فى البريات

اعلم أيد الله المؤمن ان الميم من عالم الملك والشهادة والقهر مخرجه مخرج الباء عدده أربعة وأربعون بسائطه الياء والالف والهمزة فلكه الاول سنيه ذكرت يتميز فى الخاصة والخلاصة وصفاء الخلاصة له الغاية مرتبته الثالثة ظهور سلطانه فى الانسان طبعه البرودة واليبوسة عنصره التراب يوجد عنه مايشاكل طبعه له الاعراف خالص كامل مقدس مفرد مؤنس له من الحروف الياء ومن الاسماء كما تقدم

﴿ومن ذلك حرف الواو﴾

واواياك أقـــدس ✽ من وجودى وأنفس
فهـو روح مكمل ✽ وهو سر مســدس
حيث مالاح عينـــه ✽ قيـل بيت مقـدس
بيتـه السـدرة العلـشية فيها المؤســس

الواو من عالم الملك والشهادة والقهر مخرجه من الشفتين عدده ستة بسائطه الالف والهمزة واللام والفاء فلكه الاول سنيه مذكورة يتميز فى خاصة الخاصة وفى الخلاصة له غاية الطريق مرتبته الرابعة سلطانه فى الجن طبعه الحرارة والرطوبة عنصره الهواء يوجد عنه مايشاكل طبعه حركته ممتزجة له الاعراق خالص ناقص مقدس مفرد موحش له من الحروف الالف ومن الاسماء كما تقدم فهذه حروف المعجم قد كملت بذكر ماسنح لنا من الاشارات والتنبيهات لاهل الكشف والخلوات والاطلاع على اسرار الموجودات فاذا أردت أن يسهل عليك مأخذها فى باب العبارة عنها فاعلم اشتراكها فى افلاك البسائط تعلم حقائق الاسماء المعدة لها فالالف قد تقدم الكلام فيها وكذلك الهمزة تدخل مع الالف والواو والياء المعتلتين فخرجتا أيضا عن حكم الحروف بهذا الوجه فالجيم والزاى واللام والميم والنون بسائطها مختلفة والدال والذال متماثلة والصاد والضاد متماثلة والعين والغين والسين والشين متماثلة والواو والكاف والقاف متماثلة والباء والهاء والحاء والطاء والياء والفاء والراء والتاء والثاء والخاء والظاء متماثلة البسائط أيضا وكل متماثل البسائط متماثل الاسماء فاعلم وكنا ذكرنا أن نذكر لام ألف عقيب الحروف الذى هو نظير الجوزهر فنذكره فى الرقم مفردا عن الحروف فانه حرف زائد مركب من ألف ولام ومن همزة ولام

﴿ذكر لام ألف وألف اللام﴾

ألف اللام ولام الالف ✽ نهـر طالوت فلا تغـــترف
واشرب النهـــر الى آخره ✽ وعن النهمة لاتنحـــرف
ولتقـم مادمت ريانا فان ✽ ظمئت نفسك قم فانصرف
واعـلم ان الله قد أرســله ✽ نهـر بلوى لفؤاد المشرف
فاصطبر بالله واحذره فقد ✽ يخـذل العبـد اذا لم يقف

﴿معرفة لام ألف لا﴾

تعانق الالف العـلام واللام ✽ مثل الحبيبين فالاعوام احلام
والتفت الساق بالساق التى عظمت ✽ فجاءنى منهـما فى اللف اعـلام
ان الفـؤاد اذا معناه عانقـــه ✽ بدا له فيـــه ايجاد واعـــدام

اعلم انه لما اصطحب الالف واللام صحب كل واحد منهما ميل وهو الهوى والغرض والميل لايكون الاعن حركة عشقية فحركة اللام حركة ذاتية وحركة الالف حركة عرضية فظهر سلطان اللام على الالف لاحداث الحركة فيه فكانت اللام فى هذا الباب أقوى من الالف لانها أعشق فهمتها أكمل وجودا وأتم فعلا والالف أقل عشقا فهمتها أقل تعلقا باللام فلم تستطع أن تقيم أودها فصاحب الهمة له الفعل بالضرورة عند المحققين هذا حظ الصوفى ومقامه ولا يفسر

بجاوزه الى غيره فان انتقل الى مقام المحققين فمعرفة المحقق فوق ذلك وذلك ان الالف ليس ميله من جهة فعل اللام فيه بهمته وانما ميله نزوله الى اللام بالالطاف لتمكن عشق اللام فيه الا تراه قد لوى ساقه بقائمة الالف وانعطف عليه حذرا من الفوت فميل الالف اليه نزول كنزول الحق الى السماء الدنيا وهم أهل الليل فى الثلث الباقى وميل اللام معلوم عندهما معلول مضطر لا اختلاف عند نافيه الا من جهة الباعث خاصة فالصوفى يجعل ميل اللام ميل الواجدين والمتواجدين لتحققه عندهم بمقام العشق والتعشق وحاله وميل الالف ميل التواصل والاتحاد وهذا اشتبها فى الشكل هكذا لا فأيهما جعلت الالف أو اللام قبل ذلك الجعل ولذلك اختلف فيه أهل اللسان أين يجعلون حركة اللام أو الهمزة التى تكون على الالف فطائفة راعت اللفظ فقالت فى الاسبق والالف بعد وطائفة راعت الخط فبأى تخذ ابتدأ الخطاط فهو اللام والثانى هو الالف وهذا كله تعطيه حالة العشق والصدق فى العشق يورث التوجه فى طلب المعشوق وصدق التوجه يورث الوصال من المعشوق الى العاشق والمحقق يقول باعث الميل المعرفة عندهما وكل واحد على حسب حقيقته وأما نحن ومن رقى معنا فى معالى درج التحقيق الذى ما فوقه درج فلسنا نقول بقولهما ولكن لنا فى المسئلة تفصيل وذلك أن نلحظ فى أى حضرة اجتمعا فان العشق حضرة جزئية من جملة الحضرات فقول الصوفى حق والمعرفة حضرة أيضا كذلك فقول المحقق حق ولكن كل واحد منهما قاصر عن التحقيق فى هذه المسئلة ناظر بعين واحدة ونحن نقول أول حضرة اجتمعا فيها حضرة الايجاد وهى لا الاه الا الاه فهذه حضرة الخلق والخالق وظهرت كلمة لا فى النفى مرتين وفى الاثبات مرتين فلا لا والاه للاه فميل الوجود المطلق الذى هو الالف فى هذه الحضرة الى الايجاد وميل الموجود المقيد الذى هو اللام الى الايجاد عند الايجاد ولذلك خرج على الصورة فكل حقيقة منهما مطلقة فى منزلتها فافهم ان كنت تفهم والا فالزم الخلوة وعلق الهمة بالله الرحمن حتى تعلم فاذا تقيد بعد ما تعين وجوده وظهر لعينه عينه فانه

للحق حق وللانسان انسان * عند الوجود وللقرآن قرآن
وللعيان عيان فى الشهود كما * عند المناجاة للآذان آذان
فانظر الينا بعين الجمع تحظ بنا * فى الفرق فالزمه فالقرآن فرقان

فلابد من صفة تقوم به ويكون بها يقابل مثلها أوضدها من الحضرة الالهية وانما قلت الضد ولم نقتصر على المثل الذى هو الحق الصدق رغبة فى اصلاح قلب الصوفى والحاصل فى أول درجات التحقيق فشمر بهما هذا ولا يعرفان ما فوقه ولا ما نومى اليه حتى يأخذ الله بأيديهما ويشهدهما ما أشهدناه وسأذكر طرفا من ذلك فى الفصل الثالث من هذا الباب فاطلب عليه هناك ان شاء الله تعالى فاغطس فى بحر القرآن العزيز ان كنت واسع النفس والا فاقتصر على مطالعة كتب المفسرين لظاهره ولا تغطس فتهلك فان بحر القرآن عميق ولولا الغاطس ما يقصد منه المواضع القريبة من الساحل ما خرج لكم أبدا فالانبياء والورثة الحفظة هم الذين يقصدون هذه المواضع رحمة بالعالم وأما الواقفون الذين وصلوا ومسكوا ولم يردوا ولا انتفع بهم أحد ولا انتفعوا بأحد فقصدوا بل قصد بهم ثبج البحر فغطسوا الى الابد لا يخرجون يرحم الله العبادانى شيخ سهل بن عبد الله التسترى حيث قال لسهل الى الابد حين قال له سهل أيسجد القلب فقال الشيخ الى الابد بل صلى الله على رسول الله حين قيل له صلى الله عليه وسلم فى دخول العمرة فى الحج ألعامنا هذا أم للابد فقال صلى الله عليه وسلم بل لابد الابد فهى روحانية باقية فى دار الخلد يجدها أهل الجنان فى كل سنة مقدرة فيقولون ما هذا فيجابون العمرة فى الحج روح ونعيم ووارد نزيه شريف تشرق به أسارير الوجوه وتزيده حسنا وجمالا فاذا غطست وفقك الله فى بحر القرآن فاطلب وابحث على صدفتى هاتين الياقوتين الالف واللام وصدفتهما هى الكلمة أو الآية التى تحملهما فان كانت كلمة فعلية على طبقاتها نسبتهما من ذلك المقام وان كانت كلمة أسمائية على طبقاتها نسبتهما من ذلك المقام وان كانت كلمة ذاتية نسبتها من ذلك كما أشار عليه السلام وان لم تكن فى الحرف أعوذ برضاك من سخطك برضاك ميل الالف من سخطك ميل اللام كلمة أسمائية وبمعافاتك ميل الالف من عقوبتك ميل اللام كلمة

فعلية وبك ميل الالف منك ميل اللام كله ذاتية فانظر ما أعجب سر النبوة وما أعلاه وما أدنى مرماه وما أقصاه فمن تكلم على حرفى لام ألف من غير أن ينظر فى الحضرة التى هو فيها فليس بكامل هيهات لا يستوى أبدا لام ألف لا خوف عليهم ولام ألف ولا هم يحزنون كما لا يستوى لام ألف لا التى للنفى ولام ألف التى للايجاب كما لا يستوى لام ألف النفى ولام ألف النفى والتبرئة ولام ألف النهى فترفع بالنفى وتنصب بالتبرئة وتجزم بالنهى ولام ألف لام التعريف والالف التى من أصل الكلمة مثل قوله الاعراف والادبار والابصار والاقلام كما لا يستوى لام ألف لام التوكيد والالف الاصلية مثل قوله تعالى لاوضعوا ولاتم فتحقق ما ذكرناه لك وأقم ألفك من رقدتها وحل لامك من عقدتها وفى عقد اللام بالالف سر لا يظهر ولا أقدر على بسط العبارة فى مقامات لام ألف كما وردت فى القرآن الا لو كان السامع يسمعه منى كما يسمعه من الذى أنزل عليه لو عبر عنه ومع هذا فالغرض فى هذا الكتاب الايجاز وقد طال الباب واتسع الكلام فيه على طريق الاجمال لكثرة المراتب وكثرة الحروف ولم نذكر فى هذا الباب معرفة المناسبة التى بين الحروف حتى يصح اتصال بعضها مع بعض ولا ذكرنا اجتماع حرفين معا الا لام ألف خاصة من جهة ما وهذا الباب يتضمن ثلاثة آلاف مسئلة وخمسمائة مسئلة وأربعين مسئلة على عدد الاتصالات بوجه ما لكل اتصال علم يخصه وتحت كل مسئلة من هذه المسائل مسائل تتشعب كثيرة فان كل حرف يصطحب مع جميع الحروف كلها من جهة رفعه ونصبه وخفضه وسكونه وذاته وحروف العلة الثلاثة فمن أراد أن يشتفى منها فليطالع تفسير القرآن الذى سميناه الجمع والتفصيل وسنوفى الغرض فى هذه الحروف ان شاء الله فى كتاب المبادى والغايات لنا وهو بين أيدينا فلنكتف بهذه الاشارة فى لام ألف والحمد لله المفضل

﴿معرفة ألف اللام آل﴾

ألف اللام لعرفان الذوات * ولاحياء العظام النخرات
تنظم الشمل اذا ما ظهرت * بمحياها وما تبقى شتات
وتفى بالعهد صدقا ولها * حال تعظيم وجود الحضرات

اعلم ان لام ألف بعد حلها ونقض شكلها وابراز أسرارها وفنائها عن اسمها ورسمها تظهر فى حضرة الجنس والعهد والتعريف والتعظيم وذلك لما كان الالف حظ الحق واللام حظ الانسان صار الالف واللام للجنس فاذا ذكرت الالف واللام ذكرت جميع الكون ومكونه فان فنيت عن الحق بالخليقة وذكرت الالف واللام كان الالف واللام الحق والخلق وهذا هو الجنس عندنا فقائمة اللام للحق تعالى ونصف دائرة اللام المحسوس الذى يبقى بعد ما يأخذ الالف قائمته هو شكل النون للخلق ونصف الدائرة الروحانى الغائب للملكوت والالف التى تبرز قطر الدائرة للامر وهو كن وهذه كلها أنواع وفصول للجنس الاعم الذى ما فوقه جنس وهو حقيقة الحقائق التابعة القديمة فى القديم لا فى ذاتها والمحدثة فى المحدث لا فى ذاتها وهى بالنظر اليها لا موجودة ولا معدومة واذا لم تكن موجودة لا تتصف بالقدم ولا بالحدوث كما سيأتى ذكرها فى الباب السادس من هذا الكتاب ولها ما شاء كلها من جهة قبولها للصور لا من جهة قبولها للحدوث والقدم فان الذى يشبهها موجود وكل موجود اما محدث وهو الخلق واما محدث اسم فاعل وهو الخالق ولما كانت تقبل القدم والحدوث كان الحق يتجلى لعباده على ما شاءه من صفاته ولهذا السبب ينكره قوم فى الدار الآخرة لانه تعالى تجلى لهم فى غير الصورة والصفة التى عرفوها منه وقد تقدم طرف منه فى الباب الاول من هذا الكتاب فيتجلى للعارفين على قلوبهم وعلى ذواتهم فى الآخرة عموما فهذا وجه من وجوه الشبه وعلى التحقيق الذى لا خفاء به عندنا ان حقائقها هى المتجلية للصنفين فى الدارين لمن عقل أو فهم من الله تعالى المرئى فى الدنيا بالقلوب والابصار مع أنه سبحانه منبئ عن عجز العباد عن درك كنهه فقال لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير لطيف بعباده بتجليه لهم على قدر طاقتهم خبير بضعفهم عن حمل تجليه الاقدس على ما تعطيه الالوهة اذ لا طاقة للمحدث على حمل جمال القديم كما لا طاقة للانهار بحمل البحار فان البحار تفنى أعيانها سواء وردت عليه أو ورد

عليها أعنى البحر لايبقى لها أثر ايشهد ولايميز فاعرف ماذكرناه وتحقق وأعلى مايشبهها من المحدثات الهباء الذى خلق فيه صور العالم ثم النور أنزل منه فى الشبه بها فان النور صوره فى الهباء كان الهباء صوره فيها وأنزل شبها من النور بها الهواء وأنزل منه الماء وأنزل منه المعادن وأنزل منه الخشب وأمثاله الى أن تنتهى الى شئ لايقبل الاصورة واحدة ان وجدته فتفهم هذا حتى يأتى بابه من هذا الكتاب ان شاء الله فهذه الحقيقة التائهة التى تتضمن الحقائق التائهات هى الجنس الاعم التى تستحق الالف واللام الحل عليه بذاتها وكذلك عهدهما يجريان حقيقتيهما على علم ماوقع فيه العهد بين الموجودين فعلى أى موجودين دخلتا الامر كان بينهما من جهة كل واحد منهما بالنظر الى أمر ثالث كانتا العهد ذلك الامر الثالث الذى يعرفانه وعلى حقيقتهما الالف لاخذ العهد واللام لمن أخذ عليه وكذلك تعريفهما وتخصيصهما انما يخصصان شيأ من جنسه على التعيين ليحصلا العلم به عند من يريد المخبر أن يعلمه اياه فعلى أى حالة كان المخصص والمخصص والشئ الذى بسببه ظهرت هاتان الحقيقتان انقلبتا فى صورة حقائقهما وهذا هو الاشتراك الذاتى فان كان الاشتراك فى الصفة ونريد أن نميز الاعظم منهما للمخاطب فتكونا عند ذلك للتعظيم فى الوصف الذى تدخل فالالف واللام يقبلان كل صورة وحقيقة لانهما موجودان جامعان لجميع الحقائق فأى شئ برز ابرز اله الحقيقة التى عندهما منه فقابلاه بها فدلالتهما على الشئ لذاتهما لا لانهما اكتسبا من الشئ الذى دخلتا عليه ومثل ذلك أهلك الناس الدينار والدرهم رأيت الرجل أمس أحببت الرجال دون النساء هويت السمان ويكفى هذا القدر فقد طال الباب انتهى الجزء السادس والحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

بيان بعض الاسباب أعنى تفسير الالفاظ التى ذكرت فى الحروف من بسائط ومراتب وتقديس وافراد وتركيب وأنس ووحشة وغير ذلك فاعلم أولا ان هذه الحروف لما كانت مثل العالم المكلف الانسانى المشاركة له فى الخطاب لافى التكليف دون غيره من العالم لقبولها جميع الحقائق كالانسان وسائر العالم ليس كذلك فنهم القطب كما منا وهو الالف ومقام القطب منا الحياة القيومية هذا هو المقام الخاص به فانه سار بهمته فى جميع العالم كذلك الالف من كل وجه من وجه روحانيته التى ندركها نحن ولايدركها غيرنا ومن حيث سريانه نفسا من أقصى المخارج الذى هو منبعث النفس الى آخر المنافس ويمتد فى الهواء الخارج وأنت ساكت وهو الذى يسمى الصدى فتلك قيومية الالف لا أنه واقف ومن حيث رقه فان جميع الحروف تنحل اليه وتتركب منه ولا ينحل هو اليها كما ينحل هو أيضا الى روحانيته وهى النقطة تقديرا وان كان الواحد لاينحل فقد عرفناك مالاجله كان الالف قطبا وهكذا تعمل فيما نذكره لك بعد هذا ان أردت أن تعرف حقيقته (والامامان) الواو والياء المعتلتان اللذان هما حرفا المد واللين لا الصحيحتان (والاوتاد) أربعة الالف والواو والياء والنون الذين هم علامات الاعراب (والابدال) سبعة الالف والواو والياء والنون وتاء الضمير وكافه وهاؤه فالالف ألف رجلان والواو واو العمرون والياء ياء العمرين والنون نون يفعلون وسر النسبة بيننا وبينهم فى مرتبة الابدال كما بيناه فى القطب ان التاء اذا غابت من قمت تركت بدلها فقال المتكلم قام زيد فنابت بنفسها مناب الحروف التى هى اسم هذا الشخص المخبر عنه ولو كان الاسم مركبا من ألف حرف ناب الضمير مناب تلك الحروف لقوة حروف الضمائر وتمكنها واتساع فلكها فلو سميت رجلا يادارمية بالعلياء فالسند فقد نابت التاء أو الكاف أو الهاء مناب جملة هذه الحروف فى الدلالة وتركته بدلها أو جاءت بدلا منها كيفما شئت وانما صح لها هذا لكونها تعلم ذلك ولا يعلمه من هى بدل منه أو هو بدل عنها فلهذا استحقت هى وأخواتها مقام الابدال ومدركك من أين علم هذا موقوف على الكشف فابحث عليه بالخلوة والذكر والهمة واياك أن تتوهم تكرار هذه الحروف فى المقامات انها شئ واحد له وجوه انما هى مثل الاشخاص الانسانية فليس زيد بن على هو عين أخيه زيد بن على الثانى وان كانا قد اشتركا فى البنوة والانسانية ووالدهما واحد ولكن بالضرورة نعلم ان الاخ الواحد ليس

عين الاخ الثاني فكما يفرّق البصر بينهما والعلم كذلك يفرّق العلم بينهما في الحروف عند أهل الكشف من جهة الكشف وعند النازلين عن هذه الدرجة من جهة المقام التي هي بدل عن حروفه ويزيد صاحب الكشف على العالم من جهة المقام بأمر آخر لا يعرفه صاحب علم المقام المذكور وهو مثلا قلت اذا كرّرته بدلا من اسم بعينه فتقول لشخص بعينه قلت كذا وقلت كذا فالتاء عند صاحب الكشف التي في قلت الاوّل غير التاء التي في قلت الثاني لان عين المخاطب تتجدد في كل نفس بل هم في لبس من خلق جديد فهذا شأن الحق في العالم مع أحدية الجوهر وكذلك الحركة الروحانية التي عنها أوجد الحق تعالى التاء الاولى غير الحركة التي أوجد عنها التاء الاخرى بالغا ما بلغت فيختلف معناها بالضرورة فصاحب علم المقام يتفطن لاختلاف علم المعنى ولا يتفطن لاختلاف التاء أو أيّ حرف ضميرا كان أو غير ضمير فانه صاحب رقم ولفظ لا غير كما تقول الاشاعرة في الأعراض سواء فالناس مجمعون معهم على ذلك في الحركة خاصة ولا يصلون الى علم ذلك في غير الحركة فلهذا أنكروه ولم يقولوا به ونسبوا القائل بذلك الى الهوس وانكار الحس وحجبوا عن ادراك ضعف عقولهم وفساد محل نظرهم وقصورهم عن التصرف في المعاني فلو حصل لهم الاول عن كشف حقيقيّ من معدنه لانسحبت تلك الحقيقة على جميع الاعراض حكما عامّا لا يختص بعرض دون عرض وان اختلفت أجناس الاعراض فلابد من حقيقة جامعة وحقيقة فاصلة وهكذا هذه المسئلة التي ذكرناها في حق من قال بما قلناه فيها ومن أنكره فليس المطلوب عند المحققين الصور المحسوسة لفظا ورقما وانما المطلوب المعاني التي تضمنها هذا الرقم أو هذا اللفظ وحقيقة اللفظة والمرقوم عينها فان الناظر في الصور انما هو روحانيّ فلا يقدر أن يخرج عن جنسه فلا تعجب بأن ترى الميت لا يطلب الخبز لعدم السرّ الروحانيّ منه ويطلبه الحيّ لوجود الروح فيه فتقول نراه يطلب غير جنسه فاعلم ان في الخبز والماء وجميع المطاعم والمشارب والملابس والمجالس أرواحا لطيفة غريبة هي سرّ حياته وعلمه وتسبيحه ربه وعلوّ منزلته في حضرة مشاهدة خالقه وتلك الارواح أمانة عند هذه الصور المحسوسة يؤدّونها الى هذا الروح المودع في الشبح ألا ترى الى بعضهم كيف يوصل امانته اليه الذي هو سرّ الحياة فاذا أدّى اليه امانته خرج اما من الطريق الذي دخل منه فيسمى قيئا وقلسا واما من طريق آخر فيسمى عذرة وبولا فما أعطاه الاسم الاوّل الا السرّ الذي أدّاه الى الروح وبقي باسم آخر يطلبه من أجله صاحب الخضروات والمدبرين أسباب الاستحالات هكذا ينقلب في أطوار الوجود فيعرى ويكتسي ويدور بدور الاكرة كالدولاب الى ان يشاء الله العليم الحكيم فالروح معذور في تعشقه بهذه المحسوسات فانه عاين مطلوبه فيها فهي في منزل محبوبه

أمرّ على الديار ديار سلمى * أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار مضى بقلبي * ولكن حب من سكن الديارا

وقال أبو اسحق الزوالي رحمه الله

يادار انّ غزالا فيك تيمني * لله درّك ماتحويه يادار

لو كنت أشكو اليها حب ساكنها * اذن رأيت بناء الدار ينهار

فافهموا فهمنا الله واياكم سرائركله وأطلعنا واياكم على خفيات غيوب حكمه أما قولنا الذي ذكرناه بعد كل حرف فأريد ان أبينه لكم حتى تعرفوا منه مالا ينفركم عما لا تعلمون فأقل درجات الطريق التسليم فيما لا تعلمه وأعلاه القطع بصدقه وما عدا هذين المقامين حرمان كان المتصف بهذين المقامين سعيد قال أبو يزيد البسطامي لابي موسى يا أبا موسى اذا لقيت مؤمنا بكلام أهل هذه الطريقة قل له يدعو لك فانه مجاب الدعوة وقال رويم من قعد مع الصوفية وخالفهم في شئ مما يتحققون به نزع الله نور الايمان من قلبه ﴿شرح﴾ فمن ذلك قولنا حرف كذا باسمه كما سقته هو من عالم الغيب فاعلم ان العالم على بعض تقاسيمه على قسمين بالنظر الى حقيقة ما معلومة عندنا ﴿قسم يسمى عالم الغيب﴾ وهو كل ماغاب عن الحس ولم تجر العادة بان يدرك الحس له وهو من الحروف السين والصاد والكاف والخاء المعجمة والتاء باثنتين من فوق والفاء والشين والهاء والثاء بالثلاث والحاء وهذه حروف الرحمة والالطاف

والرأفة والحنان والسكينة والوقار والنزول والتواضع وفيهم نزلت هذه الآية وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وفيهم نزل أيضا على الرقيقة المحمدية التي تمتد اليهم منه من كونه أوتي جوامع الكلم أتي اليهم اظهار سوطهم فقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وفيهم وقلوبهم وجلة وفيهم والذين هم في صلاتهم خاشعون وفيهم وخشعت الاصوات للرحمن وهذا القبيل من الحروف هو أيضا الذي نقول فيه انه من اللطف لما ذكرناه فهذا من جملة المعاني التي نطلق عليه منه عالم الغيب واللطف ﴿والقسم الآخر يسمى عالم الشهادة والقهر﴾ وهو كل عالم من عالمي الحروف جرت العادة عندهم ان يدركوه بحواسهم وهو ما بقي من الحروف وفيهم قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وقوله تعالى واغلظ عليهم وقوله وأجلب عليهم بخيلك ورجلك فهذا عالم الملك والسلطان والقهر والشدة والجهاد والمصادمة والمقارعة ومن روحانية هذه الحروف يكون لصاحب الوحي الغت والغط وصلصلة الجرس ورشح الجبين وطه ويا أيها المزمل ويا أيها المدثر كأنه في حروف عالم الغيب نزل به الروح الامين على قلبك لا تحرك به لسانك لتعجل به ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما * واما قولنا والملك والجبروت أو الملكوت فقد تقدم ذكره في أول هذا الباب عند قولنا ذكر مراتب الحروف * واما قولنا مخرجه كذا فمعلوم عند القراء وفائدته عندنا ان تعرف أفلاكه فان الفلك الذي جعله الله سبب الوجود حرف ما ليس هو الفلك الذي وجد عنه حرف غيره وان توحد الفلك فليست الدورة واحدة بالنظر الى تقدير ما تفرضه أنت في شئ تقتضي حقيقته ذلك الفرض ويكون في الفلك أمر يتميز عندك عن نفس الفلك تجعله علامة في موضع الفرض وترصده فاذا عادت العلامة الى حد الفرض الاول فقد انتهت الدورة وابتدأت أخرى قال عليه السلام ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله وسيأتي بيان هذا الحديث في الباب الحادي عشر من هذا الكتاب * وأما قولنا عدده كذا وكذا أو كذا دون كذا فهو الذي يسميه بعض الناس الجزم الكبير والجزم الصغير وقد يسمونه الجمل عوضا من الجزم وله سر عجيب في أفلاك الدراري وفي أفلاك البروج وأسماؤها معلومة عند الناس فيجعلون الجزم الكبير لفلك البروج ويطرحون ما اجتمع من العدد ثمانية وعشرين ثمانية وعشرين والجزم الصغير لافلاك الدراري ويطرح عدده تسعة تسعة بطريقة ليس هذا الكتاب موضعها وعلم ليس هو مطلوبنا وفائدة الاعداد عندنا في طريقنا الذي تكمل به سعادتنا ان المحقق والمريد اذا أخذ حرفا من هذه أضاف الجزم الصغير الى الجزم الكبير مثل ان يضيف الى القاف الذي هو مائة بالكبير وواحد بالصغير فيجعل أبدا عدد الجزم الصغير وهو من واحد الى تسعة فيرده الى ذاته فان كان واحدا الذي هو حرف الالف بالجزمين والقاف والشين والياء عندنا وعند غيرنا بدل الشين الغين المعجمة بالجزم الصغير فيجعل ذلك الواحد لطيفته المطلوبة منه بأي جزم كان فان كان الالف حتى الى الطاء التي هي بسائط الاعداد فهي مشتركة بين الكبير والصغير في الجزمين فمن حيث كونها للجزم الصغير ردها اليك ومن حيث كونها للجزم الكبير ردها الى الواردات المطلوبة لك فتطلب في الالف التي هي الواحد ياء العشرة وقاف المائة وشين الالف أو غينه على الخلاف وتمت مراتب العدد وانتهى المحيط ورجع الدور على بدئه فليس الا أربع نقط شرق وغرب واستواء وحضيض أربعة أرباع والاربعة عقد محيط لانها مجموع البسائط كما ان هذه العقد مجموع المركبات العددية وان كان اثنان الذي هو الباء بالجزمين والكاف والراء بالجزم الصغير جعلت الباء منك عالمك وقابلت بها عالم الغيب والشهادة فوقفت على أسرارها من كونها غيبا وشهادة لا غير وهي الذات والصفات في الالهيات والعلة والمعلول في الطبيعيات لا في العقليات والشرط والمشروط في العقليات والشرعيات لا في الطبيعيات لكن في الالهيات وان كان ثلاثة الذي هو الجيم بالجزمين واللام والسين المهملة عند قوم والشين المعجمة عند قوم بالجزم الصغير جعلت الجيم منك عالمك وقابلت به عالم الملك من كونه ملكا وعالم الجبروت من كونه جبروتا وعالم الملكوت من كونه ملكوتا وبما في الجيم من العدد الصغير يبرز منك وبما فيه وفي اللام والسين أو الشين من العدد الكبير تبرز وجوه من المطلوب من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء على حسب الاستعداد وأقل درجاته

الذي يشمل العامة العشر المذكور والتضعيف موقوف على الاستعداد وفيه تفاضل رجال الاعمال وكل عالم في طريقه على ذلك وليس غرضنا في هذا الكتاب ما يعطي الله الحروف من الحقائق اذا تحققت بحقائقها وانما غرضنا أن نسوق ما يعطي الله لمنشئها لفظاً أو خطاً اذا تحقق بحقائق هذه الحروف وكوشف على أسرارها فاعلموا ذلك وان كان أربعة الذي هو الدال بالجزمين والميم والتاء بالصغير جعلت الدال منك قواعدك وقابلت بها الذات والصفات والافعال والروابط وبما في الدال من العدد بالصغير يبرز عن أسرار قبولك وبما فيه وفي الميم والتاء بالكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل والكمال فيها والاكمل بحسب الاستعداد وان كانت خمسة الذي هو الهاء بالجزمين والنون والثاء بالصغير جعلت الهاء منك مملكتك في مواطن الحروف ومقارعة الابطال وقابلت بها الارواح الخمسة الحيواني والخيالي والفكري والعقلي والقدسي وبما في الهاء من الصغير تبرز من أسرار قبولك وبما فيه وفي النون والثاء من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل والكمال والاكمل أثر حاصل عن الاستعداد وان كان ستة الذي هو الواو بالجزمين والصاد أو السين على الخلاف والخاء بالصغير جعلت الواو منك جهاتك المعلومة وقابلت بها نفيها عن الحق بوجه واثباتها بوجه وهو علم الصورة وبما في الواو من أسرار القبول بارز بالصغير وبما فيه وفي الصاد أو السين والخاء بالكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل وفي هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار الاستواء وما يكون من نجوى ثلاثة وهو معكم أينما كنتم وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وكل آية أو خبر تثبت له جل وعلا الجهة والتحديد والمقدار والكمال والاكمل فيه على قدر الاستعداد والتأهب وان كان سبعة وهو الزاي بالجزمين والعين والذال بالصغير جعلت الذي منك صفاتك وقابلت بها صفاته وبما في الزاي من الصغير يبرز من أسرار قبولك وبما فيه وفي العين والذال من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل وفي هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار المسبعات كلها حيث وقعت والكمال والاكمل فيه على قدر الاستعداد والتأهب وان كان ثمانية الذي هو الحاء بالجزمين والفاء في قول والصاد في قول والضاد في قول والظاء في قول جعلت الحاء منك ذاتك بما فيها وقابلت بها الحضرة الالهية مقابلة الصورة صورة المرآة وبما في الحاء من الصغير يبرز من أسرار قبولك وبما فيه وفي الفاء والظاء أو الضاد من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل وفي هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار أبواب الجنة الثمانية وفتحها لمن شاء الله هنا وكل حضرة مثمنة في الوجود والكمال والاكمل بحسب الاستعداد وان كان تسعة وهو الطاء بالجزمين والضاد أو الصاد في قول وفي المثين الظاء أو الغين في قول بالجزم الصغير جعلت الطاء منك مراتبك في الوجود التي أنت عليها في وقت نظرك في هذا التجلي وقابلت بها مراتب الحضرة وهو الابد طاولك وبما في الطاء من الصغير يبرز من أسرار القبول وبما فيه وفي الضاد أو الصاد والغين أو الظاء من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل وفي هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار المنازل والمقامات الروحانية وأسرار الاحدية والكامل والاكمل على حسب الاستعداد فهذا وجه من الوجوه التي سقناها عدد الحرف من أجله فاعمل عليه وان كان ثم وجوه أخر فليتك لو عملت على هذا وهو المفتاح الاول ومن هنا تنفتح لك أسرار الاعداد وأرواحها ومنازلها فان العدد سر من أسرار الله في الوجود ظهر في الحضرة الالهية بالقوة فقال صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحداً من أحصاها دخل الجنة وقال ان لله سبعين ألف حجاب الى غير ذلك وظهر في العالم بالفعل وانسحبت معه القوة فهو في العالم بالقوة والفعل وغرضنا ان مد الله في العمر وتراخى الاجل ان نضع في خواص العدد موضوعاً لم نسبق اليه في علمي نبدي فيه من أسرار الاعداد ما تعطيه حقائقه في الحضرة الالهية وفي العالم والروابط ما تغتبط به الاسرار وتنال به السعادة في دار القرار وأما قولنا بسائطه فلسنا نريد بسائط شكل الحرف مثلا الذي هو ص وانما نريد بسائط اللفظ الذي هو الكلمة الدالة عليه وهو الاسم أو التسمية وهو قولك صاد فبسائط هذه اللفظة نريد وأما بسائط الشكل فليس له بسائط من الحروف ولكن له النقص والتمام والزيادة مثل الراء والزاي نصف النون والواو نصف القاف والكاف أربعة أخماس الطاء وأربعة أسداس الظاء والدال خمسي الطاء والياء ذالان واللام يزيد على الالف بالنون وعلى النون بالالف وشبه هذا وأما بسائط اشكال الحروف انما ذلك من

النقط خاصة فعلى قدر نقطه بسائطه وعلى قدر مرتبة الحرف فى العالم من جهة ذاته أو من نعت هو عليه فى الحال على منازل نقطه وافلا كها وزوطها فالافلاك التى عنها وجدت بسائط ذلك الحرف المذكور باجتماعها وحركاتها كلها وجد اللفظ به عند نا وتلك الافلاك تقطع فى فلك أقصى على حسب اتساعها وأما قولنا فلكه وسنى حركة فلكه فنريد به الفلك الذى عنه وجد العضو الذى فيه مخرجه فان الرأس من الانسان أوجده الله تعالى عند حركة مخصوصة من فلك مخصوص من افلاك مخصوصة والعنق عن الفلك الذى يلى هذا الفلك المذكور والصدر عن الفلك الرابع من هذا الفلك الاول المذكور فكل ما يوجد فى الرأس من المعانى والارواح والاسرار والحروف والعروق وكل ما فى الرأس من هيئة ومعنى عن ذلك الفلك ودورته اثنتا عشرة ألف سنة ودورة فلك العنق وما فيه من هيئة ومعنى والحروف الحلقية من جملتها احدى عشرة ألف سنة ودورة فلك الصدر على حكم ما ذكرناه تسع آلاف سنة وطبعه وعنصره وما يوجد عنه راجع الى حقيقة ذلك الفلك وأما قولنا يتميز فى طبقة كذا فاعلموا ان عالم الحروف على طبقات بالنسبة الى الحضرة الالهية والقرب منها مثلنا وتعرف ذلك فيهم بما أذكره لك وذلك ان الحضرة الالهية التى للحروف عندنا فى الشاهد انما هى فى عالم الرقم خط المصحف وفى الكلام التلاوة وان كانت سارية فى الكلام كله تلاوة أو غيرها فهذا ليس هو عشك ان تعرف أن كل لافظ يلفظه الى الآباد أنه قرآن ولكنه فى الوجود بمنزلة حكم الاباحة فى شرعنا وفتح هذا الباب يؤدّى الى تطويل عظيم فان مجاله رحب فعدلنا الى أمر جزئى من وجه صغر فلكه المرقوم وهو المكتوب والملفوظ به خاصة واعلم ان الامور عندنا من باب الكشف اذا ظهر منها فى الوجود ما ظهر ان الاول أشرف من الثانى وهكذا على التتابع حتى الى النصف ومن النصف يقع التفاضل مثل الاول حتى الى الآخر والآخر والاول أشرف ما ظهر ثم يتفاضلان على حسب ما وضعاله وعلى حسب المقام فالاشرف منها أبدا يقدم فى الموضع الاشرف وتبيين هذا أن ليلة خمسة عشر فى الشرف بمنزلة ليلة ثلاثة عشر وهكذا حتى الى ليلة طلوع الهلال من أول الشهر وطلوعه من آخر الشهر وليلة المحاق المطلق ليلة الابدار المطلق فافهم فنظرنا كيف ترتب مقام رقم القرآن عندنا وبماذا بدئت به السور من الحروف وبماذا اختتمت وبماذا اختصت السور المجهولة فى العلم النظرى المعلومة بالعلم اللدنى من الحروف ونظرنا الى تكرار بسم الله الرحمن الرحيم ونظرنا فى الحروف التى لم تختص بالبداية ولا بالختام ولا ببسم الله الرحمن الرحيم وطلبنا من الله تعالى أن يعلمنا بهذا الاختصاص الالهى الذى حصل لهذه الحروف هل هو اختصاص اعتنائى من غير شئ كاختصاص الانبياء بالنبوّة والاشياء الاول كلها أو هو اختصاص نالته من طريق الاكتساب فكشف لنا عن ذلك كشف الهام فرأيناه على الوجهين معا فى حق قوم عناية وفى حق قوم جزاء لما كان منهم فى أول الوضع والكل لنا ولهم وللعالم عناية من الله تعالى فلما وقفنا على ذلك جعلنا الحروف التى لم تثبت أولا ولا آخرا على مراتب الاولية كما ذكره عامة الحروف ليس لها من هذا الاختصاص القرآنى حظ وهم الجيم والضاد والخاء والذال والغين والشين وجعلنا الطبقة الاولى من الخواص حروف السور المجهولة وهم الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وأعنى بهذا صورة اشتراكهم فى اللفظ والرقم فاشتراكها فى الرقم اشتراكها فى الصورة والاشتراك اللفظى اطلاق اسم واحد عليها مثل زيد وزيد آخر فقد اشتركا فى الصورة والاسم * وأما المقرر عندنا والمعلوم ان الصاد من المص ومن كهيعص ومن ص ليس كل واحد منهن عين الآخر منهن ويختلف باختلاف أحكام السورة وأحوالها ومنازلها وهكذا جميع هذه الحروف على هذه المرتبة وهذه تعمها لفظا وخطا * وأما الطبقة الثانية من الخاصة وهم خاصة الخاصة فكل حرف وقع فى أوّل سورة من القرآن مجهولة وغير مجهولة وهو حرف الالف والياء والباء والسين والكاف والطاء والقاف والتاء والواو والصاد والحاء والنون واللام والهاء والعين * وأما الطبقة الثالثة من الخواص وهم الخلاصة فهم الحروف الواقعة فى أواخر السور مثل النون والميم والراء والباء والدال والزاى والالف والطاء والياء والواو والهاء والظاء والثاء واللام والفاء والسين * وان كان الالف فيما يرى خطا ولفظا فى ركزا ولزاما ومن اهتدى فا

أعطانا الكشف الا الذي قبل ذلك الالف فوقفنا عنده وسميناه آخرا كما شهدناه هنالك وأثبتنا الالف كما رأيناه هنا ولكن في فصل آخر لا في هذا الفصل فانا لا نريد في التقييد في هذه الفصول على ما نشاهده بل ربما نرغب في نقص شيء منها مخافة التطويل فنسعف في ذلك من جهة الرقم واللفظ ونعطي لفظا يعم تلك المعاني التي كثرت ألفاظها فنلقيه فلا يخل بشيء من الالقاء ولا تنقص ولا يظهر لذلك الطول الاول عين فينقضي المرغوب ولله الحمد وأما الطبقة الرابعة من الخواص وهم صفاء الخلاصة وهم حروف بسم الله الرحمن الرحيم وما ذكرت الا حيث ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم على حد ما ذكرها الله له بالوجهين من الوحي وهو وحي القرآن وهو الوحي الاول فان عندنا من طريق الكشف ان الفرقان حصل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآنا مجملا غير مفصل الآيات والسور ولهذا كان عليه السلام يعجل به حين كان ينزل عليه به جبريل عليه السلام بالفرقان فقيل له ولا تعجل بالقرآن الذي عندك فتلقيه مجملا فلا يفهم عنك من قبل أن يقضى اليك وحيه فرقانا مفصلا وقل رب زدني علما بتفصيل ما أجملته فيّ من المعاني وقد أشار من باب الاسرار فقال انا أنزلناه في ليلة ولم يقل بعضه ثم قال فيها يفرق كل أمر حكيم وهذا هو وحي الفرقان وهو الوجه الآخر من الوجهين وسيأتي الكلام على بسم الله الرحمن الرحيم في بابه الذي أفردت له في هذا الكتاب واعلموا ان بسملة سورة براءة هي التي في النمل فان الحق تعالى اذا وهب شيأ لم يرجع فيه ولا يرده الى العدم فلما خرجت رحمة براءة وهي البسملة حكم التبري من أهلها برفع الرحمة عنهم فوقف الملك بها لا يدري أين يضعها لان كل أمة من الامم الانسانية قد أخذت رحمتها بايمانها بنبيها فقال اعطوا هذه البسملة للبهائم التي آمنت بسليمان عليه السلام وهي لا يلزمها ايمان الا برسولها فلما عرفت قدر سليمان وآمنت به أعطيت من الرحمة الانسانية حظا وهو بسم الله الرحمن الرحيم الذي سلب عن المشركين وفي هذه السورة الجساسة وأما الطبقة الخامسة وهي عين صفاء الخلاصة فذلك حرف الباء فانه الحرف المقدم لانه أول البسملة في كل سورة والسورة التي لم يكن فيها بسملة ابتدئت بالباء فقال تعالى براءة قال لنا بعض الاسرائيليين من أحبارهم ما لكم في التوحيد حظ لان سور كتابكم بالباء فأجبته ولا أنتم فان أول التوراة باء فأفحم ولا يمكن الا هذا فان الألف لا يبتدأ بها أصلا فما وقع من هذه الحروف في مبادي السور قلنا فيه له بداية الطريق وما وقع آخرا قلنا له غاية الطريق وان كان من العامة قلنا له وسط الطريق لان القرآن هو الصراط المستقيم وأما قولنا مرتبته الثانية حتى الى السابعة فنريد بذلك بسائط هذه الحروف المشتركة في الاعداد فالنون بسائطه اثنان في الالوهية والميم بسائطه ثلاثة في الانسان والجيم والواو والكاف والقاف بسائطه أربعة في الجن والدال والزاي والصاد والعين والضاد والسين والذال والغين والشين بسائطه خمسة في البهائم والالف والهاء واللام بسائطه ستة في النبات والباء والحاء والطاء والياء والفاء والراء والتاء والثاء والخاء والظاء بسائطه سبعة في الجماد وأما قولنا حركته معوجة أو مستقيمة أو منكوسة أو ممتزجة أو أفقية فأريد بالمستقيمة كل حرف حرك همتك الى جانب الحق خاصة من جهة السلب ان كنت عالما ومن جهة ما يشهد ان كنت مشاهدا والمنكوسة كل حرف حرك الهمة الى الكون وأسراره والمعوجة وهي الافقية كل حرف حرك الهمة الى تعلق المكون بالمكون والممتزجة كل حرف حرك الهمة الى معرفة أمرين مما ذكرت لك فصاعدا وتظهر في الرقم في الالف والميم المعرق والحاء والنون وما أشبه هؤلاء وأما قولنا له الاعراف والخلق والاحوال والكرامات أو الحقائق والمقامات والمنازلات فاعلموا أن الشيء لا يعرف الا بوجهه أي بحقيقته فكل ما لا يعرف الشيء الا به فذلك وجهه فنقط الحرف وجهه الذي يعرف به والنقط على قسمين نقط فوق الحرف ونقط تحته فاذا لم يكن للشيء ما يعرف به عرف بنفسه مشاهدة وبضده عقلا وهي الحروف اليابسة فاذا دار الفلك أي فلك المعارف حدثت عنه الحروف المنقوطة من فوق واذا دار فلك الاعمال حدثت عنه الحروف المنقوطة من أسفل واذا دار فلك المشاهدة حدثت عنها الحروف اليابسة غير المنقوطة ففلك المعارف يعطي الخلق والاحوال والكرامات وفلك الاعمال يعطي الحقائق والمقامات والمنازلات وفلك المشاهدة يعطي البراءة من هذا كله قيل لابي يزيد كيف أصبحت قال لا صباح لي ولا مساء انما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة وأنا لا صفة لي

وهذا مقام الاعراف وأما قولنا خالص أو ممتزج فالخالص الحرف الموجود عن عنصر واحد والممتزج الموجود عن عنصرين فصاعدا وأما قولنا كامل أو ناقص فالكامل هو الحرف الذي وجد عن تمام دورة فلكه والناقص الذي وجد عن بعض دورة فلكه وطرأت على الفلك علة أوقفته فنقص عما كان يعطيه كمال دورته كالدودة في عالم الحيوان التي ما عندها سوى حاسة اللمس فغذاؤها من لمسها كالواو مع القاف والزاي مع النون وأما قولنا يرفع من اتصل به نريد كل حرف اذا وقفت على سره ورزقت التحقق به والاتحاد تميزت في العالم العلوي وأما قولنا مقدس أي عن التعلق بغيره فلا يتصل في الخط بحرف آخر وتتصل الحروف به فهو منزه الذات عددها ستة أفلاك عالية الاوج عنها وجدت الجهات هذه الستة الاحرف بحر عظيم لا يدرك قعره فلا يعرف حقيقته الا الله وهي مفاتح الغيب وندرك من باب الكشف أثرها المنوط بها وهي الالف والواو والدال والذال والراء والزاي وأما قولنا مفرد ومثنى ومثلث ومربع ومؤنس وموحش فنريد بالمفرد الى المربع ما نذكره وذلك ان من الافلاك التي عنها توجد هذه الحروف ما له دورة واحدة فذلك قولنا مفرد ودورتان فذلك المثنى هكذا الى المربع وأما المؤنس والموحش فالدورة تأنس باختها الشيء يألف شكله قال تعالى لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة فالعارف يألف الحال ويأنس به نودي عليه السلام في ليلة اسرائه في استيحاشه بلغة أبي بكر فأنس بصوت أبي بكر خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر من طينة واحدة فسبق محمد صلى الله عليه وسلم وصلى أبو بكر ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فكان كلامهما كلامه سبحانه فلم يعد المرتبة وعدى الخطاب الى المرتبة الاخرى فقال كأنه مبتدئ وهو عاطف على هذا الكلام ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم فأرسلها في الناس من قطعها ومنهم من وصلها في هذا مقام الاثبات وبقاء الرسم وظهور العين وسلطان الحقائق وتمشية العدل من باب الفضل والطول والموحش محو لا محق صاحب علة ترتق فتحقق ما ذكرناه وأما قولنا له الذات والصفات والافعال على حسب الوجوه فأي حرف له وجه واحد كان له من هذه الحضرات حضرة واحدة أي شيء واحد على حسب علوه ونزوله وكذلك اذا تعددت الوجوه وأما قولنا له من الحروف فانما أعني الحقائق المقممة لذاته من جهة ما وأما قولنا له من الاسماء فنريد به الاسماء الالهية التي هي الحقائق القديمة التي عنها ظهرت حقائق بسائط ذلك الحرف لا غير ولها منافع كثيرة عالية الشأن عند العارفين اذا أرادوا التحقق بها حركوا الوجود من أوله الى آخره فهي لهم هنا خصوص وفي الآخرة عموم بها يقول المؤمن في الجنة للشيء يريده كن فيكون فهذه نبذة من معاني عالم الحروف قليلة على أوجز ما يمكن وأخصره وفيها تنبيه لاصحاب الروائح والذوق انتهى الجزء السابع والحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الفصل الثاني في معرفة الحركات التي تتميز بها الكلمات وهي الحروف الصغار)

حركات الحروف ست ومنها * أظهر الله مثلها الكلمات
هي رفع وثم نصب وخفض * حركات للاحرف المعربات
وهي فتح وثم ضم وكسر * حركات للاحرف الثابتات
وأصول الكلام حذف فوت * أو سكون يكون عن حركات
هذه حالة العوالم فانظر * لحياة غريبة في موات

اعلم أيدنا الله واياك بروح منه انا كنا شرطنا أن نتكلم في الحركات في فصل الحروف لم أطلق عليها الحروف الصغار ثم انه رأينا انه لا فائدة في امتزاج عالم الحركات بعالم الحروف الا بعد نظام الحروف وضم بعضها الى بعض فتكون كلمة عند ذلك من الكلم وانتظامها ينظر الى قوله تعالى في خلقنا فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وهو ورود الحركات على هذه الحروف بعد تسويتها فتقوم نشأة أخرى تسمى كلمة كما يسمى الشخص الواحد منا انسانا فكهذا انشأ عالم الكلمات

والالفاظ من عالم الحروف فالحروف للكلمات مواد كالماء والتراب والنار والهواء لاقامة نشأة أجسامنا ثم نفخ الروح فيه الامرى فكان انسانا كما قبلت الرياح عند استعدادها نفخ الروح الامرى فكان جانا كما قبلت الانوار عند استعدادها نفخ الروح فكانت الملائكة ومن الكلم ما يشبه الانسان وهو أكثرها ومنها ما يشبه الملائكة والجن وكلاهما جن وهو أقلها كالباء الخافضة واللام الخافضة والمؤكدة وواو القسم وبائه وتائه وواو العطف وفائه والقاف من ق والشين من ش والعين من ع اذا أمرت بها من الوقاية والوشي والوعي وما عدا هذا الصنف المفرد فهو أشبه شئ بالانسان وان كان المفرد يشبه باطن الانسان فان باطن الانسان جان في الحقيقة فلما كان عالم الحركات لا يوجد الا بعد وجود الذوات المتحركة بها وهي الكلمات المنشآت من الحروف أخرنا الكلام عليها عن فصل الحروف الى فصل الالفاظ ولما كانت الكلمات التي أردنا أن نذكرها في هذا الباب عن جملة الالفاظ أردنا أن نتكلم في الالفاظ على الاطلاق وحصر عالمها ونسبة هذه الحركات منها بعد ما نتكلم أولا على الحركات على الاطلاق ثم بعد ذلك نتكلم على الحركات المختصة بالكلمات التي هي حركات اللسان وعلاماتها التي هي حركات الخط ثم بعد ذلك نتكلم على الكلمات التي توهم التشبيه كما ذكرناه ولعلك تقول هذا العالم المفرد من الحروف الذي قبل الحركة دون تركيب كباء الخفض وشبهه من المفردات كنت تلحقه بالحروف لانفراده فان هذا هو باب التركيب وهو الكلمات قلنا ما نفخ في باء الخفض الروح وأمثاله من مفردات من الحروف أرواح الحركات ليقوموا بأنفسهم كما قام عالم الحروف وحده دون الحركات وانما نفخ فيه الروح من أجل غيره فهو مركب ولذلك لا يعطى ذلك حتى يضاف الى غيره فيقال بالله وتالله ووالله لاعبدن وسأعيد أقنتي لربك واسجدي وما أشبه ذلك ولا معنى له اذا أفردته غير معنى نفسه وهذه الحقائق التي تكون عن التركيب توجد بوجوده وتعدم بعدمه فان الحيوان حقيقته لا توجد أبدا الا عند تألف حقائق مفردة معقولة في ذواتها وهي الجسمية والتغذية والحس فاذا تألف الجسم والغذاء والحس ظهرت حقيقة الحيوان ليس هي الجسم وحده ولا الغذاء وحده ولا الحس وحده فاذا أسقطت حقيقة الحس وألفت الجسم والغذاء قلت نبات حقيقة ليست الاولى ولما كانت الحروف المفردة التي ذكرناها مؤثرة في هذا التركيب الآخر اللفظي الذي ركبناه لابراز حقائق لا تعقل عند السامع الا بها لهذا شبهناها لكم لتوصل بالعالم الروحاني كالجن ألا ترى الانسان يتصرف بين أربع حقائق حقيقة ذاتية وحقيقة ربانية وحقيقة شيطانية وحقائق ملكية وسيأتي ذكر هذه الحقائق مستوفى في باب المعرفة للخواطر من هذا الكتاب وهذا في عالم الكلمات دخول حرف من هذه الحروف على عالم الكلمات فتحدث فيه ما تعطيه حقيقتها فافهم هذا فهمنا الله واياكم سر أثر كله (نكتة واشارة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم وقال تعالى وكلمته ألقاها الى مريم وقال وصدقت بكلمات ربها وكتابه ويقال قطع الامير يد السارق وضرب الامير اللص فمن ألقى عن أمر شئ فهو ألقاه فكان الملقى محمد عليه السلام ألقى عن الله كلمات العالم بأسره من غير استثناء شئ منه البتة فمنه ما ألقاه بنفسه كأرواح الملائكة وأكثر العالم العلوي ومنه أيضا ما ألقاه عن أمره فيحدث الشئ عن وسائط كثيرة الزراعة ما تصل الى أن تجرى في أعضائك روحا مسبحا وممجدا الا بعد أدوار كثيرة وانتقالات في عالم وتنقلب في كل عالم من جنسه على شكل أشخاصه فرجع الكل في ذلك الى من أوتى جوامع الكلم فنفخ الحقيقة الاسرافيلية من المحمدية المضافة الى الحق نفخها كما قال تعالى ويوم تنفخ في الصور بالنون وقرئ بالياء وضمها وفتح الفاء والنافخ انما هو اسرافيل عليه السلام والله قد أضاف النفخ الى نفسه فالنفخ من اسرافيل والقبول من الصور وسر الحق بينهما هو المعنى بين النافخ والقابل كالرابط من الحروف بين الكلمتين وذلك هو سر الفعل الاقدس الانزه الذى لا يطلع عليه النافخ ولا القابل فعلى النافخ أن ينفخ وعلى النار أن تتقد والسراج أن ينطفئ والاتقاد والانطفاء بالسر الالهي فتنفخ فيها فتكون طائرا باذن الله قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون والنفخ واحد والنافخ واحد والخلاف في المنفوخ فيه بحكم الاستعداد وقد خفى السر الالهي بينهما في كل حالة فتفطنوا يا اخواننا لهذا الامر الالهي واعلموا أن الله

عزيز حكيم لا يتوصل أحد الى معرفة كنه الالوهة أبدا ولا ينبغى لها أن تدرك عزت وتعالت علوّا كبيرا فالعالم كله من أوله الى آخره مقيد بعضه ببعضه عابد بعضه بعضا معرفتهم منهم اليهم وحقائقهم منبعثة عنهم بالسرّ الالهىّ الذى لا يدركونه وعائدة عليهم فسبحان من لا يجارى فى سلطانه ولا يدانى فى احسانه لا اله الا هو العزيز الحكيم فبعد فهم جوامع الكلم الذى هو العلم الاحاطى والنور الالهىّ الذى اختص به سرّ الوجود وعمد القبة وساق العرش وسبب ثبوت كل ثابت محمد صلى الله عليه وسلم فاعلموا وفقكم الله أن جوامع الكلم من عالم الحروف ثلاثة ذات غنية قائمة بنفسها وذات فقيرة الى هذه الغنية غير قائمة بنفسها ولكن يرجع منها الى الذات الغنية وصف تتصف به يطلبها بذاته فانه ليس من ذاتها الا مصاحبة هذه الذات لها فقد صح أيضا من وجه الفقر للذات الغنية القائمة بنفسها كما صح للاخرى وذات ثالثة رابطة بين ذاتين غنيتين أو ذاتين فقيرتين أو ذات فقيرة وذات غنية وهذه الذات الرابطة فقيرة لوجود هاتين الذاتين ولا بد فقد قام الفقر والحاجة بجميع الذوات من حيث افتقار بعضها الى بعض وان اختلفت الوجوه حتى لا يصح الغنى على الاطلاق الا لله تعالى الغنىّ الحميد من حيث ذاته فلنسم الغنية ذاتا والذات الفقيرة حدثا والذات الثالثة رابطة فقول الكلام محصور فى ثلاث حقائق ذات وحدث ورابطة وهذه الثلاثة جوامع الكلم فيدخل تحت جنس الذات أنواع كثيرة من الذوات وكذلك تحت جنس كلمة الحدث والرابط ولا نحتاج الى تفصيل هذه الانواع ومساقها فى هذا الكتاب وقد اتسع القول فى هذه الانواع فى تفسير القرآن لنا وان شئت أن تقيس على ما ذكرناه فانظر فى كلام النحويين وتقسيمهم الكلم وفى الاسم والفعل والحرف وكذلك المنطقيين فالاسم عندهم هو الذات عندنا والفعل عندهم هو الحدث عندنا والحرف عندهم هو الرابطة عندنا وبعض الاحداث عندهم بل كلها أسماء كالقيام والقعود والضرب وجعلوا الفعل كل كلمة مقيدة بزمان معين ونحن انما قصدنا بالكلمات الجرى على الحقائق بما هى عليه فجعلنا القيام وقام ويقوم وقم حدثا وفصلنا بينهم بالزمان المبهم والمعين وقد تفطن لذلك الزجاجى فقال والحدث الذى هو القيام مثلا هو المصدر يريد هو الذى صدر من المحدث وهو اسم الفعل يريد أن القيام هذه الكلمة اسم لهذه الحركة المخصوصة من هذا المتحرّك الذى بها سمى قائما فتلك الهيئة هى التى سميت قياما بالنظر الى حال وجودها وقام بالنظر الى حال انقضائها وعدمها ويقوم وقم بالنظر الى توهم وقوعها ولا توجد أبدا الا فى متحرّك فهى غير قائمة بنفسها ثم قال والفعل يريد لفظة قام ويقوم لا نفس الفعل الصادر من المتحرك قائما مثلا مشتق منه الهاء تعود على لفظة اسم الفعل الذى هو القيام مأخوذ يعنى قام ويقوم من القيام لان النكرة عنده قبل المعرفة والمبهم نكرة والمختص معرفة والقيام مجهول الزمان وقام مختص الزمان ولو دخلت عليه أن ويقوم مختص الزمان ولو دخلت عليه لم وهذا مذهب من يقول بالتحليل انه فرع عن التركيب وان المركب وجد مركبا وعلى مذهب من يقول بالتفريق وان التركيب طارئ وهو الذى يعضد فى باب النقل أكثر فان الاظهر ان المعرفة قبل النكرة وان لفظة زيد انما وضعت لشخص معين ثم طرأ التنكير بكونه شورك فى تلك اللفظة فاحتيج الى التعريف بالنعت والبدل وشبه ذلك فالمعرفة أسبق من النكرة عند المحققين وان كان لهؤلاء وجه ولكن هذا أليق وأتم عن ومن جرى مجرانا ورقى مرقانا الا شميخ فعرضنا أمر آخر ليس هو قول أحدهما مطابقا الا بنسب واضافات ونظر الى وجوه مايطول ذكرها ولا تمس الحاجة اليها فى هذا الكتاب اذ قد ذكرناها فى غيره من تواليفنا فلنبين أن الحركات على قسمين حركة جسمانية وحركة روحانية والحركة الجسمانية لها أنواع كثيرة سيأتى ذكرها فى داخل الكتاب وكذلك الروحانية ولا نحتاج منها فى هذا الكتاب الا الى حركات الكلام لفظا وخطا فالحركات الرقمية كالاجسام والحركات اللفظية لها كالارواح والمتحركات على قسمين متمكن ومتلوّن فالمتلوّن كل متحرّك تحرّك بجميع الحركات أو ببعضها فالمتحرك بجميعها كالدال من زيد والمتحرك ببعضها كالاسماء التى لا تنصرف فى حال كونها لا تنصرف فانها قد تنصرف فى التنكير والاضافة كالدال من أحمد والمتمكن كل متحرّك ثبت على حركة واحدة ولم ينتقل عنها كالاسماء المبنية مثل هؤلاء وحذام وكحروف الاسماء المعربة التى قبل حرف الاعراب منها كالزاى والياء من زيد وشبهه واعلم أن أفلاك الحركات هى أفلاك

الحروف

الحروف التي تلك الحركات عليها اعطاء وخطا فانظره هناك ولها بسائط وأحوال ومقامات كما كان للحروف نذكرها في كتاب المبادي المخصوص بعلم الحروف ان شاء الله وكما ثبت التلوين والتمكين للذات كذلك ثبت للمحدث والرابط ولكن في الرفع والنصب وحذف الوصف وحذف الرسم ويكون تلوين تركيب الرابط لامرين بالموافقة والاستعارة والاضطرار فبالموافقة وهو الاتباع هذا ابنم ورأيت ابنما وعجبت من ابنم وبالاستعارة حركة النقل كحركة الدال من قد أفلح في قراءة من نقل وبالاضطرار التحريك لالتقاء الساكنين وقد تكون حركة الاتباع الموافق في التركيب الذاتي وان كان أصل الحروف كلها التمكين وهو البناء مثل الفطرة فينا وهنا أسرار ان تفطن ولكن الوالدان ينقلان عن الفطرة المقيدة لا الفطرة المطلقة كذلك الحروف متمكنة في مقامها لا تختل ثابتة مبنية كلها ساكنة في حالها فأراد اللافظ أن يوصل الى السامع ما في نفسه فافتقر الى التلوين فحرك الفلك الذي عنه توجد الحركات عند أبي طالب وعند غيره هو المتقدم واللفظ أو الرقم عن ذلك الفلك وهذا موضع طلب لمريدي معاينة الحقائق وأما نحن فلا نقول بقول أبي طالب ونقتصر ولا بقول الآخر ونقتصر فان كل واحد منهما قال حقا من جهة ما ولم يتم فأقول ان الحقائق الاول الالهية تتوجه على الافلاك العلوية بالوجه الذي تتوجه به على محال آثارها عند غير أبي طالب المكي وتقبل كل حقيقة على مرتبتها ولما كانت تلك الافلاك في اللطافة أقرب عند غير أبي طالب الى الحقائق كان قبولها أسبق لعدم الشغل وصفاء المحل من كدورات العلائق فانه نزيه فلهذا جعلها السبب المؤثر ولو عرف هذا القائل ان تلك الحقائق الاول انما توجهت على ما ينا سبها في اللطافة وهو أنفاس الانسان فتحرك الفلك العلوي الذي يناسبه عالم الانفاس وهذا مذهب أبي طالب ثم يحرك ذلك الفلك العلوي العضو المطلوب بالغرض المطلوب بتلك المناسبة التي بينهما فان الفلك العلوي وان لطف فهو في أول درج الكثافة وآخر درج اللطافة بخلاف عالم أنفاسنا واجتمعت المذاهب فان الخلاف لا يصح عندنا ولا في طريقنا لكنه كاشفوا كشف فتفهم ما أشرنا اليه وتحققه فانه سر عجيب من أكبر الاسرار الالهية وقد أشار اليه أبو طالب في كتاب القوت له ثم نرجع ونقول فافتقر المتكلم الى التلوين ليبلغ الى مقصده فوجد عالم الحروف والحركات قابلا لما يريده منها لعلمها أنها لا تزول عن حالها ولا تبطل حقيقتها فيتخيل المتكلم أنه قد غير الحرف وما غيره برهان ذلك أن تفني نظرك في دال زيد من حيث هو دال وانظر فيه من حيث تقدمه قام مثلا وتفرغ اليه أو أي فعل لفظي كان أيحدث به عنه فلا يصح لك الا الرفع فيه خاصة فما زال عن بنائه الذي وجد عليه ومن تخيل أن دال الفاعل هو دال المفعول أو دال المجرور فقد خلط واعتقد أن الكلمة الاولى هي عين الثانية لا مثلها ومن اعتقد هذا في الوجود فقد بعد عن الصواب وربما يأتي من هذا الفصل في الالفاظ شئ ان قدر وأطمناه فقد تبين لك أن الاصل الثبوت لكل شئ ألا ترى العبد حقيقة ثبوته وتمكنه انما هو في العبودة فان اتصف يوما ما بوصف رباني فلا تقل هو معار عنده ولكن انظر الى الحقيقة التي قبلت ذلك الوصف منه تجدها ثابتة في ذلك الوصف كما ظهر عينها تحلت بتلك الحلية فاياك أن تقول قد خرج هذا عن طوره بوصف ربه فان الله تعالى ما نزع وصفه وأعطاه اياه وانما وقع الشبه في اللفظ والمعنى معا عند غير المحقق فيقول هذا هو هذا وقد علمنا أن هذا ليس هذا وهذا ينبغي لهذا ولا ينبغي لهذا ليكن عند من لا ينبغي له عارية وأمانة وهذا قصور وكلام من عمي عن ادراك الحقائق فان هذا ولا بد ينبغي له هذا فليس الرب هو العبد وان قيل في الله سبحانه انه عالم وقيل في العبد انه عالم وكذلك الحي والمريد والسميع والبصير وسائر الصفات والادراكات فاياك أن تجعل حياة الحق هي حياة العبد في الحد فتلزمك المحالات فاذا جعلت حياة الرب على ما تستحقه الربوبية وحياة العبد على ما يستحقه الكون فقد انبغى للعبد أن يكون حيا ولو لم ينبغ له ذلك لم يصح أن يكون الحق آمرا ولا قاهرا الا لنفسه ويتنزه تعالى أن يكون مأمورا أو مقهورا فاذا ثبت أن يكون المأمور والمقهور أمرا آخر وعينا أخرى فلا بد أن يكون حيا عالما مريدا متمكنا مما يراد به هكذا تعطى الحقائق فتم على هذا حرف لا يقبل سوى حركته كالهاء من هذا وثم حرف يقبل الحركتين والثلاث من جهة صورته الجسمية والروحية كالهاء في الضمير له ولها وبه كما تقبل أنت بنفسك الخجل وبصورتك حمرته وتقبل بنفسك الوجل وبصورتك صفرته والثوب يقبل الالوان المختلفة وما

بقي الكشف الاعن الحقيقة التي تقبل الاعراض هل هي واحدة أو شأنها شأن الاعراض في العدم والوجود وهذا مبحث للنظار وأما نحن فلا نحتاج اليه ولا نلتفت فانه بحر عميق مجال المريد على معرفته من باب الكشف عليه فانه بالنظر الى الكشف يسير وبالنظر الى العقل عسير ثم أرجع وأقول ان الحرف اذا قامت به حقيقة الفاعلية بتفريغ الفعل على البنية المخصوصة في اللسان تقول قال الله واذا قامت به حقيقة تطلبه يسمى عندها منصوبا بالفعل أو مفعولا كيف شئت وذلك بأن تطلب منه العون أو تقصده كما طلب مني القيام بما كلفني فمن أجل انه لم يعطني الا بعد سؤالي فكان سؤالي أو حالي القائم مقام سؤالي بوعده جعله يعطيني قال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين فسؤالي اياه من أمره اياي به واعطاؤه اياي من طلبي منه فتقول دعوت الله فنصبت حرف الهاء وقد كانت مرفوعة فعلمنا بالحركات أن الحقائق قد اختلفت بهذا ثبت الاصطلاح في لحن بعض الناس وهذا اذا كان المتكلم به غيرنا وأما المتكلم فالحقائق يعلم أولا ويجريها في أفلاكها على ما تقتضيه بالنظر الى أفلاك مخصوصة وكل متكلم بهذه المثابة وان لم يعلم بهذا التفصيل وهو عالم به من حيث لا يعلم انه عالم به وذلك ان الاشياء المتلفظ بها اما لفظ يدل على معنى وهو مقام الباحث في اللفظ ما مدلوله ليرى ما قصد به المتكلم من المعاني واما معنى يدل عليه بلفظ ما وهو الخبير عما تحقق وأضربنا عن اللحن فان أولا كم غير هذه الافلاك واسقاط الحركات من الخط في حق قوم دون قوم ما سببه ومن أين هو هذا كله في كتاب المبادي اذ كان القصد بهذا الكتاب الايجاز والاختصار جهد الطاقة ولو اطلعتم على الحقائق كما اطلعنا عليها وعلى عالم الارواح والمعاني لرأيتم كل حقيقة وروح ومعنى على مرتبته فافهم والزم فقد ذكرنا من بعض ما تعطيه حقائق الحركات ما يليق بهذا الكتاب فلنقبض العنان ولنرجع الى معرفة الكلمات التي ذكرناها مثل كلمة الاستواء والاين وفي وكان والضحك والفرح والتبشبش والتعجب والملل والمعية والعين واليد والقدم والوجه والصورة والتحول والغضب والحياء والصلاة والفراغ وما ورد في الكتاب العزيز والحديث من هذه الالفاظ التي توهم التشبيه والتجسيم وغير ذلك مما لا يليق بالله تعالى في النظر الفكري عند العقل خاصة فنقول لما كان القرآن منزلا على لسان العرب ففيه ما في اللسان العربي ولما كانت الاعراب لا تعقل ما لا يعقل الا حتى ينزل لها في التوصيل بما تعقله لذلك جاءت هذه الكلمات على هذا الحد كما قال ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ولما كانت الملوك عند العرب تجلس عبده المقرب المكرم منها بهذا القدر في المساحة فعقلت من هذا الخطاب قرب محمد صلى الله عليه وسلم من ربه ولا تبالي بما فهمت من ذلك سوى القرب فالبرهان العقلي ينفي الحد والمسافة حتى يأتي الكلام في تنزيه الباري عما تعطيه هذه الالفاظ من التشبيه في الباب الثالث الذي يلي هذا الباب ولما كانت الالفاظ عند العرب على أربعة أقسام ألفاظ متباينة وهي الاسماء التي لم تتعدد مسماها كالبحر والمفتاح والمقصان وألفاظ متواطئة وهي كل لفظة قد تووطئ عليها أن تطلق على آحاد نوع ما من الانواع كالرجل والمرأة وألفاظ مشتركة وهي كل لفظ على صيغة واحدة يطلق على معان مختلفة كالعين والمشتري والانسان وألفاظ مترادفة وهي ألفاظ مختلفة الصيغ تطلق على معنى واحد كالاسد والهزبر والغضنفر وكالسيف والحسام والصارم وكالخمر والرحيق والصهباء والخندريس هذه هي الامهات مثل البرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة في الطبائع وثم ألفاظ متشابهة ومستعارة ومنقولة وغير ذلك وكلها ترجع الى هذه الامهات بالاصطلاح فان المتشابه وان قلت فيه انه قبيل خامس من قبائل الالفاظ مثل النور يطلق على العلوم وعلى العلم لشبه العلم به من كشف عين البصيرة به المعلوم كالنور مع البصر في كشف المرئي المحسوس فلما كان هذا الشبه صحيحا سمي العلم نورا والحق بالالفاظ المشتركة فاذن لا ينفك لفظ من هذه الامهات وهذا هو حد كل ناظر في هذا الباب وأما نحن فنقول بهذا معهم وعندنا زائد وانه من باب الاطلاع على الحقائق من جهة لم يطلعوا عليها علمنا منها ان الالفاظ كلها متباينة وان اشتركت في النطق ومن جهة أخرى أيضا كلها مشتركة وان تباينت في النطق وقد أشرنا الى شيء من هذا فيما تقدم من هذا الباب في آخر فصل الحروف فاذا تبين هذا فاعلم أيها الولي الحميم ان المحقق الواقف العارف بما تقتضيه الحضرة الالهية من التقديس والتنزيه ونفي المماثلة والتشبيه لا يحجبه ما نطقت به الآيات والاخبار في حق

الحق تعالى من أدوات التقييد بالزمان والجهة والمكان كقوله عليه السلام أين الله فأشارت الى السماء فأثبت لها الايمان فسأل صلى الله عليه وسلم بالظرفية عما لا يجوز عليه المكان في النظر العقلي والرسول أعلم بالله والله أعلم بنفسه وقال في الظاهر أأمنتم من في السماء بالفاء وقال وكان الله بكل شئ عليما والرحمن على العرش استوى وهو معكم أينما كنتم ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ويفرح بتوبة عبده ويعجب من الشاب ليست له صبوة وما أشبه ذلك من الادوات اللفظية وقد تقرّر بالبرهان العقلي خالق الازمان والامكنة والجهات والالفاظ والحروف والادوات والمتكلم بها والمخاطبين من المحدثات كل ذلك خلق لله تعالى فيعرف المحقق قطعا انها مصروفة الى غير الوجه الذي يعطيك التشبيه والتمثيل وان الحقيقة لا تقبل ذلك أصلا ولكن تتفاضل العلماء السالمة عقائدهم من التجسيم فان المشبهة والمجسمة قد يطلق عليهم علماء من حيث علمهم بأمور غير هذا فتفاضل العلماء في هذا الصرف عن هذا الوجه الذي لا يليق بالحق تعالى فطائفة لم تشبه ولم تجسم وصرفت علم ذلك الذي ورد في كلام الله ورسله الى الله تعالى ولم تدخل لها قدم في باب التأويل وقنعت بمجرّد الايمان بما يعلمه الله في هذه الالفاظ والحروف من غير تأويل ولا صرف الى وجه من وجوه التنزيه بل قالت لا أدري جملة واحدة ولكني أحيل ابقاءه على وجه التشبيه لقوله تعالى ليس كمثله شئ لا لما يعطيه النظر العقلي وعلى هذا فضلاء المحدثين من أهل الظاهر السالمة عقائدهم من التشبيه والتعطيل وطائفة أخرى من المنزهة عدلت بهذه الكلمات عن الوجه الذي لا يليق بالله تعالى في النظر العقلي عدلت الى وجه ما من وجوه التنزيه على التعيين مما يجوز في النظر العقلي أن يتصف به الحق تعالى بل هو متصف به ولا بد وما بقي النظر الا في ان هذه الكلمة هل المراد بها ذلك الوجه أم لا ولا يقدح ذلك التأويل في ألوهته ورب ما عدلوا بها الى وجهين وثلاثة وأكثر على حسب ما تعطيه الكلمة في وضع اللسان ولكن من الوجوه المنزهة لا غير فاذا لم يعرفوا من ذلك الخبر أو الآية عند التأويل في اللسان الا وجها واحدا اقتصروا بالخبر على ذلك الوجه التنزيه وقالوا هذا هو ليس الا في علمنا وفهمنا واذا وجدوا له مصرفين فصاعدا صرفوا الخبر والآية الى تلك المصارف وقالت طائفة من هؤلاء يحتمل أن يريد كذا ويحتمل أن يريد كذا وتعدد وجوه التنزيه ثم تقول والله أعلم أي ذلك أراد وطائفة أخرى تقوى عندها وجه ما من تلك الوجوه التنزيهية بقرينة ما قطعت لتلك القرينة بذلك الوجه على الخبر وقصرته عليه ولم تعرّج على باقي الوجوه في ذلك الخبر وان كانت كلها تقتضي التنزيه وطائفة من المنزهة أيضا وهي العالية وهم من أصحابنا فرّغوا قلوبهم من الفكر والنظر وأخلوها اذ كان المتقدمون من الطوائف المتقدمة المتأولة أهل فكر ونظر وبحث فقامت هذه الطائفة المباركة الموفقة والكل موفقون بحمد الله وقالت حصل في نفوسنا تعظيم الحق جل جلاله بحيث لا نقدر أن نصل الى معرفة ما جاءنا من عنده بدقيق فكر ونظر فأشبهت في هذا العقد المحدثين السالمة عقائدهم حيث لم ينظروا ولا تأوّلوا ولا صرفوا بل قالوا ما فهمنا فقال أصحابنا بقولهم ثم انتقلوا عن مرتبة هؤلاء بأن قالوا لنا أن نسلك طريقة أخرى في فهم هذه الكلمات وذلك بأن نفرّغ قلوبنا من النظر الفكريّ ونجلس مع الحق تعالى بالذكر على بساط الادب والمراقبة والحضور والتهيئ لقبول ما يرد علينا منه تعالى حتى يكون الحق تعالى يتولى تعليمنا على الكشف والتحقيق لما سمعته يقول واتقوا الله ويعلمكم الله ويقول ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وقل رب زدني علما وعلمناه من لدنا علما فعندما توجهت قلوبهم وهممهم الى الله تعالى ولجأت اليه وألقت عنها ما استمسك به الغير من دعوى البحث والنظر ونتائج العقول كانت عقولهم سليمة وقلوبهم مطهرة فارغة فعندما كان منهم هذا الاستعداد تجلى الحق لهم معلما فأطلعهم تلك المشاهدة على معاني هذه الاخبار والكلمات دفعة واحدة وهذا ضرب من ضروب المكاشفة فانهم اذا عاينوا بعيون القلوب من نزهته العلماء المتقدم ذكرهم بالادراك الفكريّ لم يصح لهم عند هذا الكشف والمعاينة أن يجهلوا خبرا من هذه الاخبار التي توهم ولا أن يبقوا ذلك الخبر منسحبا على ما فيه من الاحتمالات النزيهة من غير تعيين بل يعرفون الكلمة والمعنى النزيه الذي سيقت له فيقصرونها على ما أريدت له وان جاء في خبر آخر ذلك اللفظ عينه فله وجه آخر من تلك الوجوه المقدسة معين عند هذا المشاهد هذا حال طائفة منا وطائفة أخرى منا أيضا ليس لهم هذا التجلي

ولكن لهم الالقاء والالهام واللقاء والكتابة وهم معصومون فيما يلقى اليهم بعلامة عندهم لا يعرفها سواهم فيخبرون بما خوطبوا به وبما ألهموا به وما ألقى اليهم أو كتب فقد تقرر عند جميع المحققين الذين سلموا الخبر لقائله ولم ينظروا ولا شبهوا ولا عطلوا والمحققين الذين بحثوا واجتهدوا ونظروا على ما بقاتهم أيضا والمحققين الذين كوشفوا وعاينوا والمحققين الذين خوطبوا وألهموا ان الحق تعالى لا تدخل عليه تلك الادوات المقيدة بالتحديد والتشبيه على حد ما نعقله في المحدثات ولكن تدخل عليه بما فيها من معنى التنزيه والتقديس على طبقات العلماء والمحققين في ذلك لما فيه وتقتضيه ذاته من التنزيه واذا تقرر هذا فقد تبين أنها أدوات التوصيل الى افهام المخاطبين وكل عالم على حسب فهمه فيها وقوة نفوذه وبصيرته فعقيدة التكليف هينة الخطب فطر العالم عليها ولو بقيت المشبهة مع ما فطرت عليه ما كفرت ولا جسمت وان كان ما أرادوا التجسيم وانما قصدوا اثبات الوجود لكن لقصور افهامهم ما ثبت لهم الا بهذا التخيل فلهم النجاة واذ وقد ثبت هذا عند المحققين مع تفاضل رتبهم في درج التحقيق فلنقل ان الحقائق أعطت لمن وقف عليها أن لا يتقيد وجود الحق مع وجود العالم بقبلية ولا معية ولا بعدية زمانية فان التقدم الزماني والمكاني في حق الله ترمي به الحقائق في وجه القائل به على التحديد اللهم الا ان قال به من باب التوصيل كما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم ونطق به الكتاب اذ ليس كل أحد يقوى على كشف هذه الحقائق فلم يبق لنا أن نقول الا ان الحق تعالى موجود بذاته لذاته مطلق الوجود غير مقيد بغيره ولا معلول عن شيء ولا علة لشيء بل هو خالق المعلولات والعلل والملك القدوس الذي لم يزل وان العالم موجود بالله تعالى لا بنفسه ولا لنفسه مقيد الوجود بوجود الحق في ذاته فلا يصح وجود العالم البتة الا بوجود الحق واذا انتفى الزمان عن وجود الحق وعن وجود مبدأ العالم فقد وجد العالم في غير زمان فلا نقول من جهة ما هو الامر عليه ان الله موجود قبل العالم اذ قد ثبت ان القبل من صيغ الزمان ولا زمان ولا ان العالم موجود بعد وجود الحق اذ لا بعدية ولا مع وجود الحق فان الحق هو الذي أوجده وهو فاعله ومخترعه ولم يكن شيأ ولكن كما قلنا الحق موجود بذاته والعالم موجود به فان سأل سائل ذو وهم متى كان وجود العالم من وجود الحق قلنا متى سؤال زماني والزمان من عالم النسب وهو مخلوق لله تعالى لان عالم النسب له خلق التقدير لا خلق الايجاد فهذا سؤال باطل فانظر كيف تسأل فاياك ان تحجبك أدوات التوصيل عن تحقيق هذه المعاني في نفسك وتحصيلها فلم يبق الا وجود صرف خالص لا عن عدم وهو وجود الحق تعالى ووجود عن عدم عين الموجود نفسه وهو وجود العالم ولا بينية بين الوجودين ولا امتداد الا التوهم المقدر الذي يحيله العلم ولا يبقى منه شيأ ولكن وجود مطلق ومقيد ووجود فاعل ووجود منفعل هكذا أعطت الحقائق والسلام

﴿مسألة﴾ سألني وارد الوقت عن اطلاق الاختراع على الحق تعالى فقلت له علم الحق بنفسه عين علمه بالعالم اذ لم يزل العالم مشهودا له تعالى وان اتصف بالعدم ولم يكن العالم مشهودا لنفسه اذ لم يكن موجودا وهذا بحر هلك فيه الناظرون الذين عدموا الكشف وبنسبة لم تزل موجودة فعلمه لم يزل موجودا وعلمه بنفسه علمه بالعالم فعلمه بالعالم لم يزل موجودا فعلم العالم في حال عدمه وأوجده على صورته في علمه وسيأتي بيان هذا في آخر الكتاب وهو سر القدر الذي خفي عن أكثر المحققين وعلى هذا لا يصح في العالم الاختراع ولكن يطلق عليه الاختراع بوجه ما لا من جهة ما تعطيه حقيقة الاختراع فان ذلك يؤدي الى نقص في الجناب الالهي فالاختراع لا يصح الا في حق العبد وذلك ان المخترع على الحقيقة لا يكون مخترعا الا حتى يخترع مثال ما يريد ابرازه في الوجود في نفسه أولا ثم بعد ذلك تبرزه القوة العملية الى الوجود الحسي على شكل ما يعلم له مثل ومتى لم يخترع الشيء في نفسه أولا والا فليس بمخترع حقيقة فانك اذا قدرت أن شخصا علمك ترتيب شكل ما ظهر في الوجود له مثل فعملته ثم أبرزته أنت للوجود كما علمته فلست أنت في نفس الامر وعند نفسك بمخترع له وانما المخترع له من اخترع مثاله في نفسه ثم علمكه وان نسب الناس الاختراع لك فيه من حيث انهم لم يشاهدوا ذلك الشيء من غيرك فارجع أنت الى ما تعرفه من نفسك ولا تلتفت الى من لا يعلم ذلك منك فان الحق سبحانه ما دبر العالم تدبير من يحصل ما ليس عنده ولا فكر فيه ولا يجوز عليه ذلك ولا اخترع في نفسه شيأ لم يكن عليه ولا قال في نفسه هل نعمله كذا او كذا هذا كله ما لا يجوز عليه فان المخترع للشيء يأخذ أجزاء موجودة متفرقة

فى الموجودات فيؤلفها فى ذهنه وهمه تأليفا لم يسبق اليه فى علمه وان سبق فلا يبالى فانه فى ذلك بمنزلة الاول الذى لم يسبقه أحد اليه كما نفعله الشعراء والكتاب الفصحاء فى اختراع المعانى المبتكرة فثم اختراع قد سبق اليه فيتخيل السامع انه سرقه فلا ينبغى للمخترع أن ينظر الى أحد الا الى ما حدث عنده خاصة ان أراد أن يلتذ ويستمتع بلذة الاختراع ومهما نظر المخترع لامر ما الى من سبقه فيه بعد ما اخترعه بما هلك وتفطرت كبده وأ كثر العلماء بالاختراع البلغاء والمهندسون ومن أصحاب الصنائع النجارون والبناؤون فهؤلاء أ كثر الناس اختراعا وأذ كاهم فطرة وأشدهم تصرفا لعقولهم فقد صحت حقيقة الاختراع لمن استخرج بالفكر مالم يكن يعلم قبل ذلك ولا علمه غيره بالقوة أو بالقوة والفعل ان كان من العلوم التى غايتها العمل والبارى سبحانه لم يزل عالما بالعالم أزلا ولم يكن على حالة لم يكن فيها بالعالم غير عالم فما اخترع فى نفسه شيأ لم يكن يعلمه فاذ وقد ثبت عند العلماء بالله قدم علمه فقد ثبت كونه مخترعا لنا بالفعل لانه اخترع مثالنا فى نفسه الذى هو صورة علمه بنا اذ كان وجودنا على حد ما كان فى علمه ولو لم يكن كذلك لخرجنا الى الوجود على حد مالم يعلمه ومالا يعلمه لا يريده ومالا يريده ولا يعلمه لا يوجده فنكون اذن موجودين بأنفسنا أو بالاتفاق واذا كان هذا فلا يصح وجودنا عن عدم وقد دل البرهان على وجودنا عن عدم وعلى انه علمنا وأراد وجودنا وأوجدنا على الصورة الثابتة فى علمه بنا ونحن معدومون فى أعياننا فلا اختراع فى المثال فلم يبق الا الاختراع فى الفعل وهو صحيح لعدم المثال الموجود فى العين فتحقق ماذ كرناه وقل بعد ذلك ماشئت فان شئت وصفته بالاختراع وعدم المثال وان شئت نفيت هذا عنه نفيته ولكن بعد وقوفك على ما أعلمتك به

﴿ الفصل الثالث فى العلم والعالم والمعلوم من الباب الثانى ﴾

العلم والمعلوم والعالم ٭ ثلاثة حكمهم واحد

وان تشا أحكامهم مثلهم ٭ ثلاثة أثبتها الشاهد

وصاحب الغيب يرى واحدا ليس عليه فى العلى زائد

اعلم أيدك الله ان العلم تحصيل القلب أمرا ما على حد ما هو عليه ذلك فى نفسه معدوما كان ذلك الامر أو موجودا فالعلم هو الصفة التى توجب التحصيل من القلب والعالم هو القلب والمعلوم هو ذلك الامر المحصل وتصور حقيقة العلم عسير جدا ولكن أمهد لتحصيل العلم ما يتبين به ان شاء الله تعالى فاعلموا ان القلب مرآة مصقولة كلها وجه لا تصدأ أبدا فان أطلق يوما عليها انها صدئت كما قال عليه السلام ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد الحديث وفيه ان جلاءها ذكر الله وتلاوة القرآن ولكن من كونه الذكر الحكيم فليس المراد بهذا الصدأ انه طخاء طلع على وجه القلب ولكنه لما تعلق واشتغل بعلم الاسباب عن العلم بالله كان تعلقه بغير الله صدأ على وجه القلب لانه المانع من تجلى الحق الى هذا القلب لان الحضرة الالهية متجلاة على الدوام لا يتصور فى حقها حجاب عنا فلما لم يقبلها هذا القلب من جهة الخطاب الشرعى المحمود لانه قبل غيرها عبر عن قبول ذلك الغير بالصدأ والكن والقفل والعمى والران وغير ذلك والافالحق يعطيك ان العلم عنده ولكن بغير الله فى علمه وهو بالله فى نفس الامر عند العلماء بالله ومما يؤيد ماقلناه قول الله تعالى وقالوا قلوبنا فى أ كنة مما تدعونا اليه فكانت فى أ كنة مما يدعوها الرسول اليه خاصة لا أنها فى كن ولكن تعلقت بغير ما دعيت اليه فعميت عن ادراك ما دعيت اليه فلا تبصر شيأ والقلوب أبدا لم تزل مفطورة على الجلاء مصقولة صافية فكل قلب تجلت فيه الحضرة الالهية من حيث هى ياقوت أحمر الذى هو التجلى الذاتى فذلك قلب المشاهد المكمل العالم الذى لا أحد فوقه فى تجل من التجليات ودونه تجلى الصفات ودونهما تجلى الافعال ولكن من كونها من الحضرة الالهية ومن لم تتجل له من كونها من الحضرة الالهية فذلك هو القلب الغافل عن الله تعالى المطرود من قرب الله تعالى فانظر وفقك الله فى القلب على حد ماذ كرناه وانظر هل تجعله العلم فلا يصح وان قلت الصقالة الذاتية له فلا سبيل ولكن هى سبب كان ظهور المعلوم للقلب سبب وان قلت السبب الذى يحصل المعلوم فى القلب فلا سبيل وان قلت المثال المنطبع فى النفس من المعلوم وهو تصوير المعلوم فلا سبيل فان قيل لك فما هو العلم فقل درك المدرك

على ما هو عليه في نفسه اذا كان دركه غير ممتنع واما ما يمتنع دركه فالعلم به هو لا دركه كما قال الصديق العجز عن درك الادراك ادراك فجعل العلم بالله هو لا دركه فاعلم ذلك ولكن لا دركه من جهة كسب العقل كما يعلمه غيره ولكن دركه من جوده وكرمه ووهبه كما يعرفه العارفون أهل الشهود لا من قوة العقل من حيث نظره ﴿تميم﴾ ولما ثبت ان العلم بأمر ما لا يكون الا بمعرفة قد تقدمت قبل هذه المعرفة بأمر آخر يكون بين المعروفين مناسبة لابد من ذلك وقد ثبت انه لا مناسبة بين الله تعالى و بين خلقه من جهة المناسبة التي بين الاشياء وهي مناسبة الجنس أو النوع أو الشخص فليس لنا علم متقدم بشيء فندرك به ذات الحق لما بينهما من المناسبة مثال ذلك علمنا بطبيعة الافلاك التي هي طبيعة خامسة لم نعلمها أصلا لولا ما سبق علمنا بالامهات الاربع فلما رأينا الافلاك خارجة عن هذه الطبائع بحكم ليس هو في هذه الامهات علمنا ان ثم طبيعة خامسة من جهة الحركة العلوية التي في الاثير والهواء والسفلية التي في الماء والتراب والمناسبة بين الافلاك والامهات الجوهرية التي هي جنس جامع للكل والنوعية فانها نوع كما أن هذه نوع لجنس واحد وكذلك الشخصية ولو لم يكن هذا التناسب لما علمنا من الطبائع علم طبيعة الفلك وليس بين البارى والعالم مناسبة من هذه الوجوه فلا يعلم بعلم سابق بغيره أبدا كما يزعم بعضهم من استدلال الشاهد على الغائب بالعلم والارادة والكلام وغير ذلك ثم يقدسه بعد ما قد حكم على نفسه وقاسه بها ثم انه مما يؤيد ما ذهبنا اليه من علمنا بالله تعالى ان العلم يترتب بحسب المعلوم و ينفصل في ذاته بحسب انفصال المعلوم عن غيره والشيء الذي به ينفصل المعلوم اما أن يكون ذاتا كالعقل من جهة جوهريته وكالنفس واما أن يكون ذاتا من جهة طبعه كالحرارة والاحراق للنار فكما انفصل العقل عن النفس من جهة جوهريته كذلك انفصل النار عن غيره بما ذكرناه واما أن ينفصل عنه بذاته لكن بما هو محمول فيه اما بالحال كجلوس الجالس وكتابة الكاتب واما بالهيئة كسواد الاسود و بياض الابيض وهذا حصر مدارك العقل عند العقلاء فلا يوجد معلوم قطعا للعقل من حيث ما هو خارج عما وصفنا الا بأن نعلم ما انفصل به عن غيره اما من جهة جوهره أو طبعه أو حاله أو هيئته ولا يدرك العقل شيأ لا توجد فيه هذه الاشياء البتة وهذه الاشياء لا توجد في الله تعالى فلا يعلمه العقل أصلا من حيث هو ناظر و باحث وكيف يعلمه العقل من حيث نظره و برهانه الذي يستند اليه الحس أو الضرورة أو التجربة والبارى تعالى غير مدرك بهذه الاصول التي يرجع اليها العقل في برهانه وحينئذ يصح له البرهان الوجودي فكيف يدعي العاقل انه قد علم ربه من جهة الدليل وان البارى معلوم له ولو نظر الى المفعولات الصناعية والطبيعية والتكوينية والانبعاثية والابداعية ورأى جهل كل واحد منها بفاعله لعلم ان الله تعالى لا يعلم بالدليل أبدا لكن يعلم أنه موجود وان العالم مفتقر اليه افتقارا ذاتيا لا محيص له عنه البتة قال الله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فمن أراد أن يعرف لباب التوحيد فلينظر في الآيات الواردة في التوحيد من الكتاب العزيز الذي وحد بها نفسه فلا أحد أعرف من الشيء بنفسه فلتنظر بما وصف نفسه وتسأل الله تعالى أن يفهمك ذلك فستقف على علم الهي لا يبلغ اليه عقل بفكره أبد الآباد وسأورد من هذه الآيات في الباب الذي يلي هذا الباب شيأ يسيرا والله يرزقنا الفهم عنه آمين و يجعلنا من العالمين الذين يعقلون آياته

﴿الباب الثالث في تنزيه الحق تعالى عما في طي الكلمات التي أطلقها عليه سبحانه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من التشبيه والتجسيم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا﴾

نظم

في نظر العبد الى ربه * في قدس الابد وتنزيهه
وعلوه عن أدوات أتت * للحق بالكيف وتشبيهه
دلالة تحكم قطعا على * منزلة العبد وتنويهه
وصحة العلم واثباته * وطرح بدعي وتمويهه

اعلم أيدك الله أن جميع المعلومات علوها وسفلها حاملها العقل الذي يأخذ عن الله تعالى بغير واسطة فلم يخف عنه شيء

من علم الكون الاعلى والاسفل ومن وهبه وجوده تكون معرفة النفس الاشياء ومن تجليه اليها نوره وفيضه الاقدس فالعقل مستفيد من الحق تعالى مفيد للنفس والنفس مستفيدة من العقل وعنها يكون الفعل وهذا سار في جميع ماتعلق به علم العقل بالاشياء التي هي دونه وانما قيدناه بالتي هي دونه من أجل ماذكرناه من الافادة وتحفظ في نظرك من قوله تعالى حتى نعلم وهو العالم فاعرف السبب واعلم ان العالم المهيم لا يستفيد من العقل الاول شيأ وليس له على المهيمين سلطان بل هم واياه في مرتبة واحدة كالافراد منا الخارجين عن حكم القطب وان كان القطب واحدا من الافراد لكن خصص العقل بالافادة كما خصص القطب من بين الافراد بالتولية وهو سار في جميع ماتعلق به علم العقل الاعلم تجريد التوحيد خاصة فانه يخالف سائر المعلومات من جميع الوجوه اذ لا مناسبة بين الله تعالى وبين خلقه البتة وان اطلقت المناسبة يوما ما عليه كما أطلقها الامام أبو حامد الغزالي في كتبه وغيره فبضرب من التكلف ومرمى بعيد عن الحقائق والافاي نسبة بين المحدث والقديم أم كيف يشبه من لا يقبل المثل من يقبل المثل هذا محال كما قال أبو العباس بن العريف الصنهاجي في محاسن المجالس التي تعزى اليه ليس بينه وبين العباد نسب الا العناية ولا سبب الا الحكم ولا وقت غير الازل ومابقي فعمى وتلبيس وفي رواية فعلم بدل من قوله فعمى فانظر ما أحسن هذا الكلام وما أتم هذه المعرفة بالله وما أقدس هذه المشاهدة نفعه الله بما قال فالعلم بالله عزيز عن ادراك العقل والنفس الامن حيث انه موجود تعالى وتقدس وكل مايتلفظ به في حق المخلوقات أو يتوهم في المركبات وغيرها فالله سبحانه في نظر العقل السليم من حيث فكره وعصمته بخلاف ذلك لا يجوز عليه ذلك التوهم ولا يجري عليه ذلك اللفظ لامن الوجه الذي تقبله المخلوقات فان أطلق عليه فعلى وجه التقريب على الافهام لثبوت الوجود عند السامع لا لثبوت الحقيقة التي هو الحق عليها فان الله تعالى يقول ليس كمثله شئ ولكن يجب علينا شرعا من أجل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله يقول اعلم من اخباري الموافق لنظرك ليصح لك الايمان علما كما صح لك العلم من غير ايمان الذي هو قبل التعريف فامره فمن أجل هذا الامر على نظر بعض الناس ورأيه فيه نظرنا من أين نتوصل الى معرفته فنظرنا على حكم الانصاف وما أعطاه العقل الكامل بعد جده واجتهاده الممكن منه فلم نصل الى المعرفة به سبحانه الا بالعجز عن معرفته لانا طلبنا أن نعرفه كما نطلب معرفة الاشياء كلها من جهة الحقيقة التي هي المعلومات عليها فلما عرفنا ان ثم موجودا ليس له مثل ولا يتصور في الذهن ولا يدرك فكيف يضبطه العقل هذا ما لا يجوز مع ثبوت العلم بوجوده فنحن نعلم انه موجود واحد في ألوهته وهذا هو العلم الذي طلب منا غير عالمين بحقيقة ذاته التي يعرف سبحانه نفسه عليها وهو العلم بعدم العلم الذي طلب منا لما كان تعالى لا يشبه شيأ من المخلوقات في نظر العقل ولا يشبهه شئ منها كان الواجب علينا أولا لما قيل لنا فاعلموا انه لا اله الا الله ان نعلم ما العلم وقد علمناه فقد علمنا ما يجب علينا من علم العلم أولا انتهى الجزء الثامن والحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فلنقل انه لما كانت أمهات المطالب أربعة وهي هل وما وكيف ولم فهل ولم مطلبان روحانيان بسيطان يصحبهما ما هو فهل ولم هما الاصلان الصحيحان للبسائط لان في ماهو ضربا من التركيب خاصة وليس في هذه المطالب الاربعة مطلب ينبغي أن يسأل به عن الله تعالى من جهة ماهو عليه الحقيقة اذ لا يصح أن يعرف من علم التوحيد الانفي مايوجد فيما سواه سبحانه ولهذا قال ليس كمثله شئ وسبحان ربك رب العزة عما يصفون فالعلم بالسلب هو العلم بالله سبحانه كما لم يجز أن نقول في الارواح كيف وتقدست عن ذلك لان حقائقها تخالف هذه العبارة كذلك ماينطلق على الارواح من الادوات التي بها يسأل عنها لا يجوز أن يطلق على الله تعالى ولا ينبغي للمحقق الموحد الذي يحترم حضرة مبدعه ومخترعه أن يطلق عليه هذه الالفاظ فاذن لا يعلم بهذه المطالب أبدا *(وصل)* ثم انا نظرنا أيضا في جميع ماسوى الحق تعالى فوجدناه على قسمين قسم يدرك بذاته وهو المحسوس والكثيف وقسم يدرك بفعله وهو المعقول واللطيف فارتفع المعقول عن المحسوس بهذه المنزلة وهي التنزه ان يدرك بذاته وانما يدرك بفعله ولما كانت هذه أوصاف المخلوقين

تقدس الحق تعالى عن أن يدرك بذاته كالمحسوس أو بفعله كاللطيف أو المعقول لانه سبحانه ليس بينه و بين خلقه مناسبة أصلا لان ذاته غير مدركة لنا فتشبه المحسوس ولا فعلها كفعل اللطيف فيشبه اللطيف لان فعل الحق تعالى ابداع الشئ لا من شئ واللطيف الروحانى فعل الشئ من الاشياء فاىّ مناسبة بينهما فاذا امتنعت المشابهة فى الفعل فاحرى أن تمتنع المشابهة فى الذات وان شئت ان تحقق شيأ من هذا الفصل فانظر الى مفعول هذا الفعل على حسب أصناف المفعولات مثل المفعول الصناعىّ كالقميص والكرسىّ فوجدناه لا يعرف صانعه الا أنه يدل بنفسه على وجود صانعه وعلى علمه بصنعته وكذلك المفعول التكوينىّ الذى هو الفلك والكواكب لا يعرفون مكوّنهم ولا المركب لهم وهو النفس الكلية المحيطة بهم وكذلك المفعول الطبيعىّ كالمولدمن المعادن والنبات والحيوان الذين يفعلون طبيعة من المفعول التكوينىّ ليس لهم وقوف على الفاعل لهم الذى هو الفلك والكواكب فليس العلم بالافلاك ما نراه من جرمها وما يدركه الحس منها وأين جرم الشمس فى نفسها منها فى عين الرائى لها منا وانما العلم بالافلاك من جهة روحها ومعناها الذى أوجده الله تعالى لها عن النفس الكلية المحيطة التى هى سبب الافلاك وما فيها وكذلك المفعول الانبعاثىّ الذى هو النفس الكلية المنبعثة من العقل انبعاث الصورة الدحيية من الحقيقة الجبرئيلية فانها لا تعرف الذى انبعثت عنه أصلا لانها تحت حيطته وهو المحيط بها لانها خاطر من خواطره فكيف تعلم ما هو فوقها وما ليس فيها منه الا ما فيها فلا تعلم منه الا ما هى عليه فنفسها علمت لا سببها وكذلك المفعول الابداعىّ الذى هو الحقيقة المحمدية عندنا والعقل الاول عند غيرنا وهو القلم الاعلى الذى أبدعه الله تعالى من غير شئ هو أعجز وأمنع عن ادراك فاعله من كل مفعول تقدم ذكره اذ بين كل مفعول وفاعله مما تقدم ذكره ضرب من ضروب المناسبة والمشاكلة فلا بد ان يعلم منه قدر ما بينهما من المناسبة اما من جهة الجوهرية أو غير ذلك ولا مناسبة بين المبدع الاول والحق تعالى فهو أعجز عن معرفته بفاعله من غيره من مفعولى الاسباب اذ وقد عجز المفعول الذى يشبه سببه الفاعل له من وجوه عن ادراكه والعلم به فافهم هذا وتحققه فانه نافع جدا فى باب التوحيد والعجز عن تعلق العلم المحدث بالله تعالى ﴿وصل﴾ يؤيد ما ذكرناه ان الانسان انما يدرك المعلومات كلها باحدى القوى الحس القوة الحسية وهى على خمس الشم والطعم واللمس والسمع والبصر فالبصر يدرك الالوان والمتلونات والاشخاص على حد معلوم من القرب والبعد فالذى يدرك منه على ميل غير الذى يدرك منه على ميلين والذى يدرك منه على عشرين باعا غير الذى يدرك منه على ميل والذى يدرك منه و يده فى يده يقابله غير الذى يدرك منه على عشرين باعا فالذى يدرك منه على ميلين شخص لا يدرى هل هو انسان أو شجرة وعلى ميل يعرف انه انسان وعلى عشرين باعا انه أبيض أو أسود وعلى المقابلة انه أزرق أو أكحل وهكذا سائر الحواس فى مدركاتها من القرب والبعد والبارى سبحانه ليس بمحسوس أى ليس بمدرك بالحس عندنا فى وقت طلبنا المعرفة به فلم نعلمه من طريق الحس وأما القوة الخيالية فانها لا تضبط الا ما أعطاها الحس اما على صورة ما أعطاها واما على صورة ما أعطاه الفكر من حمله بعض المحسوسات على بعض والى هنا انتهت طريقة أهل الفكر فى معرفة الحق فهو لسانهم ليس لسانا تناوان كان حقا ولكن ننسبه اليهم فانه نقل عنهم فلم تبرح هذه القوة كيفما كان ادراكها عن الحس البتة وقد بطل تعلق الحس بالله عندنا فقد بطل تعلق الخيال به وأما القوة المفكرة فلا يفكر الانسان أبدا الا فى أشياء موجودة عنده تلقاها من جهة الحواس وأوائل العقل ومن الفكر فيها فى خزانة الخيال يحصل له علم بأمر آخر بينه و بين هذه الاشياء التى فكر فيها مناسبة ولا مناسبة بين الله و بين خلقه فاذن لا يصح العلم به من جهة الفكر ولهذا منعت العلماء من الفكر فى ذات الله تعالى وأما القوة العقلية فلا يصح أن يدركه العقل فان العقل لا يقبل الا ما علمه بديهة أو ما أعطاه الفكر وقد بطل ادراك الفكر له فقد بطل ادراك العقل له من طريق الفكر ولكن مما هو عقل انما حده ان يعقل و يضبط ما حصل عنده فقد يهبه الحق المعرفة به فيعقلها لانه عقل لا من طريق الفكر هذا ما لا نمنعه فان هذه المعرفة التى يهبها الحق تعالى لمن شاء من عباده لا يستقل العقل بادراكها ولكن يقبلها فلا يقوم عليها دليل ولا برهان لانها وراء طور مدارك العقل ثم هذه الاوصاف الذاتية لا يمكن العبارة عنها لانها خارجة عن التمثيل والقياس فانه ليس

كمثله شئ فكل عقل لم يكشف له من هذه المعرفة شئ يسأل عقلا آخر قد كشف له منها ليس في قوة ذلك العقل المسؤل العبارة عنها ولا تمكن ولذلك قال الصديق العجز عن درك الادراك ادراك وهذا الكلام من تبيان فافهم فمن طلب الله بعقله من طريق فكره ونظره فهو تائه وانما حسبه التهيؤ لقبول ما يهبه الله من ذلك فافهم واما القوة الذاكرة فلا سبيل ان تدرك العلم بالله فانها انما تذكر ما كان العقل قبل علمه ثم غفل أو نسي وهو لم يعلمه فلا سبيل للقوة الذاكرة اليه وانحصرت مدارك الانسان بما هو انسان وما تعطيه ذاته وله فيه كسب وما بقي الا تهيؤ العقل لقبول ما يهبه الحق من معرفته جل وتعالى فلا يعرف أبدا من جهة الدليل الا معرفة الوجود وانه الواحد المعبود لا غير فان الانسان المدرك لا تمكن له ان يدرك شيأ أبدا الا ومثله موجود فيه ولولا ذلك ما أدركه البتة ولا عرفه فاذا لم يعرف شيأ الا وفيه مثل ذلك الشئ المعروف فما عرف الا ما يشبهه ويشاكله والباري تعالى لا يشبه شيأ ولا في شئ مثله فلا يعرف أبدا ومما يؤيد ماذكرناه ان الاشياء الطبيعية لا تقبل الغذاء الا من مشاكلها فأما ما لا يشاكلها فلا تقبل الغذاء منه قطعا مثال ذلك أن المولدمن المعادن والنبات والحيوان مركبة من الطبائع الاربع والمولدلا تقبل الغذاء الا منها وذلك لان فيها نصيبا منها ولو رام أحد من الخلق على أن يجعل غذاء جسمه المركب من هذه الطبائع من شئ كائن عن غير هذه الطبائع أو ما تركب عنها لم يستطع فكما لا يمكن لشئ من الاجسام الطبيعية ان تقبل غذاء الا من شئ هو من الطبائع التي هي منها كذلك لا يمكن لاحد أن يعلم شيأ ليس فيه مثله البتة ألا ترى النفس لا تقبل من العقل الا ما تشاركه فيه وتشاكله ومالم تشاركه فيه لا تعلمه منه أبدا وليس من الله في أحد شئ ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه فلا يعرفه أحد من نفسه وفكره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار وان الملأ الاعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم فاخبر عليه السلام بأن العقل لم يدركه بفكره ولا بعين بصيرته كما لم يدركه البصر وهذا هو الذي أشرنا اليه فيما تقدم من بابنا فلله الحمد على ما ألهم وأن علمنا ما لم نكن نعلم وكان فضل الله عظيما هكذا فليكن التنزيه ونفي المماثلة والتشبيه وما ضل من ضل من المشبهة الا بالتأويل وحمل ما وردت به الآيات والاخبار على ما يسبق منها الى الافهام من غير نظر فيما يجب لله تعالى من التنزيه فقادهم ذلك الى الجهل المحض والكفر الصراح ولو طلبوا السلامة وتركوا الاخبار والآيات على ما جاءت من غير عدول منهم فيها الى شئ البتة ويكلون علم ذلك الى الله تعالى ولرسوله ويقولون لا ندري وكان يكفيهم قول الله تعالى ليس كمثله شئ فمتى جاءهم حديث فيه تشبيه فقد أشبه الله شيأ وهو قد نفى الشبه عن نفسه سبحانه فما بقي الا ان ذلك الخبر له وجه من وجوه التنزيه يعرفه الله تعالى وجيء به لفهم العربي الذي نزل القرآن بلسانه وما نجد لفظة في خبر ولا آية جملة واحدة تكون نصا في التشبيه أبدا وانما نجدها عند العرب تحتمل وجوها منها ما يؤدي الى التشبيه ومنها ما يؤدي الى التنزيه فحمل المتأول ذلك اللفظ على الوجه الذي يؤدي الى التشبيه جور منه على ذلك اللفظ اذ لم يوف حقه بما يعطيه وضعه في اللسان وتعد على الله تعالى حيث حمل عليه سبحانه ما لا يليق بالله تعالى ونحن نورد ان شاء الله تعالى بعض أحاديث وردت في التشبيه وانها ليست بنص فيه فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين فمن ذلك قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله نظر العقل بما يقتضيه الوضع من الحقيقة والمجاز الجارحة تستحيل على الله تعالى الاصبع لفظ مشترك يطلق على الجارحة ويطلق على النعمة قال الراعي

ضعيف العصا بادي العروق ترى له * عليها اذا ما أمحل الناس أصبعا

يقول ترى له عليها أثرا حسنا من النعمة بحسن النظر عليها تقول العرب ما أحسن أصبع فلان على ماله أي أثره فيه تريد به نمو ماله لحسن تصرفه فيه أسرع التقليب ما قلبته الاصابع لصغر حجمها وكمال القدرة فيها فحركتها أسرع من حركة اليد وغيره ولما كان تقليب الله قلوب العباد أسرع شئ أفصح صلى الله عليه وسلم للعرب في دعائه بما تعقل ولان التقليب لا يكون الا باليد عندنا فلذلك جعل التقليب بالاصابع لان الاصابع من اليد في اليد والسرعة في الاصابع أمكن فكان عليه السلام يقول في دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وتقليب الله تعالى القلوب هو ما يخلق فيها من الهم بالحسن والهم بالسوء فلما كان الانسان يحس بترادف الخواطر المتعارضة عليه في قلبه الذي هو عبارة عن تقليب

الحق القلب وهذا لا يقدر الانسان يدفع علمه عن نفسه لذلك كان عليه السلام يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وفي هذا الحديث ان احدى أزواجه قالت له أوتخاف يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله يشير صلى الله عليه وسلم الى سرعة التقليب من الايمان الى الكفر وما تحتهما قال تعالى فألهمها فجورها وتقواها وهذا الالهام هو التقليب والاصابع للسرعة والاثنينية لهما خاطر الحسن وخاطر القبيح فاذا فهم من الأصابع ماذكرته وفهمت منه الجارحة وفهمت منه النعمة والاثر الحسن فبأي وجه تلحقه بالجارحة وهذه الوجوه المنزهة تطلبه فاما أن تسكت وتكل علم ذلك الى الله تعالى والى من عرفه الحق ذلك من رسول مرسل أوولي ملهم بشرط نفي الجارحة ولابد واما ان أدركته فضول وغلب علينا الان نرد بذلك على بدعي مجسم مشبه فليس بفضول بل يجب على العالم عند ذلك تبيين ما في ذلك اللفظ من وجوه التنزيه حتى تدحض به حجة المجسم المخذول تاب الله علينا وعليه ورزقه الاسلام فان تكلمنا على تلك الكلمة التي توهم التشبيه ولابد فالعدول بشرحها الى الوجه الذي يليق بالله سبحانه أولى هذا حظ العقل في الوضع (نفث روح في روع) الاصبعان سر الكمال الذاتي الذي اذا انكشف الى الابصار يوم القيامة يأخذ الانسان أباه اذا كان كافرا ويرمي به في النار ولا يجد لذلك ألما ولا عليه شفقة بسر هذين الاصبعين المتحد معناهما المثنى لفظهما خلقت الجنة والنار وظهر اسم المنور والمظلم والمنعم والمنتقم فلا تتخيلهما اثنين من عشرة ولابد من الاشارة الى هذا السر في هذا الباب في كلتا يديه يمين وهذه معرفة الكشف فان لاهل الجنة نعيمين نعيما بالجنة ونعيما بعذاب أهل النار في النار وكذلك أهل النار لهم عذابان وكلا الفريقين يرون الله رؤية الاسماء كما كانوا في الدنيا سواء وفي القبضتين اللتين جاءتا عن الرسول صلى الله عليه وسلم في حق الحق سر ما أشرنا اليه ومعناه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل القبضة واليمين قال تعالى والارض جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه نظر العقل بما يقتضيه الوضع انه منع أولا سبحانه أن يقدر قدره لما يسبق الى العقول الضعيفة من التشبيه والتجسيم عند ورود الآيات والاخبار التي تعطي من وجه ما من وجوهها ذلك ثم قال بعد هذا التنزيه الذي لا يعقله الا العالمون والارض جميعا قبضته عرفنا من وضع اللسان العربي أن يقال فلان في قبضتي يريد انه تحت حكمي وان كان ليس في يدي منه شيء البتة ولكن أمري فيه ماض وحكمي عليه قاض مثل حكمي على ما ملكته يدي حسا وقبضت عليه وكذلك أقول مالي في قبضتي أي في ملكي واني متمكن في التصرف فيه أي لا يمنع نفسه مني فاذا صرفته في وقت تصرفي فيه كان أمكن لي أن أقول هو في قبضتي لتصرفي فيه وان كان عبيدي هم المتصرفون فيه عن اذني فاما استحالت الجارحة على الله تعالى عدل العقل الى روح القبضة ومعناها وفائدتها وهو ملك ما قبضت عليه في الحال وان لم يكن لها أعني للقابض فيما قبض عليه شيء ولكن هو في ملك القبضة قطعا فهكذا العالم في قبضة الحق تعالى والارض في الدار الآخرة تميين بعض الاملاك كما تقول خادمي في قبضتي وان كان خادمي من جملة من في قبضتي فانما ذكرته اختصاصا لوقوع نازلة ما واليمين عندنا محل التصريف المطلق القوي فان اليسار لا يقوى قوة اليمين فكنى باليمين عن التمكن من الطي فهي اشارة الى تمكن القدرة من الفعل فوصل الى أفهام العرب بألفاظ تعرفها وتسرع بالتلقي لها قال الشاعر

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

وليس للمجد راية محسوسة فلا تتلقاها جارحة يمين فكأنه يقول لو ظهر للمجد راية محسوسة لما كان محلها أوحاملها الايمين عرابة الاوسي أي صفة المجد به قائمة وفيه كاملة فلم تزل العرب تطلق ألفاظ الجوارح على ما لا يقبل الجارحة لاشتراك بينهما من طريق المعنى (نفث روح في روع) اذا تجلى الحق لسر عبده ملكه جميع الاسرار وألحقه بالاحرار وكان له التصرف الذاتي من جهة اليمين فان شرف الشمال بغيره وشرف اليمين بذاته ثم أزل شرف اليمين بالخطاب وشرف الشمال بالتجلي شرف الانسان بمعرفته بحقيقته واطلاعه عليها وهو اليسار وكلتا يديه من حيث هو شمال كان كلتي يدي الحق يمين ارجع الى معنى الاتحاد كلتا يدي العبد يمين ارجع الى التوحيد احدى يديه يمين والاخرى شمال

فتارةً أكون فى الجمع وجمع الجمع وتارةً أكون فى الفرق وفى فرق الفرق على حكم التجلى والوارد

يوماً يمان اذا لاقيت ذا يمن ٭ وان لقيت معدياً فعدنانى

ومن ذلك التعجب والضحك والفرح والغضب التعجب انما يقع من موجود لايعلم ذلك المتعجب منه ثم يعلمه فيتعجب منه و يلحق به الضحك وهذا محال على الله تعالى فانه ماخرج شئ عن علمه فنى وقع فى الوجود شئ يمكن التعجب منه عندنا جل ذلك التعجب والضحك على من لايجوز عليه التعجب ولا الضحك لان الامر الواقع متعجب منه عندنا كالشاب ليست له صبوة فهذا أمر يتعجب منه فحل عند الله تعالى محل مايتعجب منه عندنا وقد يخرج الضحك والفرح الى القبول والرضى فان من فعلت له فعلاً أظهر لك من أجله الضحك والفرح فقد قبل ذلك الفعل ورضى به فضحكه وفرحه تعالى قبوله ورضاه عنا كما ان غضبه تعالى منزه عن غليان دم القلب طلباً للانتصار لانه سبحانه يتقدس عن الجسمية والعرض فذلك قد يرجع الى أن يفعل فعل من غضب ممن يجوز عليه الغضب وهو انتقامه سبحانه من الجبارين والمخالفين لامره والمتعدين حدوده قال تعالى وغضب عليه أى جازاه جزاء المغضوب عليه فالمجازى يكون غاضباً فظهور الفعل أطلق الاسم (التبشش) من باب الفرح ورد فى الخبر أن الله يتبشش للرجل يوطئ المساجد للصلاة والذكر الحديث لما حجب العالم بالاكوان واشتغلوا بغير الله عن الله فصاروا بهذا الفعل فى حال غيبة عن الله فلما وردوا عليه سبحانه بنوع من أنواع الحضور اسدل اليهم سبحانه فى قلوبهم من لذة نعيم محاضرته ومناجاته ومشاهدته ماحبب بها الى قلوبهم فان النبى عليه السلام يقول حبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فكنى بالتبشش عن هذا الفعل منه لانه اظهار سرور بقدومكم عليه فانه من يسر بقدومك عليه فعلامة سروره اظهار البر بجانبك والتعجب وارسال ماعنده من نعم عليك فلما ظهرت هذه الاشياء من الله الى العبيد النازلين به سماه تبششا (النسيان) قال الله تعالى فنسيهم البارى تعالى لايجوز عليه النسيان ولكنه تعالى لما عذبهم عذاب الأبد ولم تنلهم رحمته تعالى صاروا كأنهم منسيون عنده وهو كأنه ناس لهم أى هذا فعل الناسى ومن لايتذكر ماهم فيه من أليم العذاب وذلك لانهم فى حياتهم الدنيا نسوا الله فجازاهم بفعلهم ففعلهم أعاده عليهم للمناسبة وقد يكون نسيهم أخرهم نسوا الله أى أخروا أمر الله فلم يعملوا به أخرهم الله فى النار حين أخرج منها من أدخله فيها من غيرهم ويقرب من هذا الباب اتصاف الحق بالمكر والاستهزاء والسخرية قال تعالى سخر الله منهم وقال ومكر الله وقال الله يستهزئ بهم (النفس) قال صلى الله عليه وسلم لاتسبوا الريح فانها من نفس الرحمن وقوله عليه السلام انى لاجد نفس الرحمن يأتينى من قبل اليمن وهذا كله من التنفيس كأنه يقول لاتسبوا الريح فانها انما ينفس بها الرحمن عن عباده وقال عليه السلام نصرت بالصبا وكذلك يقول انى لاجد نفس أى تنفيس الرحمن عنى للكرب الذى كان فيه من تكذيب قومه اياه وردهم أمر الله من قبل اليمن فكان الانصار نفس الله بهم عن نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان أكربه من المكذبين فان الله تعالى منزه عن النفس الذى هو الهواء الخارج من المتنفس تعالى الله عما نسب اليه الظالمون من ذلك علواً كبيرا (الصورة) تطلق على الامر وعلى المعلوم عند الناس وعلى غير ذلك ورد فى الحديث اضافة الصورة الى الله فى الصحيح وغيره مثل حديث عكرمة قال عليه السلام رأيت ربى فى صورة شاب الحديث هذا حال من النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى كلام العرب معلوم متعارف وكذلك قوله عليه السلام أن الله خلق آدم على صورته اعلم أن المثلية الواردة فى القرآن لغوية لاعقلية لان المثلية العقلية تستحيل على الله تعالى زيد الاسد شدة زيد زهير شعراً اذا وصفت موجوداً بصفة أو صفتين ثم وصفت غيره بتلك الصفة وان كان بينهما تباين من جهة حقائق أخر ولكنهما مشتركان فى روح تلك الصفة ومعناها فكل واحد منهما على صورة الآخر فى تلك الصفة خاصة فافهم وتنبه وانظر كونك دليلاً عليه سبحانه وهل وصفته بصفة كمال الا منك وتفطن فاذا دخلت من باب التعرية عن المناظرة سلبت النقائص التى تجوز عليك عنه وان كانت لم تقم قط به ولكن المجسم والمشبه لما أضافها اليه سلبت أنت تلك الاضافة ولولم يتوهم هذا المافعات شيأ من هذا السلب فاعلم وان كان للصورة هنا مداخل كثيرة أضربنا عن ذكرها رغبة فيما قصدناه فى هذا الكتاب من حذف التطويل والله يقول

الحق وهو يهدي السبيل (الذراع) ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ضرس الكافر في النار مثل أحد وكثافة جلده أربعون ذراعا بذراع الجبار هذه اضافة تشريف مقدار جعله الله تعالى اضافه اليه كما تقول هذا الشئ كذا وكذا ذراعا بذراع الملك تريد الذراع الاكبر الذي جعله الملك وان كان مثلا ذراع الملك الذي هو الجارحة مثل أذرع الناس والذراع الذي جعله مقدارا يزيد على ذراع الجارحة بنصفه أو ثلثه فليس هو اذن ذراعه على حقيقته وانما هو مقدار نصبه ثم أضيف الى جاعله فاعلم والجبار في اللسان الملك العظيم وهكذا (القدم) يضع الجبار فيها قدمه القدم الجارحة ويقال لفلان في هذا الامر قدم أي ثبوت والقدم جماعة من الخلق فتكون القدم اضافة وقد يكون الجبار ملكا وتكون هذه القدم لهذا الملك اذ الجارحة تستحيل على الله تعالى وجل (والاستواء) أيضا ينطلق على الاستقرار والقصود والاستيلاء والاستقرار من صفات الاجسام فلا يجوز على الله تعالى الا اذا كان على وجه الثبوت والقصد هو الارادة وهي من صفات الكمال قال ثم استوى الى السماء أي قصد واستوى على العرش أي استولى

قد استوى بشر على العراق ✽ من غير سيف ودم مهراق

والاخبار والآيات كثيرة منها صحيح وسقيم وما منها خبر الا وله وجه من وجوه التنزيه وان أردت أن يقرب ذلك عليك فاعمد الى اللفظة التي توهم التشبيه وخذ فائدتها وروحها أو ما يكون عنها فاجعله في حق الحق تفز بدرجة التنزيه حين حاز غيرك درك التشبيه فهكذا فافعل وطهر ثوبك ويكفي هذا القدر من هذه الاخبار فقد طال الباب نفث الروح الاقدس في الروع الانفس بما تقدم من الالفاظ لما تعجب المتعجب عن خروج على صورته وخالفه في سريرته ففرح بوجوده وضحك من شهوده وغضب لتوليه وتبشبش لتدليه ونسي ظاهره وتنفس فأطلق مواخوه وثبت على ملكه وتحكم بالتقدير على ملكه فكان ما أراد والى الله المعاد فهذه أرواح مجرده تنتظر أشباحها مسنده فاذا بلغ الميقات وانقضت الاوقات ومارت السماء وكوّرت الشمس وبدلت الارض وانكدرت النجوم وانتقلت الامور وظهرت الآخره وحشر الانسان وغيره في الحافره حينئذ تخمد الاشباح وتنسم الارواح ويتجلى الفتاح وينقد المصباح وتشعشع الراح ويظهر الودّ الصراح ويزول الالحاح ويرفرف الجناح ويكون الابتناء بالصراح من أول الليل الى الاصباح فما أسناها من منزله وما أشهاها الى النفوس من حالة مكمله متعنا الله بها

﴿ الباب الرابع في سبب بدء العالم ومراتب الاسماء الحسنى من العالم كله ﴾

في سبب البدء وأحكامه ✽ وغاية الصنع واحكامه
والفرق ما بين رعاة العلى ✽ في نشئه وبين حكامه
دلائل دلت على صانع ✽ قد قهر الكل باحكامه

قد وقف الصفيّ الوليّ أبقاه الله على سبب بدء العالم في كتابنا المسمى بعنقاء مغرب في معرفة ختم الاولياء وشمس المغرب وفي كتابنا المسمى بانشاء الدوائر الذي ألفنا بعضه بمنزله الكريم في وقت زيارتنا اياه سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ونحن نريد الحج فقيد له منه خديمه عبد الجبار أعلى الله قدره القدر الذي كنت سطرته منه ورحلت به معي الى مكة زادها الله تشريفا في السنة المذكورة لاتممه بها فشغلنا عنه الكتاب عنه وعن غيره بسبب الامر الالهيّ الذي ورد علينا في تقييده مع رغبة بعض الاخوان والفقراء في ذلك حرصا منهم على مزيد العلم ورغبة في أن تعود عليهم بركات هذا البيت المبارك الشريف محل البركات والهدى والآيات البينات وان نعرف أيضا في هذا الموضوع الصفي الكريم أبا محمد عبد العزيز رضي الله عنه ما تعطيه مكة من البركات وانها خير وسيلة عبادية واشرف منزلة جمادية ترابية عسى تنهض به همة الشوق اليه وتنزل به رغبة المزيد عليه فقد قيل لمن أوتي جوامع الكلم وكان من ربه في مشاهدة العين أدنى من قاب قوسين ومع هذا التقريب الاكمل والحظ الاوفر الاجزل أنزل عليه وقل رب زدني علما ومن شرط العالم المشاهد صاحب المقامات الغيبية والمشاهد ان يعلم ان للامكنة في القلوب اللطيفة تأثيرا ولو وجد القلب في أي موضع كان الوجود الاعم

فوجوده بمكة أسنى وأتم فكما تتفاضل المنازل الروحانية كذلك تتفاضل المنازل الجسمانية والافهل الدر مثل الحجر الا عند صاحب الحال وأما المكمل صاحب المقام فانه يميز بينهما كما ميز بينهما الحق هل ساوى الحق بين دار بناؤها لبن التراب والتبن ودار بناؤها لبن العسجد واللجين فالحكيم الواصل من أعطى كل ذي حق حقه فذلك واحد عصره وصاحب وقته وكثير بين مدينة يكون أكثر عمارتها الشهوات وبين مدينة يكون أكثر عمارتها الآيات البينات أليس قد جمع مني صفي أبقاه الله ان وجود قلوبنا في بعض المواطن أكثر من بعض وقد كان رضي الله عنه يترك الخلوة في بيوت المنارة المحروسة الكائنة بشرقي تونس بساحل البحر وينزل الى الرابطة التي في وسط المقابر بقرب المنارة من جهة بابها وهي تعزى الى الخضر فسألته عن ذلك فقال ان قلبي أجده هنالك أكثر منه في المنارة وقد وجدت فيها انا أيضا ماقاله الشيخ وقد علم ولي أبقاه الله ان ذلك من أجل من يعمر ذلك الموضع اما في الحال من الملائكة المكرمين أو من الجن الصادقين واما من همة من كان يعمره وفقد كبيت أبي يزيد الذي يسمى بيت الابرار وكزاوية الجنيد بالشونيزية وكمغارة ابن أدهم بالتعن وما كان من أماكن الصالحين الذين فنوا عن هذه الدار وبقيت آثارهم في أماكنهم تنفعل لها القلوب اللطيفة ولهذا يرجع تفاضل المساجد في وجود القلب لا في تضاعف الاجر فقد تجد قلبك في مسجد أكثر مما تجده في غيره من المساجد وذلك ليس للتراب ولكن لمجالسة الاتراب أو هممهم ومن لا يجد الفرق في وجود قلبه بين السوق والمساجد فهو صاحب حال لا صاحب مقام ولا أشك كشفا وعلما أنه وان عمرت الملائكة جميع الارض مع تفاضلهم في المعارف والرتب فان أعلاهم رتبة وأعظمهم علما ومعرفة عمرة المسجد الحرام وعلى قدر جلسائك يكون وجودك فانه لهمم الجلساء في قلب الجليس لهم تأثير اوهممهم على قدر مراتبهم وان كان من جهة الهمم فقد طاف بهذا البيت مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي سوى الاولياء وما من نبي ولا ولي الا وله همة متعلقة بهذا البيت وهذا البلد الحرام لانه البيت الذي اصطفاه الله على سائر البيوت وله سر الاولية في المعابد كما قال تعالى ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا من كل مخوف الى غير ذلك من الآيات فلو رحل الصفي أبقاه الله الى هذا البلد الحرام الشريف لوجد من المعارف والزيادات مالم يكن رآه قبل ذلك ولا خطر له بالبال وقد علم رضي الله عنه ان النفس تحشر على صورة علمها والجسم على صورة عمله وصورة العلم والعمل بمكة أتم مما في سواها ولو دخلها صاحب قلب ساعة واحدة لكان له ذلك فكيف ان جاور بها وأقام وأتى فيها بجميع الفرائض والقواعد فلا شك ان مشهده بها يكون أتم وأجلى ومورده أصفى وأعذب وأحلى واذ وصفي أبقاه الله قد أخبرني أنه يحس بالزيادة والنقص على حسب الاماكن والامزجة ويعلم ان ذلك راجع أيضا الى حقيقة الساكن به أو همته كما ذكرنا ولا شك عندنا ان معرفة هذا الفن أعني معرفة الاماكن والاحساس بالزيادة والنقص من تمام تمكن معرفة العارف وعلو مقامه واشرافه على الاشياء وقوة ميزه فالله يكتب لولي فيها أثرا حسنا ويهبه فيها خيرا طيبا انه الملي بذلك والقادر عليه اعلم وفقنا الله واياك وجميع المسلمين ان أكثر العلماء بالله من أهل الكشف والحقائق ليس عندهم علم بسبب بدء العالم الا تعلق العلم القديم بايجاده فكون ماعلم انه سيكونه وهنا ينتهي أكثر الناس وأما نحن ومن أطلعه الله على ما أطلعنا عليه فقد وقفنا على أمور أخر غير هذا وذلك انك اذا نظرت العالم مفصلا بحقائقه ونسبه وجدته محصور الحقائق والنسب معلوم المنازل والرتب متناهي الاجناس بين متماثل ومختلف فاذا وقفت على هذا الامر علمت ان لهذا سرا لطيفا وأمرا عجيبا لا تدرك حقيقته بدقيق فكر ولا نظر بل بعلم موهوب من علوم الكشف ونتائج المجاهدات المصاحبة للهمم فان مجاهدة بغير همة غير منتجة شيأ ولا مؤثرة في العلم لكن تؤثر في الحال من رقة وصفاء يجده صاحب المجاهدة فاعلم علمك الله سرائر الحكم ووهبك من جوامع الكلم ان الاسماء الحسنى التي تبلغ فوق أسماء الاحصاء عددا وتنزل دون أسماء الاحصاء سعادة هي المؤثرة في هذا العالم وهي المفاتح الاول التي لا يعلمها الا هو وان لكل حقيقة اسما ما يخصها من الاسماء وأعني بالحقيقة حقيقة تجمع جنسا من الحقائق رب تلك الحقيقة ذلك الاسم وتلك الحقيقة عابدته وتحت تكليفه ليس غير ذلك وان جمع لك شيء ما أشياء كثيرة فليس الامر على ما توهمته فانك ان نظرت الى

ذلك الشئ وجدت له من الوجوه ما يقابل به تلك الاسماء التي تدل عليها وهي الحقائق التي ذكرناها مثال ذلك ما ثبت لك في العلم الذي في ظاهر العقول وتحت حكمها في حق موجود ما فرد لا ينقسم مثل الجوهر الفرد الجزء الذي لا ينقسم فان فيه حقائق متعددة تطلب أسماء الهية على عددها فحقيقة ايجاده يطلب الاسم القادر ووجه احكامه يطلب الاسم العالم ووجه اختصاصه يطلب الاسم المريد ووجه ظهوره يطلب الاسم البصير والرائي الى غير ذلك فهذا وان كان فردا فله هذه الوجوه وغيرها مما لم نذكرها ولكل وجه وجوه متعددة تطلب من الاسماء بحسبها وتلك الوجوه هي الحقائق عندنا الثواني والوقوف عليها عسير وتحصيلها من طريق الكشف أعسر واعلم ان الاسماء قد نتركها على كثرتها اذا لحظناوجوه الطالبين لها من العالم واذا لم نلحظ ذلك فلنرجع ونلحظ أمهات المطالب التي لا غنى لنا عنها فنعرف ان الاسماء التي الامهات موقوفة عليها هي أيضا أمهات الاسماء فيسهل النظر ويكمل الغرض ويتيسر التعدي من هذه الامهات الى البنات كما يتيسر رد البنات الى الامهات فاذا نظرت الاشياء كلها المعلومة في العالم العلوي والسفلي تجد الاسماء السبعة المعبر عنها بالصفات عند أصحاب علم الكلام تتضمنها وقد ذكرنا هذا في كتابنا الذي سميناه انشاء الدوائر وليس غرضنا في هذا الكتاب في هذه الامهات السبعة المعبر عنها بالصفات ولكن قصدنا الامهات التي لا بد لايجاد العالم منها كما انا لا نحتاج في دلائل العقول من معرفة الحق سبحانه الا كونه موجودا عالما مريدا قادرا حيا لا غير وما زاد على هذا فانما يقتضيه التكليف فبمجيء الرسول عليه السلام جعلنا نعرفه متكلما والتكليف جعلنا نعرفه سميعا بصيرا الى غير ذلك من الاسماء فالذي نحتاج اليه من معرفة الاسماء لوجود العالم وهي أرباب الاسماء وما عداها فسدنة لها كما ان بعض هذه الارباب سدنة لبعضها فامهات الاسماء الحي العالم المريد القادر القائل الجواد المقسط وهذه الاسماء بنات الاسمين المدبر والمفصل فالحي يثبت فهمك بعد وجودك وقبله والعالم يثبت احكامك في وجودك وقبل وجودك يثبت تقديرك والمريد يثبت اختصاصك والقادر يثبت عدمك والقائل يثبت قدمك والجواد يثبت ايجادك والمقسط يثبت مرتبتك والمرتبة آخر منازل الوجود فهذه حقائق لا بد من وجودها فلا بد من أسمائها التي هي أربابها فالحي رب الارباب والمربوبين وهو الامام ويليه في الرتبة العالم ويلي العالم المريد ويلي المريد القائل ويلي القائل القادر ويلي القادر الجواد وآخرهم المقسط فانه رب المراتب وهي آخر منازل الوجود وما بقي من الاسماء فتحت طاعة هؤلاء الاسماء الائمة الارباب وكان سبب توجه هؤلاء الاسماء الى الاسم الله في ايجاد العالم بقية الاسماء مع حقائقها أيضا على ان أئمة الاسماء من غير نظر الى العالم انما هي أربعة لا غير اسمه الحي والمتكلم والسميع والبصير فانه اذا سمع كلامه ورأى ذاته فقد كمل وجوده في ذاته من غير نظر الى العالم ونحن لا نريد من الاسماء الا ما يقوم بها وجود العالم فكثرت علينا الاسماء فعدلنا الى أربابها فدخلنا عليهم في حضراتهم فما وجدنا غير هؤلاء الذين ذكرناهم وأبرزناهم على حسب ما شاهدناهم فكان سبب توجه أرباب الاسماء الى الاسم الله في ايجاد أعياننا بقية الاسماء فاول من قام لطلب هذا العالم الاسم المدبر والمفصل عن سؤال الاسم الملك فعندما توجه على الشئ الذي عنه وجد المثال في نفس العالم من غير عدم متقدم ولكن تقدم مرتبة لا تقدم وجود كتقدم طلوع الشمس على أول النهار وان كان أول النهار مقارنا لطلوع الشمس ولكن قد تبين ان العلة في وجود أول النهار طلوع الشمس وقد قارنه في الوجود فهكذا هو هذا الامر فلما دبر العالم وفصله هذان الاسمان من غير جهل متقدم به أو عدم علم وانشأت صورة المثال في نفس العالم تعلق اسمه العالم اذ ذاك بذلك المثال كما تعلق بالصورة التي أخذ منها وان كانت غير مرئية لانها غير موجودة كما سنذكره في باب م وجد العالم فاول أسماء العالم هذان الاسمان والاسم المدبر هو الذي حقق وقت الايجاد المقدر فتعلق به المريد على حد ما أبرزه المدبر ودبره وما عملا شيأ من نشء هذا المثال الا بمشاركة بقية الاسماء لكن من وراء حجاب هذين الاسمين وهذا صحت لهما الامامة والآخرون لا يشعرون بذلك حتى بدت صورة المثال فرأوا ما فيه من الحقائق المناسبة لهم تجذبهم للتعشق بها فصار كل اسم يتعشق بحقيقته التي في المثال ولكن لا يقدر على التأثير فيها اذ لا تعطي الحضرة التي تجلى فيها هذا المثال فاداهم ذلك التعشق والحب الى الطلب والسعي والرغبة في ايجاد صورة عين ذلك المثال ليظهر سلطانهم ويصح على الحقيقة وجودهم

ولاشئ أعظم همامن عز يز لا يجد عز يزا يقهره حتى يذل تحت قهره فيصح سلطان عزه أو غنى لا يجد من يفتقر الى غناه
وهكذا جميع هـذه الاسماء فلجأت الى أربابها الأئمة السبعة التي ذكرناها ترغب اليها في ايجاد عين هـذا المثال الذي
شاهدوه في ذات العالم به وهو المعبر عنه بالعالم ور بما يقول القائل يا أيها المحقق وكيف ترى الاسماء هـذا المثال ولا يراه الا
الاسم البصير خاصـة لا غيره وكل اسم على حقيقة ليس الاسم الآخر عليها قلنا له اتعلم وفقك الله ان كل اسم الهي يتضمن
جميع الاسماء كلها وان كل اسم ينعت بجميع الاسماء في أفقه فكل اسم فهو حي قادر سميع بصير متكلم في أفقه وفي علمه
والا فكيف يصح أن يكون ربا لعابده هيهات هيهات غيران ثم لطيفة لا يشعر بها وذلك انك تعلم قطعا في حبوب البر
وأمثاله ان كل برة فيها من الحقائق ما في أختها كما تعلم أيضا ان هذه الحبة ليست عين هذه الحبة الاخرى وان كانتا تحو يان
على حقائق متماثلة فانهما مثلان فابحث عن هـذه الحقيقة التي تجعلك تفرق بين هاتين الحبتين وتقول ان هـذه ليست
عين هذه وهذا سار في جميع المتماثلات من حيث ما تماثلوا به كذلك الاسماء كل اسم جامع لما جمعت الاسماء من الحقائق
ثم تعلم على القطع ان هذا الاسم ليس هو هـذا الآخر بتلك اللطيفة التي بها فرقت بين حبوب البر وكل متماثل فابحث عن
هذا المعنى حتى تعرفه بالذكر لا بالفكر غير اني أريد ان أوقفك على حقيقة ماذكرها أحد من المتقدمين ور بما أطلع
عليها فر بما خصصت بها ولا أدري هل تعطى لغيري بعدي أم لا من الحضرة التي أعطيتها فان استقرأها وفهمها من
كتابي فانا المعلم له وأما المتقدمون فلم يجدوها وذلك ان كل اسم كما قررنا بجميع حقائق الاسماء ويحتوي عليها مع وجود
اللطيفة التي وقع لك التمييز بها ما بين المثلين وذلك ان الاسم المنعم والاسم المعذب اللذين هما الظاهر والباطن كل اسم من
هذين الاسمين يتضمن ما تحو يه سدنته من أولهم الى آخرهم غيران أرباب الاسماء ومن سواهم من الاسماء على ثلاث
مراتب منها ما يلحق بدرجات أرباب الاسماء ومنها ما ينفرد بدرجة فمنها ما ينفرد بدرجـة المنعم وبدرجة المعـذب فهذه
أسماء العالم محصورة والله المستعان فلما لجأت الاسماء كلها الى هؤلاء الأئمة ولجأت الأئمة الى الاسم الله لجأ الاسم الله الى
الذات من حيث غناها عن الاسماء سائلا في اسعاف ما سألته الاسماء فيـه فانعم المحسان الجواد بذلك وقال قل للأئمة
يتعلقون بابراز العالم على حسب ما تعطيه حقائقهم فخرج اليهم الاسم الله وأخبرهم الخبر فانقلبوا مسرعين فرحين
مبتهجين ولم يزالوا كذلك فنظروا الى الحضرة التي أذكرها في الباب السادس من هـذا الكتاب فاوجدوا العالم كما
سنذكره فيما يأتي من الابواب بعد هذا ان شاء الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

«الباب الخامس في معرفة أسرار بسم الله الرحمن الرحيم والفاتحة من وجه ما لا من جميع الوجوه»

بسملة الاسماء ذو منظرين * ما بين ابقاء وأفناء عين
الابعن قالت لمن حسين ما * خافت على الثقل من الحطمتين
فقال من أضحكه قولها * هل أريطالب من بعد عين
يانفس يا نفس استقيمي فقد * عاينت من نملتنا القبضتين
وهكذا في الحمد فاستثنها * ان شئت ان تنعم بالجنتين
احداهما من عسجد مشرق * جلتها أختها من لجين
ياأم قرآن العلى هل ترى * من جهة الفرقان للفرقتين
أنت لنا السبع المثاني التي * خص بها سيدنا دون مين
فانت مفتاح الهدى للنهى * وخص من عاداك بالفرقتين

لما أردنا ان نفتتح معرفة الوجود وابتداء العالم الذي هو عندنا المصحف الكبير الذي تلاه الحق علينا تلاوة حال كما ان
القرآن تلاوة قول عندنا فالعالم حروف مخطوطة مرقومة في رق الوجود المنشور ولا تزال الكتابة فيه دائمة أبدا لا تنتهي
ولما افتتح الله تعالى كتابه العزيز بفاتحة الكتاب وهذا كتاب أعني العالم الذي نتكلم عليه أردنا ان نفتتح بالكلام
على أسرار الفاتحة وبسم الله فاتحة الفاتحة وهي آية أولى منها وملازمة لها كالعلاوة على الحلاوة المعلوم بين العلماء

فلابد من الكلام على البسملة وربما يقع الكلام على بعض آية من سورة البقرة آيتين أو ثلاث خاصة تبركا بكلام الحق سبحانه ثم نسوق الابواب ان شاء الله تعالى فأقول انه لما قدمنا ان الاسماء الالهية سبب وجود العالم وانها المسلطة عليه والمؤثرة لذلك كان بسم الله الرحمن الرحيم عندنا خبرا بتداء مضمر وهو ابتداء العالم وظهوره كانه يقول ظهور العالم بسم الله الرحمن الرحيم أى باسم الله الرحمن الرحيم ظهر العالم واختص الثلاثة الاسماء لان الحقائق تعطى ذلك فالله هو الاسم الجامع للاسماء كلها والرحمن صفة عامة فهو رحمن الدنيا والآخرة بها رحم كل شئ من العالم فى الدنيا ولما كانت الرحمة فى الآخرة لا تختص الا بقبضة السعادة فانها تنفرد عن أختها وكانت فى الدنيا ممتزجة يولد كافرا ويموت مؤمنا أى ينشأ كافرا فى عالم الشهادة وبالعكس وتارة وتارة وبعض العالم تميز باحدى القبضتين باخبار صادق جاء الاسم الرحيم مختصا بالدار الآخرة لكل من آمن وتم العالم بهذه الثلاثة الاسماء جملة فى الاسم الله وتفصيلا فى الاسمين الرحمن الرحيم فتحقق ما ذكرناه فانى أريد أن أدخل الى ما فى طى البسملة والفاتحة من بعض الاسرار كما شرطناه فلنبين ونقول بسم بالباء ظهر الوجود وبالنقطة تميز العابد من المعبود قيل للشبلى رضى الله عنه أنت الشبلى فقال أنا النقطة التى تحت الباء وهو قولنا النقطة للتمييز وهو وجود العبد بما تقتضيه حقيقة العبودية وكان الشيخ أبو مدين رحمه الله يقول ما رأيت شيأ الا رأيت الباء عليه مكتوبة فالباء المصاحبة للموجودات من حضرة الحق فى مقام الجمع والوجود أى بى قام كل شئ وظهر وهى من عالم الشهادة هذه الباء بدل من همزة الوصل التى كانت فى الاسم قبل دخول الباء واحتيج اليها اذ لا ينطق بساكن فجلبت الهمزة المعبر عنها بالقدرة محركة عبارة عن الوجود ليتوصل بها الى النطق الذى هو الايجاد من ابداع وخلق بالساكن الذى هو العدم وهو أوان وجود المحدث بعد ان لم يكن وهو السين فدخل فى الملك بالميم ألست بربكم قالوا بلى فصارت الباء بدلا من همزة الوصل أعنى القدرة الازلية وصارت حركة الباء حركة الهمزة الذى هو الايجاد ووقع الفرق بين الباء والالف الواصلة فان الالف تعطى الذات والباء تعطى الصفة ولذلك كانت لعين الايجاد أحق من الالف بالنقطة التى تحتها وهى الموجودات فصار فى الباء الانواع الثلاثة شكل الباء والنقطة والحركة العوالم الثلاثة فكما فى العالم الوسط توهم ما كذلك فى نقطة الباء فالباء ملكوتية والنقطة جبروتية والحركة شهادية ملكية والالف المحذوفة التى هى بدل منها هى حقيقة القائم بالكل تعالى واحتجب رحمة منه بالنقطة التى تحت الباء وعلى هذا الحد تأخذ كل مسئلة فى هذا الباب مستوفاة بطريق الايجاز فبسم والم واحد ثم وجدنا الالف من بسم قد ظهرت فى اقرأ باسم ربك وباسم الله مجراها بين الباء والسين ولم تظهر بين السين والميم فلولم تظهر فى باسم السفينة ما جرت السفينة ولو لم تظهر فى اقرأ باسم ربك ما علم المثل حقيقته ولا رأى صورته فتيقظ من سنة الغفلة وانتبه فلما كثر استعمالها فى أوائل السور حذفت لوجود المثل مقامه فى الخطاب وهو الباء فصار المثل مرآة السين فصار السين مثالا وعلى هذا الترتيب نظام التركيب وانما لم تظهر بين السين والميم وهو محل التغيير وصفات الافعال أن لو ظهرت زال السين والميم اذ ليسوا بصفة لازمة للقسيم مثل الباء فكان خفاؤه عنهم رحمة بهم اذ كان سبب بقاء وجودهم وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا وهو الرسول فهذه الباء والسين والميم العالم كله ثم عمل الباء فى الميم الخفض من طريق الشبه بالحدوث اذ الميم مقام الملك وهو العبودية وخفضتها الباء عرفتها بنفسها أوقفتها على حقيقتها فهما وجدت الباء وجدت الميم فى مقام الاسلام فان زالت الباء يوما ما لسبب طارئ وهو ترقى الميم الى مقام الايمان فتح فى عالم الجبروت بسبح وأشباهه فأمر بتنزيه المحل لتجلى المثل فقيل له سبح اسم ربك الاعلى الذى هو مغذيك بالمواد الالهية فهو ربك بفتح الميم وجاءت الالف ظاهرة وزالت الباء لان الامر توجه عليها بالتسبيح ولا طاقة لها على ذلك والباء محدثة مثلها والمحدث من باب الحقائق لا فعل له ولا بد لها من امتثال الامر فلا بد من ظهور الالف الذى هو الفاعل القديم فلما ظهر فعلت القدرة فى الميم التسبيح فسبح كما أمر وقيل له الاعلى لانه مع الباء فى الاسفل وفى هذا المقام فى الوسط ولا يسبح المسبح مثله ولا من هو دونه فلابد أن يكون المسبح أعلى ولو كنا فى تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى لاظهرنا أسرارها فلا يزال فى هذا المقام حتى يتنزه فى نفسه فان من ينزهه منزه فانه منزه عن تنزيهه فلا بد من هذا التنزيه أن يعود

على المنزه ويكون هو الاعلى فان الحق من باب الحقيقة لا يصح عليه الاعلى فانه من أسماء الاضافة وضرب من وجوه المناسبة فليس باعلى ولا أسفل ولا أوسط تنزه عن ذلك وتعالى علوّا كبيرا بل نسبة الاعلى والاوسط والاسفل اليه نسبة واحدة فاذا انتزه خرج عن حد الامر وخرق حجاب السمع وحصل المقام الاعلى فارتفع الميم بمشاهدة القديم فحصل له الثناء التام بتبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام فكما ان الاسم عين المسمى كذلك العبد عين المولى من تواضع لله رفعه الله وفى الصحيح من الاخبار ان الحق يد العبد ورجله ولسانه وسمعه وبصره لولم يقبل الخفض من الباء فى باسم ما حصل له الرفع فى النهاية فى تبارك اسم ثم اعلم ان كل حرف من بسم مثلث على طبقات العوالم فاسم الباء باء وألف وهمزة واسم السين سين وياء ونون واسم الميم ميم وياء وميم والياء مثل الباء وهى حقيقة العبد فى باب النداء فما أشرف هذا الموجود كيف انحصر فى عابد ومعبود فهذا اشرف مطلق لا يقابله ضد لان ما سوى وجود الحق تعالى ووجود العبد عدم محض لاعين له ثم انه سكن السين من بسم تحت ذل الافتقار والفاقة كسكوننا تحت طاعة الرسول لما قال من يطع الرسول فقد أطاع الله فسكنت السين من بسم لتتلقى من الباء الحق اليقين فلو تحركت قبل أن تسكن لاستبدت بنفسها وخيف عليها من الدعوى وهى سين مقدسة فسكنت فلما تلقت من الباء الحقيقة المطلوبة أعطيت الحركة فلم تتحرك فى بعض المواطن الابعد ذهاب الباء اذ كان كلام التلميذ بحضور الشيخ فى أمر ما سوء أدب الا أن يأمره فامتثال الامر هو الادب فقال عند مفارقة الباء يخاطب أهل الدعوى تائها بما حصل له فى المقام الاعلى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون ثم تحرك لمن أطاعه بالرحمة واللين فقال سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين يريد حضرة الباء فان الجنة حضرة الرسول عليه السلام وكثيب الرؤية حضرة الحق فاصدق وسلم تكشف وتلحق فهذه الحضرة هى التى تنقله الى الالف المرادة فكما انه ينقلك الرسول الى الله كذلك تنقلك حضرته التى هى الجنة الى الكثيب الذى هو حضرة الحق ثم اعلم ان التنوين فى بسم لتحقيق العبودة واشارات التبعيض فلما ظهر منه التنوين اصطفاه الحق المبين باضافة التشريف والتمكين فقال بسم الله فحذف التنوين العبدى لاضافته الى المنزل الالهى ولما كان تنوين تخلق لهذا صح له هذا التحقق والا فالسكون أولى به فاعلم انتهى الجزء التاسع

(بسم الله الرّحمن الرّحيم)

(وصل) قوله الله من بسم الله ينبغى لك أيها المسترشد أن تعرف أولا ما تحصل فى هذه الكلمة الكريمة من الحروف وحينئذ يقع الكلام عليها ان شاء الله وحروفها ا ل ل ا ه و فاول ما أقول كلاما مجملا مرموزا ثم نأخذ فى تبيينه ليسهل قبوله على عالم التركيب وذلك ان العبد تعلق بالالف تعلق من اضطر ولتحجا فاظهرته اللام الاولى ظهورا ورثه الفوز من العدم والنجاة فلما صح ظهوره وانتشر فى الوجود نوره وصح تعلقه بالمسمى وبطل تخلقه بالاسماء أفنته اللام الثانية بشهود الالف التى بعدها فناء لم تبق منه باقية وذلك عسى ينكشف له المعمى ثم جاءت الواو بعد الهاء لتمكن المراد وبقيت الهاء لوجوده آخرا عند محو العباد من أجل العناد فذلك أوان الاجل المسمى وهذا هو المقام الذى تضمحل فيه أحوال السائرين وتنعدم فيه مقامات السالكين حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل لا غير يثبت لظهوره ولا ظلام يبقى لنوره فان لم تكن تره اعرف حقيقة ان لم تكن تكن أنت اذ كانت التاء من الحروف الزوائد فى الافعال المضارعة للذوات وهى العبودية يقول بعض السادة وقد سمع عاطسا يقول الحمد لله فقال له ذلك السيد أتمها كما قال الله رب العالمين فقال العاطس ياسيدنا ومن العالم حتى يذكر مع الله فقال له الآن قلها يا أخى فان المحدث اذا قرن بالقديم لم يبق له أثر وهذا هو مقام الوصلة وحال وله أهل الفناء عن أنفسهم وأما الوفنى عن فنائه لما قال الحمد لله لان فى قوله الحمد أثبت العبد الذى هو المعبر عنه بالرداء عند بعضهم وبالثوب عند آخرين ولو قال رب العالمين لكان أرفع من المقام الذى كان فيه فذلك مقام الوارثين ولا مقام أعلى منه لانه شهود لا يتحرك معه لسان ولا يضطرب معه جنان أهل هذا المقام فى أحوالهم فاغرة أفواههم استولت عليهم أنوار الذات وبدت عليهم رسوم الصفات هم عرائس الله المخبأون عنده المحجوبون

لديه الذين لا يعرفهم سواه كما لا يعرفون سواه توجهم بتاج البهاء وأكليل السناء وأقعدهم على منابر الفناء عن القرب في بساط الانس ومناجاة الديمومية بلسان القيومية أورثهم ذلك قوله على صلاتهم دائمون وبشهاداتهم قائمون فلم تزل القوة الالهية تمدهم بالمشاهدة فيبرزون بالصفات في موضع القدمين فلا وله الا من حيث الاقتداء ولاذكر الا اقامة سنة أو فرض لا يحيدون عن سواء السبيل فهم بالحق وان خاطبوا الخلق وعاشروهم فليسوا معهم وان رأوهم لم يروهم اذ لا يرون منهم الا كونهم من جملة أفعال الله فهم يشاهدون الصنعة والصانع مقاما ثمريا كما يقعد أحدكم مع نجار يصنع تابوتا فيشاهد الصنعة والصانع ولا تحجبه الصنعة عن الصانع الا ان شغل قلبه حسن الصنعة فان الدنيا كما قال عليه السلام حلوة خضرة وهي من خضراء الدمن جارية حسناء في منبت سوء من أحسن اليها وأحبها أساءت اليه وحرمت عليه أخراه ولقد أحسن القائل

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

فهذه الطائفة الامناء الصديقون اذا أيدهم الله بالقوة الالهية وأمدهم فهم معه بهذه النسبة على وجه المثال وهذا أعلى مقام يرقى فيه وأشرف غاية ينتهي اليها هذه الغاية القصوى اذ لا غاية الا من حيث التوحيد لا من حيث الموارد والواردات وهو المستوى اذ لا استواء الا الرفيق الاعلى فهنيئا لهذه العصابة بما نالوه من حقائق المشاهدة وهنيئا لنا على التصديق والتسليم لهم بالموافقة والمساعدة مرتجا جواد اللسان في حلبة الكلام فلنرجع الى ما كنا بسبيله والسلام فأقول همزة هذا الاسم المحذوفة بالاضافة تحقيق اتصال الوحدانية وتمحيق انفصال الغيرة فالالف واللام الملصقة كما تقدم لتحقيق المتصل ومحق المنفصل والالف الموجودة في اللام الثانية تمحو آثار الغير المتحصل والواو التي بعد الهاء ليس لها في الخط أثر ومعناها في الوجود بهاء الهوية قد انتشر أبدا لها في عالم الملك بذاتها فقال هو الله الذي لا اله الا هو فبدأ بالهوية وختم وملكها الامر في الوجود والعدم وجعلها دالة على الحدوث والقدم وهو آخذ كر الذاكرين وأعلاه فرجع العجز على الصدر فلاحت ليلة القدر ووقف بوجودها أهل العناية والتأييد على حقائق التوحيد فالوجود في نقطة دائرة هذا الاسم ساكن وقد اشتمل عليه بحقيقته اشتمال الاماكن على المتمكن الساكن ولله المثل الاعلى

والله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

فقال تعالى والله بكل شيء محيط أحاط بكل شيء علما وصير الكل اسما ومسمى وأرسله مكشوفا ومعمى (حل المقفل وتفصيل المجمل) يقول العبد الله فيثبت أولا وآخرا ويبقى باللامين باطنا وظاهرا لزمت اللام الثانية الهاء بوساطة الالف العلمية ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الثلاثة اللام ولا خمسة الا هو سادسهم فالالف سادس في حق الهاء رابع في حق اللام ألم تر الى ربك كيف مد الظل العرش ظل الله العرش اللام الثانية وما حواه اللام الاولى بطريق الملك واللامان هما الظاهر والباطن من باب الاسماء ظهرتا بين ألف الاول وألف الآخر وهو مقام الاتصال لان النهاية تنعطف على البداية وتتصل بها اتصال اتحاد ثم خرجت الهاء بواوها الباطنة مخرج الانفصال والجزء المتصل بين اللام والهاء هو السر الذي به تقع المشاهدة بين العبد والسيد وذلك مركز الالف العلمية وهو مقام الاضمحلال ثم جعل تعالى في الخط المتصل جزأ بين اللامين للاتصال بين اللام الاولى التي هي عالم الملك وبين اللام الثانية التي هي عالم الملكوت وهو مركز العالم الاوسط عالم الجبروت مقام النفس ولا بد من خطوط فارغة بين كل حرفين فتلك مقامات فناء رسوم السالكين من حضرة الى حضرة ﴿تتميم﴾ الالف الاولى التي هي ألف الهمزة منقطعة واللام الثانية ألفها متصل بها قطعت الالف في أوائل الخطوط لقوله عليه السلام كان الله ولا شيء معه فلهذا قطعت وتنزه من الحروف من أشبهها في عدم الاتصال بما بعدها والحروف التي أشبهتها على عدد الحقائق العامة العالية التي هي الامهات وكذلك اذا كانت آخر الحروف تقطع الاتصال من البعدية الرقية فكان انقطاع الالف تنبيها لما ذكرناه وكذلك اخوته فالالف للحق وأشباه الالف للخلق وذلك د ذ ر ز و في جميع الحقائق جسم متغذ حساس ناطق وما عداه ممن له لغة وانحصرت حقائق العالم الكلية فلما أراد وجود اللام الثانية وهي أول موجود في المعنى وان تأخرت في الخط فان معرفة الجسم تتقدم على معرفة

الروح شاهدا وكذلك الخط شاهدا وهي عالم الملكوت أوجدها بقدرته وهي الهمزة التي في الاسم اذا ابتدأت به معرى من الاضافة وهي لا تفارق الالف فلما أوجدت هذه الالف اللام الثانية جعلها رئيسة فطلبت مرؤسا تكون عليه بالطبع فاوجد لها عالم الشهادة الذي هو اللام الاولى فلما نظرت اليه أشرق وأنار وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وهو الجزء الذي بين اللامين أمر سبحانه اللام الثانية أن تمد الاولى بما أمدها به تعالى من جود ذاته وأن تكون دليلها اليه فطلبت منه معنى تصرفه في جميع أمورها يكون لها كالوزير فتلقي اليه ما تريده فيلقيه على عالم اللام الاولى فاوجد لها الجزء المتصل باللامين المعبر عنه بالكتاب الاوسط وهو العالم الجبروتي وليست له ذات قائمة مثل اللامين فانه بمنزلة عالم الخيال عندنا فالقت اللام الثانية الى ذلك الجزء وارتقم فيه ما أريد منها ووجهت به الى اللام الاولى فامتثلت الطاعة حتى قالت بلى فلما رأت اللام الاولى الامر قد أتاها من قبل اللام الثانية بوساطة الجزء الذي هو الشرع صارت مشاهدة لما يرد عليها من ذلك الجزء راغبة له في أن يوصلها الى صاحب الامر لتشاهده فلما صرفت الهمة الى ذلك الجزء واشتغلت بمشاهدته احتجبت عن الالف التي تقدمتها ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ولو لم تصرف الهمة الى ذلك الجزء لتلقت الامر من الالف الاولى بلا واسطة ولكن لا يمكن لسر عظيم فانها ألف الذات والثانية ألف العلم (اشارة) ألا ترى ان اللام الثانية لما كانت مرادة مجتباة منزهة عن الوسائط كيف اتصلت بألف الوحدانية اتصالا شافيا حتى صار وجودها نطقا يدل على الالف دلالة صحيحة وان كانت الذات خفيت فان لفظك باللام يحقق الاتصال ويدلك عليها من عرف نفسه عرف ربه من عرف اللام الثانية عرف الالف فجعل نفسك دليلا عليك ثم جعل كونك دليلا عليك دليلا عليه في حق من بعده وقدم معرفة العبد بنفسه على معرفته بربه ثم بعد ذلك يغنيه عن معرفته بنفسه لما كان المراد منه أن يعرف ربه ألا ترى تعانق اللام الالف وكيف يوجد اللام في النطق قبل الالف وفي هذا تنبيه لمن أدرك فهذه اللام الملكوتية تتلقى من ألف الوحدانية بغير واسطة فتورده على الجزء الجبروتي ليؤديه الى لام الشهادة والملك هكذا الامر مادام التركيب والحجاب فلما حصلت الاولية والآخرية والظاهرية والباطنية أراد تعالى كما قدم الالف منزهة عن الاتصال من كل الوجوه بالحروف أراد أن يجعل الانتهاء نظير الابتداء فلا يصح بقاء العبد أولا وآخرا فاوجد الهاء مفردة بواوهويتها فان توهم متوهم ان الهاء ملصقة الى اللام فليست كذلك وانما هي بعد الالف التي بعد اللام والالف لا يتصل بها في البعدية شيء من الحروف فالهاء بعد اللام مقطوعة عن كل شيء فذلك الاتصال باللام في الخط ليس باتصال فالهاء واحدة والالف واحدة فاضرب الواحد في مثله يكن واحدا فصح انفصال الخلق عن الحق فبقي الحق واذا صح تخلق اللام الملكية لما توردة عليها الام الملكوت فلا تزال تضمحل عن صفاتها وتفنى عن رسومها الى أن تحصل في مقام الفناء عن نفسها فاذا فنيت عن ذاتها فني الجزء افنائها واتحدت اللامان لفظا ينطق بها اللسان مشددة للادغام الذي حدث فصارت موجودة بين ألفين اشتملا عليها وأحاطا بها فاعطتنا الحكمة الموهوبة لما سمعنا لفظ الناطق بلا بين ألفين علمنا علم الضرورة ان المحدث فني بظهور القديم فبقي ألفان أولى وأخرى وزال الظاهر والباطن بزوال اللامين بكلمة النفي فضربنا الالف في الالف ضرب الواحد في الواحد فخرجت لك الهاء فلما ظهرت زال حكم الاول والآخر الذي جعلته الواسطة كما زال حكم الظاهر والباطن فقيل عند ذلك كان الله ولا شيء معه ثم أصل هذا الضمير الذي هو الهاء الرفع ولا بد فان انفتح أو انخفض فتلك صفة تعود على من فتحه وخفضه فهي عائدة على العامل الذي قبل في اللفظ (تكملة) ثم أوجد سبحانه الحركات والحروف والمخارج تنبيها منه سبحانه وتعالى ان الذوات تتميز بالصفات والمقامات فجعل الحركات نظير الصفات وجعل الحروف نظير الموصوف وجعل المخارج نظير المقامات والمعارج فاعطى لهذا الاسم من الحروف على عموم وجوهه من وصل وقطع ء ا ل ه و همزة وألفا ولاما وهاء وواوا فالهمزة أولا والهاء آخرا ومخرجهما واحد مما يلي القلب ثم جعل بين الهمزة والهاء حرف اللام ومخرجه اللسان ترجمان القلب فوقعت النسبة بين اللامين والهمزة والهاء كما وقعت النسبة بين القلب الذي هو محل الكلام وبين اللسان المترجم عنه قال الاخطل

ان الكلام لفى الفؤاد وانما ＊ جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فلما كانت اللام من اللسان جعلها تنظر اليه لا الى نفسها فافناها عنها وهى الحنك الاسفل فلما نظرت اليه لا الى ذاتها علت وارتفعت الى الحنك الاعلى واشتد اللسان بها فى الحنك اشتداد التمكن علوها وارتفاعها بمشاهدته وخرجت الواو من الشفتين الى الوجود الظاهر مخبرة دالة عليه وذلك مقام باطن النبوة وهى الشعرة التى فينا من الرسول صلى الله عليه وسلم وفى ذلك يكون الورث فخرج من هذا الوصل ان الهمزة والالف والهاء من عالم الملكوت واللام من عالم الجبروت والواو من عالم الملك ﴿وصل﴾ قوله الرحمن من البسملة الكلام على هذا الاسم فى هذا الباب من وجهين من وجه الذات ومن وجه الصفة فمن أعربه بدلا جعله ذاتا ومن أعربه نعتا جعله صفة والصفات ست ومن شرط هذه الصفات الحياة فظهرت السبعة وجميع هذه الصفات للذات وهى الالف الموجودة بين الميم والنون من الرحمن ويتركب الكلام على هذا الاسم من الخبر الثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته من حيث اعادة الضمير على الله ويؤيد هذا النظر الرواية الاخرى وهى قوله عليه السلام على صورة الرحمن وهذه الرواية وان لم تصح من طريق أهل النقل فهى صحيحة من طريق الكشف فاقول ان الالف واللام والراء للعلم والارادة والقدرة والحاء والميم والنون مدلول الكلام والسمع والبصر وصفة الشرط التى هى الحياة مستصحبة لجميع هذه الصفات ثم الالف التى بين الميم والنون مدلول الموصوف وانما حذفت خطا لدلالة الصفات عليها دلالة ضرورية من حيث قيام الصفة بالموصوف فتجلت للعالم الصفات ولذلك لم يعرفوا من الاله غيرها ولا يعرفونها ثم الذى يدل على وجود الالف ولا بد ما ذكرناه وزيادة وهى اشباع فتحة الميم وذلك اشارة الهية الى بسط الرحمة على العالم فلا يكون أبدا ما قبل الالف الا مفتوحا فتدل الفتحة على الالف فى مثل هذا الموطن وهو محل وجود الروح الذى له مقام البسط لمحل التجلى ولهذا ذكر أهل عالم التركيب فى وضع الخطوط فى حروف العلة الياء المكسور ما قبلها اذ قد توجد الياء الصحيحة ولا كسر قبلها وكذلك الواو المضموم ما قبلها ولما ذكروا الالف لم يقولوا المفتوح ما قبلها اذ لا توجد الا والفتح فى الحرف الذى قبلها بخلاف الواو والياء فالاعتدال للالف لازم أبدا فالجاهل اذا لم يعلم فى الوجود منزها عن جميع النقائص الا الله تعالى نسى الروح القدسى الاعلى فقال ما فى الوجود الا الله فلما سئل فى التفصيل لم يوجد لديه تحصيل وانما خصصوا الواو بالمضموم ما قبلها والياء بالمكسور ما قبلها لما ذكرناه فصحت المفارقة بين الالف وبين الواو والياء فالالف للذات والواو العلية للصفات والياء العلية للافعال الالف للروح والعقل صفته وهو الفتحة والواو النفس والقبض صفتها وهو الضمة والياء الجسم ووجود الفعل صفته وهو الخفض فان انفتح ما قبل الواو والياء فذلك راجع الى حال المخاطب ولما كانتا غيرا ولا بد اختلفت عليهما الصفات ولما كانت الالف لا تقبل الحركات اتحدت بعلو طافلم يختلف عليها شئ البتة وسميت حروف العلة لما نذكره فألف الذات علة لوجود الصفة وواو الصفة علة لوجود الفعل وياء الفعل علة لوجود ما يصدر عنه فى عالم الشهادة من حركة وسكون فلهذا سميت عللا ثم أوجد النون من هذا الاسم نصف دائرة فى الشكل والنصف الآخر محصور معقول فى النقطة التى تدل على النون الغيبية الذى هو نصف الدائرة ويحسب الناس النقطة انها دليل على النون المحسوسة ثم أوجد مقدم الحاء مما يلى الالف المحذوفة فى الرقم اشارة الى مشاهدتها ولذلك سكنت ولو كان مقدمها الى الراء لتحركت فالالف الاولى للعلم واللام للارادة والراء للقدرة وهى صفة الايجاد فوجدنا الالف لها الحركة من كونها همزة والراء لها الحركة واللام ساكنة فاتحدت الارادة بالقدرة كما اتحد العلم والارادة بالقدرة اذا وصلت الرحمن بالله فأدغمت لام الارادة فى راء القدرة بعد ما قلبت راء وشددت لتحقيق الايجاد الذى هو الحاء وجود الكلمة ساكنة وانما سكنت لانها لا تنقسم والحركة منقسمة فلما كانت الحاء ساكنة سكونا حسيا ورأيناها مجاورة الراء راء القدرة عرفنا انها الكلمة وتمينها ﴿تنبيه﴾ أشار من أعربه بدلا من قوله الله الى مقام الجمع واتحاد الصفات وهو مقام من روى خلق آدم على صورته وذلك وجود العبد فى مقام الحق حد الخلافة والخلافة تستدعى الملك بالضرورة والملك ينقسم قسمين قسم راجع لذاته وقسم راجع لغيره والواحد من الاقسام يصلح فى هذا المقام على حد ما رتبناه فان البدل فى الموضع يحل محل

المبدل منـه مثل قولنا جاء فى أخوك زيد فزيد بدل من أخيك بدل الشئ من الشئ وهما العين واحـدة فان زيدا هو أخوك وأخاك هو زيد بلاشك وهذا مقام من اعتقد خلافه فما وقف على حقيقة ولا وحد قط موجده وأما من أعربه نعتا فانه أشار الى مقام التفرقة فى الصفة وهو مقام من روى خلق آدم على صورة الرحمن وهذا مقام الوراثة ولا تقع الابين غيرين مقام الحجاب بغيب الواحد وظهور الثانى وهو المعبر عنه بالمثل وفيما قررنا دليل على ما أضمرنا فافهم ثم أظهر من النون الشطر الاسفل وهو الشطر الظاهر لنا من الفلك الدائر من نصف الدائرة ومركز العالم فى الوسط من الخط الذى يمتد من طرف الشطر الى الطرف الثانى والشطر الثانى المستور فى النقطة هو الشطر الغائب عنا من تحت نقيض الخط بالاضافة الينا اذ كانت رؤيتنا من حيث الفعل فى جهة فالشطر الموجود فى الخط هو المشرق والشطر المجموع فى النقطة هو المغرب وهو مطلع وجود الاسرار فالمشرق وهو الظاهر المركب ينقسم والمغرب وهو الباطن البسيط لا ينقسم وفيه أقول

عجبا للظاهر ينقسم * ولباطنه لا ينقسم
فالظاهر شمس فى حمل * والباطن فى أسد جلم
حقق وانظر معنى سترت * من تحت كنائفها الظلم
ان كان خفى هو ذاك بدا * عجبا والله هما القسم
فافزع للشمس ودع قمرا * فى الوتر يلوح وينعدم
واخلع نعلى قدمى كونى * علمى شفع يكن الكلم

ولذلك يتعلق العلم بالمعلومات والارادة الواحدة بالمرادات والقدرة الواحدة بالمقدورات فتقع القسمة والتعداد فى المقدورات والمعلومات والمرادات وهو الشطر الموجود فى الرقم ويقع الاتحاد والتنزه عن الاوصاف الباطنية من علم وقدرة وارادة وفى هذه الاشارة فافهم ولما كانت الحاء ثمانية وهو وجود كمال الذات ولذلك عبرنا عنه بالكلمة والروح فكذلك النون خامسة فى العشرات اذ يتقدمها الميم الذى هو رابع فالنون جسمانى محل ايجاد مواد الروح والعقل والنفس ووجود الفعل وهذا كله مستودع فى النون وهى كلية الانسان الظاهرة ولهذا ظهرت ﴿تتمة﴾ وانما فصل بين الميم والنون بالالف مان اذ الميم ملكوتية لما جعلناه للروح والنون ملكية والنقطة جبروتية لوجود سر سلب الدعوى كأنه يقول أى يا روح الذى هو الميم لم نصطفك من حيث أنت لكن عناية سبقت لك فى وجود علمى ولو شئت لاطلعت على نقطة العقل ونون الانسانية دون واسطة وجودك فاعرف نفسك واعلم ان هذا اختصاص بك منى من حيث أنا لا من حيث أنت فصحت الاصطفائية فلا تجلى لغيره أبدا فالحمد لله على ما أولى فتنبه يا مسكين فى وجود الميم دائرة على صورة الجسم مع التقادم كيف أشار به الى التنزه عن الانقسام وانقسام الدائرة لا يتناهى فانقسام روح الميم بمعلوماته لا يتناهى وهو فى ذاته لا ينقسم ثم انظر الميم اذا انفصل وحده كيف ظهرت منه مادة التعريق لما نزل الى وجود الفعل فى عالم الخطاب والتكليف فصارت المادة فى حق الغير لا فى حق نفسه اذ الدائرة تدل عليه خاصة فما زاد فليس فى حقه اذ قد ثبتت ذاته فلم يبق الا أن يكون فى حق غيره فلما نظر العبد الى المادة مد تعريقا وهذا هو وجود التحقيق ثم اعلم ان الجزء المتصل بين الميم والنون هو مركز ألف الذات وخفيت الالف ليقع الاتصال بين الميم والنون بطريق المادة وهو الجزء المتصل ولو ظهرت الالف لما صح التعريق للميم لان الالف حالت بينهما وفى هذا تنبيه على قوله رب السموات والارض وما بينهما الرحمن وجود الالف المرادة هذا على من أعربه مبتدأ ولا يصح من طريق التركيب والصحيح أن يعرب بدلا من الرب فتبقى الالف هنا عبارة عن الروح والحق قائم بالجميع والميم السموات والنون الارض واذا ظهرت الالف بين الميم والنون فان الاتصال بالميم لا بالنون فلا تأخذ النون صفة أبدا من غير واسطة لقطعها ودل اتصالها بالميم على الاخذ بلا واسطة والعدم الذى صح به القطع فيه يفنى النون ويبقى الميم محجوبا عن سر قدمه بالنقطة التى فى وسطه التى هى جوف دائرته بالنظر الى ذاته بعد أن لم تكن فما ظهر له ﴿سؤال وجوابه﴾ قيل فكيف

عرفت سر قدمه ولم يعرفه هو وهو أحق بمعرفة نفسه منك ان نظرت الى ظاهرك أو هل العالم بسر القدم فيه هو المعنى الموجود فيك المتكلم فيه وهو ميم الروح فقد وقف على سر قدمه الجواب عن ذلك ان الذي علم منا سر القدم هو الذي جعلناه هناك فمن الوجه الذي أثبتنا له العلم غير الوجه الذي أثبتنا له منه عدم العلم ونقول انما حصل له ذلك علما لا عينا وهذا موجود فليس من شرط من علم شيأ أن يراه والرؤية للمعلوم أتم من العلم به من وجه وأوضح في المعرفة به فكل عين علم وليس كل علم عينا اذ ليس من شرط من علم ان ثم مكة رآها واذا رآها قطعنا انه يعلمها ولا أريد الاسم فللعين درجة على العلم معلومة كما قيل

ولكن للعيان لطيف معنى * لذا سأل المعاينة الكليم

بل أقول ان حقيقة سر القدم الذي هو حق اليقين لا نه لا يعاين فلم يشاهده لرجوعه لذات موجده ولو علم ذات موجده لكان نقصا في حقه فغاية كماله في معرفة نفسه بوجودها بعد أن لم تكن عينا هذا فصل عجيب ان تدبرته وقفت على عجائب فافهم ﴿تكملة﴾ اتصلت اللام بالراء اتصال اتحاد نطقا من حيث كونهما صفتين باطنتين فسهل عليهما الاتحاد ووجدت الحاء التي هي الكلمة المعبر عنها بالمقدور للراء منفصلة عن الراء التي هي القدرة ليتميز المقدور من القدرة ولئلا تتوهم الحاء المقدورة انها صفة ذات القدرة فوقع الفرق بين القديم والمحدث فافهم يرحمك الله ثم اتعلم ان رحمن هو الاسم وهو للذات والالف واللام اللذان للتعريف هما الصفات ولذلك يقال رحمان مع زوالهما كما يقال ذات ولا تسمى صفة معهما انظر في اسم مسيلمة الكذاب تسمى برحمان ولم يهتد الى الالف واللام لان الذات محل الدعوى عند كل أحد وبالصفات يفتضح المدعي فرحمان مقام الجمع وهو مقام الجهل أشرف ما يرتقي اليه في طريق الله الجهل به تعالى ومعرفته الجهل به فانها حقيقة العبودية قال تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فجردك ومما يؤيد هذا قوله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا وقوله الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته فبحقيقة الاستخلاف سلب مسيلمة وابليس والدجال وكان من حالهم ما علم فلو استحقوه ذاتا ما سلبوه البتة ولكن ان نظرت بعين التنفيذ والقبول الكلي لا بعين الامر وجدت المخالف طائعا والمعوج مستقيما والكل داخل في الرق شاؤا أم أبوا فاما ابليس ومسيلمة فصرحا بالعبودية والدجال أبى فتأمل من أين تكلم كل واحد منهم وما الحقائق التي لاحت لهم حتى أوجبت لهم هذه الاحوال ﴿تتمة﴾ لما نطقنا بقوله بسم الله الرحمن الرحيم لم يظهر للالف واللام وجود فصار الاتصال من الذات للذات والله والرحمن اسمان للذات فرجع على نفسه بنفسه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك منك لما انتهى الى الذات لم ير غيرا وقد قال أعوذ بك ولا بد من مستعاذ منه فكشف له عنه فقال منك ومنك هو والدليل عليه أعوذ ولا يصح أن يفصل فانه في الذات ولا يجوز التفصيل فيها فتبين من هذا ان كلمة الله هي العبد فكما ان لفظة الله للذات دليل كذلك العبد الجامع الكلي فالعبد هو كلمة الجلالة قال بعض المحققين في حال ما أنا الله وقالها أيضا بعض الصوفية من مقامين مختلفين وشتان بين مقام المعنى ومقام الحرف الذي وجده له فقابل تعالى الحرف بالحرف أعوذ برضاك من سخطك وقابل المعنى بالمعنى وأعوذ بك منك وهذا غاية المعرفة ﴿خاتمة﴾ وانما تفرق بين الله وبين الرحمن لما تعرض لك في القرآن قوله تعالى اعبدوا الله ولم يقولوا وما الله ولما قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ولهذا كان النعت أولى من البدل عند قوم وعند آخرين البدل أولى لقوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى فجعلها للذات ولم تنكر العرب كلمة الله فانهم القائلون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فعلموه ولما كان الرحمن يعطي الاشتقاق من الرحمة وهي صفة موجودة فيهم خافوا أن يكون المعبود الذي يدلهم عليه من جنسهم فأنكروا وقالوا وما الرحمن لما لم يكن من شرط كل كلام أن يفهم معناه ولهذا قال قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن لما كان اللفظان راجعين الى ذات واحدة وذلك حقيقة العبد والباري منزه عن ادراك التوهم والعلم المحيط به جل عن ذلك ﴿وصل﴾ في قوله الرحيم من البسملة الرحيم صفة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وبه كمال الوجود وبالرحيم تمت البسملة وبتمامها تم العالم خلقا وابداعا وكان عليه السلام مبتدأ وجود

العالم

العالم عقلا ونفسا متى كنت نبيا قال وآدم بين الماء والطين فبه بدئ الوجود باطنا وبه ختم المقام ظاهرا فى عالم التخطيط فقال لا رسول بعدى ولا نبى فالرحيم هو محمد صلى الله عليه وسلم وبسم هو أبونا آدم وأعنى فى مقام ابتداء الامر ونهايته وذلك ان آدم عليه السلام هو حامل الاسماء قال تعالى وعلم آدم الاسماء كلها ومحمد صلى الله عليه وسلم حامل معانى تلك الاسماء التى حملها آدم عليهما السلام وهى الكلم قال صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم ومن أثنى على نفسه أمكن وأتم ممن أثنى عليه كيحيى وعيسى عليهما السلام ومن حصل له الذات فالاسماء تحت حكمه وليس من حصل الاسماء أن يكون المسمى محصلا عنده وبهذا فضلت الصحابة علينا فانهم حصلوا الذات وحصلنا الاسم ولما راعينا الاسم مراعاتهم الذات ضوعف لنا الاجر للحسرة الغيبة التى لم تكن لهم فكان تضعيف على تضعيف فنحن الاخوان وهم الاصحاب وهو صلى الله عليه وسلم الينا بالاشواق وما أفرحه بلقاء واحد منا وكيف لا يفرح وقد ورد عليه من كان بالاشواق اليه فهل تقاس كرامته به وبره وتحفيه وللعامل منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل أصحابه لا من أعيانهم لكن من أمثالهم فذلك قوله بل منكم فجدوا واجتهدوا حتى يعرفوا أنهم خلفوا بعدهم رجالا لو أدركوه ما سبقوهم اليه ومن هنا تقع المجازاة والله المستعان ﴿تنبيه﴾ ثم لتعلم ان بسم الله الرحمن الرحيم أربعة ألفاظ لها أربعة معان فتلك ثمانية وهم حملة العرش المحيط وهم من العرش وهنا هم الحملة من وجه والعرش من وجه فانظر واستخرج من ذاتك لذاتك ﴿تنبيه﴾ ثم وجدنا ميم بسم الذى هو آدم عليه السلام معرقا ووجدنا ميم الرحيم معرقا الذى هو محمد صلى الله عليه وسلم نسلها فعلمنا ان مادة ميم آدم عليه السلام لوجود عالم التركيب اذ لم يكن مبعوثا وعلمنا ان مادة ميم محمد صلى الله عليه وسلم لوجود الخطاب عموما كما كان آدم عندنا عموما فلهذا امتدا ﴿انباه﴾ قال سيدنا الذى لا ينطق عن الهوى ان صلحت أمتى فلها يوم وان فسدت فلها نصف يوم واليوم ربانى فان أيام الرب كل يوم من ألف سنة مما تعد بخلاف أيام الله وأيام ذى المعارج فان هذه الايام أكبر فلكا من أيام الرب وسيأتى ان شاء الله ذكرها فى داخل الكتاب فى معرفة الازمان وصلاح الامة بنظرها اليه صلى الله عليه وسلم وفسادها باعراضها عنه فوجدنا بسم الله الرحمن الرحيم يتضمن ألف معنى كل معنى لا يحصل الا بعد انقضاء حول ولا بد من حصول هذه المعانى التى تضمنها بسم الله الرحمن الرحيم لانه ما ظهر الا ليعطى معناه فلا بد من كمال ألف سنة لهذه الامة وهى فى أول دورة الميزان ومدتها ستة آلاف سنة روحانية محققة ولهذا ظهر فيها من العلوم الالهية مالم يظهر فى غيرها من الامم فان الدورة التى انقضت كانت ترابية فغاية علمهم بالطبائع والالهيون فيهم غرباء قليلون جدا يكاد لا يظهر لهم عين ثم ان المتأله منهم ممتزج بالطبيعة ولا بد والمتأله منا صرف خالص لا سبيل لحكم الطبع عليه (مفتاح) ثم وجدنا فى الله وفى الرحمن ألفين ألف الذات وألف العلم ألف الذات خفية وألف العلم ظاهرة لتجلى الصفة على العالم ثم أيضا خفيت فى الله ولم تظهر لرفع الالتباس فى الخط بين الله واللاه ووجدنا فى بسم الذى هو آدم عليه السلام ألفا واحدة خفيت لظهور الباء ووجدنا فى الرحيم الذى هو محمد صلى الله عليه وسلم ألفا واحدة ظاهرة وهى ألف العلم ونفس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذات خفيت فى آدم عليه السلام الالف لانه لم يكن مرسلا الى أحد فلم يحتج الى ظهور الصفة وظهرت فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لكونه مرسلا فطلب التأييد فاعطى الالف فظهر بها ثم وجدنا الباء من بسم قد عملت فى ميم الرحيم فكان عمل آدم فى محمد صلى الله عليهما وسلم وجود التركيب وفى الله عمل سبب داع وفى الرحمن عمل بسبب مدعو ولما رأينا ان النهاية أشرف من البداية قلنا من عرف نفسه عرف ربه والاسم سلم الى المسمى ولما علمنا ان روح الرحيم عمل فى روح بسم لكونه نبيا وآدم بين الماء والطين ولولاهما ما كان سمى آدم علمنا ان بسم هو الرحيم اذ لا يعمل شئ الا من نفسه لا من غيره فانعدمت النهاية والبداية والشرك والتوحيد وظهر عز الاتحاد وسلطانه فمحمد للجمع وآدم للتفريق (ايضاح) الدليل على ان الالف فى قوله الرحيم ألف العلم قوله ولا خمسة الا هو سادسهم وفى ألف باسم ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم فالالف الالف ولا أدنى من ذلك باطن التوحيد ولا أكثر يدظاهره ثم خفيت الالف فى آدم من باسم لانه أول موجود ولم يكن له منازع يدعى مقامه فدل بذاته من أول وهلة على وجود موجده لما كان مفتتح وجودنا وذلك لما

نظر في وجوده تعرض له أمران هل أوجده موجود لا أول له أو هل أوجد هو نفسه ومحال أن يوجد هو نفسه لأنه لا يخلو أن يوجد نفسه وهو موجود أو يوجدها وهو معدوم فان كان موجودا فالذي أوجد وان كان معدوما فكيف يصح منه إيجاد وهو عدم فلم يبق الا أن يوجده غيره وهو الالف ولذلك كانت السين ساكنة وهو العدم والميم متحركة وهو أوان الايجاب فما دل عليه من أول وهلة خفيت الالف لقوة الدلالة وظهرت في الرحيم لضعف الدلالة لمحمد صلى الله عليه وسلم لوجود المنازع فأيده بالالف فصار الرحيم محمدا والالف منه الحق المؤيد له من اسمه الظاهر قال تعالى فأصبحوا ظاهرين فقال قولوا لا اله الا الله واني رسوله فمن آمن بلفظه لم يخرج من رق الشرك وهو من أهل الجنة ومن آمن بمعناه انتظم في سلك التوحيد فصحت له الجنة الثامنة وكان ممن آمن بنفسه فلم يكن في ميزان غيره اذ قد وقعت السوية وانحسدت الاصطفائية جمعا واختلفت رسالة ووجدنا بسم ذا نقطة والرحمن كذلك والرحيم ذا نقطتين والله مصمت فلم توجد في الله لما كان الذات ووجدت فيما بقي لكونهم محل الصفات فانحسدت في بسم آدم لكونه فردا غير مرسل وانحسدت في الرحمن لانه آدم وهو المستوي على عرش الكائنات المركبات وبقي الكلام على نقطتي الرحيم مع ظهور الالف فالياء الليالي العشر والنقطتان الشفع والالف الوتر والاسم بكليته والفجر ومعناه الباطن الجبروتي والليل اذا يسري وهو الغيب الملكوتي وترتيب النقطتين الواحدة مما تلي الميم والثانية مما تلي الالف والميم وجود العالم الذي بعث اليهم والنقطة التي تليه أبو بكر رضي الله عنه والنقطة التي تلي الالف محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقيبت الياء عليهما كالغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانه واقف مع صدقه ومحمد عليه السلام واقف مع الحق في الحال الذي هو عليه في ذلك الوقت فهو الحكيم كفعله يوم بدر في الدعاء والالحاح وأبو بكر عن ذلك صاح فان الحكيم يوفي المواطن حقها ولما لم يصح اجتماع صادقين معا فلذلك لم يقم أبو بكر في حال النبي صلى الله عليه وسلم وثبت مع صدقه به فلو فقد النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الموطن وحضره أبو بكر لقام في ذلك المقام الذي أقيم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ليس ثم أعلى منه يحجبه عن ذلك فهو صادق ذلك الوقت وحكيمه وماسواه تحت حكمه فلما نظرت نقطة أبي بكر الى الطالبين أسف عليه فاظهر الشدة وغلب الصدق وقال لا تحزن لاثر ذلك الاسف ان الله معنا كما أخبرتنا وان جعل منازع أن محمدا هو القائل لم نبال لما كان مقامه صلى الله عليه وسلم الجمع والتفرقة معا وعلم من أبي بكر الاسف ونظر الى الالف فتأيد وعلم ان أمره مستمر الى يوم القيامة قال لا تحزن ان الله معنا وهذا أشرف مقام ينتهي اليه تقدم الله عليك مارأيت شيأ الا رأيت الله قبله شهود بكري ورائه محمدية وخاطب الناس بمن عرف نفسه عرف ربه وهو قوله تعالى يخبر عن ربه تعالى كلا ان معي ربي سيهدين والمقالة عندنا انما كانت لابي بكر رضي الله عنه ويؤيدنا قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا فالنبي صلى الله عليه وسلم ليس بصاحب وبعضهم أصحاب بعض وهم له أنصار وأعوان فافهم اشارتنا تهتد الى سواء السبيل ﴿لطيفة﴾ النقطتان الرحيمية موضع القدمين وهو أحد خلع النعلين الامر والنهي والالف الليلة المباركة وهي غيب محمد صلى الله عليه وسلم ثم فرق فيه الى الامر والنهي وهو قوله فيها يفرق كل أمر حكيم وهو الكرسي والحاء العرش والميم ما حواه والالف حد المستوي والراء صريف القلم والنون الدواة التي في اللام فكتب ما كان وما يكون في قرطاس لوح الرحيم وهو اللوح المحفوظ المعبر عنه بكل شئ في الكتاب العزيز من باب الاشارة والتنبيه قال تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شئ وهو اللوح المحفوظ موعظة وتفصيلا لكل شئ وهو اللوح المحفوظ الجامع ذلك عبارة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله أوتيت جوامع الكلم موعظة وتفصيلا وهما نقطتا الامر والنهي لكل شئ غيب محمد الالف المشار اليه بالليلة المباركة فالالف العلم وهو المستوي واللام للارادة وهو النون أعني الدواة والراء للقدرة وهو القلم والحاء العرش والياء الكرسي ورأس الميم للسماء وتعريقه للارض فهذه سبعة أنجم نجم منها يسبح في فلك الجسم ونجم في فلك النفس الناطقة ونجم في فلك سر النفس وهو الصديقية ونجم في فلك القلب ونجم في فلك العقل ونجم في فلك الروح خذ ما قلناه وفيما قررناه مفتاح لما أضمرنا فاطلب تجد ان شاء الله فبسم الله الرحمن الرحيم وان تعدد فهو واحد اذا حقق من وجه ما ﴿وصل في أسرار أم

القرآن من طريق خاص﴾ وهي فاتحة الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم والكافية والبسملة آية منها وهي
تتضمن الرب والعبد ولنا في تقسيمها قريض منه

للنيرين طلوع بالفؤاد فما * في سورة الحمد يبدو ثالث لهما
فالبدر محو وشمس الذات مشرقة * لولا الشروق لقد ألفيته عدما
هذي النجوم بأفق الشرق طالعة * والبدر للمغرب العقلي قد لزما
فان تبدى فلا نجم ولا قمر * يلوح في الفلك العلوي مرتسما

فهي فاتحة الكتاب لان الكتاب عبارة من باب الاشارة عن المبدع الاول فالكتاب يتضمن الفاتحة وغيرها الا انها منه وانما صح لها اسم الفاتحة من حيث انها أول ما افتتح بها كتاب الوجود وهي عبارة عن المثل المنزه في ليس كمثله شئ بان تكون الكاف عين الصفة فلما أوجد المثل الذي هو الفاتحة أوجد بعده الكتاب وجعله مفتاحا له فتأمل وهي أم القرآن لان الام محل الايجاد والموجود فيها هو القرآن والموجد الفاعل في الام فالام هي الجامعة الكلية وهي أم الكتاب الذي عنده في قوله تعالى وعنده أم الكتاب فانظر عيسى ومريم عليهما السلام وفاعل الايجاد يخرج لك عكس ما بدا لحسك فالام عيسى والابن الذي هو الكتاب العندي أو القرآن مريم عليها السلام فافهم وكذلك الروح ازدوج مع النفس بواسطة العقل فصارت النفس محل الايجاد حسا والروح ما أتاها الا من النفس فالنفس الاب فهذه النفس هو الكتاب المرقوم لنفوذ الخط فظهر في الابن ما خط القلم في الام وهو القرآن الخارج على عالم الشهادة والام أيضا عبارة عن وجود المثل محل الاسرار فهو الرق المنشور الذي أودع فيه الكتاب المسطور المودعة فيه تلك الاسرار الالهية فالكتاب هنا أعلى من الفاتحة اذ الفاتحة دليل الكتاب ومدلولها وشرف الدليل بحسب ما يدل عليه أرأيت لو كان مفتاحا لضد الكتاب المعلوم ان لو فرض له ضد حقر الدليل لحقارة المدلول ولهذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يسافر بالمصحف الى أرض العدو لدلالة تلك الحروف على كلام الله تعالى اذ قدمها الحق كلام الله والحروف الذي فيه أمثالها وأمثال الكلمات اذا لم يقصد بها الدلالة على كلام الله يسافر بها الى أرض العدو ويدخل بها مواضع النجاسات وأشباهها والكشف وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الصفات ظهرت في الوجود في واحد وواحد لحضرة تفرد وحضرة تجمع فمن البسملة الى الدين افراد وكذلك من اهدنا الى الضالين وقوله اياك نعبد واياك نستعين تشمل قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فلك السؤال ومنه العطاء كان له السؤال بالامر والنهي ولك الامتثال يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله أثنى علي عبدي يقول العبد ملك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي ومرة قال فوّض الي عبدي هذا افراد الاهي وفي رواية يقول العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي ثم قال يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فما هي العطاء واياك في الموضعين ملحق بالافراد الالهي يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهؤلاء لعبدي هذا هو الافراد العبدي المألوه ولعبدي ما سأل سأل مألوها لما فلم تبق الا حضرتان فصح المثاني فظهرت في الحق وجودا وفي العبد الكلي ايجادا فوصف نفسه بها ولا موجود سواه في العماء ثم وصف بها عبده حين استخلفه ولذلك خرّوا له ساجدين لتمكن الصورة ووقع الفرق من موضع القدمين الى يوم القيامة والقرآن العظيم الجمع والوجود وهو افراده عنك وجعلك به وليس سوى قوله اياك نعبد واياك نستعين وحسب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل (واقعة) أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان رضي الله عنه الي آمرا بالكلام في المنام بعد ما وقعت شفاعتي على جماعتي ونجا الكل من أسر الهلاك وقرب المنبر الاسنى وصعدت عليه عن الاذن العالي المحمدي الاسمى بالاقتصار على لفظة الحمد لله خاصة ونزل التأييد ورسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمين المنبر قاعد فقال العبد بعد ما أنشد وحمد وأثنى وبسمل حقيقة الحمد هي العبد المقدس المنزه اشارة الى الذات الازلية وهو مقام انفصال

وجود العبد من وجود الاله ثم غيبه عن وجوده بوجوده الازلى وأوصله به فقال لله فاللام الداخلة على قوله الله الخافضة له هى حقيقة المألوه فى باب التواضع والذلة وهى من حروف المعانى لا من حروف الهجاء ثم قدمها سبحانه على اسم نفسه تشريفا لها وتهمما وتنزيها المعرفتها بنفسها وتصديقا لتقديم النبى صلى الله عليه وسلم اياها فى قوله من عرف نفسه عرف ربه فقدم معرفة النفس على معرفة الرب ثم عملت فى الاسم الله لتحقيق الاتصال وتمكينها من المقام ولما كانت فى مقام الوصلة ربما توهم ان الحمد غير اللام فخفض العبد اتباعا لحركة اللام فقرئ الحمد لله بخفض الدال فكان لفظة الحمد بدلا من اللام بدل شئ من شئ وهما العين واحدة فالحمد هو وجود اللام واللام هى الحمد فاذا كانا شيأ واحدا كان الحمد فى مقام الوصلة مع الله لانه عين اللام فكان معنى كما كانت اللام لفظا ومعنى ثم حقيقة الخفض فيها اثبات العبودية ثم احيانا يفنيها عن نفسها فناء كليا ليرفعها الى المقام الاعلى فى الاولية ثم يبقى حقيقتها فى الآخرية فيقول الحمد لله برفع اللام اتباعا لحركة الدال وهذا مما يؤيد ان الحمد اللام وهو المعبر عنه بالرداء والثوب اذ كان هو محل الصفات وافتراق الجمع فغاية معرفة العباد أن تصل اليه ان وصلت والحق وراء ذلك كله أوقل ومع ذلك كله فلما رفعها بالفناء عنها ابتداء أراد أن يعرفها مع فنائها انها ما برحت من مقامها فجعلها عاملة وجعل رفعها عارضا فى حق الحق فابقى الهاء مكسورة تدل على وجود اللام فى مقام خفض العبودة ولهذا اشتدت اللام الوسطى بلفظة لا أى ذات الحق ليست ذات العبد وانما هى حقيقة المثل لتجلى الصورة ثم الهاء تعود على اللام لما هى معمولها فلو كانت الهاء كناية عن ذات الحق لم تعمل فيها اللام بل هو العامل فى كل شئ فاذا كانت اللام هى نفس الحمد والهاء معمول اللام فالهاء هى اللام وقد كانت اللام هى الحمد فالهاء الحمد بلا مزيد وقد قلنا ان اللام المشددة انتفى الجمع المتحد موضع الفصل فخرج من مضمون هذا الكلام ان الحمد هو قوله لله وأن قوله لله هو قوله الحمد فغاية العبد أن حمد نفسه الذى رأى فى المرآة اذ لا طاقة للمحدث على حمل القديم فاحدث المثل على الصورة وصار الموحد مرآة فلما تجلت صورة المثل فى مرآة الذات قال لها حين أبصرت الذات فعطست فيزت نفسها احدى من رأيت فحمدت نفسها فقالت الحمد لله فقال لها يرحمك ربك يا آدم لهذا خلقتك فسبقت رحمته غضبه ولهذا قال عقيب قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم فقدم الرحمة ثم قال غير المغضوب عليهم فاخر غضبه فسبقت الرحمة الغضب فى أول افتتاح الوجود فسبقت الرحمة الى آدم قبل العقوبة على أكل الشجرة ثم رحم بعد ذلك فجاءت رحمتان بينهما غضب فتطلب الرحمتان أن تمتزجا لانهما مثلان فانضمت هذه الى هذه فانعدم الغضب بينهما كما قال بعضهم فى يسرين بينهما عسر

اذا ضاق عليك الامـ ـر ففكر فى ألم نشرح
فعسر بين يسرين * اذا ذكرته فافرح

فالرحمة عبارة عن الموجود الاول المعبر عنه بالمطلوب والمغضوب عليهم النفس الامارة والضالون عالم التركيب ما دامت هى مغضوبة عليها اذ البارى منزه عن أن يتنزه اذ لا غير ولا موجود الا هو ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمن مرآة أخيه لوجود الصورة على كمالها اذ هى محل المعرفة وهى الموصلة ولو أوجده على غير تلك الصورة لكان جمادا فالحمد لله الذى من على العارفين به الواقفين معه بعوائد العناية أزلا وأبدا ﴿تنبيه﴾ اللام تفنى الرسم كما ان الباء تبقيه ولهذا قال أبو العباس بن العريف العلماء لى والعارفون بى فاثبت المقام الاعلى للام فانه قال فى كلامه والعارفون بالهمم ثم قال فى حق اللام والحق وراء ذلك كله ثم زاد تنبيها على ذلك ولم يقنع بهذا وحده فقال والهمم للوصول والهمة للعارفين البائنين وقال فى العلماء اللاميين وانما يتبين الحق عند اضمحلال الرسم وهذا هو مقام اللام فناء الرسم فالحمد لله أعلى من الحمد بالله فان الحمد بالله يبقيك والحمد لله يفنيك فاذا قال العالم الحمد لله أى لا حامد لله الا هو فاحرى أن لا يكون ثم محمود سواه وتقول العامة الحمد لله أى لا محمود الا الله وهى الحامدة فاشتركا فى صورة اللفظ فالعلماء أفنت الحامدين المخلوقين والعامة أفنت المحمودين من الخلق خاصة وأما العارفون فلا يمكن لهم أن يقولوا الحمد لله الا مثل العامة وانما قايهم الحمد بالله لبقاء نفوسهم عندهم فتحقق هذا الفصل فانه من لباب المعرفة ﴿وصل فى قوله

رب العالمين الرحمن الرحيم﴾ أثبت بقوله عندنا وفي قلوبنا رب العالمين حضرة الربوبية وهذا مقام العارف ورسوخ قدم النفس وهو موضع الصفة فان قولنا الله ذاتية المشهد عالية المحتد ثم أتبعه بقوله رب العالمين أى مربيهم ومغذيهم والعالمين عبارة عن كل ما سوى الله والتربية تنقسم قسمين تربية بواسطة وبغير واسطة فأما الكلمة فلا يتصور واسطة فى حقه ألبتة وأما من دونه فلا بد من الواسطة ثم تنقسم التربية قسمين التى بالواسطة خاصة قسم محمود وقسم مذموم ومن القديم تعالى الى النفس والنفس داخلة فى الحد مائم الا محمود خاصة وأما المذموم والمحمود فمن النفس الى عالم الحس فكانت النفس محلا قابلا لوجود التغيير والتطهير فنقول ان الله تعالى لما أوجد الكلمة المعبر عنها بالروح الكلى ايجاد ابداع أوجدها فى مقام الجهل ومحل السلب أى أعماها عن رؤية نفسه فبقى لا يعرف من أين صدر ولا كيف صدر وكان الغذاء فيه الذى هو سبب حياته وبقائه وهو لا يعلم فحرّك الله همته لطلب ما عنده وهو لا يدرى انه عنده فأخذ فى الرحلة بهمته فأشهده الحق تعالى ذاته فسكن وعرف ان الذى طلب لم يزل موصوفا قال ابراهيم بن مسعود الالبيرى

قد يرحل المرء لمطلوبه * والسبب المطلوب فى الراحل

وعلم ما أودع الله فيه من الاسرار والحكم وتحقق عنده حدوثه وعرف ذاته معرفة احاطية فكانت تلك المعرفة له غذاء معنيا يتقوّت به وتدوم حياته الى غير نهاية فقال له عند ذلك التجلى الاقدس ما اسمى عندك فقال أنت ربى فلم يعرفه الا فى حضرة الربوبية وتفرد القديم بالالوهية فانه لا يعرفه الا هو فقال له سبحانه أنت مربوبى وأنا ربك أعطيتك أسمائى وصفاتى فمن رآك رآنى ومن أطاعك أطاعنى ومن علمك علمنى ومن جهلك جهلنى فغاية من دونك أن يتوصلوا الى معرفة نفوسهم منك وغاية معرفتهم بك العلم بوجودك لا بكيفيتك كذلك أنت منى لا تتعدى معرفة نفسك ولا ترى غيرك ولا يحصل لك العلم بى الا من حيث الوجود ولو أحطت علما بى لكنت أنت أنا ولكنت محاطا لك وكانت أنيتى أنيتك وليست أنيتك أنيتى فأمدك بالاسرار الالهية وأربيك بها فتجدها مجعولة فيك فتعرفها وقد حجبتك عن معرفة كيفية امدادى لك بها اذ لا طاقة لك بحمل مشاهدتها اذ لو عرفتها لاتحدت الانية واتحاد الانية محال فشاهدتك لذلك محال هل ترجع أنية المركب أنية البسيط لا سبيل الى قلب الحقائق فاعلم ان من دونك فى حكم التبعية لك كما أنت فى حكم التبعية لى فأنت ثوبى وأنت ردائى وأنت غطائى فقال له الروح ربى سمعتك تذكر ان لى ملكا فأين هو فاستخرج له النفس منه وهى المفعول عن الانبعاث فقال هذا بعضى وأنا كله كما أنا منك ولست منى قال صدقت يا روحى قال بك نطقت يا ربى انك ربيتنى وحجبت عنى سرّ الامداد والتربية وانفردت أنت به فاجعل امدادى محجوبا عن هذا الملك حتى يجهلنى كما جهلتك فخلق فى النفس صفة القبول والافتقار ووزر العقل الى الروح المقدس ثم أطلع الروح على النفس فقال لها من أنا قالت ربى بك حياتى وبك بقائى فتاه الروح بملكه وقام فيه مقام ربه فيه وتخيل ان ذلك هو نفس الامداد فأراد الحق أن يعرفه ان الامر على خلاف ما تخيل وانه لو أعطاه سر الامداد كما سأل لما انفردت الالوهية عنه بشئ ولاتحدت الانية فلما أراد ذلك خلق الهوى فى مقابلته وخلق الشهوة فى مقابلة العقل ووزرها الهوى وجعل فى النفس صورة القبول لجميع الواردات عموما فصارت النفس بين ربين قويين لهما وزيران عظيمان ومازال هذا يناديها وهذا يناديها والكل من عند الله قال تعالى قل كل من عند الله وكلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ولهذا كانت النفس محل التغيير والتطهير قال تعالى فألهمها فجورها وتقواها فى أثر قوله ونفس وما سوّاها فان أجابت منادى الهوى كان التغيير وان اجابت منادى الروح كان التطهير شرعا وتوحيدا فلما رأى الروح ينادى ولا يسمع مجيبا فقال ما منع ملكى من أجابتى قال له الوزير فى مقابلتك ملك مطاع عظيم السلطان يسمى الهوى عطيته معجلة له الدنيا بحذافيرها فبسط لها حضرته ودعاها فأجابته فرجع الروح بالشكوى الى الله تعالى فثبتت عبوديته وذلك كان المراد وتنزلت الارباب والمربوبون كل واحد على حسب مقامه وقدره فعالم الشهادة المنفصل ربهم عالم الخطاب وعالم الشهادة المتصل ربهم عالم الجبروت وعالم الجبروت ربهم عالم الملكوت وعالم الملكوت ربهم الكلمة والكلمة ربها

ورب الكل الواحد الصمد وقد أشبعنا القول فى هذا الفصل فى كتابنا المسمى بالتدبيرات الالهية فى اصلاح المملكة الانسانية فاضربنا عن تتميم هذا الفصل هنا مخافة التطويل وكذلك ذكرناه أيضا فى تفسير القرآن فسبحان من تفرد بتربية عباده وحجب من حجب منهم بالوسائط وخرج من هذا الفصل لمن عرف روحه ومعناه ان الرب هو الله سبحانه وان العالمين هو المثل الكلى ولذلك أوجده فى العالمين على ثمانية أحرف عرشا واستوى عليه باللطف والتربية والحنان والرحمة الرحمانية المؤكدة بالرحيمية لتميز الدار الحيوان لقوله تعالى الرحمن الرحيم فعم بالرحمان وخص بالرحيم فالرحمان فى عالمه بالوسائط وغيرها والرحيم فى كلماته بلاواسطة لوجود الاختصاص وشرف العناية فافهم والاسلم تسلم

﴿وصل فى قوله تعالى مالك يوم الدين﴾ يريد يوم الجزاء وحضرة الملك من مقام التفرقة وهى جمع فانه لاتقع التفرقة الا فى الجمع قال فيها يفرق كل أمر حكيم فهى مقام الجمع وقد قبلت سلطان التفرقة فهى مقام التفرقة فافترق الجمع الى أمر ونهى خطابا وسخط ورضى ارادة وطاعة وعصيان فعلا ومأمور وعد ووعيد فعل اله والملك فى هذا اليوم من حقت له الشفاعة واختص بها ولم يقل نفسى وقال أمتى والملك فى وجودنا المطلوب للقيامة المعجلة التى تظهر فى طريق التصوف هو الروح القدسى ويوم القيامة وقت ايجاده الجزاء أو طولب به ان كانت عقوبة لابد من ذلك فان كانت الطاعة فجنات من نخيل وأعناب وان كانت المعصية الكفرانية فجهنم من أغلال وعذاب ومن مقام الدعوى فى الصورتين فنفرض الكلام فى هذه الآية على حد الملك وماينبغى له وهل ترتقى النفس من يوم الدين الى الفناء عنه فاقول ان الملك من صح له الملك بطريق الملك وسجد له الملك وهو الروح فلما نازعه الهوى واستعان بالنفس عليه عزم الروح على قتل الهوى واستعد فلما برز الروح بجنود التوحيد والملأ الاعلى وبرز الهوى كذلك بجنود الامانى والغرور والملأ الاسفل قال الروح للهوى منى اليك فان ظفرت بك فالقوم لى وان ظفرت أنت وهزمتنى فالملك لك ولا يهلك القوم بيننا برز الروح والهوى فقتله الروح بسيف العدم وظفر بالنفس بعد ابايةٍ منها وجهد كبير فاسلمت تحت سيفه فسلمت وأسلمت وتطهرت وتقدست وآمنت الحواس لايمانها ودخلوا فى رق الانقياد واذعنوا وسلبت عنهم أردية الدعاوى الفاسدة واتحدت كلمتهم وصار الروح والنفس كالشئ الواحد وصح له اسم الملك حقيقة فقال له ملك يوم الدين فرده الى مقامه ونقله من افتراق الشرع الى جمع التوحيد والملك على الحقيقة هو الحق تعالى المالك للكل ومصرفه وهو الشفيع لنفسه عامة وخاصة خاصة فى الدنيا وعامة فى الآخرة من وجه ما ولذلك قدم على قوله ملك يوم الدين الرحمن الرحيم لتأنس أفئدة المحجوبين عن رؤية رب العالمين ألا تراه يقول يوم الدين شفعت الملائكة والنبيون وشفع المؤمنون وبقى أرحم الراحمين ولم يقل وبقى الجبار ولا القهار ليقع التأنيس قبل ايجاد الفعل فى قلوبهم فمن عرف المعنى فى هذا الوجود صح له الاختصاص فى مقام أرحم ومن جهلها فى هذا الوجود دخل فى العامة فى الحشر الاكبر فتجلى فى مقام الراحمين فعاد الفرق جمعا والفتق رتقا والشفع وترا بشفاعة أرحم الراحمين من جهنم ظاهر السور الى جنة باطنه فاذا وقع الجدار وانهدم السور وامتزجت الانهار والتقت البحران وعدم البرزخ صار العذاب نعيما وجهنم جنة فلاعذاب ولاعقاب الانعيم وأمان بمشاهدة العيان وترنم أطيار بألحان على المقاصير والافنان والتم الحور والولدان وعدم مالك وبقى رضوان وصارت جهنم تتنعم فى حظائر الجنان واتضح سر ابليس فيهم فاذا هو ومن سجد له سيان فانهما ماتصرفا الا عن قضاء سابق وقدر لاحق لامحيص لهما عنه فلابد لهما منه وحاج آدم موسى (وصل) فى قوله جل ثناؤه وتقدس اياك نعبد واياك نستعين لما ثبت وجوده بالحمد لله وغذاؤه برب العالمين واصطفاؤه بالرحمن الرحيم وتمجيده بملك يوم الدين أراد تأكيد تكرار الشكر والثناء رغبة فى المزيد فقال اياك نعبد واياك نستعين وهذا مقام الشكر أى لك نقر بالعبودية ونؤوى وحدك لاشريك لك واليك نؤوى فى الاستعانة لا الى غيرك على من أنزلتهم منى منزلتى منك فانا أمدهم بك لابنفسى فانت المد لا أنا وأثبت له بهذه الآية نفى الشريك فالياء من اياك العبد الكلى قد انحصرت مابين ألفين ألفى توحيد حتى لايكون لها موضع دعوى برؤية غير فاحاط بها التوحيد والكاف ضمير الحق فالكاف والالفان شئ واحد فهم مدلول الذات ثم كان نعبد صفة فعل الياء بالضمير الذى فيه والعبد فعل الحق

فلم يبق فى الوجود الا الحضرة الالهية خاصة غيرانه فى قوله اياك نعبد فى حق نفسه للابداع الاوّل حيث لا يتصوّر غيره واياك نستعين فى حق غيره للخلق المشتق منه وهو محل سرّ الخلافة ففى اياك نستعين سجدت الملائكة وأبى من استكبر (وصل) فى قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين فلما قال له اياك نعبد واياك نستعين قال له وما عبادتى قال ثبوت التوحيد فى الجمع والتفرقة فلما استقرّ عند النفس انّ النجاة فى التوحيد الذى هو الصراط المستقيم وهو شهود الذات بفنائها أو بقائها ان غفلت قالت اهدنا الصراط المستقيم فتعرض لها بقولها المستقيم صراطان معوج وهو صراط الدعوى ومستقيم وهو التوحيد فلم يكن لها ميز بين الصراطين الا بحسب السالكين عليهما فرأت ربها سالكا المستقيم فعرفته به ونظرت نفسها فوجدت بينها و بين ربها الذى هو الروح مقاربة فى اللطافة ونظرت الى المعوج عند عالم التركيب فذلك قولها صراط الذين أنعمت عليهم وهذا عالمها المتصل بها المركب مغضوب عليه والمنفصل عنها ضالون عنها بنظرهم الى المتصل المغضوب عليه فوقفت على رأس الصراطين و رأت غاية المعوج الهلاك وغاية المستقيم النجاة وعلمت ان عالمها يتبعها حيث سلكت فلما أرادت السلوك على المستقيم وان تعتكف فى حضرة ربها وان ذلك لها ومن نفسها بقولها اياك نعبد عجزت وقصر بها فطلبت الاستعانة بقولها واياك نستعين فنبهها ربها على اهدنا فتيقظت فقالت اهدنا فوصفت ما رأت بقولها الصراط المستقيم الذى هو معرفة ذاتك . قال صاحب المواقف لا تأثير للعلم وقال أنت له اهلكت فيه صراط الذين أنعمت عليهم وقرئ فى الشاذ صراط من أنعم عليه اشارة الى الروح القدسىّ وتفسير الكل من أنعم الله عليه من رسول ونبى غير المغضوب عليهم ليس كذلك ولا الضالين يقول تعالى فهؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل فاجابها وأقام معوجها وأوضح صراطها ورفع بساطها يقول ربها أثر تمام دعائها آمين فحصلت الاجابة بالأمن تأمين الملائكة وصار تأمين الروح تابعا له اتباع الاجناد بل أطوع لكون الارادة متحدة وصح لها النطق فسماها النفس الناطقة وهى عرش الروح والعقل صورة الاستواء فافهم والافسلم تسلم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴿فصول تأنيس وقواعد تأسيس﴾ نظر الجمال بعين الوصال قال تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ايجاز البيان فيه يا محمد ان الذين كفروا ستروا محبتهم فىّ عنهم فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذى أرسلتك به أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك فانهم لا يعقلون غيرى وأنت تنذرهم بخلق وهم ما عقلوه ولا شاهدوه وكيف يؤمنون بك وقد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعا لغيرى وعلى سمعهم فلا يسمعون كلاما فى العالم الا منى وعلى أبصارهم غشاوة من بهائى عند مشاهدتى فلا يبصرون سواى ولهم عذاب عظيم عندى أردّهم بعد هذا المشهد السنىّ الى انذارك وأحجبهم عنى كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى قربا أنزلتك الى من يكذبك و يرد ما جئت به اليه منى فى وجهك وتسمع فىّ ما يضيق له صدرك فاين ذلك الشرح الذى شاهدته فى اسرائك فهكذا امنائى على خلقى الذين أخفيتهم رضاى عنهم فلا أسخط عليهم أبدا (بسط ما أوجزناه فى هذا الباب) انظر كيف أخفى سبحانه أولياءه فى صفة أعدائه وذلك لما أبدع الامناء من اسمه اللطيف وتجلى لهم فى اسمه الجميل فاحبوه تعالى والغيرة من صفات المحبة فى المحبوب والمحب بوجهين مختلفين فستروا محبته غيرة منهم عليه كالشبلى وأمثاله وسترهم بهذه الغيرة عن أن يعرفوا فقال تعالى ان الذين كفروا أى ستروا ما بدا لهم فى مشاهدتهم من أسرار الوصلة فقال لا بد ان أحجبكم عن ذاتى بصفاتى فتأهبوا لذلك فما استعدوا فانذرتهم على ألسنة أنبيائى الرسل فى ذلك العالم فما عرفوا الانهم فى عين الجمع وخاطبهم من عين التفرقة وهم ما عرفوا عالم التفصيل فلم يستعدوا وكان الحب قد استولى على قلوبهم سلطانه غيرة من الحق عليهم فى ذلك الوقت فاخبر نبيه صلى الله عليه وسلم وهو قرآنا بالسبب الذى أصمهم عن اجابة ما دعاهم اليه فقال ختم الله على قلوبهم فلم يسعها غيره وعلى سمعهم فلا يسمعون سوى كلامه على ألسنة العالم فيشهدونه فى العالم متكلما بلغاتهم وعلى أبصارهم غشاوة من سناه اذ هو النور و بهائه اذ له الجلال والهيبة يريد الصفة التى تجلى لهم فيها المتقدمة فابقاهم غرقى فى بحور اللذات بمشاهدة الذات فقال لهم لا بد لكم من

عذاب عظيم فافهموا اما العذاب لاتحاد الصفة عندهم فاوجد لهم عالم الكون والفساد وحينئذ علمهم جميع الاسماء وأنزلهم على العرش الرحماني وفيه عذابهم وقد كانوا مخبوئين عنده في خزائن غيوبه فلما أبصرتهم الملائكة خرّت سجودا لهم فعلموهم الاسماء فاما أبو يزيد فلم يستطع الاستواء ولا أطاق العذاب فصعق من حينه فقال تعالى ردّوا على حبيبي فانه لاصبر له عني فحجب بالشوق والمخاطبة وبقي الكفار فنزلوا من العرش الى الكرسي فبدت لهم القدمان فنزلوا عليهما في الثلث الباقي من ليلة هذه النشأة الجسمية الى سماء الدنيا النفسي فخاطبوا أهل الثقل الذين لا يقدرون على العروج هل من داع فيستجاب له هل من تائب فيتاب عليه هل من مستغفر فيغفر له حتى ينصدع الفجر فاذا انصدع ظهر الروح العقلي النوري فرجعوا من حيث جاؤا قال صلى الله عليه وسلم من كان مواصلا فليواصل حتى السحر فذلك أوان بعثر ما في القبور فكل عبد لم يحذر مكر الله فهو مخدوع فافهم

﴿فصل﴾ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا ومايخادعون الا أنفسهم ومايشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون أبدع الله المبدعات وتجلى بلسان الاحدية في الربوبية فقال ألست بربكم والمخاطب في غاية الصفاء فقال بلى فكان كمثل الصدى فانهم اجابوه به فان الوجود المحدث خيال منصوب وهذا الاشهاد كان اشهاد رحمة لانه ماقال لهم وحدي ابقاء عليهم لما علم من أنهم يشركون به بما فيهم من الحظ الطبيعي وبما فيهم من قبول الاقتدار الالهي وما يعلمه الا قليل فلما برزت صور العالم من العلم الازلي الى العين الابدي من وراء ستارة الغيرة والعزة بعد ما أسرج السرج وأنار بيت الوجود وبقي هو في ظلمة الغيوب فشوهدت الصور متحركة ناطقة بلغات مختلفات والصور تنبعث من الظلمة فاذا انقضى زمانها عادت الى الظلمة وهكذا حتى السحر فأراد الفطن أن يقف على حقيقة ماشاهده ببصره فان للحس أغاليط فقرب من الستارة فرأى نطقها اغيبا فيها فعلم انّ ثم سرّا عجيبا فوقف عليه من نفسه فعرفه وعرف الرسول وماجاء به من وظائف التكليف فاول وظيفة كلمة التوحيد فاقرّ الكل بها فما جحد أحد الصانع واختلفت عباراتهم عليه فابتلاهم بان خاطبهم بلسان الشرك شهادة الرسول فوقع الانكار باختصاص الجنس فتفرق أهل الانكار على طريقين فمنهم من نظر في الظواهر فلم ير تفضيلا في شيء ظاهر فانكر ومنهم من نظر باطنا عقلا فرأى الاشتراك في المعقولات ونسي الاختصاص فانكر فارسله بالسيف فقذف في قلوبهم الرعب من الموت وداخلهم الشك على قدر نظرهم فمنهم من أسقر على نفي كلمة الاشراك قطعا فذلك كافر ومنهم من استمر عليها مشاهدة فذلك عالم بالله ومنهم من استمر على ثبتها نظرا فذلك عارف بالله ومنهم من استمر على ثبتها اعتقادا فتلك العامة ومنهم من خاف القتل فلفظ ولم يعتقد فنادى عليه لسان الحق فقال ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ظاهرا وماهم بمؤمنين باطنا يخادعون الله بلزوم الدعوى وبجهلهم القائم بهم بان الله لايعلم وانى أردّ أعمالهم عليهم ومايشعرون اليوم بذلك في قلوبهم مرض شك مما جاءهم به رسولي فزادهم الله مرضا شكا وحجابا ولهم عذاب أليم يوم القيامة وهم فيه بما كانوا يكذبون مما حققنا لديهم ولم تسبق لهم عناية في اللوح القاضي ﴿وصل﴾ واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون لما أكل الوجود ثمانية برز في ميدان التنعم فارس الدعوى فلم يكن في جيش ومن الناس من يقول آمنا من يبرز اليه فلك الكل وصبوا اليه والى دينه باطنا فعوقبوا بطلب الاقرار والاقتنا فأقروا لفظا فحصل لهم العذاب الاليم دنيا وآخرة فاذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض ارض الاشباح قالوا من خيالهم انما نحن مصلحون فقال الله تعالى ألا انهم هم المفسدون عندنا وعندهم اذلم يستمعوا بها على مايريدون ولكن لايشعرون باتحاد الاشياء ولو شعروا ما آمنوا ولا كفروا ﴿وصل﴾ واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لايعلمون وذلك انهم لما انتظموا في سلك الاغيار أتاهم النداء أن يقفوا على منازل الشهداء فسمعوا الخطاب في الآية آمنوا كما آمن الناس فحجبوا عن أخذ العهد ببعد الحس والداعي الجنسي وأصمهم ذلك وأعمى أبصارهم وأغطش ليل جهالتهم فقالوا أنؤمن كما آمن السفهاء لما عدل

بهم عن طريق التقديس ووقفوا مع الهوى قال الله لنا ألا انهم هم السفهاء الاحلام لما ملكتهم الاهواء وحجبوا عن الالتذاذ بسماع وقع الرذاذ على الافلاذ باطور ولكن لا يعلمون ليتميز العالى عمن هو دونه والا فأية فائدة لقوله لشئ اذا أراده أن يقول له كن فيكون ذلك الشئ الايجاد الاشياء على أحسن قانون فسبحان من انفرد بالايجاد والاختراع والاتقان والابداع ﴿وصل فى دعوى المدعين﴾ واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الايمان فى هذا المقام على خمسة أقسام ايمان تقليد وايمان علم وايمان عين وايمان حق وايمان حقيقة فالتقليد للعوام والعلم لاصحاب الدليل والعين لاهل المشاهدة والحق للعارفين والحقيقة للواقفين وحقيقة الحقيقة وهو السادس للعلماء المرسلين أصلا وورائه منع كشفها فلا سبيل الى ايضاحها فكانت صفات الدعاوى اذا لقوا هؤلاء الخمسة قالوا آمنا فالقلب للعوام وسر القلب لاصحاب الدليل والروح لاهل المشاهدة وسر الروح للعارفين وسر السر للواقفين والسر الاعظم لاهل الغيرة والحجاب والمنافقون تمردوا عن الايمان وانتظموا فى الاسلام وايمانهم ما جاوز خزانة خيالهم فاتخذوا أصناما فى ذواتهم أقاموها مقام آلهتهم فاذا خلوا الى شياطينهم قالوا باستيلاء الغفلة عليهم وخلو المحل عن مراتب الايمان انا معكم انما نحن مستهزؤن فوقع عليهم العذاب من قولهم له الى شياطينهم فى حال الخلوة فلما اقامت الاضداد عندهم وعاملوا الحق والباطل عاملوا الحق بستر الباطل وعاملوا الباطل بافشاء الحق فصح لهم النفاق ولو خاطبوا ذاتهم فى ذاتهم ما صح عليهم هذا ولكانوا من أهل الحقائق فأوقع الله الجواب على الاستهزاء فقال الله يستهزئ بهم وهو استهزاؤهم عجبا كيف قالوا انا معكم وهم عدم لو عاينوا ايمان الحقيقة لعاينوا الخالق فى الخليقة ولا خلوا ولا نطقوا ولا صمتوا بل كانوا آية ومونى مقام من شاهد وهو روح جاء مع صاحب المادة فلينظر الانسان حقيقة اللقاء فانه مؤذن بافتراق متقدم ثم اجتمعوا بصفة لم يعرفوها بل ظهر لهم منها ظاهر حسن فتأدبوا معها ولم يطيقوا أكثر من ذلك فقالوا آمنا ثم نكسوا على رؤسهم فى الخلوة مع الشيطنة وهى البعد مثل اللقاء فقالوا انما نحن مستهزؤن بالصفة التى لقيناها فتدبر هذه الآية من حقيقة الحقيقة عند طلوع الفجر وزوال الشك بزوال الستارة ورفع الموانع يلح لك السر فى سبحان والسماء والشمس فتجد الذين لقوا كمثل الذين لقوا فصمت وان تكلمت هلكت وهذه حقيقة الحقيقة التى منع كشفها الاول ثم منها رائحة ذوقا فلا بأس فانظر وتدبر ترشد ان شاء الله تم الجزء العاشر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الباب السادس) فى معرفة بدء الخلق الروحانى ومن هو أول موجود فيه ومم وجد وفيم وجد وعلى أى مثال وجد ولم وجد وما غايته ومعرفة افلاك العالم الاكبر والاصغر

انظر الى هذا الوجود المحكم * ووجودنا مثل الرداء المعلم
وانظر الى خلفائه فى ملكهم * من مفصح طلق اللسان وأعجم
ما منهمو أحد يحب الهه * الا ويزجه بحب الدرهم
فيقال هذا عبد معرفة وذا * عبد الجنان وذا عبيد جهنم
الا القليل من القليل فانهم * سكرى به من غير حس توهم
فهمو عبيد الله لا يدرى بهم * أحد سواه لا عبيد المنعم
فأفادهم لما أراد رجوعهم * لقصورهم من كل علم مبهم
علم المقدم فى البسائط وحده * وأساسه ذو عنسه لم يتصرم
وحقيقة الظرف الذى ستر به عن * امثاله ومثاله لم يكتم *
والعلم بالسبب الذى وجدت له * عين العوالم فى الطراز الاقدم
ونهاية الامر الذى لا غاية * تدرى له فيه العظيم الاعظم

وعلوم افلاك الوجود كبيره * وصغيره الاعلى الذى لم يذمم
هذى علوم من تحقق كشفها * يهدى القلوب الى السبيل الاقوم
فالحمد لله الذى أنا جامع * لعلومها ولعلم مالم يعلم

ايجاز البيان بضرب من الاجمال بدء الخلق الهباء وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية ولا أين يحصرها لعدم التحيز وممّ وجد وجد من الحقيقة المعلومة التى لا تتصف بالوجود ولا بالعدم وفيم وجد فى الهباء وعلى أى مثال وجد الصورة المعلومة فى نفس الحق ولم وجد لاظهار الحقائق الالهية وماغايته التخليص من المزجة فيعرف كل عالم حظه من منشئه من غير امتزاج فغايته اظهار حقائقه ومعرفة افلاك الاكبر من العالم وهو ماعدا الانسان فى اصطلاح الجماعة والعالم الاصغر يعنى الانسان روح العالم وعلته وسببه وافلاكه مقاماته وحركاته وتفصيل طبقاته فهذا جميع ما يتضمنه هذا الباب فكان الانسان عالما صغيرا من طريق الجسم كذلك هو أيضا حقيرا من طريق الحدوث وصح له التأله لانه خليفة الله فى العالم والعالم مسخر له مألوه كما ان الانسان مألوه لله تعالى واعلم ان أكمل نشأة الانسان انما هى فى الدنيا وأما الآخرة فكل انسان من الفرقتين على النصف فى الحال لا فى العلم فان كل فرقة عالمة بنقيض حالها فليس الانسان الا المؤمن والكافر معا سعادة وشقاء نعيم وعذاب منعم ومعذب ولهذا معرفة الدنيا أتم وتجلى الآخرة أعلى فافهم وحل هذا القفل ولنار من ان تفطن وهو لفظه بشيع شنيع ومعناه بديع

روح الوجود الكبير * هذا الوجود الصغير
* لولا ماقال انى * أنا الكبير القدير
لايعجبنك حدوثى * ولا الفنا والنشور
* فاننى ان تأملتنى المحيط الكبير
فالقديم بذاتى * وللجديد ظهور
والله فرد قديم * لا يعتريه قصور
والكون خلق جديد * فى قبضتيه أسير
فجاء من هذا انى * أنا الوجود الحقير
وان كل وجود * على وجودى يدور
فلا كليلى ليل * ولا كنورى نور
فمن يقال فى عبد * أنا العبيد الفقير
أوقال انى وجود * أنا الوجود الخبير
فصحنى ملكا تجدنى * أو سوقة ماتجور
فياجهولا بقدرى * أنت العليم البصير
بلغ وجودى عنى * والقول صدق وزور
وقل لقومك انى * أنا الرحيم الغفور
وقل بأن عذابى * هو العذاب المبير
وقل بأنى ضعيف * لاأستطيع أسير
فكيف ينعم شخص * على يدى أو يبور

بسط الباب وبيانه ومن الله التأييد والعون اعلموا ان المعلومات أربعة الحق تعالى وهو الموصوف بالوجود المطلق لانه سبحانه ليس معلولا لشئ ولا علة بل هو موجود بذاته والعلم به عبارة عن العلم بوجوده ووجوده ليس غيرذاته مع انه غير معلوم الذات لكن يعلم ماينسب اليه من الصفات أعنى صفات المعانى وهى صفات الكمال وأما العلم بحقيقة الذات

فممنوع لاتعلم بدليل ولا ببرهان عقلي ولا يأخذها حد فانه سبحانه لا يشبه شيأ ولا يشبهه شيء فكيف يعرف من يشبه الاشياء من لا يشبهه شيء ولا يشبه شيأ فمعرفتك به انما هي انه ليس كمثله شيء ويحذركم الله نفسه وقد ورد المنع من الشرع في التفكر في ذات الله (ومعلوم ثان) وهو الحقيقة الكلية التي هي للحق وللعالم لا تتصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم هي في القديم اذا وصف بها قديمة وفي المحدث اذا وصف بها محدثة لا تعلم المعلومات قديمها وحديثها حتى تعلم هذه الحقيقة ولا توجد هذه الحقيقة حتى توجد الاشياء الموصوفة بها فان وجد شيء عن غير عدم متقدم كوجود الحق وصفاته قيل فيها موجود قديم لاتصاف الحق بها وان وجد شيء عن عدم كوجود ما سوى الله وهو المحدث الموجود بغيره قيل فيها محدثة وهي في كل موجود بحقيقتها فانها لا تقبل التجزي فما فيها كل ولا بعض ولا يتوصل الى معرفتها مجردة عن الصورة بدليل ولا ببرهان فمن هذه الحقيقة وجد العالم بوساطة الحق تعالى وليست بموجودة فيكون الحق قد أوجدنا من موجود قديم فيثبت لنا القدم وكذلك لتعلم أيضا ان هذه الحقيقة لا تتصف بالتقدم على العالم ولا العالم بالتأخر عنها ولكنها أصل الموجودات عموما وهي أصل الجوهر وفلك الحياة والحق المخلوق به وغير ذلك وهي الفلك المحيط المعقول فان قلت انها العالم صدقت أو انها ليست العالم صدقت أو انها الحق أو ليست الحق صدقت تقبل هذا كله وتتعدد بتعدد أشخاص العالم وتتنزه بتنزيه الحق وان أردت مثالها حتى يقرب الى فهمك فانظر في العودية في الخشبة والكرسي والمحبرة والمنبر والتابوت وكذلك التربيع وأمثاله في الاشكال في كل مربع مثلا من بيت وتابوت وورقة والتربيع والعودية بحقيقتها في كل شخص من هذه الاشخاص وكذلك الالوان بياض الثوب والجوهر والكاغد والدقيق والدهان من غير ان تتصف البياضية المعقولة في الثوب بأنها جزء منها فيه بل حقيقتها ظهرت في الثوب ظهورها في الكاغد وكذلك العلم والقدرة والارادة والسمع والبصر وجميع الاشياء كلها فقد بينت لك هذا المعلوم وقد بسطنا القول فيه كثيرا في كتابنا الموسوم بانشاء الجداول والدوائر (ومعلوم ثالث) وهو العالم كله الاملاك والافلاك وما تحويه من العوالم والهواء والارض وما فيهما من العالم وهو الملك الاكبر (ومعلوم رابع) وهو الانسان الخليفة الذي جعله الله في هذا العالم المقهور تحت تسخيره قال تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فمن علم هذه المعلومات فما بقي له معلوم أصلا يطلبه فمنها ما لا نعلم الا وجوده وهو الحق تعالى وتعلم أفعاله وصفاته بضرب من الامثلة ومنها ما لا يعلم الا بالمثال كالعلم بالحقيقة الكلية ومنها ما يعلم بهذين الوجهين وبالماهية والكيفية وهو العالم والانسان ﴿وصل﴾ كان الله ولا شيء معه ثم أدرج فيه وهو الآن على ما عليه كان لم يرجع اليه من ايجاده العالم صفة لم يكن عليها بل كان موصوفا لنفسه ومسمى قبل خلقه بالاسماء التي يدعونه بها خلقه فلما أراد وجود العالم وبدأه على حد ما علمه بعلمه بنفسه انفعل عن تلك الارادة المقدسة بضرب تجل من تجليات التنزيه الى الحقيقة الكلية انفعل عنها حقيقة تسمى الهباء هي بمنزلة طرح البناء الجص ليفتح فيها ما شاء من الاشكال والصور وهذا هو أول موجود في العالم وقد ذكره علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسهل بن عبد الله رحمه الله وغيرهما من أهل التحقيق أهل الكشف والوجود ثم انه سبحانه تجلى بنوره الى ذلك الهباء ويسمونه أصحاب الافكار الهيولى الكل والعالم كله فيه بالقوة والصلاحية فقبل منه تعالى كل شيء في ذلك الهباء على حسب قوته واستعداده كما تقبل زوايا البيت نور السراج وعلى قدر قربه من ذلك النور يشتد ضوءه وقبوله قال تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فشبه نوره بالمصباح فلم يكن أقرب اليه قبولا في ذلك الهباء الا حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم المسماة بالعقل فكان سيد العالم بأسره وأول ظاهر في الوجود فكان وجوده من ذلك النور الالهي ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية وفي الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه وأقرب الناس اليه علي بن أبي طالب واسرار الانبياء أجمعين وأما المثال الذي عليه وجد العالم كله من غير تفصيل فهو العلم القائم بنفس الحق تعالى فانه سبحانه علمنا بعلمه بنفسه وأوجدنا على حد ما علمنا ونحن على هذا الشكل المعين في علمه ولو لم يكن الامر كذلك لاخذنا هذا الشكل بالاتفاق لا عن قصد لانه لا يعلمه وما يمكن أن تخرج صورة في الوجود بحكم الاتفاق فلولا ان هذا الشكل المعين معلوم لله سبحانه ومراد له ما أوجدنا عليه ولم يأخذ هذا الشكل من غيره اذ قد ثبت انه كان ولا شيء معه فلم يبق الا أن يكون

ما برز عليه في نفسه من الصورة فعلمه بنفسه علمه بنا أزلا لا عن عدم فعلمه بنا كذلك فمثالنا الذي هو عين علمه بنا قديم بقدم الحق لانه صفته ولا تقوم بنفسه الحوادث جل الله عن ذلك وأما قولنا لم وجد وما غايته يقول الله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فصرح بالسبب الذي لاجله أوجدنا وهكذا العالم كله وخصصنا الجن بالذكر والجن هنا كل مستتر من ملك وغيره وقد قال تعالى في حق السموات والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وكذلك قال فأبين أن يحملنها وذلك لما كان عرضا ولو كان أمرا لاطاعوا وحملوها فانه لا تتصور منهم معصية جبلوا على ذلك والجن الناري والانس ما جبلا على ذلك وكذلك من الانس أصحاب الافكار من أهل النظر والادلة المقصورة على الحواس والضرورات والبديهيات يقولون لابد أن يكون المكلف عاقلا بحيث يفهم ما يخاطب به ويصدقوا وكذلك هو الامر عندنا العالم كله عاقل حي ناطق من جهة الكشف بخرق العادة التي الناس عليها أعني حصول العلم بهذا عندنا غير أنهم قالوا هذا جماد لا يعقل ووقفوا عند ما أعطاهم بصرهم والامر عندنا بخلاف ذلك فاذا جاء عن نبي أن حجرا كلمه أو كتف شاة أو جذع نخلة أو بهيمة يقولون خلق الله فيه الحياة والعلم في ذلك الوقت والامر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة في جميع العالم وان كل من يسمع المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم هذا عن كشف عندنا لا عن استنباط من نظر بما يقتضيه ظاهر خبر ولا غير ذلك ومن أراد أن يقف عليه فليسلك طريق الرجال وليلزم الخلوة والذكر فان الله سيطلعه على هذا كله عينا فيعلم أن الناس في عماية عن ادراك هذه الحقائق فأوجد العالم سبحانه ليظهر سلطان الاسماء فان قدرة بلا مقدور وجودا بلا عطاء ورازقا بلا مرزوق ومغيثا بلا مغاث ورحيما بلا مرحوم حقائق معطلة التأثير وجعل العالم في الدنيا ممتزجا مزج القبضتين في العجنة ثم فصل الاشخاص منها فدخل من هذه في هذه من كل قبضة في أختها لجهات الاحوال وفي هذا تفاضلت العلماء في استخراج الخبيث من الطيب والطيب من الخبيث وغايته التخليص من هذه المزجة وتمييز القبضتين حتى تنفرد هذه بعالمها وهذه بعالمها كما قال الله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم فمن بقي فيه شيء من المزجة حتى مات عليها لم يحشر يوم القيامة من الآمنين ولكنه منهم من يتخلص من المزجة في الحساب ومنهم من لا يتخلص منها الا في جهنم فاذا تخلص أخرج فهؤلاء هم أهل الشفاعة وأما من تميز هنا في احدى القبضتين انقلب الى الدار الآخرة بحقيقته من قبره الى نعيم أو الى عذاب وجحيم فانه قد تخلص فهذا غاية العالم وهاتان حقيقتان راجعتان الى صفة هو الحق عليها في ذاته ومن هنا قلنا يرونه أهل النار معذبا وأهل الجنة منعما وهذا سر شريف ربما تقف عليه في الدار الآخرة عند المشاهدة ان شاء الله وقد نالها المحققون في هذه الدار وأما قولنا في هذا الباب ومعرفة افلاك العالم الاكبر والاصغر الذي هو الانسان فأعني به عوالم كلياته وأجناسه وأمراؤه الذين لهم التأثير في غيرهم وجعلتها مقابلة هذا نسخة من هذا وقد ضربنا لها دوائر على صور الافلاك وترتيبها في كتاب انشاء الدوائر والجداول الذي بدأنا وضعه بتونس بمحل الامام أبي محمد عبد العزيز ولينا وصفينا رحمه الله فلنلق منه في هذا الباب ما يليق بهذا المختصر فنقول ان العوالم أربعة العالم الاعلى وهو عالم البقاء ثم عالم الاستحالة وهو عالم الفناء ثم عالم التعمير وهو عالم البقاء والفناء ثم عالم النسب وهذه العوالم في موطنين في العالم الاكبر وهو ما خرج عن الانسان وفي العالم الاصغر وهو الانسان (فأما العالم الاعلى) فالحقيقة المحمدية وفلكها الحياة نظيرها من الانسان اللطيفة والروح القدسي ومنهم العرش المحيط ونظيره من الانسان الجسم ومن ذلك الكرسي ونظيره من الانسان النفس ومن ذلك البيت المعمور ونظيره من الانسان القلب ومن ذلك الملائكة ونظيرها من الانسان الارواح التي فيه والقوى ومن ذلك زحل وفلكه نظيره من الانسان القوة العلمية والنفس ومن ذلك المشتري وفلكه نظيرهما القوة الذاكرة ومؤخر الدماغ ومن ذلك الاحمر وفلكه نظيرهما القوة العاقلة واليافوخ ومن ذلك الشمس وفلكها نظيرهما القوة المفكرة ووسط الدماغ ثم الزهرة وفلكها نظيرهما القوة الوهمية والروح الحيواني ثم الكاتب وفلكه نظيرهما القوة الخيالية ومقدم الدماغ ثم القمر وفلكه نظيرهما القوة الحسية والجوارح التي تحس فهذه طبقات العالم الاعلى ونظائره من الانسان (وأما عالم

الاستحالة) فن ذلك كرة الاثير وروحها الحرارة واليبوسة وهي كرة النار ونظيرها الصفراء وروحها القوة الهاضمة ومن ذلك الهواء وروحه الحرارة والرطوبة ونظيره الدم وروحه القوة الجاذبة ومن ذلك الماء وروحه البرودة والرطوبة نظيره البلغم وروحه القوة الدافعة ومن ذلك التراب وروحه البرودة واليبوسة نظيره السوداء وروحها القوة الماسكة وأما الارض فسبع طباق أرض سوداء وأرض غبراء وأرض حمراء وأرض صفراء وأرض بيضاء وأرض زرقاء وأرض خضراء نظير هذه السبعة من الانسان في جسمه الجلد والشحم واللحم والعروق والعصب والعضلات والعظام (وأما عالم التعمير) فنهم الروحانيون نظيرهم القوى التي في الانسان ومنهم عالم الحيوان نظيره ما يحس من الانسان ومنهم عالم النبات نظيره ما ينمو من الانسان ومن ذلك عالم الجماد نظيره ما لا يحس من الانسان (وأما عالم النسب) فنهم العرض نظيره الاسود والابيض والالوان والاكوان ثم الكيف نظيره الاحوال مثل الصحيح والسقيم ثم الكم نظيره الساق أطول من الذراع ثم الاين نظيره العنق مكان الرأس والساق مكان للفخذ ثم الزمان نظيره حركت رأسي وقت تحريك يدي ثم الاضافة نظيرها هذا أبي فأنا ابنه ثم الوضع نظيره لغتي ولحني ثم أن يفعل نظيره أكلت ثم أن ينفعل نظيره شبعت ومنهم اختلاف الصور في الامهات كالفيل والحمار والاسد والصرصر نظير هذا القوة الانسانية التي تقبل الصور المعنوية من مذموم ومحمود هذا فطن فهو فيل هذا بليد فهو حمار هذا شجاع فهو أسد هذا جبان فهو صرصر والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(الباب السابع) في معرفة بدء الجسوم الانسانية وهو آخر جنس موجود من العالم الكبير وآخر صنف من المولدات

نشأت حقيقة باطن الانسان * ملكا قويا ظاهر السلطان
ثم استوت في عرش آدم ذاته * مثل استواء العرش بالرحمان
فبدت حقيقة جسمه في عينها * وبها انتهى ملك الوجود الثاني
وبدت معارف لفظه في علمه * عند الكرام وحامل القرآن
فتصاغرت لعلومه أحلامهم * وتكبر الملعون من شيطان
باؤا بقرب الله في ملكوته * الا الشويطن باء بالخسران

اعلم أيدك الله انه لما مضى من عمر العالم الطبيعي المقيد بالزمان المحصور بالمكان احدى وسبعون ألف سنة من السنين المعروفة في الدنيا وهذه المدة أحد عشر يوما من أيام غير هذا الاسم ومن أيام ذي المعارج يوم وخمسا يوم وفي هذه الايام يقع التفاضل قال تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقال وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون فأصغر الايام هي التي نعدها حركة الفلك المحيط الذي يظهر في يومه الليل والنهار فأقصر يوم عند العرب وهو هذا لا كبر فلك وذلك لحكمه على ما في جوفه من الافلاك اذ كانت حركة ما دونه في الليل والنهار حركة قسرية له قهر بها سائر الافلاك التي يحيط بها ولكل فلك حركة طبيعية تكون له مع الحركة القسرية فكل فلك دونه ذو حركتين في وقت واحد حركة طبيعية وحركة قسرية ولكل حركة طبيعية في كل فلك يوم مخصوص يعد مقداره بالايام الحادثة عن الفلك المحيط المعبر عنها بقوله مما تعدون وكلها تقطع في الفلك المحيط فكلما قطعته على الكمال كان يوما لها ويدور الدور فأصغر الايام منها هو ثمانية وعشرون يوما مما تعدون وهو مقدار قطع حركة القمر في الفلك المحيط ونصب الله هذه الكواكب السبعة في السموات ليدرك البصر قطع فلكها في الفلك المحيط لنعلم عدد السنين والحساب قال تعالى وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا ذلك تقدير العزيز العليم فلكل كوكب منها يوم مقدر يفضل بعضها على بعض على قدر سرعة حركاتها الطبيعية أو صغر أفلاكها وكبرها فاعلم ان الله تعالى لما خلق القلم واللوح وسماهما العقل والروح وأعطى الروح صفتين صفة علمية وصفة عملية وجعل العقل لهما معلما ومفيدا افادة مشاهدة حالية كما تستفيد من صورة السكين القطع من غير نطق يكون منه في ذلك وخلق تعالى جوهرا دون النفس الذي هو الروح المذكور سماه الهباء وهذه الاسمية له نقلناها من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأما الهباء

فذكور فى اللسان العربى قال تعالى فكانت هباء منبثا كذلك لما رآها على بن أبى طالب أعنى هذه الجوهرة منبثة فى جميع الصور الطبيعية كلها وأنها لا تخلو صورة منها اذ لا تكون صورة الا فى هذه الجوهرة سماها هباء وهى مع كل صورة بحقيقتها لا تنقسم ولا تتجزى ولا تتصف بالنقص بل هى كالبياض الموجود فى كل أبيض بذاته وحقيقته ولا يقال قد نقص من البياض قدر ما حصل منه فى هذا الابيض فهذا مثل حال هذه الجوهرة وعين الله سبحانه بين هذا الروح الموصوف بالصفتين و بين الهباء أربع مراتب وجعل كل مرتبة منزلا لاربعة أملاك وجعل هؤلاء الاملاك كالولاة على ما أحدثه سبحانه دونهم من العالم من عليين الى أسفل سافلين ووهب كل ملك من هؤلاء الملائكة علم ما يريد امضاءه فى العالم فأول شئ أوجده الله فى الاعيان مما يتعلق به علم هؤلاء الملائكة وتدبيرهم الجسم الكلى وأول شكل فتح فى هذا الجسم الشكل الكرى المستدير اذ كان أفضل الاشكال ثم نزل سبحانه بالايجاد والخلق الى تمام الصنعة وجعل جميع ما خلقه تعالى مملكة لهؤلاء الملائكة وولاهم أمورها فى الدنيا والآخرة وعصمهم عن المخالفة فيما أمرهم به فأخبرنا سبحانه أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولما انتهى خلق المولدات من الجمادات والنبات والحيوان بانتهاء احدى وسبعين ألف سنة من سنى الدنيا مما نعد ورتب العالم ترتيبا حكميا ولم يجمع سبحانه لشئ مما خلقه من أول موجود الى آخر مولود وهو الحيوان بين يديه تعالى الا للانسان وهى هذه النشأة البدنية الترابية بل خلق كل ما سواها اما عن أمر الهى أو عن يد واحدة قال تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فهذا عن أمر الهى وورد فى الخبر ان الله عز وجل خلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وخلق آدم الذى هو الانسان بيديه فقال تعالى لابليس على جهة التشريف لآدم عليه السلام ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ولما خلق الله الفلك الادنى الذى هو الاول المذكور آنفا قسمه اثنى عشر قسما سماها قال تعالى والسماء ذات البروج فجعل كل قسم برجا وجعل تلك الاقسام ترجع الى أربعة فى الطبيعة ثم كرر كل واحد من الاربعة فى ثلاثة مواضع منه وجعل هذه الاقسام كالمنازل والمناهل التى ينزل فيها المسافرون ويسير فيها السائرون فى حال سيرهم وسفرهم لينزل فى هذه الاقسام عند سير الكواكب فيها وسياحتهم ما يحدث الله فى جوف هذا الفلك من الكواكب التى تقطع بسيرها فى هذه البروج ليحدث الله عند قطعها وسيرها ما شاء أن يحدث من العالم الطبيعى والعنصرى وجعلها علامات على أثر حركة فلك البروج فاعلم فقسم من هذه الاربعة طبيعته الحرارة واليبوسة والثانى البرودة واليبوسة والثالث الحرارة والرطوبة والرابع البرودة والرطوبة وجعل الخامس والتاسع من هذه الاقسام مثل الاول وجعل السادس والعاشر مثل الثانى وجعل السابع والحادى عشر مثل الثالث وجعل الثامن والثانى عشر مثل الرابع أعنى فى الطبيعة فحصر الاجسام الطبيعية بخلاف والاجسام العنصرية بلا خلاف فى هذه الاربعة التى هى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ومع كونها أربعا أمهات فان الله جعل اثنين منها أصلا فى وجود الاثنين الآخرين فانفعلت اليبوسة عن الحرارة والرطوبة عن البرودة فالرطوبة واليبوسة موجودتان عن سببين هما الحرارة والبرودة ولهذا ذكر الله فى قوله تعالى ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين لان المسبب يلزم من كونه مسببا وجود السبب أو منفعلا وجود الفاعل كيف شئت فقل ولا يلزم من وجود السبب وجود المسبب ولما خلق الله هذا الفلك الاول دار دورة غير معلومة الانتهاء الا لله تعالى لانه ليس فوقه شئ محدود من الاجرام يقطع فيه فانه أول الاجرام الشفافة فتمتد الحركات وتتميز ولا كان قد خلق الله فى جوفه شيأ فتتميز الحركات وتنتهى عند من يكون فى جوفه ولو كان لم تتميز أيضا لانه أطلس لا كوكب فيه متشابه الاجزاء فلا يعرف مقدار الحركة الواحدة منه ولا تتعين فلو كان فيه جزء مخالف لسائر أجزائه عدت به حركاته بلا شك ولكن علم الله قدرها وانتهاءها وكرورها فحدث عن تلك الحركة اليوم ولم يكن ثم ليل ولا نهار فى هذا اليوم ثم استقرت حركات هذا الفلك فخلق الله ملائكة خمسة وثلاثين ملكا أضافهم الى ما ذكرناه من الاملاك الستة عشر فكان الجميع احدا وخمسين ملكا من جملة هؤلاء الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ثم خلق تسعمائة ملك وأربعا وسبعين وأضافهم الى ما ذكرناه من الاملاك وأوحى اليهم وأمرهم بما يجرى على أيديهم فى خلقه فقالوا

وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا وقال فيهم لا يعصون الله ما أمرهم فهؤلاء من الملائكة هم الولاة خاصة وخلق الله ملائكتهم عمار السموات والارض لعبادته فما في السماء والارض موضع الا وفيه ملك ولا يزال الحق يخلق من أنفاس العالم ملائكة ماداموا متنفسين ولما انتهى من حركات هذا الفلك الاول مدته أربع وخمسون ألف سنة مما تعدون خلق الله الدار الدنيا وجعل لها أمدا معلوما تنتهى اليه وتنقضى صورتها وتستحيل من كونها دارا لنا وقبولها صورة مخصوصة وهي التى نشاهدها اليوم الى أن تبدل الارض غير الارض والسموات ولما انقضى من مدة حركة هذا الفلك ثلاث وستون ألف سنة مما تعدون خلق الله الدار الآخرة الجنة والنار اللتين أعدهما الله لعباده السعداء والأشقياء فكان بين خلق الدنيا وخلق الآخرة تسع آلاف سنة مما تعدون ولهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا وسميت الدنيا الاولى لانها خلقت قبلها قال تعالى وللآخرة خير لك من الاولى يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ولم يجعل للآخرة مدة ينتهى اليها بقاؤها فلها البقاء الدائم وجعل سقف الجنة هذا الفلك وهو العرش عندهم الذى لا تتعين حركته ولا تتميز فحركته دائمة لا تنقضى وما من خلق ذكرناه خلق الا وتعلق القصد الثانى منه وجود الانسان الذى هو الخليفة فى العالم وانما قلت القصد الثانى اذ كان القصد الاول معرفة الحق وعبادته التى لها خلق العالم كله فما من شئ الا وهو يسبح بحمده ومعنى القصد الثانى [أى] الاول التعلق الارادى لا حدوث الارادة لان الارادة لله صفة قديمة أزلية اتصفت بها ذاته كسائر صفاته ولما خلق الله هذه الافلاك والسموات وأوحى فى كل سماء أمرها ورتب فيها أنوارها وسرجها وعمرها بملائكته وحركها تعالى فتحركت طائعة لله آتية اليه طلبا للكمال فى العبودية التى تليق بها لانه تعالى دعاها ودعا الارض فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها الامر حد لهما قالتا أتينا طائعين فهما آتيتان أبدا فلا تزالان متحركتين غير أن حركة الارض خفية عندنا وحركتها حول الوسط لانها أكرهت والسماء فأتت طائعة عند أمر الله لها بالاتيان وأما الارض فأتت طائعة لما علمت نفسها مقهورة وانه لابد أن يؤتى بها بقوله أو كرها فكانت المرادة بقوله تعالى أو كرها فأتت طائعة كرها فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وقد كان خلق الارض وقدر فيها أقواتها من أجل المولدات فجعلها خزانة لاقواتهم وقد ذكرنا ترتيب نشء العالم فى كتاب عقلة المستوفز فكان من تقدير أقواتها وجود الماء والهواء والنار وما فى ذلك من البخارات والسحب والبروق والرعود والآثار العلوية وذلك تقدير العزيز العليم وخلق الجان من النار والطير والدواب البرية والبحرية والحشرات من عفونات الارض ليصفو الهواء لنا من بخارات العفونات التى لو خالطت الهواء الذى أودع الله حياة هذا الانسان والحيوان وعافيته فيه لكان سقيما مريضا معلولا فصح له الجوّ سبحانه لطفا منه بتكوين هذه العفنات فقلت الاسقام والعلل ولما استوت المملكة وتهيأت وما عرف أحد من هؤلاء المخلوقات كلها من أى جنس يكون هذا الخليفة الذى مهد الله هذه المملكة لوجوده فلما وصل الوقت المعين فى علمه لايجاد هذا الخليفة بعد أن مضى من عمر الدنيا سبع عشرة ألف سنة ومن عمر الآخرة الذى لا نهاية له فى الدوام ثمان آلاف سنة أمر الله بعض ملائكته أن يأتيه بقبضة من كل أجناس تربة الارض فأتاه بها فى خبر طويل معلوم عند الناس فأخذها سبحانه وخمرها بيديه فهو قوله لما خلقت بيدىّ وكان الحق قد أودع عند كل ملك من الملائكة الذين ذكرناهم وديعة لآدم وقال لهم انى خالق بشرا من طين وهذه الودائع التى بأيديكم له فاذا خلقته فليؤد اليه كل واحد منكم ما عنده مما أمنتكم عليه ثم اذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فلما خمر الحق تعالى بيديه طينة آدم حتى تغير ريحها وهو المسنون وذلك الجزء الهوائىّ الذى فى النشأة جعل ظهره محلا للاشقياء والسعداء من ذريته فأودع فيه ما كان فى قبضتيه فانه سبحانه أخبرنا أن فى قبضة يمينه السعداء وفى قبضة اليد الاخرى الاشقياء وكلتا يدى ربى يمين مباركة وقال هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون وهؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون وأودع الشكل طينة آدم وجمع فيه الاضداد بحكم المجاورة وأنشأه على الحركة المستقيمة وذلك فى دولة السنبلة وجعله ذا جهات ست الفوق وهو ما يلى رأسه والتحت يقابله وهو ما يلى رجليه واليمين وهو ما يلى جانبه الاقوى والشمال يقابله وهو ما يلى جانبه

الاضعف والامام وهو مايلي الوجه ويقابله الخلف وهو مايلي القفا وصوّره وعدله وسوّاه ثم نفخ فيه من روحه المضاف اليه فحدث عند هذا النفخ فيه بسريانه في أجزائه أركان الاخلاط التي هي الصفراء والسوداء والدم والبلغم فكانت الصفراء عن الركن الناري الذي أنشأه الله منه في قوله تعالى من صلصال كالفخار وكانت السوداء عن التراب وهو قوله خلقه من تراب وكان الدم من الهواء وهو قوله مسنون وكان البلغم من الماء الذي عجن به التراب فصار طينا ثم أحدث فيه القوة الجاذبة التي بها يجذب الحيوان الاغذية ثم القوة الماسكة وبها يمسك ما يتغذى به الحيوان ثم القوة الهاضمة وبها يهضم الغذاء ثم القوة الدافعة وبها يدفع الفضلات عن نفسه من عرق وبخار وريح وبراز وأمثال ذلك وأما سريان الابخرة وتقسيم الدم في العروق من الكبد وما يخلصه كل جزء من الحيوان فبالقوة الجاذبة لا الدافعة فحظ القوة الدافعة ما تخرجه كما قلنا من الفضلات لاغير ثم أحدث فيه القوة الغاذية والمنمية والحاسية والخيالية والوهمية والحافظة والذاكرة وهذا كله في الانسان بما هو حيوان لا بما هو انسان فقط غير أن هذه القوى الاربعة قوة الخيال والوهم والحفظ والذكر هي في الانسان أقوى منها في الحيوان ثم خص آدم الذي هو الانسان بالقوة المصورة والمفكرة والعاقلة فتميز عن الحيوان وجعل هذه القوى كلها في هذا الجسم آلات للنفس الناطقة لتصل بذلك الى جميع منافعها المحسوسة والمعنوية ثم أنشأه خلقا آخر وهو الانسانية فجعله دراكا بهذه القوى حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا على حد معلوم معتاد في أكثر الناس فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انه سبحانه ما سمى نفسه باسم من الاسماء الا وجعل للانسان من التخلق بذلك الاسم حظا منه يظهر به في العالم على قدر ما يليق به ولذلك تأول بعضهم قوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته على هذا المعنى وأنزله خليفة عنه في أرضه اذ كانت الارض من عالم التغيير والاستحالات بخلاف العالم الاعلى فيحدث فيهم من الاحكام بحسب ما يحدث في العالم الارضي من التغيير فيظهر لذلك حكم جميع الاسماء الالهية فلذلك كان خليفة في الارض دون السماء والجنة ثم كان من أمره ما كان من علم الاسماء وسجود الملائكة واباية ابليس يأتي ذكر ذلك كله في موضعه ان شاء الله فان هذا الباب مخصوص بابتداء الجسوم الانسانية وهي أربعة أنواع جسم آدم وجسم حواء وجسم عيسى وأجسام بني آدم وكل جسم من هذه الاربعة نشؤه يخالف نشء الآخر في السببية مع الاجتماع في الصورة الجسمانية والروحانية وانما سقنا هذا ونبهنا عليه لئلا يتوهم الضعيف العقل ان القدرة الالهية أو ان الحقائق لا تعطي أن تكون هذه النشأة الانسانية الا عن سبب واحد يعطي بذاته هذا النشء فرد الله هذه الشبهة بأن أظهر هذا النشء الانساني في آدم بطريق لم يظهر به جسم حواء وأظهر جسم حواء بطريق لم يظهر به جسم ولد آدم وأظهر جسم أولاد آدم بطريق لم يظهر به جسم عيسى عليه السلام وينطلق على كل واحد من هؤلاء اسم الانسان بالحد والحقيقة ذلك ليعلم ان الله بكل شئ عليم وانه على كل شئ قدير ثم ان الله قد جمع هذه الاربعة الانواع من الخلق في آية من القرآن في سورة الحجرات فقال يا أيها الناس انا خلقناكم يريد آدم من ذكر يريد حواء وأنثى يريد عيسى ومن المجموع من ذكر وأنثى يريد بني آدم بطريق النكاح والتوالد فهذه الآية من جوامع الكلم وفصل الخطاب الذي أوتي محمد صلى الله عليه وسلم ولما ظهر جسم آدم كما ذكرناه ولم تكن فيه شهوة نكاح وكان قد سبق في علم الحق ايجاد التوالد والتناسل والنكاح في هذه الدار انما هو لابقاء النوع فاستخرج من ضلع آدم من القصيري حواء فقصرت بذلك عن درجة الرجل كما قال تعالى وللرجال عليهن درجة فما تلحق بهم أبدا وكانت من الضلع للانحناء الذي في الضلوع لتحنو بذلك على ولدها وزوجها فحنو الرجل على المرأة حنوه على نفسه لانها جزء منه وحنو المرأة على الرجل لكونها خلقت من الضلع والضلع فيه انحناء وانعطاف وعمر الله الموضع من آدم الذي خرجت منه حواء بالشهوة اليها اذ لا يبقى في الوجود خلاء فلما عمره بالهواء حن اليها حنينه الى نفسه لانها جزء منه وحنت اليه لكونه موطنها الذي نشأت فيه فحب حواء حب الموطن وحب آدم حب نفسه ولذلك يظهر حب الرجل للمرأة اذ كانت عينه وأعطيت المرأة القوة المعبر عنها بالحياء في محبة الرجل فقويت على الاخفاء لان الموطن لا يتحد بها اتحاد آدم بها فصوّر في ذلك الضلع جميع ما صوّره وخلقه في جسم آدم فكان نشء جسم آدم في صورته كنشء الفاخوري فيما

ينشئه

ينشئه من الطين والطبخ وكان نشء جسم حواء نشء النجار فيما ينحته من الصور في الخشب فلما نحتها في الضلع وأقام صورتها وسواها وعدلها نفخ فيها من روحه فقامت حية ناطقة أنثى ليجعلها محلا للزراعة والحرث لوجود الانبات الذي هو التناسل فسكن اليها وسكنت اليه وكانت لباسا له وكان لباسا لها قال تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وسرت الشهوة منه في جميع أجزائه فطلبها فلما تغشاها وألقى الماء في الرحم ودار بتلك النطفة من الماء دم الحيض الذي كتبه الله على النساء تكون في ذلك الجسم جسم ثالث على غير ما تكون منه جسم آدم وجسم حواء فهذا هو الجسم الثالث فتولاه الله بالنشء في الرحم حالا بعد حال بالانتقال من ماء الى نطفة الى علقة الى مضغة الى عظم ثم كسا العظم لحما فلما أتم نشأته الحيوانية أنشأه خلقا آخر فنفخ فيه الروح الانساني فتبارك الله أحسن الخالقين ولولا طول الامر لبينا تكوينه في الرحم حالا بعد حال ومن يتولى ذلك من الملائكة الموكلين بانشاء الصور في الارحام الى حين الخروج ولكن كان الغرض الاعلام بأن الاجسام الانسانية وان كانت واحدة في الحد والحقيقة والصور الحسية والمعنوية فان أسباب تآليفها مختلفة لئلا يتخيل ان ذلك لذات السبب تعالى الله بل ذلك راجع الى فاعل مختار يفعل ما يشاء كيف يشاء من غير تحجير ولا قصور على أمر دون أمر لا اله الا هو العزيز الحكيم ولما قال أهل الطبيعة ان ماء المرأة لا يتكون منه شئ وان الجنين الكائن في الرحم انما هو من ماء الرجل لذلك جعلنا تكوين جسم عيسى تكوينا آخر وان كان تدبيره في الرحم تدبير أجسام البنين فان كان من ماء المرأة اذ تمثل لها الروح بشرا سويا أو كان عن نفخ بغير ماء فعلى كل وجه هو جسم رابع مغاير في النشء غيره من أجسام النوع ولذلك قال تعالى ان مثل عيسى أي صفة نشء عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب الضمير يعود على آدم ووقع التشبيه في خلقه من غير أب أي صفة نشئه صفة نشء آدم الا أن آدم خلقه من تراب ثم قال له كن ثم ان عيسى على ما قيل لم يلبث في بطن مريم لبث البنين المعتاد لانه أسرع اليه التكوين لما أراد الله أن يجعله آية ويرد به على الطبيعيين حيث حكموا على الطبيعة بما أعطتهم من العادة لا بما تقتضيه مما أودع الله فيها من الاسرار والتكوينات العجيبة ولقد أنصف بعض حذاق هذا الشان الطبيعة فقال لا نعلم منها الا ما أعطتنا خاصة وفيها ما لا نعلم فهذا قد ذكرنا ابتداء الجسوم الانسانية وانها أربعة أجسام مختلفة النشء كما قررنا وانه آخر المولدات فهو نظير العقل الاول وبه ارتبط لان الوجود دائرة فكان ابتداء الدائرة وجود العقل الاول الذي ورد في الخبر أنه أول ما خلق الله العقل فهو أول الاجناس وانتهى الخلق الى الجنس الانساني فكملت الدائرة واتصل الانسان بالعقل كما يتصل آخر الدائرة بأولها فكانت دائرة وما بين طرفي الدائرة جميع ما خلق الله من أجناس العالم بين العقل الاول الذي هو القلم أيضا وبين الانسان الذي هو الموجود الآخر ولما كانت الخطوط الخارجة من النقطة التي في وسط الدائرة الى المحيط الذي وجد عنها تخرج على السواء لكل جزء من المحيط كذلك نسبة الحق تعالى الى جميع الموجودات نسبة واحدة فلا يقع هناك تغيير البتة كانت الاشياء كلها ناظرة اليه وقابلة منه ما يهبها نظر اجزاء المحيط الى النقطة وأقام سبحانه هذه الصورة الانسانية بالحركة المستقيمة صورة العمد الذي للخيمة فجعله لقبة هذه السموات فهو سبحانه يمسكها أن تزول بسببه فعبرنا عنه بالعمد فاذا فنيت هذه الصورة ولم يبق منها على وجه الارض أحد متنفس وانشقت السماء فهي يومئذ واهية لان العمد زال وهو الانسان ولما انتقلت العمارة الى الدار الآخرة بانتقال الانسان اليها وخربت الدنيا بانتقاله عنها علمنا قطعا ان الانسان هو العين المقصودة لله من العالم وأنه الخليفة حقا وأنه محل ظهور الاسماء الالهية وهو الجامع لحقائق العالم كله من ملك وفلك وروح وجسم وطبيعة وجماد ونبات وحيوان الى ما خص به من علم الاسماء الالهية مع صغر حجمه وجرمه وانما قال الله فيه بأن خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس لكون الانسان متولدا عن السماء والارض فهما له كالابوين فرفع الله مقدارهما ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلم يرد في الجرمية فان ذلك معلوم صاغير أن الله تعالى ابتلاه ببلاء ما ابتلى به أحدا من خلقه اما لان يسعده أو يشقيه على حسب ما يوفقه الى استعماله فكان البلاء الذي ابتلاه به ان خلق فيه قوة تسمى الفكر وجعل هذه القوة خادمة لقوة أخرى تسمى العقل وجبر العقل مع سيادته على الفكر أن يأخذ منه ما يعطيه ولم يجعل للفكر مجالا الا في القوة الخيالية وجعل سبحانه القوة الخيالية محلا

جامعالما تعطيها القوة الحساسة وجعل له قوة يقال لها المصورة فلا يحصل في القوة الخيالية الاماأعطاه الحس أوأعطته القوة المصورة ومادة المصورة من المحسوسات فتركب صورالم يوجد لها عين لكن أجزاؤها كلها موجودة حسا وذلك لان العقل خلق ساذجا ليس عنده من العلوم النظرية شئ وقيل للفكر ميز بين الحق والباطل الذى فى هذه القوة الخيالية فينظر بحسب مايقع له فقد يحصل فى شبهة وقد يحصل فى دليل عن غير علم منه بذلك ولكن فى زعمه انه عالم بصور الشبه من الادلة وانه قد حصل على علم ولم ينظر الى قصور المواد التى استند اليها فى اقتناء العلوم فيقبلها العقل منه ويحكم بها فيكون جهله أكثر من علمه بما لا يتقارب ثم ان الله كلف هذا العقل معرفته سبحانه ليرجع اليه فيها لا الى غيره ففهم العقل نقيض ما أراد به الحق بقوله تعالى أولم يتفكروا لقوم يتفكرون فاستند الى الفكر وجعله اماما يقتدى به وغفل عن الحق فى مراده بالتفكر انه خاطبه أن يتفكر فيرى أن علمه بالله لاسبيل اليه الا بتعريف الله فيكشف له عن الامر على ماهو عليه فلم يفهم كل عقل هذا الفهم الا عقول خاصة الله من أنبيائه وأوليائه ياليت شعرى هل بأفكارهم قالوا بلى حين أشهدهم على أنفسهم فى قبضة الذرية من ظهر آدم لا والله بل بعناية اشهاده اياهم ذلك عند أخذه اياهم عنهم من ظهورهم ولما رجعوا الى الاخذ عن قواهم المفكرة فى معرفة الله لم يجتمعوا قط على حكم واحد فى معرفة الله وذهب كل طائفة الى مذهب وكثرت القالة فى الجناب الالهى الاحمى واجترؤا غاية الجراءة على الله وهذا كله من الابتلاء الذى ذكرناه من خلقه الفكر فى الانسان وأهل الله افتقروا اليه فيما كلفهم من الايمان به فى معرفته وعلموا ان المراد منهم رجوعهم اليه فى ذلك وفى كل حال فمنهم القائل سبحان من لم يجعل سبيلا الى معرفته الا العجز عن معرفته ومنهم من قال العجز عن درك الادراك ادراك وقال صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك وقال تعالى ولا يحيطون به علما فرجعوا الى الله فى المعرفة به وتركوا الفكر فى مرتبته ووفوه حقه لم ينقلوه الى مالا ينبغى له التفكر فيه وقد ورد النهى عن التفكر فى ذات الله والله يقول ويحذركم الله نفسه فوهبهم الله من معرفته ماوهبهم وأشهدهم من مخلوقاته ومظاهره ما أشهدهم فعلموا أنه مايستحيل عقلا من طريق الفكر لا يستحيل نسبة الهية كما سنورد من ذلك طرفا فى باب الارض المخلوقة من بقية طينة آدم وغيرها فالذى ينبغى للعاقل أن يدين الله به فى نفسه ان يعلم أن الله على كل شئ قدير من ممكن ومحال ولا كل محال نافذ الاقتدار واسع العطاء ليس لايجاده تكرار بل امثال تحدث فى جوهر أوجده وشاء بقاءه ولو شاء أفناه مع الانفاس لا اله الا هو العزيز الحكيم

(الباب الثامن) فى معرفة الارض التى خلقت من بقية خميرة طينة آدم عليه السلام وهى أرض الحقيقة وذكر بعض مافيها من الغرائب والعجائب

يا أخت بل ياعمتى المعقوله * أنت الامية عندنا المجهوله
نظر البنون اليك أخت أبيهمو * فتنافسوا عن همة معلوله
الا القليل من البنين فانهم * عطفوا عليك بأنفس مجبوله
ياعمتى قل كيف أظهر سره * فيك الاخى محققا تنزيله
حتى بدا من مثل ذاتك عالم * قدير تضى رب الورى توكيله
أنت الامامة والامام أخوك والشمأموم أمثال له مسئوله

اعلم أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام الذى هو أول جسم انسانى تكوّن وجعله أصلا لوجود الاجسام الانسانية وفضلت من خميرة طينته فضلة خلق منها النخلة فهى أخت لآدم عليه السلام وهى لنا عمة وسماها الشرع عمة وشبهها بالمؤمن ولها أسرار عجيبة دون سائر النبات وفضل من الطينة بعد خلق النخلة قدر السمسمة فى الخفاء فمد الله فى تلك الفضلة أرضا واسعة الفضاء اذا جعل العرش وماحواه والكرسى والسموات والارضون وماتحت الثرى والجنات كلها والنار فى هذه الارض كان الجميع فيها كحلقة ملقاة فى فلاة من الارض وفيها من العجائب والغرائب مالا يقدر قدره ويبهر العقول أمره وفى كل نفس خلق الله فيها عوالم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وفى هذه الارض ظهرت عظمة الله وعظمت عند المشاهد

لها قدرته وكثير من المحالات العقلية التي قام الدليل الصحيح العقلي على احالتها هي موجودة في هذه الارض وهي مسرح عيون العارفين العلماء بالله وفيها يجولون وخلق الله من جملة عوالمها عالما على صورنا اذا أبصرهم العارف يشاهد نفسه فيها وقد أشار الى مثل ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنه فيما روي عنه في حديث هذه الكعبة وانها بيت واحد من أربعة عشر بيتا وان في كل أرض من السبع الارضين خلقا مثلنا حتى ان فيهم ابن عباس مثلي وصدقت هذه الرواية عند أهل الكشف فلنرجع الى ذكر هذه الارض واتساعها وكثرة عالمها المخلوقين فيها ومنها ويقع للعارفين فيها تجليات الهية أخبر بعض العارفين بأمر اعرفه شهودا قال دخلت فيها يوما مجلسا يسمى مجلس الرحمة لم أر مجلسا قط أعجب منه فبينا أنا فيه اذ ظهر لي تجل الهي لم يأخذني عني بل أبقاني معي وهذا من خاصية هذه الارض فان التجليات الواردة على العارفين في هذه الدار في هذه الحيا كل تأخذهم عنهم وتفنيهم عن شهودهم من الانبياء والاولياء وكل من وقع له ذلك وكذلك عالم السموات العلى والكرسي الازهى وعالم العرش المحيط الاعلى اذا وقع لهم تجل الهي أخذهم عنهم وصعقوا وهذه الارض اذا حصل فيها صاحب الكشف العارف ووقع له تجل لم يفنه عن شهوده ولا اختطفه عن وجوده وجمع له بين الرؤية والكلام قال واتفق لي في هذا المجلس أمور وأسرار لا يسعني ذكرها لغموض معانيها وعدم وصول الادراكات قبل أن يشهد مثل هذه المشاهد لها وفيها من البساتين والجنات والحيوان والمعادن ما لا يعلم قدر ذلك الا الله تعالى وكل ما فيها من هذا كله حي ناطق كحياة كل حي ناطق ما هو مثل ما هي الاشياء في الدنيا وهي باقية لا تفنى ولا تتبدل ولا يموت عالمها وليست تقبل هذه الارض شيأ من الاجسام الطبيعية الطينية البشرية سوى عالمها أو عالم الارواح منا بالخاصية واذا دخلها العارفون انما يدخلونها بأرواحهم لا بأجسامهم فيتركون هياكلهم في هذه الارض الدنيا ويتجردون وفي تلك الارض صور عجيبة الشيء بديعة الخلق قائمون على أفواه السكك المشرفة على هذا العالم الذي نحن فيه من الارض والسماء والجنة والنار فاذا أراد واحد منا الدخول لتلك الارض من العارفين من أي نوع كان من انس أو جن أو ملك أو أهل الجنة بشرط المعرفة وتجرد عن هيكله وجد تلك الصور على أفواه السكك قائمين موكلين بها قد نصبهم الله سبحانه لذلك الشغل فيبادر واحد منهم الى هذا الداخل فيخلع عليه حلة على قدر مقامه ويأخذ بيده ويجول به في تلك الارض ويتبوأ منها حيث يشاء ويعتبر في مصنوعات الله ولا يمر بحجر ولا شجر ولا مدر ولا شيء ويريد أن يكلمه الا كلمه كما يكلم الرجل صاحبه ولهم لغات مختلفة وتعطي هذه الارض بالخاصية لكل من دخلها الفهم بجميع ما فيها من الالسنة فاذا قضى منها وطره وأراد الرجوع الى موضعه مشى معه رفيقه الى أن يوصله الى الموضع الذي دخل منه يوادعه ويخلع عنه تلك الحلة التي كساه وينصرف عنه وقد حصل علوما جمة ودلائل وزاد في علمه بالله ما لم يكن عنده مشاهدة وما رأيت الفهم ينفذ أسرع مما ينفذ اذا حصل في هذه الارض وقد ظهر عندنا في هذه الدار وهذه النشأة ما يعضد هذا القول فمن ذلك ما شاهدناه ولا أذكره ومنها ما حدثني أوحد الدين حامد بن أبي الفخر الكرماني وفقه الله قال كنت أخدم شيخا وأنا شاب فمرض الشيخ وكان في محارة وقد أخذه البطن فلما وصلنا تكريت قلت له يا سيدي اتركني أطلب لك دواء ممسكا من صاحب مارستان سنجار من السبيل فلما رأى احتراقي قال لي رح اليه قال فرحت الى صاحب السبيل وهو في خيمته جالس ورجاله بين يديه قائمون والشمعة بين يديه وكان لا يعرفني ولا أعرفه فرآني واقفا بين الجماعة فقام الي وأخذ بيدي وأكرمني وسألني ما حاجتك فذكرت له حال الشيخ فاستحضر الدواء وأعطاني اياه وخرج معي في خدمتي والخادم بالشمعة بين يديه فخفت أن يراه الشيخ فيحرج فحلفت عليه أن يرجع فرجع فجئت الشيخ وأعطيته الدواء وذكرت له كرامة الامير صاحب السبيل في فتبسم الشيخ وقال لي يا ولدي اني أشفقت عليك لما رأيت من احتراقك من أجلي فأذنت لك فلما مشيت خفت أن يخجلك الامير بعدم اقباله عليك فتجردت عن هيكلي هذا ودخلت في هيكل ذلك الامير وقعدت في موضعه فلما جئت أكرمتك وفعلت معك ما رأيت ثم عدت الى هيكلي هذا ولا حاجة لي في هذا الدواء وما استعمله فهذا شخص قد ظهر في صورة غيره فكيف أهل تلك الارض قال لي بعض العارفين لما دخلت هذه الارض رأيت فيها أرضا كلها مسك عطر لو شمه أحد

منا فى هذه الدنيا هلك لقوة رائحته تمتد ما شاء الله ان تمتد ودخلت فى هذه الارض أرضا من الذهب الاحمر اللين فيها أشجار كلها ذهب وثمرها ذهب فيأخذ التفاحة أوغيرها من الثمر فيأكلها فيجد من لذة طعمها وحسن رائحتها ونعمتها مالا يصفها واصف تقصر فاكهة الجنة عنها فكيف فاكهة الدنيا والجسم والشكل والصورة ذهب والصورة والشكل كصورة الثمرة وشكلها عندنا وتختلف فى الطعم وفى الثمرة من النقش البديع والزينة الحسنة مالا تتوهمه نفس فاحوى ان تشهده عين ورأيت من كبر ثمرها بحيث لوجعلت الثمرة بين السماء والارض لحجبت أهل الارض عن رؤية السماء ولو جعلت على الارض لفضلت عليها اضعافا واذا قبض عليها الذى يريد أكلها بهذه اليد المعهودة فى القدر عمها بقبضته لنعمتها ألطف من الهواء يطبق عليها يده مع هذا العظم وهذا مما تحيله العقول هنا فى نظرها ولما شاهدها ذوالنون المصرى نطق بما حكى عنه من ايراد الكبير على الصغير من غير أن يصغر الكبير أو يكبر الصغير أو يوسع الضيق أو يضيق الواسع فالعظم فى التفاحة على ما ذكرته باق والقبض عليها باليد الصغيرة والاحاطة بها موجود والكيفية مشهودة مجهولة لا يعرفها الا الله وهذا العلم مما انفرد الحق به واليوم الواحد الزمانى عندنا هو عدة سنين عندهم وأزمنة تلك الارض مختلفة قال ودخلت فيها أرضا من فضة بيضاء فى الصورة ذات شجر وأنهار وثمر فهى كل ذلك فضة وأجسام أهلها منها كلها فضة وكذلك كل أرض شجرها وثمرها وأنهارها وبحارها وخلقها من جنسها فاذا تنوولت وأكلت وجد فيها من الطعم والروائح والنعمة مثل ما ترى الأكولات غير أن اللذة لا توصف ولا تحكى ودخلت فيها أرضا من الكافور الابيض وهى فى أماكن منها أشد حرارة من النار يخوضها الانسان ولا تحرقه وأماكن منها معتدلة وأماكن باردة وكل أرض من هذه الارضين التى هى أماكن فى هذه الارض الكبيرة لو جعلت السماء فيها لكانت كحلقة فى فلاة بالنسبة اليها وما فى جميع أراضيها أحسن عندى ولا أوفق لمزاجى من أرض الزعفران وما رأيت عالما من عالم كل أرض أبسط نفوسا منهم ولا أكثر بشاشة بالوارد عليهم يتلقونه بالترحيب والتأهيل ومن عجائب مطعوماتها انه أى شئ أكلت منها اذا قطعت من الثمرة قطعة نبتت فى زمان قطعك اياها مكانها ما سد تلك الثلمة وتقطف بيدك ثمرة من ثمرها فزمان قطفك اياها يتكون مثلها بحيث لا يشعر بها الا الفطن فلا يظهر فيها نقص أصلا واذا نظرت الى نسائها ترى ان النساء الكائنين فى الجنة من الحور بالنسبة اليهن كنسائنا من البشر بالنسبة الى الحور فى الجنان وأما مجامعتهن فلا يشبه لذتها لذة وأهلها أعشق الخلق فيمن يرد عليهم وليس عندهم تكليف بل هم مجبولون على تعظيم الحق وجلاله تعالى لو راموا خلاف ذلك ما استطاعوا وأما أبنيتهم فنها ما يحدث عن همهم ومنها ما يحدث كما نبنى عندنا من اتخاذ الآلات وحسن الصنعة ثم ان بحارها لا يمتزج بعضها ببعض كما قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فتعاين منتهى بحر الذهب تصطفق أمواجه ويباشره بالمجاورة بحر الحديد فلا يدخل من واحد فى الآخر شئ وماؤهم ألطف من الهواء فى الحركة والسيلان وهو من الصفاء بحيث أن لا يخفى عنك من دوابه ولا من الارض التى يجرى البحر عليها شئ فاذا أردت أن تشرب منه وجدت له من اللذة ما لا تجده لمشروب أصلا وخلقها ينبتون فيها كسائر النباتات من غير تناسل بل يتكونون من أرضها تكون الحشرات عندنا ولا ينعقد من مائهم فى نكاحهم ولد وان نكاحهم انما هو لمجرد الشهوة والنعيم وأما مراكبهم فتعظم وتصغر بحسب ما يريده الراكب واذا سافروا من بلد الى بلد فانهم يسافرون برا أو بحرا وسرعة مشيهم فى البر والبحر أسرع من ادراك البصر للمبصر وخلقها متفاوتون فى الاحوال ففيهم من تغلب عليهم الشهوات وفيهم من يغلب عليهم تعظيم جناب الحق ورأيت فيها ألوانا لا أعرفها فى ألوان الدنيا ورأيت فيها معادن تشبه الذهب وما هى بذهب ولا نحاس وأحجارا من اللآلئ ينفذها البصر لصفائها شفافة من اليواقيت الحمر ومن أعجب ما فيها ادراك الالوان فى الاجسام السفلية التى هى كالهواء ويتعلق الادراك بألوانها كما يتعلق بالالوان التى فى الاجسام الكثيفة وعلى أبواب مدائنها عقود من الاحجار الياقوتية كل حجر منها يزيد على الخمسمائة ذراع وعلو الباب فى الهواء عظيم وعليه معلق من الاسلحة والعدد ما لو اجتمع ملك الارض كلها ما وفى بها وعندهم ظلمة ونور من غير شمس تتعاقب وتتعاقبهم ما يعرفون الزمان وظلمتهم لا تحجب البصر عن مدركه كما لا يحجبه النور ويغزو بعضهم

بعضا

بعضامن غيرشحناء ولاعداوة ولافساد بنية واذاسافروا فى البحر وغرقوا الايعدوعليهم الماء كمايعدوعلينابل يمشون فيه كمشي دوابه حتى يلحقوا بالساحل وتحمل بتلك الارض زلازل لوحلت بنالانقلبت الارض وهلك ما كان عليها وقال لقد كنت يوما مع جماعة منهم فى حديث وجاءت زلزلة شديدة بحيث انى رأيت الابنية تتحرك كانها تمر كالايقدر البصر يتمكن من رؤيتها السرعة الحركة مع ورا وكزوا وماعندنا خبر وكأناعلى الارض قطعة منها الى أن فرغت الزلزلة فلما فرغت وسكنت الارض أخذت الجماعة بيدى وعزتنى فى ابنة لى اسمها فاطمة فقلت للجماعة انى تركتها فى عافية عند والدتها قالوا صدقت ولكن هذه الارض ماتزلزل بنا وعندنا أحد الامات ذلك الشخص أومات له أحد وان هذه الزلزلة لموت ابنتك فانظر فى أمرها فقعدت معهم ماشاء الله وصاحبي ينتظرني فلما أردت فراقهم مشوا معى الى فم السكة وأخذوا خلعتهم وجئت الى بيتى فلقيت صاحبي فقال لى ان فاطمة تنازع فدخلت عليها فقضت وكنت بمكة مجاورا فجهزناها ودفناها بالمعلى فهذا من أعجب ما أخبرت عن تلك الارض ورأيت بها كعبة يطوف بها أهلها غير مكسوة وتكون أكبر من البيت الذى بمكة ذات أركان أربعة تكلمهم اذا طافوا بها وتحييهم وتفيدهم علوما لم تكن عندهم ورأيت فى هذه الارض بحرا من تراب يجرى مثل مايجرى الماء ورأيت حجارة صغارا وكبارا يجرى بعضها الى بعض كما يجرى الحديد الى المغناطيس فتتألف هذه الحجارة ولاتنفصل بعضها من بعض بطبعها الا ان فصلها فاصل مثل ما يفصل الحديد عن المغناطيس ليس فى قوته أن يمتنع فاذا ترك وطبعه جرت بعضها الى بعض على مقدار من المساحة مخصوص فتضم هذه الحجارة بعضها الى بعض فينشأ منها صورة سفينة ورأيت منها مركبا صغيرا وشينيين فاذا التأمت السفينة من تلك الحجارة رموا بها فى بحر التراب وركبوا فيها وسافروا حيث يشتهون من البلاد غيران قاع السفينة من رمل أوتراب يلصق بعضه ببعض لصوق الخاصية فما رأيت فيما رأيت أعجب من جريان هذه السفن فى ذلك البحر وصورة الانشاء فى المراكب سواء غير أن لهم فى جناحى السفينة مما يلى مؤخرها اسطوانتين عظيمتين تعلو المركب أكثر من القامة وأرض المركب من جهة مؤخره ما بين الاسطوانتين مفتوح متساو مع البحر ولايدخل فيه من رمل ذلك البحر شئ أصلا بالخاصية وهذا شكله



وفى هذه الارض مدائن تسمى مدائن النور لايدخلها من العارفين الا كل مصطفى مختار وهى ثلاث عشرة مدينة وهى على سطح واحد وبنيانها عجيب وذلك انهم عمدوا الى موضع فى هذه الارض فبنوا فيه مدينة صغيرة لها أسوار عظيمة يسير الراكب فيها اذا أراد أن يدور بها مسيرة ثلاثة أعوام فلما أقاموها جعلوا اسوانه لمنافعهم ومصالحهم وعددهم وأقاموا على بعد من جوانبها ابراجا تعلو على ابراج المدينة بما دار بها ومدوا البناء بالحجارة حتى صار للمدينة كالسقف للبيت وجعلوا ذلك السقف أرضا بنوا عليه مدينة أعظم من التى بنوا أولا وعمروها واتخذوها مسكنا فضاقت عنهم فبنوا عليها مدينة أخرى أكبر منها ومازال يكثر عمارها وهم يصعدون بالبنيان طبقة فوق طبقة حتى بلغت ثلاث عشرة مدينة ثم انى غبت عنهم مدة ثم دخلت اليهم مرة أخرى فوجدتهم قد زادوا مدينتين واحدة فوق أخرى ولهم ملوك فيهم لطف وحنان صحبت منهم جماعة منهم التالى وهو التابع بمنزلة القيل فى حمير ولم أرملكا أكثر منه ذكرا لله فشغله ذكر الله عن تدبير ملكه انتفعت به وكان كثير المجالسة لى ومنهم ذو العرف وهو ملك عظيم لم أرفى ملوك الارض أكثر من تأنى

اليه الرسل من الملوك منه وهو كثير الحركة هين لين يصل اليه كل أحد يتلطف في النزول لكنه اذا غضب لم يقم لغضبه شئ أعطاه الله من القوة ماشاء ورأيت لبحرها ملكا منيع الحمى يدعى السابح هو قليل المجالسة مع من يقصد اليه وماله ذلك الالتفات الى أحد غير أنه مع مايخطر له لامع مايراد منه ويجاوره سلطان عظيم اسمه السابق اذا دخل عليه الوافد قام اليه من مجلسه وبش في وجهه وأظهر السرور بقدومه وقام له بجميع مايحتاج اليه من قبل أن يسأله عن شئ فقلت له في ذلك فقال لي أكره أن أرى في وجه السائل ذلة السؤال للمخلوق غيرة أن يذل أحد لغير الله وما كل أحد يقف مع الله على قدم التوحيد وان أكثر الوجوه مصروفة الى الاسباب الموضوعة مع الحجاب عن الله فهذا يحملني أن أبادر الى ماترى من كرامة الوافد قال ودخلت على ملك آخر يدعى القائم بأمر الله لا يلتفت الى الوافد عليه لاستيلاء عظمة الحق على قلبه فلا يشعر بالوافد ومايفد عليه من يفد من العارفين الا لينظروا الى حاله التي هو عليها تراه واقفا قد عقد يديه الى صدره عقد العبد الذليل الجاني مطرقا الى موضع قدميه لا تتحرك منه شعرة ولا يضطرب منه مفصل كما قيل في قوم هذه حالتهم مع سلطانهم

كأنما الطير منهم فوق أروسهم * لا خوف ظلم ولكن خوف اجلال

يتعلم العارفون منه حال المراقبة قال ورأيت ملكا يدعى بالرادع مهيب المنظر لطيف المخبر شديد الغيرة دائم الفكرة فيما كلف النظر فيه اذا رأى أحدا يخرج عن طريق الحق رده الى الحق قال صحبته وانتفعت به وجالست من ملوكهم كثيرا ورأيت منهم من العجائب مما يرجع الى ماعندهم من تعظيم الله مالو سطرناه لاعيا الكاتب والسامع فاقتصرنا على هذا القدر من عجائب هذه الارض ومدائنها لاتحصى كثرة ومدائنها أكثر من ضياعها وجميع من يملكها من الملوك ثمانية عشر سلطانا منهم من ذكرنا ومنهم من سكتنا عنه ولكل سلطان سيرة وأحكام ليست لغيره قال وحضرت يوما في ديوانهم لارى ترتيبهم فمارأيت ان الملك منهم هو الذي يقوم برزق رعيته بلغوا مابلغوا فرأيتهم اذا استوى الطعام وقف خلق لايحصى عددهم كثرة يسمونهم الجباة وهم رسل أهل كل بيت فيعطيه الامين من المطبخ على قدر عائلته و يأخذه الجابي وينصرف وأما الذي يقسمه عليهم شخص واحد لاغيره من الايدي على قدر الجباة فيغرف في الزمن الواحد لكل شخص طعامه في وعائه وينصرف ومافضل من ذلك يرفع الى خزانة فاذا فرغ منهم ذلك القاسم دخل الخزانة وأخذ مافضل وخرج به الى الصعاليك الذين على باب دار الملك فيلقيه اليهم فيأكلوه وهكذا في كل يوم ولكل ملك شخص حسن الهيئة هو على الخزانة يدعونه الخازن بيده جميع مايملكه ذلك الملك ومن شرعهم انه اذا ولاه ليس له عزله ورأيت فيهم شخصا أعجبتني حركاته وهو جالس الى جانب الملك وكنت على يمين الملك فسألته مامنزلة هذا عندكم فتبسم وقال أعجبك قلت له نعم قال هذا المعمار الذي يبني لنا المساكن والمدن وجميع ماتراه من آثار عمله ورأيت في سوق صيارفهم انه لاينتقد لهم سكتهم الا واحد في المدينة كلها وفيما تحت يد ذلك الملك من المدن قال وهكذا رأيت سيرتهم في كل أمر لايقوم به الا واحد لكن له وزعة وأهل هذه الارض أعرف الناس بالله وكل ما أحاله العقل بدليله عندنا وجدناه في هذه الارض ممكنا قد وقع وان الله على كل شئ قدير فعلمنا ان العقول قاصرة وان الله قادر على جمع الضدين ووجود الجسم في مكانين وقيام العرض بنفسه وانتقاله وقيام المعنى بالمعنى وكل حديث وآية وردت عندنا مما صرفها العقل عن ظاهرها وجدناها على ظاهرها في هذه الارض وكل جسد يتشكل فيه الروحاني من ملك وجن وكل صورة يرى الانسان فيها نفسه في النوم فمن أجساد هذه الارض ولها من هذه الارض موضع مخصوص ولهم رقائق ممتدة الى جميع العالم وعلى كل رقيقة أمين فاذا عاين ذلك الامين روحا من الارواح قد استعد لصورة من هذه الصور التي بيده كساه اياها كصورة دحية لجبريل وسبب ذلك ان هذه الارض مدها الحق تعالى في البرزخ وعين منها موضعا لهذه الاجساد التي تلبسها الروحانيات وتنتقل اليها النفوس عند النوم وبعد الموت فنحن من بعض عالمها ومن هذه الارض طرف يدخل في الجنة يسمى السوق ونحن نبين لك مثال صورة امتداد الطرف الذي يلي العالم من هذه الارض وذلك ان الانسان اذا نظر الى السراج أو الشمس والقمر ثم حال باهداب أجفانه بين الناظر والجسم المستنير يبصر من ذلك الجسم

المستنير الى عينيه شبه الخطوط من النور تتصل من السراج الى عينيه متعددة فاذا رفع تلك الاهداب من مقابلة الناظر قليلا قليلا يرى تلك الخطوط الممتدة تنقبض الى الجسم المستنير فالجسم المستنير مثال للموضع المعين من هذه الارض لتلك الصور والناظر مثال العالم وامتداد تلك الخطوط كصور الاجساد التى تنتقل اليها فى النوم و بعد الموت وفى سوق الجنة والتى تلبسها الارواح وقصدك الى رؤية تلك الخطوط بذلك الفعل من ارسال الاهداب الحائلة بين الناظر والجسم النير مثال الاستعداد وانبعاث تلك الخطوط عند هذه الحال انبعاث الصور عند الاستعداد وانقباض الخطوط الى الجسم النير عند رفع الحائل رجوع الصور الى تلك الارض عند زوال الاستعداد وليس بعد هذا البيان بيان وقد بسطنا القول فى عجائب هذه الارض وما يتعلق بها من المعارف فى كتاب كبير لنا فيها خاصة انتهى الجزء الحادى عشر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب التاسع) فى معرفة وجود الارواح المارجية النارية

مرج النار والنبات فقامت * صورة الجن برزخا بين شيئين
بين روح مجسم ذى مكان * فى حضيض وبين روح بلا أين
فالذى قابل التجسم منها * طلب القوت للتغذى بلامين
والذى قابل الملائك منها * قبل القلب بالتشكل فى العين
وهذا يطيع وقتا ويعصى * ويجازى مخالفوهم بنارين

قال الله تعالى وخلق الجانّ من مارج من نار وورد فى الحديث الصحيح ان الله خلق الملائكة من نور وخلق الله الجان من نار وخلق الانسان مما قيل لكم فاما قوله عليه السلام فى خلق الانسان مما قيل لكم ولم يقل مثل ما قال فى خلق الملائكة والجانّ طلبا للاختصار فانه أوتى جوامع الكلم وهذا منها فان الملائكة لم يختلف أصل خلقها ولا الجانّ وأما الانسان اختلف خلقه على أربعة أنواع من الخلق فخلق آدم لا يشبه خلق حوّاء وخلق حوّاء لا يشبه خلق سائر بنى آدم وخلق عيسى عليه السلام لا يشبه خلق من ذكرنا فقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاختصار وأحال على ما وصل الينا من تفصيل خلق الانسان فآدم من طين وحوّاء من ضلع وعيسى من نفخ روح وبنو آدم من ماء مهين ولما أنشأ الله الاركان الاربعة وعلا الدخان الى مقعر فلك الكواكب الثابتة وفتق فى ذلك الدخان سبع سموات ميز بعضها عن بعض وأوحى فى كل سماء أمرها بعد ما قدر فى الارض أقواتها وذلك كله فى أربعة أيام ثم قال للسموات وللارض ائتيا طوعا أو كرها أى أجيبا اذا دعيتما لما يراد منكما مما أمنتما عليه أن تبرزاه فقالتا أتينا طائعين فجعل سبحانه بين السماء والارض التحاما معنويا لتوجه لما يريد سبحانه أن يوجده فى هذه الارض من المولدات من معدن ونبات وحيوان وجعل الارض كالاهل وجعل السماء كالبعل والسماء تلقى الى الارض من الامر الذى أوحى الله فيها كما يلقى الرجل الماء بالجماع فى المرأة وتبرز الارض عند الالقاء ما خبأه الحق فيها من التكوينات على طبقاتها فكان من ذلك ان الهواء لما اشتعل وحمى اتقد مثل السراج وهو اشتعال النار ذلك اللهب الذى هو احتراق الهواء وهو المارج وانما سمى مارجا لانه نار مختلط بهواء وهو الهواء المشتعل فان المرج الاختلاط ومنه سمى المرج مرجا لاختلاط النبات فيه فهو من عنصرين هواء ونار أعنى الجان كما كان آدم من عنصرين ماء وتراب عجن به فحدث له اسم الطين كما حدث لامتزاج النار بالهواء اسم المارج ففتح سبحانه فى ذلك المارج صورة الجان فبما فيه من الهواء يتشكل فى أى صورة شاء وبما فيه من النار سخف وعظم لطفه وكان فيه طلب القهر والاستكبار والعزة فان النار أرفع الاركان مكانا وله سلطان على احالة الاشياء التى تقتضيها الطبيعة وهو السبب الموجب لكونه استكبر عن السجود لآدم عندما أمره الله عز وجل بتأويل أداه أن يقول أنا خير منه يعنى بحكم الاصل الذى فضل الله به بين الاركان الاربعة وما علم ان سلطان الماء الذى خلق منه آدم أقوى منه فانه يذهبه وان التراب أثبت منه للبرد واليبس فلآدم القوّة والثبوت لغلبة الركنين اللذين

أوجده الله منهما وان كان فيه بقية الاركان ولكن ليس لها ذلك السلطان وهو الهواء والنار كما في الجان من بقية الاركان ولذا سمي مارجا ولكن ليس لها في نشأته ذلك السلطان وأعطى آدم التواضع للطينية بالطبع فان تكبر فلامر يعرض له يقبله بما فيه من النارية كما يقبل اختلاف الصور في خياله وفي أحواله من الهوائية وأعطى الجان التكبر بالطبع للنارية فان تواضع فلامر يعرض له يقبله بما فيه من الترابية كما يقبل الثبات على الاغواء ان كان شيطانا والثبات على الطاعات ان لم يكن شيطانا وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم لما تلا سورة الرحمن على أصحابه قال انى تلوتها على الجن فكانوا أحسن استماعا لها منكم فكانوا يقولون ولا بشيء من آلاء ربنا نكذب اذ قلت فبأي آلاء ربكما تكذبان ثابتين عليه ما تزلزلوا عندما كان يقول لهم عليه السلام في تلاوته فبأي آلاء ربكما تكذبان وذلك بما فيه من الترابية وبما فيه من المائية ذهبت بحمية النارية فمنهم الطائع والعاصي مثلنا ولهم التشكل في الصور كالملائكة وأخذ الله بابصارنا عنهم فلا نراهم الا اذا شاء الله أن يكشف لبعض عباده فيراهم ولما كانوا من عالم السخافة واللطف قبلوا التشكيل فيما يريدونه من الصور الحسية فالصورة الاصلية التي ينسب اليها الروحانى انما هي أول صورة قبل عندما أوجده الله ثم تختلف عليه الصور بحسب ما يريد أن يدخل فيها ولو كشف الله عن أبصارنا حتى نرى ما تصوره القوة المصورة التي وكلها الله بالتصوير في خيال المتخيل منا لرأيت مع الآنات الانسان في صور مختلفة لا يشبه بعضها بعضا ولما نفخ الروح في اللهب وهو كثير الاضطراب لسخافته وزاده النفخ اضطرابا وغلب الهواء عليه وعدم قراره على حالة واحدة ظهر عالم الجان على تلك الصورة وكما وقع التناسل في البشر بالقاء الماء في الرحم فكانت الذرية والتوالد في هذا الصنف البشرى الآدمي كذلك وقع التناسل في الجان بالقاء الهواء في رحم الانثى منهم فكانت الذرية والتوالد في صنف الجان وكان وجودهم بالقوس وهو نارى هكذا ذكر الوارد حفظه الله فكان بين خلق الجان وخلق آدم ستون ألف سنة وكان ينبغي على ما يزعم بعض الناس أن ينقطع التوالد من الجان بعد انقضاء أربعة آلاف سنة وينقضي التوالد من البشر بعد انقضاء سبعة آلاف سنة ولم يقع الامر على ذلك بل الامر راجع الى ما يريده الله فالتوالد في الجن الى اليوم باق وكذلك فينا فتحقق بهذا كم لآدم من السنين وكم بقي الى انقضاء الدنيا وفناء البشر عن ظهرها وانقلابهم الى الدار الآخرة وليس هذا بمذهب الراسخين في العلم وانما قال به شرذمة لا يعتد بقولها فالملائكة أرواح منفوخة في أنوار والجان أرواح منفوخة في رياح والاناسي أرواح منفوخة في أشباح ويقال انه لم يفصل عن الموجود الاول من الجان أنثى كما فصلت حواء من آدم قال بعضهم ان الله خلق للموجود الاول من الجان فرجا في نفسه فنكح بعضه بعضه فولد مثل ذرية آدم ذكرانا وأناثا ثم نكح بعضهم بعضا فكان خلقه خنثى ولذلك هم الجان من عالم البرزخ لهم شبه بالبشر وشبه بالملائكة كالخنثى يشبه الذكر ويشبه الانثى وقد روينا فيما رويناه من الاخبار عن بعض أئمة الدين انه رأى رجلا ومعه ولدان وكان خنثى الواحد من ظهره والآخر من بطنه نكح فولد له ونكح فولد وسمي خنثى من الانخناث وهو الاسترخاء والرخاوة عدم القوة والشدة فلم تقو فيه قوة الذكورية فيكون ذكرا ولم تقو فيه قوة الانوثة فيكون أنثى فاسترخى عن هاتين القوتين فسمي خنثى والله أعلم ولما غلب على الجان عنصر الهواء والنار لذلك كان غذاؤهم ما يحمله الهواء مما في العظام من الدسم فان الله جاعل لهم فيها رزقا فانا نشاهد جوهر العظم وما يحمله من اللحم لا ينتقص منه شيء فعلمنا قطعا ان الله جاعل لهم فيها رزقا ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في العظام انها زاد اخوانكم من الجن وفي حديث ان الله جاعل لهم فيها رزقا وأخبرني بعض المكاشفين انه رأى الجن يأتون الى العظم فيشمونه كما تشم السباع ثم يرجعون وقد أخذوا رزقهم وغذاؤهم في ذلك الشم فسبحان اللطيف الخبير وأما اجتماع بعضهم ببعض عند النكاح فالتواء مثل ما تبصر الدخان الخارج من الاتون أو من فرن الفخار يدخل بعضه في بعضه فيلتذ كل واحد من الشخصين بذلك التداخل ويكون ما يلقونه كلقاح النخلة بمجرد الرائحة كغذائهم سواء وهم قبائل وعشائر وقد ذكر انهم محصورون في اثنتي عشرة قبيلة أصولا ثم يتفرعون الى الافخاذ وتقع بينهم حروب عظيمة وبعض الزوابع قد يكون عين حروبهم فان الزوبعة تقابل ريحين تمنع كل واحدة صاحبتها ان تخترقها فيؤدى ذلك المنع الى الدور

المشهود فى الغبرة فى الحس التى آثارها تقابل الريحين المتضادين فمثل ذلك يكون حربهم وما كل زوبعة حربهم وحديث عمرو الجنى رحمه الله مشهورة مروية وقتله فى الزوبعة التى أبصرت فانقشعت عنه وهو على الموت فما لبث ان مات وكان عبدا صالحا من الجان ولو كان هذا الكتاب مبناه على ايراد أخبار وحكايات لذكرنا منها طرفا وانما هذا كتاب علم المعانى فلينظر حكاياتهم فى تواريخ الادب وأشعارهم ثم نرجع ونقول وان هذا العالم الروحانى اذا تشكل وظهر فى صورة حسية يقيده البصر بحيث لا يقدر أن يخرج عن تلك الصورة مادام البصر ينظر اليه بالخاصية ولكن من الانسان فاذا قيده ولم يبرح ناظرا اليه وليس له موضع يتوارى فيه أظهر له هذا الروحانى صورة جعلها عليه كالستر ثم يخيل له مشى تلك الصورة الى جهة مخصوصة فيتبعها ببصره فاذا اتبعها ببصره خرج الروحانى عن تقييده فغاب عنه وبغيبه تزول تلك الصورة عن نظر الناظر الذى اتبعها ببصره فانها للروحانى كالنور مع السراج المنتشر فى الزوايا نوره فاذا غاب جسم السراج فقد ذلك النور فهكذا هذه الصورة فمن يعرف هذا ويحب تقييده لا يتبع الصورة ببصره وهذا من الاسرار الالهية التى لا تعرف الا بتعريف الله وليست الصورة غير عين الروحانى بل هى عينه ولو كانت فى ألف مكان أو فى كل مكان ومختلفة الاشكال واذا اتفق قتل صورة من تلك الصور وماتت فى ظاهر الامر انتقل ذلك الروحانى من الحياة الدنيا الى البرزخ كما ننتقل نحن بالموت ولا يبقى له فى عالم الدنيا حديث مثلنا سواء وتسمى تلك الصور المحسوسة التى تظهر فيها الروحانيات أجسادا وهو قوله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا وقوله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام والفرق بين الجان والملائكة وان اشتركوا فى الروحانية ان الجان غذاؤهم ما تحمله الاجسام الطبيعية من المطاعم والملائكة ليست كذلك ولهذا ذكر الله فى قصة ضيف ابراهيم الخليل فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم يعنى الى العجل الحنيذ أى لا يأكلون منه وخاف وحين جاء وقت انشاء عالم الجان توجه من الامناء الذين فى الفلك الاول من الملائكة ثلاثة ثم أخذوا من نوابهم من السماء الثانية ما يحتاجون اليه منهم فى هذا النشئ ثم نزلوا الى السموات فأخذوا من النواب اثنين من السماء الثانية والسادسة من هناك ونزلوا الى الاركان فهيؤا المحل واتبعتهم ثلاثة أخر من الامناء وأخذوا من الثانية ما يحتاجون اليه من نوابهم ثم نزلوا الى السماء الثالثة والخامسة من هناك فأخذوا ما سكن ومروا بالسماء السادسة فأخذوا نائبا آخر من الملائكة ونزلوا الى الاركان ليكملوا التسوية فنزلت الستة الباقية وأخذت ما بقى من النواب فى السماء الثانية وفى السموات فاجتمع الكل على تسوية هذه النشأة باذن العليم الحكيم فلما تمت نشأته واستقامت بنيته توجه الروح من عالم الامر فنفخ فى تلك الصورة روحا سرت فيه بوجودها الحياة فقام ناطقا بالحمد والثناء لمن أوجده جبلة جبل عليها وفى نفسه عزة وعظمة لا يعرف سببها ولا على من يعتز بها اذ لم يكن ثم مخلوق آخر من عالم الطبائع سواه فبقى عابد الربه مصرا على عزته متواضعا لربوبية موجده بما يعرض له مما هو عليه فى نشأته الى أن خلق آدم فلما رأى الجان صورته غلب على واحد منهم اسمه الحارث بغض تلك النشأة وتجهم وجهه لرؤية تلك الصورة الآدمية وظهر ذلك منه لجنسه فعتبوه لذلك لما رأوه عليه من الغم والحزن لها فلما كان من أمر آدم ما كان أظهر الحارث ما كان يجد فى نفسه منه وأبى عن امتثال أمر خالقه بالسجود لآدم واستكبر على آدم بنشأته وافتخر بأصله وغاب عنه سر قوة الماء الذى جعل الله منه كل شئ حى ومنه كانت حياة الجان وهم لا يشعرون وتأمل ان كنت من أهل الفهم قوله تعالى وكان عرشه على الماء فحيى العرش وما حوى عليه من المخلوقات وان من شئ الا يسبح بحمده فجاء بالنكرة ولا يسبح الا حى وردفى الحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة قالت يارب فى حديث طويل هل خلقت شيأ أشد من النار قال نعم الماء فجعل الماء أقوى من النار فلو كان عنصر الهواء فى نشأة الجان غير مشتعل بالنار لكان الجان أقوى من بنى آدم فان الهواء أقوى من الماء فان الملائكة قالت فى هذا الحديث يارب فهل خلقت شيأ أشد من الماء قال نعم الهواء ثم قالت يارب فهل خلقت شيأ أشد من الهواء قال نعم ابن آدم الحديث فجعل النشأة الانسانية أقوى من الهواء وجعل الماء أقوى من النار وهو العنصر الاعظم فى الانسان كما ان النار العنصر الاعظم فى الجان ولهذا قال فى الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا فلم ينسب اليه من القوة شيأ ولم يرد على العزيز فى قوله

ان كيدكن عظيم ولأ كذبه مع ضعف عقل المرأة عن عقل الرجل فان النساء ناقصات عقل فما ظنك بقوة الرجل وسبب ذلك ان النشأة الانسانية تعطى التؤدة فى الامور والاناة والفكر والتدبير لغلبة العنصرين الماء والتراب على مزاجه فيكون وافر العقل لان التراب يثبطه ويمسكه والماء يلينه ويسهله والجان ليس كذلك فانه ليس لعقله ما يمسكه عليه ذلك الامساك الذى للانسان ولهذا يقال فلان خفيف العقل وسخيف العقل اذا كان ضعيف الرأى هائجه وهذا هو نعت الجان وبه ضل عن طريق الهدى لخفة عقله وعدم تثبته فى نظره فقال أنا خير منه فجمع بين الجهل وسوء الادب لخفته فمن عصى من الجان كان شيطانا أى مبعودا من رحمة الله وكان أول من سمى شيطانا من الجن الحارث فابلسه الله أى طرده من رحمته وطرد الرحمة عنه ومنه تفرعت الشياطين باجمعها فمن آمن منهم مثل هامة بن الهام بن لاقيس بن ابليس التحق بالمؤمنين من الجن ومن بقى على كفره كان شيطانا وهى مسئلة خلاف بين علماء الشريعة فقال بعضهم ان الشيطان لا يسلم أبدا وتأول قوله عليه السلام فى شيطانه وهو القرين الموكل به ان الله أعانه عليه فاسلم روى برفع الميم وفتحها أيضا فتأول هذا القائل الرفع بانه قال فاسلم منه أى ليس له على سبيل وهكذا تأوله المخالف وتأول الفتح فيه على الانقياد قال فمعناه انقاد مع كونه عدوا فهو بعينه لا يأمر فى الا بخير جبرا من الله وعصمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المخالف معنى فاسلم بالفتح أى آمن بالله كما يسلم الكافر عندنا فيرجع مؤمنا وهو الاولى والاوجه وأكثر الناس يزعمون انه أول الجن بمنزلة آدم من الناس وليس كذلك عندنا بل هو واحد من الجن وان الاول فيهم بمنزلة آدم فى البشر انما هو غيره ولذلك قال الله تعالى الا ابليس كان من الجن أى من هذا الصنف من المخلوقين كما كان قابيل من البشر وكتبه الله شقيا فهو أول الاشقياء من البشر وابليس أول الاشقياء من الجن وعذاب الشياطين من الجن فى جهنم أكثر ما يكون بالزمهرير لا بالحرور وقد يعذب بالنار وبنو آدم أكثر عذابهم بالنار ورقفت يوما على مخبول العقل من الاولياء وعيناه تدمعان وهو يقول للناس لا تقفوا مع قوله تعالى لأملأن جهنم منك لا بليس فقط بل انظروا الى اشارته سبحانه لكم بقوله لابليس جهنم منك فانه مخلوق من النار فيه ودلعنه الله الى أصله وان عذب به فعذاب الفخار بالنار أشد فتحفظوا فما انظر هذا الولى من ذكر جهنم الا النار خاصة وغفل عن ان جهنم اسم لحرورها وزمهريرها وبجملتها سميت جهنم لانها كريهة المنظر والجهام السحاب الذى قد هرق ماءه والغيث رحمة الله فلما أزال الله الغيث من السحاب بازاله أطلق عليه اسم الجهام لزوال الرحمة الذى هو الغيث منه كذلك الرحمة أزالها الله من جهنم فكانت كريهة المنظر والمخبر وسميت أيضا جهنم لبعد قعرها يقال بركية جهنام اذا كانت بعيدة القعر نسأل الله العظيم لنا وللمؤمنين الامن منها ويكفى هذا القدر من هذا الباب

﴿الباب العاشر﴾

فى معرفة دورة الملك وأول منفصل فيها عن أول موجود وآخر منفصل فيها عن آخر منفصل عنه وبماذا عمر الموضع المنفصل عنه منهما وتمهيد الله هذه المملكة حتى جاء مليكها وما مرتبة العالم الذى بين عيسى ومحمد عليهما السلام وهو زمان الفترة

الملك لولا وجود الملك ما عرفا * ولم تكن صفة عابه وصفا
فدورة الملك برهان عليه لذا * قد التقت طرفاها هكذا كشفا
فكان آخرها كمثل أولها * وكان أولها عن سابق سلفا
وعند ما كملت بالختم قام بها * مليكها سيد الله معترفا
أعطاه خالقه فضلا معارفها * وما يكون وما قد كان وانصرفا

اعلم أيدك الله انه ورد فى الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر بالراء وفى رواية بالزاى وهو التبجح بالباطل وفى صحيح مسلم أنا سيد الناس يوم القيامة فثبتت له السيادة والشرف على أبناء جنسه من البشر وقال عليه السلام كنت نبيا وآدم بين الماء والطين يريد على علم بذلك فاخبره الله تعالى بمرتبته وهو روح قبل ايجاد الاجسام

الانسانية كما أخذ الميثاق على بنى آدم قبل ايجاده أجسامهم وألحقنا الله تعالى بأنبيائه بان جعلنا شهداء على أممهم معهم
حين يبعث من كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وهم الرسل فكانت الانبياء فى العالم نوّابه صلى الله عليه وسلم من آدم الى
آخر الرسل عليهم السلام وقد أبان صلى الله عليه وسلم عن هذا المقام بأمور منها بقوله صلى الله عليه وسلم والله لو كان موسى
حيا ما وسعه الا أن يتبعنى وقوله فى نزول عيسى بن مريم فى آخر الزمان انه يؤمنا أى يحكم فينا بسنة نبينا عليه السلام
و يكسر الصليب و يقتل الخنزير ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم قد بعث فى زمان آدم لكانت الانبياء وجميع الناس تحت
حكم شريعته الى يوم القيامة حسا ولهذا لم يبعث عامة الا هو خاصة فهو الملك والسيد وكل رسول سواه فبعث الى قوم
مخصوصين فلم تعم رسالة أحد من الرسل سوى رسالته صلى الله عليه وسلم فمن زمان آدم عليه السلام الى زمان بعث محمد
صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ملكه وتقدمه فى الآخرة على جميع الرسل وسيادته فمنصوص على ذلك فى الصحيح عنه
فروحانيته صلى الله عليه وسلم موجودة وروحانية كل نبى ورسول فكان الامداد يأتى اليهم من تلك الروح الطاهرة
بما يظهرون به من الشرائع والعلوم فى زمان وجودهم رسلا وتشريعه الشرائع كعلى ومعاذ وغيرهما فى زمان وجودهم
ووجوده صلى الله عليه وسلم وكالياس وخضر عليهما السلام وعيسى عليه السلام فى زمان ظهوره فى آخر الزمان حاكما
بشرع محمد صلى الله عليه وسلم فى أمته المقرر فى الظاهر لكن لما لم يتقدم فى عالم الحس وجود عينه صلى الله عليه وسلم أولا
نسب كل شرع الى من بعث به وهو فى الحقيقة شرع محمد صلى الله عليه وسلم وان كان مفقود العين من حيث لا يعلم ذلك
كما هو مفقود العين الآن وفى زمان نزول عيسى عليه السلام والحكم بشرعه وأما نسخ الله بشرعه جميع الشرائع فلا
يخرج هذا النسخ ما تقدم من الشرائع أن يكون من شرعه فان الله قد أشهدنا فى شرعه الظاهر المنزل به صلى الله عليه
وسلم فى القرآن والسنة النسخ مع اجماعنا واتفاقنا على ان ذلك المنسوخ شرعه الذى بعث به الينا فنسخ بالمتأخر المتقدم
فكان تنبيها لنا هذا النسخ الموجود فى القرآن والسنة على أن نسخه لجميع الشرائع المتقدمة لا يخرجها عن كونها شرعا
له وكان نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان حاكما بغير شرعه أو بعضه الذى كان عليه فى زمان رسالته وحكمه
بالشرع المحمدى المقرر اليوم دليلا على انه لا حكم لاحد اليوم من الانبياء عليهم السلام مع وجود ما قرره صلى الله عليه
وسلم فى شرعه ويدخل فى ذلك ما هم عليه أهل الذمة من أهل الكتاب ما داموا يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون فان
حكم الشرع على الاحوال تخرج من هذا المجموع كله انه ملك وسيد على جميع بنى آدم وان جميع من تقدمه كان ملكا
له وتبعا والحاكمون فيه نوّاب عنه فان قيل فقوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى فالجواب نحن ما فضلناه بل الله فضله
فان ذلك ليس لنا وان كان قد ورد أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده لما ذكر الانبياء عليهم السلام فهو صحيح
فانه قال فبهداهم وهداهم من الله وهو شرعه صلى الله عليه وسلم أى الزم شرعك الذى ظهر به نوّابك من اقامة الدين
ولا تتفرقوا فيه فلم يقل فبهم اقتده وفى قوله ولا تتفرقوا فيه تنبيه على أحدية الشرائع وقوله اتبع ملة ابراهيم وهو
الدين فهو مأمور باتباع الدين فان الدين انما هو من الله لا من غيره وانظروا فى قوله عليه السلام لو كان موسى حيا
ما وسعه الا أن يتبعنى فاضاف الاتباع اليه وأمر هو صلى الله عليه وسلم باتباع الدين وهدى الانبياء لابهم فان الامام
الاعظم اذا حضر لا يبقى لنائب من نوّابه حكم الا له فاذا غاب حكم النوّاب بمراسمه فهو الحاكم غيبا وشهادة وما أوردنا
هذه الاخبار والتنبيهات الا تأنيسا لمن لا يعرف هذه المرتبة من كشفه ولا أطلعه الله على ذلك من نفسه وأما أهل الله
فهم على ما نحن عليه فيه قد قامت لهم شواهد التحقيق على ذلك من عند ربهم فى نفوسهم وان كان يتصوّر على جميع
ما أوردناه فى ذلك احتمالات كثيرة فذلك راجع الى ما تعطيه الالفاظ من القوّة فى أصل وضعها الا ما هو عليه الامر فى
نفسه عند أهل الاذواق الذين يأخذون العلم عن الله كالخضر وأمثاله فان الانسان ينطق بالكلام يريد به معنى واحدا
مثلا من المعانى التى يتضمنها ذلك الكلام فاذا فسر بغير مقصود المتكلم من تلك المعانى فانما فسر المفسر بعض ما تعطيه
قوّة اللفظ وان كان لم يصب مقصود المتكلم ألا ترى الصحابة كيف شق عليهم قوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم فأتى به نكرة فقالوا وأينا لم يلبس ايمانه بظلم فهؤلاء الصحابة وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم ما عرفوا

مقصود الحق من الآية والذى نظر وه سائغ فى الكلمة غير منكور فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ليس الامر كما ظننتم وانما أراد الله بالظلم هنا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم فقوة الكلمة تعم كل ظلم وقصد المتكلم انما هو ظلم معين مخصوص فكذلك ما أوردناه من الاخبار فى أن بنى آدم سوقة وملك هذا السيد محمد صلى الله عليه وسلم هو المقصود من طريق الكشف كما كان الظلم هناك المقصود من المتكلم به الشرك خاصة ولذلك تتقوى التفاسير فى الكلام بقرائن الاحوال فانها المميزة للمعانى المقصودة للمتكلم فكيف من عنده الكشف الالهى والعلم اللدنى الربانى فينبغى للعاقل المصنف أن يسلم لهؤلاء القوم ما يخبرون به فان صدقوا فى ذلك فذلك الظن بهم واتصفوا بالتسليم حيث لم يرد المسلم ما هو حق فى نفس الامر وان لم يصدقوا لم يضر المسلم بل انتفعوا حيث تركوا الخوض فيما ليس لهم به قطع وردوا علم ذلك الى الله تعالى فوفوا الربوبية حقها اذ كان ما قاله أولياء الله ممكنا فالتسليم أولى بكل وجه وهذا الذى نزعنا اليه من دورة الملك قال به غيرنا كالامام أبى القاسم بن قسى فى خلعه وهو روايتنا عن ابنه عنه وهو من سادات القوم وكان شيخه الذى كشف له على يديه من أكبر شيوخ المغرب يقال له ابن خليل من أهل لبلة فنحن ما نعتمد فى كل ما نذكره الا على ما يلقى الله عندنا من ذلك لا على ما تحتمله الالفاظ من الوجوه وقد تكون جميع المحتملات فى بعض الكلام مقصودة للمتكلم فنقول بها كلها فدورة الملك عبارة عما مهد الله من آدم الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم من الترتيبات فى هذه النشأة الانسانية بما ظهر من الاحكام الالهية فيها فكانوا خلفاء الخليفة السيد فاول موجود ظهر من الاجسام الانسانية كان آدم عليه السلام وهو الاب الاول من هذا الجنس وسائر الآباء من الاجناس يأتى بعد هذا الباب ان شاء الله وهو أول من ظهر بحكم الله من هذا الجنس ولكن كما قررناه ثم فصل عنه أبا ثانيا لنا سماه أما فصح لهذا الاب الاول الدرجة عليها لكونه أصلا لها ختم النواب من دورة الملك بمثل ما به بدأ ليتنبه على ان الفضل بيد الله وان ذلك الامر ما اقتضاه الاب الاول لذاته فاوجد عيسى عن مريم فتنزلت مريم منزلة آدم وتنزل عيسى منزلة حواء فكما وجدت أنثى من ذكر وجد ذكر من أنثى فختم بمثل ما به بدأ فى ايجاد ابن من غير أب كما كانت حواء من غير أم فكان عيسى وحواء اخوان وكان آدم ومريم أبوان لهما ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فاوقع التشبيه فى عدم الابوة الذكرانية من أجل انه نصبه دليلا لعيسى فى براءة أمه ولم يوقع التشبيه بحواء وان كان الامر عليه لكون المرأة محل التهمة لوجود الحمل اذ كانت محلا موضوعا للولادة وليس الرجل بمحل لذلك والمقصود من الادلة ارتفاع الشكوك وفى حواء من آدم لا يقع الالتباس لكون آدم ليس محلا لما صدر عنه من الولادة وهذا لا يكون دليلا الا عند من ثبت عنده وجود آدم وتكوينه والتكوين منه وكما لا يعهد ابن من غير أب كذلك لا يعهد من غير أم فالمثل من طريق المعنى ان عيسى كحواء ولكن لما كان الدخل يتطرق فى ذلك من المنكر لكون الانثى كما قلنا محلا لما صدر عنها ولذلك كانت التهمة كان التشبيه بآدم لحصول براءة مريم عما يمكن فى العادة فظهور عيسى من مريم من غير أب كظهور حواء من آدم من غير أم وهو الاب الثانى ولما انفصلت حواء من آدم عمر موضعها منه بالشهوة النكاحية اليها التى وقع بها الغشيان لظهور التناسل والتوالد وكان الهواء الخارج الذى عمر موضعه جسم حواء عند خروجها اذ لا خلاء فى العالم فطلب ذلك الجزء الهوائى موضعه الذى أخذته حواء بشخصيتها فحرك آدم لطلب موضعه فوجده معمورا بحواء فوقع عليها فلما تغشاها حملت منه فجاءت بالذرية فبقى ذلك سنة جارية فى الحيوان من بنى آدم وغيره بالطبع لكن الانسان هو الكلمة الجامعة ونسخة العالم فكل ما فى العالم جزء منه وليس الانسان بجزء لواحد من العالم وكان سبب هذا الفصل وايجاد هذا المنفصل الاول طلب الانس بالمشاكل فى الجنس الذى هو النوع الاخص وليكون فى عالم الاجسام بهذا الالتحام الطبيعى الانسانى الكامل بالصورة الذى أراده الله ما يشبه القلم الاعلى واللوح المحفوظ الذى يعبر عنه بالعقل الاول والنفس الكل واذا قابلت القلم الاعلى فتفطن للاشارة التى تتضمن الكاتب وقصد الكتابة فيقوم معك معنى قول الشارع ان الله خلق آدم على صورته ثم عبارة الشارع فى الكتاب العزيز فى ايجاد الاشياء عن كن فاتى بحرفين اللذين هما بمنزلة المقدمتين وما يكون عند كن بالنتيجة وهذان الحرفان هما الظاهران والثالث الذى هو

الرابط بين المقدمتين خفي في كن وهو الواو المحذوف لالتقاء الساكنين كذلك اذا التقى الرجل والمرأة لم يبق للقلم عين ظاهرة فكان القاؤه النطفة في الرحم غيبا لانه سر ولهذا عبر عن النكاح بالسر في اللسان قال تعالى ولكن لا تواعدوهن سرا وكذلك عند الالقاء يسكن عن الحركة ويمكن اخفاء القلم كما خفي الحرف الثالث الذي هو الواو من كن للساكنين وكان الواو لان له العلو لانه متولد عن الرفع وهو اشباع الضمة وهو من حروف العلة وهذا الذي ذكرناه انما هو اذا كان الملك عبارة عن الاناسي خاصة فان نظرنا الى سيادته على جميع ماسوى الحق كما ذهب اليه بعض الناس للحديث المروي ان الله يقول لولاك يا محمد ماخلقت سماء ولا أرضا ولا جنة ولا نارا وذكر خلق كل ماسوى الله فيكون أول منفصل فيها النفس الكلية عن أول موجود وهو العقل الاول وآخر منفصل فيها حواء عن آخر موجود آدم فان الانسان آخر موجود من أجناس العالم فانه ماثم الا ستة أجناس وكل جنس تحته أنواع وتحت الانواع أنواع فالجنس الاول الملك والثاني الجان والثالث المعدن والرابع النبات والخامس الحيوان وانتهى الملك وتمهد واستوى وكان الجنس السادس جنس الانسان وهو الخليفة على هذه المملكة وانما وجد آخرا ليكون اماما بالفعل حقيقة لا بالصلاحية والقوة فعندما وجد عينه لم يوجد الا واليا سلطانا ملحوظا ثم جعل له نوابا حين تأخرت نشأة جسده فأول نائب كان له وخليفة آدم عليه السلام ثم ولد واتصل النسل وعين في كل زمان خلفاء الى أن وصل زمان نشأة الجسم الطاهر محمد صلى الله عليه وسلم فظهر مثل الشمس الباهرة فاندرج كل نور في نوره الساطع وغاب كل حكم في حكمه وانقادت جميع الشرائع اليه وظهرت سيادته التي كانت باطنة فهو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم فانه قال أوتيت جوامع الكلم وقال عن ربه ضرب بيده بين كتفي فوجدت برد انامله بين ثديي فعلمت علم الاولين والآخرين فحصل له التخلق والنسب الالهي من قوله تعالى عن نفسه هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم وجاءت هذه الآية في سورة الحديد الذي فيه بأس شديد ومنافع للناس فلذلك بعث بالسيف وأرسل رحمة للعالمين وكل منفصل عن شئ فقد كان عامرا لما عنه انفصل وقد قلنا انه لا خلاء في العالم فعمر موضع انفصاله بظله اذ كان انفصاله الى النور وهو للظهور فلما قابل النور بذاته امتد ظله فعمر موضع انفصاله فلم يفقده من انفصل عنه فكان مشهودا لمن انفصل اليه ومشهودا لمن انفصل عنه وهو المعنى الذي أراده القائل بقوله (شهدتك موجودا بكل مكان) فمن أسرار العالم انه مامن شئ يحدث الا وله ظل يسجد لله ليقوم بعبادة ربه على كل حال سواء كان ذلك الامر الحادث مطيعا أو عاصيا فان كان من أهل الموافقة كان هو وظله على السواء وان كان مخالفا ناب ظله منابه في الطاعة لله قال الله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال السلطان ظل الله في الارض اذ كان ظهوره بجميع صور الاسماء الالهية التي لها الاثر في عالم الدنيا والعرش ظل الله في الآخرة فالظلالات أبدا تابعة للصورة المنبعثة عنها حسا ومعنى فالحس قاصر لا يقوى قوة الظل المعنوي للصورة المعنوية لانه يستدعي نورا مقيدا لما في الحس من التقييد والضيق وعدم الاتساع ولهذا نبهنا على الظل المعنوي بما جاء في الشرع من أن السلطان ظل الله في الارض فقد بان لك ان بالظلالات عمرت الاماكن فهنا قد ذكرنا طرفا مما يليق بهذا الباب ولم نمعن فيه مخافة التطويل وفيما أوردناه كفاية لمن تنبه ان كان ذا فهم سليم وتذكرة لمن شاهد وعلم واشتغل بما هو أعلى أو غفل بما هو أنزل فيرجع الى ماذكرناه عنه مما ينظر في هذا الباب

﴿فصل﴾ وأما مرتبة العالم الذي بين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم وهم أهل الفترة فهم على مراتب مختلفة بحسب ما يتجلى لهم من الاسماء عن علم منهم بذلك وعن غير علم فمنهم من وحد الله بما تجلى لقلبه عند فكره وهو صاحب الدليل فهو على نور من ربه ممتزج بكون من أجل فكره فهذا يبعث أمة وحده كقس بن ساعدة وأمثاله فانه ذكر في خطبته مايدل على ذلك فانه ذكر المخلوقات واعتباره فيها وهذا هو الفكر ومنهم من وحد الله بنور وجده في قلبه لا يقدر على دفعه من غير فكرة ولا روية ولا نظر ولا استدلال فهم على نور من ربهم خالص غير ممتزج بكون فهؤلاء يحشرون أحفياء أبرياء ومنهم من ألقى في نفسه وأطلع من كشفه لشدة نوره وصفاء سره لخلوص يقينه على منزلة محمد

صلى الله عليه وسلم وسيادته وعموم رسالته باطنا من زمان آدم الى وقت هذا المكاشف فآمن به فى عالم الغيب على شهادة منه وبينة من ربه وهو قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه يشهد له فى قلبه بصدق ما كوشف به فهذا يحشر يوم القيامة فى ضمان خلقه وفى باطنية محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من تبع ملة حق ممن تقدمه كمن تهوّد أو تنصر أو اتبع ملة ابراهيم أو من كان من الانبياء لما علم واعلم انهم رسل من عند الله يدعون الى الحق لطائفة مخصوصة فتبعهم وآمن بهم وسلك سننهم فحرّم على نفسه ما حرّمه ذلك الرسول وتعبد نفسه مع الله بشريعته وان كان ذلك ليس بواجب عليه اذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثا اليه فهذا يحشر مع من تبعه يوم القيامة ويتميز فى زمرته فى ظاهرية اذ كان شرع ذلك النبي قد تقرر فى الظاهر ومنهم من طالع فى كتب الانبياء شرف محمد صلى الله عليه وسلم ودينه وثواب من اتبعه فآمن به وصدق على علم وان لم يدخل فى شرع نبي ممن تقدم واتى بمكارم الاخلاق فهذا أيضا يحشر فى المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم لا فى العاملين ولكن فى ظاهريته صلى الله عليه وسلم ومنهم من آمن بنبيه وأدرك نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم فآمن به فله أجران وهؤلاء كلهم سعداء عند الله ومنهم من عطل فلم يقرّ بوجود عن نظر قاصر ذلك القصور هو بالنظر اليه غاية قوّته لضعف فى مزاجه عن قوّة غيره ومنهم من عطل لا عن نظر بل عن تقليد فذلك شقيّ مطلق ومنهم من أشرك عن نظر أخطأ فيه طريق الحق مع بذل المجهود الذى تعطيه قوّته ومنهم من أشرك لا عن استقصاء نظر فذلك شقيّ ومنهم من أشرك عن تقليد فذلك شقيّ ومنهم من عطل بعد ما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوّة التى هو عليها لضعفها ومنهم من عطل بعد ما أثبت لا عن استقصاء فى النظر أو تقليد فذلك شقيّ فهذه كلها مراتب أهل الفترة الذين ذكرناهم فى هذا الباب

﴿الباب الحادى عشر فى معرفة آبائنا العلويات وأمهاتنا السفليات﴾

أنا ابن آباء أرواح مطهرة * وأمهات نفوس عنصريات

ما بين روح وجسم كان مظهرنا * عن اجتماع بتعنيق ولذات

ما كنت عن واحد حتى أوحده * بل عن جماعة آباء وأمات

هم لا له اذا حققت شأنهم * كصانع صنع الاشياء بآلات

فنسبة الصنع للنجار ليس لها * كذاك أوجدنا رب البريات

فيصدق الشخص فى توحيد موجده * ويصدق الشخص فى اثبات علات

فان نظرت الى الآلات طال بنا * اسناد عنعنة حتى الى الذات

وان نظرت اليه وهو يوجدنا * قلنا بوحدته لا بالجماعات

انى ولدت وحيد العين منفردا * والناس كلهم أولاد علات

اعلم أيدك الله انه لما كان المقصود من هذا العالم الانسان وهو الامام لذلك أضفنا الآباء والامهات اليه فقلنا آباؤنا العلويات وأمهاتنا السفليات فكل مؤثر أب وكل مؤثر فيه أم هذا هو الضابط لهذا الباب والمتولد بينهما من ذلك الاثر يسمى ابنا ومولدا وكذلك المعانى فى انتاج العلوم انما هو بمقدمتين تنكح احداهما الاخرى بالمفرد الواحد الذى يتكرر فيهما وهو الرابط وهو النكاح والنتيجة التى تصدر بينهما هى المطلوبة فالارواح كلها آباء والطبيعة أم لما كانت محل الاستحالات وتتوجه هذه الارواح على هذه الاركان التى هى العناصر القابلة للتغيير والاستحالة تظهر فيها المولدات وهى المعادن والنبات والحيوان والجان والانسان أكملها وكذلك جاء شرعنا أكمل الشرائع حيث جرى مجرى الحقائق الكلية فأوتى جوامع الكلم واقتصر على أربع نسوة وحرّم ما زاد على ذلك بطريق النكاح الموقوف على العقد فلم يدخل فى ذلك ملك اليمين وأباح ملك اليمين فى مقابلة الامر الخامس الذى ذهب اليه بعض العلماء كذلك الاركان من عالم الطبيعة أربعة وبنكاح العالم العلوى لهذه الاربعة يوجد الله ما يتولد فيها واختلفوا فى ذلك على ستة مذاهب (فطائفة) زعمت ان كل واحد من هذه الاربعة أصل فى نفسه وقالت طائفة ركن النار هو الاصل

فما كثف منه كان هواء وما كثف من الهواء كان ماء وما كثف من الماء كان ترابا وقالت طائفة ركن الهواء هو الاصل فما سخف منه كان نارا وما كثف منه كان ماء وقالت طائفة ركن الماء هو الاصل وقالت طائفة ركن التراب هو الاصل وقالت طائفة الاصل أمر خامس ليس واحدا من هذه الاربعة وهذا هو الذى جعلناه بمنزلة ملك اليمين فهمت شريعته فى النكاح ثم المذاهب لينمدرج فيها جميع المذاهب وهذا المذهب بالاصل الخامس هو الصحيح عندنا وهو المسمى بالطبيعة فان الطبيعة معقول واحد عنها ظهر ركن النار وجميع الاركان فيقال ركن النار من الطبيعة ما هو عينها ولا يصح أن يكون المجموع الذى هو عين الاربعة فان بعض الاركان منافر للآخر بالكلية وبعضها منافر لغيره بأمر واحد كالنار والماء متنافران من جميع الوجوه والهواء والتراب كذلك ولهذا رتبها الله فى الوجود ترتيبا حكميا لاجل الاستحالات فلو جعل المنافر مجاورا لمنافره لما استحال اليه وتعطلت الحكمة فجعل الهواء يلى ركن النار والجامع بينهما الحرارة وجعل الماء يلى الهواء والجامع بينهما الرطوبة وجعل التراب يلى الماء والجامع بينهما البرودة فالمحيل أب والمستحيل أم والاستحالة نكاح والذى استحال اليها ابن فالمتكلم أب والسامع أم والتكلم نكاح والموجود من ذلك فى فهم السامع ابن فكل أب علوى فانه مؤثر وكل أم سفلية فانها مؤثر فيها وكل نسبة بينهما معينة نكاح وتوجه وكل نتيجة ابن ومن هنا يفهم قول المتكلم لمن يريد قيامه قم فيقوم المراد بالقيام عن أثر لفظة قم فان لم يقم السامع وهو أم بلا شك فهو عقيم واذا كان عقيما فليس بأم فى تلك الحالة وهذا الباب انما يختص بالامهات فأول الآباء العلوية معلوم وأول الامهات السفلية شيئية المعدوم الممكن وأول نكاح القصد بالامر وأول ابن وجود عين تلك الشيئية التى ذكرنا فهذا أب سارى الابوة وتلك أم سارية الامومة وذلك النكاح سار فى كل شئ والنتيجة دائمة لا تنقطع فى حق كل ظاهر العين فهذا يسمى عندنا النكاح السارى فى جميع الذرارى بقول الله تعالى فى الدليل على ما قلناه انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ولنا فيه كتاب شريف منيع الحمى البصير فيه أعمى فكيف من حل به العمى فلو رأيت تفصيل هذا المقام وتوجهات هذه الاسماء الالهية الاعلام لرأيت أمرا عظيما وشاهدت مقاما هائلا جسيما فلقد تنزه العارفون بالله وبصنعه الجليل باولى وبعد ان أشرت الى فهمك الثاقب ونظرك الصائب بالاب الاول السارى وهو الاسم الجامع الاعظم الذى تتبعه جميع الاسماء فى رفعه ونصبه وخفضه السارى حكمه والام الاولية الآخرية السارية فى نسبة الانوثة فى جميع الابناء فلنشرع فى الآباء الذين هم أسباب موضوعة بالوضع الالهى والامهات واتصالهما بالنكاح المعنوى والحسى المشروع حتى يكون الابناء أبناء حلال الى ان أصل الى التناسل الانسانى وهو آخر نوع تكون وأول مبدع بالقصد تعين فنقول ان العقل الاول الذى هو أول مبدع خلق وهو القلم الاعلى ولم يكن ثم محدث سواه وكان مؤثرا فيه بما أحدث الله فيه من انبعاث اللوح المحفوظ عنه كانبعاث حواء من آدم فى عالم الاجرام ليكون ذلك اللوح موضعا ومحلا لما يكتب فيه هذا القلم الاعلى الالهى وتخطيط الحروف الموضوعة للدلالة على ما جعلها الحق تعالى أدلة عليه فكان اللوح المحفوظ أول موجود انبعاثى وقد ورد فى الشرع ان أول ما خلق الله القلم ثم خلق اللوح وقال للقلم اكتب قال القلم وما أكتب قال الله له اكتب وأنا أملى عليك فخط القلم فى اللوح ما يملى عليه الحق وهو علمه فى خلقه الذى يخلق الى يوم القيامة فكان بين القلم واللوح نكاح معنوى معقول وأثر حسى مشهود ومن هنا كان العمل بالحروف المرقومة عندنا وكان ما أودع فى اللوح من الاثر مثل الماء الدافق الحاصل فى رحم الانثى وما ظهر من تلك الكتابة من المعانى المودعة فى تلك الحروف الجرمية بمنزلة أرواح الاولاد المودعة فى أجسامهم فافهم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وجعل الحق فى هذا اللوح العاقل عن الله ما أوحى به اليه المسبح بحمده الذى لا يفقه تسبيحه الا من أعلمه الله به وفتح سمعه لما يورده كما فتح سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حضر من أصحابه لادراك تسبيح الحصى فى كفه الطاهرة الطيبة صلى الله عليه وسلم وانما قلنا فتح سمعه اذ كان الحصى ما زال منذ خلقه الله مسبحا بحمد موجده فكان خرق العادة فى الادراك السمعى لا فيه ثم أوجد فيه صفتين صفة علم وصفة عمل فبصفة العمل تظهر صور العالم عنه كما تظهر صورة التابوت للعين عند عمل النجار فيما يعطى

الصور والصور على قسمين صور ظاهرة حسية وهي الاجرام وما يتصل بها حساً كالاشكال والالوان والاكوان وصور باطنة معنوية غير محسوسة وهي ما فيها من العلوم والمعارف والارادات وبتينك الصفتين ظهر ما ظهر من الصور فالصفة العلامة أب فانها المؤثرة والصفة العاملة أم فانها المؤثر فيها وعنها ظهرت الصور التي ذكرناها فان النجار المهندس اذا كان عالما ولا يحسن العمل فيلقي ما عنده على سمع من يحسن عمل النجارة وهذا الالقاء نكاح فكلام المهندس أب وقبول السامع أم ثم يصير علم السامع أبا وجوارحه أما وان شئت قلت فالمهندس أب والصانع الذي هو النجار أم من حيث ما هو مصغ لما يلقي اليه المهندس فاذا أثر فيه فقد أنزل ما في قوته في نفس النجار والصورة التي ظهرت للنجار في باطنه مما ألقى اليه المهندس وحصلت في وجود خياله قائمة ظاهرة له بمنزلة الولد الذي ولدته فهمه من المهندس ثم عمل النجار فهو أب في الخشب الذي هو أم النجارة بالآلات التي يقع بها النكاح وانزال الماء الذي هو أثر كل ضربة بالقدوم أو قطع بالمنشار وكل قطع وفصل وجمع في القطع المنجورة لانشاء الصورة فظهر التابوت الذي هو بمنزلة الولد المولود الخارج للحس فهكذا فلتفهم الحقائق في ترتيب الآباء والامهات والابناء وكيفية الانتاج فكل أب ليس عنده صفة العمل فليس هو أب من ذلك الوجه حتى انه لو كان عالما ومنع آلة التوصيل بالكلام أو الاشارة ليقع الافهام وهو غير عامل لم يكن أبا من جميع الوجوه وكان أثر ما حصل في نفسه من العلوم غير ان الجنين لم يخلق فيه الروح في بطن أمه أو مات في بطن أمه فماتته طبيعة لام الى ان تصرف ولم يظهر له عين فافهم وبعد ان عرفت الاب الثاني من الممكنات وانه أم ثانية للقلم الاعلى كان مما ألقى اليها من الالقاء الاقدس الروحاني الطبيعة والهباء فكان أول أم ولدت توأمين فاول ما ألقت الطبيعة ثم تبعتها بالهباء فالطبيعة والهباء أخ وأخت لاب واحد وأم واحدة فانكح الطبيعة الهباء فولد بينهما صورة الجسم الكلي وهو أول جسم ظهر فكان الطبيعة الاب فان لها الاثر وكان الهباء الام فان فيها ظهر الاثر وكانت النتيجة الجسم ثم نزل التوالد في العالم الى التراب على ترتيب مخصوص ذكرناه في كتابنا المسمى بعقلة المستوفز وفيه طول لا يسعه هذا الباب فان الغرض الاختصار ونحن لا نقول بالمركز وانما نقول بنهاية الاركان وان الاعظم يجذب الاصغر ولهذا ترى البخار والنار يطلبان العلو والحجر وما أشبهه يطلب السفل فاختلفت الجهات وذلك على الاستقامة من الاثنين أعني طالب العلو والسفل فان القائل بالمركز يقول انه أمر معقول دقيق تطلبه الاركان ولولا التراب لدار به الماء ولولا الماء لدار به الهواء ولولا الهواء لدار به النار ولو كان كما قال لكنا نرى البخار يطلب السفل والحس يشهد بخلاف ذلك وقد بينا هذا الفصل في كتاب المركز لنا وهو جزء لطيف فاذا ذكرناه في بعض كتبنا انما نسوقه على جهة مثل النقطة من الاكرة التي عنها يحدث المحيط لما التناقي ذلك من الغرض المتعلق بالمعارف الالهية والنسب لكون الخطوط الخارجة من النقطة الى المحيط على السواء لتساوي النسب حتى لا يقع هناك تفاضل فانه لو وقع تفاضل أدى الى نقص المفضول والامر ليس كذلك وجعلناه محل العنصر الاعظم تنبيها على ان الاعظم يحكم على الاقل وذكرناه مشارا اليه في عقلة المستوفز ولما أدار الله هذه الافلاك العلوية وأوجد الايام بالفلك الاول وعينه بالفلك الثاني الذي فيه الكواكب الثابتة للابصار ثم أوجد الاركان ترابا وماء وهواء ونارا ثم سوى السموات سبعا طباقا وفتقها أي فصل كل سماء على حدة بعدما كانت رتقا اذ كانت دخانا وفتق الارض الى سبع أرضين سماء أولى لارض أولى وثانية لثانية الى سبع وخلق الجواري الخنس خمسة في كل سماء كوكب وخلق القمر وخلق أيضا الشمس فحدث الليل والنهار بخلق الشمس في اليوم وقد كان اليوم موجودا فجعل النصف من هذا اليوم لاهل الارض نهارا وهو من طلوع الشمس الى غروبها وجعل النصف الآخر منه ليلا وهو من غروب الشمس الى طلوعها واليوم عبارة عن المجموع ولهذا خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام فان الايام كانت موجودة بوجود حركة فلك البروج وهي الايام المعروفة عندنا لا غير فما قال الله خلق العرش والكرسي وانما قال خلق السموات والارض في ستة أيام فاذا دار فلك البروج دورة واحدة فذلك هو اليوم الذي خلق الله فيه السموات والارض ثم أحدث الله الليل والنهار عند وجود الشمس لا الايام وأما ما يطرأ فيهما من الزيادة والنقصان أعني في الليل والنهار لا في الساعات فانها أربع وعشرون ساعة وذلك لحلول الشمس في منطقة البروج وهي حائلية بالنسبة

الينافيها ميل فيطول النهار اذا كانت الشمس فى المنازل العالية حيث كانت واذا حلت الشمس فى المنازل النازلة قصر النهار حيث كانت وانما قلنا حيث كانت فانه اذا طال الليل عندنا طال النهار عند غيرنا فتكون الشمس فى المنازل العالية بالنسبة اليهم وفى المنازل النازلة بالنسبة الينا فاذا قصر النهار عندنا طال الليل عندهم لما ذكرناه واليوم هو اليوم بعينه أربع وعشرون ساعة لايزيد ولا ينقص ولا يطول ولا يقصر فى موضع الاعتدال فهذا هو حقيقة اليوم ثم قد نسمى النهار وحده يوما بحكم الاصطلاح فافهم وقد جعل الله هذا الزمان الذى هو الليل والنهار يوما والزمان هو اليوم والليل والنهار موجودان فى الزمان جعلهما أبوا وأمّا لما يحدث الله فيهما كما قال يغشى الليل النهار كمثل قوله فى آدم فلما تغشاها حملت فاذا غشى الليل النهار كان الليل أبا وكان النهار أمّا وصار كل ما يحدث الله فى النهار بمنزلة الاولاد التى تلدها المرأة واذا غشى النهار الليل كان النهار أبا وكان الليل أمّا وكان كل ما يحدث الله من الشؤن فى الليل بمنزلة الاولاد التى تلدها الام وقد بينا هذا الفصل فى كتاب الشأن لنا تكلمنا فيه على قوله تعالى كل يوم هو فى شأن وسيأتى ان شاء الله فى هذا الكتاب ان ذكرنا الله به من معرفة الايام طرفا شافيا وكذلك قال تعالى أيضا يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل فزاد بيانا فى النتاكح وأبان سبحانه بقوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار أن الليل أم له وأن النهار متولد عنه كما ينسلخ المولود من أمه اذا خرج منها والحية من جلدها فيظهر مولدا فى عالم آخر غير العالم الذى يحويه الليل والاب هو اليوم الذى ذكرناه وقد بينا ذلك فى كتاب الزمان لنا ومعرفة الدهر فهذا الليل والنهار أبوان بوجه وأمّان بوجه وما يحدث الله فيهما فى عالم الاركان من المولدات عند تصريفهما يسمون أولاد الليل والنهار كما قررناه ولما أنشأ الله اجرام العالم كله القابل للتكوين فيه جعل من حد ما يلى مقعر السماء الدنيا الى باطن الارض عالم الطبيعة والاستحالات وظهور الاعيان التى تحدث عند الاستحالات وجعلها بمنزلة الام وجعل من مقعر فلك السماء الدنيا الى آخر الافلاك بمنزلة الاب وقدّر فيها منازل وزينها بالانوار الثابتة والسابحة فالسابحة تقطع فى الثابتة والثابتة والسابحة تقطع فى الفلك المحيط بتقدير العزيز بدليل انه روى فى بعض الاهرام التى بديار مصر مكتوبا بالقلم يذكر فى ذلك تاريخ لاهرام انها بنيت والنسر فى الاسد ولاشك انه الآن فى الجدى كذا ندركه فدل على أن الكواكب الثابتة تقطع فى فلك البروج الاطلس والله يقول فى القمر والقمر قدرناه منازل وقال فى الكواكب كل فى فلك يسبحون وقال تعالى والشمس تجرى لمستقر لها وقد قرئ لامستقرّ لها وليس بين القراءتين تنافر ثم قال ذلك تقدير العزيز العليم ينظر الى قوله فى القمر انه فقدره منازل وقال لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون أى فى شئ مستدير وجعل لهذه الانوار المسماة بالكواكب أشعة متصلة بالاركان تقوم اتصالاتها بها مقام نكاح الآباء للامّهات فيحدث الله تعالى عند اتصال تلك الشعاعات النورية فى الاركان الاربعة من عالم الطبيعة ما يتكوّن فيها مما نشاهده حسا فهذه الاركان لها بمنزلة الاربعة النسوة فى شرعنا وكما لا يكون نكاح شرعى عندنا حلالا الا بعقد شرعى كذلك أوحى فى كل سماء أمرها فكان من ذلك الوحى تنزل الامر بينهن كما قال تعالى يتنزل الامر بينهن يعنى الامر الالهى وفى تفسير هذا التنزل اسرار عظيمة تقرب مما نشير اليه فى هذا الباب وقد روى عن ابن عباس انه قال فى هذه الآية لو فسرتها لقلتم انى كافر وفى رواية لرجمتمونى وانها من أسرار آى القرآن قال تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ثم قال يتنزل الامر بينهن ثم تمم وأبان فقال لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وهو الذى أشرنا اليه بصفة العمل الذى ذكرناه آنفا من ايجاد الله صفة العلم والعمل فى الاب الثانى فان القدرة للايجاد وهو العمل ثم تمم فى الاخبار فقال وان الله قد أحاط بكل شئ علما وقد أشرنا اليه بصفة العلم التى أعطاها الله للاب الثانى الذى هو النفس الكلية المنبعثة فهو العليم سبحانه بما يوجد القدير على ايجاد ما يريد ايجاده لا مانع له فجعل الامر يتنزل بين السماء والارض كالولد يظهر بين الابوين وأمّا اتصال الاشعة النورية الكوكبية عن الحركة الفلكية السماوية بالاركان الاربعة التى هى أم المولدات فى الحين الواحد لكل ما جعله الحق مثالا للعارفين فى نكاح أهل الجنة فى الجنة جميع نسائهم وجواريهم فى الآن الواحد نكاحا حسيا كما ان هذه الاتصالات حسية فينكح الرجل فى الجنة جميع من عنده من المنكوحات اذا اشتهى ذلك فى

الآن الواحد نكاحا جسميا محسوسا بايلاج ووجود لذة خاصة بكل امرأة من غير تقدم ولا تأخر وهذا هو النعيم الدائم والاقتدار الالهى والعقل يعجز عن ادراك هذه الحقيقة من حيث فكره وانما يدرك هذا بقوة أخرى الهية فى قلب من يشاء من عباده كما أن الانسان فى الجنة فى سوق الصور اذا اشتهى صورة دخل فيها كما تشكل الروح هنا عندنا وان كان جسما ولكن أعطاه الله هذه القدرة على ذلك والله على كل شئ قدير وحديث سوق الجنة ذكره أبو عيسى الترمذى فى مصنفه فانظره هناك فاذا اتصلت الاشعة النورية فى الاركان الاربعة ظهرت المولدات عن هذا النكاح الذى قدره العزيز العليم فصارت المولدات بين آباء وهى الافلاك والانوار العلوية وبين أمهات وهى الاركان الطبيعية السفلية وصارت الاشعة المتصلة من الانوار بالاركان كالنكاح وحركات الافلاك وسباحات الانوار بمنزلة حركات الجامع وكان حركات الاركان بمنزلة المخاض للمرأة لاستخراج الزبد الذى يخرج بالمخض وهو ما يظهر من المولدات فى هذه الاركان للعين من صورة المعادن والنبات والحيوان ونوع الجن والانس فسبحان القادر على ما يشاء لا اله الا هو رب كل شئ ومليكه قال تعالى أن اشكر لى ولوالديك فقد تبين لك أيها الولى آباؤك وأمهاتك من هم الى أقرب أب لك وهو الذى ظهر عينك به وأمك كذلك القريبة اليك الى الاب الاول وهو الجد الاعلى الى ما بينهما من الآباء والامهات فشكرهم الذى يسرون به ويفرحون بالثناء عليهم هو أن تنسبهم الى مالكهم وموجدهم وتسلب الفعل عنهم وتلحقه بمستحقه الذى هو خالق كل شئ فاذا فعلت ذلك فقد أدخلت سرورا على آبائك بفعلك ذلك وادخال هذا السرور عليهم هو عين برك بهم وشكرك اياهم واذا لم تفعل هذا ونسيت الله بهم فما شكرتهم ولا امتثلت أمر الله فى شكرهم فانه قال أن اشكر لى فقدم نفسه ليعرفك انه السبب الاول والاولى ثم عطف وقال ولوالديك وهى الاسباب التى أوجدك الله عندها لتنسبها اليه سبحانه ويكون لها عليك فضل التقدم بالوجود خاصة لا فضل التأثير لانه فى الحقيقة لا أثر لها وان كانت أسبابا لوجود الآثار فبهذا القدر صح لها الفضل وطلب منك الشكر وأنزلها الحق لك وعندك منزلته فى التقدم عليك لا فى الاثر ليكون الثناء بالتقدم والتأثير لله تعالى وبالتقدم والتوقف للوالدين ولكن على ما شرطناه فلا تشرك بعبادة ربك أحدا فاذا أثنيت على الله تعالى وقلت ربنا ورب آبائنا العلويات وأمهاتنا السفليات فلا فرق بين أن أقولها أنا أو يقولها جميع بنى آدم من البشر فلم يخاطب شخصا بعينه حتى يسوق آباءه وأمهاته من آدم وحواء الى زمانه وانما القصد هذا النشء الانسانى فكنت مترجما عن كل مولود بهذا التحميد من عالم الاركان وعالم الطبيعة والانسان ثم ترتقى فى النيابة عن كل مولد بين مؤثر ومؤثر فيه فتحمده بكل لسان وتتوجه اليه بكل وجه فيكون الجزاء لنا من عند الله من ذلك المقام الكلى كما قال لى بعض مشيختى اذا قلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أوقات السلام عليكم اذا سلمت فى طريقك على أحد فاحضر فى قلبك كل صالح لله من عباده فى الارض والسماء وميت وحى فانه من ذلك المقام يرد عليك فلا يبقى ملك مقرب ولا روح مطهر يبلغه سلامك الا ويرد عليك وهو دعاء فيستجاب فيك فتفلح ومن لم يبلغه سلامك من عباد الله المهيمين فى جلاله المشتغلين به المستفرغين فيه وأنت قد سلمت عليهم بهذا الشمول فان الله ينوب عنهم فى الرد عليك وكفى بهذا شرفا فى حقك حيث يسلم عليك الحق فليته لم تسمع أحدا ممن سلمت عليه حتى ينوب عن الجميع فى الرد عليك فانه بك أشرف قال تعالى تشريفا فى حق يحيى عليه السلام وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وهذا سلام فضيلة واخبار فكيف سلام واجب ناب الحق مناب من أجاب عنه وجزاء الفرائض أعظم من جزاء الفضائل فى حق من قيل فيه وسلام عليه يوم ولد فيجمع له بين الفضيلتين وقد وردت صلاة الله علينا ابتداء وما وصل الى هل ورد السلام ابتداء كما وردت الصلاة أم لا فمن روى فى ذلك شيأ وحققه فقد جعلت أمانة فى عنقه أن يلحقه فى هذا الموضع الى جانب صلاة الله علينا فى هذا الباب ليكون بشرى للمؤمنين وشرفا لكاتبى هذا والله المعين والموفق لا رب غيره وأما الآباء الطبيعيون والامهات فلم نذكرهم فلنذكر الامر الكلى من ذلك وهم أبوان وأمان فالابوان هما الفاعلان والامان هما المنفعلان وما يحدث عنهما هو المنفعل عنهما فالحرارة والبرودة فاعلان والرطوبة واليبوسة منفعلان فنكحت

الحرارة

الحرارة اليبوسة فأنتجا ركن النار ونكحت الحرارة الرطوبة فأنتجا ركن الهواء ثم نكح البرودة الرطوبة فأنتجا ركن الماء ونكح البرودة اليبوسة فانتجا ركن التراب فحصلت في الابناء حقائق الآباء والامهات فكانت النار حارة يابسة فحرارتها من جهة الاب و يبوستها من جهة الام وكان الهواء حارا رطبا فحرارته من جهة الاب ورطوبته من جهة الام وكان الماء باردا رطبا فبرودته من جهة الاب ورطوبته من جهة الام وكانت الارض باردة يابسة فبرودتها من جهة الاب و يبوستها من جهة الام فالحرارة والبرودة من العلم والرطوبة واليبوسة من الارادة هذا احدتعلقها في وجودها من العلم الالهي وما يتولد عنهما من القدرة ثم يقع التوالد في هذه الاركان من كونها أمهات لآباء الانوار العلوية لامن كونها آباء وان كانت الابوة فيها موجودة فقد عرفناك أن الابوة والبنوة من الاضافات والنسب فالاب ابن لاب هو ابن له والابن أب لابن هو اب له وكذلك باب النسب فانظر فيه والله الموفق لارب غيره ولما كانت اليبوسة منفعلة عن الحرارة وكانت الرطوبة منفعلة عن البرودة قلنا في الرطوبة واليبوسة انهما منفعلتان وجعلناهما بمنزلة الام للاركان ولما كانت الحرارة والبرودة فاعلين جعلناهما بمنزلة الاب للاركان ولما كانت الصنعة تستدعي صانعا ولابد والمنفعل يطلب الفاعل بذاته فانه منفعل لذاته ولو لم يكن منفعلا لذاته لما قبل الانفعال والاثر وكان مؤثرا فيه بخلاف الفاعل فانه يفعل بالاختيار ان شاء فعل فيسمى فاعلا وان شاء ترك وليس ذلك للمنفعل ولهذه الحقيقة ذكر تعالى وهو من فصاحة القرآن وايجازه ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين فذكر المنفعل ولم يذكر ولا حار ولا بارد لما كانت الرطوبة واليبوسة عند العلماء بالطبيعة تطلب الحرارة والبرودة اللتين هما منفعلتان عنهما كما تطلب الصنعة الصانع لذلك ذكرهما دون ذكر الاصل وان كان الكل في الكتاب المبين فلقد جاء الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بعلوم ما نالها أحد سواه كما قال فعلمت علم الاولين والآخرين في حديث الضرب باليد فالعلم الالهي هو أصل العلوم كلها واليه ترجع وقد استوفينا ما يستحقه هذا الباب على غاية الايجاز والاختصار فان الطول فيه انما هو بذكر الكيفيات وأما الاصول فقد ذكرناها ومهدناها والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الثاني عشر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الباب الثاني عشر ﴾

في معرفة دورة فلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي دورة السيادة وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله تعالى

الا بأبي من كان ملكا وسيدا * وآدم بين الماء والطين واقف

فذاك الرسول الابطحي محمد * له في العلى مجد تليد وطارف

أتى بزمان السعد في آخر المدى * وكانت له في كل عصر مواقف

أتى لانكسار الدهر يجبر صدعه * فأثنت عليه ألسن وعوارف

اذا رام أمرا لا يكون خلافه * وليس لذاك الامر في الكون صارف

اعلم أيدك الله انه لما خلق الله الارواح المحصورة المدبرة للاجسام بالزمان عند وجود حركة الفلك لتعيين المدة المعلومة عند الله وكان عند أول خلق الزمان بحركته خلق الروح المدبرة روح محمد صلى الله عليه وسلم ثم صدرت الارواح عند الحركات فكان لها وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة واعلمه الله بنبوته و بشره بها وآدم لم يكن الا كما قال بين الماء والطين وانتهى الزمان بالاسم الباطن في حق محمد صلى الله عليه وسلم الى وجود جسمه وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان في جريانه الى الاسم الظاهر فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بذاته جسما وروحا فكان الحكم له باطنا أولا في جميع ما ظهر من الشرائع على أيدي الانبياء والرسل سلام الله عليهم أجمعين ثم صار الحكم له ظاهرا فنسخ كل شرع أبرزه الاسم الباطن بحكم الاسم الظاهر لبيان اختلاف حكم الاسمين وان كان المشرع واحدا وهو صاحب الشرع فانه قال كنت نبيا وما قال كنت انسانا ولا كنت موجودا وليست النبوة الا بالشرع المقرر عليه من عند الله فأخبر انه صاحب

النبوة قبل وجود الانبياء الذين هم نوابه في هذه الدنيا كما قررناه فيما تقدم من أبواب هذا الكتاب فكانت استدارته
انتهاء دورته بالاسم الباطن وابتداء دورة أخرى بالاسم الظاهر فقال استدار كهيئته يوم خلقه الله في نسبة الحكم لنا
ظاهرا كما كان في الدورة الاولى منسوبا الينا باطنا أي الى محمد وفي الظاهر منسوبا الى من نسب اليه من شرع ابراهيم
وموسى وعيسى وجميع الانبياء والرسل وفي الانبياء من الزمان أربعة حرم هود وصالح وشعيب سلام الله عليهم ومحمد
صلى الله عليه وسلم وعينها من الزمان ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر ولما كانت العرب تنسأ في الشهور فترد
المحرم منها حلالا والحلال منها حراما وجاء محمد صلى الله عليه وسلم فرد الزمان الى أصله الذي حكم الله به عند خلقه فعين
الحرم من الشهور على حد ما خلقها الله عليه ولهذا قال في اللسان الظاهر ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله
كذلك استدار الزمان فاظهر محمدا صلى الله عليه وسلم كما ذكرناه جسما وروحا بالاسم الظاهر حسا فنسخ من شرعه
المتقدم ما أراد الله ان ينسخ منه وأبقى ما أراد الله ان يبقي منه وذلك من الاحكام خاصة لا من الاصول ولما كان ظهوره
بالميزان وهو العدل في الكون وهو معتدل لان طبعه الحرارة والرطوبة كان من حكم الآخرة فان حركة الميزان متصلة
بالآخرة الى دخول الجنة والنار ولهذا كان العلم في هذه الامة أكثر مما كان في الاوائل وأعطي محمد صلى الله عليه وسلم
علم الاولين والآخرين لان حقيقة الميزان تعطي ذلك وكان الكشف أسرع في هذه الامة مما كان في غيرها الغالبة البرد
واليبس على سائر الامم قبلنا وان كانوا اذكياء وعلماء فآحاد منهم معينون بخلاف ما هم الناس اليوم عليه الا ترى هذه
الامة قد ترجمت جميع علوم الامم ولو لم يكن المترجم عالما بالمعنى الذي دل عليه لفظ المتكلم به لما صح ان يكون هذا مترجما
ولا كان ينطلق على ذلك اسم الترجمة فقد علمت هذه الامة علم من تقدم واختصت بعلوم لم تكن للمتقدمين ولهذا
أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فعلمت علم الاولين وهم الذين تقدموه ثم قال والآخرين وهو علم ما لم يكن عند المتقدمين
وهو ما تعلمه أمته من بعده الى يوم القيامة فقد أخبر ان عندنا علوما لم تكن قبل فهذه شهادة من النبي صلى الله عليه
وسلم لنا وهو الصادق بذلك فقد ثبتت له صلى الله عليه وسلم السيادة في العلم في الدنيا وثبتت له أيضا السيادة في الحكم
حيث قال لو كان موسى حيا ما وسعه الا ان يتبعني ويبين ذلك عند نزول عيسى عليه السلام وحكمه فينا بالقرآن
فصحت له السيادة في الدنيا بكل وجه ومعنى ثم أثبت السيادة له على سائر الناس يوم القيامة بفتحه باب الشفاعة
ولا يكون ذلك لنبي يوم القيامة الا له صلى الله عليه وسلم فقد شفع صلى الله عليه وسلم في الرسل والانبياء ان تشفع نعم
وفي الملائكة فأذن الله تعالى عند شفاعته في ذلك لجميع من له شفاعة من ملك ورسول ونبي ومؤمن ان يشفع فهو
صلى الله عليه وسلم أول شافع باذن الله وأرحم الراحمين آخر شافع يوم القيامة فيشفع الرحيم عند المنتقم ان يخرج من النار
من لم يعمل خيرا قط فيخرجهم المنعم المتفضل وأي شرف أعظم من دائرة تدار يكون آخرها أرحم الراحمين وآخر الدائرة
متصل بأولها فأي شرف أعظم من شرف محمد صلى الله عليه وسلم حيث كان ابتداء هذه الدائرة حيث اتصل بها آخرها
لكمال فيه سبحانه ابتدأت الاشياء وبه كملت وما أعظم شرف المؤمن حيث تلت شفاعته بشفاعة أرحم الراحمين
فالمؤمن بين الله وبين الانبياء فان العلم في حق المخلوق وان كان له الشرف التام الذي لا تجهل مكانته ولكن لا يعطي
السعادة في القرب الالهي الا بالايمان فنور الايمان في المخلوق أشرف من نور العلم الذي لا ايمان معه فاذا كان الايمان
يحصل عنه العلم فنور ذلك العلم المولد من نور الايمان أعلى وبه يمتاز على المؤمن الذي ليس بعالم فيرفع الله الذين أوتوا
العلم من المؤمنين درجات على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم ويزيد العلم بالله فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لاصحابه أنتم أعلم بمصالح دنياكم فلا فلك أوسع من فلك محمد صلى الله عليه وسلم فان له الاحاطة وهي لمن خصه الله بها من
أمته بحكم التبعية فلنا الاحاطة بسائر الامم ولذلك كنا شهداء على الناس فأعطاه الله من وحي أمر السموات ما لم يعط غيره
في طالع مولده فمن الامر المخصوص بالسماء الاولى من هنالك لم يبدل حرف من القرآن ولا كلمة ولو ألقى الشيطان في تلاوته
ما ليس منها بنقص أو زيادة لنسخ الله ذلك وهذا عصمة ومن ذلك الثبات ما نسخت شريعته بغيرها بل ثبتت محفوظة
واستقرت بكل عين ملحوظة ولذلك تستشهد بها كل طائفة ومن الامر المخصوص بالسماء الثانية من هنالك أيضا خص

بعلم الاولين والآخرين والتؤدة والرحمة والرفق وكان بالمؤمنين رحيما وما أظهر في وقت غلظة على أحد الا عن أمر الهي حين قيل له جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم فأمر به لما لم يقتض طبعه ذلك وان كان بشرا يغضب لنفسه ويرضى لنفسه فقد قسم لذلك دواءنا فما يكون في ذلك الغضب رحمة من حيث لا يشعر بها في حال الغضب فكان يدل بغضبه مثل داله برضاه وذلك لاسرار عرفناها ويعرفها أهل الله منا فصحت له السيادة على العالم من هذا الباب فان غير أمته قيل فيهم يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فاضلهم الله على علم وتولى الله فينا حفظ ذكره فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون لانه سمع العبد وبصره ولسانه ويده واستحفظ كتابه غير هذه الامة فحرّفوه ومن الأمر المخصوص من وحي السماء الثالثة من هناك أيضا السيف الذي بعث به والخلافة واختص بقتال الملائكة معه منها أيضا فان ملائكة هذه السماء قاتلت معه يوم بدر ومن هذه السماء أيضا بعث من قوم ليس لهم همة الا في قرى الاضياف ونحر الجزر والحروب الدائمة وسفك الدماء وبهذا يمدحون ويمدحون قيل في بعضهم

ضروب بنصل السيف سوق سمانها * اذا عدموا زادا فانك عاقر

﴿وقال الآخر منهم يمدح قومه﴾

لا يبعدن قومي الذين همو * سم العداة وآفة الجزر

النازلون بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

فمدحهم بالكرم والشجاعة والعفة يقول عنترة بن شداد في حفظ الجار في أهله

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي * حتى يواري جارتي مأواها

ولا خفاء عند كل أحد بفضل العرب على العجم بالكرم والحماسة والوفا وان كان في العجم كرماء وشجعان ولكن آحاد كما أن في العرب جبناء وبخلاء ولكن آحاد وانما الكلام في الغالب لا في النادر وهذا مالا ينكره أحد فهذا مما أوحى الله في هذه السماء فهذا كله من الامر الذي يتنزل بين السماء والارض لمن فهم ولو ذكرنا على التفصيل ما في كل سماء من الامر الذي أوحى الله سبحانه فيها لابرزنا من ذلك عجائب ربما كان ينكرها بعض من ينظر في ذلك العلم من طريق الرصد والتسيير من أهل التعاليم وبحار المنصف منهم فيه اذا سمعه ومن الوحي المأمور به في السماء الرابعة نسخه بشرعيته جميع الشرائع وظهور دينه على جميع الاديان عند كل رسول ممن تقدمه وفي كل كتاب منزل فلم يبق لدين من الاديان حكم عند الله الا ما قرر منه فبتقريره ثبت فهو من شرعه وعموم رسالته وان كان بقي من ذلك حكم فليس هو من حكم الله الا في أهل الجزية خاصة وانما قلنا ليس هو حكم الله لانه سماه باطلا فهو على من اتبعه لا له فهذا أعني بظهور دينه على جميع الاديان كما قال النابغة في مدحه

ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب

بانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وهذه منزلة محمد صلى الله عليه وسلم ومنزلة ما جاء به من الشرع من الانبياء وشرائعهم سلام الله عليهم أجمعين فان أنوار الكواكب اندرجت في نور الشمس فالنهار له والليل وحده لاهل الكتب اذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقد بسطنا في التنزلات الموصلية من أمر كل سماء ما اذا وقفت عليه عرفت بعض ما في ذلك ومن الوحي المأمور به في السماء الخامسة من هناك المختص بمحمد صلى الله عليه وسلم انه ما ورد قط عن نبي من الانبياء انه حبب اليه النساء الا لمحمد صلى الله عليه وسلم وان كانوا اقدر زقوا منهن كثيرا كسليمان عليه السلام وغيره ولكن كلامنا في كونه حبب اليه وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان نبيا وآدم بين الماء والطين كما قررناه وعلى الوجه الذي شرحناه فكان منقطعا الى ربه لا ينظر معه الى كون من الاكوان لشغله بالله عنه فان النبي مشغول بالتلقي من الله ومراعاة الادب فلا يتفرغ الى شيء دونه فحبب الله اليه النساء فاحبهن عناية من الله بهن فكان صلى الله عليه وسلم يحبهن بكون الله حببهن اليه خرّج مسلم في صحيحه في أبواب الايمان ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أحب أن يكون نعلي حسنا وثوبي

حسنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال ومن هذه السماء حب الطيب وكان من سنته النكاح لا التبتل وجعل النكاح عبادة للسر الالهى الذى أودع فيه وليس الا فى النساء وذلك ظهور الاعيان للثلاثة الاحكام التى تقدم ذكرها فى الانتاج عن المقدمتين والرابط الذى جعله علة الانتاج فهذا الفضل وماشا كله مما اختص به محمد صلى الله عليه وسلم وزاد فيه بنكاح الهبة كما جعل فى أمته فيما بين هامن النكاح ان لا شئ له من الاعواض بما يحفظه من القرآن خاصة لا انه يعلمها وهذا وان لم يقو قوة الهبة ففيه اتساع للامة وليس فى الوسع استيفاء ما أوحى الله من الامر فى كل سماء ومن الامر الموحى فى السماء السادسة اعجاز القرآن والذى أعطيه صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم من هذه السماء تنزل اليه ولم يعط ذلك نبى قبله وقد قال أعطيت ستا لم يعطهن نبى قبلى وكل ذلك أوحى فى السموات من قوله وأوحى فى كل سماء أمرها فجعل فى كل سماء ما يصلح تنفيذه فى الارض فى هذا الخلق فكان من ذلك ان بعث وحده الى الناس كافة فعمت رسالته وهذا مما أوحى الله به فى السماء الرابعة ونصر بالرعب وهو مما أوحى الله به فى السماء الثالثة من هناك ومنها ما حلل الله له من الغنائم وجعلت له الارض مسجدا وطهورا من السماء الثانية من هناك أوتيت جوامع الكلم من أمر وحى السماء السادسة ومن أمر هذه السماء ما خصه الله به من اعطائه اياه مفاتيح خزائن الارض ومن الوحى المأمور به فى السماء السابعة من هناك وهى السماء الدنيا التى تلينا كون الله خصه بصورة الكمال فكملت به الشرائع وكان خاتم النبيين ولم يكن ذلك لغيره صلى الله عليه وسلم فبهذا وأمثاله انفرد بالسيادة الجامعة للسيادات كلها والشرف المحيط الاعم صلى الله عليه وسلم فهذا قد نبهنا على ما حصل له فى مولده من بعض ما أوحى الله به فى كل سماء من أمره وقوله الزمان ولم يقل الدهر ولا غيره ينبه على وجود الميزان فانه ما خرج عن الحروف التى فى الميزان بذكر الزمان وجعل ياء الميزان مما يلى الزاى وخفف الزاى وعددها فى الزمان اشعارا بان فى هذه الزاى حرفا مدغما فكان أول وجود الزمان فى الميزان للعدل الروحانى وفى الاسم الباطن لمحمد صلى الله عليه وسلم بقوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ثم استدار بعد انقضاء دورة الزمان التى هى ثمانية وسبعون ألف سنة ثم ابتدأت دورة أخرى من الزمان بالاسم الظاهر فظهر فيها جسم محمد صلى الله عليه وسلم وظهرت شريعته على التعيين والتصريح لا بالكناية واتصل الحكم بالآخرة فقال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وقيل لنا وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وقال تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان فبالميزان أوحى فى كل سماء أمرها وبه قدر فى الارض أقواتها ونصبه الحق فى العالم فى كل شئ فميزان معنوى وميزان حسى لا يخطئ أبدا فدخل الميزان فى الكلام وفى جميع الصنائع المحسوسة وكذلك فى المعانى اذ كان أصل وجود الاجسام والاجرام وما تحمله من المعانى عند حكم الميزان وكان وجود الميزان وما فوق الزمان عن الوزن الالهى الذى يطلبه الاسم الحكيم ويظهره الحكم العدل لا اله الا هو وعن الميزان ظهر العقرب وما أوحى الله فيه من الامر الالهى والقوس والجدى والدلو والحوت والحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة وانتهت الدورة الزمانية الى الميزان لتكرار الدور فظهر محمد صلى الله عليه وسلم وكان له فى كل جزء من أجزاء الزمان حكم اجتمع فيه بظهوره صلى الله عليه وسلم وهذه الاسماء أسماء ملائكة خلقهم الله وهم الاثنا عشر ملكا وجعل لهم الله مراتب فى الفلك المحيط وجعل بيد كل ملك ما شاء أن يجعله مما يبرزه فيمن هو دونهم الى الارض حكمة فكانت روحانية محمد صلى الله عليه وسلم تكتسب عند كل حركة من الزمان اخلاقا بحسب ما أودع الله فى تلك الحركات من الامور الالهية فما زالت تكتسب هذه الصفات الروحانية قبل وجود تركيبها الى أن ظهرت صورة جسمه فى عالم الدنيا بما جبله الله عليه من الاخلاق المحمودة فقيل فيه وانك لعلى خلق عظيم فكان ذا خلق لم يكن ذا تخلق ولما كانت الاخلاق تختلف أحكامها باختلاف المحل الذى ينبغى أن يقابل بها احتاج صاحب الخلق الى علم يكون عليه حتى يصرف فى ذلك المحل الخلق الذى يليق به عن أمر الله فيكون قربة الى الله فلذلك نزلت الشرائع لتبين للناس محال أحكام الاخلاق التى جبل الانسان عليها فقال الله فى مثل ذلك ولا تقل لهما أف لوجود التأفيف فى خلقه فأبان عن المحل الذى لا ينبغى أن يظهر فيه حكم هذا الخلق ثم بين المحل الذى ينبغى أن يظهر فيه هذا الخلق فقال أف

لكم ولما تعبدون من دون الله وقال تعالى فلا تخافوهم فأبان عن المحل الذى ينبغى أن لا يظهر فيه خلق الخوف ثم قال لهم وخافون فأبان لهم حيث ينبغى أن يظهر حكم هذه الصفة وكذلك الحسد والحرص وجميع ما فى هذه النشأة الطبيعية الظاهر حكمها وما ينافيها قد أبان الله لنا حيث نظهرها وحيث نمنعها فانه من المحال ازالتها عن هذه النشأة الا بزوالها لانها عينها والشئ لا يفارق نفسه قال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنتين وقال زادك الله حرصا ولا تعد وانما قلنا الظاهر حكمها وما ينافيها تحرزا بذلك من أجل أهل الكشف والعلماء الراسخين فى العلم من المحققين العالمين فان المسمى بالجماد والنبات عندنا لهم أرواح بطنت عن ادراك غير أهل الكشف اياها فى العادة فلا يحس بها مثل ما يحسها من الحيوان فالكل عند أهل الكشف حيوان ناطق بل حى ناطق غير ان هذا المزاج الخاص يسمى انسانا لا غير بالصورة ووقع التفاضل بين الخلائق فى المزاج فانه لا بد فى كل ممتزج من مزاج خاص لا يكون الا له به يتميز عن غيره كما يجتمع مع غيره فى أمر فلا يكون عين ما يقع به الافتراق والتميز عين ما يقع به الاشتراك وعدم التميز فاعلم ذلك وتحققه قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده وشئ نكرة ولا يسبح الا حى عاقل عالم بمسبحه وقد ورد ان المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب ويابس والشرائع والنبوّات من هذا القبيل مشحونة ونحن زدنا مع الايمان بالاخبار الكشف فقد سمعنا الاحجار تذكر الله رؤية عين بلسان نطق تسمعه آذاننا منها وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله مما ليس يدركه كل انسان فكل جنس من خلق الله أمة من الامم فطرهم الله على عبادة تخصهم أوحى بها اليهم فى نفوسهم فرسولهم من ذواتهم اعلام من الله بالهام خاص جبلهم عليه كعلم بعض الحيوانات بأشياء يقصر عن ادراكها المهندس النحرير وعلمهم على الاطلاق بمنافعهم فيما يتناولونه من الحشائش والمآكل وتجنب ما يضرهم من ذلك كل ذلك فى فطرتهم كذلك المسمى جمادا ونباتا أخذ الله بأبصارنا وأسماعنا عما هم عليه من النطق ولا تقوم الساعة حتى تكلم الرجل فخذه بما فعله أهله جعل الجهلاء من الحكماء هذا اذا صح اعلامهم به من باب العلم بالاختلاج يريدون به علم الزجر وان كان علم الزجر علما صحيحا فى نفس الامر وانه من أسرار الله ولكن ليس هو مقصود الشارع فى هذا الكلام فكان له صلى الله عليه وسلم الكشف التام فيرى ما لا نرى ولقد نبه عليه السلام على أمر عمل عليه أهل الله فوجدوه صحيحا قوله لولا تزييد فى حديثكم وتمريج فى قلوبكم لرأيتم ما أرى ولسمعتم ما أسمع فخص برتبة الكمال فى جميع أموره ومنها الكمال فى العبودية فكان عبدا صرفا لم يقم بذاته ربانية على أحد وهى التى أوجبت له السيادة وهى الدليل على شرفه على الدوام وقد قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ولنا منه ميراث وافر وهو أمر يختص بباطن الانسان وقوله وقد يظهر خلاف ذلك بأفعاله مع تحققه بالمقام فيلتبس على من لا معرفة له بالاحوال فقد بينا فى هذا الباب ما مست الحاجة اليه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿الباب الثالث عشر فى معرفة حملة العرش﴾

العرش والله بالرحمن محمول * وحاملوه وهذا القول معقول
وأىّ حول لمخلوق ومقدرة * لولاه جاء به عقل وتنزيل
جسم وروح وأقوات ومرتبة * ماثم غير الذى رتبت تفصيل
فها هو العرش ان حققت سورته * والمستوى باسمه الرحمن مأمول
وهم ثمانية والله يعلمهم * واليوم أربعة ما فيه تعليل
محمد ثم رضوان ومالكهم * وآدم وخليل ثم جبريل
والحق ميكال اسرافيل ليس هنا * سوى ثمانية غرّ بهاليل

اعلم أيد الله الولىّ الحميم انّ العرش فى لسان العرب يطلق ويراد به الملك يقال ثلّ عرش الملك اذا دخل فى ملكه خلل ويطلق ويراد به السرير فاذا كان العرش عبارة عن الملك فتكون حملته هم القائمون به واذا كان العرش السرير فتكون حملته ما يقوم عليه من القوائم أو من يحمله على كواهلهم والعدد يدخل فى حملة العرش وقد جعل الرسول

حكمهم فى الدنيا أربعة وفى القيامة ثمانية فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية
ثم قال وهم اليوم أربعة يعنى فى يوم الدنيا وقوله يومئذ ثمانية يعنى يوم الآخرة روينا عن ابن مسرة الجبلى من
أكبر أهل الطريق علما وحالا وكشفا العرش المحمول هو الملك وهو محصور فى جسم وروح وغذاء ومرتبة فآدم
واسرافيل للصور وجبريل ومحمد للارواح وميكائيل وابراهيم للارزاق ومالك ورضوان للوعد والوعيد وليس
فى الملك الاما ذكر والاغذية التى هى الارزاق حسية ومعنوية فالذى نذكر فى هذا الباب الطريقة الواحدة التى هى
بمعنى الملك لما يتعلق به من الفائدة فى الطريق وتكون حملته عبارة عن القائمين بتدبيره فتدبر صورة عنصرية
أو صورة نورية وروح مدبر الصورة عنصرية وروح مدبر لمسخر الصورة نورية وغذاء لصورة عنصرية وغذاء
علوم ومعارف لارواح ومرتبة حسية من سعادة بدخول الجنة ومرتبة حسية من شقاوة بدخول جهنم
ومرتبة روحية علمية فبنى هذا الباب على أربع مسائل المسئلة الاولى الصورة والمسئلة الثانية الروح
والمسئلة الثالثة الغذاء والمسئلة الرابعة المرتبة وهى الغاية وكل مسئلة منها تنقسم قسمين فتكون ثمانية وهم حملة
عرش الملك أى اذا ظهرت الثمانية قام الملك وظهر واستوى عليه مليكه المسئلة الاولى الصورة وهى تنقسم قسمين صورة
جسمية عنصرية تتضمن صورة جسدية خيالية والقسم الآخر صورة جسمية نورية فلنبتدئ بالجسم النورى
فنقول ان أول جسم خلقه الله أجسام الارواح الملكية المهيمة فى جلال الله ومنهم العقل الاول والنفس الكل واليها
انتهت الاجسام النورية المخلوقة من نور الجلال وما ثم ملك من هؤلاء الملائكة من وجد بواسطة غيره الا النفس التى
دون العقل وكل ملك خلق بعد هؤلاء فداخلون تحت حكم الطبيعة فهم من جنس أفلاكها التى خلقوا منها وهم عمارها
وكذلك ملائكة العناصر وآخر صنف من الاملاك الملائكة المخلوقون من أعمال العباد وأنفاسهم فلنذكر ذلك
صنفا صنفا فى هذا الباب ان شاء الله تعالى اعلم ان الله تعالى كان قبل ان يخلق الخلق ولا قبلية زمان وانما ذلك عبارة
للتوصيل تدل على نسبة يحصل بها المقصود فى نفس السامع كان جل وتعالى فى عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وهو أول
مظهر الحق ظهر فيه سرى فيه النور الذاتى كما ظهر فى قوله الله نور السموات والارض فلما انصبغ ذلك العماء بالنور
فتح فيه صور الملائكة المهيمين الذين هم فوق عالم الاجسام الطبيعية ولا عرش ولا مخلوق تقدمهم فلما أوجدهم تجلى
لهم فصار لهم من ذلك التجلى غيبا كان ذلك الغيب روحا لهم أى لتلك الصور وتجلى لهم فى اسمه الجميل فهاموا فى جلال
جماله فهم لا يفيقون فلما شاء ان يخلق عالم التدوين والتسطير عين واحدا من هؤلاء الملائكة الكروبيين وهو أول
ملك ظهر من ملائكة ذلك النور سماه العقل والقلم وتجلى له فى مجلى التعليم الوهبى بما يريد ايجاده من خلقه لا الى غاية
وحد فقبل بذاته علم ما يكون وما للحق من الاسماء الالهية الطالبة صدور هذا العالم الخلقى فاشتق من هذا العقل
موجودا آخر سماه اللوح وأمر القلم ان يتدلى اليه ويودع فيه جميع ما يكون الى يوم القيامة لا غير وجعل لهذا القلم
ثلاثمائة وستين سنا فى قلميته أى من كونه قلما ومن كونه عقلا ثلاثمائة وستين تجليا أو رقيقة كل سن أو رقيقة تغترف
من ثلاثمائة وستين صنفا من العلوم الاجمالية فيفصلها فى اللوح فهذا حصر ما فى العالم من العلوم الى يوم القيامة فعلمها
اللوح حين أودعه اياها القلم فكان من ذلك علم الطبيعة وهو أول علم حصل فى هذا اللوح من علوم ما يريد الله خلقه
فكانت الطبيعة دون النفس وذلك كله فى عالم النور الخالص ثم أوجد سبحانه الظلمة المحضة التى هى فى مقابلة هذا النور
بمنزلة العدم المطلق المقابل للوجود المطلق فعندما أوجدها أفاض عليها النور افاضة ذاتية بمساعدة الطبيعة فلأم شعثها
ذلك النور فظهر الجسم المعبر عنه بالعرش فاستوى عليه الاسم الرحمن بالاسم الظاهر فذلك أول ما ظهر من عالم الخلق
وخلق من ذلك النور الممتزج الذى هو مثل ضوء السحر الملائكة الحافين بالسرير وهو قوله وترى الملائكة حافين
من حول العرش يسبحون بحمد ربهم فليس لهم شغل الا كونهم حافين من حول العرش يسبحون بحمده وقد بينا
خلق العالم فى كتاب سميناه عقلة المستوفز وانما نأخذ منه فى هذا الباب رؤس الاشياء ثم أوجد الكرسى فى جوف
هذا العرش وجعل فيه ملائكة من جنس طبيعته فكل فلك أصل لما خلق فيه من عماره كالعناصر فيما خلق منها من

عمارها كما خلق آدم من تراب وعمر به وببنيه الارض وقسم فى هذا الكرسى الكريم الكلمة الى خبر وحكم وهما القدمان اللتان تدلتا له من العرش كما ورد فى الخبر النبوى ثم خلق فى جوف الكرسى الافلاك فلكا فى جوف فلك وخلق فى كل فلك عالما منه يعمرونه سماهم ملائكة يعنى رسلا وزينها بالكواكب وأوحى فى كل سماء أمرها الى أن خلق صور المولدات ولما أكمل الله هذه الصور النورية والعنصرية بلا أرواح تكون غيبا لهذه الصور تجلى لكل صنف من الصور بحسب ما هى عليه فتكون عن الصور وعن هذا التجلى أرواح الصور وهى المسئلة الثانية فخلق الارواح وأمرها بتدبير الصور وجعلها غير منقسمة بل ذاتا واحدة وميز بعضها عن بعض فتميزت وكان ميزها بحسب قبول الصور من ذلك التجلى وليست الصور بأبنيات لهذه الارواح على الحقيقة الا ان هذه الصور لها كالملك فى حق الصور العنصرية وكالمظاهر فى حق الصور كلها ثم أحدث الله الصور الجسدية الخيالية بتجل آخر بين اللطائف والصور تتجلى فى تلك الصور الجسدية الصور النورية والنارية ظاهرة للعين وتتجلى الصور الحسية حاملة للصور المعنوية فى هذه الصور الجسدية فى النوم وبعد الموت وقبل البعث وهو البرزخ الصورى وهو قرن من نور أعلاه واسع وأسفله ضيق فان أعلاه السماء وأسفله الارض وهذه الاجساد الصورية التى يظهر فيها الجن والملائكة وباطن الانسان وهى الظاهرة فى النوم وصور سوق الجنة وهى هذه الصور التى تعمر الارض التى تقدم الكلام عليها فى بابها ثم ان الله تعالى جعل لهذه الصور ولهذه الارواح غذاء وهو المسئلة الثالثة يكون بذلك الغذاء بقاؤهم وهو رزق حسى ومعنوى فالمعنوى منه غذاء العلوم والتجليات والاحوال والغذاء المحسوس معلوم وهو ما تحمله صور المطعومات والمشروبات من المعانى الروحانية أعنى القوى فذلك هو الغذاء فالغذاء كله معنوى على ما قلناه وان كان فى صور محسوسة فتتغذى كل صورة نورية كانت أو حيوانية أو جسدية بما يناسبها وتفصيل ذلك يطول ثم ان الله جعل لكل عالم مرتبة فى السعادة والشقاء ومنزلة وتفاصيلها لا تنحصر فسعادتها بحسبها فمنها سعادة غرضية ومنها سعادة كمالية ومنها سعادة ملائمة ومنها سعادة وضعية أعنى شرعية والشقاوة مثل ذلك فى التقسيم بما لا يوافق الغرض ولا الكمال ولا المزاج وهو غير الملائم ولا الشرع وذلك كله محسوس ومعقول فالمحسوس منه ما يتعلق بدار الشقاء من الآلام فى الدنيا والآخرة ويتعلق بدار السعادة من اللذات فى الدنيا والآخرة ومنه خالص وممتزج فالخالص يتعلق بالدار الآخرة والممتزج يتعلق بالدار الدنيا فيظهر السعيد بصورة الشقى والشقى بصورة السعيد وفى الآخرة يمتازون وقد يظهر الشقى فى الدنيا بشقاوته ويتصل بشقاء الآخرة وكذلك السعيد ولكنهم مجهولون وفى الآخرة يمتازون وامتازوا اليوم أيها المجرمون فهنالك تلحق المراتب بأهلها لحوقا لا ينخرم ولا يتبدل فقد بان لك معنى الثمانية التى هى مجموع الملك المعبر عنه بالعرش وهذه هى المسئلة الرابعة فقد بان لك معنى الثمانية وهذه الثمانية النسب الثمانية التى يوصف بها الحق وهى الحياة والعلم والقدرة والارادة والكلام والسمع والبصر وادراك المطعوم والمشموم والملموس بالصفة اللائقة به فان لهذا الادراك بها تعلقا كادراك السمع بالمسموعات والبصر بالمبصرات ولهذا انحصر الملك فى ثمانية فالظاهر منها فى الدنيا أربعة الصورة والغذاء والمرتبتان ويوم القيامة تظهر الثمانية بجميعها للعيان وهو قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فقال صلى الله عليه وسلم وهم اليوم أربعة هذا فى تفسير العرش بالملك وأما العرش الذى هو السرير فان لله ملائكة يحملونه على كواهلهم هم اليوم أربعة وغدا يكونون ثمانية لاجل الحمل الى أرض الحشر وورد فى صور هؤلاء الاربعة الحملة ما يقارب به قول ابن مسرة فقيل الواحد على صورة الانسان والثانى على صورة الاسد والثالث على صورة النسر والرابع على صورة الثور وهو الذى رآه السامرى فتخيل انه اله موسى فصنع لقومه العجل وقال هذا الهكم واله موسى القصة والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿الباب الرابع عشر﴾

فى معرفة أسرار الانبياء أعنى أنبياء الاولياء وأقطاب الامم المكملين من آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم وان القطب واحد منذ خلقه الله لم يمت وأين مسكنه

أنبياء الاولياء الورثة * عرّف الله بهم من بعثه
ثم في روع امام واحد * سرّ هذا الامر روح نفثه
* ثم لما عقد الله له * وسرى في خلقه ما نكثه
ونلقته على عزته * منسة منه قلوب الورثة
موضع القطب الذي يسكنه * ليس يدريه سوى من ورثه

اعلم أيدك الله ان النبيّ هو الذي يأتيه الملك بالوحي من عند الله يتضمن ذلك الوحي شريعة يتعبد بها في نفسه فان بعث بها الى غيره كان رسولا و يأتيه الملك على حالتين اما ينزل بها على قلبه على اختلاف أحوال في ذلك التنزل واما على صورة جسدية من خارج يلقي ما جاء به اليه على اذنه فيسمع أو يلقيها على بصره فيبصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء وكذلك سائر القوى الحساسة وهذا باب قد أغلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا سبيل ان يتعبد الله أحدا بشريعة ناسخة لهذه الشريعة المحمدية وان عيسى عليه السلام اذا نزل ما يحكم الا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو خاتم الاولياء فانه من شرف محمد صلى الله عليه وسلم ان ختم الله ولاية أمته والولاية مطلقة بنبي رسول مكرم ختم به مقام الولاية فله يوم القيامة حشران يحشر مع الرسل رسولا و يحشر معنا وليا تابعا محمدا صلى الله عليه وسلم كرمه الله تعالى وإلياس بهذا المقام على سائر الانبياء وأما حالة أنبياء الاولياء في هذه الامّة فهو كل شخص أقامه الحق في تجل من تجلياته وأقام له مظهر محمد صلى الله عليه وسلم ومظهر جبريل عليه السلام فأسمعه ذلك المظهر الروحاني خطاب الاحكام المشروعة لمظهر محمد صلى الله عليه وسلم حتى اذا فرغ من خطابه وفزع عن قلب هذا الوليّ عقل صاحب هذا المشهد جميع ما تضمنه ذلك الخطاب من الاحكام المشروعة الظاهرة في هذه الامة المحمدية فيأخذها هذا الوليّ كما أخذها المظهر المحمدي للحضور الذي حصل له في هذه الحضرة مما أمر به ذلك المظهر المحمدي من التبليغ لهذه الامّة فيرد الى نفسه وقد وعى ما خاطب الروح به مظهر محمد صلى الله عليه وسلم وعلم صحته علم يقين بل عين يقين فأخذ حكم هذا النبيّ وعمل به على بينة من ربه فرب حديث ضعيف قد ترك العمل به لضعف طريقه من أجل وضاع كان في رواته يكون صحيحا في نفس الامر ويكون هذا الواضع مما صدق في هذا الحديث ولم يضعه وانما ردّه المحدث لعدم الثقة بقوله في نقله وذلك اذا انفرد به ذلك الواضع أو كان مدار الحديث عليه وأما اذا شاركه فيه ثقة سمعه معه قبل ذلك الحديث من طريق ذلك الثقة وهذا ولي قد سمعه من الروح يلقيه على حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم كما سمع الصحابة في حديث جبريل عليه السلام مع محمد صلى الله عليه وسلم في الاسلام والايمان والاحسان في تصديقه اياه واذا سمعه من الروح الملقي فهو فيه مثل الصاحب الذي سمعه من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم علما لا يشك فيه بخلاف التابع فانه يقبله على طريق غلبة الظن لارتفاع التهمة المؤثرة في الصدق ورب حديث يكون صحيحا من طريق رواته يحصل لهذا المكاشف الذي قد عاين هذا المظهر فسأل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن هذا الحديث الصحيح فانكره وقال له لم أقله ولا حكمت به فيعلم ضعفه فيترك العمل به عن بينة من ربه وان كان قد عمل به أهل النقل لصحة طريقه وهو في نفس الامر ليس كذلك وقد ذكر مثل هذا مسلم في صدر كتابه الصحيح وقد يعرف هذا المكاشف من وضع ذلك الحديث الصحيح طريقه في زعمهم اما أن يسمى له أو تقام له صورة الشخص فهؤلاء هم أنبياء الاولياء ولا يتفردون قط بشريعة ولا يكون لهم خطاب بها الا بتعريف ان هذا هو شرع محمد صلى الله عليه وسلم أو يشاهد المنزل عليه بذلك الحكم في حضرة التمثل الخارج عن ذاته والداخل المعبر عنه بالمبشرات في حق النائم غير ان الوليّ يشترك مع النبيّ في ادراك ما تدركه العامّة في النوم في حال اليقظة سواء وقد أثبت هذا المقام للاولياء أهل طريقنا واتيان هذا وهو الفعل بالهمة والعلم من غير معلم من المخلوقين غير الله وهو علم الخضر فان آتاه الله العلم بهذه الشريعة التي تعبده بها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بارتفاع الوسائط أعني الفقهاء وعلماء الرسوم كان من العلم اللدني ولم يكن من أنبياء هذه الامّة فلا يكون من يكون من الاولياء وارث نبيّ الا على هذه الحالة الخاصة من مشاهدة الملك عند الالقاء على حقيقة الرسول فافهم فهؤلاء هم

أنبياء الاولياء وتستوى الجماعة كلها فى الدعاء الى الله على بصيرة كما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وهم أهل هذا المقام فهم فى هذه الامة مثل الانبياء فى بنى اسرائيل على مرتبة تعبد هرون بشريعة موسى عليهما السلام مع كونه نبيا فان الله قد شهد بنبوته وصرح بها فى القرآن فمثل هؤلاء يحفظون الشريعة الصحيحة التى لاشك فيها على أنفسهم وعلى هذه الامة ممن اتبعهم فهم أعلم الناس بالشرع غيران الفقهاء لايسلمون لهم ذلك وهؤلاء لايلزمهم اقامة الدليل على صدقهم بل يجب عليهم الكتم لمقامهم ولا يردون على علماء الرسوم فيما ثبت عندهم مع علمهم بان ذلك خطأ فى نفس الامر فحكمهم حكم المجتهد الذى ليس له أن يحكم فى المسئلة بغير ما أداه اليه اجتهاده وأعطاه دليله وليس له أن يخطئ المخالف له فى حكمه فان الشارع قد قرر ذلك الحكم فى حقه فالادب يقتضى له أن لايخطئ ما قرره الشارع حكما ودليله وكشفه يحكم عليه باتباع حكم ما ظهر له وشاهده وقد ورد الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم ان علماء هذه الامة أنبياء بنى اسرائيل يعنى المنزلة التى أشرنا اليها فان أنبياء بنى اسرائيل كانت تحفظ عليهم شرائع رسلهم وتقوم بها فيهم وكذلك علماء هذه الامة وأئمتها يحفظون عليها أحكام رسولها صلى الله عليه وسلم كعلماء الصحابة ومن نزل عنهم من التابعين واتباع التابعين كالثورى وابن عيينة وابن سيرين والحسن ومالك وابن أبى رباح وأبى حنيفة ومن نزل عنهم كالشافعى وابن حنبل ومن جرى مجرى هؤلاء الى هلم جرا فى حفظ الاحكام (وطائفة أخرى) من علماء هذه الامة يحفظون عليها أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأسرار علومه كعلى وابن عباس وسلمان وأبى هريرة وحذيفة ومن التابعين كالحسن البصرى ومالك بن دينار وبنان الحمال وأيوب السختيانى ومن نزل عنهم بالزمان كشيبان الراعى وفرج الاسود المعمر والفضيل بن عياض وذى النون المصرى ومن نزل عنهم كالجنيد والتسترى ومن جرى مجرى هؤلاء من السادة فى حفظ الحال النبوى والعلم اللدنى والسر الالهى فاسرار حفظة الحكم موقوفة فى الكرسى عند القدمين اذلم يكن لهم حال نبوى يعطى سر الهيا ولاعلما لدنيا وأسرار حفاظ الحال النبوى والعلم اللدنى من علماء حفاظ الحكم وغيرهم موقوفة عند العرش والعماء ولا موقوفة ومنها ما المقام ومنها ما الامقام لها وذلك مقام لها تتميز به فان ترك العلامة بين أصحاب العلامات علامة محققة غير محكوم عليها بتقييد وهى أسنى العلامات ولايكون ذلك الا للتمكن الكامل فى الورث المحمدى وأما اقطاب الامم المكملين فى غير هذه الامة ممن تقدمنا بالزمان فجماعة ذكرت لى أسماؤهم باللسان العربى لما أشهدتهم ورأيتهم فى حضرة برزخية وأنا بمدينة قرطبة فى مشهد أقدس فكان منهم المفرق ومداوى الكلوم والبكاء والمرتفع والشفاء والماحق والعاقب والمنحور وشحر الماء وعنصر الحياة والشريد والراجع والصانع والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحى والرامى والواسع والبحر والملصق والهادى والمصلح والباقى فهؤلاء المكملون الذين سموا لنا من آدم عليه السلام الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم وأما القطب الواحد فهو روح محمد صلى الله عليه وسلم وهو الممد لجميع الانبياء والرسل سلام الله عليهم أجمعين والاقطاب من حين النشء الانسانى الى يوم القيامة قيل له صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا فقال صلى الله عليه وسلم وآدم بين الماء والطين وكان اسمه مداوى الكلوم فانه بجراحات الهوى خبير والرأى والدنيا والشيطان والنفس بكل لسان نبوى أو رسالى أو لسان الولاية وكان له نظر الى موضع ولادة جسمه بمكة والى الشام ثم صرف الآن نظره الى أرض كثيرة الحر واليبس لايصل اليها أحد من بنى آدم بجسده الا أنه قد رآه بعض الناس من مكة فى مكانه من غير نقلة زويت له الارض فرآها وقد أخذنا نحن عنه علوما جمة وأخذ مختلفة ولهذا الروح المحمدى مظاهر فى العالم أكمل مظهره فى قطب الزمان وفى الافراد وفى ختم الولاية المحمدى وختم الولاية العامة الذى هو عيسى عليه السلام وهو المعبر عنه بمسكنه وسأذكر فيما بعد هذا الباب ان شاء الله الامن كونه مداوى الكلوم من الاسرار وما انتشر عنه من العلوم ثم ظهر هذا السر بعد ظهوره بحال مداوى الكلوم فى شخص آخر اسمه المستسلم للقضاء والقدر ثم انتقل الحكم منه الى مظهر الحق ثم انتقل من مظهر الحق الى الهائج ثم انتقل من الهائج الى شخص يسمى واضع الحكم وأظنه لقمان والله أعلم فانه كان فى زمان داود وما أنا منه

على يقين انه لقمان ثم انتقل من واضع الحكم الى الكاسب ثم انتقل من الكاسب الى جامع الحكم وما عرفت لمن انتقل الامر من بعده وسأذكر فى هذا الكتاب اذا جاءت أسماء هؤلاء ما اختصوا به من العلوم ونذكر لكل واحد منهم مسئلة ان شاء الله ويجرى ذلك على لسانى فما أدرى ما يفعل الله بى ويكفى هذا القدر من هذا الباب والله يقول الحق وهو يهدى السبيل انتهى الجزء الثالث عشر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الخامس عشر فى معرفة الانفاس ومعرفة أقطابها المحققين بها وأسرارهم هى)

عالم الانفاس من نفسى * وهم الاعلون فى القدس
مصطفاهم سيد لسن * وحيه يأتيه فى الجرس
قلت للبوّاب حين رأى * ما أقاسيه من الحرس
قال ماتبغيه ياولدى * قلت قرب السيد الندس
من شفيعى للامام عسى * خطرة منه لمختلس
قال مايملى عوارفه * لغنىّ غير مبتئس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نفس الرحمن يأتينى من قبل اليمن قيل ان الانصار نفس الله بهم عن نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من مقاساة الكفار المشركين والانفاس روائح القرب الالهى فلما تنسمت مشامّ العارفين عرف هذه الانفاس وتوفرت الدواعى منهم الى طلب محقق ثابت القدم فى ذلك المقام ينبئهم بما فى طىّ ذلك المقام الاقدس وما جاءت به هذه الانفاس من العرف الانفس من الاسرار والعلوم بعد البحث بالهمم والتعرّض لنفحات الكرم عرّفوا بشخص الهى عنده السرّ الذى يطلبونه والعلم الذى يريدون تحصيله وأقامه الحق فيهم قطبا يدور عليه فلكهم واما ما يقوم به ملكهم يقال له مداوى الكلوم فانتشر عنه فيهم من العلم والحكم والاسرار مالا يحصرها كتاب وأوّل سرّ أطلع عليه الدهر الاوّل الذى عنه تكوّنت الدهور وأوّل فعل أعطى فصل ماتقتضيه روحانية السماء السابعة سماء كيوان فكان يصير الحديد فضة بالتدبير والصنعة ويصير الحديد ذهبا بالخاصية وهو سرّ عجيب ولم يطلب على هذا رغبة فى المال ولكن رغبة فى حسن المآل ليقف من ذلك على رتبة الكمال وانه مكتسب فى التكوين فان المرتبة الاولى من عقد الابخرة المعدنية بالحركات الفلكية والحرارة الطبيعية زئبقا وكبريتا وكل متكوّن فى المعدن فانه يطلب الغاية التى هو الكمال وهو الذهب لكن تطرأ عليه فى المعدن علل وأمراض من يبس مفرط أو رطوبة مفرطة أو حرارة أو برودة تخرجه عن الاعتدال فيؤثر فيه ذلك المرض صورة تسمى الحديد أو النحاس أو الاسرب أو غير ذلك من المعادن فاعطى هذا الحكيم معرفة العقاقير والادوية المزيل استعمالها تلك العلة الطارئة على شخصية هذا الطالب درجة الكمال من المعدنيات وهى الذهب فازالها فصح ومشى حتى لحق بدرجة الكمال ولكن لا يقوى فى الكمالية قوّة الصحيح الذى ما دخل جسمه مرض فان الجسد الذى يدخله المرض بعيد ان يتخلص ويبقى الخلوص الذى لا يشوبه كدر وهو الخلاص الاصلى كيحيى فى الانبياء وآدم عليهما السلام ولم يكن الغرض الا درجة الكمال الانسانى فى العبودية فان الله خلقه فى أحسن تقويم ثم ردّه الى أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فابقوا على الصحة الاصلية وذلك انه فى طبيعته اكتسب علل الاعراض وأمراض الاغراض فأراد هذا الحكيم أن يردّه الى أحسن تقويم الذى خلقه الله عليه فهذا كان قصد الشخص العاقل بمعرفة هذه الصنعة المسماة بالكيمياء وليست سوى معرفة المقادير والاوزان فان الانسان لما خلقه الله وهو آدم أصل هذه النشأة الانسانية والصورة الجسمية الطبيعية العنصرية ركب جسده من حار وبارد ورطب ويابس بل من بارد يابس وبارد رطب وحار رطب وحار يابس وهى الاخلاط الاربعة السوداء والبلغم والدم والصفراء كما هى فى جسم العالم الكبير النار والهواء والماء والتراب فخلق الله

جسم آدم من طين وهو مزج الماء بالتراب ثم نفخ فيه نفسا وروحا واقد ورد فى النبوّة الاولى فى بعض الكتب المنزلة على نبى فى بنى اسرائيل ماأذكر نصه الآن فان الحاجة مست الى ذكره فان أصدق الاخبار ماروى عن الله تعالى فروينا عن مسلمة بن وضاح مسندا اليه وكان من أهل قرطبة فقال قال الله فى بعض ما أنزله على أنبياء بنى اسرائيل انى خلقت يعنى آدم من تراب وماء ونفخت فيه نفسا وروحا فسوّيت جسده من قبل التراب ورطوبته من الماء وحرارته من النفس وبرودته من الروح قال ثم جعلت فى الجسد بعد هذا أربعة أنواع أخر لاتقوم واحدة منهن الا بالاخرى وهى المرّتان والدم والبلغم ثم أسكنت بعضهن فى بعض فجعلت مسكن اليبوسة فى المرة السوداء ومسكن الحرارة فى المرّة الصفراء ومسكن الرطوبة فى الدم ومسكن البرودة فى البلغم ثم قال جل ثناؤه فاى جسد اعتدلت فيه هذه الاخلاط كملت صحته واعتدلت بنيته فان زادت واحدة منهن على الأخرى وقهرتهن دخل السقم على الجسد بقدر مازادت واذا كانت ناقصة ضعفت عن مقاومتهن فدخل السقم بغلبتهن اياها وضعفها عن مقاومتهن فعلم الطب أن يزيد فى الناقص أو ينقص من الزائد طلب الاعتدال فى كلام طويل عن الله تعالى ذكرناه فى الموعظة الحسنة فكان هذا الامام من أعلم الناس بهذا النشء الطبيعى وبالعالم العلوى فيه من الآثار المودعة فى أنوار الكواكب وسباحتها وهو الامر الذى أوحى الله فى السموات وفى اقترانانها وهبوطها وصعودها وأوجها وحضيضها قال تعالى وأوحى فى كل سماء أمرها وقال فى الارض وقدّر فيها أقواتها وكان لهذا الشخص فيما ذكرناه مجال رحب وباع متسع وقدم راسخة لكن ماتعدت قوّته فى النظر الفلك السابع من باب الذوق والحال لكن حصل له مافى الفلك المكوكب والاطلس بالكشف والاطلاع وكان الغالب عليه قلب الاعيان فى زعمه والاعيان لاتنقلب عندنا جملة واحدة فكان هذا الشخص لايبرح يسبح بروحانيته من حيث رصده وفكره مع المقابل فى درجه ودقائقه وكان عنده من أسرار احياء الموات عجائب وكان مما خصه الله به أنه ماحل بموضع قد أجدب الا أوجد الله فيه الخصب والبركة كما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خضر رضى الله عنه وقد سئل عن اسمه بخضر فقال صلى الله عليه وسلم ماقعد على فروة الا اهتزت تحته خضراء وكان هذا الامام له تلميذ كبير فى المعرفة الذاتية وعلم القوّة وكان يتلطف باصحابه فى التنبيه عليه ويستر عن عامة أصحابه ذلك خوفا عليه منهم ولذلك سمى مداوى الكلوم كما استكتم يعقوب يوسف عليهما السلام حذرا عليه من اخوته وكان يشغل عامّة أصحابه بعلم التدبير ومثل ذلك مما يشاكل هذا الفن من تركيب الارواح فى الاجساد وتحليل الاجساد وتأليفها بخلع صورة عنها وخلع صورة عليها ليقفوا من ذلك على صنعة الله العليم الحكيم وعن هذا القطب خرج علم العالم وكونه انسانا كبيرا وان الانسان مختصره فى الجرمية مضاهيه فى المعنى فاخبرنى الروح الذى أخذت منه ما أودعته فى هذا الكتاب انه جمع أصحابه يوما فى دسكرة وقام فيهم خطيبا وكانت عليه مهابة فقال افهموا عنى ما أرمزه لكم فى مقامى هذا وفكروا فيه واستخرجوا كنزه والساع زمانه فى أىّ عالم هو وانى لكم ناصح وما كل بادرى بذاع فانه لكل علم أهل يختصون بهم ومايمكن الانفراد ولايسع الوقت فلابدّ أن يكون فى الجمع فطر مختلفة وأذهان غير مؤتلفة والمقصود من الجماعة واحد اياه أقصد بكلامى وبيده مفتاح رمزى ولكل مقام مقال ولكل علم رجال ولكل وارد حال فافهموا عنى ماأقول وعوا ماتسمعون فبنور النور أقسمت وبروح الحياة وحياة الروح آليت انى عنكم لمنقلب من حيث جئت وراجع الى الاصل الذى عنه وجدت فقد طال مكثى فى هذه الظلمة وضاق نفسى بترادف هذه الغمة وانى سألت الرحلة عنكم وقد أذن لى فى الرحيل فاثبتوا على كلامى فتعقلون ماأقول بعد انقضاء سنين عينها وذكر عددها فلاتبرحوا حتى آتيكم بعد هذه المدّة وان برحتم فلتسرعوا الى هذا المجلس الكرّة وان لطف معناه وغلب على الحرف معناه فالحقيقة الحقيقة والطريقة الطريقة فقد أشتركت الجنة والدنيا فى اللبن والبناء وان كانت الواحدة من طين وتبن والاخرى من عسجد ولجين هذا ما كان من وصيته لبنيه وهذه مسئلة عظيمة رمزها وراح فمن عرفها استراح ولقد دخلت يوما بقرطبة على قاضيها أبى الوليد بن رشد وكان يرغب فى لقائى لما سمع وبلغه مافتح الله به علىّ فى خلوتى فكان يظهر التعجب مما سمع فبعثنى والدى اليه فى حاجة قصدا منه حتى يجتمع بى فانه كان من أصدقائه وأنا صبىّ مابقل

وجهي ولا طرّ شاربي فعندما دخلت عليه قام من مكانه اليّ محبة واعظاما فعانقني وقال لي نعم قلت له نعم فزاد فرحه بي لفهمي عنه ثم اني استشعرت بما أفرحه من ذلك فقلت له لا فانقبض وتغير لونه وشك فيما عنده وقال كيف وجدتم الامر في الكشف والفيض الالهي هل هو ما أعطاه لنا النظر قلت له نعم لا وبين نعم ولا تطير الارواح من موادّها والاعناق من أجسادها فاصفرّ لونه وأخذه الافكل وقعد يحوقل وعرف ما أشرت به اليه وهو عين هذه المسئلة التي ذكرها هذا القطب الامام أعني مداوي الكلوم وطلب بعد ذلك من أبي الاجتماع بنا ليعرض ما عنده علينا هل هو يوافق أو يخالف فانه كان من أرباب الفكر والنظر العقلي فشكر الله تعالى الذي كان في زمان رأى فيه من دخل خلوته جاهلا وخرج مثل هذا الخروج من غير درس ولا بحث ولا مطالعة ولا قراءة وقال هذه حالة أثبتناها وما رأينا لها أربابا فالحمد لله الذي أنا في زمان فيه واحد من أربابها الفاتحين مغالق أبوابها والحمد لله الذي خصني برؤيته ثم أردت الاجتماع به مرة ثانية فاقيم لي رحمه الله في الواقعة في صورة ضرب بيني وبينه فيها حجاب رقيق أنظر اليه منه ولا يبصرني ولا يعرف مكاني وقد شغل بنفسه عني فقلت انه غير مراد لما نحن عليه فما اجتمعت به حتى درج وذلك سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمدينة مراكش ونقل الى قرطبة وبها قبره ولما جعل التابوت الذي فيه جسده على الدابة جعلت تواليفه تعادله من الجانب الآخر وأنا واقف ومعي الفقيه الاديب أبو الحسين محمد بن جبير كاتب السيد أبي سعيد وصاحبي أبو الحكم عمرو ابن السراج الناسخ فالتفت أبو الحكم الينا وقال ألا تنظرون الى من يعادل الامام ابن رشد في مركوبه هذا الامام وهذه أعماله يعني تواليفه فقال له ابن جبير يا ولدي نعم ما نظرت لا فض فوك فقيدتها عندي موعظة وتذكرة رحم الله جميعهم وما بقي من تلك الجماعة غيري وقلنا في ذلك

هذا الامام وهذه أعماله * ياليت شعري هل أتت آماله

وكان هذا القطب مداوي الكلوم قد أظهر سرّ حركة الفلك وانه لو كان على غير هذا الشكل الذي أوجده الله عليه لم يصح أن يتكوّن شئ في الوجود الذي تحت حيطته وبين الحكمة الالهية في ذلك ليرى الالباب علم الله في الاشياء وانه بكل شئ عليم لا اله الا هو العليم الحكيم وفي معرفة الذات والصفات علم ما أشار اليه هذا القطب فلو تحرك غير المستدير لما عمر الخلاء بحركته وكانت احياز كثيرة تبقى في الخلاء فكان لا يتكوّن عن تلك الحركة تمام أمر وكان ينقص منه قدر ما نقص من عمارة تلك الاحياز بالحركة وذلك بمشيئة الله تعالى وحكمته الجارية في وضع الاسباب وأخبر هذا القطب ان العالم موجود ما بين المحيط والنقطة على مراتبهم وصغر أفلاكهم وعظمها وان الاقرب الى المحيط أوسع من الذي في جوفه فيومه أكبر ومكانه أفسح ولسانه أفصح وهو الى التحقق بالقوة والصفاء أقرب وما انحط الى العناصر نزل عن هذه الدرجة حتى الى كرة الارض وكل جزء في كل محيط يقابل ما فوقه وما تحته بذاته لا يزيد واحد على الآخر شئ وان اتسع الواحد وضاق الآخر وهذا من ايراد الكبير على الصغير والواسع على الضيق من غير أن يوسع الضيق أو يضيق الواسع والكل ينظر الى النقطة بذواتهم والنقطة مع صغرها تنظر الى كل جزء من المحيط بها بذاتها فالمختصر المحيط والمختصر منه النقطة وبالعكس فانظر ولما انحط الامر الى العناصر حتى انتهى الى الارض كثر عكره مثل الماء في الحب والزيت وكل مائع في الدن ينزل الى أسفله عكره ويصفو أعلاه والمعنى في ذلك ما يجده عالم الطبيعة من الحجب المانعة عن ادراك الانوار من العلوم والتجليات بكدورات الشهوات والشبهات الشرعية وعدم الورع في اللسان والنظر والسماع والمطعم والمشرب والملبس والمركب والمنكح وكدورات الشهوات بالانكباب عليها والاستفراغ فيها وان كانت حلالا وانما لم يمنع نيل الشهوات في الآخرة وهي أعظم من شهوات الدنيا من التجلي لان التجلي هنالك على الابصار وليست الابصار بمحل للشهوات والتجلي هنا في الدنيا انما هو على البصائر والبواطن دون الظاهر والبواطن محل الشهوات ولا يجتمع التجلي والشهوة في محل واحد فلهذا اجنح العارفون والزهاد في هذه الدنيا الى التقليل من نيل شهواتها والشغل بكسب حطامها وهذا الامام هو الذي أعلم أصحابه ان ثم رجالا سبعة يقال لهم الابدال يحفظ الله بهم الاقاليم السبعة لكل بدل اقليم واليهم تنظر روحانيات السموات السبع ولكل شخص منهم قوة

من روحانيات الانبياء الكائنين في هذه السموات وهم ابراهيم الخليل يليه موسى يليه هرون يتلوه ادريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم سلام الله عليهم أجمعين وأمّا يحيى فله تردّد بين عيسى و بين هرون فينزل على قلوب هؤلاء الابدال السبعة من حقائق هؤلاء الانبياء عليهم السلام وتنظر اليهم هذه الكواكب السبعة بما أودع الله تعالى في سباحتها في أفلاكها وبما أودع الله في حركات هذه السموات السبع من الاسرار والعلوم والآثار العلوية والسفلية قال تعالى وأوحى في كل سماء أمرها فلهم في قلوبهم في كل ساعة وفي كل يوم بحسب مايعطيه صاحب تلك الساعة وسلطان ذلك اليوم فكل أمر علمي يكون في يوم الاحد فمن مادّة ادريس عليه السلام وكل أثر علوي يكون في ذلك اليوم في عنصر الهواء والنار فمن سباحة الشمس ونظرها وما اودع من الله تعالى فيها ومايكون من أثر في عنصر الماء والتراب في ذلك اليوم فمن حركة الفلك الرابع وموضع هذا الشخص الذي يحفظه من الاقاليم الاقليم الرابع فما يحصل لهذا الشخص المخصوص من الابدال بهذا الاقليم من العلوم علم أسرار الروحانيات وعلم النور والضياء وعلم البرق والشعاع وعلم كل جسم مستنير ولماذا استنار وما المزاج الذي أعطاه هذا القبول مثل الحباحب من الحيوان وكاصول شجر التين من النبات وكحجر المهى والياقوت و بعض لحوم الحيوان وعلم الكمال في المعدن والنبات والحيوان والانسان والملك وعلم الحركة المستقيمة حيثما ظهرت في حيوان أونبات وعلم معالم التأسيس وانفاس الانوار وعلم خلع الارواح المدبرات وايضاح الامور المبهمات وحل المشكل من المسائل الغامضة وعلم النغمات الفلكية والدولابية وأصوات آلات الطرب من الاوتار وغيرها وعلم المناسبة بينها و بين طبائع الحيوان وماللنبات منها وعلم ماإليه تنتهي المعاني الروحانية والروائح العطرية وما المزاج الذي عطرها ولماذا ترجع وكيف ينقلها الهواء الى الادراك الشمي وهل هو جوهر او عرض كل ذلك يناله ويعلمه صاحب ذلك الاقليم في ذلك اليوم وفي سائر الايام في ساعات حكم حركة ذلك الفلك وحكم مافيه من الكواكب ومافيه من روحانية النبي هكذا الى تمام دورة الجمعة وكل أمر علمي يكون في يوم الاثنين فمن روحانية آدم عليه السلام وكل أثر علوي في عنصر الهواء والنار فمن سباحة القمر وكل أثر سفلي في عنصر الماء والتراب فمن حركة فلك السماء الدنيا ولهذا الشخص الاقليم السابع فما يحصل لهذا البدل من العلوم في نفسه في يوم الاثنين وفي كل ساعة من ساعات أيام الجمعة مما يكون لهذا الفلك حكم فيها علم السعادة والشقاء وعلم الاسماء وما لها من الخواص وعلم المد والجزر والربو والنقص وكل أمر علمي يكون في يوم الثلاثاء فمن روحانية هارون عليه السلام وكل أثر علوي في عنصر النار والهواء فمن روحانية الاحمر وكل أثر سفلي في ركن الماء والتراب فمن حركة الفلك الخامس ولهذا البدل من الاقاليم الاقليم الثالث فما يعطيه من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الايام علم تدبير الملك وسياسته وعلم الحمية والحماية وترتيب الجيوش والقتال ومكايد الحروب وعلم القرابين وذبح الحيوان وعلم أسرار أيام النحر وسريانه في سائر البقاع وعلم الهدى والضلال وتميز الشبهة من الدليل وكل أمر علمي يكون في يوم الاربعاء فمن روحانية عيسى عليه السلام وهو يوم النور وكان له نظر الينا في دخولنا في هذا الطريق التي نحن اليوم عليها وكل أثر في عنصر النار والهواء فمن روحانية سباحة الكاتب في فلكه وكل أثر سفلي في ركن الماء والتراب فمن حركة فلك السماء الثانية وللبدل صاحب هذا اليوم الاقليم السادس ومما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعته من الايام علم الاوهام والالهام والوحي والآراء والاقيسة والرؤيا والعبادة والاختراع الصناعي والعطردة وعلم الغلط الذي يعلق بعين الفهم وعلم التعاليم وعلم الكتابة والآداب والزجر والكهانة والسحر والطلسمات والعزائم وكل أمر علمي يكون في يوم الخميس فمن روحانية موسى عليه السلام وكل أثر علوي في ركن النار والهواء فمن سباحة المشتري وكل أثر سفلي في عنصر الماء والتراب فمن حركة فلكه ولهذا البدل من الاقاليم الاقليم الثاني ومما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الايام علم النبات والنواميس وعلم أسباب الخير ومكارم الاخلاق وعلم القربات وعلم قبول الاعمال وأين ينتهي بصاحبها وكل أمر علمي يكون في يوم الجمعة يكون لهذا الشخص الذي يحفظ الله به الاقليم الخامس فمن روحانية يوسف عليه السلام وكل أثر علوي يكون في ركن النار والهواء فمن نظر كوكب الزهرة

وكل أثر سفلي في ركن الماء والارض فمن حركة فلك الزهرة وهو من الامر الذي أوحى الله في كل سماء وهذه الآثار هي الامر الالهي الذي يتنزل بين السماء والارض وهو في كل ماية وله بينهما بين السماء بما ينزل منها وبين الارض بما تقبل من هذا النزول كما يقبل رحم الانثى الماء من الرجل للتكوين والهواء الرطب من الطير قال تعالى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير والقدرة ما لها تعلق الا بالايجاد فعلمنا ان المقصود بهذا التنزل انما هو التكوين ومما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الايام علم التصوير من حضرة الجمال والانس وعلم الاحوال وكل أمر علمي يكون في يوم السبت لهذا البدل الذي له حفظ الاقليم الاول فمن روحانية ابراهيم الخليل عليه السلام ومايكون فيه من أثر علوي في ركن النار والهواء فمن حركة كوكب كيوان في فلكه وما كان من أثر في العالم السفلي ركن الارض والماء فمن حركة فلكه يقول تعالى في الكواكب السيارة كل في فلك يسبحون وقال تعالى وبالنجم هم يهتدون خلقها للاهتداء بها ومما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من باقي الايام ليلا ونهارا علم الثبات والتمكين وعلم الدوام والبقاء وعلم هذا الامام بمقامات هؤلاء الابدال وهجيراهم وقال ان مقام الاول وهجيره ليس كمثله شئ وسبب ذلك كون الاولية له اذ لو تقدم له مثل لما صحت له الاولية فذكره مناسب لمقامه ومقام الشخص الثاني في هجيره لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي وهو مقام العلم الالهي وتعلقه لا ينتهي وهو الثاني من الاوصاف فان أول الاوصاف الحياة ويليه العلم وهجير الشخص الثالث ومقامه وفي أنفسكم أفلا تبصرون وهي المرتبة الثالثة فان الآيات الاول هي الاسماء الالهية والآيات الثواني في الآفاق والآيات التي تلي الثواني في أنفسنا قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم فلهذا اختص بهذا الهجير الثالث من الابدال ومقام الرابع في هجيره ياليتني كنت ترابا وهو الركن الرابع من الاركان الذي يطلب المركز عند من يقول به فليس لنقطة الاكرة أقرب من الارض وتلك النقطة كانت سبب وجود المحيط فهو يطلب القرب من الله موجد الاشياء ولا يحصل الا بالتواضع ولا أنزل في التواضع من الارض وهي منابع العلوم وتفجر الانهار وكل ماينزل من المعصرات فانما هو من بخارات الرطوبات التي تصعد من الارض فمنها تتفجر العيون والانهار ومنها تخرج البخارات الى الجو فتستحيل ماء فينزل غيثا فلهذا اختص الرابع بالرابع من الاركان ومقام الخامس فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ولا يسأل الا المولود فانه في مقام الطفولة من الطفل وهو التسد اقال تعالى أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ فلا يعلم حتى يسأل فالولد في المرتبة الخامسة لان أمهاته أربعة وهن الاركان فكان هو العين الخامسة فلهذا كان السؤال هجير البدل الخامس من بين الابدال وأما مقام السادس فهجيره أفوض أمري الى الله وهي المرتبة السادسة فكانت للسادس وانما كانت السادسة له لانه في المرتبة الخامسة كما ذكرنا يسأل وقد كان لا يعلم فعندما سأل علم ولما علم تحقق بعلمه بربه ففوض أمره اليه لانه علم ان أمره ليس بيده منه شئ وان الله يفعل مايريد فقال قد علمت ان الله لما ملكني أمري وهو يفعل مايريد علمت ان التفويض في ذلك أرجح لي فلذلك اتخذه هجيرا ومقام السابع انا عرضنا الامانة وذلك ان لها الرتبة السابعة وكان أيضا تكوين آدم المعبر عنه بالانسان في الرتبة السابعة فانه عن عقل ثم نفس ثم هباء ثم فلك ثم فاعلان ثم منفعلان فهذه ستة ثم تكون الانسان الذي هو آدم في الرتبة السابعة ولما كان وجود الانسان في السنبلة ولها من الزمان في الدلالة سبعة آلاف سنة فوجد الانسان في الرتبة السابعة من المدة فحمل الامانة الامن تحقق بالسبعة وكان هذا هو السابع من الابدال فلذلك اتخذ هجيراه هذه الآية فهذا قد بينا لك مراتب الابدال وأخبرت ان هذا القطب الذي هو مداوي الكلوم كان في زمان حبسه في هيكله وولايته في العالم اذا وقف وقف لوقفته سبعون قبيلة كلهم قد ظهرت فيهم المعارف الالهية وأسرار الوجود وكان ابدا لايتعدى كلامه السبعة ومكث زمانا طويلا في أصحابه وكان يعين في زمانه من أصحابه شخصا فاضلا كان أقرب الناس اليه مجلسا كان اسمه المستلم فلما درج هذا الامام ولي مقامه في القطبية المستلم وكان غالب علمه علم الزمان وهو علم شريف منه يعرف الازل ومنه ظهر قوله عليه السلام كان الله ولا شئ معه وهذا علم لا يعلمه الا الافراد من الرجال وهو المعبر عنه بالدهر الاول

ودهر الدهور وعن هذا الازل وجد الزمان وبه تسمى الله بالدهر وهو قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر والحديث صحيح ثابت ومن حصل له علم الدهر لم يقف في شئ ينسبه الى الحق فان له الاتساع لا عظم ومن هذا العلم تعددت المقالات في الاله ومنه اختلفت العقائد وهذا العلم يقبلها كلها ولا يرد منها شيأ وهو العلم العام وهو الظرف الالهي وأسراره عجيبة ماله عين موجودة وهو في كل شئ حاكم يقبل الحق نسبته ويقبل الكون نسبته هو سلطان الاسماء كلها المعينة والمغيبة عندنا فكان لهذا الامام فيه اليد البيضاء وكان له من علمه بدهر الدهور علم حكمة الدنيا في لعبها باهلها ولم يسمي لعبا والله أوجده وكثيرا ما ينسب اللعب الى الزمان فيقال لعب الزمان باهله وهو متعلق السابقة وهو الحاكم في العاقبة وكان هذا الامام يذم الكسب ولا يقول به مع معرفته بحكمته ولكن كان يرقي بذلك همم أصحابه عن التعلق بالوسائط أخبرت انه ما مات حتى علم من أسرار الحق في خلقه ستة وثلاثين ألف علم وخمسمائة علم من العلوم العلوية خاصة ومات رحمه الله وولي بعده شخص فاضل اسمه مظهر الحق عاش مائة وخمسين سنة ومات وولي بعده المائح وكان كبير الشان ظهر بالسيف عاش مائة وأربعين سنة مات مقتولا في غزاة كان الغالب على حاله من الاسماء الالهية القهار ولما قتل ولي بعده شخص يقال له لقمان والله أعلم وكان يلقب واضع الحكم عاش مائة وعشرين سنة كان عارفا بالترتيب والعلوم الرياضية والطبيعية والالهية وكان كثير الوصية لاصحابه فان كان هو لقمان فقد ذكر الله لنا ما كان يوصي به ابنه مما يدل على رتبته في العلم بالله وتحريضه على القصد والاعتدال في الاشياء في عموم الاحوال ولما مات رحمه الله وكان في زمان داود عليه السلام ولي بعده شخص اسمه الكاسب وكانت له قدم راسخة في علم المناسبات بين العالمين والمناسبة الالهية التي وجد لها العالم على هذه الصورة التي هو عليها كان هذا الامام اذا أراد اظهار أثر ما في الوجود نظر في نفسه الى المؤثر فيه من العالم العلوي نظرة مخصوصة على وزن معلوم فيظهر ذلك الاثر من غير مباشرة ولا حيلة طبيعية وكان يقول ان الله أودع العلم كله في الافلاك وجعل الانسان مجموع رقائق العالم كله فمن الانسان الى كل شئ في العالم رقيقة ممتدة من تلك الرقيقة يكون من ذلك الشئ في الانسان ما أودع الله عند ذلك الشئ من الامور التي أمنه الله عليها ليؤديها الى هذا الانسان وبتلك الرقيقة يحرك الانسان العارف ذلك الشئ لما يريده فما من شئ في العالم الا وله أثر في الانسان وللانسان أثر فيه فكان لهذا كشف هذه الرقائق ومعرفتها وهي مثل أشعة النور وعاش هذا الامام ثمانين سنة ولما مات ورثه شخص يسمى جامع الحكم عاش مائة وعشرين سنة له كلام عظيم في أسرار الابدال والشيخ والتلميذ وكان يقول بالاسباب وكان قد أعطى أسرار النبات وكان له في كل علم يختص باهل هذه الطريق قدم وفيما ذكرناه في هذا الباب غنية والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب السادس عشر﴾

في معرفة المنازل السفلية والعلوم الكونية ومبدأ معرفة الله منها ومعرفة الاوتاد والابدال ومن تولاهم من الارواح العلوية وترتيب افلاكها

علم الكثائف اعلام مرتبة * هي الدليل على المطلوب للرسل
وهي التي حجبت أسرار ذي عمه * وهي التي كشفت معالم السبل
لها من العالم العلوي سبعته * من الهلال وخذ علوا الى زحل
لولا الذي أوجد الاوتاد أربعة * رمى بها الارض فابرزت من الميل
لما استقر عليها من يكون بها * فاعجب له مثلا تأتيك من مثل

اعلم أيدك الله انا قد ذكرنا في الباب الذي قبل هذا منازل الابدال ومقاماتهم ومن تولاهم من الارواح العلوية وترتيب افلاكها وما للنيرات فيهم من الآثار وما لهم من الاقاليم فلنذكر في هذا الباب ما بقي مما ترجمت عليه المنازل السفلية هنا عبارة عن الجهات الاربع التي يأتي منها الشيطان الى الانسان وسميناها سفلية لان الشيطان من عالم السفل فلا يأتي الى الانسان الا من المنازل التي تناسبه وهي اليمين والشمال والخلف والامام قال تعالى ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن

خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ويستعين على الانسان بالطبع فانه المساعد له فيما يدعوه اليه من اتباع الشهوات فامر الانسان أن يقاتله من هذه الجهات وأن يحصن هذه الجهات بما أمره الشرع أن يحصنها به حتى لا يجد الشيطان الى الدخول اليه منها سبيلا فان جاءك من بين يديك وطردته لاحت لك من العلوم علوم النور منة من الله عليك وجزاء حيث آثرت جناب الله على هواك وعلوم النور على قسمين علوم كشف وعلوم برهان بصحيح فكر فيحصل له من طريق البرهان ما يرد به الشبه المضلة القادحة فى وجود الحق وتوحيده وأسمائه وأفعاله فبالبرهان يرد على المعطلة ويدل على اثبات وجود الاله وبه يرد على أهل الشرك الذين يجعلون مع الله الها آخر ويدل على توحيد الاله من كونه الها وبه يرد على من ينفى أحكام الاسماء الالهية وصحة آثارها فى الكون ويدل على اثباتها بالبرهان السمعى من طريق الاطلاق وبالبرهان العقلى من طريق المعانى وبه يرد على نفاة الافعال من الفلاسفة ويدل على أنه سبحانه فاعل وان المفعولات مرادة له سمعا وعقلا وأما علوم الكشف فهو ما يحصل له من المعارف الالهية فى التجليات فى المظاهر وان جاءك من خلفك وهو ما يدعوك اليه أن تقول على الله ما لا تعلم وتدعى النبوّة والرسالة وان الله قد أوحى اليك وذلك ان الشيطان انما ينظر فى كل ملة كل صفة علق الشارع المذمة عليها فى تلك الامة فيأمرك بها وكل صفة علق المحمدة عليها نهاك عنها هذا على الاطلاق والملك على النقيض منه يأمرك بالمحمود منها وينهاك عن المذموم فاذا طردته من خلفك لاحت لك علوم الصدق ومنازله وأين يترقى بصاحبه كما قال تعالى فى مقعد صدق الا ان ذلك صدقهم هو الذى أقعدهم ذلك المقعد عند مليك مقتدر فان الاقتدار يناسب الصدق فان معناه القوى يقال رمح صدق أى صلب قوى ولما كانت القوّة صفة هذا الصادق حيث قوى على نفسه فلم يتزين بما ليس له والتزم الحق فى أقواله وأحواله وأفعاله وصدق فيها أقعده الحق عند مليك مقتدر أى أطلعه على القوّة الالهية التى أعطته القوّة فى صدقه الذى كان عليه فان الملك هو الشديد أيضا فهو مناسب للمقتدر قال قيس بن الخطيم يصف طعنة

ملكت بها كفى فانهرت فتقها * يرى قائم من دونها ما وراءها

أى شددت كفى بها يقال ملكت العجين اذا شددت عجنه فيحصل لك اذا خالفته فى هذا الامر الذى جاءك به علم تعلق الاقتدار الالهى بالايجاد وهى مسئلة خلاف بين أهل الحقائق من أصحابنا ويحصل لك علم العصمة والحفظ الالهىّ حتى لا يؤثر فيك وهمك ولا غيرك فتكون خالصا لربك وان جاءك من جهة اليمين فقويت عليه ودفعته فانه اذا جاءك من هذه الجهة الموصوفة بالقوّة فانه يأتى اليك ليضعف ايمانك ويقينك ويلقى عليك شبها فى أدلتك ومكاشفاتك فانه له فى كل كشف يطلعك الحق عليه أمرا من عالم الخيال ينصبه لك مشابها الحالك الذى أنت به فى وقتك فان لم يكن لك علم قوى بما تميز به بين الحق وما يخيله لك فتكون موسوى المقام والا التبس عليك الامر كما خيلت السحرة للعامّة ان الحبال والعصىّ حيات ولم تكن كذلك وقد كان موسى عليه السلام لما ألقى عصاه فكانت حية تسعى خاف منها على نفسه على مجرى العادة وانما قدم الله بين يديه معرفة هذا قبل جمع السحرة ليكون على يقين من الله انها آية وانها لا تضره وكان خوفه الثانى عندما ألقت السحرة الحبال والعصى فصارت حيات فى أبصار الحاضرين على الامة لئلا يلتبس عليهم الامر فلا يفرقون بين الخيال والحقيقة أو بين ما هو من عند الله وبين ما ليس من عند الله فاختلف تعلق الخوفين فانه عليه السلام على بينة من ربه قوىّ الجاش بما تقدم له اذ قيل له فى الالقاء الاوّل خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى أى ترجع عصا كما كانت فى عينك فأخفى تعالى العصا فى روحانية الحية البرزخية فتلقفت جميع حيات السحرة المتخيلة فى عيون الحاضرين فلم يبق لتلك الحبال والعصىّ عين ظاهرة فى أعينهم وهى ظهور حجته على حججهم فى صور حبال وعصىّ فأبصرت السحرة والناس حبال السحرة وعصيهم التى ألقوها حبالا وعصيا فهذا كان تلقفها الا انها انعدمت الحبال والعصىّ اذ لو انعدمت لدخل عليهم التلبيس فى عصا موسى وكانت الشبهة تدخل عليهم فلما رأى الناس الحبال حبالا علموا أنها مكيدة طبيعية يعضدها قوّة كيدية روحانية فتلقفت عصا موسى صورا الحيات من الحبال والعصى كما يبطل كلام الخصم اذا كان على غير حق أن يكون حجة لا ان ما أتى به ينعدم بل يبقى محفوظا معقولا

عند

عند السامعين و يزول عندهم كونه حجة فلما علمت السحرة قدر ما جاء به موسى من قوة الحجة وانه خارج عما جاؤا به وتحققت شفوف ما جاء به على ما جاؤا به ورأوا خوفه علموا ان ذلك من عند الله ولو كان من عنده لم يخف لانه يعلم ما يجرى فآيته عند السحرة خوفه وآيته عند الناس تلقف عصاه فآمنت السحرة قيل كانوا ثمانين ألف ساحر وعلموا ان أعظم الآيات في هذا الموطن تلقف هذه الصور من أعين الناظرين وابقاء صورة حية عصا موسى في أعينهم والحال عندهم واحدة فعلموا صدق موسى فيما يدعوهم اليه وان هذا الذى أتى به خارج عن الصور والحيل المعلومة في السحر فهو أمر الهى ليس لموسى عليه السلام فيه تعمل فصدقوا برسالته على بصيرة واختاروا عذاب فرعون على عذاب الله وآثروا الآخرة على الدنيا وعلموا من علمهم بذلك ان الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما وان الحقائق لا تتبدل وأن عصا موسى مبطونة في صورة الحية عن أعين الجميع وعن الذى ألقاها بخوفه الذى شهدوا منه فهذه فائدة العلم وان جاءك الشيطان من جهة الشمال بشبهات التعطيل أو وجود الشريك لله تعالى في الوهيته فطردته فان الله يقويك على ذلك بدلائل التوحيد وعلم النظر فان الخلف للمعطلة ودفعهم بضرورة العلم الذى يعلم به وجود الباري فالخلف للتعطيل والشمال للشرك واليمين للضعف ومن بين أيديهم التشكيك في الحواس ومن هنا دخل التلبيس على السوفسطائية حيث أدخل لهم الغلط في الحواس وهى التى يستند اليها أهل النظر في صحة أدلتهم والى البديهيات في العلم الالهى وغيره فلما أظهر لهم الغلط في ذلك قالوا ما ثم علم أصلا يوثق به فان قيل لهم فهذا علم بأنه ما ثم علم فما مستندكم وأنتم غير قائلين به قالوا وكذلك نقول ان قولنا هذا ليس بعلم وهو من جملة الاغاليط يقال لهم فقد علمتم ان قولكم هذا ليس بعلم وقولكم ان هذا أيضا من جملة الاغاليط اثبات ما نفيتموه فادخل عليهم الشبه فيما يستندون اليه في تركيب مقدماتهم في الادلة ويرجعون اليه فيها ولهذا عصمنا الله من ذلك فلم يجعل للحس غلطا جملة واحدة وان الذى يدركه الحس حق فانه موصل ما هو حاكم بل شاهد وانما العقل هو الحاكم والغلط منسوب الى الحاكم في الحكم ومعلوم عند القائلين بغلط الحس وغير القائلين به ان العقل يغلط اذا كان النظر فاسدا أعنى نظر الفكر فان النظر ينقسم الى صحيح وفاسد فهذا هو من بين أيديهم ثم لتعلم أن الانسان قد جعله الحق قسمين في ترتيب مدينة بدنه وجعل القلب بين القسمين منه كالفاصل بين الشيئين فجعل في القسم الاعلى الذى هو الرأس جميع القوى الحسية والروحانية وما جعل في النصف الآخر من القوى الحساسة الا حاسة اللمس فيدرك الخشن واللين والحار والبارد والرطب واليابس بروحه الحساس من حيث هذه القوة الخاصة السارية في جميع بدنه لا غير ذلك وأما من القوى الطبيعية المتعلقة بتدبير البدن فالقوة الجاذبة وبها تجذب النفس الحيوانية ما به صلاح العضو من الكبد والقلب والقوة الماسكة وبها تمسك ما جذبته الجاذبة على العضو حتى يأخذ منه ما فيه منافعه فان قلت فاذا كان المقصود المنفعة فمن أين دخل المرض على الجسد فاعلم ان المرض من الزيادة على ما يستحقه من الغذاء أو النقص عما يستحقه فهذه القوة ما عندها ميزان الاستحقاق فاذا جذبت زائدا على ما يحتاج اليه البدن أو نقصت عنه كان المرض فان حقيقتها الجذب ما حقيقتها الميزان فاذا أخذته على الوزن الصحيح فذلك لها بحكم الاتفاق ومن قوة أخرى لا بحكم القصد وذلك ليعلم المحدث نقصه وان الله يفعل ما يريد وكذلك فيه أيضا القوة الدافعة وبها يمرق البدن فان الطبيعة ما هى دافعة بمقدار مخصوص لانها تجهل الميزان وهى محكومة لامر آخر من فضول تطرأ في المزاج تعطيها القوة الشهوانية وكذلك أيضا هذا كله سار في جميع البدن علوا وسفلا وأما سائر القوى فمحلها النصف الاعلى وهو النصف الاشرف محل وجود الحياتين حياة الدم وحياة النفس فأى عضومات من هذه الاعضاء زالت عنه القوى التى كانت فيه من المشروط وجودها بوجود الحياة وما لم يمت العضو وطرأ على محل قوة ما خلل فان حكمها يفسد ويتخبط ولا يعطى علما صحيحا كمحل الخيال اذا طرأت فيه علة فالخيال لا يبطل وانما يبطل قبول الصحة فيما يراه علما وكذلك العقل وكل قوة روحانية وأما القوى الحسية فهى أيضا موجودة لكن طرأ حجب بينها وبين مدركاتها في العضو القائمة به من ماء ينزل في العين وغير ذلك وأما القوى ففي محالها ما زالت ولا برحت ولكن الحجب طرأت فمنعت فالاعمى يشاهد الحجاب وبراه وهو الظلمة التى يجدها فهى ظلمة الحجاب فشهد الحجاب وكذلك ذائق

العسل والسكر اذا وجده مرا فالمباشر للعضو القائم به قوة الذوق انما هو المرة الصفراء فلذلك أدرك المرارة فالحس يقول أدركت مرارة والحاكم ان أخطأ يقول هذا السكر مر وان أصاب عرف العلة فلم يحكم على السكر بالمرارة وعرف ما أدركت القوة وعرف ان الحس الذي هو الشاهد مصيب على كل حال وان القاضي يخطئ ويصيب

﴿فصل﴾ وأما معرفة الحق من هذا المنزل فاعلم ان الكون لا تعلق له بعلم الذات أصلا وانما متعلقه العلم بالمرتبة وهو مسمى الله فهو الدليل المحفوظ الاركان الشاهد على معرفة الاله وما يجب أن يكون عليه سبحانه من أسماء الافعال ونعوت الجلال وبأية حقيقة يصدر الكون من هذه الذات المنعوتة بهذه المرتبة المجهولة العين والكيف وعندنا الاختلاف في انها لا تعلم بل يطلق عليها نعوت تنزيه صفات الحدث وان القدم لها والازل الذي يطلق لوجودها انما هي أسماء تدل على سلوب من نفي الاولية وما يليق بالحدوث وهذا يخالفنا فيه جماعة من المتكلمين الاشاعرة ويتخيلون انهم قد علموا من الحق صفة نفسية ثبوتية وهيهات انى لهم بذلك وأخذت طائفة ممن شاهدناهم من المتكلمين كأبي عبد الله الكتاني وأبي العباس الاشقر والضرير السلاوي صاحب الارجوزة في علم الكلام على أبي سعيد الخراز وأبي حامد وأمثالهما في قولهم لا يعرف الله الا الله وانما اختلف أصحابنا في رؤية الله تعالى اذا رأيناه في الدار الآخرة بالابصار ما الذي نرى وكلامهم فيه معلوم عند أصحابنا وقد أوردنا تحقيق ذلك في هذا الكتاب مفرقا في أبواب منازله وغيرها بطريق الايماء لا بالتصريح فانه مجال ضيق تقف العقول فيه لما اقتضته أدلتها فهو المرئي سبحانه على الوجه الذي قاله وقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما أراده من ذلك فان الناظرين فيما قاله وأوحى به الينا اختلفوا في تأويله وليس بعض الوجوه بأولى من بعض فتركنا الخوض في ذلك اذ الخلاف فيه لا يرتفع من العالم بكلامنا ولا بما نورده فيه

﴿فصل﴾ وأما حديث الاوتاد الذي يتعلق معرفتهم بهذا الباب فاعلم ان الاوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم أربعة لا خامس لهم وهم أخص من الابدال والامامان أخص منهم والقطب هو أخص الجماعة والابدال في هذا الطريق لفظ مشترك يطلقون الابدال على من تبدلت أوصافه المذمومة بالمحمودة ويطلقونه على عدد خاص وهم أربعون عند بعضهم لصفة يجتمعون فيها ومنهم من قال عددهم سبعة والذين قالوا سبعة منا من جعل السبعة الابدال خارجين عن الاوتاد متميزين ومنا من قال ان الاوتاد الاربعة من الابدال فالابدال سبعة ومن هذه السبعة أربعة هم الاوتاد واثنان هما الامامان وواحد هو القطب وهذه الجملة هم الابدال وقالوا سموا ابدالا لكونهم اذا مات واحد منهم كان الآخر بدله ويؤخذ من الاربعين واحد وتكمل الاربعون بواحد من الثلاثمائة وتكمل الثلاثمائة بواحد من صالحي المؤمنين وقيل سموا ابدالا لانهم أعطوا من القوة أن يتركوا أبدالهم حيث يريدون لامر يقوم في نفوسهم على علم منهم فان لم يكن على علم منهم فليس من أصحاب هذا المقام فقد يكون من صالحاء الامة وقد يكون من الافراد وهؤلاء الاوتاد الاربعة لهم مثل ما للابدال الذين ذكرناهم في الباب قبل هذا روحانية الهية وروحانية آلية فمنهم من هو على قلب آدم والآخر على قلب ابراهيم والآخر على قلب عيسى والآخر على قلب محمد عليهم السلام فمنهم من تمده روحانية اسرافيل وآخر روحانية ميكائيل وآخر روحانية جبريل وآخر روحانية عزرائيل ولكل وتد ركن من أركان البيت فالذي على قلب آدم عليه السلام له الركن الشامي والذي على قلب ابراهيم له الركن العراقي والذي على قلب عيسى عليه السلام له الركن اليماني والذي على قلب محمد صلى الله عليه وسلم له ركن الحجر الاسود وهو لنا بحمد الله وكان بعض الاركان في زماننا الربيع بن محمود المارديني الحطاب فلما مات خلفه شخص آخر وكان الشيخ أبو علي الهواري قد أطلعه الله عليهم في كشفه قبل أن يعرفهم وتحقق صورهم فما مات حتى أبصر منهم ثلاثة في عالم الحس أبصر ربيعا المارديني وأبصر الآخر وهو رجل فارسي وأبصرنا ولازمنا الى ان مات سنة تسع وتسعين وخمسمائة أخبرني بذلك وقال لي ما أبصرت الرابع وهو رجل حبشي واعلم ان هؤلاء الاوتاد يحوون على علوم جمة كثيرة فالذي لا بد لهم من العلم به وبه يكونون أوتادا أفرادا من العلوم فمنهم من له خمسة عشر علما ومنهم من له ولا بد ثمانية عشر علما ومنهم من له أحد وعشرون علما ومنهم من له أربعة وعشرون علما فان أصناف العدد كثيرة هذا العدد من أصناف العلوم لكل واحد

منهم

منهم لابدله منــه وقد يكون الواحــد أوكلهم يجمع أو يجمعون علم الجماعة و زيادة ولكن الخاص لكل واحــد منهم ما ذكرنا من العدد فهو شرط فيه وقد لا يكون له ولا لواحد منهم علم زائد لامن الذى عند أصحابه ولا مما ليس عندهم فنهم من له الوجه وهو قوله تعالى عن ابليس ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولكل جهة وتد يشفع يوم القيامة فيمن دخل عليه ابليس من جهته فالذى له الوجه له من العلوم علم الاصطلام والوجــد والشوق والعشق وغامضات المسائل وعلم النظر وعلم الرياضة وعلم الطبيعة والعلم الالهى وعلم الميزان وعلم الانوار وعلم السبحات الوجهية وعلم المشاهدة وعلم الفناء وعلم تسخير الارواح وعلم استنزال الروحانيات العلى وعلم الحركة وعلم ابليس وعلم المجاهدة وعلم الحشر وعلم النشر وعلم موازين الاعمال وعلم جهنم وعــلم الصراط والذى له الشمال له علم الاسرار وعلم الغيوب وعلم الكنوز وعلم النبات وعلم المعدن وعلم الحيوان وعلم خفيات الامور وعلم المياه وعلم التكوين وعلم التلوين وعلم الرسوخ وعلم الثبات وعلم المقام وعلم القدم وعلم الفصول المقومة وعلم الاعيان وعلم السكون وعــلم الدنيا وعلم الجنــة وعلم الخلود وعلم التقلبات والذى له اليمين له عــلم البرازخ وعلم الارواح البرزخيــة وعلم منطق الطير وعــلم لسان الرياح وعلم التنزل وعلم الاستحالات وعلم الزجر وعــلم مشاهــدة الذات وعلم تحريك النفوس وعلم الميل وعلم المعراج وعلم الرسالة وعلم الكلام وعلم الانفاس وعلم الاحوال وعلم السماع وعلم الحيرة وعلم الهوى والذى له الخلف له علم الحياة وعلم الاحوال المتعلقة بالعقائد وعلم النفس وعلم التجلى وعلم المنصات وعلم النكاح وعلم الرحمــة وعلم التعاطف وعلم التودّد وعــلم الذوق وعلم الشرب وعلم الرى وعلم جواهر القرآن وعلم درر الفرقان وعــلم النفس الامارة فــكل شخص كما ذكرنا لابدله من هــذه العلوم فما زاد على ذلك فذلك من الاختصاص الالهى فهذا قد بينا مراتب الاوتاد كما فى الباب الذى قبله بينا ما يختص به الابدال و بينا فى فصل المنازل من هذا الكتاب ما يختص به القطب والامامان مستوفى الاصول فى باب يخصه وهو السبعون ومائتان من أبواب هذا الكتاب والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿الباب السابع عشر فى معرفة انتقال العلوم الكونية ونبذ من العلوم الالهية الممدّة الاصلية﴾

علوم الكون تنتقل انتقالا * وعــلم الوجــه لا يرجو زوالا
فنثبتها وننفيها جميعا * ونقطع نجــدها حالا فحالا
الهى كيف يعلمكم سواكم * ومثلك من تبارك أو تعالى
الهى كيف يعلمكم سواكم * وهــل غــير يكون لكم مثالا
ومن طلب الطريق بلا دليل * الهى لقـــد طلب المحالا
الهى كيف تهواكم قلوب * وما ترجــو التألف والوصالا
الهى كيف يعرفكم سواكم * وهل شئ ســواكم لا ولالا
الهى كيف تبصركم عيون * ولست النيرات ولا الظلالا
الهى لا أرى نفسى ســواكم * وكيف أرى المحال أو الضلالا
الهى أنت أنت وانّ انى * ليطلب من اياتــك النوالا
لفقر قام عندى من وجودى * تولد من غناك فكان حالا
وأطلعنى ليظهرنى اليــه * ولم يرنى ســواه فكنت آلا
ومن قصد السراب يريد ماء * يرى عـــين الحياة به زلالا
أنا الكون الذى لا شئ مثلى * ومن أنا منشــئه قبــل المثالا
وذا من أعجب الاشياء فانظر * عسالك ترى عمائله استحالا
فما فى الكون غير وجود فرد * تنزه أن يقاوم أو ينالا

اعلم أيدك الله ان كل مافى العالم منتقل من حال الى حال فعالم الزمان فى كل زمان منتقل وعالم الانفاس فى كل نفس وعالم التجلى فى كل تجل والعلة فى ذلك قوله تعالى كل يوم هو فى شأن وأيده بقوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان وكل انسان يجد من نفسه تنوّع الخواطر فى قلبه فى حركاته وسكناته فما من تقلب يكون فى العالم الاعلى والاسفل الا وهو عن توجه الهى بتجل خاص لتلك العين فيكون استناده من ذلك التجلى بحسب ماتعطيه حقيقته واعلم ان المعارف الكونية منها علوم مأخوذة من الاكوان ومعلوماتها أكوان وعلوم تؤخذ من الاكوان ومعلوماتها نسب والنسب ليست باكوان وعلوم تؤخذ من الاكوان ومعلومها ذات الحق وعلوم تؤخذ من الحق ومعلومها الاكوان وعلوم تؤخذ من النسب ومعلومها الاكوان وهذه كلها تسمى العلوم الكونية وهى تنتقل بانتقال معلوماتها فى أحوالها وصورة انتقالها أيضا ان الانسان يطلب ابتداء معرفة كون من الاكوان أو يتخذ دليلا على مطلوبه كونا من الاكوان فاذا حصل له ذلك المطلوب لاح له وجه الحق فيه ولم يكن ذلك الوجه مطلوباله فتعلق به هذا الطالب وترك قصده الاول وانتقل العلم بطلب مايعطيه ذلك الوجه فنهم من يعرف ذلك ومنهم من هو حاله هذا ولا يعرف ما انتقل عنه ولا ما انتقل اليه حتى ان بعض أهل الطريق زل فقال اذا رأيتم الرجل يقيم على حال واحدة أربعين يوما فاعلموا انه مراء ياعجبا وهل تعطى الحقائق أن يبقى أحد نفسين أو زمانين على حال واحدة فتكون الالوهية معطلة الفعل فى حقه هذا ما لا يتصوّر الا ان هذا العارف لم يعرف مايراد بالانتقال بكون الانتقال كان فى الامثال فكان ينتقل مع الانفاس من الشئ الى مثله فالتبست عليه الصورة بكونه ماتغير عليه من الشخص حاله الاوّل فى تخيله كما يقال فلان مازال اليوم ماشيا وماقعد ولا شك ان المشى حركات كثيرة متعددة وكل حركة ماهى عين الاخرى بل هى مثلها وعلمك ينتقل بانتقالها فيه ولم ماتغير عليه الحال وكم تغيرت عليه من الاحوال

﴿فصل﴾ وأمّا انتقالات العلوم الالهية فهو الاسترسال الذى ذهب اليه أبو المعالى امام الحرمين والتعلقات التى ذهب اليها محمد بن عمر بن الخطيب الرازى وأمّا أهل القدم الراسخة من أهل طريقنا فلا يقولون هنا بالانتقالات فان الاشياء عند الحق مشهودة معلومة الاعيان والاحوال على صورها التى تكون عليها ومنها اذا وجدت أعيانها الى مالا يتناهى فلا يحدث تعلق على مذهب ابن الخطيب ولا يكون استرسال على مذهب امام الحرمين رضى الله عن جميعهم والدليل العقلى الصحيح يعطى ماذهبنا اليه وهذا الذى ذكره أهل الله ووافقناهم عليه يعطيه الكشف من المقام الذى وراء طور العقل فصدق الجميع وكل قوة أعطت بحسبها فاذا أوجد الله الاعيان فانما أوجدها لها لا له وهى على حالاتها بما كنها وأزمنتها على اختلاف أمكنتها وأزمنتها فيكشف لها عن أعيانها وأحوالها شيأ بعد شئ الى مالا يتناهى على التتالى والتتابع فالامر بالنسبة الى الله واحد كما قال تعالى وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر والكثرة فى نفس المعدودات وهذا الامر قد حصل لنا فى وقت فلم يختل علينا فيه وكان الامر فى الكثرة واحدا عندنا ماغاب ولا زال وهكذا شهده كل من ذاق هذا فهم فى المثال كشخص واحد له أحوال مختلفة وقد صوّرت له صورة فى كل حال يكون عليها هكذا كل شخص وجعل بينك وبين هذه الصور حجاب فكشف لك عنها وأنت من جملة من له فيها صورة فادركت جميع مافيها عند رفع الحجاب بالنظرة الواحدة فالحق سبحانه ماعدل بها عن صورها فى ذلك الطبق بل كشف لها عنها وألبسها حالة الوجود لها فعاينت نفسها على ماتكون عليه أبدا وليس فى حق نظرة الحق زمان ماض ولا مستقبل بل الامور كلها معلومة له فى مراتبها بتعداد صورها فيها ومراتبها لا توصف بالتناهى ولا تنحصر ولا حدّ لها تقف عنده فهكذا هو ادراك الحق تعالى للعالم ولجميع الممكنات فى حال عدمها ووجودها فعليها تنوّعت الاحوال فى خيالها لا فى علمها فاستفادت من كشفها لذلك علما لم يكن عندها لاحالة لم تكن عليها فتحقق هذا فانها مسئلة خفية غامضة تتعلق بسر القدر القليل من أصحابنا من يعثر عليها وأمّا تعلق علمنا بالله تعالى فعلى قسمين معرفة بالذات الالهية وهى موقوفة على الشهود والرؤية لكنها رؤية من غير احاطة ومعرفة بكونه الها وهى موقوفة على أمرين أو أحدهما وهو الوهب والامر الآخر النظر والاستدلال وهذه هى المعرفة المكتسبة وأمّا العلم بكونه مختارا فان الاختيار يعارضه

أحدية المشيئة فنسبته الى الحق اذا وصف به انما ذلك من حيث ما هو الممكن عليه لا من حيث ما هو الحق عليه قال تعالى ولكن حق القول مني وقال تعالى أفمن حقت عليه كلمة العذاب وقال ما يبدل القول لدي وما أحسن ما تمم به هذه الآية وما أنا بظلام للعبيد وهنا نبه على سر القدر وبه كانت الحجة البالغة لله على خلقه وهذا هو الذي يليق بجناب الحق والذي يرجع الى الكون ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها فما شئنا ولكن استدراك للتوصيل فان الممكن قابل للهداية والضلالة من حيث حقيقته فهو موضع الانقسام وعليه يرد التقسيم وفي نفس الامر ليس لله فيه الأمر واحد وهو معلوم عند الله من جهة حال الممكن (مسئلة) ظاهر معقول الاختراع عدم المثال في الشاهد كيف يصح الاختراع في أمر لم يزل مشهودا له تعالى معلوما كما قررناه في علم الله بالاشياء في كتاب المعرفة بالله ﴿مسئلة﴾ الاسماء الالهية نسب واضافات ترجع الى عين واحدة اذ لا يصح هناك كثرة بوجود أعيان فيه كما زعم من لا علم له بالله من بعض النظار ولو كانت الصفات أعيانا زائدة وما هو اله الا بها لكانت الالوهية معلولة بها فلا يخلو أن تكون هي عين الاله فالشئ لا يكون علة لنفسه أو لا تكون فالله لا يكون معلولا لعلة ليست عينه فان العلة متقدمة على المعلول بالرتبة فيلزم من ذلك افتقار الاله من كونه معلولا لهذه الاعيان الزائدة التي هي علة له وهو محال ثم ان الشئ المعلول لا يكون له علتان وهذه كثيرة ولا يكون الها الا بها فبطل أن تكون الاسماء والصفات أعيانا زائدة على ذاته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ﴿مسئلة﴾ الصورة في المرآة جسد برزخي كالصورة التي يراها النائم اذا وافقت الصورة الخارجية وكذلك الميت والمكاشف وصورة المرآة أصدق ما يعطيه البرزخ اذا كانت المرآة على شكل خاص ومقدار جرم خاص فان لم تكن كذلك لم تصدق في كل ما تعطيه بل تصدق في البعض واعلم ان أشكال المرائي تختلف فتختلف الصور فلو كان النظر بالانعكاس الى المرئيات كما يراه بعضهم لادركها الرائي على ما هي عليه من كبر جرمها وصغره ونحن نبصر في الجسم الصقيل الصغير الصورة المرئية الكبيرة في نفسها صغيرة وكذلك الجسم الكبير الصقيل يكبر الصورة في عين الرائي ويخرجها عن حدها وكذلك العريض والطويل والمقوج فاذن ليست الانعكاسات تعطي ذلك فلم يمكن أن تقول الا ان الجسم الصقيل أحد الامور التي تعطي صور البرزخ ولهذا لا تتعلق الرؤية فيها الا بالمحسوسات فان الخيال لا يمسك الا ما له صورة محسوسة أو مركب من أجزاء محسوسة تركبها القوة المصورة فتعطي صورة لم يكن لها في الحس وجود أصلا لكن أجزاء ما تركبت منه محسوسة لهذا الرائي بلا شك ﴿مسئلة﴾ أكمل نشأة ظهرت في الموجودات الانسان عند الجميع لان الانسان الكامل وجد على الصورة لا الانسان الحيوان والصورة لها الكمال ولكن لا يلزم من هذا أن يكون هو الافضل عند الله فهو أكمل بالمجموع فان قالوا يقول الله لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ومعلوم انه لا يريد أكبر في الجرم ولكن يريد في المعنى قلنا له صدقت ولكن من قال انهما أكبر منه في الروحانية بل معنى السموات والارض من حيث ما يدل عليه كل واحدة منهما من طريق المعنى المنفرد من النظم الخاص لاجرامهما أكبر في المعنى من جسم الانسان لا من كل الانسان ولهذا يصدر عن حركات السموات والارض أعيان المولدات والتكوينات والانسان من حيث جرمه من المولدات ولا يصدر من الانسان هذا وطبيعة العناصر من ذلك فلهذا كانا أكبر من خلق الانسان اذ هما له كالابوين وهو من الامر الذي يتنزل بين السماء والارض ونحن انما ننظر في الانسان الكامل فنقول انه أكمل وأما أفضل عند الله فذلك لله تعالى وحده فان المخلوق لا يعلم ما في نفس الخالق الا باعلامه اياه ﴿مسئلة﴾ ليس للحق صفة نفسية ثبوتية الا واحدة لا يجوز أن يكون له اثنتان فصاعدا اذ لو كان لكانت ذاته مركبة منهما أو منهن والتركيب في حقه محال فاثبات صفة زائدة ثبوتية على واحدة محال (مسئلة) لما كانت الصفات نسبا واضافات والنسب أمور عدمية وما ثم الا ذات واحدة من جميع الوجوه لذلك جاز أن يكون العباد مرحومين في آخر الامر ولا يسرمد عليهم عدم الرحمة الى ما لا نهاية له اذ لا مكره له على ذلك والاسماء والصفات ليست أعيانا توجب حكما عليه في الاشياء فلا مانع من شمول الرحمة للجميع ولا سيما وقد ورد سبقها الغضب فاذا انتهى الغضب اليها كان الحكم لها فكان الامر على ما قلناه لذلك قال تعالى ولو شاء ربك

لهدى الناس جميعا فكان حكم هذه المشيئة في الدنيا بالتكليف وأما في الآخرة فالحكم لقوله يفعل ما يريد فمن يقدر أن يدل على انه لم يرد الا تسرمد العذاب على أهل النار ولا بدأ وعلى واحد في العالم كله حتى يكون حكم الاسم المعذب والمبلى والمنتقم وأمثاله صحيحا والاسم المبلى وأمثاله نسبة واضافة لاعين موجودة وكيف تكون الذات الموجودة تحت حكم ما ليس بموجود فكل ما ذكر من قوله لو شاء ولئن شئنا لاجل هذا الاصل فله الاطلاق وما ثم نص يرجع اليه لا يتطرق اليه احتمال في تسرمد العذاب كالنا في تسرمد النعيم فلم يبق الا الجواز وانه رحمن الدنيا والآخرة فاذا فهمت ما أشرنا اليه فلم تشغيبك بل زال بالكلية ﴿مسئلة﴾ اطلاق الجواز على الله تعالى سوء أدب مع الله و يحصل المقصود باطلاق الجواز على الممكن وهو الاليق اذ لم يرد به شرع ولا دل عليه عقل فافهم وهذا القدر كاف فان العلم الحق أوسع من أن يستقصى والله يقول الحق وهو يهدى سبيل

﴿الباب الثامن عشر﴾

في معرفة علم المتهجدين وما يتعلق به من المسائل ومقداره في مراتب العلوم وما يظهر منه من العلوم في الوجود

علم التهجد علم الغيب ليس له * في منزل العين احساس ولا نظر

ان التنزل يعطيه وان له * في عينه سور العلو به صور

فان دعاه الى المعراج خالقه * بدت له بين اعلام العلى سور

فكل منزلة تعطيه منزلة * اذا تحكم في أجفانه السهر

ما لم ينم هنده في الليل حالته * أو يدرك الفجر في آفاقه البصر

نوافح الزهر لا تعطيك رائحة * ما لم يجد بالنسيم اللين السحر

ان الملوك وان جلت مناصبها * لها مع السوقة الاسرار والسمر

اعلم أيدك الله ان المتهجدين ليس لهم اسم خاص الهي يعطيهم التهجد و يقيمهم فيه كالمن يقوم الليل كله فان قائم الليل كله له اسم الهي يدعوه اليه و يحركه فان التهجد عبارة عمن يقوم و ينام و يقوم و ينام و يقوم فمن لم يقطع الليل في مناجاة ربه هكذا فليس بمتهجد قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وله علم خاص من جانب الحق غير أن هذه الحالة لما لم نجد في الاسماء الالهية من تستند اليه ولم نر أقرب نسبة اليها من الاسم الحق فاستندت الى الاسم الحق وقبلها هذا الاسم فكل علم يأتي به المتهجد انما هو من الاسم الحق فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن يصوم الدهر و يقوم الليل ان لنفسك عليك حقا ولعينك عليك حقا فصم وأفطر وقم ونم فجمع له بين القيام والنوم لاداء حق النفس من أجل العين ولاداء حق النفس من جانب الله ولا تؤدى الحقوق الا بالاسم الحق ومنه لا من غيره فلهذا استند المتهجدون لهذا الاسم ثم انه للمتهجد أمر آخر لا يعلمه كل أحد وذلك انه لا يجنى ثمرة مناجاة التهجد و يحصل علومه الا من كانت صلاة الليل له نافلة وأما من كانت فريضته من الصلاة ناقصة فانها تكمل من نوافله فان استغرقت الفرائض نوافل العبد المتهجد لم يبق له نافلة وليس بمتهجد ولا صاحب نافلة فهذا لا يحصل له حال النوافل ولا علومها ولا تجلياتها فاعلم ذلك فنوم المتهجد لحق عينه وقيامه لحق ربه فيكون ما يعطيه الحق من العلم والتجلي في نومه ثمرة قيامه وما يعطيه من النشاط والقوة وتجليهما وعلومهما في قيامه ثمرة نومه وهكذا جميع أعمال العبد مما افترض عليه فتداخل علوم المتهجدين كتداخل ضفيرة الشعر وهي من العلوم المشوقة للنفوس حيث تلتف هذا الالتفاف فيظهر لهذا الالتفاف أسرار العالم الاعلى والاسفل والاسماء الدالة على الافعال والتنزيه وهو قوله تعالى والتفت الساق بالساق أي اجتمع أمر الدنيا بأمر الآخرة وما ثم الا دنيا وآخرة وهو المقام المحمود الذي ينتجه التهجد قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وعسى من الله واجبة والمقام المحمود هو الذي له عواقب الثناء أي اليه يرجع كل ثناء وأما قدر علم التهجد فهو عزيز المقدار وذلك انه لما لم يكن له اسم الهي يستند اليه كسائر الآثار عرف من حيث الجملة ان ثم أمرا غاب عنه أصحاب الآثار والآثار

فطلب ماهو فاداه النظر الى أن يستكشف عن الاسماء الالهية هل لها أعيان أوهل هي نسب حتى يرى رجوع الآثار هل ترجع الى أمر وجودي أو عدمي فلما نظر رأى انه ليس الاسماء أعيانا موجودة وانما هي نسب فرأى مستند الآثار الى أمر عدمي فقال المتهجد فصار ى الامر أن يكون رجوعي الى أمر عدمي فأمعن النظر في ذلك ورأى نفسه مولدا من قيام ونوم ورأي النوم رجوع النفس الى ذاتها وما تطلبه ورأى القيام حق الله عليه فلما كانت ذاته مركبة من هذين الامرين نظر الى الحق من حيث ذات الحق فلاح له ان الحق اذا انفرد بذاته لذاته لم يكن العالم واذا توجه الى العالم ظهر عين العالم لذلك التوجه فرأى ان العالم كله موجود عن ذلك التوجه المختلف النسب ورأى المتهجد ذاته مركبة من نظر الحق لنفسه دون العالم وهو حالة النوم للنائم ومن نظره الى العالم وهو حالة القيام لاداء حق الحق عليه فعلم ان سبب وجود عينه أشرف الاسباب حيث استند من وجه الى الذات معراة عن نسب الاسماء التي تطلب العالم اليه فتحقق ان وجوده أعظم الوجود وان علمه أسنى العلوم وحصل له مطلوبه وهو كان غرضه وكان سبب ذلك انكساره وفقره فقال في قضاء وطره من ذلك ممثلا

رب ليل بته ما أتى * بجره حتى انقضى وطرى
من مقام كنت أعشقه * بحديث طيب الخبر

وقال في الاسماء

لم أجد للاسم مدلولا * غير من قد كان مفعولا
ثم أعطتنا حقيقته * كونه للعقل معقولا
* فتلفظنا به أدبا * واعتقدنا الامر مجهولا

وكان قدر علمه في العلوم قدر معلومه وهو الذات في المعلومات فيتعلق بعلم التهجد علم جميع الاسماء كلها وأحقها به الاسم القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وهو العبد في حال مناجاته فيعلم الاسماء على التفصيل أي كل اسم جاء علم ما يحوى عليه من الاسرار الوجودية وغير الوجودية على حسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم ومما يتعلق بهذه الحالة من العلوم علم البرزخ وعلم التجلي الالهي في الصور وعلم سوق الجنة وعلم تعبير الرؤيا لا نفس الرؤيا من جهة من يراها وانما هي من جانب من ترى له فقد يكون الرائي هو الذي رآها لنفسه وقد يراها له غيره والعابر لها هو الذي له جزء من أجزاء النبوة حيث علم ما أريد بتلك الصورة ومن هو صاحب ذلك المقام واعلم ان المقام المحمود الذى للمتهجد يكون لصاحبه دعاء معين وهو قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بأمره به وقل رب أدخلني مدخل صدق يعني لهذا المقام فانه موقف خاص بمحمد يحمد الله فيه بمحامد لا يعرفها الا اذا دخل ذلك المقام وأخرجني مخرج صدق أي اذا انتقل عنه الى غيره من المقامات والمواقف أن تكون العناية به معه في خروجه منه كما كانت معه في دخوله اليه واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا من أجل المنازعين فيه فان المقام الشريف لا يزال صاحبه محسودا ولما كانت النفوس لا تصل اليه رجعت تطلب وجها من وجوه القدح فيه تعظيما لحالها التي هم عليها حتى لا ينسب النقص اليهم عن هذا المقام الشريف فطلب صاحب هذا المقام النصرة بالحجة التي هي السلطان على الجاحدين شرف هذه المرتبة وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب التاسع عشر﴾

في سبب نقص العلوم وزيادتها وقوله تعالى وقل رب زدني علما وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء ولكن يقبضه بقبض العلماء

تجلي وجود الحق في فلك النفس * دليل على ما في العلوم من النقص
وان غاب عن ذاك التجلي بنفسه * فهل مدرك اياه بالبحث والفحص
وان ظهرت للعلم في النفس كثرة * فقد ثبت الستر المحقق بالنص

ولم يبد من شمس الوجود ونورها * على عالم الارواح شئ سوى القرص

وليست تنال العين فى غير مظهر * ولو هلك الانسان من شدة الحرص

ولا ريب فى قولى الذى قد بثثته * وما هو بالزور المموه والخرص

اعلم أيدك الله ان كل حيوان وكل موصوف بادراك فانه فى كل نفس فى علم جديد من حيث ذلك الادراك لكن الشخص المدرك قد لا يكون ممن يجعل باله ان ذلك علم فهذا هو فى نفس الامر علم فاتصاف العلوم بالنقص فى حق العالم هو أن الادراك قد حيل بينه و بين أشياء كثيرة مما كان يدركها لو لم يقم به هذا المانع كمن طرأ عليه العمى أو الصمم أو غير ذلك ولما كانت العلوم تعلو وتتضع بحسب المعلوم لذلك تعلقت الهمم بالعلوم الشريفة العالية التى اذا اتصف بها الانسان زكت نفسه وعظمت مرتبته فأعلاها مرتبة العلم بالله وأعلى الطرق الى العلم بالله علم التجليات ودونها علم النظر وليس دون النظر علم الهى وانما هى عقائد فى عموم الخلق لا علوم وهذه العلوم هى التى أمر الله نبيه عليه السلام بطلب الزيادة منها قال تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما أى زدنى من كلامك ما تزيد به علما بك فانه قد زاد هنا من العلم العلم بشرف التأنى عند الوحى أدبا مع المعلم الذى أتاه به من قبل ربه ولهذا أردف هذه الآية بقوله وعنت الوجوه للحى القيوم أى ذلت فأراد علوم التجلى والتجلى أشرف الطرق الى تحصيل العلوم وهى علوم الاذواق واعلم ان للزيادة والنقص بابا آخر نذكره أيضا ان شاء الله وذلك ان الله جعل لكل شئ ونفس الانسان من جملة الاشياء ظاهرا وباطنا فهى تدرك بالظاهر أمورا تسمى عينا وتدرك بالباطن أمورا تسمى علما والحق سبحانه هو الظاهر والباطن فيه وقع الادراك فانه ليس فى قدرة كل ماسوى الله أن يدرك شيأ بنفسه وانما أدركه بما جعل الله فيه وتجلى الحق لكل من تجلى له من أى عالم كان من عالم الغيب أو الشهادة انما هو من الاسم الظاهر وأما الاسم الباطن فمن حقيقة هذه النسبة انه لا يقع فيها تجل أبدا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة اذ كان التجلى عبارة عن ظهوره لمن تجلى له فى ذلك المجلى وهو الاسم الظاهر فان معقولية النسب لا تتبدل وان لم يكن لها وجود عينى لكن لها الوجود العقلى فهى معقولة فاذا تجلى الحق امامة أو اجابة لسؤال فيه فتجلى لظاهر النفس وقع الادراك بالحس فى الصورة فى برزخ التمثل فوقعت الزيادة عند المتجلى له فى علوم الاحكام ان كان من علماء الشريعة وفى علوم موازين المعانى ان كان منطقيا وفى علوم ميزان الكلام ان كان نحويا وكذلك صاحب كل علم من علوم الاكوان وغير الاكوان تقع له الزيادة فى نفسه من علمه الذى هو بصدده فاهل هذه الطريقة يعلمون ان هذه الزيادة انما كانت من ذلك التجلى الالهى لهؤلاء الاصناف فانهم لا يقدرون على انكار ما كشف لهم وغير العارفين يحسون بالزيادة و ينسبون ذلك الى أفكارهم وغير هذين يجدون من الزيادة ولا يعلمون انهم استزادوا شيأ فهم فى المثل كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله وهى هذه الزيادة وأصلها والعجب من الذين نسبوا ذلك الى أفكارهم وما علم ان فكره ونظره و بحثه فى مسئلة من المسائل هو من زيادة العلوم فى نفسه من ذلك التجلى الذى ذكرناه فالناظر مشغول بتعلق نظره و بغاية مطلبه فيحجب عن علم الحال فهو فى مزيد علم وهو لا يشعر واذا وقع التجلى أيضا بالاسم الظاهر لباطن النفس وقع الادراك بالبصيرة فى عالم الحقائق والمعانى المجردة عن المواد وهى المعبر عنها بالنصوص اذ النص ما لا اشكال فيه ولا احتمال بوجه من الوجوه وليس ذلك الا فى المعانى فيكون صاحب المعانى مستريحا من تعب الفكر فتقع الزيادة له عند التجلى فى العلوم الالهية وعلوم الاسرار وعلوم الباطن وما يتعلق بالآخرة وهذا مخصوص بأهل طريقنا فهذا سبب الزيادة وأما سبب نقصها فأمر ان اما سوء فى المزاج فى أصل النشء أو فساد عارض فى القوة الموصلة الى ذلك وهذا لا ينجبر كما قال الخضر فى الغلام انه طبع كافرا فهذا فى أصل النشء وأما الامر العارض فقد يزول ان كان فى القوة بالطب وان كان فى النفس فشغله حب الرياسة واتباع الشهوات عن اقتناء العلوم التى فيها شرفه وسعادته فهذا أيضا قد يزول بداعى الحق من قلبه فيرجع الى الفكر الصحيح فيعلم ان الدنيا منزل من منازل المسافر وأنها جسر يعبر وان الانسان اذا لم تتحل نفسه هنا بالعلوم ومكارم الاخلاق وصفات الملأ الاعلى من الطهارة والتنزه عن

الشهوات الطبيعية الصارفة عن النظر الصحيح واقتناء العلوم الالهية فيأخذ في الشروع في ذلك فهذا أيضا سبب نقص العلوم ولا أعني بالعلوم التي يكون النقص منها عيبا في الانسان الا العلوم الالهيـة والا فالحقيقة تعطي انه ما ثم نقص قط وان الانسان في زيادة علم أبدا دائما من جهة ما تعطيه حواسه وتقلبات أحواله في نفسه وخواطره فهو في مزيد علوم لكن لا منفعة فيها والظن والشك والنظر والجهل والغفلة والنسيان كل هـذا وأمثاله لا يكون معها العلم بما أنت فيه بحكم الظن أو الشك أو النظر أو الجهل أو الغفلة أو النسيان وأمّا نقص علوم التجلي وزيادتها فالانسان على احدى حالتين خروج الانبياء بالتبليغ أو الاولياء بحكم الوراثة النبوية كما قيل لابي يزيد حين خلع عليه خلع النيابة وقال له أخرج الى خلقي بصفتي فمن رآك رآني فلم يسعه الا امتثال أمر ربه فخطا خطوة الى نفسه من ربه فغشي عليه فاذا النداء ردّوا عليّ حبيبي فلا صبر له عني فانه كان مستهلكا في الحق كأبي عقال المغربي فردّ الى مقام الاستهلاك فيه الارواح الموكلة به المؤيدة له لما أمر بالخروج فردّ الى الحق وخلعت عليـه خلع الذلة والافتقار والانكسار فطاب عيشه ورأى ربه فزاد أنسه واستراح من حمل الامانة المعارة التي لابد له أن تؤخذ منه والانسان من وقت رقيه في سلم المعراج يكون له تجلّ الهيّ بحسب سلم معراجه فانه لكل شخص من أهل الله سلم يخصه لا يرقى فيه غيره ولو رقي أحد في سلم أحد لكانت النبوّة مكتسبة فان كل سلم يعطي لذاته مرتبة خاصة لكل من رقي فيه وكانت العلماء ترقى في سلم الانبياء فتنال النبوّة برقيها فيـه والامر ليس كذلك وكان يزول الاتساع الالهيّ بتكرار الامر وقد ثبت عندنا انه لا تكرار في ذلك الجناب غير انّ عدد درج المعالي كلها الانبياء والاولياء والمؤمنون والرسل على السواء لا يزيد سلم على سلم درجة واحدة فالدرجة الاولى الاسـلام وهو الانقياد وآخر الدرج الفناء في العروج والبقاء في الخروج وبينهما ما بقي وهو الايمان والاحسان والعلم والتقديس والتنزيه والغنى والفقر والذلة والعزة والتلوين والتمكين في التلوين والفناء ان كنت خارجا والبقاء ان كنت داخلا اليه وفي كل درج في خروجك عنـه ينقص من باطنك بقـدر ما يزيد في ظاهرك من علوم التجلي الى أن تنتهي الى آخر درج فان كنت خارجا ووصلت الى آخر درج ظهر بذاته في ظاهرك على قدرك وكنت له مظهرا في خلقه ولم يبق في باطنك منـه شئ أصـلا وزالت عنك تجليات الباطن جملة واحدة فاذا دعاك الى الدخول اليه فهي أوّل درج يتجلى لك في باطنك بقدر ما ينقص من ذلك التجلي في ظاهرك الى أن تنتهي الى آخر درج فيظهر على باطنك بذاته ولا يبقى في ظاهرك تجلّ أصلا وسبب ذلك أن لا يزال العبد والرب معا في كمال وجود كل واحد لنفسه فلا يزال العبد عبـدا والرب ربا مع هذه الزيادة والنقص فهذا هو سبب زيادة علوم التجليات ونقصها في الظاهر والباطن وسبب ذلك التركيب ولهذا كان جميع ما خلقه الله وأوجده في عينه مركبا له ظاهر وله باطن والذي نسمعه من البسائط انما هي أمور معقولة لا وجود لها في أعيانها فكل موجود سوى الله تعالى مركب هـذا أعطانا الكشف الصحيح الذي لا مرية فيـه وهو الموجب لاستصحاب الافتقار له فانه وصف ذاتيّ له فان فهمت فقد أوضحنا لك المنهاج ونصبنا لك المعراج فاسلك واعرج تبصر وتشاهد ما بيناه لك ولما عينا لك درج المعارج ما أبقينا لك في النصيحة التي أمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لو وصـفنا لك الثمرات والنتائج ولم نعين لك الطريق اليها شوّقناك الى أمر عظيم لا تعرف الطريق الموصل اليه فوالذي نفسي بيده انه لهو المعراج والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب العشرون في العلم العيسويّ ومن أين جاء والى أين ينتهي وكيفيته وهل تعلق بطول العالم أو بعرضه أو بهما﴾

علم عيسى هو الذي * جهـل الخلق قدره
كان يحيي به الذي * كانت الارض قبره
قادم النفخ اذ من * غاب فيـه وأمره
ان لاهـوته الذي * كان في الغيب صهره
هـو روح ممثـل * أظهـر الله سرّه

جاء من غيب حضرة * قد محا الله بدره
صار خلقا من بعدما * كان روحاً فغره
وانتهى فيه أمره * خباه وسره *
من يكن مثله فقد * عظم الله أجره

اعلم أيدك الله ان العلم العيسوي هو علم الحروف ولهذا أعطى النفخ وهو الهواء الخارج من تجويف القلب الذي هو روح الحياة فاذا انقطع الهواء في طريق خروجه الى فم الجسد سمي مواضع انقطاعه حروفا فظهرت أعيان الحروف فلما تألفت ظهرت الحياة الحسية في المعاني وهو أول ما ظهر من الحضرة الالهية للعالم ولم يكن للاعيان في حال عدمها شيء من النسب الا السمع فكانت الاعيان مستعدة في ذواتها في حال عدمها لقبول الامر الالهي اذا ورد عليها بالوجود فلما أراد بها الوجود قال لها كن فتكونت وظهرت في أعيانها فكان الكلام الالهي أول شيء أدركته من الله تعالى بالكلام الذي يليق به سبحانه فاول كلمة تركبت كلمة كن وهي مركبة من ثلاثة أحرف كاف و واو ونون وكل حرف من ثلاثة فظهرت التسعة التي جذرها الثلاثة وهي أول الافراد وانتهت بسائط العدد بوجود التسعة من كن فظهر بكن عين المعدود والعدد ومن هنا كان أصل تركيب المقدمات من ثلاثة وان كانت في الظاهر أربعة فان الواحد يتكرر في المقدمتين فهي ثلاثة وعن الفرد وجد الكون لا عن الواحد وقد عرفنا الحق ان سبب الحياة في صور المولدات انما هو النفخ الالهي في قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وهو النفس الذي أحيي الله به الايمان فاظهره قال صلى الله عليه وسلم ان نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن فحييت بذلك النفس الرحماني صورة الايمان في قلوب المؤمنين وصورة الاحكام المشروعة فاعطى عيسى علم هذا النفخ الالهي ونسبته فكان ينفخ في الصورة الكائنة في القبر أو في صورة الطائر الذي أنشأه من الطين فيقوم حيا بالاذن الالهي الساري في تلك النفخة وفي ذلك الهواء ولولا سريان الاذن الالهي فيه لما حصلت حياة في صورة أصلا فمن نفس الرحمان جاء العلم العيسوي الى عيسى فكان يحيي الموتى بنفخه عليه السلام وكان انتهاؤه الى الصور المنفوخ فيها وذلك هو الحظ الذي لكل موجود من الله وبه يصل اليه اذا صارت اليه الامور كلها واذا انحل الانسان في معراجه الى ربه وأخذ كل كون منه في طريقه ما يناسبه لم يبق منه الا هذا السر الذي عنده من الله فلا يراه الا به ولا يسمع كلامه الا به فانه يتعالى ويتقدس أن يدرك الا به واذا رجع الشخص من هذا المشهد وتركبت صورته التي كانت تحللت في عروجه ورد العالم اليه جميع ما كان أخذه منه مما يناسبه فان كل عالم لا يتعدى جنسه فاجتمع الكل على هذا السر الالهي واشتمل عليه وبه سبحت الصورة بحمده وحمدت ربها اذ لا يحمده سواه ولو حمدته الصورة من حيث هي لا من حيث هذا السر لم يظهر الفضل الالهي ولا الامتنان على هذه الصورة وقد ثبت الامتنان له على جميع الخلائق فثبت ان الذي كان من المخلوق لله من التعظيم والثناء انما كان من ذلك السر الالهي ففي كل شيء من روحه وليس شيء فيه فالحق هو الذي حمد نفسه وسبح نفسه وما كان من خير الهي لهذه الصورة عند ذلك التحميد والتسبيح فمن باب المنة لا من باب الاستحقاق الكوني فان جعل الحق له استحقاقا فمن حيث انه أوجب ذلك على نفسه فالكلمات عن الحروف والحروف عن الهواء والهواء عن النفس الرحماني و بالاسماء تظهر الآثار في الاكوان واليها ينتهي العلم العيسوي ثم ان الانسان بهذه الكلمات يجعل الحضرة الرحمانية تعطيه من نفسها ما تقوم به حياة ما يسأل فيه بتلك الكلمات فيصير الامر دوريا دائما واعلم ان حياة الارواح حياة ذاتية ولهذا يكون كل ذي روح حي بروحه ولما علم بذلك السامري حين أبصر جبريل وعلم ان روحه عين ذاته وان حياته ذاتية فلا يطأ موضعا الا حيي ذلك الموضع بمباشرة تلك الصورة الممثلة اياه فأخذ من أثره قبضة وذلك قوله تعالى فيما أخبر به عنه انه قال فقبضت قبضة من أثر الرسول فلما صاغ العجل وصوره نبذ فيه تلك القبضة فخار العجل ولما كان عيسى عليه السلام روحا كما سماه الله وكما أنشأه روحانى صورة انسان ثابتة أنشأ جبريل في صورة اعرابي غير ثابتة كان يحيي الموتى بمجرد النفخ ثم انه أيده بروح القدس فهو روح مؤيد بروح طاهر من دنس الاكوان والاصل في هذا كله الحي

الازلى عين الحياة الابدية وانما ميزالطرفين أعنى الازل والابد وجود العالم وحدوثه الحى وهذا العلم هو المتعلق بطول العالم أعنى العالم الروحانى وهو عالم المعانى والامر ويتعلق بعرض العالم وهو عالم الخلق والطبيعة والاجسام والكل لله ألا له الخلق والامر قل الروح من أمر ربى تبارك الله رب العالمين وهذا كان علم الحسين بن منصور رحمه الله فاذا سمعت أحدا من أهل طريقنا يتكلم فى الحروف فيقول ان الحرف الفلانى طوله كذا ذراعا أو شبرا وعرضه كذا كالحلاج وغيره فانه يريد بالطول فعله فى عالم الارواح وبالعرض فعله فى عالم الاجسام ذلك المقدار المذكور الذى يميزه به وهذا الاصطلاح من وضع الحلاج فمن علم من المحققين حقيقة كن فقد علم العلم العلوى ومن أوجد بهمته شيأ من الكائنات فما هو من هذا العلم ولما كانت التسعة ظهرت فى حقيقة هذه الثلاثة الاحرف ظهر عنها من المعدودات التسعة الافلاك وبحركات مجموع التسعة الافلاك وتسيير كواكبها وجدت الدنيا ومافيها كما انها أيضا تخرب بحركاتها وبحركة الاعلى من هذه التسعة وجدت الجنة بما فيها وعند حركة ذلك الاعلى يتكوّن جميع ما فى الجنة وبحركة الثانى الذى يلى الاعلى وجدت النار بما فيها والقيامة والبعث والحشر والنشر وبما ذكرناه كانت الدنيا ممتزجة نعيم ممزوج بعذاب وبما ذكرناه أيضا كانت الجنة نعيما كلها والنار عذابا كلها وزال ذلك المزج فى أهلها فنشأة الآخرة لا تقبل مزاج نشأة الدنيا وهذا هو الفرقان بين نشأة الدنيا والآخرة ألا ان نشأة النار أعنى أهلها اذا انتهى فيهم الغضب الالهى وأمده ولحق بالرحمة التى سبقته فى المدى يرجع الحكم لها فيهم وصورتها صورتها لا تتبدل ولو تبدلت لتعذبوا فيحكم عليهم أولا باذن الله وتوليته حركة الفلك الثانى من الاعلى بما يظهر فيهم من العذاب فى كل محل قابل للعذاب وانما قلنا فى كل محل قابل للعذاب لاجل من فيها ممن لا يقبل العذاب فاذا انقضت مدتها وهى خمس وأربعون ألف سنة تكون فى هذه المدة عذابا على أهلها يتعذبون فيها عذابا متصلا لا يفتر ثلاثة وعشرين ألف سنة ثم يرسل الرحمن عليهم نومة يغيبون فيها عن الاحساس وهو قوله تعالى لا يموت فيها ولا يحيي وقوله عليه السلام فى أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون يريد حالهم فى هذه الاوقات التى يغيبون فيها عن احساسهم مثل الذى يغشى عليه من أهل العذاب فى الدنيا من شدة الجزع وقوة الآلام المفرطة فيمكثون كذلك تسع عشرة ألف سنة ثم يفيقون من غشيتهم وقد بدل الله جلودهم جلودا غيرها فيعذبون فيها خمسة عشر ألف سنة ثم يغشى عليهم فيمكثون فى غشيتهم احدى عشرة ألف سنة ثم يفيقون وقد بدّل الله جلودهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فيجدون العذاب الاليم سبعة آلاف سنة ثم يغشى عليهم ثلاثة آلاف سنة ثم يفيقون فيرزقهم الله لذة وراحة مثل الذى ينام على تعب ويستيقظ وهذا من رحمته التى سبقت غضبه ووسعت كل شئ فيكون لها حكم عند ذلك حكم التأبيد من الاسم الواسع الذى به وسع كل شئ رحمة وعلما فلا يجدون ألما ويدوم لهم ذلك ويستغذونه ويقولون نسينا فلا نسأل حذرا ان نذكر بنفوسنا وقد قال الله لنا اخسأوا فيها ولا تكلمون فيسكتون وهم فيها مبلسون ولا يبقى عليهم من العذاب الا الخوف من رجوع العذاب عليهم فهذا القدر من العذاب هو الذى يسرمد عليهم وهو الخوف وهو عذاب نفسى لا حسى وقد يذهلون عنه فى أوقات فنعيمهم الراحة من العذاب الحسى بما يجعل الله فى قلوبهم من انه ذو رحمة واسعة يقول الله تعالى فاليوم ننساكم كما نسيتم ومن هذه الحقيقة يقولون نسينا اذا لم يحسوا بالآلام وكذلك قوله نسوا الله فنسيهم وكذلك اليوم تنسى أى تترك فى جهنم اذ كان النسيان الترك وبالهمز التأخر فأهل النار حظهم من النعيم عدم وقوع العذاب وحظهم من العذاب توقعه فانه لا أمان لهم بطريق الاخبار عن الله ويحجبون عن خوف التوقع فى أوقات فوقتا يحجبون عنه عشرة آلاف سنة ووقتا ألفى سنة ووقتا ستة آلاف سنة ولا يخرجون عن هذا المقدار المذكور متى ما كان لابد أن يكون هذا القدر لهم من الزمان واذا أراد الله أن ينعمهم من اسمه الرحمن ينظرون فى حالهم التى هم عليها فى الوقت وخروجهم مما كانوا فيه من العذاب فينعمون بذلك القدر من النظر فوقتا يدوم لهم هذا النظر ألف سنة ووقتا تسعة آلاف سنة ووقتا خمسة آلاف سنة فيزيد وينقص فلا تزال حالهم هذه دائما فى جهنم اذ هم أهلها وهذا الذى ذكرناه كله من العلم العيسوى الموروث من المقام المحمدى والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿الباب الحادي والعشرون في معرفة ثلاثة علوم كونية وتوالج بعضها في بعض﴾

علم التوالج علم الفكر يصحبه * علم النتائج فانسبه الى النظر
هي الادلة ان حققت صورتها * مثل الدلالة في الانثى مع الذكر
على الذي أوقف الايجاد أجمعه * على حقيقة كن في عالم الصور
والواو لولا سكون النون أظهرها * في العين قائمة تمشي على قدر
فاعلم بان وجود الكون في فلك * وفي توجهه في جوهر البشر

اعلم أيدك الله ان هذا هو علم التوالد والتناسل وهو من علوم الاكوان وأصله من العلم الالهي فلنبين لك أولا صورته في الاكوان وبعد ذلك نظهره لك في العلم الالهي فان كل علم أصله من العلم الالهي اذ كان كل ماسوى الله من الله قال الله تعالى وسخر لكم مافي السموات ومافي الارض جميعا منه فهذا علم التوالج سار في كل شئ وهو علم الالتحام والنكاح ومنه حسي ومعنوي والاهي فاعلم انك اذا أردت أن تعلم حقيقة هذا فلتنظره أولا في عالم الحس ثم في عالم الطبيعة ثم في المعاني الروحانية ثم في العلم الالهي فاما في الحس فاعلم انه اذا شاء الله أن يظهر شخصا بين اثنين ذانك الاثنان هما ينتجانه ولا يصح أن يظهر عنهما ثالث مالم يقم بهما حكم ثالث وهو أن يفضي أحدهما الى الآخر بالجماع فاذا اجتمعا على وجه مخصوص وشرط مخصوص وهو أن يكون المحل قابلا للولادة لا يفسد البذر اذا قبله ويكون البذر يقبل فتح الصورة فيه هذا هو الشرط الخاص وأما الوجه المخصوص فهو أن يكون التقاء الفرجين وانزال الماء أو الريح عن شهوة فلا بد من ظهور ثالث وهو المسمى ولدا والاثنان يسميان والدين وظهور الثالث يسمى ولادة واجتماعهما يسمى نكاحا وسفاحا وهذا أمر محسوس واقع في الحيوان وانما قلنا بوجه مخصوص وشرط مخصوص فانه ما يكون عن كل ذكر وأنثى يجتمعان بنكاح ولد ولا بد الا بحصول ماذكرناه وسنبينه في المعاني باوضح من هذا اذ المطلوب ذلك وأما في الطبيعة فان السماء اذا أمطرت الماء وقبلت الارض الماء وربت وهو حملها فانبتت من كل زوج بهيج وكذلك لقاح النخل والشجر ومن كل شئ خلقنا زوجين لاجل التوالد وأما في المعاني فهو أن تعلم ان الاشياء على قسمين مفردات ومركبات وان العلم بالمفرد يتقدم على العلم بالمركب والعلم بالمفرد يقتنص بالحد والعلم بالمركب يقتنص بالبرهان فاذا أردت أن تعلم وجود العالم هل هو عن سبب أولا فلتعمد الى مفردين أوما هو في حكم المفردين مثل المقدمة الشرطية ثم تجعل أحد المفردين موضوعا مبتدأ وتحمل المفرد الآخر عليه على طريق الاخبار به عنه فتقول كل حادث فهذا المسمى مبتدأ فانه الذي بدأت به موضوعا أول فانه الموضوع الاول الذي وضعته لتحمل عليه ماتخبر به عنه وهو مفرد فان الاسم المضاف في حكم المفرد ولا بد أن تعلم بالحد معنى الحدوث ومعنى كل الذي أضفته اليه وجعلته له كالسور لما يحيط به فان كل تقتضي الحصر بالوضع في اللسان فاذا علمت الحادث حينئذ حملت عليه مفردا آخر وهو قولك فله سبب وأخبرت به عنه فلا بد أن تعلم أيضا معنى السبب ومقوليته في الوضع وهذا هو العلم بالمفردات المقتنصة بالحد فقام من هذين المفردين صورة مركبة كما قامت صورة الانسان من حيوانية ونطق فقلت فيه حيوان ناطق فتركيب المفردين بحمل أحدهما على الآخر لا ينتج شيأ وانما هي دعوى يفتقر مدعيها الى دليل على صحتها حتى يصدق الخبر عن الموضوع بما أخبر به عنه فيؤخذ منا ذلك مسلما اذا كان في دعوى خاصة على طريق ضرب المثال مخافة التطويل وليس كتابي هذا بمحل لميزان المعاني وانما ذلك موقوف على علم المنطق فانه لا بد أن يكون كل مفرد معلوما وأن يكون ما يخبر به عن المفرد الموضوع معلوما أيضا اما ببرهان حسي أو بديهي أو نظري يرجع اليهما ثم تطلب مقدمة أخرى تعمل فيها ما عملت في الاولى ولا بد أن يكون أحد المفردين مذكورا في المقدمتين فهي أربعة في صورة التركيب وهي ثلاثة في المعنى لما نذكره ان شاء الله وان لم يكن كذلك فانه لا ينتج أصلا فتقول في هذه المسئلة التي مثلنا بها في المقدمة الاخرى والعالم حادث وتطلب فيه من العلم بحد المفرد فيهما ما طلبته في المقدمة الاولى من معرفة العالم ماهو وحمل الحدوث عليه بقولك حادث وقد كان هذا الحادث الذي هو محمول في هذه المقدمة موضوعا في الاولى حين حملت عليه السبب فتكرر

الحادث في المقدمتين وهو الرابط بينهما فاذا ارتبطا سمي ذلك الارتباط وجه الدليل وسمي اجتماعهما دليلا وبرهانا فينتج بالضرورة أن حدوث العالم له سبب فالعلة الحدوث والحكم السبب فالحكم أعم من العلة فانه يشترط في هذا العلم أن يكون الحكم أعم من العلة أو مساويا لها وان لم يكن كذلك فانه لا يصدق هذا في الامور العقلية وأما أخذها في الشرعيات فاذا أردت أن تعلم مثلا ان النبيذ حرام بهذه الطريقة فتقول كل مسكر حرام والنبيذ مسكر فهو حرام وتعتبر في ذلك ما اعتبرت في الامور العقلية كما مثلت لك فالحكم التحريم والعلة الاسكار فالحكم أعم من العلة الموجبة للتحريم فان التحريم قد يكون له سبب آخر غير السكر في أمر آخر كالتحريم في الغصب والسرقة والجناية وكل ذلك عال في وجود التحريم في المحرّم فلهذا الوجه المخصوص صدق فقد بان لك بالتقريب ميزان المعاني وان النتائج انما ظهرت بالتوالج الذي في المقدمتين اللذين هما كالابوين في الحس وان المقدمتين من كبة من ثلاثة أو ما هو في حكم الثلاثة فانه قد يكون للجملة معنى الواحد في الاضافة والشرط فلم تظهر نتيجة الامن الفردية اذ لو كان الشفع ولا يصحبه الواحد صحبة خاصة ما صح أن يوجد عن الشفع شئ أبدا فبطل الشريك في وجود العالم وثبت الفعل للواحد وانه بوجوده ظهرت الموجودات عن الموجودات فتبين لك ان أفعال العباد وان ظهرت منهم انه لولا الله ما ظهر لهم فعل أصلا فجمع هذا الميزان بين اضافة الاعمال الى العباد بالصورة وايجاد تلك الافعال لله تعالى وهو قوله والله خلقكم وما تعملون أي وخلق ما تعملون فنسب العمل اليهم وايجاده لله تعالى والخلق قد يكون بمعنى الايجاد ويكون بمعنى التقدير كما انه قد يكون بمعنى الفعل مثل قوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات ويكون بمعنى المخلوق مثل قوله هذا خلق الله وأما هذا التوالج في العلم الالهي والتوالد فاعلم ان ذات الحق تعالى لم يظهر عنها شئ أصلا من كونها ذاتا غير منسوب اليها أمر آخر وهو أن ينسب الى هذه الذات انها قادرة على الايجاد عند أهل السنة أهل الحق أو ينسب اليها كونها علة وليس هذا مذهب أهل الحق ولا يصح وهذا انما الاحتياج اليه ولكن كان الغرض في سياقه من أجل مخالفي أهل الحق لنقرر عنده انه ما نسب وجود العالم لهذه الذات من كونها ذاتا وانما نسبوا العالم لها بالوجود من كونها علة فلهذا أوردنا مقالتهم ومع هذه النسبة وهي كونه قادرا لا بد من أمر ثالث وهو ارادة الايجاد لهذه العين المقصودة بأن توجد ولا بد من التوجه بالقصد الى ايجادها بالقدرة عقلا وبالقول شرعا بأن تكون فما وجد الخلق الا عن الفردية لا عن الاحدية لان أحديته لا تقبل الثاني لانها ليست أحدية عدد فكان ظهور العالم في العلم الالهي عن ثلاث حقائق معقولة فسرى ذلك في توالد الكون بعضه عن بعض لكون الاصل على هذه الصورة ويكفي هذا القدر من هذا الباب فقد حصل المقصود بهذا التنبيه فان هذا الفن في مثل طريق أهل الله لا يحتمل أكثر من هذا فانه ليس من علوم الفكر هذا الكتاب وانما هو من علوم التلقي والتدلي فلا يحتاج فيه الى ميزان آخر غير هذا وان كان له به ارتباط فانه لا يخلو عنه جملة واحدة ولكن بعد تصحيح المقدمات من العلم بمفرداتها بالحد الذي لا يمنع والمقدمات بالبرهان الذي لا يدفع بقول الله في هذا الباب لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فهذا انما كنا بصدده في هذا الباب وهذه الآية وأمثالها أحوجتنا الى ذكر هذا الفن ومن باب الكشف لم يشتغل أهل الله بهذا الفن من العلوم لتضييع الوقت وعمر الانسان عزيز ينبغي أن لا يقطعه الانسان الا في مجالسة ربه والحديث معه على ما شرعه له والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الخامس عشر والحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الثاني والعشرون في معرفة علم منزل المنازل وترتيب جميع العلوم الكونية)

عجبا لاقوال النفوس الساميه * ان المنازل في المنازل ساريه
كيف العروج من الحضيض الى العلى * الابقهر الحضرة المتعاليه
فصناعة التحليل في معراجها * نحو اللطائف والامور الساميه
وصناعة التركيب عند رجوعها * بسنا الوجود الى ظلام الهاويه

اعلم أيدك الله انه لما كان العلم المنسوب الى الله لا يقبل الكثرة ولا الترتيب فانه غير مكتسب ولا مستفاد بل علمه عين ذاته كسائر ما ينسب اليه من الصفات وما سمى به من الاسماء وعلوم ما سوى الله لابد أن تكون مرتبة محصورة سواء كانت علوم وهب أو علوم كسب فانها لا تخلو من هذا الترتيب الذى نذكره وهو علم المفرد أولا ثم علم التركيب ثم علم المركب ولا رابع لها فان كان من المفردات التى لا تقبل التركيب علمه مفردا وكذلك ما بقى فان كل علوم لابد أن يكون مفردا أو مركبا والمركب يستدعى بالضرورة تقدم علم التركيب وحينئذ يكون علم المركب فهذا قد علمت ترتيب جميع العلوم الكونية فانبين لك حصر المنازل فى هذا المنزل وهى كثيرة لا تحصى ولنقتصر منها على ما يتعلق بما يختص بشرعنا ويمتاز به لا بالمنازل التى يقع فيها الاشتراك بيننا وبين غيرنا من سائر علوم الملل والنحل وجملتها تسعة عشر مرتبة أمهات ومنها ما يتفرع الى منازل ومنها ما لا يتفرع فلنذكر أسماء هذه المراتب ولنجعل لها اسم المنازل فانه كذا عرفناها فى الحضرة الالهية والادب أولى فلنذكر ألقاب هذه المنازل وصفات أربابها وأقطابها المتحققين بها وأحوالهم وما لكل حال من هذه الاحوال من الوصف ثم بعد ذلك نذكر ان شاء الله كل صنف من هذه التسعة عشر ونذكر بعض ما يشتمل عليه من أمهات المنازل لا من المنازل فانه ثم منزل يشتمل على ما يزيد على المائة من منازل العلامات والدلالات على أنوار جلية ويشتمل على آلاف وأقل من منازل الغايات الحاوية على الاسرار الخفية والخواص الجلية ثم تلوناه ذكرنا بما يضاهى هذا العدد لهذه المنازل من الموجودات قديمها وحديثها ثم نذكر ما يتعلق ببعض معانى هذا المنزل على التقريب والاختصار ان شاء الله تعالى ﴿ذكر ألقابها وصفات أقطابها﴾ فمن ذلك منازل الثناء والمدح هولاء أرباب الكشوفات والفتح ومنازل الرموز والالغاز لاهل الحقيقة والمجاز ومنازل الدعاء لاهل الاشارات والبعد ومنازل الافعال لاهل الاحوال والاتصال ومنازل الابتداء لاهل الهواجس والايماء ومنازل التنزيه لاهل التوجيه فى المناظرات والاستنباط ومنازل التقريب للغرباء المتألهين ومنازل التوقع لاصحاب البراقع من أجل السبحات ومنازل البركات لاهل الحركات ومنازل الاقسام لاهل التدبر من الروحانيين ومنازل الدهر لاهل الذوق ومنازل الانية لاهل المشاهدة بالابصار ومنازل اللام والالف للالتفاف الحاصل بالتخلق بالاخلاق الالهية ولاهل السر الذى لا ينكشف ومنازل التقرير لاهل العلم بالكيمياء الطبيعية والروحانية ومنازل فناء الاكوان للعنائن المختبرات ومنازل الالفة لاهل الامان من أهل الغرف ومنازل الوعيد للمتمسكين بقائمة العرش الامجد ومنازل الاستخبار لاهل غامضات الاسرار ومنازل الامر للمتحققين بحقائق سره فيهم وأما صفاتهم فاهل المدح لهم الزهو وأهل الرموز لهم النجاة من الاعتراض وأما المتألهون فلهم التيه بالتخلق وأما أهل الاحوال والاتصال فلهم الحصول على العين وأما أهل الاشارة فلهم الحيرة عند التبليغ وأما أهل الاستنباط فلهم الغلط والاصابة وليسوا بمعصومين وأما الغرباء فلهم الانكسار وأما أهل البراقع فلهم الخوف وأما أهل الحركة فلهم مشاهدة الاسباب والمدبرون لهم الفكر والممكنون لهم الحدود وأهل المشاهدة لهم الجد وأهل الكتم لهم السلامة وأهل العلم لهم الحكم على المعلوم وأهل الستر منتظرون رفعه وأهل الامن فى موطن الخوف من المكر وأهل القيام لهم القعود وأهل الالهام لهم التحكم وأهل التحقيق لهم ثلاثة أثواب ثوب ايمان وكفر ونفاق وأما ذكر أحوالهم فاعلم ان الله تعالى قد هيأ المنازل للنازل ووطأ المعاقل للعاقل وزوى المراحل للراحل وأعلى المعالم للعالم وفصل المقاسم للقاسم وأعد القواصم للقاصم وبين العواصم للعاصم ورفع القواعد للقاعد ورتب المراصد للراصد وسخر المراكب للراكب وقرب المذاهب للذاهب وسطر المحامد للحامد وسهل المقاصد للقاصد وأنشأ المعارف للعارف وثبت المواقف للواقف وعر المسالك للسالك وعين المناسك للناسك وأخرس المشاهد للشاهد وأحرس المراقد للراقد ﴿ذكر صفات أحوالهم﴾ فانه سبحانه جعل النازل مقدرا والعاقل مفكرا والراحل مشمرا والعالم مشاهدا والقاسم مكابدا والقاصم مجاهدا والعاصم مساعدا والقاعد عارفا والراصد واقفا والراكب محمولا والذاهب معلولا والحامد مسؤلا والقاصد مقبولا والعارف مبخوتا والواقف مبهوتا والسالك مردودا والناسك مبعودا والشاهد

محكما والراقد مسلما فهذا قد ذكرنا صفات هؤلاء التسعة عشر صنفا في أحوالهم فلنذكر ما يتضمن كل صنف من أمهات المنازل وكل منزل من هذه الامهات يتضمن أربعة أصناف من المنازل الصنف الاول يسمى منازل الدلالات والصنف الآخر يسمى منازل الحدود والصنف الثالث يسمى منازل الخواص والصنف الرابع يسمى منازل الاسرار ولا تحصى كثرة فلنقتصر على التسعة عشر ولنذكر أعداد ما تنطوي عليه من الامهات وهذا أولها منزل المدح له منزل الفتح فتح السرين ومنزل المفاتيح الاول ولنا فيه جزء سميناه مفاتيح الغيوب ومنزل العجائب ومنزل تسخير الارواح البرزخية ومنزل الارواح العلوية ولنا في بعض معانيه من النظم قولنا

منازل المدح والتباهي * منازل ما لها تناهي

لا تطلبن في السموّ مدحا * مدائح القوم في الثرى هي

من ظمئت نفسه جهادا * يشرب من أعذب المياه

نقول ليس مدح العبد أن يتصف بأوصاف سيده فانه سوء أدب وللسيد أن يتصف بأوصاف عبده تواضعا فالسيد النزول لانه لا يحكم عليه فنزوله الى أوصاف عبده تفضل منه على عبده حتى يبسطه فان جلال السيد أعظم في قلب العبد من أن يدل عليه لولا تنزله اليه وليس للعبد أن يتصف بأوصاف سيده لا في حضرته ولا عند اخوانه من العبيد وان ولاه عليهم كما قال عليه السلام أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها أي نملكها ملكا للذين لا يريدون علوّا في الارض فان الارض قد جعلها الله ذلولا والعبد هو الذليل والذلة لا تقتضي العلوّ فمن جاوزه ره هلك يقال ما هلك امرؤ عرف قدره وقوله ما لها تناهي يقول انه ليس للعبد في عبوديته نهاية يصل اليها ثم يرجع ربا كما انه ليس للرب حد ينتهي اليه ثم يعود عبدا فالرب رب الى غير نهاية والعبد عبد الى غير نهاية فلذا قال مدائح القوم في الثرى هي وهو أذل من وجه الارض وقال لا يعرف لذة الماء الا الظمآن يقول لا يعرف لذة الاتصاف بالعبودية الا من ذاق الآلام عند اتصافه بالربوبية واحتياج الخلق اليه مثل سليمان حين طلب أن يجعل الله أرزاق العباد على يديه حسا فجمع ما حضره من الاقوات في ذلك الوقت فخرجت دابة من دواب البحر فطلبت قوتها فقال لها خذي من هذا قدر قوتك في كل يوم فأكلته حتى أتت على آخره فقالت زدني فما وفيت برزقي فان الله يعطيني كل يوم مثل هذا عشر مرات وغيري من الدواب أعظم مني وأكثر رزقا فتاب سليمان عليه السلام الى ربه وعلم انه ليس في وسع المخلوق ما ينبغي للخالق تعالى فانه طلب من الله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاستقال من سؤاله حين رأى ذلك واجتمعت الدواب عليه تطلب أرزاقها من جميع الجهات فضاق لذلك ذرعا فلما قبل الله سؤاله وأقاله وجد من اللذة لذلك ما لا يقدر قدره

(منزل الرموز) فاعلم وفقك الله انه وان كان منزلا فانه يحتوي على منازل منها منزل الوحدانية ومنزل العقل الاول والعرش الاعظم والصعداء والاتيان من العماء الى العرش وعلم التمثل ومنزل القلوب والحجاب ومنزل الاستواء القهواني والالوهية السارية واستمداد الكهان والدهر والمنازل التي لا ثبات لها ولا ثبات لاحد فيها ومنزل البرازخ والالهية والزيادة والغيرة ومنزل الفقد والوجدان ومنزل رفع الشكوك والجود المخزون ومنزل القهر والخسف ومنزل الارض الواسعة ولما دخلت هذا المنزل وأنا بتونس وقعت مني صيحة مالي بها علم انها وقعت مني غير انه ما بقي أحد ممن سمعها الا سقط مغشيا عليه ومن كان على سطح الدار من نساء الجيران مستشرفا علينا غشي عليه ومنهن من سقط من السطوح الى صحن الدار على علوّها وما أصابه بأس وكنت أول من أفاق وكنا في صلاة خلف امام فما رأيت أحدا الا صاعقا فبعد حين أفاقوا فقلت ما شأنكم فقالوا أنت ما شأنك لقد صحت صيحة أثرت ما ترى في الجماعة فقلت والله ما عندي خبر اني صحت ومنزل الآيات الغريبة والحكم الالهية ومنزل الاستعداد والزينة والامر الذي مسك الله به الافلاك السماوية ومنزل الذكر والسلب وفي هذه المنازل قلت

منازل الكون في الوجود * منازل كلها رموز *

منازل للعقول فيها * دلائل كلها تجوز

لما أتى الطالبون قصدا * لنيل شئ فذاك جوزوا
فياعبيد السكان حوزوا * هذا الذى ساقكم وجوزوا

الرمز واللغز هو الكلام الذى يعطى ظاهره مالم يقصده قائله وكذلك منزل العالم فى الوجود ما أوجده الله لعينه وانما أوجده الله لنفسه فاشتغل العالم بغير ما وجد له تخلف قصد موجده وهذا يقول جماعة من العلماء العارفين وهم أحسن حالا ممن دونهم ان الله أوجدنا لنا والمحقق والعبد لا يقول ذلك بل يقول انما أوجدنا له لا لحاجة منه الىّ فاالغز رنى ورمز ومن عرف أشعار الالغاز عرف ما أردناه وأما قوله لما أتى الطالبون قصدا لنيل شئ بذاك جوزوا من المجازات يقول من طلب الله لامر فهو لما طلب ولا ينال منه غير ذلك وقوله فياعبيد السكان يقول من عبد الله لشئ فذلك الشئ معبوده وربه والله برئ منه وهو لما عبده وقوله حوزوا أى خذوا ما جئتم له أى بسببه وجوزوا أى روحوا عنا فانكم ما جئتم الينا ولا بسببنا (منزل الدعاء) هذا المنزل يحتوى على منازل منها منزل الانس بالشبيه ومنزل التغذى ومنزل مكة والطائف والجب ومنزل المقاصير والابتلاء ومنزل الجمع والتفرقة والمنع ومنزل النواشى والتقديس وفى هذا المنزل قلت

لتأبه الرحمن فيسك منازل * فاجب نداء الحق طوعا يافسل
رفعت اليك المرسلات أكفها * ترجو النوال فلا يخيب السائل
أنت الذى قال الدليل بفضله * ولنا عليه شواهد ودلائل
لولا اختصاصك بالحقيقة مازهت * بنزولك الاعلى لديه منازل

يقول ان نداء الحق عباده انما هو لسان المرسلات تطلب اسما من أسمائه وذلك العبد فى ذلك الوقت تحت سلطانها والمرسلات لطائف الخلق ترفع أكفها الى من هى فى يديه من الاسماء لتجود به على من يطلبها من الاسماء والمسؤل أبدا انما هو من له المهيمنية على الاسماء كالعليم الذى له التقدم على الخبير والحسيب والمحصى والمفضل ولهذا قال أنت الذى قال الدليل بفضله والحقيقة التى اختص بها احاطته بما تحته فى الرتبة من الاسماء الالهية اذ القادر فى الرتبة دون المريد والعالم فى الرتبة فوق المريد والحى فوق الكل فالمنازل التى تحت احاطة الاسم الجامع تفتخر بنزوله اليها اجابة لسؤالها (منزل الافعال) وهو يشتمل على منازل منها منزل الفضل والالهام ومنزل الاسراء الروحانى ومنزل التلطف ومنزل الهلاك وفى هذه المنازل أقول

لمنازل الافعال برق لامع * ورياحها تزجى السحاب زعازع
وسهامها فى العالمين نوافذ * وسيوفها فى الكائنات قواطع
ألقت الى العز المحقق أمرها * فالعين تبصر والتناول شاسع

الناس فى أفعال العباد على قسمين طائفة ترى الافعال من العباد وطائفة ترى الافعال من الله وكل طائفة يبدو لها لامع اعتقادها ذلك شبه البرق اللامع فى ذلك يعطيها آن للذى نفى عنه ذلك الفعل نسبة ما وكل طائفة لها سحاب يحول بينها وبين نسبة الفعل لمن نفته عنه وقوله فى رياحها انها شديدة أى الاسباب والادلة التى قامت لكل طائفة على نسبة الافعال لمن نسبتها اليه قوية بالنظر اليه ووصف سهامها بالنفوذ فى نفوس الذين يعتقدون ذلك وكذلك سيوفها فيهم قواطع وقوله انها ألقت الى العز أى احتمت بحمى مانع يمنع المخالف أن يؤثر فيه فيبقى على هذا كل أحد على ما هى ارادة الله فيه قال تعالى زينا لكل أمة عملهم وقوله فالعين تبصر يقول الحس يشهد ان الفعل للعبد والانسان يجد ذلك من نفسه بما له فيه من الاختيار وقوله التناول شاسع أى ونسبته الى غير ما يعطيه الحس والنفس بعيد المتناول الا انه لابد فيه من برق لامع يعطى نسبة فى ذلك الفعل لمن نفى عنه لا يقدر أن يجحدها (منزل الابتداء) ويشتمل على منازل منها منزل الغلظة والسبحات ومنزل التنزلات والعلم بالتوحيد الالهى ومنزل الرحموت ومنزل الحق والفزع وفى هذا المنزل أقول

للابتداء شواهد ودلائل * وله اذا حط الركاب منازل

يجوى على عين الحوادث حكمه * ويمده الله الكريم الفاعل
ماينه نسب وبين الاهه * الا التعلق والوجود الحاصل
لاتسمعن مقالة من جاهل * مبنى الوجود حقائق وأباطل
مبنى الوجود حقائق مشهودة * وسوى الوجود هو المحال الباطل

يقول لابتداء الاكوان شواهد فيها انها لم تكن لانفسها ثم كانت وله الضمير يعود على الابتداء اذا احطا الركاب أى اذا تبعته من أين جاء وجدته من عند من أوجده ولذلك كان له البقاء قال تعالى وماعند الله باق فاذا حططت عنده عرفت منزلته منه الذى كان فيها اذ لم يكن لنفسه وذلك منزل الاولية الالهية فى قوله هو الاول ومن هذه الاولية صدر ابتداء الكون ومنه تستمد الحوادث كلها وهو الحاكم فيها وهى الجارية على حكمه ونفى النسب عنه فان أولية الحق تمد أولية العبد وليس لاولية الكون امداد لشئ فما ثم نسب الا العناية ولا سبب الا الحكم ولا وقت غير الازل هذا مذهب القوم ومابقى عالم يدخل تحت حصر هذه الثلاثة فهمى وتلبيس هكذا صرّح به صاحب محاسن المجالس وقول من قال مبنى الوجود حقائق وأباطل ليس بصحيح فان الباطل هو العدم وهو صحيح فان الوجود المستفاد فى حكم العدم والوجود الحق من كان وجوده لنفسه وكل عدم وجد فاوجد الا من وجود كان موصوفا به لغيره لا لنفسه والذى استفاد هو الوجود لعينه وأما المحال الباطل فهو الذى لاوجود له لا لنفسه ولا من غيره (منزل التنزيه) هذا المنزل يشتمل على منازل منها منزل الشكر ومنزل البأس ومنزل النشر ومنزل النصر والجمع ومنزل الربح والخسران والاستحالات ولنا فى هذا

لمنازل التنزيه والتقديس * سر مقول حكمه معقول
علم يعود على المنزه حكمه * فردوس قدس روضه مطلول
فمنزه الحق المبين مجوز * ماقاله فرامه تضليل

يقول المنزه على الحقيقة من هو نزيه لنفسه وانما ينزه من يجوز عليه ماينزه عنه وهو المخلوق فلهذا يعود التنزيه على المنزه قال صلى الله عليه وسلم انما هى أعمالكم ترد عليكم فمن كان عمله التنزيه عاد عليه تنزيهه فكان محله منزها عن أن يقوم به اعتقاد مالا ينبغى أن يكون الحق عليه ومن هنا قال من قال سبحانى تعظيما لجلال الله تعالى ولهذا قال روضه مطلول وهو نزول التنزيه الى محل العبد المنزه خالقه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

(منزل التقريب هذا المنزل يشتمل على منزلين منزل خرق العوائد ومنزل أحدية كن وفيه أنشدت)

لمنازل التقريب شرط يعلم * ولها على ذات الكيان تحكم
فاذا أتى شرط القيامة واستوى * جبارها خضع الوجود ويخدم
هيهات لاتجنى النفوس ثمارها * الا التى فعلت وأنت مجسم *

يقول ان التقريب من صفات المحدثات لانها تقبل التقريب وضده والحق هو القريب وان كان قد وصف نفسه بانه يتقرب والمصدر منه التقريب والتقرّب ولما قال شرط يعلم وهو قبول التأثير قال ولا يعرف وينكشف الامر عموما الا فى الآخرة وقال والنفوس ماتجنى الا ماغرسته فى حياتها الدنيا من خير اوشرّ فلها التقريب من أعمالها فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرّا يره (منزل التوقع) وهذا المنزل أيضا يشتمل على منزلين منزل الطريق الالهىّ ومنزل السمع وفيه نظمت

ظهرت منازل للتوقع باديه * وقطوفها ليد المقرب دانيه
فاقطف من اغصان الدنوّ ثمارها * لاتقطفن من الغصون العاديه
لاتخرجن عن اعتدالك والزمن * وسط الطريق تر الحقائق باديه

يقول مايتوقعه الانسان قد ظهر لانه مايتوقع شيأ الا وله ظهور عنده فى باطنه فقد برز من غيبه الذى يستحقه الى باطن

من يتوقعه ثم انه يتوقع ظهوره في عالم الشهادة فيكون أقرب في التناول وهو قوله قطوفها دانية أي قريبة ليد القاطف يقول احفظ طريق الاعتدال لا تنحرف عنه والاعتدال هنا ملازمتك حقيقتك لا تخرج عنها كما خرج المتكبرون ومن كان برزخا بين الطرفين كان له الاشراف عليهما فاذا مال الى أحدهما غاب عن الآخر (منزل البركات) وهو أيضا يشتمل على منزلين على منزل الجمع والتفرقة ومنزل الخصام البرزخي وهو منزل الملك والقهر وفيه قلت

لمنازل البركات نور يسطع * وله بعبات القلوب توقع

فيها المزيد لكل طالب مشهد * ولها الى نفس الوجود تطلع

فاذا تحقق سر طالب حكمة * بحقائق البركات شد المطلع

فالحمد لله الذى فى كونه * أعيانه مشهودة تتسمع

البركات الزيادة وهي من نتائج الشكر وما سمي الحق نفسه تعالى بالاسم الشاكر والشكور الا للمزيد في العمل الذى شرع لنا ان نعمل به كما بدا الحق النعم بالشكر منا فكل نفس متطلعة للزيادة يقول واذا تحقق طالب الحكم الزيادة انفرد بامور يجهد أن لا يشاركه فيها أحد لتكون الزيادة من ذلك النوع وصاحب هذا المقام تكون حاله المراقبة لمحال الذى يطلبه (منزل الاقسام والايلاء) وهذا المنزل يشتمل على منازل منها منزل الفهوانيات الرحمانية ومنزل القاسم الروحانية ومنزل الرقوم ومنزل مساقط النور ومنزل الشعراء ومنزل المراتب الروحانية ومنزل النفس الكلية ومنزل القطب ومنزل انفهاق الانوار على عالم الغيب ومنزل مراتب النفس الناطقة ومنزل اختلاف الطرق ومنزل المودة ومنزل علوم الالهام ومنزل النفوس الحيوانية ومنزل الصلاة الوسطى وفي هذا قلت

منازل الاقسام في العرض * أحكامها في عالم الارض

تجرى بافلاك السعود على * من قام بالسنة والفرض

وعلمها وقف على عينها * وحكمها في الطول والعرض

يقول القسم نتيجة التهمة والحق يعامل الخلق من حيث ما هم عليه لا من حيث ما هو عليه ولهذا لم يول الحق تعالى للملائكة لانهم ليسوا من عالم التهمة وليس لمخلوق أن يقسم بمخلوق وهو مذهبنا وان أقسم بمخلوق عندنا فهو عاص ولا كفارة عليه اذا حنث وعليه التوبة مما وقع فيه لا غير وانما أقسم الحق بنفسه حين أقسم بذكر المخلوقات وحذف الاسم يدل على ذلك اظهار الاسم في مواضع من الكتاب العزيز مثل قوله فورب السماء والارض برب المشارق والمغارب فكان ذلك اعلاما في المواضع التي لم يجر للاسم ذكر ظاهر انه غيب هنالك لامر أراده سبحانه في ذلك يعرفه من عرفه الحق ذلك من نبي وولي ما هم فان القسم دليل على تعظيم المقسم به ولا شك انه قد ذكر في القسم من يبصر ومن لا يبصر فدخل في ذلك الرفيع والوضيع والمرضي عنه والمغضوب عليه والمحبوب والممقوت والمؤمن والكافر والموجود والمعدوم ولا يعرف منازل الاقسام الا من عرف عالم الغيب فيغلب على الظن ان الاسم الالهي هنا مضمر وقد عرفناك ان عالم الغيب هو الطول وعالم الشهادة هو العرض (منزل الأنية) ويشتمل على منازل منها منزل سليمان عليه السلام دون غيره من الانبياء ومنزل الستر الكامل ومنزل اختلاف المخلوقات ومنزل الروح ومنزل العلوم وفيه أقول

أنية قدسية مشهودة * لوجودها عند الرجال منازل

تفنى الكيان اذا تجلت صورة * في سورة أعلامها تتفاضل

وتريك فيك وجودها بنعوتها * خلف الظلال وجوده الك شامل

يقول ان الحقيقة الالهية المعنوية بنعوت التنزيه اذا شوهدت نفي كل عين سواها وان تفاضلت مشاهدها في الشخص الواحد بحسب أحواله وفي الاشخاص لاختلاف أحوالهم لما أعطت الحقيقة انه لا يشهد الشاهد منا الا نفسه كما لا تشهد هي منا الا نفسها فكل حقيقة للاخرى مرآة المؤمن مرآة أخيه ليس كمثله شيء (منزل الدهور) يحتوى

هـذا المنزل على منازل منها منزل السابقة ومنزل العزة ومنزل روحانيات الافلاك ومنزل الامر الالهي ومنزل الولادة ومنزل الموازنة ومنزل البشارة باللقاء وفيه أقول

ومن المنازل ما يكون مقـدره * مثـل الزمان فانه متـوهم
دلت عليه الدائرات بدورها * وله التصرف والمقام الاعظم

يقول لما كان الازل أمرا متوهما في حق الحق كان الزمان أيضا في حق الحق أمرا متوهما أي مدة متوهمة تقطعها حركات الافلاك فان الازل كالزمان للخلق فافهم (منزل لام الالف) هـذا منزل الالتفاف والغالب عليه الائتلاف لا الاختـلاف قال تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق وهو يحتوي على منازل منها منزل مجمع البحرين وجمع الامرين ومنزل التشريف المحمدي الذي الى جانب المنزل الصمدي وفيه أقول

منازل اللام في التحقيق والالف * عنـد اللقاء انفصال حال وصلهما
هما الدليـل أعلى من قال ان أنا * سر الوجود وانى عينـه فهما
نعم الدليـلان اذ دلا بحالهما * لا كالذي دل بالاقوال فانصرما

يقول وان ارتبط اللام بالالف وانعـقد وصارا عينا واحـدة وهو ظاهر في المزدوج من الحروف في المقام الثامن والعشرين بين الواو والياء اللذين لهما الصحة والاعتـلال فلما في الالف من العلة ولما في اللام من الصحة وقعت المناسبة بينه وبين هـذين الحرفين فيلي الصحيح منه حرف الصحة ويلي المعتل منه حرف العلة فيداه مبسوطة بالرحمة مقبوضة بنقيضها وليس للام الالف صورة في نظم المفرد بل هو غيب فيها ورتبة على حالها بين الواو والياء وقد استناب في مكانه الزاي والحاء والطاء اليابسة فله في غيبه الرتبة السابعة والثامنة والتاسعة فله منزلة القمر بين البدر والهلال فلم تزل تصحبه رتبة البرزخية في غيبته وظهوره فهو الرابع والعشرون اذ كانت له السبعة بالزاي والثمانية بالحاء والتسعة بالطاء واليوم أربع وعشرون ساعة ففي أي ساعة عملت به فيها أنجح عملك على ميزان العمل بالوضع لانه في حروف الرقم لا في حروف الطبع لانه ليس له في حروف الطبع الا اللام وهو من حروف اللسان برزخ بين الحلق والشفتين والالف ليست من حروف الطبع فناب الامناب حرف واحد وهو اللام الذي عنه تولد الالف اذا أشبعت حركته فان لم تشبع ظهرت الهمزة ولهـذا جعل الالف بعض العلماء نصف حرف والهمزة نصف حرف في الرقم الوضعي لا في اللفظ الطبعي ثم نرجع فنقول ان انعقد اللام بالالف كما قلنا وصارا عينا واحدة فان لفـظه يدلان على انهما اثنان ثم العبارة باسمه تدل على أنه اثنان فهو اسم مركب من اسمين لعينين العين الواحـدة اللام والاخرى الالف ولكن لما ظهرا في الشكل على صورة واحدة لم يفرق الناظر بينهما ولم يميز له أي الفخـذين هو اللام حتى يكون الآخر الالف فاختلف الكتاب فيه فمنهم من راعى اللفظ ومنهم من راعى ما يبتدئ به مخططه فيجعله أولا فاجتمعا في تقديم اللام على الالف لان الالف هنا تولد عن اللام بلا شك وكـذلك الهمزة تتلو اللام في مثل قوله لا نتم أشد رهبة وأمثاله وهـذا الحرف أعني لام ألف هو حرف الالتباس في الافعال فلم يتخلص الفـعل الظاهر على يد المخلوق لمن هو ان قلت هو لله صـدقت وان قلت هو للمخلوق صدقت ولولا ذلك ما صح التكليف واضافة العمل من الله للعبد يقول صلى الله عليه وسلم انما هي أعمالكم ترد عليكم ويقول الله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه واعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير والله يقول الحق فكذلك أي الفخذين جعلت اللام أو الالف صدقت وان اختلف العمل في وضع الشكل عنـد العلماء به للتحقق بالصورة وكل من دل على ان الفعل للواحد من الفخذين دون الآخر فذلك غير صحيح وصاحبه ينقطع ولا يثبت وان غيره من أهل ذلك الشأن يخالفه في ذلك ويدل في زعمه والقول معـه كالقول مع مخالفه ويتعارض الامر ويشكل الاعلى من نور الله بصيرته وهداه الى سواء السبيل (منزل التقرير) وهو يشتمل على منازل منها منزل تعداد النعم ومنزل رفع الضرر ومنزل الشرك المطلق وفي ذلك أقول

تغـيرت المنازل بالسكون * ورجحت الظهور على الـكمون

ودلت بالعيان على عيون * مفجرة من الماء المعين

ودلت بالبروق سحاب مزن * اذا لمعت على النور المبين

اعلم أيدك الله أنه بقول الثبوت يقرّر المنازل فمن ثبت ثبت وظهر لكل عين على حقيقتها ألا ترى ما تعطيك سرعة الحركة من الشبه فيحكم الناظر على الشئ بخلاف ما هو عليه ذلك الشئ فيقول فى النار التى فى الجمرة أوفى رأس الفتيلة اذا أسرع بحركته عرضا انه خط مستطيل أو يديره بسرعة فيرى دائرة نار فى الهواء وسبب ذلك عدم الثبوت واذا ثبتت المنازل دلت على ما تحتوى عليه من العلوم الالهية (منزل المشاهدة) وهو منزل واحد هو منزل فناء الكون فيه يفنى من لم يكن و يبقى من لم يزل وفيه أقول

فى فناء الكون منزل * روحه فينا تنزل

انه ليلة قدرى * ماله نور ولا ظل

هو عين النور صرفا * ماله عنه تنقل

* فانا الامام حقا * مالك فى الصدر الاول

عنده مفتاح أمرى * فيوليكم ويعزل

سمهرياتى طوال * لست بالسماك الاعزل

فالمقام الحق فيكم * دائم لا يتبدل

وهو القاهر منه * وهو الامام الاعدل

ليس بالنور المشل * بل من المهاة أكمل

وأنا منه يقينا * بمكان السر الافضل

فبعين العين أسمو * وبامر الامر أنزل

يقول حالة الفناء لا نور ولا ظل مثل ليلة القدر ثم قال وذلك هو الضوء الحقيقى والظل الحقيقى فانه الاصل الذى لا ضدّ له والانوار تقابلها الظلم وهذا لا يقابله شئ وقوله انا الامام يعنى شهوده للحق من الوجه الخاص الذى منه الىّ وهو الصدر الاول ومن هذا المقام يقع التفصيل والكثرة والعدد فى الصور وجعل السمهريات كناية عن تأثير القيومية فى العالم ولها الثبوت ولذا قال لا تتبدل وله القهر والعدل لا يقبل التشبيه فبشهود الذات أعلو وبالامر الالهىّ أنزل اماما فى العالم (منزل الالفة) هو منزل واحد وفيه أقول

منازل الالفة مالوفه * وهى بهذا النعت معروفه

فقل لمن عرّس فيها أقم * فانها بالامن محفوفه

وهى على الاثنين موقوفه * وعن عذاب الوتر مصروفه

هذا منزل الاعراس والسرور والافراح وهو مما امتنّ الله به على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم يريد عليك ولكن الله ألف بينهم يريد على مودتك واجابتك وتصديقك (منزل الاستخبار) وهو يشتمل على منازل منها منزل المنازعة الروحانية ومنزل حلية السعداء كيف تظهر على الاشقياء وبالعكس ومنزل الكون قبل الانسان وفيه أقول

اذا استفهمت عن أحباب قلبى * أحالونى على استفهام لفظى

منازلهم بلفظك ليس الا * فياشؤمى لذاك وسوء حظى

وعظت النفس لا تنظر اليهم * فما التفتت بخاطرها لوعظى

لفظتهمو عسى أحظى بكون * فكانوا عين كونى عين لفظى

وقال

ومن عجب انى أحنّ اليهمو * واسأل عنهم من أرى وهمو معى

وترصدهم عيني وهم في سوادها * ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

يقول انهم في لساني اذا سالت عنهم وفي سواد عيني اذا نظرت اليهم وفي قلبي اذا فكرت فيهم واشتقت اليهم فهم معي في كل حال أكون عليها فهم عيني ولست عينهم اذ لم يكن عندهم مني ما عندي منهم (منزل الوعيد) وهو منزل واحد يحوي على الجور والاستمساك بالسكون وفيه قلت

ان الوعيد لمنزلان هما لمن * ترك السلوك على الطريق الاقوم

فاذا تحقق بالكمال وجوده * ومشى على حكم الملك الاقدم

عادا نعيما عنده فنعيمه * في النار وهي نعيم كل مكرم

منزل روحاني وهو عذاب النفوس ومنزل جسماني وهو العذاب المحسوس ولا يكون الا لمن حاد عن الطريق المشروع في ظاهره وباطنه فاذا وفق للاستقامة وسبقت له العناية عصم من ذلك وتنعم بنار المجاهدة لجنة المشاهدة (منزل الامر) وهو يشتمل على منازل منزل الارواح البرزخية ومنزل التعليم ومنزل السرى ومنزل السبب ومنزل التمائم ومنزل القطب والامامين ولنا فيه

منازل الامر فهو أنية الذات * بها تحصل افراحي ولذاتي

فليتني قائم فيها مدى عمري * ولا أزول الى وقت الملاقاة

فقرة العين للمختار كان له * اذا تبرز في صدر المناجاة

الامر الالهي من صفة الكلام وهو مسدود دون الاولياء من جهة التشريع وما في الحضرة الالهية أمر تكليفي الا أن يكون مشروعا فما بقي للولي الا سماع أمرها اذا أمرت الانبياء فيكون للولي عند سماعه ذلك لذة سارية في وجوده لكن بقي للاولياء المناجاة الالهية التي لا أمر فيها سرا وحديثا فكل من قال من أهل الكشف انه مأمور بأمر الهي في حركاته وسكناته مخالف لامر شرعي محمدي تكليفي فقد التبس عليه الامر وان كان صادقا فيما قال انه سمع وانما يمكن ان ظهر له تجل الهي في صورة نبيه صلى الله عليه وسلم فخاطبه نبيا وأقيم في سماع خطاب نبيه وذلك ان الرسول موصل أمر الحق تعالى الذي أمر الله به عباده فقد يمكن أن يسمع من الحق في حضرة ما ذلك الامر الذي قد جاءه به أولا رسوله صلى الله عليه وسلم فيقول أمرني الحق وانما هو في حقه تعريف بأنه قد أمر وانقطع هذا السبب بمحمد صلى الله عليه وسلم وما عدا الاوامر من الله المشروعة فللاولياء في ذلك القدم الراسخة فهذا قد أتينا على التسعة عشر صنفا من المنازل فلنذكر أخص صفات كل منزل فنقول (وصل) أخص صفات منزل المدح تعلق العلم بما لا يتناهى وأخص صفات منزل الرموز تعلق العلم بخواص الاعداد والاسماء وهي الكلمات والحروف وفيه علم السيمياء وأخص صفات منزل الدعاء علوم الاشارة والتحلية وأخص صفات منزل الافعال علم الآن وأخص صفات منزل الابتداء علم المبدأ والمعاد ومعرفة الاوليات من كل شئ وأخص صفات التنزيه علم السلخ والخلع وأخص صفات التقريب علم الدلالات وأخص صفات منزل التوقيع علم النسب والاضافات وأخص صفات منزل البركات علم الاسباب والشروط والعلل والادلة والحقيقة وأخص صفات الاقسام علوم العظمة وأخص صفات منزل الدهر علم الازل وديمومة البارى وجودا وأخص صفات منزل الانية علم الذات وأخص صفات منزل لام ألف علم نسبة الكون الى المكون وأخص صفات منزل التقرير علم الحضور وأخص صفات منزل فناء الكون علم قلب الاعيان وأخص صفات منزل الالفة علم الالتحام وأخص صفات منزل الوعيد علم المواطن وأخص صفات منزل الاستفهام علم ليس كمثله شئ وأخص صفات منزل الامر علم العبودة (وصل) اعلم أنه لكل منزل من هذه المنازل التسعة عشر صنف من الممكنات فمنهم صنف الملائكة وهم صنف واحد وان اختلفت أحوالهم (وعلم الاجسام ثمانية عشر) الافلاك أحد عشر نوعا والاركان أربعة والمولدات ثلاثة ولها وجه آخر يقابلها من الممكنات في الحضرة الالهية الجوهر للذات وهو الاول الثاني الاعراض وهي للصفات الثالث الزمان وهو للازل الرابع المكان وهو للاستواء أو النعوت الخامس الاضافات للاضافات

السادس الاوضاع للفهوانية السابع الكميات للاسماء الثامن الكيفيات للتجليات التاسع التأثيرات للجود العاشر الانفعالات للظهور في صور الاعتقادات الحادي عشر الخاصية وهي للاحدية الثاني عشر الحيرة وهي للوصف بالنزول والفرح والقرض وأشباه ذلك الثالث عشر حياء الكائنات للحي الرابع عشر المعرفة للعلم الخامس عشر الهواجس للارادة السادس عشر الابصار للبصير السابع عشر السمع للسميع الثامن عشر الانسان للكمال التاسع عشر الانوار والظلم للنور (وصل في نظائر المنازل التسعة عشر) نظائرها من القرآن حروف الهجاء التي في أول السور وهي أربعة عشر حرفا في خمس مراتب أحدية وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ونظائرها من النار الخزنة تسعة عشر ملكا نظائرها في التأثير اثناعشر برجا والسبعة الدراري نظائرها من القرآن حروف البسملة ونظائرها من الرجال النقباء اثناعشر والابدال السبعة وهؤلاء السبعة منهم الاوتاد أربعة والامامان اثنان والقطب واحد والنظائر لهذه المنازل من الحضرة الالهية ومن الاكوان كثير (وصل) اعلم ان منزل المنازل عبارة عن المنزل الذي يجمع جميع المنازل التي تظهر في عالم الدنيا من العرش الى الثرى وهو المسمى بالامام المبين قال الله تعالى وكل شيء أحصيناه في امام مبين فقوله أحصيناه دليل على انه ما أودع فيه الا علوما متناهية فنظرناها ينحصر لاحد عددها فخرجت عن الحصر مع كونها متناهية لانه ليس فيه الا ما كان من يوم خلق الله العالم الى أن ينقضي حال الدنيا وتنتقل العمارة الى الآخرة فسألنا من أثق به من العلماء بالله هل تنحصر أمهات هذه العلوم التي يحوبها هذا الامام المبين فقال نعم فأخبرني الثقة الامين الصادق الصاحب وعاهدني أني لا أذكر اسمه ان أمهات العلوم التي تتضمن كل أم منه ما لا يحصى كثرة تبلغ بالعدد الى مائة ألف نوع من العلوم وتسعة وعشرين ألف نوع وستمائة نوع وكل نوع يحتوي على علوم جمة ويعبر عنها بالمنازل فسألت هذا الثقة هل نالها أحد من خلق الله وأحاط بها علما قال لا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو واذا كانت الجنود لا يعلمها الا هو وليس للحق منازع يحتاج هؤلاء الجنود الى مقابلته فقال لي لا تعجب فورب السماء والارض لقد ثم ما هو أعجب فقلت ما هو فقال لي الذي ذكر الله في حق امرأتين من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير فهذا أعجب من ذكر الجنود فأسرار الله عجيبة فلما قال لي ذلك سألت الله أن يطلعني على فائدة هذه المسئلة وما هذه العظمة التي جعل الله نفسه في مقابلتها وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة فأخبرت بها فما سررت بشيء سروري بمعرفة ذلك وعلمت لمن استندتا ومن يقوّ بهما ولولا ما ذكر الله نفسه في النصرة ما استطاعت الملائكة والمؤمنون مقاومتهما وعلمت انهما حصل لهما من العلم بالله والتأثير في العالم ما أعطاهما هذه القوّة وهذا من العلم الذي كهيئة المكنون فشكرت الله على ما أولى فما أظن ان أحدا من خلق الله استند الى ما استندتا اليه ان المرأتان يقول لوط عليه السلام لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد وكان عنده الركن الشديد ولم يكن يعرفه فان النبي صلى الله عليه وسلم قد شهد له بذلك فقال يرحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد وعرفتاه عائشة وحفصة فلو علم الناس علم ما كانتا عليه لعرفوا معنى هذه الآية والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب الثالث والعشرون في معرفة الاقطاب المصونين وأسرار صونهم﴾

ان لله حكمة أخفاها * في وجودي فليس عين تراها
خلق الجسم دار طور وأنس * فبناها وجوده سوّاها
ثم لما تعدّلت واستقامت * جاء روح من عنده أحياها
ثم لما تحقق الحق علما * حبه وانقياده طواها
قال للموت خذ اليك عبيدي * فدعاه له بما أخلاها
وتجلى له فقال الهي * أين أنسي فقال ما تنساها
كيف أنسى دارا جعلت قواها * من قواكم فهي التي لا تضاهي

يا الهى وسيدى واعتمادى * ماعشقنا منها سوى معناها
أعلمتنا بما تريدون منا * بلسان الرسول من أعلاها
فقطعنا أيامنا فى سرور * بك ياسيدى فما أحلاها
قال ردوا عليه دار هواه * صدق الروح انه يهواها
فرددنا لخلدين سكارى * طربا دائما الى سكناها
و بناها على اعتدال قواها * وتجلى لها بما قوّاها

اعلم أيدك الله ان هذا الباب يتضمن ذكر عباد الله المسمين بالملامية وهم الرجال الذين حلوا من الولاية فى أقصى درجاتها وما فوقهم الا درجة النبوّة وهذا يسمى مقام القربة فى الولاية وآيتهم من القرآن حور مقصورات فى الخيام ينبه بنعوت نساء الجنة وحورها على نفوس رجال الله الذين اقتطعهم اليه وصانهم وحبسهم فى خيام صون الغيرة الالهية فى زوايا الكون أن تمتد اليهم عين فتشغلهم لا والله ما يشغلهم نظر الخلق اليهم لكنه ليس فى وسع الخلق أن يقوموا بما لهذه الطائفة من الحق عليهم لعلوّ منصبها فتقف العباد فى أمر لا يصلون اليه أبدا فحبس ظواهرهم فى خيام العادات والعبادات من الاعمال الظاهرة والمثابرة على الفرائض منها والنوافل فلا يعرفون بخرق عادة فلا يعظمون ولا يشار اليهم بالصلاح الذى فى عرف العامة مع كونهم لا يكون منهم فساد فهم الاخفياء الابرياء الامناء فى العالم الغامضون فى الناس فيهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل ان أغبط أوليائى عندى لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه فى السرّ والعلانية وكان غامضا فى الناس يريد أنهم لا يعرفون بين الناس بكثير عبادة ولا ينتهكون المحارم سرّا وعلنا قال بعض الرجال فى صفتهم لما سئل عن العارف قال مسودّ الوجه فى الدنيا والآخرة فان كان أراد ما ذكرناه من أحوال هذه الطائفة فانه يريد باسوداد الوجه استفراغ أوقاته كلها فى الدنيا والآخرة فى تجليات الحق له ولا يرى الانسان عندنا فى مرآة الحق اذا تجلى له غير نفسه ومقامه وهو كون من الاكوان والكون فى نور الحق ظلمة فلا يشهد الا سواده فان وجه الشئ حقيقته وذاته ولا يدوم التجلى الا لهذه الطائفة على الخصوص فهم مع الحق فى الدنيا والآخرة على ما ذكرناه من دوام التجلى وهم الافراد وأما ان أراد بالتسويد من السيادة وأراد بالوجه حقيقة الانسان أى له السيادة فى الدنيا والآخرة فيمكن ولا يكون ذلك الا للرسل خاصة فانه كمالهم وهو فى الاولياء نقص لان الرسل مضطرّون فى الظهور لاجل التشريع والاولياء ليس لهم ذلك ألا ترى الله سبحانه لما أكمل الدين كيف أمره فى السورة التى نعى الله اليه فيها نفسه فأنزل عليه اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره أى أشغل نفسك بتنزيه ربك والثناء عليه بما هو أهله فاقتطعه بهذا الامر من العالم لما كمل ما أريد منه من تبليغ الرسالة وطلب بالاستغفار أن يستره عن خلقه فى حجاب صونه لينفرد به دون خلقه دائما فانه كان فى زمان التبليغ والارشاد وشغله بأداء الرسالة فان له وقتا لا يسعه فيه غير ربه وسائر أوقاته فيما أمر به من النظر فى أمور الخلق فردّه الى ذلك الوقت الواحد الذى كان يختلسه من أوقات شغله بالخلق وان كان عن أمر الحق ثم قوله انه كان توابا أى يرجع الحق اليك رجوعا مستصحبا لا يكون للخلق عندك فيه دخول بوجه من الوجوه ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة بكى أبو بكر الصديق رضى الله عنه وحده دون من كان فى ذلك المجلس وعلم أن الله تعالى قد نعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وهو كان أعلم الناس به وأخذ الحاضرون يتعجبون من بكائه ولا يعرفون سبب ذلك والاولياء الاكابر اذا تركوا أنفسهم لم يختر أحد منهم الظهور أصلا لانهم علموا أن الله ما خلقهم لهم ولا لأحد من خلقه بالتعلق من القصد الاول وانما خلقهم له سبحانه فشغلوا أنفسهم بما خلقوا له فان أظهرهم الحق عن غير اختيار منهم بأن يجعل فى قلوب الخلق تعظيمهم فذلك اليه سبحانه ما لهم فيه تعمل وان سترهم فلم يجعل لهم فى قلوب الناس قدرا يعظمونهم من أجله فذلك اليه تعالى فهم لا اختيار لهم مع اختيار الحق فان خيرهم ولا بد فيختارون الستر عن الخلق والانقطاع الى الله ولما كان ما لهم ستر مرتبتهم عن نفوسهم فكيف عن غيرهم تعين علينا أن نبين منازل

صونهم فى منازل صونهم آداء الفرائض فى الجماعات والدخول مع الناس فى كل بلد بزى ذلك البلد ولا يوطن مكانا فى المسجد وتختلف أماكنه فى المسجد الذى تقام فيه الجمعة حتى تضيع عينه فى غمار الناس واذا كلم الناس فيكلمهم ويرى الحق رقيبا عليه فى كلامه واذا سمع كلام الناس سمع كذلك ويقلل من مجالسة الناس الا من جيرانه حتى لا يشعر به ويقضى حاجة الصغير والارملة ويلاعب أولاده وأهله بما يرضى الله تعالى ويمزح ولا يقول الا حقا وان عرف فى موضع انتقل عنه الى غيره فان لم يتمكن له الانتقال استقضى من يعرفه وألح عليهم فى حوائج الناس حتى يرغبوا عنه وان كان عنده مقام التحول فى الصور تحول كما كان للروحانى التشكل فى صور بنى آدم فلا يعرف أنه ملك وكذلك كان قضيب البان وهذا كله مالم يرد الحق اظهاره ولا شهرته من حيث لا يشعر ثم ان هذه الطائفة انما نالوا هذه المرتبة عند الله لانهم صانوا قلوبهم أن يدخلها غير الله أو تتعلق بكون من الاكوان سوى الله فليس لهم جلوس الا مع الله ولا حديث الا مع الله فهم بالله قائمون وفى الله ناظرون والى الله راحلون ومنقلبون وعن الله ناطقون ومن الله آخذون وعلى الله متوكلون وعند الله قاطنون فما لهم معروف سواه ولا مشهود الا اياه صانوا نفوسهم عن نفوسهم فلا تعرفهم نفوسهم فهم فى غيابات الغيب محجوبون هم ضنائن الحق المستخلصون يأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق مشى ستر واكل حجاب فهذه حالة هذه الطائفة المذكورة فى هذا الباب (تتمة شريفة) لهذا الباب قلنا ومن هذه الحضرة بعثت الرسل سلام الله عليهم أجمعين مشرعين ووجد معهم هؤلاء تابعين لهم قائمين بأمرهم من عين واحدة أخذ عنها الانبياء والرسل ما شرعوا وأخذ عنها الاولياء ما اتبعوهم فيه فهم التابعون على بصيرة العالمون بمن اتبعوه وفيما اتبعوه وهم العارفون بمنازل الرسل ومناهج السبل من الله ومقاديرهم عند الله تعالى والله يقول الحق وهو يهدى السبيل انتهى الجزء السادس عشر والحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الرابع والعشرون)

فى معرفة جاءت عن العلوم الكونية وما تتضمنه من العجائب ومن حصلها من العالم ومراتب أقطابهم وأسرار الاشتراك بين شريعتين والقلوب المتعشقة بعالم الانفاس وبالانفاس وأصلها والى كم تنتهى منازلها

تعجبت من ملك يعود بنا ملكا * ومن مالك أضحى لمملوكه ماسكا

فذلك ملك الملك ان كنت ناظما * من اللؤلؤ المنثور من علمنا سلكا

نفذ عن وجود الحق علما مقدسا * ليأخذ ذاك العلم من شاء عنكا

فان كنت مثلى فى العلوم فقد ترى * بأن الذى فى كونه نسخة منكا

فهل فى العلى شئ يقاوم أمركم * وقد فتكت أسيافكم فى الورى فتكا

فلو كنت تدرى يا حبيبى وجوده * ومن أنت كنت السيد العلم الملكا

وكان اله الخلق يأتيك ضعفما * أتيت اليه ان تحققته ملكا

اعلم أيدك الله ان الله يقول ادعونى أستجب لكم فاذا علمت هذا علمت ان الله رب كل شئ ومليكه فكل ما سوى الله تعالى مربوب لهذا الرب وملك لهذا الملك الحق سبحانه ولا معنى لكون العالم ملك الله تعالى الا تصرفه فيه على ما يشاء من غير تحجير وانه محل تأثير المالك سيده جل علاه فتنوع الحالات التى هو العالم عليها هو تصرف الحق فيه على حكم ما يريده ثم انه لما رأينا الله تعالى يقول كتب ربكم على نفسه الرحمة فأشرك نفسه مع عبده فى الوجوب عليه وان كان هو الذى أوجب على نفسه ما أوجب فكلامه صدق ووعده حق كما يوجب الانسان بالنذر على نفسه ابتداء مالم يوجبه الحق عليه فأوجب الله عليه الوفاء بنذره الذى أوجبه على نفسه فأمره بالوفاء بنذره ثم رأيناه تعالى لا يستجيب الا بعد دعاء العبد اياه كما شرع كما ان العبد لا يكون مجيبا للحق حتى يدعوه الحق الى ما يدعوه اليه قال

تعالى فليستجيبوا لى فصار للعبد والعالم الذى هو ملك لله سبحانه تصرّف الحى فى الجانب الالهى بما تقتضيه حقيقة العالم بالطلب الذاتى وتصريف آخر بما يقتضيه وضع الشريعة فلما كان الامر على ماذكرناه من كون الحق يجيب أمر العبد اذا دعاه وسأله كان العبد يجيب أمر الله اذا أمره وهو قوله وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم فشركك فى القضية ولما كان الحق يقتضى بذاته أن يتذلل له سواء شرع لعباده أعمالا أولم يشرع كذلك يقتضى ببقاء وجود عينه حفظ الحق اياه سواء شرع الحق ما شرعه أولم يشرع ثم لما شرع للعبد أعمالا اذا عملها شرع لنفسه أن يجازى هذا العبد على فعل ما كلفه به فصار الجناب العالى ملكا لهذا الملك الذى هو العالم بما ظهر من أثر العبد فيه من العطاء عند السؤال فانطلق عليه صفة يعبر عنها ملك الملك فهو سبحانه مالك وملك بما يأمر به عباده وهو سبحانه ملك بما يأمره به العبد فيقول رب اغفر لى كما قال له الحق أقم الصلاة لذكرى فيسمى ما كان من جانب الحق للعبد أمرا ويسمى ما كان من جانب العبد للحق دعاء أدبا الهيا وانما هو على الحقيقة أمر فان الحد يشمل الامرين معا وأول من اصطلح على هذا الاسم فى علمى محمد بن على الترمذى الحكيم وما سمعنا هذا اللفظ عن أحد سواه وربما تقدمه غيره بهذا الاصطلاح وما وصل الينا الا أن الامر صحيح ومسئلة الوجوب على الله عقلا مسئلة خلاف بين أهل النظر من المتكلمين فمن قائل بذلك وغير قائل بها وأما الوجوب الشرعى فلا ينكره الا من ليس بمؤمن بما جاء من عند الله واعلم ان المتضايفين لابد أن يحدث لكل أحد من المتضايفين اسم تعطيه الاضافة فاذا قلت زيد فهو انسان بلا شك لا يعقل منه غير هذا فاذا قلت عمرو فهو انسان لا يعقل منه غير هذا فاذا قلت زيد بن عمرو أو زيد عبد عمرو فلا شك انه قد حدث لزيد البنوة اذ كان ابن عمرو وحدث لعمرو اسم الابوة اذ كان أبا لزيد فبنوة زيد أعطت الابوة لعمرو والابوة لعمرو أعطت البنوة لزيد فكل واحد من المتضايفين أحدث لصاحبه معنى لم يكن يوصف به قبل الاضافة وكذلك زيد عبد عمرو فأعطت العبودة أن يكون زيد مملوكا وعمرو مالكا فقد أحدثت مملوكية زيد اسم المالك لعمرو وأحدث ملك عمرو لزيد مملوكية زيد فقيل فيه مملوك وقيل فى عمرو مالك ولم يكن لكل واحد منهما معقولية هذين الاسمين قبل أن توجد الاضافة فالحق حق والانسان انسان فاذا قلت الانسان أو الناس عبيد الله قلت ان الله ملك الناس لابد من ذلك فلو قدرت ارتفاع وجود العالم من الذهن جملة واحدة من كونه ملكا لم يرتفع وجود الحق لارتفاع العالم وارتفع وجود معنى الملك عن الحق ضرورة ولما كان وجود العالم مرتبطا بوجود الحق فعلا وصلاحية لهذا كان اسم الملك لله تعالى أزلا وان كان عين العالم معدوما فى العين لكن معقوليته موجودة مرتبطة باسم المالك فهو مملوك لله تعالى وجودا وتقديرا قوة وفعلا فان فهمت والا فافهم وليس بين الحق والعالم بون يعقل أصلا الا التمييز بالحقائق فالله ولا شئ معه سبحانه ولم يزل كذلك ولا يزال كذلك لا شئ معه فمعيته معنا كما يستحق جلاله وكما ينبغى لجلاله ولولا ما نسب لنفسه انه معنا لم يقتض العقل أن يطلق عليه معنى المعية كما لا يفهم منها العقل السليم حين أطلقها الحق على نفسه ما يفهم من معية العالم بعضه مع بعض لانه ليس كمثله شئ قال تعالى وهو معكم أينما كنتم وقال تعالى اننى معكما أسمع وأرى لموسى وهرون فنقول ان الحق معنا على حد ما قاله وبالمعنى الذى أراده ولا نقول انا مع الحق فانه ما ورد والعقل لا يعطيه فما لنا وجه عقلى ولا شرعى يطلق به أنا مع الحق وأما من نفى عنه اطلاق الاينية من أهل الاسلام فهو ناقص الايمان فان العقل ينفى عنه معقولية الاينية والشرع الثابت فى السنة لا فى الكتاب قد أثبت اطلاق لفظ الاينية على الله فلا تتعدى ولا يقاس عليها وتطلق فى الموضع الذى أطلقها الشارع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسوداء التى ضربها سيدها أين الله فأشارت الى السماء فقبل اشارتها وقال أعتقها فانها مؤمنة فالسائل بالاينية أعلم الناس بالله تعالى وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأول بعض علماء الرسوم اشارتها الى السماء وقبول النبى صلى الله عليه وسلم ذلك منها لما كانت الالهة التى تعبد فى الارض وهذا تأويل جاهل بالامر غير عالم وقد علمنا ان العرب كانت تعبد كوكبا فى السماء يسمى الشعرى سنه لهم أبو كبشة وتعتقد فيها انها رب الارباب هكذا وقفت على مناجاتهم اياها ولذلك قال تعالى وانه هو رب الشعرى فلو لم يعبد كوكب فى السماء لساغ هذا التأويل لهذا المتأول وهذا أبو كبشة الذى كان شرع عبادة الشعرى هو من

أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم لامه ولذلك كانت العرب تنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فتقول مافعل ابن أبي كبشة حيث أحدث عبادة اله واحد كما أحدث جده عبادة الشعرى ومن أقطاب هذا المقام ممن كان قبلنا محمد ابن علي الترمذي الحكيم ومن شيوخنا أبو مدين رحمه الله وكان يعرف في العالم العلوي بابي النجا وبه يسمونه الروحانيون وكان يقول رضي الله عنه سورتي من القرآن تبارك الذي بيده الملك ومن أجل هذا كنا نقول فيه انه أحد الامامين لان هذا هو مقام الامام ثم نقول ولما كان الحق تعالى يجيب العبد المضطر فيما يدعوه به ويسأله منه صار كالمتصرف فلهذا كان يشير أبو مدين بقوله فكان يقول فيه ملك الملك وأما صحة هذه الاضافة لتحقق العبد في كل نفس انه ملك لله تعالى من غير أن يتخلل هذا الحال دعوى تناقضه فاذا كان بهذه المثابة حينئذ يصدق عليه انه ملك عنده فان شابته رائحة من الدعوى وذلك بأن يدعي لنفسه ملكا عريا عن حضوره في تمليك الله اياه ذلك الامر الذي سماه ملكا له وملكا لم يكن في هذا المقام ولا صح له أن يقول في الحق انه ملك الملك وان كان كذلك في نفس الامر فقد أخرج هذا نفسه بدعواه بجهله انه ملك لله وغفلته في أمر ما فيحتاج صاحب هذا المقام الى ميزان عظيم لا يبرح بيده ونصب عينيه (وصل) وأما أسرار الاشتراك بين الشرعيتين فمثل قوله تعالى أقم الصلاة لذكري وهذا مقام ختم الاولياء ومن رجاله اليوم خضر والياس وهو تقرير الثاني ما أثبته الاول من الوجه الذي أثبته مع مغايرة الزمان ليصح المتقدم والمتأخر وقد لا يتغير المكان ولا الحال فيقع الخطاب بالتكليف للثاني من عين ما وقع للاول ولما كان الوجه الذي جمعهما لا يتقيد بالزمان والاخذ منه أيضا لا يتقيد بالزمان جاز الاشتراك في الشريعة من شخصين الا أن العبارة تختلف زمانها ولسانها الا أن ينطقا في آن واحد بلسان واحد كموسى وهرون لما قيل لهما اذهبا الى فرعون انه طغى ومع هذا كله فقد قيل لهما فقولا له قولا لينا فأتى بالنكرة في قوله قولا ولا سيما وموسى يقول هو أفصح مني لسانا يعني هرون فقد يمكن أن يختلفا في العبارة في مجلس واحد فقد جمعهما مقام واحد وهو البعث في زمان واحد الى شخص واحد برسالة واحدة وان كان قد منع وجود مثل هذا جماعة من أصحابنا وشيوخنا كأبي طالب المكي ومن قال بقوله واليه نذهب وبه أقول وهو الصحيح عندنا فان الله تعالى لا يكرر تجليا على شخص واحد ولا يشترك فيه بين شخصين للتوسع الالهي وانما الامثال والاشباه توهم الرائي والسامع للتشابه الذي يعسر فصله الا على أهل الكشف والقائلين من المتكلمين ان العرض لا يبقى زمانين ومن الاتساع الالهي ان الله أعطى كل شئ خلقه وميز كل شئ في العالم بأمر ذلك الامر هو الذي ميزه عن غيره وهو أحدية كل شئ فما اجتمع اثنان في مزاج واحد قال أبو العتاهية

وفي كل شئ له آية * تدل على انه واحد

وليست سوى أحدية كل شئ فما اجتمع قط اثنان فيما يقع به الامتياز ولو وقع الاشتراك فيه ما امتازت وقد امتازت عقلا وكشفا ومن هذا المنزل في هذا الباب تعرف ايراد الكبير على الصغير والواسع على الضيق من غير أن يضيق الواسع ويوسع الضيق أي لا يغير شئ عن حاله لكن لا على الوجه الذي يذهب اليه أهل النظر من المتكلمين والحكماء في ذلك فانهم يذهبون الى اجتماعهما في الحد والحقيقة لا في الجرمية فان كبر الشئ وصغره لا يؤثر في الحقيقة الجامعة لهما ومن هذا الباب أيضا قال أبو سعيد الخراز ماعرف الله الا بجمعه بين الضدين ثم تلا هو الاول والآخر والظاهر والباطن يريد من وجه واحد لا من نسب مختلفة كما يراه أهل النظر من علماء الرسوم واعلم انه لابد من نزول عيسى عليه السلام ولابد من حكمه فينا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم يوحي الله بها اليه من كونه نبيا فان النبي لا يأخذ الشرع من غير مرسله فيأتيه الملك مخبرا بشرع محمد الذي جاء به صلى الله عليه وسلم وقد يلهمه الهاما فلا يحكم في الاشياء بتحليل وتحريم الا بما كان يحكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان حاضرا ويرتفع اجتهاد المجتهدين بنزوله عليه السلام ولا يحكم فينا بشرعه الذي كان عليه في أوان رسالته ودولته فبما هو عالم بها من حيث الوحي الالهي اليه بها هو رسول ونبي وبما هو الشرع الذي كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم هو تابع له فيه وقد يكون له من الاطلاع على روح محمد صلى الله عليه وسلم كشفا بحيث ان يأخذ عنه ما شرع الله له أن يحكم به في أمته صلى الله عليه وسلم فيكون عيسى عليه السلام

صاحبا وتابعا من هذا الوجه وهو عليه السلام من هذا الوجه خاتم الاولياء فكان من شرف النبي صلى الله عليه وسلم ان ختم الاولياء في أمته نبي رسول مكرم هو عيسى عليه السلام وهو أفضل هذه الامة المحمدية وقد نبه عليه الترمذي الحكيم في كتاب ختم الاولياء له وشهد له بالفضيلة على أبي بكر الصديق وغيره فانه وان كان وليا في هذه الامة والملة المحمدية فهو نبي ورسول في نفس الامر فله يوم القيامة حشران يحشر في جماعة الانبياء والرسل بلواء النبوة والرسالة وأصحابه تابعون له فيكون متبوعا كسائر الرسل ويحشر أيضا معنا وليا في جماعة أولياء هذه الامة تحت لواء محمد صلى الله عليه وسلم تابعا له مقدما على جميع الاولياء من عهد آدم الى آخر ولي يكون في العالم فجمع الله له بين الولاية والنبوة ظاهرا وما في الرسل يوم القيامة من يتبعه رسول الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه يحشر يوم القيامة في اتباعه عيسى والياس عليهما السلام وان كان كل من في الموقف من آدم فمن دونه تحت لوائه صلى الله عليه وسلم فذلك لواؤه العام وكلامنا في اللواء الخاص بامته صلى الله عليه وسلم وللولاية المحمدية المخصوصة بهذا الشرع المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ختم خاص هو في الرتبة دون عيسى عليه السلام لكونه رسولا وقد ولد في زماننا ورأيته أيضا واجتمعت به ورأيت العلامة الختمية التي فيه فلا ولي بعده الا وهو راجع اليه كما انه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم الا وهو راجع اليه كعيسى اذا نزل فنسبة كل ولي يكون بعد هذا الختم الى يوم القيامة نسبة كل نبي يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة كالياس وعيسى والخضر في هذه الامة وبعد ان بينت لك مقام عيسى عليه السلام اذا نزل فقل ما شئت ان شئت قلت شريعتين لعين واحدة وان شئت قلت شريعة واحدة (وصل) وأما القلوب المتعشقة بالانفاس فانه لما كانت خزائن الارواح الحيوانية تعشقت بالانفاس الرحمانية للمناسبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نفس الرحمان يأتيني من قبل اليمن الا وان الروح الحيواني نفس وان أصل هذه الانفاس عند القلوب المتعشق بها النفس الرحماني الذي من قبل اليمن لمن أخرج عن وطنه وحيل بينه وبين مسكنه وسكنه ففيها تفريج الكرب ودفع النوب وقال صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا النفحات ربكم وتنتهي منازل هذه الانفاس في العدد الى ثلاثمائة نفس وثلاثين نفسا في كل منزل من منازلها التي جعلتها الخارج من ضرب ثلاثمائة وثلاثين في ثلاثمائة وثلاثين فما خرج فهو عدد الانفاس التي تكون من الحق من اسمه الرحمن في العالم البشري والذي أتحققه ان لها منازل تزيد على هذا المقدار مائتين منزلا في حضرة الفهوانية خاصة فاذا ضربت ثلاثمائة وثلاثين في خمسمائة وثلاثين فما خرج لك بعد الضرب فهو عدد الانفاس الرحمانية في العالم الانساني كل نفس منها علم الهي مستقل عن تجل الهي خاص لهذه المنازل لا يكون لغيرها فمن شم من هذه الانفاس رائحة عرف مقدارها وما رأيت من أهلها من هو معروف عند الناس وأكثر ما يكونون من بلاد الاندلس واجتمعت بواحد منهم بالبيت المقدس وبمكة فسألته يوما في مسئلة فقال لي هل تشم شيأ فعلمت انه من أهل ذلك المقام وخدمني مدة وكان لي عم أخو والدي شقيقه اسمه عبد الله بن محمد بن العربي كان له هذا المقام حسا ومعنى شاهدنا ذلك منه قبل رجوعنا لهذا الطريق في زمان جاهليتي والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب الخامس والعشرون﴾

في معرفة وتد مخصوص معمر وأسرار الاقطاب المختصين بأربعة أصناف من العلوم وسر المنزل والمنازل ومن دخله من العالم

ان الامور لها حد ومطلع * من بعد ظهر وبطن فيه تجتمع
في الواحد العين سر ليس يعلمه * الا مراتب أعداد بها تقع
هو الذي أبرز الاعداد أجمعها * وهو الذي ماله في العد متسع
مجاله ضيق رحب فصورته * كناظر في مراء حين ينطبع
فانه كثر اذا أعطت مراتبه * تكثرا فهو بالتنزيه يمتنع
كذلك الحق ان حققت صورته * بنفسه وبكم تعلو وتتضع

اعلم أيها الولي الحميم أيدك الله ان هذا الوتد هو خضر صاحب موسى عليه السلام أطال الله عمره الى الآن وقد رأينا من رآه واتفق لنا في شأنه أمر عجيب وذلك ان شيخنا أبا العباس العريبي رحمه الله جرت بيني وبينه مسئلة في حق شخص كان قد بشر بظهوره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي هو فلان ابن فلان وسمى لي شخصا أعرفه باسمه وما رأيته ولكن رأيت ابن عمته فربما توقفت فيه ولم آخذ بالقبول أعني قوله فيه لكوني على بصيرة في أمره ولا شك ان الشيخ رجع سهمه عليه فتأذى في باطنه ولم أشعر بذلك فاني كنت في بداية أمري فانصرفت عنه الى منزلي فكنت في الطريق فلقيني شخص لا أعرفه فسلم علي ابتداء سلام محب مشفق وقال لي يا محمد صدق الشيخ أبا العباس فيما ذكر لك عن فلان وسمى لنا الشخص الذي ذكره أبو العباس العريبي فقلت له نعم وعلمت ما أراد ورجعت من حيني الى الشيخ لأعرفه بما جرى فعندما دخلت عليه قال لي يا أبا عبد الله احتاج معك اذا ذكرت لك مسئلة يقف خاطرك عن قبولها الى الخضر يتعرض اليك يقول لك صدق فلانا فيما ذكره لك ومن أين يتفق لك هذا في كل مسئلة تسمعها مني فتتوقف فقلت ان باب التوبة مفتوح فقال وقبول التوبة واقع فعلمت ان ذلك الرجل كان الخضر ولا شك اني استفهمت الشيخ عنه أهو هو قال نعم هو الخضر ثم اتفق لي مرة أخرى اني كنت بمرسى تونس بالحفرة في مركب في البحر فأخذني وجع في بطني وأهل المركب قد ناموا فقمت الى جانب السفينة وتطلعت الى البحر فرأيت شخصا على بعد في ضوء القمر وكانت ليلة البدر وهو يأتي على وجه الماء حتى وصل الي فوقف معي ورفع قدمه الواحدة واعتمد على الاخرى فرأيت باطنها وما أصابها بلل ثم اعتمد عليها ورفع الاخرى فكانت كذلك ثم تكلم معي بكلام كان عنده ثم سلم وانصرف يطلب المنارة محرسا على شاطئ البحر على تل بيننا وبينه مسافة تزيد على ميلين فقطع تلك المسافة في خطوتين أو ثلاثة فسمعت صوته وهو على ظهر المنارة يسبح الله تعالى وربما مشى الى شيخنا جراح بن خميس الكتاني وكان من سادات القوم مرابطا بمرسى عبدون وكنت جئت من عنده بالامس من ليلتي تلك فلما جئت المدينة لقيت رجلا صالحا فقال لي كيف كانت ليلتك البارحة في المركب مع الخضر ما قال لك وما قلت له فلما كان بعد ذلك التاريخ خرجت الى السياحة بساحل البحر المحيط ومعي رجل ينكر خرق العوائد للصالحين فدخلت مسجدا خرابا منقطعا لأصلي فيه أنا وصاحبي صلاة الظهر فاذا بجماعة من السائحين المنقطعين دخلوا علينا يريدون ما نريده من الصلاة في ذلك المسجد وفيهم ذلك الرجل الذي كلمني على البحر الذي قيل لي انه الخضر وفيهم رجل كبير القدر أكبر منه منزلة وكان بيني وبين ذلك الرجل اجتماع قبل ذلك ومودة فقمت فسلمت عليه فسلم علي وفرح بي وتقدم بنا يصلي فلما فرغنا من الصلاة خرج الامام وخرجت خلفه وهو يريد باب المسجد وكان الباب في الجانب الغربي يشرف على البحر المحيط بموضع يسمى بكة فقمت أتحدث معه على باب المسجد واذا بذلك الرجل الذي قلت انه الخضر قد أخذ حصيرا صغيرا كان في محراب المسجد فبسطه في الهواء على قدر علو سبعة أذرع من الارض ووقف على الحصير في الهواء يتنفل فقلت لصاحبي أما تنظر الى هذا وما فعل فقال لي سر اليه وسله فتركت صاحبي واقفا وجئت اليه فلما فرغ من صلاته سلمت عليه وأنشدته لنفسي

شغل المحب عن الهواء بسره * في حب من خلق الهواء وسخره

العارفون عقولهم معقولة * عن كل كون ترتضيه مطهره

فهمو لديه مكرمون وفي الورى * أحوالهم مجهولة ومستره

فقال لي يا فلان ما فعلت ما رأيت الا في حق هذا المنكر وأشار الى صاحبي الذي كان ينكر خرق العوائد وهو قاعد في صحن المسجد ينظر اليه ليعلم أن الله يفعل ما يشاء مع من يشاء فرددت وجهي الى المنكر وقلت له ما تقول فقال ما بعد العين ما يقال ثم رجعت الى صاحبي وهو ينتظرني بباب المسجد فتحدثت معه ساعة وقلت له من هذا الرجل الذي صلى في الهواء وما ذكرت له ما اتفق لي معه قبل ذلك فقال لي هذا الخضر فسكت وانصرفت الجماعة وانصرفنا نريد روطة موضع مقصود يقصده الصلحاء من المنقطعين وهو بمقربة من بشكنصار على ساحل البحر المحيط فهذا ما جرى لنا مع هذا الوتد نفعنا الله برؤيته وله من العلم اللدني ومن الرحمة بالعالم ما يليق بمن هو على رتبته وقد أثنى الله عليه واجتمع به

رجل من شيوخنا وهو علي بن عبد الله بن جامع من أصحاب علي المتوكل وأبي عبد الله قضيب البان كان يسكن بالمقلى خارج الموصل في بستان له وكان الخضر قد ألبسه الخرقة بحضور قضيب البان وألبسنيها الشيخ بالموضع الذي ألبسه فيه الخضر من بستانه وبصورة الحال التي جرت له معه في الباسه اياها وقد كنت لبست خرقة الخضر بطريق أبعد من هذا من يد صاحبنا تقي الدين عبد الرحمن بن علي بن ميمون بن أب الوزري وابسها هو من يد صدر الدين شيخ الشيوخ بالديار المصرية وهو ابن حمويه وكان جده قد لبسها من يد الخضر ومن ذلك الوقت قلت بلباس الخرقة وألبستها الناس لما رأيت الخضر قد اعتبرها وكنت قبل ذلك لا أقول بالخرقة المعروفة الآن فان الخرقة عندنا انما هي عبارة عن الصحبة والادب والتخلق ولهذا لا يوجد لباسها متصلا برسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن توجد صحبة وأدبا وهو المعبر عنه بلباس التقوى فجرت عادة أصحاب الاحوال اذا رأوا أحدا من أصحابهم عنده نقص في أمر ما وأرادوا أن يكملوا له حاله يتحد به هذا الشيخ فاذا اتحد به أخذ ذلك الثوب الذي عليه في حال ذلك الحال ونزعه وأفرغه على الرجل الذي يريد تكملة حاله فيسري فيه ذلك الحال فيكمل له ذلك فذلك هو اللباس المعروف عندنا والمنقول عن المحققين من شيوخنا ثم اعلم ان رجال الله على أربع مراتب رجال لهم الظاهر ورجال لهم الباطن ورجال لهم الحد ورجال لهم المطلع فان الله سبحانه لما أغلق دون الخلق باب النبوة والرسالة أبقى لهم باب الفهم عن الله فيما أوحى به الى نبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه العزيز وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ان الوحي قد انقطع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بقي بايدينا الا أن يرزق الله عبدا فهما في هذا القرآن وقد أجمع أصحابنا أهل الكشف على صحة خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في آي القرآن انه ما من آية الا ولها ظاهر وباطن وحد ومطلع ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال ولكل طائفة من هؤلاء الطوائف قطب يدور فلك ذلك الكشف دخلت على شيخنا أبي محمد عبد الله الشكاز من أهل باغة بأغرناطة سنة خمس وتسعين وخمسمائة وهو من أكبر من لقيته في هذا الطريق لم أر في طريقه مثله في الاجتهاد فقال لي الرجال أربعة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم رجال الظاهر ورجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وهم رجال الباطن جلساء الحق تعالى ولهم المشورة ورجال الاعراف وهم رجال الحد قال الله تعالى وعلى الاعراف رجال أهل الشم والتمييز والسراح عن الاوصاف فلا صفة لهم كان منهم أبو يزيد البسطامي ورجال اذا دعاهم الحق اليه يأتونه رجالا لسرعة الاجابة لا يركبون وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وهم رجال المطلع فرجال الظاهر هم الذين لهم التصرف في عالم الملك والشهادة وهم الذين كان يشير اليهم الشيخ محمد بن قائد الاواني وهو المقام الذي تركه الشيخ العاقل أبو السعود بن الشبل البغدادي أدبا مع الله أخبرني أبو البدر التماشكي البغدادي رحمه الله قال لما اجتمع محمد بن قائد الاواني وكان من الافراد بأبي السعود هذا قال له يا أبا السعود ان الله قسم المملكة بيني وبينك فلم لا تتصرف فيها كما أتصرف أنا فقال له أبو السعود يا ابن قائد وهبتك سهمي نحن تركنا الحق يتصرف لنا وهو قوله تعالى فاتخذه وكيلا فامتثل أمر الله فقال لي أبو البدر قال لي أبو السعود اني أعطيت التصرف في العالم منذ خمس عشرة سنة من تاريخ قوله فتركته وما ظهر علي منه شيء وأما رجال الباطن فهم الذين لهم التصرف في عالم الغيب والملكوت فيستنزلون الارواح العلوية بهممهم فيما يريدونه وأعني أرواح الكواكب لا أرواح الملائكة وانما كان ذلك لمانع الهي قوي يقتضيه مقام الاملاك أخبر الله به في قول جبريل عليه السلام لمحمد صلى الله عليه وسلم فقال وما نتنزل الا بأمر ربك ومن كان تنزله بأمر ربه لا تؤثر فيه الخاصية ولا ينزل بها انما أرواح الكواكب تستنزل بالاسماء والبخورات وأشباه ذلك لانه تنزل معنوي وان يشاهد فيه صور اخيالي فان ذات الكواكب لا تبرح من السماء مكانها ولكن قد جعل الله لمطارح شعاعاتها في عالم الكون والفساد تأثيرات معتادة عند العارفين بذلك كالري عند شرب الماء والشبع عند الاكل ونبات الحبة عند دخول الفصل بنزول المطر والصحو حكمة أودعها العليم الحكيم جل وعز فيفتح لهؤلاء الرجال في باطن الكتب المنزلة والصحف المطهرة وكلام العالم كله ونظم الحروف والاسماء من جهة معانيها ما لا يكون لغيرهم اختصاصا الهيا وأما رجال الحد فهم الذين لهم التصرف في عالم الارواح النارية عالم البرزخ

والجبروت فانه تحت الجبر ألا تراه مقهورا تحت سلطان ذوات الاذناب وهم طائفة منهم من الشهب الثواقب فاقهرهم الا بجنسهم فعند هؤلاء الرجال استنزال أرواحها واحضارها وهم رجال الاعراف والاعراف سور حاجز بين الجنة والنار برزخ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فهو حد بين دار السعداء ودار الاشقياء دار أهل الرؤية ودار الحجاب وهؤلاء الرجال أسعد الناس بمعرفة هذا السور ولهم شهود الخطوط المتوهمة بين كل نقيضين مثل قوله بينهما برزخ لا يبغيان فلا يتعدون الحدود وهم رجال الرحمة التي وسعت كل شئ فلهم في كل حضرة دخول واستشراف وهم العارفون بالصفات التي يقع بها الامتياز لكل موجود عن غيره من الموجودات العقلية والحسية وأما رجال المطلع فهم الذين لهم التصرف في الاسماء الالهية فيستنزلون بها منها ما شاء الله وهذا ليس لغيرهم ويستنزلون بها كل ما هو تحت تصريف الرجال الثلاثة رجال الحد والباطن والظاهر وهم أعظم الرجال وهم الملامية هذا في قوتهم ومايظهر عليهم من ذلك شئ منهم أبو السعود وغيره فهم والعامة في ظهور العجز وظاهر العوائد سواء وكان لابي السعود في هؤلاء الرجال تميز بل كان من أكبرهم وسمعنا أبو البدر على ما حدثنا مشافهة يقول ان من رجال الله من يتكلم على الخاطر وما هو مع الخاطر أي لاعلم له بصاحبه ولا يقصد التعريف به ولما وصف لنا عمر البزاز وأبو البدر وغيرهما حال هذا الشيخ رأيناه يجري مع أحوال هذا الصنف العالي من رجال الله قال لي أبو البدر كان كثيرا ما ينشد بيتا لم نسمع منه غيره وهو

وانبت في مستنقع الموت رجله * وقال لها من دون أخمصك الحشر

وكان يقول ما هو الا الصلوات الخمس وانتظار الموت وتحت هذا الكلام علم كبير وكان يقول الرجل مع الله تعالى كساعي الطير فهم مشغول وقدم تسعى وهذا كله أكبر حالات الرجال مع الله اذ الكبير من الرجال من يعامل كل موطن بما يستحقه وموطن هذه الدنيا لا يمكن أن يعامله المحقق الا بما ذكره هذا الشيخ فاذا ظهر في هذه الدار من رجل خلاف هذه المعاملة علمنا أن ثم نفسا ولا بد الا أن يكون مأمورا بما ظهر منه وهم الرسل والانبياء عليهم السلام وقد يكون بعض الورثة لهم أمر في وقت بذلك وهو مكر خفي فانه انفصل عن مقام العبودية التي خلق الانسان لها وأما سر المنازل والمنازل فهو ظهور الحق بالتجلي في صور كل ما سواه فلولا تجليه لكل شئ ما ظهرت شيئية ذلك الشئ قال تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فقوله اذا أردناه هو التوجه الالهي لايجاد ذلك الشئ ثم قال أن نقول له كن فنفس سماع ذلك الشئ خطاب الحق تكوين ذلك الشئ فهو بمنزلة سريان الواحد في منازل العدد فتظهر الاعداد الى ما لا يتناهى بوجود الواحد في هذه المنازل ولولا وجود عينه فيها ما ظهرت أعيان الاعداد ولا كان لها اسم ولو ظهر الواحد باسمه في هذه المنزلة ما ظهر لذلك العدد عين فلا تجتمع عينه واسمه معا أبدا فيقال اثنان ثلاثة أربعة خمسة الى ما لا يتناهى وكل ما أسقطت واحدا من عدد معين زال اسم ذلك العدد وزالت حقيقته فالواحد بذاته يحفظ وجود أعيان الاعداد وباسمه يعدمها كذلك اذا قلت القديم فني المحدث واذا قلت الله فني العالم واذا أخليت العالم من حفظ الله لم يكن للعالم وجود وفني واذا سرى حفظ الله في العالم بقي العالم موجودا فبظهوره وتجليه يكون العالم باقيا وعلى هذه الطريقة أصحابنا وهي طريقة النبوة والمتكلمون من الاشاعرة أيضا عليها وهم القائلون بانعدام الاعراض لانفسها وبهذا يصح افتقار العالم الى الله في بقائه في كل نفس ولا يزال الله خلاقا على الدوام وغيرهم من أهل النظر لا يصح لهم هذا المقام وأخبر في جماعة من أهل النظر من علماء الرسوم ان طائفة من الحكماء عثروا على هذا ورأيته مذهبا لابن السيد البطليوسي في كتاب ألفه في هذا الفن والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب السادس والعشرون في معرفة أقطاب الرموز وتلويحات من أسرارهم وعلومهم في الطريق﴾

ألا ان الرموز دليل صدق * على المعنى المغيب في الفؤاد
وان العالمين له رموز * والغاز ليدعى بالعباد
ولولا اللغز كان القول كفرا * وأدى العالمين الى العناد
فهم بالرمز قد حسبوا فزالوا * باهراق الدماء وبالفساد

فكيف بنا لو أن الامر يبدو * بلا ستر يكون له استنادي
لقام بنا الشقاء هنا يقينا * وعند البعث في يوم التنادي
ولكن الغفور أقام سترا * ليسعدنا على رغم الاعادي

اعلم أيها الولي الحميم أيدك الله بروح القدس وفهمك ان الرموز والالغاز ليست مرادة لانفسها وانما هي مرادة لما رمزت له ولما ألغز فيها ومواضعها من القرآن آيات الاعتبار كلها والتنبيه على ذلك قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس فالامثال ما جاءت مطلوبة لانفسها وانما جاءت ليعلم منها ما ضربت له وما نصبت من أجله مثلا مثل قوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء فجعله كالباطل كما قال وزهق الباطل ثم قال وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ضربه مثلا للحق كذلك يضرب الله الامثال وقال فاعتبروا يا أولي الابصار أي تعجبوا وجوزوا واعبروا الى ما أردته بهذا التعريف وان في ذلك لعبرة لاولي الابصار من عبرت الوادي اذا جزته وكذلك الاشارة والايماء قال تعالى لنبيه زكريا أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا أي بالاشارة وكذلك فاشارت اليه في قصة مريم لما نذرت للرحمن أن تمسك عن الكلام ولهذا العلم رجال كبير قدرهم من أسرارهم سر الازل والابد والحال والخيال والرؤيا والبرازخ وأمثال هذه من النسب الالهية ومن علومهم خواص العلم بالحروف والاسماء والخواص المركبة والمفردة من كل شيء من العالم الطبيعي وهي الطبيعة المجهولة فاما علم سر الازل فاعلم ان الازل عبارة عن نفي الاولية لمن يوصف به وهو وصف لله تعالى من كونه الها واذا انتفت الاولية عنه تعالى من كونه الها فهو المسمى بكل اسم سمى به نفسه أزلا من كونه متكلما فهو العالم الحي المريد القادر السميع البصير المتكلم الخالق البارئ المصور الملك لم يزل مسمى بهذه الاسماء وانتفت عنه أولية التقييد فسمع المسموع وأبصر المبصر الى غير ذلك وأعيان المسموعات منا والمبصرات معدومة غير موجودة وهو يراها أزلا كما يعلمها أزلا ويميزها ويفصلها أزلا ولا عين لها في الوجود النفسي العيني بل هي أعيان ثابتة في رتبة الامكان فالامكانية لها أزلا كما هي لها حالا وأبدا لم تكن قط واجبة لنفسها ثم عادت ممكنة ولا محالا ثم عادت ممكنة بل كان الوجوب الوجودي الذاتي لله تعالى أزلا كذلك وجوب الامكان للعالم أزلا فالله في مرتبته باسمائه الحسنى يسمى منعوتا موصوفا بها فعين نسبة الاول له نسبة الآخر والظاهر والباطن لا يقال هو أول بنسبة كذا ولا آخر بنسبة كذا فان الممكن مرتبط بواجب الوجود في وجوده وعدمه ارتباط افتقار اليه في وجوده فان أوجده لم يزل في امكانه وان عدم لم يزل عن امكانه فكما لم يدخل على الممكن في وجود عينه بعد ان كان معدوما صفة تزيله عن امكانه كذلك لم يدخل على الخالق الواجب الوجود في ايجاده العالم وصف يزيله عن وجوب وجوده لنفسه فلا يعقل الحق الا هكذا ولا يعقل الممكن الا هكذا فان فهمت علمت معنى الحدوث ومعنى القدم فقل بعد ذلك ما شئت فاولية العالم وآخريته أمر اضافي ان كان له آخر أما في الوجود فله آخر في كل زمان فرد وانتهاء عند أرباب الكشف ووافقهم الحسبانية على ذلك كما وافقهم الاشاعرة على ان العرض لا يبقى زمانين فالاول من العالم بالنسبة الى ما يخلق بعده والآخر من العالم بالنسبة الى ما خلق قبله وليس كذلك معقولية الاسم الله بالاول والآخر والظاهر والباطن فان العالم يتعدد والحق واحد لا يتعدد ولا يصح أن يكون أولا لنا فان رتبته لا تناسب رتبتنا ولا تقبل رتبتنا أوليته ولو قبلت رتبتنا أوليته لاستحال علينا اسم الاولية بل كان ينطلق علينا اسم الثاني لاوليته ولسنا بثان له تعالى عن ذلك فليس هو باول لنا فلهذا كان عين أوليته عين آخريته وهذا المدرك عزيز المنال يتعذر تصوره على من لا أنسة له بالعلوم الالهية التي يعطيها التجلي والنظر الصحيح واليه كان يشير أبو سعيد الخراز بقوله عرفت الله بجمعه بين الضدين ثم يتلو هو الاول والآخر والظاهر والباطن فقد أبنت لك عن سر الازل وانه نعت سلبي وأما سر الابد فهو نفي الآخرية فكما ان الممكن انتفت عنه الآخرية شرعا من حيث الجملة اذا الجنة والاقامة فيها الى غير نهاية كذلك الاولية بالنسبة الى ترتيب الموجودات الزمانية معقولة موجودة فالعالم بذلك الاعتبار الالهي لا يقال فيه أول ولا آخر وبالاعتبار الثاني هو

أول وآخر بنسبتين مختلفتين بخلاف ذلك فى اطلاقها على الحق عند العلماء بالله وأما سر الحال فهو الديمومة ومالها أول ولا آخر وهو عين وجود كل موجود فقد عرفتك ببعض مايعلمه رجال الرموز من الاسرار وسكت عن كثير فان بابه واسع وعلم الرؤيا والبرزخ والنسب الالهية من هذا القبيل والكلام فيها يطول وأما علومهم فى الحروف والاسماء فاعلم ان الحروف لها خواص وهى على ثلاثة أضرب منها حروف رقمية ولفظية ومستحضرة وأعنى بالمستحضرة الحروف التى يستحضرها الانسان فى وهمه وخياله و يصوّرها فاما ان يستحضر الحروف الرقمية أو الحروف اللفظية ومالم للحروف رتبة أخرى فيفعل بالاستحضار كما يفعل بالكتاب أو التلفظ فاما حروف التلفظ فلا تكون الا أسماء فذلك خواص الاسماء وأما المرقومة فقد لا تكون أسماء واختلف أصحاب هذا العلم فى الحرف الواحد هل يفعل أم لا فرأيت منهم من منع من ذلك جماعة ولاشك انى لما تحدثت معهم فى مثل هذا أوقفتهم على غلطهم فى ذلك الذى ذهبوا اليه واصابتهم وما نقصهم من العبارة عن ذلك ومنهم من أثبت الفعل للحرف الواحد وهؤلاء أيضا مثل الذين منعوا مخطؤن ومصيبون ورأيت منهم جماعة وأعلمتهم بموضع الغلط والاصابة فاعترفوا كما اعترف الآخرون وقات الطائفتين جربوا ماعرفتهم من ذلك على مابيناه لكم فجرّبوه فوجدوا الامر كما ذكرناه ففرحوا بذلك ولولا انى آليت عقدا أن لا يظهر منى أثر عن حرف لاريتهم من ذلك عجبا فاعلم ان الحرف الواحد سواء كان مرقوما أو متلفظا به اذا عرى القاصد للعمل به عن استحضاره فى الرقم أو فى اللفظ خيالا لم يعمل واذا كان معه الاستحضار عمل فانه مركب من استحضار ونطق أو رقم وغاب عن الطائفتين صورة الاستحضار مع الحرف الواحد فمن اتفق له الاستحضار مع الحرف الواحد ورأى العمل غفل عن الاستحضار ونسب العمل للحرف الواحد ومن اتفق له التلفظ أو الرقم بالحرف الواحد دون استحضار فلم يعمل الحرف شيأ قال بمنع ذلك وما واحد منهم تفطن لمعنى الاستحضار وهذه حروف الامثال المركبة كالواو ين وغيرهما فلما نبهناهم على مثل هذا جرّبوا ذلك فوجدوه صحيحا وهو علم ممقوت عقلا وشرعا فاما الحروف اللفظية فان لها مراتب فى العمل و بعض الحروف أعم عملا من بعض وأكثر فالواو أعم الحروف عملا لان فيها قوّة الحروف كلها والهاء أقل الحروف عملا وما بين هذين الحرفين من الحروف تعمل بحسب مراتبها على ماقرّرناه فى كتاب المبادى والغايات فيما تتضمنه حروف المعجم من العجائب والآيات وهذا العلم يسمى علم الاولياء و به تظهر أعيان الكائنات ألا ترى تنبيه الحق على ذلك بقوله كن فيكون فظهر الكون عن الحروف ومن هنا سماه الترمذىّ علم الاولياء ومن هنا منع من منع أن يعمل الحرف الواحد فانه رأى مع الاقتدار الالهى لم يأت فى الايجاد بحرف واحد وانما أتى بثلاثة أحرف حرف غيبى وحرفين ظاهرين اذا كان الكائن واحدا فان زاد على واحد ظهرت ثلاثة أحرف فهذه علوم هؤلاء الرجال المذكورين فى هذا الباب وعمل أكثر رجال هذا العلم لذلك جدولا وأخطؤا فيه وماصح فلا أدرى أبالقصد عملوا ذلك حتى يتركوا الناس فى عماية من هذا العلم أم جهلوا ذلك وبحرى فيه المتأخر على سنن المتقدّم و به قال تلميذ جعفر الصادق وغيره وهذا هو الجدول فى طبائع الحروف

حار	بارد	يابس	رطب
ا	ب	ج	د
ه	د	ز	ح
ط	ى	ك	ل
م	ن	س	ع
ف	ص	ق	ر
ش	ت	ث	خ
ذ	ض	ظ	غ

فكل حرف منها وقع فى جدول الحرارة فهو حار وماوقع منها فى جدول البرودة فهو بارد وكذلك اليبوسة والرطوبة ولم نرهذا الترتيب يصيب فى كل عمل بل يعمل بالاتفاق كاعداد الوفق واعلم انّ هذه الحروف لم تكن لها هذه الخاصية من كونها حروفا وانما كان لها من كونها اشكالا فلما كانت ذوات اشكال كانت الخاصية للشكل ولهذا يختلف عملها باختلاف الاقلام لان الاشكال تختلف فامّا الرقمية فاشكالها محسوسة بالبصر فاذا وجدت أعيانها وصحبتها أرواحها وحياتها الذاتية كانت الخاصية لذلك الحرف لشكله وتركيبه مع روحه وكذلك ان كان الشكل مركبا من حرفين أو ثلاثة أو أكثر كان للشكل روح آخر ليس الروح الذى كان للحرف على انفراده فان ذلك الروح

يذهب وتبقى حياة الحرف معه فان الشكل لا يدبره سوى روح واحد و ينتقل روح ذلك الحرف الواحد الى البرزخ مع الارواح فان موت الشكل زواله بالمحو وهذا الشكل الآخر المركب من حرفين أو ثلاثة أو ما كان ليس هو عين الحرف الاوّل الذي لم يكن مركبا انّ عمرا ليس هو عين زيد وان كان مثله وأمّا الحروف اللفظية فانها تتشكل في الهواء وهذا تتصل بالسمع على صورة ما نطق بها المتكلم فاذا تشكلت في الهواء قامت بها أرواحها وهذه الحروف لا يزال الهواء يمسك عليها شكلها وان انقضى عملها فان عملها انما يكون في أوّل ما تتشكل في الهواء ثم بعد ذلك تلتحق بسائر الامم فيكون شغلها تسبيح ربها وتصعد علوا اليه يصعد الكلم الطيب وهو عين شكل الكلمة من حيث ماهي شكل مسبح لله تعالى ولو كانت كلمة كفر فان ذلك يعود وباله على المتكلم بها لا عليها ولهذا قال الشارع ان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما لا يظنّ أن تبلغ ما بلغت فيهوي بها في النار سبعين خريفا فجعل العقوبة للمتلفظ بها بسببها وما تعرّض اليها فهذا كلام الله سبحانه يعظم و يمجد و يقدّس المكتوب في المصاحف و يقرأ على جهة القربة الى الله وفيه جميع ما قالت اليهود والنصارى في حق الله من الكفر والسب وهي كلمات كفر عاد وبالها على قائلها و بقيت الكلمات على بابها تتولى يوم القيامة عذاب أصحابها أو نعيمهم وهذه الحروف الهوائية اللفظية لا يدركها موت بعد وجودها بخلاف الحروف الرقية وذلك لان شكل الحرف الرقمي والكلمة الرقمية تقبل التغيير والزوال لانه في محل يقبل ذلك والاشكال اللفظية في محل لا يقبل ذلك ولهذا كان لها البقاء فالجوّ كله مملوء من كلام العالم يراه صاحب الكشف صورا قائمة وأما الحروف المستحضرة فانها باقية اذ كان وجود أشكالها في البرزخ لا في الحس وفعلها أقوى من فعل سائر الحروف ولكن اذا استحكم سلطان استحضارها واتحد المستحضر لها ولم يبق فيه متسع لغيرها و يعلم ماهي خاصيتها حتى يستحضرها من أجل ذلك فيرى أثرها فهذا شبيه الفعل بالهمة وان لم يعلم ما تعطيه فانه يقع الفعل في الوجود ولا علم له به وكذلك سائر أشكال الحروف في كل مرتبة وهذا الفعل بالحرف المستحضر يعبر عنه بعض من لا علم له بالهمة و بالصدق وليس كذلك وان كانت الهمة روحا للحرف المستحضر لا عين الشكل المستحضر وهذه الحضرة تعم الحروف كلها لفظيها ورقيها فاذا علمت خواص الاشكال وقع الفعل بها عند الكاتب لها أو المتلفظ بها وان لم يعين ماهي مرتبطة به من الانفعالات لا يعلم ذلك وقد رأينا من قرأ آية من القرآن وما عنده خبر فرأى أثرا غريبا حدث وكان ذا فطنة فرجع في تلاوته من قريب لينظر ذلك الاثر بأية آية يختص فجعل يقرأ و ينظر فرأى بالآية التي لها ذلك الاثر فرأى الفعل فتعدّاها فلم ير ذلك الاثر فعاود ذلك مرارا حتى تحققه فاتخذه لذلك الانفعال ورجع كلما أراد أن يرى ذلك الانفعال تلا تلك الآية فظهر له ذلك الاثر وهو علم شريف في نفسه الا أن السلامة منه عزيزة فالاولى ترك طلبه فانه من العلم الذي اختص الله به أولياءه على الجملة وان كان عند بعض الناس منه قليل ولكن من غير الطريق الذي يناله الصالحون ولهذا يشقى به من هو عنده ولا يسعد فالله يجعلنا من العلماء بالله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب السابع والعشرون في معرفة أقطاب صل فقد نويت وصالك وهو من منزل العالم النوراني﴾

ولولا النور ما اتصلت عيون * بعين المبصرات ولا رأتها
ولولا الحق ما اتصلت عقول * بأعيان الامور فادركتها
اذا سئلت عقول عن ذوات * تعدّ مغايرات أنكرتها
وقالت ما علمنا غير ذات * تمد ذوات خلق أظهرتها
هي المعنى ونحن لها حروف * فهم ما عينت أمر اعنتها

اعلم أيها الوليّ الحميم تولاك الله بعنايته ان الله تعالى يقول في كتابه العزيز فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه فقدم محبته اياهم على محبتهم اياه وقال أجيب دعوة الداعي اذا دعاني فليستجيبوا لي فقدم اجابته لنا اذا دعوناه على اجابتنا له اذا دعانا وجعل الاستجابة من العبيد لانها أبلغ من الاجابة فانه لا مانع له من الاجابة سبحانه فلا فائدة للتأكيد وللانسان موانع من الاجابة لما دعاه الله اليه وهي الهوى والنفس والشيطان والدنيا فلذلك أمر بالاستجابة

فانّ الاستفعال أشد في المبالغة من الافعال وأين الاستخراج من الاحراج ولهذا يطلب الكون من الله العون في أفعاله ويستحيل على الله أن يستعين بمخلوق قال تعالى تعليما لنا أن نقول واياك نستعين من هذا الباب فلهذا قال في هذا الباب صل فقد نويت وصالك فقد قدم الارادة منه لذلك فقال صل فاذا تعملت في الوصلة فذلك عين وصلته بك فلذلك جعلها نية لا عملا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من تقرّب الىّ شبرا تقرّبت منه ذراعا وهذا قرب مخصوص يرجع الى ما تتقرّب اليه سبحانه به من الاعمال والاحوال فان القرب العامّ قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فضاعف القرب بالذراع فان الذراع ضعف الشبر أي قوله صل هو قرب ثم تقريب اليه شبرا فتبدي لك انك ما تقرّبت اليه الا به لانه لولا ما دعاك وبين لك طريق القربة وأخذ بناصيتك فيها ما تمكن لك أن تعرف الطريق التي تقرّب منه ما هي ولو عرفتها لم يكن لك حول ولا قوّة الا به ولما كان القرب بالسلوك والسفر اليه لذلك كان من صفته النور لنهتدي به في الطريق كما قال تعالى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البرّ وهو السلوك الظاهر بالاعمال البدنية والبحر وهو السلوك الباطن المعنوي بالاعمال النفسية فأصحاب هذا الباب معارفهم مكتسبة لا موهوبة وأكلهم من تحت أقدامهم أي من كسبهم لها واجتهادهم في تحصيلها ولولا ما أرادهم الحق لذلك ما وفقهم ولا استعملهم حين طرد غيرهم بالغنى ودعاهم بالامر فحرمهم الوصول بحرمانه اياهم استعمال الاسباب التي جعلها طريقا الى الوصول من حضرة القرب ولذلك بشرهم فقال صل فقد نويت وصالك فسبقت لهم العناية فسلكوا وهم الذين أمرهم الله بلباس النعلين في الصلاة اذ كان القاعد لا يلبس النعلين وانما وضعت للماشي فيها فدل ان المصلي يمشي في صلاته ومناجاة ربه في الآيات التي يناجيه فيها منزلا منزلا كل آية منزل وحال فقال لهم يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد قال الصاحب لما نزلت هذه الآية أمرنا فيها بالصلاة في النعلين فكان ذلك تنبيها من الله تعالى للمصلي أنه يمشي على منازل ما يتلوه في صلاته من سور القرآن اذ كانت السور هي المنازل لغة قال النابغة

ألم تر أن الله أعطاك سورة ٭ ترى كل ملك دونها يتذبذب

أراد منزلة وقيل لموسى عليه السلام اخلع نعليك أي قد وصلت المنزل فانه كلمه الله بغير واسطة بكلامه سبحانه بلا ترجمان ولذلك أكده في التعريف لنا بالمصدر فقال تعالى وكلم الله موسى تكليما ومن وصل الى المنزل خلع نعليه فبانت رتبة المصلي بالنعلين وما معنى المناجاة في الصلاة وانها ليست بمعنى الكلام الذي حصل لموسى عليه السلام فانه قال في المصلي يناجي والمناجاة فعل فاعلين فلابد من لباس النعلين اذ كان المصلي متردّدا بين حقيقتين والتردّد بين أمرين يعطي المشي بينهما بالمعنى دل عليه باللفظ لباس النعلين ودل عليه قول الله تعالى بترجمة النبيّ صلى الله عليه وسلم عنه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل ثم قال يقول العبد الحمد لله رب العالمين فوصف ان العبد مع نفسه في قوله الحمد لله رب العالمين يسمع خالقه ومناجيه ثم رحل العبد من منزل قوله الى منزل سمعه ليسمع ما يجيبه الحق تعالى على قوله وهذا هو السفر فلهذا لبس نعليه ليسلك بهما الطريق الذي بين هذين المنزلين فاذا رحل الى منزل سمعه سمع الحق يقول له حمدني عبدي فيرحل من منزل سمعه الى منزل قوله فيقول الرحمن الرحيم فاذا فرغ رحل الى منزل سمعه فاذا نزل سمع الحق تعالى يقول له أثنى عليّ عبدي فلا يزال متردّدا في مناجاته قولا ثم له رحلة أخرى من حال قيامه في الصلاة الى حال ركوعه فيرحل من صفة القيومية الى صفة العظمة فيقول سبحان ربي العظيم وبحمده ثم يرفع وهو رحلته من مقام التعظيم الى مقام النيابة فيقول سمع الله لمن حمده قال النبيّ صلى الله عليه وسلم ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فقول ربنا لك الحمد فلهذا جعلنا الرفع من الركوع نيابة عن الحق ورجوعا الى القيومية فاذا سجد اندرجت العظمة في الرفعة الالهية فيقول الساجد سبحان ربي الاعلى وبحمده فان السجود يناقض العلوّ فاذا خلص العلوّ لله ثم رفع رأسه من السجود واستوى جالسا وهو قوله الرحمن على العرش استوى فيقول رب اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني واجبرني وعافني واعف عني فهذه كلها

منازل ومناهل فى الصلاة فعلا فهو مسافر من حال الى حال فمن كان حاله السفر دائما كيف لا يقال له البس نعليك أى
استعن فى سيرك بالكتاب والسنة وهى زينة كل مسجد فان أحوال الصلاة وما يطرأ فيها من كلام الله وما يتعرض فى
ذلك من الشبه فى غوامض الآيات المتلوة وكون الانسان فى الصلاة يجعل الله فى قبلته فيجده فهذه كلها بمنزلة الشوك
والوعر الذى يكون بالطريق ولا سيما طريق التكليف فأمر بلباس النعلين ليتقى بهما ما ذكرناه من الاذى اقدمى
السالك اللتين هما عبارة عن ظاهره وباطنه فلهذا جعلناهما الكتاب والسنة وأما نعلا موسى عليه السلام فليستا هذه
فانه قال له ربه اخلع نعليك انك بالوادى المقدس فروينا انهما كانتا من جلد حمار ميت فجمعت ثلاثة أشياء الشئ
الواحد الجلد وهو ظاهر الامر أى لا تقف مع الظاهر فى كل الاحوال والثانى البلادة فانها منسوبة الى الحمار والثالث
كونه ميتا غير مذكى والموت الجهل واذا كنت ميتا لا تعقل ما تقول ولا ما يقال لك والمناجى لابد أن يكون بصفة من
يعقل ما يقول و يقال له فيكون حى القلب فطنا بمواقع الكلام غواصا على المعانى التى يقصدها من يناجيه بها فاذا فرغ
من صلاته سلم على من حضر سلام القادم من عند ربه الى قومه بما أتحفه به فقد نبهتك على سر لباس النعلين فى الصلاة
فى ظاهر الامر وما المراد بهما عند أهل طريق الله تعالى من العارفين قال صلى الله عليه وسلم الصلاة نور والنور يهتدى
به واسم الصلاة مأخوذة من المصلى وهو المتأخر الذى يلى السابق فى الحلبة ولهذا ترجم هذا الباب بالوصلة وجعله من عالم
النور ولأهل هذا المشهد نور خلع النعلين ونور لباس النعلين فهم المحمديون الموسويون المخاطبون من شجر الخلاف
بلسان النور المشبه بالمصباح وهو نور ظاهر يمده نور باطن فى زيت من شجرة زيتونة مباركة فى خط الاعتدال
منزهة عن تأثير الجهات كما كان الكلام لموسى عليه السلام من شجرة فهو نور على نور أى نور من نور فأبدل حرف
من بعلى لما يفهم به من قرينة الحال وقد تكون على على بابها فان نور السراج الظاهر يعلو حسا على نور الزيت الباطن
وهو الممد للمصباح فلولا رطوبة الدهن تمد المصباح لم يكن للمصباح ذلك الدوام وكذلك امداد التقوى للعلم العرفانى
الحاصل منها فى قوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقوله تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا لا يقطع ذلك العلم
الالهى فنور الزيت باطن فى الزيت محمول فيه يسرى منه معنى لطيف فى رقيقة من رقائق الغيب لبقاء نور المصباح
ولأقطاب هذا المقام أسرار منها سر الامداد وسر النكاح وسر الجوارح وسر الغيرة وسر العنين وهو
الذى لا يقوم بالنكاح وسر دائرة الزمهرير وسر وجود الحق فى السراب وسر الحجب الالهية وسر نطق الطير
والحيوان وسر البلوغ وسر الصديقين والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿الباب الثامن والعشرون فى معرفة أقطاب ألم تر كيف﴾

العلم بالكيف مجهول ومعلوم * لكنه بوجود الحق موسوم
فظاهر الكون تكييف وباطنه * علم يشار اليه فهو مكتوم
من أعجب الامر أن الجهل من صفتى * بما لنا فهو فى التحقيق معلوم
وكيف أدرك من بالعجز أدركه * وكيف أجهله والجهل معدوم
قد حرت فيه وفى أمرى ولست أنا * سواه فالخلق ظلام ومظلوم
ان قلت انى يقول الان منه أنا * أو قلت انك قال الان مفهوم
فالحمد لله لا أبغى به بدلا * وانما الرزق بالتقدير مقسوم

اعلم ان أمهات المطالب أربعة وهى هل سؤال عن الوجود وما وهو سؤال عن الحقيقة التى يعبر عنها بالماهية وكيف
وهو سؤال عن الحال ولم وهو سؤال عن العلة والسبب واختلف الناس فيما يصح منها أن يسأل بها عن الحق
واتفقوا على كلمة هل فانه يتصور أن يسأل بها عن الحق واختلفوا فيما بقى فمنهم من منع ومنهم من أجاز فالذى منع
وهم الفلاسفة وجماعة من الطائفة منعوا ذلك عقلا ومنهم من منع ذلك شرعا فأما صورة منعهم عقلا انهم قالوا فى
مطلب ما انه سؤال عن الماهية فهو سؤال عن الحد والحق سبحانه لا حد له اذ كان الحد مركبا من جنس وفصل

وهـذا ممنوع فى حق الحق لان ذاته غير مركبة من أمر يقع فيه الاشتراك فيكون به فى الجنس وأمر يقع به الامتياز وما ثم الا الله والخلق ولا مناسبة بين الله والعالم ولا الصانع والمصنوع فلا مشاركة فلا جنس فلا فصل والذى أجاز ذلك عقلا ومنعه شرعا قال لا أقول ان الحد مركب من جنس وفصل بل أقول ان السؤال بما يطلب به العلم بحقيقة المسؤل عنه ولا بد لكل معلوم أو مذكور من حقيقة يكون فى نفسه عليها سواء كان على حقيقة يقع له فيها الاشتراك أو يكون على حقيقة لا يقع له فيها الاشتراك فالسؤال بما يتصور ولكن ما ورد به الشرع فمنعنا من السؤال به عن الحق لقوله تعالى ليس كمثله شئ وأما منعهم الكيفية وهو السؤال بكيف فانقسموا أيضا قسمين فمن قال بانه سبحانه ماله كيفية لان الحال أمر معقول زائد على كونه ذاتا واذا قام بذاته أمر وجودى زائد على ذاته أدى الى وجود واجبى الوجود لذاتهما أزلا وقد قام الدليل على احالة ذلك وانه لا واجب الا هو لذاته فاستحالت الكيفية عقلا ومن قال ان له كيفية ولكن لا نعلم فهى ممنوعة شرعا لا عقلا لانها خارجة عن الكيفيات المعقولة عندنا فلا تعلم وقد قال ليس كمثله شئ يعنى فى كل ما ينسب اليه مما نسبه الى نفسه يقول هو على ما تنسبه الى الحق وان وقع الاشتراك فى اللفظ فالمعنى مختلف وأما السؤال بلم فممنوع أيضا لان أفعال الله تعالى لا تعلل لأن العلة موجبة للفعل فيكون الحق داخلا تحت موجب أوجب عليه هذا الفعل زائد على ذاته وأبطل غيره اطلاق لم على فعله شرعا بأن قال لا ينسب اليه مالم ينسب الى نفسه فهذا معنى قولى شرعا لا انه ورد النهى من الله عن كل ما ذكرنا منعه شرعا وهذا كله كلام مدخول لا يقع التخليص منه بالصحة والفساد الا بعد طول عظيم هذا قد ذكرنا طريقة من منع وأما من أجاز السؤال عنه بهذه المطالب من العلماء فهم أهل الشرع منهم وسبب اجازتهم لذلك ان قالوا ما حجر الشرع علينا حجرناه وما أوجب علينا أن نخوض فيه خضنا فيه طاعة أيضا ومالم يرد فيه تحجير ولا وجوب فهو عافية ان شئنا تكلمنا فيه وان شئنا سكتنا عنه وهو سبحانه مانهى فرعون على لسان موسى عليه السلام عن سؤاله بقوله ومارب العالمين بل أجاب بما يليق به الجواب عن ذلك الجناب العالى وان كان وقع الجواب غير مطابق للسؤال فذلك راجع لاصطلاح من اصطلح على انه لا يسأل بذلك الا عن الماهية المركبة واصطلح على ان الجواب بالاثر لا يكون جوابا لمن سأل بما وهذا الاصطلاح لا يلزم الخصم فلم يمنع اطلاق هذا السؤال بهذه الصيغة عليه اذ كانت الالفاظ لا تطلب لانفسها وانما تطلب لما تدل عليه من المعانى التى وضعت لها فانها بحكم الوضع وما كل طائفة وضعتها بازاء ما وضعتها الاخرى فيكون الخلاف فى عبارة لا فى حقيقة ولا يعتبر الخلاف الا فى المعانى وأما اجازتهم الكيفية فمثل اجازتهم السؤال بما ويحتجون فى ذلك بقوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان وقوله ان لله عينا وأعينا ويدا وان بيده الميزان يخفض ويرفع وهذه كلها كيفيات وان كانت مجهولة لعدم الشبه فى ذلك وأما اجازتهم السؤال بلم وهو سؤال عن العلة فلقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فهذه لام العلة والسبب فان ذلك فى جواب من سأل لم خلق الله الجن والانس فقال الله لهذا السائل ليعبدون أى لعبادتى فمن ادعى التحجير فى اطلاق هذه العبارات فعليه بالدليل فيقال للجميع من المتشرعين المجوزين والمانعين كلكم قال وما أصاب وما من شئ قلتموه من منع وجواز الا وعليكم فيه دخل والاولى التوقف عن الحكم بالمنع أو بالجواز هذا مع المتشرعين وأما غير المتشرعين من الحكماء فالخوض معهم فى ذلك لا يجوز الا ان أباح الشرع ذلك أو أوجبه وأما ان لم يرد فى الخوض فيه معهم نطق من الشارع فلا سبيل الى الخوض فيه معهم فعلا ويتوقف فى الحكم فى ذلك فلا يحكم على من خاض فيه انه مصيب ولا مخطئ وكذلك فيمن ترك الخوض اذ لا حكم الا للشرع فيما يجوز أن يتلفظ به أو لا يتلفظ به يكون ذلك طاعة أو غير طاعة فهذا أولى قد فصلنا لك ما أخذ الناس فى هذه المطالب وأما العلم النافع فى ذلك أن نقول كما انه سبحانه لا يشبه شيأ كذلك لا تشبهه الاشياء وقد قام الدليل العقلى والشرعى على نفى التشبيه واثبات التنزيه من طريق المعنى وما بقى الامر الا فى اطلاق اللفظ عليه سبحانه الذى أباح لنا اطلاقه عليه فى القرآن أو على لسان رسوله فاما اطلاقه عليه فلا يخلو اما أن يكون العبد مأمورا بذلك الاطلاق فيكون اطلاقه طاعة فرضا ويكون المتلفظ به مأجورا مطيعا مثل قوله فى تكبيرة الاحرام الله أكبر وهى لفظة وزنها يقتضى المفاضلة وهو سبحانه

لايفاضل وأما أن يكون مخيرا فيكون بحسب مايقصده المتلفظ وبحسب حكم الله فيه واذا أطلقناه فلايخلو الانسان اما أن يطلقه ويصحب نفسه في ذلك الاطلاق المعنى المفهوم منه في الوضع بذلك اللسان أولا يطلقه الا تعبدا شرعيا على مراد الله فيه من غير أن يتصور المعنى الذي وضع له في ذلك اللسان كالفارسي الذي لايعلم اللسان العربي وهو يتلو القرآن ولا يعقل معناه وله أجر التلاوة كذلك العربي فيما تشابه من القرآن والسنة يتلوه ويذكر به ربه تعبدا شرعيا على مراد الله فيه من غير ميل الى جانب بعينه مخصص فان التنزيه ونفي التشبيه يطلبه ان وقف بوهمه عند التلاوة لهذه الآيات فالاسلم والاولى في حق العبد أن يرد علم ذلك الى الله في ارادته اطلاق تلك الالفاظ عليه الا ان أطلعه الله على ذلك وما المراد بتلك الالفاظ من نبي أو ولي محدث ملهم على بينة من ربه فيما يلهم فيه أو يحدث فذلك مباح له بل واجب عليه أن يعتقد المفهوم منه الذي أخبر به في الهامه أو في حديثه وليعلم ان الآيات المتشابهات انما نزلت ابتلاء من الله لعباده ثم بالغ سبحانه في نصيحة عباده في ذلك ونهاهم أن يتبعوا المتشابه بالحكم أي لايحكموا عليه بشيء فان تأويله لايعلمه الا الله وأما الراسخون في العلم ان علموه فباعلام الله لا بفكرهم واجتهادهم فان الامر أعظم ان تستقل العقول بادراكه من غير اخبار الهي فالتسليم أولى والحمد لله رب العالمين وأما قوله ألم تر كيف وأطلق النظر على الكيفيات فان المراد بذلك بالضرورة المكيفات لا التكييف فان التكييف راجع الى حالة معقولة لها نسبة الى المكيف وهو الله تعالى وما أحد شاهد تعلق القدرة الالهية بالاشياء عند ايجادها قال تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض فالكيفيات المذكورة التي أمرنا بالنظر اليها انما ذلك لنتخذها عبرة ودلالة على ان لها من كيفها أي صيرها ذات كيفيات وهي الهيئآت التي تكون عليها المخلوقات المكيفات فقال أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى الجبال كيف نصبت وغير ذلك ولايصح أن تنظر الا حتى تكون موجودة فننظر اليها وكيف اختلفت هيئاتها ولو أراد بالكيف حالة الايجاد لم يقل انظر اليها فانها ليست بموجودة فعلمنا ان الكيف المطلوب هنا في رؤية الاشياء ماهو مايتوهم من لاعلم له بذلك الا تراه سبحانه لما أراد النظر الذي هو الفكر قرنه بحرف في ولم يصحبه لفظ كيف فقال تعالى أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض المعنى أن يفكروا في ذلك فيعلموا انها لم تقم بأنفسها وانما قامها غيرها وهذا النظر لايلزم منه وجود الاعيان مثل النظر الذي تقدم وانما الانسان مأمور أن ينظر بفكره في ذلك لا بعينه ومن الملكوت ماهو غيب وماهو شهادة فما أمرنا قط بحرف في الا في المخلوقات لا في الله لنستدل بذلك عليه انه لايشبهها اذلو أشبهها لجاز عليه ما يجوز عليها من حيث ما أشبهها وكان يؤدي ذلك الى أحد محظورين اما أن يشبهها من جميع الوجوه وهو محال لما ذكرناه أو يشبهها من بعض الوجوه ولايشبهها من بعض الوجوه فتكون ذاته مركبة من أمرين والتركيب في ذات الحق محال فالتشبيه محال والذي يليق بهذا الباب من الكلام يتعذر ايراده مجموعا في باب واحد لما يسبق الى الاوهام الضعيفة من ذلك لما فيه من الغموض ولكن جعلناه مبددا في أبواب هذا الكتاب فاجعل بالك منه في أبواب الكتاب تعثر على مجموع هذا الباب ولاسيما حيثما وقع لك مسئلة تجل الهي فهناك قف وانظر تجد ماذكرته لك مما يليق بهذا الباب والقرآن مشحون بالكيفية فان الكيفيات أحوال والاحوال منها ذاتية للمكيف ومنها غير ذاتية والذاتية حكمها حكم المكيف سواء كان المكيف يستدعي مكيفا في كيفيته أو كان لايستدعي مكيفا لتكييفه بل كيفيته عين ذاته وذاته لا تستدعي غيرها لانها لنفسها هي فكيفيته كذلك لانها عينه لا غيره ولا زائد عليه فافهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب التاسع والعشرون﴾

في معرفة سر سلمان الذي ألحقه بأهل البيت والاقطاب الذين ورثه منهم ومعرفة أسرارهم

العبد مرتبط بالرب ليس له ❊ عنه انفصال يرى فعلا وتقديرا

والابن أنزل منه في اعلى درجا ❊ قد حرر الشرع فيه العلم تحريرا

فالابن ينظر في أموال والده ❊ اذ كان وارثه شحا وتقتيرا

والابن يطمع فى تحصيل رتبته * وان يراه مع الاموات مقبورا
والعبد قيمته من مال سيده * اليه يرجع مختارا ومجبورا
والعبد مقداره فى جاه سيده * فلا يزال بستر العز مستورا
الذل يصحبه فى نفسه أبدا * فلا يزال مع الانفاس مقهورا
والابن فى نفسه من أجل والده * عز فيطلب توقيرا وتعزيرا

اعلم أيدك الله انا روينا من حديث جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين عن أبيه الحسين بن على عن أبيه على بن أبى طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مولى القوم منهم وخرج الترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته وقال تعالى فى حق المختصين من عباده ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فكل عبد الهى توجه لاحد عليه حق من المخلوقين فقد نقص من عبوديته لله بقدر ذلك الحق فان ذلك المخلوق يطلبه بحقه وله عليه سلطان به فلا يكون عبدا محضا خالصا لله وهذا هو الذى رجح عند المنقطعين الى الله انقطاعهم عن الخلق ولزومهم السياحات والبرارى والسواحل والفرار من الناس والخروج عن ملك الحيوان فانهم يريدون الحرية من جميع الاكوان ولقيت منهم جماعة كبيرة فى أيام سياحتى ومن الزمان الذى حصل لى فيه هذا المقام ما ملكت حيوانا أصلا بل ولا الثوب الذى ألبسه فانى لا ألبسه الاعارية لشخص معين أذن لى فى التصرف فيه والزمان الذى أملك الشئ فيه أخرج عنه فى ذلك الوقت إما بالهبة أو بالعتق ان كان ممن يعتق وهذا حصل لى لما أردت التحقق بعبودية الاختصاص لله قيل لى لا يصح لك ذلك حتى لا يقوم لاحد عليك حجة قلت ولا الله ان شاء الله قيل لى وكيف يصح لك أن لا يقوم لله عليك حجة قلت انما تقام الحجج على المنكرين لا على المعترفين وعلى أهل الدعاوى وأصحاب الحظوظ لا على من قال مالى حق ولا حظ ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا محضا قد طهره الله وأهل بيته تطهيرا وأذهب عنهم الرجس وهو كل ما يشينهم فان الرجس هو القذر عند العرب هكذا حكى الفراء قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فلا يضاف اليهم الا مطهر ولا بد فان المضاف اليهم هو الذى يشبههم فما يضيفون لانفسهم الا من له حكم الطهارة والتقديس فهذه شهادة من النبى صلى الله عليه وسلم لسلمان الفارسى بالطهارة والحفظ الالهى والعصمة حيث قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت وشهد الله لهم بالتطهير وذهاب الرجس عنهم واذا كان لا ينضاف اليهم الا مطهر مقدس وحصلت له العناية الالهية بمجرد الاضافة فما ظنك بأهل البيت فى نفوسهم فهم المطهرون بل هم عين الطهارة فهذه الآية تدل على ان الله قد شرك أهل البيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأى وسخ وقذر أقذر من الذنوب وأوسخ فطهر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بالمغفرة فما هو ذنب بالنسبة الينا لو وقع منه صلى الله عليه وسلم لكان ذنبا فى الصورة لا فى المعنى لان الذم لا يلحق به على ذلك من الله ولا منا شرعا فلو كان حكمه حكم الذنب لصحبه ما يصحب الذنب من المذمة ولم يصدق قوله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فدخل الشرفاء أولاد فاطمة كلهم ومن هو من أهل البيت مثل سلمان الفارسى الى يوم القيامة فى حكم هذه الآية من الغفران فهم المطهرون اختصاصا من الله وعناية بهم لشرف محمد صلى الله عليه وسلم وعناية الله به ولا يظهر حكم هذا الشرف لاهل البيت الا فى الدار الآخرة فانهم يحشرون مغفورا لهم وأما فى الدنيا فمن أتى منهم حدا أقيم عليه كالتائب اذا بلغ الحاكم أمره وقد زنى أو سرق أو شرب أقيم عليه الحد مع تحقق المغفرة كماعز وأمثاله ولا يجوز ذمه وينبغى لكل مسلم مؤمن بالله وبما أنزله أن يصدق الله تعالى فى قوله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فيعتقد فى جميع ما يصدر من أهل البيت ان الله قد عفا عنهم فيه فلا ينبغى لمسلم أن يلحق المذمة بهم ولا ما يشنأ اعراض من قد شهد الله بتطهيره وذهاب الرجس عنه لا بعمل عملوه ولا بخير قدموه بل سابق عناية من الله بهم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم واذا صح الخبر الوارد فى سلمان الفارسى فله هذه الدرجة فانه لو كان سلمان على أمر يشنؤه

ظاهر الشرع وتلحق المذمة بعامله لـكان مضافا الى أهل البيت من لم يذهب عنه الرجس فيكون لاهل البيت من ذلك بقدر ما أضيف اليهم وهم المطهرون بالنص فسلمان منهم بلاشك فأرجو أن يكون عقب على وسلمان تلحقهم هـذه العناية كما لحقت أولاد الحسن والحسين وعقبهم وموالى أهل البيت فان رحمـة الله واسعة ياولى واذا كانت منزلة مخلوق عند الله بهذه المثابة ان يشرف المضاف اليهم بشرفهم وشرفهم ليس لانفسهم وانما الله تعالى هو الذى اجتباهم وكساهم حلة الشرف كيف ياولىّ بمن أضيف الى من له الحمد والمجد والشرف لنفسه وذاته فهو المجيد سبحانه وتعالى فالمضاف اليه من عباده الذين هم عباده وهم الذين لا سلطان لمخلوق عليهم فى الآخرة قال تعالى لابليس ان عبادى فاضافهم اليـه ليس لك عليهم سلطان وما تجد فى القرآن عبادا مضافين اليه سبحانه الا السعداء خاصة وجاء اللفظ فى غيرهم بالعباد فما ظنك بالمعصومين المحفوظين منهم القائمين بحدود سيدهم الواقفين عند مراسمه فشرفهم أعلى وأتمّ وهؤلاء هم أقطاب هـذا المقام ومن هؤلاء الاقطاب ورث سلمان شرف مقام أهل البيت فكان رضى الله عنـه من أعلم الناس بمالله على عباده من الحقوق وما لانفسهم والخلق عليهم من الحقوق وأقواهم على أدائها وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من فارس وأشار الى سلمان الفارسى وفى تخصيص النبىّ صلى الله عليه وسلم ذكر الثريا دون غيرها من الكواكب اشارة بديعة لمثبتى الصفات السبعة لانها سبعة كواكب فافهم فسر سلمان الذى ألحقه بأهل البيت ما أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم من أداء كتابته وفى هذا فقه عجيب فهو عتيقه صلى الله عليه وسلم ومولى القوم منهم والكل موالى الحق ورحمته وسعت كل شئ وكل شئ عبده ومولاه وبعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عنـد الله وانه لا ينبغى لمسلم أن يذمهم بما يقع منهم أصلا فان الله طهرهم فليعلم الذامّ لهم ان ذلك راجع اليـه ولو ظلموه فذلك الظلم هو فى زعمـه ظلم لا فى نفس الامر وان حكم عليه ظاهر الشرع بأدائه بل حكم ظلمهم ايانا فى نفس الامر يشبه جرى المقادير علينا فى ماله ونفسه بغرق أو بحرق وغير ذلك من الامور المهلكة فيحترق أو يموت له أحـد أحبائه أو يصاب فى نفسه وهذا كله مما لا يوافق غرضـه ولا يجوز له أن يذم قدر الله ولا قضاءه بل ينبغى له أن يقابل ذلك كله بالتسليم والرضى وان نزل عن هـذه المرتبة فبالصبر وان ارتفع عن تلك المرتبة فبالشكر فان فى طىّ ذلك نعما من الله لهـذا المصاب وليس وراء ما ذكرناه خير فانه ما وراءه ليس الا الضجر والسخط وعدم الرضى وسوء الادب مع الله فكذا ينبغى أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه من أهل البيت فى ماله ونفسه وعرضـه وأهله وذويه فيقابل ذلك كله بالرضى والتسليم والصبر ولا يلحق المذمة بهم أصـلا وان توجهت عليهم الاحكام المقررة شرعا فذلك لا يقدح فى هـذا بل يجريه مجرى المقادير وانما منعنا تعليق الذم بهم اذ ميزهم الله عنا بما ليس لنا معهم فيه قدم وأما أداء الحقوق المشروعة فهذا رسول الله صلى الله عليه وسـلم كان يقترض من اليهود واذا طالبوه بحقوقهم أداها على أحسن ما يمكن وان تطاول اليهودىّ عليه بالقول يقول دعوه ان لصاحب الحق مقالا وقال صلى الله عليه وسلم فى قصـة لو أن فاطمة بنت محمد سرقت قطعت يدها فوضع الاحكام لله يضعها كيف يشاء وعلى أىّ حال يشاء فهـذه حقوق الله ومع هذا لم يذمهم الله وانما كلامنا فى حقوقنا وما لنا أن نطالبهم به فنحن مخيرون ان شئنا أخـذنا وان شئنا تركنا والترك أفضل عموما فكيف فى أهل البيت وليس لنا ذمّ أحد فكيف بأهل البيت فانا اذا نزلنا عن طلب حقوقنا وعفونا عنهم فى ذلك أى فيما أصابوه منا كانت لنا بذلك عند الله اليد العظمى والمكانة الزلفى فان النبى صلى الله عليه وسلم ما طلب منا عن أمر الله الا المودّة فى القربى وفيه سر صلة الارحام ومن لم يقبل سؤال نبيه فيما سأله فيه مما هو قادر عليه بأىّ وجـه يلقاه غدا أو يرجو شفاعته وهو ما أسعف نبيه صلى الله عليه وسـلم فيما طلب منه من المودّة فى قرابته فكيف بأهل بيته فهم أخص القرابة ثم انه جاء بلفظ المودّة وهو الثبوت على المحبة فانه من ثبت ودّه فى أمر استصحبه فى كل حال واذا استصحبته المودّة فى كل حال لم يؤاخذ أهل البيت بما يطرأ منهم فى حقه مما له أن يطالبهم به فيتركه ترك محبـة وايثارا لنفسـه لا عليها قال المحب الصادق وكل ما يفعل المحبوب محبوب وجاء باسم الحب فكيف حال المودّة ومن البشرى ورود اسم الودود لله تعالى ولا معنى لثبوتها الا حصول أثرها بالفعل فى الدار الآخرة وفى النار لكل طائفة بما تقتضيه حكمة الله فيهم وقال الآخر فى المعنى

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

ولنا في هذا المعنى

أحب لحبك الحبشان طرا * وأعشق لاسمك البدر المنيرا

قيل كانت الكلاب السود تناوشه وهو يتحبب اليها فهذا فعل المحب في حب من لا تسعده محبته عند الله ولا تورثه القربة من الله فهل هذا الا من صدق الحب وثبوت الود في النفس فلو صحت محبتك لله ولرسوله أحببت أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت كل ما يصدر منهم في حقك مما لا يوافق طبعك ولا غرضك انه جمال تتنعم بوقوعه منهم فتعلم عند ذلك ان لك عناية عند الله الذي أحببتهم من أجله حيث ذكرك من يحبه وخطرت على باله وهم أهل بيت رسوله صلى الله عليه وسلم فتشكر الله تعالى على هذه النعمة فانهم ذكروك بألسنة طاهرة بتطهير الله طهارة لم يبلغها علمك واذا رأيناك على ضد هذه الحالة مع أهل البيت الذي أنت محتاج اليهم ولرسول صلى الله عليه وسلم حيث هداك الله به فكيف أثق أنا بودك الذي تزعم به انك شديد الحب في والرعاية لحقوقي أو لجانبي وأنت في حق أهل نبيك بهذه المثابة من الوقوع فيهم والله ما ذاك الا من نقص ايمانك ومن مكر الله بك واستدراجه اياك من حيث لا تعلم وصورة المكر ان تقول وتعتقد انك في ذلك تذب عن دين الله وشرعه وتقول في طلب حقك انك ما طلبت الا ما أباح الله لك طلبه ويندرج الذم في ذلك الطلب المشروع والبغض والمقت وايثارك نفسك على أهل البيت وأنت لا تشعر بذلك والدواء الشافي من هذا الداء العضال أن لا ترى لنفسك معهم حقا وتنزل عن حقك لئلا يندرج في طلبه ما ذكرته لك وما أنت من حكام المسلمين حتى يتعين عليك اقامة حد او انصاف مظلوم أو رد حق الى أهله فان كنت حاكما ولا بد فاسع في استنزال صاحب الحق عن حقه اذا كان المحكوم عليه من أهل البيت فان أبى حينئذ يتعين عليك امضاء حكم الشرع فيه فلو كشف الله لك يا ولي عن منازلهم عند الله في الآخرة لوددت أن تكون مولى من مواليهم فالله يلهمنا رشد أنفسنا فانظر ما أشرف منزلة سلمان رضي الله عن جميعهم ولما بينت لك أقطاب هذا المقام وانهم عبيد الله المصطفون الاخيار فاعلم ان أسرارهم التي أطلعنا الله عليها تجهلها العامة بل أكثر الخاصة التي ليس لها هذا المقام والخضر منهم رضي الله عنه وهو من أكبرهم وقد شهد الله له انه آتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما اتبعه فيه كليم الله موسى عليه السلام الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا أن يتبعني فمن أسرارهم ما قد ذكرناه من العلم بمنزلة أهل البيت وما قد نبه الله على علو رتبتهم في ذلك ومن أسرارهم علم المكر الذي مكر الله بعباده في بغضهم مع دعواهم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسؤاله المودة في القربى وهو صلى الله عليه وسلم من جملة أهل البيت فما فعل أكثر الناس ما سألهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر الله فعصوا الله ورسوله وما أحبوا من قرابته الا من رأوا منه الاحسان فأغراضهم أحبوا وبنفوسهم تعشقوا ومن أسرارهم الاطلاع على صحة ما شرع الله لهم في هذه الشريعة المحمدية من حيث لا تعلم العلماء بها فان الفقهاء والمحدثين الذين أخذوا علمهم ميتا عن ميت انما المتأخر منهم هو فيه على غلبة ظن اذ كان النقل شهادة والتواتر عزيز ثم انهم اذا عثروا على أمور تفيد العلم بطريق التواتر لم يكن ذلك اللفظ المنقول بالتواتر نصا فيما حكموا به فان النصوص عزيزة فيأخذون من ذلك اللفظ بقدر قوة فهمهم فيه ولهذا اختلفوا وقد يمكن أن يكون لذلك اللفظ في ذلك الامر نص آخر يعارضه ولم يصل اليهم وما لم يصل اليهم ما تعبدوا به ولا يعرفون بأي وجه من وجوه الاحتمالات التي في قوة هذا اللفظ كان يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرع فأخذه أهل الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكشف على الامر الجلي والنص الصريح في الحكم أو عن الله بالبينة التي هم عليها من ربهم والبصيرة التي بها دعوا الخلق الى الله عليها كما قال الله أفمن كان على بينة من ربه وقال أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني فلم يفرد نفسه بالبصيرة وشهد لهم بالاتباع في الحكم فلا يتبعونه الا على بصيرة وهم عباد الله أهل هذا المقام ومن أسرارهم أيضا اصابة أهل العقائد فيما اعتقدوه في الجناب الالهي وما تجلى لهم حتى اعتقدوا ذلك ومن أين تصور الخلاف مع الاتفاق على السبب الموجب الذي استندوا اليه فانه ما اختلف فيه اثنان وانما وقع الخلاف فيما هو ذلك السبب

وبما

و بماذا يسمى ذلك السبب فمن قائل هو الطبيعة ومن قائل هو الدهر ومن قائل غير ذلك فاتفق الكل فى اثباته ووجوب وجوده وهل هذا الخلاف يضرهم مع هذا الاستناد أم لا هذا كله من علوم أهل هذا المقام انتهى الجزء السابع عشر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿الباب الثلاثون فى معرفة الطبقة الاولى والثانية من الاقطاب الركبان﴾

ان لله عبادا ركبوا * نجب الاعمال فى الليل البهيم

وترقت همم القلب بهم * لعزيز جل من فرد عليم

فاجتباهم وتجلى لهمو * وتلقاهم بكاسات النديم

من يكن ذا رفعة فى ذلة * انه يعرف مقدار العظيم

رتبة الحادث ان حققتها * انما يظهر فيها بالقديم

ان لله عبادا جنة * فى رسول ونبى وقسيم

لطفت ذاتا فما يدركها * عالم الانفاس أنفاس النسيم

اعلم أيدك الله ان أصحاب النجب فى العرف هم الركبان قال الشاعر

فليت لى بهمو قوما اذا ركبوا * شدوا الاغارة فرسانا وركبانا

الفرسان ركاب الخيل والركبان ركاب الابل فالافراس فى المعروف تركبها جميع الطوائف من عجم وعرب والهجن لا يستعملها الا العرب والعرب أرباب الفصاحة والحماسة والكرم ولما كانت هذه الصفات غالبة على هذه الطائفة سميناهم بالركبان فمنهم من يركب نجب الهمم ومنهم من يركب نجب الاعمال فلذلك جعلناهم طبقتين أولى وثانية وهؤلاء أصحاب الركبان هم الافراد فى هذه الطريقة فانهم رضى الله عنهم على طبقات فمنهم الاقطاب ومنهم الائمة ومنهم الاوتاد ومنهم الابدال ومنهم النقباء ومنهم النجباء ومنهم الرجبيون ومنهم الافراد وما منهم طائفة الا وقد رأيت منهم وعاشرتهم ببلاد المغرب وببلاد الحجاز والشرق فهذا الباب مختص بالافراد وهى طائفة خارجة عن حكم القطب وحده ليس للقطب فيهم تصرف ولهم من الاعداد من الثلاثة الى ما فوقها من الافراد ليس لهم ولا لغيرهم فيما دون الفرد الاول الذى هو الثلاثة قدم فان الاحدية وهو الواحد لذات الحق والاثنان للمرتبة وهو توحيد الالوهية والثلاثة أول وجود الكون عن الله فالافراد فى الملائكة الملائكة المهيمون فى جلال الله وجلاله الخارجون عن الاملاك المسخرة والمدبرة الذين هما فى عالم التدوين والتسطير وهم من القلم والعقل الى ما دون ذلك والافراد من الانس مثل المهيمة من الاملاك فاول الافراد الثلاثة وقد قال صلى الله عليه وسلم الثلاثة ركب فأول الركب الثلاثة الى ما فوق ذلك ولهم من الحضرات الالهية الحضرة الفردانية وفيها يتميزون ومن الاسماء الالهية الفرد والمواد الواردة على قلوبهم من المقام الذى ترد منه على الاملاك المهيمة ولهذا يجهل مقامهم وما يأتون به مثل ما أنكر موسى عليه السلام على خضر مع شهادة الله فيه لموسى عليه السلام وتعريفه بمنزلته وتزكية الله اياه وأخذه العهد عليه اذ أراد صحبته ولما علم الخضر ان موسى عليه السلام ليس له ذوق فى المقام الذى هو الخضر عليه كما ان الخضر ليس له ذوق فيما هو موسى عليه من العلم الذى علمه الله الا أن مقام الخضر لا يعطى الاعتراض على أحد من خلق الله لمشاهدة خاصة هو عليها ومقام موسى والرسل يعطى الاعتراض من حيث هم رسل لا غير فى كل ما يرونه خارجا عما أرسلوا به ودليل ما ذهبنا اليه فى هذا قول الخضر لموسى عليه السلام وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا فلو كان الخضر نبيا لما قال له ما لم تحط به خبرا فالذى فعله لم يكن من مقام النبوة وقال له فى انفراد كل واحد منهما بمقامه الذى هو عليه قال الخضر لموسى عليه السلام يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا وافترقا وتميزا بالانكار فالانكار ليس من شأن الافراد فان لهم الاولية فى الامور فهم ينكر عليهم ولا ينكرون قال الجنيد لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بانه زنديق وذلك لانهم يعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم وهم أصحاب العلم الذى كان يقول فيه على بن أبى طالب رضى

الله عنه حين يضرب بيده الى صدره ويتنهد ان ههنا العلوما جمة لو وجدت لها حملة فانه كان من الافراد ولم يسمع هذا من غيره في زمانه الا أبي هريرة ذكر مثل هذا أخرج البخاري في صحيحه عنه انه قال حملت عن النبي صلى الله عليه وسلم جرابين أما الواحد فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته اقطع مني هذا البلعوم البلعوم مجرى الطعام فأبو هريرة ذكر انه حمله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان فيه ناقلا عن غير ذوق ولكنه علم لكونه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن انما نتكلم فيمن أعطى عين الفهم في كلام الله تعالى في نفسه وذلك علم الافراد وكان من الافراد عبد الله بن العباس البحر كان يلقب به لاتساع علمه فكان يقول في قوله عز وجل" الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن" لو ذكرت تفسيره لرجمتوني وفي رواية لقلتم اني كافر والى هذا العلم كان يشير علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين عليهم الصلاة والسلام بقوله فلا أدري هل هما من قبله أو تمثل بهما

يارب جوهر علم لو أبوح به * لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي * يرون أقبح ما يأتونه حسنا

فنبه بقوله يعبد الوثنا على مقصوده ينظر اليه تأويل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته باعادة الضمير على الله تعالى وهو من بعض محتملاته بالله يا أخي انصفني فيما أقوله لك لا شك انك قد أجمعت معي على انه كل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاخبار في كل ما وصف به فيها ربه تعالى من الفرح والضحك والتعجب والتبشبش والغضب والتردد والكراهة والمحبة والشوق ان ذلك وأمثاله يجب الايمان به والتصديق فلو هبت نفحات من هذه الحضرة الالهية كشفا وتجليا وتعريفا الهيا على قلوب الاولياء بحيث أن يعلموا باعلام الله وشاهدوا باشهاد الله من هذه الامور المعبر عنها بهذه الالفاظ على لسان الرسول وقد وقع الايمان مني ومنك بهذا كله اذا أتى بمثله هذا الولي في حق الله تعالى ألست تزندقه كما قال الجنيد ألست تقول ان هذا مشبه هذا عابد وثن كيف وصف الحق بما وصف به المخلوق ما فعلت عبدة الاوثان أكثر من هذا كما قال علي بن الحسين ألست كنت تقتله أو تنفي بقتله كما قال ابن عباس فبأي شئ آمنت وسلمت لما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق الله من الامور التي تحيلها الادلة العقلية ومنعت من تأويلها والاشعري تأولها على وجوه من التنزيه في زعمه فاين الانصاف فهلا قلت القدرة واسعة أن تعطي لهذا الولي ما أعطت النبي من علوم الاسرار فان ذلك ليس من خصائص النبوة ولا حجر الشارع على أمته هذا الباب ولا تكلم فيه بشئ بل قال ان يكن في أمتي محدثون فعمر منهم فقد أثبت النبي صلى الله عليه وسلم ان ثم من يحدث ممن ليس بنبي وقد يحدث بمثل هذا فانه خارج عن تشريع الاحكام من الحلال والحرام فان ذلك أعني التشريع من خصائص النبوة وليس الاطلاع على غوامض العلوم الالهية من خصائص نبوة التشريع بل هي سارية في عباد الله من رسول وولي وتابع ومتبوع يا ولي فاين الانصاف منك أليس هذا موجودا في الفقهاء وأصحاب الافكار الذين هم فراعنة الاولياء ودجاجلة عباد الله الصالحين والله يقول لمن عمل منا بما شرع الله له ان الله يعلمه ويتولى تعليمه بعلوم أنتجتها أعماله قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم وقال ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ومن أقطاب هذا المقام عمر بن الخطاب وأحمد بن حنبل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في عمر بن الخطاب يذكر ما أعطاه الله من القوة يا عمر ما لقيك الشيطان في فج الا سلك فجا غير فجك فدل على عصمته بشهادة المعصوم وقد علمنا ان الشيطان ما يسلك قط بنا الا الى الباطل وهو غير فج عمر بن الخطاب فما كان عمر يسلك الا فجاج الحق بالنص فكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم في جميع مسالكه وللحق صولة ولما كان الحق صعب المرام قويا حمله على النفوس لا تحمله ولا تقبله بل تمجه وترده لهذا قال صلى الله عليه وسلم ما ترك الحق لعمر من صديق وصدق صلى الله عليه وسلم يعني في الظاهر والباطن أما في الظاهر فلعدم الانصاف وحب الرياسة وخروج الانسان عن عبوديته واشتغاله بما لا يعنيه وعدم تفرغه لما دعي اليه من شغله بنفسه وعيبه عن عيوب الناس وأما في الباطن فما ترك الحق لعمر في قلبه من صديق فما كان له تعلق الا بالله ثم الطامة الكبرى انك اذا قلت لواحد من هذه الطائفة المنكرة اشتغل بنفسك يقول لك انما أقوم حماية لدين

الله وغيرة له والغيرة لله من الايمان وأمثال هذا ولا يسكن ولا ينظر هل ذلك من قبيل الامكان أم لا أعني أن يكون الله قد عرّف وليا من أوليائه بما يجري به في خلقه كالخضر و يعلمه علوما من لدنه تكون العبارة عنها بهذه الصيغ التي ينطق بها الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال الخضر وما فعلته عن أمري وآمن هذا المنكر بها على زعمه اذ جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو كان مؤمنا بها ما أنكرها على هذا الولي لان الشارع ما أنكر اطلاقها في جناب الحق من استواء ونزول ومعية وضحك وفرح وتبشبش وتعجب وأمثال ذلك وما ورد عنه صلى الله عليه وسلم قط انه حجرها على أحد من عباد الله بل أخبر عن الله انه يقول لنا لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ففتح لنا وندبنا الى التأسي به صلى الله عليه وسلم وقال فاتبعوني يحببكم الله وهذا من اتباعه والتأسي به فمن التأسي به اذا ورد علينا من الحق سبحانه وارد حق فعلمنا من لدنه علما فيه رحمة حبانا الله بها وعناية حيث كان ذلك على بينة من ربنا و يتلوها شاهد منا وهو اتباعنا سنته وما شرع لنا لم نخل بشئ منها ولا ارتكبنا مخالفة بتحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل فنطلب لذلك المعلوم الذي علمناه من جانب الحق أمثال هذه العبارات النبوية لنفصح بها عن ذلك ولا سيما اذا سئلنا عن شئ من ذلك لان الله أخبر عمن هذه صفته انه يدعو الى الله على بصيرة فمن التأسي المأمور به برسول الله صلى الله عليه وسلم ان نطلق على تلك المعاني هذه الالفاظ النبوية اذ لو كان في العبارة عنها ما هو أفصح منها لا طلقها صلى الله عليه وسلم فانه المأمور بتبيين ما نزل به علينا ولا نعدل الى غيرها المنافر بدءمن البيان مع التحقق بليس كمثله شئ فانا اذا عدلنا الى عبارة غيرها ادّعينا بذلك أنا أعلم بحق الله وأنزه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أسوأ ما يكون من الادب ثم ان المعنى لا بدّ أن يختل عند السامع اذ كان ذلك اللفظ الذي خالفت به لفظ من كان أفصح الناس وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن لا يدل على ذلك المعنى بحكم المطابقة فشرع لنا التأسي وغاب هذا المنكر المكفر من أتى بمثل هذا عن النظر في هذا كله وذلك لامرين أو لاحدهما ان كان عالما فالحسد قام به قال تعالى حسدا من عند أنفسهم وان كان جاهلا فهو بالنبوّة أجهل بالولي لقينا من أقطاب هذا المقام بجبل أبي قبيس بمكة في يوم واحد ما يزيد على السبعين رجلا وليس لهذه الطبقة تلميذ في طريقهم أصلا ولا يسلكون أحدا طريق التربية لكن لهم الوصية والنصيحة ونشر العلم فمن وفق أخذ به و يقال ان أبا السعود بن الشبل كان منهم وما لقيته ولا رأيته ولكن شممت له رائحة طيبة ونفسا عطريا و بلغني ان عبد القادر الجيلي وكان عدلا قطب وقته شهد لمحمد بن قائد الاواني بهذا المقام كذا نقل اليّ والعهدة على الناقل فان ابن قائد زعم انه ما رأى هناك أمامه سوى قدم نبيه وهذا لا يكون الا الافراد الوقت فان لم يكن من الافراد فلا بدّ أن يرى قدم قطب وقته امامه زائدا على قدم نبيه ان كان اماما وان كان وتدا فيرى امامه ثلاثة أقدام وان كان بدلا يرى أربعة أقدام وهكذا الا انه لا بدّ أن يكون في حضرة الاتباع مقاما فاذا لم يقم في حضرات الاتباع وعدل به عن يمين الطريق بين المخدع و بين الطريق فانه لا يبصر قدما امامه وذلك هو طريق الوجه الخاص الذي من الحق الى كل موجود ومن ذلك الوجه الخاص تنكشف للاولياء هذه العلوم التي تنكر عليهم و يزندقون بها و يزندقهم بها و يكفرهم من يؤمن بها اذا جاءته عن الرسل وهي العلوم عينها وهي التي ذكرناها آنفا ولاصحاب هذا المقام التصريف والتصرّف في العالم فالطبقة الاولى من هؤلاء تركت التصرّف لله في خلقه مع التمكن وتولية الحق لهم اياه تمكنا لا أمرا لكن عرضا فلبسوا الستر ودخلوا في سرادقات الغيب واستتروا بحجب العوائد ولزموا العبودة والافتقار وهم الفتيان الظرفاء الملامتية الاخفياء الابرياء وكان أبو السعود منهم كان رحمه الله ممن امتثل أمر الله في قوله تعالى فاتخذه وكيلا فالوكيل له التصرّف فلو أمر امتثل الامر هذا من شأنهم وأمّا عبد القادر فالظاهر من حاله انه كان مأمورا بالتصرّف فلهذا ظهر عليه هذا هو الظن بامثاله وأمّا محمد الاواني فكان يذكر ان الله أعطاه التصرّف فقبله فكان يتصرّف ولم يكن مأمورا فابتلي فنقصه من المعرفة القدر الذي علا أبو السعود به عليه فنطق أبو السعود بلسان الطبقة الاولى من طائفة الركبان وسميناهم اقطابا لثبوتهم ولان هذا المقام أعني مقام العبودة يدور عليهم لم أرد بقطبيتهم ان لهم جماعة تحت أمرهم يكونون رؤساء عليهم وأقطابا لهم هم أجل من ذلك وأعلى فلا رياسة أصلا لهم في نفوسهم لتحققهم بعبوديتهم

ولم يكن لهم أمر الهي بالتقدم فما ورد عليهم فيلزمهم طاعته لما هم عليه من التحقق أيضا بالعبودية فيكونون قائمين به في مقام العبودية بامتثال أمر سيدهم وأما مع التخيير والعرض أو طلب تحصيل المقام فانه لا يظهر به الا من لم يتحقق بالعبودة التي خلق لها فهذا أولى قد عرفتك في هذا الباب بمقاماتهم وبقي التعريف بأصولهم وتعيين أحوال الاقطاب المدبرين من الطبقة الثانية منهم نذكر ذلك فيما بعد ان شاء الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل لا رب غيره

الباب الحادي والثلاثون في معرفة أصول الركبان

حدب الدهر علينا وحنا * ومضى في حكمه وما ونى

وعشقناه فغنينا عنى * يطرب الدهر بايقاع الغنا

نحن حكمناك في أنفسنا * فاحكم ان شئت علينا أو لنا

ولقد كان له الحكم وما * كان ذاك الحكم للدهر بنا

فشفيعي هو دهري والذي * صرف الدهر كذا صرفنا

فركبنا نطلب الاصل الذي * جعل السر لدينا علنا

فلنا منه الذي حركنا * وله منا الذي سكننا

حركات الدهر فينا شهدت * انه قال له ما سكنا *

فانا العبد الذليل المجتبي * وأنا حق وما الحق أنا

اعلم أيدك الله ان الاصول التي اعتمدت عليها الركبان كثيرة منها التبري من الحركة اذا أقيموا فيها فلهذا ركبوا فهم الساكنون على مراكبهم المتحركون بتحريك مراكبهم فهم يقطعون بأمر ما قطعه بغيرهم لانهم فيصلون مستريحين مما تعطيه مشقة الحركة متبرئين من الدعوى التي تعطيها الحركة حتى لو فتخروا بقطع المسافات البعيدة في الزمان القليل لكان ذلك الفخر راجعا للمركب الذي قطع بهم تلك المسافة لا لهم فلهم التبري وما لهم الدعوى فهجيرهم لا حول ولا قوة الا بالله وآيتهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى يقال لهم وما قطعتم هذه المسافات حين قطعتموها ولكن الركاب قطعتها فهم المحمولون فليس للعبد صولة لا بسلطان سيده وله الذلة والعجز والمهانة والضعف من نفسه ولما رأوا ان الله قد نبه بقوله تعالى وله ما سكن فأخلصه له علموا ان الحركة فيها الدعوى وان السكون لا تشوبه دعوى فانه نفي الحركة فقالوا ان الله قد أمرنا بقطع هذه المسافة المعنوية وجوب هذه المفاوز المهلكة اليه فان نحن قطعناها بنفوسنا لم نأمن على نفوسنا من أن تمتدح بذلك في حضرة الاتصال فانها مجبولة على الرعونة وطلب التقدم وحب الفخر فنكون من أهل النقص في ذلك المقام بقدر ما ينبغي أن نحترم به ذلك الجلال الاعظم فلنتخذ ركابا نقطع به فان أرادت الافتخار يكون الافتخار للركاب لا للنفوس فاتخذت من لا حول ولا قوة الا بالله نجبا لما كانت النجب أصبر عن الماء والعلف من الافراس وغيرها والطريق معطشة جدبة مهلكة فيها من المراكب من ليس له مرتبة النجب فلهذا اتخذوها نجبا دون غيرها مما يصح أن يركب ولا يصح أن يقطع ذلك الحمد لله فان هذا الذكر من خصائص الوصول ولا سبحان الله فانه من خصائص التجلي ولا لا اله الا الله فانه من خصائص الدعاوى ولا الله أكبر فانه من خصائص المفاضلة فتعين لا حول ولا قوة الا بالله فانه من خصائص الاعمال فعلا وقولا ظاهرا وباطنا لانهم بالاعمال أمروا والسفر عمل قلبا وبدنا ومعنى وحسا وذلك مخصوص بلا حول ولا قوة الا بالله فانه بها يقولون لا اله الا الله وبها تقول سبحان الله وغير ذلك من جميع الاقوال والاعمال ولما كان السكون عدم الحركة والعدم أصلهم لانه قوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ يريد موجودا فاختاروا السكون على الحركة وهو الاقامة على الاصل فنبه سبحانه وتعالى في قوله وله ما سكن في الليل والنهار أن الخلق ساموا له العدم وادعوا له في الوجود فمن باب الحقائق عرى الحق خلقه في هذه الآية عن اضافة ما دعوه لانفسهم بقوله وله ما سكن في الليل والنهار أي ما ثبت والثبوت أمر وجودي عقلي لا عيني بل نسبي وهو السميع العليم يسمع

دعوا كم في نسبة ما هو له وقد نسبتموه اليكم فليم بأن الامر على خلاف ما ادعيتموه ومن أصولهم التوحيد بلسان بي يتكلم وبي يسمع وبي يبصر وهذا مقام لا يحصل الا عن فروع الاعمال وهي النوافل فان هذه الفروع تنتج المحبة الالهية والمحبة تورث العبد أن يكون بهذه الصفة فتكون هذه الصفة أصلا لهذا الصنف من العباد فيما يعلمونه ويحكمون به من أحكام الخضر وعلمه فهو أصل مكتسب وهو للخضر أصل عناية الهية بالرحمة التي آتاه الله وعن تلك الرحمة كان له هذا العلم الذي طلب موسى عليه السلام أن يعلمه منه فان تفطنت لهذا الامر الذي أوردناه عرفت قدر ولاية هذه الآل المحمدية والائمة ومنزلتها وأن ثمرة زهرة فروع أصلها المشروع لها في العامة هي أصل الخضر الذي امتن الله تعالى على عبده موسى عليه السلام بلقائه وتأدب به فانتج للمحمدي فرع فرع فرع أصله ما هو أصل للخضر ومثل موسى عليه السلام يطلب منه أن يعلمه مما هو عليه من العلم فانظر منزلة هذا العارف المحمدي أين تميزت فكيف لك بما ينتجه الاصل الذي ترجع اليه هذه الفروع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رويه عن ربه ان الله يقول ما تقرب الي المتقربون بأحب الي من أداء ما افترضته عليهم فهذا هو الاصل أداء الفرض ثم قال ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل وهو ما زاد على الفرائض ولكن من جنسها حتى تكون الفرائض أصلا لها مثل نوافل الخيرات من صلاة وزكاة وصوم وحج وذكر فهذا هو الفرع الاقرب الى الاصل ثم ينتج له هذا العمل الذي هو نافلة محبة الله اياه وهي محبة خاصة جزاء ليست هي محبة الامتنان فان محبة الامتنان الاصلية اشترك فيها جميع أهل السعادة عند الله تعالى وهي التي أعطت هؤلاء التقرب الى الله بنوافل الخيرات ثم ان هذه المحبة وهي الفرع الثاني الذي هو بمنزلة الزهرة أنتجت له أن يكون الحق سمعه وبصره ويده الى غير ذلك وهذا هو الفرع الثالث وهو بمنزلة الثمرة التي تعقد عند الزهرة فعند ذلك يكون العبد يسمع بالحق وينطق به ويبصر به ويبطش به ويدرك به وهذا وحي خاص الهي أعطاه هذا المقام ليس للملك فيه وساطة من الله ولهذا قال الخضر لموسى عليه السلام مالم تحط به خبرا فان وحي الرسل انما هو بالملك بين الله وبين رسوله فلا خبر له بهذا الذوق في عين امضاء الحكم في عالم الشهادة فما تعود الارسال للتشريع الاحكام الالهية في عالم الشهادة الا بواسطة الروح الذي نزل به على قلبه أو في تمثله لم يعرف الرسول الشريعة الا على هذا الوصف لا غير الشريعة فان الرسول له قرب أداء الفرض والمحبة عليهما من الله وتنتج له تلك المحبة وله قرب النوافل ومحبتها وما يعطيه محبتها ولكن من العلم بالله لا من علم التشريع وامضاء الحكم في عالم الشهادة فلم يحط به خبرا من هذا القبيل فهذا القدر هو الذي اختص به خضر دون موسى عليه السلام ومن هذا الباب يحكم المحمدي الذي لم يتقدم له علم بالشريعة بواسطة النقل وقراءة الفقه والحديث ومعرفة الاحكام الشرعية فينطق صاحب هذا المقام بعلم الحكم المشروع على ما هو عليه في الشرع المنزل من هذه الحضرة وليس من الرسل وانما هو تعريف الهي وعصمة يعطيها هذا المقام ليس للرسالة فيه مدخل فهذا معنى قوله مالم تحط به خبرا فان الرسول لا يأخذ هذا الحكم الا بنزول الروح الامين على قلبه أو بمثال في شاهده يتمثل له الملك رجلا ولما كانت النبوة قد منعت والرسالة كذلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان التعريف لهذا الشخص بما هو الشرع المحمدي عليه في عالم الشهادة ولو كان في زمان التشريع كما كان زمان موسى لظهر الحكم من هذا الولي كما ظهر من الخضر من غير وساطة ملك بل من حضرة القرب فالرسول والنبي بل ما حضرة القرب بمثل ما لهذا وليس له التشريع منها بل التشريع لا يكون له الا بوساطة الملك الروح وما بقي الا اذا حصل للنبي المتأخر من شرع المتقدم ما هو شرع له هل يحصل ذلك بوساطة الروح كسائر شرعه أو يحصل له كما حصل للخضر ولهذا الولي منا من حضرة الوحي فذهبي انه لا يحصل له الا كما يحصل ما يختص به من الشرائع ذلك الرسول ولهذا يصدق الثقة العدل في قوله مالم تحط به خبرا وما يعرف له منازع ولا مخالف فيما ذكرناه من أهل طريقنا ولا وقفنا عليه غير أنه ان خالفنا فيه أحد من أهل طريقنا فلا يتصور فيه خلاف لنا الا من أحد رجلين اما رجل من أهل الله التبس عليه الامر ويجعل التعريف الالهي حكما اذا جاز أن يكون النبي أو الرسول كذلك ولكن في هذه الامة وأما في الزمان الاول فهو حكم لصاحبه ولا بد وهو تعريف للرسول بوساطة الملك ان هذا شرع

لغيره قال تعالى لما ذكر الانبياء أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وما ذكر له هداهم الا بالوحي بواسطة الروح والرجل الآخر رجل قاس الحكم على الاخبار وأما غير ذلك فلا يكون ومع هذا فلم يصل الينا عن أحد منهم خلاف فيما ذكرناه ولا وفاق ومن أصول هذه الطبقة أيضا انه يتكلم بما به يسمع ولا يقول بذلك سواهم من حيث الذوق لكن قد يقول بذلك من يقول به من حيث الدليل العقلي فهؤلاء يأخذونه عن تجل الهي وغيرهم يأخذه عن نظر صحيح موافق للامر على ما هو عليه وهو الحق ووقوع الاختلاف في الطريق فهذا الطريق غير هذا الطريق وان اتفق في المنزل وهو الغاية فهو السميع لنفسه البصير لنفسه العالم لنفسه وهكذا كل ما تسميه به أو تصفه أو تنعته ان كنت ممن يسيء الادب مع الله حيث يطلق لفظ صفة على ما نسب اليه أو لفظ نعت فانه ما أطلق على ذلك الا لفظ اسم فقال سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال في حق المشركين قل سموهم وما قال صفوهم ولا انعتوهم بل قال سبحان ربك رب العزة عما يصفون فنزه نفسه عن الوصف لفظا ومعنى ان كنت من أهل الادب والتفطن فهذا معنى قولي ان كنت ممن يسيء الادب مع الله والمخالف لنا يقول انه يعلم بعلم ويقدر بقدرة ويبصر ببصر وهكذا جميع ما يتسمى به الا صفات التنزيه فانه لا يتكلم فيها بهذا النوع كالغني وأشباهه الا بعضهم فانه جعل ذلك كله معاني قائمة بذات الله لا هي هو ولا هي غيره ولكن هي أعيان زائدة على ذاته والاستاذ أبو اسحاق جعل السبعة أعيانا زائدة على ذاته اتصفت بها ذاته وجعل كل اسم بحسب ما تعطيه دلالته فجعل صفات التنزيه كلها في جدول الاسم الحي وجعل الخبير والحسيب والعليم والمحصي وأخواته في جدول العلم وجعل الاسم الشكور في جدول الكلام وهكذا ألحق الكل كل صفة من السبعة ما يليق بها من الاسماء بالمعنى كالخالق والرازق للقدرة وغير ذلك على هذا الاسلوب هذا مذهب الاستاذ وأجمع المتكلمون من الاشاعرة على ان ثم أمورا زائدة على الذات ونصبوا على ذلك أدلة ثم انهم مع اجماعهم على الزائد لم يجد واد ليلا قاطعا على ان هذا الزائد على الذات هل هو عين واحدة لها أحكام مختلفة وان كان زائدا لا بد من ذلك أو هل هذا الزائد أعيان متعددة لم يقل حاذقوهم في ذلك شيأ بل قال بعضهم يمكن أن يكون الامر في نفسه يرجع الى عين واحدة ويمكن أن يرجع الى أعيان مختلفة لانه زائد ولا بد ولا فائدة جاء بها هذا المتكلم الاعدم التحكم فان الذات اذا قبلت عينا واحدة زائدة جاز أن تقبل عيونا كثيرة زائدة على ذاتها فتكون القدماء لا يحصون كثرة وهو مذهب أبي بكر بن الطيب والخلاف في ذلك يطول وليس طريقنا على هذا أعني في الرد عليهم ومنازعتهم لكن طريقنا نبين مأخذ كل طائفة ومن أين انتحلته في نحلها وما تجلى لها وهل يؤثر ذلك في سعادتها أو لا يؤثر هذا حظ أهل طريق الله من العلم بالله فلا نشتغل بالرد على أحد من خلق الله بل نرى ما نقيم لهم العذر في ذلك للاتساع الالهي فان الله أقام العذر فيمن يدعو مع الله الها آخر ببرهان يرى انه دليل في زعمه فقال عز من قائل ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ومن أصولهم الادب مع الله تعالى فلا يسمونه الا بما سمى به نفسه ولا يضيفون اليه الا ما أضافه الى نفسه كما قال تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وقال في السيئة وما أصابك من سيئة فمن نفسك ثم قال قل كل من عند الله قال ذلك في الامرين اذا جمعتهما الا تقل من الله فراع اللفظ واعلم ان لجمع الامر حقيقة تخالف حقيقة كل مفرد اذا انفرد ولم يجتمع مع غيره كسواد المداد بين العفص والزاج ففصل سبحانه بين ما يكون منه وبين ما يكون من عنده يقول تعالى في حق طائفة مخصوصة والله خير وأبقى بنية المفاضلة ولا مناسبة وقال في حق طائفة أخرى معينة صفتها وما عند الله خير وأبقى فما هو عنده ما هو عين ما هو منه ولا عين هويته فبين الطائفتين ما بين المنزلتين كما قيل لواحد ما تركت لاهلك قال الله ورسوله وقيل للآخر فقال نصف مالي فقال بينكما ما بين كلمتيكما يعني في المنزلة فاذا أخذ العبد من كل ما سواه جعله في الله خير وأبقى واذا أخذ من وجه من العالم يقتضي الحجاب والبعد والذم جعله فيما عند الله خير وأبقى فميز المراتب ثم انه سبحانه عرفنا بأهل الادب ومنزلتهم من العلم به فقال عن ابراهيم خليله أنه قال الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين ولم يقل يجوعني واذا مرضت ولم يقل أمرضني فهو يشفين فأضاف الشفاء اليه والمرض لنفسه وان كان الكل من عنده ولكنه تعالى هو أدب رسله اذ كان

المرض لا تقبله النفوس بخلاف الموت فان الفضلاء من العقلاء العارفين يطلبون الموت للتخلص من هذا الحبس
وتطلبه الانبياء للقاء الله الذى يتضمنه وكذلك أهل الله ولذلك ماخير نبي فى الموت الا اختاره لان فيه لقاء الله فهو نعمة
منه عليه ومنة والمرض شغل شاغل عن أداء ما أوجب الله على العبد أداءه من حقوق الله لاحساسه بالالم وهو فى محل
التكليف وما يحس بالالم الا الروح الحيوانى فيشغل الروح المدبر لجسده عما دعى اليه فى هذه الدنيا فلهذا أضاف المرض
اليه والشفاء والموت للحق كما فعل صاحب موسى عليه السلام فى اضافة خرق السفينة اليه اذ جعل خرقها عيبا وأضاف
قتل الغلام اليه والى ربه لما فيه من الرحمة بأبويه وماساءهما من ذلك أضافه اليه وأضاف اقامة الجدار الى ربه لما فيه
من الصلاح والخير فقال تعالى عن عبده خضر فى خرق السفينة فأردت أن أعيبها تنزيها أن يضيف الى الجناب العالى
ما ظاهره ذم فى العرف والعادة وقال فى اقامة الجدار لما جعل اقامته رحمة باليتيمين لما يصيبانه من الخير الذى هو الكنز
فأراد ربك يخبر موسى عليه السلام أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال لموسى فى حق الغلام
انه طبع كافرا والكفر صفة مذمومة قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وأراد أن يخبره بأن الله يبدل أبويه خيرا منه
زكاة وأقرب رحما فأراد أن يضيف ما كان فى المسئلة من العيب فى نظر موسى عليه السلام حيث جعله نكرا من المنكر
وجعله نفسا زاكية قتلت بغير نفس قال فأردنا أن يبدلهما ربهما فأتى بنون الجمع فان فى قتله أمرين أمر يؤدى الى
الخير وأمر الى غير ذلك فى نظر موسى وفى مستقر العادة فما كان من خير فى هذا الفعل فهو لله من حيث ضمير النون
وما كان فيه من نكر فى ظاهر الامر وفى نظر موسى عليه السلام فى ذلك الوقت كان للخضر من حيث ضمير النون
فنون الجمع لها وجهان لما فيها من الجمع وجه الى الخير به أضاف الامر الى الله ووجه الى العيب به أضاف العيب الى نفسه
وجاء بهذه المسئلة والواقعة فى الوسط لا فى الطرف بين السفينة والجدار ليكون ما فيها من عيب من جهة السفينة وما فيها
من خير من جهة الجدار فلو كانت مسئلة الغلام فى الطرف ابتداء أو انتهاء لم تعط الحكمة أن يكون كل وجه مخلصا من
غير أن يشوبه شئ من الخير أو ضده فلو كان أولا وكانت السفينة وسطا لم يصل ما فى مسئلة الغلام من الخير الذى له ولابويه
حتى يمر على حضرة معيبة ظاهرا وهى السفينة وحينئذ يتصل بالخير الذى فى الجدار ولو كان الجدار وسطا وتأخر حديث
الغلام لم يصل عيب السفينة الى الاتصال بعيب الغلام حتى يمر بخير ما فى الجدار فيمر بغير المناسب ومن شأن الحضرات
أن تقلب أعيان الاشياء أعنى صفاتها اذا مرت بها فكانت مسئلة الغلام وسطا فيلى وجه العيب جهة السفينة ويلى جهة
الخير جهة الجدار واستقامت الحكمة فان قلت فلم جمع بين الله وبين نفسه فى ضمير النون أعنى نون فأردنا وقال صلى
الله عليه وسلم لما سمع بعض الخطباء وقد جمع بين الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى ضمير واحد فى قوله ومن
يعصهما بئس الخطيب أنت فاعلم انه من الباب الذى قررناه وهو أنه لا يضاف الى الحق الا ما أضافه الحق الى نفسه أو أمر
به رسوله أو من آتاه علما من لدنه كالخضر المنصوص عليه فهذا من ذلك الباب فلما كان هذا الخطيب عريا من العلم
اللدنى ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم اليه فى اباحة مثل هذا الهذا ذمه وقال بئس الخطيب أنت فانه كان
ينبغى له أن لا يجمع بين الحق والخلق فى ضمير واحد الا باذن الهى من رسول أو علم لدنى ولم يكن واحد من هذين
الامرين عنده فلهذا ذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث رويناه عنه فى
خطبة خطبها فذكر الله تعالى فيها وذكر نفسه صلى الله عليه وسلم ثم جمع بين ربه تعالى وبين نفسه فيها فى ضمير واحد
فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ وما ينطق صلى الله عليه وسلم عن
الهوى ان هو الا وحى يوحى وكذا قال الخضر وما فعلته عن أمرى يعنى جميع ما فعله من الاعمال وجميع ما قال من
الاقوال فى العبارة لموسى عليه السلام عن ذلك فافهم فبهذا قد أبنت لك عن أصولهم ما فيه كفاية فاركان هم المرادون
المجنونون المصونة أسرارهم فى البيض فلا يتخللها هواء مثل القاصرات الطرف من الحور المقصورات فى الخيام
كأنهن بيض مكنون ومن صفاتهم أنهم لا يكشفون وجوههم عند النوم ولا ينامون الا على ظهورهم لهم التلقى
لا يتحركون الا عن أمر الهى ولا يسكنون الا كذلك بارادة اراداتهم ما يراد بهم ولما كان السكون أمرا عدميا لذلك

قربانه الارادة دون الامر ولما كان التحرك أمرا وجوديا لذلك قربانه الامر الالهى ان فهمت وهم رضى الله عنهم لايزاحمون ولايزاحمون أكثر مايجرى على ألسنتهم ماشاء الله سخرت لهم السحاب لهم القدم الراسخة فى علم الغيوب لهم فى كل ليلة معراج روحانى بل فى كل نومة من ليل أو نهار لهم استشراف على بواطن العلم فرأوا ملكوت السموات والارض يقول الله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وقال فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا وهو عين اسرائه والعلماء ورثة الانبياء أحوالهم الكتمان لو قطعوا اربا اربا ماعرف ماعندهم لهذا قال خضر مافعلته عن أمرى فالكتمان من أحوالهم الا أن يؤمروا بالافشاء والاعلان والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿الباب الثانى والثلاثون فى معرفة الاقطاب المدبرين أصحاب الركاب من الطبقة الثانية﴾

ان التدبر معشوق لصاحبه * به تحققت الاسماء والدول

عليه عند الذى يقضى سوالفه * فى كل مايقتضيه كونه العمل

به ترتب مافى الكون من عجب * فكل كون له فى علمه أجل

لقيت من هؤلاء الطبقة جماعة باشبيلية من بلاد الاندلس منهم أبو يحيى الصنهاجى الضرير كان يسكن بمسجد الزبيدى صحبته الى ان مات ودفن بجبل عال كثير الرياح بالشرق فكل الناس شق عليهم طلوع الجبل لطوله وكثرة رياحه فسكن الله الريح فلم تهب من الوقت الذى وضعناه فى الجبل وأخذ الناس فى حفر قبره وقطع حجره الى أن فرغنا من دواريناه فى روضته وانصرفنا فعند انصرافنا هبت الريح على عادتها فتعجب الناس من ذلك ومنهم أيضا صالح البربرى وأبو عبد الله الشرفى وأبو الحجاج يوسف الشبربلى فأما صالح فساح أربعين سنة ولزم باشبيلية مسجد الرطندالى أربعين سنة على التجريد بالحالة التى كان عليها فى سياحته وأما أبو عبد الله الشرفى فكان صاحب خطوة بقى نحوا من خمسين سنة ماأسرج له سراجا فى بيته رأيت له عجائب وأما أبو الحجاج الشبربلى من قرية يقال لها شبربل بشرق اشبيلية كان ممن يمشى على الماء وتعاشره الارواح ومامن واحد من هؤلاء الا وعاشرته معاشرة مودة وامتزاج ومحبة منهم فيناوقد ذكرناهم مع أشياخنا فى الدرة الفاخرة عند ذكرنا من انتفعت به فى طريق الآخرة فكان هؤلاء الاربعة من أهل هذا المقام وهم من أكابر الاولياء الملامية جعل بايديهم علم التدبير والتفصيل فلهم الاسم المدبر المفصل وهجيرهم يدبر الامر يفصل الآيات هم العرائس أهل المنصات فلهم الآيات المعتادة وغير المعتادة فالعالم كله عندهم آيات بينات والعامة ليست الآيات عندهم الا التى هى عندهم غير معتادة فذلك تنبيهم الى تعظيم الله والله قد جعل الآيات المعتادة لاصناف مختلفين من عباده فنها للعقلاء مثل قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون فثم آيات للعقلاء كلها معتادة وآيات للموقنين وآيات لاولى الالباب وآيات لاولى النهى وآيات للسامعين وهم أهل الفهم عن الله وآيات للعالمين وآيات للعالمين وآيات للمؤمنين وآيات للمتفكرين وآيات لاهل الذكر فهؤلاء كلهم أصناف نعتهم الله بنعوت مختلفة وآيات مختلفات كلها ذكرها الله فى القرآن اذا بحثت عليها وتدبرتها علمت انها آيات ودلالات على أمور مختلفة ترجع الى عين واحدة غفل عن ذلك أكثر الناس ولهذا عدد الاصناف فان من الآيات المذكورة المعتادة مايدرك الناس دلالتها من كونهم ناسا وجنا وملائكة وهى التى وصف بادراكها العالم بفتح اللام ومن الآيات ماتغمض بحيث لايدركها الا من له التفكر السليم ومن الآيات ماهى دلالتها مشروطة باولى الالباب وهم العقلاء الناظرون فى لب الامور لا فى قشورها فهم الباحثون عن المعانى وان كانت الالباب والنهى العقول فلم يكتف سبحانه بلفظة العقل حتى ذكر الآيات لاولى الالباب فما كل عاقل ينظر فى لب الامور وبواطنها فان أهل الظاهر لهم عقول بلا شك وليسوا باولى الالباب

ولاشك ان العصاة لهم عقول ولكن ليسوا باولى نهى فاختلفت صفاتهم اذ كانت كل صفة تعطى صنفا من العلم لا يحصل الا لمن حاله تلك الصفة فاذكرها الله سدى وكثر الله ذكر الآيات فى القرآن العزيز فى مواضع اردفها وتلا بعضها بعضا واردف صفة العارفين بها وفى مواضع أفردها فتل ارداف بعضها على بعض مساقها فى سورة الروم فلا يزال يقول تعالى ومن آياته ومن آياته فيتلوها جميع الناس ولا يتنبه لها الا الاصناف الذين ذكرهم فى كل آية خاصة فكان تلك الآيات فى حق أولئك أنزلت آيات وفى حق غيرهم لمجرد التلاوة ليؤجروا عليها ولما قرأت هذه السورة وأنا فى مقام هذه الطبقة ووصلت الى قوله ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله تعجبت كل العجب من حسن نظم القرآن وجمعه ولماذا اقدم ما كان ينبغى فى النظر العقلى فى ظاهر الامر أن يكون على غير هذا النظم فان النهار لابتغاء الفضل والليل للمنام كما قال فى القصص ومن آياته أن جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه فاعاد الضمير على الليل ولتبتغوا من فضله يريد فى النهار فاضمر وان كان الضميران يعودان على المعنى المقصود فقد يعمل الصانع بالليل ويبيع ويشترى بالليل كما انه ينام أيضا ويسكن بالنهار ولكن الغالب فى الامور هو المعتبر فلاح لى من خلف ستارة هذه الآية وحسن العبارة عنها الرافعة سترها وهو قوله منامكم بالليل والنهار أمر زائد على ما يفهم منه فى العموم بقرائن الاحوال فى ابتغاء الفضل للنهار والمنام لليل ما اذكره وهو ان الله نبه بهذه الآية على ان نشأة الآخرة الحسية لا تشبه هذه النشأة الدنياوية وانها ليست بعينها بل تركيب آخر ومزاج آخر كما وردت به الشرائع والتعريفات النبوية فى مزاج تلك الدار وان كانت هذه الجواهر عينها بلاشك فانها التى تبعثر فى القبور وتنشر ولكن يختلف التركيب والمزاج باعراض وصفات تليق بتلك الدار لا تليق بهذه الدار وان كانت الصورة واحدة فى العين والسمع والانف والفم واليدين والرجلين بكمال النشأة ولكن الاختلاف بين فيه ما يشعر به ويحس ومنه ما لا يشعر به ولما كانت صورة الانشاء فى الدار الآخرة على صورة هذه النشأة لم يشعر بما أشرنا اليه ولما كان الحكم يختلف عرفنا ان المزاج اختلف فهذا الفرق بين حظ الحس والعقل فقال تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار ولم يذكر اليقظة وهى من جملة الآيات فذكر المنام دون اليقظة فى حال الدنيا فدل على ان اليقظة لا تكون الا عند الموت وان الانسان نائم أبدا ما لم يمت فذكر انه فى منام بالليل والنهار فى يقظته ونومه وفى الخبر الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ألا ترى انه لم يأت بالباء فى قوله تعالى والنهار واكتفى بباء الليل ليحقق بهذا الاشتراك انه يريد المنام فى حال اليقظة المعتادة فحذفها مما يقوى الوجه الذى أبرزناه فى هذه الآية فالمنام هو ما يكون فيه النائم فى حال نومه فاذا استيقظ يقول رأيت كذا وكذا فدل ان الانسان فى منام ما دام فى هذه النشأة فى الدنيا الى أن يموت فلم يعتبر الحق اليقظة المعتادة عندنا فى العموم بل جعل الانسان فى منام فى نومه ويقظته كما أوردناه فى الخبر النبوى من قوله صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فوصفهم بالنوم فى الحياة الدنيا والعامة لا تعرف النوم فى المعتاد الا ما جرت به العادة أن يسمى نوما فنبه النبى صلى الله عليه وسلم بل صرح ان الانسان فى منام ما دام فى الحياة الدنيا حتى ينتبه فى الآخرة والموت أول أحوال الآخرة فصدقه الله بما جاء به فى قوله تعالى ومن آياته منامكم بالليل وهو النوم العادى والنهار وهو هذا المنام الذى صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا جعل الدنيا عبرة جسرا يعبر أى تعبر كما تعبر الرؤيا التى يراها الانسان فى نومه فكما ان الذى يراه الرائى فى حال نومه ما هو مراد لنفسه انما هو مراد لغيره فيعبر من تلك الصورة المرئية فى حال النوم الى معناها المراد بها فى عالم اليقظة اذا استيقظ من نومه كذلك حال الانسان فى الدنيا ما هو مطلوب للدنيا فكل ما يراه من حال وقول وعمل فى الدنيا انما هو مطلوب للآخرة فهنالك يعبر ويظهر له ما رآه فى الدنيا كما يظهر له فى الدنيا اذا استيقظ ما رآه فى المنام فالدنيا جسر يعبر ولا يعمر كالانسان فى حال ما يراه فى نومه يعبر ولا يعمر فانه اذا استيقظ لا يجد شيأ مما رآه من خير يراه أو شر ودار وبناء وسفر وأحوال حسنة أو سيئة فلا بد أن يعبر له العارف بالعبارة ما رآه فيقول له تدل رؤياك لكذا على كذا فكذلك الحياة الدنيا منام اذا انتقل الى الآخرة بالموت لم ينتقل معه شئ مما كان فى يده وفى حسه من دار وأهل ومال كما كان حين استيقظ من نومه لم ير شيأ فى يده مما كان له حاصلا فى رؤياه فى حال نومه ولهذا قال تعالى اننا فى منام بالليل والنهار وفى الآخرة تكون

اليقظة وهنالك تعبر الرؤيا فمن نوّر الله عين بصيرته وعبر رؤياه هنا قبل الموت أفلح ويكون فيها مثل من رأى رؤيا ثم رأى في رؤياه أنه استيقظ فيقص ما رآه وهو في النوم على حاله على بعض الناس الذين يراهم في نومه فيقول رأيت كذا وكذا فيفسره ويعبره له ذلك الشخص بما يراه في علمه بذلك فاذا استيقظ حينئذ يظهر له أنه لم يزل في منام في حال الرؤيا وفي حال التعبير لها وهو أصح التعبير وكذلك الفطن اللبيب في هذه الدار مع كونه في منامه يرى أنه استيقظ فيعبر رؤياه في منامه ليتنبه ويزدجر ويسلك الطريق الاسدّ فاذا استيقظ بالموت حمد رؤياه وفرح بمنامه وأثمرت له رؤياه خيرا فلهذه الحقيقة ما ذكر الله في هذه الآية اليقظة وذكر المنام وأضافه الينا بالليل والنهار وكان ابتغاء الفضل فيه في حق من رأى في نومه أنه استيقظ في نومه فيعبر رؤياه وهي حالة الدنيا والله يلهمنا رشد أنفسنا هذا من قوله تعالى يدبر الامر يفصل الآيات فهذا تفصيل آيات المنام بالليل والنهار والابتغاء من الفضل وجعلها آيات لقوم يسمعون أي يفهمون كما قال ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أراد انهم عن الله وقال فيهم صم مع كونهم يسمعون بكم مع كونهم يتكلمون عمي مع كونهم يبصرون فهم لا يعقلون فنبهتك على ما أراد بالسمع والكلام والبصر هنا فهذه الطبقة الركانية الثانية مآخذهم للاشياء على هذا الحد الذي ذكرناه في هذه الآية وانما ذكرنا هذا المأخذ لتعرف تلك بطريقتهم فتتبين لك منزلتهم من غيرهم فلطائفهم بالآيات المنصوبة المعتادة وغير المعتادة قائمة ناظرة الى نفوس العالم ناظرة الى الوجوه العرضية التي اليها يتوجهون بسبب أغراضهم ناظرة الى الحدود الالهية فيما اليه يتوجهون لا يغفلون عن النظر في ذلك طرفة عين فغفلتهم التي تقتضيها جبلاتهم انما متعلقها منهم عما ضمن لهم فهم متيقظون فيما طلب منهم غافلون عما ضمن لهم حتى لا يخرجون عن حكم الغفلة فانها من جبلة الانسان وغير هذه الطائفة صرفتها الغفلة عما يراد منها فان كان الذي يقع اليه التوجه طاعة نظروا في دقائق تحصيلها ونظروا الى الامر الالهي الذي يناسبها والاسم الالهي الذي له السلطان عليها فيحصل لهم الامر الالهيّ الآية التي يطلبونها فان كانت الآية معتادة مثل اختلاف الليل والنهار وتسخير السحاب وغير ذلك من الآيات المعتادة التي لا تخبر النفوس العامة بكونها حتى يفقدوها فاذا فقدوها حينئذ خرجوا للاستسقاء وعرفوا في ذلك الوقت موضع دلالتها وقدرها وانهم كانوا في آية وهم لا يشعرون فاذا جاءتهم وأمطروا عادوا الى غفلتهم هذا حال العامة كما قال الله فيهم مجملا في هذه الدار هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البرّ اذا هم يشركون واذا هم يبغون في الارض بغير الحق يقول الله لهم يا أيها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا وهكذا يقولون في النار يا ليتنا نردّ قال تعالى ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه كما عاد أصحاب الفلك الى شركهم وبغيهم بعد اخلاصهم لله فاذا نظرت هذه الطائفة الى هذه الآيات أرسلوها مع أمرها الالهيّ الى حيث دعاها وان كانت الآية غير معتادة نظروا أيّ اسم الهيّ يطلبها فان طلبها القهار واخوانه فهي آية رهبة وزجر ووعيد أرسلوها على النفوس وان طلبها أعني تلك الآية الاسم اللطيف واخوانه فهي آية رغبة أرسلوها على الارواح فأشرق لها نور شعشعانيّ على النفوس فجنحت بذلك النفوس الى بارئها فزفت التوفيق والهداية وأعطيت التلذذ بالاعمال فقامت فيها بنشاط وتعرّت فيها من ملابس الكسل وتبغض اليها معاشرة البطالين وصحبة الغافلين اللاهين عن ذكر الله ويكرهون الملأ والجلوة ويؤثرون الانفراد والخلوة ولهذه الطبقة الثانية حقيقة ليلة القدر وكشفها وسرّها ومعناها ولهم فيها حكم الهيّ اختصوا به وهي حظهم من الزمان فانظر ما أشرف اذ حباهم الله من الزمان بأشرفه فانها خير من ألف شهر فيه زمان رمضان ويوم الجمعة ويوم عاشوراء ويوم عرفة وليلة القدر فكأنه قال فتضاعف خيرها ثلاثا وثمانين ضعفا وثلث ضعف لانها ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر وقد تكون الاربعة الاشهر مما يكون فيها ليلة القدر فيكون التضعيف في كل ليلة قدر أربعة وثمانين ضعفا فانظر ما في هذا الزمان من الخير وبأيّ زمان خصت هذه الطائفة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الثامن عشر والحمد لله

(بسم الله الرّحمن الرّحيم)

﴿الباب الثالث والثلاثون فى معرفة أقطاب النيات وأسرارهم وكيفية أصولهم ويقال لهم النياتيون﴾

الروح للجسم والنيات للعمل * تحيا بها كحياة الارض بالمطر
فتبصر الزهر والاشجار بارزة * وكل ما تخرج الاشجار من ثمر
كذاك تخرج من أعمالنا صور * لها روائح من نتن ومن عطر
لولا الشريعة كان المسك يخجل من * اعرافها هكذا يقضي به نظري
اذا كان مستند التكوين أجمعه * له فلا فرق بين النفع والضرر
فالزم شريعته تنعم بها صورا * تحلها صور تزهو على سرر
مثل الملوك تراها فى أسرتها * أو كالعرائس معشوقين للبصر

روينا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما الاعمال بالنيات وانما لامرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه اعلم ان لمراعاة النيات رجالا على حال مخصوص ونعت خاص أذكرهم ان شاء الله وأذكر أحوالهم والنية لجميع الحركات والسكنات فى المكلفين للاعمال كالمطر لما تنبته الارض فالنية من حيث ذاتها واحدة وتختلف بالمتعلق وهو المنوى فتكون النتيجة بحسب المتعلق به لا بحسبها فان حظ النية انما هو القصد للفعل أو تركه وكون ذلك الفعل حسنا أو قبيحا وخيرا أو شرا ما هو من أثر النية وانما هو من أمر عارض عرض ميزه الشارع وعينه للمكلف فليس للنية أثر البتة من هذا الوجه خاصة كالماء انما منزلته أن ينزل أو يسيح فى الارض وكون الارض الميتة تحيا به أو ينهدم بيت العجوز الفقيرة بنزوله ليس ذلك له فتخرج الزهرة الطيبة الريح والمنتنة والثمرة الطيبة والخبيثة من خبث مزاج البقعة أو طيبها أو من خبث البزرة أو طيبها قال تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ثم قال ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون فليس للنية فى ذلك الا الامداد كما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا يعنى المثل المضروب به فى القرآن أى بسببه وهو من القرآن فكما كان الماء سببا فى ظهور هذه الروائح المختلفة والطعوم المختلفة كذلك هى النيات سبب فى الاعمال الصالحة وغير الصالحة ومعلوم ان القرآن مهتدى كله ولكن بالتأويل فى المثل المضروب ضل من ضل وبه اهتدى من اهتدى فهو من كونه مثلا لم تتغير حقيقته وانما العيب وقع فى عين الفهم كذلك النية أعطت حقيقتها وهو تعلقها بالمنوى وكون ذلك المنوى حسنا أو قبيحا ليس لها وانما ذلك لصاحب الحكم فيه بالحسن والقبيح وقال تعالى انا هديناه السبيل أى بيناله طريق السعادة والشقاء ثم قال اما شاكرا واما كفورا هذا راجع للمخاطب المكلف فان نوى الخير أثمر خيرا وان نوى الشر أثمر شرا فما أتى عليه الا من المحل من طيبه أو خبثه يقول الله تعالى وعلى الله قصد السبيل أى هذا أوجبته على نفسى كأن الله يقول الذى يلزم جانب الحق منكم أن يبين لكم السبيل الموصل الى سعادتكم وقد فعلت فانكم لا تعرفونه الا باعلامى لكم به وتبيينى وسبب ذلك انه سبق فى العلم ان طريق سعادة العباد انما هو فى سبب خاص وسبب شقائهم أيضا انما هو فى طريق خاص وليس الا العدول عن طريق السعادة وهو الايمان بالله وبما جاء من عند الله مما ألزمنا فيه الايمان به ولما كان العالم فى حال جهل بما فى علم الله من تعيين تلك الطريق تعين الاعلام به بصفة الكلام فلا بد من الرسول قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا نوجب على الله الا ما أوجبه على نفسه وقد أوجب التعريف على نفسه بقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل مثل قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وعلى الحقيقة انما وجب ذلك بالنسبة لا على نفسه فانه يتعالى أن يجب عليه من أجل حد الواجب الشرعى فكأنه لما تعلق العلم الالهى أزلا بتعيين الطريق التى فيها سعادتنا ولم يكن للعلم بما هو عليه صورة التبليغ وكان

التبليغ من صفة الكلام تعين التبليغ على نسبة كونه متكلما بتعريف الطريق التى فيها سعادة العباد التى عينها العلم فأبان الكلام الالهى بترجمته عن العلم ما عينه من ذلك فكان الوجوب على النسبة فانها نسب مختلفة وكذلك سائر النسب الالهية من ارادة وقدرة وغير ذلك وقد بينا محاضرة الاسماء الالهية ومحاورتها ومجاراتها فى حلبة المناظرة على ايجاد هذا العالم الذى هو عبارة عن كل ما سوى الله فى كتاب عنقاء مغرب وبنا عليه محاضرة أزلية على نشأة أبدية وكذلك فى كتاب انشاء الجداول والدوائر لنا فقد علمت كيف تعلق الوجوب الالهى على الحضرة الالهية ان كنت فطنا العالم النسب وعلى هذا يخرج قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وكيف يحشر اليه من هو جليسه وفى قبضته سمع أبو يزيد البسطامى قارئا يقرأ هذه الآية يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا فبكى حتى ضرب الدمع المنبر بل روى انه طار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر وصاح وقال يا عجبا كيف يحشر اليه من هو جليسه فلما جاء زماننا سئلنا عن ذلك فقلت ليس العجب الا من قول أبى يزيد فاعلموا انما كان ذلك لان المتقى جليس الجبار فيتقى سطوته والاسم الرحمن ماله سطوة من كونه الرحمن انما الرحمن يعطى اللين واللطف والعفو والمغفرة فلذلك يحشر اليه من الاسم الجبار الذى يعطى السطوة والهيبة فانه جليس المتقين فى الدنيا من كونهم متقين وعلى هذا الاسلوب تأخذ الاسماء الالهية كلها وكذا تجدها حيث وردت فى ألسنة النبوات اذا قصدت حقيقة الاسم وتميزه من غيره فان له دلالتين دلالة على المسمى به ودلالة على حقيقته التى بها يتميز عن اسم آخر فافهم واعلم ان هؤلاء الرجال انما كان سبب اشتغالهم بمعرفة النسبة كونهم نظروا الى الكلمة وفيها فعلموا انها ما ألفت حروفها وجمعت الا لظهور نشأة قائمة تدل على المعنى الذى جمعت له فى الاصطلاح فاذا تلفظ بها المتكلم فان السامع يكون همه فى فهم المعنى الذى جاءت له فان بذلك تقع الفائدة ولهذا وجدت فى ذلك اللسان على هذا الوضع الخاص ولهذا لا يقول هؤلاء الرجال بالسماع المقيد بالنغمات لعلو همتهم ويقولون بالسماع المطلق فان السماع المطلق لا يؤثر فيهم الا فهم المعانى وهو السماع الروحانى الالهى وهو سماع الاكابر والسماع المقيد انما يؤثر فى أصحابه النغم وهو السماع الطبيعى فاذا ادعى من ادعى انه يسمع فى السماع المقيد بالالحان المعنى ويقول لولا المعنى ما تحركت ويدعى انه قد خرج عن حكم الطبيعة فى ذلك يعنى فى السبب المحرك فهو غير صادق وقد رأينا من ادعى ذلك من المتشيخين المتطفلين على الطريقة فصاحب هذه الدعوى اذا لم يكن صادقا يكون سريع الفضيحة وذلك ان هذا المدعى اذا حضر مجلس السماع فاجعل بالك منه فاذا أخذ القوال فى القول بتلك النغمات المحركة بالطبع للمزاج القابل أيضا وسرت الاحوال فى النفوس الحيوانية فحركت الهيا كل حركة دورية بحكم استدارة الفلك وهو أعنى الدور مما يدلك على ان السماع طبيعى لان اللطيفة الانسانية ما هى عن الفلك وانما هى عن الروح المنفوخ منه وهى غير متحيزة فهى فوق الفلك فما لها فى الجسم تحريك دورى ولا غير دورى وانما ذلك للروح الحيوانى الذى هو تحت الطبيعة والفلك فلا تكن جاهلا بنشأتك ولا بمحركك فاذا تحرك هذا المدعى وأخذه الحال ودار أو قفز الى جهة فوق من غير دور وقد غاب عن احساسه بنفسه وبالمجلس الذى هو فيه فاذا فرغ من حاله ورجع الى احساسه فاسأله ما الذى حركه فيقول ان القوال قال كذا وكذا ففهمت منه معنى كذا وكذا فذلك المعنى حركنى فقل له ما حركك سوى حسن النغمة والفهم انما وقع لك فى حكم التبعية فالطبع حكم على حيوانيتك فلا فرق بينك وبين الجمل فى تأثير النغمة فيك فيعز عليه مثل هذا الكلام ويثقل ويقول لك ما عرفتنى وما عرفت ما حركنى فاسكت عنه ساعة فان صاحب هذه الدعوى تكون الغفلة مستولية عليه ثم خذ معه فى الكلام الذى يعطى ذلك المعنى فقل له ما أحسن قول الله تعالى حيث يقول واتل عليه آية من كتاب الله تتضمن ذلك المعنى الذى كان حركه من صوت المغنى وحققه عنده حتى يتحققه فيأخذ معك فيه ويتكلم ولا يأخذه لذلك حال ولا حركة ولا فناء ولكن يستحسنه ويقول لقد تتضمن هذه الآية معنى جليلا من المعرفة بالله فأشد فضيحته فى دعواه فقل له يا أخى هذا المعنى بعينه هو الذى ذكرت لى انه حركك فى السماع البارحة لما جاء به القوال فى شعره بنغمته الطيبة فلاى معنى سرى فيك الحال البارحة وهذا المعنى موجود فيه قد صغته لك وسقته بكلام الحق تعالى الذى هو أعلى وأصدق وما رأيتك تهتز مع الاستحسان وحصول الفهم وكنت البارحة

يتخبطك الشيطان من المس كما قال الله تعالى وتحجبك عن عين الفهم السماع الطبيعي فما حصل لك في سماعك الا الجهل
بك فمن لا يفرق بين فهمه وحركته كيف يرجى فلاحه فالسماع من عين الفهم هو السماع الالهي واذا ورد على صاحبه
وكان قويا لما يرد به من الاجمال فغاية فعله في الجسم أن يضجعه لا غير ويغيبه عن احساسه ولا يصدر منه حركة أصلا
بوجه من الوجوه سواء كان من الرجال الا كابر أو الاصاغر هذا حكم الوارد الالهي القوي وهو الفارق بينه وبين حكم
الوارد الطبيعي فان الوارد الطبيعي كما قلنا يحركها الحركة الدورية والهيمان والتخبط فعل المجنون وانما يضجعه الوارد
الالهي لسبب أذكره لك وذلك ان نشأة الانسان مخلوقة من تراب قال تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
وان كان فيه من جميع العناصر ولكن العنصر الاعظم التراب قال عز وجل فيه أيضا ان مثل عيسى عند الله كمثل
آدم خلقه من تراب والانسان في قعوده وقيامه بعد عن أصله الاعظم الذي منه نشأ من أكثر جهاته فان قعوده وقيامه
وركوعه فروع فاذا جاءه الوارد الالهي والوارد الالهي صفة القيومية وهي في الانسان من حيث جسميته بحكم العرض
وروحه المدبر هو الذي كان يقيمه ويقعده فاذا اشتغل الروح الانساني المدبر عن تدبيره بما يتلقاه من الوارد الالهي من
العلوم الالهية لم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالارض المعبر عنه بالاضطجاع
ولو كان على سرير فان السرير هو المانع له من وصوله الى التراب فاذا فرغ روحه من ذلك التلقي وصدر الوارد الى ربه
رجع الروح الى تدبير جسمه فأقامه من ضجعته هذا سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحي عليهم وما
سمع قط عن نبي انه تخبط عند نزول الوحي هذا مع وجود الواسطة في الوحي وهو الملك فكيف اذا كان الوارد برفع
الوسائط لا يصح أن يكون منه قط غيبة عن احساسه ولا يتغير عن حاله الذي هو عليه فان الوارد الالهي برفع الوسائط
الروحانية يسري في كلية الانسان ويأخذ كل عضو بل كل جوهر فرد فيه حظه من ذلك الوارد الالهي من لطيف
وكثيف ولا يشعر بذلك جليسه ولا يتغير عليه من حاله الذي هو عليه من جليسه شيء ان كان يأكل بقي على أكله في
حاله أو شربه أو حديثه الذي هو في حديثه فان ذلك الوارد بهم وهو قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم فمن كانت أينيته
في ذلك الوقت حالة الاكل أو الشرب أو الحديث أو اللعب أو ما كان بقي على حاله فلما رأت هذه الطائفة الجليلة هذا
الفرق بين الواردات الطبيعية والروحانية والالهية ورأت ان الالتباس قد طرأ على من يزعم انه في نفسه من رجال الله
تعالى أنفوا أن يتصفوا بالجهل والتخليط فانه محل الوجود الطبيعي فارتقت هممهم الى الاشتغال بالنيات اذ كان الله قد
قال لهم وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له والاخلاص النية وهذا قيدها بقوله له ولم يقل مخلصين وهو من
الاستخلاص فان الانسان قد يخلص نيته للشيطان ويسمى مخلصا فلا يكون في عمله لله شيء وقد يخلص للشركة وقد
يخلص لله فلهذا قال تعالى مخلصين له الدين لا لغيره ولا لحكم الشركة فشغلوا نفوسهم بالاصل في قبول الاعمال ونيل
السعادات وموافقة الطلب الالهي منهم فيما كلفهم به من الاعمال الخالصة له وهو المعبر عنه بالنية فنسبوا اليها لغلبة شغلهم
بها وتحققوا ان الاعمال ليست مطلوبة لانفسها وانما هي من حيث مقصدها وهو النية في العمل كالمعنى في الكلمة فان
الكلمة ما هي مطلوبة لنفسها وانما هي لما تضمنته فانظر يا أخي ما أدق نظر هؤلاء الرجال وهذا هو المعبر عنه في الطريق
بمحاسبة النفس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ولقيت من هؤلاء الرجال اثنين
أبو عبد الله بن المجاهد وأبو عبد الله بن قسوم باشبيلية كان هذا مقامهم وكانوا من أقطاب الرجال النياتين ولما شرعنا
في هذا المقام تأسينا بهما وبأصحابهما وامتثالا لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الواجب امتثاله في أمره حاسبوا أنفسكم
وكان أشياخنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلمون به وما يفعلونه ويقيدونه في دفتر فاذا كان بعد صلاة العشاء وخلوا في
بيوتهم حاسبوا أنفسهم وأحضروا دفترهم ونظروا فيما صدر منهم في يومهم من قول وعمل وقابلوا كل عمل بما يستحقه
ان استحق استغفارا استغفروا وان استحق توبة تابوا وان استحق شكرا شكروا الى أن يفرغ ما كان منهم في ذلك
اليوم وبعد ذلك ينامون فزدنا عليهم في هذا الباب بتقييد الخواطر فكنا نقيد ما تحدثنا به نفوسنا وما نهم به زائدا على
كلامنا وأفعالنا وكنت أحاسب نفسي مثلهم في ذلك الوقت وأحضر الدفتر وأطالبها بجميع ما خطر لها وما حدثت به

نفسها وما ظهر للحس من ذلك من قول وعمل وما نوته في ذلك الخاطر والحديث فقات الخواطر والفضول الافيما يعني فهذا فائدة هذا الباب وفائدة الاشتغال بالنية وما في الطريق ما يغفل عنه أكثر من هذا الباب فان ذلك راجع الى مراعاة الانفاس وهي عزيزة وبعد ان عرفتك بأصول هذه الطائفة وما هو سبب شغلهم بذلك وانه لهم أمر شرعي وما لهم في ذلك من الاسرار والعلوم فاعلم أيضا مقامهم في ذلك وما لهم فهذه الطائفة على قلب يونس عليه السلام فانه لما ذهب مغاضبا وظن ان الله لا يضيق عليه لما عهده من سعة رحمة الله فيه وما نظر ذلك الاتساع الالهي الرحماني في حق غيره فتناله أمته واقتصر به على نفسه والغضب ظلمة القلب فأثرت لغلو منصبه في ظاهره فاسكن في ظلمة بطن الحوت ما شاء الله لينبهه الله على حالته حين كان جنينا في بطن أمه من كان يدبره فيه وهل كان في ذلك الموطن يتصور منه أن يغاضب أو يغاضب بل كان في كنف الله لا يعرف سوى ربه فرده الى هذه الحالة في بطن الحوت تعليما له بالفعل لا بالقول فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت عذرا عن أمته في هذا التوحيد أي تفعل ما تريد وتبسط رحمتك على من تشاء سبحانك اني كنت من الظالمين مشتق من الظلمة أي ظلمتي عادت علي ما أنت ظلمتني بل ما كان في باطني سرى الى ظاهري وانتقل النور الى باطني فاستنار فأزال ظلمة المغاضبة وانتشر فيه نور التوحيد وانبسطت الرحمة فسرى ذلك النور في ظاهره مثل ما سرت ظلمة الغضب فاستجاب له ربه فنجاه من الغم فقذفه الحوت من بطنه مولودا على الفطرة السليمة فلم يولد أحد من ولد آدم ولادتين سوى يونس عليه السلام فخرج ضعيفا كالطفل كما قال وهو سقيم ورباه باليقطين فان ورقه ناعم ولا ينزل عليه ذباب فان الطفل لضعفه لا يستطيع أن يزيل الذباب عن نفسه فغطاه بشجرة خاصيتها أن لا يقربها ذباب مع نعومة ورقها فان ورق اليقطين مثل القطن في النعمة بخلاف سائر ورق الاشجار كلها فان فيها خشونة وأنشأه الله عز وجل نشأة أخرى ولما رأت هذه الطائفة أن يونس عليه السلام ما أتى عليه الامن باطنه من الصفة التي قامت به ومن قصده شغلوا نفوسهم بتخليص النيات والقصد في حركاتهم كلها حتى لا ينوون الا ما أمرهم الله به أن ينووه ويقصدوه وهذا غاية ما يقدر عليه رجال الله وهذه الطائفة في الرجال قليلون فانه مقام ضيق جدا يحتاج صاحبه الى حضور دائم وأكبر من كان فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه في حرب اليمامة فما هو الا ان رأيت أن الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت انه الحق لمعرفة عمر باشتغال أبي بكر بباطنه فاذا صدرت منه حركة في ظاهره فما تصدر الامن إل وهو عزيز ولهذا كان من يفهم المقامات من المتقدمين من أهل الكتاب اذا سمعوا أو يقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا يقولون هذا كلام ما خرج الامن إل أي هو كلام الهي ما هو كلام مخلوق فانظر ما أحسن العلم وفي أي مقام ثبتت هذه الطائفة وبأي قائمة استمسكت جعلنا الله منهم فلل أعمالهم في الباطن مساكن السائحين منهم الغيران والكهوف وفي الامصار ما بناه غيرهم من عباد الله تعالى لا يضعون لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان انتقل الى ربه ما بنى قط مسكنا لنفسه وسبب ذلك انهم رأوا الدنيا جسرا منصوبا من خشب على نهر عظيم وهم عابرون فيه وراحلون عنه فهل رأيتم أحدا بنى منزلا على جسر خشب لا والله ولا سيما وقد عرف ان الامطار تنزل وان النهر يعظم بالسيول التي تأتي وان الجسور تنقطع فكل من بنى على جسر فانما يعرض به للتلف فلو أن عمار الدنيا يكشف الله عن بصيرتهم حتى يروها جسرا ويروا النهر الذي بنيت عليه انه خطر قوي ما بنوا الذي بنوا عليه من القصور المشيدة فلم يكن لهم عيون يبصرون بها ان الدنيا قنطرة خشب على نهر عظيم خرار ولا كان لهم سمع يسمعون به قول الرسول العالم بما أوحى الله اليه به ان الدنيا قنطرة فلا بالايمان عملوا ولا على الرؤية والكشف حصلوا فهم كما قال الله فيهم وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم في حال سماعهم من الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال لهم ان الدنيا قنطرة وأشباه ذلك فلا تشغلوا نفوسكم بعمارتها وانهضوا فما فرغ من قوله صلى الله عليه وسلم حتى رجع كثير منهم الى عماهم وصممهم مع كونهم مسلمين مؤمنين فأخبر الله تعالى نبيه بقوله ثم عموا وصموا كثير منهم بعد التوبة يقول ما نفع القول فيهم يا ولي لو فرضنا ان الدنيا باقية ألسنا نبصر رحلتنا عنها جيلا بعد جيل فمن أحوال هذه الطائفة مراعاتهم

لقلوبهم وأسرارهم متعلقة بالله من حيث معرفة نفوسهم ولا اجتماع لهم بالنهار مع الغافلين بل حركتهم ليلية ونظرهم في الغيب الغالب عليهم مقام الحزن فان الحزن اذا فقد من القلب خرب فالعارف يأكل الحلوى والعسل والمحقق الكبير يأكل الحنظل فهو كثير التنغيص لا يلتذ بنعمة أبدا ما دام في هذه الدار لشغله بما كلفه الله من الشكر عليها لقيت منهم بدنيسر عمر الفرقوي وبمدينة فاس عبد الله السماد والعارفون بالنظر الى هؤلاء كالاطفال الذين لا عقول لهم يفرحون ويلتذون بخشخاشة فاظنك بالمريدين فاظنك بالعامة لهم القدم الراسخة في التوحيد ولهم المشافهة في الفهوانية يقدمون النفي على الاثبات لان التنزيه شأنهم كلفظة لا اله الا الله وهي أفضل كلمة جاءت بها الرسل والانبياء توحيدهم كوني عقلي ليسوا من اللهو في شئ لهم الحضور التام على الدوام وفي جميع الافعال اختصوا بعلم الحياة والاحياء لهم اليد البيضاء فيعلمون من الحيوان مالا يعلمه سواهم ولا سيما من كل حيوان يمشي على بطنه لقربه من أصله الذي عنه تكون فان كل حيوان يبعد عن أصله ينقص من معرفته بأصله على قدر ما بعد عنه ألا ترى المريض الذي لا يقدر على القيام والقعود ويبقى طريحا لضعفه وهو رجوعه الى أصله تراه فقيرا الى ربه مسكينا ظاهر الضعف والحاجة بلسان الحال والمقال وذلك ان أصله حكم عليه لما قرب منه يقول الله خلقكم من ضعف وقال خلق الانسان ضعيفا فاذا استوى قائما وبعد عن أصله تفرعن وتجبر وادعى القوة وقال أنا فالرجل من كان مع الله في حال قيامه وصحته كحاله في اضطجاعه من المرض والضعف وهو عزيز لهم البحث الشديد في النظر في أفعالهم وأفعال غيرهم معهم من أجل النيات التي بها يتوجهون واليها ينسبون لشدة بحثهم عنها حتى تخلص لهم الاعمال ويخلصوها من غيرهم ولهذا قيل فيهم النياتيون كما قيل الملامية والصوفية لاحوال خاصة هم عليها فلهم معرفة الهاجس والهمة والعزم والارادة والقصد وهذه كلها أحوال مقدمة للنية والنية هي التي تكون منه عند مباشرة أفعاله وهي المعتبرة في الشرع الالهي ففيها يبحثون وهي متعلق الاخلاص وكان عالمنا الامام سهل بن عبد الله يدقق في هذا الشأن وهو الذي نبه على نقر الخاطر ويقول ان النية هو ذلك الهاجس وأنه السبب الاول في حدوث الهم والعزم والارادة والقصد فكان يعتمد عليه وهو الصحيح عندنا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب الرابع والثلاثون في معرفة شخص تحقق في منزل الانفاس فعاين منها أمورا أذكرها ان شاء الله﴾

ان المحقق بالانفاس رحمان * فالعرش في حقه ان كان انسان
وان توجه نحو العين يطلبها * له العماء واحسان فاحسان
مقامه باطن الاعراف يسكنه * يزوره فيه أنصار وأعوان
له من الليل ان حققت آخره * كماله من وجود العين انسان
ان لاح ظاهره تقول قرآن * أولاح باطنه تقول فرقان
قد جمع الله فيه كل منقبة * فهو الكمال الذي ما فيه نقصان

اعلم أيدك الله بروح القدس ان المعلومات مختلفة لانفسها وأن الادراكات التي تدرك بها المعلومات مختلفة أيضا لانفسها كالمعلومات ولكن من حيث أنفسها وذواتها الا من حيث كونها ادراكات وان كانت مسئلة خلاف عند أرباب النظر وقد جعل الله لكل حقيقة مما يجوز أن يعلم ادراكا ما عادة لا حقيقة أعني محلها وجعل المدرك بهذه الادراكات لهذه المدركات عينا واحدة وهي ستة أشياء سمع وبصر وشم ولمس وطعم وعقل وادراك جميعها للاشياء ما عدا العقل ضروري ولكن الاشياء التي ارتبطت بها عادة لا تخطئ أبدا وقد غلط في هذا جماعة من العقلاء ونسبوا الغلط للحس وليس كذلك وانما الغلط للحاكم وأما ادراك العقل المعقولات فهو على قسمين منه ضروري مثل سائر الادراكات ومنه ما ليس بضروري بل يفتقر في علمه الى أدوات ست منها الحواس الخمس التي ذكرناها ومنها القوة المفكرة ولا يخلو معلوم يصح أن يعلمه مخلوق أن يكون مدركا بأحد هذه الادراكات وانما قلنا ان جماعة غلطت في ادراك الحواس فنسبت اليها الاغاليط وذلك انهم رأوا اذا كانوا في سفينة تجري بهم مع

الساحل رأوا الساحل يجري بجري السفينة فقد أعطاهم البصر ماليس بحقيقة ولا معلوم أصلا فانهم عالمون علما ضروريا ان الساحل لم يتحرك من مكانه ولا يقدرون على انكار ماشاهدوه من التحرك وكذلك اذا طعموا سكرا أو عسلا فوجدوه مرّا وهو حلو فعلموا ضرورة ان حاسة الطعم غلطت عندهم ونقلت ماليس بصحيح والامر عندنا ليس كذلك ولكن القصور والغلط وقع من الحاكم الذي هو العقل لا من الحواس فان الحواس ادراكها لما تعطيه حقيقتها ضروري كما ان العقل فيما يدركه بالضرورة لا يخطئ وفيما يدركه بالحواس أو بالفكر قد يغلط فما غلط حس قط ولا ما هو ادراكه ضروري فلا شك ان الحس رأى تحركا بلا شك ووجد طعما مرّا بلا شك فادرك البصر التحرك بذاته وأدرك الطعم قوة المرارة بذاته وجاء عقل فحكم ان الساحل متحرك وان السكر مرّ وجاء عقل آخر وقال ان الخلط الصفراوي قام بمحل الطعم فادرك المرارة وحال ذلك الخلط بين قوة الطعم وبين السكر فاذن فما ذاق الطعم الامرار الصفراء فقد أجمع العقلان من الشخصين على انه أدرك المرارة بلا شك واختلف العقلان فيما هو المدرك للطعم فبان ان العقل غلط لا الحس فلا ينسب الغلط أبدا في الحقيقة الا للحاكم لا للشاهد وعندي في هذه المسئلة أمر آخر يخالف ما ادّعوه وهو ان الحلاوة التي في الحلو وغير ذلك من المطعومات ليس هو في المطعوم لامر اذا بحثت عليه وجدت صحة ماذهبنا اليه وكذا الحكم في سائر الادراكات ولو كان في العادة فوق العقل مدرك آخر يحكم على العقل ويأخذ عنه كما يحكم العقل على الحس لغلط أيضا ذلك المدرك الحاكم فيما هو للعقل ضروري وكان يقول ان العقل غلط فيما هو له ضروري فاذا تقرر هذا وعرفت كيف رتب الله المدركات والادراكات وان ذلك الارتباط أمر عادي فاعلم ان لله عبادا آخرين خرق لهم العادة في ادراكهم العلوم فمنهم من جعل له ادراك مايدرك بجميع القوى من المعقولات والمحسوسات بقوة البصر خاصة وآخر بقوة السمع وهكذا بجميع القوى ثم باءور عرضية خلاف القوى من ضرب وحركة وسكون وغير ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب بيده بين كتفي فوجدت برد انامله بين ثديي فعلمت علم الاولين والآخرين فدخل في هذا العلم كل معلوم معقول ومحسوس مما يدركه المخلوق فهذا علم حاصل لا عن قوة من القوى الحسية والمعنوية فلهذا قلنا ان ثم سببا آخر خلاف هذه القوى تدرك به المعلومات وانما قلنا قد تدرك العلوم بغير قواها المعتادة فحكمنا على هذه الادراكات المدركاتها المعتادة بالعادة من أجل المتفرّس فينظر صاحب الفراسة في الشخص فيعلم ما يكون منه أو ماخطر له في باطنه أو ما فعل وكذلك الزاجر وأشباهه وانما جئنا بهذا كله تأنيسا لما تريد أن ننسبه الى أهل الله من الانبياء والاولياء فيما يدركونه من العلوم على غير الطرق المعتادة فاذا أدركوها نسبوا الى تلك الصفة التي أدركوا بها المعلومات فيقولون فلان صاحب نظر أي بالنظر يدرك جميع المعلومات وهذا ذقته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفلان صاحب سمع وفلان صاحب طعم وصاحب نفس وانفاس يعني الشمّ وصاحب لمس وفلان صاحب معنى وهذا خارج عن هؤلاء بل هو كما يقال في العامة صاحب فكر صحيح فمن الناس من أعطى النظر الى آخر القوى على قدر ما أعطى وهو له عادة اذا استمر ذلك عليه لانه مشتق من العود أي يعود ذلك عليه في كل نظرة أو في كل شمّ مثم غير ذلك وكذلك أيضا لتعلم ان الاسماء الالهية مثل هذا وأن كل اسم يعطي حقيقة خاصة في قوته أن يعطي كل واحد من الاسماء الالهية ماتعطيه جميع الاسماء قال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وكذلك لو ذكر كل اسم لقال فيه ان له الاسماء الحسنى وذلك لاحدية المسمى فاعلم ذلك فمن الناس من يختص به الاسم الله فتكون معارفه الهية ومنهم من يختص به الاسم الرحمن فتكون معارفه رحمانية كما كانت في القوى الكونية يقال فيها معارف هذا الشخص نظرية وفي حق آخر سمعية فهو من عالم النظر وعالم السمع وعالم الانفاس هكذا تنسب معارفه في الالهيات الى الاسم الالهيّ الذي فتح له فيه فتندرج فيه حقائق الاسماء كلها فاذا علمت هذا أيضا فاعلم ان الذي يختص بهذا الباب من الاسماء الالهية لهذا الشخص المعين الاسم الرحمن والذي يختص به من القوى فينسب اليها قوة الشم ومتعلقها الروائح وهي الانفاس فهو من عالم الانفاس في نسبة القوى ومن الرحمانيين في مراتب الاسماء فنقول انّ هذا الشخص المعين في هذا الباب سواء كان زيدا أو عمرا معرفته رحمانية فكل أمر ينسب الى الاسم الرحمن

في كتاب أو سنة فانه ينسب الى هذا الشخص فانّ هذا الاسم هو الممدّ له وليس لاسم الحيّ عليه حكم الا بوساطة هذا الاسم على أيّ وجه كان ولهذا نقول ان الله سبحانه قد أبطن في مواضع رحمته في عذابه ونقمته كالمريض الذي جعل في عذابه بالمرض رحمته به فيما يكفر عنه من الذنوب فهذه رحمة في نقمة وكذلك من انتقم منه في اقامة الحدّ من قتل أو ضرب فهو عذاب حاضر فيه رحمة باطنة بها ارتفعت عنه المطالبة في الدار الآخرة كما انه في نعمته في الدنيا من الاسم المنعم أبطن نقمته فهو ينعم الآن بما به يتعذب لبطون العذاب فيه في الدار الآخرة أو في زمان التوبة فانّ الانسان اذا تاب ونظر وفكر فيما تلذذ به من المحرّمات تعود تلك الصور المستحضرة عليه عذابا وكان قبل التوبة حين يستحضرها في ذهنه يلتذ بها غاية اللذة فسبحان من أبطن رحمته في عذابه وعذابه في رحمته ونعمته في نقمته ونقمته في نعمته فالبطون أبدا هو روح العين الظاهرة أيّ شئ كان فهذا الشخص لما كانت معرفته رحمانية وكان الاسم الرحمن استوى على العرش فقال تعالى الرحمن على العرش استوى كانت همة هذا الشخص عرشية فكما كان العرش للرحمن كانت الهمة لهذه المعرفة محلا لاستوائها فقيل همته عرشية ومقام هذا الشخص باطن الاعراف وهو السور الذي بين أهل السعادة والشقاوة فللاعراف رجال سيذكرون وهم الذين لم تقيدهم صفة كأبي يزيد وغيره وانما كان مقامه باطن الاعراف لان معرفته رحمانية وهمته عرشية فان العرش مستوى الرحمن كذلك باطن الاعراف فيه الرحمة كما ان ظاهره فيه العذاب فهذا الشخص له رحمة بالموجودات كلها بالعصاة والكفار وغيرهم قال تعالى لسيد هذا المقام وهو محمد صلى الله عليه وسلم حين دعا على رعل وذكوان وعصية بالعذاب والانتقام فقال عليك بفلان وفلان وذكر ما كان منهم قال الله له ان الله ما بعثك سبابا ولا لعانا ولكن بعثك رحمة فنهى عن الدعاء عليهم وسبهم وما يكرهون وأنزل الله عز وجل عليه وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فعمّ العالم أي لترحمهم وتدعو لهم لا عليهم فيكون عوض قوله لعنهم الله تاب الله عليهم وهداهم كما قال حين جرحوه اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون يريد من كذبه من غير أهل الكتاب والملة من أهل الكتاب لا غيرهم فاهذا قلنا في حق هذا الشخص صاحب هذا المقام انه رحيم بالعصاة والكفار فاذا كان حاكما هذا الشخص وأقام الحدّ أو كان ممن تعين عليه شهادة في اقامة حدّ فشهد به أو أقامه فلا يقيمه الا من باب الرحمة ومن الاسم الرحمن في حق المحدود والمشهود عليه لا من باب الانتقام وطلب التشفي لا يقتضيه مقام هذا الاسم فلا يعطيه حاله هذا الشخص قال تعالى في قصة ابراهيم انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ومن كان هذا مقامه ومعرفته وهذا الاسم الرحمن ينظر اليه فيما ين من الاسرار ذوقا ما بين نسبة الاستواء الى العرش وما بين نسبة الاين الى العماء هل هما على حدّ واحد أو يختلف ويعلم ما للحق من نعوت الجلال واللطف مما بين العماء والاستواء اذ قد كان في العماء ولا عرش فيوصف بالاستواء عليه ثم خلق العرش واستوى عليه بالاسم الرحمن وللعرش حدّ يتميز به من العماء الذي هو الاسم الرب وللعماء حدّ يتميز به عن العرش ولا بدّ من انتقال من صفة الى صفة فما كان نعته تعالى بين العماء والعرش أو بأيّ نسبة ظهر بينهما اذ قد تميز كل واحد منهما عن صاحبه بحدّه وحقيقته كما تميز العماء الذي فوقه الهواء وتحته الهواء وهو السحاب الرقيق الذي يحمله الهواء الذي تحته وفوقه عن العماء الذي ما فوقه هواء وما تحته هواء فهو عماء غير محمول فيعلم السامع ان العماء الذي جعل للرب اينية انه عماء غير محمول ثم جاء قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام فهل هذا الغمام هو راجع الى ذلك العماء فيكون العماء حاملا للعرش ويكون العرش مستوى الرحمن فتجمع القيامة بين العماء والعرش أو هو هذا المقام المقصود الذي فوقه هواء وتحته هواء فصاحب هذا المقام يعطى علم ذلك كله ثم انّ صاحب هذا المقام يعطى أيضا من العلوم الالهية من هذا النوع بالاسم الرحمن نزول الرب الى سماء الدنيا من العرش يكون هذا النزول أو من العماء فان العماء انما ورد حين وقع السؤال عن الاسم الرب فقيل له أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه فقال كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء فاسم كان المضمر هو ربنا وقال ينزل ربنا الى السماء فيدلك هذا على ان نزوله الى السماء الدنيا من ذلك العماء كما كان استواؤه على العرش من ذلك العماء فنسبته الى السماء الدنيا كنسبته الى العرش لا فرق فما فارق العرش في نزوله الى السماء الدنيا ولا فارق العماء في نزوله الى

العرش ولا الى السماء الدنيا ولما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقول فى هذا النزول الى السماء الدنيا هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فأعطيه هل من داع فأجيبه فهذا كله من باب رحمته ولطفه وهذا حقيقة الاسم الرحمن الذى استوى على العرش فنزلت هذه الصفة مع الاسم الرب الى السماء الدنيا فهو ما أعلمنا الله به ان كل اسم الهى يتضمن حكم جميع الاسماء الالهية من حيث ان المسمى واحد فيعلم صاحب هذا المقام من هذا النزول الربانى السماوى ما يختص بالاسم الرحمن منه الذى قال به هل من تائب هل من مستغفر فان الرحمن يطلب هذا القول بلا شك فهذا حظ ما يعلم صاحب هذا المقام من هذا النزول بلا واسطة و يعلم نزول الرب من العماء الى السماء بوساطة الاسم الرحمن لانه ليس للاسم الرب على صاحب هذا المقام سلطان فانه كما قلنا الاسم الرحمن فلا يعلم من الاسم الرب ولا غيره أمرا الا بالاسم الرحمن فيعلم عند ذلك باعلام الرحمن اياه ما أراد الحق بنزوله من العماء الى السماء على هذا الوجه هى معرفته ثم مما يختص بعلمه صاحب هذا المقام بوساطة الاسم الرحمن علم قول الله ما وسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن فأتى بياء الاضافة فى السعة والعبودية فلم يأخذ من الله الا قدر ما تعطيه الياء خاصة و يتضمن هذا علمين علما بما فيه من العناية بعبده المؤمن فيأخذه من الاسم الرحمن بذاته وعلما بما فيه من سر الاضافة بحرف الياء فيأخذه من الله بترجمة الاسم الرحمن فيعلم ان للسعة هنا المراد بها الصورة التى خلق الانسان عليها كانه يقول ما ظهرت أسمائى كلها الا فى النشأة الانسانية قال تعالى وعلم آدم الاسماء كلها أى الاسماء الالهية التى وجدت عنها الاكوان كلها ولم تعطها الملائكة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته وان كان الضمير عندنا متوجها أن يعود على آدم فيكون فيه رد على بعض النظار من أهل الافكار و يتوجه أن يعود على الله لتخلقه بجميع الاسماء الالهية فعلمت ان هذه السعة انما قبلها العبد المؤمن لكونه على الصورة كما قبلت المرآة صورة الرائى دون غيرها مما لا صقالة فيه ولا صفاء ولم يكن هذا للسماء لكونها شفافة ولا للارض لكونها غير مصقولة فدل على ان خلق الانسان وان كان عن حركات فلكية هى أبوه وعن عناصر قابلة وهى أمه فان له من جانب الحق أمرا ما هو فى آبائه ولا فى أمهاته من ذلك الامر وسع جلال الله تعالى اذ لو كان ذلك من قبل أبيه الذى هو السماء أو أمه التى هى الارض أو منهما لكان السماء والارض أولى بأن يسعا الحق ممن تولد عنهما ولا سيما والله تعالى يقول لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون يريد فى المعنى لا فى الجرمية ومع هذا فاختص الانسان بأمر أعطاه هذه السعة التى ضاق عنها السماء والارض فلم تكن له هذه السعة الا من حيث أمر آخر من الله فضل به على السماء والارض فكل واحد من العالم فاضل مفضول فقد فضل كل واحد من العالم من فضله لحكمة الافتقار والنقص الذى هو عليه كل ما سوى الله فان الانسان اذا زها بهذه السعة وافتخر على الارض والسماء جاءه قوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس واذا زهت السماء والارض بهذه الآية على الانسان جاء قوله ما وسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى فأزال عنه هذا العلم ذلك الزهو والفخر وعنهما وافتقر الكل الى ربه واحتجب عن زهوه ونفسه وقوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون يدل على ان بعض الناس يعلم ذلك وعلم هذا من علمه منا من الاسم الرحمن الذى هو له و به تحقق فسل به خبيرا فرحه عند ما زها بعلم ما فضل به على السماء والارض وعلم من ذلك انه ما حصل له من الاسم الرحمن الا قدر ما كشف له مما فيه دواؤه فان ذلك الامر الذى به فضل السماء والارض هذا العبد هو أيضا من الاسم الرحمن ما جاد به على هذا العبد ولا تقول ان هذا طعن فى كونه نسخة من العالم بل هو على الحقيقة نسخة جامعة باعتبار ان فيه شيأ من السماء بوجه ما ومن الارض بوجه ما ومن كل شئ بوجه ما الا من جميع الوجوه فان الانسان على الحقيقة من جملة المخلوقات لا يقال فيه انه سماء ولا أرض ولا عرش ولكن يقال فيه انه يشبه السماء من وجه كذا والارض من وجه كذا والعرش من وجه كذا وعنصر النار من وجه كذا وركن الهواء من وجه كذا والماء والارض وكل شئ فى العالم فبهذا الاعتبار يكون نسخة وله اسم الانسان كما للسماء اسم السماء ومن علوم صاحب هذا المقام نزول القرآن فرقانا لا قرآنا فاذا علمه قرآنا فليس من الاسم الرحمن وانما الاسم الرحمن ترجم له عن اسم آخر الهى يتضمنه الاسم الرحمن وأنه نزل فى ليلة مباركة وهى ليلة القدر

فعرف بنزوله مقادير الاشياء وأوزانها وعرف بقدره منها كانزل الرب تعالى فى الثلث الباقى من الليل فالليل محل النزول الزمانى للحق وصفته التى هى القرآن وكان الثلث الباقى من الليل فى نزول الرب غيب محمد صلى الله عليه وسلم وغيب هذا النوع الانسانى فان الغيب ستر والليل ستر وسمى هذا الباقى من الليل الثلث لان هذه النشأة الانسانية لها البقاء دائما فى دار الخلود فان الثلثين الاولين ذهبا بوجود الثلث الباقى أو الآخر من الليل فيه نزل الحق فأوجب له البقاء أيضا وهو ليل لا يعقبه صباح أبدا فلا يذهب لكن ينتقل من حال الى حال ومن دار الى دار كما ينتقل الليل من مكان الى مكان أمام الشمس وانما يفر أمامها لئلا تذهب عينه اذ كان النور ينافى الظلمة وتنافيه غير أن سلطان النور أقوى فالنور ينفر الظلمة والظلمة لا تنفر النور وانما هو النور ينتقل فتظهر الظلمة فى الموضع الذى لا عين للنور فيه ألا ترى الحق تسمى بالنور ولم يتسم بالظلمة اذ كان النور وجودا والظلمة عدما واذ كان النور لا تغالبه الظلمة بل النور الغالب كذلك الحق لا يغالبه الخلق بل الحق الغالب فسمى نفسه نورا فتذهب السماء وهو الثلث الاول من الليل وتذهب الارض وهو الثلث الثانى من الليل ويبقى الانسان فى الدار الآخرة أبد الآبدين الى غير نهاية وهو الثلث الباقى من الليل وهو الولد عن هذين الابوين السماء والارض فنزل القرآن فى الليلة المباركة فى الثلث الآخر منها وهو الانسان الكامل فيها يفرق فيه كل أمر حكيم فتميز عن أبويه بالبقاء نزل به الروح الامين على قلبك هو محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الشارع كيف قال فى ولد الزنى انه شر الثلاثة وكذلك ولد الحلال خير الثلاثة من هذا الوجه خاصة فان الماء الذى خلق منه الولد من الرجل والمرأة أراد الخروج وهو الماء الذى تكون منه الولد وهو الامر الثالث فحرك لما أراد الخروج الابوين للنكاح ليخرج وكان تحريكه لهما على غير وجه مرضى شرعا يسمى سفاحا فقيل فيه انه شر الثلاثة أى هو سبب الحركة التى بها انطلق عليهم اسم الشر فجعله ثلاثة أثلاث الابوان ثلثان والولد ثالث كذلك قسم الليل على ثلاثة أثلاث ثلثان ذاهبان وهما السماء والارض وثلث باق وهو الانسان وفيه ظهرت صورة الرحمن وفيه نزل القرآن وانما سميت السماء والارض ليلا لان الظلمة لهما من ذاتها والاضاءة فيهما من غيرهما من الاجسام المستنيرة التى هى الشمس وأمثالها فاذا زالت الشمس أظلمت السماء والارض فهذا يا أخى قد استفدت علوما لم تكن تعرفها قبل هذا وهى علوم هذا الشخص المحقق بمنزل الانفاس وكل ما أدركه هذا الشخص فانما أدركه من الروائح بالقوة الشمية لا غير وقد رأينا منهم جماعة باشبيلية وبمكة وبالبيت المقدس وفاوضناهم فى ذلك مفاوضة حال لا مفاوضة نطق كما أنى فاوضت طائفة أخرى من أصحاب النظر البصرى بالبصر فكنت أسأل وأجاب ونسأل ونجيب بمجرد النظر ليس بيننا كلام معتاد ولا اصطلاح بالنظر أصلا لكن كنت اذا نظرت اليه علمت جميع ما يريد منى واذا نظر الى علم جميع ما أريده منه فيكون نظره الى سؤالا أو جوابا ونظرى اليه كذلك فنحصل علوما جمة بيننا من غير كلام ويكفى هذا القدر من بعض علم هذا الشخص فان علومه كثيرة أحطنا بها فمن أراد أن يعرف ما ذكرناه شيأ فليعلم الفرق بين فى فى قوله كان فى عماء وبين استوى فى قوله الرحمن على العرش استوى ولم يقل فى كما قال فى السماء وفى الليل ويتبين لك فى كل ما ذكرناه مقام جمع الجمع ومقام الجمع ومقام التفرقة ومقام تمييز المراتب والله يقول الحق وهو يهدى السبيل انتهى الجزء التاسع عشر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿الباب الخامس والثلاثون فى معرفة هذا الشخص المحقق فى منزل الانفاس وأسراره بعد موته رضى الله عنه﴾

العبد من كان فى حال الحياة به * كحاله بعد موت الجسم والروح
والعبد من كان فى حال الحجاب به * نورا كاشراق ذات الارض من يوح
فحالة الموت لا دعوى تصاحبها * كما الحياة لها الدعوى بتصريح
فى حق قوم وفى قوم تكون طسم * تلك الدعاوى بايماء وتلويح *
فان فهمت الذى قلناه قمت به * وزنا تنزه عن نقص وترجيح

وكنت من تزكيته حقائقه * ولا سبيل الى طعن وتجريح
وان جهلت الذى قلناه جئت الى * دار السؤال بصدر غير مشروح

اعلم أيدك الله بروح القدس ان هذا الشخص المحقق فى منزل الانفاس أى شخص كان فان حاله بعد موته يخالف سائر أحوال الموتى فلنذكر أولا حصر ما تأخذ أهل الله العلوم من الله كما قررناه فى الباب قبل هذا ولنذكر ما لهم وآثار تلك المآخذ فى ذواتهم فلنقل اعلم يا أخى ان علم أهل الله المأخوذ من الكشف انه على صورة الايمان سواء فكل ما يقبله الايمان عليه يكون كشف أهل الله فانه حق كله والمخبر به وهو النبى صلى الله عليه وسلم مخبر به عن كشف صحيح وذوات العلماء بالله تعالى تكون على صفة الشئ الذى تأخذ منه العلم بالله أى شئ كان واعلم ان الصفات على نوعين صفات نفسية وصفات معنوية فالصفات المعنوية فى الموصوف هى التى اذا رفعتها عن الذات الموصوفة بها لم ترتفع الذات التى كانت موصوفة بها والصفات النفسية هى التى اذا رفعتها عن الموصوف بها ارتفع الموصوف بها ولم يبق له عين فى الوجود العينى ولا فى الوجود العقلى حيث ما رفعتها ثم انه ما من صفة نفسية للموصوف التى هى ليست بشئ زائد على ذاته الا ولها صفة نفسية بها يمتاز بعضها عن بعض فانه قد تكون ذات الموصوف مركبة من صفتين نفسيتين الى ما فوق ذلك وهى الحدود الذاتية وهنا باب مغلق لو فتحناه لظهر ما يذهب بالعقول ويزيل الثقة بالمعلوم وربما كان يؤل الامر فى ذلك الى أن يكون السبب الاول من صفات نفس الممكنات كما انك اذا جعلت السبب شرطا فى وجود المشروط ورفعت الشرط ارتفع المشروط بلا شك ولا يلزم العكس فهذا يطرد ولا ينعكس فتركناه مقفلا لمن يجد مفتاحه فيفتحه واذا كان الامر عندنا وعند كل عاقل بهذه المثابة فقد علمت ان الصفات معان لا تقوم بأنفسها وما لها ظهور الا فى عين الموصوف والصفات النفسية معان وهى عين الموصوف والمعانى لا تقوم بأنفسها فكيف تكون هى عين الموصوف لا غيره فيوصف الشئ بنفسه وصار قائما بنفسه من حقيقته ألا يقوم بنفسه فان كل موصوف هو مجموع صفاته النفسية والصفات لا تقوم بأنفسها وما ثم ذات غيرها تجمعها وتظهر وقد نبهتك على أمر عظيم لتعرف لماذا يرجع علم العقلاء من حيث أفكارهم ويتبين لك ان العلم الصحيح لا يعطيه الفكر ولا ما قررته العقلاء من حيث أفكارهم وان العلم الصحيح انما هو ما يقذفه الله فى قلب العالم وهو نور الهى يختص به من يشاء من عباده من ملك ورسول ونبى وولى ومؤمن ومن لا كشف له لا علم له ولهذا جاءت الرسل والتعريف الالهى بما تحيله العقول فتضطر الى التأويل فى بعضه لتقبله وتضطر الى التسليم والعجز فى أمور لا تقبل التأويل أصلا وغايته أن يقول له وجه لا يعلمه الا الله لا تبلغه عقولنا وهذا كله تأنيس للنفس لا علم حتى لا ترد شيأ مما جاءت به النبوة هذا حال المؤمن العاقل وأما غير المؤمن فلا يقبل شيأ من ذلك وقد وردت أخبار كثيرة مما تحيلها العقول منها فى الجناب العالى ومنها فى الحقائق وانقلاب الاعيان فأما التى فى الجناب العالى فما وصف الحق به نفسه فى كتابه وعلى لسان رسله مما يجب الايمان به ولا يقبله العقل بدليله على ظاهره الا ان تأوله بتأويل بعيد فايمانه انما هو بتأويله لا بالخبر ولم يكن له كشف الهى كما كان للنبى فيعرف مراد الحق فى ذلك الخبر فوصف نفسه سبحانه بالظرفية الزمانية والمكانية ووصفه بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل وكلهم على لسان واحد فى ذلك لانهم يتكلمون عن الواحد والعقلاء أصحاب الافكار اختلفت مقالاتهم فى الله تعالى على قدر نظرهم فالاله الذى يعبده بالعقل مجردا عن الايمان كأنه بل هو اله موضوع بحسب ما أعطاه نظر ذلك العقل فاختلفت حقيقته بالنظر الى كل عقل وتقابلت العقول وكل طائفة من أهل العقول تجهل الاخرى بالله وان كانوا من النظار الاسلاميين المتأولين فكل طائفة تكفر الاخرى والرسل صلوات الله عليهم من آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم ما نقل عنهم اختلاف فيما ينسبونه الى الله من النعوت بل كلهم على لسان واحد فى ذلك والكتب التى جاؤا بها كلها تنطق فى حق الله بلسان واحد ما اختلف منهم اثنان يصدق بعضهم بعضا مع طول الازمان وعدم الاجتماع وما بينهم من الفرق المنازعين لهم من العقلاء ما اختل نظامهم وكذلك المؤمنون بهم على بصيرة المسلمون المسلمون الذين لم يدخلوا نفوسهم فى تأويل فهم أحد رجلين اما رجل آمن وسلم وجعل علم ذلك اليه الى أن مات وهو المقلد وأما

رجل عمل بما علم من فروع الاحكام واعتقد الايمان بما جاءت به الرسل والكتب فكشف الله عن بصيرته وصيره ذا بصيرة في شأنه كما فعل بنبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم وأهل عنايته فكاشف وأبصر ودعا الى الله عز وجل على بصيرة كما قال الله تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وسلم مخبرا له أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وهؤلاء هم العلماء بالله العارفون وان لم يكونوا رسلا ولا أنبياء فهم على بينة من ربهم في علمهم به وبما جاء من عنده وكذلك وصف نفسه بكثير من صفات المخلوقين من المجيء والاتيان والتجلي للاشياء والحدود والحجب والوجه والعين والاعين واليدين والرضي والكراهة والغضب والفرح والتبشبش وكل خبر صحيح ورد في كتاب وسنة والاخبار أكثر من أن تحصى مما لا يقبلها الا مؤمن بها من غير تأويل أو بعض أرباب النظر من المؤمنين بتأويل اضطره اليه ايمانه فانظر مرتبة المؤمن ما أعزها ومرتبة أهل الكشف ما أعظمها حيث ألحقت أصحابها بالرسل والانبياء عليهم السلام فيما خصوا به من العلم الالهي لان العلماء ورثة الانبياء وما ورثوا دينارا ولا درهما بل ورثوا العلم يقول صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة فمن كان عنده شئ من هذه الدنيا فليوقفه صدقة على من يراه من الاقربين الى الله فهو النسب الحقيقي أو يزهد فيه ولا يترك شيأ يورث عنه ان أراد أن يلحق بهم ولا يرث أحدا فالحمد لله الذي أعطانا من هذا المقام الحظ الوافر فهذا بعض ما ورد علينا من الله عز وجل في الله تعالى من الاوصاف وأما في قلب الحقائق فلا خلاف بين العقلاء في انه لا يكون ودل دليل العقل القاصر من جهة فكره ونظره لا من جهة ايمانه وقبوله اذ لا أعقل من الرسل وأهل الله ان الاعيان لا تنقلب حقيقة في نفسها وان الصفات والاعراض في مذهب من يقول انها أعيان موجودة لا تقوم بأنفسها ولا بد لها من محل قائم بنفسه أو غير قائم بنفسه لكنه في قائم بنفسه ولا بد ومثال الاول السواد مثلا وأي لون كان لا يقوم الا بمحل يقال فيه لقيام السواد به أسود ومثال الثاني كالسواد المشرق مثلا فالسواد هو المشرق فانه نعت له فهذا معنى قولي أو غير قائم بنفسه لكنه في قائم بنفسه وهذه مسئلة خلاف بين النظار هل يقوم المعنى بالمعنى فمن قائل به ومانع من ذلك وقد ثبت ان جميع الاعمال كلها اعراض وانها تفنى ولا بقاء لها وانه ليس لها عين موجودة بعد ذهابها ولا توصف بالانتقال وان الموت اما عرض موجود في الميت في مذهب بعض النظار واما نسبة افتراق بعد اجتماع وكذا جميع الاكوان في مذهب بعضهم وهو الصحيح الذي يقتضيه الدليل وعلى كل حال فانه لا يقوم بنفسه وردت الاخبار النبوية بما يناقض هذا كله مع كوننا مجمعين على ان الاعمال اعراض أو نسب فقال الشارع وهو الصادق صاحب العلم الصحيح والكشف الصريح ان الموت يجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح يعرفه الناس ولا ينكره أحد فيذبح بين الجنة والنار روى أن يحيى عليه السلام هو الذي يضجعه ويذبحه بشفرة تكون في يده والناس ينظرون اليه وورد أيضا في الخبر ان عمل الانسان يدخل معه في قبره في صورة حسنة أو قبيحة فيسأله صاحبه فيقول أنا عملك وان مانع الزكاة يأتيه ماله شجاعا أقرع له زبيبتان وأمثال هذا في الشرع لا تحصى كثرة فاما المؤمنون فيؤمنون بهذا كله من غير تأويل وأما أهل النظر من أهل الايمان وغيرهم فيقولون حمل هذا على ظاهره محال عقلا وله تأويل فيتأولونه بحسب ما يعطيهم نظرهم فيه ثم يقولون أهل الايمان منهم عقيب تأويلهم والله أعلم يعني في ذلك التأويل الخاص الذي ذهب اليه هل هو المراد لله أم لا وأما حمله على ظاهره فمحال عندهم جملة واحدة والايمان انما يتعلق بلفظ الشارع خاصة هذا هو اعتقاد أهل الافكار وبعد ان بينا لك هذه الامور ومراتب الناس فيها فانها من هذا الباب الذي نحن بصدده فاعلم انه ما ثم الا ذوات أوجدها الله تعالى فضلا منه عليها قائمة بأنفسها وكل ما وصفت به فنسب واضافات بينها وبين الحق من حيث ما وصفت فاذا أوجد الموجد قيل فيه انه قادر على الايجاد ولولا ذاك ما أوجد واذا خصص الممكن بامر دون غيره مما يجوز أن يقوم به قيل مريد ولولا ذلك ما خصصه بهذا دون غيره وسبب هذا كله انما تعطيه حقيقة الممكن فالممكنات أعطت هذه النسب فافهم ان كنت ذا لب ونظر الهي وكشف رحماني وقد قررنا في الباب الذي قبل هذا ان مآخذ العلوم من طرق مختلفة وهي السمع والبصر والشم واللمس والطعم والعقل من حيث ضروريا ته وهو ما يدركه بنفسه من غير قوة أخرى ومن حيث فكره الصحيح أيضا مما يرجع الى طرق الحواس أو الضروريات والبديهيات

لاغير فذلك يسمى علما والامور العارضة الحاصل عنها العلوم أيضا ترجع الى هذه الاصول لا تنفك عنها وانما سميت عوارض من أجل ان العادة فى ادراك الالوان ان اللمس لا يدركها وانما يدركها البصر فاذا أدركها الاكمه باللمس وقد رأينا ذلك فقد عرض لحاسة اللمس ما ليس من حقيقتها فى العادة ان تدركه وكذلك سائر الطرق اذا عرض لها درك ما ليس من شأنها فى العادة أن يدرك بها يقال فيه عرض لها وانما فعل الله هذا تنبيها لنا انه ما ثم حقيقة كما يزعم أهل النظر لا ينفذ فيها الاقتدار الالهى بل تلك الحقيقة انما هي بجعل الله لها على تلك الصورة وانها ما أدركت الاشياء المربوط ادراكها بها من كونها بصرا ولا غير ذلك يقول الله بل بجعلنا فيدرك جميع العلوم كلها بحقيقة واحدة من هذه الحقائق اذا شاء الحق فلهذا قلنا عرض لها ادراك ما لم تجر العادة بادراكها اياه فتعلم قطعا انه عز وجل قد يكون مما يعرض لها ان تعلم وترى من ليس كمثله شئ وان كانت الادراكات لم تدرك شيأ قط الا ومثله أشياء كثيرة من جميع المدركات ولم ينف سبحانه عن ادراكه قوة من القوى التى خلقها الا البصر فقال لا تدركه الابصار فمنع ذلك شرعا وما قال لا يدركه السمع ولا العقل ولا غيرهما من القوى الموصوف بها الانسان كما لم يقل أيضا ان غير البصر يدركه بل ترك الامر مبهما وأظهر العوارض التى تعرض لهذه القوى فى معرض التنبيه أنه ربما وضع ذلك فى رؤيتنا من ليس كمثله شئ كما رأينا أول مرئى وسمعنا أول مسموع وشممنا أول مشموم وطعمنا أول مطعوم ولمسنا أول ملموس وعقلنا أول معقول مما لم يكن له مثل عندنا وان كان له أمثال فى نفس الامر ولكن فى أولية الادراك سر عجيب فى نفى المماثلة فقد أدرك المدرك من لا مثل له عنده فيقيسه عليه وكون ذلك المدرك يقبل لذاته المثل أو لا يقبله حكم آخر زائد على كونه مدركا لا يحتاج اليه فى الادراك ان كنت ذا فطنة بل نقول ان التوسع الالهى يقتضى أن لا مثل فى الاعيان الموجودة وان المثلية أمر معقول متوهم فانه لو كانت المثلية صحيحة ما امتاز شئ عن شئ مما يقال هو مثله فذلك الذى امتاز به الشئ عن الشئ هو عين ذلك الشئ وما لم يمتز به عن غيره فما هو الاعين واحدة فان قلت رأيناه مفترقا مفارقا ينفصل هذا عن هذا مع كونه يماثله فى الحد والحقيقة يقال له أنت الغالط فان الذى وقع به الانفصال هو المعبر عنه بانه تلك العين وما لم يقع به الانفصال هو الذى توهمت انه مثل وهذا من أغمض مسائل هذا الباب فما ثم مثل أصلا ولا يقدر على انكار الامثال ولكن بالحدود لا غير ولهذا نطلق المثلية من حيث الحقيقة الجامعة المعقولة لا الموجودة فالامثال معقولة لا موجودة فنقول فى الانسان انه حيوان ناطق بلا شك وان زيدا ليس هو عين عمرو من حيث صورته وهو عين عمرو من حيث انسانيته لا غيره أصلا واذا لم يكن غيره فى انسانيته فليس مثله بل هو هو فان حقيقة الانسانية لا تتبعض بل هى فى كل انسان بعينها لا بجزئيتها فلا مثل لها وهكذا جميع الحقائق كلها فلم تصح المثلية اذا جعلتها غير عين المثل فزيد ليس مثل عمرو من حيث انسانيته بل هو هو وليس زيد مثل عمرو فى صورته فان الفرقان بينهما ظاهر ولولا الفارق لالتبس زيد بعمرو ولم تكن معرفة بالاشياء فما أدرك المدرك أى شئ أدرك الامن ليس كمثله شئ وذلك لأن الاصل الذى نرجع اليه فى وجودنا وهو الله تعالى ليس كمثله شئ فلا يكون ما يوجد عنه الاعلى حقيقة انه لا مثل له فانه كيف يخلق ما لا تعطيه صفته وحقيقته لا تقبل المثل فلا بد أن يكون كل جوهر فرد فى العالم لا يقبل المثل ان كنت ذا فطنة واب فانه ليس فى الاله حقيقة تقبل المثل فلو كان قبول المثل موجودا فى العالم لاستند فى وجوده من ذلك الوجه الى غير حقيقة الهية وما ثم موجد الا الله ولا مثل له فما فى الوجود شئ له مثل بل كل موجود متميز عن غيره بحقيقة هو عليها فى ذاته وهذا هو الذى يعطيه الكشف والعلم الالهى الحق فاذا أطلقت المثل على الاشياء كما قد تقرر فاعلم انى أطلق ذلك عرفا قال تعالى أمم أمثالكم أى كما انطلق عليكم اسم الامة كذلك ينطلق اسم أمة على كل دابة وطائر يطير بجناحيه وكما ان كل أمة وكل عين فى الوجود ماسوى الحق تفتقر فى ايجادها الى موجد تقول بتلك النسبة فى كل واحد انه مثل للآخر فى الافتقار الى الله وبهذا يصح قطعا ان الله ليس كمثله شئ بزيادة الكاف أو بفرض المثل فانك اذا عرفت ان كل محدث لا يقبل المثلية كما قررناه لك فالحق أولى بهذه الصفة فلم تبق المثلية الواردة فى القرآن وغيره الا فى الافتقار الى الله الموجد أعيان الاشياء ثم ارجع وأقول ان كل واحد من أهل الله لا يخلو أن يكون قد جعل الله علم هذا الشخص

بالاشياء

بالاشياء فى جميع القوى أو فى قوّة بعينها كما قررنا اما فى الشم وهو صاحب علم الانفاس واما فى النظر فيقال هو صاحب نظر واما فى الضرب وهو من باب اللمس بطريق خاص ولذلك كنى عن ذلك بوجود برد الانامل فينسب صاحب تلك الصفة التى بها تحصل العلوم اليها فيقال هو صاحب كذا كما قررنا ان الصفة هى عين الموصوف فى هذا الباب أعنى الصفة النفسية فكما رجع المعنى الذى يقال فيه انه لا يقوم بنفسه صورة قائمة بنفسها رجعت الصورة التى هى هذا العالم معنى لتحققه بذلك المعنى وتألفه به كما تألفت هذه المعانى فصار من تأليفها ذات قائمة بنفسها يقال فيها جسم وانسان وفرس ونبات فافهم فيصير صاحب علم الذوق ذوقا وصاحب علم الشم شما ومعنى ذلك انه يفعل فى غيره ما يفعل الذوق فيه ان كان صاحب ذوق أو ما فعل الشم فيه ان كان صاحب شم فقد التحق فى الحكم بمعناه وصار هو فى نفسه معنى يدرك به المدرك الاشياء كما يدرك الرائى بالنظر فى المرآة الاشياء التى لا يدركها فى تلك الحالة الا بالمرآة كان للشيخ أبى مدين ولد صغير من سوداء وكان أبو مدين صاحب نظر فكان هذا الصبى وهو ابن سبع سنين ينظر ويقول أرى فى البحر فى موضع صفته كذا وكذا سفنا وقد جرى فيها كذا وكذا فاذا كان بعد أيام وتجىء تلك السفن الى بجاية مدينة هذا الصبى التى كان فيها يوجد الامر على ما قاله الصبى فيقال للصبى بماذا ترى فيقول بعينى ثم يقول لا انما أراه بقلبى ثم يقول لا انما أراه بوالدى اذا كان حاضرا ونظرت اليه رأيت هذا الذى أخبركم به واذا غاب عنى لا أرى شيأ من ذلك ورد فى الخبر الصحيح عن الله تعالى فى العبد الذى يتقرب الى الله بالنوافل حتى يحبه يقول فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الحديث فبه يسمع ويبصر ويتكلم ويبطش ويسعى فهذا معنى قولنا يرجع المحقق بمثل صورة معنى ما تحقق به فكان ينظر بأبيه كما ينظر الانسان بعينه فى المرآة فافهم وهكذا كل صاحب طريق من طرق هذه القوى وقد يجمع الكل واحد فيرى بكل قوّة ويسمع بكل قوّة ويشم بكل قوّة وهو أتم الجماعة وأما أحوالهم بعد موتهم فعلى قدر ما كانوا عليه فى الدنيا من التفرغ لامر ما معين أو أمور مختلفة على قدر ما تحققوا به فى التفرغ له وهم فى الآخرة على قدر أحوالهم فى الدنيا فمن كان فى الدنيا عبدا محضا كان فى الآخرة ملكا محضا ومن كان فى الدنيا يتصف بالملك ولو فى جوارحه انها ملك له نقص من ملكه فى الآخرة بقدر ما استوفاه فى الدنيا ولو أقام العدل فى ذلك وصرفه فيما أوجب الله عليه أن يصرفه فيه شرعا وهو يرى انه مالك لذلك لغفلة طرأت منه فان وبال ذلك يعود عليه ويؤثر فيه فلا أعز فى الآخرة ممن بلغ فى الدنيا غاية الذل فى جناب الحق والحقيقة ولا أذل فى الآخرة ممن بلغ فى الدنيا غاية العزة فى نفسه ولو كان مصفوعا فى الدنيا ولا أريد بعز الدنيا أن يكون فيها ملكا الا أن يكون صفته فى نفسه العزة وكذلك الذلة وأما أن يكون فى ظاهر الامر ملكا أو غير ذلك فما نبالى فى أى مقام وفى أى حال أقام الحق عبده فى ظاهره وانما المعتبر فى ذلك حاله فى نفسه ذكر عبد الكريم بن هوازن القشيرى فى بعض كتبه وغيره عن رجل من الناس انه دفن رجلا من الصالحين فلما جعله فى قبره نزع الكفن عن خده ووضع خده على التراب ففتح الميت عينيه وقال له ياهذا أتذلنى بين يدى من أعزنى فتعجب من ذلك وخرج من القبر ورأيت أنا مثل هذا لعبد الله صاحبى الحبشى فى قبره ورآه غاسله وقد هاب أن يغسله فى حديث طويل ففتح عينيه فى المغتسل وقال له اغسل فمن أحوالهم بعد الموت انهم أحياء بالحياة النفسية التى بها يسبح كل شئ ومن كانت له همة بمعبده فى حال عبادته فى حياته بحيث أن يكون يحفظها من الداخل فيها حتى لا يتغير عليه الحال ان كان صاحب نفس فاذا مات ودخل أحد بعده معبده ففعل فيه ما لا يليق بصاحبه الذى كان يعمره ظهرت فيه آية وهذا قد رويناه فى حكاية عن أبى يزيد البسطامى كان له بيت يتعبد فيه يسمى بيت الابرار فلما مات أبو يزيد بقى البيت محترما لا يفعل فيه الا ما يليق بالمساجد فاتفق انه جاء رجل فبات فيه قيل وكان جنبا فاحترقت عليه ثيابه من غير نار معهودة ففر من البيت فما كان يدخلها أحد فيفعل فيه ما لا يليق الا رأى آية فيبقى أثر مثل هذا الشخص بعد موته يفعل مثل ما كان يفعله فى حياته سواء وقد قال بعضهم وكان محبا فى الصلاة يارب ان كنت أذنت لاحد أن يصلى فى قبره فاجعلنى ذلك فرؤى وهو يصلى فى قبره وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرائه بقبر موسى عليه السلام فرآه وهو يصلى فى قبره ثم عرج به الى السماء وذكر الاسراء وما جرى له فيه مع الانبياء

ورأى موسى فى السماء السادسة وقد رآه وهو يصلى فى قبره فمن أحوال هذا الشخص بعد موته مثل هذه الاشياء لافرق فى حقه بين حياته وموته فانه كان فى زمان حياته فى الدنيا فى صورة الميت حاله الموت فجعله الله فى حال موته كمن حاله الحياة جزاء وفاقا ومن صفات صاحب هذا المقام فى موته اذا نظر الناظر الى وجهه وهو ميت يقول فيه حىّ واذا نظر الى مجس عروقه يقول فيه ميت فيصار الناظر فيه فان الله جمع له بين الحياة والموت فى حال حياته وموته وقد رأيت ذلك لوالدى رحمه الله يكاد انا ما دفناه الاعلى شك مما كان عليه فى وجهه من صورة الاحياء ومما كان من سكون عروقه وانقطاع نفسه من صورة الاموات وكان قبل أن يموت بخمسة عشر يوما أخبرنى بموته وانه يموت يوم الاربعاء وكذلك كان فلما كان يوم موته وكان مريضا شديد المرض استوى قاعدا غير مستند وقال لى ياولدى اليوم يكون الرحيل واللقاء فقلت له كتب الله سلامتك فى سفرك هذا وبارك لك فى لقائك ففرح بذلك وقال لى جزاك الله ياولدى عنى خيرا كل ما كنت أسمعه منك تقوله ولا أعرفه وربما كنت أنكر بعضه هو ذا أنا أشهده ثم ظهرت على جبينه لمعة بيضاء تخالف لون جسده من غير سوء له نور يتلألأ فشعر بها الوالد ثم ان تلك اللمعة انتشرت على وجهه الى أن عمت بدنه فقبلته وودعته وخرجت من عنده وقلت له أنا أسير الى المسجد الجامع الى أن يأتينى نعيك فقال لى رح ولا تترك أحدا يدخل علىّ وجمع أهله وبناته فلما جاء الظهر جاءنى نعيه فجئت اليه فوجدته على حالة يشك الناظر فيه بين الحياة والموت وعلى تلك الحالة دفناه وكان له مشهد عظيم فسبحان من يختص برحمته من يشاء فصاحب هذا المقام حياته وموته سواء وكل ما قدمناه فى هذا الباب من العلم هو علم صاحب هذا المقام فانه من علم الانفاس ولهذا ذكرنا ما ذكرنا من ذلك والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿الباب السادس والثلاثون فى معرفة العيسويين وأقطابهم وأصولهم﴾

كل من أحيا حقيقته * وشفى من علة الحجب
فهو عيسى لاينـاط به * عندنا شئ من الريب
فلقد أعطت سجيته * رتبة تسمو على الرتب
بنعوت القدس تعرفه * فى صريح الوحى والكتب
لم ينلها غير وارثه * صفة فى سالف الحقب
فسرت فى الكون همته * فى أعاجم وفى عرب
فبها تحيا نفوسهمو * وبها ازالة النوب

اعلم أيدك الله انه لما كان شرع محمد صلى الله عليه وسلم تضمن جميع الشرائع المتقدمة وانه ما بقى لها حكم فى هذه الدنيا الا ما قررته الشريعة المحمدية فبتقريرها ثبتت فتعبدنا بها نفوسنا من حيث ان محمدا صلى الله عليه وسلم قررها لا من حيث ان النبىّ المخصوص بها فى وقته قررها فلهذا أوتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فاذا عمل المحمدى وجميع العالم المكلف اليوم من الانس والجنّ محمدى ليس فى العالم اليوم شرع الهىّ سوى هذا الشرع المحمدى فلا يخلو هذا العامل من هذه الامّة ان يصادف فى عمله فيما يفتح له منه فى قلبه وطريقه ويتحقق به طريقة من طرق نبىّ من الانبياء المتقدّمين مما تتضمنه هذه الشريعة وقررت طريقته وصحبتها نتيجته فاذا فتح له فى ذلك فانه ينتسب الى صاحب تلك الشريعة فيقال فيه عيسوى أو موسوى أو ابراهيمى وذلك لتحقيق ما تميز له من المعارف وظهر له من المقام من جملة ما هو تحت حيطة شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فيتميز بتلك النسبة أو بذلك النسب من غيره ليعرف انه ما ورث من محمد صلى الله عليه وسلم الاما لو كان موسى أو غيره من الانبياء حيا واتبعه ما ورث الاذلك منه ولما تقدّمت شرائعهم قبل هذه الشريعة جعلنا هذا العارف وارثا اذ كان الورث للآخر من الاول فلولم يكن لذلك الاول شرع مقرّر قبل تقرير محمد صلى الله عليه وسلم لساوينا الانبياء والرسل اذ جمعنا زمان شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما ساوينا اليوم الياس والخضر وعيسى اذا نزل فان الوقت يحكم عليه اذلا نبوّة تشريع بعد محمد صلى الله عليه وسلم

ولا يقال فى أحد من أهل هذه الطريقة انه محمدى الالشخصين اما شخص اختص بميراث علم من حكم لم يكن فى شرع قبله فيقال فيه محمدى واما شخص جمع المقامات ثم خرج عنها الى لامقام كأبى يزيد وأمثاله فهذا أيضا يقال فيه محمدى وما عدا هذين الشخصين فينسب الى نبى من الانبياء ولهذا ورد فى الخبر ان العلماء ورثة الانبياء ولم يقل ورثة نبى خاص والمخاطب بهذا علماء هذه الامة وقد ورد أيضا بهذا اللفظ قوله صلى الله عليه وسلم علماء هذه الامة أنبياء سائر الامم وفى رواية كأنبياء بنى اسرائيل فالعيسويون الاول هم الحواريون أتباع عيسى فمن أدرك منهم الى الآن شرع محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به واتبعه واتفق أن يكون قد حصل له من هذه الشريعة ما كان قبل هذا شرعا لعيسى عليه السلام فيرث من عيسى عليه السلام ما ورثه من غير حجاب ثم يرث من عيسى عليه السلام فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ميراث تابع من تابع لا من متبوع وبينهما فى الذوق فرقان ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مثل هذا الشخص ان له الاجر مرتين كذلك له ميراثان وفتحان وذوقان مختلفان ولا ينسب فيهما الا الى ذلك النبى عليه السلام فهؤلاء هم العيسويون الثوانى وأصولهم توحيد التجريد من طريق المثال لان وجود عيسى عليه السلام لم يكن عن ذكر بشرى وانما كان عن تمثل روح فى صورة بشر ولهذا غلب على أمة عيسى بن مريم دون سائر الامم القول بالصورة فيصوّرون فى كنائسهم مثلا ويتعبدون فى أنفسهم بالتوجه اليها فان أصل نبيهم عليه السلام كان عن تمثل فسرت تلك الحقيقة فى أمته الى الآن ولما جاء شرع محمد صلى الله عليه وسلم ونهى عن الصور وهو صلى الله عليه وسلم قد حوى على حقيقة عيسى وانطوى شرعه فى شرعه فشرع لنا صلى الله عليه وسلم أن نعبد الله كأنا نراه فادخله لنا فى الخيال وهذا هو معنى التصوير الا أنه نهى عنه فى الحس أن يظهر فى هذه الامة بصورة حسية ثم ان هذا الشرع الخاص الذى هو اعبد الله كأنك تراه ما قاله محمد صلى الله عليه وسلم لنا بلا واسطة بل قاله جبريل عليه السلام وهو الذى تمثل لمريم بشرا سويا عند ايجاد عيسى عليه السلام فكان كما قيل فى المثل السائر اياك أعنى فاسمعى ياجارة فيكاعن المرادين بذلك القول ولهذا جاء فى آخر الحديث هذا جبريل أراد أن تعلموا اذا لم تسألوا وفى رواية جاء ليعلم الناس دينهم وفى رواية أتاكم يعلمكم دينكم فاخرجت الروايات عن كوننا المقصودين بالتعليم ثم لتعلم ان الذى لنا من غير شرع عيسى عليه السلام قوله فان لم تكن تراه فانه يراك فهذا من أصولهم وكان شيخنا أبو العباس العربى رحمه الله عيسويا فى نهايته وهى كانت بدايتنا أعنى نهاية شيخنا فى هذا الطريق كانت عيسوية ثم نقلنا الى الفتح الموسوى الشمسى ثم بعد ذلك نقلنا الى هود عليه السلام ثم بعد ذلك نقلنا الى جميع النبيين عليهم السلام ثم بعد ذلك نقلنا الى محمد صلى الله عليه وسلم هكذا كان أمرنا فى هذا الطريق ثبته الله علينا ولا حاد بنا عن سواء السبيل فاعطانا الله من أجل هذه النشأة التى أنشأنا الله عليها فى هذا الطريق وجه الحق فى كل شئ فليس فى العالم عندنا فى نظرنا شئ موجود الا ولنا فيه شهود عين حق نعظمه منه فلا نرمى بشئ من العالم الوجودى وفى زماننا اليوم جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام و يونس عليه السلام يحيون وهم منقطعون عن الناس فاما القوم الذين هم من قوم يونس فرأيت أثر قدم واحد منهم بالساحل كان صاحبه قد سبقنى بقليل فشبرت قدمه فى الارض فوجدت طول قدمه ثلاثة أشبار ونصفا وربعا بشبرى وأخبرنى صاحبى أبو عبد الله بن خزر الطنجى انه اجتمع به فى حكاية وجاءنى بكلام من عنده مما يتفق فى الاندلس فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة وهى السنة التى كان فيها او ما يتفق فى سنة ست وثمانين مع الافرنج فكان كما قال ما غادر حرفا وأما الذى فى الزمان من أصحاب عيسى فهو ما رويناه من حديث عربشاه بن محمد بن أبى المعالى العلوى النوقى الخبوشانى كتابة قال حدثنا محمد بن الحسن بن سهل العباسى الطوسى أنا أبو المحاسن علىّ بن أبى الفضل الفارمدى انا أحمد بن الحسين بن علىّ قال حدثنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك ببغداد املاء ثنا يحيى بن أبى طالب ثنا عبد الرحمن بن ابراهيم الراسبى ثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقاص وهو بالقادسية أن وجه نضلة بن معاوية الانصارى الى حلوان العراق فليغز على ضواحيها قال فوجه سعد نضلة فى ثلاثمائة فارس فخرجوا حتى أتوا حلوان العراق وأغاروا على ضواحيها وأصابوا غنيمة وسبيا فاقبلوا يسوقون الغنيمة والسبى حتى رهقت بهم

العصر وكادت الشمس أن تغرب فالجأ نضلة السبي والغنيمة الى سفح الجبل ثم قام فاذن فقال الله أكبر الله أكبر قال ومجيب من الجبل يجيبه كبرت كبيرا يانضلة ثم قال أشهد أن لا اله الا الله فقال كلمة الاخلاص يانضلة وقال أشهد أن محمدا رسول الله فقال هو الدين وهو الذي بشرنا به عيسى بن مريم عليهما السلام وعلى رأس أمته تقوم الساعة ثم قال حي على الصلاة قال طوبى لمن مشى اليها وواظب عليها ثم قال حي على الفلاح قال قد أفلح من أجاب محمدا صلى الله عليه وسلم وهو البقاء لامته قال الله أكبر الله أكبر قال كبرت كبيرا قال لا اله الا الله قال أخلصت الاخلاص يانضلة فحرم الله جسدك على النار قال فلما فرغ من أذانه قمنا فقلنا من أنت يرحمك الله أملك أنت أم ساكن من الجن أم من عباد الله أسمعتنا صوتك فارنا شخصك فانا وفد الله ووفد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفد عمر بن الخطاب قال فانفلق الجبل عن هامة كالرحى أبيض الرأس واللحية عليه طمران من صوف فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقلنا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت يرحمك الله قال أنا زريب بن برثملا وصي العبد الصالح عيسى بن مريم عليهما السلام أسكنني هذا الجبل ودعا لي بطول البقاء الى نزوله من السماء فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويتبرأ مما نحلته النصارى ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم قلنا قبض فبكى بكاء طويلا حتى خضب لحيته بالدموع ثم قال فمن قام فيكم بعده قلنا أبو بكر قال ما فعل قلنا قبض قال فمن قام فيكم بعده قلنا عمر قال اذا فاتني لقاء محمد صلى الله عليه وسلم فاقرؤا عمر مني السلام وقولوا يا عمر سدد وقارب فقد دنا الامر وأخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها يا عمر اذا ظهرت هذه الخصال في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالهرب الهرب اذا استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وانتسبوا في غير مناسبهم وانتموا الى غير مواليهم ولم يرحم كبيرهم صغيرهم ولم يوقر صغيرهم كبيرهم وترك الامر بالمعروف فلم يؤمر به وترك النهي عن المنكر فلم ينه عنه وتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدنانير والدراهم وكان المطر قيظا والولد غيظا وطولوا المنابر وفضضوا المصاحف وزخرفوا المساجد وأظهروا الرشى وشيدوا البناء واتبعوا الهوى وباعوا الدين بالدنيا واستخفوا الدماء وتقطعت الارحام وبيع الحكم وأكل الربا وصار التسلط فخرا والغنى عزا وخرج الرجل من بيته فقام اليه من هو خير منه وركبت النساء السروج قال ثم غاب عنا فكتب بذلك نضلة الى سعد وكتب سعد الى عمر فكتب عمر ائت أنت ومن معك من المهاجرين والانصار حتى تنزل هذا الجبل فاذا لقيته فاقرئه مني السلام فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بعض أوصياء عيسى بن مريم عليه السلام نزل بذلك الجبل بناحية العراق فنزل سعد في أربعة آلاف من المهاجرين والانصار حتى نزل الجبل أربعين يوما ينادي بالاذان في وقت كل صلاة فلم يجده لم يتابع الراسبي على قوله عن مالك ابن أنس والمعروف في هذا الحديث مالك بن الازهر عن نافع وابن الازهر مجهول قال أبو عبد الله الحاكم لم أسمع بذكر ابن الازهر في غير هذا الحديث والسؤال عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر هو من حديث ابن لهيعة عن ابن الازهر قلنا هذا الحديث وان تكلم في طريقه فهو صحيح عندنا أمثالنا كشفا وقوله في زخرفة المساجد وتفضيض المصاحف ليسا على طريق الذم وانما هما دلالة على اقتراب الساعة وفساد الزمان كدلالة نزول عيسى عليه السلام وخروج المهدي وطلوع الشمس من مغربها معلوم كل ذلك أنه ليس على طريق الذم وانما الدلالات على الشيء قد تكون مذمومة ومحمودة هذا الوصي العيسوي بن برثملا لم يزل في ذلك الجبل يتعبد لا يعاشر أحدا وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أترى ذلك الراهب بقي على أحكام النصارى لا والله فان شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة يقول صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا أن يتبعني وهذا عيسى اذا نزل ما يؤمنا الا منا أي بسنتنا ولا يحكم فينا الا بشرعنا فهذا الراهب ممن هو على بينة من ربه علمه ربه من عنده ما افترضه عليه من شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الطريق التي اعتادها من الله وهذا عندنا ذوق محقق فانا أخذنا كثيرا من أحكام محمد صلى الله عليه وسلم المقررة في شرعه عند علماء الرسوم وما كان عندنا منها علم فأخذناها من هذا الطريق ووجدناها عند علماء الرسوم كما هي عندنا ومن تلك الطريق تصحيح الاحاديث النبوية وتردها أيضا اذا أعلمنا أنها واهية الطرق غير صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان قرر الشارع حكم المجتهد وان أخطأ ولكن أهل هذه الطريقة ما يأخذون الا ما حكم به رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم وهذا الوصي من الافراد وطريقه في مأخذ العلوم طريق الخضر صاحب موسى عليه السلام فهو على شرعنا وان اختلف الطريق الموصل الى العلم الصحيح فان ذلك لا يقدح في العلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أعطى الولاية من غير مسئلة ان لله يعينه عليها وان الله يبعث اليه ملكا يسدده يريد عصمته من الغلط فيما يحكم به قال الخضر وما فعلته عن أمري وقال عليه السلام ان يكن في أمتي محدثون فمنهم عمر ثم انه قد ثبت عندنا ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الرهبان الذين اعتزلوا الخلق وانفردوا بربهم فقال ذروهم وما انقطعوا اليه فأتى بلفظ مجمل ولم يأمرنا بان ندعوهم لعلمه صلى الله عليه وسلم انهم على بينة من ربهم وقد أمر صلى الله عليه وسلم بالتبليغ وأمرنا أن يبلغ الشاهد الغائب فلولا ما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يتولى تعليمهم مثل ما تولى تعليم الخضر وغيره ما كان كلامه هذا ولا قرره على شرع منسوخ عنده في هذه الملة وهو الصادق في دعواه صلى الله عليه وسلم انه بعث الى الناس كافة كما ذكر الله تعالى فيه فعمت رسالته جميع الخلق وروح هذا الشرع يقضى انه كل من أدركه زمانه وبلغت اليه دعوته لم يتعبده الله الا بشرعه فانا نعلم قطعا أنه صلى الله عليه وسلم ما شافه جميع الناس بالخطاب في زمانه فما هو الا الوجه الذى ذكرناه وهذا الراهب من العيسويين الذين ورثوا عيسى عليه السلام الى زمان بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم تعبد الله هذا الراهب بشرعه صلى الله عليه وسلم وعلمه من لدنه علما بالرحمة التي آتاه من عنده كان ورثه أيضا حالة عيسوية من محمد صلى الله عليه وسلم فلم يزل عيسويا في الشرع يتعين ألا ترى هذا الراهب قد أخبر بنزول عيسى عليه السلام وأخبر انه اذا نزل يقتل الخنزير ويكسر الصليب أتراه بقي على تحليل لحم الخنزير فلم يزل هذا الراهب عيسويا في الشرع يتعين فله الاجر مرتين أجر اتباعه نبيه وأجر اتباعه محمدا صلى الله عليه وسلم وهو في انتظار عيسى الى أن ينزل وهؤلاء الصحابة قد رأوه ومع نضلة وما سألوه عن حاله في الاسلام والايمان ولا بما يتعبد نفسه من الشرائع لان النبي صلى الله عليه وسلم ما أمرهم بسؤال مثله فعلمنا قطعا أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقر أحدا على الشرك وعلم ان لله عبادا يتولى الحق تعليمهم من لدنه علم ما أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم رحمة منه وفضلا وكان فضل الله عظيما ولو كان ممن يؤدى الجزية لقلنا ان الشرع المحمدي قد قرر له دينه ما دام يعطى الجزية وهذه مسئلة دقيقة في عموم رسالته وانه بظهوره لم يبق شرع الا ما شرعه ومما شرع تقريرهم على شرعهم ما داموا يعطون الجزية اذا كانوا من أهل الكتاب وكم لله تعالى من هؤلاء العباد في الارض فاصل العيسويين كما قررناه تجريد التوحيد من الصور الظاهرة في الامة العيسوية والمثل التي لهم في الكنائس من أجل انهم على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولكن الروحانية الحالية التي هم عليها عيسوية في النصارى وموسوية في اليهود من مشكاة محمد صلى الله عليه وسلم من قوله صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه وان الله في قبلة المصلى وان العبد اذا صلى استقبل ربه ومن كل ما ورد في الله من أمثال هذه النسب وليس للعيسوي من هذه الامة من الكرامات المشي في الهواء ولكن لهم المشي على الماء والمحمدي يمشى في الهواء بحكم التبعية فان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان محمولا قال في عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى في الهواء ولا شك ان عيسى عليه السلام أقوى في اليقين منا بما لا يتقارب فانه من أولى العزم من الرسل ونحن نمشي في الهواء بلا شك وقد رأينا خلقا كثيرا ممن يمشي في الهواء في حال مشيهم في الهواء فعلمنا قطعا ان مشينا في الهواء انما هو بحكم صدق التبعية لا بزيادة اليقين على يقين عيسى عليه السلام قد علم كل منا مشر به فمشينا بحكم التبعية لمحمد صلى الله عليه وسلم من الوجه الخاص الذي له هذا المقام لا من قوة اليقين كما قلنا الذي كنا نفضل به عيسى عليه السلام حاشى لله أن نقول بهذا كما ان أمة عيسى يمشون على الماء بحكم التبعية لا بمساواة يقينهم يقين عيسى عليه السلام فنحن مع الرسل في خرق العوائد الذين اختصوا بها من الله وظهر أمثالها علينا بحكم التبعية كما مثلناه في كتاب اليقين لنا ان لمماليك الخواص الذين يمسكون نعال أستاذيهم من الامراء اذا دخلوا على السلطان وبقى بعض الامراء خارج الباب حين لم يؤذن لهم في الدخول أترى المماليك الداخلين مع أستاذيهم أرفع منصبا من الامراء الذين ما أذن لهم فهل دخلوا الا بحكم التبعية لاستاذيهم بل كل شخص على رتبته فالامراء متميزون على الامراء والمماليك متميزون على المماليك

في جنسهم كذلك نحن مع الانبياء فيما يكون للاتباع من خرق العوائد ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم ما مشى في الهواء الا محمولا على البراق كالراكب وعلى الرفرف كالمحمول في المحفة فاظهر البراق والرفرف صورة المقام الذي هو عليه في نفسه بانه محمول في نفسه ونسبة أيضا الهية من قوله تعالى الرحمن على العرش استوى ومن قوله ويحمل عرش ربك فالعرش محمول فهذا حمل كرامة بالحاملين وحال راحة ومجد وعز للمحمولين وقد قررنا ذلك في غير موضع ان المحمول أعلى من غير المحمول في هذا المقام وأمثاله وأنه لا حول ولا قوة الا بالله مما اختص به الحملة وان كان جميع الخلق محمولين ولكن لم يكشف ذلك الحمل لكل أحد وان كان الحمل على مراتب حمل عن عجز وحمل عن حقيقة كحمل الاثقال وحمل عن شرف ومجد فالعناية بهذه الطائفة أن يكونوا محمولين ظاهرا كما هو الامر في نفسه باطنا لتبريهم من الدعوى كما قررناه في بابه وللعيسويين همة فعالة ودعاء مقبول وكلمة مسموعة ومن علامة العيسويين اذا أردت أن تعرفهم فتنظر كل شخص فيه رحمة بالعالم وشفقة عليه كان من كان وعلى أي دين كان وبأية نحلة ظهر وتسليم لله فيهم لا ينطقون بما تضيق الصدور له في حق الخلق أجمعين عند خطابهم عباد الله ومن علامتهم انهم ينظرون من كل شيء أحسنه ولا يجري على ألسنتهم الا الخير واشتركت في ذلك الطبقة الاولى والثانية فالاولى مثل ما روي عن عيسى عليه السلام انه رأى خنزيرا فقال له انج بسلام فقيل له في ذلك فقال أعوّد لساني قول الخير وأما الثانية فان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الميتة حين مرّ عليها ما أحسن بياض أسنانها وقال من كان معه ما أنتن ريحها وأن النبي صلى الله عليه وسلم وان كان قد أمر بقتل الحيات على وجه خاص وأخبر ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية ومع هذا فانه كان بالغار في منى وقد نزلت عليه سورة والمرسلات وبالمرسلات يعرف الغار الى الآن دخلته تبركا فخرجت حية وابتدر الصحابة الى قتلها فاعجزهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله وقاها شرّكم كما وقاكم شرّها فسماها شرا مع كونه مأمورا به مثل قوله تعالى في القصاص وجزاء سيئة سيئة مثلها فسمي القصاص سيئة وندب الى العفو فاوقعت عينه صلى الله عليه وسلم الاعلى أحسن ما كان في الميتة فهكذا أولياء الله لا ينظرون من كل منظور الا أحسن ما فيه وهم العمي عن مساوي الخلق لا عن المساوي لانهم مأمورون باجتنابها كما هم صمّ عن سماع الفحشاء كما هم البكم عن التلفظ بالسوء من القول وان كان مباحا في بعض المواطن هكذا عرفناهم فسبحان من اصطفاهم واجتباهم وهداهم الى صراط مستقيم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فهذا مقام عيسى عليه السلام في محمد صلى الله عليه وسلم لانه تقدمه بالزمان ونقلت عنه هذه الاحوال قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين ذكر في القرآن من ذكر من النبيين وعيسى في جملة من ذكر عليهم السلام أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وان كان مقام الرسالة يقتضي تبيين الحسن من القبيح ليعلم كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم فان بين السوء في حق شخص فبوحي من الله كما قال في شخص بئس ابن العشيرة والخضر قتل الغلام وقال فيه طبع كافرا وأخبر لو تركه بما يكون منه من السوء في حق أبويه وقال ما فعلته عن أمري فالذي للرجال من ذواتهم القول الحسن والنظر الى الحسن والاصغاء بالسمع الى الحسن فان ظهر منهم وقتا ما خلاف هذا من نبيّ أو وليّ مرجوم فذلك عن أمر الهيّ ما هو لنفسهم فهذا قد ذكرنا من أحوال العيسويين ما يسره الله على لساني والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب السابع والثلاثون في معرفة الاقطاب العيسويين وأسرارهم﴾

فاعلم أيدك الله بروح القدس ان

القطب من ثبتت في الامر أقدامه * والعيسوي الذي بين يديه قدامه
والعيسوي الذي يوماله رفعت * بين النبيين في الاشهاد أعلامه
وجاءه من أبيه كل رائحة * كالمسك في شمها بالوحي أعلامه
له الحياة فيحيي من يشاء بها * فلا يموت ولا تفنيه أيامه
فلو تراه وقد جاءته آيته * تسعى لتظهر في الاكوان أحكامه

مواجها بلسان أنت قلت لهم * بانك الله وهو الله علامه
جوابه قيل ماقد قيل فاعف ولا * تنظر لجرم الذى أرداه اجرامه
صلى عليه اله الخلق من رجل * أعطى وأعطى الذى أعطاه اكرامه

اعلم أيدك الله بروح القدس انا قد عرفناك ان العيسوى من الاقطاب هو الذى جمع له الميراثان الميراث الروحانى الذى يقع به الانفعال والميراث المحمدى ولكن من ذوق عيسى عليه السلام لا بد من ذلك وقد بينا مقاماتهم وأحوالهم فلنذكر فى هذا الباب نبذا من أسرارهم فمنها انهم اذا أرادوا أن يعطوا حالا من الاحوال التى هم عليها وهى تحت سلطانهم لما يرون فى ذلك الشخص من الاستعداد اما بالكشف واما بالتعريف الالهى فيلمسون ذلك الشخص أو يعانقونه أو يقبلونه أو يعطونه ثوبا من لباسهم أو يقولون له ابسط ثوبك ثم يغرفون له بما يريدون أن يعطوه والحاضر ينظر انهم يغرفون فى الهواء ويجعلونه فى ثوبه على قدر ما يحد لهم من الغرفات ثم يقولون له ضم ثوبك بمجموع الاطراف الى صدرك أو البسه على قدر الحال التى يحبون أن يهبوه اياها فأى شئ فعلوا من ذلك سرى ذلك الحال فى ذلك الشخص المأمور المراد به من وقته لا يتأخر وقد رأينا ذلك لبعض شيوخنا جاء لأقوام من العامة فيقول لى هذا شخص عنده استعداد فيقرب منه فاذا لمسه أو ضرب به بصدره فى ظهره قاصدا أن يهبه ما أراد سرى فيه ذلك الحال من ساعته وخرج عما كان فيه وانقطع الى ربه وكان أيضا له هذه الحال مكى الواسطى المدفون بمكة تلميذ ازدشير كان اذا أخذه الحال يقول لمن يكون حاضرا معه عانقنى أو تعرف الحاضر أمره فاذا رآه متلبسا بحاله عانقه فيسرى ذلك الحال فى هذا الشخص ويتلبس به شكى جابر بن عبد الله ٧ لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا يثبت على ظهر الفرس فضرب فى صدره بيده فما سقط عن ظهر فرس بعد ونخس رسول الله صلى الله عليه وسلم مركوبا كان تحت بعض أصحابه بطيئا يمشى به فى آخر الناس فلما نخسه لم يقدر صاحبه على امساكه وكان يتقدم على جميع الركاب وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا بطيئا لابى طلحة يوم أغير على سرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حق ذلك الفرس ان وجدناه لبحرا فما سبق بعد ذلك وشكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو هريرة انه ينسى ما يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا أبا هريرة ابسط رداءك فبسط أبو هريرة رداءه فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة من الهواء أو ثلاث غرفات وألقاها فى رداء ابى هريرة وقال له ضم رداءك الى صدرك فضمه الى صدره فما نسى بعد ذلك شيأ يسمعه وهذا كله من هذا المقام فانظر فى سر هذا الامر انه ما ظهر شئ من ذلك الا بحركة محسوسة لاثبات الاسباب التى وضعها الله ليعلم ان الامر الالهى لا ينخرم وانه فى نفسه على هذا الحد فيعرف العارف من ذلك نسب الاسماء الالهية وما ارتبط بها من وجود الكائنات وان ذلك تقتضيه الحضرة الالهية لذاتها فتصرف العالم المحقق بهذه الامور والتنبيهات الالهية على ان الحكمة فيما ظهر وان ذلك لا يتبدل وان الاسباب لا ترفع أبدا وكل من زعم انه رفع سببا بغير سبب فما عنده علم لا بما رفع به ولا بما رفع فلم يمنح عبد شيأ أفضل من العلم والعمل به وهذه أحوال الادباء من عباد الله تعالى * ومن أسرارهم أيضا انهم يتكلمون فى فصول البلاغة فى النطق ويعلمون اعجاز القرآن ولم يعلم منهم ولا حصل لهم من العلم بلسان العرب والتحقق به على الطريقة المعهودة من قراءة كتب الادب ما يعلم انهم حصل لهم ذلك من هذه الجهة بل كان ذلك لهم من الهبات الالهية بطريق خاص يعرفونه من نفوسهم اذا أعطوا العبارة عن الذى يرد عليهم فى بواطنهم من الحقائق وهم أميون وان أحسنوا الكتابة من طريق النقش ولكن هم عوام الناس فينطقون بما هو خارج فى المعتاد عن قوتهم اذ لم يكونوا من العرب وان كانوا من العرب فلم يكونوا الا بالنسب لا باللسان فيعرف الاعجاز فيه منه فمن هنالك يعرف اعجاز القرآن وذلك قول الحق قيل لى فى بعض الوقائع أتعرف ما هو اعجاز القرآن قلت لا قال كونه اخبارا عن حق التزم الحق يكن كلامك معجزا فان المعارض للقرآن أول ما يكذب فيه انه يجعله من الله وليس من الله فيقول على الله ما لا يعلم فلا يثمر ولا يثبت فان الباطل زهوق لا ثبات له ثم يخبر فى كلامه عن

٧ قوله جابر كذا بالاصل ولعل صوابه جرير اه مصححه

أمور مناسبة للسورة التي يريد معارضتها بأمور تناسبها في الالفاظ مما لم يقع ولا كانت فهي باطل والباطل عدم والعدم لا يقاوم الوجود والقرآن اخبار عن أمر وجودي حق في نفس الامر فلابد أن يعجز المعارض عن الاتيان بمثله فمن التزم الحق في أفعاله وأقواله وأحواله فقد امتاز عن أهل زمانه وعن كل من لم يسلك مسلكه فاعجز من أراد التصور على مقامه من غير حق * ومن أسرارهم أيضا علم الطبائع وتأليفها وتحليلها ومنافع العقاقير يعلم ذلك منها كشفا خرج شيخنا أبو عبد الله الغزال كان بالمرية رحمه الله في حال سلوكه من مجلس شيخه أبي العباس بن العريف وكان ابن العريف أديب زمانه فهو بالاحرش بطريق الصماد حيث اذ رأى اعشاب ذلك المرج كلها تخاطبه بمنافعها فتقول له الشجرة أو النجم خذني فاني أنفع لكذا وأدفع من المضار كذا حتى ذهل وبقي حائرا من نداء كل شجرة منها تحببا له وتقربا منه فرجع الى الشيخ وعرفه بذلك فقال له الشيخ ما هذا خدمتنا أين كان منك الضار النافع حين قالت لك الاشجار انها نافعة ضارة فقال ياسيدي التوبة قال له الشيخ ان الله فتنك واختبرك فاني ماد لتلك الا على الله لا على غيره فمن صدق توبتك أن ترجع الى ذلك الموضع فلا تكلمك تلك الاشجار التي كلمتك ان كنت صادقا في توبتك فرجع أبو عبد الله الغزال الى الموضع فما سمع شيأ مما كان قد سمعه فسجد لله شكرا ورجع الى الشيخ فعرفه فقال الشيخ الحمد لله الذي اختارك لنفسه ولم يدفعك الى كون ملك من أكوانه تشرف به وهو على الحقيقة يشرف بك فانظر همته رضي الله عنه واذا علم أسرار الطبائع ووقف على حقائقها علم من الاسماء الالهية التي علمها الله آدم عليه السلام نصفها وهي علوم عجيبة لما أطلعنا الله عليها من هذه الطريق رأينا أمرا هائلا وعلمنا من سر الله في خلقه وكيف سر الاقتدار الالهي في كل شئ فلا شئ ينفع الا به ولا يضر الا به ولا يطلق الا به ولا يتحرك الا به وحجب العالم بالصور فنسبوا كل ذلك الى أنفسهم والى الاشياء والله يقول يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله وكلامه حق وهو خبر ومثل هذه الاخبار لا يدخلها النسخ فلا فقر الا الى الله في هذه الآية تسمى الله بكل شئ يفتقر اليه ومن هذا الباب يكون الفقير من يفتقر الى كل شئ ولا يفتقر اليه شئ فيتناول الاسباب على أوضاعها الحكمية لا يخل بشئ منها وهذا الذوق عزيز ما رأينا أحدا عليه فيمن رأيناه ولا نقل الينا سماعا لا في المتقدم ولا في المتأخر لكن رأينا ونقل الينا عن جماعة اثبات الاسباب وليس من هذا الباب فان الذي نذكره ونطلبه سريان الالوهية في الاسباب أو تجليات الحق خلف حجاب الاسباب في أعيان الاسباب أو سريان الاسباب في الالوهية هذا هو الذي لم نجد له ذائقا الا قول الله تعالى فهي الآية اليتيمة في القرآن لا يعرف قدرها اذ لا قيمة لها وكل ما لا قيمة له ثبت بالضرورة انه مجهول القدر ولو اعتقدت فيه النفاسة * ومن أسرارهم أيضا معرفة النشأتين في الدنيا وهي النشأة الطبيعية والنشأة الروحانية وما أصلهما ومعرفة النشأتين في الدار الآخرة الطبيعية والروحانية وما أصلها ومعرفة النشأتين نشأة الدنيا ونشأة الآخرة فهي ستة علوم لابد من معرفتها * ومن أسرارهم انه ما منهم شخص يكون له هذا المقام الا ويوهب ستمائة قوة الهية ورثها من جده الاقرب لابيه فيفعل بها بحسب ما تعطيه فان شاء أخفاها وان شاء أظهرها والاخفاء أعلى فان العبودة انما تأخذ من القوى ما تستعين بها على أداء حق أوامر سيدها فثبوت حكم عبوديتها وكل قوة تخرجه عن هذا الباب بالقصد فليس هو مطلوبا لرجال الله فانهم لا يزاحمون ذا القوة المتين فان الله ما طلب منهم أن يطلبوا العون منه الا في عبادته لا أن يظهروا بها لو كان أربابا كما زعمت طائفة من أهل الكتاب من اتخذوا عيسى ربا قالوا ان محمدا يطلب منا أن نعبده كما عبدنا عيسى فانزل الله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله * ومن أسرارهم أيضا انهم لا يتعدون في معارجهم من حيث أبيهم السماء الثانية الا أن يتوجهوا الى الجد الاقرب فربما ينتهي بعضهم الى السدرة المنتهى وهي المرتبة التي تنتهي اليها أعمال العباد لا تتعداها ومن هناك يقبلها الحق وهي برزخها الى يوم القيامة الذي يموت فيه صاحب ذلك العمل ويكفي هذا القدر من علم أسرار هذه الجماعة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء العشرون

(بسم الله الرّحمن الرّحيم)

(الباب الثامن والثلاثون في معرفة من اطلع على المقام المحمدي ولم ينله من الاقطاب)

بـين النبـوّة والولاية فارق * لكن لها الشرف الاتم الاعظم
يعنـو لهـا الفلك المحيط بسره * وكذلك القلم العلي الافخم
ان النبوّة والرسالة كانتا * وقد انتهت ولها السبيل الاقوم
* وأقام بيت الولاية محكما * في ذاته فـله البقاء الادوم
لاتطلبنـه نهاية يسـعى لها * فيكون عنـد بلوغه يتهـدم
صـفة الدوام لذاته نفسـية * فهـو الولي فقهـره متحكم
يأوي اليـه نبيـه ورسوله * والعالم الاعلى ومن هو أقـدم

ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرسالة والنبوّة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي الحديث بكماله فهذا الحديث من أشد ما جرعت الاولياء مرارته فانه قاطع للوصلة بين الانسان و بين عبوديته واذا انقطعت الوصلة بين الانسان و بين عبوديته من أكمل الوجوه انقطعت الوصلة بين الانسان و بين الله فان العبد على قدر ما يخرج به عن عبوديته ينقصه من تقربه من سيده لانه يزاحمه في أسمائه وأقل المزاحمة الاسمية فابقى علينا اسم الولي وهو من أسمائه سبحانه وكان هذا الاسم قد نزعه من رسوله وخلع عليه وسماه بالعبد والرسول ولا يليق بالله أن يسمى بالرسول فهذا الاسم من خصائص العبودية التي لا تصح أن تكون للرب وسبب اطلاق هذا الاسم وجود الرسالة والرسالة قد انقطعت فارتفع حكم هذا الاسم بارتفاعها من حيث نسبتها من الله ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أمته من يجرع مثل هذا الكاس وعلم ما يطرأ عليهم في نفوسهم من الالم لذلك رحمهم فجعل لهم نصيبا ليكونوا بذلك عبيد العبيد فقال للصحابة ليبلغ الشاهد الغائب فامرهم بالتبليغ كما أمره الله بالتبليغ لينطلق عليهم أسماء الرسل التي هي مخصوصة بالعبيد وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها يعني حرفا حرفا وهذا لا يكون الا لمن بلغ الوحي من قرآن أو سنة بلفظه الذي جاء به وهذا لا يكون الا لنقلة الوحي من المقرئين والمحدثين ليس للفقهاء ولا لمن نقل الحديث على المعنى كما يراه سفيان الثوري وغيره نصيب ولا حظ فيه فان الناقل على المعنى انما نقل الينا فهمه في ذلك الحديث النبوي ومن نقل الينا فهمه فانما هو رسول نفسه ولا يحشر يوم القيامة فيمن بلغ الوحي كما سمعه وأدى الرسالة كما يحشر المقرئ والمحدث الناقل لفظ الرسول عينه في صف الرسل عليهم السلام فالصحابة اذا نقلوا الوحي على لفظه فهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون رسل الصحابة وهكذا الامر جيلا بعد جيل الى يوم القيامة فان شئت قلنا في المبلغ الينا انه رسول الله وان شئنا أضفناه لمن بلغ عنه وانما جوّزنا حذف الوسائط لان رسول الله كان يخبره جبريل عليه السلام وملك من الملائكة ولا نقول فيه رسول جبريل وانما نقول فيه رسول الله كما قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه وقال عز وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله مع قوله نزل به الروح الامين على قلبك ومع هذا فما أضافه الله الا الى نفسه فهذا القدر بقي لهم من العبودية وهو خير عظيم امتن به عليهم ومهما لم ينقله الشخص بسنده متصلا غير منقطع فليس له هذا المقام ولا شم له رائحة وكان من الاولياء المزاحمين الحق في الاسم الولي فنقصه من عبوديته بقدر هذا الاسم فلهذا الاسم المحدث بفتح الدال أولى به من اسم الولي فان مقام الرسالة لا يناله أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بقدر ما بيناه فهو الذي أبقاه الحق تعالى علينا ومن هنا تعرف مقام شرف العبودية وشرف المحدثين نقلة الوحي بالرواية ولهذا اشتد علينا غلق هذا الباب وعلمنا ان الله قد طردنا من حال العبودية الاختصاصية التي كان ينبغي لنا أن نكون عليها وأما النبوّة فقد بيناها لك فيما تقدم في باب معرفة الافراد وهم أصحاب الركاب ثم انه تعالى من باب طردنا من العبودة ومقامها قال تعالى قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين ومن نحن حتى

تقع القسمة بيننا وبينه وهو السيد الفاعل المحرك الذي يقولنا في قولنا اياك نعبد وامثال ذلك مما أضافه الينا وقد علمنا أن نواصينا بيده في قيامنا وركوعنا وسجودنا وجلوسنا وفي نطقنا يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي تفضلا منه فانه من قوله بهذه اللفظة وما قدره حتى يقول السيد قال عبدي وقلت له هذا حجاب مسدل فينبغي للعبد أن يعرف ان لله مكرا خفيا في عباده وكل أحد يمكر به على قدر علمه بربه فيأخذ هذا التكريم الالهي ابتداء من الله مدرجا في نعمة فاذا صلى وتلا وقال الحمد لله يقولها حكاية من حيث ماهو مأمور بها لتصح عبوديته في صلاته ولا ينتظر الجواب ولا يقول ليجاب بل يشتغل بما كلفه سيده به من العمل حتى يكون ذلك الجواب والانعام من السيد لا من كونه قال فان القائل على الحقيقة خالق القول فيه فنسلم من هذا المكر وان كان منزلة رفيعة ولكن بالنظر الى من هو في غير هذه المنزلة ممن نزل عنها فما ورثنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المقام الذي أغلق بابه دوننا الا ما ذكرناه من عناية الحق بمن كشف له عن ذلك ورزقه علم نقل الوحي بالرواية من كتاب وسنة فما أشرف مقام أهل الرواية من المقرئين والمحدثين جعلنا الله ممن اختص بنقله من قرآن وسنة فان أهل القرآن هم أهل الله وخاصته والحديث مثل القرآن بالنص فانه صلى الله عليه وسلم ماينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وممن تحقق بهذا المقام معنا أبو يزيد البسطامي كشف له منه بعد السؤال والتضرع قدر خرق الابرة فأراد أن يضع قدمه فيه فاحترق فعلم أنه لا ينال ذوقا وهو كمال العبودة وقد حصل لنا منه صلى الله عليه وسلم شعرة وهذا كثير لمن عرف فما عندنا الخلق منه الا ظله ولما أطلعني الله عليه لم يكن عن سؤال وانما كان عن عناية من الله ثم انه أيدني فيه بالادب رزقا من لدنه وعناية من الله بي فلم يصدر مني هناك ماصدر من أبي يزيد بل اطلعت عليه وجاء الامر بالرقي في سلمه فعلمت ان ذلك خطاب ابتلاء وأمر ابتلاء لا خطاب تشريف على انه قد يكون بعض الابتلاء تشريفا فتوقفت وسألت الحجاب فعلم ما أردت فوضع الحجاب بيني وبين المقام وشكر لي ذلك فنحني منه الشعرة التي ذكرناها اختصاصا الهيا فشكرت الله على الاختصاص بتلك الشعرة غير طالب بالشكر الزيادة وكيف أطلب الزيادة من ذلك وأنا أسأل الحجاب الذي هو من كمال العبودية فسرت في العبودة وظهر سلطانها وحيل بيني وبين مرتبة السيادة لله الحمد على ذلك وكم طلبت اليها وما أجبت وهكذا ان شاء الله أكون في الآخرة عبدا محضا خالصا ولو ملكني جميع العالم ماملكت منه الا عبوديته خاصة حتى يقوم بذاتي جميع عبودية العالم وللناس في هذا مراتب فالذي ينبغي للعبد أن لا يزيد على هذا الاسم غيره فان أطلق الله ألسنة الخلق عليه بأنه ولي الله ورأى ان الله قد أطلق عليه اسما أطلقه تعالى على نفسه فلا يسمعه ممن يسميه به الا على انه بمعنى المفعول لا بمعنى الفاعل حتى يشم فيه رائحة العبودية فان بنية فعيل قد تكون بمعنى الفاعل وانما قلنا هذا من أجل ما أمرنا أن نتخذه سبحانه وكيلا فيما هو لنا مما نحن مستخلفون فيه فان في مثل هذا مكرا خفيا فتحفظ منه ويكفي من التنبيه الالهي العاصم من المكر كونك مأمورا بذلك فامتثل أمره واتخذه وكيلا لا تدعي الملك فان الله تولاك فانه قال وهو يتولى الصالحين واسم الصالح من خصائص العبودية ولهذا وصف محمد صلى الله عليه وسلم نفسه بالصلاح فانه ادعى حالة لا تكون الا للعبيد الكمل فنهم من شهد له بها الحق عز وجل بشرى من الله فقال في عبده يحيى عليه السلام نبيا من الصالحين وقال في نبيه عيسى عليه السلام وكهلا ومن الصالحين وقال في ابراهيم عليه السلام وانه في الآخرة لمن الصالحين من أجل الثلاثة الامور التي صدرت منه في الدنيا وهي قوله عن زوجته سارة انها أخته يتأول وقوله اني سقيم اعتذارا وقوله بل فعله كبيرهم اقامة حجة فبهذه الثلاثة يعتذر يوم القيامة للناس اذا سألوه أن يسأل ربه فتح باب الشفاعة فلهذا ذكر صلاحه في الآخرة اذ لم يؤاخذه بذلك كما قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر وقال عفا الله عنك لم أذنت لهم فقدم البشرى قبل العتاب وهذه الآية عندنا بشرى خاصة ما فيها عتاب بل هو استفهام لمن أنصف وأعطى أهل العلم حقهم وأما سليمان وأمثاله عليهم السلام فأخبرنا الحق انه قال وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وان كانوا صالحين في نفس الامر عند الله فهم بين سائل في الصلاح ومشهود له به مع كونه نعتا عبوديا لا يليق بالله فما ظنك بالاسم الولي الذي قد تسمى الله به بمعنى الفاعل فينبغي أن لا ينطلق ذلك

الاسم على العبد وان أطلقه الحق عليه فذلك اليه تعالى و يلزم الانسان عبوديته وما يختص به من الاسماء التي لم تنطلق قط على الحق لفظا بما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم فلما أنزل الله تعالى على عبده محمد صلى الله عليه وسلم هذه الآية ليعرف الناس بها فكان الله حكى عن نبيه صلى الله عليه وسلم مالابد له أن يقوله و يتلفظ به فجعله تعالى قرآ نايتلى اذ كان ذلك من خصائص العبيد في نفس الامر فقال تعالى ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين فشهد له بالصلاح اذا كان الحق حاكيا في هذه الآية وان كان آمرا فيكون من المشهود لهم بالصلاح فعرفنا ان الله تولاه وأخبرنا ان الله يتولى الصالحين فشهد لنفسه بالصلاح بالوجه الذي ذكرناه ولم ينقل ذلك عن غيره بل نقل مايقاربه من قول عيسى عليه السلام اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حيا يقول الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض أي فكذلك أنت فكان من فضله نيل مثل هذا المقام فاحفظ ياولي نفسك في التخلق بأسماء الله الحسنى فان العلماء لم يختلفوا في التخلق بها فاذا وقفت للتخلق بها فلا تغب في ذلك عن شهود آثارها فيك والتكن فيها ومعها بحكم النيابة عنها فتكون مثل اسم الرسول لاتشارك الحق في اطلاق اسم عليك من أسمائه بذلك المعنى والزم الادب وقل رب زدني علما والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب التاسع والثلاثون في معرفة المنزل الذي يحط اليه الولي اذا طرده الحق تعالى من جواره﴾

اذا حط الولي فليس الا * عروج وارتقاء في علو
فان الحق لاتقييد فيه * ففي عين النوى عين الدنو
فحال المجتبي في كل حال * سمو في سمو في سمو
فلا حكم عليه بكل وجه * ولا تأثير فيه للعلو

اعلم أيدك الله بروح منه ان الله تعالى يقول لابليس اسجد لآدم فظهر الامر فيه وقال لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة فظهر النهي فيهما والتكليف مقسم بين أمر ونهي وهما محمولان على الوجوب حتى تخرجهما عن مقام الوجوب قرينة حال وان كان مذهبنا فيهما التوقيف فتعين امتثال الامر والنهي وهذا أول أمر ظهر في العالم الطبيعي وأول نهي وقد أعلمناك ان الخاطر الاول وان جميع الاوليات لاتكون الا ربانية وهذا تصدق ولا تخطئ أبدا و يقطع به صاحبه فسلطانه قوي ولما كان هذا أول أمر ونهي لذلك وقعت العقوبة عند المخالفة ولم يمهل فاذا جاءت الاوامر بالوسائط لم تقو قوة الاول وهي الاوامر الواردة الينا على ألسنة الرسل وهي على قسمين اما أن وهو مايلقي الله الى نبيه في نفسه من غير واسطة الملك فيصل الينا الامر الالهي وقد جاز على حضرة كونية فاكتسب منها حالا لم يكن عليها فان الاسماء الالهية تلقته في هذه الحضرة الكونية فشاركته بأحكامها في حكمه واما أن ينزل عليه بذلك الامر الملك فيكون الامر الالهي قد جاز على حضرتين من الكون جبريل وأي ملك كان وأي نبي كان فيكون فعله وأثره في القوة دون الاول والثاني فلذلك لم تقع المؤاخذة معجلة فاما أمهال الى الآخرة واما غفران فلا يؤاخذ بذلك أبدا وفعل الله ذلك رحمة بعباده كأنه تعالى خص النهي بآدم وحواء والنهي ليس بتكليف عملي فانه يتضمن أمرا عدميا وهو لاتفعل ومن حقيقة الممكن انه لايفعل فكأنه قيل له لاتفارق أصلك والامر ليس كذلك فانه يتضمن أمرا وجوديا وهو أن يفعل فكأنه قيل له أخرج عن أصلك فالامر أشق على النفس من النهي اذ كلف الخروج عن أصله فلو أن ابليس لما عصى ولم يسجد لم يقل ماقال من التكبر والفضلية التي نسبها الى نفسه على غيره فخرج عن عبوديته بقدر ذلك خفت به عقوبة الله وكانت العقوبة لآدم وحواء لما تكلفا الخروج عن أصلهما وهو الترك وهو أمر عدمي بالاكل وهو أمر وجودي فشرك الله بين ابليس وآدم وحواء في ضمير واحد وهو كان أشد العقوبة على آدم فقيل لهم اهبطوا بضمير الجماعة ولم يكن الهبوط عقوبة لآدم وحواء وانما كان عقوبة لابليس فان آدم أهبط لصدق الوعد بأن يجعل في الارض خليفة بعدما تاب عليه واجتباه وتلقى الكلمات من ربه بالاعتراف فاعترافه عليه

السلام في مقابلة كلام ابليس أنا خير منه فعرّفنا الحق بمقام الاعتراف عند الله وما ينتجه من السعادة لنتخذه طريقا في مخالفتنا وعرّفنا بدعوى ابليس ومقالته لنحذر من مثلها عند مخالفتنا وأهبطت حوّاء للتناسل وأهبط ابليس للاغواء فكان هبوط آدم وحوّاء هبوط كرامة وهبوط ابليس هبوط خذلان وعقوبة واكتساب أوزار فانّ معصيته كانت لا تقتضي تأبيد الشقاء فانه لم يشرك بل افتخر بما خلقه الله عليه وكتب مشقيا ودار الشقاء مخصوصة بأهل الشرك فأنزله الله الى الارض ليسنّ الشرك بالوسوسة في قلوب العباد فاذا أشركوا تبرأ ابليس من المشرك ومن الشرك لينفعه تبريه منه فانه هو الذي قال له اكفر كما أخبر الله تعالى خبرا عليه وزر كل مشرك في العالم وان كان موحدا فانه من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها فان الشخص الطبيعيّ كابليس و بني آدم لا بدّ أن يتصوّر في نفسه مثال ما يريد أن يبرزه فاسنّ الشرك ووسوس به حتى تصوّره في نفسه على الصورة التي اذا حصلت في نفس المشرك زالت عنه صورة التوحيد فاذا تصوّرها في نفسه بهذه الصورة فقد خرج التوحيد عن تصوّره في نفسه ضرورة فان الشريك متصوّر له في نفسه الى جانب الحق الذي في نفسه متخيلا أعني من العلم بوجوده فشركه في نفسه وجده فكان ابليس مشركا في نفسه بلا شك ولا ريب ولا بدّ أن يحفظ في نفسه بقاء صورة الشريك ليمدّ بها المشركين مع الانفاس فانه خائف منهم أن تزول عنهم صفة الشرك فيوحدوا الله فيسعدوا فلا يزال ابليس يحفظ صورة الشرك في نفسه و يراقب بها قلوب المشركين الكائنين في الوقت شرقا وغربا وجنوبا وشمالا و يردّ بها الموحدين في المستقبل الى الشرك ممن ليس بمشرك فلا ينفك ابليس دائما على الشرك فبذلك أشقاه الله لانه لا يقدر أن يتصوّر التوحيد نفسا واحدا الا زمته هذه الصفة وحرصه على بقائها في نفس المشرك فانها لو ذهبت من نفسه لم يجد المشرك من يمدّه في نفسه بالشرك فيذهب الشرك عنه و يكون ابليس لا يتصوّر الشريك لانه قد زالت عن نفسه صورة الشريك فيكون لا يعلم أن ذلك المشرك قد زال عن اشراكه فدل ان الشريك يستصحب ابليس دائما فهو أوّل مشرك بالله وأوّل من سنّ الشرك وهو أشقى العالمين فلذلك يطمع في الرحمة من عين المنة وطذا قلنا ان العقوبة في حق آدم انما كانت في جمعه مع ابليس في الضمير حيث خاطبهم الحق بالهبوط بالكلام الذي يليق بجلاله ولكن لا بدّ أن يكون في الكلام الصفة التي يقتضيها لفظ الضمير فان صورة اللفظ يطلب المعنى الخاص وهذه طريقة لم تجعل العلماء بالها من ذلك وانما ذكرنا مسئلة آدم تأنيسا لاهل الله تعالى اذا زلوا وخطوا عن مقامهم ان ذلك الانحطاط لا يقضي بشقائهم ولا بدّ بل يكون هبوطهم كهبوط آدم فان الله لا يتحيز ولا يتقيد واذا كان الامر على هذا الحدّ وكان الله بهذه الصفة من عدم التقييد فيكون عين هبوط الوليّ عند الزلة وما قام به من الذلة والحياء والانكسار فيها عين الترقي الى أعلى مما كان فيه لان علوه بالمعرفة والحال وقد يزيد من العلم بالله ما لم يكن عنده ومن الحال وهو الذلة والانكسار ما لم يكن عليهما وهذا هو عين الترقي الى مقام أشرف فاذا فقد الانسان هذه الحالة في زلته ولم يندم ولا انكسر ولا ذل ولا خاف مقام ربه فليس من أهل هذه الطريقة بل ذلك جليس ابليس بل ابليس أحسن حالا منه لانه يقول لمن يطيعه في الكفر اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين ونحن انما نتكلم على زلات أهل الله اذا وقعت منهم قال تعالى ولم يصرّوا على ما فعلوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الندم توبة وانما الانسان الوليّ اذا كان في المقام الذي كان والحال التي كان عليها ملتذا بها فلذته انما كانت بحاله فان الله تعالى أن يلتذ به فلما زل وعرته حالة الذلة والانكسار زالت ضرورة الحالة التي كان يلتذ بوجودها وهي حالة الطاعة والموافقة فلما فقدها تخيل انه انحط من عين الله وانما تلك الحالة لما زالت عنه انحط عنها اذ كانت حالة تقتضي الرفعة وهو الآن في معراج الذلة والندم والافتقار والانكسار والاعتراف والادب مع الله تعالى والحياء منه فهو يترقى في هذا المعراج فيجد هذا العبد في غاية هذا المعراج حالة أشرف من الحالة التي كان عليها فعند ذلك يعلم انه ما انحط وانه ترقى من حيث لا يشعر أنه في ترق وأخفى الله ذلك عن أوليائه لئلا يجترؤا عليه في المخالفات كما أخفى الاستدراج فيمن أشقاه الله فقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون فهم كما قال الله تعالى فيهم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا كذلك أخفى سبحانه تقريبه وعنايته فيمن

أسعده الله بما شغله الله به من البكاء على ذنبه ومشاهدته زلته ونظره اليها فى كتابه وذهل عن ان ذلك الندم يعطيه الترق عند الله فانه ما بشره بقبول التوبة فهو متحقق وقوع زلة حاكم عليه الانكسار والحياء مما وقع فيه وان لم يؤاخذه الله بذلك الذنب فكان الاستدراج حاصلا فى الخير والشر وفى السعداء والاشقياء ولقيت بمدينة فاس رجلا عليه كآبة كانه يخدم فى الاتون فسألت أبا العباس الحصار وكان من كبار الشيوخ عنه فانى رأيته يجالسه ويحن اليه فقال لى هذا رجل كان فى مقام فانحط عنه فكان فى هذا المقام وكان من الحياء والانكسار بحالة وحبست عليه السكوت عن كلام الخلق فمازلت ألاطفه بمثل هذه الادوية وأزيل عنه مرض تلك الزلة بمثل هذا العلاج وكان قد مكننى من نفسه فلم أزل به حتى سرى ذلك الدواء فى أعضائه فاطلق محياه وفتح له فى عين قلبه باب الى قبوله ومع هذا فكان الحياء يستلزمه وكذلك ينبغى أن تكون زلات الاكابر غالبا نزولهم الى المباحات لا غير وفى حكم النادر تقع منهم الكبائر قيل لابى يزيد البسطامى رضى الله عنه أيعصى العارف فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا يريد ان معصيتهم بحكم القدر النافذ فيهم لا انهم يقصدون انتهاك حرمات الله هم بحمد الله اذا كانوا أولياء عند الله تعالى وجل معصومون فى هذا المقام فلا تصدر منهم معصية أصلا انها كالحرمة الله كمعاصى الغير فان الايمان المكتوب فى القلوب يمنع من ذلك فمنهم من يعصى غفلة ومنهم من يخالف على حضور عن كشف الهى قد عرف ما لله فيه مما قدره عليه قبل وقوعه فهو على بصيرة من أمره و بينة من ربه وهذه الحالة بمنزلة البشرى فى قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقد أعلمه بالذنوب الواقعة المغفورة فلا حكم لها ولا سلطان لها فيه فانه اذا جاء وقت ظهورها يكون فى صحبتها الاسم الغفار فتنزل بالعبد و يحجب الغفار حكمها فتكون بمنزلة من باقى فى النار ولا يحترق كابراهيم عليه السلام فكان فى النار ولا حكم لها فيه بالحجاب الذى هو المانع كذلك زلة العارف صاحب مقام الكشف للاقدار تحل به النازلة وحكمها بمعزل عنها فلا تؤثر فى مقامه بخلاف من تحل فيه وهو على غير بينة ولا بصيرة بما قدر عليه فهذا يستلزمه الحياء والندم والذلة وذلك ليس كذلك وهذه أسرار الهية لا يسعنا التعبير عنها و بعد أن فهمناك مراتبهم فى هذا المقام وفرقنا لك بين معصية العارفين و بين معاصى العامة من علماء الرسوم ومقلديهم فاعلم انه حكى عن بعضهم انه قال اقعد على البساط يريد بساط العبادة واياك والانبساط أى الزم ما تعطيه حقيقة العبودة من حيث انها مكلفة بامور حدها له سيدها فانه لولا تلك الامور لاقتضى مقامها الادلال والفخر والزهو من أجل مقام من هو عبد له ومنزلته كما زها بو عتبة الغلام وافتخر فقيل له ما هذا الزهو الذى نراه فى شمائلك مما لم يكن يعرف قبل ذلك منك فقال وكيف لا أزهو وقد أصبح لى مولى وأصبحت له عبدا فمانقيض العبيد من الادلال وأن يكونوا فى الدنيا مثل ما هم فى الآخرة الا التكاليف فهم فى شغل باوامر سيدهم الى أن يفرغوا منها فاذا لم يبق لهم شغل قاموا فى مقام الادلال الذى تقتضيه العبودية وذلك لا يكون الا فى الدار الآخرة فان التكاليف لهم مع الانفاس فى الدار الدنيا فكل صاحب ادلال فى هذه الدار فقد نقص من المعرفة بالله على قدر ادلاله ولا يبلغ درجة غيره ممن ليس له ادلال أبدا فانه فاتته أنفاس كثيرة فى حال ادلاله غاب عما يجب عليه فيها من التكليف الذى يناقض الاشتغال به الادلال فليست الدنيا بدار ادلال ألا ترى عبد القادر الجيلى مع ادلاله لما حضرته الوفاة وبقى عليه من أنفاسه فى هذه الدار ذلك القدر الزمانى وضع خده فى الارض واعترف بان الذى هو فيه الآن هو الحق الذى ينبغى أن يكون العبد عليه فى هذه الدار وسبب ذلك انه كان فى أوقات صاحب ادلال لما كان الحق يعرفه به من حوادث الاكوان وعصم الله أبا السعود تلميذه من ذلك الادلال فلازم العبودية المكلفة مع الانفاس الى حين موته فما حكى انه تغير عليه الحال عند موته كما تغير على شيخه عبد القادر وحكى لنا الثقة عندنا قال سمعته يقول طريق عبد القادر فى طرق الاولياء غريب وطريقنا فى طرق عبد القادر غريب رضى الله عن جميعهم ونفعنا بهم والله يعصمنا من المخالفات وان كانت قدرت علينا فالله أسأل أن يجعلنا فى ارتكابها على بصيرة حتى يكون اتيانها ارتقاء درجات والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿الباب الاربعون﴾

فى معرفة منزل مجاور لعلم جزئى من علوم الكون وترتيبه وغرائبه وأقطابه ونظم يتضمن ما ترجمنا عليه

مجاور علم السكون علم الحق * يقول الذى يعطاه كشف حقيقى
وماهو من علم البرازخ خالص * وماهو علوى وماهو سفلى
له فى اعلى وجه غريب محقق * وفى السفل وجه بالحقائق علوى
وليس الذى يدريه ملك مخاص * ولاهو جنى ولاهو انسى
ولكنها الاعيان لما تألفت * بدالك شكل مستفاد كيانى
فقل فيه ماتهواه يقبله أصله * فلست تراه وهو للعين مرئى
فماهو محكوم وليس بحاكم * فما هو غيبى وماهو حسى
تنزه عن حصر الجهات ضياؤه * فلاهو شرقى ولاهو غربى
فسبحان من أخفى عن العين ذاته * ويسرى مثال منه فينا التصالى
تراه اذا كنا وماهو عينه * ولكنه كشف صحيح خيالى
تجلى لرأى العين فى كل صورة * فذلك مقصودى بقولى مثالى

اعلم أيدك الله بروح القدس ان هذا المنزل منزل الكمال وهو مجاور منزل الجلال والجمال هو من أجل المنازل والنازل فيه أتم نازل اعلم ان خرق العوائد على ثلاثة أقسام قسم منها يرجع الى مايدركه البصر أو بعض القوى على حسب مايظهر لتلك القوة مما ارتبطت فى العادة بادراكه وهو فى نفسه على غير ما أدركته تلك القوة مثل قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى وهذا القسم داخل تحت قدرة البشر وهو على قسمين منه مايرجع الى قوة نفسية ومنه مايرجع الى خواص أسماء اذا تلفظ بتلك الاسماء ظهرت تلك الصور فى عين الرائى أو فى سمعه خيالا وماثم فى نفس الامر أعنى فى المحسوس شئ من صورة مرئية ولا مسموعة وهو فعل الساحر وهو على علم انه ماثم شئ مما وقع فى الاعين والاسماع والقسم الآخر الذى هو قوة نفسية يكون عنها فيما تراه العين أو أى ادراك كان ما كان من الامر الذى ظهر عن خواص الاسماء والفرق بينهما ان الذى يفعله بطريق الاسماء وهو الساحر يعلم انه ماثم شئ من خارج وانما لها سلطان على خيال الحاضرين فتخطف أبصار الناظرين فيرى صورا فى خياله كما يرى النائم فى نومه وماثم فى الخارج شئ مما يدركه وهذا القسم الآخر الذى للقوة النفسية منهم من يعلم انه ماثم شئ فى الخارج ومنهم من لا يعلم ذلك فيعتقد ان الامر كما رآه ذكر أبو عبد الرحمن السلمى فى كتاب مقامات الاولياء فى باب الكرامات منه ان عليما الاسود وكان من أكابر أهل الطريق ان بعض الصالحين اجتمع به فى قصة أدته الى أن ضرب عليم الاسود الى اسطوانة كانت قائمة فى المسجد من رخام فاذا هى كلها ذهب فنظر اليها الرجل اسطوانة ذهب فتعجب فقال له ياهذا ان الاعيان لاتنقلب ولكن هكذا تراها لحقيقتك بربك وهى غير ذلك نخرج من كلامه فيما يظهر ان لاعلم له بالاشياء ببادى الرأى أو من أول نظر ان الاسطوانة حجر كما كانت وليست ذهبا الا فى عين الرائى ثم ان الرجل أبصرها بعد ذلك حجرا كما كانت أول مرة قال تعالى فى عصا موسى عليه السلام وماتلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى ثم قال ألقها ياموسى فألقاها من يده فى الارض فاذا هى حية تسعى فلما خاف موسى عليه السلام منها على مجرى العادة فى النفوس انها تخاف من الحيات اذا فاجأتها لما قرن الله بها من الضرر لبنى آدم وما علم موسى مراد الله فى ذلك ولو علمه ما خاف فقال الله تعالى له خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى أى ترجع عصا كما كانت أو ترجع تراها عصا كما كانت فالآية محتملة فان الضمير الذى فى قوله عز وجل سنعيدها سيرتها الاولى اذا لم تكن عصا فى حال كونها فى نظر موسى حية لم يجد الضمير على من يعود كان الانسان اذا عودك أمرا ما وهو انه كان يحسن اليك ثم أساء اليك فتقول له قد تغيرت سيرتك معى ما أنت هو ذاك الذى كان يحسن الى ومعلوم انه هو فيقال له سيعود معك الى سيرته الاولى من الاحسان اليك وهو فى صورته ماتغير ولكن تغير عليك فعله معك وقدم الله هذا لموسى عليه السلام توطئة لما سبق فى علمه سبحانه ان السحرة تظهر لعينه مثل هذا فيكون عنده علم من ذلك حتى لا يذهل ولا يخاف اذا وقع منهم عند القائهم حبالهم وعصيهم وخيل الى موسى

انها تسعى بقوله فلا تخف اذا رأيت ذلك منهم يقوى جأشه فلما وقع من السحرة ما وقع مما ذكر الله لنا في كتابه وامتلأ الوادي من حبالهم وعصيهم ورآها موسى فيما خيل له حيات تسعى أوجس في نفسه خيفة موسى فلم يكن نسبة الخوف اليه في هذا الوقت نسبة الخوف الاول فان الخوف الاول كان من الحية فولى مدبرا ولم يعقب حتى أخبره الله تعالى وكان هذا الخوف الآخر الذي ظهر منه للسحرة على الحاضرين لئلا تظهر عليه السحرة بالحجة فيلتبس الامر على الناس ولهذا قال الله له لا تخف انك أنت الاعلى ولما ظهر للسحرة خوف موسى مما رآه وما علموا متعلق هذا الخوف أي شئ هو علموا انه ليس عند موسى من علم السحر شئ فان الساحر لا يخاف مما يفعله لعلمه انه لا حقيقة له من خارج وانه ليس كما ظهر لاعين الناظرين فأمر الله موسى أن يلقي عصاه وأخبر انها تلقف ما صنعوا فلما ألقى موسى عصاه فكانت حية علمت السحرة بأجمعها بما علمت من خوف موسى انه لو كان ذلك منه وكان ساحرا ما خاف ورأوا عصاه حية حقيقة علموا عند ذلك انه أمر غيب من الله الذي يدعوهم الى الايمان به وما عنده من علم السحر خبر فابتلعت تلك الحية جميع ما كان في الوادي من الحبال والعصي أي تلقفت صور الحيات منها فبدت حبالا وعصيا كما هي وأخذ الله بابصارهم عن ذلك فان الله يقول تلقف ما صنعوا وما صنعوا الحبال ولا العصي وانما صنعوا في أعين الناظرين صور الحيات وهي التي تلقفت عصا موسى فتنبه لما ذكرت لك فان المفسرين ذهلوا عن هذا الادراك في أخبار الله تعالى فانه ما قال تلقف حبالهم وعصيهم فكانت الآية عند السحرة خوف موسى وأخذ صور الحيات من الحبال والعصي وعلموا ان الذي جاء به موسى من عند الله فآمنوا بما جاء به موسى عن آخرهم وخروا سجدا عند هذه الآية وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون حتى يرتفع الالتباس فانهم لو وقفوا على العالمين لقال فرعون أنا رب العالمين اياي عنوا فزادوا رب موسى وهرون أي الذي يدعو اليه موسى وهرون فارتفع الاشكال فتوعدهم فرعون بالعذاب فآثروا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة وكان من كلامهم ما قص الله علينا وأما العامة فنسبوا ما جاء به موسى الى انه من قبيل ما جاءت به السحرة الا انه أقوى منهم وأعلم بالسحر بالتلقف الذي ظهر من حية عصا موسى عليه السلام فقالوا هذا سحر عظيم ولم تكن آية موسى عند السحرة الا خوفه وأخذ صور الحيات من الحبال والعصي خاصة فمثل هذا خارج عن قوة النفس وعن خواص الاسماء لوجود الخوف الذي ظهر من موسى في أول مرة فكان الفعل من الله ولما اوقع السحرة اللبس على أعين الناظرين بتصيير الحبال والعصي حيات في نظرهم أراد الحق أن يأتيهم من بابهم الذي يعرفونه كما قال تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون فان الله يراعي في الامور المناسبات فجعل العصا حية كحيات عصيهم في عموم الناس ولبس على السحرة بما أظهر من خوف موسى فتخيلوا انه خاف من الحيات وكان موسى في نفس الامر غير خائف من الحيات لما تقدم له في ذلك من الله في الفصل الاول حين قال له خذها ولا تخف فنهاه عن الخوف منها وأعلمه ان ذلك آية له فكان خوفه الثاني على الناس لئلا يلتبس عليهم الدليل والشبهة والسحرة تظن انه خاف من الحيات فلبس الله عليهم خوفه كما لبسوا على الناس وهذا غاية الاستقصاء الالهي في المناسبات في هذا الموطن لان السحرة لو علمت ان خوف موسى من الغلبة بالحجة لما سارعت الى الايمان ثم انه كان لحية موسى التلقف ولم يكن لحياتهم تلقف ولا أثر لانها حبال وعصي في نفس الامر فهذا المنزل الذي ذكرناه في هذا الباب انه مجاور لعلم جزئي من علوم الكون هو هذا العلم الجزئي علم المعجزات لانه ليس عن قوة نفسية ولا عن خواص أسماء فان موسى عليه السلام لو كان انفعال العصا حية عن قوة همية أو عن أسماء أعطيها ما ولى مدبرا ولم يعقب خوفا فعلمنا ان ثم أمورا تختص بجانب الحق في علمه لا يعرفها من ظهرت على يده تلك الصورة فهذا المنزل مجاور لما جاءت به الانبياء من كونه ليس عن حيلة ولم يكن مثل معجزات الانبياء عليهم السلام لان الانبياء لا علم لهم بذلك وهؤلاء ظهر ذلك عنهم بهممهم أو قوة نفسهم أو صدقهم قل كيف شئت فلهذا اختصت باسم الكرامات ولم تسم معجزات ولا سميت سحرا فان المعجزة ما يعجز الخلق عن الاتيان بمثلها اما صرفا واما أن تكون ليست من مقدورات البشر العدم قوة النفس وخواص الاسماء وتظهر على أيديهم وان السحر هو الذي يظهر فيه وجه الى الحق وهو في نفس الامر ليس حقا مشتق من السحر الزماني

وهو اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح وهو ليس بنهار لعدم طلوع الشمس للابصار فكذلك هذا الذي يسمى سحرا ما هو باطل محقق فيكون عدما فان العين أدركت أمرا ما لا تشك فيه وما هو حق محض فيكون له وجود في عينه فانه ليس في نفسه كما تشهده العين ويظنه الرائي وكرامات الاولياء ليست من قبيل السحر فان لها حقيقة في نفسها وجودية وليست بمعجزة فانه على علم وعن قوة همة وأما قول عليم لحقيقتك ربك تراها ذهبا فان الاعيان لا تنقلب وذلك لما رآه قد عظم ذلك الامر عنده مما رآه فقال له العلم بك أشرف مما رأيت فاتصف بالعلم فانه أعظم من كون الاسطوانة كانت ذهبا في نفس الامر فاعلمه ان الاعيان لا تنقلب وهو صحيح في نفس الامر أي ان الحجرية لم ترجع ذهبا فان حقيقة الحجرية قبلها هذا الجوهر كما قبل الجسم الحرارة فقيل فيه انه حار فاذا أراد الله أن يكسو هذا الجوهر صورة الذهب خلع عنه صورة الحجر وكساه صورة الذهب فظهر الجوهر أو الجسم الذي كان حجرا ذهبا كما خلع عن الجسم الحار الحرارة وكساه البرد فصار باردا فما انقلبت عين الحرارة برودة والجسم البارد بعينه هو الذي كان حارا فما انقلبت الاعيان كذلك حكاية عليم الجوهر الذي قبل صورة الذهب عند الضرب هو الذي كان قد قبل صورة الحجر والجوهر هو الجوهر بعينه فالحجر ما عاد ذهبا ولا الذهب عاد حجرا كما ان الجوهر الهيولاني قبل صورة الماء فقيل هو ماء بلا شك فاذا جعلته في القدر وأغليتها على النار الى أن يصعد بخارا فتعلم قطعا ان صورة الماء زالت عنه وقبل صورة البخار فصار يطلب الصعود لعنصره الاعظم كما كان اذ قامت به صورة الماء يطلب عنصره الاعظم فيأخذ سفلا فهذا معنى قول عليم في هذا المنزل المختص بالاولياء والهمة المجاور لعلم المعجزة ان الاعيان لا تنقلب وقوله لحقيقتك ربك أي اذا اطلعت الى حقيقتك وجدت نفسك عبدا محضا عاجزا ميتا ضعيفا عدما لا وجود لك كمثل هذا الجوهر ما لم يلبس الصور لم يظهر له عين في الوجود فهذا العبد يلبس صور الاسماء الالهية فتظهر بها عينه فاول اسم يلبسه الوجود فيظهر موجودا لنفسه حتى يقبل جميع ما يمكن أن يقبله الوجود من حيث ما هو موجود فيقبل جميع ما يخلع عليه الحق من الاسماء الالهية فيتصف عند ذلك بالحي والقادر والعليم والمريد والسميع والبصير والمتكلم والشكور والرحيم والخالق والمصور وجميع الاسماء كما اتصف هذا الجسم بالحجر والذهب والفضة والنحاس والماء والهواء ولم تزل حقيقة الجسمية عن كل واحد مع وجود هذه الصفات كذلك لا يزول عن الانسان حقيقة كونه عبدا انسانا مع وجود هذه الاسماء الالهية فيه فهذا معنى قوله لحقيقتك ربك أي لارتباط حقيقتك بربك فلا تخلو عن صورة الهية تظهر فيها كذلك هذا الجسم لا يخلو عن صورة يظهر فيها وكما تتنوع أنت بصور الاسماء الالهية فينطلق عليك بحسب كل صورة اسم غير الاسم الآخر كذلك ينطلق على هذا الجوهر اسم الحجرية والذهبية للوصف لا لعينه فقد تبينت فيما ذكرناه الثلاثة الاقسام في خرق العوائد وهي المعجزات والكرامات والسحر وما ثم خرق عادة أكثر من هذا ولست أعني بالكرامات الا ما ظهر عن قوة الهمة لاني أريد بهذا الاصطلاح في هذا الموضع التقريب الالهي لهذا الشخص فانه قد يكون ذلك استدراجا ومكرا وانما أطلقت عليه اسم الكرامة لانه الغالب والمكر فيه قليل جدا فهذا المنزل مجاور آيات الانبياء عليهم السلام وهو العلم الجزئي من علوم الكون لا يجاور السحر فان كرامة الولي وخرق العادة له انما كانت باتباع الرسول والجري على سنته فكانها من آيات ذلك النبي اذ باتباعه ظهرت للمتحقق بالاتباع فلهذا جاورته فاقطاب هذا المنزل كل ولي ظهر عليه خرق عادة عن غير همته فيكون الى النبوة أقرب ممن ظهر عنه خرق العادة بهمته والانبياء هم العبيد على أصلهم فكذلك أقطاب هذا المنزل فكلما قربت أحوالك من أحوال الانبياء عليهم السلام كنت في العبودة أمكن وكانت لك الحجة ولم يكن للشيطان عليك سلطان كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا فلا أثر للشيطان فيهم فكذلك من قرب منهم ولما عاينت هذا المشهد قلت القصيدة التي أولها

تنزلت الاملاك ليلا على قلبي * ودارت عليه مثل دائرة القطب
حذارا من القاء اللعين اذا يرى * نزول علوم الغيب عينا على القلب

وذلك حفظ الله في مثـــل طورنا ＊ وعصمته في المرسـلين بـلا ريب

القصيدة بكمالها وهي مذكورة في أول الباب الثلاثين وثلاثمائة من هذا الكتاب وترتيب هذا الباب هو ماذكرناه من مراتب خرق العوائد وأمّا مافيه من الغرائب فالحاق البشر بالروحانيين في التمثل والحاق الروحانيين بالبشر في الصورة وظهور صورة عنهم شبيه الصورة التي يتمثلون بها قال تعالى فتمثل لها بشرا سويا يسمى روحا مثل ماهو جبريل روح فيحيي الموتى كما يحيي جبريل قال ابن عباس ماوطئ جبريل عليه السلام قط موضعا من الارض الاحيي ذلك الموضع ولهذا أخذ السامريّ قبضة من أثره حين عرفه لما جاء لموسى وقد علم ان وطأته يحيا بها ماأوطئه من الاشياء فقبض قبضة من أثر الرسول فرمى بها في العجل الذى صنعه فحيي ذلك العجل وكان ذلك القاء من الشيطان في نفس السامريّ لان الشيطان يعلم منزلة الارواح فوجد السامريّ في نفسه هذه القوّة وماعلم بانها من القاء ابليس فقال وكذلك سوّلت لي نفسي وفعل ذلك ابليس من حرصه على اضلاله بما يعتقده من الشريك لله تعالى فخرج عيسى على صورة جبريل في المعنى والاسم والصورة المثلة فالتحق البشر بالروحانيّ والتحق الروحانى بصورة البشر في نازلة واحدة ويكفي هذا القدر من هذا الباب فانه باب واسع لمريم وآسية ولحقائق الرسل عليهم السلام فيه مجال رحب فانه منزل الكمال من حصله سادعلى أبناء جنسه وظهر بها كما على صاحب الجلال والجمال وهو من مقامات أبي يزيد البسطامي والافراد والله يقول الحق وهو يهدى السبيل انتهى الجزء الحادى والعشرون

＊(بسم الله الرحمن الرحيم)＊

﴿الباب الحادى والاربعون في معرفة أهل الليل واختلاف طبقاتهم وتباينهم في مراتبهم وأسرار أقطابهم﴾

ألا ان أهـل الليل أهـل تنزل ＊ وأهل معاريج وأهـل تنقل
فمن صاعـد نحو المقام بهمة ＊ ومن نازل يبغي اللحوق بأسفل
بحكم التداني والتدلي هما وعن ＊ وجود الترقي والتلقي بمعزل
فان قلت فيهم انهم خير عصبة ＊ صـدقت فقد حلوا باكرم منزل
وان قلت فيهم انهم شرّ فتيـة ＊ صـدقت فليسوا بالنبي ولا الولي
فهم لاهمو ليسواهمو بغيرهم ＊ ولكنهم في معـقل متزلزل
عزيز الحمى بين المشاهد والنهى ＊ وبين جنوب في الهبوب وشمأل
فـامنهمو الا امام مسـوّد ＊ اذا أصبحوا نالوا المنى بالتأمل
لهم نظرة لايعرف الغير حكمها ＊ لهم سطوة في كل تاج مكلل

اعلم أيدك الله بروح منه ان الله جعل الليل لاهله مثل الغيب لنفسه فكما لايشهد أحد فعل الله في خلقه لحجاب الغيب الذى أرسله دونهم كذلك لايشهد أحد فعل أهل الليل مع الله في عباداتهم لحجاب ظلمة الليل التى أرسلها الله دونهم فهم خير عصبة في حق الله وهم شرّ فتية في حق أنفسهم ليسوا بانبياء تشريع لما ورد من غلق باب النبوّة ولا يقال في واحد منهم عندهم انه ولي لما فيه من المشاركة مع اسم الله فيقال فيهم أولياء ولايقولون ذلك عن أنفسهم وان بشروا فجعل الليل لباسا لاهله يلبسونه فيسترهم هذا اللباس عن أعين الاغيار يتمتعون في خلواتهم الليلية بحبيبهم فيناجونه من غير رقيب لانه جعل النوم في أعين الرقباء سباتا أى راحة لاهل الليل الحية كما هو راحة للناس طبيعية فاذا نام الناس استراح هؤلاء مع ربهم وخلوابه حسا ومعنى فيما يسألونه من قبول توبة واجابة دعوة ومغفرة حوبة وغير ذلك فنوم الناس راحة لهم وان الله تعالى ينزل اليهم بالليل الى السماء الدنيا فلا يبقى بينه و بينهم حجاب فلكي ونزوله اليهم رحمة بهم و يتجلى من سماء الدنيا عليهم كما ورد في الخبر فيقول كذب من ادّعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني أليس كل محب يطلب الخلوة بحبيبه ها أنا ذا قد تجليت لعبادي هل من داع فاستجيب له هل من تائب فاتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له حتى ينصدع

الفجر فأهل الليل هم الفائزون بهذه الحظوة في هذه الخلوة وهذه المسامرة في محاريبهم فهم قائمون يتلون كلامه ويفتحون أسماعهم لما يقول لهم في كلامه اذا قال يا أيها الناس يصغون ويقولون نحن الناس ما تريد منا يا ربنا في ندائك هذا فيقول لهم عز وجل على ألسنتهم بتلاوتهم كلامه الذي أنزله اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يا أيها الناس يقولون لبيك ربنا يقول لهم اتقوا ربكم الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون فيقولون يا ربنا خاطبتنا فسمعنا وفهمتنا ففهمنا فيا ربنا وفقنا واستعملنا فيما طلبته منا من عبادتك وتقواك اذ لا حول لنا ولا قوة الا بك ومن نحن حتى تنزل الينا من علو جلالك وتنادينا وتسألنا وتطلب منا يا أيها الناس يقولون لبيك ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا فيقولون يا ربنا أسمعتنا فسمعنا وأعلمتنا فعلمنا فاعصمنا وتعطف علينا فالمنصور من نصرته والمؤيد من أيدته والمخذول من خذلته يا أيها الانسان فيقول الانسان منهم لبيك يا رب ما غرك بربك الكريم فيقول كرمك يا رب فيقول صدقت يا أيها الذين آمنوا فيقولون لبيك ربنا اتقوا الله حق تقاته اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يقولون وأي قول لنا الا ما قولتنا وهل لمخلوق حول أو قوة الا بك فاجعل نطقنا ذكرك وقولنا تلاوة كتابك يا أيها الذين آمنوا فيقولون لبيك ربنا فيقول تعالى عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فيقولون ربنا أغريتنا بأنفسنا لما جعلتها علامة على العلم بك اذ قلت وفي أنفسكم أفلا تبصرون وقلت سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق والآيات ليست مطلوبة الا لما تدل عليه وأنت مدلولها فكأنك تقول في قولك عليكم أنفسكم أي الزموها وثابروا علينا وألظوا بنا ثم قلت لا يضركم من ضل أي حار وتلف حين طلبنا بفكره فأراد أن يدخلنا تحت حكم نظره وعقله اذا اهتديتم بما عرفتكم به مني في كتابي وعلى لسان رسولي فعرفتموني بما وصفت لكم به نفسي فما عرفتموني الا بي فلم تضلوا فكانت لكم هدايتي وتعريفي نورا تمشون به على صراطنا المستقيم فلا يزال دأب أهل الليل هكذا مع الله في كل آية يقرؤنها في صلاتهم وفي كل ذكر يذكرونه به حتى ينصدع الفجر قال محمد بن عبد الجبار النفرى وكان من أهل الليل أوقفني الحق في موقف العلم وذكر رضي الله عنه ما قال له الحق في موقفه ذلك فكان من جملة ما قال له في ذلك الموقف يا عبدي الليل لي لا للقرآن يتلى الليل لي لا للمحمدة والثناء يقول الله تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا فاجعل الليل لي كما هو لي فان في الليل نزولي فلا أراك في النهار في معاشك فاذا جاء الليل وطلبتك ونزلت اليك وجدتك نائما في راحتك وفي عالم حياتك وما ثم الا ليل ونهار فلا في النهار وجدتك وقد جعلته لك ولم أنزل فيه اليك وسلمته لك وجعلت الليل لي فنزلت اليك فيه لاناجيك وأسامرك واقضي حوائجك فوجدتك قد نمت عني وأسأت الادب معي مع دعواك محبتي وايثار جنابي فقم بين يدي وسلني حتى أعطيك مسألتك وما طلبتك لتتلو القرآن فتقف مع معانيه فان معانيه تفرقك عني فآية تمشي بك في جنتي وما أعددت لاوليائي فيها فاين أنا اذا كنت أنت في جنتي مع الحور المقصورات في الخيام كأنهن الياقوت والمرجان متكئا على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان تسقى من رحيق مختوم مزاجه من تسنيم وآية توقفك مع ملائكتي وهم يدخلون عليك من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وآية تستشرف بك على جهنم فتعاين ما أعددت فيها لمن عصاني وأشرك بي من سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم وترى الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة أي مسلطة في عمد ممددة أين أنا يا عبدي اذا تلوت هذه الآية وأنت بخاطرك وهمتك في الجنة تارة وفي جهنم تارة ثم تتلو آية فتمشي بك في القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وترى في ذلك اليوم من هذه الآية يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وترى العرش في ذلك اليوم تحمله ثمانية أملاك وفي ذلك اليوم تعرضون فاين أنا والليل لي فها أنت يا عبدي في النهار في معاشك وفي الليل فيما تعطيه تلاوتك من جنة ونار وعرض فأنت بين آخرة

ودنيا

ودنيا وبرزخ فما تركت لي وقتا تخلو بي فيه الا جعلته لنفسك والليل لي يا عبدي لا للمحمدة والثناء ثم تتلو آية أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فتشاهدهم في تلاوتك وتفكر في مقاماتهم وأحوالهم وما أعطيت المؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات فوقفت بالثناء والمحمدة مع كل طائفة أثنيت عليهم في كتابي فاين أنا وأين خلوتك بي ما عرفتني ولا عرفت مقدار قولي الليل لي وما عرفت لماذا نزلت اليك بالليل الا العارف المحقق الذي لقيه بعض اخوانه فقال له يا أخي اذكرني في خلوتك بربك فأجابه ذلك العبد فقال اذا ذكرتك فلست معه في خلوة فمثل ذلك عرف قدر نزولي الى السماء الدنيا بالليل ولماذا نزلت ولمن طلبت فانا أتلو كتابي عليه بلسانه وهو يسمع فتلك مسامرتي وذلك العبد هو المتلذذ بكلامي فاذا وقف مع معانيه فقد خرج عني بفكره وتأمله فالذي ينبغي له أن يصغي الي ويخلي سمعه لكلامي حتى أكون أنا في تلك التلاوة كما تلوت عليه وأسمعته أكون أنا الذي أشرح له كلامي وأترجم له عن معناه فتلك مسامرتي معه فيأخذ العلم مني لا من فكره واعتباره فلا يبالي بذكر جنة ولا نار ولا حساب ولا عرض ولا دنيا ولا آخرة فانه ما نظرها بعقله ولا بحث عن الآية بفكره وانما ألقى السمع لما أقوله له وهو شهيد حاضر معي أتولى تعليمه بنفسي فأقول له يا عبدي أردت بهذه الآية كذا وكذا وبهذه الآية الاخرى كذا وكذا هكذا الى أن ينصدع الفجر فيحصل من العلوم على يقين ما لم يكن عنده فانه مني سمع القرآن ومني سمع شرحه وتفسير معانيه وما أردت بذلك الكلام وبتلك الآية والسورة فيكون حسن الادب معي في استماعه واصاخته فان طالبته بالمسامرة في ذلك فيجيبني بحضور ومشاهدة يعرض علي جميع ما كلمته به وعلمته اياه فان كان أخذه على الاستيفاء والا فنجبر له ما نقصه من ذلك فيكون لي لا له ولا لمخلوق فمثل هذا العبد هو لي والليل بيني وبينه فاذا انصدع الفجر استويت على عرشي أدبر الامر أفصل الآيات ويمشي عبدي الى معاشه والى محادثة اخوانه وقد فتحت بيني وبينه بابا في خلق ينظر الي منه وأنظر اليه منه والخلق لا يشعرون فأحدثه على ألسنتهم وهم لا يعرفون ويأخذ مني على بصيرة وهم لا يعلمون فيحسبون انه يكلمهم وما يكلم سواي ويظنون انه يجيبهم وما يجيب الا اياي كما قال بعض أصحاب هذه الصفة

يامؤنسي بالليل ان هجع الورى * ومحدثي من بينهم بنهاري

واذقد أبنت لك عن أهل الليل كيف ينبغي أن يكونوا في ايامهم فان كنت منهم فقد علمتك الادب الخاص بأهل الله وكيف ينبغي لهم أن يكونوا مع الله واعلم أنه تختلف طبقاتهم في ذلك فالزاهد حاله مع الله في ليله من مقام زهده والمتوكل حاله مع الله من مقام توكله وكذلك صاحب كل مقام ولكل مقام لسان هو الترجمان الالهي فهم متباينون في المراتب بحسب الاحوال والمقامات وأقطاب أهل الليل هم أصحاب المعاني المجردة عن المواد المحسوسة والخيالية فهم واقفون مع الحق بالحق على الحق من غير حد ولا نهاية ووجود ضد ومن أهل الليل من يكون صاحب عروج وارتقاء ودنو فيتلقاه الحق في الطريق وهو نازل الى السماء الدنيا فيتدلى اليه فيضع كنفه عليه وكل همة من كل صاحب معراج يتلقاها الحق في ذلك النزول حيث وجدها فمن الهمم من يتلقاها الحق في السماء الدنيا ومنها من يلقاها في الثانية وفيما بينهما وفي الثالثة وفيما بينهما وفي الرابعة وفيما بينهما وفي الخامسة وفيما بينهما وفي السادسة وفيما بينهما وفي السابعة وفيما بينهما وفي الكرسي وفيما بينهما وفي العرش في أول النزول وفيما بينهما وهو مستوى الرحمن فيعطي لتلك الهمة من المعاني والمعارف والاسرار بحسب المنزل الذي لقيته فيه ثم تنزل معه الى السماء الدنيا فتقف الهمم بين يديه ويستشرف الحق على من بقي من الهمم من أهل الليل في محاريبهم وما عرجت فيلقي اليهم الحق تعالى بحسب ما يسألونه في صلاتهم ودعائهم وهم في بيوتهم وفي محاريبهم فتسمع تلك الهمم التي لقيته في طريقها ما يكون منه جل جلاله الى أولئك العبيد فيستفيدون علوما لم تكن عندهم فانه قد يخطر لهؤلاء الذين ما صعدت هممهم من السؤال للحق في المعارف والاسرار ما لم يكن في قوة هذه الهمم أن تسأله لقصورها عنها فاذا سمعوا الجواب من الحق الذي يجيب به أولئك القوم الذين في محاريبهم وما اخترقت هممهم سماء ولا فلكا فيحصل لهم من العلم بالله بقدر ما سأل عنه أولئك الاقوام ثم هم أحرار تقف فوق العرش الى مرتبة

النفس فقد تجد الحق هناك وجود تنزيه ما هو وجوده له في عالم المساحة والمقدار فيشاهدون مقاما أنزه ومنزلا أقدس وبينية لا يحدها التقدير ولا يأخذها التصوير فبينيتها بينية تمييز علوم ومراتب فهوم ومن الهمم من يلقاه في العقل الاول ومن الهمم ما تلقاه في المقربين من الارواح المهيمة ومن الهمم ما تلقاه في العماء ومن الهمم من تلقاه في الارض المخلوقة من بقية طينة آدم عليه السلام فاذا لقيته هذه الهمم في هذه المراتب أعطاها على قدر تعطشها من المقام الذي بعثها على الترقي الى هذه المراتب وينزلون معه الى السماء الدنيا وعلى الحقيقة هو ينزلهم الى السماء الدنيا وينزل معهم فيستفيدون من العلوم التي بها يهب الحق لتلك الهمم التي ما تعدت العرش هكذا كل ليلة ثم تنزل هذه الهمم وقد عرفت ما أكرمها به الحق فاجتمعت بالهمم التي ما برحت من مكانها فوجدتها على طبقات فمنهم من وجد عندهم من العلوم التي لم تتقيد بترق وكان الحق أقرب اليها من حبل الوريد حين كان مع أولئك في العماء وفي السماء الدنيا وما بينهما قال تعالى وهو معكم أينما كنتم فهو مع كل همة حيث كانت ويجدون هما أرضية قد تقدست عن الاينية وعن مراتب العقول فلم تتقيد بحضرة فتنال من العلوم التي تليق بهذه الصفة التي وهبهم الحق منها ما حصلوا عليه من المعارف ما بهت أولئك الهمم وهي من علوم الاطلاق الخارجة عن الحصر الاينى الفلكي وعن الحصر الروحاني العقلي فهم مع كونهم في ظلمة الطبيعة على نور أضاءت به تلك الظلمة لوجود المشاهدة وهؤلاء هم الذين يعرفون ان ادراك الاشياء المرئية انما هو من اجتماع نور البصر مع نور الجسم المستنير شمسا كان أو سراجا أو ما كان فتظهر المبصرات فلو فقد الجسم المستنير ما ظهر شيء ولو فقد البصر ما أضاء شيء مما يدركه البصر مع النور الخارج أصلا ألا ترى صاحب الكشف اذا أظلم الليل وانغلق عليه باب بيته ويكون معه في تلك الظلمة شخص آخر وقد تساويا في عدم الكشف للمبصرات فيكون أحدهم ممن يكشف له في أوقات فيتجلى له نور يجتمع ذلك النور مع نور البصر فيدرك ما في ذلك البيت المظلم مما أراد الله أن يكشف له منه كله أو بعضه يراه مثل ما يراه بالنهار أو بالسراج ورفيقه الذي هو معه لا يرى الا الظلمة غير ذلك لا يراه فان ذلك النور ما تجلى له حتى يجتمع بنور بصره فينفر حجاب الظلمة فلو لم يكن الامر كما ذكرناه لكان صاحب هذا الكشف مثل صاحبه لا يدرك شيأ أو يكون رفيقه مثله يدرك الاشياء فيكون اما من أهل الكشف مثله أو يدركه بنور العلم فان المكاشف يدركه بنور الخيال كما يدركه النائم ورفيقه الى جانبه مستيقظ لا يرى شيأ كذلك صاحب الكشف ولو سألت صاحب الكشف هل ترى ظلمة في حال كشفك لقال لا بل يقول أنارت البقعة حتى قلت ان الشمس ما غابت فادركت المبصرات كما أدركها نهارا وهذه المسئلة ما رأيت أحدا نبه عليها الا ان كان وما وصل الي فالكون كله في أصله مظلم فلا يرى الا بالنورين فانه يحدث هذا الامر ونظيره الذي يؤيده ايجاد العالم فانه من حيث ذاته عدم ولا يكتسب الوجود الامن كونه قابلا وذلك لامكانه واقتدار الحق المخصص المرجح وجوده على عدمه فلو زال القبول من الممكن لكان كالمحال لا يقبل الايجاد وقد اشترك المحال والممكن قبل الترجيح بالوجود في العدم كما أنه مع قبوله لو لم يكن اقتدار الحق ما وجد عين هذا المعدوم الذي هو الممكن فلم تظهر الاعيان المعدومة للوجود الا بكونها قابلة وهو مثل نور البصر وكون الحق قادرا وهو مثل نور الجسم النير فظهرت الاعيان كما ظهرت المبصرات بالنورين فكما ان الممكن لا يزال قابلا والحق مقتدرا ومريدا فيتحفظ على الممكن ابقاء الوجود اذ له من ذاته العدم كذلك الباصر لا يزال نور بصره في بصره والشمس متجلية في نورها فتحفظ الابصار المتعلق بالمبصرات وهي من ذاتها أعني المبصرات غير منورة بل هي مظلمة فاعقل ان كنت تعقل فهذا الامر أصل ضلال العقلاء وهم لا يشعرون لما لم يعقلوه وهو سر من أسرار الله تعالى جهله أهل النظر ومن هذه المسئلة يتبين لك قدم الحق وحدوث الخلق لكن على غير الوجه الذي يعقله أهل الكلام وعلى غير الوجه الذي تعقله الحكماء باللقب لا بالحقيقة فان الحكماء على الحقيقة هم أهل الله الرسل والانبياء والاولياء الا ان الحكماء باللقب أقرب الى العلم من غيرهم حيث لم يعقلوا الله الا الها وأهل الكلام من النظار ليس كذلك فاقطاب أهل الليل من يكون الليل في حقهم كالنهار كشفا وشغلا قال تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون أي تعلمون منهم في الصباح ما تعلمون منهم في الليل اذ كان ليلا عند غيرهم ممن ليس له مقام

الكشف بالليل كاصاحب النور فالليل والصباح عنده سواء فهذا معنى قوله أفلا تعقلون فان ادّعت لك نفسك انك من أهل الليل فانظر هل لك قدم وكشف فيما ذكرت لك فهو المحك والمعيار ولكل ليل فى القرآن أمور وعلوم لا يعرفها الا أهل الليل خاصة والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿ الباب الثانى والاربعون فى معرفة الفتوّة والفتيان ومنازلهم وطبقاتهم وأسرار أقطابهم ﴾

وفتيان صدق لا ملالة عندهم * لهم قدم فى كل فضل ومكرمه
مقسمة أحوالهم فى جانبهم * فهم بين توقير لقوم ومرحمه
وان جاء كفؤ آثروه بزادهم * ولا تلحق الفتيان فى ذاك مندمه
لهم من خفايا العلم كل شعيرة * وما هو موسوم لديهم بسمسمه
كنجل فتى والذى كان قبله * ومن كان منهم عن الله أعلمه
بذلك حازوا السبق فى كل حلبة * فليس يجيبون السفيه بلفظ مه
بمنسة خصوا تعالى مقامها * وليس لها ضد يسمى عثامه
فكلتا يدى ربى يمين كريمة * وان كريم القوم من كان أكرمه
اذا خلع المولى على أهله ترى * ملابسهم بين الملابس معلمه

اعلم ان للفتوة مقام القوة وما خلق الله من الطبيعة أقوى من الهواء وخلق الانسان أقوى من الهواء اذا كان مؤمنا كذا ورد فى الخبر النبوى عن الله تعالى مع الملائكة لما خلق الارض وجعلت تميد الحديث بكماله وفى آخره يارب فهل خلقت شيأ أشد من الريح قال نعم المؤمن يتصدق بيمينه ما تعرف بذلك شماله وقال تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فنعت الرزاق بالقوة لوجود الكفران بالنعم من المرزوقين فهو يرزقهم مع كفرهم به ولا يمنعهم الرزق والانعام والاحسان بكفرهم مع ان الكفر بالنعم سبب مانع يمنع النعمة فلا يرزق الكافر مع وجود الكفر منه لما رزقه الا من له القوة فلهذا نعته بذى القوة المتين فان المتانة فى القوة تضاعفها فما اكتفى سبحانه بالقوة حتى وصف نفسه بانه المتين فيها اذ كانت للقوة لها طبقات فى التمكن من القوى فوصف نفسه بالمتانة وهذه صفة أهل الفتوة فان الفتوة ليس فيها شئ من الضعف اذ هى حالة بين الطفولة والكهولة وهو عمر الانسان من زمان بلوغه الى تمام الاربعين من ولادته يقول الله تعالى فى هذا المقام الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك حال الفتوة وفيها يسمى فتى وما قرن معها شيأ من الضعف ثم قال سبحانه وتعالى ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يعنى ضعف الكهولة الى آخر العمر وشيبة يعنى وقارا أى سكونا الضعف عن الحركة فان الوقار من الوقر وهو الثقل فقرن مع هذا الضعف الثانى الشيبة التى هى الوقار فان الطفل وان كان ضعيفا فانه متحرك جدا واختلف فى حركته هل هى من الطبيعة أو من الروح روى ان ابراهيم عليه السلام لما رأى الشيب قال يارب ما هذا قال الوقار قال اللهم زدنى وقارا فهذا حال الفتوة ومقامها وأصحابها يسمون الفتيان وهم الذين حازوا مكارم الاخلاق أجمعها ولا يتمكن لاحد أن يكون حاله مكارم الاخلاق ما لم يعلم المحال التى يصرفها فيها ويظهر بها فالفتيان أهل علم وافر وقد أفردنا لها بابا فى داخل هذا الكتاب حين تكلمنا على المقامات والاحوال فمن ادّعى الفتوة وليس عنده علم بما ذكرناه فدعواه كاذبة وهو سريع الفضيحة فلا ينبغى يسمى فتى الا من علم مقادير الاكوان ومقدار الحضرة الالهية فيعامل كل موجود على قدره من المعاملة ويقدم من ينبغى أن يقدم ويؤخر ما ينبغى أن يؤخر وتفاصيل هذا المقام وحكم الطائفة فيه استوفيناه فى رسالة الاخلاق التى كتبنا بها الى فخر محمد بن عمر بن خطيب الرى رحمه الله فانا ذكرناها فى هذا الباب الاصل الذى ينبغى أن يعوّل عليه وذلك انه ليس فى وسع الانسان أن يسع العالم بمكارم أخلاقه اذ كان العالم كله وافقا مع غرضه أو ارادته لا مع ما ينبغى فلما اختلفت الاغراض والارادات وطلب كل صاحب غرض أو ارادة من الفتى أن يعامله بحسب غرضه وارادته والاغراض متضادة فيكون غرض زيد فى عمرو أن يعادى خالدا ويكون غرض خالد فى زيد أن يعادى عمرا أو غرضه أن يواليه ويحبه

ويودّه فان تفتى مع عمرو عادى خالدا وذمه خالد وأثنى عليه زيد بالفتوة وكريم الخلق وان لم يعاد خالدا ووالاه وأحبه أثنى عليه خالد وذمه زيد فلما رأينا ان الامر على هذا الحد وانه لا يعم ولم يمكن عقلا ولا عادة أن يقوم الانسان فى هذه الدنيا أو حيث كان فى مقام يرضى المتضادين انبغى للفتى أن يترك هوى نفسه ويرجع الى خالقه الذى هو مولاه وسيده ويقول أنا عبد وينبغى للعبد أن يكون بحكم سيده لا بحكم نفسه ولا بحكم غير سيده يتبع مراضيه ويقف عند حدوده ومراسمه ولا يكون ممن جعل مع سيده شريكا فى عبوديته فيكون مع سيده بحسب ما يحده له ويتصرف فيما يرسم له ولا يبالى وافق اغراض العالم أو خالفهم فان وافق منها وافق ما اتفاق راجع الى سيده فخرج له توقيع من ديوان سيده على يدى رسول قام الدليل له والعلم بانه خرج اليه من عند سيده وان ذلك التوقيع توقيع سيده فقام له اجلالا وأخذ توقيع سيده ووقع التوقيع مشافهة فشافه العبيد بما أمره السيد أن يشافههم به وذلك هو الشرع المقرر والتوقيع هو الكتاب المنزل المسمى قرآنا والرسول هو جبريل عليه السلام وحاجب الباب الذى يصل اليه الرسول الملكى من عند الله بالتوقيع والمشافهة هو النبى المبشر محمد صلى الله عليه وسلم أو أى نبى كان من الانبياء فى زمان بعثتهم فلزم العبيد مراسم سيدهم التى ضمنها توقيعه والتى جاءت بها المشافهة فلم يكن لهم فى نفوسهم ملك ولا تدبير فمن وقف عند حدود سيده وامتثل مراسمه ولم يخالفه فى شىء مما جاءه به على حد ما رسم له من غير زيادة بقياس أو رأى ولا نقصان بتأويل فعامل جنسه من الناس بما أمر أن يعاملهم به من مؤمن وكافر وعاص ومنافق وما ثم الا هؤلاء الاصناف الاربعة وكل صنف من هؤلاء على طبقات فالمؤمن منه طائع وعاص وولى ونبى ورسول وملك وحيوان ونبات ومعدن والكافر منه مشرك وغير مشرك والمنافق منه ينقص فى الظاهر عن درك الكافر فان المنافق له الدرك الاسفل من النار والكافر له الاعلى والاسفل وأما العاصى فينقص فى الظاهر عن درجة المؤمن المطيع بقدر معصيته فهذا الواقف عند مراسم سيده هو الفتى فكل انسان لا بد أن يكون جليسا لاكبر منه أو أصغر منه أو مكافئا له اما فى السن واما فى الرتبة أو فيهما فالفتى من وقر الكبير فى العلم أو فى السن والفتى من رحم الصغير فى العلم أو فى السن والفتى من آثر المكافئ فى السن أو فى العلم ولست أعنى بقولى فى العلم الا المرتبة خاصة فاتينا بالعلم لشرفه فان الملك قد يكون صغيرا فى السن صغيرا فى العلم ويكون شخص من رعيته كبيرا فى السن كبيرا فى العلم فان عرف الملك قدر ما رسم له الحق فى شرعه من توقير الكبير وشرف العلم عامله الملك بذلك وان لم يفعل فيكون الملك سيئ الملكة فينبغى للفتى أن يعرف شرف المرتبة التى هى السلطنة وانه نائب الله فى عباده وخليفته فى بلاده فيعامل من أقامه الله فيها وان لم يجر الحق على يده بما ينبغى للمرتبة من السمع والطاعة فى المنشط والمكره على حد ما رسم له سيده وما هو عليه مما أقام الله ذلك السلطان فيه من الاخلاق المحمودة أو المذمومة فى الجور والعدل فينبغى للفتى أن يوفى السلطان حقه الذى أوجبه الله له عليه ولا يطلب منه حقه الذى جعله الله له قبل السلطان مما له أن يسامحه فيه ان منعه منه فتوة عليه ورحمة به وتعظيما لمرتبته اذ كان له أن يطالبه به يوم القيامة فالفتى من لا خصم له لانه فيما عليه يؤديه وفيما له يتركه فليس له خصم فالفتى من لا تصدر منه حركة عبثا جملة واحدة ومعنى هذا ان الله سبحانه يقول وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وهذه الحركة الصادرة من الفتى مما بينهما وكذلك حركة كل متحرك خلقه الله بين السماء والارض فما هى عبث فان الخالق حكيم فالفتى من يتحرك أو يسكن لحكمة فى نفسه ومن كان هذا حاله فى حركاته فلا تكون حركته عبثا لا فى يده ولا فى رجله ولا شمه ولا أكله ولا لمسه ولا سمعه ولا بصره ولا باطنه فيعلم كل نفس فيه وما ينبغى له وما حكم سيده فيه ومثل هذا لا يكون عبثا واذا كانت الحركة من غيره فلا ينظرها عبثا فان الله خلقها أى قدرها واذا قدرها فلا تكون عبثا ولا باطلا فيكون حاضرا مع هذا عند وقوعها فى العالم فان فتح له بالعلم فى الحكمة فيها فبخ على بخ وهو صاحب عناية وان لم يفتح له فى العلم بالحكمة فيها فيكفيه حضوره فى نفسه انها حركة مقدرة منسوبة الى الله وان لله فيها سرا يعلمه الله فيؤديه هذا القدر من العلم الى الادب الالهى وهذا لا يكون الا للفتيان أصحاب القوة الحاكمين على طبائع النفوس والعادات ولا يكون فى هذا المقام من هذه الطائفة الا الملامية فان الله قد ولاهم على نفوسهم وأيدهم بروح منه عليها فلهم التصريف التام والكلمة الماضية والحكم الغالب

فهم

فهم السلاطين في صور العبيد يعرفهم الملأ الأعلى فليس أحد مما سوى الانس والجن الا ويقول بفضله الا بعض الثقلين فان الحسد يعميهم من ذلك فطبقات الفتيان هو ما ذكرناه من يعلم منهم علم الله في الحركات ومن لا يعلم علم الله في ذلك على التعيين وان علم ان ثم أمرا الهيا اطلعه الله عليه وأما منازلهم فهو الذي قلنا في أول الباب في قوله ثم جعل من بعد ضعف قوة وينظر الى هذا الايجاد من الحقائق الالهية الآية الاخرى وهي قوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فهم يعاملون الخلق بالاحسان اليهم مع اساءتهم لهم كاعطاء الله الرزق للمرزوقين الكافرين بالله ونعمه فلهم القوة العظمى على نفوسهم حيث لم يغلبهم هواهم ولا ما جبلت النفس عليه من حب الثناء والشكر والاعتراف قال تعالى حاكيا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فأطلق الله على ألسنتهم فتوة ابراهيم بلسانهم لما كانت الفتوة بهذه المثابة لانه قام في الله حق القيام ولما أحالهم على الكبير من الاصنام على نية طلب السلامة منهم فانه قال لهم فاسألوهم ان كانوا ينطقون يريد توبيخهم ولهذا رجعوا الى أنفسهم وهو قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه في كل حال وانما سمى ذلك كذبا لاضافة الفعل في عالم الالفاظ الى كبيرهم والكبير الله على الحقيقة والله هو الفاعل المكسر للاصنام بيد ابراهيم فانه يده التي يبطش بها كذا أخبر عن نفسه فكسر هذه الاصنام التي زعموا انها آلهة لهم ألا ترى المشركين يقولون فيهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فاعترفوا ان ثم الها كبيرا أكبر من هؤلاء كما هو أحسن الخالقين وأرحم الراحمين فهذا الذي قاله ابراهيم عليه السلام صحيح في عقد ابراهيم عليه السلام وانما أخطأ المشركون حيث لم يفهموا عن ابراهيم ما أراد بقوله بل فعله كبيرهم فكان قصد ابراهيم بكبيرهم الله تعالى واقامة الحجة عليهم وهو موجود في الاعتقادين وكونهم آلهة ذلك على زعمهم والوقف عليه حسن عندنا تام وابتدأ ابراهيم بقوله هذا قولي فالخبر محذوف يدل عليه مساق القصة فاسألوهم ان كانوا ينطقون فهم يخبرونكم ولو نطقت الاصنام في ذلك الوقت لنسبت الفعل الى الله لا الى ابراهيم فانه مقرر عند أهل الكشف من أهل طريقنا ان الجماد والنبات والحيوان قد فطرهم الله على معرفته وتسبيحه بحمده فلا يرون فاعلا الا الله ومن كان هذا في فطرته كيف ينسب الفعل لغير الله فكان ابراهيم على بينة من ربه في الاصنام انهم لو نطقوا لاضافوا الفعل الى الله لانه ما قال لهم سلوهم الا في معرض الدلالة سواء نطقوا أو سكتوا فان لم ينطقوا يقول لهم لم تعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنكم من الله شيأ ولا عن نفسه ولو نطقوا لقالوا ان الله قطعنا قطعا لا يمكن في الدلالة أن تقول الاصنام غير هذا فانها لو قالت الصنم الكبير فعل ذلك بنا لكذبت ويكون تقريرا من الله بكفرهم وردا على ابراهيم عليه السلام فان الكبير ما قطعهم جذاذا ولو وافق ابراهيم انه قطعنا لصدقوا في الاضافة الى ابراهيم ولم تلزم الدلالة بنطقهم على وحدانية الله ببقاء الكبير فيبطل كون ابراهيم قصد الدلالة فلم تقع ولم يصدق وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه فكانت له الدلالة في نطقهم لو نطقوا كما قررناه وفي عدم نطقهم لو لم ينطقوا ومثل هذا ينبغي ان يكون قصد الانبياء عليهم السلام فهم العلماء صلوات الله عليهم ولهذا رجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فقال الله لمثل هؤلاء أتعبدون ما تنحتون فكان من فتوته ان باع نفسه في حق أحدية خالقه لا في حق خالقه لان الشريك ما ينفي وجود الخالق وانما يتوجه على نفي الاحدية فلا يقوم في هذا المقام الا من له القطبية في الفتوة بحيث يدور عليه مقامها ومن الفتوة قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه فأطلق عليه باللسان العبراني معنى يعبر عنه في اللسان العربي بالفتى وكان في خدمة موسى عليه السلام وكان موسى في ذلك الوقت حاجب الباب فانه الشارع في تلك الامة ورسولها ولكل أمة باب خاص الى شارعهم هو حاجب ذلك الباب الذي يدخلون منه على الله تعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم هو حاجب الحجاب لعموم رسالته دون سائر الانبياء عليهم السلام فهم حجبته صلى الله عليه وسلم من آدم عليه السلام الى آخر نبي ورسول وانما قلنا انهم حجبته لقوله صلى الله عليه وسلم آدم فمن دونه تحت لوائي فهم نوابه في عالم الخلق وهو روح مجرد عارف بذلك قبل نشأة جسمه قيل له متى كنت نبيا فقال كنت نبيا وآدم بين الماء والطين أي لم يوجد جسم آدم بعد الى أن وصل زمان ظهور جسده المطهر صلى الله عليه وسلم فلم يبق حكم لنائب من نوابه من سائر الحجاب الالهيين وهم الرسل

والانبياء عليهم السلام الا عنت وجوههم لقيومية مقامه اذ كان حاجب الحجاب فقرر من شرعهم ما شاءه باذن سيده ومرسله ورفع من شرعهم ما أمر برفعه ونسخه فربما قال من لا علم له بهذا الامر ان موسى عليه السلام كان مستقلا مثل محمد بشرعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا أن يتبعني وصدق صلى الله عليه وسلم فالفتى أبدا في منزل التسخير كما قال عليه السلام خادم القوم سيدهم فمن كانت خدمته سيادته كان عبدا محضا خالصا وتفضل الفتيان بعضهم على بعض بحسب المتفتى عليه من المنزلة عند الله بوجه ومن الضعف بوجه فأعلاهم من تفتى على الاضعف من ذلك الوجه وأعلاهم أيضا من تفتى على الاعلى عند الله من ذلك الوجه الآخر فالمتفتى على الاضعف كصاحب السفرة وهو الشخص الذي أمر شيخه أن يقرب السفرة لى الاضياف فأبطأ عليهم من أجل النمل الذي كان فيها فلم ير من الفتوة أن ينفض النمل من السفرة فان من الفتوة أن يصرفها في الحيوان فوقف الى أن خرجت النمل من السفرة من ذاتها من غير أن يكون لهذا الشخص في اخراج النمل تعمل قهرى فان الفتيان لهم فتوة وليس لهم القهر الاعلى نفوسهم خاصة ومن لا قوة له لا فتوة له كأنه من لا قدرة له لا حلم له فقال له الشيخ لقد دققت فيه مراعاة الاضعف لكنه ما تفتى مع الاضياف حيث أبطأ عن المبادرة الى كرامتهم فلهذا ربطنا في أول الباب انه لا يمكن لاحد ارسال المكارم في العموم لاختلاف الاغراض فينظر الفتى في حق الشخصين المختلفي الاغراض اللذين اذا أرضى الواحد منهما أسخط الآخر وصورة نظره في حق الشخصين أيهما أقرب الى حكم الوقت والحال في الشرع فالذي هو أقرب الى حكم الوقت والحال في الشرع صرف الفتوة معه فان اتسع الوقت الى أن يتفتى مع الآخر بوجه يرضي الله فعل أيضا وان لم يتسع فقد وفى المقام حقه وكان من الفتيان بلا شك وان كان في رتبة الفعل بالهمة والفعل بالحس فعل الفتوة مع الواحد حسا ومع الآخر بالهمة دخل رجل على شيخنا أبي العباس العريبي وأنا عنده فتفاوضا في ايصال معروف فقال الرجل يا سيدنا الاقربون أولى بالمعروف فقال الشيخ من غير توقف الى الله وأخبرني أبو عبد الله محمد بن القاسم ابن عبد الكريم التميمي الفاسي قال مخبرا عن أبي عبد الله الدقاق كان بمدينة فاس وتذاكروا الفعل بالهمة فقال أبو عبد الله الدقاق فزت بواحدة مالي فيها شريك ما اغتبت أحدا قط ولا اغتيب أحد بحضرتي قط فهذا من الفعل بالهمة حيث تفتى على من عادته أن يغتاب فيكتسب الاوزار أن لا يقدر على الغيبة في مجلسه بحضوره من غير أن يكون من الشيخ نهي له عن ذلك وتفتى أيضا على الذي يذكر بما يكره بحضوره بأنه لا يذكر فيه بما يكره وكان سيد وقته في هذا الباب خرج مناقبه شيخنا أبو عبد الله بن عبد الكريم المذكور آنفا في كتاب المستفاد في ذكر الصالحين والعباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد فقد علمت على الحقيقة ان الفتى من بذل وسعه واستطاعته في معاملة الخلق على الوجه الذي يرضي الحق والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب الثالث والاربعون في معرفة جماعة من أقطاب الورعين وعامة ذلك المقام﴾

أنا ختم الولاية دون شك * لورث الهاشمي مع المسيح
كما أني أبو بكر عتيق * أجاهد كل ذي جسم وروح
بأرماح مثقفة طوال * وترجمة بقرآن فصيح
أشد على كتيبة كل عقل * تنازعني على الوحي الصريح
لي الورع الذي يسمو اعتلاء * على الاحوال بالنبأ الصحيح
وساعدني عليه رجال صدق * من الورعين من أهل الفتوح
يوالون الوجوب وكل ندب * ويستثنون سلطنة المبيح

الكلام على الورع وأهله وتركه يرد في داخل الكتاب في ذكر المقامات والاحوال منه ان شاء الله تعالى والذي يتعلق بهذا الباب الكلام على معرفة طائفة من أقطابه وعموم مقامه فاعلم ان أبا عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي كان من عامة هذا المقام وأبا يزيد البسطامي وشيخنا أبا مدين في زماننا كانا من خاصته فاعلى أقطاب الورعين اجتناب الاشتراك في

اطلاق اللفظ اذ كان الورع اجتناب المحرمات وكل ما فيه شبهة من جانب المحرّم فيجتنب لذلك الشبه وهو المعبر عنه بالشبهات أي الشئ الذي له شبه بما جاء النص الصريح بتحريمه من كتاب أو سنة أو اجماع بالحال الذي يوجب له هذا الاسم مثل أكل لحم الخنزير ان ليس له حال الاضطرار فهو عليه حرام فلهذا قلنا بالحال الذي يوجب له هذا الاسم كما أن المضطرّ ليس بمخاطب بالتحريم فأكل لحم الخنزير في حق من حاله الاضطرار هو له حلال بلا خلاف ولما كان التحريم معناه المنع من الالتباس به ورأوا ان لذلك أحوالا وانه ما ثم في الوضع شئ محرّم لعينه فلذا قيده الشارع بالاحوال وقد انسحب عليه التحريم للحال فما هو محرّم لعينه أولى بالاجتناب فلا بدّ من اجتنابه بالمناسبة وقد يحل هذا المحرّم لعينه في ظاهر الحال ما يلزمه وهذا هو التحريم الذي لا يحل أبدا من حيث معناه ولا يصح أن تجيء آية شرعية تحله وهو الاتصاف بأوصاف الحق تعالى التي بها يكون الها فواجب شرعا وعقلا اجتناب هذه الاسماء الالهية معنى وان أطلقت لفظا فينبغي أن لا تطلق لفظا على أحد الا تلاوة فيكون الذي يطلقها تاليا كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فسماه عزيزا رؤفا رحيما فنسميه بتسمية الله اياه ونعتقد انه صلى الله عليه وسلم في نفسه مع ربه عبد ذليل خاشع أوّاه منيب فاطلاق الالفاظ التي تطلق على الحق من الوجه الصحيح الذي يليق بالجناب الالهي لا ينبغي أن تطلق على أحد من خلق الله الا حيث أطلقها الحق لا غير وان أباح ذلك فالورع ما هو مع المباح ولا سيما في هذه المسئلة خاصة فلا يطلقها مع كون ذلك قد أبيح له فاذا أطلقها على من أطلقها عليه الحق أو الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون هذا المطلق تاليا أو مترجما ناقلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاطلاق ثم من الورع عند هؤلاء الرجال أن ينزلوا الى ما اختصت به الانبياء والرسل من الاطلاق فيتورّعوا أن يطلقوا عليهم أو على أحد ممن ليس بنبيّ ولا رسول اللفظ الذي اختصوا به فيطلقون على الرسل الذين ليسوا برسل الله لفظ الورثة والمترجمين فيقولون وصل من السلطان الفلاني الى السلطان الفلاني ترجمان يقول كذا وكذا فلم يطلقوا على المرسل ولا على المرسل اليه اسم الملك ورعا وأدبا مع الله وأطلقوا عليه اسم السلطان فان الملك من أسماء الله فاجتنبوا هذا اللفظ أدبا وحرمة وورعا وقالوا السلطان اذ كان هذا اللفظ لم يرد في أسماء الله وأطلقوا على الرسول الذي جاء من عنده اسم الترجمان ولم يطلقوا عليه اسم الرسول لانه قد أطلق على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه من خصائص النبوّة والرسالة الالهية أدبا مع رسل الله عليهم السلام وان كان هذا اللفظ قد أبيح لهم ولم ينهوا عنه ولكن لم يوجب عليهم فكان لزوم الادب أولى مع من عرفنا الله انه أعظم منا منزلة عنده وهذا لا يعرفه الا الادباء الورعون ثم ان لهؤلاء مرتبة أخرى في الورع وهي انهم رضي الله عنهم يجتنبون كل أمر تقع فيه المزاحمة بين الاكوان ويطلبون طريقا لا يشاركهم فيها من ليس من جنسهم ولا من مقامهم فلا يزاحمون أحدا في شئ مما يتحققون به في نفوسهم ويتصفون به ويحبون من الله أن يدعوا به في الدنيا والآخرة وهو ما يكونون عليه من الاخلاق الالهية ويكونون مع تحققهم بمعانيها وظهور أحكامها على ظواهرهم من الرحمة بعباد الله والتلطف بهم والاحسان اليهم والتوكل على الله والقيام بحدود الله ويظهرون في العالم ان جميع ما يرى عليهم ان ذلك فعل الله لا فعلهم وبيد الله لا بيدهم وان المثني عليهم بذلك الفعل انما ينبغي أن يتعلق ذلك الثناء بفاعله وفاعله هو الله جل جلاله لا نحن فيتبرؤن من أفعالهم الحسنة غاية التبرّي ومن الاوصاف المستحسنة كذلك وكل وصف مذموم شرعا وعرفا يضيفونه الى أنفسهم أدبا مع الله تعالى وورعا شافيا كما قال الخضر في العيب فأردت وفي الخير فأراد ربك وكما قال الخليل عليه السلام واذا مرضت ولم يقل أمرضني وكما قال تعالى في معرض التعليم لنا وما أصابك من سيئة فمن نفسك هذا وان كان الحق في هذا الخبر يحكي قولهم ولكن فيه تنبيه في التعليم وكما قال عليه السلام في دعائه وهو مما يؤيد ما ذهبنا اليه في التنبيه في هذه الآية فقال والخير كله بيديك فأكده بكل وهي كلمة تقتضي الاحاطة في اللسان وقال والشرّ ليس اليك وان كان لم يؤكده واكتفى بالالف واللام ونفى اضافة الشرّ أدبا مع الله وحقيقة وهذه المسئلة من أغمض المسائل الالهية عند أهل الله خاصة وأمّا أهل النظر فقد اعتمدت كل طائفة منهم على ما اقتضاه دليلها في زعمها وهؤلاء الرجال الغالب عليهم

فهم مقاصد الشرع بجزوامعه على مقصده وذلك من بركة الورع والاحترام الذي احترموا به الجناب الالهي حقيقة لا مجازا فتح الله لهم بأدبهم عين الفهم في كتبه وفيما جاءت به رسله مما لا تستقل العقول بادراكه وما تستقل لكن أخذوه عن الله لا عن نظرهم ففهموا من ذلك كله بهذه العناية ما لم يفهم من لم يتصف بهذه الصفة ولم يكن له هذا المقام ولما كان هذا حال الورعين سلكوا في أمورهم وحركاتهم مسالك العامة فلم يظهر عليهم ما يتميزون به عنهم واستتروا بالاسباب الموضوعة في العالم التي لا يقع الثناء بها على من تلبس بها فلم ينطق على هؤلاء الرجال في العموم اسم صلاح يخرجهم عن صلاح العامة ولا توكل ولا زهد ولا ورع ولا شئ مما يقع عليه اسم ثناء خاص يخرجون به عن العامة ويشار اليهم فيه مع انهم أهل ورع وتوكل وزهد وخلق حسن وقناعة وسخاء وايثار فأمثال هذا كله اجتنب رجال الله من هؤلاء الطبقة فسموا ورعين في اصطلاح أهل الله لان الورع الاجتناب وتدبر ما أحسن قول من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم كيف قال في هذا المقام يعلم رجاله كيف يكونون فيه دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال استفت قلبك وان أفتاك المفتون فأحالهم على قلوبهم لما علم ما فيها من سر الله الحاوية عليه في تحصيل هذا المقام فهي القلوب عصمة الهية لا يشعر بها الا أهل المراقبة وفيه سترهم فان هؤلاء الرجال لو سألوا وعرف منهم البحث والتفتيش في مثل هذا عند الناس وعند العلماء الذين سئلوا في ذلك بالضرورة كان يشار اليهم ويعتقد فيهم الدين الخالص كبشر الحافي وغيره وهو من أقطاب هذا المقام عرف به وسلم له حتى ان أخت بشر الحافي سألت أحد أئمة الدين في الغزل الذي تغزله في ضوء مشاعل الظاهرية اذا مروا بها ليلا وهي على سطحها اذ عرفت بهذا السؤال انها من أهل الورع ولو عملت على حديث استفت قلبك لعلمت انها ما سألت حتى رابها فكانت تدع ذلك الغزل أو لا تغزل بعد ذلك وتترك الغزل فأفتاها الامام المسؤل وهو أحمد بن حنبل وأثنى عليها بذلك حتى نقل الينا وسطر في الكتب فأعطانا صلى الله عليه وسلم الميزان في قلوبنا ليكون مقامنا مستورا عن الاغيار خالصا لله مخلصا لا يعلمه الا الله ثم صاحبه وهو قوله ألا لله الدين الخالص فكل دين وقع فيه ضرب من الاشتراك المحمود أو المذموم فما هو بالدين الخالص الذي لله ان كان الذي وقع به الاشتراك محمودا كمسئلة أخت بشر الحافي وان وقع الاشتراك بالمذموم فليس بدين أصلا فانه ليس ثم دين الهي يتعلق به لسان ذم فلما رأى رجال هذا المقام مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم ما يحصل في قلب العبد مما قاله وما أحال به الانسان على نفسه باجتنابه طلبا للستر تعملوا في تحصيل ذلك وسلكوا عليه وعلموا ان النجاة المطلوبة من الشارع لنا انما هي في ستر المقام فأعطاهم العمل على هذا والتحقق به الحقيقة الالهية التي استندوا اليها في ذلك وهو اجتنابه التجلي منه سبحانه لعموم عباده في الدنيا فاقتدوا بربهم في احتجابه عن خلقه فعلم هؤلاء الرجال ان هذه الدار دار ستر وان الله ما اكتفى في التعريف بالدين حتى نعته بالخالص فطلبوا طريقا لا يشوبهم فيها شئ من الاشتراك حتى يعاملوا الموطن بما يستحقه أدبا وحكمة وشرعا واقتداء فاستتروا عن الخلق بجنن الورع الذي لا يشعر به وهو ظاهر الدين والعلم المعهود فانهم لو سلكوا غير المعهود في الظاهر في العموم من الدين لتميزوا وجاء الامر على خلاف ما قصدوه فكانت أسماؤهم أسماء العامة فهؤلاء الرجال يحمدهم الله وتحمدهم الاسماء الالهية القدسية وتحمدهم الملائكة وتحمدهم الانبياء والرسل وتحمدهم الحيوان والنبات والجماد وكل شئ يسبح بحمد الله وأما الثقلان فيجهلونهم الا أهل التعريف الالهي فانهم يحمدونهم ولا يظهرونهم وأما غير أهل التعريف الالهي من الثقلين فهم فيهم مثل ما هم في حق العامة يذكرونهم بحسب أغراضهم فيهم لا غير فلهم المقام المجهول في العامة أما ثناء الله عليهم فلتعملهم استخلاصهم لله خلصوا له دينه فأثنى عليهم حيث لم يملكهم كون ولا حكم على عبوديتهم رب غير الله وأما ثناء الاسماء الالهية عليهم فكونهم تلقوها وعلموا تأثيرها وما أثروها في كون من الاكوان فيذكرون بذلك الامر الذي هو لذلك الاسم الالهي فيكون حجابا على ذلك الاسم فلما لم يفعلوا ذلك وأضافوا الاثر الصادر على أيديهم للاسم الالهي الذي هو صاحب الاثر على الحقيقة حمدتهم الاسماء الالهية بأجمعها وأما ثناء الملائكة فلانهم ما زاحموهم فيما نسبوه الى أنفسهم بالنسبة لا بالفعل في قولهم نحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال هؤلاء الرجال لا حول ولا قوة الا بك فلم يدعوا في شئ مما هم عليه من

تعظيم الله ونسبوا ذلك الى الله فاثنت عليهم الملائكة فانها مع هذه الحال لم تجرح الملائكة وتأدبت معها حيث لم تتعرض للطعن عليها بما صدر منها فى حق أبيها آدم عليه السلام واعتذرت عن الملائكة لايثارهم جناب الحق واصابتهم العلم فانه وقع ماقالوه فى بنى آدم لاشك من الفساد وسفك الدماء وهذا امر معلوم وأما ثناء الانبياء والرسل عليهم السلام فلكونهم سلموا لهم ماادعوه انه لهم من النبوة والرسالة وآمنوا بهم وماتوقفوا مع كونهم على أحوالهم من أجزاء النبوة فقد اتصفوا بها ولكن مع هذا لم يتسموا بانبياء ولا برسل وأخلصوا فى اتباع آثارهم فيما يقدم كما روى عن الامام أحمد بن حنبل المتبع المقتدى سيد وقته فى تركه أكل البطيخ لانه ماثبت عنده كيف كان يأكله رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل ذلك على قوة اتباعه كيفيات أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم فى حركاته وسكناته وجميع أفعاله وأحواله وانما عرف هذا منه لانه كان فى مقام الوراثة فى التبليغ والارشاد بالقول والعمل والحال لان ذلك أمكن فى نفس السامع فهو وامثاله حفاظ الشريعة على هذه الامة وأما ثناء الحيوان والنبات والجماد عليهم فان هؤلاء الاصناف عرفوا الحركات التى تسمى عبثا من التى لاتسمى عبثا فكل من تحرك فيهم بحركة تكون عبثا عند المتحرك بها الاعند المحرك يعلم الناظر منهم المشاهد لتلك الحركة العبثية انه صاحب غفلة عن الله ورأت هذه الطائفة انها لاتتحرك فى حيوان ولا نبات ولا جماد بحركة تكون عبثا ويلحق بهذا الباب صيد الملوك ومن لاحاجة له بذلك الا الفرجة واللهو واللعب فاثنى من ذكرناه من هؤلاء الاصناف على هذه الطائفة فالله يقول وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم انه كان حليما بامهال الحكم حيث لم يؤاخذكم سريعا بما رددتم من ذلك غفورا حيث ستر عنكم تسبيح هؤلاء فلم تفقهوه وقال تعالى فى حال من مات ممقوتا عند الله فما بكت عليهم السماء والارض فوصف السماء والارض بالبكاء على أهل الله ولا يشك مؤمن فى كل شئ انه مسبح وكل مسبح حى عقلا وورد ان العصفور يأتى يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لم قتلنى عبثا وكذلك من يقطع شجرة لغير منفعة أو ينقل حجرا لغير فائدة تعود على أحد من خلق الله فلما أعطى الله هذه المعارف لهؤلاء الاصناف لذلك وصفنا بالثناء على هؤلاء الرجال وعرفت ذلك منهم كشفا حسيا مثل ما كان للصحابة سماع تسبيح الحصا وتسبيح الطعام لانهم ليس بينهم وبين الحركة العبثية دخول بل يجتنبون ذلك جملة واحدة ولما جهل أكثر الثقلين هذه العلوم لذلك لايعرفون مراتب هؤلاء الرجال فلا يمدحونهم ولايتعرضون اليهم ولهذا أخبر تعالى ان كل شئ فى العالم يسجد لله تعالى من غير تبعيض الا الناس فقال ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ولم يبعض وكثير من الناس فبعض فان فهمت ماذكرناه لك من صفة أصحاب هذا المقام وسلكت طريقهم كنت من المفلحين الفائزين والله يقول الحق وهو يهدى السبيل انتهى الجزء الثالث والعشرون

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿الباب الرابع والاربعون فى البهاليل وأئمتهم فى البهللة﴾

اذا كنت فى طاعة راغبا * فلاتكسها حلة الآجل
وكن كالبهاليل فى حالهم * مع الوقت يجرون كالعاقل
وحوصل من السنبل الحاصل * ولاتصبرن الى قابل *
فحوصلة الرزق قد هيئت * ليحصل ماليس بالحاصل
ولا تبكين على فائت * يفتك الذى هو فى العاجل
وسوف فلاتلتفت حكمها * ولا السين وارحل مع الراحل
عسالك اذا كنت ذا عزمة * ومت حصلت على طائل
وقل للذى لم يزل وانيا * تخبطت فى شرك الحابل

وماظفرت كفكم بالذى * تريد فياخيبة السائل

فلو كان فعلك فى أمره * كفعل الفتى الحذر الواجل

لميزت بينى وبين الذى * يجلى لك الحق كالباطل

يقول الله تعالى وترى الناس سكارى وماهم بسكارى وذلك ان لله قوما كانت عقولهم محجوبة بما كانوا عليه من الاعمال التى كلفهم الحق تعالى فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم التصرف فيها شرعا وشرعها لهم ولم يكن لهم علم بأن لله تعالى الحق بجأة ان خلا به فى سره وأطاعه فى أمره وهيأ قلبه لنوره من حيث لايشعر ففجأه الحق على غفلة منه بذلك وعدم علم واستعداد طائل أمر فذهب بعقله فى الذاهبين وأبقى تعالى ذلك الامر الذى فجأه مشهودا له فهام فيه ومضى معه فبقى فى عالم شهادته بروحه الحيوانى يأكل ويشرب ويتصرف فى ضروراته الحيوانية تصرف الحيوان المفطور على العلم بمنافعه المحسوسة ومضاره من غير تدبير ولاروية ولافكر ينطق بالحكمة ولاعلم له بها ولايقصد نفعك بها لتتعظ وتتذكر ان الامور ليست بيدك وانك عبد مصرف بتصريف حكيم وسقط التكليف عن هؤلاء اذليس لهم عقول يقبلون بها ولايفقهون بها تراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون خذ العفو أى القليل مما يجرى الله على ألسنتهم من الحكم والمواعظ وهؤلاء هم الذين يسمون عقلاء المجانين يريدون بذلك ان جنونهم ما كان سببه فساد مزاج عن أمر كونى من غذاء أوجوع أوغير ذلك وانما كان عن تجلى الهى لقلوبهم وفجأة من فجآت الحق فجأتهم فذهبت بعقولهم فعقولهم محبوسة عنده منعمة بشهوده عاكفة فى حضرته متنزهة فى جماله فهم أصحاب عقول بلاعقول وعرفوا فى الظاهر بالمجانين أى المستورين عن تدبير عقولهم فلهذا سموا عقلاء المجانين قيل لابى السعود بن الشبل البغدادى عاقل زمانه ما تقول فى عقلاء المجانين من أهل الله فقال رضى الله عنه هم ملاح والعقلاء منهم أملح قيل له فبماذا نعرف مجانين الحق من غيرهم فقال مجانين الحق تظهر عليهم آثار القدرة والعقلاء يشهدون الحق بشهودهم أخبرنى بذلك عنه صاحبه أبو البدر التماشكى رحمه الله وكان ثقة ضابطا عارفا بما ينقل لايجهل فاء مكان واو فقال الشيخ من شاهد ماشاهدوا وأبقى عليه عقله فذلك أحسن وأمكن فانه قد أقيم وأعطى من القوة قريبا مما أعطيت الرسل وان تغير وافى وقت الفجآت فقد علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فجأه الوحى جئث منه رعبا فأتى خديجة ترجف بوادره فقال زملونى زملونى وذلك من تجلى ملك فكيف به بتجلى ملك فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه الوحى ونزل الروح الامين به على قلبه أخذ عن حسه وسجى وربما كان يرغو البعير حتى ينفصل عنه وقد وعى ماجاءبه فيلقيه على الحاضرين ويبلغه للسامعين فواجده صلى الله عليه وسلم من تجليات ربه على قلبه أعظم سطوة من نزول ملك وارد فى الوقت الذى لم يكن يسعه فيه غير ربه ولكن كان منتظرا استمداد ذلك الهول ومع هذا يؤخذ عن نفسه فلولا انه رسول مطلوب بتبليغ الرسالة وسياسة الامة لذهب الله بعقول الرسل لعظيم مايشاهدونه فمكنهم الله القوى المتين من القوة بحيث يتمكنون من قبول مايرد عليهم من الحق ويوصلونه الى الناس ويعملون به فاعلم ان الناس فى هذا المقام على احدى ثلاث مراتب منهم من يكون وارده أعظم من القوة التى يكون فى نفسه عليها فيحكم الوارد عليه فيغلب عليه الحال فيكون بحكمه يصرفه الحال ولاتدبير له فى نفسه مادام فى ذلك الحال فان استمر عليه الى آخر عمره فذلك المسمى فى هذه الطريقة بالمجنون كأبى عقال المغربى ومنهم من يمسك عقله هنالك ويبقى عليه عقل حيوانيته فيأكل ويشرب ويتصرف من غير تدبير ولا روية فهؤلاء يسمون عقلاء المجانين لتناولهم العيش الطبيعى كسائر الحيوانات وأمامثل أبى عقال فمجنون مأخوذ عنه بالكلية ولهذا ماأكل وماشرب من حين أخذ الى ان مات وذلك فى مدة أربع سنين بمكة فهو مجنون أى مستور مطلق عن عالم حسه ومنهم من لايدوم له حكم ذلك الوارد فيزول عنه الحال فيرجع الى الناس بعقله فيدبر أمره ويعقل مايقول ويقال له ويتصرف عن تدبير وروية مثل كل انسان وذلك هو النبى وأصحاب الاحوال من الاولياء ومنهم من يكون وارده وتجليه مساويا لقوته فلايرى عليه أثر من ذلك حاكم لكن يشعر عنده مايبصر ان ثم أمرا ماطرأ عليه

شعورا خفيا فانه لا بدّ لهذا أن يصغي اليه أي الى ذلك الوارد حتى يأخذ عنه ما جاءه به من عند الحق فحاله كحال جليسك الذي يكون معك في حديث فيأتي شخص آخر في أمر من عند الملك اليه فيترك الحديث معك ويصغي الى ما يقول له ذلك الشخص فاذا أوصل اليه ما عنده رجع اليك فحادثك فلو لم تبصره عينك ورأيته يصغي الى أمر شعرت ان ثم أمرا شغله عنك في ذلك كرجل يحدثك فاخذته فكرة في أمر فصرف حسه اليه في خياله فجمدت عينه ونظره وأنت تحدثه فتنظر اليه غير قابل حديثك فتشعر ان باطنه متفكر في أمر آخر خلاف ما أنت عليه ❁ ومنهم من تكون قوته أقوى من الوارد فاذا أتاه الوارد وهو معك في حديث لم تشعر به وهو يأخذ من الوارد ما يلقي اليه ويأخذ عنك ما تحدثه به أو يحدثك به وما ثم أمر رابع في واردات الحق على قلوب أهل هذه الطريقة وهي مسئلة غلط فيها بعض أهل الطريق في الفرق بين النبيّ والوليّ فقالوا الانبياء يصرفون الاحوال والاولياء تصرّفهم الاحوال فالانبياء مالكون أحوالهم والاولياء مملوكون لاحوالهم والامر انما هو كما فصلناه لك وقد بينا لك لماذا يردّ الرسول ويحفظ عليه عقله مع كونه يؤخذ ولا بد عن حسه في وقت وارد الحق على قلبه بالوحي المنزل فافهم ذلك وتحققه وقد لقينا جماعة منهم وعاشرناهم واقتبسنا من فوائدهم ولقد كنت واقفا على واحد منهم والناس قد اجتمعوا عليه وهو ينظر اليهم وهو يقول لهم أطيعوا الله يا مساكين فانكم من طين خلقتم وأخاف عليكم أن تطبخ النار هذه الاواني فتردّها فخارا فهل رأيتم قط آنية من طين تكون فخارا من غير أن تطبخها نار يا مساكين لا يغرنكم ابليس بكونه يدخل النار معكم وتقولون الله يقول لأملأنّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ابليس خلقه الله من نار فهو يرجع الى أصله وأنتم من طين تتحكم النار في مفاصلكم يا مساكين انظروا الى اشارة الحق في خطابه لابليس بقوله لأملأنّ جهنم منك وهنا قف ولا تقرأ ما بعدها فقال له جهنم منك وهو قوله خلق الجانّ من مارج من نار فمن دخل بيته وجاء الى داره واجتمع بأهله ما هو مثل الغريب الوارد عليه فهو رجع الى ما به افتخر قال أنا خير منه خلقتني من نار فسروره رجوعه الى أصله وأنتم يا مناحيس تفتخر بالنار طينتكم فلا تسمعوا من ابليس ولا تطيعوا واهربوا الى محل النور تسعدوا يا مساكين أنتم عمي ما تبصرون الذي أبصره أنا تقولون سقف هذا المسجد ما يمسكه الا هذه الاسطوانات أنتم تبصرونها اسطوانات من رخام وأنا أبصرها رجالا يذكرون الله ويمجدونه بالرجال تقوم السموات فكيف هذا المسجد ما أدري اما أنا هو الاعمى لا أبصر الاسطوانات حجارة واما أنتم هم العمي لا تبصرون هذه الاسطوانات رجالا والله يا اخوتي ما أدري لا والله أنتم هم العمي ثم استشهدني دون الجماعة فقال يا شاب ألست أقول الحق قلت بلى ثم جلست الى جانبه فجعل يضحك وقال يا ناس الاسماء المنتنة تصفر بعضها البعض وهذا الشاب منتن مثلي هذه المناسبة جعلته يجلس الى جانبي ويصدقني أنتم الساعة تحسبونه عاقلا وأنا مجنون هو أجن مني بكثير وانما أنتم كما أعماكم الله عن رؤية هذه الاسطوانات رجالا أعماكم أيضا عن جنون هذا الشاب ثم أخذ بيدي وقال قم امش بنا عن هؤلاء فخرجت معه فلما فارق الناس ترك يدي من يده وانصرف عني وهو من أكبر من لقيته من المتوهين كنت اذا سألته ما الذي ذهب بعقلك يقول لي أنت هو المجنون حقا ولو كان لي عقل كنت تقول لي ما الذي ذهب بعقلك أين عقلي حتى يخاطبك قد أخذه معه ما أدري ما يفعل به وتركني هنا في جملة الدواب آكل وأشرب وهو يدبرني قلت له فمن يركبك اذا كنت دابة قال أنا دابة وحشية لا أركب ففهمت انه يريد خروجه عن عالم الانس وانه في مفاوز المعرفة فلا حكم للانس عليه وكذلك كان محفوظا من أذى الصبيان وغيرهم كثير السكوت مبهوتا دائم الاعتبار يلازم المسجد ويصلي في أوقات فربما كنت أسأله عند ما أراه يصلي أقول له أراك تصلي يقول لي لا والله انما أراه يقيمني ويقعدني ما أدري ما يريد بي أقول له فهل تنوي في صلاتك هذه أداء ما افترض الله عليك فيقول لي أي شيء تكون النية أقول له القصد بهذه الاعمال القربة اليه فيضحك ويقول أنا أقول له أراه يقيمني ويقعدني فكيف أنوي القربة الى من هو معي وأنا أشهده ولا يغيب عني هذا كلام المجانين ما عندكم عقول ثم لتعلم انّ هؤلاء البهاليل كبهلول وسعدون من المتقدمين وأبي وهب الفاضل وأمثالهم منهم المسرور ومنهم المحزون وهم في ذلك بحسب الوارد الاوّل الذي ذهب بعقولهم فان كان وارد قهر قبضهم كيعقوب

الكوراني كان بالجسر الابيض رأيته وكان على هذا القدم وكذلك مسعود الحبشي رأيته بدمشق ممتزجا بين القبض والبسط الغالب عليه البهت وان كان وارد لطف بسطهم رأيت من هذا الصنف جماعة كابي الحجاج الفليري وأبي الحسن علي السلاوي والناس لا يعرفون ماذهب بعقولهم شغلهم ماتجلى لهم عن تدبير نفوسهم فسخر الله لهم الخلق فهم مشتغلون بمصالحهم عن طيب نفس فأشهى ما الى الناس أن يأكل كل واحد من هؤلاء عنده أو يقبل منه ثوبا تسخيرا الهيا فجمع الله لهم بين الراحتين حيث يأكلون مايشتهون ولا يحاسبون ولا يسئلون وجعل لهم القبول في قلوب الخلق والمحبة والعطف عليهم واستراحوا من التكليف ولهم عند الله أجر من أحسن عملا في مدة أعمارهم التي ذهبت بغير عمل لانه سبحانه هو الذي أخذهم اليه فحفظ عليهم نتائج الاعمال التي لو لم يذهب بعقولهم لعملوها من الخير كمن بات نائما على وضوء وفي نفسه أن يقوم من الليل يصلي فيأخذ الله بروحه فينام حتى يصبح فان الله يكتب له أجر من قام ليله لانه الذي حبسه عنده في حال نومه فالمخاطب بالتكليف منهم وهو روحهم غائب في شهود الحق الذي ظهر سلطانه فيهم فمالهم أذن واعية لحفظ السماع من خارج وتعقل ماجاء به ولقد ذقت هذا المقام ومر علي وقت أودي فيه الصلوات الخمس اماما بالجماعة على ماقيل لي باتمام الركوع والسجود وجميع أحوال الصلاة من أفعال وأقوال وأنا في هذا كله لا علم لي بذلك لا بالجماعة ولا بالمحل ولا بالحال ولا بشئ من عالم الحس لشهود غلب علي غبت فيه عني وعن غيري وأخبرت اني كنت اذا دخل وقت الصلاة أقيم الصلاة وأصلي بالناس فكان حالي كالحركات الواقعة من النائم ولا علم له بذلك فعلمت ان الله حفظ علي وقتي ولم يجر على لساني ذنب كما فعل بالشبلي في ولهه لكنه كان الشبلي يرد في أوقات الصلوات على ماروي عنه فلا أدري هل كان يعقل رده أو كان مثل ما كنت فيه فان الراوي مافصل فلما قيل للجنيد عنه قال الحمد لله الذي لم يجر عليه لسان ذنب الا اني كنت في أوقات في حال غيبتي أشاهد ذاتي في النور الاعم والتجلي الاعظم بالعرش العظيم يصلي بها وأنا عري عن الحركة بمعزل عن نفسي وأشاهدها بين يديه راكعة وساجدة وأنا أعلم اني أنا ذلك الراكع والساجد كرؤية النائم واليد في ناصيتي وكنت أتعجب من ذلك واعلم أن ذلك ليس غيري ولا هو أنا ومن هنالك عرفت المكلف والتكليف والمكلف اسم فاعل واسم مفعول فقد أبنت لك حالة المأخوذين عنهم من الجانبين الالهيين ابانة ذائق بشهود حاصل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب الخامس والاربعون في معرفة من عاد بعد ما وصل ومن جعله يعود﴾

وجودك عن تدبير أمر محقق * وتفصيل آيات لوانك تعقل

فياأيها الانسان ماغر ذاتكم * برب يرى الاشياء تعلو وتسفل

فان كنت ذا عقل وفهم وفطنة * علمت الذي قد كنت بالامس تجهل

وذلك ان تدري بأنك قابل * لقرب وبعد بالذي أنت تعمل

نخف رب تدبير وتفصيل مجمل * فذاك الذي بالعبد أولى وأجمل

اذا كان هذا حالك اليوم دائبا * لعل بشارات بسعدك تحصل

فان جلال الحق يعظم قدره * وفي الخلق يقضي مايشاء ويفصل

اذا أخذ المولى قلوب عباده * اليه ويقضي مايشاء ويعدل

فمن شاء أبقاه لديه مكرما * ورد الذي قد شاء لما كان يأمل

وذاك نبي أو رسول ووارث * وماثم الا هؤلاء فأجملوا

ولم يبق الا واحد وهو وارث * والاثنان قد راحا فمالك تعدل

فسبحان من خص الولي براحة * ليغبطه فيها الذي هو أفضل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء ماورثوا دينارا ولا درهما ورثوا العلم ولما كانت حالته صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وفقه لعبادته بدين ابراهيم الخليل عليه السلام

فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه عناية من الله سبحانه به صلى الله عليه وسلم الى أن جاءه الحق فجاءه الملك فسلم عليه بالرسالة وعرّفه بنبوّته فلما تقرّرت عنده أرسل الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فبلغ الرسالة وأدّى الامانة ودعا الى الله عز وجل على بصيرة فالوارث الكامل من الاولياء منا من انقطع الى الله بشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن فتح الله له فى قلبه فى فهم ما أنزل الله عز وجل على نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بتجل الهىّ فى باطنه فرزقه الفهم فى كتابه عز وجل وجعله من المحدّثين فى هذه الامة فقام له هذا مقام الملك الذى جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردّه الله الى الخلق يرشدهم الى صلاح قلوبهم مع الله ويفرّق لهم بين الخواطر المحمودة والمذمومة ويبين لهم مقاصد الشرع وما ثبت من الاحكام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لم يثبت باعلام من الله أتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما فيرقى هممهم الى طلب الانفس بالمقام الاقدس ويرغبهم فيما عند الله كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تبليغ رسالته غير ان الوارث لا يحدث شريعة ولا ينسخ حكما مقررا لكن يبين فانه على بينة من ربه وبصيرة فى علمه ويتلوه شاهد منه بصدق اتباعه وهو الذى أشركه الله تعالى مع رسوله صلى الله عليه وسلم فى الصفة التى يدعو بها الى الله فأخبر وقال ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وهم الورثة فهم يدعون الى الله على بصيرة وكذلك شركهم مع الانبياء عليهم السلام فى المحنة وما ابتلوا به فقال ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وهم الورثة فشرك بينهم فى البلاء كما شرك بينهم فى الدعوة الى الله فكان شيخنا أبو مدين رضى الله عنه كثيرا ما يقول من علامات صدق المريد فى ارادته فراره عن الخلق وهذه حالة الرسول صلى الله عليه وسلم فى خروجه وانقطاعه عن الناس فى غار حراء للتحنث ثم يقول ومن علامات صدق فراره عن الخلق وجوده للحق فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث فى انقطاعه حتى فجأه الحق ثم قال ومن علامات صدق وجوده للحق رجوعه الى الخلق يريد حالة بعثه صلى الله عليه وسلم بالرسالة الى الناس ويعنى فى حق الورثة بالارشاد وحفظ الشريعة عليهم فأراد الشيخ بهذا صفة الكمال فى الورث النبوىّ فان لله عبادا اذا فجأهم الحق أخذهم اليه ولم يردهم الى العالم وشغلهم به وقد وقع هذا كثيرا ولكن كمال الورث النبوىّ الرسالى فى الرجوع الى الخلق فان اعترضك هنا قول أبى سليمان الدارانىّ لو وصلوا ما رجعوا انما ذلك فيمن رجع الى شهواته الطبيعية ولذاته وما تاب منه الى الله وأمّا الرجوع الى الله تعالى بالارشاد فلا يقول لو لاح لهم بارقة من الحقيقة ما رجعوا الى ما تابوا الى الله منه ولو رأوا وجه الحق فيه فان موطن التكليف والادب يمنعهم من ذلك وأمّا قول الآخر من أكابر الرجال لما قيل له فلان يزعم انه وصل فقال الى سقر فانه يريد بهذا انه من زعم ان الله محدود يوصل اليه وهو القائل وهو معكم أينما كنتم أو ثم أمر اذا وصل اليه سقطت عنه الاعمال المشروعة وانه غير مخاطب بها مع وجود عقل التكليف عنده وان ذلك الوصول أعطاه ذلك فهو هذا الذى قال فيه الشيخ الى سقر أى هذا لا يصح بل الوصول الى الله بقطع كل ما دونه حتى يكون الانسان يأخذ عن ربه فهذا لا تمنعه الطائفة بلا خلاف وكان شيخنا أبو يعقوب يوسف بن يخلف الكومىّ يقول بيننا وبين الحق المطلوب عقبة كؤود ونحن فى أسفل العقبة من جهة الطبيعة فلا نزال نصعد فى تلك العقبة حتى نصل الى أعلاها فاذا استشرفنا على ما وراءها من هناك لم نرجع فان وراءها ما لا يمكن الرجوع عنه وهو قول أبى سليمان الدارانىّ لو وصلوا ما رجعوا يريد الى رأس العقبة فمن رجع من الناس انما رجع من قبل الوصول الى رأس العقبة والاشراف على ما وراءها فالسبب الموجب للرجوع مع هذا انما هو طلب الكمال ولكن لا ينزل بل يدعوهم من مقامه ذلك وهو قوله على بصيرة فيشهد فيعرف المدعوّ على شهود محقق والذى لم يردّ ما له وجه الى العالم فيبقى هناك واقفا وهو أيضا المسمى بالواقف فانه ما وراء تلك العقبة تكليف ولا ينحدر منها الا من مات الا أنه منهم أعنى من الواقفين من يكون مستهلكا فيما يشاهده هنالك وقد وجد منهم جماعة وقد دامت هذه الحالة على أبى يزيد البسطامىّ وهذا كان حال أبى عقال المغربىّ وغيره واعلم انه بعد ما أعلمتك ما معنى الوصول الى الله ان الواصلين على مراتب منهم من يكون وصوله الى اسم ذاتىّ لا يدل الا على الله تعالى من حيث هو دليل على الذات كالاسماء الاعلام عندنا لا تدل على معنى آخر مع

ذلك يعقل فهذا يكون حاله الاستهلاك كالملائكة المهيمين فى جلال الله تعالى والملائكة الكروبيين فلا يعرفون سواه ولا يعرفهم سواه سبحانه ومنهم من يصل الى الله من حيث الاسم الذى أوصله الى الله أو من حيث الاسم الذى يتجلى له من الله و يأخذه من الاسم الذى أوصله اليه سبحانه ثم ان هذين الرجلين المذكورين أو الشخصين فانه قد يكون منهم النساء اذا وصلوا فان كان وصولهم من حيث الاسم الذى أوصلهم فشاهدوه فكان لهم عين يقين فلا يخلو ذلك الاسم امّا أن يطلب صفة فعل كالخالق والبارئ أو صفة صفة كالشكور والحسيب أو صفة تنزيه كالغنىّ فيكون بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم ومن ثم يكون مشربه وذوقه وريه ووجوده لا يتعدّاه فيكون الغالب عليه عندنا فى حاله ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم الالهىّ فتضيفه اليه وبه تدعوه فتقول عبد الشكور وعبد البارى وعبد الغنىّ وعبد الجليل وعبد الرزاق وان كان وصولهم الى اسم غير الاسم الذى أوصلهم فانه يأتى بعلم غريب لا يعطيه حاله بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم فيتكلم بغرائب العلم فى ذلك المقام وقد يكون فى ذلك العلم ما ينكره عليه من لا علم له بطريق القوم و يرى الناس ان علمه فوق حاله وهو عندنا أعلى من الذى وصل الى مشاهدة الاسم الذى أوصله فان هذا لا يأتى بعلم غريب لا يناسب حاله فيرى الناس ان علمه تحت حاله ودونه يقول أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه العارف فوق ما يقول والعالم تحت ما يقول فبهذا قد حصرنا لك مراتب الواصلين فمنهم من يعود ومنهم من لا يعود ثم ان الراجعين على قسمين منهم من يرجع اختيارا كأبى مدين ومنهم من يرجع اضطرارا مجبورا كأبى يزيد لما خلع عليه الحق الصفات التى بها ينبغى أن يكون وارثا وراثة ارشاد وهداية خطا خطوة من عنده فغشى عليه فاذا النداء ردّوا علىّ حبيبى فلا صبر له عنى فمثل هذا لا يرغب فى الخروج الى الناس وهو صاحب حال وأمّا العالى من الرجال وهم الاكابر وهم الذين ورثوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبوديته فان أمروا بالتبليغ فيحتالون فى ستر مقامهم عن أعين الناس ليظهروا عند الناس بما لا يعلمون فى العادة انهم من أهل الاختصاص الالهىّ فيجمعون بين الدعوة الى الله و بين ستر المقام فيدعونهم بقراءة الحديث وكتب الرقائق وحكايات كلام المشايخ حتى لا تعرفهم العامّة الا أنهم نقلة لا انهم يتكلمون عن أحوالهم من مقام القربة هذا اذا كانوا مأمورين ولا بدّ وان لم يكونوا مأمورين بذلك فهم مع العامّة التى لم تزل مستورة الحال لا يعتقد فيهم خير ولا شرّ ثم ان من الرجال الواصلين من لا يكشف لهم عن العلم بالاسماء الالهية التى تدبرهم ولكن لهم نظر الى الاعمال المشروعة التى يسلكون بها وهى ثمانية يد ورجل وبطن ولسان وسمع وبصر وفرج وقلب ما ثم غير ذلك فهؤلاء يفتح لهم عند وصولهم فى عالم المناسبات فينظرون فيما يفتح لهم عند الوصول الى الباب الذى قرعوه فعندما يفتح لهم يعرفون فيما يتجلى لهم من الغيب أى باب ذلك الباب الذى فتح لهم فان كان المشهود لهم يطلب اليد بمناسبة تظهر لهم كان صاحب يد وان كان يطلب البصر بمناسبة كان صاحب بصر وهكذا جميع الاعضاء ومن ذلك الجنس تكون كراماته ان كان وليا ومعجزاته ان كان نبيا ومن ذلك الجنس تكون منازله ومعارفه كما أشار الى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يركع ركعتين لا يحدّث نفسه فيهما بشئ فتحت له الثمانية الابواب من الجنة يدخل من أيها شاء كذلك هذا الشخص يفتح له من أعمال أعضائه اذا كملت طهارته وصفا سرّه أىّ شئ كان مما تعطيه أعمال أعضائه المكلفة وقد بينا هذه المراتب العملية على الاعضاء فى كتاب مواقع النجوم ثم ان الله سبحانه يمدّهم من الانوار بما يناسبهم وهى ثمانية من حضرة النور فمنهم من يكون امداده من نور البرق وهو المشهد الذاتى وهو على ضربين خلب وغير خلب فان لم ينتج مثل صفات التنزيه فهو البرق الخلب وان أنتج ولا ينتج الا أمرا واحدا لانه ليس لله صفة نفسية سوى واحدة هى عين ذاته لا يصح أن تكون اثنان فان اتفق أن يحصل له من هذا النور البرقىّ فى بعض كشف تعريف الهىّ لا يكون برق خلب ومنهم من يكون امداده من حضرة النور نور الشمس ومنهم من يكون امداده من نور البدر ومنهم من يكون امداده من نور القمر ومنهم من يكون امداده من نور الهلال ومنهم من يكون امداده من نور السراج ومنهم من يكون امداده من نور النجوم ومنهم من يكون امداده من نور النار وما ثم نورا كثيرا وقد ذكرنا مراتب هذه

الانوار في مواقع النجوم أيضا فيكون ادراكهم على قدر مراتب أنوارهم فتتميز المراتب بتمييز الانوار وتتميز الرجال بتمييز المراتب ومن الرجال الواصلين من ليس لهم معرفة بهذا المقام ولا بالاسماء الالهية ولكن لهم وصول الى حقائق الانبياء ولطائفهم فاذا وصلوا افتتح لهم باب من لطائف الانبياء على قدر ما كانوا عليه من الاعمال في وقت الفتح فمنهم من يتجلى له حقيقة موسى عليه السلام فيكون موسوي المشهد ومنهم من يتجلى له لطيفة عيسى وهكذا سائر الرسل فينسب الى ذلك الرسول بالوراثة ولكن من حيث شريعة محمد صلى الله عليه وسلم المقررة من شرع ذلك النبي الذي تجلى له فيجد هذا الواصل انه كان محققا في عمله الموجب لفتحه من جهة ظاهره أو باطنه شرع نبي متقدم مثل قوله تعالى أقم الصلاة لذكرى فان ذلك من شرع موسى وقرره الشارع لنا فمن خرج عنه وقت الصلاة بنوم أو نسيان فهؤلاء يأخذون من لطائف الانبياء عليهم السلام ولقينا منهم جماعة وليس لهؤلاء في الانوار ولا في الاعضاء ولا في الاسماء الالهية ذوق ولا شرب ولا شرب ومن الواصلين أيضا الى الله تعالى الوصول الذي بيناه من يجمع الله له الجميع ومنهم من يكون له من ذلك مرتبتان وأكثر على قدر ما رزقه الذي قسمه الله له منه وكل انسان من هؤلاء اذا رد الى الخلق بالارشاد والهداية لا يتعدى ذوقه في أي مرتبة كان والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب السادس والاربعون في معرفة العلم القليل ومن حصله من الصالحين﴾

العلم بالاشياء علم واحد * والكثر في المعلوم لا في ذاته
والاشعري يرى ويزعم انه * متعدد في ذاته وصفاته
ان الحقيقة قد أبت ما قاله * ولو انه من فكره وهباته
الحق أبلج لا خفاء بأنه * متوحد في عينه وسماته

قال الله عز وجل وما أوتيتم من العلم الا قليلا فكان شيخنا أبو مدين يقول اذا سمع من يتلو هذه الآية القليل أعطيناه ما هو لنا بل هو معار عندنا والكثير منه لم نصل اليه فنحن الجاهلون على الدوام وقال من هذا الباب خضر لموسى عليه السلام لما رأى الطائر الذي وقع على حرف السفينة ونقر في البحر بمنقاره أتدري ما يقول هذا الطائر في نقره في الماء قال موسى عليه السلام لا أدري قال يا موسى يقول هذا الطائر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا ما نقص من هذا البحر منقاري والمراد المعلومات بذلك لا العلم فان العلم لو تعدد أدى أن يدخل في الوجود ما لا يتناهى وهو محال فان المعلومات لا نهاية لها فلو كان لكل معلوم علم لزم ما قلناه ومعلوم ان الله يعلم ما لا يتناهى فعلمه واحد فلا بد أن يكون للعلم عين واحدة لانه لا يتعلق بالمعلوم حتى يكون موجودا وما هو ذلك العلم هل هو ذات العالم أو أمر زائد في ذلك خلاف بين النظار في علم الحق سبحانه ومعلوم ان علم الله متعلق بما لا يتناهى فبطل أن يكون لكل معلوم علم وسواء زعمت ان العلم عين ذات العالم أو صفة زائدة على ذاته الا أن تكون ممن يقول في الصفات انها نسب وان كنت ممن يقول ان العلم نسبة خاصة فالنسب لا تتصف بالوجود نعم ولا بالعدم كالاحوال فيمكن على هذا أن يكون لكل معلوم علم وقد علمنا ان المعلومات لا تتناهى فالنسب لا تتناهى ولا يلزم من ذلك محال كحدوث التعلقات عند ابن الخطيب والاسترسال عند امام الحرمين و بعد ان فهمت ما قررناه في هذه المسئلة فقل بعد ذلك ما شئت من نسبة الكثرة للعلم والقلة فما وصف الله العلم بالقلة الا العلم الذي أعطى الله عباده وهو قوله وما أوتيتم أي أعطيتم فجعله هبة وقال في حق عبده خضر وعلمناه من لدنا علما وقال علم القرآن فهذا كله يدلك على انه نسبة لان الواحد في ذاته لا يتصف بالقلة ولا بالكثرة لانه لا يتعدد وبهذا نقول ان الواحد ليس بعدد وان كان العدد منه ينشأ ألا ترى ان العالم وان استند الى الله ولم يلزم أن يكون الله من العالم كذلك الواحد وان نشأ منه العدد فانه لا يكون بهذا من العدد فالوحدة للواحد نعت نفسي لا يقبل العدد وان أضيف اليه فان كان العلم نسبة فاطلاق القلة والكثرة عليه اطلاق حقيقي وان كان غير ذلك فاطلاق القلة والكثرة عليه اطلاق مجازي وكلام العرب مبني على الحقيقة والمجاز عند الناس وان كنا قد خالفناهم في هذه المسئلة بالنظر الى القرآن فما ننفي أن يكون في القرآن مجاز بل في كلام العرب وليس هذا موضع شرح هذه المسئلة والذي يتعلق بهذا الباب علم

الوهب لاعلم الكسب فانه لو أراد الله العلم المكتسب لم يقل أوتيتم بل كان يقول أوتيتم الطريق الى تحصيله لا هو وكان يقول فى خضر وعلمناه طريق اكتساب العلوم لم يقل شيأ من هذا ونحن نعلم ان ثم علما اكتسبناه من أفكارنا ومن حواسنا وثم علما لم نكتسبه بشئ من عندنا بل هبة من الله عز وجل أنزله فى قلوبنا وعلى أسرارنا فوجدناه من غير سبب ظاهر وهى مسئلة دقيقة فانّ أكثر الناس يتخيلون انّ العلوم الحاصلة عن التقوى علوم وهب وليست كذلك وانما هى علوم مكتسبة بالتقوى فانّ التقوى جعلها الله طريقا الى حصول هذا العلم فقال ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وقال واتقوا الله ويعلمكم الله كما جعل الفكر الصحيح سببا لحصول العلم لكن بترتيب المقدمات كما جعل البصر سببا لحصول العلم بالمبصرات والعلم الوهبى لا يحصل عن سبب بل من لدنه سبحانه فاعلم ذلك حتى لا تختلط عليك حقائق الاسماء الالهية فانّ الوهاب هو الذى تكون أعطياته على هذا الحد بخلاف الاسم الالهى الكريم والجواد والسخى فانه من لا يعرف حقائق الامور لا يعرف حقائق الاسماء الالهية ومن لا يعرف حقائق الاسماء الالهية لا يعرف تنزيل الثناء على الوجه اللائق به فلهذا نبهتك لتتنبه ولا تكونن من الجاهلين فالنبوّات كلها علوم وهبية لان النبوّة ليست مكتسبة فالشرائع كلها من علوم الوهب عند أهل الاسلام الذين هم أهله وأريد بالاكتساب فى العلوم ما يكون للعبد فيه تعمل كما ان الوهب ما ليس للعبد فيه تعمل وانما قلنا هذا من أجل الاستعدادات التى جعلت العالم يقبل هذا العلم الوهبى والكسبى فانه لا بدّ من الاستعداد فان وجد بعض الاستعدادات مما يتعمل الانسان فى تحصيلها كان العلم الحاصل عنها مكتسبا كمن عمل بما علم فاورثه الله علم ما لم يكن يعلم وأشباه ذلك فالشرائع كلها علوم وهبية ومن حصل علوم وهب مما ليس بشرع جماعة قليلة من الاولياء منهم الخضر على التعيين فانه قال من لدنه والذى عرفناه من الانبياء عليهم السلام آدم والياس وزكريا ويحيى وعيسى وادريس واسمعيل وان كان قد حصل لجميع الانبياء عليهم السلام ولكن ماذكرنا منهم الا من حصل لنا التعريف به وسموا لنا من الوجه الذى نأخذ عن الله تعالى منه فلهذا اسمينا هؤلاء ولم نذكر غيرهم فاما قوله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فليس بنص فى الوهب ولكن له وجهان وجه يطلبه أوتيتم ووجه يطلبه قليلا من الاستقلال أى ما أعطيتم من العلم الا ما تستقلون بحمله وما لا تطيقونه ما أعطيناكموه فانكم ما تستقلون به فيدخل فى هذا العطاء علوم النظر فانها علوم تستقل العقول بادراكها واختلف أصحابنا فى العلم المحدث هل يتعلق بما لا يتناهى من المعلومات أم لا فمن منع ان تعرف ذات الله منع من ذلك ومن لم يمنع من ذلك لم يمنع حصوله ولكن ما نقل الينا انه حصل لاحد فى الدنيا وما أدرى فى الآخرة ما يكون فانا قد علمنا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد علم علم الاوّلين والآخرين وقد قال صلى الله عليه وسلم عن نفسه انه يحمد الله غدا يوم القيامة بمحامد عند ما يطلب من الله عز وجل فتح باب الشفاعة أخبر أنّ الله تعالى يعلمه اياها فى ذلك الوقت لا يعلمها الآن فلو علمها غيره لم يصدق قوله علمت علم الاوّلين والآخرين وهو صلى الله عليه وسلم الصادق فى قوله فحصل من هذا انّ أحدا لم يتعلق علمه بما لا يتناهى وهذا ما تكلم الناس الا فى امكانه هل يمكن أم لا وما كل ممكن واقع ووقوع الممكنات من المسائل المغلقة وكيف يكون ثم ممكن ولا يقع وهو المعقول عندنا فى كل وقت فان ترجيح أحد الممكنين أو الممكنات يمنع من وقوع ما ليس بمرجح فى الحال فان كان الذى لم يقع فى الوجود من الممكنات مرجحا عدم وقوعه فى الوجود فيكون عدمه مرجحا فقد وقع الممكن فانه لا يلزم فيه من حيث الامكان الا اتصافه بكونه مرجحا سواء ترجح عدمه أو وجوده واذا كان كذلك فقد وقع كل ممكن بلا شك وان لم تتناه الممكنات فان الترجيح ينسحب عليها وهى مسئلة دقيقة فان الممكنات وان كانت لا تتناهى وهى معدومة فانها عندنا مشهودة للحق عز وجل من كونه يرى فانا لا نعلل الرؤية بالوجود وانما نعلل الرؤية للاشياء بكون المرئى مستعدا القبول لتعلق الرؤية به سواء كان معدوما أو موجودا وكل ممكن مستعد للرؤية فالممكنات وان لم تتناه فهى مرئية لله عز وجل لا من حيث نسبة العلم بل من نسبة أخرى تسمى رؤية كانت ما كانت قال تعالى ألم يعلم بأن الله يرى ولم يقل هنا ألم يعلم بأن الله يعلم وقال تجرى باعيننا أى بحيث نراها وقال أيضا لموسى وهرون اننى معكما أسمع وأرى والله يقول الحق وهو يهدى السبيل انتهى الجزء الرابع والعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب السابع والاربعون)

في معرفة أسرار وصف المنازل السفلية ومقاماتها وكيف يرتاح العارف عند ذكره بدايته فيحن اليها مع علوّ مقامه وما السرّ الذي يتجلى له حتى يدعوه الى ذلك

ولما رأيت الحق بالاول اتصف * أتيت الى بحر البداية اغترف
بلذة ظمآن لاشرب شربة * فيشهدني في غاية الحال اعترف
فيابردها من شربة مستلذة * على كبد حراء فاعمل لها وقف
فان لذاك الشرب في القلب لذة * ترى ربها في الوقت بالعجب يتصف
ولا يحجبنه عجبه عن شهوده * ولا ما يرى فيه من الزهو والصلف
فان له فيمن تقدم أسوة * فما خلف الا ومثل لها سلف
وراثة مختار ونعت محقق * باسماء حق بالحقيقة مكتنف
وان نهايات الرجال بداية * لقوم أتوا من بعدهم مالهم خلف
كمثل رسول الله في طوره فما * له خلف بل عنده الامر قد وقف

اعلم أن العالم لما كان اكريّ الشكل لهذا حنّ الانسان في نهايته الى بدايته فكان خروجنا من العدم الى الوجود به سبحانه واليه نرجع كما قال عز وجل واليه يرجع الامر كله وقال واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وقال واليه المصير والى الله عاقبة الامور ألا ترى انك اذا ابتدأت وضع دائرة فانك عند ما تبتدئ بها لاتزال تديرها الى أن تنتهي الى أولها وحينئذ تكون دائرة ولو لم يكن الامر كذلك لكنا اذا خرجنا من عنده خطا مستقيما لم نرجع اليه ولم يكن يصدق قوله وهو الصادق واليه ترجعون وكل أمر وكل موجود فهو دائرة يعود الى ما كان منه بدؤه وأن الله تعالى قد عين لكل موجود مرتبته في علمه فمن الموجودات من خلقت في مراتبها ووقفت ولم تبرح فلم يكن لها بداية ولا نهاية بل يقال وجدت فان البدء ما تعقل حقيقته الا بظهور ما يكون بعده مما ينتقل اليه وهذا ما انتقل فعين بدئه هو عين وجوده لا غير ومن الموجودات ما كان وجودها أولا في مراتبها ثم نزل بها الى عالم طبيعتها وهي الاجسام المولدة من العناصر ولا كلها بل أجسام الثقلين وأقام الله لها في تلك المرتبة المعينة لها التي أنزلت منها على غير علم منها بها داعيا يدعو كل شخص اليها فلا يزال يرتقي بالاعمال الصالحة حتى يصل اليها أو يطلبها بالاعمال التي لا يرتضيها الحق فداعي الحق اذا قام بقلب العبد انما يدعوه من مقامه الذي تكون غايته اليه اذا سلك ولما كان كل وارد ملذوذا لذيذا فانه جديد غريب لطيف لهذا يحن اليه دائما ومن ذلك حب الاوطان قال ابن الرومي

وحبب أوطان الرجال اليهمو * مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو * عهود الصبي فيها فحنوا لذلكا

ولما لم يتمكن للتائب أن يرد عليه وارد التوبة الا حتى يتنبه من سنة الغفلة فيعرف ما هو فيه من الاعمال التي مآلها الى هلاكه وعطبه خاف ورأى أنه في أسر هواه وانه مقتول بسيف أعماله القبيحة فقال له حاجب الباب قد رسم الملك انك اذا أقلعت عن هذه المخالفات ورجعت اليه ووقفت عند حدوده ومراسمه انه يعطيك الامان من عقابه ويحسن اليك ويكون من جملة احسانه أن كل قبيح أتيته ترد صورته حسنة ثم أعطاه التوقيع الالهي فاذا فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم الذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات ولما قرأ وحشي هذا التوقيع قال ومن لي بأن أوفق الى العمل الصالح الذي اشترطه علينا في التبديل

فجاء فى الجواب توقيع آخر فيه مكتوب ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فقال وحشى ماأدرى هل أنا ممن شاء أن يغفر له أم لا فجاء فى الجواب توقيع ثالث فيه مكتوب ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فلما قرأ وحشى هذا التوقيع قال الآن فأسلم رجعنا الى التوقيع الاوّل فنقول فلما قرأ هذا التوقيع الصادق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قال له حاجب الباب وهو الشارع ان التائب من الذنب كمن لاذنب له فلما ورد عليه هذا الامان عقيب ذلك الخوف الشديد وجد للامان حلاوة ولذة لم يكن يعرفها قبل ذلك وقد قيل فى ذلك أحلى من الامن عند الخائف الوجل فعند مايحصل له طعم هذه اللذة وشرع فى الاعمال الصالحة وتطهر محله واستعدّ لمجالسة الملك فانه يقول أنا جليس من ذكرنى وتقوّت معرفته به سبحانه وعلم مايستحقه جلاله وعلم قدر من عصاه استحيا كلّ الحياء وذهبت لذته التى وجدها عند ورود وارد توبته عليه واطلع ورأى الحضرة الالهية تطالبه بالادب والشكر على ماأولاه من النعم فيكثر همه وغمه وتنتفى لذته ولهذا ترى العلماء بالله لايرون فى نومهم مايراه المريدون أصحاب البدايات من الانوار فانّ المبتدئ يستحضر مستحسنات أعماله وأحواله فيرى نتائجها والعالمون يتأمون على رؤية تقصير وتفريط لما يستحقه الجناب العالى فلا يرى فى النوم الا مايهمهم من ظلمات ورعد وبرق وكل أمر مخوف فان النوم تابع للحس ولما كانت النفس بطبعها تحبّ الامور الملذوذة وقد فقدت لذة التوبة فى حال معرفتها ونهايتها لذلك حنت الى بدايتها من أجل ماقترن بذلك الموطن من اللذة مع علوّ مقامه ويكون هذا الحنان استراحة لهمه وغمه الذى أعطته معرفته بالله فهو مثل الذى يلتذ بالامانىّ فهذا سبب حنين أصحاب النهايات الى بدايتهم وأمّا المنازل السفلية فهى ماتعطيه الاعمال البدنية من المقامات العلوية كالصلاة والجهاد والصوم وكلّ عمل حسىّ وماتعطيه أيضا الاعمال النفسية وهى الرياضات من تحمل الاذى والصبر عليه والرضى بالقليل من ملذوذات النفوس والقناعة بالموجود وان لم تكن به الكفاية وحبس النفس عن الشكوى فانّ كلّ عمل من هذه الاعمال الرياضية والمجاهدات له نتائج مخصوصة ولكلّ عمل حال ومقام وقد أبان عن بعض ذلك الشارع ليستدلّ بما ذكره على ماسكت عنه من حيث اختلاف النتائج لاختلاف الصفات وتعريفا بان النوافل من كلّ عبادة مفروضة صفتها من صفة فريضتها ولهذا تكمل له منها اذا كانت فريضته ناقصة وورد فى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ماينظر فيه من عمل العبد الصلاة فيقول الله انظروا فى صلاة عبدى أتمها أم نقصها فان كانت تامة كتبت له تامة وان كان انتقص منها شيأ قال انظروا هل لعبدى من تطوّع فان كان له تطوّع قال أكملوا لعبدى فريضته من تطوّعه ثم تؤخذ الاعمال على ذاكم وأمّا الحديث الآخر فى صفات العبادات فانه ورد فى الصحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها فجعل النور للصلاة والبرهان للصدقة وهى الزكاة والضياء للصوم والحج وهو المعبر عنه بالصبر لما فيهما من المشقة للجوع والعطش ومايتعلق بافعال الحج وجعل لا اله الا الله فى خبر آخر لايزنها شئ ونوافل كل فريضة من هذه الفرائض من جنسها فصفتها كصفتها ثم أدخل فى قوله كلّ الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها وهو الذى باعها من الله قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم أو موبقها وهو الذى اشترى الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فعم بقوله كل الناس يغدو فبائع نفسه جميع أحكام الشريعة نافلتها وفريضتها ومباحها ومكروهها فمامن عبادة شرعها الله تعالى لعباده الا وهى مرتبطة باسم الهىّ أو حقيقة الهية من ذلك الاسم يعطيه فى عبادته تلك مايعطيه فى الدنيا فى قلبه من منازله وعلومه ومعارفه وفى أحواله من كراماته وآياته وفى آخرته فى جنانه فى درجاته ورؤية خالقه فى الكثيب فى جنة عدن خاصة فى مراتبه وقد قال الله عز وجل فى المصلى انه يناجيه وهو نور فيناجيه الله تعالى من اسمه النور لامن اسم آخر فكما أنّ النور ينفر كل ظلمة كذلك الصلاة تقطع كل شغل بخلاف سائر الاعمال فانها لاتمنع ترك كلّ ماسواها مثل الصلاة فلهذا كانت نورا يبشره الله بذلك انه اذا ناجاه من اسمه النور انفرد به وأزال كلّ كون بشهوده عند مناجاته ثم شرعها فى المناجاة سرّا

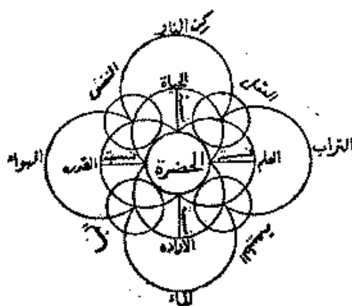
وجهرا ليجمع له فيها بين الذكرين ذكر السر وهو الذكر في نفسه وذكر العلانية وهو الذكر في الملأ فالعبد في صلاته يذكر الله في ملأ الملائكة ومن حضر من الموجودات السامعين وهو ما يجهر به من القراءة في الصلاة قال الله تعالى في الخبر الثابت عنه ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه فقد يريد بذلك الملائكة المقربين الكروبيين خاصة الذين اختصهم لحضرته فلهذا الفضل شرع لهم في الصلاة الجهر بالقراءة والسر فكل عبد صلى ولم تزل عنه صلاته كل شئ دونها فما صلى وما هي نور في حقه وكل من أسر القراءة في نفسه ولم يشاهد ذكر الله له في نفسه فما أسر فانه وان أسر في الظاهر وأحضر في نفسه ما أحضره من الاكوان من أهل وولد وأصحاب من عالم الدنيا وعالم الآخرة وأحضر الملائكة في خاطره فما أسر في قراءته ولا كان ممن ذكر الله في نفسه لعدم المناسبة فان الله اذا ذكر العبد في نفسه لم يطلع أحد من المخلوقين على ما في نفس البارى من ذكره عبده كذلك ينبغي أن يكون العبد فيما أسره فانه ما يناجي في صلاته الا ربه في حال قراءته وتسبيحاته ودعائه وكذلك اذا ذكره في ملأ في ظاهره وفي باطنه فأما في ظاهره فبين وأما في باطنه فما يحضر معه في نفسه من المخلوقين وهو ما يجهر به من القراءة في الصلاة والتسبيحات والدعاء ثم انه ليس في العبادات ما يلحق العبد بمقامات المقربين وهو أعلى مقام أولياء الله من ملك ورسول ونبي وولي ومؤمن الا الصلاة قال تعالى واسجد واقترب فان الله في هذه الحالة يباهي به المقربين من ملائكته وذلك انه يقول لهم يا ملائكتي أنا قربتكم ابتداء وجعلتكم من خواص ملائكتي وهذا عبدي جعلت بينه وبين مقام القربة حجبا كثيرة وموانع عظيمة من أغراض نفسية وشهوات حسية وتدبير أهل ومال وولد وخدم وأصحاب وأهوال عظام فقطع كل ذلك وجاهد حتى سجد واقترب فكان من المقربين فانظروا ما خصصتكم به يا ملائكتي من شرف المقام حيث ما ابتليتكم بهذه الموانع ولا كلفتكم مشاقها فاعرفوا قدر هذا العبد وراعوا له حق ما قاساه في طريقه من أجلي فيقول الملائكة يا ربنا لو كنا ممن يتنعم بالجنان وتكون محلا لاقامتنا ألست كنت تعين لنا فيه منازل تقتضيها أعمال النار بنا فنحن نسألك أن تهبها لهذا العبد فيعطيه الله ما سألته فيه الملائكة فانظروا ما أشرف الصلاة وأفضل ما فيها ذكر الله من الاقوال والسجود من الافعال ومن أقوالها سمع الله لمن حمده فانه من أفضل أحوال العبد في الصلاة للنيابة عن الحق فان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده يقول تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر الظاهر للتحريم والتحليل الذى فيها ولذكر الله أكبر يعني فيها من أفعالها وينبغي للمحقق أنه لا يذكر الله الا بالاذكار الواردة في القرآن حتى يكون في ذكره تاليا فيجمع بين الذكر والتلاوة معا في لفظ واحد فيحصل على أجر التالين والذاكرين أعني الفضيلة فيكون فتحه في ذلك من ذلك القبيل وعلمه وسره وحاله ومقامه ومنزله واذا ذكره من غير أن يقصد الذكر الوارد في القرآن فهو ذاكر لا غير فينقصه من الفضيلة على قدر ما نقصه من القصد ولو كان ذلك الذكر من القرآن غير أنه لم يقصده وقد ثبت أن الاعمال بالنيات وانما لامرئ ما نوى فينبغي لك اذا قلت لا اله الا الله أن تقصد بذلك التهليل الوارد في القرآن مثل قوله تعالى فاعلم أنه لا اله الا الله وكذلك التسبيح والتكبير والتحميد وأنت تعلم أن أنفاس الانسان نفيسة والنفس اذا مضى لا يعود فينبغي لك أن تخرجه في الانفس والاعز فهذا قد نبهتك على نسبة النورية من الصلاة وأما اقتران البرهان بالصدقة فهو ان الله تعالى جبل الانسان على الشح وقال ان الانسان خلق هلوعا يعني في أصل نشأته اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وقال ومن يوق شح نفسه فنسب الشح لنفس الانسان وأصل ذلك انه استفاد وجوده من الله ففطر على الاستفادة لا على الافادة فما تعطي حقيقته أن يتصدق فاذا تصدق كانت صدقته برهانا على انه قد وقى شح نفسه الذى جبله الله عليه فلذلك قال الصدقة برهان ولما كانت الشمس ضياء يكشف به كل ما تنبسط عليه لمن كان له بصر فان الكشف انما يكون بضياء النور لا بالنور فان النور ماله سوى تنفير الظلمة وبالضياء يقع الكشف وان النور حجاب كما هي الظلمة حجاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق ربه تعالى حجابه النور وقال ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة أو سبعين ألفا وقيل له صلى الله عليه وسلم أرأيت ربك فقال صلى الله

عليه وسلم نور أي أراه فجعل الصبر الذي هو الصوم والحج ضياء أي يكشف به اذا كنت متلبسا به ما تعطيه حقيقة الضوء من ادراك الاشياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى انه قال كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به وقال صلى الله عليه وسلم لرجل عليك بالصوم فانه لا مثل له وقال تعالى ليس كمثله شيء فالصوم صفة صمدانية وهو التنزه عن التغذي وحقيقة المخلوق التغذي فلما أراد العبد أن يتصف بما ليس من حقيقته أن يتصف به وكان اتصافه به شرعا لقوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم قال الله الصوم لي لا لك أي أنا هو الذي لا ينبغي لي أن أطعم وأشرب واذا كان بهذه المثابة وكان سبب دخولك فيه كوني شرعته لك فأنا أجزي به كأنه يقول وأنا جزاؤه لان صفة التنزه عن الطعام والشراب تطلبني وقد تلبست بها وما هي حقيقتك وما هي لك وأنت متصف بها في حال صومك فهي تدخلك علي فان الصبر حبس النفس وقد حبستها بأمري عما تعطيه حقيقتها من الطعام والشراب فلهذا قال للصائم فرحتان فرحة عند فطره وتلك الفرحة لروحه الحيواني لا غير وفرحة عند لقاء ربه وتلك الفرحة لنفسه الناطقة أي لطيفته الربانية فأورثه الصوم لقاء الله وهو المشاهدة فكان الصوم أتم من الصلاة لانه أنتج لقاء الله ومشاهدته والصلاة مناجاة لا مشاهدة والحجاب يصحبها فان الله يقول وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب وكذلك كلم الله موسى ولذلك طلب الرؤية فقرن الكلام بالحجاب والمناجاة مكالمة يقول الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي والصوم لا ينقسم فهو لله لا للعبد بل للعبد أجره من حيث ما هو لله وهنا سر شريف فقلنا ان المشاهدة والمناجاة لا يجتمعان فان المشاهدة للبهت والكلام للفهم فأنت في حال الكلام مع ما يتكلم به لا مع المتكلم أي شيء كان فافهم القرآن تفهم الفرقان فبهذا قد حصل لك الفرق بين الصلاة والصوم والصدقة وأما قولنا ان الله جزاء الصائم للقائه ربه في الفرح به الذي قرنه به فسر ذلك في قوله في سورة يوسف من وجد في رحله فهو جزاؤه وأما الحج فلما فيه من الصبر وهو حبس الانسان نفسه عن النكاح ولبس المخيط والصفرة كما حبس الانسان نفسه عن الطعام في الصوم والشراب والنكاح ولما لم يعم الحج مسك الانسان نفسه عن الطعام والشراب الا عن النكاح والغيبة لذلك تأخر في القواعد التي بني الاسلام عليها فكان حكمه حكم الصائم والمصلي حال صومه وصلاته في التنزه عن مباشرة السكن وذلك التنزه يقول الله هو لي لا لك حيث كان ولما كان النكاح سببا لظهور المولدات من ذلك أعطاه الله اذ تركه من أجله بدله كن في الآخرة ولاوليائه في الدنيا بسم الله ان أراد الله أن يظهر على يده أمرا فيقول العبد في الآخرة للشيء يريده كن فيكون ذلك الشيء وليس قوله الا من كونه حاجا أو صائما ولهذا اشترك بين الحج والصوم في لفظة الصبر فقال والصبر ضياء هذا وان لم يكن فيه صوم واجب فان ترك الطعام فيه لشغله بالدعاء في ذلك اليوم من الظهر وهو السنة في ذلك اليوم في ذلك الموضع للحاج خاصة فالمشتغل فيه لا شك أن الجوع جوع العادة يلزمه والطائفة تسمي الجوع في الموتات الاربعة الموت الابيض وهو مناسب للضياء فان لاهل الله أربع موتات موت أبيض وهو الجوع وموت أحمر وهو مخالفة النفس في هواها وموت أخضر وهو طرح الرقاع في اللباس بعضها على بعض وموت أسود وهو تحمل أذى الخلق بل مطلق الاذى وانما سميت لبس المرقعات موتا أخضر لان حالته حالة الارض في اختلاف النبات فيه والازهار فأشبه اختلاف الرقاع وأما الموت الاسود لاحتمال الاذى فان في ذلك غم النفس والغم ظلمة النفس والظلمة تشبه في الالوان السواد والموت الاحمر مخالفة النفس شبيه بحمرة الدم فانه من خالف هواه فقد ذبح نفسه وسيأتي ان شاء الله في هذا الكتاب أبواب مفردات في شهادة التوحيد والصلاة والزكاة والصوم والحج وهي قواعد الاسلام التي بني عليها ومن أراد أن يعرف من أسرار الصلاة شيأ وما تنتج كل صلاة من المعارف وما لها من الارواح النبوية والحركات الفلكية فلينظر في كتابنا المسمى بالتنزلات الموصلية وهذا القدر في هذا الباب كاف في المقصود ولنذكر بعض أسرار من المعارف كما ترجمنا عليه بطريق الايجاز

﴿فصل﴾ بل وصل سر الحي قالت الملائكة وما منا الا له مقام معلوم وهكذا كل موجود ما عدا الثقلين وان كان

الثقلان أيضاً مخلوقين في مقامهما غير أن الثقلين لهما في علم الله مقامات معينة مقدرة عنده غيبت عنهما النهاية في كل شخص منهما بانتهاء أنفاسه فآخر نفس هو مقامه المعلوم الذي يموت عليه ولهذا دعوا الى السلوك فسلكوا علوا باجابة الدعوة المشروعة وسفلا باجابة الامر الارادي من حيث لا يعلمون لا بد وقوع المراد فكل شخص من الثقلين ينتهي في سلوكه الى المقام المعلوم الذي خلق له ومنهم شقي وسعيد وكل موجود سواهما فمخلوق في مقامه فلم ينزل عنه فلم يؤمر بسلوك اليه لانه فيه من ملك وحيوان ونبات ومعدن فهو سعيد عند الله لا شقاء يناله فقد دخل الثقلان في قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم عند الله ولا يمكن لمخلوق من العالم أن يكون له علم بمقامه الا بتعريف الهي لا بكونه فيه فان كل ما سوى الله ممكن ومن شأن الممكن أن لا يقبل مقاما معينا لذاته وانما ذلك لمرجحه بحسب ما سبق في علمه به والمعلوم هو الذي أعطاه العلم به ولا يعلم هو ما يكون عليه وهذا هو سر القدر المتحكم في الخلق اذ كان علم المرجح لا يقبل التغيير لاستحالة عدم القديم وعلمه بتعيين المقامات قديم فلذلك لا ينعدم وهذه المسئلة من أغمض المسائل العقلية ومما يدلك على ان علمه سبحانه بالاشياء ليس زائدا على ذاته بل ذاته هي المتعلقة من كونها علما بالمعلومات على ما هي المعلومات عليه خلافا لبعض النظار فان ذلك يؤدي الى نقص الذات عن درجة الكمال ويؤدي الى أن تكون الذات قد حكم عليها أمر زائد أوجب لهذلك الزائد حكما يقتضيه ويبطل كون الذات تفعل ما تشاء وتختار لا اله الا هو العزيز الحكيم فحقق هذه المسئلة وتفرغ اليها فانها غامضة جدا في مسائل الحيرة لا يهتدي اليها عقل على الحقيقة من حيث فكره بل بكشف الهي نبوي ثم نرجع ونقول ان جماعة من أصحابنا غلطت في هذه المسئلة لعدم الكشف فقالت بطريق القوة والفكر الفاسد ان الكامل من بني آدم أفضل من الملائكة عند الله مطلقا ولم تقيده صنفا ولا مرتبة من المراتب التي تقع عليها الفضلية لمن هو فيها على غيره ثم عللت فقالت ان لبني آدم الترقي مع الانفاس وليس للملائكة هذا فانها خلقت في مقامها وما علمت الجماعة القائلة بهذا هذه الحقيقة التي نبهنا عليها والصحيح الترقي ان لنا وللملائكة ولغيرهم وهو لازم للكل دنيا وبرزخا وآخرة هذا الكل متصف بالموت في العلم ألا ترى الملائكة مع كونها لها مقامات معلومة لا تتعداها وما حرمت مزيد العلم فان الله قد عرفنا انه علمهم الاسماء على لسان آدم عليه السلام فزادهم علما الهيا لم يكن عندهم بالاسماء الالهية فسبحوه وقدسوه بها فساوتنا الملائكة في الترقي بالعلم لا بالعمل كما لا نترقى نحن باعمال الآخرة لزوال التكليف فنحن واياهم على السواء في ذلك في الآخرة فما رقينا نحن في الدنيا الى المقام الذي قبضنا عليه وهو المقام الذي خلق فيه غيرنا ابتداء اشرفنا على غيرنا وانما كان ذلك ليبلونا الا غير فلم يفهم القائلون بذلك ما أراده الله مع وجود النصوص في القرآن مثل قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولا يقال كونهم خلقوا على الصورة أدى الى ذلك الابتلاء فان الجان شاركونا في هذه المرتبة وليس لهم حظ في الصورة فاعلم والله الموفق ﴿وصل سر الهي﴾ نهاية الدائرة مجاورة لبدايتها وهي تطلب النقطة لذاتها والنقطة لا تطلبها فصح نهاية أهل الترقي من العالم وصح افتقار العالم الى الله وغنى الله عن العالم وتبين انه كل جزء من العالم يمكن أن يكون سببا في وجود عالم آخر مثله لا أكمل منه الى ما لا يتناهى فان محيط الدائرة نقط متجاورة في أحياز متجاورة ليس بين حيز وحيز ثالث ولا بين النقطتين المفروضتين أو الموجودتين فيهما نقطة ثالثة لانه لا حيز بينهما فكل نقطة يمكن أن يكون عنها محيط وذلك المحيط الآخر حكمه حكم المحيط الاول الى ما لا نهاية له ولا نهاية في العالم حاصلة والغاية من العالم غير حاصلة فلا تزال الآخرة دائمة التكوين عن العالم فانهم يقولون في الجنان للشيء يريدونه كن فيكون فلا يتوهمون أمرا ما ولا يخطر لهم خاطر في تكوين أمر ما الا ويتكون بين أيديهم وكذلك أهل النار لا يخطر لهم خاطر خوف من عذاب أكبر مما هم فيه الا تكون فيهم أولهم ذلك العذاب وهو عين حصول الخاطر فان الدار الآخرة تقتضي تكوين العالم عن العالم لكن حسا بمجرد حصول الخاطر والهم والارادة والتمني والشهوة كل ذلك محسوس وليس ذلك في الدنيا أعني من الفعل بالهمة لكل أحد وقد كان ذلك في الدنيا لغير الولي كصاحب العين والغرانية بافريقية ولكن ما يكون بسرعة تكوين الشيء بالهمة في الدار الآخرة وهذا في الدار الدنيا نادر شاذ كقضيب البان وغيره وهو في الدار الآخرة للجميع فصدق قول الامام أبي حامد ليس في الامكان أبدع من هذا العالم لانه ليس أكمل من الصورة التي خلق عليها الانسان

الكامل فلو كان لكان فى العالم ما هو أكمل من الصورة التى هى الحضرة الالهية ﴿وصل سرالهى﴾ كل خط يخرج من النقطة الى المحيط مساو لصاحبه وينتهى الى نقطة من المحيط والنقطة فى ذاتها ما تعددت ولا تزيدت مع كثرة الخطوط الخارجة منها الى المحيط وهى تقابل كل نقطة من المحيط بذاتها اذ لو كان ما تقابل به نقطة من المحيط غير ما تقابل به نقطة أخرى لانقسمت ولم يصح أن تكون واحدة وهى واحدة فما قابلت النقط كلها على كثرتها الا بذاتها فقد ظهرت الكثرة عن الواحد العين ولم يتكثر هو فى ذاته فبطل قول من قال انه لا يصدر عن الواحد الا واحد فذلك الخط الخارج من النقطة الى النقطة الواحدة من المحيط هو الوجه الخاص الذى لكل موجود من خالقه سبحانه وهو قوله انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فالارادة هنا هو ذلك الخط الذى فرضناه خارجا من نقطة الدائرة الى المحيط وهو التوجه الالهى الذى عين تلك النقطة فى المحيط بالايجاد لان ذلك المحيط هو عين دائرة الممكنات والنقطة التى فى الوسط المعينة لنقطة الدائرة المحيطة هى الواجب الوجود لنفسه وتلك الدائرة المفروضة دائرة أجناس الممكنات وهى محصورة فى جوهر متحيز وجوهر غير متحيز وأكوان وألوان والذى لا ينحصر وجود الانواع والاشخاص وهو ما يحدث من كل نقطة من كل دائرة من الدوائر فانه يحدث فيها دوائر الانواع وعن دوائر الانواع دوائر أنواع وأشخاص فاعلم ذلك والاصل النقطة الاولى لهذا كله وذلك الخط المتصل من النقطة الى النقطة المعينة من محيطها يتدمنها الى ما يتولد عنها من النقط فى نصف الدائرة الخارجة عنها وعن ذلك النصف تخرج دوائر كاملة وعلة ذلك الامتياز بين الواجب الوجود لنفسه وبين الممكن فلا يمكن أن يظهر عن الممكن الذى هو دائرة الاجناس دائرة كاملة فانها كانت تدخل بالمشاركة فيما وقع به الامتياز وذلك محال فتكون دائرة كاملة من الاجناس محال ليتبين نقص الممكن عن كمال الواجب الوجود لنفسه وصورة الامر فيها هكذا صورة شكل الاجناس والانواع من غير قصد للحصر اذ للانواع أنواع حتى ينتهى الى النوع الاخير كما ينتهى الى جنس الاجناس



واعلم ان لنفوس الثقلين ونفوس الحيوان قوتين قوة علمية وقوة عملية عند أهل الكشف وقد ظهر ذلك فى العموم من الحيوان كالنحل والعناكب والطيور التى تتخذ الاوكار وغيرهم من الحيوانات ولنفوس الثقلين دون سائر الحيوان قوة ثالثة ليست للحيوان ولا للنفس الكلية وهى القوة المفكرة فيكتسب بعض العلوم من الفكر هذا النوع الانسانى ويشارك سائر العالم فى أخذ العلوم من الفيض الالهى وبعض علومها كالحيوان بالفطرة كتلقى الطفل ثدى أمه للرضاعة وقبوله للبن وليس لغير الانسان اكتساب علوم تبقى معه من طريق فكر فالفكر من الانسان بمنزلة الحقيقة الالهية المنصوص عليها بقوله تعالى يدبر الامر يفصل الآيات وقوله تعالى فى الخبر الصحيح عنه ما ترددت فى شئ أنا فاعله وليس للعقل الاول هذه الحقيقة ولا للنفس الكلية فهذا أيضا مما اختص به الانسان من الصورة التى لم يخلق غيره عليها ونحن نعلم ان الانسان الكامل موجود على الصورة ونحن نقطع انه ما أوجد الله غير الانسان على ذلك فانه

ماورد وقوع ذلك ولا عدم وقوعه لا على لسان نبي ولا في كتاب منزل وان غلط في ذلك جماعة فانهم لم يستندوا فيه الى تعريف الهي وانما يحتجون بالخبر وليس في الخبر ما يدل على ان غير الانسان الكامل ما خلق على الصورة ويمكن صحة ذلك ويمكن عدم صحته (وصل سر الهي) الطبيعة بين النفس والهباء وهو رأي الامام أبي حامد ولا يمكن أن تكون مرتبتها الاهنالك فكل جسم قبل الهباء الى آخر موجود من الاجسام فهو طبيعي وكل ما تولد من الاجسام الطبيعية من الامور والقوى والارواح الجزئية والملائكة والانوار فالطبيعة فيها حكم الهي قد جعله الله تعالى وقدره فحكم الطبيعة من الهباء الى مادونه وحكم النفس الكلية من الطبيعة فمادونها ومافوق النفس فلا حكم للطبيعة ولا للنفس فيه وفيما ذكرناه خلاف كثير بين أصحاب النظر من غير طريقنا من الحكماء فان المتكلم لاحظ له في هذا العلم من كونه متكلما بخلاف الحكيم فان الحكيم عبارة عمن جمع العلم الالهي والطبيعي والرياضي والمنطقي وتمام الاهذه الاربع المراتب من العلوم وتختلف الطريق في تحصيلها بين الفكر والوهب وهو الفيض الالهي وعليه طريقة أصحابنا ليس لهم في الفكر دخول لما يتطرق اليه من الفساد والصحة فيه مظنونة فلا يوثق بما يعطيه وأعني بأصحابنا أصحاب القلوب والمشاهدات والمكاشفات لا العباد ولا الزهاد ولا مطلق الصوفية الا أهل الحقائق والتحقيق منهم ولهذا يقال في علوم النبوة والولاية انها وراء طور العقل ليس للعقل فيها دخول بفكر لكن له القبول خاصة عند السليم العقل الذي لم يغلب عليه شبهة خيالية فكرية يكون من ذلك فساد نظره وعلوم الاسرار كثيرة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب الثامن والاربعون في معرفة انما كان كذا لكذا وهو اثبات العلة والسبب﴾

انما كان هكذا لكذا * علم من حاز رتبة الحكم

لا تعلل وجود خالقنا * فيكن سيركم الى العدم

وهو الاول الذي ماله * أول في الحدوث والقدم

أول مسئلة من هذا الباب ما السبب الموجب لوجود العالم حتى يقال فيه انما وجد العالم لكذا وذلك الامر المتوقف عليه صحة وجوده اما أن تكون علة فتطلب معلولها لذاتها واذا كان هذا فهل يصح أن يكون للمعلول علتان فازاد أولا يصح وذلك في النظر العقلي لا في الوضعيات واذا تعددت العلل فهل تعددها يرجع الى أعيان وجودية أوهل هي نسب لامر واحد وثم أمور يتوقف صحة وجودها على شرط يتقدمها أوشروط ويجمع ذلك كله اسم السبب وللشرط حكم وللعلة حكم فهل العالم في افتقاره الى السبب الموجب لوجوده افتقار المعلول الى العلة أو افتقار المشروط الى الشرط وأيهما كان لم يكن الآخر فان العلة تطلب المعلول لذاتها والشرط لا يطلب المشروط لذاته فالعلم مشروط بالحياة ولا يلزم من وجود الحياة وجود العلم وليس كون العالم عالما كذلك فان العلم علة في كون العالم عالما فلو ارتفع العلم ارتفع كونه عالما فهو من هذا الوجه يشبه الشرط اذ لو ارتفعت الحياة ارتفع العلم ولو ارتفع كونه عالما ارتفع العلم فتميز عن الشرط اذ لو ارتفع العلم لم يلزم ارتفاع الحياة فهاتان مرتبتان معقولتان فتميزتا تسمى الواحدة علة وتسمى الاخرى شرطا فهل نسبة العالم في وجوده الى الحق نسبة المعلول أو نسبة المشروط محال أن تكون نسبة المشروط على المذهبين فانا لا نقول في المشروط يكون ولا بد وانما نقول اذا كان فلا بد من وجود شرطه المصحح لوجوده ونقول في العالم على مذهب المتكلم الاشعري انه لابد من كونه لان العلم سبق بكونه ومحال وقوع خلاف المعلوم وهذا لا يقال في المشروط وعلى مذهب المخالف وهم الحكماء فلابد من كونه لان الله اقتضى وجود العالم لذاته فلا بد من كونه مادام موصوفا بذاته بخلاف الشرط فلا فرق اذن بين المتكلم الاشعري والحكيم في وجوب وجود العالم بالغير فلنسم تعلق العلم بكون العالم أزلا علة كما يسمي الحكيم الذات علة ولا فرق ولا يلزم مساوقة المعلول علته في جميع المراتب فالعلة متقدمة على معلولها بالمرتبة بلا شك سواء كان ذلك سبق العلم أو ذات الحق ولا يعقل بين الواجب الوجود لنفسه وبين الممكن بون زماني ولا تقدير زماني لان كلامنا في أول موجود ممكن والزمان من جملة الممكنات فان كان أمرا وجوديا فالحكم فيه كسائر

الحكم فى الممكنات وان لم يكن أمرا وجوديا وكان نسبة فحدثت النسبة بحدوث الوجود المعلول حدوثا عقليا لا حدوثا وجوديا واذا لم يعقل بين الحق والخلق بون زمانى فلم يبق الا الرتبة فلا يصح أن يكون أبدا الخلق فى رتبة الحق كما لا يصح أن يكون المعلول فى رتبة العلة من حيث ما هو معلول عنها فالذى هرب منه المتكلم فى زعمه وشنع به على الحكيم القائل بالعلة يلزمه فى سبق العلم بكون المعلوم لان سبق العلم يطلب كون المعلوم لذاته ولا بد ولا يعقل بينهما بون مقدر فهذا قد نبهناك على بعض ما ينبغى فى هذه المسئلة فالعالم لم يبرح فى رتبة امكانه سواء كان معدوما أو موجودا والحق تعالى لم يبرح فى مرتبة وجوب وجوده لنفسه سواء كان العالم أو لم يكن فلو دخل العالم فى الوجوب النفسى لزم قدم العالم ومساوقته فى هذه الرتبة لواجب الوجود لنفسه وهو الله ولم يدخل بل بقى على امكانه وافتقاره الى موجده وسببه وهو الله تعالى فلم يبق معقول البينية بين الحق والخلق الا التمييز بالصفة النفسية فبهذا نفرق بين الحق والخلق فافهم وأما قولنا هل يكون فى العقل للامر المعلول علتان فلا يصح أن يكون للمعلول العقلى علتان بل ان كان معلولا فعن علة واحدة لانه لا فائدة للعلة الا أن يكون لها أثر فى المعلول وأما ان اتفق أن يكون من شرط المعلول أن يكون على صفة بها يقبل أن يكون معلولا لهذه العلة ولا يمكن أن يكون هذا علة لذلك المعلول نفسه الا أن يكون ذلك المعلول بتلك الصفة النفسية فلا بد منها ولا يلزم من هذا أن تكون تلك الصفة النفسية علة له فانها صفة نفسية والشئ لا يكون علة لنفسه فانه يؤدى الى أن تكون العلة عين المعلول فيكون الشئ متقدما على نفسه برتبة وهذا محال فكون الشئ علة لنفسه محال فان العالم لو لم يكن فى نفسه على صفة يقبل الاتصاف بالوجود والعدم على السواء لم يصح أن يكون معلولا لعلته المرجحة له أحد الجائزين بالنظر الى نفسه فان المحال لا يقبل صفة الايجاد فلا يكون الحق علة له فبطل أن يكون كونه ممكنا علة له وبطل أن يكون للشئ علتان فان الاثر للعلة فى المعلول انما كان وجوده فما حكم العلة الاخرى فيه ان كان وجوده فقد حصل من احداهما فلم يبق للآخر أثر فان قيل باجتماعهما كان المعلول عن ذلك الاجتماع فكان عنهما قلنا فكل واحد منهما اذا انفرد لا يكون علة ولا يصح عليه اسم العلية وقد صح فبطل أن يكون كونه علة متوقفا على أمر آخر فان قال وما المانع أن تكون العلة بالاجتماع قلنا انما يكون الشئ علة لنفسه هذا المعلول عنه لا لغيره فيكون معلولا لذلك الغير لان ذلك الغير كسبه العلية وكل مكتسب لا يكون صفة نفسية ولو قلنا باجتماعهما كان علة فلا يخلو ذلك الاجتماع ان يكون أمرا زائدا على نفس كل واحد منهما أو هو عينهما لا جائز أن يكون عينهما فانا نعقل عين كل واحد منهما ولا اجتماع فلا بد أن يكون زائدا فذلك الزائد لا بد أن يكون وجودا أو عدما أو لا وجودا ولا عدما أو وجودا وعدما معا فهذا القسم الرابع محال بالبديهة ومحال ان يكون وجودا للتسلسل اللازم له بما يلزمه من ملزومه أو الدور فيكون علة لمن هو معلول له وهذا محال ومحال ان يكون عدما لان العدم نفى محض ولا يتصف النفى المحض بالاثر ومحال ان يكون لا وجود ولا عدم كالنسب اذ لا حقيقة للنسب فى الوجود فانها أمور اضافية تحدث ولا يكون ما يحدث علة لما هو عنه ما حدث فبطل ان يكون للشئ علتان فى العقل * وأما فى الوضعيات فقد يعتبر الشرع أمورا تكون بالمجموع سببا فى ترتيب الحكم هذا لا يمنع فاذ وقد علمت هذا فهو أدل دليل على توحيد الله تعالى كونه علة فى وجود العالم غير أن اطلاق هذا اللفظ عليه لم يرد به الشرع فلا نطلقه عليه ولا ندعوه به فهذا توحيد ذاتى ينتفى معه الشريك بلا شك قال الله عز وجل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومعنى هذا لم يوجدا يعنى العالم العلوى وهو السماء والسفلى وهو الارض فحقق هذه المسئلة فى ذهنك فانها نافعة فى نفى الشريك ونفى التحديد عن الله تعالى فلا حد لذاته ولا شريك له فى ملكه لا اله الا هو العزيز الحكيم

* انما عللوا الذى * عللوه لكونه *
هو معلول علمه * ليس معلول عينه
فانظروا ما نصصته * فهو من سر بينه
فصل الامر نفسه * عن سواه ببينه
فىّ سرّ محقق * انه سرّ عونه

فلبست الرداء من * طلبي عين صوته

﴿مسألة أخرى﴾

انما كان كذا الكذا انما انقسم العالم الى شقي وسعيد لان الاسماء الالهية فان الرتبة الالهية تطلب لذاتها ان يكون في العالم بلاء وعافية ولا يلزم من ذلك دوام شيء من ذلك الا أن يشاء الله فقد كان ولا عالم وهو مسمى بهذه الاسماء فالامر في هذا مثل الشرط والمشروط ماهو مثل العلة والمعلول فلا يصح المشروط مالم يصح وجود الشرط وقد يكون الشرط وان لم يقع المشروط فلما رأينا البلاء والعافية قلنا لا بد لهما من شرط وهو كون الحق الها يسمى بالمبلي والمعذب والمنعم وكما ان كل ممكن قابل لاحد الحكمين أعني الضدين هو قابل أيضا لانتفاء أحد الضدين فالعالم كله ممكن فجائز أن ينتفي عنه أحد الحكمين فلا يلزم الخلود في الدار الآخرة في العذاب ولا في النعيم بل ذلك كله ممكن فان ورد الخبر الالهي الذي يفيد العلم بالنص الذي لا يحتمل التأويل بخلود العالم في أحد الحكمين أو بوقوع كل حكم في جزء من العالم معين وخلود ذلك الجزء فيه الى مالا يتناهى قبلناه وقلنا به وماورد من الشارع ان العالم الذي هو في جهنم الذين هم أهلها ولا يخرجون منها ان بقاءهم فيها لوجود العذاب فكما ارتفع حكم العذاب عن ممكن ماوهم أهل الجنة كذلك يجوز أن يرتفع عن أهل النار وجود العذاب مع كونهم في النار لقوله وماهم بخارجين من النار وقال سبقت رحمتي غضبي ولا يلزم من وجود الشرط وجود المشروط فيكون الله الها بجميع أسمائه ولا عذاب في العالم ولا ألم لانه ليس ارتفاعه عن ممكن ما باولى من ارتفاعه عن جميع الممكنات فلم يبق بايدينا من طريق العقل دليل على وجود العذاب دائما ولا غيره فليس الا النصوص المتواترة أو الكشف الذي لا يدخله شبهة فليس للعقل رده اذا ورد من الصادق النص الصريح أو الكشف الواضح

﴿مسألة أخرى من هذا الباب﴾

انما صحت الصورة لآدم لخلقه باليدين فاجتمع فيه حقائق العالم بأسره والعالم يطلب الاسماء الالهية فقد اجتمع فيه الاسماء الالهية ولهذا اختص آدم عليه السلام بعلم الاسماء كلها التي لها توجه الى العالم ولم يكن ذلك العلم أعطاه الله للملائكة وهم العالم الاعلى الاشرف قال الله عز وجل وعلم آدم الاسماء كلها ولم يقل بعضها وقال عرضهم ولم يقل عرضها فدل على انه عرض المسمين لا الاسماء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك واستأثرت به في علم غيبك فان كان هذا الدعاء دعا به قبل نزول سورة البقرة عليه فلا معارضة بين الخبر والآية عند من يقول بأن الاسماء هنا هي الاسماء الالهية فانه صلى الله عليه وسلم لم يكن له علم بما خص الله به آدم على الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم ما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الي وان كان دعا به بعد نزول سورة البقرة فيكون يريد بقوله كلها الاسماء الالهية التي تطلب الآثار في العالم وما تعبد به من أسماء التنزيه والتقديس وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة فأحمده بمحامد يعلمنيها الله لا أعلمها الآن مع قوله في حديث الضربة فعلمت علم الاولين والآخرين ومن علم الاولين علم الاسماء التي علمها الله آدم وربما يكون من علم الآخرين علم هذه المحامد التي يحمد بها ربه يوم القيامة

﴿مسألة أخرى من هذا الباب﴾

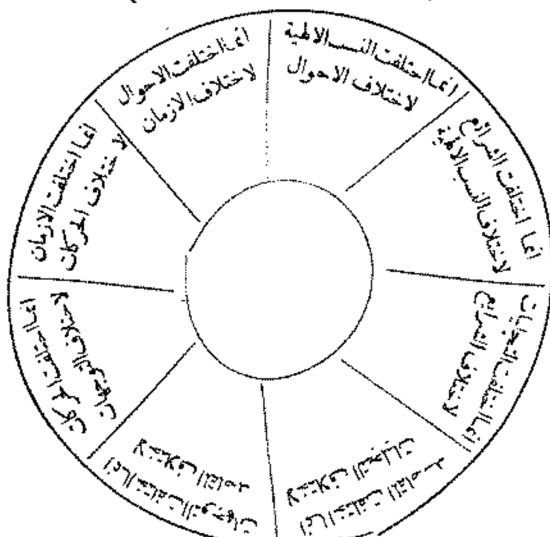
انما كانت الخلافة لآدم عليه السلام دون غيره من أجناس العالم لكون الله تعالى خلقه على صورته فالخليفة لا بد ان يظهر فيما استخلف عليه بصورة مستخلفه والا فليس بخليفة له فيهم فأعطاه الامر والنهي وسماه بالخليفة وجعل البيعة له بالسمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر وأمر الله سبحانه عباده بالطاعة لله ولرسوله والطاعة لاولي الامر منهم فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرسالة والخلافة كداود عليه السلام فان الله نص على خلافته عن الله بقوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق وأجمل خلافة آدم عليه السلام وما كل رسول خليفة فمن أمر ونهى وعاقب وعفا وأمر الله بطاعته وجمعت له هذه الصفات كان خليفة ومن بلغ أمر الله ونهيه ولم يكن له من نفسه اذن من الله تعالى ان يأمر وينهى فهو رسول يبلغ رسالات ربه وبهذا بان لك الفرقان بين الرسول والخليفة ولهذا جاء بالالف واللام في

قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال عزوجل يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله أى فيما أمركم به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بما قال فيه صلى الله عليه وسلم ان الله يأمركم وهو كل أمر جاء فى كتاب الله تعالى ثم قال وأطيعوا الرسول ففصل أمر طاعة الله من طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فلو كان يعنى بذلك ما بلغ الينا من أمر الله تعالى لم تكن ثم فائدة زائدة فلا بد أن يوليه رتبة الامر والنهى فيأمر و ينهى فنحن مأمورون بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله بأمره وقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وطاعته له فيما أمر به صلى الله عليه وسلم ونهى عنه مما لم يقل هو من عند الله فيكون قرءآنا قال الله عزوجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فأضاف النهى اليه صلى الله عليه وسلم فأتى بالالف واللام فى الرسول يريد بهما التعريف والعهد أى الرسول الذى استخلفناه عنا فجعل اله أن يأمر و ينهى زائدا على تبليغ أمرنا ونهينا الى عبادنا ثم قال تعالى فى الآية عينها وأولى الامر منكم أى اذا ولى عليكم خليفة عن رسولى أو وليته وهو من عندكم كما شرع لكم فاسمعوا له وأطيعوا ولو كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف فان فى طاعتكم اياه طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا لم يستأنف فى أولى الامر أطيعوا اكتفى بقوله أطيعوا الرسول ولم يكتف بقوله أطيعوا الله عن قوله أطيعوا الرسول ففصل لكونه تعالى ليس كمثله شئ واستأنف القول بقوله وأطيعوا الرسول فهذا دليل على انه تعالى قد شرع له صلى الله عليه وسلم أن يأمر و ينهى وليس لاولى الامر أن يشرعوا شريعة انما لهم الامر والنهى فيما هو مباح لهم ولنا فاذا أمرونا بمباح أونهونا عن مباح وأطعناهم فى ذلك أجرنا فى ذلك أجر من أطاع الله فيما أوجبه عليه من أمر ونهى وهذا من كرم الله بنا ولا يشعر بذلك أهل الغفلة منا

﴿مسئلة أخرى من هذا الباب﴾

انما أمرت الملائكة والخلق أجمعون بالسجود وجعل معه القربة فقال واسجد واقترب وقال صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من الله فى سجوده ليعلموا أن الحق فى نسبة الفوق اليه من قوله وهو القاهر فوق عباده و يخافون ربهم من فوقهم كنسبة التحت اليه فان السجود طلب السفل بوجهه كما ان القيام يطلب الفوق اذا رفع وجهه بالدعاء و يديه وقد جعل الله السجود حالة القرب من الله فلم يقيده سبحانه الفوق عن التحت ولا التحت عن الفوق فانه خالق الفوق والتحت كما لم يقيده الاستواء على العرش عن النزول الى السماء الدنيا ولم يقيده النزول الى السماء الدنيا عن الاستواء على العرش كما لم يقيده سبحانه الاستواء والنزول عن أن يكون معنا أينما كنا كما قال تعالى وهو معكم أينما كنتم بالمعنى الذى يليق به وعلى الوجه الذى أراده كما قال أيضا ما وسعنى أرضى ولا سمائى و وسعنى قلب عبدى كما قال عنه هود عليه السلام ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها وقال تعالى أيضا فى حق الميت ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فنسب القرب اليه من الميت وقال أيضا عز وجل ونحن أقرب اليه من حبل الوريد يعنى الانسان مع قوله ليس كمثله شئ وهو السميع البصير

﴿ مسئلة دورية من هذا الباب وهذه صورتها ﴾



انما قلنا اختلفت الشرائع لاختلاف النسب الالهية لانه لو كانت النسبة الالهية لتحليل أمر ما فى الشرع كالنسبة لتحريم ذلك الامر عينه فى الشرع لما صح تغيير الحكم وقد ثبت تغيير الحكم ولما صح أيضا قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقد صح ان لكل أمة شرعة ومنهاجا جاء هابذلك نبيها ورسولها فنسخ وأثبت فعلمنا بالقطع ان نسبته تعالى فيما شرعه الى محمد صلى الله عليه وسلم خلاف نسبته الى نبي آخر والا لو كانت النسبة واحدة من كل وجه وهى الموجبة للتشريع الخاص لكان الشرع واحدا من كل وجه فان قيل فلم اختلفت النسب الالهية قلنا لاختلاف الاحوال فمن حاله المرض يدعو يامعافى ويا شافى ومن حاله الجوع يقول يارزاق ومن حاله الغرق يقول يامغيث فاختلفت النسب لاختلاف الاحوال وهو قوله كل يوم هو فى شأن وسنفرغ لكم أيها الثقلان وقوله صلى الله عليه وسلم لما وصف ربه تعالى بيده الميزان يخفض ويرفع فلحالة الوزن قيل فيه الخافض الرافع فظهرت هذه النسب فهكذا فى اختلاف أحوال الخلق وقولنا انما اختلفت الاحوال لاختلاف الازمان فان اختلاف أحوال الخلق سببها اختلاف الازمان عليها فحالها فى زمان الربيع يخالف حالها فى زمان الصيف وحالها فى زمان الصيف يخالف حالها فى زمان الخريف وحالها فى زمان الخريف يخالف حالها فى زمان الشتاء وحالها فى زمان الشتاء يخالف حالها فى زمان الربيع يقول بعض العلماء بما تفعله الازمان فى الاجسام الطبيعية تعرضوا لهواء زمان الربيع فانه يفعل فى أبدانكم ما يفعل فى أشجاركم وتحفظوا من هواء زمان الخريف فانه يفعل فى أبدانكم كما يفعل فى أشجاركم وقد نص الله تعالى على اننا من جملة نبات الارض فقال والله أنبتكم من الارض نباتا أراد فنبتم نباتا لان مصدر أنبتكم انما هو انباتا كما قال فى نسبة التكوين الى نفس المأمور به فقال تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فجعل التكوين اليه كذلك نسب ظهور النبات الى النبات فافهم فلذلك قلنا انما اختلفت الاحوال لاختلاف الازمان وأما قولنا انما اختلفت الازمان لاختلاف الحركات فأعنى بالحركات الحركات الفلكية فانه باختلاف الحركات الفلكية حدث زمان الليل والنهار وتعينت السنون والشهور والفصول وهذه المعبر عنها بالازمان وقولنا اختلفت الحركات لاختلاف التوجهات أريد بذلك توجه الحق عليها بالايجاد لقوله تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه فلو كان التوجه

واحدا عليها لما اختلفت الحركات وهي مختلفة فدل ان التوجه الذي حرك القمر في فلكه ماهو التوجه الذي حرك الشمس ولا غيرها من الكواكب والافلاك ولو لم يكن الامر كذلك لكانت السرعة أو الابطاء في الكل على السواء قال تعالى كل في فلك يسبحون فلكل حركة توجه الهي أي تعلق خاص من كونه مريدا وقولنا انما اختلفت التوجهات لاختلاف المقاصد فلو كان قصد الحركة القمرية بذلك التوجه عين قصد الحركة الشمسية بذلك التوجه لم يتميز أثر عن أثر والآثار بلا شك مختلفة فالتوجهات مختلفة لاختلاف المقاصد فتوجهه بالرضى عن زيد غير توجهه بالغضب على عمرو فانه قصد تعذيب عمرو وقصد تنعيم زيد فاختلفت المقاصد وقولنا انما اختلفت المقاصد لاختلاف التجليات فان التجليات لو كانت في صورة واحدة من جميع الوجوه لم يصح أن يكون لها سوى قصد واحد وقد ثبت اختلاف القصد فلا بد أن يكون لكل قصد خاص تجل خاص ماهو عين التجلي للآخر فان الاتساع الالهي يعطي أن لا يتكرر شئ في الوجود وهو الذي عولت عليه الطائفة والناس في لبس من خلق جديد يقول الشيخ أبو طالب المكي صاحب قوت القلوب وغيره من رجال الله عز وجل ان الله سبحانه ما تجلى قط في صورة واحدة لشخصين ولا في صورة واحدة مرتين ولهذا اختلفت الآثار في العالم وكنى عنها بالرضى والغضب وقولنا انما اختلفت التجليات لاختلاف الشرائع فان كل شريعة طريق موصلة اليه سبحانه وهي مختلفة فلا بد أن تختلف التجليات كما تختلف العطايا ألا تراه عز وجل اذا تجلى لهذه الامة في القيامة وفيها منافقوها وقد اختلف نظرهم في الشريعة فصار كل مجتهد على شرع خاص هو طريقه الى الله ولهذا اختلفت المذاهب وكل شرع في شريعة واحدة والله قد قرر ذلك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم عندنا فاختلفت التجليات بلا شك فان كل طائفة قد اعتقدت في الله أمرا ما ان تجلى لها في خلافه أنكرته فاذا تحول لها في العلامة التي قد قررتها تلك الطائفة مع الله في نفسها أقرت به فاذا تجلى للاشعري في صورة اعتقاد من يخالفه في عقده في الله وتجلى للمخالف في صورة اعتقاد الاشعري مثلا أنكره كل واحد من الطائفتين كما ورد وهكذا في جميع الطوائف فاذا تجلى لكل طائفة في صورة اعتقادها فيه تعالى وهي العلامة التي ذكرها مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقروا له بأنه ربهم وهو هو لم يكن غيره فاختلفت التجليات لاختلاف الشرائع وقولنا انما اختلفت الشرائع لاختلاف النسب الالهية قد تقدم ودار الدور فكل شئ أخذته من هذه المسائل صلح أن يكون أولا وآخرا ووسطا وهكذا كل أمر دوري يقبل كل جزء منه بالفرض الاولية والآخرية وما بينهما وقد ذكرنا مثل هذا الشكل الدوري في التدبيرات الالهية مضاهيا لقول المتقدم اذ قال العالم بستان سياجه الدولة سلطان تحجبه السنة السنة سياسة يسوسها الملك الملك راع يعضده الجيش الجيش أعوان يكفلهم المال المال رزق يجمعه الرعية الرعية عبيد تعبدهم العدل العدل مألوف فيه صلاح العالم العالم بستان ودار الدور ويكفي هذا القدر من الايماء الى العلل والاسباب مخافة التطويل فان هذا الباب واسع جدا اذ كان العالم كله مرتبطا بعضه ببعض أسباب ومسببات وعلل ومعلولات والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الخامس والعشرون

(بسم الله الرّحمن الرّحيم)

(الباب التاسع والاربعون)

في معرفة قوله صلى الله عليه وسلم اني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن ومعرفة هذا المنزل ورجاله

نفس الرحمن ليس له * في سوى الرحمن مستند
حكمه في كل طائفة * ما لها ركن ولا سند
يمن الاكوان منزله * وهو لا روح ولا جسد
ماله حد يعينه * وهو المطلوب والصمد
لجميع الخلق يطلبه * ثم لم يظفر به أحد

أحمد ما مثله أحد * بكمال النعت منفرد

اعلم يا ولي ان لله عبادا من حيث اسمه الرحمن وهو قوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما يقول تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ولله عباد يأتي اليهم الرحمن من اسمه الرب فان الله يقول قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى فكما له من الاسم الله الاسماء الحسنى كذلك له من الاسم الرحمن الاسماء الحسنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا الى السماء الدنيا وقال وجاء ربك فثم اتيان عام مثل هذا وهو الاتيان للفصل والقضاء وثم اتيان خاص بالرحمة لمن اعتنى به من عباده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اشتد كربه من المنازعين اني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن وهو ماشي الى اليمن لكن النفس أدركه من قبل اليمن وما أدركه حتى أتاه فجاء بالتنفيس من الشدة والضيق الذي كان فيه بالانصار رضي الله عن جميعهم فتقدم اليه النفس في باطنه وقلبه مبشرا بما يظهره الله من نصرة الدين واقامته على أيدي الانصار ولقد جرى لنا في حديث الانصار ما نذكره ان شاء الله وذلك انه عندنا بدمشق رجل من أهل الفضل والادب والدين يقال له يحيى بن الاخفش من أهل مراكش كان أبوه يدرس العربية بها فكتب الي يوما من منزله بدمشق وأنا بها يقول لي في كتابه يا ولي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة بجامع دمشق وقد نزل بمقصورة الخطابة الى جانب خزانة المصحف المنسوب الى عثمان رضي الله عنه والناس يهرعون اليه ويدخلون عليه يبايعونه فبقيت واقفا حتى خف الناس فدخلت عليه وأخذت يده فقال لي هل تعرف محمدا فقلت له يا رسول الله من محمد فقال له ابن العربي قال فقلت له نعم أعرفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اناقد أمرناه بامر فقل له يقول لك رسول الله انهض لما أمرت به واصحبه أنت فانك تنتفع بصحبته وقل له يقول لك رسول الله امتدح الانصار ولتعين منهم سعد بن عبادة ولا بد ثم استدعى بحسان بن ثابت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حسان حفظه بيتا يوصله الى محمد بن العربي يبني عليه وينسج على منواله في العروض والروي فقال حسان يا يحيى خذ اليك وأنشدني بيتا وهو

شغف السهاد بمقلتي ومزاري * فعلى الدموع معوّلي ومشاري

وما زال يردده علي حتى حفظته ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مدح الانصار فاكتبه بخط بين واحمله ليلة الخميس الى تربة هذا الذي تسمونها قبر الست فستجد عنده شخصا اسمه حامد فادفع اليه المدح فلما أخبرني بذلك هذا الرائي وفقه الله عملت القصيدة من وقتي من غير فكرة ولا روية ولا تثبط ودفعت القصيدة اليه فكتب الي انه لما جاء قبر الست وصل اليه بعد العشاء الآخرة قال فرأيت رجلا عند القبر فقال لي ابتداء أنت يحيى الذي جاء من عند فلان وسماني قال فقلت له نعم قال فأين القصيد الذي مدح به الانصار عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هو ذا عندي فناولته اياه فقرب من الشمعة ليقرأ القصيدة فرأى مخبر ذلك الخط فقلت له تأمرني أنشدك اياها قال نعم فانشدته اياها وهذا نص القصيدة

قال ابن ثابت الذي فخرت به * فقر الكلام ونشأة الاشعار
شغف السهاد بمقلتي ومزاري * فعلى الدموع معوّلي ومشاري

وكانت أمي تنتسب الى الانصار فقلت

فلذا جعلت رويه الراء التي * هي من حروف الرد والتكرار
فأقول مبتدئا لطاعة أحمد * في مدح قوم سادة ابرار
اني امرؤ من جملة الانصار * فاذا مدحتهم مدحت نجاري
بسيوفهم قام الهدى وبهم علت * أنواره في رأس كل منار
قاموا بنصر الهاشمي محمد * المصطفى المختار من مختار
صحبوا النبي بنية وعزائم * فازوا بهن حميدة الآثار

باعوا نفوسهم لنصرة دينه * ولذاك ما صحبوه بالايثار
عنهم كنى المختار بالنفس الذى * يأتيه من يمن مع الاقدار
سعد سليل عبادة تفرت به * يوم السقيفة جملة الانصار
لله آساد لكل كريهة * نزلت بدين الله والاخيار
عزوا بدين الله فى اعزازهم * دين الهدى بالعسكر الجرار
فبهم علا يوم القيامة مشهدى * وبهم ترى يوم الورود فخارى
لو أننى صنفت الكلام قلائدا * فى مدحهم ما كنت بالمكثار
كرش النبى وعيبة لرسوله * لحقت بهم أعداؤه بتبار
رهبان ليلا يقرؤن كلامه * آساد غاب فى الوغى بنهار

وقصة الرؤيا طويلة فاقتصرت من ذلك على ما نحتاج اليه فى هذا الباب من ذكر الانصار ثم نرجع فنقول فما جاءت الانصار الا بعد أن نفس الله عن نبيه بما بشره به فلقيته الانصار فى حال اتساع وانشراح وسرور وتلقاها صلى الله عليه وسلم تلقى الغنى بربه فكان معها والمهاجرين عونا على اقامة دين الله كما أمرهم الله قال الله عز وجل والله يقبض ويبسط فلله الاسماء الحسنى ولها آثار وتحكم فى خلقه وهى المتوجهة من الله تعالى على ايجاد الممكنات وما تحوى عليه من المعانى التى لا نهاية لها والله من حيث ذاته غنى عن العالمين وأما عز فان الله تعالى انه غنى عن العالمين ليعلمنا انه سبحانه ما أوجدنا الا لنا لا لنفسه وما خلقنا لعبادته الا ليعود ثواب ذلك العمل وفضله الينا ولذلك ما خص بهذا الخطاب الا الثقلين فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولا نشك ان كل ما خلق من الملائكة وغيرهم من العالم ما خلقهم الا مسبحين بحمده وما خص بهذه الصفة غير الثقلين أعنى صفة العبادة وهى الذلة فما خلقهم حين خلقهم اذلا وانما خلقهم ليذلوا وخلق ما سواهم اذلا فى أصل خلقهم فما جعل العلة فى سوى الثقلين الذلة كما جعلها فينا وذلك انه ما تكبر أحد من خلق الله على أمر الله غير الثقلين ولا عصى الله أحد من خلق الله سوى الثقلين فأمر ابليس فعصى ونهى آدم عليه السلام ان يقرب الشجرة فكان من أمره ما قال الله لنا فى كتابه وعصى آدم ربه وأما الملائكة فقد شهد لهم الله بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ردا على من تكلم بما لا ينبغى فى حق الملكين ببابل من المفسرين بما لا يليق بهم ولا يعطيه ظاهر الآية لكن الانسان يجترئ على الله تعالى فيقول فيه ما لا يليق بجلاله فكيف لا يقول فى الملائكة فكما كذب الانسان ربه فى أمور فيكون هذا القائل قد كذب ربه فى قوله فى حق الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم وفى صحيح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل يقول الله عز وجل كذبنى ابن آدم ولم يكن ينبغى له ذلك وشتمنى ابن آدم ولم يكن ينبغى له ذلك الحديث فلا أحد أصبر على أذى من الله كذا ورد أيضا فى الخبر وهو سبحانه يرزقهم ويحسن اليهم وهم فى حقه بهذه الصفة فاعلم ان السبب الموجب لتكبر الثقلين دون سائر الموجودات ان سائر المخلوقات توجه على ايجادهم من الاسماء الالهية أسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والقهر والعزة فخرجوا أذلاء تحت هذا القهر الالهى وتعرف اليهم حين أوجدهم بهذه الاسماء فلم يتمكن ان خلق بهذه المثابة ان يرفع رأسه ولا ان يجد فى نفسه طعما للكبرياء على أحد من خلق الله فكيف على من خلقه وقد أشهده انه فى قبضته وتحت قهره وشهدوا كشفا نواصيهم ونواصى كل دابة بيده فى القرآن العزيز ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ثم قال متمما ان ربى على صراط مستقيم والاخذ بالناصية عند العرب اذلال هذا هو المقرر عرفا عندنا فمن كان حاله فى شهود نظره الى ربه أخذ النواصى بيده ويرى ناصيته من جملة النواصى كيف يتصور منه عز او كبرياء على خالقه مع هذا الكشف * وأما الثقلان فخلقهم بأسماء اللطف والحنان والرأفة والرحمة والتنزل الالهى فعند ما خرجوا لم يروا عظمة ولا عزا ولا كبرياء ورأوا انفسهم مستندة فى وجودها الى رحمة وعطف وتنزل ولم يبد الله لهم من جلاله ولا كبريائه ولا عظمته فى خروجهم الى الدنيا شيئا يشغلهم عن نفوسهم ألا تراهم فى الاخذ الذى عرض لهم

من ظهورهم حين قال لهم ألست بربكم هل قال أحد منهم نعم لا والله بل قالوا بلى فأقروا له بالربوبية لانهم فى قبضة الاخذ محصورون فلو شهدوا ان نواصيهم بيد الله شهادة عين أو إيمان كشهادة عين كشهادة الاخذ ما عصوا الله طرفة عين وكانوا مثل سائر المخلوقات يسبحون الليل والنهار لا يفترون فلما ظهر ذلك من هذه الاسماء الرحمانية قالوا يا ربنا لم خلقتنا قال لتعبدون أى لتكونوا اذلاء بين يدى فلم يروا صفة قهر ولا جناب عزة تذلهم ولا سيما وقد قال لهم لتذلوا الىّ فأضاف فعل الاذلال اليهم فزادوا بذلك كبرا فلو قال لهم ما خلقتكم الا لاذلكم لفرقوا وخافوا فانها كلمة قهر فكانوا يبادرون الى الذلة من نفوسهم خوفا من هذه الكلمة كما قال للسموات والارض ائتيا طوعا أو كرها فلو لم يقل كرها فانها كلمة قهر حينما أتت فلهذا قلنا انما أوجد كل ما عدا الثقلين ولا خاطبهم الا بصيغة القهر والجبروت فلما قال للثقلين عن السبب الذى لاجله أوجدهم وخلقهم نظروا الى الاسماء التى وجدوا عنها فلم يروا أسماء الهية منها يقتضى أخذهم وعقوبتهم ان عصوا أمره ونهيه وتكبروا على أمره فلم يطيعوه وعصوه فعصى آدم ربه وهو أول الناس وعصى ابليس ربه فسرت المخالفة من هذين الاصلين فى جميع الثقلين بقول النبى صلى الله عليه وسلم عن آدم انه جحد ونسى ما وهبه لداود من عمره فنسى آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته الا من رحم ربك فعصمه ولكن من التكبر على الله لا من تكبر بعضهم على بعض وعلى سائر المخلوقين فما عصم أحد من ذلك ابتداء فان الله قد شاء ان يتخذ بعضهم بعضا سخريا ولكن اذا اعتنى الله بعبده فى الحالة الثانية يرزقه التوفيق والعناية فيلزم ما خلق له من العبادة فيلحق بسائر المخلوقات وهو عزيز الوجود وأين العبد الذى هو فى نفسه مع أنفاسه عبد لله دائما فلا يذل أحد من الثقلين الا عن قهر يجده فهو فى ذله مجبور فاذا وجد ذلك حينئذ يلتفت الى الاسماء التى عنها وجد وهى أسماء الرحمة فيطلبها لتزيل عنه ما هو فيه من الضيق والحرج الذى ما اعتاده فيحن الى جهتها ويعرف ان لها قوة وسلطانا فتنفس عنه ما يجده من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نفس الرحمن فأشار الى الاسم الذى خلق به الثقلين وقرن معه جهة القوة فقال من قبل اليمن والقبل الناحية والجهة واليمن من اليمين وهو القوة قال الشاعر

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

أراد بالقوة فان اليمين محل القوة والسموات مطويات بيمينه وكذلك كان لما نظر اليه الاسم الرحمن الذى عنه وجد كان النصر على أيدى الانصار وكذلك قوله يوم نحشر المتقين فان المتقى هو الحذر الخائف الوجل ولا يكون أحد يشهد الرحمن الرحيم الرؤف ويتقيه وانما يشهود المتقى السريع الحساب الشديد العقاب المتكبر الجبار فيتقى ويخاف فيؤمنه الله تعالى بأن يحشره الى الرحمن فيأمن سطوة الجبار القهار ولهذا قال تعالى فينا ان رحمته سبقت غضبه لانه بالرحمة أوجدنا ثم يوجدنا بصفة القهر وكذلك تأخرت المعصية فتأخر الغضب عن الرحمة فى الثقلين فالله يجعل حكمهما فى الاخرة كذلك ولو كانت بعد حين ألا ترى الله تعالى اذا ذكر أسماءه لنا يبتدئ بأسماء الرحمة ويؤخر أسماء الكبرياء لانا لا نعرفها فاذا قدم لنا أسماء الرحمة عرفناها وحننا اليها عند ذلك يتبعها أسماء الكبرياء لنأخذها بحكم التبعية فقال تعالى هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة فهذا نعت يعم الجميع وليس واحدته بأولى من الآخر ثم ابتدأ فقال هو الرحمن فعرفنا الرحمن الرحيم لانا عنه وجدنا ثم قال بعد ذلك هو الله الذى لا اله الا هو ابتداء ليجعله فصلا بين الرحمن الرحيم وبين العزيز الجبار المتكبر فقال الملك القدوس السلام المؤمن وهذا كله من نعوت الرحمن ثم جاء وقال العزيز الجبار المتكبر فقبلنا هذه النعوت بعد ان آنسنا بأسماء اللطف والحنان وأسماء الاشتراك التى لها وجه الى الرحمة ووجه الى الكبرياء وهو الله والملك فلما جاء بأسماء العظمة والجلال قد تأنس بترادف الاسماء الكثيرة الموجبة الرحمة قبلنا أسماء العظمة لما رأينا أسماء الرحمة قد قبلتها حيث كانت نعوتا لها فقبلناها ضمنا تبعا لاسمائنا ثم انه لما علم الخلق ان صاحب القلب والعلم بالله وبمواقع خطابه اذا سمع مثل أسماء العظمة لا بد أن تؤثر فيه أثر خوف وقبض نعتها بعد ذلك وأردفها بأسماء لا تختص بالرحمة على الاطلاق ولا تعرى عن العظمة على الاطلاق فقال هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى وهذا كله تعليم من الله عباده وتنزل اليهم فمنازل أصحاب هذا الباب هى هذه الاسماء المذكورة وحضراتها ولهذا اقتدم

سبحانه في كتابه بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة اذ كانت السور تحوي على أمور مخوفة تطلب أسماء العظمة والاقتدار فقدم أسماء الرحمة تأنيسا وبشرى ولهذا قالوا في سورة التوبة انها والانفال سورة واحدة حيث لم يفصل بينهما بالبسملة وفي ذلك خلاف منقول بين علماء هذا الشأن من الصحابة ولا أعلم الله تعالى ما يجري من الخلاف في هذه الامة في حذف البسملة من سورة براءة فمن ذهب الى انها سورة مستقلة وكان القرآن عنده مائة وثلاث عشرة سورة فيحتاج الى مائة وثلاث عشرة بسملة أظهر لهم في سورة النمل بسملة ليكمل العدد وجاء بها كما جاء بها في أوائل السور بعينها فان لغة سليمان عليه السلام لم تكن عربية وانما كانت أخرى فما كتب لغة هذا اللفظ في كتابه وانما كتب لفظة بلغته تقتضي معناها باللسان العربي اذا عبر عنها بسم الله الرحمن الرحيم وأتى بها محذوفة الالف كما جاءت في أوائل السور ليعلم ان المقصود بها هو المقصود بها في أوائل السور ولم يعمل ذلك في باسم الله مجراها واقرأ باسم ربك فأثبت الالف هنالك ليفرق بين اسم البسملة وغيرها ولهذا تضمن سورة التوبة من صفات الرحمة والتنزل الالهي كثيرا فان فيها اشتراء الله نفوس المؤمنين منهم بان لهم الجنة وأي تنزل أعظم من أن يشتري السيد ملكه من عبده وهل يكون في الرحمة أبلغ من هذا فلا بد أن تكون التوبة والانفال سورة واحدة أو تكون بسملة النمل السليمانية لسورة التوبة ثم انظر في اسمها سورة التوبة والتوبة تطلب الرحمة ما تطلب التبري وان ابتدأ عز وجل بالتبري فقد ختم بآية لم يأت بها ولا وجدت الا عند من جعل الله شهادته شهادة رجلين فان كنت تعقل علمت ما في هذه السورة من الرحمة المدرجة ولا سيما في قوله تعالى ومنهم ومنهم وذلك كله رحمة بنا لنحذر الوقوع فيه والاتصاف بتلك الصفات فان القرآن علينا انزل فلم تتضمن سورة من القرآن في حقنا رحمة أعظم من هذه السورة لانه كثر من الامور التي ينبغي أن يتقيها المؤمن ويجتنبها فلو لم يعرفنا الحق تعالى بها ربما وقعنا فيها ولا نشعر فهي سورة رحمة للمؤمنين واذ وقد عرفناك بمنازله فاعلم أن رجاله هم كل من كان حاله من أهل الله حال من أحاطت به الاسماء الجبروتية من جميع عالمه العلوي والسفلي فيقع منه اللجأ والتضرع الى أسماء الرحمة فيتجلى له الاسم الرحمن الذي له الاسماء الحسنى والذي به على العرش استوى فيهبه الاقتدار الالهي فيمحو به آثار الاسماء القهرية فيتسع له المجال فينشرح الصدر ويجري النفس ويسري فيه روح الحياة وتأتي اليه وفود الاسماء الرحمانية والحقائق الالهية بالتهاني والبشائر فمن كانت هذه حالته ويعرفها ذوقا من نفسه وهو من رجال هذا المقام فلا يغالط نفسه وكل انسان أعلم بحاله ولا ينفعك ان تنزل نفسك عند الناس منزلة ليست لك في نفس الامر وقد نصحتك وأبنت لك عن طريق القوم فلا تكن من الجاهلين بما عرفناك به واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب الخمسون في معرفة رجال الحيرة والعجز﴾

من قال يعلم ان الله خالقه ✽ ولم يحر كان برهانا بأن جهلا

لا يعلم الله الا الله فانتبهوا ✽ فليس حاضركم مثل الذي غفلا

العجز عن درك الادراك معرفة ✽ كذا هو الحكم فيه عند من عقلا

هو الاله فلا تحصى محامده ✽ هو النزيه فلا تضرب له مثلا

اعلم أيدك الله بروح منه ان سبب الحيرة في علمنا بالله طلبنا معرفة ذاته جل وتعالى بأحد الطريقين اما بطريق الادلة العقلية واما بطريق تسمى المشاهدة فالدليل العقلي يمنع من المشاهدة والدليل السمعي قد أومأ اليها وما صرح والدليل العقلي قد منع من ادراك حقيقة ذاته من طريق الصفة الثبوتية النفسية التي هو سبحانه في نفسه عليها وما أدرك العقل بنظره الا الصفات السلوب لا غير وسمى هذا معرفة والشارع قد نسب الى نفسه أمورا وصف نفسه بها تحيلها الادلة العقلية الا بتأويل بعيد يمكن أن يكون مقصود الشارع ويمكن أن لا يكون وقد لزمه الايمان والتصديق بما وصف به نفسه لقيام الادلة عنده بصدق هذه الاخبار عنه انه أخبر بها عن نفسه في كتبه أو على ألسنة رسله فتعارض هذه الامور

مع طلبه معرفة ذاته تعالى أو الجمع بين الدليلين المتعارضين أوقعهم في الحيرة فرجال الحيرة هم الذين نظروا في هذه الدلائل واستقصوها غاية الاستقصاء الى أن أداهم ذلك النظر الى العجز والحيرة فيه من نبيّ أو صديق قال صلى الله عليه وسلم اللهمّ زدني فيك تحيرا فانه كلما زاده الحق علما به زاده ذلك العلم حيرة ولا سيما أهل الكشف لاختلاف الصور عليهم عند الشهود فهم أعظم حيرة من أصحاب النظر في الادلة بما لا يتقارب قال النبي صلى الله عليه وسلم بعدما بذل جهده في الثناء على خالقه بما أوحي به اليه لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في هذا المقام وكان من رجاله العجز عن درك الادراك ادراك أي اذا علمت ان ثم من لا يعلم ذلك هو العلم بالله تعالى فكان الدليل على العلم به عدم العلم به والله قد أمرنا بالعلم بتوحيده وما أمرنا بالعلم بذاته بل نهى عن ذلك بقوله ويحذركم الله نفسه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التفكر في ذات الله تعالى اذ من ليس كمثله شيء كيف يوصل الى معرفة ذاته فقال الله تعالى آمرا بالعلم بتوحيده فاعلم انه لا اله الا الله فالمعرفة به من كونه الها والمعرفة بما ينبغي للاله أن يكون عليه من الصفات التي يمتاز بها عن من ليس باله وعن المألوه هي المأمور بها شرعا فلا يعرف الله الا الله فقامت الادلة العقلية القاطعة على انه الواحد عند أهل النظر وأهل الكشف فلا اله الا هو ثم بعد هذا الدليل العقليّ على توحيده والعلم الضروريّ العقلي بوجوده رأينا أهل طريق الله تعالى من رسول ونبيّ ووليّ قد جاؤا بأمور من المعرفة بنعوت الاله في طريقهم احالتها الادلة العقلية وجاءت بصحتها الالفاظ النبوية والاخبار الالهية فبحث أهل الطريق عن هذه المعاني ليحصلوا منها على أمر يتميزون به عن أهل النظر الذين وقفوا حيث بلغت بهم أفكارهم مع تحققهم صدق الاخبار فقالوا نعلم ان ثم طورا آخر وراء طور ادراك العقل الذي يستقل به وهو للانبياء وكبار الاولياء به يقبلون هذه الامور الواردة عليهم في الجناب الالهيّ فعملت هذه الطائفة في تحصيل ذلك بطريق الخلوات والاذكار المشروعة لصفاء القلوب وطهارتها من دنس الفكر اذ كان المفكر لا يفكر الا في المحدثات لا في ذات الحق وما ينبغي أن يكون عليه في نفسه الذي هو مسمى الله ولم يجد صفة اثبات نفسية فأخذ ينظر في كل صفة يمكن أن يقبلها المحدث الممكن يسلبها عن الله لئلا يلزمه حكم تلك الصفة كما لزمت الممكن الحادث مثل ما فعل بعض النظار من المتكلمين في أمور أثبتوها وطردوها شاهدا وغائبا ويستحيل على ذات الحق أن تجتمع مع الممكن في صفة فانّ كل صفة يتصف بها الممكن يزول وجودها بزوال الموصوف بها أو تزول هي مع بقاء الممكن كصفات المعاني والاولى كصفات النفس ثم ان كل صفة منها ممكنة فاذا طردوها شاهدا وغائبا فقد وصفوا واجب الوجود لنفسه بما هو ممكن لنفسه والواجب الوجود لنفسه لا يقبل ما يمكن أن يكون ويمكن أن لا يكون فاذا بطل الاتصاف به من حيث حقيقة ذلك الوصف لم يبق الا الاشتراك في اللفظ اذ قد بطل الاشتراك في الحدّ والحقيقة فلا يجمع صفة الحق وصفة العبد حدّ واحد أصلا فاذن بطل طرد ما قالوه وطردوه شاهدا وغائبا فلم يكن قولنا في الله انه عالم على حدّ ما نقول في الممكن الحادث انه عالم من طريق حدّ العلم وحقيقته فان نسبة العلم الى الله تخالف نسبة العلم الى الخلق الممكن ولو كان عين العلم القديم هو عين العلم المحدث لجمعهما حدّ واحد ذاتيّ أعني العلمين واستحال عليه ما يستحيل على مثله من حيث ذاته ووجدنا الامر على خلاف ذلك فتعملت هذه الطائفة في تحصيل شيء مما وردت به الاخبار الالهية من جانب الحق وشرعت في صقالة قلوبها بالاذكار وتلاوة القرآن وتفريغ المحل من النظر في الممكنات والحضور والمراقبة مع طهارة الظاهر بالوقوف عند الحدود المشروعة من غض البصر عن الامور التي نهى أن ينظر اليها من العورات وغيرها وارساله في الاشياء التي تعطيه الاعتبار والاستبصار وكذلك سمعه ولسانه ويده ورجله وبطنه وفرجه وقلبه وما ثم في ظاهره سوى هذه السبعة والقلب ثامنها ويزيل التفكر عن نفسه جملة واحدة فانه مفرّق لهمه ويعتكف على مراقبة قلبه عند باب ربه عسى الله أن يفتح له الباب اليه ويعلم ما لم يكن يعلم مما علمته الرسل وأهل الله مما لم تستقل العقول بادراكه واحالته فاذا فتح الله لصاحب هذا القلب هذا الباب حصل له تجل الهيّ أعطاه ذلك التجلي بحسب ما يكون حكمه فينسب الى الله منه أمرا لم يكن قبل ذلك يجترئ على نسبته الى الله سبحانه ولا يصفه به الا قدر ما جاءت به الانباء الالهية فيأخذها تقليدا والآن يأخذ ذلك كشفا موافقا

مؤيداعنده لما نطقت به الكتب المنزلة وجاء على ألسنة الرسل عليهم السلام فكان يطلقها ايمانا حاكيا من غير تحقيق لمعانيها ولا يزيد عليها والآن يطلق في نفسه عليه تعالى ذلك علما محققا من أجل ذلك الامر الذى تجلى له فيكون بحسب ما يعطيه ذلك الامر ويعرف معنى ما يطلقه وما حقيقة ذلك فيتخيل في أول تجل انه قد بلغ المقصود وحاز الامر وانه ليس وراء ذلك شئ يطلب سوى دوام ذلك فيقوم له تجل آخر بحكم آخر ما هو ذلك الاول والمتجلي واحد لا يشك فيه فيكون حكمه فيه حكم الاول ثم تتوالى عليه التجليات باختلاف أحكامها فيه فيعلم عند ذلك ان الامر ماله نهاية يوقف عندها ويعلم ان الانية الالهية ما أدركها وأن الهوية لا يصح أن تتجلى له وانها روح كل تجل فيزيد حيرة لكن فيها لذة وهي أعظم من حيرة أصحاب الافكار بما لا يتقارب فان أصحاب الافكار ما برحوا بأفكارهم في الاكوان فلهم أن يحاروا ويعجزوا وهؤلاء ارتفعوا عن الاكوان وما بقي لهم شهود الا فيه فهو مشهودهم والامر بهذه المثابة فكانت حيرتهم باختلاف التجليات أشد من حيرة النظار في معارضات الدلالات عليه فقوله صلى الله عليه وسلم أو قول من يقول من هذا المقام زدني فيك تحيرا طلب لتوالي التجليات عليه فهذا الفرق بين حيرة أهل الله وحيرة أهل النظر فصاحب العقل ينشد

وفي كل شئ له آية * تدل على انه واحد

وصاحب التجلي ينشد قولنا في ذلك

وفي كل شئ له آية * تدل على انه عينه

فبينهما ما بين كلتيهما فما في الوجود الا الله ولا يعرف الله الا الله ومن هذه الحقيقة قال من قال أنا الله كأبي يزيد وسبحاني كغيره من رجال الله المتقدمين وهي من بعض تخريجات أقوالهم رضي الله عنهم فمن وصل الى الحيرة من الفريقين فقد وصل غير أن أصحابنا اليوم يجدون غاية الالم حيث لا يقدرون يرسلون ما ينبغي أن يرسل عليه سبحانه كما أرسلت الانبياء عليهم السلام فما أعظم تلك التجليات واعمال منعهم أن يطلقوا عليه ما أطلقت الكتب المنزلة والرسل عليهم السلام عدم انصاف السامعين من الفقهاء وأولي الامر لما يسارعون اليه في تكفير من يأتي بمثل ما جاءت به الانبياء عليهم السلام في جنب الله وتركوا معنى قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة كما قال له صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل عند ذكره الانبياء والرسل عليهم السلام أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فأغلق الفقهاء هذا الباب من أجل المدعين الكاذبين في دعواهم ونعم ما فعلوا وما على الصادقين في هذا من ضرر لان الكلام والعبارة عن مثل هذا ما هو ضربة لازب وفي ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك كفاية لهم فيوردونها يستريحون اليها من تعجب وفرح وضحك وتبشبش ونزول ومعية ومحبة وشوق وما أشبه ذلك مما لو انفرد بالعبارة عنه الولي كفروه وربما قتل وأكثر علماء الرسوم عدموا علم ذلك ذوقا وشربا فأنكروا مثل هذا من العارفين حسدا من عند أنفسهم اذ لو استحال اطلاق مثل هذا على الله تعالى ما أطلقه على نفسه ولا أطلقته رسله عليهم السلام عليه ومنعهم الحسد أن يعلموا ان ذلك رد على كتاب الله وتحجير على رحمة الله ان تنال بعض عباد الله وأكثر العامة تابعون للفقهاء في هذا الانكار تقليدا لهم لا بل بحمد الله أقل العامة وأما الملوك فالغالب عليهم عدم الوصول الى مشاهدة هذه الحقائق لشغلهم بما دفعوا اليه فساعدوا علماء الرسوم فيما ذهبوا اليه الا القليل منهم فانهم اتهموا علماء الرسوم في ذلك لما رأوه من انكبابهم على حطام الدنيا وهم في غنى عنه وحب الجاه والرياسة وتمشية أغراض الملوك فيما لا يجوز وبقي العلماء بالله تحت ذل العجز والحصر معهم كرسول كذبه قومه وما آمن به واحد منهم ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزل والله يعصمك من الناس فانظر ما قاسيه في نفسه العالم بالله فسبحان من أعمى بصائرهم حيث أسلموا وسلموا وآمنوا بما به كفروا فالله يجعلنا ممن عرف الرجال بالحق لا ممن عرف الحق بالرجال والحمد لله رب العالمين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب الحادي والخمسون في معرفة رجال من أهل الورع قد تحققوا بمنزل نفس الرحمن﴾

يامن تحقق بالنفس * ان الكلام أبي القبس

وكذا الهبات من العلو * م لدى المحقق فى الجلس
لله قـوم مالهـــم * فى نفس نفسهم نفس
وهـم الذين هموهـم * اهل المشاهد فى الغلس
فهم الخلائف فى الغيو * ب وفى الشهادة كالعسس
أعلى الاله مقامهـم * فى سـورة تتلى عبس
فيها لطائف سرهـم * فابحث ولاتك تختلس
من كان ذا عـلم بها * فى حاله لم يلتبس *

اعلم أيدك الله بروح القدس ان رجال هذا الباب هم الزهاد الذين كان الورع سبب زهدهم وذلك ان القوم تورّعوا فى المكاسب على أشد ما يكون من عزائم الشريعة فكل ما حاك له فى نفوسهم شئ تركوه عملا على قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقوله استفت قلبك وقال بعضهم ما رأيت أسهل علىّ من الورع كل ما حاك له فى نفسى شئ تركته الى أن جعل الله لهم علامات يعرفون بها الحلال من الحرام فى المطاعم وغيرها الى أن ارتقوا عن العلامات الى خرق العوائد عندهم فى الشئ المتورّع فيه فيستعملونه فيظن من لا علم له بذلك انه فى حرام وليس كذلك فاتسع عليهم ذلك الضيق والحرج وقد ذقنا هذا من نفوسنا وزال عنهم ما كانوا يجدونه فى نفوسهم من البحث والتفتيش عن ذلك وهذه العلامة وهذا الحال التى ارتقوا اليها لا تكون أبدا الا من نفس الرحمن رحمهم بذلك الرحمن لما رآهم فيه من التعب والضيق والحرج وتهمة الناس فى مكاسبهم وما يؤديهم اليه هذا الفعل من سوء الظن بعباد الله فنفس الرحمن عنهم بما جعل لهم من العلامات فى الشئ وفى حق قوم بالمقام الذى ارتقوا اليه الذى ذكرناه فيأكلون طيبا ويستعملون طيبا فالطيبات للطيبين والطيبون للطيبات واستراحوا اذ كانوا على بينة من ربهم فى مطاعمهم ومشاربهم وأداهم التحقق بالورع الى الزهد فى الكسب اذ كان مبنيا كسبهم الورع ليأكلوا مما يعلمون ان ذلك حلال لهم استعمله ثم عملوا على ذلك الورع فى المنطق من أجل الغيبة والكلام فيما يخوض الانسان فيه من الفضول فرأوا أن السبب الموجب لذلك مجالسة الناس ومعاشرتهم ورءا ما قدروا على مسك نفوسهم عن الكلام بما لا ينبغى لكن بعضهم أو أكثرهم عجز أن يمنع الناس بحضوره عن الكلام بالفضول وما لا يعنيهم فأداهم أيضا هذا الحرج الى الزهد فى الناس فآثروا العزلة والانقطاع عن الناس باتخاذ الخلوات وغلق بابهم عن قصد الناس اليهم وآخرون بالسياحة فى الجبال والشعاب والسواحل وبطون الاودية فنفس الله عنهم من اسمه الرحمن بوجوه مختلفة من الانس به أعطاهم ذلك نفس الرحمن فاسمعهم اذكار الاحجار وخرير المياه وهبوب الرياح ومناطق الطير وتسبيح كل أمة من المخلوقات ومحادثتهم معه وسلامهم عليه فأنس بهم من وحشته وعاد فى جماعة وخلق ما لهم كلام الا فى تسبيح أو تعظيم أو ذكر آلاء الاهية أو تعريف بما ينبغى وهو جليس لهم ويسمع جوارحه وكل جزء فيه يكلمه بما أنعم الله عليه به فتغمره النعم فيزيد فى العبادة ومنهم من ينفس عنه بالانس بالوحوش رأينا ذلك فتغدو عليه وتروح مستأنسة به وتكلمه بما يزيده حرصا على عبادة ربه ومنهم من يجالسه الروحانيون من الجان ولكن هو دون الجماعة فى الرتبة اذا لم يكن له حال سوى هذا لانهم قريب من الانس فى الفضول والكيس من الناس من يهرب منهم كما يهرب من الناس فان مجالستهم رديئة جدا قليل أن تنتج خيرا لأن أصلهم نار والنار كثيرة الحركة ومن كثرت حركته كان الفضول أسرع اليه فى كل شئ فهم أشد فتنة على جليسهم من الناس فانهم قد اجتمعوا مع الناس فى كشف عورات الناس التى ينبغى للعاقل أن لا يطلع عليها غير أن الانس لا تؤثر مجالسة الانسان اياهم تكبرا ومجالسة الجن ليست كذلك فانهم بالطبع يؤثرون فى جليسهم التكبر على الناس وعلى كل عبد لله وكل عبد لله رأى لنفسه شفوفا على غيره تكبرا فانه يمقته الله فى نفسه من حيث لا يشعر وهذا من المكر الخفىّ وعين مقت الله اياه هو ما يجده من التكبر على من ليس له مثل هذا ويتخيل انه فى الحاصل وهو فى الفائت ثم اعلم ان الجان هم أجهل العالم الطبيعىّ بالله ويتخيل جليسهم بما يخبرونه به من حوادث الاكوان وما يجرى فى العالم مما

يحصل لهم من استراق السمع من الملأ الاعلى فيظن جليسهم ان ذلك كرامة الله به وهيهات لما ظنوا وهذا ماترى أحدا قط جالسهم فحصل عنده منهم علم بالله جملة واحدة غاية الرجل الذى تعتنى به أرواح الجن أن يمنحوه من علم خواص النبات والاحجار والاسماء والحروف وهو علم السيمياء فلم يكتسب منهم الا العلم الذى ذمته ألسنة الشرائع ومن ادّعى صحبتهم وهو صادق فى دعواه فاسألوه عن مسئلة فى العلم الالهى ما يجد عنده من ذلك ذوقا أصلا فرجال الله يفرّون من صحبتهم أشد فرارا منهم من الناس فانه لا بد أن تحصل صحبتهم فى نفس من يصحبهم تكبرا على الغير بالطبع وازدراء بمن ليس له فى صحبتهم قدم وقد رأينا جماعة ممن صحبوهم حقيقة وظهرت لهم براهين على صحة ما ادّعوه من صحبتهم وكانوا أهل جد واجتهاد وعبادة ولكن لم يكن عندهم من جهتهم شمة من العلم بالله ورأينا فيهم عزّة وتكبرا فما زلنا بهم حتى حلنا بينهم وبين صحبتهم لانصافهم وطلبهم الانفس كما أيضا رأينا ضد ذلك منهم فما أفلح ولا يفلح من هذه صفته اذا كان صادقا وأمّا الكاذب فلا نشتغل به ومنهم من نفس الرحمن عنه بمجالسة الملائكة وهم اجلساءهم بهم أنوار خالصة لا فضول عندهم وعندهم العلم الالهى الذى لا مرية فيه فيرى جليسهم فى مزيد علم بالله دائما مع الانفاس فمن ادّعى مجالسة الملأ الاعلى ولم يستفد فى نفسه علما بربه فليس بصحيح الدعوى وانما هو صاحب خيال فاسد ومنهم من ينفس الرحمن عنه بأنس بالله فى باطنه وتجليات دائمة معنويات فلا يزال فى كل نفس صاحب علم بحال جديد بالله وأنس جديد ومنهم من ينفس الرحمن عنه ذلك الضيق بمشاهدته عالم الخيال يستصحبه ذلك دائما كما يستصحب الرؤيا النائم فيخاطب ويخاطب ولا يزال فى صور دائما فى لذة وفى نكاح ان جاءته شهوة جماع ولا تكليف عليه مادام فى تلك الحال لغيبته عن احساسه فى الشاهد فينكح ويلتذ ويولد له فى عالم الخيال أولاد فمنهم من يبقى له ذلك فى عالمه ومنهم من يخرج ولده الى عالم الشهادة وهو خيال على أصله مشهود للحس وهذا من الاسرار الالهية العجيبة ولا يحصل ذلك الا للاكابر من الرجال وما من طبقة ذكرناها الا وقد رأينا منهم جماعة من رجال ونساء باشبيلية وتلمسان وبمكة وبمواضع كثيرة وكانت لهم براهين تشهد بصحة ما يقولونه وأما نحن فلا نحتاج مع أحد منهم ابرهان فيما يدعيه فان الله قد جعل لكل صنف علامة يعرف بها فاذا رأينا تلك العلامة عرفنا صدق صاحبها من حيث لا يشعر وكم رأينا ممن يدعى ذلك كاذبا أو صاحب خيال فاسد فان علمنا منه أنه يرجع نصحناه وان رأيناه عاشقا لحاله مجوبا بخياله الفاسد تركناه وأصدق من رأينا فى هذا الباب من النساء فاطمة بنت ابن المثنى باشبيلية خدمتها وهى بنت خمس وتسعين سنة وشمس أم الفقراء بمرشانة وأم الزهرا باشبيلية أيضا وكابهار بمكة تدعى ست غزالة ومن الرجال أبو العباس بن المنذر من أهل اشبيلية وأبو الحجاج الشبربلى من قرية بشرف اشبيلية تسمى شبربل ويوسف بن صخر بقرطبة وهذا قد أعربنا لك عن أحوال رجال هذا الباب وما أنتج لهم الزهد فى الناس وما وجدوه من نفس الرحمن لذلك وعلى هذا الحد تكون أعمال الجوارح كلها بجمعها ترك الفضول فى كل عضو بما يستحقه ظاهرا أو باطنا وأوّلها الجوارح وأعلاها فى الباطن الفكر فلا يتفكر فيما لا يعنيه فان ذلك يؤديه الى الهوس والامانى وعدم المسابقة بحضور النية فى أداء العبادات فان الانسان لا يخلو فكره فى أحد أمرين اما فيما عنده من الدنيا واما فيما ليس عنده منها فان فكر فيما عنده فليس له دواء عند الطائفة الا الخروج عنه والزهد فيه صرّح بذلك أبو حامد وغيره وان فكر فيما ليس عنده فهو عند الطائفة عديم العقل أخرق لا دواء له الا المداومة على الذكر ومجالسة أهل الله الذين الغالب على ظواهرهم المراقبة والحياء من الله والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿الباب الثانى والخمسون فى معرفة السبب الذى يهرب منه الكاشف الى عالم الشهادة اذا أبصره﴾

كل من خاف على هيكله ❊ لم ير الحق جهارا علنا

فتراه عند ما يشهده ❊ راجعا للكون يبغى البدنا

وترى الشجعان قدما طلبا ❊ للذى يحذر منه الجبنا

اعلم أيدك الله بروح منه ان النفوس الانسانية قد جبلها الله على الجزع فى أصل نشأتها فالشجاعة والاقدام لها أمر

عرضي والجزع في الانسان أقوى منه في الحيوانات الا الصرصر تقول العرب أجبن من صرصر وسبب قوته في الانسان
العقل والفكر الذي ميزه الله بهما على سائر الحيوان وما يشجع الانسان الا القوة الوهمية كما أنه أيضا بهذه القوة يزيد
جبنا وجزعا في مواضع مخصوصة فان الوهم سلطان قوي وسبب ذلك ان اللطيفة الانسانية متولدة بين الروح الالهي الذي
هو النفس الرحماني وبين الجسم المسوّى المعدّل من الاركان المعدّلة من الطبيعة التي جعلها الله مقهورة تحت النفس
الكلية كما جعل الاركان مقهورة تحت حكم سلطان الافلاك ثم ان الجسم الحيواني مقهور تحت سلطان الاركان التي
هي العناصر فهو مقهور لمقهور عن مقهور وهو النفس عن مقهور وهو العقل فهو في الدرجة الخامسة من القهر من
وجه فهو أضعف الضعفاء قال الله عز وجل الله الذي خلقكم من ضعف فالضعف أصله ثم جعل له قوة عارضة وهو قوله
ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم ردّه الى أصله من الضعف فقال عز وجل ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة فهذا الضعف
الاخير انما أعده لاقامة النشأة الآخرة عليه كما قامت نشأة الدنيا على الضعف ولقد علمتم النشأة الاولى وانما كان
هذا اللازم ذاته الذلة والافتقار وطلب المعونة والحاجة الى خالقه ومع هذا كله يذهل عن أصله و يتيه بما عرض له من
القوّة فيدعي و يقول أنا و يتقي نفسه بمقابلة الاهوال العظام فاذا قرصه برغوث أظهر الجزع لوجود الالم وبادر لازالة ذلك
الضرر ولم يقر به قرار حتى يجد ه فيقتله وما عسى أن يكون البرغوث حتى يعتني به هذا الاعتناء و يزلزله عن مضجعه ولا
يأخذه نوم فأين تلك الدعوى والاقدام على الاهوال العظام وقد فضحته قرصة برغوث أو بعوضة هذا أصله ذلك ليعلم
ان اقدامه على الاهوال العظام انما هو بغيره لا بنفسه وهو ما يؤيده الله به من ذلك كما قال وأيدناه أي قوّيناه ولهذا
شرع وإياك نستعين في كل ركعة ولا حول ولا قوة الا بالله ولما علم الانسان انه لولا جود الله عز وجل لم يظهر
له عين في الوجود وأن أصله لم يكن شيأ مذكورا قال تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ فالوجود لذة
وحلاوة وهو الخير ولتوهم العدم العيني ألم شديد عظيم في النفوس لا يعرف قدر ذلك الا العلماء ولكن كل
نفس تجزع من العدم ان تلحق به كما هو حاله فهما رأت أمرا تتوهم فيه انه يلحقها بعدم عينها أو بما يقاربه هربت
منه وارتاعت وخافت على عينها وربما كانت أيضا عن الروح الالهي الذي هو نفس الرحمن ولهذا كني عنه
بالنفخ لمناسبة النفس فقال ونفخت فيه من روحي وكذا جعل عيسى ينفخ في صورة طينية كهيئة الطير فما
ظهرت الارواح الا من الانفاس غير أن للمحل الذي تمرّ به أثرا فيها بلا شك الا ترى الريح اذا مرّت على شيء نتن جاءت
ريح منتنة الى مشمك واذا مرّت بشيء عطر جاءت بريح طيبة لذلك اختلفت أرواح الناس فروح طيبة لجسد طيب
ما أشركت قط ولا كانت محلا لسفساف الاخلاق كأرواح الانبياء والاولياء والملائكة وروح خبيث لجسد خبيث
لم تزل مشركة محلا لسفساف الاخلاق وذلك انما كان لغلبة بعض الطبائع أعني الاخلاط على بعض في أصل نشأة الجسد
التي هي سبب طيب الروح ووجود مكارم الاخلاق وسفسافها وخبث الروح فصحة الارواح وعافيتها مكارم أخلاقها التي
اكتسبتها من نشأة بدنها العنصري فجاءت بكل طيب ومليح ومرض الارواح سفساف الاخلاق ومذمومها التي
اكتسبتها أيضا من نشأة بدنها العنصري فجاءت بكل خبيث وقبيح الا ترى الشمس اذا أفاضت نورها في جسم
الزجاج الاخضر ظهر النور في الحائط أو في الجسم الذي تطرح الشعاع عليه أخضر وان كان الزجاج أحمر طرح الشعاع
أحمر في رأي العين فانصبغ في الناظر بلون المحل وذلك للطافته يقبل الاشياء بسرعة ولما كان الهواء من أقوى الاشياء
وكان الروح نفسا وهو شبيه بالهواء كانت القوة له فكان أصل نشأة الارواح من هذه القوة وا كتسبت الضعف من
المزاج الطبيعي البدني فانه ما ظهر لها عين الا بعد أثر المزاج الطبيعي فيها فخرجت ضعيفة لانها الى الجسم أقرب في ظهور
عينها فاذا قبلت القوة انما تقبلها من أصلها الذي هو النفس الرحماني المعبر عنه بالروح المنفوخ منه المضاف الى الله فهي
قابلة للقوة كما هي قابلة للضعف وكلاهما بحكم الاصل وهي الى البدن أقرب لانها أحدث عهدا به فغلب ضعفها على قوتها
فلو تجرّدت عن المادة ظهرت قوتها الاصلية التي لها من النفخ الالهي ولم يكن شيء أشد تكبرا منها فألزمها الله الصورة
الطبيعية دائما في الدنيا وفي البرزخ في النوم و بعد الموت فلا ترى نفسها أبدا مجرّدة عن المادة وفي الآخرة لا تزال في

أجسادها يبعثها الله من صور البرزخ في الاجساد التي أنشأها لها يوم القيامة و بها تدخل الجنة والنار فلذلك يلزمها
الضعف الطبيعي فلا تزال فقيرة أبدا الا تراها في أوقات غفلتها عن نفسها كيف يكون منها التهجم والاقدام على المقام
الالهي فتدعي الربوبية كفرعون وتقول في غلبة ذلك الحال عليها انا الله وسبحاني كما قال ذلك بعض العارفين
وذلك لغلبة الحال عليه ولهذا لم يصدر مثل هذا اللفظ من رسول ولا نبي ولا ولي كامل في علمه وحضوره ولزومه باب
المقام الذي له وأدبه ومراعاة المادة التي هو فيها و بها ظهر فهو ردم ملآن بضعفه وفقره مع شهوده أصله علما وحالا
وكشفا وعلمه بأصله ومقام خلافته من وجه آخر لو كان حالا له لادعى الالوهة فان الامر الخارج في النفخ من النافخ له
من حكمه بقدر ذلك فلو ادعاها ما ادعى محالا و بذلك القدر الذي فيه من القوة الالهية التي أظهرها النفخ توجه عليه
التكليف فانه عين المكلف وأضيفت الافعال اليه وقيل له قل واياك نستعين ولا حول ولا قوة الا بالله فانه أصلك
الذي اليه ترجع فصدقت المعتزلة في اضافة الافعال الى العباد من وجه بدليل شرعي وصدق المخالف في اضافة الافعال
كلها الى الله تعالى من وجه بدليل شرعي أيضا وعقلي وقالت بالكسب في أفعال العباد للعباد بقوله تعالى لها ما كسبت
وقال في المصورين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أين من ذهب يخلق كخلقي فأضاف الخلق الى العباد وقال في عيسى
عليه السلام واذ تخلق من الطين فنسب الخلق اليه عليه السلام وهو ايجاده صورة الطائر في الطين ثم أمره ان ينفخ
فيه فقامت تلك الصورة التي صورها عيسى عليه السلام طائرا حيا وقوله باذن الله يعني الامر الذي أمره الله به من خلقه
صورة الطائر والنفخ وابراء الاكمه والابرص واحياء الميت فأخبر أن عيسى عليه السلام لم ينبعث الى ذلك من نفسه
وانما كان عن أمر الله ليكون ذلك واحياء الموتى من آياته على ما يدعيه فلولا ان الانسان من حيث حقيقته من
ذلك النفس الرحماني ما صح ولا ثبت ان يكون عن نفخه طائر يطير بجناحيه ولما كانت حقيقة الانسان هكذا خوفه
الله بما ذكر من صفة المتكبرين ومآلهم واسوداد وجوههم كل ذلك دواء للارواح لتقف مع ضعف مزاجها الاقرب في
ظهور عينها فالانسان ابن أمه حقيقة بلا شك فالروح ابن طبيعة بدنه وهي أمه التي أرضعته ونشأ في بطنها وتغذى بدمها
فحكمه حكمها فلا يستغني عن غذاء في بقاء هيكله ﴿تتميم﴾ فلما كان الغالب هذا على الانسان رجعنا الى المكاشف
الذي يهرب الى عالم الشهادة عندما يرى ما يهوله في كشفه مثل صاحبنا أحمد الصاد الحريري رحمه الله فانه كان
اذا أخذ سريع الرجوع الى حسه باهتزاز واضطراب فكنت أعتبه وأقول له في ذلك فيقول أخاف وأجبن من عدم
عيني لما أراه ولو علم المسكين انه لو فارق المواد رجع النفس الى مستقره وهو عينه ورجع كل شئ الى أصله ولكن لو كان
ذلك لانعدمت الفائدة في حق العبد فيما يظهر وليس الامر كذلك ولذلك قلنا وهو عينه أي عين العبد فالبقاء الذي
أراده الحق أولى به بوجود هذا الهيكل العنصري في الدنيا الطبيعي في الآخرة والذي يثبت هنالك أعني عند الوارد
انما يثبت اذا دخل عبدا كما ان الذي لا يثبت انما دخل وفي نفسه شئ من الربوبية فخاف من زوالها هنالك فهرب الى
الوجود الذي ظهرت فيه ربانيته ولهذا تكون فائدته قليلة والثابت يدخل عبدا فلا بهمة محترقة الى أصله ليهبه من
عوارفه ما عوده فاذا خرج خرج نورا يستضاء به فمثل الداخل الى ذلك الجناب العالي بربوبيته مثل من يدخل بسراج
موقود ومثل الذي يدخل بعبوديته مثل من يدخل بفتيلة لا ضوء فيها أو بقبضة حشيش فيها نار غير مشتعلة فاذا دخلا
بهذه المثابة هب عليهما نفس من الرحمن فطفئ لذلك الهبوب السراج واشتعل الحشيش فخرج صاحب السراج في
ظلمة وخرج صاحب الحشيش في نور يستضاء به فانظر ما أعطاه الاستعداد فكل هارب من هنالك انما يخاف على
سراجه أن ينطفئ فهو يخاف على ربوبيته ان تزول فيفر الى محل ظهورها ولكن ما يخرج الا وقد طفئ سراجه
ولو خرج به موقدا كما دخل ولم يؤثر فيه ذلك الهبوب لادعى الربوبية حقا ولكن من عصمة الله له كان ذلك ومن دخل
عبدا لا يخاف واذا اشتعلت فتيلته هنالك عرف من أشعلها ورأى المنة له سبحانه في ذلك فخرج عبدا منورا كما قال
تعالى سبحان الذي أسرى بعبده يعني عبدا فكان في خروجه الى أمته داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا كما دخل
عبدا ذليلا عارفا بما دخل وعلى من دخل فمن وفقه الله تعالى ولزم عبوديته في جميع أحواله وان عرف أصله فيرجح

الاصل الاقرب اليه جانب أمه فانه ابن أمه بلا شك ألا ترى الى السنة فى تلقين الميت عند حصوله فى قبره يقال له يا عبد الله ويا ابن أمة الله فينسب الى أمه سترا من الله عليها فأضيف الى أمه لانها أحق به لظهور نشأته ووجود عينه فهو لابيه ابن فراش وهو ابن لامه حقيقة فافهم ما أعطيناك من المعرفة بك فى هذا الباب والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿الباب الثالث والخمسون فى معرفة ما يلقى المريد على نفسه من الاعمال قبل وجود الشيخ﴾

اذا لم تلق استاذا * فكن فى نعت من لاذا

وقطع نفسه والليـ * ـل أفلاذا فأفلاذا

وتسبيحا وقرآنا * فاسهده بمن حاذى

وأضعفه وأحياه * فلما لم يقل ماذا

فكان له الذى يبغى * تلميذا واستاذا

وجاءته معارفه * زرافات وأفذاذا

فهذا قد أبنت له * فلا ينفك عن هذا

اعلم أيدك الله ونورك انه أول ما يجب على الداخل فى هذه الطريقة الالهية المشروعة طلب الاستاذ حتى يجده وليعمل فى هذه المدة التى يطلب فيها الاستاذ الاعمال التى أذكرها له وهى أن يلزم نفسه تسعة أشياء فانها بسائط الاعداد فيكون له فى التوحيد اذا عمل عليها قدم راسخة ولهذا جعل الله الافلاك تسعة أفلاك فانظر ما ظهر من الحكمة الالهية فى حركات هذه التسعة فاجعل منها أربعة فى ظاهرك وخمسة فى باطنك فالتى فى ظاهرك الجوع والسهر والصمت والعزلة فاثنان فاعلان وهما الجوع والعزلة واثنان منفعلان وهما السهر والصمت وأعنى بالصمت ترك كلام الناس والاشتغال بذكر القلب ونطق النفس عن نطق اللسان الا فيما أوجب الله عليه مثل قراءة أم القرآن أو ما تيسر من القرآن فى الصلاة والتكبير فيها وما شرع من التسبيح والاذكار والدعاء والتشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن تسلم منها فتتفرغ لذكر القلب بصمت اللسان فالجوع يتضمن السهر والصمت تتضمنه العزلة وأما الخمسة الباطنة فهى الصدق والتوكل والصبر والعزيمة واليقين فهذه التسعة أمهات الخير تتضمن الخير كله والطريقة مجموعة فيها فالزمها حتى تجد الشيخ ﴿وصل شارح﴾ وأنا أذكر لك من شأن كل واحدة من هذه الخصال ما يحرضك على العمل بها والدؤب عليها والله ينفعنا واياك ويجعلنا من أهل عنايته ولنبتدئ بالظاهرة أولا ولنقل أما العزلة وهى رأس الاربعة المعتبرة التى ذكرناها عند الطائفة أخبرنى أخى فى الله تعالى عبد المجيد بن سلمة خطيب مرشانة الزيتون من أعمال اشبيلية من بلاد الاندلس وكان من أهل الجد والاجتهاد فى العبادة فأخبرنى سنة ست وثمانين وخمسمائة قال كنت بمنزلى بمرشانة ليلة من الليالى فقمت الى حزبى من الليل فبينا أنا واقف فى مصلاى وباب الدار وباب البيت على مغلق واذا بشخص قد دخل على وسلم وما أدرى كيف دخل فجزعت منه وأوجزت فى صلاتى فلما سلمت قال لى يا عبد المجيد من تأنس بالله لم يجزع ثم نفض الثوب الذى كان تحتى أصلى عليه ورمى به وبسط تحتى حصيرا صغيرا كان عنده وقال لى صل على هذا قال ثم أخذنى وخرج بى من الدار ثم من البلد ومشى بى فى أرض لا أعرفها وما كنت أدرى أين أنا من أرض الله فذكرنا الله تعالى فى تلك الاماكن ثم ردنى الى بيتى حيث كنت قال فقلت له يا أخى بماذا يكون الابدال ابدالا فقال لى بالاربعة التى ذكرها أبو طالب فى القوت ثم سماها لى الجوع والسهر والصمت والعزلة قلبا ثم قال لى عبد المجيد هذا هو الحصير فصليت عليه وهذا الرجل كان من أكابرهم يقال له معاذ بن أشرس فأما العزلة فهى أن يعتزل المريد كل صفة مذمومة وكل خلق دنىء هذه عزلته فى حاله وأما فى قلبه فهو أن يعتزل بقلبه عن التعلق بأحد من خلق الله من أهل ومال وولد وصاحب وكل ما يحول بينه وبين ذكر ربه بقلبه حتى عن خواطره ولا يكن له هم الا واحد وهو تعلقه بالله وأما فى حسه فعزلته فى ابتداء حاله الانقطاع عن الناس وعن المألوفات اما فى بيته واما بالسياحة فى أرض الله فان كان فى مدينة فبحيث لا يعرف وان لم يكن فى مدينة فيلزم السواحل والجبال

والا ما كن البعيدة من الناس فان أنست به الوحوش وتألفت به وأنطقها الله في حقه فتكلمه أولم تكلمه فليعتزل عن الوحوش والحيوانات ويرغب الى الله تعالى في أن لا يشغله بسواه وليثابر على الذكر الخفي وان كان من حفاظ القرآن فيكون له منه حزب في كل ليلة يقوم به في صلاته لئلا ينساه ولا يكثر الاوراد ولا الحركات وايرد اشتغاله الى قلبه دائما هكذا يكون دأبه وديدنه وأما الصمت فهو أن لا يتكلم مع مخلوق من الوحوش والحشرات التي لزمته في سياحته أوفي موضع عزلته وان ظهر له أحد من الجن أومن الملأ الاعلى فيغمض عينه عنهم ولا يشغل نفسه بالحديث معهم وان كلموه فان تفرض عليه الجواب أجاب بقدر أداء الفرض بغير مزيد وان لم يتفرض عليه سكت عنهم واشتغل بنفسه فانهم اذا رأوه على هذه الحالة اجتنبوه ولم يتعرضوا له واحتجبوا عنه فانهم قد علموا أنه من شغل مشغولا بالله عن شغله به عاقبه الله أشد عقوبة وأما صمته في نفسه عن حديث نفسه فلا يحدث نفسه بشئ مما يرجو تحصيله من الله فيما انقطع اليه فانه تضييع للوقت في ليس بحاصل فانه من الاماني واذا تود نفسه بحديث نفسه حال بينه وبين ذكر الله في قلبه فان القلب لا يتسع للحديث والذكر معا فيفوته السبب المطلوب منه في عزلته وصمته وهو ذكر الله تعالى الذي تجلى به مرآة قلبه فيحصل له تجلى ربه وأما الجوع فهو التقليل من الطعام فلا يتناول منه الا قدر ما يقيم صلبه لعبادة ربه في صلاة فريضته فان التنفل في الصلاة قاعدا بما يجده من الضعف لقلة الغذاء أنفع وأفضل وأقوى في تحصيل مراده من الله من القوة التي تحصل له من الغذاء لأداء النوافل قائما فان الشبع داع الى الفضول فان البطن اذا شبع طغت الجوارح وتصرفت في الفضول من الحركة والنظر والسماع والكلام وهذه كلها قواطع له عن المقصود وأما السهر فان الجوع يولده لقلة الرطوبة والابخرة الجالبة للنوم ولا سيما شرب الماء فانه نوم كله وشهوته كاذبة وفائدة السهر التيقظ للاشتغال مع الله بما هو بصدده دائما فانه اذا نام انتقل الى عالم البرزخ بحسب ما نام عليه لا يزيد فيفوته خير كثير مما لا يعلمه الا في حال السهر وأنه اذا التزم ذلك سرى السهر الى عين القلب وانجلى عين البصيرة بملازمة الذكر فيرى من الخير ما شاء الله تعالى وفي حصول هذه الاربعة التي هي أساس المعرفة لاهل الله وقد اعتنى بها الحارث بن أسد المحاسبي أكثر من غيره وهي معرفة الله ومعرفة النفس ومعرفة الدنيا ومعرفة الشيطان وقد ذكر بعضهم معرفة الهوى بدلا من معرفة الله وأنشدوا في ذلك

اني بليت بأربع يرميني * بالنبل من قوس لها توتير
ابليس والدنيا ونفسي والهوى * يارب أنت على الخلاص قدير

وقال الآخر

ابليس والدنيا ونفسي والهوى * كيف الخلاص وكلهم أعدائي

وأما الخمسة الباطنة فانه حدثتني المرأة الصالحة مريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن البجائي قالت رأيت في منامي شخصا كان يتعاهدني في وقائعي وما رأيته شخصا قط في عالم الحس فقال لها تقصدين الطريق قالت فقلت له اي والله أقصد الطريق ولكن لا أدري بما ذا قالت فقال لي بخمسة وهي التوكل واليقين والصبر والعزيمة والصدق فعرضت رؤياها علي فقلت لها هذا مذهب القوم وسيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى في داخل الكتاب فان لها أبوابا تخصها وكذلك الاربعة التي ذكرناها لها أيضا أبواب تخصها في الفصل الثاني من فصول هذا الكتاب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء السادس والعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الرابع والخمسون في معرفة الاشارات)

علم الاشارة تقريب وابعاد * وسيرها فيك تأويب واسئاد
فابحث عليه فان الله صيره * لمن يقوم به افلاك واحاد

تنبيه عصمة من قال الا له * كن فاستوى كائنا القوم اشهاد

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه ان الاشارة عند أهل طريق الله تؤذن بالبعد أو حضور الغير قال بعض الشيوخ في محاسن المجالس الاشارة نداء على رأس البعد وبوح بعين العلة يريد أن ذلك تصريح بحصول المرض فان العلة مرض وهو قولنا أو حضور الغير ولا يريد بالعلة هنا السبب ولا العلة التي اصطلح عليها العقلاء من أهل النظر وصورة المرض فيها ان المشير غاب عنه وجه الحق في ذلك الغير ومن غاب عنه وجه الحق في الاشياء تمكنت منه الدعوى والدعوى عين المرض وقد ثبت عند المحققين انه ما في الوجود الا الله ونحن وان كنا موجودين فانما كان وجودنا به ومن كان وجوده بغيره فهو في حكم العدم والاشارة قد ثبتت وظهر حكمها فلا بد من بيان ما هو المراد بها فاعلم ان الله عز وجل لما خلق الخلق خلق الانسان أطوارا فمنا العالم والجاهل ومنا المنصف والمعاند ومنا القاهر ومنا المقهور ومنا الحاكم ومنا المحكوم ومنا المتحكم فيه ومنا الرئيس والمرؤس ومنا الامير والمأمور ومنا الملك والسوقة ومنا الحاسد والمحسود وما خلق الله أشق ولا أشد من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته العارفين به من طريق الوهب الالهي الذين منحهم اسراره في خلقه وفهمهم معاني كتابه واشارات خطابه فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل عليهم السلام ولما كان الامر في الوجود الواقع على ما سبق به العلم القديم كما ذكرناه عدل أصحابنا الى الاشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الافك والالحاد الى الاشارة فكلامهم رضي الله عنهم في شرح كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اشارات وان كان ذلك حقيقة وتفسيرا لمعانيه النافعة ورد ذلك كله الى نفوسهم مع تقريرهم اياه في العموم وفيما نزل فيه كما يعلمه أهل اللسان الذين نزل ذلك الكتاب بلسانهم فعم به سبحانه عندهم الوجهين كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم يعني الآيات المنزلة في الآفاق وفي أنفسهم فكل آية منزلة لها وجهان وجه يرونه في نفوسهم ووجه آخر يرونه فيما خرج عنهم فيسمون ما يرونه في نفوسهم اشارة ليأنس الفقيه صاحب الرسوم الى ذلك ولا يقولون في ذلك انه تفسير وقاية لشرهم وتشنيعهم في ذلك بالكفر عليه وذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحق واقتدوا في ذلك بسنن الهدى فان الله كان قادرا على تنصيص ما تأوله أهل الله في كتابه ومع ذلك فما فعل بل أدرج في تلك الكلمات الالهية التي نزلت بلسان العامة علوم معاني الاختصاص التي فهمها عباده حين فتح لهم فيها بعين الفهم الذي رزقهم ولو كان علماء الرسوم ينصفون لاعتبروا في نفوسهم اذا نظروا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما بينهم فيرون انهم يتفاضلون في ذلك ويعلو بعضهم على بعض في الكلام في معنى تلك الآية ويقر القاصر بفضل غير القاصر فيها وكلهم في مجرى واحد ومع هذا الفضل المشهود لهم فيما بينهم في ذلك ينكرون على أهل الله اذا جاؤا بشيء مما يغمض عن ادراكهم وذلك لانهم يعتقدون فيهم انهم ليسوا بعلماء وان العلم لا يحصل الا بالتعلم المعتاد في العرف وصدقوا فان أصحابنا ما حصل لهم ذلك العلم الا بالتعلم وهو الاعلام الرحماني الرباني قال تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فانه القائل أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون وقال تعالى خلق الانسان علمه البيان فهو سبحانه معلم الانسان فلا نشك أن أهل الله هم ورثة الرسل عليهم السلام والله يقول في حق الرسول وعلمك ما لم تكن تعلم وقال في حق عيسى ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وقال في حق خضر صاحب موسى عليه السلام وعلمناه من لدنا علما فصدق علماء الرسوم عندنا فيما قالوا ان العلم لا يكون الا بالتعلم وأخطؤا في اعتقادهم ان الله لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول يقول الله يؤتي الحكمة من يشاء وهي العلم وجاء بمن وهي نكرة ولكن علماء الرسوم لما آثروا الدنيا على الآخرة وآثروا جانب الخلق على جانب الحق وتعودوا أخذ العلم من الكتب ومن أفواه الرجال الذين من جنسهم ورأوا في زعمهم انهم من أهل الله بما علموا وامتازوا به عن العامة حجبهم ذلك عن ان يعلموا ان لله عبادا تولى الله تعليمهم في سرائرهم بما أنزله في كتبه وعلى ألسنة رسله وهو العلم الصحيح عن العالم المعلم الذي لا يشك مؤمن في كمال علمه ولا غير مؤمن فان الذين قالوا ان الله لا يعلم الجزئيات ما أرادوا نفي العلم عنه بها وانما قصدوا بذلك انه تعالى لا يتجدد له علم بشيء بل علمها مندرجة في علمه

بالكليات فأثبتوا له العلم سبحانه مع كونهم غير مؤمنين وقصدوا تنزيهه سبحانه فى ذلك وان أخطؤا فى التعبير عن ذلك فتولى الله بعنايته لبعض عباده تعليمهم بنفسه بالهامه وافهامه اياهم فألهمها فجورها وتقواها فى أثر قوله ونفس وما سوّاها فبين لها الفجور من التقوى الهاما من الله لها لتجتنب الفجور وتعمل بالتقوى كما كان أصل تنزيل الكتاب من الله على أنبيائه كان تنزيل الفهم من الله على قلوب بعض المؤمنين به فالانبياء عليهم السلام ماقالت على الله مالم يقل لها ولا أخرجت ذلك من نفوسها ولا من أفكارها ولا تعملت فيه بل جاءت به من عند الله كما قال تعالى تنزيل من حكيم حميد وقال فيه انه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه واذا كان الاصل المتكلم فيه من عند الله لا من فكر الانسان ورويته وعلماء الرسوم يعلمون ذلك فينبغى ان يكون أهل الله العاملون به أحق بشرحه وبيان ما أنزل الله فيه من علماء الرسوم فيكون شرحه أيضا تنزيلا من عند الله على قلوب أهل الله كما كان الاصل وكذا قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى هذا الباب ماهو الافهم يؤتيه الله من شاء من عباده فى هذا القرآن فجعل ذلك عطاء من الله يعبر عن ذلك العطاء بالفهم عن الله فأهل الله أولى به من غيرهم فلما رأى أهل الله ان الله قد جعل الدولة فى الحياة الدنيا لاهل الظاهر من علماء الرسوم وأعطاهم التحكم فى الخلق بما يفتون به وألحقهم بالذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وهم فى انكارهم على أهل الله يحسبون انهم يحسنون صنعا سلم أهل الله لهم أحوالهم لانهم علموا من أين تكلموا وصانوا عنهم أنفسهم بتسميتهم الحقائق اشارات فان علماء الرسوم لا ينكرون الاشارات فاذا كان فى غد يوم القيامة يكون الامر فى الكل كما قال القائل

سوف ترى اذا انجلى الغبار * أفرس تحتك أم حمار

كما تميز المحقق من أهل الله من المدّعى فى الاهلية غدا يوم القيامة قال بعضهم

اذا اشتبكت دموع فى خدود * تبين من بكى ممن تباكى

أين عالم الرسوم من قول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه حين أخبر عن نفسه انه لو تكلم فى الفاتحة من القرآن لحمل منها سبعين وقرا هل هذا الامن الفهم الذى أعطاه الله فى القرآن فاسم الفقيه أولى بهذه الطائفة من صاحب علم الرسوم فان الله يقول فيهم ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون فأقامهم مقام الرسول فى التفقه فى الدين والانذار وهو الذى يدعو الى الله على بصيرة كما يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة لا على غلبة ظن كما يحكم عالم الرسوم فشتان بين من هو فيما يفتى به ويقوله على بصيرة منه فى دعائه الى الله وهو على بينة من ربه وبين من يفتى فى دين الله بغلبة ظنه ثم ان من شأن عالم الرسوم فى الذب عن نفسه انه يجهل من يقول فهمنى ربى ويرى انه أفضل منه وانه صاحب العلم اذ يقول من هو من أهل الله ان الله ألقى فى سرّى مراده بهذا الحكم فى هذه الآية أو يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى واقعتى فأعلمنى بصحة هذا الخبر المروى عنه وبحكمه عنده قال أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه فى هذا المقام ومحققه يخاطب علماء الرسوم أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحىّ الذى لا يموت يقول أمثالنا حدثنى قلبى عن ربى وأنتم تقولون حدثنى فلان وأين هو قالوا مات عن فلان وأين هو قالوا مات وكان الشيخ أبو مدين رحمه الله اذا قيل له قال فلان عن فلان عن فلان يقول ماتريد نأكل قديدا هاتوا ائتونى بلحم طرىّ يرفع همم أصحابه هذا قول فلان أى شئ قلت أنت ما خصك الله به من عطاياه من علمه اللدنى أى حدثوا عن ربكم واتركوا فلانا وفلانا فان أولئك أكلوه لحما طريا والواهب لم يمت وهو أقرب اليكم من حبل الوريد والفيض الالهىّ والمبشرات ماسد بابها وهى من أجزاء النبوّة والطريق واضحة والباب مفتوح والعمل مشروع والله يهرول لتلقى من أتى اليه يسعى وما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وهو معهم أينما كانوا فمن كان معك بهذه المثابة من القرب مع دعواك العلم بذلك والايمان به لم تترك الاخذ عنه والحديث معه وتأخذ عن غيره ولا تأخذ عنه فتكون حديث عهد بربك يكون المطر فوق رتبتك حيث برز اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حين نزل وحسر عن رأسه حتى أصابه الماء فقيل له فى ذلك فقال انه حديث عهد بربه تعليما لنا وتنبيها ثم لتعلم ان أصحابنا ما اصطلحوا على ماجاؤا به فى شرح كتاب الله

بالاشارة دون غيرها من الالفاظ الابتعليم الحق جهله علماء الرسوم وذلك ان الاشارة لاتكون الابقصد المشير بذلك انه يشير لامن جهة المشار اليه واذا سألتهم عن شرح مرادهم بالاشارة أجروها عند السائل من علماء الرسوم مجرى الغالب مثال ذلك الانسان يكون فى أمر ضاق به صدره وهو مفكر فيه فينادى رجل رجلا آخر اسمه فرج فيقول يافرج فيسمعه هذا الشخص الذى ضاق صدره فيستبشر و يقول جاء فرج الله ان شاء الله يعنى من هذا الضيق الذى هو فيه و ينشرح صدره كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مصالحة المشركين لما صدّوه عن البيت فجاء رجل من المشركين اسمه سهيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سهل الامر أخذه فألا فكان كما تفاءل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتظم الامر على يد سهيل وما كان أبوه قصد ذلك حين سماه به وانما جعلوه له اسما علما يعرف به من غيره وان كان ماقصد أبوه تحسين اسم ابنه الاخير ولما رأى أهل الله انه قد اعتبر الاشارة استعملوها فيما بينهم ولكنهم بينوا معناها ومحلها ووقتها فلا يستعملونها فيما بينهم ولا فى أنفسهم الاعند مجالسة من ليس من جنسهم أو لامر يقوم فى نفوسهم واصطلح أهل الله على ألفاظ لايعرفها سواهم الامنهم وسلكوا طريقة فيها لايعرفها غيرهم كما سلكت العرب فى كلامها من التشبيهات والاستعارات ليفهم بعضهم عن بعض فاذا خلوا بأبناء جنسهم تكلموا بماهو الامر عليه بالنص الصريح واذا حضر معهم من ليس منهم تكلموا بينهم بالالفاظ التى اصطلحوا عليها فلا يعرف الجليس الاجنبى ماهم فيه ولا مايقولون ومن أعجب الاشياء فى هذه الطريقة ولايوجد الافيها انه مامن طائفة تحمل علما من المنطقيين والنحاة وأهل الهندسة والحساب والتعاليم والمتكلمين والفلاسفة الاولهم اصطلاح لايعلمه الدخيل فيهم الابتوقيف من الشيخ أو من أهله لابد من ذلك الا أهل هذه الطريقة خاصة اذا دخلها المريد الصادق و بهذا يعرف صدقه عندهم وماعنده خبر بما اصطلحوا عليه فاذا فتح الله له عين فهمه وأخذ عن ربه فى أول ذوقه وما يكون عنده خبر بما اصطلحوا عليه ولم يعلم أن قوما من أهل الله اصطلحوا على ألفاظ مخصوصة فاذا قعد معهم وتكلموا باصطلاحهم على تلك الالفاظ التى لايعرفها سواهم أو من أخذها عنهم فهم هذا المريد الصادق جميع مايتكلمون به حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح و يشاركهم فى الكلام بها معهم ولا يستغرب ذلك من نفسه بل يجد علم ذلك ضروريا لايقدر على دفعه وكأنه مازال يعلمه ولايدرى كيف حصل له والدخيل من غير هذه الطائفة لايجد ذلك الابتوقيف فهذا معنى الاشارة عند القوم ولايتكلمون بها الاعند حضور الغير أو فى تآليفهم ومصنفاتهم لاغير والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿الباب الخامس والخمسون فى معرفة الخواطر الشيطانية﴾

لوان الله يفهمنا الـــذى فيها مـــن الحكم

رأيت الامر يعلوعن * مجال الفكر والهمم

يدق فليس تظهره * اليك جوامع الكلم

الخواطر أربعة لاخامس لها خاطر ربانى وخاطر ملكى وخاطر نفسى وخاطر شيطانى ولا خامس هناك وقد ذكرنا معرفة الخواطر فى هذا الكتاب وفى بعض كتبنا فلنذكر فى هذا الباب الخاطر الشيطانى خاصة اعلم ان الشياطين قسمان قسم معنوى وقسم حسى ثم القسم الحسى من ذلك على قسمين شيطانى انسى وشيطانى جنى يقول الله عز وجل شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولوشاء ربك مافعلوه فذرهم ومايفترون فجعلهم أهل افتراء على الله وحدث فيما بينهما فى الانسان شيطان معنوى وذلك ان شيطان الجن والانس اذا ألقى من ألقى منهم فى قلب الانسان أمرا مايبعده عن الله به فقد يلقى أمرا خاصا وهو خصوص مسئلة بعينها وقد يلقى أمرا عاما ويتركه فان كان أمرا عاما فتح له فى ذلك طريقا الى أمور لايفطن لها الجنى ولا الانسى تتفقه فيه النفس وتستنبط من تلك الشبه أمورا اذا تكلم بها تعلم ابليس الغواية فتلك الوجوه التى تنفتح له فى ذلك الاسلوب العام الذى ألقاه اليه أولا شيطان الانس أو شيطان الجن تسمى الشياطين المعنوية لان كل واحد من شياطين الانس والجن يجهلون ذلك وماقصدوه على التعيين وانما أرادوا بالقصد الاول فتح هذا الباب عليه لانهم علموا ان فى قوته وفطنته

أن يدقق النظر فيه فينقدح له من المعاني المهلكة ما لا يقدر على ردّها بعد ذلك وسبب ذلك الاصل الاول فانه اتخذه
أصلا صحيحا وعوّل عليه فلا يزال التفقه فيه يسرقه حتى خرج به عن ذلك الاصل وعلى هذا جرى أهل البدع والاهواء
فان الشياطين ألقت اليهم أصلا صحيحا لا يشكون فيه ثم طرأت عليهم التلبيسات من عدم الفهم حتى ضلوا فينسب ذلك
الى الشيطان بحكم الاصل ولو علموا ان الشيطان في تلك المسائل تلميذ له يتعلم منه وأ كثر ما ظهر ذلك في الشيعة ولا سيما
في الامامية منهم فدخلت عليهم شياطين الجن أولا بحب أهل البيت واستفراغ الحب فيهم ورأوا ان ذلك من أسنى
القربات الى الله وكذلك هو لو وقفوا ولا يزيدون عليه الا انهم تعدّوا من حب أهل البيت الى طريقين منهم من تعدى
الى بغض الصحابة وسبهم حيث لم يقدموهم وتخيلوا ان أهل البيت أولى بهذه المناصب الدنيوية فكان منهم ما قد
عرف واستفاض وطائفة زادت الى سب الصحابة القدح في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي جبريل عليه السلام وفي
الله جل جلاله حيث لم ينصوا على رتبتهم وتقديمهم في الخلافة للناس حتى أنشد بعضهم * ما كان من بعث الامين أمينا
وهذا كله واقع من أصل صحيح وهو حب أهل البيت أنتج في نظرهم فاسدا فضلوا وأضلوا فانظر ما أدى اليه الغلوّ في
الدين أخرجهم عن الحد فانعكس أمرهم الى الضد قال تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء
قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وطائفة ألقت اليهم الشياطين أصلا صحيحا لا يشكون
فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ثم تركتهم بعد ما حببت اليهم العمل
على هذا فجعل بعض الناس لحرصه على الخير بتفقهه لكونه يريد تحصيل أجور من عمل بها فاذا سنّ سنة حسنة يخاف
اذا نسبها الى نفسه لا تقبل منه فيضع لاجل قبولها حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ويتأول ان ذلك
داخل في حكم قوله من سنّ سنة حسنة فأجاز الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يقول عليه صلى الله عليه
وسلم ما لم يقله ولا فاه به لسانه ويرى ان ذلك خير فان الاصول تعضده فاذا أخطر له الملك قوله صلى الله عليه وسلم من كذب
عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وأخطر له أيضا قوله صلى الله عليه وسلم ليس كذب عليّ ككذب على أحد من
كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار يتأول ذلك كله بالقاء الشيطان في خاطره فيقول له انما ذلك اذا دعا الى
ضلالة وأنا ما سننت الا خيرا فهو مأجور بالضرورة من كونه سنّ سنة حسنة ومأزور من كونه كذب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال عنه انه صرح بما لم يقله صلى الله عليه وسلم وكذلك ان كان من أهل الخلوات والرياضات
واستعجل الرياسة من قبل أن يفتح الله عليه بابا من أبواب عبوديته فيلزم طريق الصدق ولا يقف مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل ما وقف الاول وانه يجري الى الافتراء على الله فينسب ذلك الذي سنه الى الله تعالى ويتأول انه لا فاعل الا الله
وانه تعالى المنطق عباده ويسير من وقته لذلك أشعر يا مجبور او يقول هذا كله خير فاني ما قصدت الا ان أعضد تلك السنة
الحسنة فلم أر أشد في تقويتها من أني أسندها الى الله تعالى كما هي في نفس الامر خلق لله تعالى اجراها الله على لساني
هذا كله يحدث به نفسه لا يقول ذلك لاحد فاذا كان مع الناس يريهم ان ذلك جاءه من عند الله كما يجيء للاولياء الله
على تلك الطريق فاذا أخطر له الملك قول الله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي اليّ ولم يوح اليه
شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله يتأول ذلك مع نفسه ويقول ما أنا المخاطب بهذه الآية وانما خوطب بها أهل
الدعوى الذين ينسبون الفعل الى أنفسهم فانه قال افترى فنسب فعل الافتراء الى هذا القائل وأنا أقول ان الافعال كلها
لله تعالى لا اليّ فهو الذي قال على لساني ألا ترى النبي صلى الله عليه وسلم قال في الصلاة ان الله قال على لسان عبده سمع
الله لمن حمده فكذلك هذا ثم قال أو قال أوحي اليّ فأضاف القول اليه وكذلك قوله اليّ ومن أنا حتى أقول اليّ اذ الله هو
المتكلم وهو السميع ثم قال سأنزل مثل ما أنزل الله وما أقول أنا ذلك بل الانزال كله من الله فاذا تفقه في نفسه في هذا كله
افترى على الله كذبا وزين له سوء عمله فرآه حسنا فهذا أصل صحيح لهاتين الطائفتين قد ألقاه الشيطان اليهما وتركه
عندهما وبقي يتفقه في ذلك فقيها نفسيا فان لم يكن الانسان على بصيرة وتمييز من خواطره حتى يفرق بين القاء
الشيطان وان كان خيرا وبين القاء الملك والنفس ويميز بينهما تمييزا صحيحا والا فلا يفعل فانه لا يفلح أبدا فان الشيطان

لا يأتى الى كل طائفة الا بما هو الغالب عليها وليس غرضه من الصالحين الا ان يجهلوه فى الاخذ عنه فاذا جهلوه ونسبوا ذلك الى الله ولم يعرفوا على أى طريق وصل اليهم كأنه قنع منهم بهذا القدر من الجهل وعرف انهم تحت سلطانه فلا يزال يستدرجه فى خير يتمه حتى يتمكن منه فى تصديق خواطره وأنها من الله فيسلخه من دينه كما تنسلخ الحية من جلدها ألا ترى صورة الجلد المسلوخ منها على صورة الحية كذلك هذا الامر ٭ جاء ابليس الى عيسى عليه السلام فى صورة شخص شيخ فى ظاهر الحس لان الشيطان ليس له الى باطن الانبياء عليهم السلام من سبيل فخواطر الانبياء عليهم السلام كلها امار بانية أو ملكية أو نفسية لاحظ للشيطان فى قلوبهم ومن يحفظ من الاولياء فى علم الله يكون بهذه المثابة فى العصمة مما يلقى لا فى العصمة من وصوله اليه فالولى المعتنى به على علامة من الله فيما يلقى اليه الشيطان وسبب ذلك انه ليس بمشرع والانبياء مشرعون فلذلك عصمت بواطنهم فقال لعيسى عليه السلام يا عيسى قل لا اله الا الله ورضى منه ان يطيع أمره فى هذا القدر فقال عيسى عليه السلام أقولها لا لقولك لا اله الا الله فرجع خاسئا ومن هنا تعلم الفرق بين العلم بالشئ و بين الايمان به وان السعادة فى الايمان وهو ان تقول ما تعلمه وما قلته لقول رسولك الاول الذى هو موسى عليه السلام لقول هذا الرسول الثانى الذى هو محمد صلى الله عليه وسلم لا لعلمك ولا لقول الاول فحينئذ لك يشهد بالايمان وما آلك السعادة واذا قلت ذلك لا لقوله وأظهرت انك قلت ذلك لقوله كنت منافقا قال تعالى يا أيها الذين آمنوا يريد أهل الكتاب حيث قالوا ما قالوه لامر نبيهم عيسى أو موسى أو من كان من أهل الايمان بذلك من الكتب المتقدمة ولهذا قال لهم يا أيها الذين آمنوا ثم قال لهم آمنوا بأنبيائى قولوا لا اله الا الله لقول محمد صلى الله عليه وسلم لا لعلمكم بذلك ولا لايمانكم بنبيكم الاول فتجمعوا بين الايمانين فيكون لكم أجران فيقنع الشيطان من الانسان ان يلبس عليه بهذا القدر فلا يفرق بين ما هو من عند الله من حيث ما هو من عند الله ولا بين طريق الملك والنفس والشيطان فالله يجعل لك علامة تعرف بها مراتب خواطرك ومما تعرف به الخواطر الشيطانية وان كانت فى الطاعة بعدم الثبوت على الامر الواحد وسرعة الاستبدال من خاطر بأمر ما الى خاطر بأمر آخر فانه حريص وهو مخلوق من لهب النار ولهب النار سريع الحركة فاصل ابليس عدم البقاء على حالة واحدة فى أصل نشأته فهو بحكم أصله والانسان له الثبوت فانه من التراب فله البرد واليبس فهو ثابت فى شغله وكذلك الخواطر النفسية ثابتة ما لم يزلزلها الملك أو الشيطان ومتعلق أصل الخواطر الشيطانية انما هو المحظور فعلا كان أو تركا ثم يليه المكروه فعلا كان أو تركا فالاول فى العامة والثانى فى العباد من العامة وقد يتعلق بالمباح فى حق المبتدى من أهل طريق الله ويأتى بالمندوب فى حق المتوسطين من أهل الله أصحاب السماع فانه يستدرج كل طائفة من حيث ما هو الغالب عليها فانه عالم بمواقع المكر والاستدراج ويأتى العارفين بالواجبات فلا يزال بهم حتى نوى امع الله فعل أمر ما من الطاعات وهو فى نفس الامر عهد يعهده مع الله فاذا استوثق منه فى ذلك وعزم وما بقى الا الفعل أقام له عبادة أخرى أفضل منها شرعا فيرى العارف ان يقطع زمانه بالاولى فيترك الاول ويشرع فى الثانى فيفرح ابليس حيث جعله ينقض عهد الله من بعد ميثاقه والعارف لا خبر له بذلك فلو عرف من أول ان ذلك من الشيطان عرف كيف يرده وكيف يأخذه كما فعل عيسى عليه السلام وكل متمكن من أهل الله من ورثة الانبياء فيراها مع كونها حسنة هى خواطر شيطانية وكذا جاء المنافق من أهل الكتاب قال له ألم تعلم ان نبيك قد بشر بهذا الرجل وقد علمت انه هو والنبوة تجمعهما فقل له انك رسول الله لقول نبيك لا لقوله ولا فرق بينهما فيقول المنافق عند ذلك انك رسول الله فأكذبهم الله فقال تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله على ما قررهم الشيطان فقال الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فى انهم قالوا ذلك لقولك لا فى قولهم انك رسول الله ولو أراد ذلك كان نفيا للرسالة صلى الله عليه وسلم فقد أعلمتك بمداخل الشيطان الى نفوس العالم لتحذره وتسأل الله أن يعطيك علامة تعرفه بها وقد أعطاك الله فى العامة ميزان الشريعة وميزك بين فرائضه ومندوباته ومباحه ومحظوره ومكروهه ونص على ذلك فى كتابه وعلى لسان رسوله فاذا خطر لك خاطر فى محظور أو مكروه فتعلم انه من الشيطان بلا شك واذا خطر لك خاطر فى مباح فتعلم انه من النفس بلا شك فخاطر الشيطان بالمحظور

والمكروه اجتنبه فعلا كان أو تركا والمباح أنت مخير فيه فان غلب عليك طلب الارباح فأجتنب المباح واشتغل بالواجب أو المندوب غير انك اذا تصرفت في المباح فتصرف فيه على حضور انه مباح وان الشارع لولا ما أباحه لك ما تصرفت فيه فتكون مأجورا في مباحك لا من حيث كونه مباحا الا من حيث ايمانك به انه شرع من عند الله فان الحكم لا ينتقل بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الحكم هو عين الشرع وقد سد ذلك الباب فالمباح مباح لا يكون واجبا ولا محظورا أبدا وكذلك كل واحد من الاحكام وان خطر لك خاطر في فرض فقم اليه بلا شك فانه من الملك واذا خطر لك خاطر في مندوب فاحفظ أول الخاطر فانه قد يكون من ابليس فأثبت عليه فاذا خطر لك ان تتركه لمندوب آخر هو أعلى منه وأولى فلا تعدل عن الاول وأثبت عليه واحفظ الثاني وافعل الاول ولا بد فاذا فرغت منه اشرع في الثاني فافعله أيضا فان الشيطان يرجع خاسئا بلا شك حيث لم يتفق له مقصوده وبهذا الدواء يذهب مرض الشيطان من نفسك وتكون عمري المقام مالقاك الشيطان في فج الا سلك فجا غير فجك اذا عاملته بمثل هذا فحافظ على ما نبهتك عليه فان الله قد أثنى على الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ويكفي هذا القدر والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

«الباب السادس والستون»

في معرفة الاستقراء وصحته من سقمه

للاستقراء حد في المعاني * يلازمه القوى من الرجال
له حكم ولا يعطيك علما * فصورته كمنزلة الظلال
مراجعة الدليل يقوم فيها * وأين العين من شخص المثال
منازلة الظنون وان منها * لعطيك النزول الى سفال
فلا تحكم بالاستقراء قطعا * فما عين الغزالة كالغزال
وان ظهرت بالاستقراء علوم * فما حكم التضمر كالهزال

خرج مسلم في صحيحه ان الله يقول شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين فسمى نفسه عز وجل أرحم الراحمين وقال انه خير الغافرين وقال في الصحيح أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فاذا استقرأنا الوجود ان الكرام الاصول لا يصدر منهم الا مكارم الاخلاق من الاحسان للمحسن والتجاوز عن المسيء والعفو عن الزلة واقالة العثرة وقبول المعذرة والصفح عن الجاني وأمثال هذا مما هو من مكارم الاخلاق واستقرأنا ذلك فوجدناه لا يخطئ بقول شاعر العرب في ذلك * ان الجياد على اعراقها تجري * والحق أولى بصفة مكارم الاخلاق من المخلوقين فهنا تكون صحة الاستقراء في الالهيات وأما سقم الاستقراء فلا يصح في العقائد فان مبناها على الادلة الواضحة فانه لو استقرأنا كل من ظهرت منه صنعة وجدناه جسما ونقول ان العالم صنعة الحق وفعله وقد تتبعنا الصناع فما وجدناصانعا الا ذا جسم فالحق جسم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وتتبعنا الادلة في المحدثات فما وجدنا عالما لنفسه وانما الدليل يعطي أن لا يكون عالم الا بصفة زائدة على ذاته تسمى علما وحكمها فيمن قامت به أن يكون عالما وقد علمنا ان الحق عالم فلا بد أن يكون له علم ويكون ذلك العلم صفة زائدة على ذاته قائمة به كلا بل هو الله العالم الحي القادر القاهر الخبير كل ذلك لنفسه لا بامر زائد على ذاته اذ لو كان ذلك بامر زائد على نفسه وهي صفات كمال لا يكون كمال الذات الا بها فيكون كماله بزائد على ذاته وتتصف ذاته بالنقص اذا لم يقم به هذا الزائد فهذا من الاستقراء وهذا الذي دعا المتكلمين أن يقولوا في صفات الحق لا هي هو ولا هي غيره وفيما ذكرناه ضرب من الاستقراء الذي لا يليق بالجناب العالي ثم انه لما استشعر القائلون بالزائد سلكوا في العبارة عن ذلك مسلكا آخر فقالوا ما عقلناه بالاستقراء وانما قلنا أعطى الدليل انه لا يكون عالم الا من قام به العلم ولا بد أن يكون أمرا زائدا على ذات العالم لانه من صفات المعاني يقدر رفعه مع بقاء الذات فلما أعطا الدليل ذلك طردناه شاهدا وغائبا يعني في الحق والخلق وهذا هرب منهم وعدول عن عين

الصواب ثم انهم أكدوا ذلك بقولهم ما ذكرناه عنهم ان صفاته لا هي هو ولا هي غيره وحدّوا الغيرين بحد يمنعه غيرهم واذا سألتهم هل هي أمر زائد اعترفوا بانها أمر زائد وهذا هو عين الاستقراء فلهذا قلنا ان الاستقراء في العلم بالله لا يصح وان الاستقراء على الحقيقة لا يفيد علما وانما أثبتناه في مكارم الاخلاق شرعا وعرفا لا عقلا فان العقل يدل عليه سبحانه انه فعال لما يريد لا يقاس بالمخلوق ولا يقاس المخلوق عليه وانما الادلة الشرعية أتت بامور تقرّر عندنا منها انه يعامل عباده بالاحسان وعلى قدر ظنهم به قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون في الطرفين للوازم قرّرها الشارع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن النائم عن الصلاة اذا استيقظ أو الناسي اذا ذكر وقد خرج وقت الصلاة فيصليها هل يثبتها دائما في كل يوم في ذلك الوقت فلما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان الله لينهاكم عن الربا ويأخذه منكم فبين انه سبحانه ما يحمد خلقا من مكارم الاخلاق الا والحق تعالى أولى به بان يعامل به خلقه ولا يذم شيأ من سفساف الاخلاق الا وكان الجناب الالهي أبعد منه فني مثل هذا الفن يسوغ الاستقراء بهذه الدلالات الشرعية وأما غير ذلك فلا يكون فقد أبنت لك صحة الاستقراء من سقمه في المعاملات وأما الاستقراء في التجليات فرأينا ان الهيولى الصناعية تقبل بعض الصور لا كلها فوجدنا الخشب يقبل صورة الكرسي والمنبر والتخت والباب ولم نره يقبل صورة القميص ولا الرداء ولا السراويل ورأينا الشقة تقبل ذلك ولا تقبل صورة السكين والسيف ثم رأينا الماء يقبل صورة لون الاوعية وما يتجلى فيها من المتلونات فيتصف بالزرقة والبياض والحمرة سئل الجنيد رحمه الله عن المعرفة والعارف فقال لون الماء لون انائه ثم استقرأنا عالم الاركان كلها والافلاك فوجدنا كل ركن منها وكل فلك يقبل صورا مخصوصة وبعضها أكثر قبولا من بعض ثم نظرنا في الهيولى الكل فوجدناها تقبل جميع صور الاجسام والاشكال فنظرنا في الامور فرأيناها كلما لطفت قبلت الصور الكثيرة فنظرنا في الارواح فوجدناها أقبل للتشكل في الصور من سائر ما ذكرناه ثم نظرنا في الخيال فوجدناه يقبل ماله صورة ويصوّر ما ليست له صورة فكان أوسع من الارواح في التنوّع في الصور ثم جئنا الى الغيب في التجليات فوجدنا الامر أوسع مما ذكرناه ورأيناه قد جعل ذلك أسماء كل اسم منها يقبل صورا لا نهاية لها في التجليات وعلمنا ان الحق وراء ذلك كله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير فجاء في عدم الادراك بالاسم اللطيف اذ كانت اللطافة مما ينبو الحس عن ادراكها فنعقل ولا نشهد فتسمى في وصفه الذي تنزه أن يدرك فيه باللطيف الخبير أي تلطف عن ادراك المحدثات ومع هذا فانه يعلم ويعقل ان ثم أمرا يستند اليه فاتى بالاسم الخبير على وزن فعيل وفعيل يرد بمعنى المفعول كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح وهو المراد هنا والاوجه وقد يرد بمعنى الفاعل كعليم بمعنى عالم وقد يكون أيضا هو المراد هنا ولكنه يبعد فان دلالة مساق الآية لا تعطي ذلك فان مساقها في ادراك الابصار لا في ادراك البصائر فان الله قد ندبنا الى التوصل بالعلم به فقال فاعلم انه لا اله الا الله ولا يعلم حتى ننظر في الادلة فيؤدّينا النظر فيها الى العلم به على قدر ما تعطينا القوّة في ذلك فلهذا رجحنا خبيرا هنا بمعنى المفعول أي ان الله يعلم ويعقل ولا تدركه الابصار فهذا القدر مما يتعلق بهذا الباب من الاستقراء وأما كونه لا يفيد العلم في هذا الموطن فانه ما من أصل ذكرناه يقبل صورا ما الا يجوز بل يقع وقد وقع انه يتكرر في تلك الصور مرات عديدة وهذا قد ورد في الاخبار أن جبريل عليه السلام نزل مرارا على صورة دحية الكلبي ولما لم يصح عندنا في التجلي الالهي أن يتكرر تجل الهي لشخص واحد مرتين ولا يظهر في صورة واحدة لشخصين علمنا ان الاستقراء لا يفيد علما فان جناب التجلي لا يقبل التكرار فخرج عن حكم الاستقراء من وجه عدم التكرار ولحق به من حيث التحوّل في الصور وقد ورد التحوّل في حديث مسلم في حديث الشفاعة من كتاب الايمان فلا يعوّل على الاستقراء في شيء من الاشياء لا في الاحوال ولا في المقامات ولا في المنازل ولا في المنازلات والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿الباب السابع والخمسون في معرفة تحصيل علم الالهام بنوع ما من أنواع الاستدلال ومعرفة النفس﴾

لا تحكمنّ بالهام تجده فقد ✽ يكون في غير ما يرضاه واهبه

واجعل شريعتك المثلى مصححة * فانها ثمر يجنيه كاسبه
له الاساءة والحسنى معا فكما * تعلى طرائقه تردى مذاهبه
فاحذره ان له فى كل طائفة * حكما اذا جهلت فينا مكاسبه
لا تطلبن من الالهام صورته * فان وسواس ابليس يصاحبه
فى شكله وعلى ترتيب صورته * وان تميز فالمعنى يقاربه

قال الله تعالى ونفس وما سوّاها فالهمها فجورها وتقوها من قوله أيضا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا فجعل النفس محلا قابلا لما تلهمه من الفجور والتقوى فتميز الفجور فتجتنبه والتقوى فتسلك طريقه ومن وجه آخر تطلبه الآية وهو أنه بما ألهمها عرفها أن يكون لها فى الفجور والتقوى كسب أو تعمل وانما هى محل لظهور الفعل فجورا كان أو تقوى شرعا فهى برزخ وسط بين هذين الحكمين ولم ينسب سبحانه الى نفسه خاطر المباح ولا الهامه فيها به وسبب ذلك أن المباح ذاتى لها فبنفس ما خلق عينها ظهر عين المباح فهو من صفاتها النفسية التى لا تعقل النفس الا به فهو على الحقيقة أعنى خاطر المباح نعت خاص كالضحك للانسان وان لم يكن من الفصول المقومة فهو حد لازم رسمى فان من خاصية النفس دفع المضار واستجلاب المنافع وهذا لا يوجد فى أقسام أحكام الشرع الا فى قسم المباح خاصة فانه الذى يستوى فعله وتركه فلا أجر فيه ولا وزر شرعا وهو قوله وما سوّاها من التسوية وهو الاعتدال فى الشئ فسوّاك فعدلك يمتن بذلك على الانسان وما فى أقسام أحكام الشريعة قسم يقتضى العدل ويعطى الاعتدال الا قسم المباح فهى تطلبه بذاتها وخاصيتها فلذلك لم يصفها بأنها ملهمة فيه وما ذكر سبحانه من الملهم لها بالفجور والتقوى فأضمر الفاعل فالظاهر أن الضمير المضمر يعود على المضمر فى سوّاها وهو الله تعالى ومن نظر فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للملك فى الانسان لمة وللشيطان لمة يعنى بالطاعة وهى التقوى والمعصية وهى الفجور فيكون الضمير فى ألهمها للملك فى التقوى وللشيطان فى الفجور ولم يجمعهما فى ضمير واحد لبعد المناسبة بينهما وكل بقضاء الله وقدره ولا يصح أن يقال فى هذا الموضع ان الله هو الملهم بالتقوى وان الشيطان هو الملهم بالفجور لما فى هذا من الجهل وسوء الادب لما فى ذلك من غلبة أحد الخاطرين والفجور أغلب من التقوى وأيضا لقوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فانه فى تلك الآية ظاهر الاسم والسيئة فيها ما هى شرعا فتكون فجورا وانما هى مما يسوءه ولا يوافق غرضه وهو فى الظاهر قولهم فانهم كانوا يتطيرون به صلى الله عليه وسلم أعنى الكافرين فأمره سبحانه أن يقول كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا أى ما يحدث فيهم من الكون يقول الله عنهم انهم يقولون ان تصبهم حسنة يقولوا هذا من عند الله وان تصبهم سيئة أى ما يسوءهم فمن عندك قل كل من عند الله وهو قوله طائركم عند الله فالفاعل فى ألهمها مضمر فان كان الله هنا فى الضمير هو الملهم بالتقوى والشيطان هو الملهم بالفجور فقد جمع الله والشيطان ضمير واحد وهذا غاية فى سوء الادب مع الله وما أحسن ما جاء بالواو العاطفة فى قوله وتقواها فتعالى الله الملك القدوس أن يجتمع مع المطرود من رحمة الله فى ضمير مع احتمال الامر فى ذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب أنت لما سمعه قد جمع بين الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فى ضمير واحد فقال ومن يعصهما وما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جمع بين الله وبين نفسه فى ضمير واحد الا بوحى من الله وهو قوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال وما ينطق عن الهوى ونحن يلزمنا ملازمة الادب فيما لم نؤمر به ولا نهينا عنه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله بئس الخطيب أنت وكذلك لا يترجح أن ننسب الالهام بالفجور الى الله فلم يبق بعد هذا الاستقصاء أن يكون الضمير فى ألهمها بالفجور الا الشيطان وبالواو بالتقوى الا الملك فمقابلة مخلوق بمخلوق أولى من مقابلة مخلوق بخالق وفى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب كفاية لمن أنار الله بصيرته فقد أعلمك برتبة نفسك وانها ليست بأمارة بالسوء من حيث ذاتها وانما ينسب اليها ذلك من حيث انها قابلة لالهام الشيطان بالفجور ولجهلها بالحكم المشروع فى ذلك كنفس أمرت صاحبها بارتكاب أمر لم تعلم تحريمه

فى الشرع أوقامت عندها شبهة باباحة ذلك فيراه من مذهبه التحريم فيقول ان النفس لأمارة بالسوء كشرب النبيذ بين محلله ومحرّمه ونكاح الربيبة التى لم يجتمع فيها الشرطان ومثل هذا فى الشريعة كثير وكلا المذهبين شرع مقرّر صحيح اذا كانا عن اجتهاد مع ان أحدهما أخطأ دليل الشارع الذى حكم به فى تلك المسئلة أولو حكم فيها والمجتهدان مأجوران وقد يكون فى المسئلة أحد المجتهدين مصيبا وقد يكون كل واحد منهما مخطئا فان الحكم فى تلك المسئلة شرعا ليس بمنحصر ثم ان قول الله تعالى ان النفس لأمارة بالسوء فما هو حكم الله عليها بذلك وانما الله حكى ما قالته امرأة العزيز فى مجلس العزيز وهل أصابت فى هذه الاضافة أولم تصب هذا حكم آخر مسكوت عنه بل الذى هو لها انها لوّامة نفسها اذا قبلت من الشيطان ما يأمرها به فهذا الاخبار عن النفس انها أمارة بالسوء ما هو حكم الله عليها ولا من قول يوسف عليه السلام فبطل التمسك بهذه الآية لما دل عليه الظاهر والدليل اذا دخله الاحتمال سقط الاحتجاج به وأما قوله تعالى فى هذا المقام كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك فهو ابانة عن حقيقة صحيحة بما هو الامر عليه فى نفسه من أنه لا حول ولا قوّة الا بالله وقوله وما كان عطاء ربك محظورا أى ممنوعا يقول ان الله يعطى على الدوام والمحال تقبل على قدر حقائق استعداداتها كما تقول ان الشمس تنبسط أنوارها على الموجودات وما تبخل بنورها على أحد وتقبل المحال ذلك النور على قدر استعدادها وكل محل يضيف الاثر الى الشمس و يغفل عن استعداده فالشخص المبرود يلتذ بحرارتها والجسم المحرور يتألم بحرارتها والنور من حيث ذاته واحد وكل واحد من الشخصين يتألم عما به ينعم صاحبه فلو كان ذلك للنور وحده لاعطى حقيقة واحدة وكذلك أعطى ما فى قوّته غير أنه للقابل حكم فى ذلك ولا بد فان النتيجة لا تكون الا عن مقدمتين فيسود وجه القصار الذى يبيض الثوب فان استعداد الثوب تعطى الشمس فيه التبيض ووجه القصار تعطى الشمس فيه السواد وكذلك النفخة الواحدة من النافخ وهى الهواء تطفئ السراج وتشعل النار الذى فى الحشيش والهواء فى نفسه واحد فترد الآية من كتاب الله واحدة العين على الاسماع فسامع يفهم منها أمرا واحدا وسامع آخر لا يفهم منها ذلك الامر و يفهم منها أمرا آخر وآخر يفهم منها أمورا كثيرة ولهذا يستشهد كل واحد من الناظرين فيها بها لاختلاف استعداد الافهام وهكذا فى التجليات الالهية فالمتجلى من حيث هو فى نفسه واحد العين واختلفت التجليات أعنى صورها بحسب استعدادات المتجلى لهم وكذلك فى العطايا الالهية سواء فاذا فهمت هذا علمت ان عطاء الله ليس بممنوع الا انك تحب أن يعطيك ما لا يقبله استعدادك وتنسب المنع اليه فيما طلبته منه ولم تجعل بالك الى الاستعداد فقد يستعد الشخص للسؤال وما عنده استعداد لقبول ما سأل فيه فلو أعطيه بدلا من المنع و يقول ان الله على كل شئ قدير و يصدق فى ذلك ولكنك تغفل عن ترتيب الحكمة الالهية فى العالم وما تعطيه حقائق الاشياء والكل من عند الله فمنه عطاء وعطاؤه منع ولكن بقى لك أن تعلم لكذا ومن كذا فقد عرفتك بالنفس وانها المحركة للجوارح بما يغلب عليها أما من ذاتها أو مما تقبله من الملك أو الشيطان فيما يلهمها به فعلم الالهام هو أن تعلم أن الله ألهمك بما أوقره فى نفسك ولكن بقى عليك ان تنظر على يدى من ألهمك وعلى أىّ طريق جاءك ذلك الالهام من ملك أو شيطان وما يخرج من قبيل الامر والنهى المشروع فهو العلم اللدنىّ ما هو الالهام فالعلم بالطاعة الهامىّ والعلم بنتائج الطاعة لدنىّ ففرق ما بين العلم اللدنى والالهام فالالهام عارض طارئ يزول و يجئ غيره والعلم اللدنىّ ثابت لا يبرح فمنه ما يكون فى أصل الخلقة والجبلة كعلم الحيوانات والاطفال الصغار ببعض منافعهم ومضارّهم فهو علم ضرورىّ لا الهام وأما قوله وأوحى ربك الى النحل فانه يريد فى أصل نشأتها فطرها الله على ذلك والالهام هو ما يلهمه العبد من الامور التى لم يكن يعرفها قبل ذلك والعلم اللدنىّ الذى لا يكون فى أصل الخلقة فهو العلم الذى نتيجه الاعمال فيرحم الله بعض عباده بأن يوفقه لعمل صالح فيعمل به فيورثه الله من ذلك علما من لدنه لم يكن يعلمه قبل ذلك ولا يلزم من العلم اللدنىّ ان يكون فى مادّة والالهام لا يكون الا فى موادّ والعلم يصيب ولا بد والالهام قد يصيب وقد يخطئ فالمصيب منه يسمى علم الالهام وما يخطئ منه يسمى الهاما لا علما أى لا علم الهام والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿الباب الثامن والثمانون﴾

في معرفة أسرار أهل الالهام المستدلين ومعرفة علم الهي فاض على القلب ففرق خواطره وشتتها

اذا أعطاك بالالهام علما * تحققه فأنت به سعيد
كمثل النحل مختلف المعاني * قوي في مبانيه سديد
فتلقي طيبا عن طيب أصل * وأنت لحالها أبدا شهيد
وفي الاشجار والشم الرواسي * لها من فعلها قصر مشيد
فلا تعجزك للعلياء نحل * وأنت السيد الندب الجليد
فنلك القصد خيرا واختيارا * كمالك في منازلك القصود
فحقق والتمس علما وحيدا * كمثلك انك الخلق الجديد

اعلم أيدك الله بروح منه ان الله عز وجل أمرنا بالعلم بوحدانيته في ألوهيته غير أن النفوس لما سمعت ذلك منه مع كونها قد نظرت بفكرها ودلت على وجود الحق بالادلة العقلية بل بضرورة العقل بعلم وجود الباري تعالى ثم دلت على توحيد هذا الموجود الذي خلقها وأنه من المحال ان يوجد واجبا الوجود لنفسه ولا ينبغي ان يكون الا واحدا ثم استدلوا على ما ينبغي ان يكون عليه من هو واجب الوجود لنفسه من النسب التي ظهر عنه بها ما ظهر من الممكنات ودل على امكان الرسالة ثم جاء الرسول وأظهر من الدلائل على صدقه انه رسول من الله الينا فعرفنا بالادلة العقلية انه رسول الله فلم نشك وقام لنا الدليل العقلي على صدق ما يخبر به فيما ينسب اليه ورآه قد أتى في أخباره عنه تعالى بنسب وأمور كان الدليل العقلي يحيلها ويرمي بها فتوقف العقل وأتهم معرفته وقدح في دليله هذا الانباء الالهي بما نسبه لنفسه ولا يقدر على تكذيب الخبر ثم كان من بعض ما قال له هذا الشارع اعرف ربك وهذا العاقل لو لم يعلم ربه الذي هو الاصل المعول عليه ما صدق هذا الرسول فلا بد ان يكون العلم الذي طلب منه الرسول ان يعلم به ربه غير العلم الذي أعطاه دليله وهو أن يتعمل في تحصيل علم من الله بالله يقبل به على بصيرة هذه الامور التي نسبها الله الى نفسه ووصف نفسه بها التي أحالها العقل بدليله فانقدح له بتصديقه الرسول ان ثم وراء العقل وما يعطيه بفكره أمرا آخر يعطي من العلم بالله ما لا تعطيه الادلة العقلية بل تحيله قولا واحدا فاذا علمه بهذه القوة التي عرف انها وراء طور العقل هل يبقى له الحكم فيما كان يحيله العقل من حيث فكره أولا على ما كان عليه أم لا يبقى فان لم يبق له الحكم بأن ذلك محال فلا بد أن يعثر على الوجه الذي وقع له منه الغلط بلا شك وان ذلك الذي اتخذه دليلا على احالة ذلك على الله لم يكن دليلا في نفس الامر واذا كان هذا فما ذلك الامر مما هو وراء طور العقل فان العقل قد يصيب وقد يخطئ وان بقي للعقل بعد كشفه وتحقيقه لصحة هذا الامر الذي نسبه الله لنفسه ووصف به نفسه وقبلته عقول الانبياء وقبله عقل هذا المكاشف بلا شك ولا ريب ومع هذا فانه يحكم على الله بأن ذلك الامر محال عقلا من حيث فكره لا من حيث قبوله وحينئذ يصح أن يكون ذلك المقام وراء طور العقل من جهة أخذه عن الفكر لا من جهة أخذه عن الله هذا ومن أعجب الامور عندنا ان يكون الانسان يقلد فكره ونظره وهو محدث مثله وقوة من قوى الانسان التي خلقها الله فيه وجعل تلك القوة خديمة للعقل ويقلدها العقل فيما تعطيه هذه القوة ويعلم انها لا تتعدى مرتبتها وأنها تعجز في نفسها عن ان يكون لها حكم في قوة أخرى مثل القوة الحافظة والمصورة والمتخيلة والقوى التي هي الحواس من لمس وطعم وشم وسمع وبصر ومع هذا القصور كله يقلدها العقل في معرفة ربه ولا يقلد ربه فيما يخبر به عن نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط وكل صاحب فكر تحت حكم هذا الغلط بلا شك الا من نور الله بصيرته فيعرف ان الله قد أعطى كل شيء خلقه فأعطى السمع خلقه فلا يتعدى ادراكه وجعل العقل فقيرا اليه يستمد منه معرفة الاصوات وتقطيع الحروف وتغيير الالفاظ وتنوع اللغات فيفرق بين صوت الطير وهبوب الرياح وصرير الباب وخرير الماء وصياح الانسان ويعار الشاة وثؤاج الكباش وخوار البقر ورغاء الابل وما أشبه هذه الاصوات كلها وليس في قوة العقل من حيث ذاته ادراك

شئ من هذا مالم يوصله اليه السمع وكذلك القوة البصرية جعل الله العقل فقيرا اليها فيما توصله اليه من المبصرات فلا يعرف الخضرة ولا الصفرة ولا الزرقة ولا البياض ولا السواد ولا ما بينهما من الالوان مالم ينعم البصر على العقل بها وهكذا جميع القوى المعروفة بالحواس ثم ان الخيال فقير الى هذه الحواس فلا يتخيل أصلا الا ما تعطيه هذه القوى ثم ان القوة الحافظة ان لم تمسك على الخيال ما حصل عنده من هذه القوى لا يبقى في الخيال منها شئ فهو فقير الى الحواس والى القوة الحافظة ثم ان القوة الحافظة قد تطرأ عليها موانع تحول بينها وبين الخيال فيفوت الخيال أمور كثيرة من أجل ما طرأ على القوة الحافظة من الضعف أو وجود المانع فافتقر الى القوة المذكرة فتذكره ما غاب عنه فهي معينة للقوة الحافظة على ذلك ثم ان القوة المفكرة اذا جاءت الى الخيال افتقرت الى القوة المصورة لتركب بها مما ضبطه الخيال من الامور صورة دليل على أمر ما أو برهان تستند فيه الى المحسوسات أو الضروريات وهي أمور مركوزة في الجبلة فاذا تصور الفكر ذلك الدليل حينئذ يأخذه العقل منه فيحكم به على المدلول ومامن قوة الا وطا موانع وأغاليط فيحتاج الى فصلها من الصحيح الثابت فانظر يا أخي ما أفقر العقل حيث لا يعرف شيأ مما ذكرناه الا بواسطة هذه القوى وفيها من العلل ما فيها فاذا اتفق للعقل ان يحصل شيأ من هذه الامور بهذه الطرق ثم أخبره الله بأمر ما توقف في قبوله وقال ان الفكر يرده فما أجهل هذا العقل بقدر ربه كيف قلد فكره وجرح ربه فقد علمنا ان العقل ما عنده شئ من حيث نفسه وان الذي يكتسبه من العلوم انما هو من كونه عنده صفة القبول فاذا كان بهذه المثابة فقبوله من ربه لما يخبر به عن نفسه تعالى أولى من قبوله من فكره وقد عرف ان فكره مقلد لخياله وان خياله مقلد لحواسه ومع تقليده فهو غير قوى على امساك ما عنده مما لم تساعده على ذلك القوة الحافظة والمذكرة ومع هذه المعرفة بأن القوى لا تتعدى خلقها وما تعطيه حقيقتها وانه بالنظر الى ذاته لا علم عنده الا الضروريات التي فطر عليها لا يقبل قول من يقول له ان ثم قوة أخرى وراءك تعطيك خلاف ما أعطتك القوة المفكرة نالها أهل الله من الملائكة والانبياء والاولياء ونطقت بها الكتب المنزلة فاقبل منها هذه الاخبار الالهية فتقليد الحق أولى وقد رأيت عقول الانبياء على كثرتهم والاولياء قبلتها وآمنت بها وصدقتها ورأت ان تقليدها ربها في معرفة نفسه أولى من تقليدها أفكارها فمالك أيها العاقل المفكر لا تقبلها من جاء بها ولا سيما عقول تقول انها في محل الايمان بالله ورسله وكتبه ولما رأت عقول أهل الايمان بالله تعالى ان الله قد طلب منها ان تعرفه بعد أن عرفته بأدلتها النظرية علمت ان ثم علما آخر بالله لا تصل اليه من طريق الفكر فاستعملت الرياضات والخلوات والمجاهدات وقطع العلائق والانفراد والجلوس مع الله بتفريغ المحل وتقديس القلب عن شوائب الافكار اذ كان متعلق الافكار الاكوان واتخذت هذه الطريقة من الانبياء والرسل وسمعت ان الحق جل جلاله ينزل الى عباده ويستعطفهم فعلمت ان الطريق اليه من جهته أقرب اليه من الطريق من فكرها ولا سيما أهل الايمان وقد سمعت قوله تعالى من أتاني يسعى أتيته هرولة وان قلبه وسع جلال الله وعظمته فتوجه اليه بكله وانقطع من كل ما يأخذ عنه من هذه القوى فعند هذا التوجه أفاض الله عليه من نوره علما الهيا عرفه بأن الله تعالى من طريق المشاهدة والتجلي لا يقبله كون ولا يرده ولذلك قال ان في ذلك يشير الى العلم بالله من حيث المشاهدة لذكرى لمن كان له قلب ولم يقل غير ذلك فان القلب معلوم بالتقليب في الاحوال دائما فهو لا يبقى على حالة واحدة فكذلك التجليات الالهية فمن لم يشهد التجليات بقلبه ينكرها فان العقل يقيد وغيره من القوى الا القلب فانه لا يتقيد وهو سريع التقلب في كل حال ولذا قال الشارع ان القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء فهو يتقلب بتقلب التجليات والعقل ليس كذلك فالقلب هو القوة التي وراء طور العقل فلو أراد الحق في هذه الآية بالقلب انه العقل ما قال لمن كان له قلب فان كل انسان له عقل وما كل انسان يعطى هذه القوة التي وراء طور العقل المسماة قلبا في هذه الآية فلذلك قال لمن كان له قلب فالتقليب في القلب نظير التحول الالهي في الصور فلا تكون معرفة الحق من الحق الا بالقلب لا بالعقل ثم يقبلها العقل من القلب كما يقبل من الفكر فلا يسعه سبحانه الا أن يقلب ما عندك ومعنى قلب ما عندك هو أنك علقت المعرفة به عز وجل وضبطت عندك في علمك أمرا ما أو على أمر ضبطته في

علمك به أنه لا ينضبط سبحانه ولا يتقيد ولا يشبه شيأ ولا يشبهه شئ فلا ينضبط مضبوط لتميزه عما ينضبط فقد انضبط مالا ينضبط مثل قولك العجز عن درك الادراك ادراك والحق انما وسعه القلب ومعنى ذلك أن لا يحكم على الحق تعالى بأنه لا يقبل ولا يقبل فان ذات الحق وأنيته مجهولة عند الكون ولا سيما وقد أخبر جل جلاله عن نفسه بالنقيضين فى الكتاب والسنة فشبه فى موضع ونزه فى موضع بليس كمثله شئ وشبه بقوله وهو السميع البصير فتفرقت خواطر التشبيه وتشتتت خواطر التنزيه فان المنزه على الحقيقة قد قيده وحصره فى تنزيهه وأخلى عنه التشبيه والمشبه أيضا قيده وحصره فى التشبيه وأخلى عنه التنزيه والحق فى الجمع بالقول بحكم الطائفتين فلا ينزه تنزيها يخرج عن التشبيه ولا يشبه تشبيها يخرج عن التنزيه فلا تطلق ولا تقيد لتميزه عن التقييد ولو تميز تقيد فى اطلاقه ولو تقيد فى اطلاقه لم يكن هو فهو المقيد بما قيد به نفسه من صفات الجلال وهو المطلق بما سمى به نفسه من أسماء الكمال وهو الواحد الحق الجلى الخفى لا اله الا هو العلى العظيم ﴿وصل﴾ وأما أسرار أهل الالهام المستدلين فلا تتجاوز سدرة المنتهى فان اليها تنتهى أعمال بنى آدم ونهاية كل أمر الى ما منه بدا فان قال لك عارف من لا علم له بهذا الامر ان الكرسى موضع القدمين فقل له ذلك عالم الخلق والامر والتكليف انما انقسم من السدرة فانه قطع أربع مراتب والسدرة هى المرتبة الخامسة فنزل من قلم الى لوح الى عرش الى كرسى الى سدرة فظهر الواجب من القلم والمندوب من اللوح والمحظور من العرش والمكروه من الكرسى والمباح من السدرة والمباح قسم النفس واليها تنتهى نفوس عالم السعادة ولاصولها وهى الزقوم تنتهى نفوس أهل الشقاء وقد بيناها فى كتاب التنزلات الموصلية فى باب يوم الاثنين واذا ظهرت قسمة الاحكام من السدرة فاذا صعدت الاعمال التى لا تخلو من أحد هذه الاحكام لا بد أن تكون نهايتها الى الموضع الذى منه ظهرت اذ لا تعرف من كونها منقسمة الى السدرة ثم يكون من العقل الذى هو القلم نظر الى الاعمال المفروضة فيمدها بحسب ما يرى فيها ويكون من اللوح نظر الى الاعمال المندوب اليها فيمدها بحسب ما يرى فيها ويكون من العرش نظر الى المحظورات وهو مستوى الرحمن فلا ينظرها الا بعين الرحمة ولهذا يكون مآل أصحابها الى الرحمة ويكون من الكرسى نظر الى الاعمال المكروهة فينظر اليها بحسب ما يرى فيها وهو تحت حيطة العرش والعرش مستوى الرحمن والكرسى موضع القدمين فيسرع العفو والتجاوز عن أصحاب المكروه من الاعمال ولهذا يؤجر تاركها ولا يؤاخذ فاعلها فكتاب الابرار فى عليين ويدخل فيهم العصاة أهل الكبائر والصغائر وأما كتاب الفجار ففى سجين وفيه أصول السدرة التى هى شجرة الزقوم فهناك تنتهى أعمال الفجار فى أسفل سافلين فان رحمهم الرحمن من عرش الرحمانية بالنظرة التى ذكرناها جعل لهم نعيما فى منزلهم فلا يموتون فيه ولا يحيون فهم فى نعيم النار دائمون مؤبدون كنعيم النائم بالرؤيا التى يراها فى حال نومه من السرور بما يكون فى فراشه مريضا ذا بؤس وفقر ويرى نفسه فى المنام ذا سلطان ونعمة وملك فان نظرت الى النائم من حيث ما يراه فى منامه ويلتذ به قلت انه فى نعيم وصدقت وان نظرت اليه من حيث ما تراه فى فراشه الخشن ومرضه وبؤسه وفقره وكلومه قلت انه فى عذاب هكذا يكون أهل النار فلا يموت فيها ولا يحيى أى لا يستيقظ أبدا من نومته فتلك الرحمة التى يرحم الله بها أهل النار الذين هم أهلها وأمثالها كالمحرور ومنهم من يتنعم بالزمهرير والمقرور ومنهم من يتنعم فى الحرور وقد يكون عذابهم توهم وقوع العذاب بهم وذلك كله بعد قوله لا يفتر عنهم العذاب وهم فيه مبلسون ذلك زمان عذابهم وأخذهم بجرائمهم قبل أن تلحقهم الرحمة التى سبقت الغضب الالهى فاذا اطلع أهل الجنان فى هذه الحالة على أهل النار ورأوا منازلهم فى النار وما أعد الله فيها وما هى عليه من قبح المنظر قالوا معذبون واذا كوشفوا على الحسن المعنوى الالهى فى خلق ذلك المسمى قبيحا ورأوا ما هم فيه فى نومتهم وعلموا أحوال أمزجتهم قالوا منعمون فسبحان القادر على ما يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم فقد فهمت قول الله تعالى لا يموت فيها ولا يحيى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿الباب التاسع والخمسون فى معرفة الزمان الموجود المقدر﴾

انّ الزمان اذا حققت حاصله * محقق فهو بالاوهام معلوم
مثل الطبيعة فى التأثير قوّته * والعين منها ومنه فيه معدوم
به تعينت الاشيا وليس له * عين يكون عليه منه تحكيم
العقل يعجز عن ادراك صورته * لذا نقول بأن الدهر موهوم
لولا التنزه ماسمى الاله به * وجوده فله فى القلب تعظيم
أصل الزمان اذا أنصفت من أزل * فحكمه أزلىّ وهو محكوم
مثل الخلاء امتداد ماله طرف * فى غير جسم بوهم فيه تجسيم

اعلم أوّلا ان الله تعالى هو الاول الذى لا أولية لشئ قبله ولا أولية لشئ يكون قائما به أو غير قائم به معه فهو الواحد سبحانه فى أوليته فلا شئ واجب الوجود لنفسه الا هو فهو الغنىّ بذاته على الاطلاق عن العالمين قال تعالى والله غنىّ عن العالمين بالدليل العقلىّ والشرعىّ فوجود العالم لا يخلو اما أن يكون وجوده عن الله لنفسه سبحانه ولامر زائد ماهو نفسه اذ لو كان نفسه لم يكن زائدا ولو كان نفسه أيضا لكان من كان نفسه وكانت الاولية لذلك الامر الزائد وقد فرضنا انه لا أولية لشئ معه ولا قبله فاذا لم يكن ذلك الامر الزائد نفسه فلا يخلو اما أن يكون وجودا أولا وجودا محال أن يكون لا وجودا فان لا وجود لا يصح أن يكون له أثر ايجاد فيما هو موصوف بأن لا وجود وهو العالم فليس أحدهما بأولى بتأثير الايجاد من الآخر اذ كلاهما لا وجود فان لا وجود لا أثر له لانه عدم ومحال أن يكون وجودا فانه لا يخلو عند ذلك اما أن يكون وجوده لنفسه أو لا يكون محال أن يكون وجوده لنفسه فانه قد قام الدليل على أحالة أن يكون فى الوجود اثنان واجبا الوجود لا نفسهما فلم يبق الا أن يكون وجوده بغيره ولا معنى لامكان العالم الا أن وجوده بغيره فهو اذا من العالم ولو كان وجود العالم عن الله لنسبة مالولاها ما وجد العالم نسمى تلك النسبة ارادة أو مشيئة أو علما أو ماشئت مما يطلبه وجود الممكن فيكون الحق تعالى بلا شك لا يفعل شيأ الا بتلك النسبة ولا معنى للافتقار الا هذا وهو محال على الله فان الله له الغنى على الاطلاق وهو كما قال غنىّ عن العالمين فان قيل ان المراد بالنسبة عين ذاته قلنا فالشئ لا يكون مفتقرا الى نفسه فانه غنى لنفسه فيكون الشئ الواحد فقيرا من حيث ماهو غنىّ كل ذلك لنفسه وهو محال وقد نفينا الامر الزائد فاقتضى ذلك أن يكون وجود العالم من حيث ماهو موجود بغيره مرتبطا بالواجب الوجود لنفسه وان عين الممكن محل تأثير الواجب الوجود لنفسه بالايجاد ولا يعقل الا هكذا فشيئته وارادته وعلمه وقدرته ذاته تعالى الله أن يتكثر فى ذاته علوّا كبيرا بل له الوحدة المطلقة وهو الواحد الاحد الله الصمد لم يلد فيكون مقدّمة ولم يولد فيكون نتيجة ولم يكن له كفوا أحد فيكون به وجود العالم نتيجة عن مقدمتين عن الحق والكفؤ تعالى الله وبهذا وصف نفسه سبحانه فى كتابه لما سئل النبىّ صلى الله عليه وسلم عن صفة ربه فنزلت سورة الاخلاص تخلصت من الاشتراك مع غيره تعالى الله فى تلك النعوت المقدسة والاوصاف فما من شئ نفاه فى هذه السورة ولا أثبته الا وذلك المنفىّ أو المثبت مقالة فى الله لبعض الناس وبعد أن بينا لك ما ينبغى أن يكون عليه من نحن مفتقرون اليه وهو الله سبحانه فلنبين ما بقى بناءه عليه فاعلم أن نسبة الازل الى الله نسبة الزمان الينا ونسبة الازل نعت سلبىّ لا عين له فلا يكون عن هذه الحقيقة وجود فيكون الزمان للممكن نسبة متوهمة الوجود لا موجودة لان كل شئ تفرضه يصح عنه السؤال بمتى ومتى سؤال عن زمان فلابد أن يكون الزمان أمرا متوهما لا وجودا ولهذا أطلقه الحق على نفسه فى قوله وكان الله بكل شئ عليما ولله الامر من قبل ومن بعد وفى السنة تقرير قول السائل أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ولو كان الزمان أمرا وجوديا فى نفسه ماصح تنزيه الحق عن التقييد اذ كان حكم الزمان يقيده فعرفنا أن هذه الصيغ ماتحتها أمر وجودىّ ثم نقول ان لفظة الزمان اختلف الناس فى معقولها ومدلولها فالحكماء تطلقه بازاء أمور مختلفة وأكثرهم على انه مدّة متوهمة تقطعها حركات الافلاك والمتكلمون يطلقونه بازاء أمر آخر وهو مقارنة حادث لحادث يسأل عنه بمتى والعرب تطلقه وتريد به الليل والنهار وهو مطلوبنا فى هذا الباب والليل والنهار فصلا اليوم فمن طلوع

الشمس الى غروبها يسمى نهارا ومن غروب الشمس الى طلوعها يسمى ليلا وهذه العين المفصلة تسمى يوما وأظهر هذا اليوم وجود الحركة الكبرى وما ثم لوجود العيني الا وجود المتحرك لا غير وما هو عين الزمان فرجع محصول ذلك الى أن الزمان أمر متوهم لا حقيقة له واذا تقرر هذا فاليوم المعقول المقدر هو المعبر عنه بالزمان الموجود وبه تظهر الجمعات والشهور والسنون والدهور وتسمى أياما وتتقدر بهذا اليوم الاصغر المعتاد الذى فصله الليل والنهار فالزمان المقدر هو ما زاد على هذا اليوم الاصغر الذى تقدر به سائر الايام الكبار فيقال في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون وقال في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقال عليه السلام في أيام الدجال يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم فقد يكون هذا الشدة الهول فرفع الاشكال ظاهر اتمام الحديث في قول عائشة فكيف يفعل في الصلاة في ذلك اليوم قال يقدر لها فلولا أن الامر في حركات الافلاك على ما هو عليه باق ما اختل ما صح أن يقدر لذلك بالساعات التى يعمل صورتها أهل هذا العلم فيعلمون بها الاوقات في أيام الغيم اذ لا ظهور للشمس فيكون في أول خروج الدجال تكاثر الغيوم وتتوالى بحيث أن يستوى في رأى العين وجود الليل والنهار وهو من الاشكال الغريبة التى تحدث في آخر الزمان فيحول ذلك الغيم المتراكم بيننا وبين السماء والحركات كما هى فتظهر الحركات في الصنائع العملية التى عملها أهل صنعة العلماء بالهيئة ومجارى النجوم فيقدرون بها الليل والنهار وساعات الصلوات بلا شك ولو كان ذلك اليوم الذى هو كسنة يوما واحدا لم يلزمنا أن تقدر الصلوات فانا ننتظر زوال الشمس فلم تزل لا نصلى الظهر المشروع ولو أقامت لا تزول ما مقداره عشرون ألف سنة لم يكلفنا الله غير ذلك فلما قرر الشارع العبادة بالتقدير عرفنا أن حركات الافلاك على بابها لم يختل نظامها فقد أعلمتك ما هو الزمان وما معنى نسبة الوجود اليه ونسبة التقدير فالايام كثيرة ومنها كبير وصغير فاصغرها الزمن الفرد وعليه يخرج كل يوم هو في شأن فسمى الزمن الفرد يوما لان الشأن يحدث فيه فهو أصغر الازمان وأدقها ولا حد لاكبرها يوقف عنده وبينهما أيام متوسطة أولها اليوم المعلوم في العرف وتفصله الساعات والساعات تفصلها الدرج والدرج تفصلها الدقائق وهكذا الى ما لا يتناهى عند بعض الناس فانهم يفصلون الدقائق الى ثوان فلما دخلها حكم العدد كان حكمها العدد والعدد لا يتناهى فالتفصيل في ذلك لا ينتهى وبعض الناس يقولون بالتناهى في ذلك وينظرونه من حيث المعدود وهم الذين يثبتون أن الزمان عينا موجودة وكل ما دخل في الوجود فهو متناه بلا شك والمخالف يقول المعدود من كونه يعلم ما دخل في الوجود فلا يوصف بالتناهى فان العدد لا يتصف بالتناهى وبهذا يحتج منكر الجوهر الفرد وان الجسم ينقسم الى ما لا نهاية له في العقل وهى مسئلة خلاف بين أهل النظر حدثت من عدم الانصاف والبحث عن مدلول الالفاظ وقد ورد في الخبر الصحيح ان من أسماء الله الدهر ومعقولية الدهر معلومة نذكر ذلك ان شاء الله تعالى في هذا الكتاب والله يقول الحق وهو يهدى السبيل انتهى الجزء السابع والعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الستون)

في معرفة العناصر وسلطان العالم العلوى على العالم السفلى وفي أى دورة كان وجود هذا العالم الانسانى من دورات الفلك الاقصى وأية روحانية لنا

* أن العناصر أمهات أربع * وهى البنات لعالم الافلاك
عنها تولدنا فكان وجودنا * في عالم الاركان والامـلاك
جعل الاله غذاءنا بسنابل * من حكم سنبلة بلا اشراك
وكذاك ضاعف أجرنا بسنابل * سبع بقول ليس من افاك
وزماننا سبع من الآلاف جا * بتكرر الاضواء والاحلاك

فانظر

فانظر بعقلك سبعة فى سبعة * من سبعة ليسوا من الاملاك
وانظر بفكرك فى تناسب حكمها * واضرب بسيف صارم بتاك

أراد بالاملاك الاول من الملائكة جمع ملك وأراد بالاملاك الثانى من الملوك جمع ملك يقول هم مسخرون والمسخر لا يستحق اسم الملك والسبعة المذكورة هى السبعة الدرارى فى السبعة الافلاك الموجودة من السبعة الايام التى هى أيام الجمعة وهى للحركة التى فوق السموات وهى حركة اليوم للفلك الاقصى اعلم أن كل شئ من الاكوان لابد أن يكون استناده الى حقائق الهية فكل علم مدرج فى العلم الالهى ومنه تفرعت العلوم كلها وهى منحصرة فى أربع مراتب وكل مرتبة تنقسم الى أنواع معلومة محصورة عند العلماء وهو العلم المنطقى والعلم الرياضى والعلم الطبيعى والعلم الالهى والعالم يطلب من الحقائق الالهية أربع نسب الحياة والعلم والارادة والقدرة اذا ثبتت هذه الاربع النسب الواجب الوجود صح انه الموجد للعالم بلاشك فالحياة والعلم أصلان فى النسب والارادة والقدرة دونهما والاصل الحياة فانها الشرط فى وجود العلم والعلم له عموم التعلق فانه يتعلق بالواجب الوجود وبالممكن وبالمحال والارادة دونه فى التعلق فانه لا تعلق لها الا بالممكن فى ترجيحه باحدى الحالتين من الوجود والعدم فكأن الارادة تطلبها الحياة فهى كالمنفعلة عنها فانها أعم تعلقا من القدرة والقدرة أخص تعلقا فانها تتعلق بايجاد الممكن لا باعدامه فكأنها كالمنفعلة عن العلم لانها من الارادة بمنزلة العلم من الحياة فلما تميزت المراتب فى هذه النسب الالهية تميز الفاعل عن المنفعل خرج العالم على هذه الصورة فاعلا ومنفعلا فالعالم بالنسبة الى الله من حيث الجملة منفعل محدث وبالنظر الى نفسه فمنه فاعل ومنه منفعل فأوجد الله سبحانه العقل الاول من نسبة الحياة وأوجد النفس من نسبة العلم فكان العقل شرطا فى وجود النفس كالحياة شرط فى وجود العلم وكان المنفعلان عن العقل والنفس الهباء والجسم الكل فهذه الاربعة أصل ظهور الصور فى العالم غير أن بين النفس والهباء مرتبة الطبيعة وهى على أربع حقائق منها اثنان فاعلان واثنان منفعلان وكلها فى رتبة الانفعال بالنظر الى من صدرت عنه فكانت الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فاليبوسة منفعلة عن الحرارة والرطوبة منفعلة عن البرودة فالحرارة من العقل والعقل عن الحياة ولذلك طبع الحياة فى الاجسام العنصرية الحرارة والبرودة من النفس والنفس من العلم ولهذا يوصف العلم اذا استقر ببرد اليقين وبالثلج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حين وجد برد الانامل بين ثدييه فعلم علم الاولين والآخرين ولما انفعلت اليبوسة والرطوبة عن الحرارة والبرودة طلبت الارادة اليبوسة لانها فى مرتبتها وطلبت القدرة الرطوبة لانها فى مرتبتها ولما كانت القدرة ما لها تعلق الا بالايجاد خاصة كان الاحق بها طبع الحياة وهى الحرارة والرطوبة فى الاجسام وظهرت الصور والاشكال فى الهباء والجسم الكل فظهرت السماء والارض مرتوقة غير متميزة ثم ان الله تعالى توجه الى فتق هذا الرتق لتميز أعيانها وكان الاصل الماء فى وجودها ولهذا قال وجعلنا من الماء كل شئ حى وحياته وصف بالتسبيح فنظم الله أولا هذه الطبائع الاربع نظما مخصوصا فضم الحرارة الى اليبوسة فكانت النار البسيطة المعقولة فظهر حكمها فى جسم العرش الذى هو الفلك الاقصى والجسم الكل فى ثلاثة أماكن منها المكان الواحد سماه حملا والمكان الثانى وهو الخامس من الامكنة المقدرة فيه سماه أسدا والمكان الثالث وهو التاسع من الامكنة المقدرة فيه سماه قوسا ثم ضم البرودة الى اليبوسة وأظهر سلطانهما فى ثلاثة أمكنة من هذا الفلك وهو التراب البسيط المعقول فسمى المكان الواحد ثورا والآخر سنبلة والثالث جديا ثم ضم الحرارة الى الرطوبة فكان الهواء البسيط وأظهر حكمه فى ثلاثة أمكنة من هذا الفلك الاقصى سمى المكان الواحد الجوزاء والآخر الميزان والثالث الدالى ثم ضم البرودة الى الرطوبة فكان الماء البسيط وأظهر حكمه فى ثلاثة أمكنة من الفلك الاقصى سمى المكان الواحد السرطان وسمى الآخر بالعقرب وسمى الثالث بالحوت فهذا تقسيم فلك البروج على اثنى عشر قسما مفروضة تعينها الكواكب الثمانية والعشرون وذلك بتقدير العزيز العليم فلما أحكم صنعتها وترتيبها وأدارها فظهر الوجود مرتوقا أراد الحق فتقه ففصل بين السماء والارض كما قال تعالى كانتا رتقا ففتقناهما أى ميز بعضها عن بعض فأخذت السماء علوا وأخذت فيما بين السماء والارض وكان من

المركبات الركن الواحد الماء المركب مما يلي الارض لانه بارد رطب فلم يكن له قوة الصعود فبقي على الارض تمسكه بما فيها من اليبوسة عليها والآخر النار وهي أكرة الاثير مما يلي السماء لانه حار يابس فلم يكن له طبع النزول الى الارض فبقي مما يلي السماء من أجل حرارته واليبوسة تمسكه هنالك وحدث ما بين النار والماء ركن الهواء من حرارة النار ورطوبة الماء فلا يستطيع أن يلحق بالنار فان ثقل الرطوبة يمنعه أن يكون بحيث النار وان طلبت الرطوبة نزوله الى أن يكون بحيث الماء تمنعه الحرارة من النزول فلما تمانعا لم يبق الا أن يكون بين الماء والنار لانهما يتجاذبانه على السواء فذلك المسمى هواء فقد بان لك مراتب العناصر وماهيتها ومن أين ظهرت وأصل الطبيعة ولما دارت الافلاك ومخضت الاركان بما حملته مما ألقت فيها في هذا النكاح المعنوي وظهرت المولدات من كل ركن بحسب ما تقتضيه حقيقة ذلك الركن فظهرت أمم العالم وظهرت الحركة المنكوسة والحركة الافقية فلما انتهى الحكم الى السنبلة ظهرت النشأة الانسانية بتقدير العزيز العليم فأنشأ الله عز وجل الانسان من حيث جسمه خلقا سويا وأعطاه الحركة المستقيمة وجعل الله لها من الولاية في العالم العنصري سبعة آلاف سنة وينتقل الحكم الى الميزان وهو زمان القيامة وفيه يضع الله الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ ولما لم يكن الحكم له بما أودع الله فيه من العدل في الدنيا شرع الموازين فلم يعمل بها الا القليل من الناس وهم النبيون خاصة ومن كان محفوظا من الاولياء ولما كانت القيامة محل سلطان الميزان لم تظلم نفس شيأ قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل يعني من العمل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ولما كان لانفراد السبعة من الاعداد كانت لها السبعة والسبعون والسبعمائة من الاعداد في تضاعف الاجور وضرب الامثال في الصدقات فقال تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء الى سبعة آلاف الى سبعين ألفا الى سبعمائة ألف الى ما لا نهاية له ولكن من حساب السبعة وانما كانت الفروض المقدرة في الفلك الاطلس اثني عشر فرضا لان منتهى أسماء العدد الى اثني عشر اسما وهو من الواحد الى العشرة الى المائة وهو الحادي عشر الى الالف وهو الثاني عشر وليس وراءه مرتبة أخرى ويكون التركيب فيها بالتضعيف الى ما لا نهاية له بهذه الاسماء خاصة ويدخل الناس الجنة والنار وذلك في أول الحادية احدى عشرة درجة من الجوزاء وتستقر كل طائفة في دارها ولا يبقى في النار من يخرج بشفاعة ولا بعناية الهية ويذبح الموت بين الجنة والنار ويرجع الحكم في أهل الجنة بحسب ما يعطيه الامر الالهي الذي أودع الله في حركات الفلك الاقصى وبه يقع التكوين في الجنة بحسب ما تعطيه نشأة الدار الآخرة فان الحكم أبدا في القوابل فان الحركة واحدة وآثارها تختلف بحسب القوابل وسبب ذلك حتى لا يستقل أحد من الخلق بفعل ولا بأمر دون مشاركة فيتميز بذلك فعل الله الذي يفعل لا بمشاركة من فعل المخلوق فالمخلوق أبدا في محل الافتقار والعجز والله الغني العزيز ويكون الحكم في أهل النار بحسب ما يعطيه الامر الالهي الذي أودعه الله تعالى في حركات الفلك الاقصى وفي الكواكب الثابتة وفي سباحة الدراري السبعة المطموسة الانوار فهي كواكب لكنها ليست بثواقب فالحكم في النار خلاف الحكم في الجنة فيقرب حكم النار من حكم الدنيا فليس بعذاب خالص ولا بنعيم خالص ولهذا قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيا فلم يخلصه الى أحد الوجهين وكذلك قال صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون وقد قدمنا في الباب الذي قبل هذا صورة النعيم والعذاب وسبب ذلك انه بقي ما أودع الله عليهم في الافلاك وحركات الكواكب من الامر الالهي وتغير منه على قدر ما تغير من صور الافلاك بالتبديل ومن الكواكب بالطمس والانتثار فاختلف حكمها بزيادة ونقص لان التغيير وقع في الصور لا في الذوات واعلم ان الله تعالى لما تسمى بالملك رتب العالم ترتيب المملكة فجعل له خواص من عباده وهم الملائكة المهيمة جلساء الحق تعالى بالذكر لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ثم اتخذ حاجبا من الكروبيين واحدا أعطاه علمه في خلقه وهو علم مفصل في اجمال فعلمه سبحانه كان فيه مجلى له وسمى ذلك الملك نونا فلا يزال معتكفا في حضرة علمه عز وجل وهو رأس الديوان الالهي والحق من كونه عليما لا يحتجب عنه ثم عين من

ملائكته ملكا آخر دونه في المرتبة سماه القلم وجعل منزلته دون النون واتخذه كاتبا فيعلمه الله سبحانه من علمه ما شاءه
في خلقه بوساطة النون ولكن من العلم الاجمالي ومما يحوي عليه العلم الاجمالي علم التفصيل وهو من بعض علوم
الاجمال لان العلوم لها مراتب من جملتها علم التفصيل فما عند القلم الالهي من مراتب العلوم الجملة الا علم التفصيل
مطلقا وبعض العلوم المفصلة لا غير واتخذ هذا الملك كاتب ديوانه وتجلى له من اسمه القادر فأمده من هذا التجلي الالهي
وجعل نظره الى جهة عالم التدوين والتسطير فخلق له لوحا وأمره أن يكتب فيه جميع ما شاء سبحانه أن يجريه في خلقه الى
يوم القيامة خاصة وأنزله منه منزلة التلميذ من الاستاذ فتوجهت عليه هنا الارادة الالهية فخصصت له هذا القدر من
العلوم المفصلة وله تجليان من الحق بلا واسطة وليس للنون سوى تجل واحد في مقام أشرف فانه لا يدل تعدد التجليات
ولا كثرتها على الاشرفية وانما الاشرف من له المقام الاعم فأمر الله النون أن يمد القلم بثلاثمائة وستين علما من علوم
الاجمال تحت كل علم تفاصيل ولكن معينة منحصرة لم يعطه غيرها تضمن كل علم اجمالي من تلك العلوم ثلاثمائة
وستين علما من علوم التفصيل فاذا ضربت ثلاثمائة وستين في مثلها فما خرج لك فهو مقدار علم الله تعالى في خلقه الى
يوم القيامة خاصة ليس عند اللوح من العلم الذي كتبه فيه هذا القلم أكثر من هذا لا يزيد ولا ينقص ولهذه الحقيقة
الالهية جعل الله الفلك الاقصى ثلاثمائة وستين درجة وكل درجة مجملة لما تحوي عليه من تفصيل الدقائق والثواني
والثوالث الى ما شاء الله سبحانه مما يظهره في خلقه الى يوم القيامة وسمى هذا القلم الكاتب ثم ان الله سبحانه وتعالى
أمر أن يولي على عالم الخلق اثني عشر واليا يكون مقرهم في الفلك الاقصى منا في بروج فقسم الفلك الاقصى اثني عشر
قسما جعل كل قسم منها برجا لسكنى هؤلاء الولاة مثل ابراج سور المدينة فأنزلهم الله اليها فنزلوا فيها كل وال على تخت في
برجه ورفع الله الحجاب الذي بينهم وبين اللوح المحفوظ فرأوا فيه مسطرا أسماءهم ومراتبهم وما شاء الحق أن يجريه
على أيديهم في عالم الخلق الى يوم القيامة فارتقم ذلك كله في نفوسهم وعلموه علما محفوظا لا يتبدل ولا يتغير ثم جعل الله
لكل واحد من هؤلاء الولاة حاجبين ينفذان أوامرهم الى نوابهم وجعل بين كل حاجبين سفيرا يمشي بينهما بما يلقي
اليه كل واحد منهما وعين الله لهؤلاء الذين جعلهم الله حجابا لهؤلاء الولاة في الفلك الثاني منازل يسكنونها وأنزلهم اليها
وهي الثمانية والعشرون منزلة التي تسمى المنازل التي ذكرها الله في كتابه فقال والقمر قدرناه منازل يعني في سيره
ينزل كل ليلة منزلة منها الى أن ينتهي الى آخرها ثم يدور دورة أخرى لتعلموا بسيره وسير الشمس فيها والخنس عدد
السنين والحساب وكل شيء فصله الحق لنا تفصيلا فأسكن في هذه المنازل هذه الملائكة وهم حجاب أولئك الولاة الذين
في الفلك الاقصى ثم ان الله تعالى أمر هؤلاء الولاة أن يجعلوا نوابا لهم ونقباء في السموات السبع في كل سماء نقيبا
كالحاجب لهم ينظر في مصالح العالم العنصري بما يلقون اليهم هؤلاء الولاة ويأمرونهم به وهو قوله وأوحى في كل سماء
أمرها فجعل الله أجسام هذه الكواكب النقباء أجساما نيرة مستديرة ونفخ فيها أرواحها وأنزلها في السموات
السبع في كل سماء واحدا منهم وقال لهم قد جعلتكم تستخرجون ما عند هؤلاء الاثني عشر واليا بوساطة الحجاب الذين
هم ثمانية وعشرون كما أخذ أولئك الولاة عن اللوح المحفوظ ثم جعل الله لكل نقيب من هؤلاء السبعة النقباء فلكا
يسبح فيه هو له كالجواد للراكب وهكذا الحجاب لهم أفلاك يسبحون فيها اذ كان لهم التصرف في حوادث العالم
والاستشراف عليه ولهم سدنة وأعوان يزيدون على الالف وأعطاهم الله مراكب سماها أفلاكا فهم أيضا يسبحون
فيها وهي تدور بهم على المملكة في كل يوم مرة فلا يفوتهم من المملكة شيء أصلا من ملك السموات والارض فيدور
الولاة وهؤلاء الحجاب والنقباء والسدنة كلهم في خدمة هؤلاء الولاة والكل مسخرون في حقنا اذ كنا المقصود من العالم
قال تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وأنزل الله في التوراة يا ابن آدم خلقت الاشياء من
أجلك وخلقتك من أجلي وهكذا ينبغي أن يكون الملك يستشرف كل يوم على أحوال أهل ملكه يقول تعالى كل يوم
هو في شأن لانه يسأله من في السموات والارض بلسان حال ولسان مقال ولا يؤوده حفظ العالم وهو العلي العظيم فما له
شغل الا بها يقول تعالى يدبر الأمر من السماء الى الارض يدبر الأمر يفصل الآيات ولولا وجود الملك ما سمي الملك

ملكاحفظه لملكه حفظه لبقاء اسم الملك عليه وان كان كما قال والله غنىّ عن العالمين فماجاء باسم الملك فان أسماء
الاضافة لا تكون الا بالمضاف فكل سلطان لا ينظر فى أحوال رعيته ولا يمشى بالعدل فيهم ولا يعاملهم بالاحسان الذى
يليق بهم فقد عزل نفسه فى نفس الامر ويقول الفقهاء ان الحاكم اذا فسق أوجار فقد انعزل شرعا ولكن عندنا انعزل
شرعا فيما فسق فيه خاصة لانه ما حكم بما شرع له أن يحكم به فقد أنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ذمّ جورهم فقال
عليه السلام فيناوفيهم فان عملوا فلكم ولهم وان جاروا فلكم وعليهم ونهى أن نخرج يدا من طاعة وما نقص بذلك
الباس من وال فلذلك زدنا فى عزله شرعا انما ذلك فيما فسق فيه فالملك مأمور أن يحفظ نفسه من الخروج بما حدّ له من
الاحكام فى رعاياه وفى نفسه فانه وال على نفسه كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فالانسان راع على نفسه فمازاد
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انّ لنفسك عليك حقا ولعينك عليك حقا الحديث فمن لم يف لمن بايعه بما بايعه عليه فقد
عزل نفسه وليس بملك وان كان حاكما كما قلنا كل حاكم يكون سلطانا فان السلطان من تكون له الحجة لا عليه ولهذا جعل
الله الافلاك تدور علينا كل يوم دورة لتنظر الولاة ماتدعو حاجة الخلق اليهم فيسدّون الخلل و ينفذون أحكام الله تعالى
من كونه مريدا فى خلقه لا من كونه آمرا فينفذون أحكامه التى أمرهم سبحانه أن ينفذوها فيهم وهو القضاء والقدر
فى أزمان مختلفة فكل شئ بقضاء وقدر حتى العجز والكيس وكل صغير وكبير مستطر فى اللوح المحفوظ فما فيه
الا ما يقع ولا ينفذ هؤلاء الولاة فى العالم الا مافيه والله على كل شئ رقيب ومع هذا كله فانّ الله مع كل واحد من
الملكة أمر خاص فى نفسه يعلمه الولاة والحجاب والنقباء فهم لا يفقدون مشاهدة ذلك الوجه ذلك ليعلموا أنّ الله قد
أحاط بكل شئ علما وأنه رقيب على كل نفس بما كسبت وأنه بكل شئ محيط ولما جعل الله زمان هذه الأمور بأيدى
هؤلاء الجماعة من الملائكة وأقعد من أقعد منهم فى برجه ومسكنه الذى فيه تحت ملكه وأنزل من أنزل من الحجاب
والنقباء الى منازلهم فى سمواتهم وجعل فى كل سماء ملائكة مسخرة تحت أيدى هؤلاء الولاة وجعل تسخيرهم على
طبقات فنهم أهل العروج بالليل والنهار من الحق الينا ومنا الى الحق فى كل صباح ومساء وما يقولون الا خيرا فى حقنا
ومنهم المستغفرون لمن فى الارض ومنهم المستغفرون للمؤمنين اغلبة الغيرة الالهية عليهم كما غلبت الرحمة على
المستغفرين لمن فى الارض ومنهم الموكلون بايصال الشرائع ومنهم أيضا الموكلون باللمات ومنهم الموكلون بالالهام وهم
الموصلون العلوم الى القلوب ومنهم الموكلون بالارحام ومنهم الموكلون بتصوير مايكوّن الله فى الارحام ومنهم الموكلون
بنفخ الارواح ومنهم الموكلون بالارزاق ومنهم الموكلون بالامطار ولذلك قالوا ومامنا الا له مقام معلوم ومامن حادث
يحدث الله فى العالم الا وقد وكل الله باجرائه ملائكة ولكن بأمر هؤلاء الولاة من الملائكة كما منهم أيضا الصافات
والزاجرات والتاليات والمقسمات والمرسلات والناشرات والنازعات والناشطات والسابقات والسابحات
والملقيات والمدبرات ومع هذا فمايزالون تحت سلطان هؤلاء الولاة الا الارواح المهيمة فهم خصائص الله ومن دونهم
فانهم ينفذون أوامر الله فى خلقه ثم ان العامة ماتشاهد الا منازلهم والخاصة يشهدونهم فى منازلهم كما أيضا تشاهد العامة
اجرام الكواكب ولا تشاهد أعيان الحجاب ولا النقباء وجعل الله فى العالم العنصرىّ خلقا من جنسهم فهم الرسل
والخلفاء والسلاطين والملوك و ولاة أمور العالم وجعل الله بين أرواح هؤلاء الذين جعلهم الله ولاة فى الارض من أهلها
بينهم و بين هؤلاء الولاة فى الافلاك مناسبات ورقائق تمتدّ اليهم من هؤلاء الولاة بالعدل مطهرة من الشوائب مقدسة
عن العيوب فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الارضيين منهم بحسب استعداداتهم فمن كان استعداده قويا حسنا قبل ذلك
الأمر على صورته طاهرا مطهرا فكان والى عدل وامام فضل ومن كان استعداده رديئا قبل ذلك الأمر الطاهر و ردّه
الى شكله من الرداءة والقبح فكان والى جور ونائب ظلم و بخل فلا يلومن الا نفسه فقد أبنت لك سلطنة العالم العلوىّ على
العالم السفلىّ وكيف رتب الله ملكه هذا الترتيب العجيب وماذكرنا من ذلك الا الأمهات لا غير يقول الله تعالى وأوحى
فى كل سماء أمرها وقال يتنزل الامر بينهن ويكفى هذا القدر من هذا الباب والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وفى
كتاب التنزلات الموصلية ذكرنا حديث هؤلاء الولاة والنوّاب والحجاب وماولاهم الله عليه من التأثير فى العالم العنصرىّ

الروحاني من ذلك مانعرضه الك تعطيه من الطبيعة والامور البدنية وتكلمنا فيهاعلى كل ماذكرناه مفصلا في باب يوم الاحد وهو باب الامام وبينا ما يؤيده كل نائب من السبعة النقباء في باب يوم الاحد وسائر الايام الى يوم السبت وبينا مقامات أرواح الانبياء عليهم السلام في ذلك وجعلنا هذه الالقاب الروحانية لارواح الانبياء عليهم السلام وبينا مراتبهم في الرؤية والحجاب يوم القيامة وماينتكلمون به في اتباعهم من أهل السعادة والشقاء وذلك منه في باب يوم الاثنين بلسان آدم وترجمة القمر وجاء بديعا في شأنه والله المؤيد والموفق لارب غيره

﴿ الباب الحادي والستون في معرفة جهنم وأعظم المخلوقات فيها عذابا ومعرفة بعض العالم العلوي ﴾

ان السماء تعود رتقا مثل ما * كانت وأنجمها يزول ضياؤها
هذا الفلك المقيم بأرضها * وعليه قام عمادها وبناؤها
فاشــدد خلق الله آلامابها * من كان منها خلقه فسماؤها
تكسوه حلة نارها من نورها * فلذا الشقي عظم في النفوس بلاؤها

اعلم عصمنا الله واياك ان جهنم من أعظم المخلوقات وهي سجن الله في الآخرة يسجن فيه المعطلة والمشركون وهي لهاتين الطائفتين دار مقامة والكافرون والمنافقون وأهل الكبائر من المؤمنين قال تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ثم يخرج بالشفاعة من ذكرنا وبالامتنان الالهي من جاء النص الالهي فيه وسميت جهنم جهنم لبعد قعرها يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر وهي تحوي على حرور وزمهرير ففيها البرد على أقصى درجاته والحرور على أقصى درجاته وبين أعلاها وقعرها خمس وسبعون مائة من السنين واختلف الناس في خلقها هل خلقت بعد أم لم تخلق والخلاف مشهور فيها وكل واحد من الطائفتين يحتج فيما ذهب اليه بما يراه حجة عنده وكذلك اختلفوا في الجنة وأما عندنا وعند أصحابنا أهل الكشف والتعريف فهما مخلوقتان غير مخلوقتين فاما قولنا مخلوقة فكرجل أراد أن يبني دارا فأقام حيطانها كلها الحاوية عليها خاصة فيقال قد بنى دارا فاذا دخلها لم ير الا سورا دائرا على فضاء وساحة ثم بعد ذلك ينشئ بيوتها على أغراض الساكنين فيها من بيوت وغرف وسراديب ومهالك ومخازن وماينبغي ان يكون فيها مما يريده الساكن ان يجعل فيها من الآلات التي تستعمل في عذاب الداخل فيها وهي دار حرورها هواء محترق لاجمر لها سوى بني آدم والاحجار المتخذة آلهة والجن لهبها قال تعالى وقودها الناس والحجارة وقال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقال تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون وتحدث فيها الآلات بحدوث أعمال الجن والانس الذين يدخلونها وأوجدها الله بطالع الثور ولذلك كان خلقها في الصورة صورة الجاموس سواء هذا الذي يعوّل عليه عندنا وبهذه الصورة رآها أبو الحكم بن برجان في كشفه وقد تمثل لبعض الناس من أهل الكشف في صورة حية فيتخيل ان تلك الصورة هي التي خلقها الله عليها كأبي القاسم بن قسي وأمثاله ولما خلقها الله تعالى كان زحل في الثور وكانت الشمس والاحمر في القوس وكان سائر الدراري في الجدي وخلقها الله تعالى من تجلي قوله في حديث مسلم جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني ومرضت فلم تعدني وهذا أعظم نزول نزله الحق الى عباده في اللطف بهم فمن هذه الحقيقة خلقت جهنم أعاذنا الله واياكم منها فلذلك تجبرت على الجبابرة وقصمت المتكبرين وجميع ما يخلق فيها من الآلام التي يجدها الداخلون فيها فمن صفة الغضب الالهي ولا يكون ذلك الا عند دخول الخلق فيها من الجن والانس متى دخلوها وأما اذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم فيها في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي ومن فيها من زبانيتها في رحمة الله منغمسون ملتذون يسبحون لايفترون يقول تعالى ولاتطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى أي ينزل بكم غضبي فأضاف الغضب اليه واذا نزل بهم كانوا محلاله وجهنم انما هي مكان لهم وهم النازلون فيها وهم محل الغضب وهو النازل بهم فان الغضب هنا هو عين الالم فمن لامعرفة له ممن يدعي طريقتنا ويريد أن يأخذ الامر بالتمثيل والقوة والمناسبة في الصفات فيقول ان جهنم مخلوقة من القهر الالهي وان الاسم القاهر هو ربها والمتجلي لها ولو كان الامر كما قاله لشغلها ذلك بنفسها عما وجدت له من التسلط على الجبابرة ولم يمكن لها ان تقول

هل من مزيد ولان تقول أكل بعضي بعضا فنزول الحق برحمته اليها التي وسعت كل شيء وحنانه وسعها لمجال في
الدعوى والتسلط على من تجبر على من أحسن اليها فهذا الاحسان وجميع ما تفعله بالكفار من باب شكر النعم حيث
أنعم عليها فيه تعرف منه سبحانه الا انه ما نطاقة التي لا يشعر بها ما يقابلها فالناس غالطون في شأن خلقها ومن أعجب
ما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاعدا مع أصحابه في المسجد فسمعوا
هدة عظيمة فارتاعوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعرفون ما هذه الهدة قالوا الله ورسوله أعلم قال حجر ألقى من
أعلى جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل الى قعرها فكان وصوله الى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدة فما فرغ من كلامه
صلى الله عليه وسلم الا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الله أكبر فعلم علماء الصحابة ان هذا الحجر هو ذلك المنافق وانه منذ خلقه الله يهوي في نار جهنم وبلغ عمره
سبعين سنة فلما مات حصل في قعرها قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فكان سماعهم تلك الهدة
التي أسمعهم الله ليعتبروا فانظر ما أعجب كلام النبوة وما ألطف تعريفه وما أحسن اشارته وما أعذب كلامه صلى الله عليه
وسلم ولقد سألت الله ان يمثل لي من شأنها ما شاء فمثل لي حالة خصامهم فيها وهو قوله تعالى ان ذلك لحق تخاصم أهل
النار وقوله تعالى قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اضلالهم وآلهتهم اذ نسويكم برب العالمين
وما أضلنا الا المجرمون وهم أهل النار الذين هم أهلها الذين يقول الله فيهم وامتازوا اليوم أيها المجرمون يريد
بالمجرمين أهل النار الذين يعمرونها ولا يخرجون منها يمتازون عن الذين يخرجون منها بشفاعة الشافعين وسابق العناية
الالهية في الموحدين فهذا امتثل لي في وقت منها فما اشبهت خصامهم فيها الا بخصام أصحاب الخلاف في مناظرتهم اذا استدل
أحدهم فاذا رأيت ذلك تذكرت الحالة التي أطلعني الله عليها ورأيت الرحمة كلها في التسليم والتلقي من النبوة والوقوف
عند الكتاب والسنة ولقد عمي الناس عن قوله صلى الله عليه وسلم عند نبي لا ينبغي تنازع وحضور حديثه صلى الله عليه
وسلم كحضوره لا ينبغي أن يكون عند ايراده تنازع ولا يرفع السامع صوته عند سرد الحديث النبوي فان الله يقول لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي ولا فرق عند أهل الله بين صوت النبي أو حكاية قوله فما له الا التهيء لقبول ما يرد به المحدث من
كلام النبوة من غير جدال سواء كان ذلك الحديث جوابا عن سؤال أو ابتداء كلام فالوقوف عند كلامه في المسئلة أو في
النازلة واجب فتى ما قيل قال الله أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي ان يتنبل و يتأدب السامع ولا يرفع صوته على
صوت المحدث اذا قال ما قال الله أو سرد الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى فأجره حتى يسمع كلام
الله وما تلاه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما سمعه السامع الا منه ثم اذا شاركه السامع في حال كلامه فهو ليس بسامع
فانه من الآداب التي أدب الله نبيه صلى الله عليه وسلم قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه والله يقول
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض وتوعد على ذلك بحبط العمل من
حيث لا يشعر الانسان فانه يتخيل في رده وخصامه انه يذب عن دين الله وهذا من مكر الله الذي قال فيه سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون وقال ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فالعاقل المؤمن الناصح نفسه اذا سمع من يقول قال الله
تعالى أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينصت ويصغ ويتأدب ويتفهم ما قال الله أو ما قال رسوله صلى الله
عليه وسلم يقول الله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون فأوقع الترجي مع هذه الصفة وما قطع
بالرحمة فكيف حال من خاصم ورفع صوته وداخل التالي وسارد الحديث النبوي في الكلام وارجو أن يكون الترجي
الالهي واجبا كما يراه العلماء ولما عاينت هذا المحل رأيت عجبا وفي هذه الرؤية رأيت اعتماد الماء على الهواء وهو من
أعجب الاشياء في عمارة الاحياز وان جوهرين لا يكونان في حيز واحد وان الحيز لمن شغله وفي هذه الرؤية علمت
ابطال التولد وان المحرك للاشياء هو الله تعالى وان السبب لا أثر له في الفعل جملة واحدة وفي هذه الرؤية علمت ان
الالطف أقوى من الاكثف فان الهواء ألطف من الماء بلا شك وقد منعه ولم يقاومه الماء في القوة ومنعه من النزول
فاني رأيت نفسي في الهواء والماء فوقي ويمنعه الهواء من النزول الى الارض وفي هذه الرؤية علمت علوما جمة كثيرة

وفي هذه الرؤية رأيت من دركات أهل النار من كونها جهنم لا من كونها نارا ما شاء الله أن يطلعني منها ورأيت فيها موضعا يسمى المظلمة نزلت في درجه نحو خمسة أدراج ورأيت مهالكها ثم زج بي في الماء علوا فاخترقته وقد رأيت عجبا وعلمت في أحوال مخاصمتهم حيث يختصمون في الجحيم وان ذلك الخصام هو نفس عذابهم في تلك الحال وان عذابهم في جهنم ما هو من جهنم وانما جهنم دار سكناهم وسجنهم والله يخلق الآلام فيهم متى شاء فعذابهم من الله وهم محل له وخلق الله لجهنم سبعة أبواب لكل باب جزء من العالم ومن العذاب مقسوم وهذه الابواب السبعة مفتحة وفيها باب ثامن مغلق لا يفتح وهو باب الحجاب عن رؤية الله تعالى وعلى كل باب ملك من الملائكة ملائكة السموات السبع عرفت أسماءهم هنالك وذهبت عن حفظي الا اسماعيل فهو بقي على ذكري وأما الكواكب كلها فهي في جهنم مظلمة الاجرام عظيمة الخلق وكذلك الشمس والقمر والطلوع والغروب لهما في جهنم دائما فشمسها شارقة لا مشرقة والتكوينات عن سيرها بحسب ما يليق بتلك الدار من الكائنات وما تغير فيها من الصور في التبديل والانتثار ولهذا قال تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا والحالة مستمرة ففي البرزخ يكون العرض وفي الدار الآخرة يكون الدخول فذوات الكواكب فيها صورتها صورة الكسوف عندنا سواء غير أن وزن تلك الحركات في تلك الدار خلاف وزنها اليوم فان كسوفها ما ينجلي وهو كسوف في ذاتها الا في أعيننا والهواء فيما فيه تطفيف فيحول بين الابصار وبين ادراك الانوار كلها فتبصر الاعين الكواكب المنتثرة غير نيرة الاجرام كما يعلم قطعا ان الشمس هنا في ذاتها نيرة وان الحجاب القمري هو الذي منع البصر أن يدركها أو يدرك نور القمر أوما كان مكسوفا ولهذا في زمان كسوف شيء منهما في موضع يكون في موضع آخر أكثر من ذلك وفي موضع آخر لا يكون منه شيء فلما اختلفت الابصار في ادراك ذلك لاختلاف الاماكن علمنا قطعا ان ثم أمرا عارضا عرض في الطريق حال بين البصر وبينها أو بين نورها كالقمر يحول بينك وبين ادراك جرم الشمس وظل الارض يحول بينك وبين نور القمر لا بينك وبين جرمه مثل ما حال القمر بينك وبين جرم الشمس وذلك بحسب ما يكون منك ويكون منه وهكذا سائر الكواكب ولكن أكثر الناس لا يعلمون كما ان أكثر الناس لا يؤمنون فان ذلك الكسوف كله على اختلاف أنواعه خشوع من المكسوف عن تجل الهي حصل له وحد جهنم بعد الفراغ من الحساب ودخول أهل الجنة الجنة من مقعر فلك الكواكب الثابتة الى أسفل سافلين فهذا كله يزيد في جهنم مما هو الآن ليس مخلوقا فيها ولكن ذلك معد حتى يظهر الا الاماكن التي قد عينها الله من الارض فانها ترجع الى الجنة يوم القيامة مثل الروضة التي بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبره صلى الله عليه وسلم وكل مكان عينه الشارع وكل نهر فان ذلك كله يصير الى الجنة وما بقي فيعود نارا كله وهو من جهنم ولهذا كان يقول عبد الله بن عمر اذا رأى البحر يقول يا بحر متى تعود نارا وقال تعالى وإذا البحار سجرت أي أججت نارا من سجرت التنور اذا أوقدته وكان ابن عمر يكره الوضوء بماء البحر ويقول التيمم أحب الي منه ولو كشف الله عن أبصار الخلق اليوم لرأوه يتأجج نارا ولكن الله يظهر ما يشاء ويخفي ما يشاء ليعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما وأكثر ما يجري هذا لاهل الورع فيرى الطعام الحرام صاحب الورع المحفوظ خنزيرا أو عذرة والشراب خمرا لا يشك فيما يراه ويراه جليسه قرصة خبز طيبة ويرى الشراب ماء عذبا فياليت شعري من هو صاحب الحس الصحيح من صاحب الخيال هل الذي أدرك الحكم الشرعي صورة أو هل الذي أدرك المحسوس في العادة على حاله وهذا مما يقوي مذهب المعتزلة في أن القبيح قبيح لنفسه والحسن حسن لنفسه وان الادراك الصحيح انما هو ان أدرك الشراب الحرام خمرا فلولا انه قبيح لنفسه ما صح هذا الكشف لصاحبه ولو كان فعله عين تعلق الخطاب بالحرمة والقبح ما ظهر ذلك الطعام خنزيرا فان الفعل ما وقع من المكلف فان الله أظهر له صورته وانه قبيح حتى لا يقدم على أكله وهذا بعينه يتصور فيمن يدركه طعاما على حاله في العادة ولكن هذا أحق في الشرع فعلم قطعا ان الذي يراه طعاما على عادته قد حيل بينه وبين حقيقة حكم الشرع فيه بالقبح ولو كان الشيء قبيحا بالقبح الوضعي لم يصدق قول الشارع في الاخبار عنه انه قبيح أو حسن فانه خبر بالشيء على خلاف ما هو عليه فان الاحكام

أخبار بلا شك عند كل عاقل عارف بالكلام فان الله أخبرنا ان هذا حرام وهذا حلال ولذا قال تعالى فى ذم من قال عن الله ما لم يقل ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب فانه ألحق الحكم بالخبر لانه خبر بلا شك الا انه ليس فى قوة البشر فى أكثر الاشياء ادراك قبح الاشياء ولا حسنها فاذا عرّفنا الحق بها عرفناها ومنها ما يدرك قبحه عقلا فى عرفنا مثل الكذب وكفر المنعم وحسنه عقلا مثل الصدق وشكر المنعم وكون الاثم يتعلق ببعض أنواع الصدق والاجر يتعلق ببعض أنواع الكذب فذلك لله يعطى الاجر على ما شاءه من قبيح وحسن ولا يدل ذلك على حسن الشئ ولا قبحه كالكذب فى نجاة مؤمن من هلاك يؤجر عليه الانسان وان كان الكذب قبيحا فى ذاته والصدق كالغيبة يأثم بها الانسان وان كان الصدق حسنا فى ذاته فذلك أمر شرعىّ يعطى فضله من شاء ويمنعه من شاء كما قال يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم واعلم ان أشد الخلق عذابا فى النار ابليس الذى سنّ الشرك وكل مخالفة وسبب ذلك انه مخلوق من النار فعذابه بما خلق منه ألا ترى النفس به تكون حياة الجسم الحساس فاذا منع بالشنق أو الخنق خروج ذلك النفس انعكس راجعا الى القلب فأحرقه من ساعته فهلك حينه فبالنفس كانت حياته وبه كان هلاكه وهلاكه على الحقيقة بالنفس من كونه متنفسا لا من كونه ذا نفس ولا من كونه متنفسا فقط بل من كونه يجذب بالقوة الجاذبة نفس الهواء البارد الى قلبه ويخرج بالقوة الدافعة النفس الحار المحرق من قلبه فبسبب هذه الاحوال بها تكون حياته فان الذى يرمى فى النار هو متنفس ولكن لا يخلو من أحد الوجهين اما انه لا يتنفس فى النار فتكون حالته حالة المشنوق الذى يختنق بالحبل فيقتله نفسه واما أن يتنفس فيجذب بالقوة الجاذبة هواء نار يا محرقا فاذا وصل الى قلبه أحرقه فاهذا قلنا فى سبب الحياة هذه الامور كلها فعذاب ابليس فى جهنم بما فيها من الزمهرير فانه يقابل النار الذى هو أصل نشأة ابليس فيكون عذابه بالزمهرير بما هو نار مركبة فيه من ركن الهواء والماء والتراب فلا بدّ أن يتعذب بالنار على قدر مخصوص وعامّة عذابه بما يناقض ما هو الغالب عليه فى أصل خلقه والنار ناران نار حسية وهى المسلطة على احساسه وحيوانيته وظاهر جسمه وباطنه ونار معنوية وهى التى تطلع على الافئدة وبها يتعذب روحه المدبر هيكله الذى أمر فعصى فمخالفته عذبته وهى عين جهله بمن استكبر عليه فلا عذاب على الارواح أشد من الجهل فانه غبن كله ولهذا سمى يوم التغابن يريد يوم عذاب النفوس فيقول يا ويلتا على ما فرّطت وهو يوم الحسرة يقول يوم الكشف من حسرت عن الشئ اذا كشفت عنه فكأنه يقول يا ليتنى حسرت عن هذا الامر فى الدنيا فأكون على بصيرة من أمرى فيتبين فى نفسه والتغابن يدرك فى ذلك اليوم الكل الطائع والعاصى فالطائع يقول يا ليتنى بذلت جهدى ووفيت حق استطاعتى وتدبرت كلام ربى فعملت بمقتضاه مع كونه سعيدا والمخالف يقول يا ليتنى لم أخالف ربى فيما أمرنى به ونهانى فذلك يوم التغابن وسيأتى هذا فى باب يوم القيامة ان شاء الله ولما أعلمناك برتبة النفس والتنفس انما جئنا به لتعلم ان جهنم لما اختص بآلام أهلها صفة الغضب الالهىّ واختص بوجودها التنزل الرحمانىّ الالهىّ وجاء فى الخبر الصحيح نفس الرحمن مشعرا بصفة الغضب فكان التنفس ما محقا صفة الغضب بمن حل به ولهذا لما أتى نفس الرحمن من قبل اليمن حل الغضب الالهىّ بالكفار بالقتل والسيف الذى أوقعت يوم الانصار فنفس الله بذلك عن دينه ونبيه صلى الله عليه وسلم فان ذا الغضب اذا وجد على من يرسل غضبه تنفس عنه ما يجده من ألم الغضب وأكمل الصور فى محمد صلى الله عليه وسلم فقام به على الكفار لاجل ردّهم كلمة الله صفة الغضب فنفس الرحمن عنه بما أمر به من السيف ونفس عنه بأصحابه وأنصاره فوجد الراحة فانه وجد حيث يرسل غضبه فافهم من هذا آلام أهل النار والصورة الجبائية المحمدية على الغضب الالهىّ على أعداء الله وان الآلام أرسلت على الاعداء فقامت بهم ونفس الله عن دينه وهو أمره وكلامه وهو دين علمه فى خلقه وعلمه ذاته جل وتعالى وقد بينا لك أمر جهنم من حيث ما هى دار فلنبين ان شاء الله فى الباب الذى يلى هذا الباب مراتب أهل النار ثم اعلم أن الله قد جعل فيها مائة درك فى مقابلة درج الجنة ولكل درك قوم مخصوصون لهم من الغضب الالهى الحال بهم آلام مخصوصة وان المتولى عذابهم من الولاة الذين ذكرناهم فى الباب قبل هذا من هذا الكتاب القائم والاقليد والحامد

والنائب والسادن والجابر فهؤلاء الاملاك من الولاة هم الذين يرسلون عليهم العذاب باذن الله تعالى ومالك هو الخازن وأما بقية الولاة مع هؤلاء الذين ذكرناهم وهم الحائر والسائق والمانع والعادل والدائم والحافظ فان جميعهم يكونون مع أهل الجنان وخازن الجنان رضوان وأمدادهم الى أهل النار مثل امدادهم الى أهل الجنة فانهم يمدونهم بحقائقهم وحقائقهم لاتختلف فيقبل كل طائفة من أهل الدارين منهم بحسب ماتعطيهم نشأتهم فيقع العذاب بما به يقع النعيم من أجل المحل كما قلنا فى المبرود انه يتنعم بحر الشمس والمحرور يتعذب بحر الشمس فنفس ماوقع به النعيم به عينه وقع به الالم عند الآخر فانه ينشئنا نشأة النعماء كما قال تعالى فى حق الابرار تعرف فى وجوههم نضرة النعيم أى هم فى خلقهم على هذه الصفة ونشأة أهل النار تخالف نشأة أهل الجنان فان نشأة الجنة انما هو من الحق سبحانه على أيدى الولاة خاصة ونشأة أهل النار على أيدى الولاة والحجاب والنقباء والسدنة على كثرتهم فانه لايحصى عددهم الا الله ولكل ملك منهم فى هذه النشأة الدنياوية ونشأة النار ونشأة أهلها حكم سخره الله فى ذلك فهم كالفعلة فى المملكة وانشاء الدار المبنية وسيأتى ان شاء الله ذكر الجنة ومافيها والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿الباب الثانى والستون فى مراتب أهل النار﴾

مراتب النار بالاعمال تمتاز ❊ وليس فيها اختصاصات وانجاز
بوزن افعال قد جاء العذاب له ❊ بشرى وان عذبوا فيها بما حازوا
لايخرجون من النار ولو خرجوا ❊ تعذبوا فلهم ذل واعزاز
فلهم كونهم فى النار مابرحوا ❊ وعزهم مالهم حد اذا جازوا
فى قولنا ان تأملتم لذى نظر ❊ محقق فى علوم الوهب اعجاز
فيه اختصار بديع لفظه حسن ❊ فيه لطائف آيات وايجاز
قال الجليل لاهل الحق بينهمو ❊ ياأيها المجرمون اليوم فامتازوا
مثل الملوك تراهم فى نعيمهم ❊ ولبسهم عند أهل الكشف أخزاز
ومن جسومهمو فى النار تحسبهم ❊ كأنهم مثل ماقد قال اعجاز

قولنا بوزن افعال أريد قوله تعالى لابثين فيها أحقابا وهو من أوزان جمع القلة فان أوزان جمع القلة أربعة افعل مثل أكلب وافعال مثل أحقاب وفعلة مثل فتية وأفعلة مثل أحمرة وجمع ذلك بعض الادباء فى بيت من الشعر فقال

بأفعل و بأفعال وأفعلة ❊ وفعلة يجمع الادنى من العدد

يقول الله تعالى من كرمه لابليس وعموم رحمته حين قال له أرأيتك هذا الذى كرمت على لأحتنكن ذريته الاقليلا قال اذهب فمن اتبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم فماجاء ابليس الا بأمر الله تعالى فهو أمر الهى يتضمن وعيدا وتهديدا وكان ابتلاء شديدا فى حقنا بريه تعالى أن فى ذريته من ليس لابليس عليه سلطان ولاقوة ثم ان الذين خذلهم الله من العباد جعلهم طائفتين طائفة لاتضرهم الذنوب التى وقعت منهم وهو قوله والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فلاتمسهم النار بما تاب الله عليهم واستغفار الملأ الاعلى لهم ودعائه لهذه الطائفة وطائفة أخرى أخذهم الله بذنوبهم والذين أخذهم الله بذنوبهم قسمهم بقسمين قسم أخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين وهم أهل الكبائر من المؤمنين وبالعناية الالهية وهم أهل التوحيد بالنظر العقلى وقسم آخر أبقاهم الله فى النار وهذا القسم هم أهل النار الذين هم أهلها وهم المجرمون خاصة الذين يقول الله فيهم وامتازوا اليوم أيها المجرمون أى المستحقون بأن يكونوا أهلا لسكنى هذه الدار التى هى جهنم يعمرونها ممن يخرج منها الى الدار الآخرة التى هى الجنة وهؤلاء المجرمون أربع طوائف كلها فى النار لايخرجون منها وهم المتكبرون على الله كفرعون وأمثاله ممن ادعى الربوبية لنفسه ونفاها عن الله فقال ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى وقال أنا ربكم الاعلى يريد أنه مافى السماء اله غيرى وكذلك نمرود وغيره والطائفة الثانية المشركون وهم الذين يجعلون مع

الله الهاً آخر فقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا أجعل الآلهة الهاً واحدا ان هذا الشيء عجاب والطائفة الثالثة المعطلة وهم الذين نفوا الاله جملة واحدة فلم يثبتوا الهاً للعالم ولا من العالم والطائفة الرابعة المنافقون وهم الذين أظهروا الاسلام من احدى هؤلاء الطوائف الثلاثة للقهر الذي حكم عليهم فخافوا على دمائهم وأموالهم وذراريهم وهم في نفوسهم على ما هم عليه من اعتقاد هؤلاء الطوائف الثلاث فهؤلاء أربعة أصناف هم الذين هم أهل النار لا يخرجون منها من جن وانس وانما كانوا أربعة لان الله تعالى ذكر عن ابليس انه يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا فيأتي للمشرك من بين يديه ويأتي للمعطل من خلفه ويأتي الى المتكبر من عن يمينه ويأتي الى المنافق من عن شماله وهو الجانب الاضعف فانه أضعف الطوائف كما ان الشمال أضعف من اليمين وجعل المتكبر من اليمين لانه محل القوة فتكبر لقوته التي أحسها من نفسه وجاء للمشرك من بين يديه فانه رأى اذ كان بين يديه جهة عينيه فأثبت وجود الله ولم يقدر على انكاره فجعل ابليس يشرك مع الله في ألوهيته وجاء للمعطل من خلفه فان الخلف ما هو محل النظر فقال له ما ثم شيء أي ما في الوجود اله ثم قال الله تعالى في جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم فهذه أربع مراتب لهم من كل باب من أبواب جهنم جزء مقسوم وهي منازل عذابهم فاذا ضربت الاربعة التي هي المراتب التي دخل عليهم منها ابليس في السبعة الابواب كان الخارج ثمانية وعشرين منزلا وكذلك جعل الله المنازل التي قدرها الله للانسان المفرد وهو القمر وغيره من السيارة الخنس الكنس تسير فيها وتنزلها لايجاد الكائنات فيكون عند هذا السير ما يتكون من الافعال في العالم العنصري فان هذه السيارة قد انحصرت في أربع طبائع مضروبة في ذواتها وهن سبعة تخرج منها منازلها الثمانية والعشرون ذلك بتقدير العزيز العليم كما قال كل في فلك يسبحون وكان مما ظهر عن هذا التسيير الالهي في هذه الثمانية والعشرين وجود ثمانية وعشرين حرفا ألف الله الكلمات منها وظهر الكفر في العالم والايمان بأن تكلم كل شخص بما في نفسه من ايمان وكفر وكذب وصدق لتقوم الحجة لله على عباده ظاهرا بما تلفظوا به ووكل بهم ملائكة يكتبون ما تلفظوا به قال تعالى كراما كاتبين وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فجعل منازل النار ثمانية وعشرين منزلا وجهنم كلها مائة درك من أعلاها الى أسفلها نظائر درج الجنة التي ينزل فيها السعداء وفي كل درك من هذه الدركات ثمانية وعشرون منزلا فاذا ضربت ثمانية وعشرين في مائة كان الخارج من ذلك ألفين وثمانمائة منزل فهي الثمانية والعشرون مائة فما برحت الثمانية والعشرون تصحبنا وهذه منازل النار فلكل طائفة من الاربع سبعمائة نوع من العذاب وهم أربع طوائف فالمجموع ثمان وعشرون مائة نوع من العذاب كما لاهل الجنة سواء من الثواب يبين ذلك في صدقاتهم كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة فالمجموع سبعمائة وهم أربعة طوائف رسل وأنبياء وأولياء ومؤمنون فلكل متصدق من هؤلاء الاربعة سبعمائة ضعف من النعيم في عملهم فانظر ما أعجب القرآن في بيانه الشافي وموازنته في خلقه في الدارين الجنة والنار لاقامة العدل على السواء في باب جزاء النعيم وجزاء العذاب فبهذا القدر يقع الاشتراك بين أهل الجنة وأهل النار للتساوي في عدد الدرج والدرك ويقع الامتياز بأمر آخر وذلك أن النار امتازت عن الجنة بأنه ليس في النار دركات اختصاص الهي ولا عذاب اختصاص الهي من الله فان الله ما عرفنا قط انه اختص بنقمته من يشاء كما أخبرنا انه يختص برحمته من يشاء وبفضله فالجنة في نعيمها مخالف لميزان عذاب أهل النار فأهل النار معذبون بأعمالهم لا غير وأهل الجنة ينعمون بأعمالهم وبغير أعمالهم في جنات الاختصاص فلاهل السعادة ثلاث جنات جنة أعمال وجنة اختصاص وجنة ميراث وذلك انه ما من شخص من الجن والانس الا وله في الجنة موضع وفي النار موضع وذلك لامكانه الاصلي فانه قبل كونه يمكن أن يكون له البقاء في العدم أو يوجد فمن هذه الحقيقة له قبول النعيم وقبول العذاب فالجنة تطلب الجميع والجميع يطلبها والنار تطلب الجميع والجميع يطلبها فان الله يقول ولو شاء لهداكم أجمعين أي أنتم قابلون لذلك ولكن حقت الكلمة وسبق العلم ونفذت المشيئة فلا راد لامره ولا معقب لحكمه فينزل أهل الجنة في الجنة على أعمالهم ولهم جنات الميراث وهي التي كانت لاهل النار لو دخلوا الجنة ولهم جنات الاختصاص

يقول الله تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا فهذه الجنة التي حصلت لهم بطريق الورث من أهل النار الذين هم أهلها اذلم يكن في علم الله أن يدخلوها ولم يقل في أهل النار انهم يرثون من النار أماكن أهل الجنة لو دخلوا النار وهذا من سبق الرحمة بعموم فضله سبحانه فما نزل من نزل في النار من أهلها الا بأعمالهم ولهذا يبقى فيها أماكن خالية وهي الاماكن التي لو دخلها أهل الجنة عمروها فيخلق الله خلقا يعمرونها على مزاج لو دخلوا به الجنة تعذبوا وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط أي حسبي حسبي فانه تعالى يقول لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد فانه قال للجنة والنار لكل واحدة منكما ملؤها فما اشترط لهما الا أن يملأهما خلقا وما اشترط عذاب من يملأها بهم ولا نعيمهم وان الجنة أوسع من النار بلا شك فان عرضها السموات والارض فما ظنك بطولها فهي للنار كمحيط الدائرة مما يحوي عليه وفي التنزلات الموصلية رسمناها و بيناها على ماهي عليه في نفسها في باب يوم الاثنين والنار عرضها قدر الخط الذي يمر قطري دائرة فلك الكواكب الثابتة فأين هذا الضيق من تلك السعة وسبب هذا الاتساع جنات الاختصاص الالهي فورد في الخبر انه يبقى أيضا في الجنة أماكن ما فيها أحد فيخلق الله خلقا للنعيم يعمرها بهم وهو أن يضع الرحمن فيها قدمه وليس ذلك الا في جنات الاختصاص فالحكم لله العلي الكبير يختص من يشاء برحمته والله ذو الفضل العظيم فمن كرمه انه تعالى ما أنزل أهل النار الا على أعمالهم خاصة وأما قوله تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب فذلك لطائفة مخصوصة وهم الأئمة المضلون يقول تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وهم الذين أضلوا العباد وأدخلوا عليهم الشبه المضلة فحادوا بها عن سواء السبيل فضلوا وأضلوا وقالوا لهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم يقول الله وماهم بحاملين من خطاياهم من شيء وانهم لكاذبون في هذا القول بل هم حاملون خطاياهم والذين أضلوهم يحملون أيضا خطاياهم وخطايا هؤلاء مع خطاياهم ولا ينقص هؤلاء من خطاياهم من شيء يقول صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها دون أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئا فهو قوله ثم ازدادوا كفرا فهؤلاء قيل فيهم زدناهم عذابا فوق العذاب فما أنزلوا من النار الا منازل استحقاق بخلاف الجنة فان أهل الجنة أنزلوا فيها منازل استحقاق مثل الكفار في النار بأعمالهم وأنزلوا أيضا منازل وراثة ومنازل اختصاص وليس ذلك في أهل النار ولا بد لاهل النار من فضل الله ورحمته في نفس النار بعد انقضاء مدة موازنة أزمان العمل فيفقدون الاحساس بالآلام في نفس النار لانهم ليسوا بخارجين من النار أبدا فلا يموتون فيها ولا يحيون فتتخدر جوارحهم بازالة الروح الحساس منها وثم طائفة يعطيهم الله بعد انقضاء موازنة المدد بين العذاب والعمل نعيما خياليا مثل ما يراه النائم وجلده كما قال تعالى كلما نضجت جلودهم هو كما قلنا خدرها فزمان النضج والتبديل يفقدون الآلام لانه اذا انقضى زمان الانضاج خمدت النار في حقهم فيكونون في النار كالامة التي دخلتها وليست من أهلها فأماتهم الله فيها اماتة فلا يحسون بما تفعله النار في أبدانهم الحديث بكماله ذكره مسلم في صحيحه وهذا من فضل الله ورحمته وأما أبواب جهنم فقد ذكر الله من صفات أصحابها بعض ما ذكر ولكن من هؤلاء الاربع الطوائف الذين هم أهلها ومن خرج بالشفاعة أو العناية ممن دخلها فقد جاء ببعض ما وصف الله به من دخلها من الاسباب الموجبة لذلك وهي باب الجحيم و باب سقر و باب السعير و باب الحطمة و باب لظى و باب الحامية و باب الهاوية وسميت الابواب بصفات ما وراءها مما أعدت له ووصف الداخلون فيها بما ذكر الله تعالى في مثل قوله في لظى انها تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى وقال ما يقول أهل سقر اذا قيل لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين وقال في أهل الجحيم انه يكذب بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد أثيم فوصفه بالاثم والاعتداء ثم قال فيهم ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال لهم هذا الذي كنتم به تكذبون وهكذا في الحطمة والسعير وغير ذلك مما جاء به القرآن أو السنة فهذا قد ذكرنا الامهات والطبقات وأما مناسبات الاعمال لهذه المنازل فكثيرة جدا يطول الشرح فيها ولو شرعنا في ذلك طال علينا المدى فان المجال رحب ولكن الاعمال مذكورة والعذاب عليها مذكور فني وقفت على شيء من ذلك وكنت على نور من ربك و بينة فان الله يطلعك عليه بكرمه والذي شرطنا في هذا

الباب وترجمنا عليه انما كان ذكر المراتب وقد ذكرناها وبيناها ونبهنا على مواضع يجول فيها نظر الناظر من كتابى هذا من الآيات التى استشهدنا بها فى هذا الباب من أوله من أمر الله ابليس بما ذكرناه فهل له من امتثال ذلك الامر الالهى أمر يعود عليه منه من حيث ماهو ممتثل أم لا وأشباه هذه التنبيهات ان وقفت لذلك عثرت على علوم جمة الهية مما يختص بأهل الشقاء والنار وهذا القدر فى هذا الباب كاف والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿الباب الثالث والستون فى معرفة بقاء الناس فى البرزخ بين الدنيا والبعث﴾

بين القيامة والدنيا الذى نظر * مراتب برزخيات لها صور
تحوى على حكم ماقد كان صاحبها * قبل الممات عليه اليوم فاعتبروا
لها على الكل أقدام وسلطنة * تبدى العجائب لاتبقى ولا تذر
لها مجال رحيب فى الوجود بلا * تقييد وهى لاعين ولا أثر
تقول للحق كن والحق خالقها * فكيف يخرج عن أحكامها بشر
فيها العلوم وفيها كل قاصمة * فيها الدلائل والاعجاز والعبر
لولا الخيال لكنا اليوم فى عدم * ولا انقضى غرض فينا ولا وطر
كان سلطانها ان كنت تعقلها * الشرع جاء به والعقل والنظر
من الحروف لها كاف الصفات فما * تنفك عن صور الا أتت صور

قولنا كان سلطانها برفع سلطانها أى سلطان الخيال هو عين كان وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه فهى خبر وسلطانها مبتدأ تقدير الكلام سلطان حضرة الخيال من الالفاظ هو كأن اعلم ان البرزخ عبارة عن أمر فاصل بين أمرين لايكون متطرفا أبدا كالخط الفاصل بين الظل والشمس وكقوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان ومعنى لايبغيان أى لايختلط أحدهما بالآخر وان عجز الحس عن الفصل بينهما والعقل يقضى أن بينهما حاجزا يفصل بينهما فذلك الحاجز المعقول هو البرزخ فان أدرك بالحس فهو أحد الامرين ماهو البرزخ وكل أمرين يفتقران اذا تجاورا الى برزخ ليس هو عين أحدهما وفيه قوة كل واحد منهما ولما كان البرزخ أمرا فاصلا بين معلوم وغير معلوم وبين معدوم وموجود وبين منفى ومثبت وبين معقول وغير معقول سمى برزخا اصطلاحا وهو معقول فى نفسه وليس الا الخيال فانك اذا أدركته وكنت عاقلا تعلم انك أدركت شيئا وجوديا وقع بصرك عليه وتعلم قطعا بدليل انه ماثم شئ رأسا وأصلا فما هو هذا الذى أثبت له شيئية وجودية ونفيتها عنه فى حال اثباتك اياها فالخيال لاموجود ولا معدوم ولا معلوم ولا مجهول ولا منفى ولا مثبت كما يدرك الانسان صورته فى المرآة يعلم قطعا انه أدرك صورته بوجه ويعلم قطعا أنه ما أدرك صورته بوجه لما يرى فيها من الدقة اذا كان جرم المرآة صغيرا ويعلم أن صورته أكبر من التى رأى بما لايتقارب واذا كان جرم المرآة كبيرا فيرى صورته فى غاية الكبر ويقطع ان صورته أصغر مما رأى ولا يقدر أن ينكر أنه رأى صورته ويعلم انه ليس فى المرآة صورته ولا هى بينه وبين المرآة ولا هو انعكاس شعاع البصر الى الصورة المرئية فيها من خارج سواء كانت صورته أو غيرها اذ لو كان كذلك لأدرك الصورة على قدرها وماهى عليه وفى رؤيتها فى السيف من الطول أو العرض يتبين لك ماذكرناه مع علمه انه رأى صورته بلا شك فليس بصادق ولا كاذب فى قوله انه رأى صورته ما رأى صورته فما تلك الصورة المرئية وأين محلها وما شأنها فهى منفية ثابتة موجودة معدومة معلومة مجهولة أظهر الله سبحانه هذه الحقيقة لعبده ضرب مثال ليعلم ويتحقق انه اذا عجز وحار فى درك حقيقة هذا وهو من العالم ولم يحصل عنده علم بحقيقته فهو بخالقها أعجز وأجهل وأشد حيرة ونبهه بذلك أن تجليات الحق له أرق وألطف معنى من هذا الذى قد حارت العقول فيه وعجزت عن ادراك حقيقته الى أن بلغ عجزها أن تقول هل لهذا ماهية أولا ماهية له فانها لاتلحقه بالعدم المحض وقد أدرك البصر شيئا ما ولا بالوجود المحض وقد علمت أنه ماثم شئ ولا بالامكان المحض والى مثل هذه الحقيقة يصير الانسان فى نومه وبعد موته فيرى الاعراض صورا قائمة بنفسها تخاطبه ويخاطبها

أجساداً لايشك فيها والمكاشف يرى في يقظته مايراه النائم في حال نومه والميت بعد موته كما يرى في الآخرة صور الأعمال توزن مع كونها أعراضاً ويرى الموت كبشاً أملح يذبح والموت نسبة مفارقة عن اجتماع فسبحان من يجهل فلا يعلم ويعلم فلا يجهل لا إله إلا هو العزيز الحكيم ومن الناس من يدرك هذا المتخيل بعين الحس ومن الناس من يدركه بعين الخيال وأعني في حال اليقظة وأما في النوم فبعين الخيال قطعاً فاذا أراد الانسان أن يفرق في حال يقظته حيث كان في الدنيا أو يوم القيامة فلينظر الى المتخيل وليقيده بنظره فان اختلفت عليه أكوان المنظور اليه لاختلافه في التكوينات وهو لاينكر أنه ذلك بعينه ولايقيده النظر عن اختلاف التكوينات فيه كالناظر الى الحرباء في اختلاف الألوان عليها فذلك عين الخيال بلاشك لا هو عين الحس فادركت الخيال بعين الخيال لابعين الحس وقليل من يتفطن الى هذا ممن يدعي كشف الأرواح النارية والنورية اذا تمثلت لعينه صوراً مدركة لايدري بما أدركها هل بعين الخيال أو بعين الحس وكلاهما أعني الادراكين بحاسة العين فانها تعطي الادراك بعين الخيال وبعين الحس وهو علم دقيق أعني العلم بالفصل بين العينين وبين حاسة العين وعين الحس واذا أدركت العين المتخيل ولم تغفل عنه ورأته لاتختلف عليه التكوينات ولا رأته في مواضع مختلفات معاً في حال واحدة والذات واحدة لايشك فيها ولا تتغير ولا تحولت في أكوان مختلفة فتعلم انها محسوسة لا متخيلة وانه أدركها بعين الحس لابعين الخيال ومن هنا يعرف ادراك الانسان في المنام ربه تعالى وهو منزه عن الصورة والمثال وضبط الادراك اياه وتقييده ومن هنا تعرف ماورد في الخبر الصحيح من كون الباري يتجلى في أدنى صورة من التي رأوه فيها وفي تحوله في صورة يعرفونها وقد كانوا أنكروه وتعوذوا منه فيعلم بأي عين تراه وقد أعلمتك أن الخيال يدرك بنفسه ويدرك بعين الخيال أو يدرك بالبصر وما الصحيح في ذلك حتى نعتمد عليه ولنا في ذلك

اذا تجلى حبيبي * بأي عين أراه

بعينه لابعيني * فما يراه سواه

تنزيهاً لمقامه وتصديقاً بكلامه فانه القائل لاتدركه الأبصار ولم يخص داراً من دار بل أرسلها آية مطلقة ومسئلة معينة محققة فلا يدركه سواه فبعينه سبحانه أراه في الخبر الصحيح كنت بصره الذي يبصر به فتيقظ أيها الغافل النائم عن مثل هذا وانتبه فلقد فتحت عليك باباً من المعارف لاتصل اليه الأفكار لكن تصل الى قبوله العقول اما بالعناية الالهية أو بجلاء القلوب بالذكر والتلاوة فيقبل العقل مايعطيه التجلي ويعلم أن ذلك خارج عن قوة نفسه من حيث فكره وان فكره لايعطيه ذلك أبداً فيشكر الله تعالى الذي أنشأه نشأة يقبل بها مثل هذا وهي نشأة الرسل والأنبياء وأهل العناية من الأولياء وذلك ليعلم أن قبوله أشرف من فكره فتحقق يا أخي بعد هذا من يتجلى لك من خلف هذا الباب فهي مسئلة عظيمة حارت فيها الألباب ثم ان الشارع وهو الصادق سمى هذا الباب الذي هو الحضرة البرزخية التي ننتقل اليها بعد الموت ونشهد نفوسنا فيها بالصور والناقور والصور هنا جمع صورة بالصاد فينفخ في الصور وينقر في الناقور وهو هو بعينه واختلفت عليه الأسماء لاختلاف الأحوال والصفات واختلفت الصفات فاختلفت الأسماء فصارت أسماؤه كهو يحار فيها من عادته يقفي الحقائق ولا يرمي منها بشيء فانه لايتحقق له أن النقر أصل في وجود اسم الناقور أو الناقور أصل في وجود اسم النقر كمسئلة النحوي هل الفعل مشتق من المصدر أو المصدر مشتق من الفعل ثم فارق مسئلة النحوي بشيء آخر حتى لايشبه مسئلة النحوي في الاشتقاق بقوله نفخ في الصور ولم يقل في المنفوخ فيه فهل كونه صوراً أصل في وجود النفخ أو وجود نفخ أصل في وجود اسم الصور ولما ذكر الله تعديل صورة الانسان قال ونفخت فيه وقال في عيسى عليه السلام قبل خلق صورته فنفخنا فيها من روحنا فظهرت الصورة فوقعت الحيرة ماهو الأصل هل الصورة في وجود النفخ أو النفخ في وجود الصورة فهذا من ذلك القبيل ولاسيما جبريل عليه السلام في الوقت المذكور في حال التمثل بالبشر ومريم قد تخيلت انه بشر فهل أدركته بالبصر الحسي أو بعين الخيال فتكون من أدرك المتخيل بالخيال واذا كان هذا فينفتح عليك ماهو أعظ وهو هل في قوة الخيال أن يعطي

صورة حسية حقيقة فلا يكون للحس فضل على الخيال لان الحس يعطي الصور للخيال فكيف يكون المؤثر فيه مؤثرا فيمن هو مؤثر فيه فما هو مؤثر فيما هو مؤثر فيه وهذا محال عقلا فتفطن لهذه الكنوز فان كنت حصلتها فما يكون في العالم أغنى منك الا من يساويك في ذلك واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الصور ما هو فقال صلى الله عليه وسلم هو قرن من نور ألقمه اسرافيل فأخبر أن شكله شكل القرن فوصف بالسعة والضيق فان القرن واسع ضيق وهو عندنا على خلاف ما يتخيله أهل النظر في الفرق بين ما هو أعلى القرن وأسفله ونذكره ان شاء الله بعد هذا في هذا الباب فاعلم ان سعة هذا القرن في غاية السعة لا شيء من الاكوان أوسع منه وذلك انه يحكم بحقيقته على كل شيء وعلى ما ليس بشيء ويصور العدم المحض والمحال والواجب والامكان ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم أي من حضرة هذا اعبد الله كأنك تراه والله في قبلة المصلي أي تخيله في قبلتك وأنت تواجهه لتراقبه وتستحي منه وتلزم الادب معه في صلاتك فانك ان لم تفعل هذا أسأت الادب فلولا أن الشارع علم أن عندك حقيقة تسمى الخيال لها هذا الحكم ما قال لك كأنك تراه ببصرك فان الدليل العقلي يمنع من كان فانه يحيل بدليله التشبيه والبصر فما أدرك شيأ سوى الجدار فعلمنا ان الشارع خاطبك أن تتخيل انك تواجه الحق في قبلتك المشروع لك استقبالها والله يقول فأينما تولوا فثم وجه الله ووجه الشيء حقيقته وعينه فقد صور الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصور فلهذا كان واسعا وأما ما فيه من الضيق فانه ليس في وسع الخيال أن يقبل أمرا من الامور الحسية والمعنوية والنسب والاضافة وجلال الله وذاته الا بالصورة ولو رام أن يدرك شيأ من غير صورة لم تعط حقيقته ذلك لانه عين الوهم لا غيره فمن هنا هو ضيق في غاية الضيق فانه لا يجرد المعاني عن المواد أصلا ولهذا كان الحس أقرب شيء اليه فانه من الحس أخذ الصور وفي الصور الحسية يجلي المعاني فهذا من ضيقه وانما كان هذا حتى لا يتصف بعدم التقييد وباطلاق الوجود وبالفعال لما يريد الا الله تعالى وحده ليس كمثله شيء فالخيال أوسع المعلومات ومع هذه السعة العظيمة التي يحكم بها على كل شيء قد عجز أن يقبل المعاني مجردة عن المواد كما هي في ذاتها فيرى العلم في صورة لبن أو عسل وخمر ولؤلؤ ويرى الاسلام في صورة قبة وعمد ويرى القرآن في صورة سمن وعسل ويرى الدين في صورة قيد ويرى الحق في صورة انسان وفي صورة نور فهو الواسع الضيق والله واسع على الاطلاق عليم بما أوجد الله عليه خلقه كما قال تعالى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى أي بين الامور على ما هي عليه باعطاء كل شيء خلقه وأما كون القرن من نور فان النور سبب الكشف والظهور اذ لولا النور ما أدرك البصر شيأ فجعل الله هذا الخيال نورا يدرك به تصوير كل شيء أي أمر كان كما ذكرناه فنوره ينفذ في العدم المحض فيصوره وجودا فالخيال أحق باسم النور من جميع المخلوقات الموصوفة بالنور به فنوره لا يشبه الانوار وبه تدرك التجليات وهو نور عين الخيال لا نور عين الحس فافهم فانه ينفعك معرفة كونه نورا فتعلم الاصابة فيه ممن لا يعلم ذلك وهو الذي يقول هذا خيال فاسد وذلك لعدم معرفة هذا القائل بادراك النور الخيالي الذي أعطاه الله تعالى كما ان هذا القائل يخطئ الحس في بعض مدركاته وادراكه صحيح والحكم لغيره لا اليه فالحاكم أخطأ لا الحس كذلك الخيال أدرك بنوره ما أدرك وماله حكم وانما الحكم لغيره وهو العقل فلا ينسب اليه الخطأ فانه ما ثم خيال فاسد قط بل هو صحيح كله وأما أصحابنا فغلطوا في هذا القرن فأكثر العقلاء جعل أضيقه المركز وأعلاه الفلك الاعلى الذي لا فلك فوقه وان الصور التي يحوي عليها صور العالم فجعلوا واسع القرن الاعلى وضيقه الاسفل من العالم وليس الامر كما زعموا بل لما كان الخيال كما قلنا يصور الحق فمن دونه من العالم حتى العدم كان أعلاه الضيق وأسفله الواسع وهكذا خلقه الله فأول ما خلق منه الضيق وآخر ما خلق منه الواسع وهو الذي يلي رأس الحيوان ولا شك ان حضرة الافعال والاكوان أوسع ولهذا لا يكون للعارف اتساع في العلم الا بقدر ما يعلمه من العالم ثم انه اذا أراد أن ينتقل الى العلم بأحدية الله تعالى لا يزال يرقى من السعة الى الضيق قليلا قليلا فتقل علومه كلما رقى في العلم بذات الحق كشفا الى أن لا يبقى له معلوم الا الحق وحده وهو أضيق ما في القرن فضيقه هو الاعلى على الحقيقة وفيه الشرف التام وهو الاول الذي نظهر منه اذا أنبته الله في رأس الحيوان فلا يزال يصعد على صورته من الضيق وأسفله متسع وهو لا يتغير عن حاله

فهو

فهو المخلوق الاول ألا ترى الحق سبحانه أول ماخلق القلم أوفى العقل كما قال فما خلق الا واحدا ثم أنشأ الخلق من ذلك الواحد فاتسع العالم وكذلك العدد منشؤه من الواحد ثم الذى يقبل الثانى لامن الواحد الوجود ثم يقبل التضعيف والتركيب فى المراتب فيتسع اتساعا عظيما الى مالايتناهى فاذا انتهيت فيه من الاتساع الى حد ما من الآلاف وغيرها ثم تطلب الواحد الذى نشأ منه العدد لاتزال فى ذلك تقلل العدد ويزول عنك ذلك الاتساع الذى كنت فيه حتى تنتهى الى الاثنين التى بوجودها ظهر العدد اذ كان الواحد أولها فالواحد أضيق الاشياء وليس بالنظر الى ذاته بعدد فى نفسه ولكن بما هو اثنان أو ثلاثة أو أربعة فلا يجمع بين اسمه وعينه أبدا فاعلم ذلك والناس فى وصف الصور بالقرن على خلاف ماذكرناه بعد ما قررناه فلتعلم ان الله سبحانه اذا قبض الارواح من هذه الاجسام الطبيعية حيث كانت والعنصرية أودعها صورا جسدية فى مجموع هذا القرن النورى فجميع مايدركه الانسان بعد الموت فى البرزخ من الامور انما يدركه بعين الصورة التى هو فيها فى القرن وبنورها وهو ادراك حقيقى ومن الصور هنالك ماهى مقيدة عن التصرف ومنها ماهى مطلقة كأرواح الانبياء كلهم وأرواح الشهداء ومنها مايكون لها نظر الى عالم الدنيا فى هذه الدار ومنها مايتجلى للنائم فى حضرة الخيال التى هى فيه وهو الذى تصدق رؤياه أبدا وكل رؤيا صادقة ولاتخطئ فاذا أخطأت الرؤيا فالرؤيا ماأخطأت ولكن العابر الذى يعبرها هو المخطئ حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصورة ألا تراه صلى الله عليه وسلم ماقال لابى بكر حين عبر رؤيا الشخص المذكور أصبت بعضا وأخطأت بعضا وكذلك قال فى الرجل الذى رأى فى النوم ضرب عنقه فوقع رأسه فجعل الرأس يتدهده وهو يكلمه فذكر لرسول الله ان الشيطان يلعب به فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة مارآه وماقال له خيالك فاسد فانه رأى حقا ولكن أخطأ فى التأويل فأخبر صلى الله عليه وسلم بحقيقة مارآه ذلك النائم وكذلك قوم فرعون يعرضون على النار فى تلك الصور غدوة وعشية ولايدخلونها فانهم محبوسون فى ذلك القرن وفى تلك الصورة ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب وهو العذاب المحسوس لاالمتخيل الذى كان لهم فى حال موتهم بالعرض فتدرك بعين الخيال الصور الخيالية والصور المحسوسة معا فيدرك المتخيل الذى هو الانسان به بين خياله وقتا ماهو متخيل كقوله صلى الله عليه وسلم مثلت لى الجنة فى عرض هذا الحائط فأدرك ذلك بعين حسه وانما قلنا بعين حسه لانه تقدم حين رأى الجنة ليأخذ قطفا منها وتأخر حين رأى النار وهو فى صلاته ونحن نعرف ان عنده من القوة بحيث انه لو أدرك ذلك بعين خياله لابعين حسه ماأثر فى جسمه تقدم ولاتأخر فانا نجد ذلك ومانحن فى قوته ولافى طبقته صلى الله عليه وسلم وكل انسان فى البرزخ مرهون بكسبه محبوس فى صور أعماله الى أن يبعث يوم القيامة من تلك الصور فى النشأة الآخرة والله يقول الحق وهو يهدى السبيل انتهى الجزء الثامن والعشرون

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿الباب الرابع والستون فى معرفة القيامة ومنازلها وكيفية البعث﴾

يوم المعارج من خمسين ألف سنه * يطير عن كل نوام به وسنه
والارض من حذر عليه ساهره * لاتأخذنها لما يقضى الاله سنه
فكن غريبا ولاتركن لطائفة * من الخوارج أهل الالسن اللسنه
وان رأيت امرأ يسعى لمفسدة * فخذ على يده تجزى به حسنه
ولتعتصم حذرا بالكهف من رجل * تريك فتنته يوما كمثل سنه
قد مد خطوته فى غير طاعته * ولم يزل فى هواه خالعا رسنه

اعلم انه انما سمى هذا اليوم يوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم لرب العالمين فى النشأة الآخرة التى ذكرناها فى البرزخ فى الباب الذى قبل هذا الباب ولقيامهم أيضا اذا جاء الحق للفصل والقضاء والملك صفا صفا قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين أى من أجل رب العالمين حين يأتى وجاء بالاسم الرب اذ كان الرب المالك فله صفة

القهر وله صفة الرحمة ولم يأت بالاسم الرحمن لانه لا بدّ من الغضب فى ذلك اليوم كما سيرد فى هذا الباب ولا بدّ من الحساب والاتيان بجهنم والموازين وهذه كلها ليست من صفات الرحمة المطلقة التى يطلبها الاسم الرحمن غير أنه سبحانه أتى باسم الهى تكون الرحمة فيه أغلب وهو الاسم الرب فانه من الاصلاح والتربية فتقوى ما فى المالك والسيد من فضل الرحمة على ما فيه من صفة القهر فتسبق رحمته غضبه ويكثر التجاوز عن سيئات أكثر الناس فأول ما أبين وأقول ما قال الله فى ذلك اليوم من امتداد الارض وقبض السماء وسقوطها على الارض ومجىء الملائكة ومجىء الرب فى ذلك اليوم وأين يكون الخلق حين تمدّ الارض وتبدل صورتها ومجىء جهنم وما يكون من شأنها ثم أسوق حديث مواقف القيامة فى خمسين ألف سنة وحديث الشفاعة اعلم يا أخى ان الناس اذا قاموا من قبورهم على ما سنورده ان شاء الله وأراد الله أن يبدّل الارض غير الارض وتمدّ الارض باذن الله ويكون الجسر دون الظلمة فيكون الخلق عليه عند ما يبدّل الله الارض كيف يشاء اما بالصورة واما بأرض أخرى ما تم عليها تسمى الساهرة فيمدّها سبحانه مدّ الاديم يقول تعالى واذا الارض مدّت ويزيد فى سعتها ما شاء أضعاف ما كانت من أحد وعشرين جزأ الى تسعة وتسعين جزأ حتى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ثم انه سبحانه يقبض السماء اليه فيطويها بيمينه كطى السجل للكتب ثم يرميها على الارض التى مدّها واهية وهو قوله وانشقت السماء فهى يومئذ واهية ويرد الخلق الى الارض التى مدّها فيقفون منتظرين ما يصنع الله بهم فاذا وهت السماء نزلت ملائكتها على أرجائها فيرى أهل الارض خلقا عظيما أضعاف ما هم عليه عددا فيتخيلون ان الله نزل فيهم لما يرون من عظم المملكة مما لم يشاهدوه من قبل فيقولون أفيكم ربنا فتقول الملائكة سبحان ربنا ليس فينا وهو آت فتصطف الملائكة صفا مستديرا على نواحى الارض محيطين بالعالم الانس والجن وهؤلاء هم عمار السماء الدنيا ثم ينزل أهل السماء الثانية بعد ما يقبضها الله أيضا ويرمى بكوكبها فى النار وهو المسمى كاتبا وهم أكثر عددا من السماء الاولى فتقول الخلائق أفيكم ربنا فتفزع الملائكة من قولهم فيقولون سبحان ربنا ليس هو فينا وهو آت فيفعلون فعل الاولين من الملائكة يصطفون خلفهم صفا ثانيا مستديرا ثم نزل أهل السماء الثالثة ويرمى بكوكبها المسمى الزهرة فى النار وقبضها الله بيمينه فتقول الخلائق أفيكم ربنا فتقول الملائكة سبحان ربنا ليس هو فينا وهو آت فلا يزال الامر هكذا سماء بعد سماء حتى ينزل أهل السماء السابعة فيرون خلقا أكثر من جميع من نزل فتقول الخلائق أفيكم ربنا فتقول الملائكة سبحان ربنا قد جاء ربنا وان كان وعد ربنا لمفعولا فيأتى الله فى ظلل من الغمام والملائكة وعلى المجنبة اليسرى جهنم ويكون اتيانه اتيان الملك فانه يقول ملك يوم الدين وهو ذلك اليوم فسمى بالملك ويصطف الملائكة عليهم السلام سبعة صفوف محيطة بالخلائق فاذا أبصر الناس جهنم لها فوران وتغيظ على الجبابرة المتكبرين فيفرّون الخلق بأجمعهم منها لعظيم ما يرونه خوفا وفزعا وهو الفزع الاكبر الا الطائفة التى لا يحزنهم الفزع الاكبر فتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون فهم الآمنون مع النبيين على أنفسهم غير ان النبيين تفزع على أممها الشفقة التى جبلهم الله عليها الخلق فيقولون فى ذلك اليوم سلم سلم وكان الله قد أمر أن تنصب للآمنين من خلقه منابر من نور متفاضلة بحسب منازلهم فى الموقف فيجلسون عليها آمنين مبشرين وذلك قبل مجىء الرب تعالى فاذا فرّ الناس خوفا من جهنم وفرقا لعظيم ما يرون من الهول فى ذلك اليوم يجدون الملائكة صفوفا لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة وزعة الملك الحق سبحانه وتعالى الى المحشر وتناديهم أنبياؤهم ارجعوا فينادى بعضهم بعضا فهو قول الله تعالى فيما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم والرسل تقول اللهم سلم سلم ويخافون أشد الخوف على أممهم والامم يخافون على أنفسهم والمطهرون المحفوظون الذين ما تدنست بواطنهم بالشبه المضلة ولا ظواهرهم أيضا بالمخالفات الشرعية آمنون يغبطهم النبيون فى الذى هم عليه من الامن لما هم النبيون عليه من الخوف على أممهم فينادى مناد من قبل الله يسمعه أهل الموقف لا يدرون أولا أدرى هل ذلك نداء الحق سبحانه بنفسه أو نداء عن أمره سبحانه يقول فى ذلك النداء يا أهل الموقف ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم فانه قال لنا يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم تعليما له

وتنبيها يقول كرمك ولقد سمعت شيخنا الشنخنتة يقول يوما وهو يبكي يا قوم لا تفعلوا بكرمه أخرجنا ولم نكن شيأ وعلمنا ما لم نكن نعلم وامتن علينا ابتداء بالإيمان به وبكتبه ورسله ونحن لا نعقل افتراه يعذبنا بعد ان عقلنا وآمنا حاشى كرمه سبحانه من ذلك فأبكاني بكاء فرح وبكى الحاضرون ثم نرجع ونقول فيقول الحق في ذلك النداء أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فيؤتى بهم الى الجنة ثم يسمعون من قبل الحق نداء ثانيا لا أدري هل ذلك نداء الحق بنفسه أو نداء عن أمر الحق أين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله وتلك الزيادة كما قلنا من جنات الاختصاص فيؤمر بهم الى الجنة ثم يسمعون نداء ثالثا لا أدري هل هو نداء الحق بنفسه أو نداء عن أمر الحق يا أهل الموقف ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم أين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ليجزي الصادقين بصدقهم فيؤمر بهم الى الجنة فبعد هذا النداء يخرج عنق من النار فاذا أشرف على الخلائق وله عينان ولسان فصيح يقول يا أهل الموقف اني وكلت منكم بثلاث كما كان النداء الاول ثلاث مرات ثلاث طوائف من أهل السعادة وهذا كله قبل الحساب والناس وقوف قد ألجمهم العرق واشتد الخوف وتصدعت القلوب لهول المطلع فيقول ذلك العنق المستشرف من النار عليهم اني وكلت بكل جبار عنيد فيلتقطهم من بين الصفوف كما يلتقط الطائر حب السمسم فاذا لم يترك أحدا منهم في الموقف نادى نداء ثانيا يا أهل الموقف اني وكلت بمن آذى الله ورسوله فيلتقطهم كما يلتقط الطائر حب السمسم من بين الخلائق فاذا لم يترك منهم أحدا نادى ثالثة يا أهل الموقف اني وكلت بمن ذهب يخلق كخلق الله فيلتقط أهل التصاوير وهم الذين يصورون صور الكنائس لتعبد تلك الصور والذين يصورون الاصنام وهو قوله تعالى أتعبدون ما تنحتون فكانوا ينحتون لهم الاخشاب والاحجار ليعبدوها من دون الله فهؤلاء هم المصورون فيلتقطهم من بين الصفوف كما يلتقط الطير حب السمسم فاذا أخذهم الله عن آخرهم بقي الناس وفيهم المصورون الذين لا يقصدون بتصويرهم ما قصده أولئك من عبادتها حتى يسئلوا عنها لينفخوا فيها أرواحا تحيا بها وليسوا بنافخين كما ورد في الخبر في المصورين فيقفون ما شاء الله ينتظرون ما فعل الله بهم والعرق قد ألجمهم حدثنا شيخنا النصار بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة وهو يونس ابن يحيى بن الحسين بن أبي البركات الهاشمي العباسي من لفظه وأنا أسمع قال حدثنا أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الارموي قال حدثنا أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن موسى بن جعفر المعروف بابن الخياط المغربي قال قرئ على أبي سهل محمود بن عمر بن اسحق العكبري وأنا أسمع قيل له حدثكم رضي الله عنكم أبو بكر محمد بن الحسن النقاش فقال نعم حدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الطبري المزوري قال حدثنا محمد بن حميد الرازي أبو عبد الله قال حدثنا سلمة بن صالح قال أنا القاسم بن الحكم عن سلام الطويل عن غياث بن المسيب عن عبد الرحمن بن غنم ويزيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال كنت جالسا عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنده عبد الله بن عباس رضي الله عنه وحوله عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في القيامة لخمسين موقفا كل موقف منها ألف سنة فأول موقف اذا خرج الناس من قبورهم يقومون على أبواب قبورهم ألف سنة عراة حفاة جياعا عطاشا فمن خرج من قبره مؤمنا بربه مؤمنا بنبيه مؤمنا بجنته وناره مؤمنا بالبعث والقيامة مؤمنا بالقضاء والقدر خيره وشره مصدقا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه نجا وفاز وغنم وسعد ومن شك في شئ من هذا بقي في جوعه وعطشه وغمه وكربه ألف سنة حتى يقضي الله فيه بما يشاء ثم يساقون من ذلك المقام الى المحشر فيقفون على أرجلهم ألف عام في سرادقات النيران في حر الشمس والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم والنار من بين أيديهم والنار من خلفهم والشمس من فوق رؤسهم ولا ظل الا ظل العرش فمن لقي الله تبارك وتعالى شاهدا له بالاخلاص مقرا بنبيه صلى الله عليه وسلم بريئا من الشرك ومن السحر بريئا من اهراق دماء المسلمين ناصحا لله ولرسوله محبا لمن أطاع الله ورسوله مبغضا لمن عصى الله ورسوله استظل تحت ظل عرش

الرحمن ونجا من غمه ومن حاد عن ذلك ووقع فى شئ من هذه الذنوب بكلمة واحدة أو تغير قلبه أو شك فى شئ من دينه بقى ألف سنة فى الحر والهم والعذاب حتى يقضى الله فيه بما يشاء ثم يساق الخلق الى النور والظلمة فيقيمون فى تلك الظلمة ألف عام فمن لقى الله تبارك وتعالى لم يشرك به شيأ ولم يدخل فى قلبه شئ من النفاق ولم يشك فى شئ من أمر دينه وأعطى الحق من نفسه وقال الحق وانصف الناس من نفسه وأطاع الله فى السر والعلانية ورضى بقضاء الله وقنع بما أعطاه الله خرج من الظلمة الى النور فى مقدار طرفة العين مبيضا وجهه قد نجا من الغموم كلها ومن خالف فى شئ منها بقى فى الغم والهم ألف سنة ثم خرج منها مسودا وجهه وهو فى مشيئة الله يفعل به ما يشاء ثم يساق الخلق الى سرادقات الحساب وهى عشر سرادقات يقفون فى كل سرادق منها ألف سنة فيسأل ابن آدم عند أول سرادق منها عن المحارم فان لم يكن وقع فى شئ منها جاز الى السرادق الثانى فيسأل عن الاهواء فان كان نجا منها جاز الى السرادق الثالث فيسأل عن عقوق الوالدين فان لم يكن عاقا جاز الى السرادق الرابع فيسأل عن حقوق من فوض الله اليه أمورهم وعن تعليمهم القرآن وعن أمر دينهم وتأديبهم فان كان قد فعل جاز الى السرادق الخامس فيسأل عما ملكت يمينه فان كان محسنا اليهم جاز الى السرادق السادس فيسأل عن حق قرابته فان كان قد أدى حقوقهم جاز الى السرادق السابع فيسأل عن صلة الرحم فان كان وصولا لرحمه جاز الى السرادق الثامن فيسأل عن الحسد فان كان لم يكن حاسدا جاز الى السرادق التاسع فيسأل عن المكر فان لم يكن مكر بأحد جاز الى السرادق العاشر فيسأل عن الخديعة فان لم يكن خدع أحدا نجا ونزل فى ظل عرش الله تعالى قارة عينه فرحا قلبه ضاحكا فوه وان كان قد وقع فى شئ من هذه الخصال بقى فى كل موقف منها ألف عام جائعا عطشانا حزنا مغموما مهموما لا ينفعه شفاعة شافع ثم يحشرون الى أخذ كتبهم بأيمانهم وشمائلهم فيحبسون عند ذلك فى خمسة عشر موقفا كل موقف منها ألف سنة فيسألون فى أول موقف منها عن الصدقات وما فرض الله عليهم فى أموالهم فمن أداها كاملة جاز الى الموقف الثانى فيسأل عن قول الحق والعفو عن الناس فمن عفا عفا الله عنه وجاز الى الموقف الثالث فيسأل عن الامر بالمعروف فان كان آمرا بالمعروف جاز الى الموقف الرابع فيسأل عن النهى عن المنكر فان كان ناهيا عن المنكر جاز الى الموقف الخامس فيسأل عن حسن الخلق فان كان حسن الخلق جاز الى الموقف السادس فيسأل عن الحب فى الله والبغض فى الله فان كان محبا فى الله مبغضا فى الله جاز الى الموقف السابع فيسأل عن مال الحرام فان لم يكن أخذ شيأ جاز الى الموقف الثامن فيسأل عن شرب الخمر فان لم يكن شرب من الخمر شيأ جاز الى الموقف التاسع فيسأل عن الفروج الحرام فان لم يكن أتاها جاز الى الموقف العاشر فيسأل عن قول الزور فان لم يكن قاله جاز الى الموقف الحادى عشر فيسأل عن الايمان الكاذبة فان لم يكن حلفها جاز الى الموقف الثانى عشر فيسأل عن أكل الربا فان لم يكن أكله جاز الى الموقف الثالث عشر فيسأل عن قذف المحصنات فان لم يكن قذف المحصنات أو افترى على أحد جاز الى الموقف الرابع عشر فيسأل عن شهادة الزور فان لم يكن شهدها جاز الى الموقف الخامس عشر فيسأل عن البهتان فان لم يكن بهت مسلما مر فنزل تحت لواء الحمد وأعطى كتابه بيمينه ونجا من غم الكتاب وهوله وحوسب حسابا يسيرا وان كان قد وقع فى شئ من هذه الذنوب ثم خرج من الدنيا غير تائب من ذلك بقى فى كل موقف من هذه الخمسة عشر موقفا ألف سنة فى الغم والهول والهم والحزن والجوع والعطش حتى يقضى الله عز وجل فيه بما يشاء ثم يقام الناس فى قراءة كتبهم ألف عام فمن كان سخيا قد قدم ماله ليوم فقره وحاجته وفاقته قرأ كتابه وهون عليه قراءته وكسى من ثياب الجنة وتوج من تيجان الجنة وأقعد تحت ظل عرش الرحمن آمنا مطمئنا وان كان بخيلا لم يقدم ماله ليوم فقره وفاقته أعطى كتابه بشماله ويقطع له من مقطعات النيران يقام على رؤس الخلائق ألف عام فى الجوع والعطش والعرى والهم والغم والحزن والفضيحة حتى يقضى الله عز وجل فيه بما يشاء ثم يحشر الناس الى الميزان فيقومون عند الميزان ألف عام فمن رجح ميزانه بحسناته فاز ونجا فى طرفة عين ومن خف ميزانه من حسناته وثقلت سيئاته حبس عند الميزان ألف عام فى الغم والهم والحزن والعذاب والجوع والعطش حتى يقضى الله فيه بما يشاء ثم يدعى بالخلق الى الموقف بين يدى الله فى اثنى عشر موقفا كل موقف منها مقدار ألف عام فيسأل فى أول موقف عن عتق الرقاب

فان

فان كان أعتق رقبة أعتق الله رقبته من النار وجاز الى الموقف الثانى فيسأل عن القرآن وحقه وقراءته فان جاء بذلك تاما جاز الى الموقف الثالث فيسأل عن الجهاد فان كان جاهد فى سبيل الله محتسبا جاز الى الموقف الرابع فيسأل عن الغيبة فان لم يكن اغتاب جاز الى الموقف الخامس فيسأل عن النميمة فان لم يكن نماما جاز الى الموقف السادس فيسأل عن الكذب فان لم يكن كذابا جاز الى الموقف السابع فيسأل عن طلب العلم فان كان طلب العلم وعمل به جاز الى الموقف الثامن فيسأل عن العجب فان لم يكن معجبا بنفسه فى دينه ودنياه أو فى شئ من عمله جاز الى الموقف التاسع فيسأل عن التكبر فان لم يكن تكبر على أحد جاز الى الموقف العاشر فيسأل عن القنوط من رحمة الله فان لم يكن قنط من رحمة الله جاز الى الموقف الحادى عشر فيسأل عن الامن من مكر الله فان لم يكن أمن من مكر الله جاز الى الموقف الثانى عشر فيسأل عن حق جاره فان كان أدى حق جاره أقيم بين يدى الله تعالى قريرا عينه فرحا قلبه مبيضا وجهه كاسيا ضاحكا مستبشرا فيرحب به ربه ويبشره برضاه عنه فيفرح عند ذلك فرحا لا يعلمه أحد الا الله فان لم يأت بواحدة منهن تامة ومات غير تائب حبس عند كل موقف ألف عام حتى يقضى الله عز وجل فيه بما يشاء ثم يؤمر بالخلائق الى الصراط فينتهون الى الصراط وقد ضربت عليه الجسور على جهنم أدق من الشعر وأحد من السيف وقد غابت الجسور فى جهنم مقدار أربعين ألف عام ولهيب جهنم بجانبها يلتهب وعليها حسك وكلاليب وخطاطيف وهى سبعة جسور يحشر العباد كلهم عليها وعلى كل جسر منها عقبة مسيرة ثلاثة آلاف عام ألف عام صعود وألف عام استواء وألف عام هبوط وذلك قول الله عز وجل ان ربك لبالمرصاد يعنى على تلك الجسور وملائكة يرصدون الخلق عليها فيسأل العبد عن الايمان بالله فان جاء به مؤمنا مخلصا لا شك فيه ولا زيغ جاز الى الجسر الثانى فيسأل عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز الى الجسر الثالث فيسأل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الجسر الرابع فيسأل عن الصيام فان جاء به تاما جاز الى الجسر الخامس فيسأل عن حجة الاسلام فان جاء بها تامة جاز الى الجسر السادس فيسأل عن الطهر فان جاء به تاما جاز الى الجسر السابع فيسأل عن المظالم فان كان لم يظلم أحدا جاز الى الجنة وان كان قصر فى واحدة منهن حبس على كل جسر منها ألف سنة حتى يقضى الله عز وجل فيه بما يشاء وذكر الحديث الى آخره وسيأتى بقية الحديث ان شاء الله فى باب الجنة فانه يختص بالجنة ولم نذكر النشأة الاخرى التى يحشر فيها الانسان فى باب البرزخ لانها نشأة محسوسة غير خيالية والقيامة أمر محقق موجود حسى مثل ما هو الانسان فى الدنيا فلذلك أخرنا ذكرها الى هذا الباب ﴿وصل﴾ اعلم أن الناس اختلفوا فى الاعادة من المؤمنين القائلين بحشر الاجسام ولم نتعرض لمذهب من يحمل الاعادة والنشأة الآخرة على أمور عقلية غير محسوسة فان ذلك على خلاف ما هو الامر عليه لانه جهل ان ثم نشأتين نشأة الاجسام ونشأة الارواح وهى النشأة المعنوية فأثبتوا المعنوية ولم يثبتوا المحسوسة ونحن نقول بما قاله هذا المخالف من اثبات النشأة الروحانية المعنوية لا بما خالف فيه وان عين موت الانسان هو قيامته لكن القيامة الصغرى فان النبى صلى الله عليه وسلم يقول من مات فقد قامت قيامته وان الحشر جمع النفوس الجزئية الى النفس الكلية هذا كله أقول به كما يقول المخالف والى هنا ينتهى حديثه فى القيامة ويختلف فى ذلك بعينه من يقول بالتناسخ ومن لا يقول به وكلهم عقلاء أصحاب نظر ويحتجون فى ذلك كله بظواهر آيات من الكتاب وأخبار من السنة ان أوردناها وتكلمنا عليها طال الباب فى الخوض معهم فى تحقيق ما قالوه وما منهم من نحلة فى ذلك الا وله وجه حق صحيح وان القائل به فهم بعض مراد الشارع ونقصه علم ما فهمه غيره من اثبات الحشر المحسوس فى الاجسام المحسوسة والميزان المحسوس والصراط المحسوس والنار والجنة المحسوستان كل ذلك حق وأعظم فى القدرة وفى علم الطبيعة بقاء الاجسام الطبيعية فى الدارين الى غير مدة متناهية بل مستمرة الوجود وان الناس ما عرفوا من أمر الطبيعة الا قدر ما أطلعهم الحق عليه من ذلك بما ظهر لهم فى مدد حركات الافلاك والكواكب السبعة ولهذا جعلوا العمر الطبيعى مائة وعشرين سنة الذى اقتضاه هذا الحكم فاذا زاد الانسان على هذه المدة وقع فى العمر المجهول وان كان من الطبيعة ولم يخرج عنها ولكن ليس فى قوة علمه أن يقطع عليه بوقت مخصوص فكما زاد على العمر الطبيعى سنة وأكثر جاز أن يزيد على ذلك آلافا من السنين وجاز

أن يمتدّ عمره دائما ولولا أن الشرع عرّف بانقضاء مدة هذه الدار وان كل نفس ذائقة الموت وعرّف بالاعادة وعرّف بالدار الآخرة وعرّف بأنّ الاقامة فيها فى النشأة الآخرة الى غير نهاية ماعرفنا ذلك وما خرجنا فى كل حال من موت واقامة وبعث أخروىّ ونشأة أخرى وجنان ونعيم ونار وعذاب بأكل محسوس وشرب محسوس ونكاح محسوس ولباس على المجرى الطبيعىّ فعلم الله أوسع وأتم والجمع بين العقل والحس والمعقول والمحسوس أعظم فى القدرة وأتم فى الكمال الالهىّ ليستمر له سبحانه فى كل صنف من الممكنات حكم عالم الغيب والشهادة ويثبت حكم الاسم الظاهر والباطن فى كل صنف فان فهمت فقد وفقت وتعلم ان العلم الذى أطلع عليه النبيون والمؤمنون من قبل الحق أعم تعلقا من علم المنفردين بما تقتضيه العقول مجرّدة عن الفيض الالهىّ فالاولى بكل ناصح نفسه الرجوع الى ماقالته الانبياء والرسل على الوجهين المعقول والمحسوس اذ لا دليل للعقل يحيل ماجاءت به الشرائع على تأويل مثبتى المحسوس من ذلك والمعقول فالامكان باق حكمه والمرجح موجود فبماذا يحيل وما أحسن قول القائل

زعم المنجم والطبيب كلاهما * لاتبعث الاجسام قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر * أو صح قولى فالخسار عليكما

فقوله فالخسار عليكما يريد حيث لم يؤمنوا بظاهر ماجاءتهم به الرسل عليهم السلام وقوله فلست بخاسر فانى مؤمن أيضا بالامور المعنوية المعقولة مثلكم وزدنا عليكم بأمر آخر لم تؤمنوا أنتم به ولم يرد القائل به انه يشك بقوله ان صح وانما ذلك على مذهبك أيها المخاطب وهذا يستعمل مثله كثيرا فتدبر كلامى هذا وألزم الايمان نفسك تربح وتسعد ان شاء الله تعالى وبعد ان تقرّر هذا فاعلم ان الخلاف الذى وقع بين المؤمنين القائلين فى ذلك بالحس والمحسوس انما هو راجع الى كيفية الاعادة فمنهم من ذهب الى أن الاعادة تكون فى الناس مثل مابدأهم بنكاح وتناسل وابتداء خلق من طين ونفخ كما جرى من خلق آدم وحوّاء وسائر البنين من نكاح واجتماع الى آخر مولود فى العالم البشرىّ الانسانىّ وكل ذلك فى زمان صغير ومدّة قصيرة على حسب مايقدره الحق تعالى هكذا زعم الشيخ أبو القاسم بن قسى فى خلع النعلين له فى قوله تعالى كما بدأكم تعودون فلا أدرى هل هو مذهبه أو هل قصد شرح المتكلم به وهو خلف الله الذى جاء بذلك الكلام وكان من الاميين ومنهم من قال بالخبر المروىّ انّ السماء تمطر مطرا شبه المنى تمخض به الارض فتنشأ منه النشأة الآخرة وأمّا قوله تعالى عندنا كما بدأكم تعودون هو قوله ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون وقوله كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعدا علينا وقد علمنا ان النشأة الاولى أوجدها الله تعالى على غير مثال سبق فهكذا النشأة الآخرة يوجدها الله تعالى على غير مثال سبق مع كونها محسوسة بلا شك وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفة نشأة أهل الجنة والنار مايخالف ماهى عليه هذه النشأة الدنيا فعلمنا ان ذلك راجع الى عدم مثال سابق ينشئها عليه وهو أعظم فى القدرة وأمّا قوله وهو أهون عليه فلا يقدح فيما قلنا فانه لو كانت النشأة الاولى عن اختراع فكر وتدبر ونظر الى ان خلق أمرا فكانت اعادته الى أن يخلق خلقا آخر عما يقارب ذلك ويزيد عليه أقرب للاختراع والاستحضار فى حق من يستفيد الامور بفكره والله منزه عن ذلك ومتعال عنه علوّا كبيرا فهو الذى يفيد العالم ولا يستفيد ولا يتجدد له علم بشئ بل هو عالم بتفصيل مالا يتناهى بعلم كلىّ فعلم التفصيل فى عين الاجمال وهكذا ينبغى لجلاله أن يكون فينشئ الله النشأة الآخرة على عجب الذنب الذى يبقى من هذه النشأة الدنيا وهو أصلها فعليه تركب النشأة الآخرة فأمّا أبو حامد فرأى ان العجب المذكور فى الخبر انه النفس وعليها تنشأ النشأة الآخرة وقال غيره مثل أبى زيد الرقراقى هو جوهر فرد يبقى من هذه النشأة الدنيا لايتغير عليه تنشأ النشأة الأخرى وكل ذلك محتمل ولا يقدح فى شئ من الاصول بل كلها توجيهات معقولة يحتمل كل توجيه منها أن يكون مقصودا والذى وقع لى به الكشف الذى لا أشك فيه ان المراد بعجب الذنب هو ماتقوم عليه النشأة وهو لايبلى أى لايقبل البلى فاذا أنشأ الله النشأة الآخرة وسوّاها وعدلها وان كانت هى الجواهر بأعيانها فان الذوات الخارجة الى الوجود من العدم لاتنعدم أعيانها بعد وجودها ولكن تختلف فيها الصور بالامتزاجات والامتزاجات التى تعطى هذه الصور أعراض تعرض لها بتقدير العزيز العليم فاذا تهيأت هذه الصور

كانت كالحشيش المحرق وهو الاستعداد لقبول الارواح كاستعداد الحشيش بالنارية التي فيه لقبول الاشتعال والصور البرزخية كالسرج مشتعلة بالارواح التي فيها فينفخ اسرافيل نفخة واحدة فتمر تلك النفخة على تلك الصور البرزخية فتطفئها وتمر النفخة التي تليها وهي الأخرى الى الصورة المستعدة للاشتعال وهي النشأة الاخرى فتشتعل بأرواحها فاذا هم قيام ينظرون فتقوم تلك الصور أحياء ناطقة بما ينطقها الله به فمن ناطق بالحمد لله ومن ناطق يقول من بعثنا من مرقدنا ومن ناطق يقول سبحان من أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور وكل ناطق ينطق بحسب علمه وما كان عليه ونسي حاله في البرزخ ويتخيل ان ذلك الذي كان فيه منام كما تخيله المستيقظ وقد كان حين مات وانتقل الى البرزخ كان كالمستيقظ هناك وان الحياة الدنيا كانت له كالمنام وفي الآخرة يعتقد في أمر الدنيا والبرزخ انه منام في منام وان اليقظة الصحيحة هي التي هو عليها في الدار الآخرة وهو في ذلك الحال يقول ان الانسان في الدنيا كان في منام ثم انتقل بالموت الى البرزخ فكان في ذلك بمنزلة من يرى في المنام انه استيقظ من النوم ثم بعد ذلك في النشأة الآخرة هي اليقظة التي لا نوم فيها ولا نوم بعدها لاهل السعادة لكن لاهل النار وفيها راحتهم كما قدمنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فالدنيا بالنسبة الى البرزخ نوم ومنام فان البرزخ أقرب الى الامر الحق فهو أولى باليقظة والبرزخ بالنظر الى النشأة الاخرى يوم القيامة منام فاعلم ذلك فاذا قام الناس ومدت الارض وانشقت السماء وانكدرت النجوم وكورت الشمس وخسف القمر وحشر الوحوش وسجرت البحار وزوجت النفوس بأبدانها ونزلت الملائكة على أرجائها أعني ارجاء السموات وأتى ربنا في ظلل من الغمام ونادى المنادي يا أهل السعادة فأخذ منهم الثلاث الطوائف الذين ذكرناهم وخرج العنق من النار فقبض الثلاث الطوائف الذين ذكرناهم وماج الناس واشتد الحر وألجم الناس العرق وعظم الخطب وجل الامر وكان البهت فلا تسمع الا همسا وجيء بجهنم وطال الوقوف بالناس ولم يعلموا ما يريد الحق بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول الناس بعضهم لبعض تعالوا ننطلق الى أبينا آدم فنسأله أن يسأل الله لنا أن يريحنا مما نحن فيه فقد طال وقوفنا فيأتون الى آدم فيطلبون منه ذلك فيقول آدم ان الله قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ويذكر خطيئته فيستحي من ربه أن يسأله فيأتون الى نوح بمثل ذلك فيقول لهم مثل ما قال آدم ويذكر دعوته على قومه وقوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فوضع المؤاخذة عليه قوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا لا نفس دعائه عليهم من كونه دعاء ثم يأتون الى ابراهيم عليه السلام بمثل ذلك فيقولون له مثل مقالتهم لمن تقدم فيقول كما قال من تقدم ويذكر كذباته الثلاث ثم يأتون الى موسى وعيسى ويقولون لكل واحد من الرسل مثل ما قالوه لآدم فيجيبونهم مثل جواب آدم فيأتون الى محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد الناس يوم القيامة فيقولون له مثل ما قالوا للانبياء فيقول محمد صلى الله عليه وسلم أنا لها وهو المقام المحمود الذي وعده الله به يوم القيامة فيأتي ويسجد ويحمد الله بمحامد يلهمه الله تعالى اياها في ذلك الوقت لم يكن يعلمها قبل ذلك ثم يشفع الى ربه أن يفتح باب الشفاعة للخلق فيفتح الله ذلك الباب فيأذن في الشفاعة للملائكة والرسل والانبياء والمؤمنين فبهذا يكون سيد الناس يوم القيامة فانه شفع عند الله أن تشفع الملائكة والرسل ومع هذا تأدب صلى الله عليه وسلم وقال أنا سيد الناس ولم يقل سيد الخلائق فتدخل الملائكة في ذلك مع ظهور سلطانه في ذلك اليوم على الجميع وذلك أنه صلى الله عليه وسلم جمع له بين مقامات الانبياء عليهم السلام كلهم ولم يكن ظهر له على الملائكة ما ظهر لآدم عليه السلام عليهم من اختصاصه بعلم الاسماء كلها فاذا كان في ذلك اليوم افتقر اليه الجميع من الملائكة والناس من آدم فمن دونه في فتح باب الشفاعة واظهار ماله من الجاه عند الله اذ كان القهر الالهي والجبروت الاعظم قد أخرس الجميع وكان هذا المقام مثل مقام آدم عليه السلام وأعظم في يوم اشتدت الحاجة فيه مع ما ذكر من الغضب الالهي الذي تجلى فيه الحق في ذلك اليوم ولم تظهر مثل هذه الصفة فيما جرى من قضية آدم فدل بالمجموع على عظيم قدره صلى الله عليه وسلم حيث أقدم مع هذه الصفة الغضبية الالهية على مناجاة الحق فيما سأل فيه فأجابه الحق سبحانه فعلقت الموازين ونشرت الصحف ونصب الصراط وبدئ بالشفاعة فأول ما شفعت الملائكة

ثم النبيون ثم المؤمنون ويبقى أرحم الراحمين وهنا تفصيل عظيم يطول الكلام فيه فانه مقام عظيم غير أن الحق يتجلى فى ذلك اليوم فيقول لتتبع كل أمة ما كانت تعبد حتى تبقى هذه الامة وفيها منافقوها فيتجلى لهم الحق فى أدنى صورة من الصور التى كان تجلى لهم فيها قبل ذلك فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هانحن منتظر ون حتى يأتينا ربنا فيقول لهم جل وتعالى هل بينكم وبينه علامة تعرفونه بها فيقولون نعم فيتحول لهم فى الصورة التى عرفوه فيها بتلك العلامة فيقولون أنت ربنا فيأمرهم بالسجود فلا يبقى من كان يسجد لله الا سجد ومن كان يسجد اتقاء ورياء جعل الله ظهره طبقة نحاس كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه وذلك قوله يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون يعنى فى الدنيا والساق التى كشفت لهم عبارة عن أمر عظيم من أهوال يوم القيامة تقول العرب كشفت الحرب عن ساقها اذا اشتدّ الحرب وعظم أمرها وكذلك التفت الساق بالساق أى دخلت الاهوال والامور العظام بعضها فى بعض يوم القيامة فاذا وقعت الشفاعة ولم يبق فى النار مؤمن شرعى أصلا ولا من عمل عملا مشروعا من حيث ماهو مشروع بلسان نبىّ ولو كان مثقال حبة من خردل فما فوق ذلك فى الصغر الا خرج بشفاعة النبيين والمؤمنين ويبقى أهل التوحيد الذين علموا التوحيد بالادلة العقلية ولم يشركوا بالله شيأ ولا آمنوا ايمانا شرعيا ولم يعملوا خيرا قط من حيث ما اتبعوا فيه نبيا من الانبياء فلم يكن عندهم ذرّة من ايمان فما دونها فيخرجهم أرحم الراحمين وما عملوا خيرا قط يعنى مشروعا من حيث ماهو مشروع ولا خيرا أعظم من الايمان وما عملوه وهذا حديث عثمان بن عفان فى الصحيح لمسلم بن الحجاج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ولم يقل يؤمن أنه لا اله الا الله دخل الجنة ولا قال يقول بل أفرد العلم ففى هؤلاء تسبق عناية الله فى النار فان النار بذاتها لاتقبل تخليد موحد لله بأى وجه كان وتم وجوه الايمان عن علم فجمع بين العلم والايمان فان قلت فان ابليس يعلم أن الله واحد قلنا صدقت ولكنه أوّل من سنّ الشرك فعليه اثم المشركين واثمهم انهم لايخرجون من النار هذا اذا ثبت انه مات موحدا وما يدريك لعله مات مشركا لشبهة طرأت عليه فى نظره وقد تقدم الكلام على هذه المسئلة فيما مضى من الابواب فابليس ليس بخارج من النار فالله يعلم أىّ ذلك كان وههنا علوم كثيرة وفيها طول يخرجنا عن المقصود من الاختصار ايرادها ولكن مع هذا فلا بدّ أن نذكر نبذة من كل موطن مشهور من مواطن القيامة كالعرض وأخذ الكتب والميزان والصراط والاعراف وذبح الموت والمأدبة التى تكون فى ميدان الجنة فهذه سبعة مواطن لاغير وهى أمهات للسبعة الابواب التى للنار والسبعة الابواب التى للجنة فانّ الباب الثامن هو جنة الرؤية وهو الباب المغلق الذى فى النار وهو باب الحجاب فلا يفتح أبدا فان أهل النار محجوبون عن ربهم *الاول وهو العرض اعلم انه قد ورد فى الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال ذلك العرض ياعائشة من نوقش الحساب عذب وهو مثل عرض الجيش أعنى عرض الاعمال لانهاز يّ أهل الموقف والله الملك فيعرف المجرمون بسيماهم كما يعرف الاجناد هنا بزيهم الثانى الكتب قال تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال فأما من أوتى كتابه بيمينه وهو المؤمن السعيد وأمّا من أوتى كتابه بشماله وهو المنافق فان الكافر لا كتاب له فالمنافق سلب عنه الايمان وما أخذ منه الاسلام فقيل فى المنافق انه كان لايؤمن بالله العظيم فيدخل فيه المعطل والمشرك والمتكبر على الله ولم يتعرض للاسلام فان المنافق ينقاد ظاهرا ليحفظ ماله وأهله ودمه ويكون فى باطنه واحدا من هؤلاء الثلاثة وانما قلنا ان هذه الآية تعم الثلاثة فان قوله لايؤمن بالله العظيم معناه لايصدق بالله والذين لايصدقون بالله هم طائفتان طائفة لاتصدق بوجود الله وهم المعطلة وطائفة لاتصدق بتوحيد الله وهم المشركون وقوله العظيم فى هذه الآية يدخل فيها المتكبر على الله فانه لو اعتقد عظمة الله التى يستحقها من تسمى بالله لم يتكبر عليه وهؤلاء الثلاثة مع هذا المنافق الذى تميز عنهم بخصوص وصفهم أهل النار الذين هم أهلها وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فاذا كان يوم القيامة قيل له خذه من وراء ظهرك أى من الموضع الذى نبذته فيه فى حياتك الدنيا فهو كتابهم المنزل عليهم لا كتاب

الاعمال فانه حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور أى تيقن قال الشاعر * فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج * أى تيقنوا وورد فى الصحيح يقول الله له يوم القيامة أظننت انك ملاقى وقال تعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم * الثالث الموازين فتوضع الموازين لوزن الاعمال فيجعل فيها الكتب بما عملوا وآخر ما يوضع فى الميزان قول الانسان الحمد لله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله تملأ الميزان فانه يلقى فى الميزان جميع أعمال العباد الا كلمة لا اله الا الله فيبقى من ملئه تحميدة فتجعل فيمتلئ بها فان كفة ميزان كل أحد بقدر عمله من غير زيادة ولا نقصان وكل ذكر وعمل يدخل الميزان الا لا اله الا الله كما قلنا وسبب ذلك أن كل عمل خير له مقابل من ضده فيجعل هذا الخير فى موازنته ولا يقابل لا اله الا الله الا الشرك ولا يجتمع توحيد وشرك فى ميزان أحد لانه ان قال لا اله الا الله معتقدا لها فما أشرك وان أشرك فما اعتقد لا اله الا الله فلما لم يصح الجمع بينهما لم يكن لكلمة لا اله الا الله من يعادلها فى الكفة الاخرى ولا يرجحها شئ فلهذا لا تدخل الميزان وأما المشركون فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا أى لا قدر لهم ولا يوزن لهم عمل ولا من هو من أمثالهم ممن كذب بلقاء الله وكفر بآياته فان أعمال خير المشرك محبوطة فلا يكون لشرهم ما يوازنه فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وأما صاحب السجلات فانه شخص لم يعمل خيرا قط الا انه تلفظ يوما بكلمة لا اله الا الله مخلصا فتوضع له فى مقابلة التسعة والتسعين سجلا من أعمال الشر كل سجل منها كما بين المغرب والمشرق وذلك لانه ما له عمل خير غيرها فترجح كفتها بالجميع وتطيش السجلات فيتعجب من ذلك ولا يدخل الموازين الا أعمال الجوارح شرها وخيرها السمع والبصر واللسان واليد والبطن والفرج والرجل وأما الاعمال الباطنة فلا تدخل الميزان المحسوس لكن يقام فيها العدل وهو الميزان الحكمى المعنوى محسوس لمحسوس ومعنى لمعنى يقابل كل شئ بمثله فلهذا توزن الاعمال من حيث ما هى مكتوبة * الرابع الصراط وهو الصراط المشروع الذى كان هنا معنى ينصب هناك حسا محسوسا يقول الله لنا وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وخط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية خطا وخط عن جنبتيه خطوطا هكذا ||| | ||| وهذا هو صراط التوحيد ولوازمه وحقوقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله أراد بقوله وحسابهم على الله أنه لا يعلم انهم قالوها معتقدين لها الا الله فالمشرك لا قدم له على صراط التوحيد وله قدم على صراط الوجود والمعطل لا قدم له على صراط الوجود فالمشرك ما وحد الله هنا فهو من الموقف الى النار مع المعطلة ومن هو من أهل النار الذين هم أهلها الا المنافقين فلا بد لهم أن ينظروا الى الجنة وفيها من النعيم فيطمعون فذلك نصيبهم من نعيم الجنان ثم يصرفون الى النار وهذا من عدل الله فقوبلوا بأعمالهم والطائفة التى لا تخلد فى النار انما تمسك وتسأل وتعذب على الصراط والصراط على متن جهنم غائب فيها والكلاليب التى فيه بها يمسكهم الله عليه ولما كان الصراط فى النار وما ثم طريق الى الجنة الا عليه قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ومن عرف معنى هذا القول عرف مكان جهنم ما هو ولو قاله النبى صلى الله عليه وسلم لما سئل عنه لقلته فما سكت عنه وقال فى الجواب فى علم الله الا بأمر الهى فانه ما ينطق عن الهوى وما هو من أمور الدنيا فسكوتنا عنه هو الادب وقد أتى فى صفة الصراط أنه أدق من الشعر وأحد من السيف وكذا هو علم الشريعة فى الدنيا لا يعلم وجه الحق فى المسئلة عند الله ولا من هو المصيب من المجتهدين بعينه ولذلك تعبدنا بغايات الظنون بعد بذل المجهود فى طلب الدليل لا فى المتواتر ولا فى خبر الواحد الصحيح المعلوم فان المتواتر وان أفاد العلم فان العلم المستفاد من التواتر انما هو عين هذا اللفظ أو العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله أو عمل به وما طولبنا بالعلم ما يفهم من ذلك القول والعمل حتى يحكم فى المسئلة على القطع وهذا لا يوصل اليه الا بالنص الصريح المتواتر وهذا لا يوجد الا نادرا مثل قوله تعالى تلك عشرة كاملة فى كونها عشرة خاصة فحكمها بالشرع أحد من السيف وأدق من الشعر فى الدنيا فالمصيب للحكم واحد لا بعينه والكل مصيب للاجر فالشرع هنا هو الصراط المستقيم ولا يزال فى كل ركعة من الصلاة يقول اهدنا الصراط المستقيم فهو أحد من السيف وأدق من الشعر فظهوره فى الآخرة محسوس أبين وأوضح من ظهوره فى الدنيا الا لمن دعا الى الله على

بصيرة كالرسول وأتباعه فألحقهم الله بدرجة الانبياء في الدعاء الى الله على بصيرة أي على علم وكشف وقد ورد في خبر أن الصراط يظهر يوم القيامة متنه للابصار على قدر نور المارّين عليه فيكون دقيقا في حق قوم وعريضا في حق آخرين يصدق هذا الخبر قوله تعالى نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم والسعي مشي وما ثم طريق الا الصراط وانما قال بأيمانهم لان المؤمن في الآخرة لاشمال له كما أن أهل النار لايمين لهم هذا بعض أحوال ما يكون على الصراط وأمّا الكلاليب والخطاطيف والحسك كما ذكرناهي من صور أعمال بني آدم تمسكهم أعمالهم تلك على الصراط فلا ينهضون الى الجنة ولا يقعون في النار حتى تدركهم الشفاعة والعناية الالهية كما قررنا فمن تجاوز هنا تجاوز الله عنه هنالك ومن أنظر معسرا أنظره الله ومن عفا عفا الله عنه ومن استقصى حقه هنا من عباده استقصى الله حقه منه هنالك ومن شدّد على هذه الامة شدد الله عليه وانما هي أعمالكم ترد عليكم فالتزموا مكارم الاخلاق فان الله غدا يعاملكم بما عاملتم به عباده كان ما كان وكانوا ما كانوا ✽ الخامس الاعراف وأما الاعراف فسور بين الجنة والنار باطنه فيه الرحمة وهو ما يلي الجنة منه وظاهره من قبله العذاب وهو ما يلي النار منه يكون عليه من تساوت كفتا ميزانه فهم ينظرون الى النار وينظرون الى الجنة وما لهم رجحان بما يدخلهم أحد الدارين فاذا دعوا الى السجود وهو الذي يبقى يوم القيامة من التكليف فيسجدون فيرجح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنة وقد كانوا ينظرون الى النار بما لهم من السيئات وينظرون الى الجنة بما لهم من الحسنات ويرون رحمة الله فيطمعون وسبب طمعهم أيضا انهم من أهل لا اله الا الله ولا يرونها في ميزانهم ويعلمون أن الله لا يظلم مثقال ذرة ولو جاءت ذرة لاحدى الكفتين لرجحت بها الانهما في غاية الاعتدال فيطمعون في كرم الله وعدله وانه لابد أن يكون لكلمة لا اله الا الله عناية بصاحبها يظهر لها أثر عليهم يقول عز وجل فيهم وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون كما نادوا أيضا اذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين والظلم هنا الشرك لاغير ✽ السادس ذبح الموت الموت وان كان نسبة فان الله يظهره يوم القيامة في صورة كبش أملح وينادي يا أهل الجنة فيشرئبون وينادي يا أهل النار فيشرئبون وليس في النار في ذلك الوقت الا أهلها الذين هم أهلها فيقال للفريقين أتعرفون هذا وهو بين الجنة والنار فيقولون هو الموت ويأتي يحيى عليه السلام وبيده الشفرة فيضجعه ويذبحه وينادي مناديا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت وذلك هو يوم الحسرة فأمّا أهل الجنة اذا رأوا الموت سرّوا برؤيته سرورا عظيما ويقولون له بارك الله لنا فيك لقد خلصتنا من نكد الدنيا وكنت خير وارد علينا وخير تحفة أهداها الحق الينا فانّ النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول الموت تحفة المؤمن وأمّا أهل النار اذا أبصروه يفرقون منه ويقولون له لقد كنت شرّ وارد علينا حلت بيننا وبين ما كنا فيه من الخير والدعة ثم يقولون له عسى تميتنا فنستريح مما نحن فيه وانما سمي يوم الحسرة لانه حسر للجميع أي ظهر عن صفة الخلود الدائم للطائفتين ثم تغلق أبواب النار غلقا لافتح بعده وتنطبق النار على أهلها ويدخل بعضها في بعض ليعظم انضغاط أهلها فيها ويرجع أسفلها أعلاها وأعلاها أسفلها وترى الناس والشياطين فيها كقطع اللحم في القدر اذا كان تحتها النار العظيمة تغلي كغلي الحميم فتدور بمن فيها علوا وسفلا كلما خبت زدناهم سعيرا بتبديل الجلود ✽ السابع المأدبة وهي مأدبة الملك لاهل الجنة وفي ذلك الوقت يجتمع أهل النار في مندبة فأهل الجنة في المآدب وأهل النار في المنادب وطعامهم في تلك المأدبة زيادة كبد النون وأرض الميدان درمكة بيضاء مثل القرصة ويخرج من الثور الطحال لاهل النار فيأكل أهل الجنة من زيادة كبد النون وهو حيوان بحريّ مائيّ فهو من عنصر الحياة المناسبة للجنة والكبد بيت الدم وهو بيت الحياة والحياة حارة رطبة وبخار ذلك الدم هو النفس المعبر عنه بالروح الحيوانيّ الذي به حياة البدن فهو بشارة لاهل الجنة ببقاء الحياة عليهم وأما الطحال في جسم الحيوان فهو بيت الاوساخ فان فيه تجتمع أوساخ البدن وهو ما يعطيه الكبد من الدم الفاسد فيعطى لاهل النار يأكلونه وهو من الثور والثور حيوان ترابيّ طبعه البرد واليبس وجهنم على صورة الجاموس والطحال من الثور اغتذاء أهل النار أشد مناسبة فيما في الطحال من الدمية لايموت أهل النار وبما فيه من أوساخ البدن

ومن الدم الفاسد المؤلم لايحيون ولا ينعمون فيورثهم أكله سقما ومرضا ثم يدخل أهل الجنة الجنة فما هم منها بمخرجين والله يقول الحق وهو يهدى السبيل انتهى الجزء الثامن والعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿الباب الخامس والستون فى معرفة الجنة ومنازلها ودرجاتها ومايتعلق بهذا الباب﴾

مراتب الجنة المحسوسة انقسمت * الى منازل والاعمال تطلبها
فكل ذى عمل تجرى ركائبه * بها اليها ورسل الله تحجبها
وجنة الاختصاصات التى انفهقت * للمكرمين جنان الورث تعقبها
نور الكواكب كانت تضىء بها * ونورنا اليوم فى عدن مكوكبها
لوأن غير صراط العرش مركبنا * لزال عنه ورود الشرع مركبها
فصالح العمل المشروع يظهرها * نوراومن ذاته الاجلال يكسبها

اعلم أيدنا الله وإياك ان الجنة جنتان جنة محسوسة وجنة معنوية والعقل يعقلهما معا كما ان العالم عالمان عالم لطيف وعالم كثيف وعالم غيب وعالم شهادة والنفس الناطقة المخاطبة المكلفة لها نعيم بما تحمله من العلوم والمعارف من طريق نظرها وفكرها وما وصلت اليه من ذلك بالادلة العقلية ونعيم بما تحمله من اللذات والشهوات مما يناله بالنفس الحيوانية من طريق قواها الحسية من أكل وشرب ونكاح ولباس وروائح ونغمات طيبة تتعلق بها الاسماع وجمال حسى فى صورة حسنة معشوقة يعطيها البصر فى نساء كاعبات ووجوه حسان وألوان متنوعة وأشجار وأنهار كل ذلك تنقله الحواس الى النفس الناطقة فتلتذ به من جهة طبيعتها ولو لم يلتذ به الا الروح الحساس الحيوانى لا النفس الناطقة لكان الحيوان يلتذ بالوجه الجميل من المرأة المستحسنة والغلام الحسن الوجه والالوان والمصاغ فلما لم نرشيأ من الحيوان يلتذ بشئ من ذلك علمنا قطعا ان النفس الناطقة هى التى تلتذ بجميع ما تعطيه القوة الحسية مما تشاركها فى ادراكه الحيوانات ومما لاتشاركها فيه واعلم ان الله خلق هذه الجنة المحسوسة بطالع الاسد الذى هو الاقليد وبرجه هو الاسد وخلق الجنة المعنوية التى هى روح هذه الجنة المحسوسة من الفرح الالهى من صفة الكمال والابتهاج والسرور فكانت الجنة المحسوسة كالجسم والجنة المعقولة كالروح وقواه ولهذا سماها الحق تعالى الدار الحيوان لحياتها فأهلها يتنعمون فيها حسا ومعنى فالمعنى الذى هو اللطيفة الانسانية والجنة أيضا أشد تنعما بأهلها الداخلين فيها ولهذا تطلب ملأها من الساكنين وقد ورد فى خبر عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الجنة اشتاقت الى بلال وعلى وعمار وسلمان فوصفها بالشوق الى هؤلاء وما أحسن موافقة هذه الاسماء لما فى شوقها من المعانى فان الشوق من المشتاق فيه ضرب ألم لطلب اللقاء وبلال من أبل الرجل من مرضه واستبل ويقال بل الرجل من دائه وبلال معناه وسلمان من السلامة من الآلام والامراض وعمار أى بعمارتها باهلها يزول ألمها فان الله سبحانه يتجلى لعباده فيها فهى يعلو بذلك التجلى شأنها على النار التى هى أختها حيث فازت بدرجة التجلى والرؤية اذ كانت النار دار حجاب فانظر فى موافقة هذه الاسماء الاربعة لصورة حال الجنة حين وصفها بالشوق الى هؤلاء الاصحاب من المؤمنين والناس على أربع مراتب فى هذه المسئلة فمنهم من يشتهى ويشتهى وهم الاكابر من رجال الله من رسول ونبى وولى كامل ومنهم من يشتهى ولا يشتهى وهم أصحاب الاحوال من رجال الله الهيمون فى جلال الله الذين غلب معناهم على حسهم وهم دون الطبقة الاولى فانهم أصحاب أحوال ومنهم من يشتهى ولا يشتهى وهم عصاة المؤمنين ومنهم من لا يشتهى ولا يشتهى وهم المكذبون بيوم الدين والقائلون بنفى الجنة المحسوسة ولا خامس لهؤلاء الاربعة الاصناف واعلم ان الجنات ثلاث جنات جنة اختصاص الهى وهى التى يدخلها الاطفال الذين لم يبلغوا حد العمل وحدهم من أول ما يولد الى ان يستهل صارخا الى انقضاء ستة أعوام ويعطى الله من شاء من عباده من جنات الاختصاص ما شاء ومن أهلها المجانين الذين ما عقلوا ومن أهلها أهل التوحيد العلمى ومن أهلها أهل الفترات ومن لم تصل اليهم دعوة رسول والجنة الثانية جنة ميراث ينالها كل من دخل الجنة

ممن ذكرناه من المؤمنين وهي الاماكن التي كانت معينة لاهل النار لو دخلوها والجنة الثالثة جنة الاعمال وهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر وسواء كان الفاضل دون المفضول أو لم يكن غير أنه فضله في هذا المقام بهذه الحالة فما من عمل من الاعمال الا وله جنة ويقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب ما تقتضي أحوالهم ورد في الحديث الصحيح عن النبيّ صلى الله عليه وسلم انه قال لبلال يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما وطئت منها موضعا الا سمعت خشخشتك امامي فقال يا رسول الله ما أحدثت قط الا توضأت ولا توضأت الا صليت ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما فعلمنا انها كانت جنة مخصوصة بهذا العمل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبلال بم نلت ان تكون مطرقا بين يدي تحجبني من أين لك هذه المسابقة الى هذه المرتبة فلما ذكر له ذلك قال له صلى الله عليه وسلم بهما فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرّم ومكروه الا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص يناله من دخلها والتفاضل على مراتب فمنها بالسنّ ولكن في الطاعة والاسلام فيفضل الكبير السنّ على الصغير السنّ اذا كانا على مرتبة واحدة من العمل بالسنّ فانه أقدم منه فيه ويفضل أيضا بالزمان فان العمل في رمضان وفي يوم الجمعة وفي ليلة القدر وفي عشر ذي الحجة وفي عاشوراء أعظم من سائر الازمان وكل زمان عينه الشارع وتقع المفاضلة بالمكان كالمصلي في المسجد الحرام أفضل من صلاة المصلي في مسجد المدينة وكذلك الصلاة في مسجد المدينة أفضل من الصلاة في المسجد الاقصى وهكذا فضل الصلاة في المسجد الاقصى على سائر المساجد ويتفاضلون أيضا بالاحوال فان الصلاة في الجماعة في الفريضة أفضل من صلاة الشخص وحده وأشباه هذا ويتفاضلون بالاعمال فان الصلاة أفضل من اماطة الاذى وقد فضل الله الاعمال بعضها على بعض ويتفاضلون أيضا في نفس العمل الواحد كالمتصدق على رحمه فيكون صاحب صلة رحم وصدقة والمتصدق على غير رحمه دونه في الاجر وكذلك من أهدى هدية لشريف من أهل البيت أفضل ممن أهدى لغير شريف أو برّه أو أحسن اليه ووجوه المفاضلة كثيرة في الشرع وان كانت محصورة ولكن أريتك منها أنموذجا تعرف به ما قصدناه بالمفاضلة والرسل عليهم السلام انما ظهر فضلها في الجنة على غيرها بجنة الاختصاص وأما بالعمل فهم في جنات الاعمال بحسب الاحوال كما ذكرنا وكل من فضل غيره ممن ليس في مقامه فمن جنات الاختصاص لا من جنات الاعمال ومن الناس من يجمع في الزمن الواحد أعمالا كثيرة فيصرف سمعه فيما ينبغي في زمان تصريفه بصره في زمان تصريفه يده في زمان صومه في زمان صدقته في زمان صلاته في زمان ذكره في زمان نيته من فعل وترك فيؤجر في الزمن الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس له ذلك ولذلك لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الثمانية الابواب من الجنة أن يدخل من أيها شاء قال أبو بكر يا رسول الله وما على الانسان أن يدخل من الابواب كلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجو أن تكون منهم يا أبا بكر فأراد أبو بكر بذلك القول ما ذكرنا أن يكون الانسان في زمان واحد في أعمال كثيرة تعم أبواب الجنة ومن هنا أيضا نعرف النشأة الآخرة فكما لا تشبه الجنة الدنيا في أحوالها كلها وان اجتمعت في الاسماء كذلك نشأة الانسان في الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا وان اجتمعتا في الاسماء والصورة الشخصية فان الروحانية على نشأة الآخرة أغلب من الحسية وقد ذقناه في هذه الدار الدنيا مع كثافة هذه النشأة فيكون الانسان بعينه في أماكن كثيرة وأما عامة الناس فيدركون ذلك في المنام ولقد رأيت رؤيا لنفسي في هذا النوع وأخذتها بشرى من الله فانها مطابقة لحديث نبويّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ضرب لنا مثله في الانبياء عليهم السلام فقال صلى الله عليه وسلم مثلي في الانبياء كمثل رجل بنى حائطا فأكمله الا لبنة واحدة فكنت أنا تلك اللبنة فلا رسول بعدي ولا نبيّ فشبه النبوّة بالحائط والانبياء باللبن التي قام بها هذا الحائط وهو تشبيه في غاية الحسن فان مسمى الحائط هنا المشار اليه لم يصح ظهوره الا باللبن فكان صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فكنت بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة أرى فيما يرى النائم الكعبة مبنية بلبن فضة وذهب لبنة فضة ولبنة ذهب وقد كملت بالبناء وما بقي فيها شيء وأنا أنظر اليها والى حسنها فالتفت الى الوجه الذي بين الركن اليمانيّ والشاميّ هو الى الركن الشاميّ أقرب فوجدت موضع لبنتين لبنة فضة ولبنة ذهب ينقص من الحائط في الصفين في الصف

الاعلى ينقص لبنة ذهب وفى الصف الذى يليه ينقص لبنة فضة فرأيت نفسى قد انطبعت فى موضع تلك اللبنتين فكنت أنا عين تينك اللبنتين وكمل الحائط ولم يبق فى الكعبة شئ ينقص وأنا واقف أنظر واعلم انى واقف واعلم انى عين تينك اللبنتين لا أشك فى ذلك وانهما عين ذاتى واستيقظت فشكرت الله تعالى وقلت متأولا انى فى الاتباع فى صنفى كرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانبياء عليهم السلام وعسى أن أكون ممن ختم الله الولاية بى وما ذلك على الله بعزيز وذكرت حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى ضربه المثل بالحائط وانه كان تلك اللبنة فقصصت رؤياى على بعض علماء هذا الشأن بمكة من أهل توزر فأخبرنى فى تأويلها بما وقع لى وما سميت له الرائى من هو فالله أسأل أن يتمها على بكرمه فان الاختصاص الالهى لا يقبل التحجير ولا الموازنة ولا العمل وان ذلك من فضل الله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم واعلم ان جنة الاعمال مائة درجة لا غير كما ان النار مائة درك غير أن كل درجة تنقسم الى منازل فلنذكر من منازلها ما يكون لهذه الامة المحمدية وما تفضل به على سائر الامم فانها خير أمة أخرجت للناس بشهادة الحق فى القرآن وتعريفه وهذه المائة درجة فى كل جنة من الثمان الجنات وصورتها جنة فى جنة وأعلاها جنة عدن وهى قصبة الجنة فيها الكثيب الذى يكون اجتماع الناس فيه لرؤية الحق تعالى وهى أعلى جنة فى الجنات هى فى الجنات بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية أسوار بين كل سورين جنة فالتى تلى جنة عدن انما هى جنة الفردوس وهى أوسط الجنات التى دون جنة عدن وأفضلها ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى ثم دار السلام ثم دار المقامة وأما الوسيلة فهى أعلى درجة فى جنة عدن وهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصلت له بدعاء أمته فعل ذلك الحق سبحانه حكمة أخفاها فانا بسببه نلنا السعادة من الله وبه كنا خير أمة أخرجت للناس وبه ختم الله بنا الامم كما ختم به النبيين وهو صلى الله عليه وسلم بشر كما أمر أن يقول ولنا وجه خاص الى الله عز وجل نناجيه منه ويناجينا وكذا كل مخلوق له وجه خاص الى ربه فأمرنا عن أمر الله أن ندعوله بالوسيلة حتى ينزل فيها وينالها بدعاء أمته فافهم هذا الفضل العظيم وهذا من باب الغيرة الالهية ان فهمت فلقد كرم الله هذا النبى وهذه الامة فتحوى درجات الجنة من الدرج فيها على خمسة آلاف درج ومائة درج وخمسة أدراج لا غير وقد تزيد على هذا العدد بلا شك ولكن ذكرنا منها ما اتفق عليه أهل الكشف مما يجرى مجرى الانواع من الاجناس والذى اختصت به هذه الامة المحمدية على سائر الامم من هذه الادراج اثنا عشر درجا لا غير لا يشاركها فيها أحد من الامم كما فضل صلى الله عليه وسلم غيره من الرسل فى الآخرة بالوسيلة وفتح باب الشفاعة وفى الدنيا بست لم يعطها نبى قبله كما ورد فى الحديث الصحيح من حديث مسلم بن الحجاج فذكر منها عموم رسالته وتحليل الغنائم والنصر بالرعب وجعلت له الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها له طهورا وأعطى مفاتيح خزائن الارض ثم اعلم ان أهل الجنة أربعة أصناف الرسل وهم الانبياء والاولياء وهم أتباع الرسل على بصيرة وبينة من ربهم والمؤمنون وهم المصدقون بهم عليهم السلام والعلماء بتوحيد الله انه لا اله الا هو من حيث الادلة العقلية قال الله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم وهؤلاء هم الذين أريد بالعلماء وفيهم يقول الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والطريق الموصلة الى العلم بالله طريقان لا ثالث لهما ومن وحد الله من غير هذين الطريقين فهو مقلد فى توحيده (الطريق الواحدة) طريق الكشف وهو علم ضرورى يحصل عند الكشف يجده الانسان فى نفسه لا يقبل معه شبهة ولا يقدر على دفعه ولا يعرف لذلك دليلا يستند اليه سوى ما يجده فى نفسه الا أن بعضهم قال يعطى الدليل والمدلول فى كشفه فانه ما لا يعرف الا بالدليل فلا بد أن يكشف له عن الدليل وكان يقول بهذه المقالة صاحبنا أبو عبد الله بن الكتانى بمدينة فاس سمعت ذلك منه وأخبر عن حاله وصدق وأخطأ فى ان الامر لا يكون الا كذلك فان غيره يجد ذلك فى نفسه ذوقا من غير أن يكشف له عن الدليل وأما أن يحصل له عن تجل الهى يحصل له وهم الرسل والانبياء وبعض الاولياء (والطريق الثانى) طريق الفكر والاستدلال بالبرهان العقلى وهذا الطريق دون الطريق الاول فان صاحب النظر فى الدليل قد تدخل عليه الشبه القادحة فى دليله فيتكلف الكشف عنها والبحث عن وجه الحق فى الامر المطلوب وما ثم طريق ثالث فهؤلاء هم أولو العلم الذين شهدوا بتوحيد

الله ولفحول هذه الطبقة من العلماء بتوحيد الله دلالة ونظر زيادة علم على التوحيد بتوحيد في الذات بأدلة قطعية لا يعطاها كل أهل الكشف بل بعضهم قد يعطاها وهؤلاء الاربع الطوائف يتميزون في جنات عدن عند رؤية الحق في الكثيب الابيض وهم فيه على أربعة مقامات طائفة منهم أصحاب منابر وهي الطبقة العليا الرسل والانبياء والطائفة الثانية هم الاولياء ورثة الانبياء قولا وعملا وحالا وهم على بينة من ربهم وهم أصحاب الاسرة والعرش والطبقة الثالثة العلماء بالله من طريق النظر البرهاني العقلي وهم أصحاب الكراسي والطبقة الرابعة وهم المؤمنون المقلدون في توحيدهم ولهم المراتب وهم في الحشر مقدمون على أصحاب النظر العقلي وهم في الكثيب عند النظر يتقدمون على المقلدين فاذا أراد الله أن يتجلى لعباده في الزور العام نادى منادي الحق في الجنات كلها يا أهل الجنان حي على المنة العظمى والمكانة الزلفى والمنظر الاعلى هلموا الى زيارة ربكم في جنة عدن فيبادرون الى جنة عدن فيدخلونها وكل طائفة قد عرفت مرتبتها ومنزلتها فيجلسون ثم يؤمر بالموائد فتنصب بين أيديهم موائد اختصاص ما رأوا مثلها ولا تخيلوه في حياتهم ولا في جناتهم جنات الاعمال وكذلك الطعام ما ذاقوا مثله في منازلهم وكذلك ما تناولوه من الشراب فاذا فرغوا من ذلك خلعت عليهم من الخلع ما لم يلبسوا مثلها فيما تقدم ومصداق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا فرغوا من ذلك قاموا الى كثيب من المسك الابيض فأخذوا منازلهم فيه على قدر علمهم بالله لا على قدر عملهم فان العمل مخصوص بنعيم الجنان لا بمشاهدة الرحمن فبيناهم على ذلك اذا بنور قد بهرهم فيخرون سجدا فيسري ذلك النور في أبصارهم ظاهرا وفي بصائرهم باطنا وفي أجزاء أبدانهم كلها وفي لطائف نفوسهم فيرجع كل شخص منهم عينا كله وسمعا كله فيرى بذاته كلها لا تقييده الجهات ويسمع بذاته كلها فهذا يعطيهم ذلك النور فبه يطيقون المشاهدة والرؤية وهي أتم من المشاهدة فيأتيهم رسول من الله يقول لهم تأهبوا لرؤية ربكم جل جلاله فها هو يتجلى لكم فيتأهبون فيتجلى الحق جل جلاله وبينه وبين خلقه ثلاثة حجب حجاب العزة وحجاب الكبرياء وحجاب العظمة فلا يستطيعون نظرا الى تلك الحجب فيقول الله جل جلاله لاعظم الحجبة عنده ارفعوا الحجب بيني وبين عبادي حتى يروني فترفع الحجب فيتجلى لهم الحق جل جلاله خلف حجاب واحد في اسمه الجليل اللطيف الى أبصارهم وكلهم بصر واحد فينفهق عليهم نور يسري في ذواتهم فيكونون به سمعا كلهم وقد أبهتهم جمال الرب وأشرقت ذواتهم بنور ذلك الجمال الاقدس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث النقاش في مواقف القيامة وهذا تمامه فيقول الله جل جلاله سلام عليكم عبادي ومرحبا بكم حياكم الله سلام عليكم من الرحمن الرحيم الحي القيوم طبتم فادخلوها خالدين طابت لكم الجنة فطيبوا أنفسكم بالنعيم المقيم والثواب من الكريم والخلود الدائم أنتم المؤمنون الآمنون وأنا الله المؤمن المهيمن شققت لكم اسما من أسمائي لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون أنتم أوليائي وجيراني وأصفيائي وخاصتي وأهل محبتي وفي داري سلام عليكم يا معشر عبادي المسلمين أنتم المسلمون وأنا السلام وداري دار السلام سأريكم وجهي كما سمعتم كلامي فاذا تجليت لكم وكشفت عن وجهي الحجب فاحمدوني وادخلوا الى داري غير محجوبين عني بسلام آمنين فردوا علي واجلسوا حولي حتى تنظروا الي وتروني من قريب فأتحفكم بتحفي وأجيزكم بجوائزي وأخصكم بنوري وأغشيكم بجمالي وأهب لكم من ملكي وأفاكهكم بضحكي وأغلفكم بيدي وأشمكم روحي أنا ربكم الذي كنتم تعبدوني ولم تروني وتحبوني وتخافوني وعزتي وجلالي وعلوي وكبريائي وبهائي وسنائي اني عنكم راض وأحبكم وأحب ما تحبون ولكم عندي ما تشتهي أنفسكم وتلذ أعينكم ولكم عندي ما تدعون وما شئتم وكل ما شئتم أشاء فاسألوني ولا تحتشموا ولا تستحيوا ولا تستوحشوا واني أنا الله الجواد الغني الملي الوفي الصادق وهذه داري قد أسكنتكموها وجنتي قد أبحتكموها ونفسي قد أريتكموها وهذه يدي ذات الندى والطل مبسوطة ممتدة عليكم لا أقبضها عنكم وأنا أنظر اليكم لا أصرف بصري عنكم فاسألوني ما شئتم واشتهيتم فقد آنستكم بنفسي وأنا لكم جليس وأنيس فلا حاجة ولا فاقة بعد هذا ولا بؤس ولا مسكنة ولا ضعف ولا هرم ولا سخط ولا حرج ولا تحويل أبدا سرمدا نعيمكم نعيم الابد وأنتم الآمنون المنعمون

انما كنتم المكرمون المنعمون وأنتم السادة الاشراف الذين أطعتمونى واجتنبتم محارمى فارفعوا الى حوائجكم أقضها لكم كرامة ونعمة قال فيقولون ربنا ما كان هذا أملنا ولا أمنيتنا ولكن حاجتنا اليك النظر الى وجهك الكريم أبدا أبدا ورضى نفسك عنا فيقول لهم العلى الاعلى مالك الملك السخى الكريم تبارك وتعالى فهذا وجهى بارز لكم أبدا سرمدا فانظروا اليه وأبشروا فان نفسى عنكم راضية فتمتعوا وقوموا الى أزواجكم فعانقوا وانكحوا والى ولائدكم ففاكهوا والى غرفكم فادخلوا والى بساتينكم فتنزهوا والى دوابكم فاركبوا والى فرشكم فاتكئوا والى جواريكم وسراريكم فى الجنان فاستأنسوا والى هدايا كم من ربكم فاقبلوا والى كسوتكم فالبسوا والى مجالسكم فتحدثوا ثم قيلوا قائلة لا نوم فيها ولا غائلة فى ظل ظليل وأمن مقيل ومجاورة الجليل ثم روحوا الى نهر الكوثر والكافور والماء المطهر والتسنيم والسلسبيل والزنجبيل فاغتسلوا وتنعموا طوبى لكم وحسن مآب ثم روحوا فاتكئوا على الرفارف الخضر والعبقرى الحسان والفرش المرفوعة فى الظل الممدود والماء المسكوب والفاكهة الكثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم ثم تلا هذه الآية أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا الى هنا انتهى حديث أبى بكر النقاش الذى أسندناه فى باب القيامة قبل هذا فى حديث المواقف ثم ان الحق تعالى بعد هذا الخطاب يرفع الحجاب ويتجلى لعباده فيخرون سجدا فيقول لهم ارفعوا رؤسكم فليس هذا موطن سجود يا عبادى ما دعوتكم لا لتنعموا بمشاهدتى فيمسكهم فى ذلك ما شاء الله فيقول لهم هل بقى لكم شئ بعد هذا فيقولون يا ربنا وأى شئ بقى وقد نجيتنا من النار وأدخلتنا دار رضوانك وأنزلتنا بجوارك وخلعت علينا ملابس كرمك وأريتنا وجهك فيقول الحق جل جلاله بقى لكم فيقولون يا ربنا وما ذاك الذى بقى فيقول دوام رضاى عنكم فلا أسخط عليكم أبدا فما أحلاها من كلمة وما ألذها من بشرى فبدأ سبحانه بالكلام خلقنا فقال كن فأول شئ كان لنا منه السماع فختم بما به بدأ فقال هذه المقالة فختم بالسماع وهو هذه البشرى وتتفاضل الناس فى رؤيته سبحانه ويتفاوتون فيها تفاوتا عظيما على قدر علمهم فهم ومنهم ثم يقول سبحانه لملائكته ردوهم الى قصورهم فلا يهتدون لامرين لما طرأ عليهم من سكر الرؤية ولما زادهم من الخبر فى طريقهم فلم يعرفوها فلولا أن الملائكة تدلهم ما عرفوا منازلهم فاذا وصلوا الى منازلهم تلقاهم أهلهم من الحور والولدان فيرون جميع ملكهم قد كسى بهاء وجمالا ونورا من وجوههم أفاضوه افاضة ذاتية على ملكهم فيقولون لهم لقد زدتم نورا وبهاء وجمالا ما تركنا كم عليه فيقول لهم أهلهم وكذا كم أنتم قد زدتم من البهاء والجمال ما لم يكن فيكم عند مفارقتكم ايانا فينعم بعضهم ببعض واعلم ان الراحة والرحمة مطلقة فى الجنة كلها وان كانت الرحمة ليست بأمر وجودى وانما هى عبارة عن الامر الذى يلتذ ويتنعم به المرحوم وذلك هو الامر الوجودى فكل من فى الجنة متنعم وكل ما فيها نعيم لحركتهم ما فيها نصب وأعمالهم ما فيها لغوب الا راحة النوم ما عندهم لانهم ما ينامون فما عندهم من نعيم النوم شئ ونعيم النوم هو الذى يتنعم به أهل النار خاصة فراحة النوم محلها جهنم ومن رحمة الله بأهل النار فى أيام عذابهم خمود النار عنهم ثم تسعر بعد ذلك عليهم فيخفف عنهم بذلك من آلام العذاب على قدر ما خبت النار قال تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا وهذا يدلك ان النار محسوسة بلا شك فان النار ما تتصف بهذا الوصف الا من كون قيامها بالاجسام لان حقيقة النار لا تقبل هذا الوصف من حيث ذاتها ولا الزيادة ولا النقص وانما هو الجسم المحرق بالنار هو الذى يسعر بالنارية وان حملنا هذه الآية على الوجه الآخر قلنا قوله تعالى كلما خبت يعنى النار المسلطة على أجسامهم زدناهم يعنى المعذبين سعيرا فانه لم يقل زدناها ومعنى ذلك ان العذاب ينقلب الى بواطنهم وهو أشد العذاب الحسى يشغلهم عن العذاب المعنوى فاذا خبت النار فى ظواهرهم ووجدوا الراحة من حيث حسهم سلط الله عليهم فى بواطنهم التفكر فيما كانوا فرطوا فيه من الامور التى لو عملوا بها لنالوا السعادة وتسلط عليهم الوهم بسلطانه فيتوهمون عذابا أشد مما كانوا فيه فيكون عذابهم بذلك التوهم فى نفوسهم أشد من حلول العذاب المقرون بتسلط النار المحسوسة على أجسامهم وتلك النار التى أعطاها الوهم هى النار التى تطلع

على الافئدة وهى التى قلنا فيها النار ناران نار كاها لهب * ونار معنى على الارواح تطلع
وهى التى ماالهاسفع ولا لهب * لكن لهاألم فى القلب ينطبع

وكذلك أهل الجنة يعطيهم الله من الامانى والنعيم المتوهم فوق ماهم عليه فماهو الاان الشخص منهم يتوهم ذلك أو يتمناه فيكون فيه بحسب مايتوهمه ان تمناه معنى كان معنى أو توهمه حسا كان محسوسا أى ذلك كان وذلك النعيم من جنات الاختصاص ونعيمها وهو جزاء لمن كان يتوهم هنا ويتمنى ان لوقدر وتمكن أن يكون ممن لا يعصى الله طرفة عين وأن يكون من أهل طاعته وأن يلحق بالصالحين من عباده ولكن قصرت به العناية فى الدنيا فيعطى هذا التمنى فى الجنة فيكون له ماتمناه وتوهمه وأراحه الله فى الدنيا من تلك الاعمال الشاقة ولحق فى الآخرة بأصحاب تلك الاعمال فى الدرجات العلى وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرجل الذى لاقوة له ولا مال له فيرى رب المال الموفق يتصدق ويعطى فى فك الرقاب ويوسع على الناس ويصل الرحم ويبنى المساجد ويعمل أعمالا لا يمكن أن يصل اليها الارب المال ويرى أيضا من هو أجلد منه على العبادات التى ليس فى قوة جسمه أن يقوم بها ويتمنى انه لو كان له مثل صاحبه من المال والقوة لعمل مثل عمله قال صلى الله عليه وسلم فهما فى الأجر سواء ومعنى ذلك انه يعطى فى الجنة مثل ذلك التمنى من النعيم الذى أنتجته تلك الاعمال فيكون له ماتمنى وهو أقوى فى اللذة والتنعم مما لو وجده فى الجنة قبل هذا التمنى فلما انفعل عن تمنيه كان النعيم به أعلى فمن جنات الاختصاص ماخلق الله له من همته وتمنيه فهو اختصاص عن عمل معقول متوهم وتمن لم يكن له وجود ثمرة فى الدنيا وهو الذى عنينا بالاختصاص فى قولنا

مراتب الجنة مقسومة * مابين أعمال وبين اختصاص
فياأولى الالباب سبقا على * نجب من أعمالكم لامناص
ان بلى لم تعط أطفالنا * من أثر الاعمال غير الخلاص
لانه لم يك شرعا لهم * فهو اختصاص ماالديه انتقاص

فأردنا بالاختصاص الثانى مالا يكون عن تمن ولا توهم وأردنا بالاختصاص الاول ما يكون عن تمن وتوهم الذى هو جزاء عن تمن وتوهم فى الدنيا وأما الامانى المذمومة فهى التى لا يكون لها ثمرة ولكن صاحبها يتنعم بها فى الحال كما قيل

أمانى ان تحصل تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

ولكن تكون حسرة فى المآل وفيها قال الله تعالى وغرتكم الامانى حتى جاء أمر الله وفيها يقال أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا لانه لامفاضلة بين الخير والشر فما كان خيرا أصحاب الجنة أفضل وأحسن الامن كونه واقعا وجوديا محسوسا فهو أفضل من الخير الذى كان الكافر يتوهمه فى الدنيا ويظن انه يصل اليه بكفره لجهله فلهذا قال فيه خير وأحسن فأتى ببنية المفاضلة وهى أفعل من كذا فافهم هذا المعنى والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿الباب السادس والستون فى معرفة سر الشريعة ظاهرا وباطنا وأى اسم الهى أوجدها﴾

طلب الجليل من الجليل جلالا * فأبى الجليل يشاهد الاجلالا
لما رأى عز الاله وجوده * عبد الاله يصاحب الادلالا
وقد اطمأن بنفسه متعززا * متجبرا متكبرا مختالا
أنهى اليه شريعة معصومة * فأذاله سلطانها اذلالا
نادى العبيد بفاقة وبذلة * يامن تبارك جده وتعالى

قال الله عز وجل قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وقال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فاعلم ان الاسماء الالهية لسان حال تعطيها الحقائق فاجعل بالك لما تسمع ولا تتوهم الكثرة ولا الاجتماع الوجودى وانما أورد فى هذا الباب ترتيب حقائق معقولة كثيرة من جهة النسب لامن جهة وجود عينى فان ذات الحق واحدة من حيث ماهى ذات ثم انه لما علمنا من وجودنا وافتقارنا وامكاننا انه لابد لنا من

مرجح نستند اليه وان ذلك المستند لابد أن يطلب وجودنا منه نسبا مختلفة كنى الشارع عنها بالاسماء الحسنى فسمى بها من كونه متكلما فى مرتبة وجوبية وجوده الالهى الذى لا يصح أن يشارك فيه فانه اله واحد لا اله غيره فأقول بعد هذا التقرير فى ابتداء هذا الامر والتأثير والترجيح فى العالم الممكن ان الاسماء اجتمعت بحضرة المسمى ونظرت فى حقائقها ومعانيها فطلبت ظهور أحكامها حتى تتميز أعيانها بآثارها فان الخالق الذى هو المقدر والعالم والمدبر والمفصل والبارى والمصور والرزاق والمحيى والمميت والوارث والشكور وجميع الاسماء الالهية نظروا فى ذواتهم ولم يروا مخلوقا ولا مدبرا ولا مفصلا ولا مصورا ولا مرزوقا فقالوا كيف العمل حتى تظهر هذه الاعيان التى تظهر أحكامنا فيها فيظهر سلطاننا فلجأت الاسماء الالهية التى تطلبها بعض حقائق العالم بعد ظهور عينه الى الاسم البارى فقالوا له عسى توجد هذه الاعيان لتظهر أحكامنا ويثبت سلطاننا اذ الحضرة التى نحن فيها لا تقبل تأثيرنا فقال البارى ذلك راجع الى الاسم القادر فانى تحت حيطته وكان أصل هذا ان الممكنات فى حال عدمها سألت الاسماء الالهية سؤال حال ذلة وافتقار وقالت لها ان العدم قد أعمانا عن ادراك بعضنا بعضا وعن معرفة ما يجب لكم من الحق علينا فلو أنكم أظهرتم أعياننا وكسوتمونا حلة الوجود أنعمتم علينا بذلك وقمنا بما ينبغى لكم من الاجلال والتعظيم وأنتم أيضا كانت السلطنة تصح لكم فى ظهورنا بالفعل واليوم أنتم علينا سلاطين بالقوة والصلاحية فهذا الذى نطلبه منكم هو فى حقكم أكثر منه فى حقنا فقالت الاسماء ان هذا الذى ذكرته الممكنات صحيح فتحركوا فى طلب ذلك فلما لجؤا الى الاسم القادر قال القادر أنا تحت حيطة المريد فلا أوجد عينا منكم الا باختصاصه ولا يمكننى الممكن من نفسه الا أن يأتيه أمر الآمر من ربه فاذا أمره بالتكوين وقال له كن مكننى من نفسه وتعلقت بايجاده فكونته من حينه فالجؤا الى الاسم المريد عسى أنه يرجح ويخصص جانب الوجود على جانب العدم فحينئذ نجتمع أنا والآمر والمتكلم ونوجدكم فلجؤا الى الاسم المريد فقالوا له ان الاسم القادر سألناه فى ايجاد أعياننا فأوقف أمر ذلك عليك فما ترسم فقال المريد صدق القادر ولكن ما عندى خبر ما حكم الاسم العالم فيكم هل سبق علمه بايجادكم فنخصص أو لم يسبق فأنا تحت حيطة الاسم العالم فسيروا اليه واذكروا له قضيتكم فساروا الى الاسم العالم وذكروا ما قاله الاسم المريد فقال العالم صدق المريد وقد سبق علمى بايجادكم ولكن الادب أولى فان لنا حضرة مهيمنة علينا وهى الاسم الله فلا بد من حضورنا عنده فانها حضرة الجمع فاجتمعت الاسماء كلها فى حضرة الله فقال ما بالكم فذكروا له الخبر فقال أنا اسم جامع لحقائقكم وانى دليل على مسمى وهو ذات مقدسة له نعوت الكمال والتنزيه فقفوا حتى أدخل على مدلولى فدخل على مدلوله فقال له ما قالته الممكنات وما تحاورت فيه الاسماء فقال اخرج وقل لكل واحد من الاسماء يتعلق بما تقتضيه حقيقته فى الممكنات فانى الواحد لنفسى من حيث نفسى والممكنات انما تطلب مرتبتى وتطلبها مرتبتى والاسماء الالهية كلها للمرتبة لا لى الا الواحد خاصة فهو اسم خصيص بى لا يشاركنى فى حقيقته من كل وجه أحد لا من والاسماء ولا من المراتب ولا من الممكنات فخرج الاسم الله ومعه الاسم المتكلم يترجم عنه للممكنات والاسماء فذكر لهم ما ذكره المسمى فتعلق العالم والمريد والقائل والقادر فظهر الممكن الاول من الممكنات بتخصيص المريد وحكم العالم فلما ظهرت الاعيان والآثار فى الاكوان وتسلط بعضها على بعض وقهر بعضها بعضا بحسب ما تستند اليه من الاسماء فأدى الى منازعة وخصام فقالوا انا نخاف علينا أن يفسد نظامنا ونلحق بالعدم الذى كنا فيه فنبهت الممكنات الاسماء بما ألقى اليها الاسم العليم والمدبر وقالوا أنتم أيها الاسماء لو كان حكمكم على ميزان معلوم وحد مرسوم بامام ترجعون اليه يحفظ علينا وجودنا ونحفظ عليكم تأثيراتكم فينا لكان أصلح لنا ولكم فالجؤا الى الله عسى يقدم من يحد لكم حدا تقفون عنده والا هلكنا وتعطلتم فقالوا هذا عين المصلحة وعين الرأى ففعلوا ذلك فقالوا ان الاسم المدبر هو ينهى أمركم فانهوا الى المدبر الامر فقال أنا لها فدخل وخرج بأمر الحق الى الاسم الرب وقال له افعل ما تقتضيه المصلحة فى بقاء أعيان هذه الممكنات فاتخذ وزيرين يعينانه على ما أمر به الوزير الواحد الاسم المدبر والوزير الآخر المفصل قال تعالى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون الذى هو الامام فانظر ما أحكم كلام الله تعالى حيث جاء بلفظ مطابق للحال الذى ينبغى أن يكون الامر عليه فحد الاسم الرب

لهم الحدود ووضع لهم المراسم لاصلاح المملكة وليبلوهم أيهم أحسن عملا وجعل الله ذلك على قسمين قسم يسمى سياسة حكمية ألقاها في فطر نفوس الاكابر من الناس فحدوا حدودا ووضعوا نواميس بقوة وجدوها في نفوسهم كل مدينة وجهة واقليم بحسب ما يقتضيه مزاج تلك الناحية وطباعهم لعلمهم بما تعطيه الحكمة فانحفظت بذلك أموال الناس ودماؤهم وأهلوهم وأرحامهم وأنسابهم وسموها نواميس ومعناها أسباب خير لان الناموس في العرف الاصطلاحي هو الذي يأتي بالخير والجاسوس يستعمل في الشر فهذه هي النواميس الحكمية التي وضعها العقلاء عن الهام من الله من حيث لا يشعرون اصالح العالم ونظمه وارتباطه في مواضع لم يكن عندهم شرع الهي منزل ولا علم لواضع هذه النواميس بأن هذه الامور مقربة الى الله ولا تورث جنة ولا نارا ولا شيأ من أسباب الآخرة ولا علموا أن ثم آخرة و بعثا محسوسا بعد الموت في أجسام طبيعية ودارا فيها أكل وشرب ولباس ونكاح وفرح ودارا فيها عذاب وآلام فان وجود ذلك ممكن وعدمه ممكن ولا دليل لهم في ترجيح أحد الممكنين بل رهبانية ابتدعوها فلهذا كان مبنى نواميسهم ومصالحهم على ابقاء الصلاح في هذه الدار ثم انفردوا في نفوسهم بالعلوم الالهية من توحيد الله وما ينبغي لجلاله من التعظيم والتقديس وصفات التنزيه وعدم المثل والشبيه ونبه من يدري ومن علم ذلك من لا يدري وحرضوا الناس على النظر الصحيح وأعلموهم أن للعقول من حيث أفكارها حدا تقف عنده لا تتجاوزه وأن لله على قلوب بعض عباده فيضا الهيا يعلمهم فيه من لدنه علما ولم يبعد ذلك عندهم وان الله قد أودع في العالم العلوي أمورا استدلوا عليها بوجود آثارها في العالم العنصري وهو قوله تعالى وأوحى في كل سماء أمرها فبحثوا عن حقائق نفوسهم لما رأوا أن الصورة الجسدية اذا ماتت ما نقص من أعضائها شئ فعلموا أن المدرك والمحرك لهذا الجسد انما هو أمر آخر زائد عليه فبحثوا عن ذلك الامر الزائد فعرفوا نفوسهم ثم رأوا أنه يعلم بعد ما كان يجهل فعلموا أنها وان كانت أشرف من أجسادها فان الفقر والفاقة يصحبها فاعتلوا بالنظر من شئ الى شئ وكلما وصلوا الى شئ رأوه مفتقرا الى شئ آخر حتى انتهى بهم النظر الى شئ لا يفتقر الى شئ ولا مثله شئ ولا يشبه شيأ ولا يشبهه شئ فوقفوا عنده وقالوا هذا هو الاول و ينبغي أن يكون واحدا لذاته من حيث ذاته وان أوليته لا تقبل الثاني ولا أحديته لانه لا شبه له ولا مناسب فوحدوه توحيد وجود ثم لما رأوا أن الممكنات لا نفسها لا تترجح لذاتها علموا أن هذا الواحد أفادها الوجود فافتقرت اليه وعظمته بأن سلبت عنه جميع ما تتصف ذواتها به فهذا حد العقل فبيناهم كذلك اذ قام شخص من جنسهم لم يكن عندهم من المكانة في العلم بحيث أن يعتقدوا فيه أنه ذو فكر صحيح ونظر صائب فقال لهم أنا رسول الله اليكم فقالوا الانصاف أولى انظروا في نفس دعواه هل ادعى ما هو ممكن أو ادعى ما هو محال فقالوا انه قد ثبت عندنا بالدليل ان لله فيضا الهيا يجوز أن يخصه من يشاء كما أفاض ذلك على أرواح هذه الافلاك وهذه العقول والكل قد اشتركوا في الامكان وليس بعض الممكنات بأولى من بعض فيما هو ممكن فما بقي انا نظر الا في صدق هذا المدعى أو كذبه ولا نقدم على شئ من هذين الحكمين بغير دليل فانه سوء أدب مع علمنا فقالوا هل لك دليل على صدق ما تدعيه فجاءهم بالدلائل فنظروا في دلالته وفي أدلته ونظروا ان هذا الشخص ما عنده خبر مما تنتجه الافكار ولا عرف منه فعلموا ان الذي أوحى في كل سماء أمرها كان مما أوحاه في كل سماء وجود هذا الشخص وما جاء به فأسرعوا اليه بالايمان به وصدقوه وعلموا أن الله قد أطلعه على ما أودعه في العالم العلوي من المعارف ما لم تصل اليه أفكارهم ثم أعطاه من المعرفة بالله ما لم يكن عندهم ورأوا نزوله في المعارف بالله الى العامي الضعيف الرأي بما يصلح لعقله من ذلك والى الكبير العقل الصحيح النظر بما يصلح لعقله من ذلك فعلموا أن الرجل عنده من الفيض الالهي ما هو وراء طور العقل وان الله قد أعطاه من العلم به والقدرة عليه ما لم يعطه اياهم فقالوا بفضله وتقدمه عليهم وآمنوا به وصدقوه واتبعوه فعين لهم الافعال المقربة الى الله تعالى وأعلمهم بما خلق الله من الممكنات فيما غاب عنهم وما يكون منه سبحانه فيهم في المستقبل وجاءهم بالبعث والنشور والحشر والجنة والنار ثم انه تتابعت الرسل على اختلاف الازمان واختلاف الاحوال وكل واحد منهم يصدق صاحبه ما اختلفوا قط في الاصول التي استندوا اليها وعبروا عنها وان اختلفت الاحكام فنزلت الشرائع ونزلت الاحكام وكان الحكم بحسب الزمان والحال كما قال تعالى

لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فاتفقت أصولهم من غير خلاف في شيء من ذلك وفرقوا في هذه السياسات النبوية المشروعة من عند الله بينها وبين ما وضعت الحكماء من السياسات الحكمية التي اقتضاها نظرهم وعلموا أن هذا الامر أتم وانه من عند الله بلا شك فقبلوا ما أعلمهم به من الغيوب وآمنوا بالرسل وما عاند أحد منهم الامن لم ينصح نفسه في علمه واتبع هواه وطلب الرياسة على أبناء جنسه وجهل نفسه وقدره وجهل ربه فكان أصل وضع الشريعة في العالم وسببها طلب صلاح العالم ومعرفة ما جهل من الله مما لا يقبله العقل أي لا يستقل به العقل من حيث نظره فنزلت بهذه المعرفة الكتب المنزلة ونطقت بها ألسنة الرسل والانبياء عليهم السلام فعلمت العقلاء عند ذلك انها نقصها من العلم بالله أمور تممتها لهم الرسل ولا أعني بالعقلاء المتكلمين اليوم في الحكمة وانما أعني بالعقلاء من كان على طريقتهم من الشغل بنفسه والرياضات والمجاهدات والخلوات والتهيؤ لواردات ما يأتيهم في قلوبهم عند صفائها من العالم العلوي الموحي في السموات العلى فهؤلاء أعني بالعقلاء فان أصحاب الفلسفة والكلام والجدل الذين استعملوا أفكارهم في مواد الالفاظ التي صدرت عن الاوائل وغابوا عن الامر الذي أخذها عنه أولئك الرجال وأما أمثال هؤلاء الذين عندنا اليوم لاقدر لهم عند كل عاقل فانهم يستهزؤن بالدين ويستخفون بعباد الله ولا يعظم عندهم الامن هو معهم على مدرجتهم قد استولى على قلوبهم حب الدنيا وطلب الجاه والرياسة فأذلهم الله كما أذلوا العلم وحقرهم وصغرهم وألجأهم الى أبواب الملوك والولاة من الجهال فأذلتهم الملوك والولاة فامثال هؤلاء لا يعتبر قولهم فان قلوبهم قد ختم الله عليها وأصمهم وأعمى أبصارهم مع الدعوى العريضة انهم أفضل العالم عند نفوسهم فالفقيه المفتي في دين الله مع قلة ورعه بكل وجه أحسن حالا من هؤلاء فان صاحب الايمان مع كونه أخذه تقليدا هو أحسن حالا من هؤلاء العقلاء على زعمهم وحاشى العاقل أن يكون بمثل هذه الصفة وقد أدركنا من كان على حالهم قليلا وكانوا أعرف الناس بمقدار الرسل ومن أعظمهم تبعا لسنن الرسول صلى الله عليه وسلم وأشدهم محافظة على سننه عارفين بما ينبغي لجلال الحق من التعظيم عالمين بما خص الله عباده من النبيين وأتباعهم من الاولياء من العلم بالله من جهة الفيض الالهي الاختصاصي الخارج عن التعلم المعتاد من الدرس والاجتهاد مالا يقدر العقل من حيث فكره أن يصل اليه ولقد سمعت واحدا من أكابرهم وقد رأى مما فتح الله به علي من العلم به سبحانه من غير نظر ولا قراءة بل من خلوة خلوت بها مع الله ولم أكن من أهل الطلب فقال الحمد لله الذي أنا في زمان رأيت فيه من آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما فالله يختص من يشاء برحمته والله ذو الفضل العظيم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(الباب السابع والستون في معرفة لا اله الا الله محمد رسول الله وهو الايمان)

شهد الله لم يزل أزلا * انه لا اله الا هو [٧] الله

ثم املاكه بذاك شهدت * انه لا اله الا هو الله

وأولو العلم كلهم شهدوا * انه لا اله الا هو الله

ثم قال الرسول قولوا معي * انه لا اله الا هو الله

أفضل ما قلته وقال به * من قبلنا لا اله الا هو الله

ما عدا الانس كلهم شهدوا * انه لا اله الا هو الله

قال الله جل ثناؤه في كتابه العزيز شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ثم قال ان الدين عند الله الاسلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله الحديث فقال سبحانه وأولوا العلم لم يقل وأولوا الايمان فان شهادته بالتوحيد لنفسه ما هي عن خبر فيكون ايمانا ولهذا الشاهد فيما يشهد به لا يكون الا عن علم والا فلا تصح شهادته ثم انه عز وجل عطف الملائكة وأولي العلم على نفسه بالواو وهو حرف يعطي الاشتراك ولا اشتراك هنا الا في الشهادة قطعا ثم أضافهم الى العلم لا الى الايمان فعلمنا انه أراد من حصل له التوحيد من طريق العلم النظري أو الضروري لا من طريق الخبر كأنه يقول

---

٧ كذا بخطه اشارة الى جواز الامرين لا الجمع بينهما اهـ من هامش الاصل

وشهدت الملائكة بتوحيدى بالعلم الضرورى من التجلى الذى أفادهم العلم وقام لهم مقام النظر الصحيح فى الادلة فشهدت لى بالتوحيد كما شهدت لنفسى وأولو العلم بالنظر العقلى الذى جعلته فى عبادى ثم جاء بالايمان بعد ذلك فى الرتبة الثانية من العلماء وهو الذى يعوّل عليه فى السعادة فان الله به أمر وسميناه علما لكون المخبر هو الله فقال فاعلم انه لا اله الا الله وقال تعالى وليعلموا انما هو اله واحد حين قسم المراتب فى آخر سورة ابراهيم من القرآن العزيز وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصحيح من امات وهو يعلم أنه لا اله الا الله دخل الجنة ولم يقل هنا يؤمن فان الايمان موقوف على الخبر وقد قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد علمنا أن لله عبادا كانوا فى فترات وهم موحدون علما وما كانت دعوة الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة فيلزم أهل كل زمان الايمان فعم بهذا الكلام جميع العلماء بتوحيد الله المؤمن منهم من حيث ما هو عالم به من جهة الخبر الصدق الذى يفيد العلم لا من جهة الايمان وغير المؤمن فالايمان لا يصح وجوده الا بعد مجيء الرسول والرسول لا يثبت حتى يعلم الناظر العاقل أن ثم الها وان ذلك الاله واحد لابدّ من ذلك لان الرسول من جنس من أرسل اليهم فلا يختص واحد من الجنس دون غيره الا لعدم المعارض وهو الشريك فلا بدّ أن يكون عالما بتوحيد من أرسله وهو الله تعالى ولا بد أن يتقدمه العلم بأن هذا الاله هو على صفة يمكن أن يبعث رسولا بنسبة خاصة ما هى ذاته وحينئذ ينظر فى صدق دعوى هذا الرسول انه رسول من عند الله لامكان ذلك عنده وهذه فى العلم مراتب معقولة يتوقف العلم ببعضها على بعض وليس هذا كله حظ المؤمن فان مرتبة الايمان وهو التصديق بأن هذا رسول من عند الله لا تكون الا بعد حصول هذا العلم الذى ذكرناه فاذا جاءت الدلالات على صدقه بأنه رسول الله لا بتوحيد مرسله حينئذ تتأهب العقلاء أولو الالباب والاحلام والنهى لما يورده فى رسالته هذا الرسول فأول شئ قال فى رسالته ان الله الذى أرسلنى يقول لكم قولوا لا اله الا الله فعلم أولو الالباب أن العالم بتوحيد الله لا يلزمه أن يتلفظ به فلما سمع من الرسول الامر بالتلفظ به وان ذلك ليس من مدلول دليل العلم بتوحيد الله تلفظ به هذا العالم الموحد ايمانا وتصديقا بهذا الرسول فاذا قال العالم لا اله الا الله لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له قل لا اله الا الله عن أمر الله سمى مؤمنا فان الرسول أوجب عليه أن يقولها وقد كان فى نفسه عالما بها ومخيرا فى نفسه فى التلفظ بها وعدم التلفظ بها فهذه مرتبة العالم بتوحيد الله من حيث الدليل فمن مات وهو يعلم انه لا اله الا الله دخل الجنة بلا شك ولا ريب وهو من السعداء فأما من كان فى الفترات فيبعثه الله أمة وحده كقس بن ساعدة لا تابع لانه ليس بمؤمن ولا هو متبوع لانه ليس برسول من عند الله بل هو عالم بالله وبما علم من السكوائن الحادثة فى العالم بأى وجه علمها وليس لمخلوق أن يشرع ما لم يأذن به الله ولا أن يوجب وقوع ممكن من عالم الغيب يجوز خلافه فى دليله على جهة القربة الى الله الا بوحى من الله واخبار وهنا نكت لمن له قلب وفطنة لقوله تعالى وأوحى فى كل سماء أمرها وقوله انه أودع اللوح المحفوظ جميع ما يجرى به فى خلقه الى يوم القيامة ومما أوحى الله فى سمواته وأودعه فى لوحه بعثة الرسل فتؤخذ من اللوح كشفا واطلاعا وتؤخذ من السماء نظرا واختبارا وعلمهم ببعثة الرسل علمهم بما يجيئون به من القربات الى الله وبأزمانهم وأمكنتهم وحلاهم وما يكون من الناس بعد الموت وما يكون منهم فى البعث والحشر وما آلهم الى السعادة والشقاء من جنة ونار وان الله جعل بروج الفلك ومنازله وسباحة كواكبه أدلة على حكم ما يجرى به الله فى العالم الطبيعى والعنصرى من حرّ وبرد ويبس ورطوبة فى حار وبارد ورطب ويابس فمنها ما يقتضى وجود الاجسام فى حركات معلومة ومنها ما يقتضى وجود الارواح ومنها ما يقتضى بقاء مدّة السموات وهو العلم الذى أشار اليه أبو طالب المكى من أن الفلك يدور بأنفاس العالم ومع رؤيتهم لذلك كلهم فيه متفاضلون بعضهم على بعض فمنهم الكامل المحقق المدقق ومنهم من ينزل عن درجته بالتفاضل فى النزول وقد رأينا جماعة من أصحاب خط الرمل والعلماء بمقادير حركات الافلاك وتسيير كواكبها والاقترانات ومقاديرها ومنازل اقتراناتها وما يحدث الله عند ذلك من الحكم فى خلقه كالاسباب المعتادة فى العامة التى لا يجهلها أحد ولا يكفر القائل بها فهذه أيضا معتادة عند العلماء بها فانها تعطى بحسب تأليف طباعها ما لا يعطيه حالها فى غير اقترانها بغيرها فيخبرون بأمور جزئية تقع على حدّ ما أخبروا به وان كان

ذلك

ذلك الامر واقعا بحكم الاتفاق بالنظر اليه وان كان علما فى نفس الامر فان الناظر فيه ماهو على يقين وان قطع به فى نفسه لغموض الامر فما يصح أن يكون مع الانصاف على يقين من نفسه انه مافاتته دقيقة فى نظره ولا فات لمن مهد له السبيل قبله من غير نبى يخبر عن الله فان المتأخر على حساب المتقدم يعممه فلما رأينا ذلك علمنا أن لله أسرارا فى خلقه ومن حصل فى هذه المرتبة من العلم لم يكن أحد أقوى فى الايمان منه بما جاءت به الرسل وما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله الامن يدعو الى الله على بصيرة كالرسول وأتباعه وان كلامنا فى المفاضلة انما هو بين هؤلاء وبين المؤمنين أهل التقليد لابين الرسل وأولياء الله وخاصته الذين تولى الله تعليمهم فآتاهم رحمة من عنده وعلمهم من لدنه علما فهم فيما علموه بحكم القطع لا بحكم الاتفاق يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى علم الخط ان نبيا من الانبياء بعث به قيل هو ادريس عليه السلام فأوحى الله اليه فى تلك الاشكال التى أقامها الله له مقام الملك لغيره وكما يجىء الملك من غير قصد من النبى لمجيئه كذلك يجىء شكل الخط من غير قصد الضارب صاحب الخط اليه وهذه هى الامهات خاصة ثم شرع له أن يشرع وهى السنة التى يرى الرسول أن يضعها فى العالم وأصلها الوحى كذلك ما يولد صاحب الخط عن الامهات من الاولاد وأولاد الاولاد فتفصح له تلك الاشكال عن الامر المطلوب على ماهو عليه والضمير فيه كالنية فى العمل فلا يخطئ قال عليه السلام فى العلماء العالمين بالخط فمن وافق خطه يعنى خط ذلك النبى فذاك يقول فقد أصاب الحق فهذا مثل من يدعو الى الله على بصيرة من اتباع الرسل فقوله فان وافق فما جعله علما عنده لكونه لا يقطع به وان كان علما فى نفس الامر فهذا الفرق بين هؤلاء وبين من يدعو الى الله على بصيرة ومن هو على بينة من ربه فاعلم العلماء بالله بعد ملائكة الله رسل الله وأولياؤه ثم العلماء بالادلة ومن دونهم وان وافق العلم فى نفس الامر فليس هو عند نفسه بعالم للتردد الامكانى الذى يجده فى نفسه المنصف فما هو مؤمن الا بما جاء فى كتاب الله على التعيين وما جاء عن رسوله على الجملة لا على التفصيل الا ما حصل له من ذلك تواترا ولهذا قيل للمؤمنين آمنوا بالله ورسوله فقد بانت لك مراتب الخلق فى العلم بالله فاذا جاء الرسول وبين يديه العلماء بالله وغير العلماء بالله وقال للجميع قولوا لا اله الا الله علمنا على القطع أنه صلى الله عليه وسلم فى ذلك القول معلم لمن لا علم له بتوحيد الله من المشركين وعلمنا انه فى ذلك القول أيضا معلم للعلماء بالله وتوحيده ان التلفظ به واجب وانه العاصم لهم من سفك دمائهم وأخذ أموالهم وسبى ذراريهم ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله ولم يقل حتى يعلموا فان فيهم العلماء فالحكم هنا للقول لا للعلم والحكم يوم تبلى السرائر فى هذا للعلم لا للقول فقالها هنا العالم والمؤمن والمنافق الذى ليس بعالم ولا مؤمن فاذا قالوا هذه الكلمة عصموا دماءهم وأموالهم الا بحقها فى الدنيا والآخرة وحسابهم على الله فى الآخرة من أجل المنافق ومن ترتب عليه حق لاحد فلم يؤخذ منه وأما فى الدنيا فمن أجل الحدود الموضوعة فان قول لا اله الا الله لا يسقطها فى الدنيا ولا فى الآخرة وأما حسابهم على الله فى الآخرة يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم فيعلمون بقرينة الحال انه سؤال واستفهام عن اجابتهم بالقلوب فيقولون لا علم لنا أى لم نطلع على القلوب انك أنت علام الغيوب تأكيد وتأييد لما ذكرنا ثم قال صلى الله عليه وسلم من اسمه الملك بنى الاسلام على خمس فصيره ملكا فشهادة أن لا اله الا الله وهى القلب وأن محمدا رسول الله حاجب الباب واقام الصلاة المجنبة اليمنى وايتاء الزكاة المجنبة اليسرى وصيام رمضان المقدمة والحج الساقة وربما كانت الصلاة المقدمة لكونها نورا فهى تحجب الملك وقد ورد فى الخبر ان حجابه النور وتكون الزكاة الميمنة لانها انفاق يحتاج الى قوة لاخراج ما كان يملكه عن ملكه ويكون الحج الميسرة لما فيه من الانفاق والقرابين حيث تجتمع بالزكاة فى الصدقة والهدية وكلاهما من أعمال الايدى ويكون الصوم فى الساقة فان الخلف نظير الامام وهو ضياء فان الصبر ضياء يريد الصوم والضياء من النور فهو أولى بالساقة للموازنة فان الآخر يمشى على أثر الاول وهكذا يكون الايمان الالهى يوم القيامة فيأتى الايمان يوم القيامة فى صورة ملك على هذه الصفة فأهل لا اله الا الله فى القلب وأهل الصلاة فى المقدمة وأهل الزكاة وهى الصدقة فى الميمنة وأهل الحج فى الميسرة وأهل الصيام فى الساقة جعلنا الله ممن قام بناء بيته على هذه القواعد

فكان بيته الايمان وحده من القبلة الصلاة ومن الشمال الصوم ومن الغرب الصدقة السر ومن الشرق الحج فاقد سعد سا كنه واعلم أن لا اله الا الله كلمة نفي واثبات وهي أفضل كلمة قالها الانبياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة فيه اشارة لدعاء العارفين بالله وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وهو حديث صحيح رواية ومعنى فالنفي لابد أن يرد على ثابت فينفيه فانه ان ورد النفي على ما ليس بثابت وهو النفي أثبته لان ورود النفي على النفي اثبات كان عدم العدم وجود فانفي هذا النافي بقوله لا اله آخر ونافذا استفهمنا كم وا ثبت أيضا هل حكمه حكم النفي من أنه لا يثبت الا المنفي أو حكمه حكم آخر يتميز به عن حكم النفي فاي شئ نفي هذا النافي وأي شئ أثبت هذا المثبت هذا كله لابد من تحقيقه ان شاء الله فاعلم ان النفي ورد على أعيان من المخلوقات لما وصفت بالالوهية ونسبت اليها وقيل فيها آلهة وهذا التعجب من تعجب من المشركين لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله الواحد فاخبرنا الله عنه انه قال أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب فسموها آلهة وهي ليست بهذه الصفة فورد حكم النفي على هذه النسبة الثابتة عندهم اليها لا في نفس الامر لا على نفي الالوهية لانه لو نفي النفي لكان عين الاثبات لما زعمه المشرك فكأنه يقول للمشرك هذا القول الذي قلت لا يصح أي ما هو الامر كما زعمت ولابد من اله وقد انتفت الكثرة من الآلهة بحرف الايجاب الذي هو قوله الا وأوجبوا هذه النسبة الى المذكور بعد حرف الايجاب وهو مسمى الله فقالوا لا اله الا الله فلم تثبت نسبة الالوهة لله باثبات المثبت لانه سبحانه اله لنفسه فأثبت المثبت بقوله الا الله هذا الامر في نفس من لم يكن يعتقد انفراده سبحانه بهذا الوصف فان ثبت المثبت محال وليس نفي المنفي بمحال فعلى الحقيقة ما عبده المشرك الا الله لانه لولم يعتقد الالوهة في الشريك ما عبده وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه ولذلك غار الحق لهذا الوصف فعاقبهم في الدنيا اذ لم يحترموه ورزقهم وسمع دعاءهم وأجابهم اذا سألوا الههم في زعمهم لعلمه سبحانه انهم ما لجؤا الا لهذه المرتبة وان أخطؤا في النسبة فشقوا في الآخرة شقاء الأبد حيث نبههم الرسول على توحيد من تجب له هذه النسبة فلم ينظروا ولا نصحوا نفوسهم ولهذا كانت دلالة كل رسول بحسب ما كان الغالب على أهل زمانه لتقوم عليهم الحجة فتكون لله الحجة البالغة فعمت هذه الكلمة مرتبة العدم والوجود فلم تبق مرتبة الا وهي داخلة تحت النفي والاثبات فلها الشمول فمن قائل لا اله الا الله بنفسه ومن قائل لا اله الا الله بنعته ومن قائل لا اله الا الله بربه ومن قائل لا اله الا الله بنعت ربه ومن قائل لا اله الا الله بحاله ومن قائل لا اله الا الله بحكمه وهو المؤمن خاصة والخمسة الباقون ما لهم في الايمان مدخل أما من قال لا اله الا الله بنفسه فهو الذي قالها من تجليه لنفسه فرأى استفادة وجوده من غيره فاعطته رؤية نفسه أن يقول لا اله الا الله وهو التوحيد الذاتي الذي أشارت اليه طائفة من المحققين وأما القائل لا اله الا الله بنعته فهو الذي وحده بعلمه فان نعته العلم بتوحيد الله وأحديته فنطقه علمه والفرق بينه وبين الاول ان الاول عن شهود وهذا الثاني عن وجود والوجود قد يكون عن شهود وقد لا يكون وأما القائل لا اله الا الله بربه فهو الذي رأى ان الحق عين الوجود لا أمر آخر وأن اتصاف الممكنات بالوجود هو ظهور الحق لنفسه باعيانها وذلك ان استفادتها الوجود لها من الله انما هو من حيث وجوده فان الوجود المستفاد وهو الظاهر وهو عين الحكم به على هذه الاعيان فقال لا اله الا الله بربه وأما القائل لا اله الا الله بنعت ربه فانه رأى ان الحق سبحانه من حيث أحديته وذاته ما هو مسمى الله والرب فانه لا يقبل الاضافة ورأى أن مسمى الرب يقتضي المربوب ومسمى الله يطلب المألوه ورأى انهم لما استفادوا منه الوجود ثبت له اسم الرب اذ كان المربوب يطلبه فالمربوب أصل في ثبوت الاسم الرب ووجود الحق أصل في وجود الممكنات ورأى أن لا اله الا الله لا تطلبه عين الذات فقال لا اله الا الله بنعت الرب الذي نعته به المربوب فالعلم بنا أصل في علمنا به يقول عليه السلام من عرف نفسه عرف ربه فوجودنا موقوف على وجوده والعلم به موقوف على العلم بنا فهو أصل في وجه ونحن أصل في وجه وأما القائل لا اله الا الله بحاله فهو الذي يستند في أموره الى غير الله فاذا لم يتفق له حصول ما طلب تحصيله ممن استند اليه وسدت الابواب في وجهه من جميع الجهات رجع الى الله اضطرارا فقال لا اله الا الله بحاله وهؤلاء الاصناف كلهم لا يتصفون بالايمان لانه ما فيهم من قالها عن تقليد وأما من قال لا اله الا الله بحكمه فهو الذي قالها لقول الشارع حيث

أوجب عليه أن يقولها وحكم عليه أن يقولها ولولا هذا الحكم ما قالها على جهة القربة الى الله ور بما لو قالها قالها معلما أو عالما دخلت على شيخنا أبي العباس العريبي من أهل العليا وكان مستهترا بذكر الاسم الله لا يزيد عليه شيأ فقلت له يا سيدي لم لا تقول لا اله الا الله فقال لي يا ولدي الانفاس بيد الله ما هي بيدي فأخاف أن يقبض الله روحي عند ما أقول لا فأقبض في وحشة النفي وسألت شيخا آخر عن ذلك فقال لي ما رأت عيني ولا سمعت أذني من يقول أنا الله غير الله فلم أجد من أنفي فأقول كما سمعته يقول الله الله وانما تعبدنا بهذا الاسم في التوحيد لانه الاسم الجامع المنعوت بجميع الاسماء الالهية وما نقل انه وقعت من أحد من المعبودين فيه مشاركة بخلاف غيره من الاسماء مثل اله وغيره وبهذا القدر من القول اذا قيل لقول الشارع يثبت الايمان وانما قال الشارع حتى يقولوا الا اله الا الله ولم يقل محمد رسول الله لتضمن هذه الشهادة بالتوحيد الشهادة بالرسالة فان القائل لا اله الا الله لا يكون مؤمنا الا اذا قالها القول رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قالها لقوله فهو عين اثبات رسالته فلما تضمنت هذه الكلمة الخاصة الشهادة بالرسالة لهذا لم يقل قولوا محمد رسول الله وقال في غير القول وهو الايمان والايمان معنى من المعاني ما هو مما يدرك بالحس فقرن بالايمان بالله الايمان به وبما جاء به يعني من عنده مما له أن يشرعه من غير نقل عن الله فقال في حديث ابن عمر لما ذكر الايمان بالله وبالصلاة والزكاة والحج والصوم وكل هذا جاء من عند الله قال في حديث ابن عمر أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به من أجل المنافق المقلد فانه يقولها من غير ايمان بقلبه ولا اعتقاد والجاحد المنافق يقولها لا لقوله مع علمه بأنه رسول الله من كتابه لا من دليله العقلي واعلم ان التلفظ بشهادة الرسالة المقرونة بشهادة التوحيد فيه سر الهي عرفنا به الحق سبحانه وهو ان الاله الواحد الذي جاء بوصفه ونعته الشارع ما هو التوحيد الالهي الذي أدركه العقل فان ذلك لا يقبل اقتران الشهادة بالرسالة مع الشهادة بالتوحيد فهذا التوحيد من حيث ما يعلمه الشارع ما هو التوحيد من حيث ما أثبته النظر العقلي واذا كان الاله الذي دعانا الشرع الى عبادته وتوحيده انما هو في رتبة كونه الها لا في ذاته صح أن تنعته بما نعته به من النزول والاستواء والمعية والتردد والتبرم وما أشبه ذلك من الصفات التي لا يقبلها توحيد العقل المحض المجرد عن الشرع فهذا المعبود ينبغي أن تقرن شهادة الرسول برسالته بشهادة توحيد مرسله ولهذا يضاف اليه فيقال أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله كل يوم ثلاثين مرة في أذان الخمس الصلوات وفي الاقامة واتلفظون بهذه الشهادة الرسالية التفصيل فيهم كالتفصيل في شهادة التوحيد فلنمش بها على ذلك الاسلوب من المراتب وفي الايمان بالله وبرسوله الايمان بكل ما جاء به من عند الله ومن عنده مما سنه وشرعه ويدخل فيما سنه الايمان بسنة من سن سنة حسنة فاستقر الشرع وحدوث العبادة المرغب فيها مما لا ينسخ حكما ثابتا الى يوم القيامة وهذا الحكم خاص بهذه الامة وأعني بالحكم تسميتها سنة تشريفا لهذه الامة وكانت في حق غيرهم من الامم السابقة تسمى رهبانية قال تعالى ورهبانية ابتدعوها فمن قال بدعة في هذه الامة مما سماها الشارع سنة فما أصاب السنة الا أن يكون ما بلغه ذلك والاتباع أولى من الابتداع والفرق بين الاتباع والابتداع معقول ولهذا جنح الشارع الى تسميتها سنة وما سماها بدعة لان الابتداع اظهار أمر على غير مثال هذا أصله ولهذا قال الحق تعالى عن نفسه بديع السموات والارض أي موجدها على غير مثال سبق فلو شرع الانسان اليوم أمرا لا أصل له في الشرع لكان ذلك ابتداعا ولم يكن يسوغ لنا الاخذ به فعدل الشارع عن لفظ الابتداع الى لفظ السنة اذ كانت السنة مشروعة وقد شرع الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الاقتداء بهدى الانبياء عليهم السلام والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

انتهى الجزء الثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الثامن والستون في أسرار الطهارة)

تبصر ترى سر الطهارة واضحا * يسيرا على أهل التيقظ والذكا

فكم طاهر لم يتصف بطهارة * اذا جانب البحر المدنى واحتمى
ولو غاص فى البحر الاجاج حياته * ولم يفن عن بحر الحقيقة مازكا
اذا استجمر الانسان وتر افقد مشى * على السنة المثلى حليفا لمن مضى
فان شفع استجماره عاد خاسرا * وفارق من يهواه من باطن الردا
وان غسل الكفين وترا ولم يزل * بخيلا بما يهوى على فطرة الاولى
فما غسلت كف خضيب ومعصم * اذا لم يلح سيف التوكل منتضى
اذا صح غسل الوجه صح حياؤه * وصح له رفع الستور متى يشا
وان لم يمس الماء لمة رأسه * ولا وقعت كفاه فى ساحة القفا
فما انفك من رق العبودية التى * تسخرها الاغيار فى منزل التوى
وان لم ير الكرسى فى غسل رجله * تناقص معنى الطهر للحين واتقى
اذا مضمض الانسان فاه ولم يكن * بريئا من الدعوى وفيا بما أدعى
* ومستنشق ماشم ريح اتصاله * ومستنثر أودى به كبره الردى
صماخاه ماتنفك تطهر ان صغا * الى أحسن الاقوال واكتف واقتفى
وان لبس الجرموق وهو مسافر * على طهره يمسح وفى سره خفا
ثلاثة أيام وان كان حاضرا * بمنزله فالمسح يوم بلا قضا
وفى المسح سر لا أبوح بذكره * ولو قطعت منى المفاصل والكلى
ويتلوه مسح فى الجبائر بين * لكل مريد لم يرد ظاهر الدنا
وان عدم الماء القراح فانه * تيممه يكفيه من طيب الثرى
ويوتره وجها وكفا فان أبى * وصيره شفعا فنعم الذى أتى
اذا أجنب الانسان عم طهوره * كما عمت اللذات أجزاءه العلى
* ألم تر أن الله نبه خلقه * باخراجه بين الترائب والمطا
فذاك الذى أجنى عليه طهوره * ولو غاب بالذات النزيهة ما جنا
فان نسى الانسان ركنا فانه * يعيد ويقضى ماتضمن واحتوى
وان لم يكن ركنا وعطل سنة * فلم يأنس الزلفى ومابلغ المنى
وذلك فى كل العبادات شائع * وليس جهول بالامور كمن درى
فهذا طهور العارفين فان تكن * من أحزابهم تحظى بتقريب مصطفى
اذا كان هذا ظاهر الامر فالذى * توارى عن الابصار أعظم منتشا

اعلم أيدنا الله واياك بروح منه انه لما كانت الطهارة النظافة علمنا انها صفة تنزيه وهى معنوية وحسية طهارة قلب وطهارة أعضاء معينة فالمعنوية طهارة النفس من سفساف الاخلاق ومذمومها وطهارة العقل من دنس الافكار والشبه وطهارة السر من النظر الى الاغيار وطهارة الاعضاء فاعلم ان لكل عضو طهارة معنوية ذكرناها فى كتاب التنزلات الموصلية فى أبواب الطهارة منه وطهارة الحس من الامور المستقذرة التى تستخبثها النفوس طبعا وعادة وهاتان الطهارتان مشروعتان فالطهارة الحسية الظاهرة نوعان النوع الواحد قد ذكرناه وهو النظافة والنوع الآخر افعال معينة مخصوصة فى محال معينة مخصوصة لاحوال موجبة مخصوصة لا يزاد فيها ولا ينقص منها شرعا وهذه الطهارة المذكورة ثلاثة أسماء شرعا وضوء وغسل وتيمم وتكون هذه الطهارة بثلاثة أشياء اثنان مجمع عليهما وواحد مختلف فيه فالمجمع عليهما الماء المطلق والتراب سواء فارق الارض أو لم يفارقها والواحد المختلف فيه فى الوضوء خاصة نبيذ التمر

ومافارق الارض مما ينطلق عليه اسم الارض اذا كان فى الارض فانه مختلف فيه ماعدا التراب كما ذكرناه وهذه الطهارة قد تكون عبادة مستقلة كما قال صلى الله عليه وسلم فيها نور على نور وقد تكون شرطا فى صحة عبادة مشروعة مخصوصة لا تصح تلك العبادة شرعا الا بوجودها والافضلية فالاول كالوضوء على الوضوء نور على نور والثانى لرفع المانع عن فعل العبادة التى لاتصح لا بهذه الطهارة واستباحة فعلها وهو الاصل فى تشريعها ومما تقع به هذه الطهارة ما يكون رافعا للمانع مبيحا للفعل معا وهو الماء بلا خلاف ونبيذ التمر فى الوضوء بخلاف ومنه ماتقع به الاباحة للفعل المعين فى الوقت المفروض وقوعه ولا يرفع المانع بخلاف وهو التراب وعندى انه يرفع المانع فى الوقت ولابد وكون الشارع حكم بالطهارة اذا وجد الماء حكم آخر منه كما عاد حكم المانع بعد ما كان ارتفع وماعدا التراب مما فارق الارض بخلاف قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم بنصب اللام وخفضه الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط ولم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وقال تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وزاى الرجز هنا بدل من السين على قراءة من قرأ الزراط بالزاى وهى لغة قرأ ابن كثير بها أعنى بالسين وحمزة بالزاى وباقى القراء بالصاد سمعت شيخا وكنت أقرأ عليه القرآن يقال له محمد بن خلف بن صاف اللخمى بمسجده المعروف به بقوس الحنية باشبيلية من بلاد الاندلس سنة ثمان وسبعين وخمسمائة فقرأت السراط بالسين لابن كثير فقال لى سأل بعض ناقلى اللغة بعض الاعراب كيف تقول صقر أو سقر فقال له ما أدرى ماتقول ولكنى أظنك تسأل عن الزقر فقال فزادنى لغة ثالثة ما كنت أعرفها قال الفراء الرجس القذر ولاشك ان الماء يزيل القذر والطهور الشرعى يذهب قذر الشيطان قال تعالى وثيابك فطهر قال امرؤ القيس

وان كنت قد ساءتك منى خليقة * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

فكنى بالثوب عن الود والوصلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خبر عن ربه سبحانه ماوسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن ومن أسمائه سبحانه المؤمن فمن تخلق به فقد طهر قلبه لان القلب محل الايمان وكانت السعة الالهية والتجلى الربانى (والطهارة عامة) وهى الغسل للفناء الذى عم ذاته لوجود اللذة بالكون عند الجماع أريها السهى وترينى القمر (وخاصة) وهى الوضوء المخصص ببعض الاعضاء بالاغتسال والمسح وهو تنبيه على مقامات معلومة وتجليات شريفة منها القوة والكلام والتنفس والصدق والتواضع والحياء والسماع والثبات فهذه أعضاء الوضوء وهى مقامات شريفة لها نتائج فى القرب الى الله وهذه الطهارة الروحانية بأحد أمرين اما بسر الحياة أو بأصل النشء الطبيعى العنصرى فالوضوء بسر الحياة لمشاهدة الحى القيوم أو بأصل النشء فى الاب الذى هو أصل الابناء وهو الارض والتراب وليس الا النظر والتفكر فى ذاتك لتعرف من أوجدك فانه أحالك عليك فى قوله تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون وفى قول رسوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه أحالك عليك بالتفصيل وأخفاك عنك بالاجمال لتنظر وتستدل فقال فى التفصيل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وهو آدم عليه السلام هنا ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين وهى نشأة الابناء فى الارحام مساقط النطف ومواقع النجوم فكنى عن ذلك بالقرار المكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما وقدم البدن على التفصيل فان اللحم يتضمن العروق والاعصاب

وفى كل طور له آية * تدل على انى مفتقر

ثم أجمل خلق النفس الناطقة الذى هو بها انسان فى هذه الآية فقال ثم أنشأناه خلقا آخر عرفك بذلك أن المزاج لا أثر له فى لطيفتك وان لم يكن نصا لكن هو ظاهر وأبين منه قوله فسواك فعدلك وهو ماذكره فى التفصيل من التقلب فى الاطوار فقال فى أى صورة ماشاء ركبك فقرنه بالمشيئة فالظاهر انه لو اقتضى المزاج روحا خاصا معينا ماقال

فى أيّ صورة ما شاء وأيّ حرف نكرة مثل حرف ما فانه حرف يقع على كل شئ فأبان لك ان المزاج لا يطلب صورة بعينها ولكن بعد حصولها تحتاج الى هذا المزاج وترجع به فانه بعض فيه من القوى التى لا تدبره الا بها فانه بقواها كالآلات لصانع النجارة أو البناء مثلا اذا هيئت وأتقنت وفرغ منها تطلب بذاتها وحالها صانعا يعمل بها ما صنعت له وما تعين زيدا ولا عمرا ولا خالدا ولا واحدا بعينه فاذا جاء من جاء من أهل الصنعة مكنته لآلة من نفسها تمكينا ذاتيا لا تتصف بالاختيار فيه فجعل يعمل بها ما صنعته بصرف كل آلة لما هيئت له فنها مكملة وهى المخلقة يعنى التامة الخلقة ومنها غير مكملة وهى غير المخلقة فينقص العامل من العمل على قدر ما نقص من جودة الآلة ذلك ليعلم ان الكمال الذاتى لله سبحانه فبين لك الحق مرتبة جسدك وروحك لتنظر وتفتكر فتعتبر أن الله ما خلقك سدى وان طال المدى وأمّا القصد الذى هو النية شرط فى صحة هذا النظر بخلاف قال تعالى فتيمموا صعيدا طيبا أى اقصدوا التراب الذى ما فيه ما يمنع من استعماله فى هذه العبادة من نجاسة ولم يقل ذلك فى طهارة الماء فانه أحال على الماء المطلق لا المضاف فان الماء المضاف مقيد بما أضيف اليه عند العرب فاذا قلت للعربى أعطنى ماء جاء اليك بالماء الذى هو غير مضاف ما يفهم العرب منه غير ذلك وما أرسل رسول ولا أنزل كتاب الا بلسان قومه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنزل القرآن بلسانى لسان عربى مبين يقول تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون فلهذا لم يقل بالقصد فى الماء لانه سرّ الحياة فيعطى الحياة بذاته سواء قصد أم لم يقصد بخلاف التراب فانه ان لم يقصد الصعيد الطيب فليس بنافع لانه جسد كثيف لا يسرى فروحه القصد فان القصد معنى روحانى فافتقر التيمم للقصد الخاص فى التراب أو الارض بخلاف أيضا ولم يفتقر المتوضئ بالماء بخلاف فقال اغسلوا ولم يقل تيمموا ماء طيبا فان قالوا انما الاعمال بالنيات وهى القصد والوضوء عمل قلنا سلمنا ما تقول ونحن نقول به ولكن النية هنا متعلقها العمل لا الماء والماء ما هو العمل والقصد هنالك للصعيد فيفتقر الوضوء بهذا الحديث للنية من حيث ما هو عمل لا من حيث ما هو عمل بماء فالماء هنا تابع للعمل والعمل هو المقصود بالنية وهنالك القصد للصعيد الطيب والعمل به تبع يحتاج الى نية أخرى عند الشروع فى الفعل كما يفتقر العمل بالماء فى الوضوء والغسل وجميع الاعمال المشروعة الى الاخلاص المأمور به وهو النية بخلاف قال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وفى هذه الآية نظر وهذه مسئلة ما حققها الفقهاء على الطريقة التى سلكنا فيها وفى تحقيقها فافهم ولم يقل فى الماء تيمموا الماء فيفتقر الى روح من النية والماء فى نفسه روح فانه يعطى الحياة من ذاته قال تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حىّ فان كل شئ يسبح بحمد الله ولا يسبح الا حىّ فالماء أصل الحياة فى الاشياء ولهذا وقع الخلاف بين علماء الشريعة فى النية فى الوضوء هل هى شرط فى صحته أو ليست بشرط فى صحته والسرّ ما ذكرناه فان قيل ان الامام الذى لا يرى النية فى الوضوء يراها فى غسل الجنابة وكلا العبادتين بالماء وهو سرّ الحياة فيه ما قلنا لما كانت الجنابة ماء وقد اعتبر الشرع الطهارة منه لدنس حكمى فيها لامتزاج ماء الجنابة بباقى الاخلاط وكون الجنابة ماء مستحيلا من دم فشاركت الماء فى سرّ الحياة فما انفرد بقوّة الماء وحده على ازالة حكم الجنابة لما ذكرنا فافتقر الى روح مؤيد له عند الاغتسال فاحتاج الى مساعدة النية فاجتمع حكم النية وهى روح معنوىّ وحكم الماء فأزالا بالغسل حكم الجنابة بلا شك كأبى حنيفة ومن قال بقوله فى هذه المسئلة ومن راعى كون ماء الجنابة لا يقوى قوّة الماء المطلق لانه ماء استحال من دم كماء الجنابة الى ممازجته بالاخلاط ومفارقته اياه بالكثافة والدونية قال قد ضعف ماء الجنابة عن مقاومة الماء المطلق فلم يفتقر عنده الى نية كالحسن بن حىّ والمخالف لهما من العلماء ما تفطن والمارأياه هذان الامامان ومن ذهب مذهبهما فاجعل بالك لما بينته لك ورجح ما شئت (وصل) وبعد أن تحققت هذا فاعلم ان الماء ماآن ماء ملطف مقطر فى غاية الصفاء والتخليص وهو ماء الغيث فانه ماء مستحيل من أبخرة كثيفة فقد أزال التقطير ما كان تعلق به من الكثافة وذلك هو العلم الشرعى اللدنى فانه عن رياضة ومجاهدة وتخليص فطهر به ذاتك لمناجاة ربك والماء الآخر ماء لم يبلغ فى اللطافة هذا المبلغ وهو ماء العيون والانهار فانه ينبع من الاحجار بحسب البقعة التى ينبع بها ويجرى عليها فيختلف طعمه فنه عذب فرات ومنه ملح أجاج ومنه مرّ زعاق وماء الغيث على حالة واحدة

ماء غير خالص سلسال سائغ شرابه وهذه علوم الافكار الصحيحة والعقول فان علوم العقل المستفادة من الفكر يشوبها التغير لانها بحسب مزاج المتفكر من العقلاء لانه لا ينظر الا فى مواد محسوسة كونية فى الخيال وعلى مثل هذا تقوم براهينهم فتختلف مقالاتهم فى الشئ الواحد أو تختلف مقالة الناظر الواحد فى الشئ الواحد فى أزمان مختلفة لاختلاف الامزجة والتخليط والامشاج الذى فى نشأتهم فاختلفت أقاويلهم فى الشئ الواحد وفى الاصول التى يبنون عليها فروعهم والعلم اللدنى الالهى المشروع ذو طعم واحد وان اختلفت مطاعمه فما اختلفت فى الطيب فطيب وأطيب فهو خالص ماشابه كدر لانه تخلص من حكم المزاج الطبيعى وتأثير المنابيع فيه فكانت الانبياء والاولياء وكل مخبر عن الله على قول واحد فى الله ان لم يزد فلا ينقص ولا تخالف يصدق بعضهم بعضا كما لم يختلف ماء السماء حال النزول فليكن اعتمادك وطهورك فى قلبك بمثل هذا العلم وليس الا العلم بالشرع المشبه بماء الغيث وان لم تفعل فما نصحت نفسك وتكون فى ذاتك وطهورك بحسب ما تكون البقعة التى نبع منها ذلك الماء فان فرقت بين عذبه وملحه فاعلم انك سليم الحاسة وهذه مسئلة لم أجد أحدا نبه عليها فان آكل السكر بالحلاوة فى السكر كذلك وفى مرارة الصبر ليس بصحيح ولا يقتضيه الدليل العقلى وقد نبهناك ان تنبهت فانظر ثم بأولى استدرك استعمال علوم الشرع بصحة فى ذاتك وعلوم الاولياء والعقلاء الذين أخذوها عن الله بالرياضات والخلوات والمجاهدات والاعتزال عن فضول الجوارح وخواطر النفوس وان لم تفرق بين هذه المياه فاعلم انك سيئ المزاج قد غلب عليك خلط من اخلاطك فما لنا فيك من حيلة الا ان يتداركك الله برحمته نفسك فاذا استعملت من ماء هذه العلوم فى طهارتك ما دللناك عليه وهو العلم المشروع طهرت صفاتك وروحانيتك به كما طهرت أعضاءك بالماء ونظفتها فأول طهارتك غسل يديك قبل ادخالهما فى الاناء عند قيامك من نوم الليل بلا خلاف ووجوب غسلهما من نوم النهار بخلاف واليد محل القوة والتصريف فطهورهما بعلم لا حول فى اليسرى ولا قوة الا بالله العلى العظيم فى اليمنى واليدان محل القبض والامساك بخلا وشحا فطهرهما بالبسط والانفاق كرما وجودا وسخاء ونوم الليل غفلتك عن علم عالم غيبك ونوم النهار غفلتك عن علم عالم شهادتك فهذا عين تخلقك وتحققك بعالم الغيب والشهادة من الاسماء الحسنى المضافة ثم بعد هذا الاستنجاء والاستجمار والجمع بينهما أفضل من الافراد فهما طهارتان نور فى نور مرغب فيهما سنة وقرآنا فان استنجيت وهو استعمال الماء فى طهارة السوأتين لما قام بهما من الاذى وهما محل الستر والصوم كما هما محل اخراج الخبث والاذى القائم بباطنك وهو ما تعلق بباطنك من الافكار الرديئة والشبه المضلة كما ورد فى الصحيح ان الشيطان يأتى الى الانسان فى قلبه فيقول له من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول فمن خلق الله فطهارة هذا القلب من هذا الاذى ما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستعاذة والانتهاء وهما عورتان أى ما ثلتان الى ما يوسوس به نفسه من الامور القادحة فى الدين أصلا وفرعا فان الدبر هو الاصل فى الاذى فانه ما وجد الا لهذا والفرجان الآخران فى الرجل والمرأة فرعان عن هذا الاصل ففيهما وجه الى الخير ووجه الى الشر وهو النكاح والسفاح ألا ترى النجاسة اذا وردت على الماء القليل أثرت فيه فلم يستعمل واذا ورد الماء على النجاسة أذهب حكمها كذلك الشبه اذا وردت على القلوب الضعيفة الايمان الضعيفة الرأى أثرت فيها واذا وردت على البحر استهلكت فيه كذلك القلوب القوية المؤيدة بالعلم وروح القدس كذلك الشبه اذا جاء بها شيطان الانس والجن الى المتضلع من العلم الالهى الريان منه قلب عينها وعرف كيف يرد نجاسها ذهبا وقزديرها فضة يا كسير العلم اللدنى الذى عنده من عناية الرحمة الالهية التى أتاه الله بها وعرف وجه الحق منها وآثر فيها فهذا سر الاستنجاء الروحانى فان استجمر هذا المتوضى ولم يستنج فاعلم ان ذلك طهور المقلد فان الجمرة الجماعة ويد الله مع الجماعة ولا يأكل الذئب الا القاصية وهى التى بعدت عن الجماعة وخرجت عنها وذلك مخالفة الاجماع والاستجمار معناه جمع أحجار أقلها ثلاثة الى ما فوقها من الاوتار لان الوتر هو الله فلا يزال الوتر مشهودك والوتر طلب الثار وهو هنا ما ألقاه الشيطان من الشبه فى ايمانك فتجمع الاحجار للانقاء من ذلك الخبث القائم بالعضو فالمقلد اذا وجد شبهة فى نفسه هرب الى الجماعة أهل السنة فان يد الله كما جاء مع الجماعة ويد الله تأييده وقوته وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مفارقة الجماعة وهذا قام

الاجماع في الدلالة على الحكم المشروع مقام النص من الكتاب أو السنة المتواترة التي تفيد العلم فهذا يكون استجمارك في هذه الطهارة ثم مضمض بالذكر الحسن لتزيل به الذكر القبيح من النميمة والغيبة والجهر بالسوء من القول فلتكن مضمضتك بالتلاوة وذكر الله واصلاح ذات البين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول وقال مشاء بنميم وقال لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس وما أشبه ذلك فهذه طهارة فيك وقد فتحت لك الباب فأجر في وضوئك وغسلك وتيممك في أعضائك على هذا الاسلوب فهو الذي طلبه الحق منك وقد استوفينا الكلام على هذه الطهارة في التنزلات الموصلية فانظرها هنالك نثرا ونظما وقد رميت بك على الطريق واتصرف هذه الطهارة بكمالها في كل مكلف منك فان كل مكلف منك مأمور بجميع العبادات كلها من طهور وصلاة وزكاة وصيام وحج وجهاد وغير ذلك من الاعمال المشروعة وكل مكلف فيك تصرفه في هذه العبادات بحسب ما تطلبه حقيقته لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها وقد أعطى كل شئ خلقه ثم هدى أي بين كيف تستعمله فيها وهم ثمانية أصناف لا يزيدون لكن قد ينقصون في بعض الاشخاص وهم العين والاذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب لا زائد في الانسان عليهم لكن قد ينقصون في بعض أشخاص هذا النوع الانساني كالاكمه والاخرس والاصم وأصحاب العاهات فمن بقي من هؤلاء المكلفين منك فالخطاب يترتب عليه ومن خطاب الشارع تعلم جميع ما يتعلق بكل عضو من هؤلاء الاعضاء من التكاليف وهم كالآلة للنفس المخاطبة المكلفة بتدبير هذا البدن وأنت المسؤل عنهم في اقامة العدل فيهم فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انقطع شسع نعله خلع الاخرى حتى يعدل بين رجليه ولا يمشي في نعل واحد وقد بيناها بكمالها وما لها من الانوار والكرمات والمنازل والاسرار والتجليات في كتابنا المسمى مواقع النجوم ما سبقنا في علمنا في هذا الطريق الى ترتيبه أصلا وقيدته في أحد عشر يوما في شهر رمضان بمدينة المرية سنة خمس وتسعين وخمسمائة يغني عن الاستاذ بل الاستاذ محتاج اليه فان الاستاذين فيهم العالي والاعلى وهذا الكتاب على أعلى مقام يكون الاستاذ عليه ليس وراءه مقام في هذه الشريعة التي تعبدنا بها فمن حصل لديه فليعتمد بتوفيق الله عليه فانه عظيم المنفعة وما جعلني أن أعرفك بمنزلته الا اني رأيت الحق في النوم مرتين وهو يقول لي انصح عبادي وهذا من أكبر نصيحة نصحتك بها والله الموفق وبيده الهداية وليس لنا من الامر شئ ولقد صدق الكذوب ابليس رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اجتمع به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عندك فقال ابليس لتعلم يا رسول الله أن الله خلقك للهداية وما بيدك من الهداية شئ وان الله خلقني للغواية وما بيدي من الغواية شئ لم يزده على ذلك وانصرف وحالت الملائكة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم (وصل) وبعد أن نبهتك على ما نبهتك عليه مما تقع لك به الفائدة فاعلم أن الله خاطب الانسان بجملته وما خص ظاهره من باطنه ولا باطنه من ظاهره فتوفرت دواعي الناس أكثرهم الى معرفة أحكام الشرع في ظواهرهم وغفلوا عن الاحكام المشروعة في بواطنهم الا القليل وهم أهل طريق الله فانهم بحثوا في ذلك ظاهرا وباطنا فما من حكم قرروه شرعا في ظواهرهم الا ورأوا أن ذلك الحكم له نسبة الى بواطنهم أخذوا على ذلك جميع أحكام الشرائع فعبدوا الله بما شرع لهم ظاهرا وباطنا ففازوا حين خسر الاكثرون ونبغت طائفة ثالثة ضلت وأضلت فأخذت الاحكام الشرعية وصرفتها في بواطنهم وما تركت من حكم الشريعة في الظواهر شيأ تسمى الباطنية وهم في ذلك على مذاهب مختلفة وقد ذكر الامام أبو حامد في كتاب المستظهري له في الرد عليهم شيأ من مذاهبهم وبين خطأهم فيها والسعادة نماهي مع أهل الظاهر وهم في الطرف النقيض من أهل الباطن والسعادة كل السعادة مع الطائفة التي جمعت بين الظاهر والباطن وهم العلماء بالله وباحكامه وكان في نفسي ان أخر الله في عمري أن أضع كتابا كبيرا أقرر فيه مسائل الشرع كلها كما وردت في أماكنها الظاهرة وأقررها فاذا استوفينا المسئلة المشروعة في ظاهر الحكم جعلنا الى جانبها حكمها في باطن الانسان فيسرى حكم الشرع في الظاهر والباطن فان أهل طريق الله وان كان هذا غرضهم ومقصدهم ولكن ما كل أحد منهم يفتح الله له في الفهم حتى يعرف ميزان ذلك الحكم في باطنه فقصدنا في هذا الكتاب الى الامر العام من العبادات وهي الطهارة والصلاة

والزكاة والصيام والحج والتلفظ بلا اله الا الله محمد رسول الله فاعتنيت بهذه الخمسة لكونها من قواعد الاسلام التى بنى الاسلام عليها وهى كالاركان للبيت فالايمان هو عين البيت ومجموعه وباب البيت الذى يدخل منه اليه وهذا الباب له مصراعان وهما التلفظ بالشهادتين وأركان البيت أربعة وهى الصلاة والزكاة والصيام والحج فجردنا العناية فى اقامة هذا البيت لنسكن فيه يقينا من زمهرير نفس جهنم وحرورها قال النبى صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضا فاذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فما كان من سموم وحرور فهو من نفسها وما كان من برد وزمهرير فهو من نفسها فاتخذ الناس البيوت لتقيهم حرّ الشمس وبرد الهواء فينبغى للعاقل أن يقيم لنفسه بيتا يكنه يوم القيامة من هذين النفسين فى ذلك اليوم لان جهنم فى ذلك اليوم تأتى بنفسها تسعى الى الموقف تفور تكاد تميز من الغيظ على أعداء الله فمن كان فى مثل هذا البيت وقاه الله من شرّها وسطوتها ولما كانت الطهارة شرطا فى صحة الصلاة أفردنا لها بابا قدمناه بين يدى باب الصلاة ثم يتلوها الزكاة ثم الصوم ثم الحج ويكفى فى هذا الكتاب هذا القدر من العبادات فأتتبع أمهات مسائل كل باب منها وأقرّرها بالحكم الكلى باسمها فى الظاهر ثم أنتقل الى حكم تلك المسئلة عينها فى الباطن الى أن أفرغ منها والله يؤيد ويعين ﴿بيان وايضاح﴾ فأوّل ذلك تسميتها طهارة وقد ذكرنا ذلك فى أوّل الباب ظاهرا وباطنا فللشرع ان شاء الله فى أحكامها وهو أن ننظر فى وجوبها وعلى من تجب ومتى تجب وفى أفعالها وفيما به تفعل وفى نواقضها وفى صفة الاشياء التى تفعل من أجلها كما فعلته علماء الشريعة وقرّرته فى كتبها وقد انحصر فى هذا أمر الطهارة ولننظر ذلك ظاهرا أو باطنا وانما نومئ اليه ظاهرا حتى لا يفتقر الناظر فيها الى كتب الفقهاء فيغنيه ماذكرناه ولا نتعرّض للادلة التى للعلماء على ثبوت هذا الحكم من كتاب أو سنة أو اجماع أو قياس فى مذهب من يقول به لطرد علة جامعة يراها بين المنطوق عليه والمسكوت عنه لا أتعرض الى أصول الفقه فى ذلك ولا الى الادلة اذ العامة ليس منصبها النظر فى الدليل فنحن نذكر أمهات فروع الاحكام ومذاهب الناس فيها من وجوب وغير وجوب ﴿وصل﴾ نقول أوّلا أجمع المسلمون قاطبة من غير مخالف على وجوب الطهارة على كل من لزمته الصلاة اذا دخل وقتها وانها تجب على البالغ حدّ الحلم العاقل واختلف الناس هل من شرط وجوبها الاسلام أم لا هذا حكم الظاهر فأمّا الباطن فى ذلك وهى الطهارة الباطنة فنقول ان باطن الصلاة وروحها انما هو مناجاة الحق تعالى حيث قال قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين الحديث فذكر المناجاة يقول العبد كذا فيقول الله كذا فتى أراد العبد مناجاة ربه فى أىّ فعل كان تعينت عليه طهارة قلبه من كل شئ يخرجه عن مناجاة ربه فى ذلك الفعل ومتى لم يتصف بهذه الطهارة فى وقت مناجاته فما ناجاه وقد أساء الادب فهو بالطرد أحق وسأذكر فى أفعالها تقاسيم هذه الطهارة فى الحكم ان شاء الله وأمّا قول العلماء انها تجب على البالغ العاقل بالاجماع واختلفوا فى الاسلام فكذلك عندنا تجب هذه الطهارة على العاقل وهو الذى يعقل عن الله أمره ونهيه وما يلقيه الله فى سرّه ويفرّق بين خواطره فيما هو من الله أو من نفسه أو من لمة الملك أو من لمة الشيطان وذلك هو الانسان فاذا بلغ فى المعرفة والتمييز الى هذا الحدّ وعقل عن الله ما يريده منه وسمع قول الله تعالى وسعنى قلب عبدى وجب عليه عند ذلك استعمال هذه الطهارة فى قلبه وفى كل عضو يتعلق به على الحدّ المشروع فان طهارة البصر مثلا فى الباطن هو النظر فى الاشياء بحكم الاعتبار وعينه فلا يرسل بصره عبثا ولا يكون مثل هذا الا لمن تحقق باستعمال الطهارة المشروعة فى محالها كما قال تعالى ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار فجعلها للابصار والاعتبار انما هو للبصائر فذكر الابصار لانها الاسباب المؤدّية الى الباطن ما يعتبر فيه عين البصيرة وهكذا جميع الاعضاء كلها وأمّا قول العلماء فى هذه الطهارة هل من شرط وجوبها الاسلام فهو قولهم هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وانّ المنافق اذا توضأ هل أدّى واجبا أم لا وهى مسئلة خلاف تعم جميع الاحكام المشروعة فمذهبنا أن جميع الناس كافة من مؤمن وكافر ومنافق مكلفون مخاطبون باصول الشريعة وفروعها وأنهم مؤاخذون يوم القيامة بالاصول وبالفروع ولهذا كان المنافق فى الدرك الاسفل من النار وهو باطن النار وان المنافق معذب بالنار التى تطلع على الافئدة اذ أتى فى الدنيا بصورة ظاهر الحكم المشروع من التلفظ بالشهادة واظهار تصديق

الرسل والاعمال الظاهرة وما عندهم في بواطنهم من الايمان مثقال ذرة فبهذا القدر تميزوا من الكفار وقيل فيهم انهم منافقون قال تعالى ان المنافقين والكافرين في جهنم جميعا فذكر الدار فالمنافقون يعذبون في أسفل جهنم والكافرون لهم عذاب في الاعلى والاسفل فان الله قد رتب مراتب وطبقات للعذاب في نار جهنم لاعمال مخصوصة بأعضاء مخصوصة على ميزان معلوم لا يتعداه فالمؤمن ليس للنار اطلاع على محل ايمانه البتة فله نصيب في النار التي تطلع على الافئدة وان خرج عنه هنالك فان عنايته سارية في محله من الانسان وانما يخرج عنه ليحميه ويردّ عنه من عذاب الله ما شاء الله كما خرج عنه في الدنيا اذا أوقع المعصية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المؤمن يشرب الخمر ويسرق ويزني انه لا يفعل شيأ من ذلك وهو مؤمن حال فعله وقال ان الايمان يخرج عنه في ذلك الوقت حال الفعل وتأوّل الناس هذا الحديث على غير وجهه لانهم ما فهموا مقصود الشارع وفسروا الايمان بالاعمال فقالوا انه أراد العمل فأبان النبي صلى الله عليه وسلم مراده بذلك في الحديث الآخر فقال صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا زنى خرج عنه الايمان حتى يصير عليه كالظلة فاذا أقلع رجع اليه الايمان فاعلم أن الحكمة الالهية في ذلك أن العبد اذا شرع في المخالفة التي هو بها مؤمن انها مخالفة ومعصية فقد عرض نفسه بفعله اياها لنزول عذاب الله عليه وايقاع العقوبة به وان ذلك الفعل يستدعي وقوع البلاء به من الله فيخرج عنه ايمانه الذي في قلبه حتى يكون عليه مثل الظلة فاذا نزل البلاء من الله يطلبه تلقاه ايمانه فيردّه عنه فان الايمان لا يقاومه شيء ويمنعه من الوصول اليه رحمة من الله وما بعد بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان ولهذا قلنا ان العبد المؤمن لا يخلص له أبدا معصية لا تكون مشوبة بطاعة وهي كونه مؤمنا بها انها معصية فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فقال الله عسى الله أن يتوب عليهم والتوبة الرجوع فعناه أن يرجع عليهم بالرحمة فانه تعالى تمم الآية بقوله ان الله غفور رحيم وقال العلماء ان عسى من الله واجبة فانه لا مانع له ثم نرجع ونقول انه لما كان الايمان عين طهارة الباطن لم يتمكن أن يتصور الخلاف فيه كما تصور في الطهارة الظاهرة الا بوجه دقيق يكون حكم الظاهر فيه في الباطن حكم الباطن في طهارة الظاهر فنقول من ذلك الوجه هل من شرط طهارة الباطن بالايمان التلفظ به فينطق اللسان بما يعتقده القلب من ذلك أم لا فيكون في عالم الغيب اذا لم يظهر بما يعتقده في الباطن منافقا كما افق الظاهر في عالم الشهادة فان المؤمن يعتقد وجوب الصلاة مثلا ولا يصلي ولا يتطهر كما أن المنافق يصلي ويتطهر ولا يؤمن بوجوبها عليه بقلبه ولا يعتقده أو لا يفعله أقول ذلك الرسول الذي شرعه له فهذا معنى ذلك اذا حققت النظر فيه حتى يسري الحكم في الظاهر والباطن على صورة ما هو في الظاهر من الخلاف والاجماع فاعلم ذلك ﴿وصل﴾ وأما أفعال هذه الطهارة فقد ورد بها الكتاب والسنة وبين فرضها من سنتها من استحباب أفعال فيها ولهذه الطهارة شروط وأركان وصفات وعدد وحدود معينة في محالها فمن شروطها النية وهي القصد بفعلها على جهة القربة الى الله تعالى عند الشروع في الفعل فمن الناس من ذهب الى انها شرط في صحة ذلك الفعل الذي لا يصح الا بوجودها وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب ولا بدّ وهو مذهبنا وبه نقول في الطهارة الظاهرة والباطنة وهي عندنا في الباطن آكد وأوجب لأن النية من صفات الباطن أيضا فحكمها في طهارة الباطن أقوى لانها تحكم في موضع سلطانها والظاهر غريب عنها فلهذا لم يختلف في علمنا في الباطن واختلف في ذلك في الظاهر وقد تقدم من الكلام في النية طرف يغني وذهب آخرون الى انها ليست بشرط صحة وأغني ما ذكرناه في طهارة الوضوء بالماء ﴿وصل﴾ اختلف علماء الشريعة في غسل اليد قبل ادخالها في الاناء الذي تريد الوضوء منه على أربعة أقوال فمن قائل ان غسلهما سنة باطلاق ومن قائل ان ذلك مستحب لمن يشك في طهارة يده ومن قائل ان غسل اليد واجب على القائم من النوم في الاناء الذي يريد الوضوء منه ومن قائل ان ذلك واجب على المنتبه من نوم الليل خاصة وهذا حصر مذاهب العلماء في علمي في هذه المسئلة ولكل قائل حجة من الاستدلال يدل بها على قوله وليس كتابنا هذا موضع ايراد أدلتهم وتتميم حكم هذه المسئلة في الباطن غسل اليد هو طهارتها بما كلفه الشارع فيها بتركه وذلك على قسمين منه ما هو واجب ومنه ما هو مندوب اليه والواجب عندنا والفرض على السواء لفظان متواردان على معنى واحد فلا فرق

عندنا اذا قلت أوجب أو فرض ثم نقول فالواجب اذا كانت اليد على شئ يحكم الشرع فيه عليها أنها غاصبة أو بكونه مسروقا أو بكونه وقعت فيه خيانة وكل ما لم يجوّز لها الشارع أن تتصرف فيه والفروق فى هذه الاحوال بينة فواجب طهارتها عن هذا كله وسيرد بما اذا نظهر فى موضعه ان شاء الله فواجبة عليها هذه الطهارة وأما الطهارة المندوب اليها فهى ترك ما فى اليد من الدنيا مما هو مباح له امساكه فندبه الشرع الى اخراجه عن يده رغبة فيما عند الله وذلك هو الزهد وهى تجارة فان ما عندكم ينفد وما عند الله باق فان لها عوضا عند الله على ما تركته والترك أعلى من الامساك وهذه مسئلة اجماع فى كل ملة ونحلة شرعا وعقلا فان الناس مجمعون على أن الزهد فى الدنيا وترك جمع حطامها والخروج عما بيده منها أولى عند كل عاقل هذا هو المندوب اليه فى طهر اليد وهو السنة وأما المذهب فى الاستحباب فى طهارة اليد عند الشاك فى طهارتها فهو الخروج عن المال الذى فى يده لشبهة قامت له فيه قدحت فى حله فليس له امساكه وهذا هو الورع ما هو الزهد وان كان له وجه الى الحل فالمستحب تركه ولا بد فان مراعاة الحرمة أولى فانك فى امساكه مسؤل وفى تركه للشبهة التى قامت عندك فيه غير مسؤل بل أنت الى المثوبة على ذلك أقرب وهذا فى الطهارة المندوب اليها أولى والاستحباب فى الترك للمباح أولى وأما اختلافهم فى وجوب غسلها من النوم مطلقا وفيمن قيد ذلك بنوم الليل فاعلم أن الليل غيب لانه محل الستر ولذلك جعل الليل لباسا والنهار شهادة لانه محل الظهور والحركة ولذلك جعله معاشا لابتغاء الفضل يعنى طلب الرزق هنا من وجه فالفضل المبتغى فيه من الزيادة ومن الشرف وهو زيادة الفضائل فانه يجمع ما ليس له برزق فهو فضول لانه يجمعه لوارثه أو لغيره فان رزق الانسان ما هو ما يجمعه وانما هو ما يتغذى به فاعلم أن النائم فى عالم الغيب بلا شك واذا كان النوم بالليل فهو غيب فى غيب فيكون حكمه أقوى والنوم بالنهار غيب فى شهادة فيكون حكمه أضعف ألا تراه جعل النوم سباتا فهو راحة بلا شك وهو بالليل أقوى فانه فيه أشد استغراقا من نوم النهار والغيب أصل فالليل أصل والشهادة فرع فالنهار فرع وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فالنهار مسلوخ من الليل فالليل لما كان يستر الاشياء ولا يبين حقائق صورها للابصار أشبه الجهل فان الجهل بالشئ لا يبين حكمه فمن جهل الشرع فى شئ لم يعلم حكمه فيه ولما كان النائم فى حال نومه لا يعلم شيأ من أمور الظاهر فى عالم الشهادة فى حق الناس كان النوم جهلا محضا الا فى حق من تنام عينه ولا ينام قلبه كرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله من ورثته فى الحال ولما كان النهار يوضح الاشياء ويبين صور ذواتها ويظهر للرائى ما يتقى من الامور المضرة وما لا يتقيه أشبه العلم فان العلم هو المبين حكم الشرع فى الاشياء ولما كان النائم بالنهار متصفا بالجهل لاجل نومه لان النوم من اضداد العلم ربما مد يده وهو لا علم له أو رجله فيفسد شيأ مما لو كان مستيقظا لم يتعرض الى فساده أوجب عليه الشرع الطهارة بالعلم من نوم الجهل اذا استيقظ فيعلم بيقظته حكم الشرع فى ذلك فانه ما كان يدرى فى حال نوم جهالته حيث جالت يده هل فيما أبيح له ملكه أو فى ما لم يبح له ملكه كالمغصوب وأمثاله كما ذكرنا كما راعى المخالف قوله أين باتت يده واشتركا فى النوم وانما ذكر الشارع المبيت لان غالب النوم فيه وهو أبدا يراعى الاغلب فجعل هذا الحكم فى نوم الليل ومراعاة النوم أولى من مراعاة نوم الليل ويقول مراعى نوم الليل لذكر المبيت فانه لما كان الانسان اذا نام بالنهار قد يكون هناك انسان أو جماعة اذا رأوا النائم يتحرك بيده أو برجله فتؤديه حركته تلك الى كسر جرة أو غيرها أو صبى صغير رضيع تحصل يده على فمه فتؤذيه أو يمسك عنه خروج النفس فيموت وقد رأينا ذلك فيكون المستيقظ الحاضر يمنع من ذلك بازالة الطفل القريب منه أو الجرة أو ما كان من أجل ضوء النهار الذى كشفه به ويقظته كذلك العالم مع الجاهل اذا رآه يتصرف بما لا علم له به بحكم الشرع فيه نبهه أو حال الشرع بينه وبين ذلك الفعل فوجب غسل اليد عندنا ولا بد باطنا على الغافل وهو النائم بالنهار الجاهل وهو النائم بالليل وأما اعتبارنا بالطهارة قبل ادخالها فى الاناء فانه بالعلم والعمل خوطبنا فالعلم الماء والعمل الغسل وبهما تحصل الطهارة فغسلها قبل ادخالها فى اناء الوضوء هو ما يقرره فى نفسه من القصد الجميل فى ذلك الفعل الى جناب الحق الذى فيه سعادته عند الشروع فى الفعل على التفصيل فهذا معنى غسل اليد قبل ادخالها فى اناء الوضوء فى طهارة الباطن ﴿وصل﴾ المضمضة والاستنشاق اختلف علماء الشريعة فيهما على ثلاثة أقوال فمن قائل انهما سنتان ومن

قائل انهما فرض ومن قائل ان المضمضة سنة والاستنشاق فرض هذا حكمهما في الظاهر قد نقلناه فأما حكمهما في الباطن فمنهما ماهو فرض ومنهما ماهو سنة فأما المضمضة فالفرض منها التلفظ بلا إله الا الله فان بها يتطهر لسانك من الشرك وصدرك فان حروفها من الصدر واللسان وكذلك في كل فرض أوجب الله عليك التلفظ به مما لا ينوب فيه عنك غيرك فيسقط عنك كفرض الكفاية كرجل أبصر أعمى على بعد يريد السقوط في حفرة يتأذى بالسقوط فيها أو يهلك فيتعين عليه فرضا أن ينادى به يحذره من السقوط بما يفهم عنه لكونه لا يلحقه فان سبقه انسان الى ذلك سقط عنه ذلك الفرض الذى كان تعين عليه فان تكلم به فهو خير له وليس بفرض عليه فاذا تمضمض في باطنه بهذا وأمثاله فقد أصاب خيرا وقال خيرا وهو حسن القول وصدق اللسان طهور من الكذب والجهر بالقول الحسن طهور من الجهر بالسوء من القول وان كان جزاء بقوله الامن ظلم ولكن السكوت عنه أفضل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر طهور من نقيضهما فمثل هذا فرض المضمضة وسنتها وكذلك الاستنشاق فاعلم ان الاستنشاق في الباطن لما كان الانف في عرف العرب محل العزة والكبرياء ولهذا تقول العرب في دعائها أرغم الله أنفه وقد اتفق هذا على رغم أنفه والرغام التراب أى حطك الله من كبريائك وعزك الى مقام الذلة والصغار فكنى عنه بالتراب فان الارض سماها الله ذلولا على المبالغة فان أذل الاذلاء من وطئه الذليل والعبيد أذلاء وهم يطؤن الارض بالمشى عليها فى مناكبها فلهذا سماها ببنية المبالغة ولا يندفع هذا ولا تزول الكبرياء من الباطن الا باستعمال أحكام العبودية والذلة والافتقار ولهذا شرع الاستنثار في الاستنشاق فقيل له اجعل في أنفك ماء ثم استنثر والماء هنا علمك بعبوديتك اذا استعملته في محل كبريائك خرج الكبرياء من محله وهو الاستنثار ومنه فرض واستعماله في الباطن فرض بلاشك وأما كونه سنة فمعناه انك لو تركته صح وضوءك ومحله في هذا القدر أنك لو تركت معاملتك لعبدك أولمن هو تحت أمرك وهنا سر خفي يتضمنه رب اعطني كذا أولمن هو دونك بالتواضع وأظهرت العزة وحكم الرياسة لمصلحة تراها أباحها لك الشارع فلم تستنشق جاز حكم طهارتك دون استعمال هذا الفعل وان كان استعماله أفضل فهذا موضع سقوط فرضها فلهذا قلنا قد يكون سنة وقد يكون فرضا لعلمنا انه لو أجمع أهل مدينة على ترك سنة وجب قتالهم ولو تركها واحد لم يقتل فان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يغير على مدينة اذا جاءها ليلا حتى يصبح فان سمع أذانا أمسك والا أغار وكان يتلو اذا لم يسمع أذانا انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وما من حكم من أحكام فرائض الشريعة وسننها واستحباباتها الا وله في الباطن حكم أو أزيد على قدر ما يفتح للعبد في ذلك فرضا كان أو سنة أو مستحبا لابد من ذلك وحد ذلك في سائر العبادات المشروعة كلها وبهذا يتميز حكم الظاهر من الباطن فان الظاهر يسرى في الباطن وليس في الباطن أمر مشروع يسرى في الظاهر بل هو عليه مقصور فان الباطن معان كلها والظاهر أفعال محسوسة فينتقل من المحسوس الى المعنى ولا ينتقل من المعنى الى الحس

﴿باب التحديد في غسل الوجه﴾

لا خلاف ان غسل الوجه فرض وحكمه في الباطن المراقبة والحياء من الله مطلقا وذلك ان لا تتعدى حدود الله تعالى واختلف علماء الرسوم في تحديد غسل الوجه في الوضوء في ثلاثة مواضع منها البياض الذى بين العذار والاذن والثانى ماسدل من اللحية والثالث غسل اللحية فأما البياض المذكور فمن قائل انه من الوجه ومن قائل انه ليس من الوجه وأما ما انسدل من اللحية فمن قائل بوجوب امرار الماء عليه ومن قائل بأن ذلك لا يجب وأما تخليل اللحية فمن قائل بوجوب تخليلها ومن قائل انه لا يجب ﴿وصل في حكم ماذكرناه في الباطن﴾ أما غسل الوجه مطلقا من غير نظر الى تحديد الامر في ذلك فان منه ماهو فرض ومنه ماليس بفرض فأما الفرض فالحياء من الله ان يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك وأما السنة منه الحياء من الله ان تكشف عورتك في خلوتك فالله أولى ان تستحيى منه مع علمك انه ما من جزء فيك الا وهو يراه منك ولكن حكمه في أفعالك من حيث أنت مكلف ماذكرناه وقد ورد به الخبر وكذلك النظر الى عورة امرأتك وان كان قد أبيح لك ذلك ولكن استعمال الحياء فيها أفضل وأولى فيسقط الفرض

فيه أعني في الحياء في مثل قوله لا يستحيي من الحق فما تعين منه فهو فرض عليك وما لا يتعين عليك فهو سنة واستحباب فان شئت فعلته وهو أولى وان شئت لم تفعله فيراقب الانسان أفعاله وترك أفعاله ظاهرا وباطنا ويراقب آثار ربه في قلبه فان وجه قلبه هو المعتبر ووجه الانسان وكل شئ حقيقته وذاته وعينه يقال وجه الشئ ووجه المسئلة ووجه الحكم ويريد بهذا الوجه حقيقة المسمى وعينه وذاته قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة والوجوه التي هي في مقدم الانسان ليست توصف بالظنون وانما الظن لحقيقة الانسان فالحياء خير كله والحياء من الايمان والحياء لا يأتي الا بخير وأما البياض الذي بين العذار والاذن وهو الحدّ الفاصل بين الوجه والاذن فهو الحد بين ما كلف الانسان من العمل في وجهه والعمل في سمعه فالعمل في ذلك ادخال الحد في المحدود فالاولى بالانسان ان يصرف حياءه في سمعه كما صرفه في بصره فكما انه من الحياء غض البصر عن محارم الله قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن باطن هاتين الآيتين خطاب النفس والعقل كذلك يلزمه الحياء من الله ان يسمع ما لا يحل له سماعه من غيبة وسوء قول من متكلم بما لا ينبغي ولا يحل له التلفظ به فان ذلك البياض بين العذار والاذن وهو محل الشبهة وصورة الشبهة في ذلك ان يقول انما أصغيت اليه لأردّ عليه وعن الشخص الذي اغتيب وهذا من فقه النفس فقوله هذا هو من العذار فانه من العذر أي الانسان اذا عوتب في ذلك يعتذر بما ذكرناه وأمثاله ويقول انما أصغيت لأحقق سماعي قوله حتى أنهاه عن ذلك على يقين فكني عنه بالعذار ويكون فيمن لا عذار له موضع العذار فمن رأى وجوب ذلك عليه غسله بما قال تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله أي بين لهم الحسن من ذلك من القبيح وأولئك هم أولوا الالباب أي عقلوا ما أردنا وهو من لب الشئ المصون بالقشر ومن لم ير وجوب ذلك عليه ان شاء غسل وان شاء ترك كمن يسمع ممن لا يقدر على ردّ الكلام في وجهه ممن ذي سلطان يخاف من تعديه عليه فان قدر على القيام من مجلسه انصرف فذلك غسله ان شاء وان ترجح عنده الجلوس لامر يراه ظنونا عنده جلس ولم يبرح وهذا عند من لا يرى وجوب ذلك عليه وأما غسل ما انسدل من اللحية وتخليلها فهي الامور العوارض فان اللحية شئ يعرض في الوجه ما هي من الوجه ولا تؤخذ في حده مثل ما يعرض لك في ذاتك من المسائل الخارجة عن ذاتك فأنت فيها بحكم ذلك العارض فان تعين عليك طهارة نفسك من ذلك العارض فهو اعتبار قول من يقول بوجوب غسل ذلك وان لم يتعين عليك طهارته فطهرته استحبابا أو تركته لكونه ما تعين عليك ولكن هو نقص في الجملة فهذا قول من يقول ليس بواجب وهو مذهب الآخرين وقد بينا لك فيما تقدم من مثل هذا الباب ان حكم الباطن في هذه الامور بخلاف حكم الظاهر فيما فيه وجه الى الفرضية ووجه الى السنة والاستحباب فالفرض لا بد من العمل به فعلا كان أو تركا وغير الفرض فيه ان تنزله في الامتثال منزلة الفرض وهو أولى فعلا وتركا وذلك سار في سائر العبادات

﴿باب في غسل اليدين والذراعين في الوضوء الى المرافق﴾

أجمع العلماء بالشريعة على غسل اليدين والذراعين في الوضوء بالماء واختلفوا في ادخال المرافق في الغسل ومذهبنا الخروج الى محل الاجماع في الفعل فان الاجماع في الحكم لا يتصوّر فمن قائل بوجوب ادخالها في الغسل ومن قائل بترك الوجوب ولا خلاف عند القائلين بترك الوجوب في استحباب ادخالها في الغسل ﴿وصل حكم الباطن في ذلك﴾ أقول بعد تقرير حكم الظاهر الذي تعبدنا الله ان غسل اليدين والذراعين وهما المعصمان فغسل اليدين بالكرم والجود والسخاء والايثار والهبات وأداء الامانات وهو الذي لا يصح عنده الايثار كما يغسلهما أيضا مع الذراعين بالاعتصام الى المرافق بالتوكل والاعتضاد فان المؤمن كثير بأخيه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غسل ذراعيه في الوضوء يجوز المرفقين حتى يشرع في العضد وان هذا وأشباهه من نعوت اليدين والخلاف في حد اليدين أكثره الى الآباط وأقله الى الفصل الذي يسمى منه الذراع فبقي ادخال المرافق والمرافق في الباطن هي رؤية الاسباب التي يرتفق بها العبد وتأنس بها نفسه فان الانسان في أصل خلقه خلق هلوعا يخاف الفقر الذي تعطيه حقيقته من

حيث امكانه فيجنح الى ما يرتفق به ويميل اليه فمن رأى ادخال المرافق فى غسله واجبا رأى أن الاسباب انما وضعها الله حكمة منه فى خلقه لما علم من ضعف يقينهم فيريد أن لا يعطل حكمة الله لا على طريق الاعتماد عليها فان ذلك يقدح فى اعتماده على الله ومن رأى أنه لا يوجبها فى الغسل رأى سكون النفس الى الاسباب انه لا يخلص له مقام الاعتماد على الله مع وجود رؤية الاسباب وكل من يقول انها لا تجب يستحب ادخالها فى الغسل كذلك رؤية الاسباب مستحبة عند الجميع وان اختلفت أحكامهم فيها فان الله ربط الحكمة بوجودها

﴿باب فى مسح الرأس﴾

اتفق علماء الشريعة على ان مسحه من فرائض الوضوء واختلفوا فى القدر الواجب منه فمن قائل بوجوب مسحه كله ومن قائل بوجوب مسح بعضه واختلفوا فى حد البعض فمن قائل بوجوب الثلث ومن قائل بوجوب الثلثين ومن قائل بالربع ومن قائل لا حد للبعض وتكلم بعض هؤلاء فى حد القدر الذى يمسح به من اليد فمن قائل ان مسحه بأقل من ثلاثة أصابع لم يجزه ومن قائل لا حد للبعض لا فى الممسوح ولا فيما يمسح به وأصل هذا الخلاف وجود الباء فى قوله تعالى برؤسكم ﴿وصل حكم المسح فى الباطن﴾ فأما حكم مسح الرأس فى الباطن اعتبارا فان الرأس من الرياسة وهى العلو والارتفاع ومنه رئيس القوم أى سيدهم الذى له الرياسة عليهم ولما كان أعلى ما فى البدن فى ظاهر العين وجميع البدن تحته سمى رأسا اذ كان الرئيس فوق المرؤس بالمرتبة وله جهة فوق وقد وصف الله نفسه بالفوقية لشرفها قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقال وهو القاهر فوق عباده فكان الرأس أقرب عضو فى البدن الى الحق لمناسبة الفوق ثم له شرف آخر بالمعنى الذى رأس به على أجزاء البدن كلها وهو كونه محلا جامعا حاملا لجميع القوى كلها المحسوسة والمعقولة المعنوية فلما كانت له أيضا هذه الرياسة من هذه الجهة سمى رأسا ثم ان العقل الذى جعله الله أشرف ما فى الانسان جعل محله أعلى ما فى الرأس وهو اليافوخ فجعله مما يلى جهة الفوقية ولما كان الرأس محلا لجميع القوى الظاهرة والباطنة ولكل قوة منها حكم وسلطان وفخر يورثه ذلك عزة على غيره كقصر الملك على سائر دور السوقة وجعله الله محال هذه القوى من الرأس مختلفة حتى عمت الرأس كله أعلاه ووسطه ومقدمه ومؤخره ولكل قوة كما ذكرنا لها عزة وسلطان وكبرياء فى نفسها ورياسة فوجب أن يمسحه كله وهو اعتبار من يقول بوجوب مسح الرأس كله لهذه الرياسة السارية فيه كله من جهة حمله لهذه القوى المختلفة الاما كن فيه بالتواضع والافتقار لله فيكون لكل قوة اذا عم المسح مسح مخصوص من مناسبة دعواها فيردعها بما يخصها من المسح فيعم بالمسح جميع الرأس ومن يرى ان للرأس رأسا عليه كما ان الولاة من جهة السلطان يرجع أمرهم اليه فانه الذى ولاهم رأى كل وال ان فوقه وال عليه هو أعلى منه له سلطان على سلطانه كالقوة المصورة لها سلطان على القوة الخيالية فهى رئيسة عليها وان كانت لها رياسة أعنى القوة الخيالية فمن رأى هذا من العلماء قال يمسح بعض الرأس وهو المهيمن بالاعلى ثم اختلف أصحابنا فى هذا البعض فكل عارف قال بحسب ما أعطاه الله من الادراك فى مراتب هذه القوى فهو بحسب ما يراه ويعتبره فأخذ يمسح فى هذه العبادة وهى التذلل وازالة الكبرياء والشموخ بالتواضع والعبودية لانه فى طهارة العبادة يطلب الوصلة بربه لان المصلى فى مقام مناجاة ربه وهى الوصلة المطلوبة بالطهارة والعزيز الرئيس اذا دخل على من ولاه تلك العزة والرياسة نزل عن رياسته وذله عن عزه بعز من دخل عليه وهو سيده الذى أوجده فيقف بين يديه وقوف غيره من العبيد الذين أنزلوا نفوسهم بطلب الاجرة منزلة الاجانب فوقف هذا العبد فى محل الاذلال لا بصفة الادلال بالدال اليابسة فمن غلب على خاطره رياسة بعض القوى على غيرها وجب عليه مسح ذلك البعض من أجل الوصلة التى يطلبها بهذه العبادة ولهذا لم يشرع مسح الرأس فى التيمم لان وضع التراب على الرأس من علامة الفراق وهو المصيبة العظمى اذ كان الفاقد حبيبه بالموت يضع التراب على رأسه فلما كان المطلوب بهذه العبادة الوصلة لا الفرقة لهذا لم يشرع مسح الرأس فى التيمم فامسح على حد ما ذكرناه لك ونبهناك عليه وتفصيل رياسات القوى معلوم عند الطائفة لا احتاج الى ذكره وأما التبعيض فى اليد التى يمسح بها واختلافهم فى ذلك فاعمل فيه كما تعمل فى الممسوح سواء فان المزيل لهذه الرياسة أسباب

مختلفة في القدرة على ذلك ومحل ذلك اليد فمن منزل بصفة القهر ومن منزل بسياسة وترغيب كما يمسح الانسان بيده رأس اليتيم جبرا لانكساره بلطف وحنان فلهذا ترجع بعضية اليد في المسح وكليته فاعلم ذلك ولما كان الموجب لهذا الخلاف عند العلماء وجود الباء في قوله برؤسكم فمن جعلها للتبعيض بعض المسح ومن جعلها زائدة للتوكيد في المسح عم بالمسح جميع الرأس وان الباء في هذا الموضع هو وجود القدرة الحادثة فلا يخلو اما أن يكون لها أثر في المقدور فتصح البعضية وهو قول المعتزلي وغيره واما أن لا يكون لها أثر في المقدور بوجه من الوجوه فهي زائدة كما يقول الاشعري فيسقط حكمها فتم القدرة القديمة مسح الرأس كله لم تبعض مسحه القدرة الحادثة ويكون حد مراعاة التوكيد من كونها زائدة للتوكيد هو الاكتساب الذي قالت به الاشاعرة وهو قوله تعالى في غير موضع من كتابه باضافة الكسب والعمل الى المخلوق فلهذا جعلوا زيادتها لمعنى يسمى التوكيد ألا ترى العرب تقابل الزائد بالزائد في كلامها تريد بذلك التوكيد وتجيب به القائل اذا أكد قوله يقول القائل ان زيدا قائم أو يقول ما زيد قائما فيقول السامع في جواب ان زيدا قائم ما زيد قائما وفي جواب ما ان زيدا قائم فيثبت ما نفاه القائل أو ينفي ما أثبته القائل فان أكد القائل ايجابه فقال ان زيدا لقائم فأدخل اللام لتأكيد ثبوت القيام أدخل المجيب الباء في مقابلة اللام لتأكيد نفي ما أثبته القائل فيقول ما زيد بقائم ويسمى مثل هذا زائدا لان الكلام يستقل دونه ولكن اذا قصد المتكلم خلاف التبعيض وأتى بذلك الحرف لتأكيد فان قصد التبعيض لم يكن زائدا ذلك الحرف جملة واحدة والصورة واحدة في الظاهر ولكن تختلف في المعنى والمراعاة انما هي لقصد المتكلم الواضع لتلك الصورة فاذا جهلنا المعنى الذي لاجله خلق سبحانه التمكن من فعل بعض الاعمال نجد ذلك من نفوسنا ولا تنكره وهي الحركة الاختيارية كما جعل سبحانه فينا المانع من بعض الافعال الظاهرة فينا ونجد ذلك من نفوسنا كحركة المرتعش الذي لا اختيار للمرتعش فيها لم ندر لما يرجع ذلك التمكن الذي نجده من نفوسنا هل يرجع الى أن يكون للقدرة الحادثة فينا أثر في تلك العين الموجودة عن تمكننا أو عن الارادة المخلوقة فينا فيكون التمكن أثر الارادة لا أثر القدرة الحادثة من هنا منشأ الخلاف بين أصحاب النظر في هذه المسئلة وعليه ينبني كون الانسان مكلفا العين التمكن الذي يجده من نفسه ولا يحقق بعقله لما ذا يرجع ذلك التمكن هل لكونه قادرا أو لكونه مختارا وان كان مجبورا في اختياره ولكن بذلك القدر من التمكن الذي يجده من نفسه يصح أن يكون مكلفا ولهذا قال تعالى لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فقد أعطاها أمرا وجوديا ولا يقال أعطاها لا شئ وما رأينا شيأ أعطاها بلا خلاف الا التمكن الذي هو وسعها لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما يدري لما ذا يرجع هذا التمكن وهذا الوسع هل لاحدهما أعني الارادة أو القدرة أو لامر زائد عليهما أو لهما ولا يعرف ذلك الا بالكشف ولا يمكن لنا اظهار الحق في هذه المسئلة لان ذلك لا يرفع الخلاف من العالم فيه كما ارتفع عندنا الخلاف فيها بالكشف وكيف يرتفع الخلاف من العالم والمسئلة معقولة وكل مسئلة معقولة لا بد من الخلاف فيها لاختلاف الفطر في النظر فقد عرفت مسح الرأس ما هو في هذه الطريقة وبقي من حكمه المسح على العمامة وما في ذلك من الحكم

﴿وصل في المسح على العمامة﴾ فمن علماء الشريعة من أجاز المسح على العمامة ومنع من ذلك جماعة فالذي منع لانه خلاف مدلول الآية فانه لا يفهم من الرأس العمامة فان تغطية الرأس أمر عارض والمجيز ذلك لاجل ورود الخبر الوارد في مسلم وهو حديث قد تكلم فيه وقال فيه أبو عمر بن عبد البر انه معلول

﴿وصل مسح العمامة في الباطن﴾ وأما حكم المسح على العمامة في الباطن فاعلم ان الامور العوارض لا يعارض بها الاصول ولا تقدح فيها فالذي ينبغي لك ان تنظر ما السبب الموجب لطرو ذلك العارض فلا يخلو اما أن يكون مما يستغنى عنه أو يكون مما يحصل الضرر بفقده فلا يستغنى عنه فان استغنى عنه فلا حكم له في ازالة حكم الاصل وان لم يستغن عنه وحصل الضرر بفقده كان حكمه حكم الاصل وناب منابه وان بقي من الاصل جزء ما ينبغي ان يراعى ذلك الجزء الذي بقي ولا بد ويبقى ما بقي من الاصل ينوب عنه هذا الامر العارض الذي يحصل الضرر بفقده هذا مذهبنا فيه ولهذا ورد في الحديث الذي ذكرنا انه معلول عند بعض علماء هذا الشأن ان المسح وقع على الناصية والعمامة معا فقد مس الماء الشعر

فقد حصل حكم الاصل في مذهب من يقول بمسح بعض الرأس فلو لبس العمامة لمرض يتألم بجزله المسح عليها بخلاف
المريض الذي يشد العمامة على رأسه لمرضه فما ورد ما يقاوم نص القرآن في هذه المسئلة (ايضاح) فاذا عرض لاهل
هذه الطريقة عارض يقدح في الاصل كفعل السبب للمتجرد عن الاسباب أو التبختر والرياسة في الحرب فان كلامنا
في مسح الرأس وله التواضع والتكبر ضرب المثل به أولى ليصل فهم السامع الى المقصود مما يريده في هذه العبادة فان
أثر ذلك لزهو اظهار الكبر في عبودية الانسان فنسيان كبرياء ربه عليه وعزته سبحانه وتحجيبه عن ذلك فلا يفعل
و يطرح الكبرياء عن نفسه ولابد ولا يجوز له التكبر في ذلك الموطن لقدحه في الاصل وان لم يؤثر في نفسه بل ذلك أمر
ظاهر في عين العدو وهو في نفسه في ذلته وافتقاره جاز له صورة التكبر في الظاهر لقرينة الحال بحكم الموطن فانه لم يؤثر
في الاصل هكذا حكم المسح على العمامة عندنا فاعلم ذلك فقد علمت حكم المسح على العمامة في الباطن ما هو وكذلك
المسح ببعض اليد على العمامة وهو ان قدح أخذك للسبب في اعتمادك على الله بقلبك فلا تأخذه ولا تستعمله ما لم يؤد الى
ما هو أعظم منه في البعد عن الله وان لم يؤثر في الاعتماد عليه فامسح ببعض يدك ولا حرج عليك فان طرح السبب من
اليد بعض أفعال اليد لان مجموع اليد في المعنى أمور كثيرة فانها تتصرف تصرفات كثيرة مختلفات المعاني في الامور
المشروعة والاحكام فان لها القبض والبسط والاعتدال قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وهو كناية عن
البخل ولا تبسطها كل البسط وهو كناية عن السرف وكذلك مدح قواما بمثل هذا فقال تعالى والذين اذا أنفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وهو العدل في الانفاق وكذلك قال تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة
وهو هنا البخل فنسب ذلك كله الى الايدي فلهذا قلنا لها أفعال كثيرة ولولا وجود الكثرة ما صحت البعضية لان الواحد
لا يتبعض ﴿وصل في توقيت المسح على الرأس﴾ بقي من تحقيق هذه المسئلة التوقيت في المسح على الرأس هل في
تكراره فضيلة أم لا فمن الناس من قال انه لا فضيلة فيه ومنهم من قال ان فيه فضيلة وهذا يستحب في جميع أفعال الوضوء
في جملة أعضائه سواء غير أنه يقوى في بعض الاعضاء و يضعف في بعض الاعضاء أعني التكرار ولا خلاف في وجوب
الواحدة اذا عمت العضو فأما مذهبنا في الاصل فلا تكرار في العالم للاتساع الالهي فنمنع هذا اللفظ ولا نمنع وجود
الامثال بالتشابه الصوري فنعلم قطعا أن الحركات يشبه بعضها بعضا في الصورة وان كانت كل واحدة منها ليست عين
الاخرى فههنا أن ننظر حكم الشارع في ذلك فان عدد بالامثال عددنا بالامثال كما تقول عقيب الصلاة سبحان الله
ثلاثا وثلاثين فمثل هذا لا نمنعه فقد يقع التعدد في عمل الوضوء تأكيد الازالة حكم الغفلات السريعة الحكم في الانسان
فعلى هذا يكون في التكرار فضيلة فان تيقن بالحضور فلا فضيلة فان الفضل هو الزائد وما زاد هذا المتوضي حكما
بوجود غفلة أو سهو فيكرر فلم تصح الزيادة ولكن الصحيح عندنا ان التكرار فيه فضيلة لانه نور على قدر ما حده
الشارع المبين للاحكام وقد ورد في الكتاب والسنة في تشبيه نور الله بالمصباح في الزجاجة في المشكاة الآية بكمالها وقال
في آخرها نور على نور أي وردفي نور على نور كالدليلين والثلاثة على المدلول الواحد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الوضوء على الوضوء نور على نور ولا فرق بين ورود الوضوء على الوضوء و بين ورود الغرفة الثانية الواردة على الاولى في
الوضوء وتكرار العمل من العامل يوجب تكرار الثواب والتجلي فان في الاعضاء كلها فالثابت التكرار وما كان
الخلاف الا في الرأس والاذنين والرجلين وقد أومأنا الى ما ينبغي في ذلك

﴿باب مسح الاذنين وتجديد الماء لهما﴾

اختلف الناس في مسح الاذنين وتجديد الماء لهما فمن قائل انه سنة ومن قائل انه فرض ومن قائل بتجديد الماء لهما ومن
قائل لا يجدد لهما الماء وهل تفرد بالمسح وحدها أو تمسح مع الرأس خاصة أو تمسح مع الوجه خاصة أو يمسح ما أقبل
منهما مع الوجه وما أدبر منهما مع الرأس ولكل حالة من هذه الاحوال قائل بها ﴿وصل في حكمهما في الباطن﴾
فأما حكمهما في الباطن فانه عضو مستقل يجب تجديد الماء له فيمسح باستماع القول الاحسن ولابد ويقع التفاضل في
الاحسن فثم حسن وأحسن وأعلاه حسنا ذكر الله بالقرآن فيجمع بين الحسنين فليس أعلى من سماع ذكر الله

من القرآن مثل كل آية لا يكون مدلولها الا الله هذا أعنى بذكر الله من القرآن وما كل آى القرآن يتضمن ذكر الله فان فيه الاحكام المشروعة وفيه قصص الفراعنة وحكايات أقوالهم وكفرهم وان كان فيه الاجر العظيم من حيث ماهو قرآن بالاصغاء الى القارئ اذا قرأه أو باصغاء الانسان الى نفسه اذا تلاه ولكن ذكر الله فى القرآن أحسن وأتم من حكاية قول الكافر فى الله مالا ينبغى له فى القرآن أيضا وأما ما أقبل من ظاهر الاذن وما أدبر فهو ما ظهر من حكم ذلك الذكر من القرآن وما بطن وما أسر منه وما أعلن وما فهم منه وما جهل فسلم كلمات المتشابه فى حق الله الى الله فهى مما أدبر من باطن الاذن فتسلم الى مراد الله تعالى فيها حين تسمعها الاذن تتلى وما علم كالآيات المحكمات فى حق الله وما تدل عليه من الاكوان فهى مما أقبل من ظاهر الاذن فيعلم مراد الله بها فيكون الحكم بحسب ما تعلق به العلم فاعمل بحسب ما أشرنا به اليك فى هذا التفصيل والاولى أن يكون حكم الاذنين حكم المضمضة والاستنشاق والاستنثار

﴿باب غسل الرجلين﴾

اعلم أن صورتها فى توقيت الغسل بالاعداد صورة الرأس وقد ذكرنا ذلك اتفق العلماء على أن الرجلين من أعضاء الوضوء واختلفوا فى صورة طهارتها هل ذلك بالغسل أو بالمسح أو بالتخيير بينهما فأى شئ فعل منهما فقد سقط عنه الآخر وأدى الواجب هذا اذا لم يكن عليهما خف ومذهبنا التخيير والجمع أولى وما من قول الا وبه قائل فالمسح بظاهر الكتاب والغسل بالسنة ومحتمل الآية بالعدول عن الظاهر منها ﴿وصل حكم الرجلين فى الباطن وأما حكم ذلك فى الباطن﴾ فاعلم أن السعى الى الجماعات وكثرة الخطى الى المساجد والثبات يوم الزحف مما تطهر به الاقدام فلتكن طهارتك رجليك بما ذكرناه وأمثاله ولا تمش بالنميمة بين الناس ولا تمش فى الارض مرحا واقصد فى مشيك ومن هذا ما هو فرض أعنى من هذه الافعال بمنزلة المرة الواحدة فى غسل عضو الوضوء الرجل وغيره ومنه ما هو سنة وهو ما زاد على الفرض وهو مشيك فيما ندبك الشرع الى السعى فيه وما أوجبه عليك فالواجب عليك نقل الاقدام الى مصلاك والمندوب والمستحب والسنة وما شئت فقل من ذلك مثل نقل الاقدام الى المساجد من قرب و بعد فان ذلك ليس بواجب وان كان الواجب من ذلك عند بعض الناس مسجد الا بعينه وجماعة لا بعينها فعلى هذا يكون غسل رجليك فى الباطن من طريق المعنى واعلم أن الغسل يتضمن المسح بوجه فمن غسل فقد اندرج المسح فيه كاندراج نور الكواكب فى نور الشمس ومن مسح فلم يغسل الا فى مذهب من يرى و ينقل عن العرب ان المسح لغة فى الغسل فيكون من الالفاظ المترادفة والصحيح فى المعنى فى حكم الباطن أن يستعمل المسح فيما يقتضى الخصوص من الاعمال والغسل فيما يقتضى العموم هذه هى الطريقة المثلى ولهذا ذهبنا الى التخيير بحسب الوقت فانه قد يكون يسعى الى فضيلة خاصة فى حاجة معينة لشخص بعينه فذلك بمنزلة المسح وقد يسعى الى الملك فى حاجة تعم جميع الرعايا وحاجات فيدخل ذلك الشخص فى هذا العموم فهذا بمنزلة الغسل الذى اندرج فيه المسح ﴿بيان وانمام﴾ وأما القراءة فى قوله وأرجلكم بفتح اللام وكسرها من أجل حرف الواو على أن يكون عطفا على الممسوح بالخفض وعلى المغسول بالفتح فمذهبنا أن الفتح فى اللام لا يخرجه عن الممسوح فان هذه الواو قد تكون واو مع وواو المعية تنصب تقول قام زيد وعمرا واستوى الماء والخشبة وما أنت وقصعة من ثريد وضربت زيدا وعمرا تريد مع عمرو وكذلك من قرأ وامسحوا برؤسكم وأرجلكم بفتح اللام فحجة من يقول بالمسح فى هذه الآية أقوى لانه يشارك القائل بالغسل فى الدلالة التى اعتبرها وهى فتح اللام ولم يشاركه من يقول بالغسل فى خفض اللام فمن أصحابنا من يرجح الخاص على العام ومنهم من يرجح العام على الخاص كل ذلك . طلقا ومذهبنا نحن على غير ذلك انما نمشى مع الحق بحكم الحال فنعمم حيث عمم ونخصص حيث خصص ولا نحدث حكما فانه من أحدث حكما فقد أحدث فى نفسه ربوبية ومن أحدث فى نفسه ربوبية فقد انتقص من عبوديته بقدر تلك المسئلة واذا انتقص من عبوديته بقدر ذلك ينقص من تجلى الحق له واذا انتقص من تجلى الحق له انتقص علمه بربه واذا انتقص علمه بربه جهل منه سبحانه وتعالى بقدر ما نقصه فان ظهر لذلك الذى نقصه حكم فى العالم أو فى عالمه لم يعرفه فلهذا كان مذهبنا أن لا نحدث حكما جملة واحدة

﴿باب في ترتيب أفعال الوضوء﴾

اختلف العلماء في ترتيب أفعال الوضوء على ما ورد في نسق الآية فمن قائل بوجوب الترتيب ومن قائل بعدم وجوبه وهذا في الافعال المفروضة وأما في ترتيب الافعال المفروضة مع الافعال المسنونة فاختلافهم في ذلك بين سنة واستحباب ﴿وصل في حكم ذلك في الباطن﴾ وأما حكم ذلك في الباطن فلا ترتيب انما تفعل من ذلك بحسب ما تعين عليك في الوقت فان تعين عليك ما يناسب رأسك فعلت به و بدأت به وكذلك ما بقي وسواء كان ذلك في السنن من الافعال أو في الفرائض فالحكم للوقت

﴿باب في الموالاة في الوضوء﴾

فمن قائل ان الموالاة فرض مع الذكر وعدم العذر ساقط مع النسيان ومع الذكر عند العذر ما لم يتفاحش التفاوت ومن قائل ان الموالاة ليست بواجبة وهذا كله من حقيقة في نسق الآية فقد يعطف بالواو في الاشياء المتلاحقة على الفور وقد يعطف بها الاشياء المتراخية وقد يعطف بها ويكون الفعلان معا وهذا لا يسوغ في الوضوء الا أن ينغمس في نهر أو يصب عليه اشخاص الماء في حال واحدة لكل عضو ﴿وصل الموالاة في الباطن﴾ ومذهبنا في حكم الموالاة في الباطن انها ليست بواجبة وذلك مثل الترتيب سواء فانا نفعل من ذلك بحسب ما يقتضيه الوقت وقد ذكرنا نظير هذه المسألة في رسالة الانوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الاسرار فأعمال النافي هذه الطريق بحسب حكم الوقت وما يعطي فان الانسان قد كتبت عليه الغفلات فلا يمكن له مع ذلك الموالاة ولكن ساعة وساعة فليس في مقدور البشر مراقبة الله في السر والعلن مع الانفاس فالموالاة على العموم لا تحصل الا ان يبذل المجهود من نفسه في الاستحضار والمراقبة في جميع أفعاله قال تعالى والذين هم على صلاتهم دائمون والمراد بها انهم كلما جاء وقتها فعلوها وان كان بين الصلاتين أمور فلهذا احصل الدوام في فصل خاص مربوط بأوقات متباينة وأما مع استصحاب الانفاس فذلك من خصائص الملأ الاعلى الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون فهذه هي الموالاة وان حصلت لبعض رجال الله فنادرة الوقوع وأما قول عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه فان كانت نقلته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نشك فيه وان كانت أرادت بذلك أن أفعاله الظاهرة كلها ما وقع منه مباح قط وانه لم يزل في واجب أو مندوب فذلك ممكن وهو ظاهر من مرتبته فانه معلم أمته بحركاته وسكناته للاقتداء فهو ذاكر على الدوام وأما باطنه عليه السلام فلا علم لنا به الا باخباره صلى الله عليه وسلم ومع هذا يتصور تحصيله عند نا مع التصرف في المباح مع حضوره فيه انه مباح وكذا اذا أحضر حكم الشرع في جميع حركاته وسكناته بهذه المثابة فيكون ممن حصل الموالاة في عبادته انتهى الجزء الحادي والثلاثون

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿باب في المسح على الخفين﴾

أما المسح على الخفين فاختلف علماء الشريعة فيه فمن قائل بجوازه على الاطلاق ومن قائل بمنع جوازه على الاطلاق كابن عباس ورواية عن مالك ومن قائل بجواز المسح عليهما في السفر دون الحضر ﴿وصل في حكم الباطن فيه﴾ فأما حكم الباطن في المسح على الخفين فاعلم انه أمر يعرض للشخص يشق على من عرض له انتزاعه كما يشق انتزاع الخف على لابسه فانتقل حكم الطهارة اليه فمسح عليه ولما كانت الطهارة تنزيها وكان الحق هو الذي يقصده المنزه بالتنزيه كما قال تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون والعزة المنع فذكر أنه امتنعت ذاته أن تكون محلا لما وصفه به الملحدون فالحق منزه الذات لنفسه ما تنزه بتنزيه عبده اياه فتنزيه العلماء بالله الحق سبحانه انما هو علم لا عمل اذ لو كان التنزيه من الخلق لهم عملا لكان الله الذي هو المنزه سبحانه محلا لاثر هذا العمل فتفطن لهذه الاشارة فانها في غاية اللطف والحسن فهو سبحانه لا يقبل تنزيه عباده من حيث انهم عاملون فانه لا يرى التنزيه عملا الا الجاهل من العباد فان العالم تراه عالما واذا تكلم به انما تكلم به على جهة التعريف بما هو الامر عليه في نفسه الذي هو قوله وذكره فأثر عمله انما

هو

هو فى علمه بتنزيه خالقه فأخرجه بالقول والذكر من القوة الى الفعل فربما أثر ذلك فى نفوس السامعين ممن كان لا يعتقد فى الله انه بذلك النعت من التنزيه فالعبد حجاب على الحق فان ظاهر الآثار انما تدرك فى العموم وتنسب للاسباب التى وضعها الحق ولهذا يقول العبد فعلت وصنعت وصمت وصليت ويضيف الى نفسه جميع أفعاله كلها فحجابه عن خالقها فيه ومنه وبحجر بها فكما صار الخف حجابا بين المتوضئ وبين ايصال الوضوء الى الرجل وانتقل حكم الطهارة الى الخف كذلك تنزيه الانسان خالقه وهو الطهارة والتقديس لما لم يتمكن فى نفس الامر ايصال أثر ذلك التنزيه الى الحق لانه منزه لذاته انتقل حكم أثر ذلك التنزيه الى الانسان المنزه الذى هو حجاب على خالقه من حيث ان للتنزيه العملى أثرا فى المنزه وقبله الانسان كما قبل الخف الطهارة بالمسح المشروع فيكون العبد هو الذى نزه نفسه عن الجهل الذى قام بنفس الجاهل الذى نسب الى الحق ما لا يليق به ولا تقبله ذاته يقول الله فى الخبر الصحيح انه رجل العبد التى يسعى بها والحس انما يبصر العبد يسعى برجله فلما لبس الخف وهو عين ذات العبد انتقل حكم الطهارة اليه انما هى أعمالكم ترد عليكم فتعلق الحكم الخف ومن هذا الباب كان جواز المسح على الاطلاق سفرا وحضرا فالحضر منه هو التنزيه الذى يعود عليك فتقول سبحانى فى هذه الحالة كما نقل عن رجال الله فكان مشهد من قال سبحانى هذا المقام الذى ذكرناه والسفر هو التنزيه الذى ينتقل من تلفظك به فى التعليم الى سمع المتعلم السامع فيؤثر فى نفس السامع حصول ذلك العلم فتطهر محله من الجهل الذى كان عليه فى تلك المسئلة هذا القدر من انتقاله من العالم المعلم الى المتعلم يسمى سفرا لانه أسفر له بهذا التعليم عما هو الامر عليه فطهر محله ومن هذا الباب أيضا ان لباس الخف وما فى معناه من جرموق وجورب مما يلبس ويستر حد الوضوء من الرجل عرفا وعادة ولما كان من أسماء الرجل فى اللسان القدم كان هذا مما يقوى القدمية فى القدم اذ كان القدم يقال فى اللسان بالاشتراك اذ هو عبارة عن الثبوت يقال لفلان فى هذا الامر سابقة قدم يريد أن له أساسا ثابتا قديما فى هذا الامر كما يقال فى الرجل بالاشتراك أيضا أعنى اطلاق هذه اللفظة فى اللسان يقال رجل من جراد أى قطعة وجماعة من جراد فاذا قال قائل ان الرجل يسخن بالخف يعلم قطعا أنه يريد العضو الخاص المعروف فقرائن الاحوال ودلالات الالفاظ بالصفات تعين ما كان مبهما بالاشتراك فانتقل حكم الطهارة الى الخف بعدما كان متعلقها الرجل ولكن اذا كان ملبوسا فيطهر مما يمكن أن يتعلق به مما يمنع من ذلك حكما وعينا وكذلك لما نسب القدم الى الله تعالى فى حديث يضع الجبار فيها قدمه ربما وقع فى نفس بعض العقلاء أن نسبة القدم الى الله تعالى ما هو على حد ما ينسب الى الانسان أو لكل ذى رجل وقدم وأن المراد به مثلا أمر آخر وغفلوا عن أقدام المتجسدين من الارواح فازال الله سبحانه هذا التوهم من القائل به بما نسب الى نفسه من الهرولة التى هى الاسراع فى المشى مع تقدم وصف القدم فألحق بمن يمشى على رجلين لا بمن يمشى على البطن مع التحقق بليس كمثله شئ لا بد من ذلك فلا نصفه ولا ننسب اليه الا ما نسبه الى نفسه أو وصف نفسه به فما نسب الهرولة اليه الا ليعلم انه أراد القدم الذى يقبل صفة السعى وحكمه على ما يليق بجلاله لانه المجهول الذى لا يعرف ولا يقال هو النكرة التى لا تتعرف قال تعالى ولا يحيطون به علما وما نقول أراد بنسبة القدم ما عينته المنزهة على زعمها واقتصرت عليه فجاء بالهرولة لاثبات القدمية وأقامه مقام الخف للقدم فى ازالة الاشتراك المتوهم فانتقل التنزيه الى الهرولة من القدم وقد كان القائل بالتنزيه مشتغلا بتنزيه القدم فلما جاءت الهرولة انتقل التنزيه اليها كما انتقل حكم طهارة القدم الى الخف فتنزه العبد ربه عن الهرولة المعتادة فى العرف وانها على حسب ما يليق بجلاله سبحانه فانه لا يقدر أن لا يصفه بها اذ كان الحق أعلم بنفسه وقد أثبت لنفسه هذه الصفة فمن رد نسبتها اليه فليس بمؤمن ولكن الذى يجب عليه أن يرد العلم بها الى الله أعنى علم النسبة وأما معقولية الهرولة فما خاطب أهل اللسان الا بما يعقلونه فالهرولة معقولة وصورة النسبة مجهولة وكذلك جميع ما وصف به نفسه مما توصف به المحدثات وليس الغرض مما ذكرنا الا جواز انتقال الطهارة من محل الى محل آخر بضرب من المناسبة والشبه وانما قلنا بالجواز لا بالوجوب فان الوجوب يناقض الجواز ولصاحب الخف ان يجرد خفه و يغسل رجليه شرعا أو يمسحها بالماء على ما يقتضيه مذهبه فى ذلك ولا مانع له من ذلك وكذلك هذا العاقل قد يبقى على تنزيهه للقدم ولا ينتقل الى الهرولة

ديزيلها عن هذه القدم بحكم مايسبق الى الفهم اذ أبين ان القدم ماتشبه نسبتها الى الحق نسبة أقدامنا الينا من كل الوجوه فلهذا لم يتعلق الوجوب بالمسح وكان حكمه الجواز ﴿وصل﴾ وأمّا من أجازه سفرا ومنعه فى الحضر فذلك اذا كان التنزيه عملا فلا أثر له الا فى المتعلم السامع القابل فيسافر التنزيه من العالم المعلم الى المتعلم على راحلة التلفظ والكلام بعبارة أو اشارة من المعلم الى المتعلم ﴿وصل﴾ وأمّا من منع جوازه على الاطلاق فان حقيقة التنزيه انما هى لله سبحانه فانه المنزه لذاته والعبد لا يكون منزها أبدا ولا يصح وان تنزه عن شئ مالم يتنزه عن شئ آخر فمن حقيقته انه لا يقبل التنزيه على الاطلاق واذا كان بهذه الصفة لا يجوز تنزيهه فانه خلاف العلم والامور العارضة لا أثر لها فى الحقائق فان قبول العبد لآثار التنزيه يدل على عدم التنزيه عن قبول الآثار فيه فهذا وجه منع جواز المسح على الخف وما فى معناه على الاطلاق ان فهمت ﴿وصل وتتميم﴾ وأمّا الاشارة بالخفين فان المراد بهما النشأتان نشأة الجسم ونشأة الروح ولكل نشأة مايليق بها من الطهارة فافهم

﴿باب تحديد محل المسح من الخف وما فى معناه﴾

اختلف علماء الشريعة فى تحديد المسح على الخف فمن قائل ان القدر الواجب من ذلك مسح أعلى الخف وما زاد على ذلك فمستحب وهو مسح أسفل الخف يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح أعلى الخف ومن قائل بوجوب مسح ظهورهما وبطونهما ومن قائل بوجوب مسح ظهورهما فقط ولا يستحب صاحب هذا القول مسح بطونهما ومن قائل ان الواجب مسح باطن الخف ومسح الاعلى مستحب وهو قول أشهب ﴿وصل فى حكم الباطن فى ذلك﴾ اعلم ان التنزيه المعبر عنه هنا بطهارة المسح متعلقه امّا الحق كما قدمنا وامّا العبد الذى نزهه والقسمة منحصرة فما ثم الا عبد ورب وخالق ومخلوق ولنا فى هذه المسئلة لفظة أعلى وأسفل وصفة العلو لله تعالى لانه رفيع الدرجات لذاته قال تعالى سبح اسم ربك الاعلى وما فى القرآن أقرب نسبة الى مسح أعلى الخف من هذه الآية والسفل لنا وكذلك أيضا ظاهر الخف وباطنه أعنى هاتين اللفظتين قد يكون الحق له حكم الظاهر والباطن وقد يكون حكم الظاهر له فى خرق العوائد وحكم الباطن له فى نفس العوائد وهى أكثر الايات الدالة على الله لقوم يعقلون فتارة يعلق التنزيه بالاعلى سبحانه وتعالى حقيقة وهو حد الواجب من ذلك ويستحب اطلاق التنزيه على العبد من حيث ان عمله لذلك يعود عليه وهذا على مذهب من يرى ان الواجب مسح أعلى الخف ويستحب مسح أسفله وتارة يعلق التنزيه بالحق سبحانه ظاهرا او باطنا وهو الذى لا يرى فى الوجود الا الله لغلبة سلطان المشاهدة والتجليات عليه فيرى الحق ظاهرا او باطنا فلا يقع منه تنزيه الاعلى الحق سبحانه والتنزيه نسبة عدمية لا وجودية وهو الذى يوجب مسح ظهور الخفين وبطونهما وتارة يعلق التنزيه بالله تعالى لكماله فى ذاته ولا يستحب تنزيه الخلق للنقص الذاتى الذى هو له فيقع فى الكذب ان نزهه فيرى انه لو تنزه الممكن بوما مّامن جهة مّا الصفة كمال هو عليها لكان من حيث تلك الصفة غنيا عن الله ومقاوما له ومحال على الخلق ان يكونوا على صفة يكون لهم بها الغنى عن الله فانهم من جميع الوجوه فقراء الى الله والله هو الغنى الحميد فمنع من استحباب مسح أسفل الخف وقال ما ثم منزه الا الله العلى الظاهر الى عباده بنعوت الجلال وهذا كما قلنا مذهب من يرى مسح أعلى الخف ولا يستحب مسح أسفله وتارة يعلق التنزيه أعنى وجوبه من اسمه الباطن ويقول ان الباطن محل يبعد العثور على ما يستحقه من نعوت الجلال لبطونه فيكون الواجب تنزيه الحق فى اسمه الباطن من أثر الحجاب الذى حكم عليه ان يكون باطنا لا يدرك والله أعلى واجل أن يحوطه حجاب فوجب تنزيهه من حيث اسمه الباطن فهذا وجه من أوجب مسح الباطن من الخف كاشهب واستحب مسح أعلاه وهو الاسم الظاهر فيقول واستحب تنزيه الحق فى اسمه الظاهر وهو تجليه فى الصورة لعباده فينزهه عن التقييد بها ولكن التنزيه الذى لا يخرجه عن العلم انه عين تلك الصورة فانه أعلم بنفسه من العقل به ومن كل عالم سواه به وقد قال عن نفسه انه هو الذى يتجلى لعباده فى تلك الصورة كما ذكره مسلم فى صحيحه فيكون تنزيهه عند ذلك انه لا يتقيد بصورة أى لا تقيده صورة بل يتجلى فى أى صورة يظهر

بها العباده ومن هذه الحقيقة التي هو عليها في نفسه ذكر لنا في خلقنا بعد تسويتنا وتعديلنا في أيّ صورة ماشاء ركبنا كما انه في أي صورة شاء تجلى لعباده وهنا سرّ الهي نبهك عليه لتعرفه به فنزهه صاحب هذا المذهب في ظهوره استحبابا عن دوام التجلي في تلك الصورة بالاقامة فيها في عينك فافهم فهذا حكم الباطن في تحديد المحل

﴿باب في نوع محل المسح وهو ما يستر به الرجل من خف أو جورب﴾

اعلم ان القائلين بالمسح على الخفين متفقون على المسح عليهما بلا شك واختلفوا في المسح على الجورب بين فمن قائل بالمنع على الاطلاق ومن قائل بالجواز على الاطلاق ومن قائل بالجواز اذا كان على صفة خاصة فأما ان يكون من الكثافة والضخانة بحيث ان لا يصل ماء المسح الى الرجل أو يكون مبطنا بجلد يجوز المشي فيه أي يمكن المشي فيه ﴿وصل حكمه في الباطن﴾ فأما حكم الباطن في ذلك فقد تقدم في الخوف وبقي حكم الجورب فالمقرّر ان الجورب مثل الخف في الصفة الحجابية فان العبد حجاب دون خالقه ولهذا ورد من عرف نفسه عرف ربه فانه الدليل عليه والدليل والمدلول وان ارتبطا بالوجه الخاص فهما ضدان لا يجتمعان وقد قلنا فيما تقدم ان الخف هو أدل على الرجل في ازالة الاشتراك من لفظة الرجل التي تطلق عليه وكذلك الهرولة وقد مضى ذلك الا ان الجورب وان ستر الرجل لا يقوى قوة الخف للتخلل الذي فيه فان الماء ينفذ ويتخلل مسامه سريعا والخف ليس كذلك وحكمه في الباطن ان من العباد عباد الله من يكون في الدلالة على الله أقوى من غيره فهو بمنزلة الجورب كما ثبت في الاثر عن الله في صفة أولياء الله حدثني غير واحد ممن حدثه يبلغ به النبيّ صلى الله عليه وسلم انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من أولياء الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين اذا رؤوا ذكر الله ذكره الحافظ أبو نعيم في كتاب حلية الاولياء له وذلك لما قلناه مما يرى عليهم من قوّة الدلالة على الله تعالى من الاستهتار بذكره سبحانه وما هم عليه من الذلة والطاعة والافتقار مع الانفاس الى الله فاذا أراد الناس أن ينزهوهم لم تمكن لهم تنزيههم الا بتنزيه الله فانهم ما يذكرونهم الا بالله لما تعطيهم أحوالهم الصادقة مع الله فان كان الخف مبطنا بجلد فهو الملامي الذي يستر نفسه وحاله مع الله عن العالم السفليّ أن يدركوا مرتبة ولايته عند الله كما يستر الجورب عن الارض أن تدركه ونصيبه بالجلد الذي حال بين الارض وبينه وهو الصفة التي استتر بها هذا الملامي من المباحات عن العالم الاسفل المحجوب فلم يدركوا منه الا تلك الصفة التي لم يتميز بها عن عامة المؤمنين وهو من خلف تلك الصفة في مقام الولاية مع الله وبقي أعلى الجورب من جانب الاعلى مع الله سبحانه بلا حائل بينه وبين ربه عز وجل وقد فتحت لك باب الاعتبار شرعا وهو الجواز من الصورة التي ظهر حكمها في الحس الى ما يناسبه في ذاتك أو في جناب الحق مما يدل على الحق هذا معنى الاعتبار فانه من عبرت الوادي اذا قطعته وجزته

﴿باب في صفة الممسوح عليه﴾

أجمع من يقول بجواز المسح على جواز المسح على الخف الصحيح واختلفوا في المخرق فمن قائل بجوازه اذا كان الخرق يسيرا من غير حدّ ومن قائل بتحديد الخرق اليسير بثلاثة أصابع ومن قائل بجوازه مادام ينطلق عليه اسم الخف وان تفاحش خرقه وهو الاوجه عندي ومن قائل بمنع المسح اذا كان الخرق في مقدّم الخف وان كان يسيرا والذي أقول به ان هذه المسئلة لا أصل لها ولا نص فيها في كتاب ولا سنة فكان الاولى اهمالها وأن لا نشتغل بها وان الحق في ذلك اذ وقد وقع في ذلك من الخلاف بين علماء الشريعة ما أحوجنا الى الكلام فيها ان الحق في ذلك عندنا انما هو مع من قال يجوز مادام يسمى خفا ﴿وصل في حكم الباطن في ذلك﴾ وهو أن نقول انما سمي الخف خفا من الخفاء لانه يستر الرجل مطلقا فاذا انخرق وظهر من الرجل شئ مسح على ما ظهر منه ومسح على الخف وذلك مادام يسمى خفا لا بدّ من هذا الشرط وفيه سر عجيب للفطن المصيب ان الخافي هو الظاهر أيضا يقول امرؤ القيس * خفاهنّ من أنفاقهنّ * أي أبرزهنّ وأظهرهنّ وانما قلنا يمسح ما ظهر لانا قد أمرنا في كتاب الله بمسح الارجل فاذا ظهر مسحناه وأما في الباطن فظاهر الشريعة مستر على حقيقة حكم التوحيد بنسبة كل شئ الى الله فالطهارة في الشريعة متعلقها وهي ان تصحبها التوحيد بأن تراها حكم الله في خلقه لا حكم المخلوق مثل السياسات الحكمية فالشرع حكم الله لا حكم العقل كما

برأيه بعضهم فطهارة الشرع بعقرق يتهامن الله الواحد الحق وهذا لا ينبغي لنا أن نطعن في حكم مجتهد لان الشرع الذي هو حكم الله قد قرر ذلك الحكم فهو شرع الله بتقريره اياه وهي مسئلة يقع في محظورها أصحاب المذاهب كلهم لعدم استحضارهم لما نبهنا عليه مع كونهم عالمين به ولكنهم غفلوا عن استحضاره فأساؤا الادب مع الله في ذلك حين فاز بذلك الادباء من عباد الله فمن خطأ مجتهدا بعينه فقد خطأ الحق فيما قرره حكما فاذا انخرق الشرع فظهر في مسئلة ما حكم من أحكام التوحيد مما تزيل حكم الشرع مطلقا انتقل الحكم لطهارة ذلك التوحيد المؤثر في ازالة حكم الشريعة كمن ينسب الافعال كلها الى الله من جميع الوجوه فلا يبالي فيما يظهر عليه من مخالفة أو موافقة فمثل هذا التوحيد يجب التنزيه منه لظهور هذا الاثر فانه خرق للشريعة ورفع لحكم الله كما لا يجوز المسح مع زوال اسم الخف فان كان الخرق يبقي اسم الخف عليه كان الحكم كما قررناه من المسح على الخف ومسح ما ظهر من الرجل وهو أن يبين في ذلك التوحيد المعين في هذه المسئلة الوجه المشروع وهو أن تقول والله خلقكم وما تعملون فالاعمال خلق لله مع كونها منسوبة اليك فلم ينسبها من جميع الوجوه فلم يؤثر في المسح ويكون الحكم في ذلك كما قررناه وأهل طريقنا اختلفوا في هذه المسئلة اختلافا كثيرا على صورة ما اختلف فيه أهل المسح على الخف سواء فأما من حده بثلاثة أصابع فراعى ظهور التوحيد في ثلاث منازل وهو حكم الشرع في الانسان في معناه وفي حسه وفي خياله فاذا عم التوحيد هذه الثلاثة لم يجز الاخذ به وانتقل الى مسح الرجل أو غسله كما ينتقل تنزيه الانسان نفسه عن مثل هذا التوحيد حيث أزال حكم الشرع منه فحكمه حكم من زال عنه اسم الخف

﴿باب في توقيت المسح﴾

اختلف في ذلك فمن قائل بالتوقيت فيه ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوم وليلة للمقيم ومن قائل بأن لا توقيت وليمسح ما بدا له ما لم يقم مانع كالجنابة ﴿وصل حكمه في الباطن﴾ فأما الحكم في ذلك في الباطن على مذهب القائل بالتوقيت فقد قررنا في المسح على الخف في باب العالم والمتعلم ان ذلك سفر حيث انتقل الامر من المعلم الى المتعلم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا علم الناس شرائعهم كرر الكلمة ثلاث مرات حتى تفهم عنه لانه مأمور بالبيان والابلاغ هذا معنى مسح المسافر ثلاثا وأما توقيت الحاضر بيوم وليلة فانه ليس له في نفسه الاقيام ذلك الامر فيعلمه فلا يعيده عليه لنفسه لانه قد ظهر له وهو من نفسه على يقين وما هو على يقين من قبول غيره لذلك عند التعليم فيكرره ثلاث مرات ليتيقن ان قد فهم عنه ومن لم يقل بالتحديد نظر الى فطر المتعلمين فمنهم من يفهم بأول مرة ومنهم من لا يفهم الا بعد تفصيل وتكرار المرة بعد المرة حتى يفهم فلا يوقت عددا بعينه في حال تعليمه غيره الذي هو بمنزلة السفر ولا ينظره في نفسه الذي هو بمنزلة الحضر فانه في نفسه قد يمكن أن يتصور فيما ظهر له انه ربما يكون شبهة فيحقق النظر فيه مرارا فلا توقيت وأما حكم الجنابة في ازالة الخف فالجنابة هي الغربة والجنب الغريب فاذا وقع في القلب أمر غريب يقدح في الشرع بمجرد النظر في ذلك بالعقل دون الاستدلال بالشرع مثل أن يخطر له خاطر البرهمي المنكر للشريعة فلا يقبل دليل الشرع على ابطال هذا القول الذي خطر له فانه محل النزاع فلا بد أن ينزع من الاستدلال بالشرع الى الاستدلال بما تعطيه أدلة النظر وسواء وقع ذلك له كالحضر أو لغيره كالسفر كما ان الجنب سواء كان مسافرا أو حاضرا لا بد من ازالة الخف

﴿باب في شرط المسح على الخفين﴾

فمن قائل ان من شرط المسح أن يكون الرجلان طاهرتين بطهر الوضوء ومن قائل انه ليس من شرطه الا طهارتهما من النجاسة وبه أقول والقول الاول أحوط وبقي شرط آخر أن لا يكون خف على خف فمن قائل بجواز المسح عليهما وبه أقول ومن قائل بالمنع وهكذا حكم الجرموق ﴿وصل في حكم الباطن في ذلك﴾ وأما حكم الباطن في ذلك فان الطهر المعقول في الباطن هو التنزيه كما قررناه عقلا وشرعا وهذه الطهارة الخاصة للرجلين طهارة شرعية وقد وصف نفسه تعالى بأن له الهرولة لمن أقبل اليه يسعى والسعي والهرولة من صفات الارجل فمن نزه الحق عن الهرولة فقد أكذب الحق فيما وصف به نفسه وان كان العقل لا يقبل من حيث دليله هذه النسبة اليه تعالى والايمان يقبلها وينفي التشبيه بقوله تعالى ليس كمثله

شئ و بالدليل النظرى ولا تتأول الهرولة لاهية بتضعيف الاقبال الالهى على العبد وتأكيده ولاغير ذلك من ضروب التأويلات المنزهة وانما تأول ذلك من تأوله من العقلاء بتضاعف الاقبال الالهى بجزيل الثواب على العبد اذا أتى الى ربه يسعى بالعبادات التى فيها المشى كالسعى الى المساجد والسعى فى الطواف والى الطواف والى الحج والى عيادة المرضى والى قضاء حوائج الناس وتشييع الجنائز وكل عبادة فيها سعى قرب محلها أو بعد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله فطهر الوضوء وصف الحق بأنه يهرول والطهر الذى هو النظافة هو تنزيه الحق ان لا يرفع عنه ما وصف به نفسه وأما ما لم يصف به نفسه مما هو من نعوت الممكنات فتنزيهه عن أن يوصف بشئ من ذلك هو للعقل فالعقل تحت حكم الشرع اذا نطق الشرع فى صفات الحق بما نطق فليس له رد ذلك ان كان مؤمنا ويكون المطوق والموصوف بتلك الصفة قابلا أى جائز القبول أو مجهول القبول فيلزم العقل قبول الوصف المشروع وان جهل قبول الموصوف له ولهذا ذهبنا فى طهر الرجلين الى الطهر اللغوى الذى هو النظافة والتنزيه من النجاسة فلا يلزمنا شئ مما يتفرع من هذه المسئلة من المسائل على مذهب القائلين بطهر الوضوء وأما اذا لبس خفا على خف فهو وصف الحق نفسه بالهرولة فان الهرولة صفة للسعى والسعى صفة للرجل فقد يكون السعى بهرولة وقد لا يكون واذا كان هذا فالهرولة من صفات السعى فبين الهرولة وبين القدم أمر آخر وهو السعى فهو كالخف على الخف وقد تقدم الكلام عليه فافهم

﴿باب فى معرفة ناقض طهارة المسح على الخف﴾

الاتفاق على ان نواقضها نواقض الوضوء كلها وسيأتى بابه فى هذا الباب فيما بعد اختلف العلماء فى نزع الخف هل هو ناقض للطهارة أم لا فمن قائل ان الطهارة تبطل ويستأنف الوضوء ومن قائل تبطل طهارة القدمين خاصة فيغسلهما ولا بد على ما تقدم من الاختلاف فى الموالاة ومن قائل لا يؤثر نزع الخف فى طهارة القدم وبه أقول وان استأنف الوضوء فهو أحوط ولا يؤثر فى طهارته كلها الا ان يحدث ما ينقض كما سيأتى ﴿وصل فى حكم الباطن فى ذلك﴾ أما حكم الباطن فمن قال تبطل الطهارة كلها فهو سريان التنزيه فى الموصوف فاذا قبل تنزيها بعينه قبل سائرها يعقل فيه التنزيه كذلك ان بطل تنزيه ما فى حق الموصوف سرى البطلان فى النعوت كلها نعوت التنزيه ومن قال تبطل طهارة الرجل خاصة وأن يزيل الشرع عن الحق وصفا ما على التعيين فلا يلزم منه ازالة كل وصف يقتضى التشبيه فان الله سبحانه نزه نفسه أن يلد وما نزه نفسه عن أن يتردد فى الامر يريد فعله ولا نزه نفسه عن التدبير ولا نزه نفسه عن الغضب ومن قائل بانه على طهره وان نزع الخف لا حكم له ولا تأثير فى الطهارة التى كان موصوفا بها فى حال لبسه خفه يقول وان نزه الحق نفسه عن أن يلد فالوصف له باق فانه قال لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء فأبقى الامر على حكمه بقوله تعالى لو أراد وهذا مثل قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق وقوله ما يبدل القول لدى وهذا رد على من يقول ان الاله لذاته أوجد الممكن لا للنسبة ارادة ولا سبق علم والصحيح مقالة الشارع وان لم تكن تلك النسبة أمرا وجوديا زائدا فاعلم ذلك

﴿أبواب المياه﴾

قد تقدم الكلام فى أول الباب فى الفرق بين ماء الغيث وماء العيون وبينا من ذلك ما فيه مغنية فلنذكر فى هذه الابواب حكم ما نزعت اليه علماء الشريعة فى الظاهر بما يناسبه من طهارة الباطن

﴿باب فى مطلق المياه﴾

أجمع العلماء على ان جميع المياه طاهرة فى نفسها مطهرة غيرها الا ماء البحر فان فيه خلافا وكذلك أيضا اتفقوا على ان ما يغير الماء مما لا ينفك عنه غالبا انه لا يسلب عنه صفة التطهير الا الماء الآجن فان ابن سيرين خالف فيه والذى أذهب اليه ان كل ما ينطلق عليه اسم الماء مطلقا فانه طاهر مطهر سواء كان ماء البحر أو الآجن واتفقوا أيضا على ان الماء الذى غيرت النجاسة لونه أو طعمه أو ريحه أو كل هذه الاوصاف انه لا تجوز به الطهارة فان لم يتغير الماء ولا واحد من أوصافه بقى على أصله من الطهارة والتطهير ولم يؤثر ما وقع فيه من النجاسة الا انى أعرف فى هذه المسئلة خلافا فى قليل الماء يقع فيه قليل النجاسة بحيث أن لا يتغير من أوصافه شئ ﴿وصل حكم الباطن فى ذلك﴾ فأما حكم الباطن فيما

ذكرناه فاعلم ان الماء هو الحياة التي تحيا بها القلوب فيحصل به الطهارة لكل قلب من الجهل قال تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها هذا ضرب مثل في الكفر والايمان والعلم والجهل وأمّا ماء البحر الذي وقع فيه الخلاف الشاذ فكونه مخلوقا من صفة الغضب والغضب يكون عنه الطرد والبعد في حق المغضوب عليه والطهارة مؤدّية الى القرب والوصلة فهذا سبب الخلاف في الباطن وأمّا العلة في الظاهر فتغير الطعم فمن رأى ان الغضب لله يؤدي الى القرب من الله والوصلة به رأى الوضوء بماء البحر واليه أذهب ومن اتسع في علم التوحيد ولم يلزم الادب الشرعيّ فلم يغضب لله ولا لنفسه لم ير الوضوء بماء البحر لانه مخلوق من الغضب فيخاف أن يؤثر فيه غضبا فتقوم به صفة الغضب وحاله لا تعطي ذلك فان التوحيد يمنعه من الغضب لانه في نظره ماثم من يغضب عليه لاحدية العين عنده في جميع الافعال المنسوبة الى العالم اذ لو كان عنده مغضوب عليه لم يكن توحيد فان موجب الغضب انما هو الفعل ولا فاعل الا الله وهذه المسئلة من أشكل المسائل عند القوم وان كانت عندنا هينة الخطب لمعرفتنا بمواضع الادب الالهيّ الذي شرعه لنا ثم التخلق بالاخلاق الالهية ومنها الغضب الذي وصف به نفسه في كتابه فقال تعالى وغضب الله عليه ولعنه وقوله في آية اللعان والخامسة أن غضب الله عليها وقد جاءت السنة بأن الله يغضب يوم القيامة غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله فهذا الذي لا يغضب لا يرى الا الله فيحكم عليه حاله وهذا مقام الحيرة فالويل له ان غضب هنا والويل له ان لم يغضب في الآخرة فهو محجوج بكل حال دنيا وآخرة والغضب لله أسلم وأنجى وأحسن بالانسان فانّ فيه لزوم الادب المشروع ولما كان الغضب في أصل جبلة الانسان كالجبن والحرص والشره بين الحق له مصارف اذا وقع من العبد واتصف به وللتسليم محال ومواضع قد شرعت التزم بها الادباء حالا وغاب عنها أصحاب الاحوال ولعدم التسليم محال ومواضع قد شرعت فالاديب هو الواقف من غير حكم حتى يحكم الشارع الحق وهو خير الحاكمين فاذا حكم وقف الاديب حيث حكم لا يزيد ولا ينقص والغضب صفة باطنة في الانسان قد يكون لها أثر في الظاهر وقد لا يكون فان الحال أغلب والاحوال يعلو بعضها على بعض في القهر والغلبة على من قامت بهم فان جمع بين وجود الرحمة على المغضوب عليه في قلبه وحكم الغضب لله في حسه وظاهره فان أهل طريق الله نظروا أيّ الطريقين أعلى وأحق فمنا من قال بانّ الغضب القائم بالنفس أعلى ومنا من قال وجود الرحمة في القلب وارسال حكم الغضب لله في الظاهر أعلى وليس بيد العبد فيه شيء وانما العبد مصرّف فهو بحسب ما يقام فيه ويرد به وما للانسان في تركه وعدم تركه للشيء فعل بل هو مجبور في اختياره اذا كان مؤمنا فانا قيدنا الغضب أن يكون لله وأما الغضب لغير الله فالطبع البشريّ يقتضي الغضب والرضى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر وأرضى كما يرضى البشر الحديث وقد عملنا به حالا وخلقا ولله الحمد على ذلك وأما حكم الماء الآجن في الباطن دون غيره مما يغير الماء مما لا ينفك عنه غالبا فاعلم ان الله سبحانه مانزه الماء عن شيء يتغير به مما لا ينفك عنه غالبا الا الماء الآجن فقال تعالى في صفة أهل الجنة الموصوفة بالطهارة فيها أنهار من ماء غير آسن يقال أسن الماء وأجن اذا تغير وهو الماء المخزون في الصهاريج وكل ماء مخزون يتغير بطول المكث فاذا عرض للعلم الذي به حياة القلوب من المزاج الطبيعيّ أمر أثر فيه كالعلم بأن الله رحيم فاذا رأى رحمته بعباد الله كما يراها من نفسه من الرقة والشفقة التي يجد ألمها في نفسه فيطلب العبد ازالة ذلك الالم الذي يجده في نفسه برحمة هذا الذي أدركته الرحمة عليه من المخلوقين قام له قيام الرقة به وحمل ذلك على رحمة الله فتغيرت عنده رحمة الله بالقياس على رحمته فلم ينبغ له أن يظهر نفسه لعباده ربه بمثل هذه الرحمة الالهية وقد تغيرت عنده وعلة ذلك ان الحق ما وصف نفسه بالرقة في رحمته فالحق يقول لك هنا لا تجعل طبيعتك حاكمة على حياتك الالهية ومن يرى الوضوء بالماء الآجن لم يفرّق فان الحق قد وصف نفسه في مواضع بما يقتضيه الطبع البشريّ فيجري الكل مجرى واحدا والاولى ما ذكرناه أوّلا ان لا تزيد على حكم الله شيأ فيما ذكر عن نفسه وأما حكم الباطن في العلم القليل اذا وردت عليه الشبه المضلة وأثرت فيه التغير فانه لا يجوز له استعمال ذلك العلم فانه غير واثق به وان كان عارفا بأن لذلك العلم وجها الى الحق ولكن ليس في قوّته لضعف علمه معرفة تعيين ذلك الوجه فيعدل عند ذلك الى العلم الذي يستهلك الشبه وهو العلم الذي يأخذه عن الايمان من

طريق الشرع والعمل به فانه العلم الواسع الذي لا يقبل الشبه لانه يقلب عينها بالوجه الحق الذي تحمله فيصرفها في موضعها فتكون علما بعدما كانت بكونها شبهة جهلا فان نور الايمان تندرج فيه أنوار العلوم اندراج أنوار الكواكب في نور الشمس وطريقه واضحة أيضا في رجوع الشبه علما لانه يزيل حكمها ويربه نور الايمان وجه الحق فيها فيراها عدما والعدم لا أثر له ولا تأثير في الوجود فاعلم ذلك واعلم ان نور الايمان هنا عبارة عن أمر الشرع أي الزم ما قلت لك وأمرتك به سواء وجدت عليه دليلا عقليا أو لم تجده كالايمان في الجناب الالهي بالهرولة والضحك والتبشبش والتعجب من غير تكييف ولا تشبيه مع معقولية ذلك من اللسان لكن تجهل النسبة لاستنادنا الى قوله تعالى ليس كمثله شئ وهي أعني هذه الآية أصل في التنزيه لاهله وأصل في التشبيه لاهله

﴿باب في الماء تخالطه النجاسة ولم تغير أحد أوصافه﴾

اختلف علماء الشريعة في الماء تخالطه النجاسة ولم تغير أحد أوصافه فمن قائل انه طاهر مطهر سواء كان قليلا أو كثيرا وبه أقول الا أني أقول انه مطهر غير طاهر في نفسه لانا نعلم قطعا ان النجاسة خالطته لكن الشرع عفا عنها ولا أعرف هذا القول لاحد وهو معقول وما عندنا من الشرع دليل انه طاهر في نفسه لكنه طهور وان احتجوا علينا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شئ قلنا ما قال انه طاهر في نفسه وانما قال فيه انه طهور والطهور هو الماء والتراب الذي يطهر غيره فانا كما قلنا نعلم قطعا ان الماء حامل النجاسة عقلا ولكن الشارع ما جعل لها أثرا في طهارة الانسان به ولا سماه نجسا فقد يريد الشارع التعريف بحقيقة الامر وهو أن الماء في نفسه طاهر بكل وجه أبدا لم يحكم عليه بنجاسة أي ان النجاسة ليست بصفة له وانما أجزاء النجس تجاور أجزاءه فلما عسر الفصل بين أجزاء البول مثلا وبين أجزاء الماء وكثرت أجزاء النجاسة على أجزاء الماء فغيرت أحد أوصافه منع من الوضوء به شرعا على الحد المعتبر في الشرع واذا غلبت أجزاء الماء على اجزاء النجاسة فلم تغير أحد أوصافه لم يعتبرها الشارع ولا جعل لها حكما في الطهارة بها فانا نعلم قطعا ان المتطهر استعمل الماء والنجاسة معا في طهارته الشرعية والحكم للشرع في استعمال الاشياء لا للعقل ولم يرد شرع قط بأنه طاهر ليست فيه نجاسة الا باعتبار ما ذكرناه من عدم تداخل الجواهر وهو أمر معقول فبقي الاتجاور هافاعتبر الشرع تلك المجاورة في موضع ولم يعتبرها في موضع فلذلك لم يجز الطهارة به في الموضع الذي اعتبرها وأجاز الطهارة به في الموضع الذي لم يعتبرها ولم يقل فيه انه ليس فيه نجاسة فالحكم في الماء على ما ذكرناه على أربع مراتب اذا خالطته النجاسة أو لم تخالطه حكم بأنه طاهر مطهر وحكم بأنه طاهر غير مطهر وحكم بأنه غير مطهر ولا طاهر وحكم بأنه مطهر غير طاهر فالطاهر المطهر هو الماء الذي لم تخالطه نجاسة والطاهر غير المطهر هو الماء الذي يخالطه ما ليس بنجس بحيث ان يزيل عنه اسم الماء المطلق مثل ماء الزعفران وغيره وحكم بأنه غير طاهر ولا مطهر وهو الماء الذي غيرت النجاسة أحد أوصافه وصاحب هذا الحكم يرد الحديث الذي احتج به علينا فان الشارع قال لا ينجسه شئ فكيف اعتبره هذا المحتج به هنا ولم يعتبره في الوجه الذي ذهبنا اليه في أنه مطهر غير طاهر ويلزمه ذلك ضرورة وليس عنده دليل شرعي يرده والحكم الرابع مطهر غير طاهر وهو الفصل الذي نحن بسبيله فانه الماء الذي خالطته النجاسة ولم تغير أحد أوصافه ومن قائل بالفرق بين القليل والكثير فقالوا ان كان كثيرا لم ينجس وان كان قليلا كان نجسا ولم يحد فيه حدا بل قال بأنه ينجس ولو لم يتغير أحد أوصافه ثم اختلف هؤلاء في الحد بين القليل والكثير والخلاف في نفس الحد مشهور في المذاهب لا في نص الشرع الصحيح فان الاحاديث في ذلك قد تكلم فيها مثل حديث القلتين وحديث الاربعين قلة ثم الخلاف بينهم في حد القلة ويتفرع على هذا الباب مسائل كثيرة مثل ورود الماء على النجاسة وورود النجاسة على الماء والبول في الماء الدائم وغير ذلك وللناس في ذلك مذاهب كثيرة ليس هذا الكتاب موضعها فانا ما قصدنا استقصاء جميع ما يتعلق من الاحكام بهذه الطهارة من جهة تفريع المسائل وانما القصد الامهات منها لاجل الاعتبار فيها بحكم الباطن فجردنا في هذا الباب نحوا من ثمانين بابا نذكرها ان شاء الله كلها بابا بابا وهكذا أفعل ان شاء الله في سائر العبادات التي عزمنا على ذكرها في هذا الكتاب من صلاة وزكاة وصيام وحج والله المؤيد لا رب غيره

﴿وصل في حكم الباطن وأما حكم الباطن فيما ذكرناه في هذا الباب﴾ وهو الماء الذي تخالطه النجاسة ولم تغير أحد أوصافه فهو العلم الالهي الذي يقتضي التنزيه عن صفات البشر فاذا خالطه من علم الصفات التي تتوهم منها المناسبة بينه وبين خالقه فوقع في نفس العالم به من ذلك نوع تشويش فاستهلك ذلك القدر من العلم بالصفات التي يقع بها الاشتراك في العلم الذي يقتضي التنزيه من جهة دليل العقل ومن ليس كمثله شئ في دليل السمع فيبقى العلم بالله على أصله من طهارة التنزيه عقلا وشرعا مع كونه نصفه بمثل هذه الصفات التي توهم التشبيه فانه ما غيرت أوصافه تعالى فيثبت كل ذلك له مع تحقق ليس كمثله شئ وأما حكم القليل والكثير في ذلك واختلاف الناس في النجاسة ان كان الماء قليلا فالقلة والكثرة في الماء الطهور راجع الى الادلة الحاصلة عند العالم بالله فان كان صاحب دليل واحد وطرأت عليه في علمه بتنزيه الحق في أي وجه كان شبهة أثرت في دليله زال كونه عالما كما زال كون هذا الماء طاهرا مطهرا وان كان صاحب أدلة كثيرة على مدلول واحد فان الشبهة تستهلك فيه فانها اذا قدحت في دليل ما لم يلتفت اليها واعتمد على باقي أدلته فلم تؤثر هذه الشبهة في علمه وانما أثرت في دليل خاص لا في جميع أدلته فهذا معنى الكثرة في الماء الذي لا تغير النجاسة حكمه وأما من قال بترك الحد في ذلك وان الماء يفسد فانه يعتبر أحدية العين لا أحدية الدليل فيقول ان العلم تقدح فيه هذه الشبهة في زمان تصوره اياها والزمان دقيق فربما مات في ذلك الزمان وهو غير مستحضر سائر الادلة لضيق الزمان فيفسد عنده وفي هذا الباب تفريع كثير لا يحتاج الى ايراده وهذا القدر قد وقع به الاكتفاء في المطلوب

﴿باب الماء يخالطه شئ طاهر مما ينفك عنه غالبا متى غير أحد أوصافه الثلاثة﴾

أما الماء الذي يخالطه شئ طاهر مما ينفك عنه غالبا متى غير أحد أوصافه الثلاثة فانه طاهر غير مطهر عند الجميع الا بعض الائمة فانه عنده مطهر ما لم يكن التغير عن طبخ ﴿وصل حكم الباطن﴾ فأما حكم الباطن في ذلك فهو أن العلم بالله من حيث العقل الذي حصل له من طريق الفكر اذا خالطه وصف شرعي مما جاء الشرع به فان ذلك العلم بالله طاهر في نفسه غير مطهر لما دل عليه من صفة التشبيه كقولهم في صفة كلام الله انه كسلسلة على صفوان فأتى بكاف الصفة والشرع كله طاهر مقبول ما جاء به فلم يقدر العقل ينفك عن دليله في نفي التشبيه وسلم للشرع ما جاء به من غير تأويل ومن رأى انه مطهر على أصله ما لم يطبخ فأراد بالطبخ الامر الطبيعي وهو أن لا يأخذ ذلك الوصف من الشارع الذي هو مخبر عن الله وأخذه عن فهمه ونظره بضرب قياس على نفسه من حيث امكانه وطبيعته فهو طاهر غير مطهر فاعلم ذلك

﴿باب في الماء المستعمل في الطهارة﴾

الماء المستعمل في الطهارة اختلف فيه علماء الشريعة على ثلاثة مذاهب فمن قائل لا تجوز الطهارة به ومن قائل تجوز الطهارة به وبه أقول ومن قائل بكراهة الطهارة به ولا يجوز التيمم بوجوده وقول رابع شاذ وهو أنه نجس ﴿وصل حكم الباطن في ذلك﴾ فأما حكم الباطن فيه فاعلم ان سبب هذا الخلاف هو أنه لا يخلو أن ينطلق على ذلك الماء اسم الماء المطلق أو لا ينطلق فمن رأى انه ينطلق قال بجواز الطهارة به ومن رأى انه قد أثر في اطلاقه استعماله لم يجز ذلك أو كرهه على قدر ما يقوى عنده وأما من قال بنجاسته فقول غير معتبر وان كان القائل به من المعتبرين وهو أبو يوسف فاعلم ان العلم بتوحيد الله هو الطهور على الاطلاق فاذا استعملته في أحدية الافعال ثم بعد هذا الاستعمال رددته الى توحيد الذات اختلف العلماء بالله بمثل هذا الاختلاف في الماء المستعمل فمن العارفين من قال ان هذا التوحيد لا يقبله الحق من حيث ذاته فلا يستعمل بعد ذلك في العلم بالذات ومن العارفين من قال يقبله لانا ما أثبتناه عينا زائدة والنسب ليست بأمر وجودي فتؤثر في توحيد الذات فبقي العلم بالتوحيد على أصله من الطهارة وأما من قال بأنه نجس فان التوحيد المطلق لا ينبغي الا لله تعالى فاذا استعملت هذا التوحيد في أحدية كل أحد التي بها يقع له التمييز عن غيره فقد صار لها حكم الكون الممكن فهذا معنى النجاسة فلا ينبغي ان ينسب الى الله مثل هذا التوحيد لان تمييزه في أحديته عن خلقه ليس عن اشتراك كما تميز الممكنات بعضها عن بعض بخصوص وصفها وهي أحديتها

﴿باب في طهارة أسآر المسلمين وبهيمة الانعام﴾

اتفق العلماء بالشريعة على طهارة أسئار المسلمين وبهيمة الانعام واختلفوا فيما عدا ذلك فمن قائل بطهارة كل حيوان ومن قائل استثنى واختلف أهل الاستثناء خلافا كثيرا ﴿وصل حكم الباطن في ذلك﴾ فأما حكم الباطن في ذلك فان سؤر المؤمن وكل حيوان فهو طاهر فان الايمان والحياة عين الطهارة في الحي والمؤمن اذ بالحياة كان التسبيح من الحي لله تعالى واذ بالايمان كان قبول ما يرد به الشرع مما يحيله العقل أو لا يحيله من المؤمن بلا شك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه فما بقي للعبد من العلم بعد معرفته بنفسه الذي هو سؤره وكل حيوان فانه مشارك للانسان المؤمن في الدلالة فسؤره مثل ذلك بذلك القدر مما بقي يعرف ربه وأما أصحاب الخلاف في الاستثناء فانظروا في المؤمن ولا في الحيوان من كونه حيوانا ولا مؤمنا فهو بحسب ما نظر فيه هذا المستثنى ويجري معه الحكم والتفصيل فيه يطول وانما اشترطنا المؤمن دون الانسان وحده اذ كان الايمان يعطي من المعرفة بالله ما يعطيه الحيوان والانسان وزيادة مما لا يدركه الانسان من حيث انسانيته ولا حيوانيته بل من كونه مؤمنا فلهذا قلنا سؤر المؤمن فانه أتم في المعرفة

﴿ باب في الطهارة بالاسئار ﴾

اختلف العلماء بالشريعة في الطهارة بالاسئار على خمسة أقوال فمن قائل انها طاهرة باطلاق وبه نقول ومن قائل انه لا يجوز للرجل أن يتطهر بسؤر المرأة ومن قائل انه يجوز للرجل أن يتطهر بسؤر المرأة ما لم تكن جنبا أو حائضا ومن قائل لا يجوز لكل واحد منهما أن يتطهر بفضل طهور صاحبه ولكن يشرعان معا ومن قائل انه لا يجوز أصلا ومن قائل يجوز للرجل أن يتطهر بسؤر المرأة ما لم تخل به ﴿وصل حكم الباطن في ذلك﴾ فأما حكم الباطن في ذلك فاعلم ان الرجل يزيد على المرأة درجة فاذا اتخذناه دليلا على العلم بالله من حيث ما هما رجل وامرأة لا غير فمن رأى ان الزيادة لدرجة في الدلالة فضلا على من ليس لها تلك الدرجة نقصه من العلم بذلك القدر فمن لم يجز الطهارة بذلك قال انما يدل من كونه رجلا وامرأة أي من كونهما فاعلا ومنفعلا على علم خاص في الاله وهو العلم بالمؤثر والمؤثر فيه وهذا يوجد في كل فاعل ومنفعل فلا يجوز أن يوجد مثل هذا في العلم بالله ولا يتطهر به القلب من الجهل بالله ومن أجازه قال جل المعرفة بالله أن يكون خالقنا وخالق الممكنات كلها واذا ثبت افتقارنا اليه وغناه عنا فلا نبالي بما فاتنا من العلم به فهذان قولان بالجواز وبعدم الجواز وبهذا الاعتبار تأخذ ما بقي من الاقسام مثل الشروع معا غير ان في الشروع معا زيادة في المعرفة وهي عدم التقييد بالزمان وهو حال الوقوف على وجه الدليل وهو أيضا كالنظر في دلالتهما من حيث ما يشتركان فيه وليس الا الانسانية ومثل طهارة المرأة بفضل الرجل فانه يعطي في الدلالة ما تعطي المرأة وزيادة ومثل طهور الرجل بفضل المرأة ما لم تكن جنبا بالتغرب عن موطن الانوثة وهو منفعل فقد اشترك مع الانثى التي انفعلت عنه فانه منفعل عن موجده ومن تغرب عن موطن الانوثة من تشبيهها بالرجل فان ذلك يقدح في انوثتها أو حائضا وهي صفة تمنع من مناجاة الحق في الصلاة والمطلوب من العلم بالله القربة والحال في الحيض البعد من الله من حيث تناجيه فالمعرفة بهذه الصفة تكون معرفة حجابية من الاسم البعيد وأما قول القائل ما لم تخل به فان لم تخل به جازت الطهارة وان خلت به لم تجز فاعلم ان العالم بالله كما يعلم ان ذاته منفعلة في وجود عينها عن الله ولا يعرف انه يرضى الله ويغضبه بأفعاله اذ قد وقع التكليف فما عرفه معرفة تامة فقد خلى بالمعرفة وهذا يقدح في طهارة تلك المعرفة واذا عثر على ان له اثرا في ذلك الجناب مثل قوله تعالى أجيب دعوة الداعي اذا دعاني فأعطى الدعاء من الداعي في نفس المدعو الاجابة ولا معنى للانفعال الا مثل هذا فهذا حقيقة قوله ما لم تخل به

﴿ باب الوضوء بنبيذ التمر ﴾

اختلف علماء الشريعة في الوضوء بنبيذ التمر فأجاز الوضوء به بعضهم ومنع به الوضوء أكثر العلماء وبالمنع أقول لعدم صحة الخبر النبوي الذي فيه الذي اتخذوه دليلا ولو صح الحديث لم يكن قوله نصا في الوضوء به فانه قال صلى الله عليه وسلم فيه تمرة طيبة وماء طهور أي جمع النبيذ بين التمر والماء فسمي نبيذا فكان الماء طهورا قبل الامتزاج وان صح قوله فيه

شراب طهور لم يكن نصافى الوضوء به ولا بد فقد يمكن ان يطهر به الثوب من النجاسة فان الله ماشرع لنافى الطهارة للصلاة عند عدم الماء الا التيمم بالتراب خاصة ﴿وصل حكم الباطن فى ذلك﴾ وأما حكم الباطن فى ذلك فان الواقف فى معرفته بالله على الدليل المشروع الذى هو فرع فى الدلالة عن الدليل العقلى الذى هو الاصل وليس عند صاحب الدليل المشروع علم بما ثبت به كون الشرع دليلا فى العلم بالاله فضعف فى الدلالة وان سماه ماء طهورا وتمرة طيبة فذلك لامتزاج الدليلين والمقلد لا يقدر على الفصل بين الدليلين فمن حيث يتضمن ذلك الامتزاج الدليل العقلى يجوز الاخذ به فى الدلالة فيجيز الوضوء بنبيذ التمر ومن حيث الجهل بما فيه من تضمنه الدلالة العقلية لا يجوز الاخذ به وهو على غير بصيرة فى ثبوت هذا الفرع فلم يجز الوضوء بنبيذ التمر فانه سماه شرابا وأزال عنه اسم الماء فافهم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿ أبواب نواقض الوضوء ﴾

حكم ذلك فى الباطن أعنى ناقض الوضوء انه كل ما يقدح فى الادلة العقلية والادلة الشرعية فى المعرفة بالله اما فى العقلية فمن الشبه الواردة واما فى الشرعية فمن ضعف الطريق الموصل اليها وهو عدم الثقة بالرواة أو غرائب المتون فان ذلك مما يضعف به الخبر فكل ما يخرجك عن العلم بالله وبتوحيده وبأسمائه الحسنى وما يجب لله أن يكون عليه وما يجوز وما يستحيل عليه عقلا الا ان يرد به خبر متواتر فى كتاب أو سنة فان ذلك كله ناقض لطهارة القلب بمعرفة الله وتوحيده وأسمائه فلنذكرها مفصلة كما وردت فى الوضوء الظاهر ان شاء الله

﴿ باب انتقاض الوضوء بما يخرج من الجسد من النجس ﴾

اختلف علماء الشريعة فى انتقاض الوضوء بما يخرج من الجسد من النجس على ثلاثة مذاهب فاعتبر قوم فى ذلك الخارج وحده من أى موضع خرج وعلى أى وجه خرج وبين هؤلاء اختلاف فى أمور واعتبر قوم المخرجين القبل والدبر من أى شئ خرج وعلى أى وجه خرج من صحة ومرض واعتبر آخرون الخارج والمخرج وصفة الخروج وبه أقول ﴿وصل حكم الباطن فى ذلك﴾ فأما حكم هذه المذاهب فى المعانى فى الباطن فمن اعتبر الخارج وحده وهو الذى ينظر فى اللفظ الخارج من الانسان فهو الذى يؤثر فى طهارة ايمانه مثل ان يقول فى يمينه برئت من الاسلام ان كان كذا وكذا أو ما كان الا كذا وكذا فان هذا وان صدق فى يمينه وبر ولم يحنث فانه لا يرجع الى الاسلام سالما كذا قال صلى الله عليه وسلم ومثل من يتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيهوى بها فى النار سبعين خريفا ولا يراعى من خرجت منه من مؤمن وكافر ومن اعتبر المخرجين فهو المنافق والمرتاب فكل ما خرج منهما لا ينفعهما فى الآخرة فان الخارج قد يكون نجسا كالكفر من التلفظ به وقد يكون غير نجس كالايمان وما كان مثل هذا من المخرجين المنافق والمرتاب لأن المخرجين خبيثان لم ينفع ما ليس بنجس كظهور الايمان وما فى القلب منه شئ وهو قوله تعالى عنهم حيث قالوا نؤمن ببعض وهو كخروج الطاهر أعنى الذى ليس بنجس ونكفر ببعض وهو كخروج ما هو نجس فقال تعالى فيهم أولئك هم الكافرون حقا فاثر فى الطهارة وأما من اعتبر الخارج والمخرجين وصفة الخروج فقد عرفت الخارج والمخرجين وما بقى الا صفة الخروج فصفة الخروج فى الطهارة كالخروج على صفة المرض كالمقلد فى الكفر أو الصحة وهو العالم بالحق الصحيح ويجحده فلا يؤمن قال تعالى فى مثل هؤلاء الذين عرفوا الحق وجحدوا بما دلهم عليه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ثم ذكر العلة فقال ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين انتهى الجزء الثانى والثلاثون

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿باب حكم النوم فى نقض الوضوء﴾

اختلف العلماء فى النوم على ثلاثة مذاهب فمن قائل انه حدث فأوجبوا الوضوء فى قليله وكثيره ومن قائل انه ليس بحدث فلم يوجب منه وضوء الا ان تيقن بالحدث فالناقض للوضوء هو الحدث لا النوم وان شك فى الحدث فالشك غير مؤثر فى

الطهارة فان الشرع لم يعتبر الشك فى هذا الموضع و به أقول ومن قائل بالفرق بين النوم القليل الخفيف كالسنة فلم يوجب منه وضوء و بين الكثير المستثقل فأوجب منه الوضوء ﴿وصل حكمه فى الباطن﴾ اعلم ان القلب له حالة غفلة فذلك النوم القليل وحالة موت ونوم عن التيقظ والانتباه لما كلفه الله به من النظر والاستدلال والذكر والتذكر وهاتان الحالتان من يلتان طهارة القلب التى هى العلم بالله ولنا فى ذلك ما ينبه الغافل والسالك

يا نائما كم ذا الرقا * د وأنت تدعى فانتبه
كان الاله يقوم عنـ * ـك بما دعا لو قمت به
لكن قلبك غافل * عما دعاك ومنتبه
فى عالم الكون الذى * برديك مهما مت به
فانظر لنفسك قبل سيـ * ـرك ان زادك مشتبه

﴿باب الحكم فى لمس النساء﴾

اختلف علماء الشريعة فى لمس النساء باليد أو بغير ذلك من الاعضاء الحساسة فمن قائل انه من لمس امرأته دون حجاب أو قبلها على غير حجاب فعليه الوضوء سواء التذ أو لم يلتذ واختلف قول صاحب هذا المذهب فى الملموس فمرة سوى بينهما فى ايجاب الوضوء ومرة فرق بينهما وفرق أيضا صاحب هذا القول بين ان يلمس ذوات المحارم والزوجة ومن قائل بايجاب الوضوء من اللمس اذا قارنته اللذة وعند أصحاب هذا القول تفصيل كثير ومن قائل بأن لمس النساء لا ينقض الوضوء و به أقول والاحتياط أن يتوضأ للخلاف الذى فى هذه المسئلة اللامس والملموس ﴿وصل حكم اللمس فى الباطن﴾ فأما حكم اللمس فى القلب فالنساء عبارة وكناية عن الشهوات فاذا لمست الشهوة القلب ولمسها والتبس بها والتبست به وحالت بينه و بين ما يجب عليه من مراقبة الله فيها فقد انتقض وضوءه وان لم تحل بينه و بين مراقبة الله فيها فهو على طهارته فان طهارة القلب الحضور مع الله ولا يبالى فى متعلق الشهوة من حرام أو حلال اذا اعتقد التحريم فى الحرام والتحليل فى الحلال فلا تؤثر فى طهارته فاذا اعتقد التحريم فى الحلال المنصوص عليه بالحل أو التحليل المنصوص عليه بالتحريم من أجل الشهوة بالنظر الى الرجوع فى ذلك الى قول امام يرى ذلك مع علمه ان الشارع قرر حكم المجتهد وقرر قبول عمل القلب له اذا عمل به وقد كان قبل الشهوة يعرف ذلك القول ولا يعمل عليه ولا يقول به وانما رجع اليه بسبب لمس الشهوة قلبه فمثل هذا تؤثر فى طهارته فعليه الوضوء بلا خلاف عند أهل القلوب وأما فى الظاهر فلنا فى هذه المسئلة نظر وقد تصدعنا فيها مع علماء الرسوم

﴿باب فى لمس الذكر﴾

اختلف العلماء فيه على ثلاثة مذاهب فمن قائل لا وضوء عليه و به أقول والاحتياط الوضوء فى كل مسئلة مختلف فيها فان الاحتياط الخروج الى وطن الاجماع والاتفاق مهما قدر على ذلك ومن قائل فيه الوضوء وقوم فرقوا بين مسه بحال لذة أو باطن اليد و بين من مسه بظاهر كفه ولغير لذة وفصلوا فى ذلك ﴿وصل حكم ذلك فى الباطن﴾ اعلم ان الله ما جعل سبب ايجاد الكائنات الممكنات سبحانه وتعالى الا الارادة والامر الالهى ولاجل هذا أخذ من أخذ الارادة فى حد الامر قال الله تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه ان نقول له كن فأتى فى الارادة والامر ولم يذكر معنى ثالثا يسمى القدرة فيخرج قوله والله على كل شئ قدير على انه عين قوله للاشياء كن اذا أراد تكوينها ولا شك ان اليد محل القدرة ولما كان النكاح سبب ظهور المولدات فمن نسب القدرة اليه فى ايجاد العين الممكنة التى ظهرت وهو مس الذكر باليد فلا يخلو اما ان يغفل عن الاقتدار الالهى فى قول كن أو لا يغفل فان غفل انتقضت طهارته حيث نسب وجود الولد للنكاح وان لم يغفل بقى على طهارته

﴿باب الوضوء مما مست النار﴾

اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الوضوء مما مست النار وما عدا الصدر الاول فلم يختلفوا ان ذلك

لا يوجب الوضوء لا في لحوم الابل و بالوضوء من لحوم الابل أقول تعبدا وهو عبادة مستقلة مع كونه ما انتقضت طهارته بأكل لحوم الابل فالصلاة بالوضوء المتقدم جائزة وهو عاص ان لم يتوضأ من لحوم الابل وهذا القول ما قال به أحد فيما اعلم قبلنا وان نوى فيه رفع المانع فهو أحوط واختلف الائمة في الوضوء من لحوم الابل فمن قائل بايجاب الوضوء منه ومن قائل لا يجب ﴿وصل حكم الباطن في ذلك﴾ النار التي يجدها الانسان في نفسه وهي التي تنضج كبده هي مما يجري عليه من الامور التي لا توافق غرضه الطبيعي فان تلقاها بالتسليم والرضى أو الصبر مع الله فيها كما تسمى الله تعالى بالصبور لقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله وامهالهم ولم يؤاخذهم وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شخص اصبر على اذى من الله حلما منه واذا كان العبد بهذه المثابة لم تؤثر في طهارته فان تسخط وأثر فيه ولاسيما لحوم الابل فان الشارع سماها شياطين فتلك لمة الشيطان في القلب فانتقضت طهارته لان محل اللمة القلب كما يطهر منها بلمة الملك وانما لحوم الابل بلمة الشيطان لان الشيطان خلق من مارج من نار والمارج لهب النار والشارع كما قلنا سمى الابل شياطين ونهى عن الصلاة في معاطنها وما علل الا بكونها شياطين وهم البعداء والصلاة حال قربة ومناجاة فاعتبرنا في الباطن حكم الوضوء من لحوم الابل ونقض الطهارة بهذا ولو كانت لمته بخير فانه اضمر في ذلك الخير شرا لا يتفطن له الا العالم المحقق العارف بالامور الالهية كيف ترد على القلوب

﴿باب الضحك في الصلاة من نواقض الوضوء﴾

اعلم أن الضحك في الصلاة أوجب منه الوضوء بعضهم ومنعه بعضهم وبالمنع أقول ﴿وصل حكم الباطن فيه﴾ ان الانسان في صلاته تختلف عليه الاحوال مع الله في تلاوته اذا كان من أهل الله ممن يتدبر القرآن فآية تحزنه فيبكي وآية تسره فيضحك وآية تبهته فلا يضحك ولا يبكي وآية تفيده علما وآية تجعله مستغفرا أو داعيا فطهارته باقية على أصلها وقد رأينا من أحواله دائما الضحك في صلاة وغير صلاة كالسلاوي وأمثاله نفعنا الله به وكأبي يزيد طيفور بن عيسى ابن شروشان البسطامي روى عنه أبو موسى الدبيلي أنه قال ضحكت زمانا وبكيت زمانا وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي وأما اذا غفل عن تلاوته وتدبرها ومناجاة ربه بز كانه وطوه وأمثال ذلك مما يخرجه عن الحضور مع الله في صلاته فهذا ضحكه في الباطن في الصلاة في مذهب من يقول بنقض طهارته ومن هذه حاله فقد انتقضت طهارته ووجب عليه استئناف طهارة قلبه مرة أخرى

﴿باب الوضوء من حمل الميت﴾

قالت به طائفة من العلماء ومنع أكثر العلماء من ذلك وبالمنع أقول ﴿وصل حكم الباطن فيه﴾ أما حكم الباطن في ذلك فانه يتعلق بعلم المناسبة فلا يجتمع شيء مع شيء الا لمناسبة بينهما قال أبو حامد الغزالي رأى بعض أهل هذا الشأن بالحرم غرابا وحمامة ورأى أن المناسبة بينهما بعيدة فتعجب وما عرف سبب انس كل واحد منهما بصاحبه فأشار اليهما فدرجا فاذا بكل واحد منهما عرج فعرف أن العرج جمع بينهما وكان رجل من التجار يقول لشيخنا أبي مدين أريد منك اذا رأيت فقيرا يحتاج الى شيء تعرفني حتى يكون ذلك على يدي فجاءه يوما فقير عريان يحتاج الى ثوب وكان مقام الشيخ وحاله في ذلك عدم الاعتماد على غير الله في جميع أموره في حق نفسه وفي حق غيره فان الشيوخ قد أجمعوا على انه من صح توكله في نفسه صح توكله في غيره فتذكر أبو مدين رغبة التاجر فخرج مع الفقير الى دكان التاجر ليأخذ منه ثوبا فشاء انسان أنكره الشيخ فسأله عن دينه فاذا هو مشرك فعرف المناسبة وتاب الى الله من ذلك الخاطر فالتفت فاذا بالرجل قد فارقه ولم يعرف حيث ذهب فلما أخبرت بحكايته وأنا أعرف بلادنا ما في بلاد الاسلام منها دينان أصلا فعلمت ان الله أرسل اليه من خاطره ذلك شخصا ينبهه فان الله علمنا منه أنه يخلق من أنفاس العالم خلقا فكذلك من هذا الباب من حمل ميتا فالمناسبة بينهما وهو الموت فاما موت عن الاكوان واما موت عن الحق فالميت عن الحق يتوضأ والميت عن الاكوان باق على وضوئه

﴿باب نقض الوضوء من زوال العقل﴾

اتفق علماء الشريعة أن زوال العقل ينقض الطهارة ﴿وصل حكم الباطن فيه﴾ أن العقل اذا كان المزيل لحكمه فى الالهيات النص المتواتر من الشرع الذى لا يدخله احتمال ولا اشكال فيه فهو على أكمل الطهارة لان طهارة الايمان مع وجود النص تعطى العلم الحق والكشف واذا زال عقله بشبهة فقد انتقضت طهارته ويستأنف النظر فى دليل آخر أو فى ازالة تلك الشبهة

﴿أبواب الافعال التى تشترط هذه الطهارة فى فعلها﴾

اتفق العلماء على أن الوضوء شرط من شروط الصلاة واختلفوا هل هو شرط صحة أو شرط وجوب وأعنى بالوضوء الطهارة المشروعة وهى عندنا شرط وجوب والطهارة عندنا عبادة مستقلة وقد تكون شرطا فى عبادة أخرى شرط صحة أو شرط وجوب وقد تكون مستحبة وسنة فى عبادة أخرى ﴿وصل حكم الباطن فى ذلك﴾ طهارة القلب شرط فى مناجاة الحق أو مشاهدته شرط وجوب وشرط صحة معا وسبب ذلك انا فى موطن التكليف وبطلب الايمان منا بالله وبما جاء من عنده وبالرسول والرسل وهذه اشارة ان الامر ليس بمقصور الا أنه عال وأعلى وفوق كل ذى علم عليم رفيع الدرجات يرفع درجات من يشاء وتارة يكون العلم شرطا فى صحة الايمان وشرط وجوب فيه وتارة يكون الايمان شرطا فى صحة علم الكشف وشرط وجوب فيه الا أن الايمان فيه طهارة القلب من الحجاب والعلم طهارة للقلب من الجهل والشك والنفاق فطهر قلبك بالطهارتين تسم بذلك فى العالمين وتحوز به علم القبضتين فان الله قد أوجب الايمان علينا بنفسه ومن نفسه أسماؤه وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله مع علمنا بأن الله فضل بعضهم على بعض رسلا وأنبياء ثم نهانا أن نفضل بين الانبياء قياسا أو نظرا فان العبد لا يحكم على الله بشئ

﴿باب الطهارة لصلاة الجنائز ولسجود التلاوة﴾

اختلف أهل العلم رضى الله عنهم فى الطهارة للصلاة على الجنائز ولسجود التلاوة فمن قائل انها شرط من شروطها ومن قائل ليست بشرط وبه أقول ﴿وصل فى حكم الباطن فى ذلك﴾ أما حكم الباطن فى ذلك كله فانا نقول كل عمل مشروع لا تتقدمه طهارة الايمان لا يصح ذلك العمل بفقده فيجب وجود الايمان فى كل عمل مشروع فمن قال لا يجب الوضوء لصلاة الجنازة وسجود التلاوة لم ير استحضار للموتى والسجود للتلاوة الا فى الايمان فى الدعاء واكتفى بالايمان الاصلى عن استحضاره عند الشروع فى الفعل وهذا سبب عدم الاجابة ومن رأى ان الطهارة شرط كانت الاجابة ولا بد فيما يدعو نيه

﴿باب الطهارة لمس المصحف﴾

اختلف أهل العلم فى الطهارة هل هى شرط فى مس المصحف أم لا فأوجبها قوم ومنعها قوم وبالمنع أقول الا أن فعلها بالطهارة أفضل أعنى مس المصحف ﴿وصل فى حكم الباطن فى ذلك﴾ هل يحترم الدليل لاحترام المدلول فعندنا نعم يحترم الدليل لاحترام المدلول وعند غيرنا لا يلزم فان الدليل يضاد المدلول فلا يجتمعان فان احترم الدليل فلامر آخر لا لكونه دليلا على محترم والمصحف دليل على كلام الله وقد أمرنا باحترامه ومسه على الطهارة من احترامه فاعلم انا قد نأخذ العالم دليلا على الله ونذهل عما يتضمن مسمى العالم من محمود ومذموم وقد تأخذ فرعون وأمثاله من المتكبرين دليلا على وجود الصانع لانه صنعة واتفق أن عينته فى الدلالة على الخصوص ولا يجب احترامه بل يجب مقته وعدم حرمته وقد نأخذ موسى عليه السلام من حيث انه صنعته دليلا على وجود الصانع واتفق أن عينته فى الدلالة على الخصوص وقد وجب علينا احترامه وتعظيمه من وجه آخر لا من وجه كونه دليلا فلهذا عظمنا المصحف لكون الشارع أمرنا باحترامه وتعظيمه لا لكونه دليلا ثم له حرمة أخرى لكونه دليلا وبه نعلل احترامه فى وقت ما فانه نقول فيه انه كلام الله وان كنا نحن الكاتبين له بأيدينا

﴿باب ايجاب الوضوء على الجنب عند ارادة النوم أو معاودة الجماع أو الاكل أو الشرب﴾

اختلف علماء الشريعة فيما ذكرناه فى هذه الترجمة فمن قائل بايجابه ومن قائل باستحبابه وبه أقول ﴿وصل حكم

الباطن فى ذلك﴾ وأما حكم الباطن فى ذلك احضار النية للذى انتقضت طهارته الشرعية الشهوة أغفلته عن رؤية الحق عند استحكامها فاذا أراد أن ينام نوى فى النوم اعطاء حق العين فتلك طهارة الجنب اذا أراد أن ينام فان الجنابة نقضت طهارته وهى الغربة عن موطن الايمان الذى كان يجب عليه الحضور معه لولا استحكام سلطان الشهوة الذى أفناه عن نفسه وعن كل ماسواه وكذلك اذا أراد أن يعاود الجماع ينوى الولد المؤمن لكثرة أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليكثر الذاكرين الله بهذا الجماع وكذلك اذا أراد أن يأكل أو يشرب ينوى اعطاء النفس حقها وهذه النية فيما ذكرناه هى طهارة لكل ذلك

﴿باب الوضوء للطواف﴾

اعلم أن الوضوء للطواف اشترطه قوم ولم يشترطه قوم وبه أقول وان كان الطواف بالطهارة أفضل ﴿وصل حكم الباطن فى ذلك﴾ وذلك انه من رأى أن الطواف بالبيت لكونه منسوبا الى الله كالعرش المنسوب الى استواء الرحمن ورأى الملائكة حافين به وهم المطهرون الكرام البررة اشترط الوضوء فى الطواف بكعبة قلبه الذى وسع الحق جل جلاله يقول تعالى ماوسعنى أرضى ولاسمائى ووسعنى قلب عبدى وهو نزوله فى تجليه تعالى الى قلب عبده وقد بيناه فى مواقع النجوم فى منزل التنزل الذاتى من فلك القلب ومن رأى أن الحق لايتقيد بما أضاف اليه وانما قصد بذلك التشريف منفعة المكلف لم يشترط الطهارة للطواف وأما فى القلب فعدم اشتراط الطهارة فى وقت نظر العقل فى اثبات الشرع فى المعرفة الاولى اما ابتداء واما اذا نزل اليها بالتعليم لمن أراد أن يعرف الله بالادلة النظرية

﴿باب الوضوء لقراءة القرآن﴾

اختلف العلماء فى الوضوء لقراءة القرآن فمن قائل انه تجوز قراءة القرآن لمن هو على غير طهارة وبه أقول ومن قائل لايجوز أن يقرأ القرآن الاعلى وضوء وهو الافضل بلا خلاف وكذلك كل ماذكرناه مما يجوز فعله عندنا وعند غيرنا على غير وضوء ان الافضل أن لايفعل شيأ من ذلك الاعلى وضوء ﴿وصل حكم الباطن فى ذلك﴾ أما حكم الباطن فى ذلك فان قارئ القرآن نائب الحق سبحانه فى الترجمة عنه بكلامه ومن صفاته سبحانه القدوس ومعناه الطاهر فينبغى للعبد اذا ناب مناب الحق فى كلامه بتلاوته أن يكون مقدسا أى طاهرا فى ظاهره بالوضوء المشروع وفى باطنه بالايمان والحضور والتدبر وشبه ذلك وأن يقدم تلاوة الحق عليه ابتداء ثم يتلوه مترجما عن الحق مايتلوه عليه وكله به فاما يترجم فى تلاوته تلك للحاضر عنده لينذكروا واما أن يترجم بلسانه ليسمعه فيحصل الآخر للسمع كالو كان المصحف بيده يتلوفيه أخذ البصر حقه من النظر الى كلام الله من حيث ماهو مكتوب كما أخذه السمع من حيث ماهو اللسان ناطق به مصوت وكذلك لو ألقى المصحف فى حجره ومشى بيده على الحروف لاخذت هذه الاعضاء حظها من ذلك وهكذا كان يتلو شيخنا أبو عبد الله ابن المجاهد وأبو عبد الله ابن قيسوم وأبو الحجاج الشيربلى لم أر من أشياخنا من يحافظ على مثل هذه التلاوة الا هؤلاء الثلاثة

﴿أبواب الاغتسال أحكام طهارة الغسل﴾

هذا الغسل المشروع فى هذا الباب هو تعميم الطهارة بالماء لجميع ظاهر البدن بغير خلاف وفيما يمكن ايصال الماء اليه من البدن وان لم يكن ظاهرا بخلاف كداخل الفم وما أشبهه وسيأتى ذكره وذكر أسباب هذه الطهارة ومنها واجب وسنة ومستحب (الاعتبار فى ذلك) فأما اعتبار هذه الطهارة تعميم طهارة النفس من كل ماأمرت بالطهارة منه وبه من الاعمال ظاهرا انما يتعلق بالاعضاء وباطنا بما يتعلق بالنفس من مصارف صفاتها لامن صفاتها وانما قلنا من مصارف صفاتها فان صفاتها لازمة لها فى أصل خلقتها لاتنفك عنها حتى ان بعض أصحابنا قد جعلها عين ذاتها وانها صفات نفسية لها كالحرص والبخل والنميمة وكل وصف مذموم فتعلق الذم الذى أمرنا بالطهارة منه ماهو عين الصفة وانما هو عين المصرف فالانسان لايتطهر من الحرص وانما يتطهر من مصرف الحرص على جمع حطام الدنيا وحرامها فيتطهر بالحرص عينه على حكم ماتطهر منه بالمصرف أيضا وهو أن يتطهر بالحرص على طلب العلم وتحصيل أسباب الخير

والاعمال

والاعمال الصالحة والحرص على جمع أسباب سعادته فان عين الحرص ما يمكن زواله فالحرص بوجه تكون سعادة الحريص بالحرص وبوجه تكون شقاوة الحريص فلهذا قلنا بالمصرف لا بعين الصفة وعلى هذا نأخذ جميع الصفات التي علق الذم بها انما علق الذم بمصارفها لا بأعيانها فعموم طهارة الباطن والظاهر في هذا الاغتسال انما متعلقه مصارف الصفات ولا يعلم مصارف الصفات الا من يعلم مكارم الاخلاق فيتطهر بها او يعلم سفساف الاخلاق فيتطهر منها وما خفي منها مما لا يدركه يتلقاه من الشارع وهو كل عمل يرضي الله فيتطهر به من كل عمل لا يرضيه فيتطهر منه قال الله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولهذا سقنا في هذا الكتاب أبوابا متقابلة كالتوبة وتركها والورع وتركه والزهد وتركه مما سيأتي أبوابه ان شاء الله تعالى وهي كثيرة وهذه الطهارة أيضا واجبة كالتطهير باداء الزكاة مثلا فهو غسل واجب وكاعطائها للفقراء من ذوي الارحام وهو مندوب اليه وكتخصيص أهل الدين منهم دون غيرهم من ذوي الارحام وهو مستحب وهكذا يسري حكم هذه الطهارة في جميع باطن الانسان وظاهره من العلم والجهل والكفر والايمان والشرك والتوحيد والاثبات والتعطيل وهكذا في الاعمال كلها المشروعة يطهرها بالموافقة من المخالفة فهذا أعني الاغتسال الواجب منه وغير الواجب وسأورد من تفصيل مسائل هذه الطهارة ما يجري مجرى الامهات على حسب ما يذكر منها في ظاهر حكم الشرع في الاغتسال بالماء وأما تفريع هذه الطهارة لا يحصى ولا يسعه كتاب لو ذكرناها مسئلة مسئلة وقد أعطيناك فيها وبينا طريقة الاخذ بها فخذها على ذلك الانموذج ان أردت أن تكون من عباد الله الذين اختصهم لخدمته واصطنعهم لنفسه ورضي عنهم فرضوا عنه جعلنا الله من العلماء العمال ولا حال بيننا وبين الاستعمال بما يرضيه سبحانه من الاعمال في الاقوال والافعال والاحوال فأما الاغتسالات المشروعة فمنها ما اتفق على وجوبه ومنها ما اختلف في وجوبه ومنها ما اتفق على استحبابه وهي اغتسالات كثيرة كالغسل من التقاء الختانين والغسل من انزال الماء الدافق على علم والغسل من انزاله على غير علم كالذي يجد الماء ولا يذكر احتلاما والغسل من انزال الماء الدافق على غير وجه الالتذاذ والغسل من الحيض وغسل المستحاضة عند الصلوات وغسل يوم الجمعة والغسل لصلاة الجمعة والغسل عند الاسلام والغسل للاحرام والاغتسال لدخول مكة والاغتسال للوقوف بعرفة والاغتسال من غسل الميت وأما الاعتبارات في هذه الاغسال فأنا أذكرها قبل ذكر تفصيل أمهات المسائل المشروعة في الاغتسال بالماء واعتباراتها في ذلك

﴿باب الاغتسال من غسل الميت﴾

لما كان الميت شرع غسله وهو لا فعل له اذ كان غيره المكلف بغسله تنبيها لغاسله أن يكون بين يدي ربه في تطهيره بتوفيقه واستعماله في طاعته وما يجري عليه من أفعال خالقه به وفيه كالميت بين يدي غاسله فلا يرى غسله بهذا الاعتبار بغسله للميت وانما يرى أن الله هو مطهره ويرى نفسه كالآلة يفعل بها الله ذلك الفعل كما يرى الغاسل الماء آلة في تحصيل غسل الميت اذ لولا الماء ما صح اسم الغاسل لهذا الذي يغسله والماء لا يتصور منه الدعوى في انه غسل الميت فان الماء ما تحرك اليه ولا قصد غسله وانما قصده بالماء غسل الميت غاسله كذلك الغاسل لا يرى في قصده انه قصد غسل الميت بالماء وانما يرى نفسه مع الماء آلتين قصد الله بهما غسل هذا الميت فالله المطهر لا هو ولا الماء ولكن الله طهر الميت بالغاسل وبالماء فمثل هذا لا يغتسل من غسل الميت فهذا اعتبار من يرى انه لا يجب الغسل من غسل الميت وأما من غسل ميتا وغاب في غسله عن أن الله هو مطهره وادعى ذلك الفعل لنفسه وأضافه اليها ورأى انه لولاه ما طهر هذا الميت وجب عليه أن يغتسل ويتطهر من هذه الدعوى بالتوجه والحضور مع الله في المستأنف والتذكر لما غفل عنه من تطهير الله هذا الميت على يده فمن اعتبر هذا أوجب الاغتسال من غسل الميت وأما حكم الاغتسال من غسل الميت بالماء في ظاهر حكم الشرع فليس مذهبي القول بوجوبه ولكن ان اغتسل من ذلك فهو أولى وأفضل بلا خلاف

﴿باب الاغتسال للوقوف بعرفة﴾

لما كان الوقوف بعرفة بصفة الذل والافتقار والدعاء والابتهال بالتعري من لباس المخيط والموضع الذي يقف فيه الحاج

يسمى عرفة علمنا اعتبارا أن ذلك موقف العلماء العارفين بالله فان الله يقول انما يخشى الله من عباده العلماء وقال ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وسيأتى الكلام ان شاء الله على هذا النوع فى باب الحج من هذا الكتاب ولما رأى هذا المعتبر العالم تجرّده عن المخيط اعتبر فى تأليف الادلة وتركيبها لحصول المعرفة بالله من طريق النظر الفكرى بتركيب المقدمات وتأليفها فتظهر من ذلك صورة المعرفة بربه كالخائط الذى يؤلف قطع القميص بعضها الى بعض فتظهر صورة القميص قيل له بتجريده المخيط حصل المعرفة بربك أو العلم بالله من التجلى الالهى أو الربانى واطرح عنك فى هذا الموقف وهذا اليوم النظر العقلى بتأليف المقدمات واشتغل اليوم بتحصيل المعرفة بربك من الامتنان الالهى والوهب الربانى من الواهب الذى يعطى لينعم فانه الذى يقذف فى نفسك العلم به على كل حال سواء نظرت فى تأليف المقدمات أولم تنظر فما له سبحانه بالتجريد فانه أولى بك ولا تلتفت الى تأليفك المقدمات النظرية فى العلم بالله فان ذلك ظلمة فى المعرفة لا يراها الا البصير اذ لا مناسبة بين ما تؤلفه من ذلك و بين ما تستحقه ذاته جل وتعالى علوّا كبيرا ومن كان يطلب منه هذه الحالة فى ذلك الموقف الكريم والمشهد الخطير العظيم كيف لا يغتسل و يتطهر فى باطنه وقلبه عن التعلق فى معرفته بربه بغيره فيزيل عنه قذر مشاهدة الاغيار ودرنها بعلم الحق بالحق دون علمه بنفسه اذ لا دليل عليه الا هو لان المعرفة تتعدى الى مفعول واحد وانت فى عرفة والعلم يتعدى الى مفعولين ولهذا يحصل اصاحب هذا المشهد عند العالمين اذا خرج من عرفة يريد المزدلفة وهى جمع يحصل له علم آخر يكون معلومه الله كما كان معلومه فى عرفات الرب تعالى وهذا المفعول الواحد الحاصل لك فى هذا اليوم هو علمك بربك لا بنفسك فتعرف الحق بالحق فيكون الحق الذى اغتسلت به يعطى تلك المعرفة به و يكون المغتسل منه اسم مفعول عين نفسك فى دعواها فى معرفة ربها بنفسها من طريق التعمل فى تحصيلها واين الدليل من الدليل هيهات وعزته ما تعرفه ان عرفته الا به فافهم فهذا اغتسالك للوقوف بعرفة ان وفقت له والله المؤيد والملهم

﴿ باب الاغتسال لدخول مكة زادها الله تشريفا ﴾

اعلم أن دخول مكة هو القدوم على الله فى حضرته فلا بد من تجديد طهارة لقلبك مما اكتسبه من الغفلات من زمان احرامك من الميقات ظاهرا بالماء و باطنا بالعلم والحضور فطهارة الظاهر الاغتسال بالماء عبادة وتنظيفا وطهارة الباطن وهو القلب بالتبرّى طلبا للولاء فانه لا ولاء للحق الا بالبراءة من الخلق حيث كان نظرك اليهم بنفسك لا بالله فمن كان حاله الحضور الدائم مع الله لم يغتسل لدخول مكة الا الغسل الظاهر بالماء لاقامة السنة وأما الباطن فلا الا عند رؤية البيت فانه يتطهر باطنا بحياء خاص لمشاهدة بيته الخاص كذا والطواف به الذين هم الطائفون كالحافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم اذ كان بيت الله بلا واسطة منذ خلق الله الدنيا ما جرت عليه يد مخلوق بكسب وليكن الاسم الالهى الذى يتطهر به الاسم الاوّل من الاسماء الحسنى فانه من نعوت البيت فتحصل المناسبة قال تعالى ان أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا أى جعلت فيه البركة لعبادى والهدى فمن رأى البيت ولم يجد عنده زيادة الهية فما نال من بركة البيت شيأ لان البركة الزيادة فما أضافه الحق فدل على أن قصده غير صحيح فان تعجيل الطعام للضيف سنة فليجعل اغتساله أولا ولا يجعله ثانيا لما تقدمه من غسل الاحرام فانه طهارة خاص تليق بمشاهدة البيت والطواف به لا مناسبة بينه و بين الاغتسال للاحرام الا من وجه ما فاذا زعم انه تطهر بهذا الطهر وفرغ من طوافه يتفقد باطنه فان الله ما جعل البركة فيه والهدى وهو البيان أى يتبين له ذلك الذى زاده ربه من العلم به فما جعلت البركة فى البيت الا أن يكون يعطى خازنه للطائف به القادم عليه من خلع البركة والقرب والعناية والبيان الذى هو الهدى فى الامور المشكلة فى الاحوال والمسائل المبهمات الالهية فى العلم بالله ما يليق بمثل ذلك البيت المصطفى محل يمين الحق المبايع المقبل المسجود عليه فان هذا البيت خزانة الله من البركات والهدى وقد نبه الشارع اشارة بذكر الكنز الذى فيه وأى كنز أعظم مما ذكر الله من البركة والهدى حيث جعلهما عين البيت فكنزه من أضيف اليه وهو الله فلينظر الطائف القادم اذا فرغ من طوافه الى قلبه فان وجد زيادة من معرفة ربه و بيانا فى معرفته لم تكن عنده فيعلم عند ذلك صحة اغتساله لدخول مكة وان لم يجد شيأ من ذلك فيعلم انه

ماتطهر وماقدم على ربه ولاطاف ببيته فانه من المحال أن ينزل أحد على كريم غني ويدخل بيته ولا يضيفه فاذا لم يجد الزيادة فمازاد على غسله بالماء وقدومه على الاحجار المبنية فهو صاحب عناء وخيبة فى قلبه وماله سوى أجر الاعمال الظاهرة فى الآخرة فى الجنان وهو الخاص لعامة المؤمنين فان جاور جاور الاحجار لاالمبين وان رجع الى بلده رجع بخفى حنين جعلنا الله من أصحاب القلوب أهل الله وخاصته آمين بعزته فان اعترف المصاب بعدم الزيادة ومارزئ به كان له أجر المصاب من الاجور فى الآخرة وحرم المعرفة فى العاجل

﴿ باب الاغتسال للاحرام ﴾

اعتباره تطهير الجوارح مما لا يجوز للمحرم أن يفعله وتطهير الباطن من كل ماخلفه وراءه فكما ترك حسا من أهل ومال وولد وقدم على بيت الله بظاهره فلا يلتفت بقلبه الا الى ماتوجه اليه ويمنع أن يدخل قلبه أو يخطر له شئ مما خلفه وراءه بالتوبة والرجوع الى الله ولهذا سمي غسل الاحرام لما يحرم عليه ظاهرا وباطنا فان لم تكن هذه حالته فليس بمحرم باطنا فان البواب قد نام وغفل وبقي الباب بلا حافظ فلم تجد خواطر النفوس ولاخواطر الشياطين من يمنعها من الدخول الى قلبه فهو يقول لبيك بلسانه ويتخيل انه يجيب نداء ربه بالقدوم عليه وهو يجيب نداء خاطر نفسه أو شيطانه الذي يناديه فى قلبه يافلان فيقول لبيك فيقول له الخاطر بحسب مابعثه صاحبه من نفس أو شيطان وماجاءه به من غير ماشرع له من الاقبال عليه فى تلك الحالة فيقول له صاحب ذلك الخاطر عند قوله لبيك اللهم لبيك أهلا وسهلا ليت من يعطيك الحرمان والخيبة والخسران المبين ويفرح بان جعله الهاوبناه فلولافضل الله ورحمته بلسان الباطن والحال وماتقدم من النية لمسكم فيما أفضتم فيه من وجودكم بقلوبكم الى ماخلفتموه حسا وراء ظهوركم عذاب عظيم فيغفر الله لهم ماحدثوا به أنفسهم وماأخطر لهم الشيطان فى تلك الحالة بعناية التلبية الظاهرة لاغير وماأعطاهم فى قلوبهم ماأعطاه لاهل الاغتسال الباطن من المحرمين

﴿ باب الاغتسال عند الاسلام وهو سنة بل فرض ﴾

الاغتسال عند الاسلام مشروع وقد ورد به الخبر النبوي وأما اعتباره فى الباطن فان الاسلام الانقياد فاذا أظهر الانسان انقياد الظاهر كان مسلما ظاهرا فيجب عليه الانقياد بباطنه حتى يكون مسلما باطنا كما كان ظاهرا فهو هنا تطهير الباطن عند الاسلام بالايمان قال تعالى فى حق طائفة قالت آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وهو الطهارة الباطنة النافعة المنجية من التخليد فى النار

﴿ باب الاغتسال لصلاة الجمعة ﴾

اعتباره فى الباطن طهارة القلب لاجتماعه بربه واجتماع همته عليه لمناجاته برفع الحجاب عن قلبه ولهذا قال من يرى أن الجمعة تصح بالاثنين وتقام وبه أقول يقول تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث وماذكر ثانيا يقول العبد كذا فاقول له كذا فلا بد من طلب منه هذه الحالة أن يتطهر لها طهرا خاصا بل أقول ان لكل حالة للعبد مع الله تعالى طهارة خاصة فانه مقام وصلة ولهذا شرعت الجمعة ركعتين فالاولى من العبد لله بما يقول والثانية من الله للعبد بما يخبر به فى اجابته قول عبده أو يخبر به الملأ الاعلى بحسب مايفوه به العبد فى صلاته غير أنه فى صلاة الجمعة يقتضي ماشرع له أن يجهر بالقراءة ولابد فيقول الله للملأ الاعلى حمدني عبدي أوماقال من اجابة وثناء وتفويض وتمجيد

﴿باب الاغتسال ليوم الجمعة﴾

الاعتبار الطهارة بالازل للزمان اليومي من السبعة الايام التي هي أيام الجمعة فان الله قد شرع حقا واجبا على كل عبد أن يغتسل فى كل سبعة أيام فغسل يوم الجمعة لليوم لا للصلاة فكانت الطهارة لصلاة الجمعة طهارة الحال وهذه طهارة الزمان فان العلماء اختلفوا فمن قائل ان الغسل انما هو ليوم الجمعة وهو مذهبنا فان أوقعه قبل صلاة الجمعة ونوى أيضا الاغتسال لصلاة الجمعة فهو أفضل ومن قائل انه لصلاة الجمعة فى يوم الجمعة وهو الافضل بلا خلاف حتى لو تركه قبل الصلاة وجب عليه أن يغتسل مالم تغرب الشمس ولما قلنا ان جمع العبد على الحق فى هذا اليوم الزماني كانت نسبة هذا اليوم

الى جناب الحق مايدخل الازل من التقديرات الزمانية فيه بتعيين توجهات الحق لايجاد الكائنات فى الازمان المختلفات التى يصحبها القبل والبعد والآن لله الامر من قبل ومن بعد فاعلم ذلك فانه دقيق جدا فمن اغتسل لصلاة الجمعة فقد جمع بين الغسل للحال والزمان ومن اغتسل ليوم الجمعة بعد الصلاة فقد أفردهو وقدح فى مسمى الجمعة فالاظهر أنه مشروع فى يوم الجمعة ولصلاة الجمعة وهو الاوجه ومايبعد أن يكون مقصود الشارع به ذلك

﴿باب غسل المستحاضة وسيرد ونبين فيه مذهبنا﴾

وأما اعتباره فالاستحاضة مرض والعبد مأمور بتصحيح عبادته لابد خلوها شئ من المرض فهما اعتل فى عبادة ما من عباداته تطهر من تلك العلة وازالها حتى يعبد الله عبدا خالصا محضا لاتشوبه علة ولا مرض فى عبادته ولا عبوديته

﴿باب الاغتسال من الحيض﴾

الحيض ركضة شيطان فيجب الاغتسال منه قال تعالى انه رجس من عمل الشيطان فيجب تطهير القلب من لمة الشيطان اذا نزلت به ومسه فى باطنه وتطهيرها بلمة الملك والقصة البيضاء هى العلامة أومن بعض العلامات على عناية الله بهذا القلب حيث طردعنه وأزال ركضة الشيطان فيستعمل لمة الملك عند ذلك وهو تطهير القلب وان كنيت عن ذلك بالاصبعين وكلاهما رحمة فانه أضافهما الى الرحمن فلولا رحم الله عبده بتلك اللمة الشيطانية ماحصل له ثواب مخالفته بالتبديل فى العدول عنه الى العمل بلمة الملك فله أجران فلهذا قلنا انه أضافهما الى الاسم الرحمن فاذا أزاغه جاهد نفسه أن لايفعل ما أماله اليه فجوزى أجر المجاهد فان عمل وتاب أثر الفعل بعد مجاهدة فساعد الشيطان عليه القدر السابق بالفعل فوقع منه الفعل ورأى أن ذلك من الشيطان مؤمنا بذلك مصدقا كما قال موسى عليه السلام انه من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين وتاب عقيب وقوع الفعل وأعنى بالتوبة هنا الندم فانه معظم أركان التوبة وقد ورد أن الندم توبة كان له أجر شهيد لوقوع الفعل منه والشهيد حى ليس بميت وأى حياة أعظم أو أكمل من حياة القلوب مع الله فى أى فعل كان فان الحضور مع الايمان عند وقوع المخالفة يرد ذلك العمل حيا بحياة الحضور يستغفر له الى يوم القيامة فهذا من عناية الاسم الرحمن الذى أضاف الاصبعين اليه فالشيطان يسعى فى تضعيف الخير للعبد وهو لايشعر فان الحرص أعماه وبحور الوبال وأثم تلك المعصية عليه وهذا من مكر الله تعالى بابليس فانه لو علم أن الله يسعد العبد بتلك اللمة من الشيطان سعادة خاصة ما ألقى اليه شيأ من ذلك وهذا المكر الالهى الذى مكر به فى حق ابليس ما رأيت أحدا نبه عليه ولولا علمى بابليس ومعرفتى بجهله وحرصه على التحريض على المخالفة ما نبهت على هذا لعلمى بأنه لولا هذا المانع لاجتنب لمة المخالفة فهذا هو الذى حملنى على ذكرها لان الشيطان لا يقف عندها لجابه بحرصه على شقاوة العبد وجهله بأن الله يتوب على هذا العبد الخاص فان كل ممكور به انما يمكر الله به من حيث لايشعر وقد يشعر بذلك المكر غير الممكور به

﴿باب الاغتسال من المنى الخارج على غير وجه اللذة﴾

اختلف فيه فمن قائل بوجوبه ومن قائل لايجب عليه غسل وبه أقول ﴿وصل حكم الباطن فيه﴾ اعتبار الجنابة الغربة والغربة لاتكون الا بمفارقة الوطن وموطن الانسان عبوديته فاذا فارق موطنه ودخل فى حدود الربوبية فاتصف بوصف من أوصاف السيادة على ابناء موطنه وأمثاله ولم يجد لذة لذلك فما وفى صفة السيادة حقها فان الكامل لذة كماله لا تقارنها لذة أصلا والابتهاج الكمالى لايشبهه ابتهاج فلما لم يوف الصفة حقها تعين عليه الاغتسال وهو الاعتراف بما قصر به فى حق تلك الصفة الالهية فمن هنا أوجب الغسل من أوجبه على من خرج منه المنى فى اليقظة من غير التذاذ ومن رأى أن صفة الكمال التى تنبغى للواجب الوجود بنفسه اذا اتصف بها العبد فى غربته لم يكن لها حكم فيه لانه ليس بمحل لها لم يوجب عليه غسلا

﴿باب الاغتسال من الماء يجده النائم اذا هو استيقظ ولا يذكر احتلاما﴾

فى مثل هذا بقى حكم قوله صلى الله عليه وسلم انما الماء من الماء فهو مخصص ما هو منسوخ كما يراه بعضهم ﴿وصل

اعتباره

اعتباره في الباطن ﴾ العارف يجد قبضا أو بسطا في حال من الاحوال لا يعرف سببه وهو أمر خطر عند أهل الطريق فيعلم أن ذلك لغفلة منه عن مراقبة قلبه في وارداته وقلة نفوذ بصيرته في مناسبة حاله مع الامر الذي أورثه تلك الصفة فيتعين عليه التسليم لموارد القضاء حتى يرى ما ينتج له ذلك في المستقبل فاذا عرفه وجب عليه الاغتسال بالحضور التام مع الحق في علم المناسبات حتى لا يجهل ما يرد عليه من الحق من واردات التقديس وما الاسم الذي جاء بذلك وما الاسم الذي يجيء به من عنده وما الاسم الالهي الذي هو في الحال حاكم عليه وهو الذي استدعى ذلك الوارد فهذه ثلاثة الاسم المستدعي والاسم المستدعى منه والاسم الوارد به فان الحق من حيث ذاته لا سبيل لمناسبة تربطنا به أو تربطه بنا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فبأسمائه نتعلق وبها نتخلق وبها نتحقق والله الموفق

﴿باب الاغتسال من التقاء الختانين من غير انزال﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى الختان الختان فقد وجب الغسل واختلف العلماء في هذه المسئلة فمن قائل بأنه يجب الغسل من التقاء الختانين ومن قائل بأنه لا يجب الغسل من التقاء الختانين وبه أقول ﴿وصل﴾ الاعتبار في ذلك اذا جاوز العبد حده ودخل في حدود الربوبية وأدخل ربه في الحد معه بما وصفه به مما هو من صفات الممكنات فقد وجب عليه الطهر من ذلك فان تنزيه العبد أن لا يخرج عن امكانه ولا يدخل الواجب لنفسه في امكانه فلا يقول يجوز أن يفعل الله كذا أو يجوز أن لا يفعله فان ذلك يطلب المرجح والحق له الوجوب على الاطلاق والذي ينبغي أن يقال يجوز أن توجد الحركة من المتحرك ويجوز أن لا توجد فيفتقر الى المرجح فاذا كان العالم بالله تعالى بهذه المثابة وجب عليه الاغتسال وهو الطهر من هذا العلم بالعلم الذي لا يدخله تحت الجواز وسترد هذه المسئلة ان شاء الله

﴿باب الاغتسال من الجنابة على وجه اللذة﴾

قد قررنا ان الجنابة هي الغربة وهي هنا غربة العبد عن موطنه الذي يستحقه وليس الا العبودية أو تغريب صفة ربانية عن موطنها فيتصف بها أو يصف بها ممكنا من الممكنات فيجب الطهر في هذه المسئلة بلا خلاف واعلم ان هذا الغسل الواحد المذكور في هذا الباب يتفرع منه مائة وخمسون حالا يجب الاغتسال على العبد في قلبه من كل حال منها ونحن نذكر لك أعيانها كلها ان شاء الله تعالى في عشرة فصول كل فصل منها يتضمن خمسة عشر حالا لتعرف كيف تلقاها اذا وردت على قلب العبد لانه لا بد من ورودها على كل قلب من العوام والخصوص والله المؤيد والملهم لا قوة الا به فمن ذلك

﴿الفصل الاول﴾ الجبروت والالوهية والعزة والمهيمنية والايمان والقيام والشوق والولاء والظلمة والسحر وعموم الرحمة وخصوصها والسلامة والطهارة والملك

﴿الفصل الثاني﴾ الكبرياء والستر والصورة والخلق والبراءة والاخلاص والاقرار والبرا والنصيحة والحب والقهر والهبة والرزق والفتوح والعلم

﴿الفصل الثالث﴾ البسط والقبض والاعزاز ورفع الدرج وخفض الميزان والشرك والانصاف والطاعة والرضى والقناعة والاذلال والاصوات والرؤية والقضاء والعدالة

﴿الفصل الرابع﴾ اللطف والاختبار ورفع الستور والعظمة والحلم والشكر والاعتلاء والمحافظة والتقدير والزيادة والحدود والهوى والمنازعة والولاية والتمليك

﴿الفصل الخامس﴾ الرحم وادخال السرور والقطيعة والخداع والاستدراج والحسبان والجلالة والكرم والمراقبة والاجابة والاتساع والحكمة والوداد والبعث والشرف

﴿الفصل السادس﴾ الشهادة والحق المحلوف به والوكالة والقوة والصلابة في كل شيء والنصرة والثناء والاحصاء والابتداء والاعادة والصدقة والقول والعفو والامر والنهي

﴿الفصل السابع﴾ الاخلاق والمال والجاه والزيادة والايمان والحياة والموت والاحياء والقيومية والوجدان والاستشراف والوحدة والصمدانى والقدرة والاقتدار

﴿الفصل الثامن﴾ التقديم والتأخير والدار الاولى والآخرة والاختفاء واشالة الحجب والاحسان والرجوع والانتقام والصفح والجبر والنكاح والرياء والاختلاق والبهت

﴿الفصل التاسع﴾ الرأفة وملك الملك والكرامات والآجال والتعالى والمغالطة والجمع والاستغناء والتعدّى والكفاية والسخاء والكذب والتكذيب والسياسة والنواميس

﴿الفصل العاشر﴾ المنع والهداية والانتفاع والضرر والنور والابتداع والبقاء والتوارث والرشد والايناس والاذى والامتنان والحماسة والمقاومة والجاسوس

اعلم أيدنا الله واياك بروح منه ان جميع ما ذكرنا فى هذه الفصول وما تتضمنه كل حالة منها مما لم نذكره مخافة التطويل يجب على الانسان طهارة باطنه وقلبه منه فى مذهب أهل الله وخاصته من أهل الكشف بلا خلاف بين أهل الاذواق فى ذلك ولكن يحتاج المتطهر من أكثرها الى علم غزير فى كيفية الطهارة مما ذكرنا وقد يكون بعضها طهورا لبعض ثم نرجع الى مقصودنا من ايراد الاحكام المشروعة فى هذه الطهارة التى هى الاغتسال بالماء واعتباراتها وأحكامها فى الباطن فأقول قد ذكرنا فى الوضوء على من تجب طهارته ومتى يكون وجوبها فلا نحتاج الى ذكر ما يشترك فيه الطهارتان

﴿باب التدلك باليد فى الغسل فى جميع البدن﴾

اختلف الناس من علماء الشريعة فى التدلك باليد فى جميع الجسد فمن قائل ان ذلك شرط فى كمال الطهارة ومن قائل ليس بشرط وأما مذهبنا فايصال الماء الى الجسد حتى يعمه بأى شئ كان يمكن ايصاله ﴿وصل﴾ حكم ذلك فى الباطن الاستقصاء فى طهارة الباطن لما فيها من الخفاء الذى تضمره النفوس من حب المحمدة عند الناس بما يظهر عنها من الخير فبأى وجه أمكن ازالة هذه الصفة وكل مانع يمنع من عموم طهارة الباطن فلم تحصل الطهارة

﴿باب النية فى الغسل﴾

اختلف العلماء فى شرط النية فى الغسل فمن العلماء من اشترطها وبه أقول ومنهم من لم يشترطها ﴿وصل اعتبارها فى الباطن﴾ لا بد من شرطها فى طهارة الباطن فانها روح العمل وحياته والنية من عمل الباطن فلا بد منها وقد تقدم الكلام عليها فى أول الباب ظاهرا وباطنا

﴿باب المضمضة والاستنشاق فى الغسل﴾

اختلف العلماء علماء الشريعة فى المضمضة والاستنشاق فى الغسل فمن قائل بوجوبها ومن قائل بعدم وجوبها والذى نذهب اليه فى ذلك ان الغسل لما كان يتضمن الوضوء كان حكمها من حيث انه متوضئ فى اغتساله لا من حيث انه مغتسل فانه ما ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم ما تمضمض ولا استنشق فى غسله الا فى الوضوء فيه وما رأيت أحدا نبه على مثل هذا فى اختلافهم فى ذلك فالحكم فيها عندى راجع الى حكم الوضوء والوضوء عندنا لا بد منه فى الاغتسال من الجنابة وعندنا فى هذه المسئلة نظر فى حالتين الحالة الواحدة فمن جامع ولم ينزل فعليه وضوآن فى اغتساله فان جامع وأنزل فعليه وضوء واحد الآن مذهبنا ان التقاء الختانين دون انزال لا يوجب الغسل و يوجب الوضوء وبه قال أبو سعيد الخدرى وغيره من الصحابة والاعمش وقد تقدم الكلام فى شرط الترتيب والفور فى الوضوء واعتباره

﴿باب فى ناقض هذه الطهارة التى هى الغسل﴾

فناقضها الجنابة والحيض والاستحاضة والتقاء الختانين فالحيض بلا خلاف وكذلك انزال الماء على وجه اللذة فى اليقظة بلا خلاف وما عدا هذين بخلاف فان بعض الناس من المتقدمين لا يرى على المرأة غسلا اذا وجدت الماء من الاحتلام مع وجود اللذة

﴿(باب فى ايجاب الطهر من الوطء)﴾

فمن قائل بوجوبه أنزل أو لم ينزل اذا التقى الختانان ومن قائل بوجوبه مع انزال الماء وبه أقول و بانزال الماء من غير وطء وبه قال جماعة من أهل الظاهر انه يجب الطهر من الانزال فقط ﴿(وصل فى اعتباره فى الباطن)﴾ الوطء توجه

المؤثر على المؤثر فيه بضرب من الوهب فلا يخلو المؤثر فيه أن يكون حاضرا عارفا بخصوص ذلك المؤثر من الاسماء الالهية فلا يجب عليه الطهر أو لا يكون فيجب عليه الطهر وقد يعطى ذلك المؤثر نومة القلب ثم لا يخلو هذا الاسم الالهي أن يؤثر علم كون من الاكوان أو علما يتعلق بالله وعلى الحالتين فان رأى نفسه موطأ ولم يأخذ بالله كالصدقة تقع بيد الرحمن وان أخذها السائل والله المعطى فيكون سبحانه المعطى والآخذ فلا طهارة عليه فى الباطن فان بالحق تكون طهارة الاشياء فان غاب عن هذا الشهود ورأى نفسه انه هو الآخذ ما أنزله الله على قلبه من العلوم وجبت عليه الطهارة من رؤية نفسه وكذلك اذا وطئ غيره بمسئلة يعلمه اياها بالحال أو بالقول فان كان عن حضور فلا طهارة عليه فانه ما زال على طهارته وان رأى نفسه فى تعليمه غيره بالحال أو بالقول وجبت عليه الطهارة من رؤية نفسه لا بد من ذلك فان رجال الله فى هذه الطريق بالله يتحركون وبه يسكنون عن مشاهدة وكشف وعامتهم عن حضور اعتقاد وايمان بما ورد بأن الامر بيده وان نواصى عباده وكل دابة بيده

(باب فى الصفة المعتبرة فى كون خروج المنى موجبا للاغتسال)

اختلفت العلماء فى الصفة المعتبرة فى كون خروج المنى موجبا للاغتسال فمن قائل باعتبار اللذة ومن قائل بنفس الخروج سواء كان عن لذة أو بغير لذة *(وصل)* الاعتبار فى هذا الباب اللذة من الملتذ بها اما ان تكون نفسية أو الهية فان كانت نفسية طبيعية فقد وجب الغسل وان كانت غير نفسية فلا يخلو ذلك العلم الذى هو بمنزلة الجنابة اما أن يتعلق بالله أو يتعلق بكون من الاكوان فان تعلق بالله ولذته غير نفسية فلا طهر عليه وان تعلق بالاكوان فعليه الطهر سواء التذ أو لم يلتذ ومعنى قولنا اللذة الالهية أعنى لذة الكمال لا لذة الوارد ولذة الكمال فى العبد أن يكون عبدا محضا لا يتصف بالغربة عن موطنه فى باطنه ولو خلع عليه الحق من صفات السيادة ما شاء من حضرته لا يخرجه ذلك عن موطنه واذا كان كذلك فما هو ذو جنابة اذ لا غربة عنده فانه ما برح فى موطنه وهو غاية الكمال والطهارة معرفة للنقص

(باب فى دخول الجنب المسجد)

فمن قائل بالمنع باطلاق ومن قائل بالمنع الا لعابر فيه غير مقيم ومن قائل باباحة ذلك للجميع وبه أقول *(وصل)* الاعتبار فى ذلك العارف من كونه عارفا لا يبرح عند الله دائما فى الحديث جعلت لى الارض كلها مسجدا ولا ينفك الجنب ان يكون فى الارض واذا كان فى الارض فهو فى المسجد العام المشروع الذى لا يتقيد بشروط المساجد المعلومة بالعرف ثم ان العارف بل العالم كله علوه وسفله لا تصح فى حاله الاقامة له فهو عابر أبدا مع الانفاس فالعلماء بالله يشاهدون هذا العبور وغير العلماء بالله يتخيلون انهم مقيمون والوجود على خلاف ذلك فان الاله الموجد فى كل نفس موجد يفعل فلا يعطل نفسا واحدا اتصف منه بالاقامة كما قال كل يوم هو فى شأن وقال تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان وقال بيده الميزان يخفض ويرفع ومن قال بالمنع من ذلك غلب عليه رؤية نفسه انه ليس بمحل طاهر حيث لم يتخلق بالاسماء الالهية ولو تخلق بها ولم يفن عن تخلقه عنده فما تخلق بها وعندنا ان المتخلق بالاسماء مهما فنى عن تخلقه بها فليس بمتخلق فان المعنى بكونه متخلقا بها أى تقوم به كما يقوم الخلوق بالمتخلق به وقد يخلقه غيره فيكون عند ذلك مخلقا بالاخلاق الالهية وذلك ان العبد مأمور والحق لا بأمر نفسه فالتخلق امتثال أمر الله بقوة الله وعونه فمن الادب ان يرى المتخلق كونه متخلقا مكلفا وان كان الحق سمعه وبصره أليس الحق قد أثبت عين عبده بالضمير فى سمعه وبصره فأين يذهب هذا العبد والعين موجودة وغايته ان يكون صورة فى هيولى الوجود المطلق مقيدة وليس له بعد هذا امر نسبة الا العدم والعدم لا يقبل الصورة فافهم انتهى الجزء الثالث والثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(باب مس الجنب المصحف)

اختلف علماء الشريعة فى مس الجنب المصحف فذهب قوم الى اجازة مس الجنب المصحف ومنع قوم من ذلك

﴿وصل في اعتبار ذلك﴾ العالم كله كلمات الله في الوجود قال الله تعالى في حق عيسى عليه السلام وكلمته ألقاها الى مريم وقال تعالى مانفدت كلمات الله وقال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والكلم جمع كلمة ويقول تعالى للشئ اذا أراده كن فيكون وذلك الشئ التكوين فيكون فالوجود فيه رق منشور والعالم فيه كتاب مسطور بل هو مرقوم لان له وجهين وجه يطلب العلو والاسماء الالهية ووجه يطلب السفل وهو الطبيعة فلهذا رجحنا اسم المرقوم على المسطور فكل وجه من المرقوم مسطور وفي ذلك أقول

ان الكيان عجيب في تقلبه * فيه لناظره نقش وتحبير
انظر اليه ترى مافيه من بدع * اذ كل وجه من المرقوم مسطور
ان الوجود لسر حار ناظره * الكون مرتقم والرق منشور

فالامر كما قلنا رق منشور والاعيان فيه كتاب مسطور فهو كلمات الله التي لاتنفد فبيته معمور وسقفه مرفوع وحرمه ممنوع وأمره مسموع فأين يذهب هذا العبد وهو من جملة حروف هذا المصحف أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ماتدعون هل تدعون الشريك لعينه لا والله الا لكونه في اعتقادكم الها فالله دعوتم لا تلك الصورة ولهذا أجيب دعاؤكم والصورة لاتضر ولا تنفع انظر في قوله قل سموهم فان سموهم بهم فهم عينهم فلا يقولون في معبودهم حجر ولا شجر ولا كوكب ينحته بيده ثم يعبده فما عبد جوهر من الصورة من عمله وان سموهم بالاله عرفت ان الاله عبد واهذا تحقيق الامر في نفسه وقد أشارت الآية الواردة في القرآن الى ماذهبنا اليه بقوله تعالى وقضى ربك أن لاتعبدوا الا اياه فهو عندنا بمعنى حكم وعند من لاعلم له من علماء الرسوم بالحقائق بمعنى أمر وبين المعنيين في التحقيق بون بعيد وفي قول محمد صلى الله عليه وسلم معلما لنا أعبد الله كأنك تراه وفي حديث جبريل معه صلى الله عليه وسلم حين سأله عن الاحسان بحضور جماعة من الصحابة ماهو فقال صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كأنك تراه فجاء بكان وقد علمت ان الخيال خزانة المحسوسات وان الحق ليس بمحسوس لنا وما نعقل منه الا وجوده فجاء بكان لتدخله تحت قوة البصر فتلحقه بالوهم بالمحسوسات فقرب بنا من هؤلاء الذين عبدوه فيما نحتوه فتدبر ما أشرنا اليه فان الامر لايكون الا كما قرره الشارع فقرر في موضع ما أنكره في موضع آخر فالعالم منا ان يقرر ماقرره الحق في الموضع الذي قرره الحق ولينكر ما أنكره الحق في الموضع الذي أنكره الحق فما ثم الا الايمان الصرف فلا تأخذ من سلطان عقلك الا القبول فانظر ما أشرف حرف التمثيل الذي هو كأن

كأن سلطاننا فانظر له خبرا * فانه خبرتنها مع الخبر
كأن حرف له في الكون سلطنة * ان كنت تعلم ان العلم في النظر
هو الامام الذي فيه تصرفه * ولايقاومه خلق من البشر

ولاشك ان أهل الله جعلوا القلب كالمصحف الذي يحوي على كلام الله كما ان القلب قد وسع الحق جل جلاله حين ضاق عنه السماء والارض فكما أمرنا بتنزيه القلب عن ان يكون فيه دنس من دخول الاغيار فيه ورأينا ان المصحف قد حوى على كلام الله وهو صفته والصفة لاتفارق الموصوف فمن نزه الصفة نزه الموصوف ومن راعى الدليل على أمر ما فقد راعى المدلول الذي هو ذلك الامر فعلى كلا المذهبين ينبغي ان ينزه المصحف أن يمسه جنب وقد نهينا ان نسافر بالقرآن الى أرض العدو فسمي المصحف قرآنا لظهوره فيه ومانهى حملة القرآن عن السفر الى أرض العدو وان كان القرآن في أجوافهم محفوظا مثل ماهو في المصحف وذلك لبطونه فيهم ألا ترى النبي صلى الله عليه وسلم كان لايحجزه شئ عن قراءة القرآن ليس الجنابة لظهور القرآن عند القراءة بالحروف التي ينطق بها التي أخبرنا الحق أنها كلامه تعالى فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم فأجره حتى يسمع كلام الله فتلاه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينبغي للجنب وهو الغريب عما يستحقه الحق فان البعد بالحقائق والحدود مايكون فيه قرب أبدا وبعد المسافة قد يقرب صاحبها من صاحبه الذي يريد قربه فكما لايكون الرب عبدا كذلك لايكون العبد ربا لانه لنفسه هو عبد كما ان الرب

لذاته هو رب فلا يتصف العبد بشئ من صفات الحق بالمعنى الذى اتصف بها الحق ولا الحق يتصف بما هو حقيقة للعبد فالجنب لايمس المصحف أبدا بهذا الاعتبار ولا ينبغى ان يقرأ فى هذه الحال و ينبغى للعبد أن لا تظهر عليه الا العبادة المحضة فانه جنب كله فلا يمس المصحف فان تخلق فحينئذ تكون يد الحق تمس المصحف فانه قال عن نفسه فى العبد اذا أحبه انه يده التى يبطش بها فانظر فى هذا القرب المفرط وهذا الاتحاد أين هو من بعد الحقائق والله ما عرف الله الا الله فلا تتعب نفسك يا صاحب النظر ودر مع الحق كيفما دار وخذ منه ما يعرّفك به من نفسه ولا تقس فتفتاس لا بل تبتئس وتعلم ان يد الحق طاهرة على أصلها مقدسة كطهارة الماء المستعمل فى العبادة فتنبه لما عرّفتك به فى هذا الفصل

﴿باب قراءة القرآن للجنب﴾

اختلف علماء الشريعة فى ذلك فمن الناس من منع قراءة القرآن للجنب بحدّ و بغير حدّ ومن الناس من أجاز ذلك وأما الوارث عندى فلا يقرأ القرآن جنبا اقتداء بمن ورثه لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ولم يكن يحجزه عن قراءة القرآن شئ ليس الجنابة ولكن الغالب عندى من قرينة الحال انه كره أن يذكر الله تاليا الا على طهارة كاملة فانه تيمم لرد السلام وقال انى كرهت أن أذكر الله الا على طهر أو قال على طهارة ومن الناس من أجاز للجنب قراءة القرآن بحدّ وبغير حدّ و به أقول بغير حد أيضا ولكن أكرهه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وصل الاعتبار فى ذلك﴾ المقتدى بأفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنع من قراءة القرآن فى الجنابة بغير حدّ وقد أعلمناك أن الجنابة هى الغربة والغربة نزوح الشخص عن موطنه الذى ربى فيه وولد فيه فمن اغترب عن موطنه حرم عليه الاتصاف بالاسماء الالهية فى حال غربته قال تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم كما كان عند نفسه فى زعمه فانه تغرّب عن موطنه فهو صاحب دعوى والذى أقول فى هذه المسئلة لاهل التحقيق أن القرآن ما سمى قرآنا الا لحقيقة الجمعية التى فيه فانه يجمع ما أخبر الحق به عن نفسه وما أخبر به عن مخلوقاته وعباده مما حكاه عنهم فلا يخلو هذا الجنب فى تلاوته اذا أراد أن يتلوا ما أن ينظر و يحضر فى أن الحق يترجم لنا بكلامه ما قال عباده أو ينظر فيه من حيث المترجم عنه فان نظر من حيث المترجم عنه فيتلوه بالاول فلا يتلوحتى يتطهر فى باطنه وصورة طهارة باطنه أن يكون الحق لسانه الذى يتكلم به كما كان الحق يده فى مس المصحف فيكون الحق اذ ذاك هو يتلو كلامه لا العبد الجنب ثم انه للعارف فيما يتلوه الحق عليه من صفات ذاته مما لا يخبر به عن أحد من خلقه ومن كونه كلم عبده بهذا القرآن فليس المقصود من ذلك التعريف الا قبوله وقبوله لا يكون الا بالقلب فاذا قبله الايمان لم يمتنع من التلفظ به فان القرآن فى حقنا نزل وهذا هو محدث الاتيان والنزول قديم من كونه صفة المتكلم به وهو الله وأما قول من قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا يحجزه عن قراءة القرآن شئ ليس الجنابة فما هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هو قول الراوى وما هو معه فى كل أحيانه فالحاصل منه أن يقول ما سمعته يقرأ القرآن فى حال جنابته أى ما جهر به ولا يلزم قارئ القرآن الجهر به الا فيما شرع الجهر به كتلقين المتعلم وكصلاة الجهر والنهى ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وما أوردوا الخبر لا يمنع منه

﴿باب الحكم فى الدماء﴾

اعلم أن الدماء ثلاثة دم حيض ودم استحاضة ودم نفاس وهذه كلها مخصوصة بالمرأة لا حكم للرجل فيها فليكن الاعتبار فى ذلك للنفس فان الغالب عليها التأنيث فان الله قال فيها النفس اللوّامة والمطمئنة فأنثها ولا حظ للقلب فى هذه الدماء ولا للروح فنقول ان أهل الطريق من المتقدمين وجماعة من غيرهم ممن اشترك مع أهل الله فى الرياضات والمجاهدات من العقلاء قد أجمعوا على أن الكذب حيض النفوس فليكن الصدق على هذا طهارة النفس من هذا الحيض فدم الحيض ما خرج على وجه الصحة ودم الاستحاضة ما خرج على وجه المرض فانه خرج لعلة ولهذا حكم ولهذا حكم فاعتباره أن حيض النفس وهو الكذب وهو كما قلنا دم يخرج على وجه الصحة فهو الكذب على الله الذى يقول الله تعالى فيه ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الىّ ولم يوح اليه شئ وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فقوله متعمدا هو خروجه على وجه الصحة وأما صاحب الشبهة فلا فهذا يكذب

ويعرف انه يكذب وصاحب الشبهة يقول انه صادق عند نفسه وهو كاذب في نفس الامر وأما اعتبار دم الاستحاضة وهو الكذب لعلة فلا يمنع من الصلاة ولا من الوطء وهذا يدلك على انه ليس بأذى فان الحيض هو أذى فيتأذى الرجل بالنكاح في دم الحيض ولا يتأذى به في دم الاستحاضة وان كان عن مرض فان هذا الكذب وان كان يدل على الباطل وهو العدم فان له رتبة في الوجود وهو التلفظ به وكان المراد به دفع مضرة مما ينبغي دفعها بذلك الكذب أو استجلاب منفعة مشروعة مما ينبغي أن يظهر مثل هذا فيها او بسببها فيكون قربة الى الله حتى لو صدق في هذا الموطن كان بعدا عن الله ألا ترى المستحاضة لا تمتنع من الصلاة مع سيلان دمها وأما دم النفاس فهو عين دم الحيض فاذا زاد على قدر زمان الحيض أو خرج عن تلك الصفة التي لدم الحيض خرج عن حكم الحيض والعناية بدم النفاس أوجه من العناية بدم الحيض من غير نفاس فان الله ما أمسكه في الرحم ثم أرسله الا ليزلق به سبيل خروج الولد رفقا بأمه فيسهل على المرأة به خروج الولد وخروج الولد هو النشء الطاهر الخارج على فطرة الله والاقرار بربوبيته التي كانت له في قبض الذر فكان الدم النفاس بهذا القصد مخصوص وصف كالمعين لبقاء ذكر الله بابقاء الذاكر من جهة وصف خاص ولدم النفاس زمان ومدة في الشرع كالدم الحيض ودم الاستحاضة ماله مدة يوقف عندها

﴿باب في أكثر أيام الحيض وأقلها وأقل أيام الطهر﴾

اختلف العلماء في هذا فمن قائل أكثر أيام الحيض خمسة عشر يوما ومن قائل أكثرها عشرة أيام ومن قائل أكثر أيام الحيض سبعة عشر يوما وأما أقل أيام الحيض فمن قائل لا حد له في الايام وبه أقول فان أقل الحيض عندنا دفعة ومن قائل أقله يوم وليلة ومن قائل أقله ثلاثة أيام وأما أقل أيام الطهر فمن قائل عشرة أيام ومن قائل ثمانية أيام ومن قائل خمسة عشر ومن قائل سبعة عشر ومن قائل ساعة وبه أقول ولا حد لا كثره ﴿وصل اعتبار هذا الباب﴾ زمان كذب النفس النية فيمتد بامتداد ما نوته حتى يطهر بالتوبة من ذلك فلا حد لا كثره ولا لاقله وكذلك زمان الطهر لا حد له جملة واحدة فانه لا حد للصدق غير أنه تحكم عليه المواطن الشرعية بالحمد والذم وأصله الحمد كما أن الكذب تحكم عليه المواطن بالحمد والذم وأصله الذم فالواجب عليه أن يصدق دائما الا أن يحكم الحال والواجب عليه ترك الكذب دائما الا أن يحكم عليه حال ما وهو الكذب لعلة فأشبه دم الاستحاضة

﴿باب في دم النفاس في أقله وأكثره﴾

اختلف العلماء في هذه المسئلة فمن قائل لا حد لاقله وبه أقول ومن قائل حده خمسة وعشرون يوما ومن قائل حده أحد عشر يوما ومن قائل عشرون يوما وأما أكثر زمانه فمن قائل ستون يوما ومن قائل سبعة عشر يوما ومن قائل أربعون يوما ومن قائل للذكر ثلاثون يوما وللانثى أربعون يوما والاولى أن يرجع في ذلك الى أحوال النساء فانه ما ثبتت فيه سنة يرجع اليها ﴿وصل اعتباره في الباطن﴾ لا حد للنية من الزمان كما قلنا في اعتبار دم الحيض فان دم الحيض هو عين دم النفاس وقد اعتبرناه فان النبي صلى الله عليه وسلم قال للحائض أنفست بهذا اللفظ

﴿باب في الدم تراه الحامل﴾

اختلف فيه هل هو دم حيض أو هو دم استحاضة وحكم كل قائل فيه بحكم ما ذهب اليه ﴿وصل اعتبار حكمه في الباطن﴾ الحامل صفة النفس اذا امتلأت بالامر الذي تجده فتبديه على غير وجهه وهو الكذب وقد يكون ذلك عن عادة اعتادها كما قال بعضهم

لا يكذب المرء الا من مهانته ٭ أو عادة السوء أو من قلة الادب

أما قوله من مهانته فان الملوك لا تكذب وقوله من قلة الادب لما جاء في الخبر ان الشخص اذا كذب الكذبة تباعد منه الملك ثلاثين ميلا من نتن ما جاء به فالكذب فيما لا يجوز له الكذب فيه أساء الادب مع الملك فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم والانسان يتأذى بالنتن كذلك الملك لقرب الشبه بين نشء الملك ونشء روح الانسان

﴿باب في الصفرة والكدرة هل هي حيض أم ليست بحيض﴾

اختلف العلماء في الصفرة والكدرة هل هي حيض أم لا فمن قائل انها حيض في أيام الحيض ومن قائل لا تكون حيضا الا بأثر الدم ومن قائل ليست حيضا وبه أقول ﴿وصل اعتباره في الباطن﴾ الكذب بشبهة ليس صاحبه ممن تعمد الكذب والاولى تركه اذا عرف ان ذلك شبهة فانها ما سميت شبهة الا لكونها أشبهت الحق من وجه وتشبه الباطل من وجه فالاولى ترك مثل هذا الا أن يقترن معها دفع مضرة أو حصول منفعة دينية أو دنياوية بخلاف الكذب المحض الذي هو لعينه وهذا لا يقع فيه عاقل أصلا وأما الكذب الذي هو بمنزلة دم الاستحاضة فيعتبر فيه صلاح الدين اصلاح الدنيا

﴿باب فيما يمنع دم الحيض في زمانه﴾

اعلم أن الحيض في زمانه يمنع من الصلاة والصيام والوطء والطواف ﴿وصل اعتبار ذلك في الباطن﴾ الكذب في المناجاة وهو أن تكون في الصلاة بظاهرك وتكون مع غير الله في باطنك من محرم وغيره اعتباره في الصوم فالصوم هو الامساك وأنت ما أمسكت نفسك عن الكذب كالحائض لا تمسك عن الاكل والشرب وهو الكذب الواجب اتيانه شرعا وهو محمود واعتباره في الطواف بالبيت وهو أشبه بأفضل الاشكال وهو الدور فهو كذب الى غير نهاية فهو الاصرار على الكذب واعتباره في الجماع أما الجماع فقصد المؤمن به كون الولد والمقدمات اذا كانت كاذبة خرجت النتيجة عن أصل فاسد وقد تصدق النتيجة وقد تكون مثل مقدماتها فالاذى يعود على فاعل الجماع يقول في زمان الكذب لا تحضر الله تعالى بخاطرك فانه سوء أدب مع الله وقلة حياء منه وجراءة عليه وكيف ينبغي للعبد أن يجرأ على سيده ولا يستحيي منه مع علمه وتحققه انه يراه قال تعالى ألم يعلم بأن الله يرى

﴿باب في مباشرة الحائض﴾

اختلف العلماء في صورة مباشرة الحائض فقال قوم يستباح من الحائض ما فوق الازار وقال قوم لا يجتنب من الحائض الا موضع الدم خاصة وبه أقول ﴿وصل اعتباره في الباطن﴾ قلنا ان الحيض كذب النفوس قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيزني المؤمن قال نعم قيل أيشرب المؤمن قال نعم قيل أيسرق المؤمن قال نعم قيل له أيكذب المؤمن قال لا فاذا رأت نفسك نفسا أخرى تفعل ما لا ينبغي فأكد أن تجتنب من أفعالها الكذب على الله وعلى رسوله والراتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه ومن عوّد نفسه الكذب على الناس يستدرجه الطبع حتى يكذب على الله فان الطبع يسرقه يقول تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فتوعد عباده أشد الوعيد اذا هم افتروا على الله الكذب وهذا الحكم سار في كل من كذب على الله وقد ورد فيمن يكذب في حلمه انه يكلف أن يعقد بين شعيرتين من نار لمناسبة ما جاء به من تأليف ما لا يصح ائتلافه فلم يأتلف في نفس الامر وكذلك لا يقدر أن يعقد تلك الشعيرتين أبدا وهذا تكليف ما لا يطاق فيعذبه الله يوم القيامة الا بفعله لا بغير ذلك

﴿باب وطء الحائض قبل الاغتسال وبعد الطهر المحقق﴾

قال تعالى ولا تقربوهن حتى يطهرن بسكون الطاء وضم الهاء مخففا وقرئ بفتح الطاء والهاء مشددا فمن قائل بجوازه على قراءة من خفف ومن قائل بعدم جوازه على قراءة من شدد وهو محتمل وبالاول أقول ومن قائل ان ذلك جائز اذا طهرت لاكثر أمد الحيض في مذهبه ومن قائل ان ذلك جائز اذا غسلت فرجها بالماء وبه أقول أيضا ﴿وصل﴾ اعتباره في الباطن ما يلقيه المعلم من العلم في نفس المتعلم اذا كان حديث عهد بصفة الدعوى الكاذبة لرعونة نفسه فله أن يلقي اليه من العلم المتعلق بالتكوين ما يؤدّيه الى استعمال غسل واحد فرد بنيتين فيكون له الاجر مرتين وان لم يتب من تلك الدعوى الا انه غير قائل بها في الحال فهو طاهر المحل بالغفلة في ذلك الوقت فان خطر له خاطر الرجوع عن تلك الدعوى فهو بمنزلة المرأة تغسل فرجها بعد رؤية الطهر وان لم تغتسل فان تاب من الدعوى بالعمل بذلك الخاطر كان كالاغتسال للمرأة بعد الطهر

﴿باب من أتى امرأته وهي حائض هل يكفر﴾

فمن قائل لا كفارة عليه وبه أقول ومن قائل عليه الكفارة ﴿وصل﴾ اعتباره في الباطن العالم يعطي الحكمة غير

أهلها فلا شك انه قد ظلمها فمن رأى أن هذا الفعل كفارة فكفارته أن ينظر من فيه أهلية لعلم من العلوم النافعة عند الله الدينية وهو متعطش لذلك فيبادر من نفسه الى تعليمه وتبريد غلة عطشه فيضع في محلها وعند أهلها فيكون ذلك كفارة لما فرط في الاول ومن لم ير لذلك كفارة قال يتوب ويستغفر الله وليس عليه طلب تعليم غيره على جهة الكفارة

﴿باب حكم طهارة المستحاضة﴾

اختلف علماء الشريعة في طهر المستحاضة ما حكمها فمن قائل ليس عليها سوى طهر واحد اذا عرفت أن حيضتها انقضت ولا شئ عليها الا الوضوء ولا غسل وحكمها حكم غير المستحاضة وبه أقول وقسم آخر من يقول انه ما عليها سوى طهر واحد ان عليها الوضوء لكل صلاة وهو أحوط ومن قائل انها تغتسل لكل صلاة ومن قائل انها تجمع بين الصلاتين بغسل واحد ﴿وصل اعتبار الباطن في ذلك﴾ في مذهبنا انه ليس على المستحاضة من كونها مستحاضة طهر كذلك النفس اذا كذبت لمصلحة مشروعة أوجب الشرع عليها فيها الكذب أو اباحه لا بل يكون عاصيا ان صدق في تلك الحالة فلا توبة عليها من تلك الكذبة فكما أن دم الاستحاضة ليس عين دم الحيض وان اشتركا في الدمية والمحل كذلك الكذب المشروع اباحته الحلال ليس عين الكذب المحرم وقوعه منه وان اشتركا في كونه كذبا وهو الاخبار بما ليس الامر عليه في نفسه فمن رأى التوبة من كون اطلاق اسم الكذب عليه بالحقيقة وان كان مباحا أو واجبا كحبيب العجمي في حديثه مع الحسن البصري لما طلبه الحجاج لقتل والحكاية مشهورة قال بالتوبة منه كما قال بغسل المستحاضة للاشتراك في اسم الحيض فان الاستحاضة استفعال من الحيض

﴿باب في وطء المستحاضة﴾

اختلف علماء الشريعة فيه على ثلاثة أقوال قول بجوازه وبه أقول وقول بعدم جوازه وقول بعدم جوازه الا أن يطول ذلك بها ﴿وصل﴾ اعتباره في الباطن لا يمتنع تعليم من تعلم منه انه لا يكذب الا لسبب مشروع وعلة مشروعة فان ذلك لا يقدح في عدالته بل هو نص في عدالته وقد وقع مثل هذا من الاكابر الكمل من الرجال

﴿أبواب التيمم﴾

التيمم القصد الى الارض الطيبة كان ذلك الارض ما كان مما يسمى أرضا ترابا كان أو رملا أو حجرا أو زرنيخا فان فارق الارض شئ من هذا كله وأمثاله لم يجز التيمم بما فارق الارض من ذلك الا التراب خاصة لورود النص فيه وفي الارض سواء فارق الارض أو لم يفارق ﴿وصل﴾ اعتباره في الباطن القصد الى الارض من كونها ذلولا وهو القصد الى العبودية مطلقة لان العبودية هي الذلة والعبادة منها فطهارة العبد انما تكون باستيفاء ما يجب أن يكون العبد عليه من الذلة والافتقار والوقوف عند مراسم سيده وحدوده وامتثال أوامره فان فارق النظر من كونه أرضا فلا يتيمم الا بالتراب من ذلك لانه من تراب خلق من نحن أبناؤه وبما بقي فيه من الفقر والفاقة من قول العرب تربت يد الرجل اذا افتقر ثم أن التراب أسفل العناصر فوقوف العبد مع حقيقته من حيث نشأته طهوره من كل حدث يخرجه من هذا المقام وهذا لا يكون الا بعدم وجدان الماء والماء العلم فان بالعلم حياة القلوب كما بالماء حياة الارض فكأنه حالة المقلد في العلم بالله والمقلد عندنا في العلم بالله هو الذي قلد عقله في نظره في معرفته بالله من حيث الفكر فكما انه اذا وجد المتيمم الماء أو قدر على استعماله بطل التيمم كذلك اذا جاء الشرع بأمر ما من العلم الالهي بطل تقليد العقل لنظره في العلم بالله في تلك المسئلة ولا سيما اذا لم يوافقه في دليله كان الرجوع بدليل العقل الى الشرع فهو ذو شرع وعقل معا في هذه المسئلة فاعلم ذلك

﴿باب كون التيمم بدلا من الوضوء باتفاق ومن الكبرى بخلاف﴾

اتفق العلماء بالشريعة أن التيمم بدل من الطهارة الصغرى واختلفوا في الكبرى ونحن لا نقول فيها انها بدل من شئ وانما نقول انها طهارة مشروعة مخصوصة بشروط اعتبرها الشرع فانه ما ورد شرع من النبي صلى الله عليه وسلم ولا من الكتاب العزيز أن التيمم بدل فلا فرق بين التيمم وبين كل طهارة مشروعة وانما قلنا مشروعة لانها ليست بطهارة لغوية وسيأتي

التفصيل في فصول هذا الباب ان شاء الله تعالى فمن قائل ان هذه الطهارة أعني طهارة التراب بدل من الكبرى ومن قائل انها لا تكون بدلا من الكبرى وانما ناسب لفظة الصغرى والكبرى الطهارة لعموم الطهارة في الاغتسال بجميع البدن وخصوصها ببعض الاعضاء في الوضوء فالحدث الاصغر هو الموجب للوضوء والحدث الاكبر هو كل حدث يوجب الاغتسال ﴿وصل﴾ اعتباره في الباطن ان كل حدث يقدح في الايمان يجب منه الاغتسال بالماء الذي هو تجديد الايمان بالعلم ان كان من أهل النظر في الادلة العقلية فيؤمن عن دليل عقلي فهو كواجد الماء القادر على استعماله وان لم يكن من أهل النظر في الادلة وكان مقلدا لزمته الطهارة بالايمان من ذلك الحدث الذي أزال عنه الايمان بالسيف أو حسن لفان فهو المتيمم بالتراب عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعمال الماء وهذا على مذهب من يرى أن التيمم بدل أيضا من الطهارة الكبرى فيرى التيمم للجنب وأما على مذهب من يرى أن الجنب لا يتيمم كابن مسعود وغيره هو الذي لا يرى التقليد في الايمان بل لا بد من معرفة الله وما يجب له و يجوز و يستحيل بالدليل النظري وقال به جماعة من المتكلمين وأما كونه أعني التيمم بدلا من الطهارة الصغرى فهو أن يقدح له حدث في مسئلة معينة لا في الايمان لعدم النص من الكتاب أو السنة أو الاجماع في ذلك فكما جاز له التيمم في هذه الطهارة الصغرى على البدل جاز له القياس في الحكم في تلك المسئلة لعلة جامعة بين هذه المسئلة التي لا حكم فيها منطوقا به و بين مسئلة أخرى منطوق الحكم فيها من كتاب أو سنة أو اجماع ومذهبنا في قولنا ان التيمم ليس بدلا بل هو طهارة مشروعة مخصوصة معينة لحال مخصوص شرعها الذي شرع استعمال الماء لهذه العبادة المخصوصة وهو الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فما هي بدل وانما هو عن استخراج الحكم في تلك المسئلة من نص ورد في الكتاب أو في السنة يدخل الحكم في هذه المسئلة في مجمل ذلك الكلام وهو الفقه في الدين قال تعالى ليتفقهوا في الدين ولا يحتاج الى قياس في ذلك مثال ذلك رجل ضرب أباه بعصا أو بما كان فقال أهل القياس لا نص عندنا في هذه المسئلة ولكن لما قال تعالى ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما قلنا فاذا ورد النهي عن التأفيف وهو قليل فالضرب بالعصا أشد فكان تنبيها من الشارع بالادنى على الاعلى فلا بد من القياس عليه فان التأفيف والضرب بالعصا يجمعهما الاذى فقسنا الضرب بالعصا المسكوت عنه على التأفيف المنطوق به وقلنا نحن ليس لنا التحكم على الشارع في شيء مما يجوز أن يكلف به ولا التحكم ولا سيما في مثل هذا ولو لم يرد في نطق الشرع غير هذا لم يلزمنا هذا القياس ولا قلنا به ولا ألحقناه بالتأفيف وانما حكمنا بما ورد وهو قوله تعالى وبالوالدين احسانا فأجمل الخطاب فاستخرجنا من هذا المجمل الحكم في كل ما ليس باحسان والضرب بالعصا ما هو من الاحسان المأمور به من الشرع في معاملتنا لآبائنا فما حكمنا الا بالنص وما احتجنا الى قياس فان الدين قد كمل ولا تجوز الزيادة فيه كما لم يجز النقص منه فمن ضرب أباه بالعصا فما أحسن اليه ومن لم يحسن لابيه فقد عصى ما أمره الله به أن يعامل به أبويه ومن رد كلام أبويه وفعل ما لا يرضي أبويه مما هو مباح له تركه فقد عقهما وقد ثبت أن عقوق الوالدين من الكبائر فلهذا قلنا ان الطهارة بالتراب وهو التيمم ليس بدلا بل هي مشروعة كما شرع الماء ولها وصف خاص في العمل فانه بين انا لا نعمل به الا في الوجوه و الايدي والوضوء والغسل ليسا كذلك و ينبغي للبدل أن يحل محل المبدل منه وهذا ما حل محل المبدل منه في الفعل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿باب فيمن تجوز له هذه الطهارة﴾

اتفق علماء الشريعة على أن التيمم يجوز للمريض والمسافر اذا عدما الماء وعندنا أو عدم استعمال الماء مع وجوده لمرض قام به يخاف أن يزيد به المرض أو يموت لورود النص في ذلك ﴿وصل اعتباره في الباطن﴾ المسافر صاحب النظر في الدليل فانه مسافر بفكره في منازل مقدماته وطريق ترتيبها حتى ينتج له الحكم في المسئلة المطلوبة والمريض هو الذي لا تعطي فطرته النظر في الادلة لما يعلم من سوء فطرته وقصوره عن بلوغ المقصود من النظر بل الواجب أن يزجر عن النظر و يؤمن بالايمان تقليدا وقد قلنا فيما قبل ان المقلد في الايمان كالمتيمم بالتراب لان التراب لا يكون في الطهارة أعني النظافة مثل الماء ولكن نسميه طهورا شرعا أعني التراب خاصة بخلاف الماء فاني أسميه طهورا شرعا وعقلا فصاحب

النظروان آمن أولا تقليدا فانه يريد البحث عن الادلة والنظر فيما آمن به لا على الشك ليحصل له العلم بالدليل الذي نظر فيه فيخرج من التقليد الى العلم أو يعمل على ما قلد فيه فينتج له ذلك العمل العلم بالله فيفرق به بين الحق والباطل عن بصيرة صحيحة لا تقليد فيما هو علم لكشف قال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وهو عين ما قلناه وقال واتقوا الله ويعلمكم الله وقال الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما اوقد وردان العلماء ورثة الانبياء فسماهم علماء وان الانبياء ما ورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم والاخذ للعلم بالمجاهدة والاعمال أيضا سفر فكما سافر العقل بنظره الفكري في العالم سافر العامل بعمله واجتمعا في النتيجة وزاد صاحب العمل انه على بصيرة فيما علم لا يدخله شبهة وصاحب النظر ما يخلو عن شبهة تدخل عليه في دليله فصاحب العمل أولى باسم العالم من صاحب النظر وسيأتي الكلام فيما يجوز من السفر وفيما لا يجوز في صلاة المسافر من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

﴿باب في المريض يجد الماء ويخاف من استعماله﴾

اختلف العلماء بالشريعة في المريض يجد الماء ويخاف من استعماله فمن قائل بجواز التيمم له وبه أقول ولا اعادة عليه ومن قائل لا يتيمم مع وجود الماء سواء في ذلك المريض والخائف ومن قائل في حقهما يتيمم ويعيد الصلاة اذا وجد الماء ومن قائل يتيمم وان وجد الماء قبل خروج الوقت توضأ وأعاد وان وجده بعد خروج الوقت لا اعادة عليه ﴿وصل اعتبار ذلك في الباطن﴾ المريض هو الذي لا تعطي فطرته النظر وانه مرض مزمن مع وجود الادلة لانه يخاف عليه من الهلاك والخروج عن الدين ان نظر فيها القصوره وقد رأينا جماعة منهم خرجوا عن الدين بالنظر لما كانت فطرتهم معلولة وهم يزعمون انهم في ذلك على علم صحيح فهم كما قال الله وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فيأخذ مثل هذا ان أراد النجاة العقائد تقليدا كما أخذ الاحكام ويقلد أهل الحديث دون غيرهم وهذا تقليد الحديث النبوي في الله على علم الله فيه من غير تأويل فيه تنزيه معين ولا تشبيه وعلى هذا أكثر العامة وهم لا يشعرون فهذا هو المريض الذي يجد الماء ويخاف من استعماله في الاعتبار

﴿باب الحاضر يعدم الماء ما حكمه﴾

فمن قائل بجواز التيمم له وبه أقول ومن قائل لا يجوز التيمم للحاضر الصحيح اذا عدم الماء ﴿وصل اعتبار ذلك في الباطن﴾ الحاضر هو المقيم على عقده الذي ربط عليه من آبائه ومربيه ثم عقل ورجع الى نفسه واستقل هل يبقى على عقده ذلك أو ينظر في الدليل حتى يعرف الحق فمن قائل يكفيه ما رباه عليه أبواه أو مربيه ويشتغل بالعمل فان النظر قد يخرجه الى الحيرة فلا يؤمن عليه فهو الذي قال بالتيمم عند عدم الماء وقد قدمنا أن الماء هو العلم للاشتراك في الحياة به فان هذا الحاضر الدليل معدوم عنده على الحقيقة فانه لا يرى مناسبة بين الله وبين خلقه فلا يكون الخلق دليلا سادا على معرفة ذات الحق فبقاؤه عنده على تقليده أولى ومن قال لا يجوز له التيمم وان عدم الماء يقول لا يقلد وان لم ينظر في الدليل فان الايمان اذا خالط بشاشة القلوب لزمته واستحال رجوعها عنه ولا يدري كيف حصل ولا كيف هو فهو علم ضروري عنده فقد خرج عن حكم ما يعطيه التقليد مع كونه ليس بناظر ولا صاحب دليل وعلى هذا أكثر الناس في عقائدهم فعدم الماء في حق هذا الحاضر هو عدم الامان على نفسه أن يوقعه النظر في شبهة تخرجه عن الايمان

﴿باب في الذي يجد الماء ويمنعه من الخروج اليه خوف عدو﴾

اختلف العلماء فيمن هذه حالته فمن قائل يجوز له التيمم وبه أقول ومن قائل لا يتيمم ﴿وصل اعتباره في الباطن﴾ الخوف من البحث عن الدليل لينظر فيه ليؤديه الى العلم بالمدلول جهل بعين الدليل انه دليل فلا بد من أحد الامرين اما أن قلد أحدا في أن هذا دليل على أمر ما يعينه له أو يفتقر الى نظر وفكر فيما ينبغي أن يتخذه دليلا على معرفة الله فان كان الاول فابق على تقليده في معرفة الله وهو الذي يقال له تيمم ومن قال لا يجوز له التيمم قال ان هذا الخوف لا يلزمه أن لا ينظر فلينظر ولا بد

﴿ باب الخائف من البرد في استعمال الماء ﴾

اختلف العلماء فيمن هذه حاله فمن قائل بجواز التيمم اذا غلب على ظنه انه يمرض ان استعمل الماء ومن قائل لا يجوز له التيمم وبالاول أقول ﴿وصل اعتبار ذلك في الباطن﴾ الصوفي ابن وقته فان كان وقته الصحة فهو غير مريض أو غير شديد المرض فلا يتيمم فان الوهم لا ينبغي أن يقضي على العلم والخوف هنا قد يكون وهما فلا يبقى مع تقليده ولينظر في الادلة ولا بد ومن قال لا يجوز له التيمم وان كان وقته الخوف فليس بصحيح فان الخوف علة ومرض فليبق على تقليده ولا بد

﴿باب النية في طهارة التيمم﴾

اختلف العلماء في النية في طهارة التيمم فمن قائل انها تحتاج الى نية ومن قائل لا تحتاج الى نية وبالاول أقول فان الله قال لنا وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتيمم عبادة والاخلاص عين النية ﴿وصل اعتبار ذلك في الباطن﴾ اذا كان العقد عن علم ضروري أو عن حسن ظن بعالم أو بوالد فلا يحتاج الى نية فان شرط النية ان توجد منه عند الشروع في الفعل مقارنة للشروع ومن كانت عقيدته بهذه المثابة فما هو صاحب فعل حتى يفتقر الى نية فان ارادة الحق تعالى الذي هو الخالق لذلك الفعل كافية في الباب فانه لا يوجد شيأ الا عن تعلق ارادة منه سبحانه لايجاده ولا يكون الا بها قال تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن وهذا فعل يوجد في العبد فلا بد من حكم ما ذكر فيه فكان مذهب زفر في هذه المسئلة أوجه في باطن الامر من مذهب الجماعة الا أن يكون كافر أسلم فهذا يفتقر الى نية لانه ما استصحبه شيء من القربة الى الله بهذا الشرع الخاص المسمى اسلاما ولا كان عنده قبل اسلامه بل كان يرى أن ذلك كفر والدخول فيه بعد عن الله

﴿ باب من لم يجد الماء هل يشترط فيه الطلب أم لا يشترط ﴾

اختلف العلماء فيمن هذه صفته فمن قائل يشترط الطلب ولا بد ومن قائل لا يشترط الطلب وبه أقول ﴿(وصل اعتبار ذلك في الباطن)﴾ لا يلزم المقلد البحث عن دليل من قلد في الفروع ولا في الاصل وانما الذي يتعين على المقلد اذا لم يعلم السؤال عن الحكم في الواقعة لمن يعلم أنه يعلم من أهل الذكر فيفتيه قال تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ومن رأى انه يشترط طلب الماء فهو الذي يطلب من المسؤل دليله على ما أفتاه به في مسئلته هل هو من الكتاب أو السنة أو يطلب منه أن يقول له هذا حكم الله أو حكم رسوله فيأخذ به وان قال له هذا رأيي كما يقول أصحاب الرأي في كتبهم فانه يحرم عليه اتباعه فيه فان الله ما تعبده الا بما شرع له في كتاب أو سنة وما تعبد الله أحدا برأي أحد

﴿ باب اشتراط دخول الوقت في هذه الطهارة ﴾

اختلف أهل العلم رضي الله عنهم في اشتراط دخول الوقت في هذه الطهارة فمن قائل به وبه أقول ومن قائل بعدم هذا الشرط فيها ﴿(وصل اعتباره في الباطن)﴾ الوقت هو عندنا اذا تعين تعلق خطاب الشرع بالمكلف فيما كلفه به ظاهرا وباطنا فهو في الباطن تجلي الحق يرد على القلب بغتة يسمى الهجوم في الطريق

﴿ باب في حد الايدي التي ذكر الله عز وجل في هذه الطهارة ﴾

فان الله يقول فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه فاختلف أهل العلم رضوان الله عليهم في حد الايدي في هذه الطهارة فمن قائل حدها مثل حدها في الوضوء ومن قائل هو مسح الكف فقط ومن قائل ان الاستحباب الى المرفقين والفرض الكفان ومن قال ان الفرض الى المناكب والذي أقول به ان أقل ما يسمى يدا في لغة العرب يجب فما زاد على أقل مسمى اليد الى غايته فذلك له وهو مستحب عندي ﴿وصل اعتبار الباطن في ذلك﴾ لما كان التراب والارض أصل نشأة الانسان وهو تحقيق عبوديته وذلته ثم عرض له عارض الدعوى بكون الرسول قال فيه صلى الله عليه وسلم انه مخلوق على الصورة وذلك عندنا الاستعداد الذي خلقه الله عليه من قبوله للتخلق بالاسماء الالهية على ما تعطيه حقيقته فان في مفهوم الصورة والضمير خلافا فما هو نص في الباب فاعترضه النسبة وعلا وتكبر

فأمر بطهارة نفسه من هذا التكبر بالارض و بالتراب وهو حقيقة عبوديته فتطهر بنظره فى أصل خلقه مم خلق كما قال تعالى فيمن هذه صفته فى معرض الدواء لهذا الخاطر الذى أورثه التكبر فلينظر الانسان مم خلق وهم البنون خلق من ماء دافق وهو الماء المهين فانه من جملة ما ادعاه الاقتدار والعطاء وهو مجبول على العجز والبخل وهذه الصفات من صفات الابدى فقيل له عند هذه الدعوى ورؤية نفسه فى الاقتدار الظاهر منه والجود والكرم والعطاء طهر نفسك من هذه الصفات بنظرك ما جبلت عليه من الضعف والبخل بقول تعالى ومن يوق شح نفسه وقال واذا مسه الخير منوعا واذا نظر فى هذا الاصل زكت نفسه وتطهر من الدعوى

﴿ باب فى عدد الضربات على الصعيد للتيمم ﴾

اختلف العلماء رضى الله عنهم فى عدد الضربات على الصعيد للتيمم فمن قائل واحدة ومن قائل اثنتين والذين قالوا اثنتين منهم من قال ضربة للوجه وضربة لليدين ومنهم من قال ضربتان لليدين وضربتان للوجه ومذهبنا من ضرب واحدة أجزأت عنه ومن ضرب اثنتين لا جناح عليه وحديث الضربة الواحدة أثبت فهو أحب الى ﴿وصل اعتبار الباطن فى ذلك﴾ التوجه الى ما يكون به هذه الطهارة فمن غلب التوحيد فى الافعال قال بالضربة الواحدة ومن غلب حكمة السبب الذى وضعه الله ونسب سبحانه الفعل اليه مع تعريته عنه مثل قوله والله خلقكم وما تعملون فأثبت ونفى قال بالضربتين ومن رأى ذلك فى كل فعل قال بالضربتين لكل عضو والله أعلم

﴿ باب فى ايصال التراب الى أعضاء المتيمم ﴾

اختلف العلماء رضى الله عنهم فى ذلك فمن قائل بوجوبه ومن قائل بأنه لا يجب وانما يجب ايصال اليد الى عضو المتيمم بعد ضربه الارض بيد أو التراب والظاهر الايصال لقوله منه ﴿وصل اعتبار ذلك فى الباطن﴾ اذا قلنا بتطهير النفس بالذلة التى هى أصلها من العزة التى ادعتها حين ا كتسبتها لم يجب الايصال فان الذلة لو نقلناها الى محل العزة لامتنع حصول الذلة فى ذلك المحل لان الذى فى المحل أقوى فى الدفع من الذى جاء يذهبه ولو شاركه فى المحل لاجتمع الضدان ولم يكن أحدهما أولى بالازالة من الآخر وانما الصحيح فى ذلك أن النفس مصروفة الوجه الى حضرة العز فاكتست من نور العزة ما أداها الى ما ادعته فقيل لها اصرفى وجهك الى ذاتك وضعفك الذى خلقت منه فان بقيت عليك أنوار هذه العزة فأنت فقام عندها انه ربما يبقى عليها ذلك فلما صرفت وجهها الى ذلتها وضعفها زالت عنها أنوار العزة بالذات فافتقرت الى بارئها وذلت تحت سلطانه فلهذا قال من قال انه لا يجب ايصال التراب الى عضو التيمم ومن قال ان كلمة من هنا للتبعيض وانه لابد من ايصال التراب الى العضو قال ان الصفة لا تقوم بنفسها فلابد لها من تقوم به وليس الاحقيقة الانسان فلابد أن تكون صفته الذلة وحينئذ تصح طهارته وهو قول من يقول بوجوب ايصال التراب الى عضو التيمم

﴿ باب فيما يصنع به هذه الطهارة ﴾

اختلف العلماء فيما عدا التراب فمن قائل لا يجوز التيمم الا بالتراب الخالص ومن قائل يجوز بكل ما صعد على وجه الارض من رمل وحصى وتراب ومن قائل بمثل هذا وزاد وما تولد من الارض من نورة وزرنيخ وجص وطين ورخام ومن قائل باشتراط كون التراب على وجه الارض ومن قائل بغبار الثوب واللبن وأما مذهبنا فانه يجوز التيمم بكل ما يكون فى الارض مما يطلق عليه اسم الارض فاذا فارق الارض لم يجز من ذلك الا التراب خاصة ﴿وصل اعتبار ذلك فى الباطن﴾ قد تقدم أنه قد زال عنه بالانتقال اسم الارض وسمى زرنيخا أو حجرا أو رملا أو ترابا ولما ورد النص باسم التراب فى التيمم فوجدنا هذا الاسم يستصحبه مع الارض ومع مفارقة الارض ولم نجد غيره كذلك أوجبنا التيمم بالتراب سواء فارق الارض أو لم يفارق والاحكام الشرعية تابعة للاسماء والاحوال وينتقل الحكم بانتقال الاسم أو الحال

﴿ باب فى ناقض هذه الطهارة ﴾

اتفق العلماء رضي الله عنهم أنه ينقضها كل ماينقض الوضوء والطهر واختلفوا في أمرين الامر الواحد اذا أراد المتيمم صلاة مفروضة بالتيمم الذي صلى به غيرها فمن قائل ان ارادة الصلاة الثانية تنقضها ومن قائل لاتنقضها وبه أقول والاولى عندي ان يتيمم ولا بد لان مذهبنا ان التيمم ليس بدلا من الوضوء وانما هو طهارة أخرى عينها الشارع بشرط خاص لا على وجه البدل وقد قلنا ان الحكم يتبع الحال وينتقل الحكم بانتقال الاحوال والاسماء *(وصل)* اعتبار ذلك في الباطن كما لا يتكرر التجلي كذلك لا تتكرر هذه الطهارة بل لكل تجل طهارة فلكل صلاة تيمم ومن نظر الى التجلي نفسه من حيث ماهو تجل لا من حيث ماهو تجل في كذا قال يصلي بالتيمم الواحد ماشاء كالمتوضئ لافرق وهو قولنا

حتى بدت للعين سبحة وجهه * والى هلم فلم تكن الاهي

(باب في وجود الماء لمن حاله التيمم)

فمن قائل ان وجود الماء ينقضها ومن قائل ان الناقض لها هو الحدث *(وصل)* اعتبار ذلك في الباطن قلنا المقلد يقوم له دليل في مسئلة خاصة من الالهيات يناقض ما أعطاه تقليده للشرع فلا يخرجه ذلك الدليل عن تقليده وانما يخرجه عن تقليده دليل العقل الذي ثبت به الشرع عنده لا هذا الدليل الخاص فاذا ظهر له نفس الحدث فيما كان يعتقده في تقليده في تلك المسئلة يعلم لذلك ان الشارع لم يكن مقصوده هذا الظاهر في هذه المسئلة وقد نبه على ذلك وجود هذا الدليل الطارئ الذي هو بمنزلة وجود الماء فهكذا هي المسئلة اذا حققتها

(باب في ان جميع مايفعل بالوضوء يستباح بهذه الطهارة)

اختلف العلماء رضي الله عنهم هل يستباح بها أكثر من صلاة واحدة فقط فمن قائل يستباح وهو مذهبنا والاولى عندنا انه لا يستباح ومن قائل لا يستباح على خلاف يتفرع في ذلك *(وصل)* اعتبار ذلك في الباطن قد تقدم في تكرار التجلي وقد انتهى الكلام في أمهات مسائل التيمم على الايجاز والاختصار ومذاهب العلماء في ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿ انتهى النصف الاول من الجزء الاول من الفتوحات المكية ويليه النصف الثاني أوله أبواب الطهارة من النجس ﴾

بقية

الجزء الاول

من كتاب الفتوحات المكية التى فتح الله بها على الشيخ
الامام العامل الراسخ الكامل خاتم الاولياء
الوارثين برزخ البرازخ محي الحق والدين
أبي عبد الله محمد بن على المعروف
بابن عربي الحاتمي الطائي
قدس الله روحه ونور
ضريحه آمين
آمين

طبع على النسخة المقابلة على نسخة المؤلف الموجودة بمدينة قونية
وقام بهذا المهم جماعة من العلماء بأمر المغفور له الأمير عبد القادر
الجزايرلى رحم الله الجميع وأثابهم المكان الرفيع

(طبع بمطبعة)
دار الكتب العربية الكبرى
بمصر
على نفقة الحاج فدا محمد الكشميرى وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

(أبواب الطهارة من النجس)

اعلم ان الطهارة طهارتان طهارة غير معقولة المعنى وهي الطهارة من الحدث المانع من الصلاة وطهارة من النجس وهي معقولة المعنى فان معناها النظافة وهل هي شرط في صحة الصلاة كطهارة المحدث من الحدث أم هي غير شرط فمن قائل ان الطهارة من النجس فرض مطلق وليست شرطا في صحة الصلاة ومن قائل انها واجبة كالطهارة من الحدث التي هي شرط في صحة الصلاة ومن قائل انها سنة مؤكدة ومن قائل ان ازالتها فرض مع الذكر ساقط مع النسيان

(وصل اعتبار ذلك في الباطن) اعلم ان الطهارة في طريقنا طهارتان طهارة غير معقولة المعنى وهي الطهارة من الحدث والحدث وصف نفسي للعبد فكيف يمكن أن يتطهر الشيء من حقيقته فانه لو تطهر من حقيقته انتفت عينه واذا انتفت عينه فمن يكون مكلفا بالعبادة وما ثم الا الله فلهذا قلنا ان الطهارة من الحدث غير معقولة المعنى فصورة الطهارة من الحدث عندنا أن يكون الحق سمعك وبصرك وكالك في جميع عباداتك فأثبتك ونفاك فتكون أنت من حيث ذاتك ويكون هو من حيث تصرفاتك وادراكاتك فأنت مكلف من حيث وجود عينك محل للخطاب وهو العامل بك من حيث انه لا فعل لك اذ المحدث لا أثر له في عين الفعل ولكن له حكم في الفعل اذ كان ما كلفه الحق من حركة وسكون لا يعمله الحق الا بوجود المتحرك والساكن اذ ليس اذا لم يكن العبد موجودا الا الحق والحق تعالى عن الحركة والسكون أو يكون محلا لتأثيره في نفسه فلا بد من حدوث العبد حتى يكون محلا لاثر الحق فمن كونه محدثا وجبت الطهارة على العبد منه فان الصلاة التي هي عين الفعل الظاهر فيه لا يصح أن تكون منه لانه لا أثر له بل هو سبب من حيث عينه لظهور الاثر الالهي فيه فبالطهارة من نظر الفعل لحدثه صحت الافعال أنها لغيره مع وجود العين لصحة الفعل الذي لا تقبله ذات الحق وليست كذا الطهارة من النجس فان النجس هو سفساف الاخلاق وهي معقولة المعنى فانها النظافة فالطهارة من النجاسات هي الطهارة بمكارم الاخلاق وازالة سفسافها من النفوس فهي طهارة النفوس وسواء قصدت بذلك العبادة أو لم تقصد فان قصدت العبادة ففضل على فضل ونور على نور وان لم تقصد ففضل لا غير فان مكارم الاخلاق مطلوبة لذاتها وأعلى منزلتها استعمالها عبادة بالطهارة من النجاسات وازالة النجاسات من النفوس التي قلنا هي الاخلاق المذمومة فرض عندنا ما هي شرط في صحة العبادة فان الله قد جعلها عبادة مستقلة مطلوبة لذاتها فهي كسائر الواجبات فرض مع الذكر ساقطة مع النسيان فمتى ما تذكرها وجبت كالصلاة المفروضة قال تعالى أقم الصلاة لذكري ثم نذكر الكلام في الاحكام المتعلقة بأعيانها فنقول

(باب في تعداد أنواع النجاسات)

اتفق العلماء رضي الله عنهم من أعيانها على أربع على ميتة الحيوان ذي الدم الذي ليس بمائي وعلى لحم الخنزير بأي سبب اتفق أن تذهب حياته وعلى الدم نفسه من الحيوان الذي ليس بمائي انفصل من الحي أو من الميت اذا كان

مسفوحا أعني كثيرا وعلى بول ابن آدم ورجيعه الا الرضيع واختلفوا في غير ذلك * (وصل اعتبار الباطن في ميتة الحيوان ذي الدم البري) * اعلم ان الموت موتان موت أصلي لا عن حياة متقدمة في الموصوف بالموت وهو قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فهذا هو الموت الاصلي وهو العدم الذي للممكن اذ كان معلوم العين لله ولا وجود له في نفسه ثم قال تعالى فأحياكم وموت عارض وهو الذي يطرأ على الحي فيزيل حياته وهو قوله تعالى ثم يميتكم وهذا الموت العارض هو المطلوب في هذه المسئلة ثم زاد وصفا آخر فقال ذي الدم الذي له دم سائل يقول في الحيوان الذي له روح سائل أي سار في جميع أجزائه لا يريد من هي حياته عين نفسه التي هي لجميع الموجودات ثم زاد وصفا آخر فقال الذي ليس بمائي يريد الحيوان البري أي الذي في البر ما هو حيوان البحر اذ البحر عبارة عن العلم فيقول لا أريد بالحيوان الموجود في علم الله فان في ذلك يقع الخلاف وانما أريد الحيوان الذي ظهرت عينه وكانت حياته بالهواء فبهذه الشروط كما أثبتت نجاسته بلا خلاف فاذا زال شرط منها لم يكن المطلوب بالاتفاق فاذا كانت حياة العبد عارضة لا ذاتية فينبغي ان لا يزهو بها ولا يدعي فلما ادعى وقال أنا وغاب عن شهود من أحياه عرض له الموت العارض أي هذا أصلك فرده الى أصله ولكن غير طاهر بسبب الدعوى ونسيان من أحياه ثم انا نظرنا في السبب الموجب لهذه الدعوى قال كونه بريا فقلنا ما معنى كونه بريا فقال حياته من الهواء فعلمنا ان الهوى هو الذي أرداه كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى فكل متردد بين هواءين لا بد من هلاكه كما قال صاحبنا أبو زيد عبد الرحمن الفازازي رحمه الله

هوى صحيح وهواء عليل * صلاح حالي بهما مستحيل

أنشدنيها لنفسه بتلمسان سنة تسعين وخمسمائة فكل عبد اجتمعت فيه هذه الشروط اتفق العلماء على انه نجس وأما اعتبار لحم الخنزير فان لحمه مسرى الحياة الدمية فان اللحم دم جامد وصفة الخنزير بة وهي التولع بالقاذورات التي تستخبثها النفوس وهي مذام الاخلاق اذا ذهبت الحياة من ذلك اللحم كان نجسا وذلك اذا اتفق ان يكون صاحب الخلق المذموم يغيب عن حكم الشرع فيه الذي هو روحه كان في حقه ميتة قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فقال مثلها ولم يقيد من وجه كذا فألحقها بمذام الاخلاق ثم قال فيمن لم يفعلها فمن عفا وأصلح فنبه على ان ترك الجزاء على السيئة من مكارم الاخلاق ولهذا قلنا بأي شيء ذهبت حياته اذ كانت الذكية لا تؤثر فيه طهارة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي طلب القصاص من قاتل من هو وليه فطلب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعفو عنه أو يقبل الدية فأبى فقال خذه فأخذه فلما قفى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه ان قتله كان مثله يريد قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فبلغ ذلك القول الرجل فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وخلى عن قتله وينبني على هذا مسئلة القبح والحسن وهي مسئلة كبيرة خاض الناس فيها وليس هذا الباب موضع الكشف عن حقيقة ذلك وان كنا قد ذكرناها في هذا الكتاب والثالث من النجاسات المتفق عليها الدم نفسه من الحيوان البري اذا انفصل عن الحي أو عن الميت وكان كثيرا أعني بحيث ان يتفاحش فقد أعلمناك ان الحيوان البري هو لعين الموجودة لنفسها ما هي الموجود في علم الله كحيوان البحر وان حياتها بالهواء وان الدم هو الاصل الذي يخرج من حرارته ذلك البخار الذي تكون منه حياة ذلك الحيوان وهو الروح الحيواني فلما كان الدم أصلا في هذه النجاسة كان هو أولى بحكم النجاسة مما تولد عنه فالذي أورث العبد الدعوى هو العزة التي فطر الانسان عليها حيث كان مجموع العالم ومضاهيا لجميع الموجودات على الاطلاق فلما غاب عن العناية الالهية به في ذلك والموت الاصلي الذي نبه الله عليه في قوله وكنتم أمواتا وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ وقوله لم يكن شيأ مذكورا لذلك اتفق العلماء على نجاسته اذا تفاحش أي كثرت منه الغفلة عن هذا المقام فان لم يتفاحش لم يقع عليه الاتفاق في هذا الحكم الرابع بول ابن آدم ورجيعه اعتباره اعلم انه من شرفت مرتبته وعلت منزلته كبرت صغيرته ومن كان وضيع المنزلة خسيس المرتبة صغرت كبيرته والانسان شريف المنزلة رفيع المرتبة نائب الحق ومعلم الملائكة فينبغي ان يطهر من عاشره ويقدس من خالطه فلما غفل عن حقيقته اشتغل بطبيعته فصاحبته الاشياء الطاهرة من المشارب والمطاعم أخذ طيبها بطبيعته لا بحقيقته وأخرج خبثها لطبيعته

لا بحقيقته فكان طيبها نجساوهو السم وكان خبيثها نجساوهو البول والرجيع وكان الاولى ان لا يكسبه خبث الروائح فانه من عالم الانفاس فكانت نجاسته من حيث طبيعته وكذلك هي من كل حيوان غير أن حقائق الحيوانات وأرواحها ليست في علو الشرف والمنزلة مثل حقيقة الانسان فكانت زلته كبيرة فاتفقوا بلا خلاف على نجاسته من مثل هذا واختلفوا في سائر أبوال الحيوانات ورجيعها وان كان الكل من الطبيعة فمن راعى الطبيعة قال بنجاسة الكل ومن راعى منزلة الشرف والانحطاط قال بنجاسة بول الانسان ورجيعه ولم يعف عنه لعظم منزلته وعفى عمن هو دونه من الحيوانات فقد أبنت لك عن سبب الاتفاق والاختلاف والحمد لله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿باب في ميتة الحيوان الذي لا دم له وفي ميتة الحيوان البحري﴾

اختلف العلماء في هاتين الميتتين فمن قائل انها طاهرة وبه أقول ومن قائل بطهارة ميتة البحر ونجاسة ميتة البر التي لا دم لها الا ما وقع الاتفاق على طهارتها لكونها ليست ميتة كدود الخل وما يتولد في المطعومات ومن قائل بنجاسة ميتة البر والبحر الا ما لا دم له ﴿وصل اعتباره في الباطن﴾ قد أعلمناك فيما تقدم آنفا من هذه الطهارة اعتبار الدم فمن قائل بطهارة ميتة الحيوان الذي لا دم له فهو البراءة من الدعوى لان الحياة المتولدة من الدم في انفع الدعوى لا في الحياة التي لجميع الموجودات التي يكون بها التسبيح لله بحمده فان تلك الحياة طاهرة على الاصل لانها من الله من غير سبب يحجبها عن الله ومن قال بطهارة ميتة البحر وان كان ذا دم فانه في علم الله ولا حكم على الاشياء في علم الله وانما تتعلق بها الاحكام اذا ظهرت في أعيانها وهو بروزها من العلم الى الوجود الحسي وعلى مثل هذا تعتبر بقية ما اختلفوا فيه من ذلك في هذه المسئلة انتهى الجزء الرابع والثلاثون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿باب الحكم في أجزاء ما اتفقوا عليه انه ميتة﴾

اختلف العلماء رضي الله عنهم في أجزاء ما اتفقوا عليه انه ميتة مع اتفاقهم على ان اللحم من أجزاء الميتة ميتة وقد بينا اعتبار اللحم في لحم الخنزير واختلفوا في العظام والشعر فمن قائل انهما ميتة ومن قائل انهما ليستا بميتة وبه أقول ومن قائل ان العظم ميتة وان الشعر ليس بميتة ﴿وصل اعتبار الباطن في ذلك﴾ لما كان الموت المعتبر في هذه المسئلة هو الطارئ المزيل للحياة التي كانت في هذا المحل نظرنا الى مسمى الحياة فمن جعل الحياة النمو قال انهما ميتة ومن جعل الحياة الاحساس قال انهما ليستا بميتة ومن فرق قال ان العظم يحس فهو ميتة والشعر لا يحس فليس بميتة فمن رأى نموه بالغذاء وحسه بالروح الحيواني فهما ميتة سواء عبر بالحياة عن النمو أو عن الحس ومن كان يرى نموه بربه لا بالغذاء وادراكه المحسوسات بربه لا بالحواس لم يلتفت الى الواسطة لفنائه بشهود الاصل الذي هو خالقه وان رأى ان الحق سمعه وبصره وهو عين حسه لم يصح عنده انه ميتة أصلا وسواء كانت الحياة عبارة عن النمو أو عن الحس

﴿باب الانتفاع بجلود الميتة﴾

فمن قائل بالانتفاع بها أصلا دبغت أم لم تدبغ ومن قائل بالفرق بين ان تدبغ وبين ان لا تدبغ وفي طهارتها خلاف فمن قائل ان الدباغ مطهر لها ومن قائل ان الدباغ لا يطهرها ولكن تستعمل في اليابسات ثم ان الذين ذهبوا الى ان الدباغ مطهر اتفقوا على انه مطهر لما تعمل فيه الذكاة يعني المباح الاكل من الحيوان واختلفوا فيما لا تعمل فيه الذكاة فمن قائل ان الدباغ لا يطهر الا ما تعمل فيه الذكاة فقط وان الدباغ بدل من الذكاة في افادة الطهارة ومن قائل ان الدباغ يعمل في طهارة ميتات الحيوانات ما عدا الخنزير ومن قائل بان الدباغ يطهر جميع ميتات الحيوان الخنزير وغيره والذي أذهب اليه وأقول به ان الانتفاع جائز بجلود الميتات كلها وان الدباغ يطهرها كلها لا أحاشي شيأ من ميتات الحيوان ﴿وصل الاعتبار في ذلك في الباطن﴾ قد عرفناك مسمى الميتة فالانتفاع لا يحرم بجلدها وهو استعمال الظاهر فمن أخذ في الاحكام بالظاهر من غير تأويل ولا عدول عن ظاهر الحكم الذي يدل عليه اللفظ فلا مانع له من ذلك ولا حجة علينا لمن يقول بما يدل عليه

بعض الالفاظ من التشبيه فنقول ماوقفت مع الظاهر فانه ماجاء الظاهر بالتشبيه لان المثل وكاف الصفة ليست في الظاهر فما ذلك الخطأ في المسئلة الامن التأويل واللفظ اذا كان بهذه النسبة مع اللفظ الصريح الذى لايحتمل التأويل كان اذا قرنته به بمنزلة الميتة من الحى فلم نجد من الشارع مانعا من الانتفاع يقينا على الاصل وهو قوله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا ولم يفصل طاهرا من غيرطاهر فلا نحكم بطهارته وان انتفعنا به الااذا دبغ فهو اذذاك طاهر واعتباره ان اللفظ الوارد من الشارع المحتمل فنحكم بظاهره ولا نقطع به ان ذلك هو المراد فاذا اتفق أن نجد نصا آخر فى ذلك المحكوم به يرفع الاحتمال الذى أعطاه ذلك اللفظ الآخر طهر ذلك اللفظ الاول من ذلك الاحتمال وكان له هذا الخبر الثانى كالدباغ لهذا الجلد فجمعنا بين الطهارة له فى نفسه وهو صرفه بالخبر الثانى الى أحد محتملاته على القطع وانتفعنا به مثل ما كنا ننتفع به قبل أن يكون طاهرا من حيث انتفاعنا به لامن حيث انتفاعنا به من وجه خاص فانه قد يكون ذلك الخبر يصرفه عن الظاهر الذى كان نستعمله فيه الى أمر آخر من محتملاته فلهذا قلنا من حيث ماهو منتفع به لامن حيث ماهو منتفع به فى وجه خاص اذ كان غيرنا لايرى الانتفاع به أصلا

﴿باب فى دم الحيوان البحرىّ وفى القليل من دم الحيوان البرىّ﴾

اختلف العلماء رضى الله عنهم فى دم الحيوان البحرىّ وفى القليل من دم الحيوان البرىّ فمن قائل دم السمك طاهر ومن قائل انه نجس على أصل الدماء ومن قائل ان القليل من الدماء والكثير واحد فى الحكم ومن قائل ان القليل معفوّ عنه والذى أذهب اليه ان التحريم ينسحب على كل دم مسفوح من أىّ حيوان كان ويحرم أكله وأما كونه نجاسة فلا أحكم بنجاسة المحرّمات الاأن ينص الشارع على نجاستها على الاطلاق أو يقف على القدر الذى نص على نجاسته وليس النص بالاجتناب نصا فى كل حال فيفتقر الى قرينة ولا بدفما كل محرّم نجس وان اجتنبناه فما اجتنبناه لنجاسته فان كونه نجاسة حكم شرعىّ وقد يكون غير مستقذر عقلا ولا مستخبث ﴿وصل اعتباره فى الباطن﴾ الحكم على الشئ الذى يقتضيه لنفسه لايشترط فيه وجود عينه ولا تقدير وجود عينه فسواء كان معدوم العين أو موجودا الحكم فيه على السواء سواء كان بطهارته أو عدم طهارته فلا يؤثر كونه فى علم الله أو كونه موجودا فى عينه ألاترى الى الممكن قد رجح المرجح وجوده على عدمه أو عدمه على وجوده ومع ذلك مازال عن حكم الامكان عليه وان الامكان واجب له لذاته كما ان الاحالة للمحال واجبة له لذاته كما ان الوجوب للواجب واجب له لذاته فينسحب معقول الوجوب على الواجب لنفسه وكذلك حكم الممكن والمحال لايتغير حكمه وان اختلفت المراتب

﴿باب حكم أبوال الحيوانات كلها وبول الرضيع من الانسان﴾

اختلف أهل العلم فى أبوال الحيوانات كلها وأرواثها ماعدا الانسان الابول الرضيع فمن قائل انها كلها نجسة ومن قائل بطهارتها كلها على الاطلاق ومن قائل ان حكمها حكم لحومها فما كان منها أكله حلالا كان بوله وروثه طاهرا وما كان منها أكله حراما كان بوله وروثه نجسا وما كان منها لحمه مكروها أكله كان بوله وروثه مكروها ﴿وصل اعتباره فى الباطن﴾ الطهارة فى الاشياء أصل والنجاسة أمر عارض فنحن مع الاصل مالم يأت ذلك العارض وهذا مذهبنا فالعبد طاهر الاصل فى عبوديته لانه مخلوق على الفطرة وهى الاقرار بالعبودية للرب سبحانه قال الله تعالى واذأخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية ان الله لما خلق آدم قبض على ظهره فاستخرج منه كأمثال الذر فأشهدهم على أنفسهم وكذلك العلم طاهر فى تعلقه بمعلومه فهما عرض تحجير من الحق فى أمر ما وعلم ماوقفنا عنده وكذلك الحياة لذاتها طاهرة مطهرة وكل ما سوى الله حىّ فكل ماسوى الله طاهر بالاصل فباسمه القدوس خلق العالم كله وانما قلنا كل ماسوى الله حىّ فانه مامن شئ والشئ أنكر النكرات الاوهو يسبح بحمد الله ولا يكون التسبيح الامن حىّ وان كان الله قد أخذ بأسماعنا عن تسبيح الجمادات والنبات والحيوان الذى لايعقل كما أخذ بأبصارنا عن ادراك حياة الجماد والنبات الالمن خرق الله له العادة كرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حضر من أصحابه حين أسمعهم الله تسبيح الحصى فما كان خرق

العادة فى تسبيح الحصى وانما انخرقت العادة فى تعلق أسماعهم به وقد سمعنا بحمد الله فى بدء أمرنا تسبيح حجر ونطقه بذكر الله فن الموجودات ماهو حى بحياتين حياة مدركة بالحس وحياة غير مدركة بالحس ومنها ماهو حى بحياة واحدة غير مدركة بالحس عادة ومنها ماهو حى بثلاثة أنواع من الحياة وهو الانسان خاصة فانه حى بالحياة الاصلية التى لا يدركها بالحس عادة وهو أيضا حى بحياة روحه الحيوانى وهو الذى يكون به الحس وهو حى أيضا بنفسه الناطقة فالعالم كله طاهر فان عرض له عارض الحى يقال له نجاسة حكمنا بنجاسة ذلك المحل على الحد المقدر شرعا خاصة فى عين تلك النسبة الخاصة فالنجاسة فى الاشياء عوارض نسب وأعظم النجاسات الشرك بالله قال تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فالمشرك نجس العين فاذا آمن فهو طاهر العين أى عين الشرك وعين الايمان فافهم فانه ما يصدر عن القدوس الاقدس ولذا قلنا فى النجاسة انها عوارض نسب والنسب أمور عدمية فلا أصل للنجاسة فى العين اذ الاعيان طاهرة بالاصل الظاهر منه وهنا أسرار لا يمكن ذكرها الاشفاها لاهلها فان الكتاب يقع فى يد أهله وغير أهله فن فهم ما أشرنا اليه فقد حصل على كنز عظيم ينفق منه ما بقيت الدنيا والآخرة أى الى ما لا يتناهى وجوده والله المؤيد معلم الانسان البيان

﴿باب حكم قليل النجاسات﴾

اختلف أهل العلم فى قليل النجاسات فن قائل ان قليلها وكثيرها سواء ومن قائل ان قليلها معفو عنه وهؤلاء اختلفوا فى حد القليل ومن قائل ان القليل والكثير سواء الا الدم وقد تقدم الكلام فى الدم وعندنا ان القليل والكثير سواء الا ما لا يمكن الانفكاك عنه ولا يعتبر فى ذلك منع وقوع الصلاة بها أو وقوعها فان ذلك حكم آخر والتفصيل فى ذلك قد ورد فى الشرع فيوقف عنده ولا يتعدى فانه لا يلزم من كونه نجاسة عدم صحة الصلاة بها فقد يعفو الشرع عن بعض ذلك فى موضع وقد لا يعفو فى موضع وللاحوال فى ذلك تأثير فقد أزال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعله فى الصلاة من دم حلمة أصاب نعله ولم يبطل صلاته ولا أعاد ما صلى به ﴿وصل اعتباره فى الباطن﴾ أما اعتباره فى الباطن فذام الاخلاق والجهالات وإساءة الظنون فى بعض المواطن قليل ذلك وكثيره سواء وفى ذلك حكايات وأقوال لاهل الله والتفصيل الوارد فى الخلاف فى الظاهر يعتبر بحسبه فانه قد تقدم فى الفصول قبل هذا كيف تؤخذ وجوه الاعتبار فيه فى الباطن

﴿باب حكم المنى﴾

اختلف علماء الشريعة فى المنى هل هو طاهر أو نجس فن قائل بطهارته ومن قائل بنجاسته ﴿وصل اعتباره فى الباطن﴾ التكوين منه طبيعى ومنه غير طبيعى وبينهما فرقان ان شئنا اعتبرنا وان شئنا لم نعتبره فان التكوين الطبيعى لا فرق عندنا بينه وبين التكوين غير الطبيعى فان التكوين الطبيعى من حيث الوجه الخاص المعلوم عند أهل الله المنصوص عليه فى القرآن صادر عن حضرة التقديس والاسم القدوس ومن غير ذلك الوجه الخاص فهو صادر عن مثله وهو الذى أيضا نقول فيه عالم الخلق وعالم الامر فكل موجود عند سبب مخلوق مما سوى الله هو عالم الخلق وكل ما لم يوجد عند سبب مخلوق فهو عالم الامر والكل على الحقيقة عالم الامر الا انا لا يمكننا رفع الاسباب من العالم فان الله قد وضعها ولا سبيل الى رفع ما وضعه الله فأقول انه من احتجب بنفسه عن ربه فليس بطاهر ولما كان خروج المنى غالبا يستغرق لذته الانسان بل الحيوان كله حتى يفنى عن ربه الا عن حكم الخارج منه وهو المنى كان المنى غير طاهر ولذا أمرنا بالتطهير منه أى التطهير العام لجميع أجزاء البدن لانه يخرج من بين الصلب والترائب ومن راعى ان الحق ما ولى التكوين الطبيعى الا به حكم بطهارته لان الحال اختلف عليه فانه دم مقصور قصرته المثانة فتغير عن الدمية فتغير الحكم وهو أولى فالمنى عندنا طاهر الا ان يخالطه شئ نجس لا يمكن تخليصه منه وحينئذ نحكم به أنه نجس عاطرا عليه كما كان أصله وعينه دما فلو بقى على صورته فى أصله من الدمية اذا خرج حكمنا بنجاسته شرعا

﴿باب فى المحال التى تزال عنها النجاسة﴾

أما المحال التى تزال عنها النجاسة شرعا فهى ثلاثة الثياب والابدان أبدان المكلفين والمساجد ﴿وصل اعتباره فى

الباطن)* فالثياب الباطنة الصفات فان لباس الباطن صفاته يقول امرؤ القيس لعنيزة

وان كنت قد ساءتك منى خليقة * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

أراد ما لبسه من ثياب مودتها فى قلبه يقول الله ولباس التقوى ذلك خير وهو موجه عندى لقرائن الاحوال مثل قوله تعالى فان خير الزاد التقوى سواء ان تفطنت لما أراد هنا بالتقوى واعتبار الابدان القلوب والارواح فاعلم واعتبار المساجد مواطن المناجاة وأحوالها الالهية

(باب فى ذكر ما تزال به هذه النجاسات من هذه المحال)

اتفق العلماء بالشريعة على ان الماء الطاهر المطهر يزيلها من هذه المحال الثلاثة وعندنا كل ما يزيل عينها فهو مزيل من تراب وحجر ومائع ويعتبر اللون فى بقاء عينها ان كانت ذات لون يدركه البصر ولا يعتبر بقاء الرائحة مع ذهاب العين اثم عندنا آخر *(وصل الاعتبار فى ذلك)* ان العلم الذى أنتجته التقوى فى قوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا فذلك العلم هو المزيل المطهر هذه المحال الثلاثة التى ذكرناها وهى فى الباطن الصفات والقلوب والاحوال التى قلنا انها الثياب والابدان والمساجد واتفق العلماء أيضا ان الحجارة تزيلها من المخرجين وهو المعبر عنه فى الشرع بالاستجمار ولا يصح عندى الاستجمار بحجر واحد فانه نقيض ما سمى به الاستجمار فان الجمرة الجماعة وأقل الجماعة اثنان والاعتبار هنا فى محل الاتفاق ان الحجارة لما أوقع الله النسبة بينها وبين القلوب فى أمور منها ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة والقسوة مما ينبغى ان يتطهر منها كانت ما كانت فانها من نجاسات القلوب المأخوذ بها والمعفو عنها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وهى من القلوب العلوم الغزيرة الواسعة المحيطة بأكثر المعلومات وتفجرها خروجها على ألسنة العلماء للتعاليم فى الفنون المختلفة وان من الحجارة لما يشقق فيخرج منه الماء وهى القلوب التى تغلب عليها الاحوال فتخرج فى الظاهر على ألسنة أصحابها بقدر ما يشقق منها وبقدر العلم الذى فيها فينتفع بها الناس وان من الحجارة لما يهبط من خشية الله وهبوط القلوب المشبهة بالحجارة فى هبوطها هو نزولها من عزها الى عبوديتها ونظرها فى عجزها وقصورها بالاصالة وقد قلنا ان الماء هو المطهر المزيل للنجاسات من هذه المحال فالاحجار التى هى منابع هذا الماء حكمها فى ازالة النجاسة من المخرجين حكم ما خرج منها وهو العلم فى الاعتبار كان الخشية مما يتطهر بها فان الخشية من خصائص العلماء بالله المرضيين عنهم المطلوب منهم الرضى عن الله قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه والعلم طاهر مطهر ولا سيما العلم الذى هو نتيجة التقوى فان غيره من العلوم وان كان طاهرا مطهرا فما هو فى القوة مثل هذا العلم الذى نشير اليه فالخشية المنعوت بها الاحجار هى التى أدتها الى الهبوط وهو التواضع من الرفعة التى أعطاها الله فانه لما وصفها بالهبوط علمنا ان الاحجار التى فى الجبال يريد الجبال الاوتاد التى سكن الله بها ميد الارض فلما جعلها أوتادا أورثها ذلك فخر العلو ومنصبها فنزلت هذه الاحجار هابطة من خشية الله لما سمعت الله يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين والارادة من صفات القلوب فنزلت من علوها وان كان ربها هابطة من خشية الله حذرا أن لا يكون لها حظ فى الدار الآخرة التى تنتقل اليها وأعنى بالدار الآخرة هنا دار سعادتها فان فى الآخرة منزل شقاوة ومنزل سعادة فكانت لهذا طاهرة مطهرة وأما اختصاص تطهيرها المخرجين واعتبار المخرجين اللذين هما مخرج الكثيف وهو الرجيع واللطيف وهو البول فاعلم ان للحق سبحانه فى القلوب تجليين التجلى الاول فى الكثائف وهو تجليه فى الصور التى تدركها الابصار والخيال مثل رؤية الحق فى النوم فاراه فى صورة تشبه الصور المدركة بالحس وقد قال ليس كمثله شئ فيزيل هذا العلم من قلبك تقييد الحق بهذه الصور التى تجلى لك فيها فى حال نومك أو فى حال تخيلك فى عبادتك اذ قال لك رسوله صلى الله عليه وسلم عنه تعالى لا عن هواه فانه صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى اعبد الله كأنك تراه فجاء بكاف وهى تعطى الحقائق فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لمن قال أنا مؤمن حقا فما حقيقة ايمانك فقال كأنى أنظر الى عرش ربى بارزا فأتى بكاف والرؤية وقال له رسول الله صلى الله عليه

وسلم عرفت فالزم فشهدله بالمعرفة وهـذا هو التجلي الآخر فان تجلي الخيال ألطف من تجلي الحس مما لا يتقارب ولهذا يسرع اليه التقلب من حال الى حال كما هو باطن الانسان هنا كذلك يكون ظاهره في النشأة الآخرة وقد ورد أن في الجنة سوقا لا يباع فيه ولا يشترى لكنه مجلى الصور فمن اشتهى صورة دخل فيها كالذى هو باطن الانسان اليوم فاذا جعل العابد معبوده بحيث يراه كأنه أنزله من قلبه منزلة من يراه ببصره من غير أن يكون هناك صورة من خارج كما كانت في تجلي المنام فاذا احده هذا التخيل والحق لاحدله سبحانه يتقيد به فطهر علم الخشية وهو الحجر الذى ذكرناه من تقييدالحدود فطهر القلب أنما هو بالخشية من مثل هـذا التشبيه والتقييد اذ ليس كمثله شئ فهـذا اعتبار اتفاق العلماء بان الحجارة تطهر المخرجين واختلفوا فيما عداما ذكرناه من الاتفاق عليه من المائعات والجامدات التى تزيل النجاسات من المحال التى ذكرناها فمن قائل ان كل مائع وجامد في أي موضع كان اذا كان طاهرا فانه يزيل عين النجاسة وبه أقول ومن قائل بالمنع على الاطلاق الا ما وقع عليه الاتفاق من الماء والاستجمار وقد ذكرناهما

﴿باب منه﴾

اختلفوا في الاستجمار بالعظم والروث اليابس فمنع من ذلك قوم وأجاز والاستجمار بغير ذلك مما ينقي واستثنى من ذلك قوم ما هو مطعوم ذو حرمة كالخبز وقد جاء في العظم انه طعام اخواننا من الجن واستثنت طائفة ان لا يستجمر بما في استعماله سرف كالذهب والياقوت أما تقييدهم بأن في ذلك سرفا فليس بشئ ولو عللوه بأمر آخر يعقل كان أحسن ولكن ينبغي أن ينظر في مثل هذا فان كان الذهب مسكوكا وعليه اسم الله أو اسم من الاسماء المجهولة عنده من طريق لسان أصحابها خوفا من أن يكون ذلك من أسماء الله بذلك اللسان أو يكون عليه صورة فيجتنب الاستجمار به لاجل هـذا الا لكونه ذهبا ولا ياقوتا وقوم قصروا الانقاء على الاحجار فقط وقوم أجازوا الاستجمار بالعظم دون الروث وان كان مكروها عندهم ومن قائل بجواز الاستجمار بكل طاهر ونجس انفرد به الطبرى دون الجماعة ﴿وصل في اعتبار ما ذكرناه في الباطن﴾ اذا صح الانقاء من الاخلاق المذمومة والجهالات بأي شئ صح بخلق حسن أو بخلق آخر سفساف وبعلم شريف لشرف معلومه أو بعلم دون ذلك مما لا أثر له في المحل الا الانقاء جاز استعماله في ازالة هذه النجاسة والى هذا منزع الطبرى فيما شذ فيه دون الجماعة ومن راعى في الازالة ما يزال به لا ما يزال وتتبع الشرع وما فصله في ذلك المشرع فهو على حسب ما يفهم من الشارع في تفقهه في دين الله فان فطر الناس مختلفة في الفهم عن الله وهو محل الاجتهاد فلا يزيل عين النجاسة الا بالذى يغلب على فهمه من مقصود الشارع ما هو وهو الاولى وهذا يسرى في الحكم الظاهر والباطن سواء فأغنى عن التفصيل

﴿باب في الصفة التى بها تزال هذه النجاسات﴾

وهي غسل ومسح ونضح وصب وهو صب الماء على النجاسة كما ورد في الحديث لما بال الاعرابي في المسجد فصاح به الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزرموه حتى اذا فرغ من بوله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو دعا بذنوب من ماء فصبه عليه فهذه حالة لا تسمى غسلا ولا مسحا ولا نضحا فلهذا ازدنا الصب ولم يأت بهـذه اللفظة العلماء وأدخلوا هـذا الفعل تحت الغسل فاكتفوا بلفظ الغسل عن الصب فرأينا ان الافصاح به بلفظ الصب أولى لان الراوى ذكره بلفظ الصب ولم يسمه غسلا واعلم انه ما اختلفت هذه المراتب الا لاختلاف النجاسات تخفيفا عن هذه الامة فان المقصود زوال عينها الموجود المعين أو المتوهم فبأي شئ زال الوهم أو العين من هـذه الصفات استعملت في ازالته واستعمال الاعم منها يدخل فيه الاخص فيغني عن استعمال الاخص ان فهمت كالغسل فانه أعمها فيغني عن الكل والشارع قد صب وغسل ومسح ونضح وهو الرش وقد وردت في ذلك كله أخبار محلها كتب الفقه ﴿وصل اعتبار الباطن في ذلك﴾ ان الخلق المذموم ان وجدنا صفة اذا استعملناها أزالت جميع الاخلاق المذمومة استعملناها فهي كالغسل الذى يعم جميع الصفات المزيلة لاعيان النجاسات وتوهمها وهو الاولى والايسر وان تعذر ذلك فينظر في كل خلق مذموم وينظر الى الصفة المزيلة لعينه فيستعملها في ازالة ذلك الخلق لا غيرهـذا هو ربط هـذا الباب وفي هـذا الباب

اختلاف كثير في المسح والنضح والعدد ليس هذا موضعه الان فتح الله ويؤخر في الاجل فنعمل كتابا في اعتبارات أحكام الشرع كلها في جميع الصور واختلاف العلماء فيه ليجمع بين الطريقين ونظهر حكمة الشرع في النشأتين والصورتين أعني الظاهر والباطن ليكون كتابا جامعا لاهل الظاهر وأهل الاعتبار في الباطن والموازين الباحثين عن النسب والله المؤيد لا رب غيره

(باب في آداب الاستنجاء ودخول الخلاء)

وقد وردت في ذلك أخبار كثيرة وأوامر مثل النهي عن الاستنجاء باليمين ومس الذكر باليمين عند البول وعدم الكلام على الحاجة والتعوّذ عند دخول الخلاء وهي كثيرة جدا فمن قائل بأنها كلها محمولة على الندب وعليه جماعة الفقهاء وأمّا في الاعتبار فهي كلها واجبة فان الباطن ما حكمه في أوامر الحق حكم الظاهر فان الله ما ينظر من الانسان الا الى قلبه فيجب على العبد أن لا يزال قلبه طاهرا أبدا لانه محل نظر الله منه والشرع ينظر الى ظاهر الانسان ويراعيه في الدار الدنيا دار التكليف أكثر من باطنه وفي الآخرة بالعكس هنالك تبلى السرائر وهنا يراعي الشرع أيضا الباطن في أفعال مخصوصة أوجب الشرع عليه فعلها وأفعال مخصوصة ندبه الشرع اليها وأفعال مخصوصة خيره الشرع بين فعلها وتركها وأفعال مخصوصة حرم الشرع عليه فعلها وأفعال مخصوصة كره الشرع له فعلها والحكم في الترك كذلك واختلفوا من هذه الآداب في استقبال القبلة بالغائط والبول واستدبارها فكانوا فيها على ثلاثة مذاهب فمن قائل الى انه لا يجوز استقبال القبلة لغائط أو بول أصلا في أي موضع كان ومن قائل انه يجوز ذلك باطلاق وبه أقول والتنزه عن ذلك أولى وأفضل ومن قائل انه يجوز ذلك في الكنف المبنية ولا يجوز في الصحاري ولكل قائل حجة من خبر يستند اليه ذكر ذلك علماء الشريعة في كتبهم *(وصل اعتبار الباطن في ذلك)* لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله في قبلة المصلي وان العبد اذا صلى واجه ربه فمن فهم من ذلك ان لقبلة المعلومة اليها نسب كون الله أو نسب اليها في حال صلاة المصلي خاصة فمن فهم ان المراد القبلة بتلك النسبة لم يجز استقبال القبلة عند الحاجة لسوء الادب ومن فهم أن المراد حال المصلي أجاز استقبال القبلة عند الحاجة فانه غير مصل الصلاة المخصوصة بالصفة المعلومة ومن رأى روح الصلاة وهو الحضور مع الله دائما ومناجاته كانت جميع أفعاله صلاة فلم يقل بالمنع من استقبال القبلة عند الحاجة فانه في روح الصلاة لا ينفك دائما وهم أهل الحضور مع الله على الدوام والمشار اليهم بقوله تعالى والذين هم على صلاتهم دائمون اعتبارا فأمّا من لم يخطر له خاطر الحضور مع الله الا في وقت الحاجة فذلك خاطر شيطاني لا يعوّل عليه ويجتنب استقبال القبلة ولا بدّ عندنا من هذه حالته فانه من عمل الشيطان وقد أمرنا باجتناب عمل الشيطان في قوله انه رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه وأما من يرى الاستقبال في الكنف المبنية دون الصحاري فان الكنف المبنية والمدن حال الجمعية فتشبه جمعية الاسماء الالهية فما من شئ الا وهو مرتبط بحقيقة الهية به كانت معقوليته فان المعدوم مرتبط بالتنزيه فلا يخلو صاحب هذا الحال عن مشاهدة ربه من حيث تلك الحقيقة فان البناء والمدن دلتاه على ذلك فجوزله أن يستقبل القبلة وأن يكون بحكم الوطن وأما في الصحراء فهو وحده فلا مانع له من ترك استقبال القبلة بالحاجة فيتأدب ولا يستقبل احتراما لقول الشارع فانه ما في الصحراء حالة تقيده لرؤية حقيقة الهية الا اختياره ولا ينبغي للعبد أن يكون له اختيار مع سيده قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار فما اختار المدن والكنف المبنية ما كان لهم الخيرة فيما لم يخترهم فليس لهم أن يختاروا بل يقفون عند المراسم الشرعية فان الشارع هو الله تعالى فيستعمل بهذا النظر جميع الاخبار الواردة في استقبال القبلة بالحاجة واستدبارها والنهي عن ذينك فقد أثبتنا في هذا الباب من فصول الطهارة ما يجري مجرى الاصول والقول الجامع في الطهارة هو أن نقول الطهارة من الانسان المعقولة المعنى بما يزيلها أي شئ كان من البراهين جدلية كانت أو وجودية فان الغرض ازالتها لا عين ما تزال ما لم يكن الذي تزال به يؤثر نجاسة في المحل فاذن ما زالت النجاسة وأمّا التي هي غير معقولة المعنى فطهارتها موقوفة على ما ينص الله تعالى في ذلك أو رسوله فيزيلها بذلك فان شاء الحق عرفك بمعناه ونسبته فتكون ازالتها في حقك عن علم محقق واذا لم يكن ذلك فهو المسمى بالتعبد وهو المعنى المطلق

فى جميع التكاليف وهو العلة الجامعة والله يقول الحق وهو يهدى السبيل انتهى الجزء الخامس والثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب التاسع والستون فى معرفة أسرار الصلاة وعمومها)

وكم من مصل ماله من صلاته * سوى رؤية المحراب والكد والعنا

* وآخر يحظى بالمناجاة دائما * وان كان قد صلى الفريضة وابتدى

وكيف وسر الحق كان امامه * وان كان مأموما فقد بلغ المدى

فتحريمها التكبير ان كنت كابرا * والا فحل المرء أو حرمه سوا

وتحليلها التسليم ان كنت تابعا * لرجعته العلياء فى ليلة السرى

ومابين هذين المقامين غاية * وأسرار غيب ماتحس وماترى

فمن نام عن وقت الصلاة فانه * وحيد فريد الدهر قطب قد استوى

وان حل سهو فى الصلاة وغفلة * وذكره الرحمن يجبر ماسها

وان كان فى ركب الى العين قاصدا * فشطر صلاة الفرض ينقص ماعدا

صلاة انفجار الصبح حقا ومغرب * لسر خفى فى الصباح وفى المسا

وحافظ على الشفع الكريم لوتره * تفز بالذى فازا لحضارمة الاولى

وبين صلاة الفذ والجمع سبعة * وعشرون ان كان المصلى على طوى

ولاتنس يوم العيد واشهد صلاته * لدى مطلع الشمس المنيرة والسنا

وبادر لتهجير العروبة راغبا * تحز قصب السباق فى حلبة العلى

وان حل خسف النيرين فانه * تجاب وجود النفس دونك يافتى

ومن كان يستسقى يحول رداءه * تحول عن الأحوال علك ترتضى

فهذى عبادات المراد تخلصت * وان ليس للانسان غير الذى سعى

اعلم أيدك الله بروح القدس ان مسمى الصلاة يضاف الى ثلاثة والى رابع ثلاثة بمعنيين بمعنى شامل و بمعنى غير شامل فتضاف الصلاة الى الحق بالمعنى الشامل والمعنى الشامل هو الرحمة فان الله وصف نفسه بالرحيم ووصف عباده بها فقال ارحم الراحمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يرحم الله من عباده الرحماء قال تعالى هو الذى يصلى عليكم فوصف نفسه بأنه يصلى أى يرحمكم بأن يخرجكم من الظلمات الى النور يقول من الضلالة الى الهدى ومن الشقاوة الى السعادة وتضاف الصلاة الى الملائكة بمعنى الرحمة والاستغفار والدعاء للمؤمنين قال تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته فصلاة الملائكة ماذكرناها قال الله عزوجل فى حق الملائكة ويستغفرون للذين آمنوا يقولون فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم وقهم السيئات اللهم استجب فينا صالح دعاء الملائكة وتضاف الصلاة الى البشر بمعنى الرحمة والدعاء والافعال المخصوصة المعلومة شرعا على ماسنذكره فجمع البشر هذه الثلاث المراتب المسماة صلاة قال تعالى آمرا لنا وأقيموا الصلاة وتضاف الصلاة الى كل ماسوى الله من جميع المخلوقات ملك وانسان وحيوان ونبات ومعدن بحسب مافرضت عليه وعينت له قال تعالى ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات ومن فى الارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فأضاف الصلاة الى الكل والتسبيح فى لسان العرب الصلاة قال عبدالله بن عمر وهو من العرب وكان لايتنفل فى السفر فقيل له فى ذلك فقال لو كنت مسبحا أتممت وقال تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الايسبح بحمده وقال خطابا لمحمد صاحب الكشف حيث يرى مالانرى ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب فانظر الى فقه عبدالله بن عمر رضى

الله عملنا تحقق ان الله يريد التخفيف عن عبيده بوضع شطر الصلاة عنهم لم يرأن يتنفل مو فقة لمقصود الحق فى ذلك فهذا فقه روحانى وأما من تنفل فى السفر فرأى أن مقصود الحق اسقاط الفرضية لا اسقاط الصلاة التى يتطوع الانسان فلو أتم المسافر لكان الفرض منها ركعتين والباقى نافلة فان الله ما فرض عليه الا ركعتين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير هذا المتنفل الا اسقاط الفرضية عنه لا التطوع بالصلاة تنفل فى السفر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفل فى السفر على الراحلة فعلم القائل بهذا ان الفرض هو الذى قصد اسقاطه عنه واقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى التنفل فى السفر فان الله قال لنا لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة فاعلم أن الصلوات المشروعة فرضا وسنة امؤكدة بين النافلة والفريضة ثمانية كما ان الاعضاء المكلفة من الانسان ثمانية لأن الذات مع نسبها المعبر عنها بالصفات ثمانية فهذه الثمانية هى الذات والحياة والعلم والارادة والكلام والقدرة والسمع والبصر والانسان المكلف ذات حية عالمة مريدة متكلمة قادرة سميعة بصيرة وأما الاعضاء المكلفة أعنى التى يفعل الانسان بها ما كلف ان يفعله أو يتركه فهى ثمانية الاذن والعين واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب وأما الصلوات الثمانية المشروع الفعل بها فرضا وسنة مؤكدة فالصلوات الخمس والوتر من الليل والجمعة والعيدان والكسوف والاستسقاء والاستخارة والصلاة على الجنائز وأما الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت فى الدعاء فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علمنا كيف نصلى عليه أى كيف ندعوله وقد أمرنا ان ندعوله بالوسيلة والمقام المحمود ونحن ان شاء الله نذكر فى هذا الباب فصول هذه الصلوات كلها مكملة بشروطها ولا أتتبع ما تحوى عليه من التفاصيل فان ذلك يطول وانما أقصد الى ذكر فصول تجرى مجرى الأمهات كما عملنا فى الطهارة الى ان نستوفيها ان شاء الله والصلاة وقعت فى الرتبة الثانية من قواعد الايمان التى بنى الاسلام عليها فى الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج فعلم الصحابة أنه صلى الله عليه وسلم راعى الترتيب لما يدخل الواو من الاحتمال ولهذا لما قال بعض رواة هذا الحديث من الصحابة لما سرده فقال والحج وصوم رمضان أنكر عليه وقال له وصوم رمضان والحج فقدمه وعلمنا أنه أراد الترتيب ونبه على ان لا تنقل عنه صلى الله عليه وسلم الا عين ما تلفظ به فانه من العلماء من يرى نقل الحديث المتلفظ به من النبى صلى الله عليه وسلم على المعنى فالصلاة ثانية فى القواعد مشتقة من المصلى فى الخيل وهو الذى يلى السابق فى الحلبة والسابق فى القواعد الشهادة والمصلى هى الصلاة وجعل الزكاة تلى الصلاة لان الزكاة التطهير فناسبت الصلاة فان الصلاة لا يقبلها الله بغير طهور والزكاة تطهير الاموال قال تعالى قد أفلح من زكاها يعنى النفس التى سواها يريد قد أفلح من طهرها بامتثال أوامر الله ومن شرط الصلاة طهارة الثياب والأبدان والبقعة التى توقع الصلاة عليها وفيها كانت ما كانت وجعل الصوم يلى الزكاة لما شرع الله فى صوم رمضان عند انقضائه من زكاة الفطر فلم يبق الحج الا ان يكون آخرا وقد ذكرنا الشهادة التوحيدية وذكرنا من الصلاة الطهارة التى لا تصح الصلاة الا بها فلنذكر الطهارة ان شاء الله بهذا الباب ولنبدأ بالصلاة المفروضة وما لزمها و يتبعها من اللوازم والشروط والاركان فى أفعالها وأقوالها ثم بعد ذلك أشرع فى ذكر الصلوات التى تطلبها الأحوال ومن الله نسأل التأييد والعون

﴿فصل فى الاوقات﴾

ولا أعنى بالكلام هنا فى الاوقات أوقات الصلوات فقط وانما أريد الوقت من حيث ما هو وقت سواء كان لعبادة أو غير عبادة فاذا عرفناك بمعناه واعتباره حينئذ نشرع فى ذكر الاوقات المشروعة للعبادات فنقول الوقت عبارة عن التقدير فى الامر الذى لا يقبل وجود عين ما يقدر وهو فرض كما تقدر أو نفرض فى الشكل الكرى أولا ووسطا أو نهاية وهو فى نفسه وعينه لا يقبل الاولية بالفعل ولا الوسط ولا الآخرية فيجعل له من ذلك ما تجعله بحكم الفرض فيه والتقدير فالوقت فرض مقدر فى الزمان لما كان الزمان مستديرا كما خلقه الله فى ابتدائه فهو كالاكرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله فذكر ان الله خلقه مستديرا والاوقات فيه مقدرة فلما

خلق الله الفلك الاطلس ودار لم يتعين اليوم ولا ظهر له عين فانه مثل ماء الكوز فى النهر قبل ان يكون فى الكوز فلما
فرض فيه الاثنى عشر فرضا ووقت معينة وسماها بروجا فى ذلك الفلك وهو قوله تعالى والسماء ذات البروج وهى هذه الفروض الموقتة ووقف شخص يدور عليه هذا الفلك وجعل لهذا الشخص بصر عاين بها تلك
البروج وهى هذه الفروض الموقتة ووقف شخص يدور عليه هذا الفلك وجعل لهذا الشخص بصر عاين بها تلك
الفروض بعلامات جعلت له فيها فتميز عنده بعضها عن بعض بتلك العلامات المجعولة دلالات عليها فجعل عينه فى
فرض منها أعنى فى العلامة ثم دار الفلك بتلك العلامة المفروضة التى جعل عينه عليها هذا الناظر وغابت عنه وما برح واقفا
فى موضعه ذلك حتى انتهت اليه تلك العلامة فعلم عند ذلك ان الفلك قد دار دورة واحدة بالنسبة الى هذا الناظر لا بالنسبة
الى الفلك فسمينا تلك الدورة يوما ثم بعد ذلك خلق الله فى السماء الرابعة من السبع السموات كوكبا نيرا عظيم الجرم سماه
باللسان العربى شمسا فطلع له به فى نظره ذلك الفلك من خلف حجاب الارض الذى هذا الناظر عليها فسمى ذلك المطلع
مشرقا والطلوع شروقا لكون ذلك الكوكب النير طلع منه وأضاء به الجو الذى هذا الناظر فيه فما زال يتبع بصره
حركة ذلك الكوكب الى ان قارنه فسمى تلك المقارنة استواء ثم أخذ الكوكب نازلا عن استوائه عند هذا الناظر
يطلب جهة اليمين منه لا بالنظر الى الكوكب فى نفسه كما قلنا فسمى أول انفصاله فى عين الناظر عن الاستواء زوالا ودلوكا ثم
ما زال هذا الناظر يتبعه ببصره الى ان غاب جرم ذلك الكوكب فسمى مغيبه غروبا والموضع الذى رأى ببصره انه غاب
فيه مغربا وأظلم عليه الجو فسمى مدة استنارة الجو من مشرق ذلك الكوكب الى مغربه نهارا لاتساع النور فيه مأخوذ
من النهر الذى هو اتساع الماء فى المسيل الذى يجرى فيه فما زال الناظر فى ظلمة الى ان طلع الكوكب المسمى شمسا من
الموضع الذى سماه مشرقا فى عين الناظر من موضع آخر متصل بذلك الموضع الذى شرقت منه أمس المسمى درجة فسمى
مدة تلك الظلمة التى بقى فيها من وقت غروب الشمس الى طلوعها ليلا فكان اليوم مجموع الليل والنهار معا وسمى المواضع
التى يطلع منها هذا الكوكب كل يوم درجا ثم نظر الى هذا الكوكب النير المسمى شمسا ينتقل فى تلك الفروض المقدرة
فى الفلك المحيط درجة درجة حتى يقطع ذلك بشروق تسمى أياما فكلما أكمل قطع فرض من تلك الفروض شرع فى
قطع فرض آخر الى ان أكمل الاثنى عشر فرضا بالقطع ثم شرع يبتدئ كرة أخرى فى قطع تلك الفروض فسمى ابتداء
قطع كل فرض الى انتهاء قطع ذلك الفرض شهرا وسمى قطع تلك الفروض كلها سنة فتبين لك ان الليل والنهار واليوم
والشهر والسنة هى هذه المعبر عنها بالاوقات وندق الى مسمى الساعات ودونها وان ذلك كله لا وجود له فى عينه وانه نسب
واضافات وان الموجود انما هو عين الفلك والكوكب لا عين الوقت والزمان وانها مقدرات فيها أعنى الأوقات وتبين
لك ان الزمان عبارة عن الامر المتوهم الذى فرضت فيه هذه الأوقات فالوقت فرض متوهم فى عين موجودة وهو الفلك
والكوكب يقطع حركة ذلك الفلك والكوكب بالفرض المفروض فيه فى أمر متوهم لا وجود له يسمى الزمان وقد
أبنت لك حقيقة الزمان الذى جعله الله ظرفا للكائنات المتحيزات الداخلة تحت هذا الفلك الموقت فيه المفروض فى
عينه تعيين الاوقات ليقال خلق كذا وظهر كذا فى وقت كذا ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا
سبحانه لا اله الا هو الحكيم القدير وبعد أن علمت ما معنى الزمان والوقت فاعتبره أى جزء واقطعه الى معرفة الازل
الذى نعت به خالقك وتجعله له كالزمان لك واذا كان الزمان لك بهذه النسبة أمرا نسبيا لا حقيقة له فى عينه
وأنت محدود مخلوق فالازل أبعد وأبعد أن يكون حدا لوجود الله فى قولك وقول من قال أن الله تكلم فى الازل وقال
فى الازل وقدر فى أزله كذا وكذا او يتوهم بالوهم فيه انه امتداد كما تتوهم امتداد الزمان فى حقك فذا من حكم
الوهم لا من حكم العقل والنظر الصحيح فان مدلول لفظة الازل انما هو عبارة عن نفى الاولية لله تعالى أى لا أول لوجوده
بل هو عين الاول سبحانه لا بأولية تحكم عليه فيكون تحت احاطتها ومعلولا عنها وفرق بين ما يعطيه وهمك وعقلك
وأكثر من هذا البسط فى هذه المسئلة ما يكون فالحق سبحانه يقدر الاشياء أزلا ولا يقال يوجد أزلا فانه محال من
وجهين فان كونه موجدا انما هو بأن يوجد ولا يوجد ما هو موجود وانما يوجد ما لم يكن موصوفا نفسه بالوجود
وهو المعدوم فمحال أن يتصف الموجود الذى كان معدوما بأنه موجود أزلا فانه موجود عن موجود أوجده والازل

عبارة عن نفي الاولية عن الموصوف به فمن المحال أن يكون العالم أزلي الوجود ووجوده مستفاد من موجده وهو الله تعالى والوجه الآخر من المحال الذي يقال في العالم أنه موجود أزلا لان معقول الازل نفي الاولية والحق هو الموصوف به فيستحيل وصف وجود العالم بالازل لانه راجع الى قولك العالم مستفيد الوجود من الله غير مستفيد الوجود من الله لان الاولية قد انتفت عنه بكونه أزلا فيستحيل على العالم أن يتصف بهذا الوصف السلبي الذي هو الازل ولا يستحيل الموصوف به وهو الحق أن يقال خالق الخلق أزلا بمعنى قدر فان التقدير راجع الى العلم وانما يستحيل اذا كان خلق بمعنى أوجد فان الفعل لا يكون أزلا فقد ثبت لك التقدير في الازل كما ثبت لك التقدير في الزمان وان الزمان متوهم لا وجود له وكذلك الازل وصف سلبي لا وجود له فانه ماهو عين الله وما ثم الا الله وما هو أمر وجودي يكون غير الحق و يكون الحق مظروفا له فيحصره من كونه ظرفا كما يحصرنا الزمان من كونه ظرفا لنا على الوجه الذي ذكرناه فافهم و بعد أن عرفتك معنى الاوقات فلنرجع ونبين المراد بأوقات العبادات ومن العبادات أوقات الصلوات

﴿فصل في أوقات الصلوات فنقول﴾

أوقات الصلاة منها معين وغير معين فغير المعين وقت تذكر الناسي واستيقاظ النائم فان وقته عندما يتذكر ان كان ناسيا أو يستيقظ ان كان نائما والوقت المعين على قسمين قسم مخلص وقسم مشترك فالمخلص وسط الوقت الموسع في الصلوات كلها وآخر وقت الصبح وأول وقت الظهر فانه لا يقع فيما ذكرناه اشتراك لصلاة أخرى كما يقع في أواخر الصلوات الاربع والمشترك هو الوقت الذي بين الصلاتين كالظهر والعصر وغيرهما بالخلاف المذكور المعلوم في ذلك عند علمائنا من علماء الشريعة نذكر ذلك في موضعه ان شاء الله عند كلامنا في أوقات الصلوات كلها صلاة صلاة على التفصيل * اعتباره قلنا المصلي هو الثاني من السابق في الحلبة وان الصلاة ثانية في المرتبة من شهادة التوحيد وقد قال الحق سبحانه قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين فجعلها في حال الصلاة ثانيا له في القسمة الالهية فقال في الصلاة مطلقا وما قيد فرضا من تطوع وقد قلنا ان الوقت منه معين وهو في الاعتبار الفرض وغير معين وهو في الاعتبار التطوع فالعارف الذي هو على صلاته دائم وفي مناجاته بين يدي ربه قائم في حركاته وسكناته فما عنده وقت معين ولا غير معين بل هو صاحب الوقت ومن ليس له هذا المشهد فهو بحسب ما يذكره ربه من الحضور معه غير أن العارف الدائم الحضور اذا لم يفرق بين الاوقات بما يجده من المزيد والفضل بين ماهو مفروض من ذلك الحضور و بين ما تطوع به من نفسه فهو ناقص المقام كامل الحال لاستصحابه الحضور الدائم فان الحضور من الاحوال لا الحضور من وجه كذا فان الحضور من وجه كذا للكمل من الرجال فالأول من أهل الحضور لا فرق عنده بين الوجوه لانه مستغرق في الحال كاللذة المجهولة عند الانسان التي لا يعرف سببها والثاني من أهل الحضور وهو الكامل الدائم الحضور بحكم الوجوه كالواجد اللذة بما هي لذة فهو ملتذ دائما و بما هي لذة عن طعم علم أو طعم جماع أو طعم شيء ملائم للمزاج يعلم الذائق ذلك ما بينهما من التمييز والفرقان فان أسماء الحق تعالى تختلف على قلوب الاولياء بفنون المعارف مع الآنات والانفاس فيجد في كل نفس وزمان علما لم يكن عنده بربه من حيث ما يعطيه ذلك النفس والزمان من تجلي ذلك الاسم الخاص به ولما قسمنا الاوقات الى مخلص ومشترك فاعلم أن الوقت في هذا الطريق هو ما أنت به في حالك أي شيء كنت به من حسن وسيء ومعرفة وجهل فلا يرتبط وكذلك الاوقات الزمانية بحسب ما يحدث الله فيها في حق كل شخص فالمخلص من الاوقات كل اسم اذا ورد عليك لم يقع في حكمه اشتراك والمشترك كل اسم له وجهان فصاعدا فالاول كالحي فانه مخلص للحياة وكذلك العالم مخلص للعلم والثاني الذي هو المشترك نظير الوقت المشترك كالاسم الحكيم فان له وجها الى العالم ووجها الى المدبر فان للاسم الحكيم حكمين حكما على مواضع الامور وحكم وضعها في مواضعها بالفعل فكم من عالم لا يضع الشيء في موضعه وكم واضع للاشياء في مواضعها بحكم الاتفاق لا عن علم فالحكيم هو العالم بمواضع الامور ووضعها في أماكنها على بصيرة فمن كان وقته الحكمة كان في الوقت المشترك ومن كان في اسم لا يدل الا على أمر واحد كالقادر وأمثاله كان في الوقت المخلص فهذه أوقات العارفين في صلواتهم المعنوية على مثل أوقاتهم الظاهرة في صلواتهم البدنية

﴿فصل في وقت صلاة الظهر﴾

قال تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا أي مفروضة في وقت معين سواء كان موسعا أو مضيقا فانه معين ولا بد وقوله موقوتا فمن أخرج صلاة مفروضة عن وقتها المعين له كان ما كان من ناس أو متذكر فانه لا يقضيها أبدا ولا تبرأ ذمته فانه ما صلى الصلاة المشروعة اذ كان الوقت من شروط صحة تلك الصلاة فليكثر النوافل بعد التوبة ولا قضاء عليه عندنا الخروج وقتها الذي هو شرط في صحتها ووقت الناسي والنائم وقت تذكره واستيقاظه من نومه وهو مؤد ولا بد لا يسمى قاضيا على الاعتبار الذي يراه الفقهاء لا على ما تعطيه اللغة فان القاضي والمؤدي لا فرق بينهما في اللسان فكل مؤد للصلاة فقد قضى ما عليه فهو قاض بأدائه ما تعين عليه أداؤه من الله فلنقل أما وقت صلاة الظهر فاتفق العلماء بالشريعة ان وقت الظهر الذي لا تجوز قبله هو الزوال واختلفوا منها في موضعين في آخر وقتها الموسع وفي وقتها المرغب فيه فأما آخر وقتها الموسع فمن قائل هو أن يكون ظل كل شئ مثله ومن أصحاب هذا القول من يقول ان ذلك المثل الذي هو آخر وقت الظهر هو أول وقت العصر ومن قائل منهم انه آخر وقت الظهر خاصة فان أول وقت العصر انما هو المثلان وان ما بين المثل والمثلين لا يصلح لصلاة الظهر وأما وقتها المرغب فيه فمن قائل أول الوقت للمنفرد أفضل ومن قائل أول الوقت أفضل للمنفرد والجماعات الا في شدة الحر ومن قائل أول الوقت أفضل باطلاق في انفراد وجماعة وحر وبرد ولكل قائل استدلال ليس هذا موضعه اعتباره الاستواء هو وقوف العبد المربوب في محل النظر من غير ترجيح فيما يعمل أي بأي نية يقصد العبادة هل يعتبر بذلك أداء ما يلزمه من حق العبودية وكونه مربوبا أو يعتبر ما يلزمه بذلك من أداء حق سيد مور به فهو في حال الاستواء من غير ترجيح فاذا زالت الشمس ترجح عند ذلك الزوال عنده أن يعبده لما تستحقه الربوبية على العبودية من الانعام على هذا العبد من وقت الطلوع الى وقت الاستواء فيعبده شكرا لهذه النعمة وان نظر الى زوالها بين المفارقة لطلب الغروب عنه واسدال الحجاب دونه عبده ذلة وفقرا وانكسارا وطلبا للمشاهدة فلا يزال يرقبها الى الغروب ومن الغروب يرقب آثارها بصلاة المغرب والتنفل بعدها الى مغيب الشفق فيغيب أثرها فيبقى في ظلمة الليل سائلا باكيا متضرعا يراعي نجوم الليل لاستنارتها بنور الشمس ويسأل ويتضرع الى طلوع الفجر فيرى آثار المجيء وقبول دعائه فيعبده شكرا على ذلك وهو يشاهد آثار القبول فيؤدي فرض الصبح ولا يزال مراقبا للفكر الى أن تنجلي طالعة فاذا ابيضت وزال عنها التغير الذي يحول بين البصر وبين بياضها من حجب أبخرة الارض وهي الانفاس الطبيعية قام اجلالا على قدم الشكر الى حد الاستواء فلا يزال في عبادة الفرح والشكر الى ان تزول فيرجع الى عبادة الصبر والافتقار وتوقع المفارقة مادام حيا فهو بين عبادتين وذلك انه لما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول ترون ربكم كما ترون الشمس فاعتبر ذلك في عبادته في صلواته المفروضة والتطوع شكرا وفقرا بين نعمة وبلاء وشدة ورخاء فان المؤمن من استوى خوفه ورجاؤه فهو يدعو ربه خوفا من حد الزوال الى الغروب الشفق وطمعا بقية ليلته الى طلوع الفجر الى طلوع الشمس الى حد الاستواء طمعا أن لا يكون حجاب بعد ذلك هكذا هي عبادات العارفين فافهم فاما آخر الوقت الموسع فهو آخر أحكام الاسم الالهي المخصوص بذلك الوقت وهو الاسم الظاهر كما أن أول الزوال حكم الاسم الالهي الاول في الظهور الخاص بالعبادة المشروعة الى أن يكون ظل كل شئ مثله وهو آخر الوقت كذلك حكم الاسم الالهي اذا قام به هذا العبد في عبادته الخاصة به في هذا الوقت واستوفاه بحيث أن يكون اذا قابله به كان مثله أي لم يبق في الاسم الالهي حكم يختص به بهذا الوقت الا وأثره ظاهر في هذا العبد فقد انقضى حكم هذا الاسم الالهي في هذا العبد فخرج وقت الظهر ودخل وقت العصر وهو حكم اسم آخر بين الاسمين فرقان متوهم لا ينقسم معقول غير موجود وهو برزخ بينهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الثابت عنه لا يخرج وقت صلاة حتى يدخل وقت الاخرى يعني في الاربع الصلوات لدليل آخر فانه اذا خرج وقت الصبح لم يدخل وقت الظهر حتى تزول الشمس بخلاف الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح فاعلم ذلك فان اليوم أربع وعشرون ساعة وهو أربعة أرباع كل ربع ست ساعات فمن طلوع

الشمس الى الظهر ربع اليوم ست ساعات وليس بمحل لصلاة مفروضة بحكم التعيين وانما قلنا بحكم التعيين من أجل الناسي والنائم فان الوقت ماعين ايقاع الصلاة في ذلك الوقت وانما عينه للناسي تذكره وللنائم تيقظه شرعا فسواء كان في ذلك الوقت أو في غيره فلهذا حررنا القول في ذلك وقلنا بحكم التعيين فان مذهبي في كل ما أورده اني لا أقصد لفظة بعينها دون غيرها مما يدل على معناها الا لمعنى ولا أزيد حرفا الا لمعنى فما في كلامي بالنظر الى قصدي حشو وان تخيله الناظر فالغلط عنده في قصدي لا عندي وكان من زوال الشمس الى طلوعها من اليوم الثاني وقتا مستصحبا للصلوات معينة مفروضة فيها متى وقعت وقعت في وقتها المعين لها كذلك الانسان مقسم على أربعة أرباع الثلاثة لار باع منه متعبدة لله بأعمال مخصوصة كالثلاثة الارباع من اليوم فأرباع الانسان ظاهره وباطنه الذي هو قلبه ولطيفته التي هي روحه المخاطب منه وطبيعته فظاهره وقلبه وروحه لا ينفك عن عبادة أصلا تتعلق به فاما أن يطيع واما أن يعصي والربع الواحد طبيعته وهو مثل زمان طلوع الشمس الى الزوال من اليوم فهو يتصرف بطبعه مباحا له ذلك لا حرج عليه الا ان شاء أن يلحقها بسائر أرباعه في العبادات فيعمل المباح له عمله من كونه مباحا شرعا ويحضر مع الايمان به كالمصلي من طلوع الشمس واضاءتها الى أول الزوال أعني الاستواء فلا يمنع من ذلك وهو ليس بوقت وجوب لشيء من الصلوات الخمس معين فافهم واما اعتبار الوقت المرغب فيه على ماذكرناه من الاختلاف واتفق الكل على الاولية أولا كثروا اختلافوا في الاحوال فاعلم ان الاول أفضل الاشياء وأعلاها لانه لا يكون عن شيء بل تكون الاشياء عنه فلو كان عن شيء لم تصح له الاولية على الاطلاق فكذلك العبد يسعى في أن يعبد ربه من حيث أولية ربه لا من حيث أولية عينه فان أولية عينه عن أوليات كثيرة قبله وأعني بذلك الاسباب فهو سبحانه السبب الاول الذي لا سبب لاوليته فاذا عبده العارف في تلك الاولية المنزهة عن ان يتقدمها أولية انسحبت عبادة هذا العارف من هناك على عبادة كل مخلوق خلقه الله من أول المخلوقات الى حين وجوده وهي الاولية المؤثرة في ايجاد الكائنات فقد عبده في الوقت المرغب فيه سواء عبده بصفة خاصة من أعضائه المكلفة كصلاة الفذ المنفرد أو عبده بجميع أعضائه كصلاة الجماعة أو في زمان الحر أي في شدة خوفه ومجاهدته وحرقة اشتياقه ووجده وولهه وكلفه أو في برد أي في حال علمه وثلج يقينه وبرده على أي حالة كان فالاولية أفضل له فان الله يقول آمرا سارعوا وسابقوا واثنى على من هذه حالته فقال أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون فالمبادرة الى أول الاوقات في العبادات هو الاحوط والمطلوب من العباد في حال التكليف ولهذا الاحتراز والاحتياط يحمل الامر الالهي اذا ورد معرى عن قرائن الاحوال التي يفهم منها الندب أو الاباحة على الوجوب ويحمل النهي كذلك على الحظر اذا أتى عن قرينة حال تعطيك الكراهة ولا تتوقف عن حمل الامر والنهي على ما قلناه الا بقرينة حال تخرجهما عن حكم الوجوب في الامر وحكم الحظر في النهي فقد بان لك يا أخي اعتبار الاوقات مطلقا واعتبار الوقت المرغب فيه بعد أن عرفناك بمذاهب علماء الشريعة فيه لتجمع بين العبادتين الظاهرة في حسك والباطنة في عقلك فتكون من أهل الجمع والوجود فانك اذا طلبت الطريق الى الله من حيث ما شرعه الله كان الحق الذي هو المشرع غايتك واذا طلبته من حيث ما تعطيه نفسك من الصفاء والالتحاق بعالمها من التنزه عن الحكم الطبيعي عليها كان غايتها الالتحاق بعالم الروحاني خاصة ومن هناك تنشأ الشرائع الارواح تسلك عليها وبها حتى يكون الحق غايتها هذا ان فسح الله له في الاجل وان مات فان يدرك ذلك أبدا وقد أفردنا لهذه الطريقة خلوة مطلقة غير مقيدة في جزء يعمل عليها المؤمن فيزيد ايمانا ويعمل بها وعليها غير المؤمن من كافر ومعطل ومشرك ومنافق فاذا وفي العمل عليها وبها كما شرطناه وقررناه فانه يحصل له العلم بما هو الامر عليه في نفسه ويكون ذلك سبب ايمانه بوجود الله ان كان معطلا وبتوحيد الله ان كان مشركا وبحصول ايمانه ان كان كافرا وباخلاصه ان كان منافقا أو مرتابا فمن دخل تلك الخلوة وعمل بتلك الشرائط كما قررنا أثمرت له ماذكرناه وما سبقني اليه أحد في علمي الا ان كان وما وصل الي فان الله لا تحجير عليه يؤتي الحكمة من يشاء فاني أعلم ان أحدا من أهل الطريق ما يجهلها ان كان صاحب كشف تام ولكن ماذكروها ولا رأيت أحدا منهم نبه عليها الا الخلوات المقيدة ولولا ما سألني فيها أخونا وولينا أبو العباس أحمد بن علي

ابن ميمون بن آب التوزري ثم المصري المعروف بالقسطلاني المجاور الآن بمكة ما خطر لنا الابانة عنها فربما اتفق لمن تقدمنا مثل هذا فلم ينبهوا عليها لعدم السائل

﴿ فصل بل وصل في وقت صلاة العصر ﴾ اختلف علماء الشريعة في أول وقتها مع آخر وقت صلاة الظهر وفي آخر وقت صلاة العصر فمن قائل ان أول وقت العصر هو بعينه آخر وقت الظهر وهو اذا صار ظل كل شيء مثله واختلف القائلون بهذا القول فمن قائل ان ذلك الوقت مشترك للصلاتين معا ومقداره أن يصلي فيه أربع ركعات ان كان مقيما أو ركعتين ان كان مقصرا ومن قائل آخر وقت الظهر هو الآن الذي هو أول وقت العصر وهو زمان لا ينقسم جاء الحديث الثابت في امامة جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الظهر في اليوم الثاني في الوقت الذي صلى فيه العصر في اليوم الاول وفي الحديث الثابت الآخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آخر وقت الظهر ما لم يدخل وقت العصر وحديث آخر ثابت لا يخرج وقت صلاة حتى يدخل وقت صلاة أخرى فالحديث الاول يعطي الاشتراك في الوقت والحديثان الآخران يعطي الزمان الذي لا ينقسم فيرفع الاشتراك والقول هنا أقوى من الفعل لان الفعل يعسر الوقوف على تحقيق الوقت به وهو من قول الصاحب على ما أعطاه نظره وقول النبي صلى الله عليه وسلم يخالف ما قال الصاحب وحكم به على فعل صلاة جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم فيكون كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مفسرا للفعل الذي فسره الراوي والاخذ بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أمرنا الله أن نأخذ به قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه فكان ينبغي في هذه المسئلة وأمثالها أن لا يتصور خلاف ولكن الله جعل هذا الخلاف رحمة لعباده واتساعا فيما كلفهم به من عبادته لكن فقهاء زماننا حجروا وضيقوا على الناس المقلدين للعلماء ما وسع الشرع عليهم فقالوا للمقلد اذا كان حنفي المذهب لا تطلب رخصة الشافعي فيما نزل بك وكذلك لكل واحد منهم وهذا من أعظم الرزايا في الدين والحرج والله يقول ما عليكم في الدين من حرج والشرع قد قرر حكم المجتهد له في نفسه ولمن قلده فأبوا فقهاء زماننا ذلك وزعموا ان ذلك يؤدي الى التلاعب بالدين وهذا غاية الجهل منهم فليس الامر والله كما زعموا مع اقرارهم على أنفسهم انهم ليسوا بمجتهدين ولا حصلوا في رتبة الاجتهاد ولا نقلوا عن أئمتهم انهم سلكوا هذا المسلك فا كذبوا أنفسهم في قولهم انهم ما عندهم استعداد الاجتهاد والذي حجروه على المقلدين ما يكون الا بالاجتهاد نعوذ بالله من العمى والخذلان فما أرسل الله رسوله الا رحمة للعالمين وأي رحمة أعظم من تنفيس هذا الكرب المهم والخطب الملم وأما آخر وقت العصر فمن قائل ان آخر وقتها أن يصير ظل كل شيء مثليه ومن قائل ان آخر وقتها ما لم تصفر الشمس ومن قائل ان آخر وقتها قبل أن تغرب الشمس بركعة وبه أقول الاعتبار قد تقدم الاعتبار في الوقت المشترك بالاسماء الالهية في حق المتخلق بها من أهل الله وغير المشترك فليؤخذ في كل الصلوات مطلقا وما بقي من الاعتبار في هذا الفصل الا الاعتبار في الآن الذي لا ينقسم وفي الاصفرار اما اعتبار الآن الفاصل بين الوقتين فهو المعنى الفاصل بين الاسمين اللذين لا يفهم من كل واحد منهما اشتراك فظهر حكم كل اسم منهما على الانفراد وهو حد الواقف عندنا فان الانسان السالك اذا انتقل من مقام قد احتكمه وحصله تخلقا وذوقا وخلقا الى مقام آخر يريد تحصيله أيضا يوقف بين المقامين وقفة يخرج حكم تلك الوقفة عن حكم المقامين عن حكم المقام الذي انتقل عنه وعن حكم المقام الذي يريد الانتقال اليه يعرف في تلك الوقفة بين المقامين وهو كالآن بين الزمانين آداب المقام الذي ينتقل اليه وما ينبغي أن يعامل به الحق فاذا أبين له عند دخل في حكم المقام الذي انتقل اليه على علم فان المقامات في هذا الطريق كأنواع الاعمال في الشريعة مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك فكما ان لكل نوع من هذه الأعمال علم يخصه كذلك لكل مقام آداب ومعاملة تخصه وقد بين ذلك محمد بن عبد الجبار النفري في كتابه الذي سماه بالمواقف والقول وقفت على أكثره وهو كتاب شريف يحوي على علوم آداب المقامات يقول في ترجمة الموقف اسم الموقف يقول في انتقاله الى موقف العلم مثلا وهو من جملة مواقفه في ذلك الكتاب فقال موقف العلم ثم قال أوقفني في موقف العلم وقال لي يا عبدي لا تأتمر للعلم ولا خلقتك لتدل على سواي ثم قال قال لي الليل لي لا للقرآن يتلى الليل لي

لا للمحمدة والثناء الى أن ينتهي الى جميع ما يوقفه الحق عليه فاذا عرف حينئذ يدخل الى ذلك المقام وهو يعرف كيف يتأدب مع الحق في ذلك المقام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أدبني فأحسن أدبي فهذا هو الآن الذي بين الصلاتين فأهل الاذواق من أهل الله يوقفون فيه فيعطون آداب الصلاة التي ينبغي أن يعامل الله بها في ذلك اليوم الخاص هكذا في صلوات كل يوم مع الله في مقام العلم فهذا هو الآن الذي بين الصلاتين وأما اعتبار الاصفرار في انه الحد الآخر وقت لعصر فاعلم أولا ان الاصفرار تغيير يطرأ في عين الناظر فيحكم به انه في نور الشمس من أبخرة الارض الحائلة بين البصر وبين ادراك خالص نور الشمس فاعتبار ما يطرأ في نفس العبد في حكم الاسم الالهي الحق من الخواطر النفسية العرضية في نفس ذلك الحكم فينسبه الى الحق بوجه غير مخلص وينسبه الى نفسه بوجه غير مخلص ويقع مثل هذا في الطريق من الاديب ومن غير الاديب فأما وقوعه من الاديب فهو الذي يعرف ان النور في نفسه لم يصفر ولا تغير وهو أن يعلم أن الحكم للاسم الالهي مخلص لا حكم لنفس معه وانما هو ذلك الحكم ربما تعلق عنده اسم عيب عرفا أو شرعا فينزه جناب الحق تعالى عن ذلك الحكم بأن ينسبه اليه ولكن بمشيئة الله ويقول واذا مرضت فهو يشفين هذا هو العيب عرفا فأضاف المرض الى نفسه اذ كان عيبا عنده وأضاف الشفاء الى ربه اذ كان حسنا ومع هذا القصد فان الظاهر في اللفظ ازالة حكم الاسم الالهي الذي أمرضه فلما علم الخليل عليه السلام هذا القدر نادى ذلك الاسم الذي أمرضه بقوله رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين يقول انه أخطأ وان كان قصد الادب حيث نسب المرض لنفسه وما نسبه الى حكم الاسم الالهي الذي أمرضه وقصد الادب معه حتى لا يضيف ما هو عيب عندهم عرفا الى حكم الاسم الالهي فيفهم من هذا الاعتراف ان الحكم كان للاسم الالهي وهو كان مقصود الاسم فجمع هذا العارف بين أدبين في هذه المسئلة بين أدب نسبة المرض الى نفسه وبين الادب في التعريف ان ذلك المرض حكم ذلك الاسم الالهي من غير تصريح لكن بالتضمين والاجمال في قوله رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين ولم يسم الخطيئة ما هي يوم الدين يقول يوم الجزاء وهكذا في قوله وما أنسانيه الا الشيطان وهو قول يوشع فتى موسى لموسى عليهما السلام وفي الحقيقة ما أنساه الا اسم الهي حكم عليه بذلك فأضافه الى الشيطان أدبا مع ذلك الاسم الالهي الذي أنساه أن يعرف موسى عليه السلام بحياة الحوت لما أراد الله من تمام ما سبق به العلم الالهي من زيادة الاقدام التي قدر له أن يقطع بها تلك المسافة ويجاوز بها المكان الذي كان فيه خضر فارتدا على آثارهما قصصا أي يتبعان الاثر الى ان عادا الى المكان فوجداه تنبيها من الله وتأديبا لما جاوزه من الحد في اضافته العلم الى نفسه بأنه أعلم من في الارض في زمانه فلو كان عالما لعلم دلالة الحق التي هي عين اتخاذ الحوت سربا وما علم ذلك وقد علمه يوشع ونساه الله التعريف بذلك ليظهر لموسى تجاوزه الحد في دعواه ولم يرد ذلك الى الله في علمه في خلقه القصة الى آخرها وفيها ما يتعلق باعتبار الصفرة التي دخلت على نور الشمس في قوله في قتل الغلام فأردنا فجعل الضمير يعود على الاسم الالهي وعليه على الاسم الالهي بما كان في ذلك القتل من الرحمة بالابوين وبالغلام وعليه بقتل نفس زكية بغير نفس فظاهره جور فشرك في الضمير بينه وبين الله فدخل في نسبة الفعل الى الله في الظاهر اصفرار أي تغيير باشتراك اسم الخضر في الضمير معه مع قصد الادب ثم قال وما فعلته عن أمري أي الحق علمني الادب معه فهذا قد أبنت لك اعتبار الآن واصفرار الشمس فأطرده حيث وجدت معنى الآن الفاصل بين الزمانين والصفرة التي دخل على النور الخالص من اسمه النور سبحانه مثل قوله تعالى بأنه نور السموات والارض فلما لم يطلق على نفسه اسم النور المطلق الذي لا يقبل الاضافة وقال نور السموات والارض ليعلمنا ما أراد بالنور هنا فأثر حكم التعليم والاعلام في النور المطلق الاضافة فقيدته عن اطلاقه بالسموات والارض فلما أضافه نزل عن درجة النور المطلق في الصفة فقال مثل نوره أي صفة نوره يعني المضاف الى السموات والارض كمشكاة الى ان ذكر المصباح ومادته وأين صفة نور السراج وان كان بهذه المثابة من صفة النور الذي أشرقت به السموات والارض فعلمنا سبحانه في هذه الآية الادب في النظر في أسمائه اذا أطلقناها عليه بالاضافة كيف نفعل واذا أطلقناها عليه بغير الاضافة كيف نفعل مثل قوله يهدي الله لنوره من يشاء فأضاف النور هنا الى

نفسه لا الى غيره وجعل النور المضاف الى السموات والارض هاديا الى معرفة نوره المطلق كما جعل المصباح هاديا الى نوره المقيد بالاضافة وتمم ذلك بقوله كذلك يضرب الله الامثال ثم نهانا عن مثل هذا فقال فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لاتعلمون والله اسم جامع لجميع الاسماء الالهية محيط بمعانيها كلها وضرب الامثال يخص اسما واحدا معينا فان ضربنا الامثال لله وهو اسم جامع شامل فما طابقنا المثال على الممثل فان المثال خاص والممثل به مطلق فوقع الجهل بلاشك فنهينا أن نضرب المثل من هذا الوجه الا أن نعين اسما خاصا ينطبق المثال عليه فحينئذ يصح ضرب المثل لذلك الاسم الخاص كما فعل الله في هذه الآية فقال الله وما ضرب المثل للاسم الله وانما عين سبحانه اسما آخر وهو قوله نور السموات والارض فضرب المثل بالمصباح لذلك الاسم النور المضاف أي هكذا فافعلوا ولا تضربوا الامثال لله فاني ما ضربتها فافهموا افهمنا الله واياكم مواقع خطابه وجعلنا ممن تأدب بما عرفنا من آدابه انه اللطيف بأحبابه

﴿فصل بل وصل في وقت صلاة المغرب الشاهد﴾

اختلف علماؤنا في وقت صلاة المغرب هل لها وقت موسع كسائر الصلوات أم لا فمن قائل ان وقتها واحد غير موسع ومن قائل ان وقتها موسع وهو ما بين غروب الشمس الى مغيب الشفق وبه أقول اعتبار الباطن في ذلك اعلم أنه انما وقع الاختلاف لما كانت صلاة المغرب وترا والوتر أحدي الاصل فينبغي أن يكون لها وقت واحد من أجل المناسبة في الوترية ولذلك ورد في امامة جبريل عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى المغرب في اليومين في وقت واحد في أول فرض الصلوات لان الملك أقرب الى الوترية من البشر والمغرب وتر صلاة النهار كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك قبل أن يزيدنا الله وتر صلاة الليل ان الله قد زادكم صلاة الى صلاتكم وذكر صلاة الوتر فأوتروا يا أهل القرآن فشبهها بالفرائض وأمر بها ولهذا جعلها من جعلها واجبة دون الفرض وفوق السنة وأثم من تركها ونعم ما نظر وتفقه ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد شرع وتر صلاة الليل وزاده الى الصلاة المفروضة وفيها المغرب وهو وتر صلاة النهار وقال ان الله وتر يحب الوتر فقيد المغرب بوترية صلاة النهار وقيد الوتر بوترية صلاة الليل وقال ان الله وتر يحب الوتر يعني يحب الوتر لنفسه فشرع لنا وترين ليكون شفعا لان الوترية في حق المخلوق محال قال تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين حتى لاتنبغي الاحدية الا لله ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد شرع وتر صلاة الليل ليشفع به وتر صلاة النهار لينفرد سبحانه بحقيقة الوترية التي لاتقبل الشفعية فانه ما ثم في نفس الامر اله آخر يشفع وترية الحق تعالى كما شفعت وترية صلاة الليل وترية صلاة النهار فكان مما قال فيه ومن كل شئ خلقنا زوجين خلق وترين فكان كل واحد منهما يشفع وترية صاحبه ولهذا لم يلحقها رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة النافلة بل قال زادكم صلاة الى صلاتكم يعني الفرائض ثم أمر بها أمته فلما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد امامة جبريل عليه السلام به صلى الله عليه وسلم عن وقت الصلاة صلى بالناس يومين صلى في اليوم الاول في أول الاوقات وصلى في اليوم الثاني في آخر الاوقات الصلوات الخمس كلها وفيها المغرب ثم قال للسائل الوقت ما بين هذين فجعل للمغرب وقتين كسائر الصلوات وألحقها بالصلاة الشفعية وان كانت وترا ولكنها وتر مفيد شفعية وتر صلاة الليل فوسع وقتها كسائر الصلوات وهو الذي ينبغي أن يعول عليه فانه متأخر عن امامة جبريل فوجب الاخذ به فان الصحابة كانت تأخذ بالاحدث فالاحدث من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان صلى الله عليه وسلم كان يثابر على الصلاة في أول الاوقات فلا يدل ذلك على أن الصلاة ما لها وقتان وما بينهما فقد أبان عن ذلك وصرح به وما عليه صلى الله عليه وسلم الا البلاغ والبيان وقد فعل صلى الله عليه وسلم فهذا اعتبار وتعليل يهدي الى الحق والى سواء السبيل

﴿فصل بل وصل في وقت صلاة العشاء الآخرة﴾

اختلفت علماء الشريعة في وقتها في موضعين في أول وقتها وآخر وقتها فمن قائل ان أول وقتها مغيب حمرة الشفق وبه أقول ومن قائل ان أول وقتها مغيب البياض الذي يكون بعد الحمرة والشفق شفقان وهو سبب الخلاف فالشفق الاول صادق والبياض الذي بعده هو الشفق الثاني تقع فيه الشبهة فانه قد يشبه ان يكون شبه الفجر الكاذب الذي هو ذنب

السرحان وهو المستطيل وجعله الشارع من الليل ولا يجوز بظهوره صلاة الصبح ولا يمنع مريد الصوم من الاكل ويشبه ان يكون شبيه الفجر المستطير الذي يصلي بظهوره صلاة الصبح ولا يجوز للصائم ان يأكل بظهوره الاان الاظهر عندي انه شبيه الفجر المستطير الذي يصلي بظهوره الصبح وذلك لاتصاله بالحمرة الى طلوع الشمس لا ينقطع بظلمة كما ينقطع الفجر الكاذب كذلك البياض الذي في أول الليل متصل بالحمرة فاذا غابت الحمرة بقي البياض فلو كانت بين البياض والحمرة ظلمة قليلة كما يكون بين الفجر المستطيل وحمرة اسفار الصبح كنا نلحقها بالفجر الكاذب ونلغي حكمها فكان والله أعلم ان الذي يراعي مغيب البياض في أول وقت العشاء أوجه ولكن اذا ثبت ان الشارع صلى في البياض بعد مغيب الشفق الاحمر فنقف عنده فللشارع ان يعتبر البياض والحمرة التي تكون في أول الليل بخلاف ما نعتبرها في آخر الليل وان كان ذلك عن آثار الشمس في غروبها وطلوعها وأما قوله تعالى والصبح اذا تنفس فالاوجه عندي في تفسيره انه الفجر المستطيل لانقطاعه كما ينقطع نفس المتنفس ثم بعد ذلك تتصل أنفاسه وأما آخر وقتها فمن قائل انه ثلث الليل ومن قائل انه الى نصف الليل ومن قائل انه الى طلوع الفجر وبه أقول ولقد رأيت قولا ولا أدري من قاله ولا أين رأيته ان آخر وقت صلاة العشاء ما لم تنم ولو سهرت الى طلوع الفجر ﴿الاعتبار في الباطن في ذلك الاعتبار في أول وقت هذه الصلاة وآخره﴾ اعلم ان العالم قد قسمه الحق على ثلاث مراتب وقسم الحق أوقات الصلوات على ثلاث مراتب فجعل عالم الشهادة وهو عالم الحس والظهور وهو بمنزلة صلاة النهار فانا جي الحق بما يعطيه عالم الشهادة والحس من الدلالة عليه وما ينظر اليه من الاسماء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده يعني في الصلاة فناب العبد هنا مناب الحق وهذا من الاسم الظاهر فكان الحق ظهر بصورة هذا القائل سمع الله لمن حمده وكذلك قوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في حق الاعرابي فأجره حتى يسمع كلام الله وهو ما سمع الا الاصوات والحروف من فم النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله ان ذلك كلامي وأضافه الى نفسه فكان الحق ظهر في عالم الشهادة بصورة التالي لكلامه فافهم وجعل عالم الغيب وهو عالم العقل وهو بمنزلة صلاة العشاء وصلاة الليل من مغيب الشفق الى طلوع الفجر فيناجي المصلي ربه في تلك الصلاة بما يعطيه عالم الغيب والعقل والفكر من الادلة والبراهين عليه سبحانه وتعالى وهو خصوص دلالة لخصوص معرفة يعرفها أهل الليل وهي صلاة المحبين أهل الاسرار وغوامض العلوم المكتنفين بالحجب فيعطيهم من العلوم ما يليق بهذا الوقت وفي هذا العالم وهو وقت معارج الانبياء والرسل والارواح البشرية لرؤية الآيات الالهية المثالية والتقريب الروحاني وهو وقت نزول الحق من مقام الاستواء الى السماء الاقرب الينا للمستغفرين والتائبين والسائلين والداعين فهو وقت شريف ومن صلى هذه الصلاة في جماعة فكأنما قام نصف ليلة وفي هذا الحديث راحة لمن يقول ان آخر وقتها الى نصف الليل وجعل سبحانه عالم التخيل والبرزخ الذي هو تنزل المعاني في الصور الحسية فليست من عالم الغيب لما لبسته من الصور الحسية وليست من عالم الشهادة لانها معاني مجردة وان ظهورها بتلك الصور أمر عارض عرض للمدرك لا للمعنى في نفسه كالعلم في صورة اللبن والدين في صورة القيد والايمان في صورة العروة وهو من أوقات الصلوات وقت المغرب ووقت صلاة الصبح فانهما وقتان ما هما من الليل ولا من النهار فهما برزخان بينهما من الطرفين لكون زمان الليل والنهار دوريا ولهذا قال تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل من كور العمامة فيخفى كل واحد منهما بظهور الآخر كما قال يغشى الليل النهار أي يغطيه وكذلك النهار يغشى الليل فيناجي المصلي ربه في هذا الوقت بما يعطيه عالم البرزخ من الدلالات على الله في التجليات وتنوعاتها والتحول في الصور كما ورد في الاخبار الصحاح غير ان برزخية صلاة المغرب هو خروج العبد من عالم الشهادة الى عالم الغيب فيمر بهذا البرزخ الوتري فيقف منه على أسرار قبول عالم الغيب لعالم الشهادة وهو بمنزلة الحس الذي يعطي للخيال صورة فيأخذها الخيال بقوة الفكر فيلحقها بالمعقولات لان الخيال قد لطف صورتها التي كانت لها في الحس من الكثافة فتروحنت بواسطة هذا البرزخ وسببه وتر صلاة المغرب فان الفعل لما وترفهو الذي لطف صورتها على الحقيقة ليقبلها عالم الغيب والعقل لان العقل لا يقبل صور الكثيف والغيب لا يقبل الشهادة فلا بد ان

يلطف البرزخ صورتها حتى يقبلها عالم الغيب وكذلك برزخ الفجر وهو خروج عالم الغيب الى عالم الشهادة والحس فلا بد ان يمر ببرزخ الخيال وهو وقت صلاة الصبح من طلوع الفجر الى طلوع الشمس فما هو من عالم الغيب ولا من عالم الشهادة فيأخذ البرزخ الذى هو الخيال المعبر عنه بوقت الفجر الى طلوع الشمس المعانى المجرّدة المعقولة التى لها الليل فيكثفها الخيال فى برزخه فاذا كساها كثافة من تخيله بعد لطافتها حينئذ وقعت المناسبة بينها وبين عالم الحس فتظهر صورة كثيفة فى الحس بعد ما كانت صورة روحانية لطيفة غيبية فهذا من أثر البرزخ ردّ المعقول محسوسا فى آخر الليل وردّ المحسوس معقولا فى أول الليل مثاله ان لصورة الدار فى العقل صورة لطيفة معقولة اذا نظر اليها الخيال صوّرها بقوّته وفصلها وكثفها عن لطافتها فى العقل ثم صرف الجوارح فى بنائها بجمع اللبن والطين والجص وجميع ما تخيله البناء المهندس فأقامها فى الحس صورة كثيفة يشهدها البصر بعد ما كانت معقولة لطيفة تتشكل فى أىّ صورة شاءت فزالت عنها فى الحس تلك القوّة بما حصل لها من التقييد فتبقى النهار كله مقيدة بتلك الصورة على قدر طول النهار فان كان النهار لا انقضاء له كيوم الدار الآخرة فتكون الصورة لا ينتهى أمدها وان كان النهار ينقضى كيوم الدنيا وأيامها متفاضلة فيوم من أربع وعشرين ساعة ويوم من شهر ويوم من سنة ويوم من ثلاثين سنة ودون ذلك وفوق ذلك فتبقى الصورة مقيدة بتلك المدّة طول يومها وهو المعبر عنه بعمرها الى الاجل المسمى الى ان يجئ وقت المغرب فيلطف البرزخ صورتها وينقلها من عالم الحس ويؤدّيها الى عالم العقل فترجع الى لطافتها من حيث جاءت هكذا حركة هذا الدولاب الدائر فان فهمت وعقلت هذه المعانى التى أوضحنا لك أسرارها علمت علم الدنيا وعلم الموت وعلم الآخرة والازمنة المختصة بكل محل وأحكامها والله يفهمنا واياك حكمه ويجعلنا ممن ثبت فى معرفته قدمه فالليل ثلاثة أثلاث والانسان ثلاثة عوالم عالم حسه وهو الثلث الاول وعالم خياله وهو الثانى وعالم معناه وهو الثلث الآخر من ليل نشأته وفيه ينزل الحق وهو قوله وسعنى قلب عبدى وقوله ان الله لا ينظر الى صوركم وهو الثلث الاول ولا الى أعمالكم وهو الثلث الثانى ولكن ينظر الى قلوبكم وهو الثلث الآخر فقد عمّ الليل كله فمن قال ان آخر الوقت الثلث الاول فباعتبار ثلث الحس ومن قال آخره الى نصف الليل وهو وسط الثلث الثانى فباعتبار الثلث الثانى وهو عالم خياله لانه محل العمل فى التلطيف والتكثيف ومن قال الى طلوع الفجر فباعتبار عالم المعنى من الانسان وكل قائل بحسب ما ظهر له وقد وقع الاجماع بطلوع الفجر انه يخرج وقت صلاة العشاء فالظاهر أن آخر الوقت الى طلوع الفجر لمحل الاجماع والاتفاق على خروج الوقت بطلوع الفجر وبقولنا يقول ابن عباس ان آخر وقتها الى طلوع الفجر

﴿فصل بل وصل فى وقت صلاة الصبح﴾

اتفق الجميع على ان أول وقت الصبح طلوع الفجر وآخره طلوع الشمس واختلفوا فى وقتها المختار فمن قائل ان الاسفار بها أفضل ومن قائل ان التغليس بها أفضل وبه أقول (الاعتبار فى الباطن فى ذلك) اعلم انه من غلب على فهمه من قوله صلى الله عليه وسلم وقول الله تعالى فى رؤية الله ان ذلك راجع الى العلم والعقل لا الى البصر وبه قال جماعة من العقلاء النظار من أهل السنة فهم بمنزلة من يرى التغليس ومن غلب على فهمه مما ورد فى الشرع من الرؤية ان ذلك بالبصر وانه لا يقدح فى الجناب الالهىّ وان الجهة لا تقيد البصر وانما تقيد الجارحة فهو بمنزلة من يرى الاسفار بصلاة الصبح بحيث أن يبقى لطلوع الشمس قدر ركعة أو يسلم مع ظهور حاجب الشمس والعجب من هذا ان الذى ذهب الى أن الرؤية الواردة فى الشرع محمولة على العلم لا على البصر يرى الاسفار بالصبح وان الاكثرين الذين يرون ان الرؤية الواردة فى الشرع يوم القيامة محمولة على البصر لا على العلم يرون التغليس بالصبح فهذا أحسن وجه فى اعتبار هذا الوقت وأعمه وأجلاه وله اعتبارات غير هذا ولكن يجمعها كلها ما ذكرناه ولا يجمع تلك الاعتبارات التى تركناها لسقيمة هذا الاعتبار الذى ذكرناه فلهذا اقتصرنا عليه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل انتهى الجزء السادس والثلاثون

﴿بسم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿فصل بل وصل فى أوقات الضرورة والعذر فقوم أثبتوها وقوم نفوها﴾

والخلاف مشهور بينهم فى ذلك اعتبار الباطن فى ذلك من نسب الافعال الى الله نفاها ومن أثبت الفعل للعبد كسبا أو خلقا بأى وجه كان من هذين أثبتها

﴿فصل بل وصل فى أوقات الضرورة عند مثبتيها﴾

اتفق العلماء بالشريعة على انها الأربع للحائض تطهر فى هذه الاوقات أو تحيض فى هذه الاوقات وهى لم تصل والمسافر يذكر الصلوات فى هذه الاوقات وهو حاضر أو الحاضر يذكرها فيها وهو مسافر والصبى يحتلم فيها والكافر يسلم واختلفوا فى المغمى عليه فمن قائل هو كالحائض لا يقضى الصلاة ومن قائل يقضى فيما دون الخمس الاعتبار فى الحائض تطهر فى وقت الضرورة التائب من الكذب لضرورة والطاهر تحيض الصادق يكذب للضرورة اعتبار الباطن فى ذلك المسافر والحاضر المسافر بفكره أو يذكره يذكر ما فاته فى وقت سفره فى حصوله فى المقام لنقص يشاهده فيه يعلم انه نسى ذلك فى وقت سفره والحاضر يعنى صاحب المقام يذكر فى حال سفره ما فاته فى وقت اقامته من الادب مع الحق كقولهم اقعد على البساط واياك والانبساط لخلل يراه فى سفره فيعلم ان ذلك من آثار ما فاته من الادب فى مقامه قال تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ولم يكن قبل ذلك أصابه نصب ليتذكر دلالة الحوت اعتباره فى الصبى يبلغ فيها العبد يكون تحت الحجر فاذا كان الحق سمعه وبصره ويده وقواه وجوارحه كما ورد فقد خرج عن الحجر فاذا أدركه هذا الحال وهو فى حكم اسم الهى لماذا يكون الحكم فيه هل للاسم الذى كان تحت حكمه أو للاسم الذى انتقل اليه فان الوقت مشترك وكذلك الاعتبار فى الكافر يسلم فى وقت الضرورة والكافر هو صاحب الستر والغيرة تغلب عليه والغيرة على الحق لا تصح وفى الحق تصح وللحق تصح ويغلب عليه ان لا غير ولا سيما ان عرف معنى هو الاول والآخر والظاهر والباطن وما ثم الا هذه الاحوال وهو الكل اذ هو عينها فمن يغار أو عمن يغار أو على من يغار أو فيمن يغار أخبرونى أخبرونى انى حرت فى الله فما أصنعه وأما اعتبار المغمى عليه فهو صاحب الحال ما حكمه اذا أفاق فى هذا الوقت أو أخذه الحال فى هذا الوقت هو مع الاسم المهيمن على ذلك الوقت الحاكم فيه

﴿فصل بل وصل فى الاوقات المنهى عن الصلاة فيها﴾

الاوقات المنهى عن الصلاة فيها هى بالاتفاق ولا اختلاف خمسة أوقات وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ووقت الاستواء وبعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر اعتبار ذلك فى الباطن ولله المثل الاعلى الشمس الحق والصلاة المناجاة فاذا تجلى الحق كان البهت والفناء فلم يصح الكلام ولا المناجاة فان هذا المقام الالهى يعطى أنه تعالى اذا أشهدك لم يكلمك واذا كلمك لم يشهدك الا أن يكون التجلى فى الصورة فعند ذلك يجمع بين الكلام والمشاهدة واذا غاب المشاهد عن نفسه لم تصح المناجاة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك بلا شك وقد علمت ان العبد غائب عند الشهود لاستيلاء المشهود عليه فلا مناجاة وفى وقت الاستواء يغيب عنك ظلك فيك وظلك حقيقتك والنور قد صف بك من جميع الجهات وغمرك فلا يتعين لك أمر تسجد له الا وعينه من خلفك كما هو من امامك ومن عن يمينك وشمالك وفوقك فلا يعذبك من جميع جهاتك لانك نور من جميع جهاتك والصلاة نور فاندرجت الانوار فى الانوار والصلاة لا تصلى لها وأما بعد الصبح الى طلوع الشمس فهو وقت خروجك من عالم البرزخ الى عالم الشهادة والصلاة لم يفرض وقتها الا فى الحس لا فى البرزخ وكذلك بعد صلاة العصر فان السفر بضم الحبيب يغنى عن مخاطبته لسريان اللذة فى ذلك الضم

﴿فصل فى الصلوات التى لا تجوز فى هذه الاوقات المنهى عن الصلاة فيها﴾

فمن قائل هى الصلاة كلها باطلاق ومن قائل هى ما عدا المفروض من سنة أو نفل ومن قائل هى النفل دون السنن

ومن قائل هي النفل فقط بعد الصبح والعصر والنفل والسنن معا عند الطلوع والغروب وأما عندنا ان هذه الاوقات هي للفرائض للنائم والناسي يتذكر أو يستيقظ فيها ولقضاء النوافل اذا شغل عنها أن يصليها في الوقت الذي كان عينه لها اعتبار الباطن في ذلك المناجاة الالهية بين الله و بين عبده على أربعة أقسام مناجاة من حيث انه يراك ومناجاة من حيث انك تراه ومناجاة من حيث انه يراك وتراه ومناجاة لبعض أهل النظر في الاعتقادات بالادلة من حيث انك لاتراه علما في اعتقاد ولاتراه بصرا في اعتقاد ولايراك بصرا في اعتقاد ولا علما في اعتقاد من نفى عنه العلم بالجزئيات لكن تراه علما لاندراج الجزء في الكل وهذا ما هو اعتقادنا ولا اعتقاد أهل السنة بل هو سبحانه بكل شئ عليم وقال ألم يعلم بأن الله يرى وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الخبر الصحيح عنه أنه يراك وقد نبهناك على مأخذ الاعتبارات في هذه الاقسام وأنت تعرف قسمك منها ومن عرف قسمه فمن هناك يثبت مناجاته أو يحيلها

﴿فصول بل وصول الاذان والاقامة﴾

الاذان الاعلام بدخول الوقت والدعاء للاجتماع الى الصلاة في المساجد والاقامة لدعاء الى المناجاة الالهية الاعتبار في الباطن في ذلك الاذان الاعلام بالتجلي الالهي لتتطهر الذوات لمشاهدته والاقامة للقيام لتجليه اذا ورد يوم يقوم الناس لرب العالمين

﴿فصل بل وصل في صفات الاذان﴾

اعلم ان الاذان على أربع صفات الصفة الاولى تثنية التكبير وتربيع الشهادتين وباقيه مثنى وبعض القائلين بهذه الصفة يرون الترجيع في الشهادتين وذلك أن يثني الشهادتين أولا خفيا ثم يثنيهما مرة ثانية مرفوع الصوت بها وهذا الاذان أذان أهل المدينة الصفة الثانية تربيع التكبير الاول والشهادتين وتثنية باقي الاذان وهذا أذان أهل مكة الصفة الثالثة تربيع التكبير الاول وتثنية باقي الاذان وهذا أذان أهل الكوفة الصفة الرابعة تربيع التكبير الاول وتثليث الشهادتين وتثليث الحيعلتين يبتدئ بالشهادة الى ان يصل الى حي على الفلاح ثم يعيد ذلك على هذه الصفة ثانية ثم يعيدها أيضا على تلك الصورة ثالثة الاربع الكلمات نسقا ثلاث مرات وهذا أذان أهل البصرة اعتبار الباطن في ذلك تثنية التكبير للتكبير والاكبر وتربيعه للتكبير والاكبر ولمن تكبر نفسا وحسا مشروعا كان ذلك التكبر كحديث أبي دجانة أوغير مشروع والتربيع في الشهادتين للاول والآخر والظاهر والباطن وتثنية ما بقي لك وله تعالى وتثليث الاربع الكلمات على نسق واحد في كل مرة وهو كما قلنا مذهب البصريين اعلام بالمرة الواحدة لعالم الشهادة وبالثانية لعالم الجبروت وبالثالثة لعالم الملكوت وعند أبي طالب المكي الثانية لعالم الملكوت والثالثة لعالم الجبروت تحقيق ذلك هو أن الانسان اذا نظر بعين بصره وعين بصيرته الى الاسباب التي وضعها الله تعالى شعائر واعلاما لما يريد تكوينه وخلقه من الاشياء لما سبق في علمه أن يربط الوجود بعضه ببعضه ودل الدليل على توقف وجود بعضه على وجود بعضه وسمع ثناء الحق تعالى على من عظم شعائر الله وان ذلك التعظيم لها من تقوى القلوب في قوله تعالى في كتابه العزيز ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قال عند ذلك الله أكبر يقول وان كانت عظيمة في نفسها بما تدل عليه وعظيمة من حيث ان الله أمر بتعظيمها فوجدناها فوجدها الآمر بتعظيمها أكبر منها وهذه هي أكبر المفاضلة وهي أفعل من فلما أتمها كوشف هذا الانسان الناطق بها على حقارة الاسباب في أنفسها لانفسها وافتقارها الى موجدها لا لكلها افتقار المسببات على السواء ورآها عيانا وكشفا عند كشف الغطاء عن بصره ناطقة بتسبيح خالقها وتعظيمه فانه القائل وان من شئ الا يسبح بحمده تسبيح نطق يليق بذلك الشئ لا تسبيح حال ولهذا قال لاتفقهون تسبيحهم لاختلاف ما يسبحون به الالمن سمعه انه كان حليما حيث لم يؤاخذ ولم يعجل عقوبة من قال انه تسبيح حال غفورا ساترا نطقهم عن أن تتعلق به الاسماع الالمن خرق الله له العادة فقد ورد ان الحصى سبح بحضور من حضر من الصحابة في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زال الحصى مسبحا وما خرق الا العادة الا في اسماع السامعين ذلك بتعلقها بالمسموع وما قال ولكن لاتفقهون تسبيحهم الا في معرض الرد على من يقول أنه تسبيح حال فان العالم كله قد تساوى في الدلالة فن

يقول بتسبيح الحال فقد أكذب الله في قوله تعالى لا تفقهون وأما قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه يعني خير له ممن يعظم شعائر الله اذا جعلناه خير بمعنى أفعل من لنميز بين تعظيم الشعائر وتعظيم حرمات الله فان حرمة الله ذاتية فهو يقتضي التعظيم لذاته بخلاف الاسباب المعظمة فان الناظر في الدليل ماهو الدليل له مطلوب لذاته فينتقل عنه ويفارقه الى مدلوله فلهذا العالم دليل على الله لانا نعبر منه اليه تعالى ولا نبقى أن نتخذ الحق دليلا على العالم فكأنجوز منه الى العالم وهذا لا يصح فأعلى كلام النبوة حيث قال من عرف نفسه عرف ربه وقال تعالى أفلا ينظرون الى كذا وعدد المخلوقات لنتخذ أدلة عليه لا ليوقف معها فهذا الفرق بين حرمات الله وشعائر الله فنقول ثاني مرة الله أكبر تعظيما لحرمة الله لا بمعنى المفاضلة وذلك معروف في اللسان فمعناه الله الكبير لا أفعل من فهو الكبير واضع الاسباب وأمرنا بتعظيمها ومن لا عظمة له ذاتية لنفسه فعظمته عرض في حكم الزوال فالكبير على الاطلاق من غير تقييد ولا مفاضلة هو الله فهذه التكبيرة الثانية المشروعة في الاذان وأنها لهاتين الصورتين فان ربع التكبير فيكون تثنية التكبيرة الواحدة على الحد الذي ذكرناه حسا وعقلا أي كما كبره اللسان بلفظ المفاضلة كذلك كبره عقلا كأنه يقول الله أكبر باللسان كما هو أكبر بالعقل أي هو أكبر بدليل الحس ودليل العقل ثم يثني التكبيرة الاخرى أيضا حسا وعقلا فيقول الله أكبر أي هو الكبير لا بطريق المفاضلة حسا الله أكبر أي هو الكبير لا بطريق المفاضلة عقلا حرمة وشرعا فهذا مشهد من ربع التكبير في الاذان الذي هو الاعلام بالاعلان ثم قال أشهد أن لا اله الا الله أشهد ان لا اله الا الله خفيا يسمع نفسه وهو بمنزلة من يتصور الدليل أولا في نفسه ثم بعد ذلك يتلفظ به وينطق معلنا في مقابلة خصمه أو ليعلم غيره مساق ذلك الدليل وذلك أن يشهد هذا المؤذن في هذه الشهادة انه يرى الاسباب المحجوبة عن المعرفة بالله التي أعطيت قوة النطق وحجبت عن ادراك الامر في نفسه بالجهل أو عن ادراك ماينبغي لجلال الله من اضافة الكل اليه بحجاب الغفلة فيقول الجاهل أنا ربكم الاعلى أو المستخف وهو ضرب من الجهل أو يقول ماعلمت لكم من اله غيري وقد يمكن أن يكون كاذبا عند نفسه عالما بانه كاذب لكنه استخف قومه فاطاعوه ويقول أنا نعمت على فلان أنا وليت فلانا أنا علمت فلانا العلم الذي عنده والقرآن ولولا أنا ماعلم شيأ مما علمه وسمع الله يقول أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وقال يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم وهي الاسباب التي وجدتم عندها ثم قال ان يرى انا أوجدنا بالاسباب لا عندها فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون انه أوجد الاسباب وأوجدكم عندها لا بها فيقول عند ذلك أشهد أن لا اله الا الله أي لا خالق الا الله فينفي ألوهية كل من ادعاها لنفسه من دون الله وأثبتها لمستحقها الواحد عالما مع الله كالمشرك فتشهد بذلك لله عقلا وشرعا وحسا ومعنى هذا كما مع نفسه كتصور الدليل أولا ثم يرفع بها صوته ليسمع غيره من متعلم ومقلد وجاهل وغافل عن قوله تعالى الرحمن علم القرآن وأمثاله مثل خلق الانسان علمه البيان فقطع حكم لاسباب فهذا معنى الشهادة وتثنيتها وتربيعها وكذلك قوله أشهد أن محمدا رسول الله وهو انه لما تشهد بالتوحيد بما أعطاه الدليل شهد به علما لا على طريق القربة لان الانسان من حيث عقله لا يعلم ان التلفظ بذلك وأن النظر في معرفة ذلك يقرب من الله وانما حظه أن يعلم أن نفسه تشرف بصفة العلم على من يجهل ذلك وأن التصريح به وبكل دليل على مثل هذا العلم على جهة تعليم من لا يعلم وارداع المعاند تشريفا لهذه النفس على نفس من ليس له ذلك لانه لا حكم للعقل في اتخاذ شئ قربة الى الله فجاء الرسول من عند الله فأخبره أن يقول ذلك وأن ينظر في ذلك ان يخفيه في نفسه ويسره وفي التعليم والارداع للغير اذا أعلن به أن يكون ذلك على طريق القربة الى الله فيكون مع كونه علما عبادة فيقول العالم المؤمن اذا أذن أو قال مثل ما يقول المؤذن أشهد أن محمدا رسول الله علما وعبادة ويقولها العامي تقليدا وتعبدا والتثنية في هذه الشهادة الرسالية والتربيع والحكم فيها على حكم شهادة التوحيد سواء في المراتب التي ذكرناها سواء فان ثلث كأذان البصريين الاربع الكلمات على نسق واحد في كل مرة فهو أن يقولها في المرة الاولى علما وفي المرة الثانية تعليما لانه معلن وفي المرة الثالثة عبادة فهي كلها علم وتعليم وعبادة فافهم وما خالف البصريون الكوفيين والحجازيين والمدنيين

الا في هذا أعني التثليث والشفع وكل سنة والانسان مخير يؤذن بأي صفة شاء من ذلك كله وهو مذهبنا كالروايات المختلفة في صلاة الكسوف وغير ذلك ثم ان الله شرع لنا في الاذان بعد الشهادتين أن نقول حي على الصلاة مثنى ندعو بالواحدة نفسي وندعو بالثانية غيري ومعناه اقبلوا الى مناجاة ربكم فتطهروا واتوا المساجد بالمرة الواحدة ومن كان في المسجد يقول له في المرة الثانية حين تيسر الطهر واقبلوا بكم واحضروا بين يدي ربكم فانكم في بيته فصدتموه من أجل مناجاته وكذلك قوله حي على الفلاح بالاعتبارين أيضا والتفسير بن في المرتين يقول للخارج والكائن في المسجد ولنفسه ولغيره اقبلوا على ما ينجيكم فعله من عذابه بنعيمه ومن حجابه بتجليه ورؤيته واقبلوا بالثانية من حي على الفلاح على ما يبقيكم في نعيمكم ولذة مشاهدتكم ثم يقول الله أكبر الله أكبر لنفسه ولغيره وان هو ينتظر الصلاة كالحاضر في المسجد ومن هو خارج في اشغاله يقول الله أكبر مما أنتم فيه أي الله أولى بالتكبير من الذي يمنعكم من الاقبال الذي أمرناكم به على الصلاة وعلى الفوز والبقاء في الحيعلتين وغاير بربع الثاني فانه ليس مثل الاول فان الثاني أعني التكبير والحيعلتين انما المقصود بذلك القربة والعقل لا يستقل بادراكه فهي للشرع خاصة فلهذا لم يربع الحيعلتين ولا التكبير الثاني وثنى لكونه خاطب نفسه وغيره والكائن في المسجد وغير الكائن ثم قال لا اله الا الله فختم الاذان بالتوحيد المطلق لما كان الاذان يتضمن أمورا كثيرة فيها أفعال منسوبة الى العبد فربما يقع في نفس المدعو أنه مدعو الى أن يفعلها الا والفعل له حقيقة والداعي أيضا كذلك فيخاف عليه أن يضيف الفعل الى نفسه خلقا كما يراه بعضهم وما جعله الله دليلا عليه من جملة الادلة على توحيده الا انفراده بالخلق مثل قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون فهي ألوهية خفية في نفس كل انسان وهو الشرك الخفي المعفو عنه فختم الاذان بالتوحيد من غير تثنية ولا تثليث ولا تربيع وهذا هو التوحيد المطلق الذي جاءت به الانبياء من عند الله عن الله وهي أفضل كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبيون من قبله فيتنبه السامعون كلهم أنه لا اله الا الله فوحد لطلبه التوحيد على الاطلاق وما زاد على التوحيد في كل أذان مشروع من الاربعة مذاهب في ذلك وأما التثويب في أذان صلاة الصبح وهو قولهم الصلاة خير من النوم من الناس من يراه من الاذان المشروع فيعتبره ومن الناس من يراه من فعل عمر فلا يعتبره ولا يقول به وأما مذهبنا فانا نقول به شرعا وان كان من فعل عمر فان الشارع قرره بقوله من سن سنة حسنة ولا شك انها سنة حسنة ينبغي أن تعتبر شرعا وهي بهذا الاعتبار من الاذان المسنون الا في مذهب من يقول ان المسنون هو الذي فعل في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وعرفه وقرره أو يكون هو الذي سنه صلى الله عليه وسلم فيكون حاصله عند صاحب هذا القول انه لا يسمى سنة الا ما كان بهذه الصفة فما هو خلاف يعتبر ولا يقدح وأما من زاد حي على خير العمل فان كان فعل في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روي ان ذلك دعا به في غزوة الخندق اذ كان الناس يحفرون الخندق فجاء وقت الصلاة وهي خير موضوع كما ورد في الحديث فنادى المنادي أهل الخندق حي على خير العمل فما أخطأ من جعلها في الاذان بل اقتدى ان صح هذا الخبر أو سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها وما كرهها من كرهها الا تعصبا فما أنصف القائل بها نعوذ بالله من غوائل النفوس

﴿فصل بل وصل في حكم الاذان﴾

فمن قائل انه واجب ومن قائل انه سنة مؤكدة والقائل بوجوبه منهم من يراه فرضا على الاعيان ومنهم من يراه فرض كفاية ومن قائل ان الاذان فرض على مساجد الجماعات وهو مذهب مالك وفي رواية عنه انه سنة مؤكدة ولم يره على المنفرد لا فرض ولا سنة ومن قائل انه هو واجب على الاعيان ومن قائل انه واجب على الاعيان على الجماعات سفرا وحضرا ومن قائل سفرا لا غير ومن قائل انه سنة للمنفرد والجماعة الا انه آكد في حق الجماعة واتفق الجميع على انه سنة مؤكدة أو فرض على المصر وبه كان يقول شيخنا أبو عبد الله بن العاص الدلال باشبيلية سمعته من لفظه غير مرة وكان يقول اذا اجتمع أهل مصر على ترك الاذان أو ترك سنة وجب غزوهم واحتج بالحديث الثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما صبحهم فان سمع نداء لم يغر وان لم يسمع نداء أغار الاعتبار في الباطن في ذلك

حق كل نفس ان تدعو نفسها وغيرها الى طاعة الله بعد وضع الشريعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمالك بن الحويرث وأصاحبه اذا كنتما فى سفر فأذنا وأقيما الحديث والانسان مسافر مع الانفاس منذ خلقه الله دنيا وآخرة لا يصح له أن يكون مقيما أبدا ولو أقام زائدا على نفس واحد لتعطل فعل الاله فى حقه فالحق سبحانه فى كل نفس فى الخلق فى شأن وهو أثره فى كل عين موجودة بكيفية خاصة أشهدنا الله دقيقها وجليلها فما أعز صاحبها عند الله فمن فاته مراعاة أنفاسه فى الدنيا والآخرة لقد فاته خير كثير

﴿فصل بل وصل فى وقت الاذان﴾

اتفق العلماء على انه لا يؤذن للصلاة قبل دخول وقتها ماعدا الصبح فان فيه خلافا فمن قائل بجواز ذلك انه يؤذن لها قبل الفجر ومن قائل بالمنع وبه أقول فان الاذان قبل الوقت انما هو عندى ذكر بصورة الأذان ماهو الاذان على جهة الاعلام بدخول وقت الصلاة فقد كان بلال يؤذن بليل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يمنعكم أذان بلال عن الاكل والشرب يعنى فى رمضان ولمن يريد الصوم فانه يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم وكان رجلا أعمى فكان لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت فالمؤذن عندى لا يجب الا بعد دخول الوقت ومن قائل لابد للصبح من أذانين أذان قبل الوقت وأذان بعده وقال أبو محمد بن حزم لابد للصبح من أذان بعد الوقت ﴿الاعتبار﴾ الباطن فى ذلك دعاء النفوس الى الله من الله فى نفس الامر ودعاؤها من الاكوان بالنظر الى الغافلين أو الجهلاء الذين هم تحت حكم الاسماء الالهية أو التصريف الالهى وهم لا يشعرون فلهذا قلنا فى نفس الامر فاعلم ان للوقت سلطانا لا يحكم فيه غيره فلابد أن يتعين عند المحكوم عليه سلطان الوقت وهو الاسم الالهى الخاص بذلك الوقت فلا يمكن أن يدعى بطريق الوجوب الا بعد دخول الوقت فعند ذلك يكون ممن دعا الى الله على بصيرة فانه دعاء خاص فى كل وقت بما يليق بذلك الوقت فان دعا فى غير وقته وقع الانسان فى الجهل فانه يدعوه بما يخرجه عن سلطان حكمه الذى يرتقبه السامع فى نفسه فلابد من الدعاء له بعد دخول وقته حتى يتعين من هو صاحب الوقت من هذه الاسماء الالهية انظر هل يصح منك الشكر قبل دخول حكم الاسم المنعم فاذا كان وقت النعمة ودخل وقتها بوجودها عندك دعيت الى شكر المنعم وانما دخل الخلاف فى الصبح لجهل السامع بمقصود الشارع بذلك الذكر فانه دعاء لصاحب الوقت بخلاف سائر الصلوات فان الليل لما كان محلا للنوم ونام الناس شرع النداء الآخر الذى هو الاول لايقاظ النائمين فهو دعاء للانتباه والاستعداد لايقاع صلاة الصبح فى أول الوقت فهو نداء تحضيض وتحريض وجعل بصورة الاذان المشروع للصلاة أى من أجل الصلاة دعونا كم لتتذكروها فتتأهبوا لها فاذا دخل وقتها وجب الاعلام بدخول الوقت لجهل السامعين بدخول أول الوقت فانه يخفى على أكثر الناس فان أكثر الناس لا يعلمون فيعلمون بالاذان المشروع لدخول الوقت ان الوقت قد دخل وكذلك الحكم فى الاعتبار الغافل عن حكم الاسم الالهى فيه ينبهه الداعى من نومة الغفلة بأنه تحت حكم اسم الهى يصرفه وانه لا حول ولا قوة له الا به فاذا انتبه من نوم غفلته وتذكر بعقله عرف عند ذلك أى اسم هو صاحب الوقت فأذعن له بحسب ما تقتضيه حقيقة ذلك الاسم الالهى فى حق هذا الشخص قال تعالى وليتذكر أولوا الالباب وقال وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وانما ذهبنا الى أن الاذان قبل الصبح هو ذكر ونداء بصورة الاذان ماهو الاذان المشروع بالاعلام لدخول الوقت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان بلالا ينادى بليل ولم يقل يؤذن وكذا قال فى ابن أم مكتوم ينادى لموضع الشبهة فانه كان أعمى فكان لا ينادى حتى يقال له أصبحت أصبحت أى قاربت الصباح قال الراوى وكان بين نداء بلال ونداء ابن أم مكتوم قدر ما ينزل هذا ويصعد هذا فسماه نداء لهذا الاحتمال أعنى أذان ابن أم مكتوم فان الفصاحة فى لسان العرب تطابق الالفاظ فى سبق لما قال فى بلال انه ينادى بليل ويؤيد ماذهبنا اليه حديث ابن عمر ان بلالا أذن قبل طلوع الفجر فسماه ابن عمر أذانا لما عرف من قرينة الحال فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجع فينادى ألا ان العبد نام ليعرف الناس ان وقت الصلاة مادخل فان الاذان المشروع انما هو لدخول وقت الصلاة فلما عرف من بلال انه قصد الاذان وان السامعين ربما

أوقعوا الصلاة فى غير وقتها أمره أن يعرّف الناس أنه قد غلط فى أذانه ولهذا يكون من المؤذنين بالليل الدعاء والتذكير وتلاوة آيات من القرآن والمواعظ وانشاد الشعر المزهد فى الدنيا المذكر الموت والدار الآخرة ليعلم الناس اذا سمعوا الاذان منهم انهم يريدون بذلك ذكر الله كما تقدم وانه لايقاظ النائمين لا لدخول الوقت ويكون لدخول الوقت مؤذن خاص يعرف بصوته وكذا هو فى الاعتبار لتنوع الأحوال على أهل الله لا بد لهم من علامات يفرقون بها بين الاحوال التى تعطيها الاسماء الالهية فافهم

﴿فصول فى الشروط فى هذه العبادة﴾

قال بعض العلماء وهى ثمانية شروط وعددها فقال ان منها هل من شرط من أذن ان يكون هو الذى يقيم أم لا الثانى هل من شرط الاذان أن لا يتكلم المؤذن فى أثنائه أم لا الثالث هل من شرطه أن يكون المؤذن على طهارة أم لا الرابع هل من شرطه أن يتوجه المؤذن الى القبلة أم لا الخامس هل من شرطه أن يكون المؤذن قائما أم لا يكون السادس هل يكره الاذان للراكب أم ليس يكره السابع هل من شرطه البلوغ أم لا الثامن هل من شرطه أن لا يأخذ أجرا على الاذان أم يأخذ الاجر اختلف علماء الشريعة فى هذه الشروط وأدلتهم ما بين قياس ومعارضة أخبار بين صحيح وسقيم ومذهبنا ان الأذان يصح بوجودها وعدمها والعمل بها أولى ان اتفق ولا يمنع من ذلك مانع وأما الاعتبار فى ذلك فى الشروط كلها التى ذكرناها فاعلم ان الداعى قد يكون الاسم الالهىّ الذى يدعو به الحق الى الحق وهو عين الداعى الذى يقوم به بين يدى الحق فى أى شئ دعا اليه من الاحوال وقد يكون غيره من الاسماء فلا يشترط من اذن فهو يقيم فان فيه حرجا الداعى الى الحق قد يتكلم فى أثناء دعائه الى الحق لحال يطلبه بذلك لا يجوز له التأخر عنه اما الادب الهىّ أو لفرض تعين عليه وقد لا يتكلم مالم يقدح فى فهم السامع ما يخرجه عن أن يكون داعيا له وهذا اعتبار الشرط الثانى الداعى قد يدعو بحاله وهو طهارته وهو أفضل وقد يدعو بما ليس هو عليه فى حاله وهو خير بكل وجه كما قال الحسن ابن أبى الحسن البصرى وكان من أهل طريق الله العلية منهم لو لم يعظ أحد أحدا حتى يعظ نفسه ما وعظ أحد أحدا أبدا ولفاعل المنكر أن ينهى عن المنكر وان لم يفعل اجتمع عليه اثمان فاعلم ذلك وهذا هو اعتبار الشرط الثالث الداعى ان قصد بدعائه وجه الله فهو أولى وان قصد بذلك دنيا فلا يمنعه ذلك من الدعاء الى الله والاول أفضل ويرجى للآخر أن ينتفع بدعوته سامع فيدعو له فيسعد بدعائه فهذا بمنزلة استقبال القبلة بالاذان وهو الشرط الرابع الداعى ان كان قائما بحقوق ما يدعو اليه فهو أولى من قعوده عن ذلك فى دعائه وهذا اعتبار الشرط الخامس الداعى هل يكون فى دعائه حاضرا مع عبوديته وذلته أو يكون فى حال نظره لعزة نفسه وتكبرها وتجبها وهو الذى يؤذن راكبا وحضوره مع ذلته أولى وهو اعتبار الشرط السادس الداعى هل ينبغى له أن يدعو قبل بلوغه الى المعرفة بمن يدعو اليه كدعاء المقلد أو لا يدعو حتى يعرف من يدعو اليه وهو اشتراط البلوغ فى الأذان وهذا اعتبار الشرط السابع الداعى الى الله هل من شرطه أن لا يأخذ أجرا على دعائه فهو عندنا أفضل انه لا يأخذ وان أخذ جاز له ذلك فان مقام الدعوة الى الله يقتضى الاجرة فانه ما من نبىّ دعا قومه الا قيل له قل ما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على الله فاثبت الاجرة على دعائه وسألها من الله لا من المدعو حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سأل منا فى الاجر على تبليغ الدعاء الا المودّة فى القربى وهو حب أهل البيت وقرابته صلى الله عليه وسلم وأن يكرموا من أجله كانوا ما كانوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحق ما أخذتم عليه كتاب الله فى حديث الذى رقى اللديغ بفاتحة الكتاب واستراح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضربوا لى فيها بسهم يعنى فى الغنم التى أخذوها أجرا على ذلك فالانسان الداعى بوعظه وتذكيره عباد الله ان أخذ أجرا فله ذلك فانه فى عمل يقتضى الأجر بشهادة كل رسول وان ترك أخذه من الناس وسأله من الله فله ذلك وسبب ترك الرسل لذلك وسؤالهم من الله الأجر كون الله هو الذى استعملهم فى التبليغ فكان الأجر عليه تعالى لا على المدعو وانما أخذ الراقى الأجر من اللديغ لأن اللديغ استعمله فى ذلك ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم اضربوا لى بسهم لان الرسول عليه السلام هو الذى أفاد الراقى ما رقى به ذلك اللديغ وينظر الى قريب من هذا حديث

بريرة في قوله هو لها صدقة ولنا هدية لانها بلغت محلها وهذا هو الشرط الثامن واعلم ان هذا الاجر أجر تفضل الهي عينه السيد لعبده فان العبد لا ينبغي له استحقاق الاجر على سيده فيما يستعمله فيه فانه ملكه وعين ماله ولكن تفضل سيده عليه بان عين له على عمله أجرا وسره خلقه على الصورة فان عبيدنا اخواننا فافهم وأما العلماء بالله عز وجل فأجرهم مشاهدة سيدهم اذا رجعوا اليه من التبليغ الذي أمرهم به فانهم حزنوا لمفارقة ذلك المشهد الاقدس ومشاهدة الاكوان فوعدهم بانهم اذا رجعوا اليه كان لهم المزيد في المشاهدة فاخبروا الناس ان أجرهم على الله

(فصل بل وصل فيمن يقول مثل ما يقول من يسمع الاذان)

واختلف علماء الشريعة في ذلك فمن قائل انه يقول مثل ما يقول المؤذن كلمة بكلمة الى آخر النداء ومن قائل انه يقول مثل ما يقول المؤذن الا اذا جاء بالحيعلتين فان السامع يقول لا حول ولا قوة الا بالله وبالقول الاول أقول فانه أولى الا أن يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الحوقلة في ذلك فأنا أقول به ولا أشترط أن يمشي السامع مع المؤذن في كل كلمة ولكن ان شاء قال مثل ما يقول المؤذن في أثر كل كلمة وان شاء اذا فرغ يقول مثله وذلك في المؤذن الذي يؤذن للاعلام في المنارة أو على باب المسجد أو في نفس المسجد ابتداء عند دخول الوقت من قبل أن يعلم من في المسجد ان وقت الصلاة دخل فهذا هو المؤذن الذي شرع له الاذان وأما المؤذنون في المسجد بين الجماعة الذين يسمعون الاذان فهم ذاكرون الله بصورة الاذان فلا يجب على السامع أن يقول مثله فان ذلك عندنا بمنزلة السامع يقول مثل ما قال المؤذن ولم يشرع لنا ولا أمرنا أن نقول مثل ما يقول السامع اذا قال ما يقول المؤذن واعتبار ذلك في الباطن قال تعالى فيما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني والمؤذن داع الى الله بلا شك ثم قال ومن اتبعني وهو غير النبي يدعو بمثل دعوة النبي عليه السلام عباد الله الى توحيد الله والعمل بطاعته وهو بمنزلة السامع للمؤذن الذي أمره الشارع أن يقول مثل ما يقول المؤذن لا يزيد على ذلك ولا ينقص كذلك ينبغي للداعي الى الله أن يدعو بشرعه المنزل المنطوق به حاكيا لا يزيد على دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مني كلمة فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع وهذه مسئلة اختلف الناس فيها أعني في هذا الخبر في نقله على المعنى والصحيح عندي ان ذلك لا يجوز جملة واحدة الا أن يبين الناقل انه نقل على المعنى فان الناقل على المعنى انما ينقل الينا فهمه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تعبدنا الله بفهم غيرنا الا بشرط في الاخبار بالاتفاق وفي القرآن بخلاف في حق الاعجمي الذي لا يفهم اللسان العربي فان هذا الناقل على المعنى ربما لو نقل الينا عين لفظه صلى الله عليه وسلم ربما فهمنا مثل ما فهم أو أكثر أو أقل أو نقيض ما فهم فالاولى نقل الحديث كما ننقل القرآن فالداعي الى الله لا يزيد على ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاخبار بالامور الغيبية الا ان أطلعه الله على شيء من الغيب مما اعلمه الله فله أن يدعو به مما لا يكون مزيلا لما قرره الشرع بالتواتر عندنا أي على طريق يفيد العلم لا بد من هذا فعلى هذا الحد يكون الاعتبار في القول مثل ما يقول المؤذن حتى لو قال السامع سبحان الله عند قول المؤذن الله أكبر لم يمتثل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لم يمتثل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتثل أمر الله فان الله يقول وأطيعوا الرسول وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقول مثل ما يقول المؤذن وان كان قال هذا السامع خيرا وكذلك لو قال الله الكبير لم يقل مثله الا ان قال المؤذن الله الكبير وفيه خلاف في حق المؤذن بهذا اللفظ فمن أجاز ذلك أوجب على السامع ان يقول مثله فلو قال السامع الله أكبر فقد قال الاذان المشروع المنصوص عليه المنقول بالتواتر وبين قول الانسان الله الكبير وقوله الله أكبر فرق عظيم فاذن لا ينبغي ان تنقل الاخبار الا كما تلفظ بها قائلها الا في مواضع الضرورة وذلك في الترجمة لمن ليس من أهل ذلك اللسان فأما في القرآن فينبغي ان ينقل المسطور ويقرأ لفظه كما ورد وبعد ذلك يترجم عنه حتى يخرج من الخلاف ويكون في الترجمة مفسرا لا تاليا وأما في غير القرآن فله ان يترجم على المعنى بأقرب لفظ يكون بحكم المطابقة على المعنى كما كان في الخبر النبوي

(فصل بل وصل في الاقامة)

للاقامة حكم وصفة أمّا حكمها فاختلف الناس فيها فقوم قالوا انها سنة مؤكدة فى حق الاعيان والجماعات أكثر من الاذان وقوم قالوا هى فرض وهو مذهب بعض أهل الظاهر فان أرادوا أنها فرض من فروض الصلاة تبطل الصلاة بسقوطها وان لم يقولوا ذلك صحت الصلاة ويكون عاصيا بتركها على انى رأيت لبعضهم ان الصلاة فتبطل بتركها ومن قائل انه من تركها عامدا بطلت صلاته وهو مذهب ابن كنانة اعتبار ذلك فى الحكم الاقامة لاجل الله فرض لا بد منه والاقامة لما أمرنا الله أن أقيم له فنحن فيه بحسب قرائن الاحوال فاذا أعطت قرينة الحال ان ذلك الامر على الوجوب أوجبناها مثل قوله أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومثل قوله أقيموا الصلاة ومثل قوله أقيموا الوزن بالقسط فهذا هو حد الواجب فان رجحت الوزن فى القضاء فهو أفضل فانك قد امتثلت أمر الله فانه ما رجح الميزان حتى اتصف بالاقامة التى هى حد الواجب ثم رجح والذى يخسر الميزان ما بلغ بالوزن حد الاقامة حتى يحصل الواجب مثل ما فعل المرجح فاحدنا المرجح الا لحصول اقامة الوزن لا للترجيح ثم أثنينا عليه ثناء آخر بالترجيح فالمرجح محمود من وجهين فاعلم وجهه من جهة الاقامة أعلى لانه الحد الوجوبى وحمد الترجيح بافلة الا فيمن يحمل الامر فى ذلك على الوجوب وهو قوله صلى الله عليه وسلم فى القاضى ما عليه اذا وزنت فأرجح فأمره بالرجحان وأكد فى ذلك قولا وفعلا واذا لم يكن الامر على الوجوب لقرينة حال كانت الاقامة بحسب ذلك فهذا اعتبار حكم الاقامة بوجه ينفع فى دين الله من وقف على هذا الكتاب وعمل بما قررناه فيه فانه ما قررنا فيه أمرا غير مشروع ولله الحمد ولو كنا لم نتعرض لذكر الادلة مخافة التطويل فاخرجنا بحمد الله عن الكتاب والسنة فيه كما قال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ﴿وأمّا صفة الاقامة﴾ فعند قوم التكبير الذى فى أولها مثنى وما بقى فيها فردا والتكبير الذى بعد الاقامة مثنى وعند قوم مثل ذلك الا الاقامة فانها مثنى وقوم خيروا بين التثنية والافراد وقوم قالوا بالتثنية فى الكل وتربيع والتكبير الاول مع الاتفاق فى توحيد التهليل الآخر الاعتبار أمّا من ثنى أى من زاد على الواحدة فللمراتب التى ذكرناها فى الاذان على السواء ولم نعدل لاعتبار آخر لانها جاءت فى ظاهر الشريعة بلفظ الاذان لا بلفظ آخر الا الاقامة فانفردت بها الاقامة عن الاذان وهى قوله قد قامت الصلاة فهو اخبار عن ماض والصلاة مستقبلة فهى بشرى من الله لعباده لمن جاء الى المسجد ينتظر الصلاة أو كان فى الطريق يأتى اليها أو كان فى حال الوضوء بسببها أو كان فى حال القصد الى الوضوء قبل الشروع فيه ليصلى بذلك الوضوء فيموت فى بعض هذه المواطن كلها فله أجر من صلاها وان كانت ما وقعت منه فجاء بلفظ الماضى لتحقق الحصول فاذا حصلت بالفعل فله أجر الحصول بالفعل وأجر الحصول الذى يحصل لمن مات فى هذه المواطن قبل ان يدخل فى الصلاة وقد ورد فى الخبر ان الانسان فى صلاة ما دام ينتظر الصلاة فلهذا جاء بلفظ الماضى وهو الحاصل فى قوله قد قامت الصلاة واقامة الصلاة تمام نشأتها وكمالها أى هى لكم قائمة النشأة كاملة الهيئة على حسب ما شرعت فاذا دخلتم فيها وأجرتم الاجر الثانى فقد يكون مثل الاول فى اقامة نشأتها وقد لا يكون فان المصلى قد يأتى بها خداجا غير كاملة فتكتب له خداجا من حيث فعله بخلاف ما تكتب له قبل الفعل فانظر ما أعظم فضل الله على عباده وسبب ذلك قول الله تعالى قل فلله الحجة البالغة فانه لو أثابه عليها قبل وقوعه بحسب علمه به فيها من الخداج بما قال العبد لو أحييتنى حتى أؤديها لاقمت نشأتها على أكمل الوجوه فأعطى الله جل وعز سبحانه عبده ذلك الثواب على أكمل الاداء ولله الحمد والمنة على ذلك

﴿فصل بل وصل فى القبلة﴾

اتفق المسلمون على ان التوجه الى القبلة أعنى الكعبة شرط من شروط صحة الصلاة ولولا ان الاجماع سبقنى فى هذه المسئلة لم أقل بانه شرط فان قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله نزلت بعده وهى آية محكمة غير منسوخة ولكن انعقد الاجماع على هذا وعلى قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله محكما فى الحائر الذى جهل القبلة فيصلى حيث يغلب على ظنه باجتهاده بلا خلاف وان ظهر له بعد ذلك انه صلى لغير القبلة لم يعد بخلاف فى ذلك بخلاف من لم يجد سبيلا الى الطهارة فانه قد وقع الخلاف فيه هل يصلى أم لا ثم انه لا خلاف ان الانسان اذا عاين البيت ان الفرض عليه هو استقبال عينه وأمّا اذا لم ير البيت فاختلف علماؤنا فى موضعين من هذه المسئلة الموضع الواحد هل الفرض هو العين أو الجهة والموضع الثانى

هل فرضه الاصابة أو الاجتهاد أعني اصابة العين أو الجهة عند من أوجب العين فمن قائل ان الفرض هو العين ومن قائل
ان الفرض هو الجهة وبالجهة أقول لا بالعين فان في ذلك حرجا والله يقول وما جعل عليكم في الدين من حرج وأعني بالجهة
اذا غابت الكعبة عن الابصار والصف الطويل قد صحت صلاتهم مع القطع بأن الكل منهم ما استقبلوا العين هذا معقول
الاعتبار التحديد في القبلة اخراج العبد عن اختياره فان أصله وأصل كل ما سوى الله الاضطرار والاجبار حتى اختيار
العبد هو مجبور في اختياره ومع ان الله فاعل مختار فان ذلك من أجل قوله ويختار وقوله ولو شئنا ولا يفعل الا ما سبق به
علمه وتبدل العلم محال يقول تعالى ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد وقال فلله الحجة البالغة وما رأيت أحدا
تفطن لهذا القول الالهي فان معناه في غاية البيان ولشدة وضوحه خفي وقد نبهنا عليه في هذا الكتاب وبيناه فانه سر
القدر من وقف على هذه المسئلة لم يعترض على الله في كل ما يقضيه ويجريه على عباده وفيهم ومنهم ولهذا قال
لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون فلو كنت عاقلا تفهم عن الله كفتك هذه الآية في المقصود ثم نرجع الى اعتبار ما كنا
بصدده فنقول ان الصلاة دخول على الحق وجاء في الخبر الصحيح ان الصلاة نور والانسان ذو بصر في باطنه كما هو في
ظاهره فلا بد له من الكشف في صلاته فمن جملة ما يكشفه في صلاته كونه مجبورا في اختياره الذي ينسبه اليه فشرع له
في هذا الموطن وفي العبادات كلها التحديد في الأشياء حتى يكون في تصرفاته بحكم الاضطرار وهو أصل يشمل كل
موجود ولا أحاشي موجودا من موجود لمن كان ذا بصر حديد وألقى السمع وهو شهيد حتى في حكم المباح هو فيه
غير مختار لانه من المحال ان يحكم عليه بحكم غير الاباحة من وجوب أو ندب أو حظر أو كراهة فلهذا شرع له استقبال البيت
اذا أبصره حين صلاته واستقبال جهته اذا غاب عنه وفرضه في اجتهاده بأغيبة اصابة الاجتهاد لا اصابة العين وذلك
لو كان فرضه اصابة العين فان العبد مأمور بأن يستقبل ربه بقلبه في صلاته بل في جميع حركاته وسكناته لا يرى الا الله
وقد علمنا ان ذات الحق وعينه يستحيل على المخلوق معرفتها فمن المحال استقبال عين ذاته بقلبه أي من المحال ان يعلم
العاقل ربه من حيث عينه وانما يعلمه من حيث جهة الممكن في افتقاره اليه وتميزه عنه بأنه لا يتصف بصفات المحدثات
على الوجه الذي يتصف به المحدث الممكن لانه ليس كمثله شيء فلا يعرفه الا بالسلوب وهذا سبب قولنا بالجهة لا بالعين
والاصابة أصابة الاجتهاد لا اصابة العين ولهذا كان المجتهد مأجورا على كل حال ولا سيما والاجتهاد في مذهبنا في الاصول
كما هو في فروع الاحكام لا فرق وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجتهد انه مصيب ومخطي فمعناه عندنا في هذه
المسئلة وأمثالها ان المجتهد في الاصابة ما هي اصابة العين أو اصابة الجهة ان المصيب من قال اصابة الجهة والمخطي من قال
اصابة العين فان أصابة الجهة في غير الغيم المتراكم ليلا أو نهارا في البراري لا يقع الا بحكم الاتفاق فأحرى أصابة العين لا بحكم
العلم وما تعبدنا الله بالارصاد ولا بالهندسة المبنية على الارصاد المستنبط منها أطوال البلاد وعروضها فانا بكل وجه اذا
أخذنا نفوسنا بها على غير يقين فتبين ان الفرض على المكلف الاجتهاد لا الاصابة فلا اعادة على من صلى ولم يصب الجهة
اذا تبين له ذلك بعد ما صلى كذلك الاعتبار في الباطن اذا وفى الناظر النظر حقه أصاب العجز عن الادراك فاعتقده
وما ثم الا العجز فالحق عند اعتقاد كل معتقد بعد اجتهاده يقول تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فافهم كما
هو عند ظن عبده به الا أن المراتب تتفاضل والله أوسع وأجل وأعظم ان ينحصر في صفة تضبطه فيكون عند واحد
من عباده ولا يكون عند الآخر يأبى الاتساع الالهي ذلك فان الله يقول وهو معكم أينما كنتم وأينما تولوا فثم وجه الله
ووجه كل شيء حقيقته وذاته فانه سبحانه لو كان عند واحد أو مع واحد ولا يكون عند آخر ولا معه كان الذي ليس هو
عنده ولا معه يعبد وهمه لا ربه والله يقول وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه أي حكم ومن أجله عبدت الآلهة فلم يكن
المقصود بعبادة كل عابد الا الله فما عبد شيء لعينه الا الله وانما أخطأ المشرك حيث نصب لنفسه عبادة بطريق خاص
لم يشرع له من جانب الحق فشقي لذلك فانهم قالوا في الشركاء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله فاعترفوا به وما يتصور في
العالم من أدنى من له مسكة من عقل التعطيل على الاطلاق وانما معتقدوا التعطيل انما هو يعطل صفة ما اعتقدها المثبت
فمن استقبل عين البيت ان كان يبصره أو الجهة ان غاب عنه بوجهه واستقبل ربه في قبلته كما شرع له في قلبه وحسه في

خياله ان ضعف عن تعليق العلم به من حيث ما يقتضيه جلاله فان المصلى وان واجه الحق فى قبلته كما ورد فى النص فانه كما قال من ورائه محيط فهو السابق والهادى فهو سبحانه الذى نواصى الكل بيده الهادى الى صراط مستقيم والذى يسوق المجرمين الى جهنم وردا واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون

﴿فصل بل وصل فى الصلاة فى داخل البيت﴾

فمن قائل بمنع الصلاة فى داخل الكعبة على الاطلاق ومن قائل باجازة ذلك على الاطلاق ومن العلماء من فرق فى ذلك بين التنفل والفرض وكل له مستند فى ذلك يستند اليه اعتبار ذلك فى الباطن وبعد تقرير الحكم فى الظاهر الذى شرع لنا وتعبدنا به ولم نمنع من الاعتبار بعد هذا التقرير فنقول هذه حالة من كان الحق سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله لكن فى حال اجالة كل جارحة فيما خلقت له هكذا قيد الصادق فى خبره وفى ذلك ذكرى لمن كان له قلب ولما كانت هذه الحالة الواردة من الشارع فى الخبر الصحيح عنه وتأيد الكشف بذلك الخبر عند السامع حالة النوافل ونتيجتها لهذا التنفل فى الكعبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخلها كما ورد وكان يصلى الفريضة خارج البيت كما كان يتنفل على الراحلة حيث توجهت به فأينما تولوا فثم وجه الله وقد علمنا ان الامر فى نفسه قد يكون كما نراه ونشهده وهذا هو الذى أعطى مشاهدة هذا المقام فهو يراه سمع غيره كما يراه سمع نفسه فالكرامة التى حصلت لهذا الشخص انما هى الكشف والاطلاع لأنه لم يكن الحق سمعه ثم كان الآن يتعالى الله عن العوارض الطارئة وهذه المسئلة من أعز المسائل الالهية فمن استصحب هذا الحكم فى الظاهر أجاز الصلاة كلها فرضها ونفلها داخل الكعبة فان كل ما سوى الله لا يمكنه الخروج عن قبضة الحق فهو موجدهم بل وجودهم ومنه استفادوا الوجود وليس الوجود خلاف الحق ولا خارجا عنه يعطيهم منه هذا المحال بل هو الوجود وبه ظهرت الاعيان يقول القائل بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتجزا وهو يسمع

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجيبه ذلك ويصدقه فى قوله فنحن به سبحانه وله كما ورد فى الخبر الصحيح فاذا نظرنا الى ذواتنا وامكاننا فقد خرجنا عنه وامكاننا يطلبنا بالنظر والافتقار اليه فانه الموجد اعياننا بجوده من وجوده وهو اعتبار قوله ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام فتفسيره من كل جهة خرجت مصليا فاستقبل المسجد الحرام وفى الاشارة من حيث خرجت الى الوجود أى من زمان خروجك من العدم الى الوجود وفى الاعتبار يقول بأى وجه خرجت من الحق الى امكانك ومشاهدة ذاتك فول وجهك شطر المسجد الحرام يقول فارجع بالنظر والاستقبال مفتقرا مضطرا الى ما منه خرجت فانه لا اين لك غيره فانظر فيه تجده محيطا بك مع كونه مستقبلك فقد جمع بين الاطلاق والتقييد فأنت تظن انك خرجت عنه وما استقبلت الا هو وهو من ورائك محيط وحيثما كنتم من الاسماء الالهية والاحوال فولوا وجوهكم ذواتكم شطره أى لا تعرضوا عنه ووجه الشئ عينه وذاته فان الاعراض عن الحق وقوع فى العدم وهو الشر الخالص كما ان الوجود هو الخير الخالص والحق هو الوجود والخلق هو العدم قال لبيد

* ألا كل شئ ما خلا الله باطل * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا القول انه أصدق بيت قالته العرب ولا شك ان الباطل عبارة عن العدم وأما حكم هذه الآية فى الظاهر ان صلاة الفرض تجوز داخل الكعبة اذ لم يرد نهى فى ذلك ولا منع وقد ورد وثبت حيثما أدركتك الصلاة فصل الا الاماكن التى خصصها الدليل الشرعى من ذلك لا لاعيانها وانما ذلك لوصف قام بها فيخرج بنصه ذلك القدر لذلك الوصف وقوله ومن حيث خرجت أى واذ خرجت من الكعبة أو من غيرها وأردت الصلاة فول وجهك شطرها أى لا تستقبل بوجهك فى صلاتك جهة أخرى لا تكون الكعبة فيها فقبلتك فيها ما استقبلت منها وكذلك اذا خرجت منها ما قبلتك الا ما يواجهك منها سواء أبصرتها أو غابت عن بصرك وليس فى وسعك ان تستقبل ذاتها كلها بذاتها لكبرها وصغر ذاتك جرما فالصلاة فى داخلها كالصلاة خارجا عنها ولا فرق فقد استقبلت منها وأنت فى داخلها ما استقبلت ولا تتعرض بالوهم لما استدبرت منها اذا كنت فيها فان الاستدبار

فى حكم الصلاة ما ورد وانما ورد الاستقبال وما نحن مع المكلف الا بحسب ما نطق به من الحكم فلا يقتضى عندنا الامر بالشئ النهى عن ضده فانه ما تعرض فى النطق لذلك فاذا تعرض ونطق به قبلنا مفاذا لم نعمل بما أمرك الله به فقد عصيته ولو كان الأمر بالشئ نهيا عن ضده لكان على الانسان خطيئتين أو خطايا كثيرة بقدر ما لذلك المأمور به من الاضداد وهذا لا قائل به فانما يؤاخذ الانسان بترك ما أمر بفعله أو فعل ما أمر بتركه لا غير فهو ذو وزر واحد وسيئة واحدة فلا يجزى الا مثلها وقد أخذت المسئلة حقها ظاهرا وباطنا حقا وخلقا شرعا واعتبارا والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿فصل بل وصل فى ستر العورة﴾

اتفق العلماء على ان ستر العورة فرض بلا خلاف وعلى الاطلاق أعنى فى الصلاة وفى غيرها وسأذكر حدها فى الرجل والمرأة اعتبار ذلك فى الباطن وجب على كل عاقل ستر السر الالهى الذى اذا كشفه أدّى كشفه من ليس بعالم ولا عاقل الى عدم احترام الجناب الالهى الاعز الاحمى فان حقيقة العورة الميل ولهذا قال من قال ان بيوتنا عورة أى مائلة تريد السقوط لما استنفروا فأكذبهم الله عند نبيه بقوله وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا يعنى بهذا القول مما دعوتهم اليه ومنه الاعور فان نظره مال الى جهة واحدة وكذلك ينبغى ان يستر العالم عن الجاهل أسرار الحق فى مثل قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وقوله ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقوله كنت سمعه وبصره ولسانه فان الجاهل اذا سمع ذلك أداه الى فهم محظور من حلول أو تحديد فينبغى أن يستر ما تعطف الحق به على قلوب العلماء ومال عزوجل سبحانه وتقدس بخطابه بما يقتضيه جلاله من الغنى على الاطلاق عن العالمين الى قوله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم جعت فلم تطعمنى مرضت فلم تعدنى ظمئت فلم تسقنى فليستر علم هذا عن الجاهل ولا يزيد على ما فسره به قائله سبحانه شيأ كما ستره الحق بقوله اما ان فلانا مرض فلو عدته لوجدتنى عنده وهذا أشكل من الاول لكنه أعطى فى هذا التفسير للعلماء بالله علما آخر به تعالى لم يكن عندهم وذلك انه فى الاول جعل نفسه سبحانه عين المريض والجائع وفى تفسيره تعالى جعل نفسه عائد المريض بكونه عنده فان من عاد مريضا فهو عنده وأين هذا من جعله نفسه عين المريض وكل قول من ذلك حق ولكل حق حقيقة وأما الستر الذى فى ذلك للعامى أن يقال له فى قوله لوجدتنى عنده ان حال المريض أبدا الافتقار والاضطرار الى من بيده الشفاء وليس الا الله فالغالب عليه ذكر الله مع الانات فى دفع ما نزل به بخلاف الاصحاء وهو سبحانه قد قال أنا جليس من ذكرنى وهذا وجه صحيح يقنع العامى به ويبقى العالم بما يعلمه من ذلك على علمه فهذا هو سر الميل الالهى عن نظر العامى

﴿فصل بل وصل فى ستر العورة فى الصلاة﴾

اختلف العلماء هل هى شرط فى صحة الصلاة أم لا فمن قائل ان ستر العورة من سنن الصلاة ومن قائل انها من فروض الصلاة وأما اعتبار ذلك فى النفس فقد أعلمناك ما مفهوم العورة آنفا وفى هذه المسئلة لما ثبت ان المصلى يناجى ربه وان الصلاة قد قسمها الله نصفين بينه وبين عبده فمن غلب أن الحق هو المصلى بأفعال عبده أعنى الافعال الظاهرة من العبد فى الصلاة كما ثبت ان الله قال على لسان عبده فى الصلاة سمع الله لمن حمده عند الرفع من الركوع والعبد هو القائل بلا شك وقال فأجره حتى يسمع كلام الله والرسول صلى الله عليه وسلم هو التالى بلا شك قال ان ستر العورة من فروض الصلاة أى مثل هذا لا يظهر فى العامة بل يريد معناه وسرّها الذى يعرفه العالم بل يؤمن به العامى كما جاء وما يعقلها الا العالمون ومن رأى أن لا مرتبة فى هذه المسئلة بين العالم والعامى وانه ما فيها الا ما ورد النص به ولو أدى عند السامع الى ما أداه اذا لم يخرج عن مقتضى اللسان فى ذلك وان تفاضلت درجاتهم كان ستر العورة عنده من سنن الصلاة لا من فروضها والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿فصل بل وصل فى حدّ العورة﴾

فمن قائل ان العورة فى الرجال هى السوءتان ومن قائل هى من الرجال من السرة الى الركبة وهى عندنا السوءتان فقط

الاعتبار في ذلك في النفس مايذم ويكره ويخبث من الانسان هو العورة على الحقيقة والسوءتان محل لما ذكرناه فهو بمنزلة الحرام وماعدا السوءتين مما يجاوزهما من السرة علوا ومن الركبة سفلا هو بمنزلة الشبهات فينبغي أن يتقى فان الراتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه

﴿فصل بل وصل في حد العورة من المرأة﴾

فمن قائل انها كلها عورة ماخلا الوجه والكفين ومن قائل بذلك وزاد أن قدميها ليستا بعورة ومن قائل انها كلها عورة وأما ههنا فليست العورة في المرأة أيضا الا السوءتين كما قال تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فسوى بين آدم وحواء في ستر السوأتين وهما العورتان وان أمرت المرأة بالسترة فهو مذهبنا لكن لا من كونها عورة وانما ذلك حكم مشروع ورد بالستر ولا يلزم ان يستر الشيء لكونه عورة اعتبار ذلك في النفس المرأة هي النفس والخواطر النفسية كلها عورة فمن استثنى الوجه والكفين والقدمين فلان الوجه محل العلم لان المسئلة اذا لم تعرف وجهها فاعلمها واذا استتر عنك وجه الشيء فما علمته وأنت مأمور بالعلم بالشيء فأنت مأمور بالكشف عن وجه ما أنت مامور بالعلم به فلا يستر الوجه من كونه عورة فانه ليس بعورة وأما اليدان وهما الكفان بهما محل الجود والعطاء وأنت مأمور بالسؤال فلا بد للمعطي أن يمد يده بما يعطي فلا يستر كفه فانه المالك النعمة التي تطلبها منه فلا بد أن تتناولها اذا جاد عليك بها والجود والكرم مأمور بهما شرعا وقد ورد أن اليد العليا خير من اليد السفلى فعم يد السائل والمعطي فلا بد للمعطي ان يناول وللسائل أن يتناول وأما القدمان فلا يجب سترهما وانهما ليستا بعورة لانهما الحاملتان للبدن كله ونقلاته من مكان الى مكان ومن كان حكمه التصريف فيتعذر ستره واحتجابه فلا بد ان يظهر ويبرز ضرورة فيبعد ان يكون عورة تستر

﴿فصل بل وصل في اللباس في الصلاة﴾

اتفق العلماء على انه يجزى الرجل من اللباس في الصلاة الثوب الواحد اعتباره في النفس الموحد في الصلاة هو الذي لا يرى نفسه فيها بل يرى ان الحق يقيمه ويقعده وهو كالميت بين يدي الغاسل فهذا معنى الثوب الواحد

﴿فصل بل وصل﴾

في الرجل يصلي مكشوف الظهر والبطن فذهب قوم الى جواز صلاته وذهب قوم الى انه لا تجوز صلاته اعتبار النفس في ذلك الظاهر والباطن وهو عمل القلب في الصلاة وعمل الجوارح فالرجل المصلي اذا انكشف له ظاهر أمره في صلاته وباطنه لم ير نفسه مصليا وانما رأى نفسه يصلى بها فهذا بمنزلة من قال بابطال صلاته فان صاحب هذا الكشف على هذا النظر بطلت اضافة الصلاة اليه مع وقوع الصلاة منه ومن حصل له هذا الكشف وقال لا يمكن ان يكون الامر الا هكذا وبهذا القدر من الفعل يسمى مصليا قال بجواز صلاته

﴿فصل بل وصل فيما يجزى المرأة من اللباس في الصلاة﴾

اتفق الجمهور على الدرع والخمار فان صلت مكشوفة فمن قائل تعيد في الوقت وبعده ومن قائل تعيد في الوقت وأما المرأة المملوكة فمن قائل انها تصلي مكشوفة الرأس والقدمين ومن قائل بوجوب تغطية رأسها ومن قائل باستحباب تغطية رأسها اعتبار النفس في ذلك لا فرق بين المملوكة والحرة فان الكل ملك لله فلا حرية عن الله فاذا أضيفت الحرية الى الخلق فهو خروجهم عن رق الغير لا عن رق الحق أي ليس لمخلوق على قلوبهم سبيل ولا حكم فهذا معنى الحرية في الطريق وقد تقدم الكلام في الثوب الواحد وبقي الاعتبار في تغطية الرأس هنا واعلم ان المرأة لما كانت في الاعتبار النفس والرأس من الرياسة والنفس تحب الظهور في العالم برياستها لحجابها عن رياسة سيدها عليها وطلب شفوفها على أمثالها ولهذا قيل آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة أمرت النفس ان تغطي رأسها أي تستر رياستها فانها في الصلاة بين يدي ربها ولا شك ان الرئيس بين يدي الملك في محل الافتقار فاذا خرج الى من هو دونه أظهر رياسته عليه فلهذا أمرت النفس المملوكة ان تغطي رأسها في الصلاة

﴿فصل بل وصل في لباس المحرم في الصلاة﴾

فمن قائل بجواز صلاته وهو مذهبنا وان كنت أكره له ذلك ومن قائل لا تجوز ومن قائل باستحباب الاعادة في الوقت وهو عندنا عاص بلباس ما لا يحل له وان جازت صلاته فانه عندنا من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا * اعتبار النفس في ذلك ما في كل موطن يرزق الانسان العصمة في أحواله والتوفيق في جميع أموره فهو فيما يوفق فيه موفق وفيما يخذل فيه مخذول في الوقت الواحد كالذاكر الله بقلبه ولسانه وهو يضرب بيده في تلك الحالة من يأثم بضربه ومن حرم عليه ضربه فلا يقدح ذلك في ذكره كما لا يرفع ذلك الذكر اثمه أو حكمه انه أتى حراما فان الذكر لا يحله وهذا عندنا تصح الصلاة في الدار المغصوبة فهو مأثوم من وجه مأجور من وجه

﴿فصل بل وصل في الطهارة من النجاسة في الصلاة﴾

فمن قائل انها من فروض الصلاة وأنها لا تصح الا بازالتها ومن قائل انها سنة وقد مضى الكلام فيها في الطهارة ومن قائل ان ازالة النجاسة فرض على الاطلاق ومن هذا مذهبه لا يلزم منه ان يقول ان ازالتها شرط في صحة الصلاة بل يكون مصليا صحيح الصلاة وعاصيا من حمله النجاسة في الصلاة * اعتبار ذلك في النفس النجاسة عند من يرى ازالتها فرضا تقتضي البعد عن الله والصلاة تقتضي بالقرب للمناجاة فمن غلب القرب على البعد أزال حكمها ومن غلب البعد على القرب لم تصح عنده الصلاة والاولى ان يقال ان العبد متنوع الاحوال وانه بكله لله وانه بما كان منه لله فان الله لا يظلم مثقال ذرة فصلاته مقبولة سواء صلى بالنجاسة أو لم يصل والاولى ازالتها بلا خلاف قل ذلك أو كثر ومنزلها ان الانسان لا يحضر مع الله في كل حال لما جبل عليه من الغفلة والضيق فاعلم ذلك و بالله التوفيق

﴿فصل بل وصل في المواضع التي يصلى فيها﴾

فمن الناس من ذهب الى اجازة الصلاة في كل موضع لا تكون فيه نجاسة ومنهم من استثنى من ذلك سبعة مواضع المزبلة والمجزرة والمقبرة وقارعة الطريق والحمام ومعاطن الابل وفوق ظهر الكعبة ومنهم من استثنى من ذلك المقبرة والحمام ومنهم من استثنى المقبرة فقط ومنهم من كره الصلاة في هذه المواضع المنهي عنها وان لم يبطلها * اعتبار النفس في ذلك قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم والمصلي يناجي ربه وقوله والذين هم على صلاتهم دائمون وقول عائشة رضي الله عنها في رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما علمت من أحواله انه كان صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وليس للاماكن أثر في حجاب القلب عن ربه الا لاصحاب الاحوال وانما الاثر في ذلك للغفلة أو للجهل في العموم أو للحال في أصحاب الاحوال وأما ذكر هذه الاماكن المنهي عنها فانها كلها تناقض الطهارة وقد تقدم الكلام في الطهارة من النجس واعتباره وما بقي من هذه السبعة الا الصلاة فوق ظهر البيت وذلك انك مأمور بالاستقبال اليه في الصلاة وأنت في هذه الحالة لا فيه ولا مستقبله فلم تصل الصلاة المشروعة فان شطر المسجد الحرام لا يواجهك ومن أجاز ذلك حمل في الاعتبار الوجه على الذات ولا شك انك بذاتك شطر المسجد الحرام فانك على ظهره والارض كلها مسجد

﴿فصل بل وصل في البيع والكنائس﴾

اختلف الناس في البيع والكنائس أعني في الصلاة فيها فكرهها قوم وأجازها قوم وفرق قوم بين ان تكون فيها صور أم لا تكون * اعتبار النفس في ذلك هل يناجي الحق شخصان من مرتبة واحدة ذلك عندنا لا يصح للتوسع الالهي قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا تفسيرا واشارة فان صلينا في مثل هذه الاماكن فمن شرعنا لا من شرعهم فافهم والله الملهم

﴿فصل بل وصل في الصلاة على الطنافس وغير ذلك مما يقعد عليه﴾

اتفق العلماء على الصلاة على الارض واختلفوا في الصلاة على الطنفسة وغير ذلك مما يقعد عليه على الارض فالجمهور على اباحة السجود على الحصير وما يشبهه مما تنبته الارض والكراهة في السجود على غير ذلك * الاعتبار في النفس في ذلك لما قال الحق تعالى قسمت الصلاة بيني و بين عبدي بنصفين فأثبتك في الصلاة وما نفاك وله الوصف الاعلى الانزه ولك الوصف الانزل الادنى فكل نزول منك الى أرض عبوديتك أو لوازمها فانه قادح فيما أمرت بتعميمه فانه سماك

عبدا فى الصلاة والعبودة هى الذلة وقال تعالى فى وصف الارض انه جعلها الذلولا فنمشى فى منا كبها فهى تحت أقدامنا وهذا غاية الذلة من يكون يطؤها الذليل ولما كانت بهذه المنزلة من الذلة أمرنا ان نضع عليها أشرف ماعندنا فى ظاهرنا وهو الوجه وان نمرغه فى التراب فعل ذلك جبر الانكسار الارض بوطء الذليل عليها الذى هو العبد فاجتمع بالسجود وجه العبد ووجه الارض فانجبر كسرها فان الله عند المنكسرة قلوبهم فكان العبد فى ذلك المقام بتلك الحالة أقرب الى الله سبحانه من سائر أحوال الصلاة لانه سعى فى حق الغير لافى حق نفسه وهو جبر انكسار الارض من ذلتها تحت وطء الذليل لها فتنبه لما أشرت اليك فان الشرع ماترك شيأ الا وقد أشار اليه اعاء علمه من علمه وجهله من جهله ولهذا لم يعلم أسرار هذه الامور الا أهل الكشف والوجود فان جميع العالم يخاطبونهم ويعرفونهم بحقائقهم ولقد أخبرنى أبو العباس الحريرى بمصر سنة ثلاث وستمائة عن أبى عبد الله القرياقى أنه كان يمشى معه فى سويقة وردان وكان قد اشترى قصرية صغيرة لابن صغير كان عنده ليبول فيها فضمهم منزل والقصرية عنده جديدة ومعهم رجال صالحون فأرادوا أ كل شئ فطلبوا اداما يأتدمون به فاتفق رأيهم على أن يشتروا قطارة السكر فقالوا هذه القصرية مامسها قذر وهى جديدة على حالها فلؤها قطارة وقعدوا يأ كلون الى أن فرغوا وانصرف الناس ومشى صاحب القصرية بها معى أبى العباس قال أبو العباس فوالله لقد سمعت باذنى هذه وسمع معى الشيخ أبو عبد الله القرياقى القصرية وهى تقول بعد أن أ كل فى أولياء الله أ كون وعاء للقذر والله لا كان ذلك وانتفضت من يده وسقطت على الارض فتكسرت قال أبو العباس فأخذنا من كلامها حال فما قال لى ذلك قلت له انكم غبتم عن وجه موعظة القصرية ايا كم ليس الامر كما زعمتم وكم من قصرية أ كل فيها من هو خير منكم وبعد ذلك استعملت فى القذر وانما قالت لكم ياإخوانى لا ينبغى لكم بعد أن جعل الله قلوبكم أوعية لمعرفته وتجليه أن تجعلوها وعاء للاغيار وما نها كم الله أن تكون قلوبكم وعاء له ثم تكسرت أى هكذا فكونوا مع الله فقال لى ماجعلنا بالنا لما نبهتنا عليه

﴿فصل بل وصل فى اشتمال الصلاة على أقوال وأفعال﴾

أما الشروط المشترطة فى الصلاة فمنها أقوال ومنها أفعال أما الافعال فجميع الافعال المباحة التى ليست أفعال الصلاة الاقتل الحية والعقرب فى الصلاة فانهم اختلفوا فى ذلك واتفقوا على أن الفعل الخفيف لا يبطل الصلاة ٭ الاعتبار فى النفس فى ذلك عقرب الهوى وحية الشهوة تخطر للمناجى ربه فهل يقتلهما أو يصرفهما فى مصرفهما الذى عين لهما الشارع لما علم العارف ان قتلهما محال فيهوى ماعند الله بهواه ويشتهى دوام مناجاته بشهوته فيرى بأن لا يقتلهما من هذا مذهبه ويرى قتلهما من يرى انهما قد حالا بينه وبين مناجاته ربه وأما الاقوال فانها أيضا التى ليست من أقوال الصلاة فلم تختلف العلماء فى أنها تفسد الصلاة عمدا الا أن العلماء اختلفوا من ذلك فى موضعين الموضع الواحد اذا تكلم ساهيا والموضع الآخر اذا تكلم عامدا لاصلاح الصلاة ومن قائل وهو قول شاذ ان من تكلم فى الصلاة عامدا لاحياء نفس أو أمر كبير انه يبنى على ما مضى من صلاته ولا يفسدها ذلك وهو مذهب الاوزاعى ومن قائل ان الكلام عمدا لاصلاح الصلاة لا يفسدها ومن قائل ان الكلام يفسدها كيف كان الامع النسيان ومن قائل ان الكلام يفسدها مع النسيان ومع غير النسيان ٭ الاعتبار المصلى يناجى ربه فاذا ناجى غيره من أجله مازال من مناجاة ربه واذا ناجى غيره لامن أجل ربه فقد خرج عن صلاته والنسيان فى مناجاة الحق غير معتبر الامن غلب من أصحابنا على المناجى مشاهدة الحجاب فان الله لا يناجى عبده الامن وراء حجاب كما قال تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب وأقرب الحجب الصورة التى يقع فيها التجلى هذا أقرب الحجب فانه ماهو الصورة ولا غيرها فمن شغلته الصورة عن نسبة ماهو الصورة أو شغله ماهو الصورة عن نسبة هو الصورة فهو الناسى فى الحالتين فيكون حكمه فى الاعتبار كحكمه فى الظاهر من الخلاف الواقع بين العلماء فافهم

﴿فصل بل وصل فى النية فى الصلاة﴾

فمن قائل انها شرط فى صحة الصلاة بل قد اتفق العلماء عليها الامن شذ ٭ اعتبار النفس فى ذلك قد يقصد العبد مناجاة ربه

وقد يأتيه الامر بغتة فان موسى مشى ليقبس نارا فكلمه ربه ولم يكن له قصد فى ذلك والاصل فى العبادات كلها انها من الله ابتداء لامقصودة للمكلفين الاماشذ من ذلك كآية الحجاب وغيرها فى حق عمر بن الخطاب وانما يمنع القصد فى الباطن المعتبر لان الحقيقة تعطى ان مائم شئ خارج عن الحق أو تخلى الحق عنه حتى يقصده فى أمر يكون فيه بل هو فى نسبة الكل اليه نسبة واحدة قال أين أقصد وهو معى حيث كنت وعلى أى حال كنت فما بقى القصد جهة القربة الى الله وانما متعلق القصد حال مخصوص مع الله قصدته عن حال مخصوص مع الله خرجت منه به اليه والاحوال مختلفة فمن راعى اختلاف الاحوال قال بوجوب النية وعلى هذا النحو تنوّعت الشرائع وجاءت ومن راعى الحضور ولم ينظر الى الاحوال كان صاحب حال فلم يعرف النية فانه فى العين قال تعالى فى حق من هذا حاله من باب الاشارة لا التفسير فأين تذهبون ومثله انى معكما أسمع وأرى انتهى الجزء السابع والثلاثون

(بسم الله الرّحمن الرّحيم)

﴿فصل بل وصل فى نية الامام والمأموم﴾

اختلف علماء الشريعة فى نية الامام والمأموم هل من شرط نية المأموم أن توافق نية الامام فى الصلاة أعنى فى تعيين الصلاة وفى الوجوب فمن قائل انه يجب ومن قائل انه لايجب ولكل قائل حجة ليس هذا موضعها الاعتبار النفس فى ذلك الصحيح انه لايجب لانه أمر غيبي ولا يكون الائتمام الا بما يتعلق به الحس من سماع أو مشاهدة ولهذا فصل الشارع ما أجمله فى الائتمام فذكر الافعال المدركة بالحس بأى حس أدركها وما ذكر النية فانها من عمل القلب فانه تكليف مالا يوصل الى معرفته ومن علم ان الاتساع الالهى يحيل أن يكرر الحق التجلى لشخص أو يتجلى لشخصين فى صورة واحدة علم أن نية المأموم لا ترتبط بنية الامام الا فى الصلاة من كونها ذات أفعال ولكل امرئ ما نواه فان القصد بالتجلى الامتنان من المتجلى على المتجلى له والقصد من المتجلى له العلم والالتذاذ بذلك التجلى

﴿فصل بل وصل فى حكم الاحوال فى الصلاة﴾

اعلم ان الصلاة تشتمل على أقوال وأفعال ويكون حكمها بحسب الاحوال فان جميع العبادات تنبنى على الاحوال وهى المعتبرة للشارع فيكون الحكم يتوجه على المكلف من جهة الحال التى يكون عليها والاسماء تابعة للاحوال ولهذا يراعيها الشارع فى الحكم على المكلف قيل لمالك بن أنس ماتقول فى خنزير الماء فأفتى بتحريمه فقيل له أليس هو من سمك البحر فقال رضى الله عنه أنتم سميتموه خنزيرا مازادهم على ذلك كذلك الخمر المحرم شربها اذا تخللت زال عنها اسم الخمر لزوال الحال الذى أوجب له اسم الخمر فسمى خلا لحال آخر طرأ عليه والجوهر عين الجوهر فانتقل الحكم من التحريم الى الحل والظاهر والباطن فى هذا على السواء فى الحكم فان الاعتبار انما هو من الشرع لمن عقل عنه

﴿فصل بل وصل فى التكبير فى الصلاة﴾

اختلف علماء الشريعة فى التكبير فى الصلاة على ثلاثة مذاهب فمن ذاهب الى أنه كله واجب فى الصلاة ومن ذاهب الى أنه كله ليس بواجب نقيض الاول ومن ذاهب الى أنه ليس بواجب الا تكبيرة الاحرام فقط الاعتبار النفس فى ذلك تكبير الله واجب على كل حال ولكن من شرطه مشاهدة الانسان نفسه فان لم يشاهد الا الله ولم ير لغير الله عينا فلا يجب التكبير لانه مائم على من فان الله لايجب عليه شئ وأن التكبير لايعقل الا بوجود الاغيار أو تقدير وجود الاغيار ثم ان القائلين لا مشهود لهم الا الله شاهدا ومشهودا وشهادة وأعم من هذه الحالة فى الفناء مايكون فان شاهد ممن حيث أسماؤه الالهية الحسنى أوجب التكبير من حيث نسبها أى من نسب بعضها لبعض فان الاسم الحى له مهيمنية على جميع الاسماء والاسم العالم أعم فى التعلق من الاسم المريد والقادر فالتكبير لابد منه فان حقائق الاسماء تطلبه لتفاضلها وان نظر فى الاسماء الالهية من حيث ماتجتمع فيه وهو المسمى بها فانها موضوعة من المتكلم للدلالة على عين المسمى وان كان لها حقائق فى نفوسها انما يكون متعلقه التنزيه أو الاغيار لم ير التكبير ومن فرّق بين الصلاة وغيرها من العبادات رأى وجوب

تكبيرة الاحرام فقط ينبه بها نفسه انها ممنوعة محجور عليها التصرف فيما يخرجها عن هذه العبادة المختصة المسماة صلاة وقد انحصرت المذاهب في الاعتبار والحمد لله

﴿فصل بل وصل في لفظ التكبير في الصلاة﴾

اختلف علماء الشريعة في صفة لفظ التكبير في الصلاة فمن قائل لا يجزئ الا لفظة الله أكبر ومن قائل يجزئ بغير الصيغة ولكن فيه لا بد من حروف التكبير وهي الكاف والباء والراء ومن قائل يجوز التكبير على المعنى كالاجل والاعظم ومذهبنا في ذلك ان اتباع السنة أولى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صلوا كما رأيتموني أصلي وما نقل الينا قط الا هذا اللفظ الله أكبر تواتر ذلك عندنا والاعتبار في ذلك ما عين الشرع لفظا في عبادة الا لقية دون غيره من الالفاظ مما في معناه الا وقد أراد ما يمتاز به ذلك اللفظ من طريق المعنى عند العلماء بالله عما يقع فيه الاشتراك فالاولى بنا من اعانة الاقتداء ومراعاة المعنى الذي يقع به الامتياز علمنا ذلك المعنى أو جهلناه فان علمناه فوجب أن لا نعدل عنه وان لم نعلمه فنأتي به على علم الذي شرعه فيه ولا نتحكم بسياق لفظ آخر والله قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة فقال له قل رب زدني علما والعالم اذا كان حكيما لا يعدل الى أمر دون غيره مما يقارب معناه الا لخصوص وصف فيه تميز ذلك ولا يعدل عنه فعلا كان أو قولا فانه لا بد لمن يعدل عنه أن يحرم فائدة ذلك الاختصاص ويتصف بالمخالفة بلا شك

﴿فصل بل وصل في التوجيه في الصلاة﴾

فمن قائل بوجوبه ومن قائل بعدم وجوبه وصورته أن يقول بعد التكبير وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين الحديث ومن قائل له أن يسبح وان لم يقل هذا اللفظ بعينه ومن قائل يجمع بينهما بين التسبيح والتوجيه وأما الذي أذهب اليه فهو التوجيه في صلاة الليل في التهجد لا في الفرائض وأما في الفرائض فينبغي أن يقول بين التكبير والقراءة في نفسه لا يسمع غيره اذا كبر اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد هذا هو الذي اختاره وبه وردت السنة ومذهبنا الوقوف عندها والعمل بها وان لم نوجب ذلك اذ لم يوجبه الله ولكن الاتباع أولى *الاعتبار في ذلك عند أهل الله التوجيه في حال من حال الى حال من الله بالله الى الله مع الله في الله لله على الله من الله ابتداء بالله اعانة وتأييدا الى الله غاية وانتهاء مع الله صحبة ومراقبة في الله رغبة لله قربة من أجله على الله توكلا واعتمادا ثم يعتبر ألفاظ ما ورد في التوجيه وكذلك تعتبر ما ذكرناه من الدعاء بين التكبير والقراءة والماء الحياة فانه جعل من الماء كل شيء حي أي ما أحيي به قلبي بذكرك وجوارحي بطاعتك حتى لا تتصرف الا فيها فانها شاهدة مصدق يوم القيامة لمن تشهد عليه أوله كما ورد في القرآن العزيز من شهادة الجوارح واعتبر البرد من برد اليقين كبرد الانامل الوارد في الخبر الصحيح فحصل به من العلم علم يقين فيبرد به ما يجده العبد المطلق من حرارة الشوق الى المراتب العلى عند المسبح الاعلى من العلم بالله والثلج من ثلج القلب الذي هو سرور وربما أكرمه الله به من تجليه وشهوده

﴿فصل بل وصل في سكتات المصلي في الصلاة﴾

وهي بعد ما يكبر تكبيرة الاحرام وقبل الشروع في القراءة هذه السكتة الاولى وأما السكتة الثانية فعند الفراغ من قراءة الفاتحة وأما السكتة الثالثة فبعد الفراغ من القراءة وقبل الركوع سوى السكتات التي هي الوقوف على كل آية ليتراد اليه نفسه أو ليتدبر فيما قرأ وهذه السكتة الثالثة انما هي لمن يقرأ قرآنا سوى الفاتحة بعد الفاتحة فان اكتفى بالفاتحة فانهما الاسكتتان فاعلم *اعتبار أهل الله في ذلك من الناس من أنكر سكتات الامام ومنهم من استحبها ولا شك ان السكتات هي السنة فاما اعتبارها فالله يقول قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله كأنك تراه فالمصلي يتأهب لمناجاة ربه ويجعله نصب عينيه في قبلته وكذلك هو الامر في نفسه لكن من غير تحديد

ولا

ولا تشبيه بل كما يليق بجلاله فان المصلى يواجه ربه فى قبلته كذا ورد عن الصادق صلى الله عليه وسلم والمناجاة مفاعلة والمفاعلة فعل فاعلين فى بعض المواطن هذا منها فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين فالله عنده هذا القول من العبد سميع فينبغى للعبد اذا فرغ من الآية أن يلقى السمع وهو شهيد فيسكت حتى يرى مايقول له الحق جل جلاله فى ذلك أدبا مع الحق لا ينبغى له أن يداخله فى الكلام فان ذلك من الادب فى المحاورات والحق أحق أن يتأدب معه فيقول الله حمدنى عبدى فن عبيد الله من يسمع ذلك القول بسمعه فان لم تسمعه بسمعك فاسمعه ايمانا به فانه أخبر بذلك وهكذا يقول لك فى كل آية بحسب ماتقتضيه تلك الآية فمن الادب الاصغاء لما يقوله لقائل لك من تناجيه فاذا داخلته فى كلامه أى فى حال مايكلمك فقد أسأت الادب هذا عام فى كل متكلم مع من يكلمه فالأمر بين سامع ومتكلم لتحصيل الفائدة واعلم انه من لا أدب له لا تتخذه الملوك جليسا ولا سميرا ولا أنيسا

﴿فصل بل وصل فى البسملة فى افتتاح القراءة فى الصلاة﴾

اختلف علماء الشريعة فى قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى افتتاح القراءة فى الصلاة فمن قائل بالمنع سرا وجهرا الا فى أم القرآن ولا فى غيرها من السور وذلك فى المكتوبة وأجازها فى النافلة ومن قائل تقرأ مع أم القرآن فى كل ركعة سرا ومن قائل يقرأها ولا بد فى الجهر جهرا وفى السر سرا والذى أقول به أن التعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند افتتاح قراءة القرآن فى صلاة وفى غيرها فرض للأمر الالهى الوارد فى قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقراءة البسملة فى القراءة فى الصلاة فرضا كانت الصلاة أو نفلا فى الفاتحة والسورة أولى من تركها فان الفرض على المصلى أن يقرأ ماتيسر من القرآن وقد عين الله الذى أراد من القرآن فى الصلاة وهو الذى تيسر فقد عرف بعد ما نكر وذلك هو الفاتحة فان تيسر له قراءة البسملة قرأها وان لم تتيسر قراءتها فى الفاتحة وغيرها فلا حرج وأما الفاتحة فلا بد منها فى الصلاة وان لم يقرأ الفاتحة فما هى الصلاة التى قسمها الحق بينه و بين عبده والبسملة عندنا آية من القرآن حيثما وردت من القرآن وهى آية الا فى سورة النمل فى كتاب سليمان فانها جزء من آية ماهى آية كاملة والله أعلم * الاعتبار عند أهل الله فى ذلك فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه والقرآن كلام الله وقد ورد اذا استطعم الامام من خلفه فليطعمه فسماه طعاما فناسب الاكل فلهذا أتينا بآيات الاكل فى الاعتبار ومن قرأ القرآن معتقدا انه كلام الله فقد سمى الله متكلما وان كان هذا الاسم ماورد فافهم فهمنا الله واياك مواقع خطابه

﴿فصل بل وصل القراءة فى الصلاة ومايقرأ به من القرآن فيها﴾

من الناس من أوجب القراءة فى الصلاة وعليه الاكثر ومن الناس من لم يروجوب القراءة ومن الناس من أوجبها فى بعض الصلاة ولم يوجبها فى بعض والذى أذهب اليه وجوب قراءة فاتحة الكتاب فى الصلاة وان تركها لم تجز صلاته ثم اختلفوا أيضا فيما يقرأ به من القرآن فى الصلاة فمنهم من أوجب قراءة أم القرآن فى الصلاة ان حفظها وبه أقول وما عداها من القرآن مافيه توقيت ومن هؤلاء من أوجبها فى كل ركعة ومنهم من أوجبها فى أكثر الصلاة ومنهم من أوجبها فى نصف الصلاة ومنهم من أوجبها فى ركعة من الصلاة ومنهم من أوجب قراءة القرآن أى آية اتفقت ومن هؤلاء من حد ثلاث آيات من قصار الآى وآية واحدة من طوال الآى كآية الدين وهذا فى الركعتين الاوليين وأما فى الركعتين الأخريين فاستحب قوم التسبيح دون القراءة واتفق الجمهور وهم الاكثرون على استحباب القراءة فى الصلاة كلها وبه أقول * اعتبار أهل الله فى ذلك المصلى يناجى ربه والمناجاة كلام والقرآن كلام الله والعبد قاصر أن يعرف من نفسه ماينبغى أن يكلم به ربه فى وقت مناجاته التى دعاه اليها فى صلاته فعلمه ربه كيف يناجيه وبماذا يناجيه به لما قال قسمت الصلاة بينى و بين عبدى بنصفين ثم قال يقول العبد الحمد لله رب العالمين فهذا اخبار من الحق يتضمن تعليم العبد ما يناجيه به فيقول الله حمدنى عبدى الحديث فذكر فى حق المصلى اذا ناجاه أن يناجيه بغير كلامه ثم انه تعالى عين له من كلامه أم القرآن اذ كان لا ينبغى أن يناجى الا بكلامه و بالجامع من كلامه ولام هى الجامعة وهى أم

القرآن وبعد أن علمنا كيف نناجيه سبحانه وبماذا نناجيه فالعالم العاقل الاديب مع الله اذا دخل فى الصلاة أن
لايناجيه الابقراءة أم القرآن فكان هذا الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه عن ربه
تعالى مفسراً لما تيسر من القرآن واذا ورد أمر مجمل من الشارع ثم ذكر الشارع وجها خاصا مما يكون تفسيرا لذلك
المجمل كان الواجب عند الادباء من العلماء أن لايتعدوا فى تفسير ذلك المجمل ما فسر به قائله وهو الله تعالى وأن يقفوا
عنده وشرع المناجاة بالكلام الالهى فى حال القيام فى الصلاة خاصة دون غيره من الاحوال لوجود صفة القيومية من
كون العبد قائما فى الصلاة والله قائم على كل نفس بما كسبت وهنا علم كبير فى قيام العبد بكلام الرب وماله حديث الامع
ربه بكلام ربه مادام قائما فلمن يترجم وعمن يترجم ومن هو المترجم وما تكسب النفس التى هو قائم عليها ومن هو
العبد حتى يقول السيد جل جلاله يقول العبد كذا فيقول الله كذا لولا العناية الالهية والتفضل الربانى فان قيل قد فهمنا
ما أشرت به من صفة القيام والرفع من الركوع قيام ولا قراءة فيه قلنا الرفع من الركوع انما شرع للفصل بينه وبين
السجود فلا يسجد الامن قيام فلو سجد من ركوع لكان خضوعا من خضوع ولا يصح خضوع من خضوع لانه عين
الخروج عما يوصف بالدخول فيه فان التواضع لا يكون الامن رفعة فان المهين النفس اذا ظهر منه التواضع فيما يرى
فليس بتواضع وانما ذلك مهانة نفس فيكون لاخضوع مثل عدم العدم هو عين الوجود فلهذا فصل بين السجدتين
برفع ليفصل بين السجدتين حتى تميز كل واحدة منهما بالفاصل الذى فصل بينهما فيعلم ان ثم أمرا آخر وان اشتركتا فى
الصورة مثل قوله وأتوا به متشابها كما لاشك فى حقيقة كلمة لا اله الا الله من حيث ما هى لا اله الا الله وقد ظهرت بالصورة
فى ستة وثلاثين موضعا من القرآن ويعلم صاحب الذوق ان حكمها يختلف فى العلم باختلاف الموضع الذى ظهرت فيه
فان كنت تفهم كتشابه ركعات الصلاة فى الصورة ولكل ركعة طعم ومذاق ما هو للاخرى كانت ما كانت ولاشك
اذا فصل بين المثلين بالنقيض تميزا ومن الآداب مع الملوك اذا حيوا حيوا بالانحناء وهو الركوع أو بوضع الوجه على
الارض وهو السجود تعظيما لهم واذا توجهوا أو أثنى عليهم قام المثنى أو المكلم لهم بين أيديهم لايكلمهم جالسا ولا فى غير
حال من أحوال القيام هذا هو الادب المعروف ممن هو دون الملك مع الملك فكيف بمن هو عبد له لايقبل الحرية
وأما القرآن فلما كان المعقول فى اللسان المعروف من اطلاق هذا اللفظ الجامع والصلاة حالة يجتمع العبد فيها على سيده
كما هى حالة أيضا جامعة بين الله وبين عبده حيث قسمها الله بينه وبين عبده فى الصلاة وقعت المناسبة بين القرآن وبين
الصلاة فلم ينبغ أن يقرأ فيها بغير القرآن ولما كان القيام يشبه الالف من الحروف الرقمية وهو أصل الحروف اللفظية
وعنه ظهرت جميع الحروف بانقطاعه فى مخارجها من الصدر الى الشفتين فهو الجامع لاعيان الحروف وأعيان الحروف
مراتبه ومنازله فى خروجه وسفره من القلب الذى هو عالم الغيب الى الشهادة كان القيام جامعا لانواع الهيئات وأصولها
من ركوع وسجود وجلوس وان كان الجلوس له من وجه شبه بالقيام لانه نصف قيام فكانت قراءة القرآن من كونها
جمعا فى القيام أولى فان القيام هو الحركة المستقيمة والاستقامة هى المطلوبة من الله أن يوفق لها العبد فالعبد يقول
اهدنا الصراط المستقيم لكون الله تعالى قال له فاستقم كما أمرت فتعين بما ذكرناه فى مجموعه وجوب قراءة أم القرآن
فى الصلاة فى ركعة اذ كانت أول ما ينطلق عليه اسم صلاة شرعا وهى الوتر وقد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بواحدة
أو ترجيحها على غيرها من آى القرآن واذا كان المتعين على المصلى فى القيام قراءة أم القرآن اما بالوجوب واما
بالاولوية فلنبين فى ذلك صورة قراءة العلماء بالله لها فى مناجاتهم فى الصلاة ﴿وصل فى وصف هذا الحال﴾ اعلم أن
المصلى لما كان ثانيا كما قررناه فى الاشتقاق وان كونه ثانيا ليس بأمر حقيقى وانما كان ذلك بالاضافة الى شهادة
التوحيد فى الايمان فتلك تثنية الايمان أى ظهوره فى موطنين فى موطن الشهادة وموطن الصلاة كما ثلثه مع الزكاة
فما زاد وطلب اذ ذكر الله الزيادة فى الايمان فقال فزادتهم ايمانا وهو عين واحدة والكثرة انما هى فى ظهوره فى المواطن
كالواحد المظهر للاعداد المكثر لها وهو فى نفسه لايتكثر ألا تراه اذا خلت مرتبة عنه لم يبق لتلك المرتبة حكم ولا عين وفى
معنى هذا يقول الله فيمن قال نؤمن ببعض ونكفر ببعض أولئك هم الكافرون حقا فنفى عنهم الايمان كله اذ نقوه من

مرتبة واحدة فهم أولى باسم الكفر الذي هو الستر فان الكافر الاصلي هو الذي استتر عنه الحق وهذا عرف الايمان وستره فانه قال نؤمن ببعض فهو أولى باسم الكفر من الذي لم يعرفه ولما لم تكن أوّلية الحق تقبل الثاني قال الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فذكر نفسه وذكر العبد وما ذكر الاوّلية هنا لا له ولا لعبده بل ذكر البين له بالضمير ولعبده بالصريح وهو الحدّ الذي ينبغي أن يتميز به العبد من ربه الا انه تعالى قدّم نفسه في البينية فقال بيني ثم أخر عن هذا التقدم بينية عبده فقال وبين عبدي فأضافه اليه تعالى ليعرفه انه عبد له لا لهواه فانه القائل أفرأيت من اتخذ الهه هواه فكان عنده عبد الهواه وهو في نفس الامر عبد ربه سبحانه فالعبد ماله ارادة مع سيده بل هو بحكم ما يراد به فالحق سبحانه هو الواجب الوجود لذاته والعبد هو الذي منه استفاد الوجود فان أصله العدم فالحق يعطيه التقدّم في هذه المرتبة اذ البينية لا تعقل الا بين أمرين والامران هنا الرب والعبد ثم ان الحق جعل في مقابلة تقديم نفسه من قوله بيني تقديم العبد في القول على قول الحق فقال سبحانه يقول العبد الحمد لله رب العالمين فقدم قول العبد ثم قال فيقول الله فجاء بقوله بعد قول العبد وذلك ليتبين لنا ان له الامر من قبل في قوله بيني فقدّم ومن بعد في قوله فيقول الله فهو الاول الآخر فأثبت للعبد الاولية في القول ليعلم ان الاولية الالهية في قوله بيني لا تقتضي قبول الثاني فهذا الذي قد تخيل انه ثان قد رجع أولا في القول في المناجاة فمر فنالك ان المقصود التعريف بالمراتب لا التركيب المولد فانه لم يلد سبحانه في قوله وبين عبدي ولم يولد في قوله فيقول الله حمدني عبدي ولو ان العقل يدركه حقيقة بنظره ودليله ويعرف ذاته لكان مولدا عن عقله بنظره فلم يولد سبحانه للعقول كما لم يولد في الوجود ولم يلد بايجاده الخلق لان وجود الخلق لا مناسبة بينه وبين وجود الحق والمناسبة تعقل بين الوالد والولد اذ كل مقدمة لا تنتج غير مناسبها ولا مناسبة بين الله وبين خلقه الا افتقار الخلق اليه في ايجادهم وهو الغني عن العالمين فكما ثبت ان أولية الحق لا تقبل الثاني كذلك أولية العبد في القول لا يكون الحق ثانيا لها اذ ليست بأولية عدد اذ كان الذي في مقابلة العبد هو الحق فانه الذي يناجيه وما تعرض لذكر الغير فمن كان في صلاته يشهد الغير معرى عن شهود الحق فيه أو شهوده في الحق أو شهود صدوره عن الحق وهو قول أبي بكر الصديق ما رأيت شيأ الا رأيت الله قبله فما هو مصل من ليست حالته ما ذكرناه من أنواع المشاهدة واذا لم يكن مصليا لم يكن مناجيا والحق لا يناجي بالالفاظ في هذه الحالة وانما يناجي بالحضور معه فيكون القائل الحمد لله رب العالمين اذا لم يكن حاضرا مع الله لسان العبد لا عينه وحقيقته فيقول الحق عند ذلك حمدني لسان عبدي لا عبدي المفروضة عليه مناجاتي واذا حضر القائل في قوله يقول الله حمدني عبدي بجملته بما مضى بفضل الله فان العبد اذا حضر تضمن حضوره حضور اللسان وسائر الجوارح لان العين تجمعهم واذا لم يحضر عينه لم تقم عنه جارحة من جوارحه ولا عن غير نفسها ولما تقدم نداء الحق عبده في الاقامة حي على الصلاة فلهذا ابتدأ العبد بتكبيرة الاحرام فان بقي على احرامه الى آخر صلاته وصدق في انه أحرم ووفى وفى الله له فانه قال ليجزي الله الصادقين بصدقهم وقال أوفوا بعهدي أوف بعهدكم فانه لا مكره له وان لم يف العبد في صلاته باحرامه وأحضر أهله أو دكانه وما كان من أغراضه معه فأمره الى الله يفعل معه ما يقتضيه علمه فيه فقال العبد اقتداء في تكبيرة الاحرام الله أكبر لما خصص حالا من الاحوال سماها صلاة قال الله أكبر ان يتقيد بي حال من الاحوال بل هو في كل الاحوال لا بل هو كل الاحوال بل الاحوال كلها بيده لم يخرج عنه حال من الأحوال فكبره عن مثل هذا الحكم الوهم لا الحكم العقل فان للوهم حكما في الانسان كما للعقل حكما فيه وجعلها تكبيرة احرام أي تكبيرة منع يقول تكبير لا يشاركه في مثل هذا الكبرياء كون من الاكوان وعلى الحقيقة التي أخبرتنا بها كيف يشاركه من هو عينه اذ قال له انه سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله فالشيء لا يشارك نفسه فانه ما ثم الا واحد فهو المكبر والكبير وهو الكبرياء ليس غيره يتعالى ويتنزه ويتقدس أن يكون متكبرا بكبرياء ما هو عينه فاذا قام العارف بين يدي الله بهذه الصفة ولم يرفي وقوفه ولا في تكبيره غير ربه وأصغى الى نداء ربه اذ قال له حي على الصلاة في الاقامة أي اقبل على مناجاتي وقد قال له وثيابك فطهر فان المصلي في هذا المقام يخلع على الحق حلل الثناء يطلب بذلك البركة فيها فانه قد علم ان الله يرد عليه عمله كما يقول الشخص عندنا لأهل الدين البس لي هذا الثوب على طريق البركة ثم يخلعه اللابس عليه يقول الحق لما ذكرناه

أثنى على عبدى أى خلع على حلل الثناء والحق سبحانه على الحقيقة المثنى على نفسه بلسان عبده كما أخبرنا انه قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فانظر ما أشرف مرتبة المصلى كيف وصفه الحق بأنه يخلع حلل الثناء على سيده وأين المصلى الذى تكون هذه حالته هيهات بل الناس استنابوا ألسنتهم لسوء أدبهم وعدم علمهم بمن دعاهم وبما دعوا اليه من طلب الثناء فلم يجيبوا الابظواهرهم وراحوا بقلوبهم الى أغراضهم فهم المصلون الساهون فى صلاتهم لا عن صلاتهم للحالة الظاهرة من الاجابة لسانه ولكونهم أقاموا ظواهرهم نوابا عنهم بين يدى القبلة عن أمر الله فلما دعاهم الحق الى هذا المقام وجاء العالم بالله وكبر تكبيرة الاحرام كما ذكرناه ولم ير نفسه أهلا للمناجاة ربه الا بعد تجديد طهارة لقوله وثيابك فطهر والثوب فى الاعتبار القلب قال العربى • فسلى ثيابى من ثيابك تنسل • وقيل فى تفسير قوله وثيابك فطهر انه أمر بتقصير ثيابه يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه فى هذا المعنى

تقصيرك الثوب حقا • أنقى وأبقى وأتقى

ولا شك ان العبد فرض عليه رؤية تقصيره فى طاعة ربه فانه يقصر بذاته عما يجب لجلال ربه من التعظيم فهو تنبيه الهى على أن يطهر العبد قلبه اذ كان ثوب ربه الذى وسعه فى قوله وسعنى قلب عبدى فمثل هذا الثوب هو المأمور بتطهيره فى هذا المقام ثم ان العارف رأى ان طهر قلبه لمناجاة ربه اذا طهره بنفسه لا بربه زاده دنسا الى دنسه كمن يزيل النجاسة من ثوبه ببوله لكونه مائعا وأن التطهير المطلوب هنا انما هو البراءة من نفسه ورد الامر كله الى الله فان الله يقول واليه يرجع الامر كله فاعبده وهذا لا يصح له عندنا أن يناجيه فى الصلاة بغير كلامه لانه لا يليق أن يكون فى الصلاة شئ من كلام الناس وكذا ورد فى الخبر ان الصلاة لا يصح فيها شئ من كلام الناس انما هو التسبيح الحديث ثم يؤيد هذا القول بما أمر به حين نزل قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم قال صلى الله عليه وسلم لنا اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال صلى الله عليه وسلم لنا اجعلوها فى سجودكم ففهمنا القرآن فى أحوالنا من قيام وركوع وسجود فاذكره المصلى فى شئ من صلاته الا بما شرعه له على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفنا انه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وان لم نسم كل كلام الهى قرآنا مع علمنا انه كلام الله فالقرآن كلام الله وما كل كلام الله قرآن فالكل كلامه فلا نناجيه فى شئ من الصلاة الا بكلامه كذلك التطهير الذى أمر به سبحانه فى قوله وثيابك فطهر فيقول العارف فى صلاته بين تكبيرة الأحرام وقراءة فاتحة الكتاب امتثالا لهذا الامر اللهم باعد بينى و بين خطاياى وهى النجاسات المتعلقة بثوبه كما باعدت بين المشرق والمغرب والسبب فى ذلك ان العبد العالم اذا دعاه الحق الى مناجاته فقد خصه بمحل القربة منه فاذا أشهده خطاياه فى موطن القرب وهى فى ذاتها فى كل البعد من تلك المكانة كان العبد فى محل البعد عما طلب الحق منه من القرب فدعا الله قبل الشروع فى المناجاة ان يحول بينه و بين مشاهدة خطاياه أن تظهر له فى قلبه فى هذا الموطن الذى هو موطن القربة ولذلك قال بعضهم فى حد التوبة ان تنسى ذنبك فان ذكر الجفا فى موطن الصفا جفا وما رأيت فيمن رأيت أحدا تحقق بهذا المقام ذوقا الا بعض الملوك فى مقامه مع الخلق فلا بد أن يظهر له شئ من خطاياه بتخيل أو تذكر كما باعدت بين المشرق والمغرب وفى هذا التشبيه علم عزيز غزير ولكنه أراد هنا البعد بين الضدين اذ كان الضدان لا يجتمعان والعلم الذى نبهنا عليه مبطون فى هذين الضدين اذ يجتمعان فى حكم ما كالبياض والسواد يجتمعان فى اللون كالمحدث وغير المحدث فى الوصف بالوجوب فالمشرق وان بعد عن المغرب حسا فانه يشاهد كل واحد صاحبه على التقابل وهو بعد حسى بالموضعين و بعد معنوى بالشروق والغروب فان الغروب يضاد الشروق ومحل الشروق الذى هو المشرق بعيد جدا من محل الغروب الذى هو المغرب ولم يقل كما باعدت بين السواد والبياض فان اللونية تجمع بينهما فانظر ما أحكم هذا التعليم وما أحقه وأدقه وتأدب مع الله حيث طلب البعد من خطاياه وما طلب اسقاطها عنه حتى لا يكون فى ذلك الموطن فى حظ نفسه يسعى و يطلب فيكون بمنزلة من وجه الملك فيه ليدخل عليه فلما دخل عليه طلب منه ابتداء ما يصلح لنفسه فهذا سيئ الادب وانما ينبغى له أن يطلب من الحق ما يليق بما تطلبه تلك الحالة من التأهب لمناجاة سيده فطلب البعد من الخطايا ما طلب الاسقاط ﴿ وصل فيه ومنه ﴾ ثم قال اللهم نقنى من

خطاياي كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وذلك لما قال له عز وجل وثيابك فطهر فجاء في دعائه بلفظ الثوب اعلاما للحق لقوله حتى تعلم وهذا غاية الادب حيث يترك علمه لايمانه أي ما دعوتك الا بما أمرتني به ان أفعله من تطهير الثوب لمناجاتك فلتكن أنت يارب المتولي لذلك التطهير فانه لا حول لي ولا قوة الا بك وكل وصف لا يليق بجلالك فهو خطية من تخطيت وهو أن يتجاوز العبد حده فيخطو في غير محله ويجول في غير ميدانه فهو كالماشي في الارض المغصوبة فاذا اخطا العبد في غير ما أمره به سيده سمي مخطئا وخاطئا وسميت تلك الفعلة والحركة خطيئة فالعبد عبد والرب رب ﴿وصل لبقية الدعاء﴾ ثم يقول اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد أي تول أنت سبحانك غسل خطاياي فأضاف الغسل اليه يقول فانك قد شرعت لي ان أقول لا حول ولا قوة الا بالله وشرعت لي ان أقول اذا قلت اياك نعبد أقول واياك نستعين أي على عبادتك فان لم تتولني بقوتك ومعونتك فيما أمرتني به من تطهير ذاتي لمناجاتك فكيف أناجيك في حالة جعلتها دنسا وأنت القائل وجعلنا من الماء كل شيء حي فاغسل خطاياي بالماء أي أحي قلبي بأن تبدل سيآته حسنات بالتوبة والعمل الصالح فهذه الحياة هنا على هذا الحال بورود الماء على النجاسة والدنس تطهير أي ما كان دنسا صار نقيا وما كان نجسا صار طاهرا فان دنسه ونجاسته لم تكن لذاته وانما كان بحكم شرعي انفرد به هذا الموطن فلما اجتمع بالماء لورود الماء عليه كان للاجتماع حكم آخر سمي به نقاء وطهارة فعاد القبيح حسنا والسيئة حسنة فمثل هذا الفعل هو المطلوب لا ازالة العين بل ازالة الحكم فان العين موجودة في الجمع بينها وبين الماء وقوله والثلج يقال في الرجل اذا سر قلبه بأمر ثلج فؤاد الرجل أي هو في أمر يسر به فيقول يارب انك اذا فعلت مثل هذا الغسل سر قلبي حيث تطهر لما يرضيك بما يرضيك فينقلب غمه سرورا وقوله والبرد هو ما ينطفي من جمرة الاحتراق الذي قام بالقلب من كونه حين دعا ربه لمناجاته على حالة لا يصلح أن يقف بها بين يدي ربه فيحب ما يطفي تلك النار فجاء بلفظ البرد من البرد وفي رواية بالماء البارد فهو المستعمل في كلام العرب كذا رويناه عنهم قال شاعرهم

وعطل قلوصي في الركاب فانها ＊ ستبرد أكبادا وتبكي بواكيا

يقول ان من الناس من كان في نفسه من حياتي حرقة ونار حسد او عداوة اذا رأوا قلوصي معطلة عرفوا موتي فبرد عنهم ما كانوا يجدونه بحياتي من النار وأبكت أوليائي الذين كانوا يحبون حياتي فانتقلت صفات هؤلاء الى هؤلاء وهؤلاء الى هؤلاء كما انتقل ذل الاولياء وتعبهم ونصبهم ومكابدتهم وكدهم في الدنيا في طاعة ربهم الى الاشقياء من الجبابرة في النار وانتقل سرور الجبابرة وراحة أهل الثروة في الدنيا الى أهل السعادة أهل الجنة في الآخرة فالذي ذكره هذا الشاعر في شعره هي حالة كل موجود اذ كل موجود لا بد له من عدو وولي قال تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم فجعلهم أعداءه كما قال في جزائه اياهم ذلك جزاء أعداء الله فاذا كان لله أعداء فكيف بأجناس العالم وكذلك الولاية لله أولياء ولكل موجود فالعالم بالله المشغول به من يقول ما ثم الا الله وأنا فيفني الكل في جناب الحق وهو الاولى وهو الولي حقا اذ كانت هذه الحالة سارية حقا وخلقا فان الله عدو للكافرين كما هو ولي للمؤمنين فهم عبيده أعداؤه فكيف حال عبيده بعضهم مع بعض بما فيهم من التنافس والتحاسد فاذا سأل العارف من الله هذا التطهير بعد تكبيرة الاحرام عند ذلك يشرع في التوجيه ﴿وصل متمم لاكمل صلاة في التوجيه﴾ وانما ذكرنا هذا الان العالم بالله يعمد الى أكمل الصلوات عند الله في حالاتها من أقوال وأفعال وان لم يكن بطريق الوجوب ولكن أولياء الله أولى بصورة الكمال في العبادات لانهم يناجون من له الكمال المحقق بما يجب له فان ذلك واجب عليهم أوجبته معرفتهم وشهودهم ابتداء التوجيه فيقول العبد وجهت وجهي فاضاف العبد الوجه الى نفسه عن شرع ابداه فيه أدبا مع الله بحضوره مع الحق في انه لسانه الذي يتكلم به ودعاه الى هذه الاضافة قوله تعالى بيني و بين عبدي فأثبته وانما هو بالحقيقة مضاف الى سيده فان العبد الاديب العارف هو وجه سيده اذ لا ينبغي أن يضاف الى العبد شيء فهو المضاف ولا يضاف اليه فاذا أضاف السيد نفسه اليه فهو على جهة التشريف والتعريف مثل قوله والحكم ومثل ذلك وأضاف فعل التوجيه الى نفسه لعلمه ان الله قد أضاف العمل الى العبد فقال يقول العبد الحمد لله والقول عمل من الاعمال فالعالم لا يزال أبدا يجري مع الحق على

مقاصده كما قال خلق الانسان علمه البيان فعرفه بالمواطن وكيف يكون فيها اولو تركه مع نفسه لعاد الى العدم الذى خرج منه فأعطاه الوجود ولوازمه وظهر فيه سبحانه بنفسه بما أظهر من الافعال به وجعل للعبد أولا معلوما ووجودا وآخرا معلوما فى الوجود معقولا فى التقدير وظاهرا ما ظهر منه وباطنا بما خفى عنه منه فماحده بهذه الحدود وعراه عنها وقال له ما أنت هو بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن فأبقى العبد فى حال وجوده على إمكانه ما برح منه ولا يصح أن يبرح وأضاف الافعال اليه لحصول الطمأنينة بأن الدعوى لا تصح فيها فانه قال واليه يرجع الامر كله وقال أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون فلهذا أضاف العالم التوجيه الى نفسه ووجه الشئ ذاته وحقيقته أى نصبت ذاتى قائمة كما أمرتنى ثم قال للذى فطر السموات والارض وهو قوله ففتقناهما أى الذى ميز ظاهرى من باطنى وغيبى من شهادتى وفصل بين القوى الروحانية فى ذاتى كما فصل السموات بعضها من بعض فأوحى فى كل سماء بما جعل فى كل قوة من قوى سموائى وقوله والارض ففصل بين جوارحى فجعل للعين حكما وللاذن حكما ولسائر الجوارح حكما حكما وهو قوله وقدر فيها أقواتها وهو ما يتغذى به العقل الانسانى من العلوم التى تعطيه الحواس بما تركبه الفكر من ذلك لمعرفة الله ومعرفة ما أمر الله بالمعرفة به فهذا وما يناسبه ينظر العالم فى الله بالتوجيه بقوله فطر السموات والارض وهو بحر واسع لو شرعنا فيما يحصل للعارف فى نفسه الذى يوجب عليه أن يقول فطر السموات والارض ما وسعه كتاب ولكلت الالسن عن تعبير سماء واحدة منه ثم قال حنيفا أى مائلا والحنف الميل يقول مائلا الى جناب الحق من امكانى الى وجوب وجودى بربى فيصح لى التنزه عن العدم فأبقى فى الخير المحض فهذا معنى قوله حنيفا ثم قال وما أنا فى هذا الميل من المشركين يقول ما ملت بأمرى كما قال العبد الصالح وما فعلته عن أمرى وانما الحق علمنى كيف أتوجه اليه وبما ذا أتوجه اليه وبماذا أتوجه اليه وعلى أية حالة أكون فى التوجه اليه هذا كله لابد أن يعرفه العلماء بالله فى التوجيه وان لم يكونوا بهذه المثابة فما هم أهل توجيه وان أتوا بهذا اللفظ فنفى عن نفسه الشرك والعبد وان أضاف الفعل الى نفسه فما هو شريك فى الفعل وانما هو منفرد بما يصح أن يكون له منفردا من ذلك الفعل ويكون الحق منفردا بما يصح أن يكون به منفردا من ذلك الفعل فالعبد لا يشاركه سيده فى عبوديته فان السيد لا يكون عبدا والعبد لا يكون سيدا لمن هو له عبد من حيث ما هو عبد له ثم قال ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى فأضاف الكل الى نفسه فانه ما ظهرت هذه الافعال ولا يصح أن تظهر الا بوجوب العبد اذ يستحيل على الحق اضافة هذه الاشياء اليه بغير حكم الايجاد فتضاف الى الحق من حيث ايجاد أعيانها كما تضاف الى العبد من كونه محلا لظهور أعيانها فيه فهو المصلى كما ان المحرك هو المتحرك ما هو المحرك فهو المتحرك حقيقة ولا يصح أن يكون الحق هو المتحرك كما لا يصح أن يكون المتحرك هو المحرك لنفسه لكونه نراه ساكنا فاعلم ذلك حتى تعرف ما تضيفه الى نفسك مما لا يصح أن تضيفه الى ربك عقلا وتضيف الى ربك ما لا يصح أن تضيفه الى نفسك شرعا ونسكى هنا معناه عبادتى أى ان صلاتى وعبادتى يقول ذاتى ومحياى ومماتى أى وحالة حياتى وحالة موتى ثم قال لله رب العالمين أى لله أى ايجاد ذلك كله لله لا لى أى ظهور ذلك فى من أجل الله لا من أجل ما يعود على فى ذلك من الخير فان الله يقول وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فجعل العلة ترجع الى جنابه لا الى فلم يكن القصد الاول الخير لنا وانما كان الايثار فى ذلك لجناب الحق الذى ينبغى له الايثار فكان تعليما لنا من الحق وتنبيها وهو قول رابعة أليس هو أهلا للعبادة فالعالم من عبد الله وغير العالم يعبده لما يرجوه من الله من حظوظ نفسه فى تلك العبادة فلهذا شرع لنا أن نقول لله رب العالمين أى سيد العالمين ومالكهم ومصلحهم لما شرع لهم وبين حتى لا يتركهم فى حيرة كما قال تعالى فى معرض الامتنان على عبده ووجدك ضالا فهدى أى حائرا فبين لك طريق الهدى من طريق الضلالة فطريق الهدى هنا هو معرفة ما خلقك من أجله حتى تكون عبادتك على ذلك فتكون على بينة من ربك ثم قال لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين أى لا اله فى هذا الموضع مقصود بهذه العبادة الا الله الذى خلقنى من أجلها أى لا أشرك فيها نفسى بما يخطر له من الثواب الذى وعده الله لمن هذه صفته وقد ذهب بعضهم الى الحضور مع الثواب فى حال هذه العبادة وكفر من لم يقل به وهذا ليس بشئ وهو من أكابر المتكلمين

غير

غير أنه لم يكن من العلماء بالله من طريق الاذواق بل كان من أهل النظر الا كابر منهم ورد على العدوية فيما قالته ولا يعتبر عندنا ما يخالف فيه علماء الرسوم الا في نقل الاحكام المشروعة فان فيها يتساوى الجميع ويعتبر فيها المخالف بالقدح في الطريق الموصل أو في المفهوم باللسان العربي وأما في غير هذا فلا يعتبر الا مخالفة الجنس وهذا سار في كل صنف من العلماء بعلم خاص وقوله وبذلك أمرت يعود على الجملة كلها وعلى كل جزء جزء منها بحسب ما يليق بذلك الجزء فلا يحتاج الى ذكره مفصلا اذ قد حصل التنبيه على ما فيه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ثم قال وأنا من المسلمين أي من المنقادين لاوامره في قوله وبذلك أمرت ثم قال اللهم أنت الملك وذلك ان الله تعالى لما دعاه الى القيام بين يديه وذلك انه لا ينبغي أن يدعو الى هذه الصفة الا الملوك فخص هذا الاسم في التوجيه دون غيره ولهذا شرع التكتيف في الصلاة في حال الوقوف لانه موطن وقوف العبد بين يدي الملك ثم يقول بالوصف الاخص لا اله الا أنت ولم يقل لا ملك الا أنت أدبا مع الله فان الله قد أثبت الملوك في الارض في قوله وجعلكم ملوكا ونهى أن يكون في العالم اله سواه لا بالحقيقة ولا بحكم الجعل فقال العبد في التوجيه لا اله الا أنت ولو قال لا ملك الا أنت لكان نافيا لما أثبته الحق وما أثبته الحق لا يلحقه الانتفاء كما أنه اذا نفى شيأ لا يمكن اثباته أصلا فان كان لفظ هذا التوجيه نقلا عن الحق وهو من كلام الله فهو تصديق لما أثبته ونفاه وان كان من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فهو من مقام الادب مع الله حيث لم ينف ما أثبته الله وان كان لا ملك الا الله ولكن الله قد أثبت الملوك فهذا معنى لا اله الا أنت عقيب قوله أنت الملك فانه يظهر فيه عدم المناسبة فلما كانت الالوهية تتضمن الملك ولا يتضمن الملك الالوهية أتى بلفظ يدل معناه على وجود الملك الذي سماه وان لم يظهر له لفظ فالاله ملك وليس كل ملك الها ثم يقول أنت ربي وأنا عبدك فقدم ربه وأخر نفسه وأضافها الى ربه بحرف الخطاب لانه بين يديه وانظر ما في هذا الكلام من الادب يقول له أنت ربي وأنا عبدك الذي قسمت الصلاة بينك وبينه فمن حيث هذه العبودية الخاصة وقفت بين يديك وهي حالة مناجاة لا حالة أخرى فان أحوال العبد تتنوع بتنوع ما يدعوه السيد اليه وان كان عبدا في كل حالة ثم يقول ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا انه لا يغفر الذنوب الا أنت يقول في هذا الكلام لما قال قبل التوجيه ذلك الدعاء الذي قدمناه بعد التكبير من سؤاله البعد بينه وبين خطاياه يقول ظلمت نفسي بما كسبت من الخطايا واعترفت بين يديك بها فبسل مناجاتك فاغفر لي ذنوبي أي فاستر ذنوبي من أجلي انه لا يقدر على سترها الا أنت فلا تراني فتأتيني فأكون بها مذنبا ولا أراها فتحول لي فأتيها فأكون بها مذنبا وهو قوله باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب يقول اذا استرتها عني بهذا البعد لم نشهدها حتى أكون متفرغا للقبول ما دعوتني اليه فانك ان أشهدتني ذنوبي ولم تسترها عني منعني الحياء والدهش عند رؤيتها ان أعقل ما تريده مني مما دعوتني اليه فلم يذكر أيضا اسقاطها عني حتى لا يكون يسعى في حظ نفسه وان المطلوب سترها في تلك الحال ولهذا العالم بالله مع توبته لا يزال متى ذكر ذنبه أثرت في نفسه وحشة المخالفة وان لم يؤاخذ به فان الحال تعطى ذلك ثم يقول واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا أنت هو بمنزلة قوله في الدعاء اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد أي وفقني لاستعمال مكارم الاخلاق في هذا الموطن مما يستحق أن أعاملك بها من الادب في مناجاتك والاخذ عنك والفهم لما توردُه على في كلامك وفهم ما أناجيك به أنا من كلامك هذا كله من أحسن الاخلاق وفي أفعالي بهيآت وقوفي بين يديك ظاهرا وباطنا كما شرعت لي فلا يهدي لاحسن الاخلاق الا أنت أي أنت الموفق لهذه لا قوة لي على اتيان ذلك ولا تعيينه الا بقوتك وبتعريفك اذ هذا مما لا يدرك بالاجتهاد بل بما تشرعه وتبينه لما كان قدرك مجهولا وما ينبغي لجلالك غير معلوم ولا نقيس معاملتنا معك بمعاملة العبيد مع الملوك فانك قلت ليس كمثلك شئ فالادب الذي يخصنا في معاملتك ما نعلمه الا منك ثم قال واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا أنت ابتداء بالتعليم فنعرّفني ما لا ينبغي أن يعامل به جلالك وثانية أيضا بالاستعمال في ترك ما لا يحسن بقدرك اذ بيدك الامر كله فقد تعلم العبد ولا تستعمله فيما علمته فاصرف عني سيئ الاخلاق بالعلم والاستعمال ثم يقول لبيك وسعديك أي اجابة لك ومساعدة لما دعوتني اليه بقولك على لسان حاجب الباب حي على الصلاة ها أنا قد جئت

مجيبادعاءك لبيك ومساعدة لما تريده مني على نفسي بالقبول ثم يقول والخير كله بيديك لما كان هو الخير المحض فانه الوجود الخالص المحض الذي لم يكن عن عدم ولا امكان عدم ولا شبهة عدم كان الخير كله بيديه ثم يقول والشر ليس اليك يقول ولا يضاف الشر اليك والشر المحض هو العدم أي لا يضاف اليك عدم الخير ولا ينبغي لجلالك وأتى بالالف واللام لشمول أنواع الشر أي الشر المطلق والشر المقيد بالصور الخاصة هذا كله ليس اليك أي ما سميته شرا أو هو شر لا ينبغي أن يضاف اليك أدبا وحقيقة وأقوى ما يحتج به المخالف في هذه المسئلة قوله تعالى كذلك يضل الله من يشاء و يهدى من يشاء وقوله ومن يضلل الله فما له من هاد فاعلم ان مطلق الضلالة الحيرة والجهل بالامر و بطريق الحق المستقيم فقوله يضل الله من يشاء أي من عرفه بطريق الضلالة فانه يضل فيها ومن عرفه بطريق الهداية فانه يهتدى فيها مثل قوله في الهداية ليس كمثله شئ وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وما قدروا الله حق قدره ولم يكن له كفوا أحد فالعقل السليم يهتدى به عند ما يسمع مثل هذا من الحق ولذا قال ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقوله ومن أتاني يسعى أتيته هرولة وأمثال هذه فان العقل السليم يحار في مثل هذه الاخبار ويتيه فهذا معنى يضل أي يحير العقول بمثل هذه الخطابات الصادرة من الله على ألسنة الرسل الصادقة المجهولة الكيفية ولا يتمكن للعقل ان يهتدى الى ما قصده الحق بذلك مما لا يليق بالمفهوم ثم يرى العقل انه سبحانه ما خاطبنا الا لنفهم عنه والمفهوم من هذه الامور يستحيل عليه سبحانه من كل وجه يفهمه العبد بضرب من التشبيه المحدث أما من طريق المعنى المحدث أو من طريق الحس ولا يتمكن للعقل أن لا يقبل هذا الخطاب فيحار فثم حيرة يخرج عنها العبد و يتمكن له الخروج منها بالعناية الالهية وثم حيرة لا يتمكن له الخروج عنها بمجرد ما أعطى الله للعقل من أقسام القوة التي أيده الله بها فيحار الدال في المدلول لعزة الدليل ثم يجئ الشرع بعد هذا في أمور قد حكم العقل بدليله على احالتها فيثبت الشرع ألفاظا تدل على وجوب ما أحاله فيقبل ذلك ايمانا ولا يدرى ما هو فهذا هو الحائر المسمى ضالا وقد روى انه قال زدني فيك تحيرا أي أنزل الى نزولا يحيله العقل من جميع وجوهه ليعرف عجزه عن ادراك ما ينبغي لك ولجلالك من النعوت وأما الشقاء والسعادة المعبر بهما عن الامور التي تتألم بها النفوس وتتنعم فذلك مطلب عام للنفوس من حيث الحس والمحسوس وهذا الذي نحن بصدده أمر آخر يرجع الى معرفة الحقائق ثم يقول أنا بك واليك أي بك ابتداء لا بنفسي وهو قولنا ان الانسان موجود بغيره وقوله واليك أي واليك يرجع عين وجودي فما أنا هو أنت هو فانه ما استفدت منك الا الوجود وأنت عين الوجود وأنا على أصل ذاتي من العدم ما تغير على حكم ولا حال في امكاني لا أبرح ثم يقول تباركت أي البركة والزيادة لك لا لي يقول أنت الوجود لك ثم كسوتنيه ولم أكن فكانت البركة والزيادة في الوجود حيث ظهر بنسبتين فظهر بي وهو وجودك ونسب اليك وهو عينك ثم يقول وتعاليت أي فانك تتعالى ان تظهر بغيرك فلا يكون الوجود المنسوب اليك غيرهو يتك هذا معنى قوله تباركت وتعاليت ثم يقول أستغفرك وأتوب اليك يقول أطلب التستر منك في اتصافي بالوجود لئلا أغيب عن حقيقتي فأدعى الوجود وهو ليس أنا بل هو أنت وما أنا أنت فأنا أنا على ما أنا عليه لذاتي وأنت أنت على ما أنت عليه لذاتك ومتى فلك الظهور في بما وصفتني به من الوجود ومالي ظهور فيك بما أنا عليه في حقيقتي من الامكان ثم يقول وأتوب اليك أي وأرجع اليك من حيث ما وصفت به من الوجود اذ كنت أنت هو عين الوجود والموصوف به أنا فرجوعه اليك هو قولي وأتوب اليك وفرغ ما يقوله العبد من الدعاء والتوجيه بين التكبير والقراءة فلنشرع ان شاء الله تعالى في قراءة الفاتحة بلسان العلماء بالله في حال الصلاة لا في حال غيره

﴿وصل في اعتبار قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة﴾

اعلم ان العالم بالله اذا فرغ من الذي ذكرناه يشرع في القراءة على حد ما أمره الله به عند قراءة القرآن من التعوذ لكونه قارئا لا لكونه مصليا ولما أعلمتك ان الله يقول عند قراءة العبد القرآن كذا جوابا على حكم الآية التي يقرأها فينبغي للانسان اذا قرأ الآية ان يستحضر في نفسه ما تعطيه تلك الآية على قدر فهمه فان الجواب يكون مطابقا لما استحضره

من معانى تلك الآية ولهذا ورد فى الجواب أدنى مراتب العامة مجملا اذ العامى والعجمى الذى لا علم له بمعنى ما يقرأ يكون قول الله له ما ورد فى الخبر فان فصلت فى الاستحضار فصل الله لك الجواب فلا يفوتنك هذا القدر فى القراءة فان به تميز مراتب العلماء بالله والناس فى صلاتهم فاذا فرغ الانسان من التوجيه فليقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هذا نص القرآن وقد ورد فى السنة الصحيحة أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم قال تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فالعارف اذا تعوذ ينظر فى الحال الذى أوجب له التعوذ و ينظر فى حقيقة ما يتعوذ به و ينظر فى ما ينبغى ان يعاذ به فيتعوذ بحسب ذلك فمن غلب عليه فى حاله ان كل شئ يستعاذ منه بيد سيده وان كل ما يستعاذ به بيد سيده وانه فى نفسه عبد محل التصريف والتقليب فعاذ من سيده بسيده وهو قوله صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك منك وهذه استعاذة التوحيد فيستعيذ به من الاتحاد قال تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم وقال كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما قصمته ومن نزل عن هذه الدرجة فى الاستعاذة استعاذ مما لا يلائم مما يلائم فعلا كان أو صفة هذه قضية كلية والحال يعين القضايا والحكم يكون بحسبها ورد فى الخبر أعوذ برضاك من سخطك أى بما يرضيك مما يسخطك فقد خرج العبد هنا عن حظ نفسه باقامة حرمة محبوبه فهذا الله ثم الذى لنفسه من هذا الباب قوله و بمعافاتك من عقوبتك فهذا فى حظ نفسه وأى المرتبتين أعلى فى ذلك نظر فمن نظر الى ما يقتضيه جلال الله من انه لا يبلغ ممكن أى ليس فى حقيقة الممكن قبول ما ينبغى لجلال الله من التعظيم وان ذلك محال فى نفس الامر لم ير الا ان يكون فى حظ نفسه فان ذلك عائد عليه ومن نظر فى قوله الا ليعبدون قال ما يلزمنى من حق ربى الا ما تبلغه قوتى فانا لا أعمل الا فى حق ربى لا فى حق نفسى فشرع الشارع الاستعاذتين فى هذين الشخصين ومن رأى ان وجوده هو وجود ربه اذ لم يكن له من حيث هو وجود قال أعوذ بك منك وهى المرتبة الثالثة وثبت فى هذه المرتبة عين العبد فالقارئ للقرآن اذا تعوذ عند قراءة القرآن علمه المكاف وهو الله تعالى كيف يستعيذ وبمن يستعيذ ومما يستعيذ فقال له اذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فأعطاه الاسم الجامع وذكره القرآن وما خص آية من آية لذلك لم يخص اسما من اسم بل أتى بالاسم الله فالقارئ ينظر فى حقيقة ما يقرأ و ينظر فيما ينبغى أن يستعاذ منه فى تلك الآية فيذكره فى استعاذته و ينظر فيما ينبغى ان يستعاذ به من أسماء الله أى اسم كان فيعينه بالذكر فى استعاذته ولما كان قارئ القرآن جليس الله من كون القرآن ذكرا والذاكر جليس الله ثم زاد انه فى الصلاة حال مناجاة الله فهو أيضا فى حال قرب على قرب كنور على نور كان الاولى ان يستعيذ هنا بالله وتكون استعاذته من الشيطان لانه البعيد يقال بئر شطون اذا كانت بعيدة القعر والبعد يقابل القرب فتكون استعاذته فى حال قربه مما يبعده عن تلك الحالة فلم يكن أولى من اسم الشيطان ثم نعته بالرجيم وهو فعيل فأما بمعنى المفعول فيكون معناه من الشيطان المرجوم يعنى بالشهب وهى الانوار المحرقة قال تعالى وجعلناها يعنى الكواكب رجوما للشياطين والصلاة نور ورجمه الله بالانوار فكانت الصلاة مما تعطى بعد الشيطان من العبد قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بسبب ما وصفت به من الاحرام وان كان بمعنى الفاعل فهو لما يرجم به قلب العبد من الخواطر المذمومة واللمات السيئة والوسوسة ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام يصلى من الليل وكبر تكبيرة الاحرام قال الله أكبر كبيرا الله أكبر كبيرا الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وسبحان الله بكرة وأصيلا وسبحان الله بكرة وأصيلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال ابن عباس همزه ما يوسوسه فى الصلاة ونفثه الشعر ونفخه الذى يلقيه من الشبه فى الصلاة يعنى السهو ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم ان سجود السهو ترغيم للشيطان فوجب على المصلى أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم بخالص من قلبه يطلب بذلك عصمة ربه ولما لم يعرف المصلى بما يأتيه الشيطان من الخواطر السيئة فى صلاته والوسوسة لم يتمكن أن يعين له ما يدفعها به فجاء بالاسم الله الجامع لمعانى الاسماء اذ كان فى قوة هذا الاسم حقيقة كل اسم دافع فى مقابلة كل خاطر ينبغى أن يدفع فهكذا ينبغى للمصلى أن يكون حاله فى استعاذته ان وفقه الله ثم يقول بعد الاستعاذة بسم الله الرحمن الرحيم

فاذا قال ما يقول الله يذكرني عبدي فينبغي على هذا أن يكون العامل في بسم الله الرحمن الرحيم اذكر فتتعلق الباء بهذا الفعل ان صح هذا الخبر وان لم يصح فيكون الفعل اقرأ بسم الله فانه ظاهر في اقرأ باسم ربك هذا يتكلفه لقولهم انّ المصادر لا تعمل عمل الافعال الا اذا تقدمت واما اذا تأخرت فتضعف عن العمل وهذا عندنا غير مرضي في التعليل لانه تحكم من النحوي فان العرب لا تعقل ولا تعلل فيكون تعلق البسملة عندي بقوله الحمد لله بأسمائه فان الله لا يحمد الا بأسمائه غير ذلك لا يكون ولا ينبغي أن تتكلف في القرآن محذوفا الا لضرورة وما هنا ضرورة فان صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى ان العبد اذا قال بسم الله الرحمن الرحيم في مناجاته في الصلاة يقول الله يذكرني عبدي فلا نزاع هكذا روى هذا الخبر عبد الله بن زياد بن سمعان عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاث غير تمام فقيل لابي هريرة انا نكون وراء الامام فقال اقرأ بها في نفسك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل يقول عبدي اذا افتتح الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم فيذكرني عبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي وسيأتي الحديث مفصلا في كل كلمة ان شاء الله تعالى كما ذكرت ألفاظ التوجيه الى آخر الفاتحة وذكر مسلم هذا الحديث من حديث سفيان بن عيينة عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة ولم يذكر البسملة فيه فاذا قال العالم بالله بسم الله الرحمن الرحيم علق الباء بما في الحمد من معنى الفعل كما قلنا يقول لا يثنى على الله الا بأسمائه الحسنى فذكر من ذلك ثلاثة أسماء الاسم الله لكونه جامعا غير مشتق فينعت ولا ينعت به فانه للاسماء كالذات للصفات فذكره أولا من حيث انه دليل على الذات كالاسماء الاعلام كلها في اللسان وان لم يقو قوة الاعلام لانه وصف للمرتبة كاسم السلطان فلما لم يدل الا على الذات المجردة على الاطلاق من حيث ما هي لنفسها من غير نسب لم يتوهم في هذا الاسم اشتقاق وهذه اسميت بالبسملة وهو الاسم مع الله أي قولك بسم الله خاصة مثل العبدلة وهو قولك عبد الله وكذلك الحوقلة وهو الحول والقوة مع الله ثم قال ان العبد قال بعد بسم الله الرحمن الرحيم من حيث ما هو أعني الرحمن الرحيم من الاسماء المركبة كمثل بعلبك ورام هرمز فسماه به من حيث ما هو واسم له لا من حيث المرحومين ولا من حيث تعلق الرحمة بهم بل من حيث ما هي صفة له جل جلاله فانه ليس لغير الله ذكر في البسملة أصلا ومهما ورد اسم الهي لا يتقدمه كون يطلب الاسم ولا يتأخر كون يطلبه الاسم في الآية فان ذلك الاسم ينظر فيه العارف من حيث دلالته على الذات المسماة به لا من حيث الصفة المعقولة منه ولا من حيث الاشتقاق الذي يطلبه الكون بخلاف الاسم الالهي اذا ورد في أثر كون أو في أثره كون أو بين كونين فانه اذا ورد الكون في أثره فذلك الكون نتيجته وبه يتعلق واياه يطلب فانه صادر عنه اذا تدبرته وجدته مثل قوله الرحمن علم القرآن خلق الانسان واذا تقدم الكون وجاء الاسم الالهي في أثره فانه الاول والآخر كان على العكس من الاول مثل اتقوا الله وقوله ويعلمكم الله فأظهر التقوى ما يتقى منه وهو الاسم الله وفي الاول أظهر الاسم الالهي عين الانسان وكذلك ويعلمكم الله أظهر التعليم الاسم الالهي وهو الله فاذا وقع الكون بين اسمين الهيين كان الكون للاول بحكم النتيجة وللآخر بحكم المقدمة مثل وقوع العالمين بين الاسم الرب والرحمن في قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ومثل قوله واتقوا الله ويعلمكم الله فوقع ويعلمكم بين اسمين تقدمه الاسم الله وتأخر عنه الاسم الله بمعنيين مختلفين فأثر فيه الاسم الاول طلب التعليم وقبل التعليم بالاسم الثاني وكذلك اذا وقع الاسم الالهي بين اسم الهي يتقدمه وبين كون يتأخر عنه مثل الاسم الرب بين الله والعالمين في قوله الحمد لله رب العالمين في آخر الزمر أو بين كون يتقدمه واسم الهي يتأخر عنه مثل قوله العالمين الرحمن الرحيم ملك فالرحمن الرحيم تقدمه كلمة العالمين وتأخر عنه ملك يوم الدين فأظهر عين العالمين الرحمن الرحيم لافتقارهم الى الرحمتين الرحمة العامة والخاصة والواجبة والامتنانية وطلب الرحمن الرحيم ملك يوم الدين ليظهر من كونه ملكا سلطان الرحمن الرحيم فان الرحمة من جانب الملك هي رحمة عزة وامتنان مع استغناء بخلاف رحمة غير الملك كرحمة الام بولدها للشفقة الطبيعية فتندفع الام بالرحمة على ولدها ما تجده من الالم بسببه في نفسها فنفسها رحمته ولنفسها سعت

واحتجبت عن علم ذلك بولدها فالمنة لولدها عليها بالسببية لا لها وقعت الرحمة بالولد تبعا بخلاف رحمة الملك فانها عن عز وغنى عن هذا المرحوم الخاص من رعاياه وكذلك اذا وقع الاسم الالهي بين اسمين الهيين مثل قوله هو الله الخالق البارئ فوقع الاسم الخالق بين الاسم الله والاسم البارئ وكذلك الاسم البارئ بين الخالق والمصور وهذا كثير فالخالق صفة لله وموصوف للبارى فعلى هذا الاسلوب تجرى تلاوة العارفين فى الكتابين فى القرآن وكتاب العالم باسره فانه كتاب مسطور ورقه المنشور الذى هو فيه الوجود وكذلك تجرى أذكارهم وهكذا فى الاكوان اذا وقع كون بين كونين يكون للاول ابنا وللثانى بعده أبا فى الذى يفهم من ذلك كان ما كان فلهذا قال الله فى قول العبد بسم الله الرحمن الرحيم ذكرنى عبدى وما قيد هذا الذكر بشئ لاختلاف أحوال الذاكرين أعنى البواعث لذكرهم فذاكر تبعثه الرغبة وذاكر تبعثه الرهبة وذاكر يبعثه التعظيم والاجلال فأجاب الحق على أدنى مراتب العالم وهو الذى يتلو بلسانه ولا يفهم بقلبه لانه لم يتدبر ما قاله اذا كان التالى عالما باللسان ولا ماذكره فان تدبر تلاوته أو ذكره كانت اجابة الحق له بحسب ما حصل فى نفسه من العلم بما تلاه فتدبر ما نصصناه لك ثم قال قال الله تعالى فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين فى الصلاة يقول الله حمدنى عبدى فيقول العارف الحمد لله أى عواقب الثناء ترجع الى الله ومعنى عواقب الثناء أى كل ثناء يثنى به على كون من الاكوان دون الله فعاقبته ترجع الى الله بطريقين الطريق الواحدة الثناء على الكون انما هو بما يكون عليه ذلك الكون من الصفات المحمودة التى توجب الثناء عليه أو بما يكون منه من الآثار المحمودة التى هى نتائج عن الصفات المحمودة القائمة به وعلى أى وجه كان فان ذلك الثناء راجع الى الله اذ كان الله هو الموجد لتلك الصفات والآثار لا لذلك الكون فرجعت عاقبة الثناء الى الله والطريق الاخرى أن ينظر العارف فيرى ان وجود الممكنات المستفاد انما هو عين ظهور الحق فيها فهو متعلق الثناء لا الاكوان ثم انه ينظر فى موضع اللام من قوله لله فيرى ان الحامد عين المحمود لا غيره فهو الحامد المحمود وينفى الحمد عن الكون من كونه حامدا وينفى كون الكون محمودا فالكون من وجه محمود لا حامد ومن وجه لا حامد ولا محمود فأما كونه غير حامد فقد بيناه فان الحمد فعل والافعال لله وأما كونه غير محمود فانما يحمد المحمود بما هو له لا لغيره والكون لا شئ له فما هو محمود أصلا كما ورد فى مثل هذا المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبى زور فيحضر العارف فى قوله الحمد لله رب العالمين جميع ما ذكرناه وما يعطيه الاسم الرب من الثبات والاصلاح والتربية والملك والسيادة هذه الخمسة يطلبها الاسم الرب ويحضر ما يعطيه العالم من الدلالة عليه تعالى فلا يكون جواب الله فى قوله حمدنى عبدى الا من حمده بأدنى المراتب لانه لكرمه يعتبر الاضعف الذى لم يجعل الله له حظا فى العلم به تعالى رحمة به لعلمه ان العالم يعلم من سؤاله أو قراءته ما حضر معه فى تلك القراءة من المعانى فيجيبه الله على ما وقع له ويدخل فى اجمال ما خاطب به عبده العامى القليل العلم أو الاعجمى الذى لا علم له بمدلول ما يقرأه فافهم والله الملهم ثم قال عن الله يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله أثنى على عبدى يعنى بصفة الرحمة لاشتقاق هذين الاسمين منها ولم يقل فيها ذا العموم رحمته ولان العامى ما يعرف من رحمة الله به الا اذا أعطاه ما يلائم فى غرضه وان ضره أو ما يلائم طبعه ولو كان فيه شقاؤه والعارف ليس كذلك فان الرحمة الالهية قد تأتى الى العبد فى الصورة المكروهة كشرب الدواء الكريه الطعم والرائحة للمريض والشفاء فيه مبطون فاذا قال العارف الرحمن الرحيم أحضر فى نفسه مدلول هذا القول من حيث ما هو الحق موصوفا به ومن حيث ما يطلبه المرحوم لعلمه بذلك كله ويحضر فى قلبه أيضا عموم رحمته الواحدة المقسمة على خلقه فى الدار الدنيا انسهم وجنهم ومطيعهم وعاصيهم وكافرهم ومؤمنهم وقد شملت الجميع ورأى ان هذه الرحمة الواحدة لو لم تعط حقيقتها من الله أن يرزق بها عباده من جماد ونبات وحيوان وانس وجان ولم يحجبها عن كافر ومؤمن ومطيع وعاصى عرف ان ذاتها من كونها رحمة تقتضى ذلك ثم جاء الوحى من أثر هذه الرحمة الواحدة بأن هذه الرحمة الواحدة السارية فى العالم التى اقتضت حقيقتها أن تجعل الام تعطف على ولدها فى جميع الحيوان وهى واحدة من مائة رحمة وقد ادخر سبحانه لعباده فى الدار الآخرة تسعا وتسعين رحمة فاذا كان يوم القيامة ونفذ فى العالم حكمه وقضاؤه وقدره بهذه الرحمة الواحدة وفرغ الحساب ونزل الناس منازلهم من الدارين

أضاف سبحانه هذه الرحمة الى التسع والتسعين رحمة فكانت مائة فأرسلها على عباده مطلقة فى الدارين فسرت الرحمة فوسعت كل شئ فمنهم من وسعته بحكم الوجوب ومنهم من وسعته بحكم الامتنان فوسعت كل شئ فى موطنه وفى عين شيئيته فتنعم المحرور بالزمهرير والمقرور بالسعير ولوجاء لكل واحد من هذين حال الاعتدال لتعذب فاذا اطلع أهل الجنان على أهل النار زادهم نعيما الى نعيمهم فوزهم ولو اطلع أهل النار على أهل الجنان لتعذبوا بالاعتدال لما هم فيه من الانحراف ولهذا قابلهم بالنقيض من عموم المائة رحمة وقد كان الحكم فى الدنيا بالرحمة الدنيا ما قد علمتم وهى الآن أعنى فى الآخرة من جملة المائة فما ظنك وكفى فبمثل هذا النظر يقول العارف فى الصلاة الرحمن الرحيم ومن هنا يعرف ما يجيبه الحق به من هذا نظره ثم قال الله يقول العبد ملك يوم الدين يقول الله مجدنى عبدى وفى رواية فوّض الىّ عبدى هذا جواب عام ورد عام كما قررنا ما المراد به فاذا قال العارف ملك يوم الدين لم يقتصر على الدار الآخرة بيوم الدين ورأى انّ الرحمن الرحيم لا يفارقان ملك يوم الدين فانه صفة لهما فيكون الجزاء دنيا وآخرة وكذلك ظهر بما شرع من اقامة الحدود وظهور الفساد فى البرّ والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون وهذا هو عين الجزاء فيوم الدنيا أيضا يوم الجزاء والله ملك يوم الدين فيرى العارف ان الكفارات سارية فى الدنيا وان الانسان فى الدار الدنيا لا يسلم من أمر يضيق به صدره ويؤلمه حسا وعقلا حتى قرصة البرغوث والعثرة فالآلام محدودة موقتة ورحمة الله تعالى غير موقتة فانها وسعت كل شئ فمنها ما تنال وتحكم من طريق الامتنان وهو أصل الاخذ الامتنان ومنها ما يؤخذ من طريق الوجوب الالهىّ فى قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله فسأكتبها فالناس يأخذونها جزاء وبعض المخلوقات من المكلفين تنالهم امتنانا حيث كانوا فانهم فكل ألم فى الدنيا والآخرة فانه مكفر لامور فموقعت محدودة موقتة وهو جزاء لمن يتألم به من صغير وكبير بشرط تعقل التألم لا بطريق الاحساس بالتألم دون تعقله وهذا المدرك لا يدركه الا من كشف له فالرضيع لا يتعقل التألم مع الاحساس به الا أن أباه وأمه وأمثالهما من محبيه وغير محبيه يتألم ويتعقل التألم لما يرى فى الرضيع من الامراض النازلة به فيكون ذلك كفارة لمتعقل الألم فان زاد ذلك العاقل الترحم به كان مع التكفير عنه مأجورا اذ فى كل كبد رطبة أجر وكل كبد فانها رطبة لانها بيت الدم والدم حار رطب طبع الحياة وأمّا الصغير اذا تعقل التألم وطلب النفور عن الاسباب الموجبة للألم واجتنبها فان له كفارة فيها لما صدر منه مما آلم به غيره من حيوان أو شخص آخر من جنسه أو ابايه عما تدعوه اليه أمه أو أبوه أو سائل يسأله أمرا ما فأبى عليه فتألم السائل حيث لم يقض حاجته هذا الصغير فاذا تألم الصغير كان ذلك الألم القائم به جزاء مكفرا لما آلم به ذلك السائل باباته عما التمسه منه فى سؤاله أو كان قد أذى حيوانا من ضرب كلب بحجر أو قتل برغوث وقملة أو وطئ نملة برجله فقتلها أو كل ما جرى منه بقصد وبغير قصد وسرّ هذا الامر عجيب سار فى الموجودات حتى الانسان يتألم بوجود الغيم ويضيق صدره به فانه كفارة لامور أتاها قد نسيها أو يعلمها فهذا كله يراه أهل الكشف محققا فى قوله ملك يوم الدين فيقول الله فوّض الىّ عبدى أو مجدنى عبدى أو كلاهما الا أن التمجيد راجع الى جناب الحق من حيث ما تقتضيه ذاته ومن حيث ما تقتضى نسبة العالم اليه والتفويض من حيث ما تقتضى نسبة العالم اليه لا غير فانه وكيل لهم بالوكالة المفوّضة ففى حق قوم يقول مجدنى عبدى وفى المقصد وفى حق قوم يقول فوّض الىّ عبدى وفى المقصد أيضا فان العبد قد يجمع بين المقصدين فيجمع الله له فى الردين التمجيد والتفويض فهذا النصف كله مخلص لجناب الله ليس للعبد فيه اشتراك ثم قال الله يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله هذه بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل فهذه الاية تتضمن سائلا ومسؤلا مخاطبا وهو الكاف من اياك فيهما ونعبد ونستعين هما للعبد فانه العابد والمستعين فاذا قال العبد اياك وحد الحق بحرف الخطاب فجعله مواجها الا على جهة التحديد ولكن امتثالا لقول الشارع لمثل ذلك السائل فى معرض التعليم حين سأله عن الاحسان فقال له صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله كأنك تراه فلا بدّ أن تواجهه بحرف الخطاب وهو الكاف أو حرف التاء المنصوبة فى المذكر المخفوضة فى المؤنث فانى قد أنث الخطاب من حيث الذات وهذا مشهد خيالى فهو برزخى وجاءت هذه الآية برزخية وقع فيها الاشتراك بين الحق وبين عبده وما مضى من الفاتحة مخلص لله

وما

ومابقى منها مخلص للعبد وهذه التى نحن فيها مشتركة واغا وحده ولم يجمعه لان المعبود واحد وجمع نفسه بنون الجمع فى العبادة والعون المطلوب لان العابدين من العبد كثيرون وكل واحد من العابدين يطلب العون والمقصود بالعبادات واحد فعلى العين عبادة وعلى السمع والبصر واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب فلهذا قال نعبد ونستعين بالنون وان العالم اظر الى تفاصيل عالمه وان الصلاة قد عم حكمها جميع عالمه ظاهرا او باطنا لم ينفرد بذلك جزء عن آخر فانه يقف بكله ويركع بكله ويجلس بكله فجميع عالمه قد اجتمع على عبادة ربه وطلب المعونة منه على عبادته فجاء بنون الجماعة فى نعبد ونستعين فترجم اللسان عن الجماعة كما يتكلم الواحد عن الوفد بحضورهم بين يدى الملك فعلم العبد من الحق لما أنزل عليه هذه الآية بافراده نفسه أن لا يعبد الا اياه ولما قيد العبد بالنون أنه يريد منه أن يعبده بكله ظاهرا او باطنا من قوى وجوارح ويستعين على ذلك الحد ومتى لم يكن المصلى بهذه المثابة من جمع عالمه على عبادة ربه كان كاذبا فى قراءته اذا قال اياك نعبد واياك نستعين فان الله ينظر اليه فيراه متلفتا فى صلاته أو مشغولا بخاطره فى دكانه أو تجارته وهو مع هذا يقول نعبد ويكذب فيقول الله له كذبت فى كنايتك بجمعيتك على عبادتى ألم تلتفت ببصرك الى غير قبلتك ألم تصغ بسمعك الى حديث الحاضرين ألم تعقل بقلبك ما تحدثوا به فأين صدقك فى قولك نعبد بنون الجمع فيحضر العارف هذا كله فى خاطره فيستحيى أن يقول فى مناجاته فى صلاته اياك نعبد لئلا يقال له كذبت فلا بد أن يجتمع من هذه حالته على عبادة ربه حتى يقول له الحق صدقت اذا تلا فى جمعيتك على فى عبادتك اياى وطلب معونتى روينا فى هذا الباب على ما حدثنا به شيخنا المقرى أبو بكر محمد بن خلف بن صاف اللخمى عن بعض المعلمين من الصالحين ان شخصا صبيا صغيرا كان يقرأ عليه القرآن فرآه مصفر اللون فسأله عن حاله فقيل له انه يقوم الليل بالقرآن كله فقال له ياولدى أخبرت انك تقوم الليل بالقرآن كله فقال هو ما قيل لك فقال ياولدى اذا كان فى هذه الليلة فاحضرنى فى قبلتك واقرأ على القرآن فى صلاتك ولا تغفل عنى فقال الشاب نعم فلما أصبح قال له هل فعلت ما أمرتك به قال نعم يا أستاذ قال وهل ختمت القرآن البارحة قال لا ما قدرت على أكثر من نصف القرآن قال ياولدى هذا حسن اذا كان فى هذه الليلة فاجعل من شئت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامك الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم واقرأ عليه واحذر فانهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تزل فى تلاوتك فقال ان شاء الله يا أستاذ كذلك افعل فلما أصبح سأله الاستاذ عن ليلته فقال يا أستاذ ما قدرت على أكثر من ربع القرآن فقال ياولدى اتل هذه الليلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أنزل عليه القرآن واعرف بين يدى من تتلوه فقال نعم فلما أصبح قال يا أستاذ ما قدرت طول ليلتى على أكثر من جزء من القرآن أو ما يقاربه فقال ياولدى اذا كان هذه الليلة فلتكن تقرأ القرآن بين يدى جبريل الذى نزل به على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاحذر واعرف قدر من تقرأ عليه فلما أصبح قال يا أستاذ ما قدرت على أكثر من كذا وذكر آيات قليلة من القرآن قال ياولدى اذا كان هذه الليلة تب الى الله وتأهب واعلم أن المصلى يناجى ربه وانك واقف بين يديه تتلو عليه كلامه فانظر حظك من القرآن وحظه وتدبر ما تقرأه فليس المراد جمع الحروف ولا تأليفها ولا حكاية الاقوال وانما المراد بالقراءة التدبر لمعانى ما تتلوه فلا تكن جاهلا فلما أصبح انتظر الاستاذ الشاب فلم يجئ اليه فبعث من يسأل عن شأنه فقيل له انه أصبح مريضا يعاد فجاء اليه الاستاذ فلما أبصره الشاب بكى وقال يا أستاذ جزاك الله عنى خيرا ما عرفت أنى كاذب الا البارحة لما قمت فى مصلاى وأحضرت الحق تعالى وأنا بين يديه أتلو عليه كتابه فلما استفتحت الفاتحة ووصلت الى قوله اياك نعبد نظرت الى نفسى فلم أرها تصدق فى قولها فاستحييت أن أقول بين يديه اياك نعبد وهو يعلم أنى أكذب فى مقالتى فانى رأيت نفسى لاهية بخواطرها عن عبادته فبقيت أردد القراءة من أول الفاتحة الى قوله مالك يوم الدين ولا أقدر أن أقول اياك نعبد انه ما خلصت لى فبقيت أستحيى أن أكذب بين يديه تعالى فيمقتنى فما ركعت حتى طلع الفجر وقد رضت كبدى وما أنا الا راحل اليه على حالة لا أرضاها من نفسى فما انقضت ثالثة حتى مات الشاب فلما دفن أتى الاستاذ الى قبره فسأله عن حاله فسمع صوت الشاب من قبره وهو يقول له يا أستاذ

أناجي عند حق * لم يحاسبني بشي

قال فرجع الاستاذ الى بيته ولزم فراشه مريضا مما أثر فيه حال الفتى فلحق به فمن قرأ اياك نعبد على قراءة الشاب فقد قرأ ثم قال الله يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فيقول الله هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال العارف اهدنا احضر الاسم الالهي "الهادي" وسأله أن يهديه الصراط المستقيم أن يبينه له و يوفقه الى المشي عليه وهو صراط التوحيدين توحيد الذات وتوحيد المرتبة وهي الالوهية بلوازمها من الاحكام المشروعة التي هي حق الاسلام في قوله صلى الله عليه وسلم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله فيحضر في نفسه الصراط المستقيم الذي هو عليه الرب من حيث ما يقود الماشي عليه الى سعادته أخبر الله تعالى عن هود أنه قال ان ربي على صراط مستقيم فان العارف اذا مشى على ذلك الصراط الذي عليه الرب تعالى على شهود منه كان الحق امامه وكان العبد تابعا للحق على ذلك الصراط مجبورا وكيف لا يكون تابعا مجبورا وناصيته بيد ربه يجرّه اليه فان الله يقول ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فدخل في حكم هذه الآية جميع ما دب علوا وسفلا دخول ذلة وعبودية والناس في ذلك بين مكاشف يرى اليد في الناصية أومؤمن فكل دابة دخلت عموما ما عدا الانس والجن فانه ما دخل من الثقلين الا الصالحون منهم خاصة ولو دخل جميع الثقلين لكان جميعهم على طريق مستقيم صراط الله من كونه ربا يقول تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده وقال في حق الثقلين خاصة على طريق الوعيد والتخويف حيث لم يجعلوا نواصيهم بيده وهو أن يتركوا ارادتهم لارادته فيما أمر به ونهى سنفرغ لكم أيها الثقلان ولهذا قال صراط الذين أنعمت عليهم يريد الذين وفقهم الله وهم العالمون كلهم أجمعهم والصالحون من الانس مثل الرسل والانبياء والاولياء وصالحي المؤمنين ومن الجان كذلك فلم يجعل الصراط المستقيم الا لمن أنعم الله عليه من نبي وصديق وشهيد وصالح وكل دابة هو آخذ بناصيتها فاذا حضر العارف في هذه القراءة جعل ناصيته بيد ربه في غيب هويته ومن شذ شذ الى النار وهم الذين استثنى الله تعالى بقوله غير المغضوب عليهم أي الا من غضب الله عليهم لما دعاهم بقوله حيّ على الصلاة فلم يجيبوا ولا الضالين فاستثنى بالعطف من حاروهم أحسن حالا من المغضوب عليهم فمن لم يعرف ربه انه ربه وأشرك معه في الوهيته من لا يستحق ان يكون الها كان من المغضوب عليهم فاذا أحضر العبد مثل هذا وأشباهه في نفسه عند تلاوته قالت الملائكة آمين وقال باطن الانسان الذي هو روحه المشارك للملائكة في نشأتهم وطهارتهم آمين أي أمنا بالخير لما كان والتالي الداعي اللسان ثم يصغي الى قلبه فيسمع تلاوة روحه فاتحة الكتاب مطابقة لتلاوة لسانه فيقول اللسان مؤمنا على دعائه أي دعاء روحه بالتلاوة من قوله اهدنا فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة في الصفة موافقة طهارة وتقديس ذوات كرام بررة أجابه الحق عقيب قوله آمين باللسانين فان ارتقى يكون الحق لسانه الى تلاوة الحق كلامه فاذا قال آمين قالت الاسماء الالهية آمين والاسماء التي ظهرت من تخلق هذا العبد بها آمين فمن وافق تأمين أسمائه أسماء خالقه كان حقا كله فهذا قد أبنت لك أسلوب القراءة في الصلاة فاجر عليها على قدر اتساع باعك وسرعة حركتك وأنت أبصر فما منا الا من له مقام معلوم ومنا الصافون والمسبحون

﴿فصل بل وصل في قراءة القرآن في الركوع﴾

وأما قراءة القرآن في الركوع فمن قائل بالمنع ومن قائل بالجواز والذي اتفقوا عليه التسبيح في الركوع واختلفوا اهل فيه قول محدود أم لا فمن قائل لا حدّ في ذلك ومن قائل بالحدّ في ذلك وهو أن يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم ثلاثا وفي السجود سبحان ربي الاعلى ثلاثا والقائل بهذا منهم من يرى وجوبه وان الصلاة تبطل بتركه وأدناه ثلاث مرات ومنهم من لا يقول بوجوبه وهم عامة العلماء ومن قائل ينبغي للامام أن يقولها خمسا حتى يدرك من وراءه أن يقولها ثلاثا فأقول في باب الاسرار لما كان المصلي في وقوفه بين يدي ربه في الصلاة له نسبة الى القيومية ثم انتقل عنها الى حالة الركوع الذي هو الخضوع وكذلك السجود لم تنبغ أن تكون هذه الصفة لله فشرع النبي صلى الله عليه وسلم على ما فهم من كلام الله لما نزل عليه فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ثم نزل

قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم فاقترن بهما أمر الله بقوله سبح فأمر وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا بمكانهما من الصلاة يقول نزهوا عظمة ربكم عن الخضوع فان الخضوع انما هو لله لا بالله فانه يستحيل أن تقوم به صفة الخضوع وأضافه الى الاسم الرب لانه يستدعى المربوب وهو من الامهات الثلاث وهو اسم كثير الدور والظهور فى القرآن أكثر من باقى الاسماء فان امهات الاسماء فى القرآن ثلاثة الله والرحمن والرب ثم ان هذا الاسم لما تعلق التسبيح به لم يتعلق به مطلقا من حيث ما يستحقه لنفسه وانما تعلق به مضافا الى نفس المسبح فقال سبحان ربى العظيم وانما تعلق به مضافا فى حق كل مسبح لان العلم به من كل عالم يتفاضل فيعتقد فيه شخص خلاف ما يعتقد فيه غيره فكل شخص يسبح ربه الذى اعتقده ربا وكم شخص ما يعتقد فى الرب ما يعتقده غيره ويرى ان ذلك المعتقد الآخر فيما نسبه الى ربه مما يستحيل عنده هذا أن تكون له تلك الصفة ويكفر من أجلها فلو سبحه مطلقا باعتقاد كل معتقد لسبح هذا الشخص من لا يعتقد انه يتنزه فلهذا أضافه كل مسبح لما يقتضيه اعتقاده وحظ العارف أن يسبحه بلسان كل مسبح وينظر فى عظمة الله وتنزيهها عن قيام الخضوع بها وعلوّه عن السجود فانّ العبد فى سجوده يطلب أصل نشأة هيكله وهو الماء والتراب ويطلب بقيامه أصل روحه فان الله يقول فيهم وأنتم الاعلون وصارت حالة الركوع برزخا متوسطا بين القيام والسجود بمنزلة الوجود المستفاد للممكن برزخا بين الواجب الوجود لنفسه وبين الممكن لنفسه فالممكن عدم لنفسه فان العدم لا يستفاد فانه مأمن يفيه والواجب الوجود وجوده لنفسه وظهرت حالة برزخية وهى وجود العبد بمنزلة الركوع فلا يقال فى هذا الوجود المستفاد هو عين الممكن ولا هو غير الممكن ولا يقال فيه هو عين الحق ولا هو غير الحق فله نسبتان يعرفهما العارف فيخطر للعارف فى حال الركوع الحال البرزخى الفاصل بين الامرين وهو المعنى المعقول الذى به يتميز الرب من العبد وهو أيضا المعنى المعقول الذى به يتصف العبد بأوصاف الرب ويتصف الرب بأوصاف المربوب لا بالصفات فانه وصف لا صفة وانما قلنا وصف لا صفة فان الصفة يعقل منها أمر زائد وعين زائدة على عين الموصوف والوصف قد يكون عين الموصوف بنسبة خاصة ما لها عين موجودة فافهم

﴿فصل بل وصل فى الدعاء فى الركوع﴾

اختلفوا فى الدعاء فى الركوع بعد اتفاقهم على جواز الثناء على الله فيه ووجوبه فى مذهب من يراه شرطا فى صحة الصلاة فنهم من كره الدعاء فى الركوع ومنهم من أجازه وبه أقول واختلفوا فى الدعاء فى الصلاة فنهم من قال لا يجوز أن يدعى فى الصلاة بغير ألفاظ القرآن ومنهم من أجاز ذلك فأقول لما كانت الصلاة معناها الدعاء صح أن يكون الدعاء جزأ من أجزائها ويكون من باب تسمية الكل باسم الجزء وأما من يكره الدعاء فى الركوع فان الحالة البرزخية لها وجهان وجه الى الحق ووجه الى الخلق فن كان مشهده من الركوع الوجه الذى يطلب الحق كره الدعاء فى الركوع ولم يحرّمه لان صفة القيومية قد يتصف بها الكون قال تعالى الرجال قوّامون على النساء ومن رجح الوجه الذى يطلب الخلق من الركوع قال يجوز الدعاء فى الركوع وبه جاءت السنة وهو مذهب البخارى رحمه الله وكذلك من رجح أن لا يدعى فى الصلاة بغير ألفاظ القرآن فانه نظر الى أن الله تعالى قد شرع الادعية فى القرآن فالعدول عنها الى ألفاظ من كلام الناس من مخالفة النفس التى جبلت عليها حتى لا توافق ربها وهو الادب الصحيح فانى كالم أناجه فى الصلاة الا بكلامه كذلك لا أدعوه الا بما أنزل علينا وشرعه لنا فى القرآن أو فى السنة مما شرع أن يقال فى الصلاة ومن أطلق الدعاء فى الصلاة بأى نوع كان غلب على قلبه انه ما ثم الا الله ولا متكلم الا الله اما بفعله كما ورد أن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده يعنى فى الصلاة أو أمر آخر

﴿فصل بل وصل فى التشهد فى الصلاة﴾

اختلف العلماء فى وجوب التشهد فى الصلاة والمختار منه فن قائل بوجوبه ومن قائل لا يجب فأقول لما كان التشهد على الحقيقة معناه الاستحضار فانه تفعل من الشهود وهو الحضور والانسان مأمور بالحضور فى صلاته فلا بد من التشهد وهو الاولى والاوجه ولما كان الشاهد مخاطبا بالعلم بما يشهد به بخلاف الحاكم لم يصح الحضور ولا الاستحضار من غير

علم المتشهد بمن يريد شهوده فلا يحضر معه من الحق الا قدر ما يعلمه منه وما خوطب بأكثر من ذلك واختلفت مقالات الناس في الاله واذا اختلفت المقالات فلابد للعاقل اذا انفرد في علمه بربه أن يكون على مقالة من هذه المقالات التي أنتجها النظر وهي مختلفة فالسليم العقل من يترك ما أعطاه نظره في الله ونظر غيره من أصحاب المقالات بالنظر الفكري ويرجع الى ما قالته الانبياء عليهم السلام وما نطق به القرآن فيعتقده ويحضر معه في صلاته وفي حركاته وسكناته فهو أولى به من أن يحضر مع الله تعالى بفكره وقد يطرأ لبعض الناس في هذا غلط وذلك انه يرى ان الانسان ما يثبت عنده الشرع الاحتى يثبت عنده بالعقل وجود الاله وتوحيده وامكان بعثة الرسل وتشريع الشرائع فيرجح بهذا أن يحضر مع الحق في صلاته بهذا العلم وليس الامر كذلك فانه وان كان نظره هو الصحيح في اثبات وجود الحق وتوحيده وامكان التشريع وتصديق الشارع بالدلالات التي أتى بها فيعلم ان الشارع قد وصف لنا نفسه بأمور لو وقفنا مع العقل دونه ما قبلناها ثم انا رأينا ان تلك الاوصاف التي جاءت من الشارع في حق الله ومعرفته تطلبها أفعال العبادات وهي أقرب مناسبة اليها من المعرفة التي تعطيها الادلة النظرية التي تستقل بها فرأينا أن نحضر مع الحق في تشهدنا وصلاتنا بالمعرفة الالهية التي استفدناها من الشارع في القرآن والسنة المتواترة أولى من الحضور معه بمقالات العقول ثم ننظر فيما ورد من التشهد في الصلاة حتى نجري على ذلك الاسلوب كما فعلنا في التوجيه والقراءة وما يقال في الركوع والسجود انتهى الجزء الثامن والثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فنقول من ذلك ﴿تشهد عمر رضي الله عنه﴾ وهو التحيات لله الزاكيات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله أخذت به طائفة ﴿وأما تشهد عبد الله بن مسعود﴾ وهو التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أخذ به الاكثر من الناس لثبوت نقله (وأما تشهد ابن عباس) وهو التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أخذت به طائفة وكلها أحاديث مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالعارف اذا تشهد بهذا التشهد فاما أن يكون في حال قبض وهيبة وجلال عن اسم الهي واما أن يكون في حال انس وجمال وبسط عن اسم الهي واما أن يكون في حال مراقبة وحضور لموازنة ذاته بما كلفته من العبادات في الصلاة فيعمر كل قوة من قوى نفسه في صلاته وكل جارحة من جوارح جسمه في صلاته بما يليق بها مما طلبه الحق منه من الهيآت أن يكون عليها في صلاته بالنظر الى كل جارحة وقوة فيعمرها سواء كان في حال هيبة أو انس وهو أكمل الاحوال فانحصر الامر في ثلاثة مقامات مقام جلال ومقام جمال ومقام كمال فيتشهد بلسان الكمال وهو الاول للسالك فيقول التحيات لله أي تحيات كل محي ومحي بها في جميع العالم والنسب الالهية كلها لله أي من أجل الله الاسم الجامع الذي يجمع حقائقها وذلك لان كل تحية في العالم انما هي مرتبطة بحقيقة الهية كانت ما كانت فمن لم يجمع الانسان بنيته وقلبه كما جمع بلفظة التحيات بقوته من الحقائق الالهية كلها الا الحقيقة الواحدة المشروعة له في تحيته من حيث ما هو مقيد بها من جهة شرعه خاصة لم يستبرئ لنفسه في كمال صلاته وقوله الزاكيات لله يقول التحيات المطهرات الناميات أي التي ينمى خيرها على قائلها من الحقائق الالهية التي أوجدت تلك التحيات بحسب ما تعطيه أسماؤها ثم يقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته بالالف واللام التي للجنس لا التي للعهد فيكون سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم مثل تحياته للشمول والعموم أي بكل سلام وهذا يؤذن بأن العبد قد انتقل من مشاهدة ربه من حيث الاطلاق أو أمر ما من الامور التي كان فيها في سجوده الى مشاهدة الحق في النبي صلى الله عليه وسلم فلما قدم عليه بالحضور سلم عليه مخاطبا مواجهة بالنبوة ثم يسلم

عليه

عليه بالرسالة فان النبوّة في حق ذات النبي أعمّ وأشرف فانه يدخل فيها ما اختص به في نفسه وما أمر بتبليغه لامته الذي هو منه رسول فعم وعرف ما ينبغي أن يخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الحضور وأيه به من غير حرف نداء يؤذن ببعد لما هو عليه من حال قربه ولهذا جاء بحرف الخطاب ثم عطف بعد السلام عليه بالرحمة الالهية لشمولها الامتنان والوجوب فاضافها الى الله لما رزقه صلى الله عليه وسلم من السلامة من كل ما يشنوه في مقامه ذلك وعطف بالبركات المضافة الى الهوية والبركات هي الزيادة وقد أمر أن يقول رب زدني علما فكأن هذا المصلي في هذه التحيات يقول له سلام عليك ورحمته تقتضي الزيادات عندك من العلم بالله الذي هو أشرف الحالات عند الله كما جاء بالزاكيات في التحيات فناسب بين الزكاة والبركة ولهذا جعل الله تعالى البركة في الزكاة التي هي الصدقات لارتباطها بها لان الصدقة اخراج ما كان في اليد وهي الزكاة ولا تبقى في الوجود خلاء فيعوّضه الله ويملأ يديه من الخير العلمي وغيره من الثواب المحسوس في دار الكرامة ما لا يقدر قدره في مقابلة ما أخرجه ثم يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فسلم على نفسه بشمول السلام وأجناسه كما سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يقول تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم والدخول في كل حال من أحوال الصلاة كالبيوت في الدار الجامعة تحية من عند الله مباركة طيبة فجعلك رسولا من عنده الى نفسك بهذه التحية المباركة لما فيها من زوائد الخير الطيبة فانها حصلت له ذوقا فاستطابها كما انها طيبة الاعراف بسير انها من نفس الرحمن وجاء بنون الجمع في قوله السلام علينا يؤذن انه مبلغ سلامه لكل جزء فيه مما هو مخاطب بعبادة خاصة وانما سلم عليهم لكونه جاء قادما من عند ربه لغيبته عن نفسه حين دعاه الحق الى مناجاته فكبر تكبيرة الاحرام فمنعته هذه الحالة أن ينظر الى غير من دعاه اليه فلهذا سلم على نفسه بنون الجماعة وذلك اذا كان هذا العبد قد دخل الى بيت قلبه ونزه الحق أن يكون حالا فيه وان وسعه كما قال الله لما يقتضيه جلال الله من عدم المناسبة بين ذاته تعالى وبين خلقه ورأى بيت قلبه خاليا من كل ما سوى الله والحق لا يسلم عليه فانه هو السلام وقد نهوا عن ذلك لانهم كانوا يقولون السلام على الله في التشهد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا السلام على الله فان الله هو السلام فلما دخل بيته ولم ير فيه أحدا ونزه الحق أن يحوي عليه بيت قلبه فما بقي له أن يشهد سوى عالمه المكلف وليس سوى نفسه وقد أمره الله اذا دخل بيتا خاليا من كل أحد أن يسلم على نفسه في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم فيكون العبد هنا مترجما عن الحق في سلامه لانه قال تحية من عند الله مباركة كما جاء في سمع الله لمن حمده فكذلك يقولها في الصلاة نيابة عن الحق جل جلاله وتقدست أسماؤه لانه ما ثم من حدث له حال دخول أو خروج فيكون السلام منه أو عليه فدل على انه تجل خاص ولا بد فافهم ان أردت أن تكون من أهل هذا المقام في الصلاة ثم عطف من غير اظهار لفظ السلام على عباد الله الصالحين فشمل بالالف واللام ليصيب سلامه كل عبد صالح لله في السموات والارض ولا ينوي من الصالحين ما هو المعهود في العرف ما ثم الا صالح فان الله يقول وان من شيء الا يسبح بحمده فكل شيء ينزه ربه فهو اذن صالح هذا من علوم الايمان والكشف فانو بالصالحين الذين استعملوا فيما صلحوا له وليس سوى التسبيح فان الله أخبر عنهم أنهم بهذه الصفة فلم يبق كافر ولا مؤمن الا وقد شملت تفاصيله هذه الآية ولكن أكثر الناس لا يعلمون لانهم لا يسمعون ولا يشهدون ولهذا لم يذكر لفظة السلام في هذا العطف واكتفى بالواو تنبيها فانه يدخل فيه من يستحق السلام عليه بطريق الوجوب ومن لا يستحق ذلك بطريق الوجوب فستر حتى لا يتميز المستحق من غير المستحق رحمة منه بعباده انه هو الغفور الرحيم ولم يعطف السلام الذي سلم به على نفسه على السلام الذي سلم به على النبي صلى الله عليه وسلم بل جعله مبتدأ فان النبوّة أعني نبوّة التشريع طور آخر متميز عن طور الاتباع فانه لو عطف عليه لفظ السلام على نفسه لسلم على نفسه أيضا من جهة النبوّة للواو الذي يعطي الاشتراك وباب النبوّة قد سدّ كما سدّ باب الرسالة وأعني نبوّة التشريع وما بقي بأيدينا الا الوراثة الى يوم القيامة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرسالة والنبوّة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبيّ فعين بهذا انه لا مناسبة بيننا وبين الرسل في هذا المقام فحصل له الأولية صلى الله عليه وسلم على التعيين وحصل له الآخرية صلى الله عليه وسلم لا على

التعيين فدخل بالسلام الثاني بحرف العطف في عباد الله الصالحين فانه من الصالحين بلا شك من كل وجه فهو في المرتبة التي لا تنبغي لنا فابتدأنا بالسلام علينا في طور تام من غير عطف واعلم انه لم نقف على رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تشهده الذي كان صلى الله عليه وسلم يتشهد به بلسانه في تشهده في الصلاة في قولنا السلام عليك أيها النبي هل كان يقوله بهذا اللفظ أو يقوله بغير هذا اللفظ مثل عيسى عليه السلام اذ قال والسلام عليّ يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حيا أولا يقول شيأ من ذلك و يكتفي بقولنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فان كان قال مثل ما علمنا أن نقول من ذلك فله وجهان أحدهما أن يكون المسلم عليه هو الحق وهو نائب مترجم عنه تعالى في ذلك كما جاء في سمع الله لمن حمده والوجه الآخر أن يقوم في دعائه في تلك الحالة في مقام غير مقام النبوّة ثم يخاطب نفسه من حيث المقام الذي أقيم فيه نفسه أيضا من كونه صلى الله عليه وسلم نبيا و يحضره من أجل كاف الخطاب فيقول صلى الله عليه وسلم بلسانه للمقام الذي أحضره فيه أي أحضر نفسه فيه السلام عليك أيها النبي فعل الاجنبي ثم يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبد الله و رسوله فأمّا معنى الشهادة فقد تقدّم في أوّل التشهد وهذا التوحيد هنا انما هو توحيد ما يقتضيه عمل الصلاة عموما وما يقتضيه حال كل مصل في صلاته خصوصا فانّ أحوال المصلين تختلف في الصلاة بلا شك من كل وجه من وجوه الاحكام ومن وجوه المقامات ومن وجوه الاذواق فمن وجوه الاحكام فان صلاة الحنفي تخالف صلاة المالكي والشافعي في بعض الاحكام ومن وجوه المقامات فان صلاة المتوكل تخالف صلاة الزاهد ومن وجوه الاذواق فان صلاة الراضي تخالف صلاة الشكور وصلاة الصاحي تخالف صلاة السكران في الطريق الذوق فان الصحو والسكر هو من علوم الاذواق ثم عطف الشهادة بالعبودية لله والرسالة على شهادة التوحيد ليعلم انه من أطاع الرسول فقد أطاع الله فانه صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى وما عليه الا البلاغ والابلاغ لا يكون الا حال مبلغ من مبلغ عنه الى مبلغ اليه وهو العطف بواو الاشتراك يؤذن بالقرب الالهيّ من السيد بما فيه من العبودية لله و بالقرب من المرسل بما فيه من ذكر الرسالة المضافة الى الهوية التي هي غيب لمن أرسلوا اليهم وللرسول من حيث ان الروح الامين جاء بها اليه من عند ربه فهو أقرب سندا منا الى المرسل وتلقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الروح بربه لا بنفسه كما يتلقى العارفون ما يأتيهم من ربهم على ألسنة العالم وحركاتهم بربهم لا بأنفسهم فانه من يرى ربه في نفسه يراه في غيره بلا شك كما يقول أهل الله في حال المتوكل من صح توكله في نفسه صح توكله في غيره وانما قلنا تلقاها بربه لا بنفسه اذ لو تلقى المتلقي أمر ربه و وحيه بنفسه دون ربه لاحترق في موضعه من سطوات أنوار الروح الامين ألا تراه مع القوّة الالهية التي أيده الله بها كيف جاء الى بيت خديجة ترجف بوادره يقول زملوني زملوني دثروني لاضطراب مفاصله وتخلل النور الروحاني مسالك ذاته فكان يسمع لها قضيض فبدأ في الشهادة حين عطفها باسمه محمد لما جمع فيه من المحامد أي بها استحق العطف بحرف التشريك ثم قال عبد الله فذكره بعبودية الاختصاص ليعلم بحريته عن كل ما سوى الله وخلوص عبوديته لله ليس فيه شقص لكون من الاكوان ثم عطف بالرسالة على العبودية وعلى الله بالهوية فزاده في العبودية اختصاصين وهما النبوّة والرسالة وذكر الرسالة دون النبوّة لتضمنها اياها فلو ذكر النبوّة وحدها كان يبقى علينا ذكر اختصاصه بالرسالة فيحتاج الى ذكرها حتى نعلم بخصوص أوصافه ونفرق بينه و بين من ليس له منزلة الرسالة من عباد الله النبيين فهذا تشهد لسان الكمال (التشهد بلسان الجمال) وأما تشهد لسان الجمال فهو تشهد عبد الله بن مسعود الذي ذكرناه وهو على هذا الحد الا ما اختص به فأذكره وهو أن يقول صاحب هذا المقام بلسانه والصلوات والطيبات فأتى بالصلوات لعموم ما تدل عليه في الرحمو تيات والدعاء وأنواعه من الاحوال وكما صلاة هو الذي يصلي عليكم وملائكته وعطف عليها الطيبات من باب عطف النعوت فهي نعت معطوف للصلوات وعليها الطيب بها نفسا واختص أيضا في هذا التشهد باضافة العبودية الى الهوية لا الى الله وهو مقام شريف في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أخبر أنه صلى الله عليه وسلم في حال نظره في ربه من حيث ما تستحقه ذاته التي لا يحاط بها علما بل لا تعرف أصلا بالصفة الثبوتية وليست سوى واحدة لا يصح أن تكون اثنتين لان الفصل المقوم

فى حق ذاته يستحيل فلامناسبة بين الله وبين خلقه فانه من ليس كمثله شئ كيف يصح أن يشبه شيأ أو يشبهه شئ وهذا بخلاف اللسان الاوّل فان الاضافة بالعبودية كانت الى الله لا الى الهوية وهو أن ينظر فيه من حيث مايطلبه الممكن ويليق وهودون ماتشهد به ابن مسعود (التشهد بلسان الجلال) أما التشهد بلسان الجلال فزاد على مااحتوى عليه التشهد ان أن نعت التحيات بالمباركات أى التحيات التى يكون معها البركات وأسقط الزاكيات وكذلك أسقطها ابن مسعود فانهما راعيا الاشتراك فى الزيادة وراعى عمر مافى الزكاة من التقديس مع وجود الزيادة التى تشترك فيها مع البركة فاكتفى بالزاكيات لذلك وأنكر الزاكيات فى التشهد جماعة من علماء الرسوم ممن لاعلم له بعلوم الاذواق ومواقع اختلاف خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأت فى هذا اللسان فى نعت التحيات بحرف عطف وقال فيه سلام بالتنكير وهو تشهد ابن عباس وذلك انه راعى خصوص حال كل مصل فان أسماء الله مثل الممكنات لانهاية لها وكل ممكن له خصوص وصف فله من الله اسم خاص به من ذلك الاسم خص بالوصف الذى تميز به عن كل ممكن وهذا من أشرف علوم أهل الله وهو مذكور فى قوله فى دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم انى أسألك بكل اسم سميت به نفسك أوعلمته أحدا من خلقك أواستأثرت به فى علم غيبك وأما أسماء الاحصاء فتسعة وتسعون مائة الاواحدا ولم يصح فى تعيينها على الجملة نص ولاروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال هى هذه فماجاء ابن عباس بتنكير السلام الاليأخذ كل مصل من الاسم الذى يأتى اليه ويناجى الحق فيه وهو المسلم على نبىّ الله منا صلى الله عليه وسلم وعلينا وعلى عباد الله الصالحين وكذلك اختص بعدم تكرار لفظ الشهادة فتركها فلم يشهد له بعبودية ولا رسالة بشهادة مستأنفة بل شهادته بالتوحيد أغنت واكتفى بالواو لما فيهما من قوة الاشتراك وذلك مثل قوله تعالى شهد الله أنه لااله الاهو والملائكة وأولوا العلم ولم يعطف بذكر الشهادة تشريفا لهم وان كان قد فصلهم عن شهادته لنفسه بذكره لااله الاهو وأسقط هنا لفظ العبودية لتضمن الرسالة اياها

﴿فصل بل وصل فى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التشهد فى الصلاة﴾

اختلفوا فى الصلاة على النبىّ صلى الله عليه وسلم فى التشهد فمن قائل انها فرض وبه أقول ومن قائل انها ليست بفرض وكذلك اختلفوا فى التعوّذ من الاربع المأمور بها فى التشهد وهو أن يتعوّذ من عذاب القبر ومن عذاب جهنم ومن فتنة المسيح الدجال ومن فتنة المحيا والممات فمن قائل بوجوبها ومن قائل بمنع وجوبها وبوجوبها أقول ولولم يأمر بالتعوّذ منها لكان الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم أولى اذ كان التعوّذ منها من فعله لقوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة وقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كمارأيتمونى أصلى فكيف وقد اضاف الى فعله أمره أمته بذلك فالصلاة على النبىّ فى الصلاة وغيرها دعاء من العبد المصلى لمحمد صلى الله عليه وسلم بظهر الغيب وقد ورد فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه من دعا بظهر الغيب قال له الملك ولك بمثله وفى رواية ولك بمثليه فشرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بها الله فى قوله ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ليعود هذا الخير من الملك على المصلى عليه من أمته صلى الله عليه وسلم وأمر بالسلام عليه بقوله وسلموا تسليما فأكده بالمصدر فقد يحتمل أن يريد بذلك السلام المذكور فى التشهد ويحتمل أن يريد به السلام من الصلاة أى اذا فرغتم من الصلاة على النبىّ صلى الله عليه وسلم فسلموا من صلاتكم تسليما وبهذا الاحتمال تعلق من رأى وجوبها فى الصلاة وأما الاستعاذة من عذاب القبر فان القبر أوّل منزل من منازل الآخرة فيسأل الله أن لايتلقاه فى أوّل قدم يضعه فى الآخرة فى قبره عذاب ربه وأما الاستعاذة من عذاب جهنم فانها الاستعاذة من البعد فان جهنم معناه البعيدة القعر والمصلى فى حال القربة وهو قريب من الانفصال من هذه الحالة المقربة فاستعاذ بالله أن لايكون انفصاله الى حال تبعده من الله بل الى قرب من حالة دينية أخرى وأما الاستعاذة من فتنة المسيح الدجال فلما يظهره فى دعواه الالوهية ومايخيله من الامور الخارقة للعادة من احياء الموتى وغير ذلك مما ثبتت الروايات بنقله وجعل ذلك آيات له على صدق دعواه وهى مسئلة فى غاية الاشكال لانها تقدح فيما قرره أهل الكلام فى العلم بالنبوات فيبطل بهذه الفتنة كل دليل قرروه وأى فتنة أعظم من فتنة تقدح فى الدليل الذى

أوجب السعادة للعباد فالله يجعلنا من أهل الكشف والوجود ويجمع لنا بين الطرفين المعقول والمشهود وأما فتنة المحيا والممات ففتنة المحيا فتنة الدجال وكل ما يفتن الانسان عن دينه الذي فيه سعادته وأما الممات فمنها ما يكون في حال النزع والسياق من رؤية الشياطين الذين يتصوّرون له على صورة ما سلف من آبائه وأقاربه واخوانه فيقولون له مت نصرانيا أو يهوديا أو مجوسيا أو معطلا ليحولوا بينه و بين الاسلام ومنها ما يكون في حال سؤاله في القبر وهي حين يقول الملك له ماتقول في هذا الرجل و يشير الى النبيّ صلى الله عليه وسلم فاذا لم ير الميت تعظيم الملك للرسول صلى الله عليه وسلم لانّ المراد الفتنة ليتميز الصادق الايمان من الكافر والمرتاب فأما المؤمن يقول هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات والهدى فآمنا وصدّقنا وأما المنافق أو المرتاب وهو الذي يشك في نبوّة النبيّ صلى الله عليه وسلم انها من عند الله و يجعل ذلك من القوى الروحانية وغيرها ثم يرى عدم تعظيم الملك للرسول بهذا السؤال وهو قولهم ماتقول في هذا الرجل ولم يقولوا ماتقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول المرتاب لو كان لهذا القدر الذي كان يدعيه في رسالته لم يكن هذا الملك يكني عنه بمثل هذه الكناية فيقول عند ذلك لا أدري سمعت الناس يقولون شيأ فقلت مثل ما قالوه فيشقى بذلك شقاء عظيما لم يكن يشخيله فهذا من فتنة الممات والقبر فاعلم ذلك وقد فرغ التشهد على التقريب والاختصار

﴿فصل بل وصل في التسليم من الصلاة﴾

اختلفوا في التسليم من الصلاة فمنهم من قال بوجوبه و به أقول ومنهم من قال ليس بواجب التسليم من الصلاة واختلف القائلون بوجوبه فمن قائل الواجب من ذلك على المنفرد والامام تسليمة واحدة ومنهم من قال اثنتين ومن قائل ان الامام يسلم واحدة والمأموم يسلم اثنتين وقد قيل عن صاحب هذا القول ان المأموم يسلم ثلاثا الواحدة للتحليل والثانية للامام والثالثة لمن هو عن يمينه والذي يقتضيه النظر اذا لم يكن هنالك نص يوقف عنده لا في التوقيت ولا في التحجير أن يزاد على الثالثة تسليمة رابعة للمأموم ان كان على يساره أحد وللامام تسليمتان أو ثلاثة من أجل التحليل ان كان الناس عن يمينه و يساره فان لم يكن عن يساره أحد فيسلم اثنتين واحدة للتحليل والثانية لمن هو عن يمينه والثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يسلم تسليمتين وما في الحديث ما يقتضي ان الخروج من الصلاة يكون بعد التسليم واعلم ان السلام لا يصح من المصلي الا أن يكون المصلي في حال صلاته مناجيا ربه غائبا عن كل ما سوى الله من الاكوان والحاضرين معه فاذا أراد الخروج من الصلاة والانتقال من تلك الحالة الى حالة مشاهدة الاكوان والجماعة سلم عليهم سلام القادم لغيبته عنهم في صلاته عند ربه فان كان المصلي لم يزل مع الاكوان والجماعة ان كان في جماعة فكيف يسلم عليهم من هذه حالته فانه ما برح عندهم فهلا استحيى هذا المصلي حيث يرى بسلامه من صلاته انه كان عند الله في تلك الحالة فسلام العارف من الصلاة لانتقاله من حال الى حال فيسلم تسليمتين تسليمة على من ينتقل عنه وتسليمة على من قدم عليه الا أن يكون عند الله في صلاته فلا يسلم على من انتقل عنه لان الله هو السلام فلا يسلم عليه

﴿فصل بل وصل فيما يقول الذي يرفع رأسه من الركوع وفي الركوع﴾

يقول العارف الجامع لاكمل الصلوات اذا رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده نيابة عن ربه سبحانه ومترجما عنه فانه من كلام ربه تبارك وتعالى ثم يسكت ثم يقول يردّ على نفسه بلسانه اللهم ربنا ولك الحمد وذلك انه ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد فان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فلهذا يستحب للمنفرد أن يسكت سكتة يفصل بها بين قوله سمع الله لمن حمده و بين قوله اللهم ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شئ بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد كما انه يقول في حال ركوعه بعد قوله فيه سبحان ربي العظيم و بحمده ثلاث مرات ان كان منفردا أو مأموما وان كان اماما فانه يقولها خمس مرات ليدرك المأموم أنه يقولها ثلاثا ثم يقول بعد هذا التسبيح اللهم لك ركعت و بك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي و بصري ومخي وعظمي وعصبي اعلم ان العبد اذا ركع فقد أعلمتك انه في حال برزخيّ بين القيام

والسجود فيقول العارف بعد تسبيحه ربه بالتعظيم كما أوردناه يقول اللهم لك ركعت أى من أجل عزك وعلوك فى كبر بانك خضعت تعظيما لك يقول لقيوميتك التى لا تنبغى الا لك فانى لما قمت بين يديك لم أقم الا امتثالا لامرك حيث قلت وقوموا لله قانتين فقمت وأنا أخضع فى ركوعى من خاطر بما خطر لى فى حال قيامى انى فت لنفسى فأعترف بين يديك بركوعى انى لك ركعت وبك آمنت يقول بسببك أى بتأييدك صدّقت لا بحولى ولا بقوّتى أى لا حول لى ولا قوّة الا بك اذ كانت القلوب بيدك التى هى محل الايمان ولك أسلمت أى من أجلك كان انقيادى ولولاك ما تغيرت أحوالى معك فى عباداتى فانك الذى شرعت لى ذلك على لسان رسولك فعلا وقولا صلى الله عليه وسلم فصلى وذكر ثم أمرنا فقال صلوا كما رأيتمونى أصلى وأنت القائل وما ينطق عن الهوى فعلمنا انه مأمور بأن يأمرنا فذلك أمرك لا أمره فانك القائل من يطع الرسول فقد أطاع الله ثم يقول خشع لك سمعى فيما كلمتنى به فى حال مناجاتى اياك بكلامك ثم يقول وبصرى بواو التشريك وما ثم الا الخشوع فكأنه يقول وخشع لك بصرى حياء منك لعلمى بانك ترانى فى حال ركوعى بين يديك فانك فى قبلتى كما أخبرنى رسولك صلى الله عليه وسلم فامرنى أن أجعلك مشهودا فى صلاتى كانى أراك بل يارب وان مثلت فى نفسى انى أراك فما أقدر أن أنكر علمى أنك ترانى وما سبب الحياء منى الا علمى بانك ترانى لا بانى أراك فانه لا يعزب عنك مثقال ذرّة فى السموات ولا فى الارض يا من يدرك الابصار ولا تدركه الابصار ويقول ومخى وعظمى وعصبى فانك جعلت فى كل ما ذكرت قوّة يكون بها قوام نشأتى وثبات هيكلى لتحصل نفسى بهذه القوى ابقاء هذه الصورة المكلفة ما أمر نهابه أن تحصله من المعرفة بك فر بما خطر لمخى وعظمى وعصبى الموصوفين بالخشوع لك لما كانت أسبابا لما ذكرناه فيدركها الدلك عجب وزهو فوجب على كل واحدة من هؤلاء ان تخشع لك بتبريه من الحول والقوّة فى السببية بأنك أنت الذى تحفظ على قوام نشأتى لتحصيل معارفى فاذا رفع العارف رأسه من الركوع يقول نيابة عن ربه سمع نفسه خطاب ربه سمع الله لمن حمده فى قوله فى حال ركوعه سبحان ربى العظيم وكل حمد وثناء حمده به وأثنى عليه به من أول شروعه فى صلاته ثم يردبربه على ربه بحضور نفسه من كونها بربه بتأييده اياها فى حولها وقوتها فيقول اللهم ربنا فيحذف حرف النداء لان المصلى فى حال قرب والندا يؤذن بالبعد وأبقى المنادى وهو لبقاء نفسه فى جواب ربه فيقول لك الحمد أى الثناء التام بما هو لك ومنك فلا حامد ولا محمود الا أنت ولك عواقب كل ثناء فى العالم وكل مثنى عليه وهو قوله ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شئ بعد يقول كل جزء من العالم العلوىّ والسفلىّ وما بينهما وما فى الامكان من الممكنات مما توجده ويبقى فى العدم عينا ثابتة كل جزء منه معلوم بحكم الوجود والتقدير له ثناء خاص عليك من حيث عينه وافراده وجمعه بغيره فى قليل الجمع وكثيره أحمدك بلسانه وبلسان كل حامد من حمدك لنفسك وحمد من سواك لك فيكون لهذا الحامد بهذه الالسنة جميع ما يستدعيه من التجلى الالهى ومن الاجور المحسوسة لأجل طبيعته وتركيبه فانه حمد لسانا وقلبا ظاهرا وباطنا وقوله أحق ما قال العبد أى أوجب ما يقوله عبد مثلى ولى أمثال لسيده مثلك ولا مثل لك وكلنا لك عبد يقول أنوب عن أمثالى وهم جميع الممكنات موجودها ومعدومها مما يقول بك فى علمه عن حضور ومن يقول بنفسه عن غيبة فأنوب عنهم فى حمدك لمعرفتى بك التى منحتنى وجهلهم بما ينبغى لجلالك لا مانع لما أعطيت من الاستعداد لقبول تجل مخصوص وعلوم مخصوصة ولا معطى لما منعت واذا لم تعط استعدادا عاما فما ثم سيد غيرك يعطى مالم تعطه أنت ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ أى من كان له حظ فى الدنيا من سلطان وجاه ومال وتحكم بغيرك فى علمه لا فى نفس الامر لم ينفعه ذلك عندك فى الآخرة عند كشف الغطاء

﴿فصل بل وصل فى السجود فى الصلاة﴾

فاذا سجد وسبح ربه الأعلى وبحمده كما تقدم يقول فى سجوده بعد تسبيحه اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا وامامى نورا وخلفى نورا وفوقى نورا وتحتى نورا واجعل لى نورا واجعلنى نورا يقول العارف سجد وجهى أى حقيقتى فان وجه الشئ حقيقته للذى خلقه أى قدّره من اسمه

المدبر وأوجده من اسمه القادر البارئ المصور وشق سمعه بما أسمعه في كن وأخذ الميثاق ثم التكليف وبصره بما
أدركه ليعتبر في المبصرات فإن ذلك في حق هذه النشأة وأمثالها كما فطر السموات والأرض وفتقهما بعد رتقهما
ليتميزا فيظهر المؤثر والمؤثر فيه لوجود التكوين تبارك الله أحسن الخالقين انباتا للأعيان ليصح قوله لقوم يتفكرون
ثم دعا بالنور في كل عضو نور السموات والارض الذي مثله بالمصباح في الزجاجة مقام الصفا في المشكاة مقام الستر من
الاهواء فلم تصبه مقالات القائلين فيه بأفكارهم الموقد بالزيت المضيء بالمقاربة وهو حكم الامداد من الشجرة وهي
المد لا شرقية ولا غربية في مقام الاعتدال لا تميل عن عرض الى شرق فيحاط بها علما ولا الى غرب فلا تعلم رتبتها نور
على نور وجود على وجود وجود عيني على وجود مفتقر ثم دعا بجعل النور في كل عضو والنفور هو النور وكل
عضو فله دعوى بما خلقه الله عليه من القوة التي ركبها فيه وفطره عليها ولما علم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ان
يجعل الله فيه علما وهدى ينفر الظلمة دعوى كل مدع من عالمه هذا ربط هذا الدعاء وآخر ما قال اجعلني نورا يقول اجعلني
أنت فانه نور السموات والارض فهنالك قال الحق تعالى كنت سمعه وبصره ورجله ويده ولسانه عندما يسمع
ويبصر ويتكلم ويبطش ويسعى يقول اجعلني نورا يهتدي بي كل من رآني في ظلمات بر ظاهره وبحر نفسه وباطنه
فأعطاه القرآن وأعطانا الفهم فيه فإن هذه المنحة من أعلى المنح في رتبة هي أسنى المراتب ومعناه غيبني عني وكن أنت
بوجودي فيرى بصري كل شيء بك ويسمع سمعي كل مسموع بك فان نور كل عضو ادراكه وهكذا جميع ما فصله
ولكن بنور يقع به التمييز بين الأنوار ولذلك نكره في كل عضو وفي نفسه وذاته فيتميز نور الشمال من نور اليمين
ونور الفوق من نور التحت وكذلك أنوار القوى والجوارح ثم أتى بعد هذا في عين الجمع والوجود فتتحد الانوار
باحدية العين فان لم أكن هنالك فيجعلك اياي نورا وان كنت هنالك فيجعلك في نورا أهتدي به في ظلمات كوني

﴿فصل بل وصل فيما يقول المصلي بين السجدتين في الصلاة من الدعاء﴾

يقول المصلي اذا جلس بين السجدتين في الصلاة اللهم اغفر لي وارحمني وارزقني واجبرني واهدني وعافني واعف عني
يقول العارف استرني واستر من أجلي استرني من المخالفات حتى لا تعرف مكاني فتقصدني نفسك عني اذ قد قلت ان
سبحاتك محرقة اعيان كل موصوف بالوجود وان كان وجودك ولكن كما أثر في الممكن صفة الوجود ولم يكن بالوجود
موصوفا كذلك أثر نسبته الى الممكن ان قيل فيه بوجود وان كان مقيدا بالحدوث حادث ولكن الحضرة الالهية
موصوفة بالغيرة على وجودها من أجل دعوى هذا المدعي فلو لم تصدر منه الدعوى لما تسلط عليه فلا بد اذا ارتفعت
الحجب ان تحرق سبحات ما أدركه البصر من الخلق يعني الطبيعي فان عالم الامر أنوار فلما يحترق بل يندرج في النور
الأعظم فان عالم الامر ما عنده دعوى فيحترق عالم الخلق فيصير رمادا فما ألحقه بالعدم فبقي رماد الاعودي له فاذن
ما اعدمت سوى الدعوى باحالة العين التي أعطى استعدادها الدعوى الى عين ما لها دعوى وقوله وارحمني برحمة
الوجوب التي لا تحصل الا بعد رحمة الامتنان بما أعطيتني من التوفيق لتحصيل رحمة الوجوب حتى أكون كل شيء
وسعته رحمتك فيطلب العارف رحمة الامتنان في عين الوجوب بالتوفيق للعمل الصالح الموجب لرحمة الاختصاص
فيريد أخذها من عين المنة التي يطلبها ابليس وأشياعه من الجن والأنس مع وصف هذا العارف بالعصمة والحفظ
عن المخالفة والخذلان الموجب للحرمان ثم يقول وارزقني يعني من غذاء المعارف الذي يحيا به قلبي كما رزقتني من غذاء
الجسوم بما أبقيت به جسدي الطبيعي وهيكلي ثم يقول واجبرني الجبر لا يكون الا بعد كسر وهو المهيض في اللسان
والمهيض هو المكسور بعد جبر وهو كسر العارفين فإن العبد مكسور في الأصل بامكانه فجبره انما هو بأن ألحقه
بالوجوب ولكن بغيره فلما أوجده بهذا الجبر كسرته المعرفة بنفسه وبربه فردته الى امكانه فهذا كسر بعد جبر والجبر
لا يكون الا عن كسر فلهذا قلنا هو المهيض في اللسان كما أيضا يقول واجبرني يعني أوقفني على جبري في اختياري فان
العبد مجبور في اختياره وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين يقول الله أنا مع المنكسرة قلوبهم من أجلي ثم يقول
واهدني بين لي ما نتق ووفقني للبيان في الترجمة عنك لعبادك بما تهبني من جوامع الكلم ليصح ورثي من رسولك

صلى الله عليه وسلم فانه قال صلى الله عليه وسلم أعطيت شيأ لم يعطهن نبي قبلي وذكر منها فقال وأوتيت جوامع الكلم ثم يقول وعافني من أمراض القلوب التي هي اغراضها لا من أمراض الجسوم فانك في غاية القرب عنده من أمرضت جسمه فانك قلت لي في الخبر الصحيح الذي بلغه الى رسولك صلى الله عليه وسلم عنك انك قلت مرضت فلم تعدني فاقول لك وكيف تمرض وأنت رب العالمين فقال صلى الله عليه وسلم انك تقول مجيبا الى ان عبدي فلانا مرض فلم تعده اما انك لوعدته لوجدتني عنده ومن أنت عنده سبحانك فاشتق وما أمرضت عبدك الا لتعوده وتكون عنده فمن أراد ان يجدك فليعد المرضى سبحانك تسبيحا لا ينبغي الا لك ثم يقول واعف عني يقول كثر خيرك لي وقلل بلاءك عني أي قلل ما ينبغي ان يقلل وكثر ما ينبغي ان يكثر وليس الا عفوك عن خطيئتي التي طلبت منك ان تسترني عنها حتى لا تصيبني فاتصف بها والعفو من الأضداد يطلق بازاء الكثرة والقلة فتب علي يارب فاني لا أستطيع التحرك الى ما أمرتني بعمله لزمانتي مع ارادة التحرك

﴿فصل بل وصل في القنوت في الصلاة﴾

اختلفوا في القنوت فمن قائل انه مستحب في صلاة الصبح ومن قائل انه سنة ومن قائل انه لا يجوز القنوت في صلاة الصبح وانما موضعه الوتر ومن قائل يقنت في كل صلاة ومن قائل لا قنوت الا في رمضان ومن قائل لا قنوت الا في النصف الآخر من رمضان ومن قائل في النصف الاول من رمضان وهو دعاء يدعو به المصلي ومنهم من يراه قبل الركوع ومنهم من يراه بعد الركوع ومن الناس من لا يرى القنوت الا في حال الشدة وبه أقول وهو مستحب عندي وقد روي في صفة قنوت الوتر دعاء خاص وقد روي في قنوت الصبح دعاء خاص لم يثبت فليدع من يرى القنوت بأي شئ شاء بحسب حاله غير أنه يجتنب السب واللعنة في القنوت وليدع بخير الدنيا والآخرة وما يزلف عند الله مثل ما ثبت في قنوت الوتر من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت انك تقضي ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت ولا يضل من هديت تباركت وتعاليت * فهذا تعليم من النبي صلى الله عليه وسلم كيف ندعو الله في قنوتنا وفي كل دعاء فالعارف ينظر فيما علم ان يدعو به أو عما يشبهه فهو يطلب من الله ان يهديه فيمن هداه فان وقف مع صفة اللفظ فهو يطلب في المستقبل ان يكون في الماضين والمستقبل لا يكون في الماضي الآن بجمعهما وجه فينظر العارف فيجد أن الجامع بين الماضي والمستقبل انما هو العدم اذ كان الوجود لا يصح الا للحال والوجود لا يكون الا لله فان وجود الحال وجود ذاتي لا يصح فيه العدم وله الدوام وبهذا وصفه أهل العربية فقالوا في تقسيم الأفعال ان فعل الحال يسمى الدائم وهو موجود بين طرفي عدم لا يمكن فيهما وجود أصلا وهو الماضي والمستقبل وهو عين العبد فهو الموصوف بالعدم فقيده بالماضي وهو العدم و بالمستقبل وهو عدم فاهدني للمستقبل وهديت للماضي والعدم لا يقع فيه تمييز فلهذا شرع له أن يقول اهدني فيمن هديت وأمثاله فاذا حصلت الهداية وهي عين وجود الحال والحال ظرف محقق ولهذا جاء بفي فقال فيمن والعدم لا يكون ظرفا لان المعدوم لا شئ والعدم عبارة عن لا شئ ولا شئ لا يكون ظرفا لغير شئ فالمفهوم من قوله اهدني فيمن هديت وأمثاله بقوة ما تعطيه في أي اذا كسوتني وجود الهداية والتولي وما وقع السؤال فيه فليكن في الحال الذي له الدوام فلا يوصف بالماضي فيلحق بالعدم ولا بالمستقبل ولا يكون له وجود والحق منزه عن التقييد في أفعاله بالزمان والعبد الذي هو المخلوق في الماضي موصوف بليس وفي المستقبل موصوف بليس وفي حال اتصافه بالوجود من حيث ذاته موصوف بليس فكما ان ليس له حقيقة لا ينفك عنها بل هي عينه كذلك أيس الذي هو الوجود هو للحق سبحانه حقيقة لا يوصف بنقيضه بل الوجود عينه وان سلب عن نفسه الفعل وأضافه الى السبب فان ذلك غير مؤثر في وجوده للحق لما تحققنا من ان العبد عدم والعدم لا ينسب اليه شئ وفي ذلك قلنا

تقول بهم ونعتبهم وماذا * بتحقيق فقل لي ما أقول

أقول بهم وهل علموا بأني * أقول بهم فقل لي ما تقول

اذا عبد تحقق اذ يقول * بأني قائل وهو المقول
أعتب مثله والعدل نعتي * فقل بي ماتقول وماتقول

يقول الله على لسان فرعون أنا ربكم الأعلى وهو سبحانه الأعلى حقيقة فان الله هو ربنا الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى العبرة في ذلك للعالم فان الله وصف العلماء بالخشية فقال انما يخشى الله من عباده العلماء فيعتبر العالم كما أخبر الله من أين أخذ فرعون وهذه صفة الحق ظهرت بلسان فرعون فعلم أنه ماقالها نيابة عن الحق كما يقول المصلي سمع الله لمن حمده فلما غاب عن النيابة في ذلك القول طلبت الصفة موصوفها فرجعت الى الحق جل جلاله وبقي فرعون معرّى عنها على انه مالبسها قط عند نفسه فان الله قد طبع على كل قلب متكبر جبار أن يدخله كبرياء اذ لا ينبغي ذلك الوصف الا من لا يتقيد فهو الاعلى عن التقييد فكان الجزاء لفرعون لغيبته عن هذا المقام أن أخذه الله نكال الآخرة والاولى أي أوقفه على تقييده انه ليس له هذا الوصف فالاولى الماضي وهي كلة ماعلمت لكم من الهغيري والآخرة المستقبل وهي كلة أنا ربكم الاعلى وهما عندنا ان الله أخذه نكال الآخرة والأولى في الأولى فاطلع عباده بما أعلمه الله في أخذه ذلك عن الاطلاق الذي ادّعاه بالتقييد الذي هو النكال فان النكل في اللسان هو القيد ولما رأينا الله قد عبر بالنكال عرفنا ان النقيض هو الذي سلبه وهو الاطلاق ففي موطن يقول سبحانه ادعوني وفي موطن يعرّفنا بأنه قد قضى القضية ومايبدّل القول لديه وماسبق العلم به فهو كائن ولا ينجي حذر من قدر وفي ذلك قلت بيتين فيهما رمز حسن وهما

اذا قلت ياالله قال لماندعو * وان أنا لم أدعو يقول ألا تدعو
فقد فاز باللذات من كان أخرسا * وخصص بالراحات من لاله سمع

فينبغي للعبد اذا قرأ القرآن أو تكلم بما تكلم به أو كلمه غيره أو سمع من سمع بأي لسان كان يتكلم فانه ليس في العالم صمت أصلا فان الصمت عدم والكلام على الدوام اذ فائدة الكلام الافهام بالمقاصد للسامعين والاحوال مفهمة وهي الكلام ولا يخلو موجود أن يكون على حال ما فحاله هو عين كلامه لانه المفهم الذي ينظر اليه ماهو عليه في وقته فلا لسان أفصح من لسان الاحوال وقرائن الاحوال تفيد العلوم التي تجيء بطريق العبارات والعبارات من جملة الاحوال عندنا فانطلق في الاصطلاح اسم الكلام على العبارات والعارفون بالله عندهم الوجود كله كلمات الله لاتنفد أبدا فافهم ماينبغي للعبد أن يعرف من ذلك اذا سمع كلاما أو تكلم هو أن يفرّق مابين ماهو العبد فيه نائب عن الله وماهو الله فيه مترجم عن العبد ويميز ذلك بالصفة فان الصفة تطلب موصوفها فانه لايقبلها الا من هي له فاذا تضمن الكلام صفة لاتنبغي الا للعبد فالعبد صاحبها وان وصف الحق بها نفسه واذا تضمن الكلام صفة لاتنبغي الا لله فالله صاحبها وان وصف العبد بها نفسه فهكذا نعتبر الكلام كله ممن وقع سواء كان بالعبارات أو بالاحوال فهذا معنى قوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وهو العالم وقوله في ذا اشارة الى ماتقدم في القصة والذي تقدم في القصة قوله أنا ربكم الاعلى وأخذه الله نكال الآخرة والاولى أي هذه الدعوى أوجبت هذا الاخذ وان الصفة طلبت موصوفها وهو الله وبقي فرعون عريا عنها فلم يكن له من يحميه عن الاخذ فيقول الله عن نفسه جعت فلم تطعمني نيابة عن عبد جاع فلم تطعمه فطلبت الصفة موصوفها وهو العبد فهكذا فهم العارفون الحقائق

﴿فصول بل وصول في أفعال الصلاة﴾

﴿فصل بل وصل في رفع الايدي في الصلاة﴾

اختلف العلماء في رفع الايدي في الصلاة أعني في حكمها وفي المواضع التي يرفعها فيها وفي حد الرفع فيها الى أين ينتهي بها فأما الحكم فمن قائل ان رفع اليدين سنة في الصلاة ومن قائل انه فرض وهؤلاء انقسموا أقساما فمنهم من أوجب ذلك في تكبيرة الاحرام فقط ومنهم من أوجب ذلك في الاستفتاح وعند الانحطاط الى الركوع وعند الرفع من الركوع ومنهم من أوجب ذلك في هذين الموضعين وعند السجود وأما المواضع التي ترفع فيها الايدي في الصلاة

فمن قائل عند تكبيرة الاحرام فقط ومن قائل عند تكبيرة الاحرام وعند الركوع وعند الرفع من الركوع ومن قائل برفعها عند السجود وعند الرفع من السجود وهو حديث وائل بن حجر ومن قائل اذا قام من الركعتين وهو رواية مالك بن الحويرث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأما أنا فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤيا مبشرة فأمرني أن أرفع يدي في الصلاة عند تكبيرة الاحرام وعند الركوع وعند الرفع من الركوع وأما الحد الذي ترفع اليه اليدان فمن قائل الى المنكبين ومن قائل الى الاذنين ومن قائل الى الصدر ولكل قائل حديث مروي أثبتها الى المنكبين وحديث الاذنين أثبت من حديث الصدر والذي أذهب اليه في هذه المسئلة ان الاحاديث المروية في ذلك انما هي في حكاية فعله صلى الله عليه وسلم ما روي انه أمر بذلك وقد قال صلوا كما رأيتموني أصلي ومعلوم ان الصلاة تحوي على فرائض وسنن فلا يفهم من هذا الحديث ان أفعال الصلاة فرض جميعها لمعارضة الاجماع هذا المفهوم فلنصلها ونرفع أيدينا في علم الشارع من غير تعيين فرض أو سنة كما أحرم علي بن أبي طالب باحرام النبي صلى الله عليه وسلم حين لم يعلم بما أحرم وأقره على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أنكر عليه فنرفع أيدينا في الصلاة على حكم الشرع فيها فنقبلها على ذلك الحكم وأما الحد فنهي فيه انه بفعله يقتضي التخيير فان الأحاديث وردت بحدود مختلفة فعلية فأية حالة فعل المصلي أجزأته فرضا كان أو سنة والاولى الرفع الى الاذنين ولكن ينبغي أن يكون رفعهما على الصدر الى حذو المنكبين الى الاذنين فيجمع بين الثلاثة الاحوال وكذلك المواضع تعمها كلها عند تكبيرة الاحرام وعند الركوع وعند الرفع من الركوع وعند السجود وعند الرفع من السجود وعند القيام من الركعتين فان ذلك لا يضره فانه قد ورد وما ورد أن ذلك يبطل الصلاة فما ورد ما يعارض ذلك وغاية المفهوم من حديث ابن مسعود والبراء بن عازب أنه كان عليه السلام يرفع يديه عند الاحرام مرة واحدة لا يزيد عليها أي انه رفع مرة واحدة لم يصنع ذلك مرتين عند الاحرام ويحتمل أن يريد بقولهما لا يزيد عليها أي لا يرفعهما مرة أخرى في باقي الصلاة فما هو نص وقد ثبتت الزيادة برفعه عند الركوع وعند الرفع منه وغير ذلك والزيادة من العدل الثقة مقبولة فالاولى رفعهما في جميع المواطن التي جاءت الرواية بالرفع فيها وأما اعتبار العارف في ذلك فان رفع الايدي يؤذن بأن الذي حصل فيها قد سقط عند رفعها فكان الحق يقول له معلما اذا وقفت بين يدي فقف فقيرا محتاجا لا تملك شيأ وكل شيء ملكتك اياه فارم به وقف صفر اليدين واجعله خلف ظهرك فاني في قبلتك ولهذا يستقبل بكفيه قبلته قائمة ليعلم انه صفر اليدين مما كان فيهما ثم انه اذا حطهما رجعت بطون الاكف تنظر الى خلف وهو موضع ما رمته من يدها ثم ان الله يعطيه في كل حال من الاحوال أحوال الصلاة ما يقتضيه جزاء ذلك الفعل فاذا ملكه تركه وأعلم الحق برفع يديه انه قد تركه في الموضع الذي ينبغي له أن يتركه وقد توجه طالبا فقيرا صفر اليدين الى الوهب الالهي فيعطيه أيضا فيرفع يديه وهي خالية هكذا في جميع المواطن التي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع فيها يديه وقد يرفعهما من باب الحول والقوة اذ كانت محل القدرة الايدي فيرفع يديه الى الله معترفا ان الاقتدار لك لا لي وان يدي خالية من الاقتدار فمن رفعها الى الصدر اعتبر كون الحق في قبلته ومن رفعها الى الاذنين اعتبر كون الحق فوقه من قوله وهو القاهر فوق عباده في كل خفض ورفع يفعل ذلك يقول بذلك الرفع من يديه ان لا حول لي ولا قوة في كل خفض ورفع وان القوة لك لا اله الا أنت انتهى الجزء التاسع والثلاثون

﴿فصل بل وصل في الركوع وفي الاعتدال من الركوع﴾

اختلف العلماء في الركوع وفي الاعتدال من الركوع فمن قائل انه غير واجب ومن قائل بوجوبه (الاعتبار) في ذلك الخضوع واجب في كل حال الى الله تعالى باطنا وظاهرا فاذا اتفق أن يقام العبد في موطن يكون الاولى فيه ظهور عزة الايمان وجبروته وعظمته لعز المؤمن وعظمته وجبروته فيظهر في المؤمن من الانفة والجبروت ما يناقض الخضوع في ذلك الموطن لا يكون الخضوع واجبا بل ربما الاولى اظهار صفة ما يقتضيه ذلك الموطن قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك هذا موطن يجب أن تكون المعاملة فيه كما ذكر

وقال في الموطن الآخر يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم فهو من باب اظهار عزة الايمان بعز المؤمن وثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في غزوة وقد تراءى الجمعان من يأخذ هذا السيف بحقه فأخذه أبو دجانة فمشى به بين الصفين خيلاء مظهر الاعجاب والتبختر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مشية يبغضها الله ورسوله الا في هذا الموطن فاذا علمت ان للمواطن أحكاما فافعل بمقتضاها تكن حكيما ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذي علمه فروض الصلاة اركع حتى تطمئن راكعا وارفع حتى تطمئن واقفا فالواجب اعتقاد كونه فرضا

﴿فصل بل وصل في هيئة الجلوس﴾

فمن قائل يفضي بأليتيه الى الارض وينصب رجله اليمنى ويثني اليسرى والرجل والمرأة في ذلك على السواء وقال آخرون ينصب الرجل اليمنى ويقعد على اليسرى وفرّق آخرون بين الجلسة الوسطى والآخرة فقال في الوسطى ينصب اليمنى ويقعد على اليسرى وقال في الجلسة الآخرة يفضي بأليتيه الى الارض وينصب رجله اليمنى ويثني اليسرى وكل قائل له مستند الى حديث فما فعل من ذلك اجزأه (الاعتبار في ذلك) الجلوس في الصلاة جلوس العبد بين يدي السيد وليس له ان يجلس الا ان يأمره سيده وقد أمر المصلي بالجلوس في الصلاة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد فأحسن الحالات في الجلوس في الصلاة هو الجلوس الذي يكون فيه أقرب الى الوقوف بين يدي سيده هذا اذا كان حال العارف حال ما ينبغي ان يكون عليه العبد من حيث ما هو عبد وان كان العارف في محل النظر في أصل معرفته بنفسه ليعرف ربه فالأولى في جلوسه ان يفضي بأليتيه الى الأرض في آخر جلوسه ولا بدّ فانه أقرب الى النظر في ذاته بخلاف الجلسة الوسطى فان جلوسه فيها عارض عرض له من الحق أجلسه أي ردّه في النظر الى نفسه لمعرفة يريد تحصيلها فيكون كالمستوفز لانه مدعوّ الى الوقوف وهي الركعة الثالثة والطمأنينة في الركوع والسجود وأحوال الانتقالات كلها في أحوال الصلاة المراد بها الثبات لتحقيق ما يتجلى له فيها لانه اذا أسرع بأدنى ما ينطلق عليه اسم راكع يفوته علم كبير لا يناله الا من ثبت فلهذا أمر بالطمأنينة في هذه المواطن فان العجلة من الشيطان الا في خمس وهي مذكورة في بابها فالمسارعات الى الخيرات مشروع بعد الثبات والاطمئنان في الخير الذي أنت فيه فلا مناقضة بين الطمأنينة والمسارعة

﴿فصل بل وصل في الجلسة الوسطى والأخيرة﴾

اختلف العلماء في الجلسة الوسطى والاخيرة فقائل في الوسطى انها سنة وليست بفرض وشذ قوم فقالوا انها فرض والاصل الذي أعتمد عليه في أفعال الصلاة كلها أن لا تحمل أفعاله صلى الله عليه وسلم على الوجوب حتى يدل الدليل على ذلك وأما الجلسة الاخيرة فبعكس الوسطى والاكثرون انها فرض وشذ قوم فقالوا انها ليست بفرض ومن قال ان الجلستين سنة وهو أضعف الاقوال وبقي الجلوس في وتر من الصلاة يذكر بعد هذا ان شاء الله في فصله * (الاعتبار في ذلك) أما الجلسة الوسطى فانها كما قلنا عارض عرض لاجل القيام بعدها الى الركعة الثالثة والعارض لا يتنزل منزلة الفرض ولهذا اسجد من سها عنه وفرق بينه وبين الركن اذا فاته ولم يقترن بالجلسة الوسطى أمر فيحمل على الوجوب وانما هو أمر عارض عرض للمصلي في مناجاته من التجليات البرزخيات دعاه ان يسلم عليه لما شرع فيه من التحيات فلما رأى ان ذلك المقام يدعوه الى التحية تعين عليه ان يجلس له كما يفرض عليه في الجلسة الآخرة التي هي فرض والحكمة في ذلك المشهودة ان أصل الصلاة يقتضي الشفعية للقسمة المذكورة فيها بين الله وبين العبد فأقلها ركعتان الا الوتر فان له خصوص وصف أذكره في الوتر اذا جاء ان شاء الله ولما ثبت عين الشفع بوجود الركعتين فتميز الرب من العبد فقد حصل المقصود فلا بدّ من الجلوس كما يكون في صلاة الصبح وفي الصلاة الليلية مثنى مثنى وفي صلاة السفر وقول الراوي في أوّل فرض الصلاة انها فرضت ركعتين ثم زيد في صلاة الحضر وأقرّت في السفر على الاصل فلما عرض لهذا الشفع في الصلاة الثلاثية والرباعية ان الشيئين اذا تألفا صح على كل واحد منهما اسم الشيئين ومن الناس من قال كانا شيأ واحدا وقد تألف بوجود الركعتين الاوليين نسبة شيئية الصلاة للعبد ونفي نسبة شيئية الصلاة للرب

فانه قال عن نفسه انه يصلي علينا فكانت الركعتان في الرباعية طـذا ولما أراد أن يفصل بين الشيئين الاوليين والأخريين ليتميز افصل بينهما بالجلسة وهذا هو العارض الذي عرض له حتى جلس فان فاته سجد له ولم يأت به كما يأتى بالركن اذا فاته ◆ وأما وقوع الجلوس بعد الثنتين في المغرب فلامر آخر خلاف هـذا وما هي بجلسة وسطى لانه ليس بعدها ركعتان فهي في الثلثين وفي الرباعية في النصف وذلك ان ينبه بأن الشيئين اذا تألفا كانا شيأ واحدا فذلك الواحد هو عين الركعة الثالثة من المغرب يشير بأن هاتين الركعتين المقسمتين بين عبد ورب هي في المعنى واحـدة لان المعنى الواحد يتضمن الثاني من جميع وجوهه وليس الآخر كذلك لأن الآخر يتضمنه من وجه ولا يتضمنه من وجه فمن الوجه الذي يتضمنه ظهرت للرباعية ركعتان بعد الجلسة الوسطى الركعة الواحدة للواحد لتضمنه معنى الآخر والأخرى للآخر لتضمنه معنى الاول ويبقى الوجه الواحـد الذي لا أخ له بمنزلة الوتر الذي زادنا الله الى صلاتنا وهو ركعة واحـدة لاثاني لها وهو الوجه الذي ينفرد به الحق عنا من حيث ذاته وصورة ذلك في المعارف ان العبـد يطلب الواجب الوجود لنفسه لانه ممكن فلا بد له من مرجح فالعبـد يتضمن الرب بوجوده بلاشك فركعة المغرب اكتفى بها لانها تتضمن الثانية ووجود الواجب لنفسه له وجه لتضمن الممكن وهو وجه كونه الهـا قادرا مريدا فقد تكون ركعة المغرب الهية من هذا الوجه وله سبحانه وجه أيضا الى نفسـه لا يتضمن وجود الممكن جملة واحـدة وهو الغني الذي له على الاطلاق فهو بالنظر اليه سبحانه لا يلزم من النظر فيه من حكم ذاته وجود العالم ولا بد الا ان تنظر فيه من حيث ما يطلبه الممكن فتظهر النسب عند ذلك وكونه قادرا فيطلب المقدور ومريدا فيطلب المراد فالوتر المفروض المراد له هو الوجـه الذي للحق من حيث ما لا يطلب الاكوان ولا تطلبـه الاكوان اذا لم تنظر في ذواتها قال الله عز وجل والله غني عن العالمين والعالمون هنا هو الدلالات على الله فهو يقول في هذه الآية انه غني عن الدلالات عليه فرفع ان يكون بينه وبين العالم نسبة ووجه يربطه بالعالم من حيث ذلك الوجه الذي هو منه غني عن العالمين وهو الذي تسميه أهل النظر وجه الدليل يقول الحق ما ثم دليـل علي فيكون له وجه يربطني به فأكون مقيـدا به وأنا الغني العزيز الذي لا تقيد في الوجوه ولا تدل علي أدلة المحـدثات فدليـل الحق على الحق وجود الحق في عين وجود الممكن للممكن من حيث ماهو وجوده وجود عين الحق لامن حيث انه موجود عن الحق أو مفتقر الى الحق فان الممكن لا يفتقر الا الى ممكن يعني انه يمكن ان يحصـل له ويمكن ان لا يحصـل والافتقار الى الممكن من الممكن محال والافتقار الى الواجب بنفسـه من الممكن في غير ممكن محال فلا افتقار لممكن ولا لواجب أصـلا فالواجب الوجود غني على الاطلاق والممكن ليس بفقير لممكن على الاطلاق ولا لغير ممكن فان تحصيل ما ليس بممكن لممكن محال فالحق لا يحصـل منه في العبـد شئ ولا للعبد منه شئ فالظاهر من الممكنات وأعيانها وجود الحق والممكنات باقيـة على أصلها من الامكان لا تبرح أبدا فمعنى الاستفادة هي دلالة الحق بوجوده عليها لا دلالتها عليه فانها لا تدل عليه أبدا فالناظر في هذه المسئلة يتوهم ان السكون دليل على الله لكونه ينظر في نفسه فيستدل وما علم ان كونه ينظر راجع الى حكم كونه متصفا بالوجود فالوجود هو الناظر وهو الحق فلو لم تتصف ذاته بالوجود فبماذا كان ينظر فما نظر الا الحق في الحق فأنتج له الحق نفسـه فقال عرفت الله بالله وهو مذهب الجماعة اذا ضربت الواحد في الواحد كان الخارج واحدا فافهم

(فصل بل وصل في التكتيف في الصلاة)

اختلف العلماء في وضع احـدى اليـدين على الأخرى في الصـلاة فكرهها قوم في الفـرض وأجازها في النفل ورأى قوم أنها من سـنن الصـلاة وهـذا الفـعل مروي عن رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم كما روى في صـفة صلاته أيضا انه لم يفعل ذلك وقد ثبت أيضا ان الناس كانوا يؤمرون بذلك (اعتبار ذلك عنـد أهل الله) تختلف أحوال المصلي بين يدي ربه عز وجـل في قيامه بحسب اختلاف ما يناجيه به فان اقتضى ما يناجيه به التكتيف تكتف وان اقتضى السدل وهو ارسال اليدين أرسلهما كما انه اذا اقتضت الآية الاستغفار استغفر واذا اقتضت الدعاء سأل واذا اقتضت تعظيم الجناب العالي عظم واذا اقتضت السرور سر واذا اقتضت الخشـوع خشع فهو بحسب

ماينا جيه به فلذلك ماينبغي أن يقيد المصلي في مناجاته بصفة خاصة ولهذا قال بالتخيير في هذه المسئلة من قال وكل هذه الهيئات جائزة وحسنة

﴿فصل بل وصل في الانتهاض من وتر صلاته﴾

ذهبت طائفة ان المصلي اذا كان في وتر من صلاته أن لا ينهض حتى يستوي قاعدا واختار آخرون أن لا يقعد وان ينهض من سجوده نفسه ﴿اعتبار أهل الله في ذلك﴾ المصلي بحسب مايدعوه الحق اليه فان دعاه وهو في حال سجوده الى القعود قعد ثم ينهض وان دعاه الى النهوض نهض فهو بحسب مايلقى اليه في نفسه وقد تقدم الكلام في الجلوس في الصلاة قبل هذا فالتجر على ذلك الاعتبار وأما الجلوس بين السجدتين فهو ايجمع في سجوده بين السجود عن قيام والسجود عن قعود فمن السجود عن الجلوس يقف منه على أسرار نزول الحق من العرش الذي استوى عليه سبحانه بالاسم الرحمن الى السماء الدنيا فيكون العبد في حال جلوسه بين السجدتين يناجي الرحمن من حيث انه استوى على العرش وفي سجوده من جلوسه يناجي الحق بالاسم الرب من حيث نزوله الى عباده في الثلث الباقي من الليل فيتجلى له من هذه الاحوال مايكون له به من بدء علوم مما تعطيه ماتتضمنه هذه الاحوال من الذكر والدعاء والهيئات كل على حسب شربه

﴿فصل بل وصل فيما يضع في الارض اذا هوى الى السجود﴾

اختلف الناس فيما يضع المصلي في الارض اذا هوى الى السجود هل يضع يديه قبل ركبته أم لا فذهب طائفة الى وضع اليدين قبل الركبتين وذهب قوم الى وضع الركبتين قبل اليدين (اعتبار أهل الله في ذلك) اليدان محل الاقتدار والركبتان محل الاعتماد فمن اعتمد على ربه مع الاقتدار الذي يجده من نفسه كالحلم مع القدرة قال بوضع الركبتين قبل اليدين ومن رأى ان اليدين محل العطاء والكرم ورأى قوله تعالى فقدموا بين يدي نجواكم صدقات قدم اليدين على الركبتين ثم ان المعطي لايخلو من احدى حالتين اما أن يعطي وهو صحيح شحيح يخشى الفقر ويأمل الحياة واما أن يعطي وهو من الثقة بالله والاعتماد على الله بحيث أن لايخطر له الفقر والحاجة ببال لعلمه بأن الله أعلم بمصالحه فمن كانت هذه حالته قدم ركبتيه على يديه ومن كانت حركاته الشح يجاهد نفسه خشي الفقر وبذل المجهود من نفسه في العطاء قدم يديه على ركبتيه والساجد أي حال قدم من هاتين الحالتين فان الاخرى تحصل له في سجوده ولا بد فمن اعتمد وتوكل حصل له صفة الجود والايثار وجميع مراتب الكرم والعطاء ومن أعطى لله عن جبن وفزع أثمر له ذلك العطاء بهذه الحال التوكل والاعتماد على الله والذي رجح الشارع تقديم اليدين

﴿فصل بل وصل في السجود على سبعة أعظم﴾

اتفق العلماء رضي الله عنهم على أنه من سجد على الوجه واليدين والركبتين وأطراف القدمين فقد تم سجوده واختلفوا اذا سجد على وجهه ونقصه عضو من تلك الاعضاء هل تبطل صلاته أم لا فمن قائل تبطل ومن قائل لاتبطل ولم يختلفوا ان من سجد على جبهته وأنفه فقد سجد على وجهه واختلفوا فيمن سجد على جبهته دون أنفه أو على أنفه دون جبهته فمن قائل ان من سجد على جبهته دون أنفه جاز وان سجد على أنفه دون جبهته لم يجز ومن قائل انه يجوز أن يسجد على أنفه دون جبهته وعلى جبهته دون أنفه ومن قائل انه لايجوز الا أن يسجد عليهما معا ﴿والاعتبار في ذلك﴾ السبع الصفات ترجع اليها جميع الاسماء الالهية وتتضمنها وهي الحياة والعلم والارادة والقدرة والكلام والسمع والبصر فلو نقص منها صفة أو نسبة على الاختلاف الذي بيننا في كونها نسبا أو صفات فقد بطل الجميع أي لم يصح كون الحق الها وهذا اعتبار الذي لايجيز الصلاة الا بالسجود على السبعة الاعضاء فانها للحضرة الالهية بمنزلة الاعضاء لهذا الساجد والذي يقول ان الوجه لابد منه بالاتفاق كالحياة من هذه الصفات التي هي شرط في وجود مابقي من الصفات السبع أو النسب على الاختلاف الذي بيننا فمن عالم يقول ان السمع والبصر راجعان الى العلم وان العلم يغني عنهما وانهما للعلم مرتبتان عينهما المسموع والمبصر فهما من العلم تعلق خاص قال بجواز الصلاة اذا نقص عضو من هذه الاعضاء مع

سجود الوجه كالحياة ولما كانت الحياة تقتضي الشرف والعزة لنفسها على سائر الصفات والاسماء لكون هذه الصفات في وجودها مشروطة بوجود الحياة وكانت العزة والحياة مرتبطتين كالشئ الواحد مثل ارتباط الجبهة والانف في كونهما عظما واحدا وان كانت الصورة مختلفة فمن قال ان المقصود الوجه وأدنى ما ينطلق عليه اسم الوجه يقع به الاجتزاء أجاز السجود على الانف دون الجبهة وعلى الجبهة دون الانف كالذي يرى ان الذات هي المطلوبة الجامعة ومن نظر الى صورة الانف وصورة الجبهة ونظر الى الاولى باسم الوجه فغلب الجبهة وان الانف وان كان مع الجبهة عظما واحدا لم يجز السجود على الانف دون الجبهة لانه ليس بعظم خالص بل هو الى العضلية أقرب منه الى العظمية فتميز عن الجبهة فكانت الجبهة المعتبرة في السجود كذلك الحياة هي المعتبرة في الصفات وان العزة وان كانت لها بالاحاطة فان العلم له الاحاطة أيضا فاشترك العلم والعزة أثرا في هذا الامر ومن قال لابد أن يكون وجه الحق منيع الحمى عزيزا لا يغالب قال بالسجود على الجبهة والانف معا ولما كان الانف في الحس محل التنفس والتنفس هو الحياة الحيوانية كانت نسبته الى الحياة أقرب النسب وبوجود هذه السبعة تم نظام العالم وكان مألوها مربوبا ولم يبق في الامكان حقيقة امكانية تطلب أمرا زائدا على هذه السبعة فليس في الامكان أبدع من هذا العالم لانه ليس في الوجود أكمل من الحق وكماله في ألوهته بهذه الصفات المنسوبة اليه سبحانه فلو انعدمت صفة واحدة من هذه الصفة أو نسبة لم تصح المرتبة التي أوجدت العالم ولم يكن للعالم وجود وقد وجد فالمرتبة موجودة فالكمال حاصل والارتباط معقول ولو ارتفع السبب لارتفع المسبب ولو زال المسبب من العقل لم يجد السبب من يظهر فيه أثره فيزول كونه سببا وكونه سببا انما هو لذاته فينعدم السبب لانعدام المسبب من كونه سببا لا غير لا من حيث العين المنسوب اليها السببية فان الله غني عن العالمين من ذاته وكلامنا انما هو من كونه الها فكلامنا في المرتبة لا في العين كما تتكلم في السلطان من كونه سلطانا لا من كونه انسانا ولا فائدة في الكلام الا في حقائق المراتب لان بها يعقل التفاضل بين الاعيان يقول أبو طالب المكي رحمه الله ان الافلاك تدور بانفاس العالم واذا أعطى الأمر ما في قوته بحيث لا يبقى عنده شئ يعطيه هلك من كونه معطيا والمعتبر في بقاء العالم انما هو عين جوهره الذي أظهرت كونه صورة ما فالصور لا يلزم من انعدام شئ منها انعدام العالم من حيث جوهريته الا أن لا تكون الصورة أصلا فيعدم العالم من حيث جوهره لانعدام جميع الصور ويتعلق بهذا الباب مسائل من الالهيات كثيرة

﴿فصل بل وصل في الاقعاء﴾

أريد أن أعطي أصلا في هذه المسئلة يسري في جميع مسائل الشرع فنقول ان الشارع اذا أتى بلفظ ما فانه يحمل ذلك اللفظ على ما هو المفهوم منه بالمصطلح عليه في لغة العرب الى أن يخصص الشارع ذلك اللفظ بوصف خاص يخرجه بذلك الوصف عن مفهوم اللسان المصطلح عليه فاذا عين الشارع ما أراده بذلك اللفظ صار ذلك الوصف بذلك اللفظ أصلا فمتى ورد اللفظ به من الشارع فانه يحمل على المفهوم منه في الشرع حتى يدل دليل آخر من الشرع أو من قرائن الاحوال انه يريد بذلك اللفظ المفهوم منه في اللغة أو أمرا آخر بعينه أيضا هذا مطرد في جميع ما يتلفظ به الشارع ومثاله لفظة الوضوء والصلاة والصيام والحج والزكاة وأمثال هذا ثم نرجع الى ما نحن بسبيله فأقول ان الاقعاء المفهوم منه في اللغة اقعاء الكلب والقرد وصفته أن يجلس الرجل على أليتيه يفضي بهما الى الارض في الصلاة ناصبا فخذيه فهذه صفة الاقعاء اقعاء الكلب والسبع ولا خلاف أذكر بين العلماء ان هذه الهيئة ليست من صفات الصلاة وقد ورد النهي عن الاقعاء في الصلاة فنحن نحمله على الاقعاء المعروف في اللسان فان خصصه الشرع بهيئة مخصوصة تخرجه عن المفهوم منه في اللسان منطوق بها وقفنا عندها ونعلم ان تلك الهيئة هي التي نهى عنها فقالت طائفة ان الاقعاء المنهي عنه هو أن يجعل أليتيه على عقبيه بين السجدتين وأن يجلس على صدور قدميه وروي عن ابن عمر أنه كان يفعل ذلك لانه كان يشتكي قدميه والثابت عن ابن عمر أن قعود الرجل على صدور قدميه ليس من سنة الصلاة وكان ابن عباس يقول الاقعاء على القدمين في السجود على هذه الصفة هي سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم (الاعتبار في ذلك) هيئة الاقعاء هيئة المستوفز المحتفز وهكذا ينبغي أن يكون العبد مع الله في أحواله ولهذا قال ابن عباس الاقعاء سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم فان العبد ينبغي

أن يكون على هيئة الاحتفاز من أجل ورود أوامر سيده عليه لا يشتغل عن اقبالها حتى اذا وردت عليه وجدته متهيأ لقبول ما جاءته به فسارع الى امتثالها ولهذه الحالة أثنى على من هذه صفته بقوله تعالى أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون فيهم قال ومنهم سابق بالخيرات وكل من يطلب المسارعة فى الامور يكون حاله اليقظة والحضور والانتباه والاستيفاز والاحتفاز فاعلم ذلك فيخرج النهى عن الاقعاء فى الصلاة أن لا يفعل من حيث التشبه بالكلاب والسباع فى ذلك وليفعل ذلك من حيث انه مشروع على الهيئة المعقولة المنقولة فى الموطن المنقولة الينا فانه من صفة الاقعاء اللغوى أن تكون يداه فى الارض كما يقعى الكلب وليس هذا فى الهيئة المشروعة فى الاقعاء فهذا قد ذكرنا من أفعال الصلاة وأقوالها ما يجرى مجرى الأصول لما يتفرع منها

﴿فصل بل وصل فى ذكر الاحوال فى الصلاة﴾

و بعد أن ذكرنا أكثر الاقوال والافعال فى الصلاة فلننتقل الى الاحوال مثل صلاة الجماعة وحكمها وشروط الامامة ومن أولى بالتقديم وأحكام الامام الخاصة به ومقام الامام من المأموم وأحكامهم الخاصة بهم وما يتبع المأموم فيه الامام عما ليس يتبعه فيه وصفة الاتباع وما يحمله الامام عن المأموم والاشياء التى بها اذا فسدت صلاة الامام تعدت الى المأموم على حسب ما فصلته الائمة من علماء الشريعة واختلاف العلماء فى ذلك ونذكر اعتبارات ذلك كله عند العلماء بالله بحسب ما يقتضيه الطريق الى الله فى أعمال القلوب والأسرار فان هذا الطريق عند أصحاب الذوق ما هو طريق نقل فلنذكر أوّلا قبل ذكر هذه الأحوال حديثين مما يتعلق بأقوال الصلاة وأفعالها التى فى الفصل قبل هذا فهما كالخاتمة له وأعملنهما فى فصل الاحوال لحاجة فى نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحديث الواحد فى تعليم النبىّ صلى الله عليه وسلم الصلاة للرجل الذى سأله أن يعلمه كيف يصلى والحديث الثانى فى صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما أما الحديث الاول فهو حديث البخارى عن أبى هريرة وذكر حديث الرجل الذى دخل المسجد وصلى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع فصل فانك لم تصل فقال الرجل علمنى يا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قمت الى الصلاة فاسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تستوى قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم اجلس حتى تطمئن جالسا ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها وله فى طريق أخرى ثم ارفع حتى تستوى قائما يعنى من السجدة الثانية وقال علىّ بن عبد العزيز عن رفاعة بن رافع فى هذا الحديث ان الرجل قال للنبىّ صلى الله عليه وسلم لا أدرى ما عبت علىّ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم انه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله ويغسل وجهه ويديه الى المرفقين ويمسح برأسه ورجليه الى الكعبين ثم يكبر الله ويحمده ويمجده ويقرأ من القرآن ما أذن الله له فيه وتيسر ثم يكبر ويركع فيضع كفيه على ركبتيه حتى تطمئن مفاصله وتسترخى ثم يقول سمع الله لمن حمده ويستوى قائما حتى يأخذ كل عظم مأخذه ويقيم صلبه ثم يكبر فيسجد ويمكن وجهه من الارض حتى تطمئن مفاصله وتسترخى ثم يكبر فيرفع رأسه ويستوى قاعدا على مقعدته ويقيم صلبه فوصف الصلاة هكذا حتى فرغ ثم قال لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك خرّجه النسائىّ وهذا أبين وقال النسائىّ فى طريق آخر عن رفاعة أيضا فاذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك وان انتقصت منها شيأ انتقص من صلاتك ولم تذهب كلها وقال فى أوّله اذا قمت الى الصلاة فتوضأ كما أمرك الله ثم تشهد فأقم ثم كبر قال أبو عمر بن عبد البر هذا حديث ثابت الحديث الثانى وأما الحديث الثانى فهو الذى خرّجه أبو داود فى صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سمعت أبا حميد الساعدىّ فى عشرة من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم منهم أبو قتادة قال أبو حميد أنا أعلمكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فلم فوالله ما كنت بأكثرنا له تبعا ولا أقدمنا له صحبة قال بلى قالوا فاعرض قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم يكبر حتى يقرّ كل عظم فى موضعه معتدلا ثم يقرأ ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه ثم يعتدل فلا ينصب رأسه ولا يقنع ثم يرفع رأسه ويقول

سمع الله لمن حمده ثم يرفع يديه حتى يحاذي منكبيه معتدلا ثم يقول الله أكبر ثم يهوي الى الارض فيجافي يديه عن جنبيه ثم يرفع رأسه ويثني رجله اليسرى فيقعد عليها ويفتح أصابع رجليه اذا سجد ويسجد ثم يقول الله أكبر ثم يرفع ويثني رجله اليسرى ويقعد عليها حتى يرجع كل عضو الى موضعه ثم يصنع في الاخرى مثل ذلك ثم اذا قام من الركعتين كبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما كبر عند افتتاح الصلاة ثم يصنع ذلك في بقية صلاته حتى اذا كانت السجدة التي فيها التسليم أخر رجله اليسرى وقعد متوركا على شقه الايسر قالوا صدقت هكذا كان يصلي صلى الله عليه وسلم وقال أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي في هذا الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة اعتدل قائما ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه وقال في الرفع من الركوع اعتدل حتى يرجع كل عظم في موضعه معتدلا وكذلك بين السجدتين وزاد في آخره ثم سلم وقال هذا حديث حسن صحيح وهذا ابتداء فصول الاحوال ان شاء الله نذكرها فصلا فصلا

﴿فصول الاحوال﴾

﴿فصل بل وصل في ذكر ما وقع من الاختلاف في صلاة الجماعة واختلفوا في صلاة الجماعة هل هي واجبة على من سمع النداء أم ليست بواجبة﴾

فمن قائل انها سنة ومن قائل انها فرض على الكفاية ومن قائل انها فرض متعين على كل مكلف ﴿الاعتبار في ذلك﴾ لما شرع الله للمصلي أن يقول اياك نعبد بنون الجمع دل على انه مطلوب بكل جزء منه بالصلاة معا في حال واحد ولهذا سميت التكبيرة الاولى تكبيرة الاحرام أي يحرم على العبد في صلاته أن يتصرف بعضو من أعضائه فيما ليس من الصلاة وكل ما أبيح له من الفعل فيها فهو من الصلاة ولكن لا من صلاة كل مصل الا المصلي عرض له في صلاته من ذلك شئ ففعله وهي أمور منصوصة عليها وكل فعل يجوز أن يفعل في الصلاة فهو صلاة لان الشارع عينها فلا تبطل الصلاة بفعل شئ منها فحضور جماعة العبد مع الله تعالى في الصلاة واجب بلا شك فعلى كل عضو من أعضائه في الصلاة صلاة وأقل ما ينطلق عليه اسم الجماعة اثنان يقول الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ووصف نفسه بأنه يصلي علينا وقد أدخل نفسه مع العبد في الصلاة وكل يصلي مع ربه بلا شك فهو في جماعة بلا شك ويكون الحق اماما والعبد مأموما لانه هو الذي يقيمه ويقعده ويكون العبد اماما في المناجاة فان الله جعل ابتداء القول اليه فأتم مصل فذا فان غاب عن الحضور مع الله في هذه الصلاة فقد انفرد في هذه العبادة بنفسه دون ربه وهذا هو الفذ في الاعتبار وهو على هذا وان كان في جماعة من عالمه فهو في حكم الفذ والفذ الآخر أن يفرد الصلاة للرب لغلبة مشاهدته اياه وفنائه عن نفسه فلا يشهد نفسه مصليا مع شهود وقوع الصلاة منه بربه فهذا أيضا يلحق بصلاة الفذ فاذا كوشف العبد على كل جزء منه في صلاته انه مسبح بحمد ربه في صلاته وكل جزء فان عن نفسه بشهوده فهو من حيث ما هو مجموع في جماعة فله أجر الجماعة وله أجر الفذ بكل جزء منه بالغا ما بلغت أجزاؤه فان شئت قلت انه صلى فذا وان شئت قلت انه صلى في جماعة والحق الامام ثم ان من العارفين من يقيمه الحق في مقام الامامة ويكون الحق مأموما وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا فهو يجري معك ما دمت تجري معه وهو قوله تعالى من هذا الباب فاذكروني أذكركم وقوله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم فهذا معنى الامام والمأموم فهو سبحانه قدمك في هذا الموضع وأمثاله ومثل أجيب دعوة الداع اذا دعان ومثل امامته بك فليستجيبوا لي في دعائه اياهم ثم يدعونه اقتداء بدعائه فيجيبهم باجابتهم اياه فانظر ما أكرم هذا الرب مع الغنى المطلق الذي وصف به نفسه كيف ربط نفسه بعبده في جميع ما أمره به من العبادة ذلك هو الفضل المبين

﴿فصل بل وصل فيمن صلى وحده ثم أدرك الجماعة أو صلى في جماعة ثم انه أدرك جماعة أخرى﴾

اعلم انه من صلى ثم أتى المسجد فلا يخلو من أحد وجهين اما ان صلى منفردا أو في جماعة فان كان صلى منفردا يعيد معهم كل الصلوات الا المغرب فقط وقالت طائفة يعيد الا المغرب والعصر وقالت طائفة الا المغرب والصبح ومن قائل الا الصبح

والعصر وقالت طائفة يعيد الصلوات كلها وأما اذا صلى فى جماعة فهل يعيد فى جماعة أخرى فمن قائل يعيد ومن قائل لا يعيد وأما مذهبنا فى مثل هذه المسئلة ان الجماعة فرض اذا قدر عليها فان لم يقدر عليها فيصلى منفردا فان أدرك الجماعة ولو كان صلى فى جماعة فانه يصلى مع الجماعة اذا أدركها اجابة لندائه فى الاقامة حى على الصلاة وهى له نافلة فى الحالتين وله أجر الجماعة اذا لم يقدر عليها

﴿وصل فى اعتبار ذلك فى النفس﴾

لما عين الشارع المناجاة للصلاة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه وجعلت قرة عينى فى الصلاة اعلاما بأنه من أهل مشاهدة الحق فيها على وجه أتم من مشاهدة الاتباع فى قوله فى الاحسان أن تعبد الله كأنه تراه وما خص عبادة من عبادة والله يقول ان الله يحب التوابين وهم الذين يكثرون الرجوع اليه سبحانه فى كل حال يرضيه ولا حال أشرف من الصلاة لجمعها بين الشهود والمناجاة وقال ويحب المتطهرين والطهارة من شروط الصلاة والمحب يتمنى ويشتهى انه لا يزال فى مشاهدة محبوبه على الدوام ومناجاته فكيف اذا دعاه الحبيب الى ذلك بقوله حى على الصلاة قد قامت الصلاة فبالضرورة يبادر ويسابق الى ما دعاه ليلتذ بشهوده ومناجاته فيرى من هذا حاله اعادة الصلوات فى الجماعة متى أقيمت ودعى اليها وان كان قد صلى منفردا أو فى جماعة وقد بينا معنى الفذ والجماعة فى الفصل الذى قبل هذا وأما من ذهب الى أنه لا يعيد الصلاة فهم العارفون كما ان الذين يرون الاعادة هم المحبون وذلك ان العارفين علموا ان الاعادة محال وان التجلى الذى كان له فى صلاته غير التجلى الذى يكون له فى الصلاة الاخرى الى ما لا يتناهى فلما استحال عنده التكرار والاعادة للاتساع الالهى لم تصح عنده الاعادة فالمحب يصلى معيدا وهو لا يعلم والعارف يصلى لا على جهة الاعادة وهو يعرف فالعلم أشرف المقامات والحب أشرف الاحوال والجامع بين المقامين المحبة والمعرفة يقول بالاعادة للتجلى وبعدم الاعادة للمتجلى له فله الاوّلية فى كل صلاة فرضا كانت أو نفلا وأما من لا يرى اعادة المغرب فان المغرب وترية العبد والوتر الليلى وترية الحق فان وتر الليل ركعة واحدة والاحدية لله تعالى عز وجل ووترية المغرب ثلاث ركعات لجمع بين الشفع والوتر وهو أوّل الافراد وان الله وتر يحب الوتر فلا يرى العبد ربه من حيث شفعيته واعتبارا من حيث وترية الفردية ولله وترية الفردية فى كونه الها ووترية الاحدية من كونه ذاتا واذا رأى العبد ربه من حيث وتريته الالهية الفردية من تلك الوترية الالهية الفردية يرى وترية الذات الاحدية لا من جهة وترية العبد الفردية فلم ير الله الا بالله فلو أعاد المغرب لصارت وترية العبد شفعا فلم يكن يرى ربه وترا أبدا فقال بترك الاعادة للمغرب دون غيرها من الصلوات ومن قال باعادة المغرب قال يعيدها بوترية الفردانية الالهية لا بوتريته فتبقى وتريته على فرديتها لا تصير شفعا باعادة صلاة المغرب فان الحق متميز عن الخلق بلا شك من كل وجه وأما من لم ير اعادة الصبح فان الصبح الاوّل عين الفرض وكذلك العصر والصبح الثانى والعصر الثانى هما نافلة والانسان فى أداء الفرض عبد محض عبودية اضطرار وهو فى النفل عبد اختيار وعبودية الاضطرار أشرف فى حقه من عبودية الاختيار لان له فى عبودية الاختيار الامتنان بالاسترقاق قال تعالى يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين ولما شبه الحق رؤية العباد اياه برؤيتهم الشمس صار للشمس عندهم مزيد رتبة ولا سيما المحبين لكون الحبيب ضرب برؤيتها المثل فى رؤيته فى التشبيه فهم اذا رأوها كأنهم يرون الله لان رؤيتهم اياها تذكرهم ما وعدهم الله به من رؤيته فيريدون أن لا تطلع الشمس عليهم الا وهم موصوفون بعبودية الاضطرار ولا تغرب عليهم الشمس الا وهم أيضا فى عبودية الاضطرار كما يريدون رؤية الله فى حال الاضطرار والعبودية المحضة فان لذتها أتم وأحلى كما ان رؤيتها أعم وأجلى ولتكون الشمس فى غروبها وطلوعها تقول لربها تركناهم عبيد اضطرار وأتيناهم وهم عبيد اضطرار كما تقول الملائكة الذين يعرجون فى صلاة الصبح وصلاة العصر فيسألهم الحق جل جلاله وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون فلا تنصرف عنهم الملائكة الذين كانوا معهم ولا تأتيهم الملائكة الأخر الا عند شروعهم فى الصلاة سواء قاموا اليها فى أول الوقت أو فى آخره كل انسان لا تنصرف عنه ملائكته الا كما قلنا ولهذا عند أهل الايمان وأهل

الكشف ان المصلي اذا أراد أن يكبر تكبيرة الاحرام في صلاة الصبح والعصر يقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته لانهم في ذلك الوقت تنصرف عنهم الملائكة الذين كانوا فيهم وترد عليهم الملائكة الذين يأتون اليوم وهم عند اتيانهم يسلمون على العبد وعند انصرافهم يسلمون أيضا والله قد أمرنا بقوله واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فوجب على كل مؤمن عند حق ايمانه وحقيقته أن يرد في ذلك الوقت السلام عليهم والا فهو طعن في ايمانه ان حضر مع هذا الخبر وتذكر في ذلك الوقت وأما صاحب الكشف فهو على علم عين والمؤمن على بصيرة ومن استثنى العصر دون الصبح رأى انه لا يستقبل الغيب الا بعبودية الاضطرار لان الغيب الاصل وهو هوية الحق ولا يفارق الغيب الهوية قال والصبح خروج من الغيب الى الشهادة فلا أبالي بالشهادة على أية حالة كنت من العبودية من اضطرارا واختيار لان الفرض الوقوف في العبودية وان الشهادة محل الدعوى لانه محل الحركة والمعاش ورؤية الاغيار ومحبابيات الافعال ومن استثنى الصبح دون العصر قال أريد ان استقبل الاسم الظاهر بعبودية الاضطرار ولا أبالي باستقبال الليل بأي عبودية استقبلته بعبودية الاضطرار ولا بعبودية الاختيار ولهذا تنفل بعد العصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تنفل بعد الصبح فقط وذلك ان هذا الذي مذهبه التنفل بعد العصر ان شاء يقول الليل له الغيب وله الاسم الباطن وله من القوة بحيث انه يجعلني مضطرا شئت أم أبيت وليس النهار كذلك فان استقبلته بعبودية الاختيار فهو يحكم على سلطانه ويردني مضطرا فكل طائفة راعت أمرا ما في الاعتبار في الصلوات التي لا ترى اعادتها اذا صلاها وقد تقدم معرفة المنفرد والجماعة

﴿فصل بل وصل فيمن أولى بالامامة﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم القوم أقرؤهم لكتاب فقالت طائفة أفقههم لا أقرؤهم فهذه مسئلة خلاف بين أصحاب هذا القول وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني سألت القائلين بهذا المذهب هل بلغكم هذا الحديث فاعترف وافقه الواو ورويناه وعلمناه وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول ولا حجة للقائلين بخلاف ما قاله ولا سيما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هذا الحديث فان كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ففرق بين الفقيه والقارئ وأعطى الامامة للقارئ ما لم يتساويا في القراءة فان تساويا لم يكن أحدهما أولى بالامامة من الآخر فوجب تقديم العالم الاعلم بالسنة وهو الافقه ثم قال عليه السلام فان كانوا في العلم بالسنة سواء فأقدمهم هجرة فان كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم اسلاما ولا يؤم الرجل في سلطانه ولا يقعد في بيته على تكرمته الا باذنه وهو حديث متفق على صحته وبه قال أبو حنيفة وهو الصحيح الذي يعول عليه واما تأويل المخالف للنص بأن الاقرأ كان في ذلك الزمان الافقه فقد رد هذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم فأعلمهم بالسنة واعلم ان كلام الله لا ينبغي ان يقدم عليه شئ أصلا بوجه من الوجوه فان الخاص ان تقدمه من هو دونه فليس بخاص وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته وهم الذين يقرؤن حروفه من عجم وعرب وقد صحت لهم الاهلية الالهية والخصوصية فاذا انضاف الى ذلك المعرفة بمعانيه فهو فضل في الاهلية والخصوصية لا من حيث القرآن بل من حيث العلم بمعانيه فان انضاف الى ذينك الى حفظه والعلم بمعانيه العمل به فنور على نور فالقارئ مالك البستان والعالم كالعارف بأنواع فواكه البستان وتطعيمه ومنافع فواكهه والعامل كالآكل من البستان فمن حفظ القرآن وعلمه وعمل به كان كصاحب البستان علم ما في بستانه وما يصلحه وما يفسده وأكل منه ومثل العالم العامل الذي لا يحفظ القرآن كمثل العالم بأنواع الفواكه وتطعيماتها وغراستها والآكل الفاكهة من بستان غيره ومثل العامل كمثل الآكل من بستان غيره فصاحب البستان أفضل الجماعة الذين لا بستان لهم فان الباقي يفتقرون اليه ﴿وصل﴾ في اعتبار ذلك الاحق بالامامة من كان الحق سمعه وبصره ويده ولسانه وسائر قواه فان كانوا في هذه الحالة سواء فاعلمهم بما تستحقه الربوبية فان كانوا في العلم بذلك سواء فاعرفهم بالعبودية ولوازمها وليس وراء معرفة العبودية حال يرتضي يقوم مقامه أو يكون فوقه لانهم لذلك خلقوا قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والامامة على الحقيقة انما هي لله الحق تعالى جل جلاله وأصحاب هذه الاحوال

انما هم نوابه وخلفاؤه ولهذا وصفهم بصفاته بل جعل عينه عين صفاتهم فهو الامام لاهم قال تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم أي أصحاب الامر وأصحاب الامر على الحقيقة هم الذين لا يقف لامرهم شئ لانهم بالله يأمرون كابه يسمعون كابه يبصرون فاذا قالوا للشئ كن فانه يكون لانهم به يتكلمون فهذا معنى وأولى الامر منكم في الاعتبار ولهذا كانت طاعة السلطان واجبة فان السلطان بمنزلة أمر الله المشروع من أطاعه نجا ومن عصاه هلك

﴿فصل بل وصل في امامة الصبي غير البالغ﴾

اذا كان قارئا اختلفوا في امامة الصبي غير البالغ اذا كان قارئا فاجاز ذلك قوم مطلقا ومنع من ذلك قوم مطلقا وأجازه قوم في النفل دون الفريضة اعتبار الامر في ذلك يقال صبا فلان الى كذا اذا مال اليه لما كان الصبي يميل الى حكم الطبيعة ونيل اغراضه سمي صبيا أي مائلا الى شهواته وهو غير البالغ حد العقل الذي يوجب التكليف وكانت الطبيعة في الرتبة دون العقل فلم يصح لها التقدم ولا لمن مال اليها وان كان مائلا اليها بحق فان لها مقام التأخر فلابد أن يتأخر والمتأخر لا يكون اماما مقدما فانه نقيض حكم ما هو فيه فمن راعى هذا الاعتبار لم يجز امامة الصبي وان كان قارئا ومن راعى كونه حاملا للقرآن جعل الامامة للقرآن لا للصبي وكانت امامة الصبي في حكم التبعية لاجل القرآن فاجاز امامة الصبي قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا يعني حكم الامامة وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وهو مقام الامامة مع تسميته صبيا ومن جعل عبودية الصبي عبودية اختيار لسقوط التكليف عنه ورأى ان النافلة عبادة اختيار أجاز صلاة الصبي اماما في النفل دون الفرض للمناسبة في الاختيار

﴿فصل بل وصل في امامة الفاسق﴾

فردها قوم باطلاق وأجازها قوم باطلاق وفرق قوم بين الفاسق المقطوع بفسقه و بين المظنون فسقه فلم يجيزوا الامامة للمقطوع بفسقه وان المصلي وراءه يعيد واستحبوا الاعادة لمن صلى خلف المظنون فسقه في الوقت وفرقوا أيضا بين من يكون فسقه بتأويل و بين من يكون بغير تأويل فاجاز والصلاة خلف المتأول ولم يجيزوها لغير المتأول و بالاجازة على الاطلاق أقول فان المؤمن ليس بفاسق أصلا اذ لا يقاوم الايمان شئ مع وجوده في محل العاصي (الاعتبار في ذلك) الفاسق من خرج عن أصله الحقيقي وهو كونه عبدا لانه لهذا خلق فانه لابد أن يكون عبد الله أو عبد الهواه فما برح من الرق فلم يبق خروجه الا عن الاضافة التي أمر أن ينضاف اليها فتجوز امامته لان الموفق من عباد الله يأتم بهذا الفاسق فانه يراه قائما بعبوديته في حق هواه الذي فيه شقاؤه فيتعلم منه استيفاء حق العبودية التي أمره الله أن يكون بها عبدا له فيقول أنا أولى بهذه الصفة في حق الله من هذا العبد في حق هواه فلما رأينا أولياء الله يأتمون به و ينفعهم ذلك عند الله ويكون هذا الاقتداء سببا في نجاتهم صحت امامته وقد صلى عبد الله بن عمر خلف الحجاج وكان من الفساق بلا خلاف المتأولين بخلاف فكل من آمن بالله وقال بتوحيده في ألوهته فالله أجل أن يسمى هذا فاسقا حقيقة مطلقا وان سمي لغة لخروجه عن أمر معين وان قل والمعاصي لا تؤثر في الامامة ما دام لا يسمى كافرا وأما الفسق المظنون فبعيد من المؤمن اساءة الظن بحيث أن يعتقد فسوق زيد بالظن لا يقع في ذلك مؤمن مرضي الايمان عند الله وهذا كله في الاحوال الظاهرة وأما الباطنة فذلك الى الله أو من أعلمه الله ثم يرتقي العارف بالنظر في الفسوق عما يذمه الشرع الى ما تعطيه اللغة ولكن في الاعتبار لا في الحكم الظاهر وهو اذا خرج الانسان عن انسانيته بخروجه عن حكم طبيعته عليه الى عالم تقديسه من الارواح العلا فهل تصح له امامة هنالك أم لا فمن أصحابنا من قال تصح امامته بالعالم الاعلى على الاطلاق وهو مذهبنا ومن أصحابنا من قال لا يؤم اذا خرج عن حكم طبيعته الا بالارواح المفارقة للاجسام الطبيعية من الجن والانس وسبب اختلافهم ان كل صاحب كشف أخبر عما رأى في كشفه في ذلك الوقت والمكاشف قد يطلع وقتا على الأمر من جميع جهاته وقد يطلع على بعض وجوهه و يستر الله عنه ما شاء من وجوه ذلك الامر فيحكم المكاشف على الكل فيكون صحيح الكشف مخطئا في تعميم الحكم ثم يرى انه من حيث روحه من جملة

الارواح الملكية فيقول وان خرجت عن طبيعتي فلم أخرج عن ملكيتي لساني من عالم الامر فيطلب النفوذ والخروج أيضا من روحه كما خرج عن طبيعته فيخرج بسره الرباني فتقوم له الاسماء الالهية فيؤم بها نحو ما القه وهو يقدمها فلكل اسم له حقيقة وهذا العبد مجموع تلك الحقائق كلها فتصح له الامامة في ذلك الموطن مع خروجه عن طبيعته وروحه وما من موطن يخرج عنه الاو يلحقه فيه ذم من طائفة لان تلك الطائفة ترى في هذا العبد انه متعبد بمجموعه وهو الصحيح فتسميه فاسقا ولكن بصفر فان السالك يعطي التحليل حتى ينتهي فاذا انتهى يتركب طورا بعد طور كما يتحلل حتى يكمل فيزول عنه اسم الفسوق في كل عالم فهذا اعتبار امامة الفاسق

﴿فصل بل وصل في امامة المرأة﴾

فمن الناس من أجاز امامة المرأة على الاطلاق بالرجال والنساء وبه أقول ومنهم من منع امامتها على الاطلاق ومنهم من أجاز امامتها بالنساء دون الرجال (الاعتبار في ذلك) شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض النساء بالكمال كما شهد لبعض الرجال وان كانوا أكثر من النساء في الكمال وهو النبوة والنبوة امامة فصحت امامة المرأة والاصل اجازة امامتها فمن ادّعى منع ذلك من غير دليل فلا يسمع له ولا نص للمانع في ذلك وحجته في منع ذلك يدخل معه فيها ويشركه فتسقط الحجة فيبقى الاصل باجازة امامتها اعلم أن الانسان عالم في نفسه كبير من جهة المعنى وان كان صغير الجسم وهذا يقول اياك نعبد بنون الجمع وجعل جوارحه وقواه الظاهرة والباطنة منقادة لما يحكم فيها المقدمون عليها وهو العقل والنفس والهوى وكل واحد منهم قد يؤم بالجماعة في وقت ما فالطاعات كلها المقربة للعقل والمباحات للنفس والمخالفات للهوى وقد قيل للعقل اذا سمّت النفس من اتباعك في الامور المقربة واقتدائها بك في وقت امامتك وتقدمت هي في المباحات وأمت بك فاتبعها وصل خلفها حافظا لها لئلا يخدعها الهوى فان الهوى يتبعها في ذلك الحال عسى يوقع بها في محظور ففي مثل هذا الموطن تجوز امامة النفس وهي امامة المرأة وامامة العقل بمنزلة امامة الرجل المسلم البالغ العالم الولد الحلال وامامة الهوى بمنزلة امامة المنافق والكافر والفاسق وامامة النفس بمنزلة امامة المرأة

﴿فصل بل وصل في امامة ولد الزنا﴾

اختلفوا في امامة ولد الزنا فمن مجيز امامته ومن مانع من ذلك (الاعتبار في ذلك) ولد الزنا هو العلم الصحيح عن قصد فاسد غير مرضيّ عند الله فهو نتيجة صادقة عن مقدمة فاسدة فالانسان وان طلب العلم لغير الله فحصوله أولى من الجهل فانه اذا حصل قد يرزق صاحبه التوفيق فيعلم كيف يعبد ربه فتجوز امامة ولد الزنا وهو الاقتداء بفتوى العالم الذي ابتغى بعلمه الرياء والسمعة ليقال فأصل طلبه غير مشروع وحصول عينه في وجود هذا الشخص فضيلة

﴿فصل بل وصل في امامة الاعرابي﴾

اختلفوا في امامة الاعرابي فمن مجيز امامته ومن مانع من ذلك (الاعتبار في ذلك) الجاهل بما ينبغي للامام أن يعلمه لا يصلح للامامة لان الامام يقتدى به وهو لا يعلم ولا يتعلم فلا تجوز امامة من هذه صفته لانه لا يعلم ما يجب عليه مما لا يجب فالمقتدي به ضال وليس هو بمنزلة صلاة المفترض خلف المتنفل فان الامام اذا تنفل وخالف المأموم في نيته فما خالفه فيما هو فرض في الصلاة نافلة كانت أو فريضة لانها تشتمل على فروض وسنن فاركانها فروض كلها وسننها كذلك في النافلة والفريضة فما فعل المتنفل الذي هو الامام في صلاته الا ما افترض عليه أن يفعله من أركان صلاته من ركوع وسجود وغير ذلك وكذلك سننها والمفترض مقتد به في هذه الافعال التي هي فرض عليهما فعلها فما اقتدى الذي نوى الفرض خلف المتنفل الا بما هو فرض على المتنفل فاعلم ذلك

﴿فصل بل وصل في امامة الأعمى﴾

فمن مجيز امامة الاعمى ومن مانع امامته والله أعلم (اعتبار ذلك) الاعمى هو الحائر الذي هو في محل النظر لم يترجح عنده شيء وليس بواقف فيكون شاكا والاصل حكم الفطرة التي ولد عليها فهو مؤمن في حال نظره وحيرته ما لم يقف أو يرجح فتجوز امامته بأصل الفطرة لاستنابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم على المدينة يصلي بالناس وهو أعمى

﴿فصل بل وصل في امامة المفضول﴾

اختلف العلماء في امامة المفضول فنهم من أجازها ومنهم من منع من ذلك صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف عبد الرحمن بن عوف بلا خلاف وقضى مافاته وقال أحسنتم (اعتبار ذلك) الفاضل يصلى خلف المفضول ليرقى همته ويرغبه في طلب الانفس والاعلى سياسة وحسن تربية فانه داع الى الله تعالى على بصيرة ان الله يفتح للكبير بصدق توجه الصغير فالصغير مفيد الكبير وامامه من حيث لا يشعر وكم من مريد صادق وقعت له واقعة وهو معتني به فعرضها على الشيخ وقد كان الشيخ ما عنده معنى تلك الواقعة وقد استفرغت همة المريد وقطعت ان واقعته لا يعرف حل اشكالها الا هذا الشيخ ففتح الله على ذلك الشيخ فيها بهمة ذلك المريد وصدقه فيه عناية من الله بالمريد وينتفع الشيخ تبعا وان كان الشيخ أعلى منه في المقام ولكن ليس من شرط كل مقام اذا دخله الانسان ذوقا أن يحيط بجميع ما يتضمنه من جهة التفصيل فانا نعلم قطعا أنا نجتمع مع الانبياء عليهم السلام في مقامات ويمنناو بينهم في العلم باسرارها بون بعيد يكون عندهم ماليس عندنا وان شملهم المقام فهذه امامة المفضول فافهم ولا تغالط نفسك فتقول أنا شيخ هذا فانا أعلم منه بما تطلبه التربية وقد لا تكون أعلم منه بما تنتجه وقد رأينا ذلك معاينة في حق أشخاص والحمد لله انتهى الجزء الأر بعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿فصل بل وصل في حكم الامام اذا فرغ من قراءة الفاتحة هل يقول آمين أم لا يقولها﴾

اختلف العلماء في ذلك فن قائل يؤمن ومن قائل لا يؤمن ﴿وصل في الاعتبار في ذلك﴾ ان جعل الانسان نفسه أجنبية عنه فانه يخاطبها مخاطبة الاجنبي يقول الله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه وهذا يجده كل انسان ذوقا تقتضيه نشأته ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للانسان المكلف ان لنفسك عليك حقا فاضاف النفس اليه والشئ لا يضاف الى ذاته فجعل النفس غير الانسان وأوجب لها عليه حقا تطلبه منه فان كان هو التالي فلا لنفسه عند فراغ الفاتحة آمين وان كانت النفس التالية فلابد أن يقول هو آمين والانسان واحد العين كثير بالقوى ويؤيده قوله فنهم ظالم لنفسه وبادرني عبدي بنفسه في القاتل نفسه فن كان هذا مشهده قال يؤمن الامام والمنفرد ومن رأى ان الامام عين واحدة أو يرى أنه قال به في قوله بي يسمع وبي يبصر وبي يتكلم وقد كان الشيخ أبو مدين ببجاية يقول ما رأيت شيأ الا رأيت الباء عليه مكتوبة يشير الى هذا المقام وهي تسمى باء الاضافة مثل قوله أيضا فن كان مشهده هذا يقول لا يؤمن الامام والتأمين أولى بكل وجه فان المكلف مأمور اذا دعا أن يبدأ بنفسه وقوله آمين دعاء يقول اللهم أمنا بالخير وبما قصدناك فيه والانسان بحكم حاله ومشهده وفي الحديث الثابت اذا أمن الامام فأمنوا والحديث الآخر اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين

﴿فصل بل وصل متى يكبر الامام﴾

فن قائل بعد تمام الاقامة واستواء الصفوف ومن قائل قبل أن يتم الاقامة ومن قائل بعد قول المؤذن قدقامت الصلاة وبالتخيير أقول في ذلك (الاعتبار) الاقامة للقيام بين يدي الله تعالى فانه يقول حي على الصلاة واستواء الصفوف مثل صفوف الملائكة عند الله تعالى الذين أقسم بهم في قوله والصافات صفا وهي اشارة الى اقامة العدل فان الانسان بروحه ملك مدبر لما ولاه الله عليه من هذه النشأة الذي أشار اليه بالبلد الأمين لكونه أما جامعة مثل مكة التي هي أم القرى والفاتحة أم الكتاب فلابد من فروض الاحكام لاقامة العدل في العبادات التي خوطب بها جماعة الجوارح فاجتماع الهم على ذلك واجب ظاهرا وباطنا فن رأى مثل هذا يكبر بعد الاقامة واستواء الصفوف كأنه يقول الله أكبر من أن يتقيد تكبيره بمثل هذه الصفة لاحاطته اطلاقا بكل حال ووجه فانه أعطى كل شئ خلقه فانه على صراط مستقيم فلما كلف عباده بالمشي على صراط خاص عينه لهم كان من عدل اليه سعد ومن عدل عنه شقي ومن رأى المسارعة الى

الخيرات والسباق الى المناجاة كبر عند سماعه حي على الصلاة في الاقامة الا أن يكون هو المقيم فلا يتمكن له حتى يفرغ من لا اله الا الله وحينئذ يكبر وانما قلنا يبادر بالتكبير الاقامة وهو قول المؤذن قد قامت الصلاة ليصدق المؤذن في قوله قد قامت الصلاة لانه جاء بلفظ الفعل الماضي فيبنى صلاته على قاعدة صدق فيفوز في الثواب بمقعد صدق عند مليك مقتدر في جنات ونهر أي في ستور من علوم جارية واسعة كما قلت هذا جاء غيره لأن النهر جار على الدوام بالامثال واعلم ان أول اقامة الصلاة تكبيرة الاحرام كعجب الذنب من اقامة النشأة فاذا قال المؤذن قد قامت الصلاة قبل تكبيرة الامام لم يصدق وتجوز في الكلام وعلم الاذواق والاسرار لا يحمل التجوز في الكلام فانه على الحقيقة والكشف يعمل وروح الانسان ماهو بيده فلو قبض الامام وقد قال المؤذن قد قامت الصلاة ولم يكبر الامام لعلمنا أنه قبض مكذبا ولا ينفعه هنا قوله صلى الله عليه وسلم ان الانسان في صلاة ما دام ينتظر الصلاة ونحن في هذا الموطن بحكم الصلاة المنتظرة بالاتم والالزم ولا نشك ان العارفين في حركاتهم وسكناتهم في صلاة ومناجاة ولكن المطلوب منه في هذه الحالة الصلاة المشروع لنا اقامة نشأتها من تكبيرة الاحرام الى التسليم وما بينهما ترتيب أعضاء نشأتها حتى تقوم خلقا سويا يشهدها ببصره من أنشأها ولا سيما من أنشأها ربه فانها تخرج من أكمل النشآت ليس للنفس فيها حظ فهذه صلاة الهية لا كونية ومن جعل الاقامة من المؤذن أو من نفسه من نفس اقامة نشأة الصلاة كبر بعد الاقامة وتكون الصلاة مشتركة في نشأتها الا في حق المقيم بنفسه لا بالمؤذن فانه لا فرق في أول انشاء صورة الصلاة عنده من الاقامة الا أن يكون المقيم الذي هو المؤذن والامام يتصرفان بربهما على قدم فناتهما عن أنفسهما فقد تكون نشأة الصلاة نشأة الهية ولكن لا تقوى في الصورة قوة الواحد لان مزاج كل واحد من الشخصين يفارق الآخر والحق ما يتجلى الا بحسب القابل اعلم أن العبد يقيم سره بين يدي ربه في كل حال فهو مصل في كل حال ففي أي وقت كبر من هذه الاوقات التي وقع فيها الخلاف بين علماء الرسوم فقد أصاب فان الصلاة قد قامت فان الله قرر حكم المجتهد شرعا منه كالفنا به ويخرج قوله حي على الصلاة في الاقامة خطابا للجوارح لتصرفها في غير تلك الافعال الخاصة بهذه الحالة وخطابا للروح بل للكل بالخروج من حال هو فيه الى حال أخرى أي أقبل عليها ان كنت في صلاة فتكون من الذين هم على صلاتهم دائمون وعلى صلواتهم يحافظون

﴿فصل بل وصل في الفتح على الامام﴾

اختلف العلماء في الفتح على الامام فمن قائل بالفتح عليه ومن قائل لا يفتح عليه ويركع حيث ارتج عليه ومن قائل لا يفتح عليه الا اذا استطعم ومن قائل لا يفتح عليه الا في الفاتحة وصاحب هذا القول يقول من فتح عليه في السورة فقد بطلت صلاة الفاتح ﴿وصل الاعتبار﴾ من قال بالخاطر الاول قال لا يفتح على الامام وكذلك من قال بالوقت ومن قال بمراعاة الانفاس وأما من قال بما سبقت به السابقة في أول الشروع وراعى ذلك الخاطر وجعل الحكم له فان نوى عند ما شرع قراءة سورة أو آيات معلومات ثم ارتج عليه فله أن يتم ما نوى فيستطعم المأموم فيطعم المأموم ويفتح عليه اذا ارتج عليه وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي حين ارتج عليه يقول له لم تفتح علي لان أبيا كان حافظا للقرآن فراعى القصد الاول بالقراءة فأراد تمامه والارتاج على العبد في الصلاة من أدل دليل على وجود عين العبد وأعني بوجود عينه ثبوته لان ذلك ليس من صفات الحق فان صلى بربه فينبغي للمصلي أن يكون مع الحق بحسب الوقت فلا ينظر الى ماض ولا الى مستقبل فلا يستفتح ولا يفتح عليه ولكن يركع حيث انتهى به ربه من كلامه فذلك الذي تيسر له من القرآن قال تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن وقد فعل فلا ينبغي أن يكون لمخلوق في الصلاة أثر ينسب اليه وهو مذهب علي بن أبي طالب والجواز مذهب ابن عمر

﴿فصل بل وصل في موضع الامام﴾

اختلف العلماء في موضع الامام فمن قائل بأنه يجوز أن يكون أرفع من موضع المأمومين ومن قائل بالمنع من ذلك وقوم استحبوا من ذلك اليسير ومذهبنا أي شئ كان من ذلك جاز وارتفاع موضع الامام أولى لاجل الاقتداء به على

التعيين ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ المناسبات في الامور أولى من عدم المناسبات ومرتبة الامامة أعلى من مرتبة المأموم فينبغي أن يكون في تلك المرتبة الافضل والاعلى و ينبغي أن يكون في موضعه أرفع لانه في مقام الاقتداء به فلا بد أن يكون له الشرف على المأموم فانه موضع للمأموم ولهذا سمي اماما فله حالتان وحالتان فالحالتان الاوليان أن يكون اماما أموما معا في حال واحدة فيقتدي باضعف المأمومين في صلاته فهو مأموم و يقتدي به المأموم في ركوعه وسجوده وجميع أفعاله فهو امام والحالتان الاخريان حالة يسمى بها مصليا فهو مع ربه في هذه الحالة وهو امام لغيره فله حالة أخرى فمن راعى كونه مصليا منع أن يكون له شفوف على المصلين وان كثروا فانهم أئمة بعضهم لبعض من الامام الى آخر الصفوف ومن راعى كونه اماما كان أولى أن يكون موضعه أرفع من المأموم فهو بحسب مشهده

﴿فصل بل وصل في نية الامام الامامة﴾

اختلف العلماء هل يجب للامام أن ينوي الامامة أم لا فمن قائل بوجوبها ومن قائل بأنها لا تجب و به أقول وان نوى فهو أولى ﴿وصل الاعتبار﴾ ينبغي للمصلي أن يكون له شغل بربه لا بغير ربه فان الصلاة قسمها الله بينه و بين المصلي فليس له أن ينوي الامامة ومن رأى ان قوله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين من غير نظر الى التفصيل الوارد بعد هذا القول في قراءة أم القرآن أدخل حكم رعاية المأموم في هذا القول أي المصلي اذا كان اماما أو مأموما فان الصلاة مقسومة بيني و بين عبدي نصفين فينوي التوجه الى و ينوي التوجه الى القبلة و ينوي القربة بهذه العبادة الى و ينوي الامامة بالمأمومين و ينوي المأموم بهذه العبادة القربة الى و ينوي الائتمام بالامام وكل مصل بحسب ما يقع له و يشهده الحق في مناجاته

﴿فصل بل وصل في مقام المأموم من الامام﴾

لا يخلو المأموم اما أن يكون واحدا أو اثنين أو أكثر من اثنين ولا يخلو اما أن يكون رجلا أو رجلين أو امرأة أو صبيا فاما المأموم اذا كان رجلا بالغا واحدا فانه يقيمه عن يمينه فان كان صبيا أقامه عن يمينه مثل الرجل وقيل عن يساره ليمتاز حكم الصبي من حكم الرجل فان كان رجلين أقام أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وان شاء أقامهما خلفه وان كان رجلا وصبيا فحكمهما مثل حكم الرجلين فان كان امرأة كانت خلف الامام اذا انفردت فان كان معها رجل واحد فالرجل عن يمين الامام والمرأة خلفه وان كان أكثر من واحد مع وجود المرأة أقام الرجال خلفه والمرأة أو النساء خلف الرجال ﴿وصل الاعتبار﴾ ورد في الاخبار الندب الى التخلق باخلاق الله قال عليه السلام ما كان الله لينهاكم عن الربا و يأخذه منكم ومامن وصف وصف الحق به نفسه الا وقد ندبنا الى الاتصاف به وهذا معنى التخلق والاقتداء والائتمام وهذه الامامة عينها فالامام على الحقيقة هو الله تعالى والمأموم المخلوقون فلا يخلو الأمام أن ينظر نفسه واحدا من حيث أحديته وهو ما يختص به و يتميز عن كل من سواه مع الحق أو ينظر نفسه مع الحق من حيث شفعيته أو ينظر مع الحق من حيث فرديته وهو الثلاثة أعني ثالث اثنين أو ينظر نفسه من حيث انه لم يكمل كما كمل غيره أو ينظر نفسه مع الحق من كونه مائلا الى طبيعته وهو الصبي من صبا اذا مال أو ينظر نفسه مع الحق من كونه مائلا الى طبيعته لا من حيث عقله فيكون بمنزلة المرأة فلا يخلو اما أن يستحضر عقله مع طبيعته والحق تعالى في هذه الاحوال كلها امام فاليمين للقوة وكنا بذلك عن القربة واسقاط الحول والقوة والخلف للاقتداء والاتباع فانظر أيها المصلي بأي حال حضرت في صلاتك مما ذكرناه فقم به في المقام الذي بيناه من الامام تكن قد أتيت بالصلاة المشروعة ولكن مشهودك الحق وامامك من حيث ما وصفه الشارع لا من حيث ما دل عليه دليل العقل حتى تكون ذا دين في عقلك وعقدك عملك وان لم تفعل انتقص من عبادتك على قدر ما أدخلت فيها من عقلك من حيث فكرك ونظرك

﴿فصل بل وصل في الصفوف وصل فيمن صلى خلف الصف وحده﴾

أجمع العلماء على ان الصف الاول مرغب فيه وكذلك التراص وتسوية الصف الا من شذ في ذلك فقال من قدر على الصف الاول ولم يصل فيه بطلت صلاته وكذلك التراص وتسوية الصفوف اذا لم يوجد بطلت الصلاة ولما ثبت الامر

بذلك

بذلك حمله بعض الناس على الندب وحمله بعض على الوجوب وهو الذي ذكرناه من أنه تبطل الصلاة بعدم هذه الصفة والذي أقول به ان الصلاة صحيحة وهم عصاة أما الصف الاول فورد الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسابقة اليه ثم انه قال فيه ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه يريد الاقتراع واما التسوية فانهم دعوا الى حال واحدة مع الحق وهي الصلاة فساوى في هذه الدعوة بين عباده فلتكن صفتهم فيها اذا أقبلوا الى مادعاهم اليه تسوية الصفوف لان الداعي مادعا الجماعة الا ليناجيهم من حيث انهم جماعة على السواء لايخص واحد دون آخر فيجب أن يكونوا على السواء والاعتدال في الصف لايتأخر واحد من الصف ولايتقدم بشيء منه يؤدي الى اعوجاجه فانهم يناجون من هذه الحيثية وينبغي أن تكون الصور الباطنة والهمم من المصلين متساوية في نسبة التوجه الى الله تعالى والاخلاص له في تلك العبادة التي دعاهم اليها من حيث ماهم مصلون وان الله لما اصطفى منهم واحدا سماه اماما ليناجيه عن الجماعة بما يحب أن يهبه الجماعة وجعله كالترجمان بين يديه وبين أيديهم مقبلا على ربهم فيجب على الجماعة السكوت والانصات والانتظار لما يرد عليهم من سيدهم بوساطة ذلك الامام ولهذا جاء في حديث جابر ان قراءة الامام كافية عن الجماعة فانه الذي قدمه الحق للمناجاة فلما كان الامام هو المقصود في النيابة عن الجماعة وأمر الشرع أن يأتموا به في كل مايفعله مما شرع له فعله وجب عليهم الانصات والاقتداء بكل مايفعله الامام في صلاته وأما التراص في الصف فهو أن لايكون بين الانسان وبين الذي يليه خلل من أول الصف الى آخره وسبب ذلك ان الشياطين تسد ذلك الخلل بأنفسها وهم في محل القربة من الله تعالى فينبغي أن يكونوا في القرب بعضهم من بعض بحيث أن لايبقى بينهم خلل يؤدي الى بعد كل واحد من صاحبه فتكون المعاملة فيما بينهم من أجل الخلل نقيض مادعوا اليه من صفة القربة فيتخلل تلك الخلل والفرج البعداء من الله لمناسبة البعد الذي بين الرجلين في الصف في الصلاة فينقصهم من رحمة القرب الذي للمصلي في الصف بقدر الخلل وبرتبة ذلك الشيطان من البعد عن الله فاذا التزقت المناكب بعضها ببعض انسد الخلل ولم تجد صفة البعد عن الله محلا تقوم به لان الشيطان الذي هو محل البعد عن الله ليس هناك وانما تفرح الشياطين بخلل الصف وتدخل فيه لما ترى من شمول الرحمة التي يعطي الله للمصلين فتزاحمهم في تلك الفرج لينالهم من تلك الرحمة شيء بحكم المجاورة من عين المنة لمعرفتهم بأنهم البعداء عن الله وماهم هؤلاء الشياطين الذين يوسوسون في الصلاة فان أولئك محلهم القلوب فهم على أبواب القلوب مع الملائكة تلقي الى النفس وتنكت في القلب مايشغله عما دعي اليه ومن جملة ماتلقي اليه أن لايسد الخلل الذي بينه وبين صاحبه لوجهين الوجه الواحد ليتصف بالمخالفة فيؤديه الى البعد عن الله فان الشيطان انما كان بعده عن الله لمخالفته لامر الله والوجه الثاني في حق أصحابهم من الشياطين ليتخللوا ذلك الخلل فتصيبهم رحمة المصلين فيناجي الامام ربه ويناجيه ولهذا شرع كناية الجمع في مناجاة الصلاة وان لايخص الامام نفسه في الدعاء دونهم فانه لسان الجماعة فالمكاشف يشهد هذا كله ويأخذ عن الله مما يعطيه بوساطة هذا الامام مايأتي به الله وسواء كان ذلك الامام قد وفى حق مادعي اليه من الحضور مع الله أم لا فيتلقاه كل من هذه صفته من الله فيسعد الامام بفضل هذا المأموم وأما غير المكاشف وغير الحاضر في الصلاة بقلبه اذا اجتمع هو والامام في عدم الحضور كان الامام من الأئمة المضلين فان حضر الجماعة مع الله ماعدا الامام كان الامام ضالا وحده وان سعد فبمن خلفه وان حضر الامام وحده ولم تحضر قلوب الجماعة في تلك الصلاة شفع الامام في الجماعة كلها فانه العين المقصودة من الجماعة فقد حصل المقصود ولهذا ينبغي أن يختار للامامة أهل الدين والخير والمشتغلين بالله وان كانوا قليلين من العلم فهم أولى بالامامة من العلماء الغافلين لان المراد من المصلي الحضور مع الله فلا يحتاج من العلم المصلي من حيث ماهو مصل الا أن يعرف انه بين يدي ربه يناجيه بما يسر الله له من تلاوة كتابه لاغير ذلك فلا يبالي بما نقصه من العلم في حال صلاته حتى ان المصلي لو أحضر في مناجاته مبايعة ومسائل طلاق ونكاح لم يكن بينه وبين الغافل عن صلاته فرق وانما يكون مع الله من حيث ماهو بين يديه في عبادة خاصة دعاه اليها يحرم عليه فيها في باطنه ماحرم عليه في ظاهره فكما لاينبغي أن يلتفت بوجهه التفاتا يخرجه عن القبلة كذلك لاينظر بقلبه الى غير

من يناجيه وهو الله وكما لا يشتغل بلسانه بسوى كلام ربه أو ذكره الذي شرع له لا يصح فيها شئ من كلام الناس كذلك يحرم عليه في باطنه كلامه النفسي مع من يشاريه أو يبايعه أو يتحدث معه في باطنه في نفس صلاته من أهل وولد واخوان وسلطان سواء فلهذا لا يشترط في الامام كثرة العلم وانما الغرض ما يليق بهذه الحالة فان اتفق أن يكون من هذه حالته من الدين والمراقبة والحياء من الله كثير العلم راسخا سيدا كان الأولى بالتقدم فانه الافضل ممن ليس له ذلك فالصفوف انما شرعت في الصلاة ليتذكر الانسان بها وقوفه بين يدي الله يوم القيامة في ذلك الموطن المهول والشفعاء من الانبياء والمؤمنين والملائكة بمنزلة الأئمة في الصلاة يتقدمون الصفوف فكم شخص يكون هنا مأموما من أهل الصفوف يكون غدا اماما أمام الصفوف ويكون امامه الذي كان في الدنيا يصلي به مأموما غدا فيا لها من حسرة وصفوفهم في الصلاة كصفوف الملائكة عند الله كما قال تعالى والملك صفا صفا وقال والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وهو الامام النائب عن الجماعة وأمرنا الحق ان نصف في الصلاة كما تصف الملائكة يتراصون في الصف وان كانت الملائكة لا يلزم من خلل صفها لو اتفق أن يدخلها خلل أعني ملائكة السماء دخول الشياطين لان السماء ليست بمحل للشياطين ولا بمكان وانما يتراصون اتناسب الانوار حتى يتصل بعضها ببعض فتنزل متصلة الى صفوف المصلين فتعمهم تلك الأنوار فان كان في صف المصلين خلل دخلت فيه الشياطين أحرقتهم تلك الانوار وكذلك يكونون في الكثيب في الزور العام يصفون كما يصفون في الصلاة فمن دخله خلل في صفه هنا وكان قادرا على سده بنفسه فلم يفعل حرم هنالك في ذلك الموطن بركته وان لم يقدر على سده عمته البركة هنالك وكل مصل بين رجلين فانه ينضم الى أحدهما ثم يجذب الآخر اليه فان انجذب اليه كان والا كان الاثم على ذلك ويكون الواحد الذي ينضم اليه هو الذي يلي جانب الامام ولا بد فان كان في الصف الأول نقص وهو يراه وهو قادر على الوصول اليه ولا يمشي الى الصف الأول حتى يتمه أعني يسد الخلل الذي فيه لم ينفعه تراصه في الصف الذي هو فيه جملة واحدة فانه ما تعين عليه الا الأول فاعلم

﴿فصل بل وصل في المصلي خلف الصف وحده﴾

اختلف الناس فيه فمن قائل بصحة صلاته ومن قائل بانها لا تصح والذي أذهب اليه في حكم من هذه حالته فانه لا يخلو اما أن يجد سبيلا الى الدخول في الصف أو لا يجد فان لم يجد فليشر الى رجل من أهل الصف أن يختلج اليه فان لم يختلج اليه لجهله بماله في ذلك عند الله من الأجر فان صلاة هذا الرجل صحيحة فانه قد اتقى الله ما استطاع ولا يستطيع في هذه الحالة أكثر من هذا فان قدر على شئ مما ذكرناه ولم يفعل فصلاته فاسدة فان النبي عليه السلام أمر من كان صلى خلف الصف وحده أن يعيد وهو حديث وابصة بن معبد (اعتبار ذلك في النفس) القربات الى الله لا تعلم الا من عند الله ليس للعقل فيها حكم بوجه من الوجوه فاذا شرع الشارع القربات فهي على حد ما شرع وما منع من ذلك أن يكون قربة فليس للعقل أن يجعلها قربة ثم نرجع الى مسئلتنا فلا يخلو هذا المصلي وحده خلف الصف مع القدرة على ما قلناه اما أن يكون من أهل الاجتهاد ويكون حكمه باجازة ذلك الفعل وصحة صلاته عن اجتهاد أو لا يكون عن اجتهاد فان كان عن اجتهاد فالصلاة صحيحة وان لم يكن عن اجتهاد وكان مقلد المجتهد في ذلك بعد سؤاله اياه فصلاته صحيحة وان فعل ذلك لا عن اجتهاد ولا عن سؤال فصلاته فاسدة وهكذا في جميع القربات المشروعة كما صحت صلاة الامام بين يدي الجماعة في غير صف صحت صلاة من هو خلف الصف وحده فان لطيفة الانسان واحدة العين ولا تصف صفوف الجوارح عند الصلاة ولا ينبغي أن يكون امامها فانها لا تقبل الجهة فما صلت الا وحدها وظاهر الانسان جماعة فهو في نفسه صف وحده فان كل جزء منه مكلف بالعبادة والصلاة ولا ينفصل بعضه عن بعضه فهو صف وحده فان اشتغل بعض جوارحه فيما ليس من الصلاة كان له ذلك الاشتغال في صف ذاته كالخلل الداخل في الصف فيطرق الاعتبار ما صلى الانسان من حيث جملته الا في صف ومن حيث لطيفته وحده فانها لا تقبل الصفوف لعدم التحيز وهذا على مذهب من يقول انها غير متحيزة وأما من قال بتحيزها التحقت بجملة ذات المصلي فما صلى من هو في صف ومن

هوفى غيرصف الافى صف من ذاته وبهـذا أجاز من أجاز الصـلاة خلف الصف وحده وقد بينامذهبنا فى ذلك بطريقة تعضدها أصول الشرع

﴿ فصل بل وصل فى الرجل أو المكلف يريد الصـلاة فيسمع الاقامة هل يسرع فى المشى الى المسجد مخافة أن يفوته جزء من الصلاة أم لا ﴾

فمن قائل لايجوز الاسراع بل يأتى وعليه السكينة والوقار وبه أقول ومن قائل بجوز الاسراع حرصا على الخير وأكره له ذلك ﴿وصل اعتبار ذلك﴾ المسارعة الى الخيرات مشروعة والسكينة مشروعة والوقار والجمع بينهما أن تكون المسارعة بالتأهب المعتاد قبل دخول وقتها فيأتيها بسكينة ووقار فيجمع بين المسارعة والسكينة وانما أمر العبد بالمسارعة الى الخيرات لتصرفه فى المباحات لاغير فمن كانت حالته أن لايتصرف فى مباح فهو فى خير على كل حال ولذلك ورد مايدل على الحالين معا فقيل سارعوا الى مغفرة من ربكم وهى العبادة هنا من سارع اليها فقد سارع الى المغفرة وقال فى الحالة الأخرى أولئك يسارعون فى الخيرات فجعل المسارعة فيها وفى الأولى اليها فانها ماهى نائبة عنه وهنا وجه أيضا وذلك ان المغفرة لاتصح الابعد حصول فعل الخير الموجب لها فنحن نسارع فى الخيرات الى المغفرة فكان المسارع فيه غير المسارع اليه فالعبد اذا كان تصرفه فى غير المباح فلابد أن يكون فى مندوب أو واجب فان كان فى مندوب واستشعر بحصول وقت واجب سارع اليه فى مندوبه باقامة أسبابه التى لايصح ذلك الواجب الابها ومعنى المسارعة هنا المبادرة الى الافعال التى هى شرط فى صحة ذلك الواجب فمن رأى الجماعة واجبة ومن قال باتمام الصف ووجوبه وهو فى خير فانه آت الى الصلاة مثلا فيسمع الاقامة فامره الشارع أن يأتى اليه وعليه وقار وسكينة وسبب ذلك ان الحق لايتقيد بالأحوال وان الآتى الى الصلاة فى صلاة مادام يأتى اليها أو ينتظرها فنفس الاسراع المشروع قد حصل وأما الاسراع بالحركة فانه يقتضى سوء الأدب وتقييد الحق ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للذى دب وهورا كع حتى دخل الصف وهو أبو بكرة زادك الله حرصا ولا تعـد يعنى الى اسراع الحركة وما قال له زادك الله اسراعا فان الحرص أوجب له الاسراع فنبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الحرص على الخير هو المطلوب وهو الأسراع المطلوب لله من العبد لاحركة الاقدام فان ذلك يؤذن بتحديد الله والله مع العبد حيث كان وقد وقع لك التفريط أولا بتأخرك فهنالك كان ينبغى لك الاسراع بالتأهب كما حكى عن بعضهم انه مادخل عليه منذ أربعين سنة وقت صلاة الا وهو فى المسجد وحكى عن آخرانه بقى كذا سنة مافاتته تكبيرة الاحرام مع الامام وقوله بوقار يشير ان العبد ينبغى له أن يعامل الله فى نفسه بما يستحقه من الجلال والهيبة والحياء فان هذه الأحوال تؤثر ثقلا فى الجوارح وتثبت الموازنة حركته مع الله أن يقع منه كما أمره الله بخضوع وخشوع وهو السكينة المطلوبة كما قال لوخشع قلبه لخشعت جوارحه يعنى اسرى ذلك فى جوارحه فان السرعة بالاقدام لاتكون الاعن همته متعلقة بالجهة التى يسارع اليها من أجل الله لابالله وينبغى للعبد أن تكون همته متعلقة بالله فيكون المشهود له الحق تعالى ومن كان بهذه المثابة كانت حالته الهيبة والسكون فلا تسمع الاهمسا قال تعالى وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الاهمسا هـذا مع الاسم الرحمن فكيف بمن لايعرف أى اسم الهى يمشى اليه أو يمشى به فمن كان حاله فى الوقت مايمشى اليه ويقصده أجاز الاسراع ومن كان حاله مشاهدة من يقصد به قال لايجوز فانه تضييع للوقت والشارع انما يراعى وارد الوقت ووقت الآتى الى الصلاة مشاهدة المقصود بها فشرع له السكينة والوقار فى الاتيان دون سرعة الأقدام اعظاما لحرمة الوقت واستيفاء لحقه

﴿فصل بل وصل﴾

متى ينبغى للمأموم أن يقوم الى الصلاة اذا كان فى المسجد ينتظر الصـلاة فمن قائل فى أول الاقامة ومن قائل عنـد قوله حى على الصـلاة ومن قائل عنـد قوله حى على الفلاح ومن قائل حتى يرى الامام وهو الأولى عنـدى ومن قائل لا توقيت فى ذلك وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوموا حتى ترونى فان صح هـذا الحديث وجب العمل به ولا يعدل عنه وأما مذهبنا فى ذلك ان لم يصح هـذا الحديث المسارعة فى أول الاقامة ثم ان عندنا ولو صح الحـديث

فان هذا الحديث عندي اذا صح فحكم النبي عليه السلام في هذه المسئلة في الانتظار اليه ولا تقوم حتى تراه كالأمر ماهو كذلك لنا اليوم فان زمان وجود النبي كان الأمر جائزاً أن ينسخ وان يتجدد حكم آخر فكان ينبغي أن لا يقوموا لقول المؤذن حتى يروا النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى الصلاة فيعلمون عند ذلك انه ماحدث أمر يرفع حكم مادعوا اليه بخلاف اليوم فان حكم القيام الى الصلاة باق فيقوم اذا سمع المؤذن يقيم مسارعا وان اتفق أن يغلط المؤذن بان يسمع حسا فيتخيل أنه الامام فيقيم والامام ماخرج فما على من قام بأس في ذلك بل له أجر الاسراع الى الخير ويرجع الى مكانه الى أن يخرج الامام فانه على يقين من بقاء حكم الصلاة (الاعتبار) المقيم للصلاة هو حاجب الحق الذي يدعو الخلق الى الدخول على الله بهذه الحالة والصفة التي دعاهم وشرع لهم أن يدخلوا عليه فيها فيسارعون في القيام بأدب وسكون كأنما ذكرنا وحضور لما يستقبلونه واستحضار لما ينادونه به من قراءة وذكر وتكبير وتسبيح ودعاء معين عينه لهم لا يتعدونه في تلك الحالة فاذا فرغوا منها بالسلام دعوا بما شاؤا ولكن بما يرضي الله لا يدعون على مسلم ولا بقطيعة رحم

﴿فصل بل وصل﴾

فيمن أحرم خلف الصف خوفا أن يفوته الركوع مع الامام ثم دب وهو راكع حتى دخل في الصف فمن الناس من كرهه ومنهم من أجازه ومنهم من فرق بين المنفرد والجماعة في ذلك فكرهه للمنفرد وأجازه للجماعة ﴿وصل الاعتبار﴾ الركوع هو الخضوع لله تعالى والمبادرة اليه أولى غير ان مشيه راكعا حتى يدخل في الصف هو الذي ينبغي أن يكون متعلق الكراهة أو الجواز فمن رأى سد الخلل واجبا أو الصلاة خلف الصف لا تجزئ مشى على حاله حتى يدخل في الصف فان الشارع ما أبطل صلاة أبي بكرة بذلك ودعا له ونهاه أن لا يعود فعلم انه نهي كراهة فان قالوا قضية في عين قلنا ونهيه أن لا يعود قضية في عين لانه المخاطب أن لا يعود ولم ينه غيره عن ذلك ولكن بقرينة الحال علمنا ان المراد بذلك المصلي كان من كان أن يكون في حال صلاته على حد ما أمر به فكل ما هو من تمام الصلاة جاز التعمل الى تحصيله في الصلاة ويتعلق بهذا مسائل على هذه القاعدة

﴿فصل بل وصل﴾

فيما يتبع فيه المأموم الامام لا خلاف بين العلماء في وجوب اتباعه فيما نص الشارع عليه من أقوال وأفعال واختلفوا في قوله سمع الله لمن حمده فمن الناس من قال بانه لا يجب عليه أن يقولها مع الامام ومنهم من أجاز له أن يقولها والأول أولى عندي للحديث الوارد ﴿وصل الاعتبار﴾ لما أنزل الامام نائبا عن الحق في حق من يقتدي به صح له أن يقول سمع الله لمن حمده فهو ترجمان عن الحق للمأمومين يعرفهم بان الله يقول ذلك حين حمدوه في تلاوتهم وتسبيحهم في ركوعهم فهو مخبر عمن استخلفه ولو أقام الله الامام مقامه في الحال لقال سمعت لمن حمدني فاثبت بقوله سمع الله لمن حمده عين العبد واعلم انه ما عبده الا من كونه الها لا من حيث ذاته خلافا لقول رابعة العدوية فان قيل فما تصنع في مثل قوله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وهو كلام الله لعبده عليه السلام ولم يقل سمعت يريد ما ذكرناه وما يدريك لعل قوله سمع الله لمن حمده مثل هذا ولاسيما والنبي عليه السلام يقول ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده قلنا اما الآية فقد تكون تعريفا من جبريل الروح الأمين بامر الله أن يقول له مثل هذا أي قل له يا جبريل قد سمع الله كما قيل لمحمد قل انما أنا بشر وهو بشر فان الحق لا يكون بشرا وهكذا جميع ما في كلام الله من مثل هذا فان أضفته ولا بد الى الحق فايكن الكلام لله من مرتبة خاصة اخبارا عن مرتبة أخرى خاصة ان شئت عبرت عنها بالذات وان شئت عبرت عنها باسم الهي فيقول الحق من كونه متكلما يا محمد قد سمع الله فيريد بالله هنا الاسم السميع أو العليم على مذهب من يرى ان سمعه علمه والأول على من يرى ان سمعه حقيقة أخرى لا يقال هي هو ولا هي غيره وعلى الذي قبل الأول من يرى ان سمعه ذاته وهكذا سائر ما ينسب اليه من الصفات فللمأموم أن يقول سمع الله لمن حمده على هذا التفسير كله وان ورد ذلك في حق الامام فما ورد المنع منه في حق المأموم ولا في حق المنفرد ولاسيما والانسان امام جماعة ذاته وما من جزء فيه الا وهو حامد لله فيعرف لسانه سائر ذاته بان الله قد سمع لمن حمده ولاسيما من كشف له عن تسبيح

كل شئ بحمده

(الفصل الآخر في الائتمام)

الائتمام لا يصح الامع العلم من المأموم فيما يأتم به من أفعال الامام ظاهرا وباطنا والعامة بل أكثر الناس لا يعلمون من الامام الا الحركات الظاهرة من قيام وركوع ورفع وسجود وجلوس وتكبير وتسليم والنية غيب من عمل القلب لا يطلع عليها المأموم فما كلفه الله أن يأتم به فيما لا علم له منه ولهذا قال عليه السلام انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا ولا تكبروا حتى يكبر واذا ركع فاركعوا ولا تركعوا حتى يركع واذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد واذا سجد فاسجدوا ولا تسجدوا حتى يسجد وما تعرض للنية ولا لما غاب عن علم المأموم فذكر الأفعال الظاهرة التي يتعلق بادراكها الحس ولا سيما وقد ثبت ان الصلاة الواحدة لا تقام في اليوم مرتين وان أحد الصلاتين من المصلى وحده ثم يدرك الجماعة فيصلي معها انها له نافلة فقد خالف الامام في النية بالنص ثم ان للمأموم بهذا الحديث أن يقول سمع الله لمن حمده ثم يقول ربنا ولك الحمد للائتمام بامامه فانه قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في صلاته وهو امام سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد

(الفصل الآخر في الائتمام بصلاة القاعد)

اتفق العلماء من أصحاب المذاهب وغيرهم انه ليس للصحيح أن يصلي قاعدا فرضا اذا كان منفردا أو اماما واختلفوا في المأموم اذا كان صحيحا فصلى خلف امام مريض يصلي ذلك الامام المريض قاعدا على ثلاثة أقوال فمن قائل انه يصلي خلفه قاعدا وبه أقول ومن قائل انهم يصلون خلفه قياما ومن قائل لا تجوز امامته اذا صلى قاعدا وأما ان صلوا خلفه قياما أو قعودا بطلت صلاتهم وقد ذكر بعض رواة مالك عن مالك قال لا يؤم الناس أحد قاعدا فان أمهم قاعدا بطلت صلاتهم وصلاته فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحد بعدي قاعدا وهذا الحديث ضعيف جدا لان في طريقه جابر بن يزيد الجعفي وليس بحجة ومع ضعفه فالحديث مرسل والصحيح الثابت امامة القاعد (وصل الاعتبار في ذلك) الامام على الحقيقة من نواصي الخلق بيده فلا يخلو المصلي المأموم أن يرى الامام نائبا عن الحق كما جعله صلى الله عليه وسلم أو يراه مأموما مثله فان رآه اماما فله الائتمام به على أي حال كان وان رآه مأموما مثله جعل الحق امامه وصلى قاعدا لأمره صلى الله عليه وسلم بذلك فان هذا هو امامه شرعا ومن جعل الحق في قبلته وواجهه غاب عنه امامه بلا شك وقد اختلفت حالة الامام بالمرض من حال المأموم والمأموم اذا كان مريضا صلى خلف القائم للعذر وقد مضى اعتبار النية في الامام والمأموم وقد أمر الامام أن يقتدي بصلاة المريض في التخفيف به ولا يشق عليه وكل واحد منهم ما قد أمر بالاقتداء بالآخر وعين الشارع فيماذا فلا ينبغي العدول عما عينه الشارع من ذلك لمن أراد اتباع السنة والوقوف عند حكم الله ورسوله واذا كان الامام على الحقيقة هو الله وهو سبحانه لا يغفل عن حالات عبده في حركاته وسكناته ولا يشغله عن مراقبته شئ فانه قال عن نفسه وكان الله على كل شئ رقيبا فينبغي للمأموم الذي هو العبد أن يقتدي به في المراقبة والحضور فلا يغفل عن سيده في صلاته ولا يشغله شئ عن مراقبته في صلاته حتى يصح له أن يكون مؤتما به في مثل هذا الوصف من المراقبة وعدم الغفلة فاعلم ذلك

(فصل بل وصل في وقت تكبيرة الاحرام للمأموم)

فمن قائل يكبر بعد فراغ الامام من تكبيرة الاحرام استحسانا وان كبر معه أجزأه ومن قائل لا يجزيه أن يكبر معه وبالاول أقول أن يكبر بعد الفراغ لا يجزيه غير ذلك ومن قائل لا يجزيه أن يكبر قبل الامام ومن قائل ان كبر قبل الامام أجزأه ومن قائل ان كبر مع تكبير الامام وفرغ بفراغ الامام أجزأه وان فرغ المأموم من تكبيره قبل فراغ الامام لم يجزه الاحرام للمأموم اما أن يعتبر فيه كونه مصليا فقط فيجزي قبل الامام ومعه وبعده وان اعتبر كونه مصليا ومأموما لم يجزه أن يكبر قبل الامام فان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ولا تكبروا حتى يكبر فنهى فان علم انه نهي كراهة أجزأه قبل الامام ومعه وان علم انه نهي تحريم لم يجزه (وصل الاعتبار في ذلك) ورد في الخبر ان العبد يقول في حال من الاحوال الله أكبر فيقول الله أنا أكبر يقول العبد لا اله الا الله يقول لا اله الا أنا يقول العبد لا اله الا الله له الملك وله الحمد

يقول الله لا اله الا أنا لي الملك ولي الحمد يصدق عبده ومن هنا كان اسمه المؤمن وأمثاله فاذا كان الحق لا يقول شيأ من ذلك حتى يقول العبد فالعبد أولى بالاتباع فليس للمأموم أن يسبق امامه بشئ من أفعال الصلاة ولا من أقوالها حتى في قراءة الفاتحة ليس له أن يشرع فيها اذا جهر بها حتى يفرغ منها أو يتبع سكتات الامام فيها فيقرأ ما فرغ الامام منها في سكتة الامام وفي صلاة السر يقرأ بحسب ما يغلب على ظنه الا في الصلاة بعد الجلسة الوسطى فانه يقرأها ابتداء

﴿فصل بل وصل فيمن رفع رأسه قبل الامام﴾

فمن قائل انه أساء ويرجع وصحت صلاته ومن قائل صلاته تبطل (وصل الاعتبار) الامام الحق والقيومية صفته فلا يجوز للمأموم أن يرفع قبل امامه وان صلاته تبطل فانه في حال لا يصح فيها أن يكون مأموما لله ولا للحق فان قيومية الحق به في رفعه من الركوع تسبق قيوميته اذ كل ما يقام فيه العبد انما هو عن صفة الهية ظلها هو الذي يظهر في العبد والظل تبع بلا شك والعبد ظل لقول السلطان ظل الله في الارض وانما ورد هذا في الرفع لان طلب العلو بل العلو له سبحانه بالاستحقاق وانما الذي ينبغي للمأموم الاقتداء بالامام في كل خفض ورفع فأما الخفض فربما تطلب النفس فيه للتخيل الفاسد الذي يطرأ من الجاهل فاعلم ان الحق وصف نفسه بالنزول فيسبق المأموم بخفضه نزول الحق اليه قبل نزوله وهويه الى السجود فلا ينحط الى السجود حتى يسبقه امامه فانه ان لم يكن يجد الحق في سجوده فلمن ينزل هذا العبد المصلي وينحط بفعله ذلك فلا ينحط الا لاله الذي وصف نفسه بالنزول من علوه الى عبده فيقول العبد يا رب هذه صفتي فأنا أحق بها وانما ضرورة الدعوى رفعتني عن مقام الانحطاط لكونك أخبرتنا انك خلقتني على الصورة فشمخت نفسي على من نزل عن هذه الدرجة التي خصصتني بها ثم مننت علي بأن نزلت الي فمن كان هذا مشهده ومشربه اقتدى بالامام في جميع الاحوال والاحكام

﴿فصل بل وصل فيما يحمله الامام عن المأموم﴾

اتفق علماؤنا على انه لا يحمل الامام عن المأموم شيأ من فرائض الصلاة ما عدا القراءة فانهم اختلفوا في ذلك فمن قائل ان المأموم يقرأ مع الامام فيما أسر به ولا يقرأ معه فيما جهر به ومن قائل لا يقرأ معه أصلا ومن قائل يقرأ معه فيما أسر أم الكتاب وغيرها وفيما جهر أم الكتاب فقط وبه أقول وبعضهم فرق في الجهر بين من يسمع قراءة الامام وبين من لا يسمع فأوجب على المأموم القراءة اذا لم يسمع ونهاه عنها اذا سمع والذي أذهب اليه بعد وجوب قراءة الفاتحة على كل مصل من امام وغير امام انه ان قرأ في نفسه كان أفضل الا أن يكون بحيث يسمع الامام فالانصات والاستماع لقراءة الامام واجب لامر الله الوارد في قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا وما خص حال صلاة من غيرها والقرآن مقطوع به عند الجميع واذا لم يسمع ان لم يقرأ المأموم أعني غير الفاتحة أجزأته صلاته الا فاتحة الكتاب كما قلنا فانه لا بد منها لكل مصل فان الله قسم الصلاة بينه وبين عبده وما ذكر الا الفاتحة لا غير فمن لم يقرأها فما صلى الصلاة المشروعة التي قسمها الله بينه وبين عبده ولكن يتبع المأموم بقراءة الفاتحة سكتات الامام فيجمع بين الآية والخبر وان لم يسكت الامام ويكره له ذلك فليقرأها المأموم في نفسه بحيث أن لا يسمعه الامام آية آية حتى يفرغ منها ولا يجهر على الامام بقراءته

﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ لما احتوت الصلاة على أركان وهي فروض الاعيان لم تجز فيها نفس عن نفس شيأ وكل ما ليس بفرض ويجبره سجود السهو فان الامام يحمله عن المأموم ومعناه ان المأموم اذا نقصه أو زاد لم يسجد لسهوه وذلك ان الفروض حقوق الله فحق الله أحق بالقضاء وما عدا الفروض وان كانت حقا من حيث ما هي مشروعة وهي على قسمين منها ما جعل لها بدل وهو سجود السهو وهي الافعال التي للشرع بها اعتناء من حيث ما فيها من الانعام الذي يقرب من انعام الفرائض بالشبه ولهذا جعل لها بدل ومنها ما هي حقوق للعبد مما رغب فيها فان شاء عمل بها وان شاء تركها وما جعل لها بدل فان عمل بها كان له ثواب وان لم يفعلها لم يكن عليه حرج ولم يحصل له ذلك الثواب الذي يحصل من فعلها كرفع الايدي في كل خفض ورفع عمدا فان كان في نفسه الرفع أو من مذهبه لما اقتضاه دليله فلم يفعل نسيانا وسهوا فانه يسجد لسهوه لا لرفع اليدين فان السجود ما شرعه الله الا للسهو هنا لا للمسهو عنه بدليل انه لو تركه عمدا

أوعن اجتهاد لم يسجد له بخلاف ما جعل له بدل وليس بفرض فان الصلاة تبطل بتركه عمدا أو بفعل مالم يشرع له فعله عمدا وفرق بين الجلسة الوسطى و بين جلسة الاستراحة والجلسة التي بين السجدتين في كل ركعة والجلسة الاخيرة وحكم ذلك كله مختلف واعتباره في العماء وفي العرش وفي السماء الدنيا وفي الارض عند جلوس العبد في مجلسه فالعماء للجلوس بين السجدتين والعرش للجلسة الاخيرة والسماء للجلسة الوسطى ومع جلوسي في الارض حيث كنت من مجالسي لجلوس الاستراحة وأما من جلس في وتر من صلاته فما حكمه حكم الجلسة الوسطى فانه لم يشرع له تركها وجلسة الاستراحة شرع له فعلها فلو تعمد جلوس الاستراحة فقد تعمد ما شرع له ولم تبطل صلاته وان جلس في وتر من صلاته ناسيا وهو يريد القيام سجد لسهو لا لجلوسه وله أجر الجلوس وأجر ما سها عنه لسجود السهو الذي هو ترغيم للشيطان وله أجر من أنكى في عدو الله وفي عدوه فان الله يقول ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح والشيطان من الكفار لقول الله فيه وكان من الكافرين وسيأتي ما يليق بهذا كله في السهو من هذا الباب ان شاء الله تعالى

﴿فصل بل وصل في ارتباط صلاة المأموم بصلاة الامام في الصحة والبطلان﴾

اختلف العلماء هل صحة انعقاد صلاة المأموم مرتبطة وبه أقول وان اقتدى به فيما أمر ان يقتدي به فيه بصحة صلاة الامام أولا فمن الناس من رأى أنها مرتبطة ومنهم من لم ير أنها مرتبطة ولهذا اختلفوا في الامام اذا صلى وهو جنب وعلموا بذلك بعد الصلاة فمن يرى الارتباط قال صلاتهم فاسدة ومن لم ير الارتباط قال صلاتهم صحيحة وهو الذي أذهب اليه وفرق قوم بين أن يكون الامام عالما بجنابته أو ناسيا فقالوا ان كان عالما فسدت صلاتهم وان كان ناسيا لم تفسد صلاتهم (وصل الاعتبار في ذلك) لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما في وسع الانسان أن يعلم ما في نفس غيره ولا يحيط علما بأحوال غيره فكل مصل انما هو على حسب حاله مع الله ولهذا اما أمره الشرع في الائتمام بامامه الا فيما يشاهده من الامام من رفع وخفض فان كوشف بحال الامام كان حكمه بحسب كشفه فاذا علم ان الامام على غير طهارة فليس له أن يقتدي به من وقت علمه وصح له ما مضى من صلاته معه قبل علمه ولا اعتبار في ذلك لنسيان الامام أو عمده فان الامام عنده من وقت علمه في غير صلاة شرعا وأمره الله أن يرتبط أعني أن يقتدي الا بالمصلي فان كان الامام ناسيا لجنابته أو حدثه فهو مصل شرعا وصلاة المأموم صحيحة شرعا وتمامه بل هو مصل شرعا وان علم المأموم ان الامام على غير طهارة فان تمكن للمأموم أن يعلمه بحدثه في نفس صلاته أعلمه بحيث أن لا تبطل صلاة المأموم بذلك الاعلام فان الله يقول ولا تبطلوا أعمالكم وان لم تمكن صلى لنفسه فاذا فرغ من صلاته أعلمه بحدثه سواء فرغ الامام أولم يفرغ فان تذكر الامام أو قلده تطهر وان لم يتذكر ولم يقلده فهو بحسب ما يقتضيه علمه ومذهبه في ذلك وصلاة المأموم صحيحة انتهى

الجزء الحادي والاربعون بانتهاء السفر السادس من هذه النسخة والحمد لله

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿وصل في فصول الجمعة﴾

﴿فصل بل وصل في الخلاف في وجوبها﴾

اختلف العلماء في وجوب الجمعة فمن قائل انها من فروض الاعيان ومن قائل انها من فروض الكفاية ومن قائل انها سنة (وصل في الاعتبار) ليس لهذه الصلاة قدم في توحيد الذات ولا نتيجة في حال العالم بها العامل لكن لها العلم بأحدية الكثرة وكذلك من يرى ان الذات اقتضت لنفسها وجود العالم فلا ينتج هذا العلم ما يرد من الله على قلب العبد ولا في تجليه في هذه الصلاة وذلك انها مبنية في وجودها وحقيقتها على الزائد على الواحد فهي من حضرة الاسماء الالهية فان وقوعها لا يصح من المنفرد بخلاف الصلوات كلها فانها تصح من المنفرد وكل صلاة ما عدا الجمعة تعطي ما تعطي الجمعة من حيث ما هي صلاة من تكبيرة الاحرام الى التسليم منها وتعطي مالا تعطيه الجمعة من العلم بأحدية الحق التي لها الغنى

على الاطلاق ومن العلم برجوع النسب أو الصفات الى عين واحدة فاعلم ذلك

﴿وصل في فصل فيمن تجب عليه الجمعة﴾

اتفق العلماء على انها تجب على من تجب عليه الصلوات المفروضة ثم زادوا أربعة شروط اثنان متفق عليهما واثنان مختلف فيهما فالمتفق عليهما الذكورة والصحة وانها لا تجب على المرأة والمريض والاثنان المختلف فيهما المسافر والعبد فمن قائل ان الجمعة تجب على المسافر وبه أقول وتجب على العبد فللعبد أن يتأهب فان منعه سيده فيكون السيد من الذين يصدون عن سبيل الله ومن قائل انه لا تجب عليهما وقد ورد خبر متكلم فيه ان الجمعة واجبة الا على أربعة عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض وفي رواية أخرى الا خمسة وذكر المسافر (وصل في اعتبار ذلك) لما كان من شرطها ما زاد على الواحد وانها لا تصح بوجود الواحد فاعلم ان العقل قد علم ان لله أحدية ذاتية لا نسبة بينها وبين طلب الممكنات وقد ذكرناها والعاقل يعلمها فمن المحال أن يعقل العقل وجود العالم من هذه الاحدية فوجب عليه بصلاة الجمعة أن يرجع الى النظر فيما يطلبه الممكن من وجود من له هذه الاحدية فنظر فيه من كونه الها يطلب المألوه فهذه معرفة أخرى لا تصح الا بالجماعة وهو تركيب الادلة وترتيبها فوجبت صلاة الجمعة على العقل الموصوف به العاقل ولما كانت المرأة ناقصة عقل ودين فالعقل الذي نقص منها هو عقل هذه الاحدية الذاتية فوجبت الجمعة على الرجل وهو الجمع بين العلم بتلك الاحدية وبين العلم بكونه الها ونقص عقل المرأة عن علم تلك الاحدية فلم يجب عليها أن تجمع بينها وبين العلم بالله من كونه الها وأما العبد الذي يسقط عنه وجوب الجمعة عند من يقول به وهو العبد المستحضر لجبر الله له في اختياره فان الحقيقة تعطي ان العبد مجبور في اختياره فلما لم يتمكن له أن يجمع بين الحرية والعبودة لم تجب عليه الجمعة وكل من ذكرناه وذكر أنه لا تجب عليه الجمعة انه اذا حضرها صلاها كذلك اذا حضرت مواطن الاعتبارات المانعة للمذكورين من الوجوب انها لا تجب عليه فان فني عنها بحال يخالفها وجبت الجمعة أي وجب عليه علم ما لم يكن يجب عليه علمه كمريم وآسية اللتين حصل لهما درجة الكمال فتعين عليهما علم الاحدية الذاتية وعلم الاحدية الالهية التي هي أحدية الكثرة وأما المريض وهو الذي لا يقول بالاسباب ولا يعلم حكمتها فلم يحصل له مقام الصحة حيث فانه من العلم بالله قدر ما تعطيه حكم الاسباب ومن لم يعط حاله هذا العلم ويقدح في تجريده ويخاف عليه لم يجب عليه أن يجمع بين العلم بحكم الاسباب وبين العلم بتجريد التوحيد عنها وأما المسافر فان حاله يقتضي أن لا تجب عليه الجمعة فانه ما بين ابتداء الغاية وانتهاء الغاية فهو بين من والى فلا تعطي حالته أن يجمع بين من والى التي تطلبها الامن التي هي في الى الى الى أخرى فان الى تلك غابت فيها من ولولا الى الاخرى ما عرفت أن في نفس الى الاولى من فما نهاية الاوطا بداية ولا ينعكس فلا تجب عليه الجمعة من حيث ما هو عين من الاولى والذي نقول بوجوبها عليه انما هو مع من التي تتضمنها الى الاولى والى الثانية والثالثة وكذا الى ما لا نهاية له فلولا المنازل في الطريق والمقامات ما عقل لمن غاية فالى تطلب من ومن لا تطلب الى وأما الصبي فهو المائل الى طبيعته لا يعرف غيرها ولا يصح كونه صبيا الا بهذه الصفة فمن المحال أن يرفع رأسه الى معرفة حقيقته التي يصح له بالعلم بها الجمعة فلهذا اعتبرنا ان الصبي لا تجب عليه الجمعة

﴿وصل في فصل شروط الجمعة﴾

اتفق العلماء على انها شروط الصلاة المفروضة المتقدمة وقد ذكرناها ما عدا الوقت والاذان فانهم اختلفوا في ذلك وكذلك اختلفوا في الشروط المختصة بها وسأذكرها

﴿وصل في فصل الوقت﴾

فمن قائل ان وقتها وقت الزوال يعني وقت صلاة الظهر ومن قائل ان وقتها قبل الزوال وأنا أقول بالتخيير بين الوقتين (وصل الاعتبار في ذلك) قال تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل ثم قال ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فأمرنا بالنظر اليه والنظر اليه معرفته ولكن من حيث انه مد الظل وهو اظهاره وجود عينك فانظرت اليه من حيث أحدية ذاته في هذا المقام وانما نظرت اليه من حيث أحدية فعله في ايجادك في الدلالة وهو صلاة الجمعة فانها لا تجوز للمنفرد فان

من شرطها مازاد على الواحد فمن راعى هذه المعرفة الالهية قال بصلاتها قبل الزوال لانه مأمور بالنظر الى ربه في هذه الحال والمصلى يناجى ربه ويواجهه في قبلته والضمير في عليه يطلبه أقرب مذكور وهو الظل ويطلبه الاسم الرب واعادته على الرب أوجه فانه بالشمس ضرب الله المثل في رؤيته يوم القيامة فقال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ترون ربكم كما ترون الشمس بالظهيرة أى وقت الظهر وأراد عند الاستواء بقبض الظل في الشخص في ذلك الوقت لعموم النور ذات الرائى وهو حال فنائه عن رؤية نفسه في مشاهدة ربه ثم قال ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو عند الاستواء ثم عاد الى مده بدلوك الشمس وهو بعد الزوال فعرفه بعد المشاهدة كما عرفه لاول قبل المشاهدة والحال الحال قال ان وقت صلاة الجمعة بعد الزوال لانه في هذا الوقت ثبتت له المعرفة بربه من حيث مده الظل وهنا تكون اعادة الضمير من عليه على الرب أوجه فانه عند الطلوع يعاين مد الظل فينظر ما السبب في مده فيرى ذاته حائلة بين الظل والشمس فينظر الى الشمس فيعرف من مد ظله ما للشمس في ذلك من الاثر فكان الظل على الشمس دليلا في النظر وكان الشمس على مد الظل دليلا في الاثر ومن لم يتنبه لهذه المعرفة الا وهو في حد الاستواء ثم بعد ذلك بدلوك الشمس عاين امتداد الظل من ذاته قليلا قليلا جعل الشمس على مد الظل دليلا فكان دلوكها نظير مد الظل وكان الظل كذات الشمس فيكون الدلوك من الشمس بمنزلة المد من الظل فالمؤثر في المد انما هو دلوك الشمس والمظهر للظل انما هو عين الشمس بوجودك فقام وجودك في هذه المسئلة مقام الالوهة لذات الحق لكونه ما أوجد العالم من كونه ذاتا وانما أوجده من كونه الها فانظر يا ولى مقام ذاتك من حيث وجودك تر ما أشرف نسبته فوجودك وجود الحق اذ الله ما خلق شيأ الا بالحق وبميل الشمس عنك بتد ظلاك فهى معرفة تنزيه جعل ذلك دليلا لتعتقده فان الشمس تبعد عنك وكلما بعدت عنك نبهتك انك لست مثلها ولا هو مثلك الا أن يحجبك عن رؤيتها فهو التنزيه المطلق الذى ينبغى لذات الحق كما انه في طلوعها وطلبها اياك بالانتقاء الى الاستواء تشمر ظلك شيأ بعد شئ اعلمك أن بظهورها في علوها تمحوك وتفنيك الى أن لا تبقى منك شيأ من الظل خارجا عنك وهو نفى الآثار بسببك ولهذا لم تشرع الصلاة عند الاستواء لفناء الظل فلمن ذا الذى يصلى أو الى من تواجه في صلاتك والشمس على رأسك ولذا قال في أهل المدينة وما كان على خطها شرقوا يعنى في التوجه الى القبلة في الصلاة ولا تغربوا أى راقبوا الشمس من حيث ما هى شارقة فانها تطلع فتفنيكم عنكم فلا يبقى لكم مقام ولا أثر قال تعالى يا أهل يثرب لا مقام لكم فنبه عليه السلام ان ذلك هو المقام الاشرف بخلاف الدلوك فان الدلوك يمكن أن ينظر الانسان فيه الى امتداد ظله ويمكن أن ينظر الى تنزيه الحق في ميله عنه بخلاف الشروق في الدلالة فقال صلى الله عليه وسلم شرقوا ولا تغربوا أى خذوا معرفتكم بالله من هذا الدليل فانه أرفع للاحتمال من الغروب وبعد أن تبين هذا فمن صلى قبل الزوال الجمعة أصاب ومن صلاها بعد الزوال أصاب والذى أذهب اليه ان صلاتها قبل الزوال أولى لانه وقت لم يشرع فيه فرض فينبغى أن يتوجه الى الحق سبحانه بالفرضية في جميع الاوقات فكانت صلاتها قبل الزوال أولى وان كان قد يتفق أن يكون ذلك وقت أداء فرض صلاة في حق الناسى والنائم اذا تذكرا ولكن بحكم التبعية يكون ذلك فان المعتبر انما هو التذكر أو اليقظة في أى وقت كان بخلاف صلاة الجمعة اذا جعلناها قبل الزوال فتعين لها الوقت كما تعينت أوقات الصلوات المفروضات وان الله قد أشار الى نعيم مشاهدته ومصاحبته من غير تخصيص ولا تقييد فقال بكل شئ محيط وقال وهو معكم أينما كنتم فاعلم ذلك

﴿وصل في فصل في الاذان للجمعة﴾

قال تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ومن وقت النداء يكون الثواب من البدنة الى البيضة وهو حين يشرع الخطيب في خطبته ومن جاء من وقت طلوع الشمس الى وقت النداء فله من الأجر بحسب بكوره وهى مسئلة خلاف فالبدنة من وقت تعيين السعى فاما الأذان فان جمهور العلماء اتفقوا على ان وقته هو اذا جلس الامام على المنبر واختلفوا هل يؤذن بين يدى الامام مؤذن واحد فقط أو أكثر من واحد فمن قائل لا يؤذن بين يدى الامام الا واحد فقط وهو الذى يحرم به البيع والشراء وقال آخرون بل يؤذن اثنان فقط وقال آخرون يؤذن ثلاثة ولكل

قائل بجوازه واستنادا الى أثر والذى أذهب اليه فى هذه المسئلة أن الأذان لصلاة الجمعة كالاذان للصلوات المفروضة كلها وقد تقدّم الكلام على الاذان فى الصلوات قبل هذا الأ أنه لا يجوز أن يؤذن اثنان ولا جماعة معا بل واحد بعد واحد فان ذلك خلاف السنة ﴿وصل الاعتبار فى ذلك﴾ الاذان الاعلام وهو دعاء الحق عباده لمعرفته من حيث ماهو اله الناس ورب الناس وربنا ورب آبائنا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه فذكره بالاضافة وما قال ذلك مطلقا فان الحق سبحانه لا يعين لفظا ولا يقيد أمرا الاوقد أراد من عباده أن ينظروا فيه من حيث ماخصصه وأفرده لتلك الحالة أو عينه بتلك العبارة ومتى لم ينظر الناظر فى هذه الأمور بهذه العين فقد غاب عن الصواب المطلوب ولما كانت الجمعة لا تصح الا بالجماعة علمنا ان الاذان الذى هو الاعلام بالاعلان للاتيان والسعى الى هذا التجلى الخاص لابدّ أن يعطى مالا يعطى المنفرد وقد بينا ذلك ومابقى الا اختلاف مقامات الناظرين فى ذلك بين مؤذن واحد واثنين وثلاثة ولا توقيت عندنا فى ذلك الا أنه لابد من أذان والواحد أدناه فان زاد جاز ولكن واحد بعد واحد فاما الاذان الواحد فيراه من يرى صلاة الجمعة من حيث ماهى صلاة فقط ومن يرى الاثنين فيرى كونها صلاة فى جماعة فلا تجزى المنفرد ومن رأى ثلاثة فى الاذان فلكونها صلاة فى جماعة يوم خاص وحالة مخصوصة لا تكون فى سائر الايام بخلاف الصلوات المفروضة فى كل يوم فمن اعتبر هذه الاحوال الثلاثة قال بثلاثة مؤذنين فيقول الاول حىّ على الصلاة ويقول الثانى حىّ على الصلاة فى الجماعة ويقول الثالث حىّ على الصلاة فى الجماعة فى هذا اليوم فأعلم كل مؤذن بحال لم يعلم بها الآخر واعتبر العلماء ذلك ولو انفرد واحد جاز

﴿وصل فى فصل الشروط المختصة بيوم الجمعة فى الوجوب والصحة﴾

فمن جملة شروطها الجماعة واختلفوا فى مقدار الجماعة فمن قائل واحد مع الامام وبه أقول حضرا وسفرا عندى ومن قائل اثنان سوى الامام ومن قائل ثلاثة دون الامام ومن قائل أربعون ومن قائل ثلاثون ومن قائل اثنا عشر ومنهم من لا يشترط عددا ولكن رأى انه يجوز بما دون الاربعين ولا يجوز بالثلاثة والاربع وهذا الشرط من شروط الوجوب والصحة أى به تجب الجمعة وتصح ﴿وصل الاعتبار فى ذلك﴾ اما الواحد مع الامام فهو حظ من يعرف أحدية الحق من أحدية نفسه فيتخذ أحدية نفسه على أحدية ربه دليل قال الشاعر

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

وآية كل شئ عنده أحديته اذ كان كل موجود لابد أن يمتاز عن غيره بأحدية لا تكون لغيره وتلك الاحدية هى على الحقيقة حقيقة أنيته وهويته فيعلم من ذلك ان ربه على خصوص وصف فى هويته لا يمكن أن يكون ذلك لسواه وأما من قال اثنان فهو الذى يعرف توحيده من النظر فى شفعيته فيرى كل ماسوى الحق لا يصح له الانفراد بنفسه وانه مفتقر الى غيره فهو مركب من عينه ومن اتصافه بالوجود المستفاد الذى لم يكن له من حيث عينه وأما من قال بالثلاثة وهو أول الافراد فهو الذى يرى ان المقدمتين لا تنتج الا برابط فهى أربعة فى الصورة وثلاثة فى المعنى فيرى انه ماعرف الحق الا من معرفته بالثلاثة فاستدل بالفرد على الواحد وهو أقرب فى النسبة من الاستدلال بالشفع على الاحدية وأما من قال بالاربعين فاعتبر الميقات الموسوى الذى أنتج له معرفة كلام الحق من حيث ماقد علمتم من قصته المذكورة فى القرآن وكذلك أيضا من حصلت له معرفة ربه من اخلاصه أربعين صباحا وهى الخلوة المعروفة فى طريق القوم فانهم يتخذونها لتحصيل معرفة الله بما يحصل لهم فيها من الاخلاص مع الله من المشوب وأما من قال بالثلاثين فنظر الى الميقات الاول الموسوىّ وعلم ان ذلك هو حد المعرفة الا أنه طرأ أمر أخل به فزاد عشرا ليجبر الذلك الخلل فهو بالمعنى ثلاثون فمن سلم ميقاته من ذلك الخلل فان مطلوبه من العلم بالله يحصل بالثلاثين قال تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ومن هذا الحد ماجرى من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرى أدّاه ذلك الى الانفراد مع الله وهجرهم فآلى من نسائه شهرا لعلمه ان المقصود يحصل بهذه التوقيت فلما فرغ الشهر ناجاه الحق بآية التخيير فخير نساءه فانه كان المطلوب بذلك التوقيت ماافتتح له به فان الحق يجرى مع العبد فى فتحه على حسب قصده والسبب الذى أدّاه الى الانفراد

به فمن أدّاه الى الانفراد به اطلاق الامر اليه فكانت نتيجته فى خلوته مطلقة فيرى سريانه فى الالهية سريان الوجود الالهى فى الموجودات وهو أتم الكشف الكيانى وأعلاه ومن هنا شرع التخلق بالاسماء الالهية والافأى نسبة بين الممكن والواجب الوجود لنفسه وأما من قال بالاثنى عشر فاعتبر نهاية الانسان ومرتبته العلوية وهى اثنا عشر واعتبر أيضا أسماء الاعداد البسائط دون المركبات وهى اثناعشر من واحد الى تسعة والعقد ثلاثة وهى العشر والمئون والآلاف فهذه اثناعشر وبعد هذا ما ثم عدد الامركب فى هذه الاصول فهى جمعية البسائط فاعلم ذلك وأما من لم يشترط عددا وقال بدون الاربعين وفوق الاربعة التى هى عشر الاربعين فان الاربعين قامت من ضرب الاربعة فى العشرة فهى عشر الاربعين فكأنه نزل عن الاربعين وارتفع عن الاربعة ولم يقف عندها فيقول لا تصح المعرفة بالله الا بالزائد على الاربعة وأقل ذلك الخمسة وهى المرتبة من الفردية والمرتبة الاولى هى الثلاثة وهى للعبد فأما هى التى تنتجت عنها معرفة الحق فمن قال تجوز الجمعة بالثلاثة ويرى صاحب هذا القول أعنى الذى يقول بالزائد على الاربعة ان الفردية الثانية هى للحق وهو ما حصل للعبد من العلم بفرديته الثلاثية فكان الحاصل فردية الحق لا أحديته لان أحديته لا يصح أن ينتج عنها شئ بخلاف الفردية ولما كان أول الافراد للعبد من أجل الدلالة فان المعرفة بنفس العبد مقدمة على معرفة العبد بربه والدليل يناسب المدلول بالوجه الرابط بين الدليل والمدلول فلا ينتج الا فرد الا الفرد فأول فرد يلقاه بعد الثلاثة فردية الخمسة فجعلها للحق أى لمعرفة الحق فى الرتبة الخامسة فما زاد الى ما لا يتناهى من الافراد فقد بان لك فى الاعتبار منازل التوقيت فيما تقوم به صلاة الجمعة من اختلاف الاحوال

﴿وصل فى فصل الشرط الثانى وهو الاستيطان﴾

اتفق كل من قال من العلماء ان الجمعة لا تجب على المسافر على الاستيطان واختلفوا فاشترط بعضهم المصر والسلطان ولم يشترطه بعضهم لكن اشترط الاستيطان فى قرية أو ما فى معناها ﴿وصل الاعتبار فى ذلك﴾ أهل طريق الله على نوعين منهم من يتغير عليه الحال مع الانفاس على علم منهم بذلك فى قلوبهم وهم الاكابر من أهل الله فهم مسافرون على الدوام فمن المحال عليهم الاستيطان وهم فى ذلك على نظرين فمن كان نظره ثبوته فى مقام مراعاة الانفاس وذوق تغيرها وتنوعات التجليات دائما مع كل نفس كنى عن ثبوته فى هذه الحال بالاستيطان وهو فى الحقيقة مقيم لا مقيم من وجهين مختلفين فان لا مقام مقام جعل استيطان من شرط صحة صلاة الجمعة ووجوبها وان كان مسافرا فى استيطانه كسفر صاحب السفينة كما قال بعضهم فى سير الانسان فى عمره

فسيرك يا هذا كسير سفينة * بقوم جلوس والقلاع يطير

ومن كان من رجال الله دون هذه المرتبة وأقامهم الحق فى مقام واحد فيما يرونه فى نفوسهم وان كان محالا فى نفس الامر وهم فى لبس من خلق جديد فهم بهذا الاعتبار من أهل الاستيطان فيقيمون الجمعة ويرون ان ذلك من شروط الصحة والوجوب ومن كان نظره فى انتقاله فى الاحوال والمشاهد ويرى ان الاقامة محال على حال واحد ذوقا وان سفره مثل سفر صاحب السفينة فيما يظهر له والامر فى نفسه بخلاف ذلك لم يشترط الاستيطان وقال بصحة الجمعة ووجوبها بمجرد العدد لا بالاستيطان

﴿وصل فى فصل جمعتين فى مصر واحد اختلف علماؤنا هل يقام جمعتان فى مصر واحد أم لا يقام﴾

فمن قائل بجواز ذلك ومن قائل بأنه لا يجوز وبالجواز أقول الا ان فيه ما لا يثلج الصدر به والاولى أن لا وكذلك اشترط بعضهم المصر ولم يشترطه بعضهم وبعدم هذا الشرط أقول وكذلك اشترط بعضهم أن يكون المسجد ذا سقف ولم يره بعضهم ولم يأت فى شئ من هذه الامور كلها نص من كتاب ولا سنة فاذا صحت الجماعة وجبت الجمعة لا غير (وصل الاعتبار فى ذلك) المصر الواحد ذات الانسان فى الاعتبار فانه مدينة فى نفسه بل هو جميع العالم وذات الانسان تنقسم الى قسمين الى لطيف والى كثيف فان اتفق أن يختلف التجلى على الانسان فيتجلى له فى الاسم الظاهر حساً وتمثلا وفى الاسم الباطن معنى وتنزلاً فانه مأمور فى هذه الحال بقبول التجليين قيل لابى سعيد الخراز بم عرفت الله قال بجمعه

بين الضدين ثم تلا هو الاول والآخر والظاهر والباطن جاز عنده اقامة جمعتين فى مصر واحد واكثر من جمعتين فقد يشهد الحق فى كل اسم عنده من أسمائه ولكل اسم منه عالم ليس للاسم الآخر فيقام فى ذات الانسان جمعات كثيرة لاختلاف عوالمه فى نفسه ولكل اسم حكم وسلطنة فى عالمه وجماعته والمصر واحد فهذا قد حصل له المصر والسلطان والاقامة والسفر فى حال واحد وعين واحدة وهو مسمى الانسان وهو عالم صغير الجرم كبير المعنى ومن كان نظره فى مثل هذه التجليات المتنوعة فى الاسماء الالهية والاعيان الكونية وان الحق هو الاول من عين ما هو آخر من عين ما هو ظاهر من عين ما هو باطن الى سائر الاسماء كانت ما كانت لاتساع الامر فى نفسه بتنوع معانى هذه الاسماء الالهية والاعيان الكونية واسمها وان تعددت بالنسب فهى عين واحدة وجودا منع أن يقام جمعتان فى المصر الواحد وكل عارف من أهل الله يعمل بحسب وقته ونظره ولهذا قالوا ان الصوفى ابن وقته

﴿وصل فى فصل الخطبة﴾

اختلف علماء الشريعة فى خطبة يوم الجمعة هل هى شرط فى صحة الصلاة وركن من أركانها أم لا فذهب الاكثرون الى انها شرط وركن وقال قوم انها ليست بفرض و به أقول وفى النفس من ذلك شئ فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نص على وجوبها ولا على خلافه بل نقل بالتواتر انه لم يزل يخطب فيها والوجوب حكم وتركه حكم ولا ينبغى لنا أن نشرع وجوبها ولا غير وجوبها فان ذلك شرع لم يأذن به الله فذهبنا المحقق التوقيف فى الحكم عليها مع العمل بها ولا بد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يصليها بخطبة كما لم يزل يصلى العيدين بخطبة مع اجماعنا على ان صلاة العيدين ليست من الفروض ولا خطبتها وما جاء عيد قط الا وصلى صلى الله عليه وسلم صلاة العيد وخطب (وصل الاعتبار فى ذلك) الخطبة شرعت للموعظة والخطيب داعى الحق وحاجب بابه ونائبه فى قلب العبد يرده الى الله ليتأهب لمناجاته ولذلك قدمها فى صلاة الجمعة حتى جعلتها عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فيما روى عنها ان الخطبة فى صلاة الجمعة بدل من الركعتين فان صلاة الجمعة ركعتان كصلاة المسافر فسنها قبل الصلاة لما ذكرناه من قصد التأهب للمناجاة كما سن النافلة من أجل الفريضة ابتداء لاجل التذكرى والتأهب فان عناية الشرع انما هى بما فرض فسن النافلة ابتداء فى جميع الصلوات المفروضة ألا تراه حين فرض عليه قيام الليل كان يفتتحه بركعتين خفيفتين قبل الشروع فى قيام الليل كل ذلك ليتنبه القلب لمناجاة من دعاه اليه بما افترض عليه ومشاهدته ومراقبته فان الفريضة هى المطلوب منه وهو المطلوب بها فمن رأى ان الانتباه أصل فى الطريق كالهروى وغيره قال بوجوب الخطبة كالوضوء للصلاة منبه ومن رأى ان المقصود هو الصلاة وان الاقامة فيها هو عين الانتباه لمن كان خفيف النوم جعل الخطبة سنة راتبة ينبغى أن تفعل وان لم ينص عليها ولكن ثابر عليها فهكذا الانتباه قبل المناجاة للمناجاة أولى من أن يكون الانتباه فى عين المناجاة فربما أثرت فى مناجاته نومته المتقدمة قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله فيحتمل أن يريد هنا بالذكر الخطبة فانه مأمور بالانصات فى حال الخطبة ليسمع ما يقول ألا ترى ما قيل فى حق المؤذنين انهم أطول الناس أعناقا والعنق مجرى النفس وامتداده للاسماع برفع الصوت به كنى عنه بطول العنق ولما أشهدنى الحق الاذان بنفسى رأيت لكل كلمة من الخبر المقيد بالحس مد البصر فى كل كلمة فالمؤذنون أفضل جماعة دعت الى الله عن أمر الله ورسوله ولولا رفق الرسول صلى الله عليه وسلم بأمته لاذن فانه لو أذن وتخلف عن اجابته من سمعه اذا قال حى على الصلاة كان عاصيا فكان بالمؤمنين رؤفا رحيما واعلم انا انه يريد هنا بالسعى الى ذكر الله الخطبة لان الصلاة بذاتها تنهى عن الفحشاء وهو ما ظهر من المخالفة والمنكر وهو ما تنكره القلوب ولذكر الله فيها اكبر ما فيها يعنى القول فيها أشرف أفعال المكلف فى الصلاة فانها تشتمل على أفعال وأقوال وقد روينا عن بعض العلماء انه تأول ذكر الله الذى يسعى اليه هو الخطبة

﴿وصل فى فصل اختلاف القائلين بوجوب الخطبة فى المجزى منها ما حده﴾

فمنهم من قال أدنى ما ينطلق عليه اسم خطبة شرعية ومن قائل لا بد من خطبتين ومن قائل أقل ما ينطلق عليه اسم خطبة

لغة فى لسان العرب والقائل بالخطبتين يرى انه لا بدّ أن يجلس الخطيب بينهما يعنى بين الخطبتين ويكون فى كل واحدة منهما قائما يحمد الله فى أولها ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويوصى بتقوى الله ويقرأ شيأ من القرآن فى الاولى ويدعو فى الثانية (وصل الاعتبار فى ذلك) اعتبار درجات المنبر المقامات والترقى فيها الترقى فى مقامات السلوك الى الله تعالى حتى يكون الداعى على بصيرة كما يعاين ببصره الخطيب الجماعة ببصره وان كان أعمى فهو بمنزلة الداعى على غير بصيرة وهو المقلد وأما الخطبة فالخطبة الاولى يذكر فيها ما يليق بالله من الثناء والتحريض على الامور المقرّبة من الله بالدلائل من كتاب الله والخطبة الثانية بما يعطيه الدعاء والالتجاء من الذلة والافتقار والسؤال والتضرّع فى التوفيق والهداية لما ذكره وأمر به فى الخطبة وقيامه فى حال خطبته أما فى الاولى فبحكم النيابة عن الحق فيما نذر به وأوعد ووعد فهو قيام حق بدعوة صدق وأما القيام فى الثانية فقيام عبد بين يدى سيد كريم يسأل منه الاعانة فيما قال الله على لسانه فى الخطبة الاولى من الوصايا وأمّا الجلسة بين الخطبتين ليفصل بين المقام الذى تقتضيه النيابة عن الحق تعالى فيما وعظ به عباده على لسان هذا الخطيب وبين المقام الذى يقتضيه مقام السؤال والرغبة فى الهداية الى الصراط المستقيم ولما لم يرد نص من الشارع بايجاب الخطبة ولا بما قال فيها الا مجرّد فعله لم يصح عندنا أن نقول بخطب شرعا ولا لغة الا انا ننظر ما فعل فنفعل مثله على طريق التأسى لا على طريق الوجوب ويقبله الله على ما يعلمه من ذلك قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة وقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فنحن مأمورون باتباعه فيما سنّ وفرض فنجازى من الله تعالى فيما فرض جزاء فرضين فرض الاتباع وفرض الفعل الذى وقع فيه الاتباع ونجازى فيما سنّ ولم يفرضه جزاء فرض واحد وسنة فرض الاتباع وسنة الفعل الذى لم يوجبه فان حوى ذلك الفعل على فرائض جوزى بناجزاء الفريضة بما فيه من الفرائض كنافلة الصلاة ونافلة الحج فانها عبادة تحوى على أركان وسنن ونوافل صدقة التطوّع ما فيها شئ من الفرائض فنجازى فى كل عمل بحسب ما يقتضيه ذلك العمل بما وعد الله للعامل به من الخير ولا بدّ من فرضية الاتباع فاعلم ذلك فالعارف يحمل درجات المنبر على الترقى فى الاسماء الالهية بالتخلق وفيها درج عال كالقادر والعالم ودرج دونه كالمقتدر وحتى نعلم وكان لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث أدراج وكذلك الاسماء على ثلاث مراتب لكل درج مرتبة فأسماء تدل على الذات لا تدل على أمر آخر وأسماء تدل على صفات تنزيه وأسماء تدل على صفات أفعال وما ثم مرتبة رابعة وكل هذه الاسماء قد ظهرت فى العالم فأسماء الذات يتعلق بها ولا يتخلق وأسماء صفات التنزيه يقدس بها جناب الحق تعالى ويتخلق بها العبد بحسب ما تعطيه مما يليق به فكما ان العبد يقدس جلال الله أن تقوم به صفات الحدوث كذلك يقدس العبد بهذه الاسماء فى التخلق بها نفسه أن تقوم به صفات القدم والغنى المطلق وأسماء صفات الافعال يوحد العبد بها ربه فلا يشرك فى فعله تعالى أحدا من خلقه وما فى الحضرة الالهية سوى ما ذكرناه ولا فى الانسان سوى ما ذكرناه ولا فى الامكان سوى ما ذكرناه فالعبد لا يكون ربا ان هو عبد له والرب لا يكون عبدا تعالى الله فليس فى الامكان أبدع من هذا العالم لكماله فى الدلالة عليه واستيعابه ما نسب الحق الى نفسه والى العالم فان قلت فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائه بالاسماء الالهية حين قال أو استأثرت به فى علم غيبك فلعله يدل على أمر آخر قلنا لا بدّ أن يدل ذلك الاسم اما على الله واما على ماسوى الله واما على الله وعلى ماسوى الله بوجهين واعتبارين وما ثم قسم ثالث وكل هذه الاقسام قد حصلت فى هذه الاسماء التى بأيدينا من جهة معانيها فان الذى يدل من ذلك الاسم الذى لم نعرفه على الله اما أن يدل على صفة تنزيه وقد وجدت عندنا واما على صفة فعل وقد وجدت واما على صفة يعقل معناها فى المحدثات كالفرح والتعجب فغاية الامر أن يكون العالم فى الدلالة كان فى الامكان مثل هذا العالم مما لا يتناهى فقد انحصر الامر فيما قد وجد من العالم من جهة الحقائق فاعلم ذلك

﴿وصل فى فصل الانصات يوم الجمعة عند الخطبة﴾

اختلف الناس فى الانصات يوم الجمعة والامام يخطب على ثلاثة أقوال فمن قائل انّ الانصات واجب على كل حال وانه حكم لازم من أحكام الخطبة ومن قائل ان الكلام جائز فى حال الخطبة الا حين قراءة القرآن فيها ومن قائل بالتفريق فى ذلك

بين من يسمع الخطبة و بين من لا يسمعها فان سمع أنصت وان لم يسمع جازله أن يسبح أو يتكلم في مسئلة من العلم والجمهور على انه ان تكلم لم تفسد صلاته وروى عن ابن وهب انه قال من لغا فصلاته ظهر أربع وأما القائلون بوجوب الانصات وهم الجمهور فانقسموا ثلاثة أقسام قسم أجازوا التشميت ورد السلام في وقت الخطبة و به قال الاوزاعي والثوري ومنهم من لم يجز رد السلام ولا التشميت و بعضهم فرق فقال برد السلام ولا يشمت (وصل الاعتبار في ذلك) انما شرع الوعظ والتذكير للاصغاء الى ما يقول الواعظ والمذكر وهو الخطيب الداعي الى الله والانصات له في حال كلامه ليرى ما يجري الله على لسان عبده فالخطيب نائب الحق فكأن الحق هو المتكلم عباده فوجب الانصات والاصغاء الا فيما أمر به مثل رد السلام وتشميت العاطس اذا حمد الله فمن رأى ان الحق هو المتكلم وجب عليه الانصات ولكن مع السماع ولا سيما عند قراءة القرآن في الخطبة فان لم يسمع فينبغي له في تلك الحال أن يكون مشغولا بما هو الخطيب به مشتغل من ذكر الله والثناء عليه ووعظ نفسه وزجرها اياها وتقريره نعم الله على نفسه وقراءة القرآن ولكن كل ما وقع من هذا كله فليكن كما قال وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا فهكذا يكون ذكره ولا يسمع الخطبة لبعده عن الخطيب أو لصمم قام بسمعه فالانسان واعظ نفسه

﴿وصل في فصل من جاء يوم الجمعة والامام يخطب هل يركع أم لا﴾

اختلف العلماء فيمن هذه حاله فمن قائل يركع و به أقول ومن قائل لا يركع ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ الركوع الخضوع لله وهو واجب أبدا على العالم كله ما دام ذاكرا الله لم يغفل وكل ما سوى الجن والانس فهو ذاكر لله مسبح بحمده فان ذكر الله الذاكر منا ولم يخشع قلبه ولا خضع عند ذكره اياه فلم يحترم الجناب الالهي ولم يأت بما ينبغي له من التعظيم وأول ما يعقبه جوارحه وجميع أجزاء بدنه ومعلوم قطعا ان الآتي الى الجمعة يستحضر بدخول المسجد ورؤية الخطيب وقصده الصلاة انه ذاكر لله وقد أمره الله على لسان الترجمان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال تعالى في حق من أطاعه من يطع الرسول فقد أطاع الله وقد أمر بتحية المسجد قبل أن يجلس وما ورد نهي يرفع هذا الامر غير انه اذا ركع لا يجهر بتكبير ولا بقراءة بل يسر ذلك جهد الطاقة ولا يسمعه ولا يزيد على التحية شيأ ولا سيما ان كان بحيث يسمع الامام والداخل والامام يخطب قد أبيح له أن يسلم وما خطأه أحد في ذلك ولم يؤمر الداخل بالسلام وانما الامر تعلق برد السلام لا بابتداء السلام فالركوع عند دخول السلام أولى أن يجوز له لورود الامر بالصلاة للداخل قبل أن يجلس والصلاة خير موضوع ولكن لا يزيد على الركعتين شيأ فان قدر أن لا يقعد فلا ركوع عليه فان أراد الجلوس ركع ولا بد فانه اذا أنصف الانسان ما ثم ما يعارض الراكع اذا دخل المسجد

﴿وصل في فصل ما يقرأ به الامام في صلاة الجمعة﴾

اختلف الناس في ذلك فمن قائل ان صلاة الجمعة كسائر الصلوات لا يعين فيها قراءة سورة بعينها بل يقرأ بما تيسر ومن الناس من اقتصر على ما قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها غالبا بما قد ثبتت به الرواية عنه وهي سورة الجمعة في الركعة الاولى والمنافقين في الثانية وقد قرأ سورة الغاشية بدلا من المنافقين وقد قرأ في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية بالغاشية والذي أقول به ان لا توقيت والاتباع أولى ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ المناجي هو الله والمناجي اسم فاعل هو العبد والقرآن كلام الله وكل كلامه طيب والفاتحة لا بد منها والسورة منزل من المنازل من مائة وثلاثة عشر منزلا عند الله والقرآن قد ثبت في الاخبار تفاضل سوره وآية بعضه على بعض في حق القارئ بالنسبة لما لنا فيه من الاجر وقد ورد أن آية الكرسي سيدة آي القرآن لانه ليس في القرآن آية يذكر الله فيها ابين مضمر وظاهر في ستة عشر موضعا منها الا آية الكرسي هذا في الآيات وجاء في السور ان سورة يس تعدل قراءتها قراءة القرآن عشر مرات وقراءة تبارك الذي بيده الملك تجادل عن قاريها في قبره وسورة اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل يا أيها الكافرون ربع القرآن وكذلك اذا جاء نصر الله وسورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن ولكل واحدة من التي ذكرناها في المفاضلة معنى معقول وان الزهراوين البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة وطماعيتان ولسانان

وشفتان يشهدان لمن قرأهما بحق والاخبار النبوية فى ذلك كثير وأما مانعلمه من طريق الكشف فلا يمكن لى أن أذكره الاأن سورة ص منبع الانوار عاينت ذلك مشاهدة فيا أيها الامام فى صلاة الجمعة ان قصدت المناسبة فاقرأ فيها سورة الجمعة وما ثبت انه قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله يقول لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة واقرأ بسبح اسم ربك الاعلى تنزه الحق عما يظهر فى هذه العباد من الافعال من حيث انه قال لناعن نفسه أنه يصلى علينا فنسبحه عن التخيل الذى يتخيله الوهم من الانسان من قوله يصلى بسبح اسم ربك الاعلى واذا جاءك المنافقون وهل أتاك حديث الغاشية مناسبتان لما تتضمنه الخطبة من الوعد والوعيد فتكون القراءة فى صلاة الجمعة تناسب ماذكر به الامام فى الخطبة فيجمع بين الاقتداء والتناسب

﴿وصل فى فصل الغسل يوم الجمعة﴾

غسل الجمعة واجب على كل محتلم عندنا وهو لليوم وان اغتسل فيه للصلاة فهو أفضل أما الغسل يوم الجمعة فالجماعة على انه سنة وقوم قالوا انه فرض و به أقول والقائلون بوجوبه منهم من قال انه واجب لليوم وهو قولنا وان اغتسل قبل الصلاة للصلاة فهو أفضل ومنهم من قال أنه واجب قبل صلاة الجمعة ﴿وصل الاعتبار فى ذلك﴾ الطهارة العامة الباطن الانسان الذى هو قلبه بالحياة الباطنة المعرفة بالله التى فيها و بها حياة القلوب من حيث ما تعطيه صلاة الجمعة من جهة انه سبحانه واضع هذه العبادة الخاصة بهذه الصورة فانه من أعظم الهداية التى هدى الله اليها هذه الامة خاصة فانه اليوم الذى اختلفوا فيه فهدى الله لما اختلفوا فيه من الحق باذنه وذلك ان الله اصطفى من كل جنس نوعا ومن كل نوع شخصا واختاره عناية منه بذلك المختار أو عناية بالغير بسببه وقد يختار من الجنس النوعين والثلاثة وقد يختار من النوع الشخصين والثلاثة والا كثر فاختار من النوع الانسانى المؤمنين واختار من المؤمنين الاولياء واختار من الاولياء الانبياء واختار من الانبياء الرسل وفضل الرسل بعضهم على بعض ولولا ورود النهى من الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله لاتفضلوا بين الانبياء لعينت من هو أفضل الرسل لكن أعلمنا الله انه فضل بعضهم على بعض فمن وجد نصا متواترا فليقف عنده أو كشفا محققا عنده ومن كان عنده الخبر الواحد الصحيح فليحكم به ان تعلق حكمه بافعال الدنيا وان كان حكمه فى الآخرة فلا يجعله فى عقده على التعيين وليقل ان كان هذا عن الرسول فى نفس الامر كما وصل الينا فأنا مؤمن به و بكل ما هو من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الله مما علمت ومما لم أعلم فانه لاينبغى أن يجعل فى العقائد الا ما يقطع به ان كان من النقل فما ثبت بالتواتر وان كان من العقل فما ثبت بالدليل العقلى مالم يقدح فيه نص متواتر فان قدح فيه نص متواتر لايمكن الجمع بينه ما اعتقد النص وترك الدليل والسبب فى ذلك ان الايمان بالامور الواردة على لسان الشرع لا يلزم منها أن يكون الامر الوارد فى نفسه على مايعطيه الايمان فيعلم العاقل ان الله قد أراد من المكلف أن يؤمن بما جاء به هذا النص المتواتر الذى أفاده التواتر أن النبى صلى الله عليه وسلم قاله وان خالف دليل العقل فيبقى على علمه من حيث ما هو علم و يعلم ان الله لم يرد به بوجود هذا النص أن يعلق الايمان بذلك المعلوم لانه يزول عن علمه و يؤمن بهذا النص على مراد الله به فان أعلمه الحق فى كشفه ما هو المراد بذلك النص القادح فى معلومه آمن به فى موضعه الذى عينه الحق له بالنظر الى من هو المخصوص بذلك الخطاب ومثل هذا الكشف يحرم علينا اظهاره فى العامة لما يؤدى اليه من التشويش فلنشكر الله على ما منحه فهذه مقدمة نافعة فى الطريق ولما اختص الله من الشهور شهر رمضان وسماه باسمه تعالى فان من أسماء الله رمضان كذلك اختص الله من أيام الاسبوع يوم العروبة وهو يوم الجمعة وعرف الامم ان لله يوما اختصه من هذه السبعة الايام وشرفه على سائر أيام الاسبوع ولهذا يغلط من يفضل بينه و بين يوم عرفة و يوم عاشوراء فان فضل ذلك يرجع الى مجموع أيام السنة لا الى أيام الاسبوع ولهذا قد يكون يوم عرفة يوم الجمعة و يوم عاشوراء يوم الجمعة و يوم الجمعة لايتبدل لايكون أبدا يوم السبت ولا غيره ففضل يوم الجمعة ذاتى لعينه وفضل يوم عرفة وعاشوراء لامور عرضت اذا وجدت فى أى يوم كان من أيام الاسبوع كان الفضل لذلك اليوم لهذه الاحوال العوارض فتدخل مفاضلة عرفة وعاشوراء فى المفاضلة بين الاسباب العارضة الموجبة للفضل

فى ذلك النوع كان رمضان انما فضله على سائر الشهور فى الشهور القمرية لا فى الشهور الشمسية فان أفضل الشهور الشمسية يوم تكون الشمس فى برج شرفها وقد يأتى شهر رمضان فى كل شهور السنة الشمسية فيشرف ذلك الشهر الشمسى على سائر شهور الشمس بكون رمضان كان فيه وكونه فيه أمر عرض له فى سيره فلا يفاضل يوم الجمعة بيوم عرفة ولا غيره وهذا شرع الغسل فيه لليوم لا لنفس الصلاة فان اتفق أن يغتسل فى ذلك اليوم لصلاة الجمعة فلا خلاف بيننا انه أفضل بلا شك وأرفع للخلاف الواقع بين العلماء فلماذا كرالله شرف هذا اليوم للام ولم يعينه وكلهم الله فى العلم به لاجتهادهم فاختلفوا فيه فقالت النصارى أفضل الايام والله أعلم هو يوم الاحد لانه يوم الشمس وهو أول يوم خلق الله فيه السموات والارض وما بينهما فابتدأ فيه الخلق الاشرف على سائر الايام فاتخذته عيدا وقالت هذا هو اليوم الذى أراده الله ولم يقل لهم نبيهم فى ذلك شيأ ولا علم لنا هل أعلم الله نبيهم بذلك أم لا فانه ما ورد بذلك خبر وقالت اليهود بل ذلك يوم السبت فان الله فرغ من الخلق فى يوم العروبة واستراح يوم السبت واستلقى على ظهره ووضع احدى رجليه على الاخرى وقال أنا الملك قال الله تعالى فى مقابلة هذا الكلام وأمثاله وما قدروا الله حق قدره وتزعم اليهود أن هذا انما نزل فى التوراة فلا نصدقهم فى ذلك ولا نكذبهم فقالت اليهود يوم السبت هو اليوم الذى أراده الله بأنه أفضل أيام الاسبوع فاختلفت اليهود والنصارى وجاءت هذه الامة فجاء جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم بيوم الجمعة فى صورة مرآة مجلوة فيها نكتة فقال له هذا يوم الجمعة وهذه النكتة ساعة فيه لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلى الا غفر الله له فقول النبى صلى الله عليه وسلم فهدانا الله لما اختلف فيه أهل الكتاب هو هذا التعريف الالهى بالمرآة وأضاف الهداية الى الله وسبب فضله انه اليوم الذى خلق الله فيه هذه النشأة الانسانية التى خلق المخلوقات من يوم الأحد الى يوم الخميس من أجلها فلا بدّ أن يكون أفضل الأوقات وكان خلقه فى تلك الساعة التى ظهرت نكتة فى المرآة ولما ظهرت نكتة فى المرآة دل ضرب المثل أنها لا تنتقل كما لا تنتقل تلك النكتة التى فى المرآة فهى ساعة معينة فى علم الله فان راعينا ضرب ذلك المثل فى الحس ولا بدّ قلنا ان الساعة لا تنتقل كما لا تنتقل فى الحس وان راعينا ضرب المثل بها فى الخيال ولا نخرجه بالجملة الى الحس قلنا تنتقل الساعة فى اليوم فان حكم الخيال الانتقال فى الصورة لانه ليس هو بمحسوس فينضبط وانما هو معنى فى صورة جسدية خيالية تشبه صورة حسية وكان المعنى الواحد ينتقل فى صور ألفاظ كثيرة ولغات مختلفة فى زمان واحد أشبه الخيال فتنتقل الساعة فى يوم الجمعة وكلا الامرين سائغ فى ذلك ولا يعرف ذلك الا باعلام الله وهذه الساعة فى يوم الجمعة كليلة القدر فى السنة سواء قال تعالى فى هذا اليوم اعنى فى شأنه كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه هذه الآية نزلت فى الاختلاف فى هذا اليوم فغسل يوم الجمعة من هذا الاختلاف حتى يكون على يقين فى طهارته بما كشف الله عن بصيرته وهو علم الساعة التى فى هذا اليوم فان اليوم كان مبهما ثم ان الله عرفنا به على لسان رسوله وبقى الابهام فى الساعة التى فيه فمن علمها فى كل جمعة ان كانت تنتقل أو علمها فى وقتها المعين ان كانت لا تنتقل فقد صح غسله يوم الجمعة من هذا الجهل الذى كان فيه بها ولهذا ينبغى ان يكون الغسل لليوم فانه أعم

﴿وصل فى فصل وجوب الجمعة على من خارج المصر﴾

اختلف الناس فى وجوب الجمعة على من خارج المصر فمن قائل لا تجب الجمعة على من خارج المصر ومن قائل أنها تجب على من هو خارج المصر واختلفوا فى قدر المسافة فمنهم من قال مسيرة يوم وهو قول شاذ ومنهم من قال ثلاثة أميال ومنهم من قال ان يكون على مسافة يسمع منها النداء غالبا والذى أقول به اذا كان الانسان على مسافة بحيث انه اذا سمع النداء يقوم للطهارة فيتطهر ثم يخرج الى المسجد ويمشى بالسكينة والوقار فاذا وصل وأدرك الصلاة وجبت عليه الجمعة فان علم أنه لا يلحق الصلاة فلا تجب عليه لانه ليس بمأمور بالسعى اليها الا بعد النداء وأما قبل النداء فلا (وصل الاعتبار

فى ذلك) الخارج عن الوطن الذى تعطيه معرفة الحق من حيث ماهو آمر بها من دليل من عرف نفسه عرف ربه وهو الارتباط بالمعرفتين فلا يخلو ان يكون خروجه الى معرفة ربه من حيث ماهو واجب الوجود أو يكون خارجا الى حضرة الحيرة والوقوف أو الكثرة فان كان خارجا الى حكم معرفة كونه واجب الوجود لنفسه لاتجب عليه الجمعة وان كان خروجه الى ماسوى هذا وجبت عليه الجمعة بلا شك

﴿وصل فى فصل الساعات التى وردت فى فضل الرواح الى الجمعة﴾

فمن قائل هى الساعات المعروفة من أول النهار ومن قائل هى أجزاء ساعة واحدة قبل الزوال وبعده والذى أقول به انها أجزاء من وقت النداء الاول الى ان يبتدئ الامام بالخطبة ومن بكر قبل ذلك فله من الاجر بحسب بكوره مما يزيد على البدنة مما لم يوقته الشارع (وصل الاعتبار فى ذلك) السعى سعيان سعى مندوب اليه وهو من أول النهار الى وقت النداء وسعى واجب وهو من وقت النداء الى ان يدرك الامام راكعا من الركعة الثانية والاجر الموقت للساعى الى أول الخطبة وما بعد ذلك فأجر غير موقت لانه لم يرد فى ذلك شرع فأما الاجر الموقت فهو من بدنة الى بيضة وبينهما بقرة وهى تلى البدنة ويليها كبش وتلى الكبش دجاجة والبيضة تأتى بعد الدجاجة آخرا وليس بعدها أجر موقت ولما كانت البيضة من الدجاجة وفيها تتكون الدجاجة وما فى معناه من الحيوان الذى يبيض لهذا قرن البيضة مع الحيوان فى توقيت القربة وقصد من الحيوانات فى التمثيل ما يؤكل لحمه اعتناء بما الاختلاف فى أكله وبه تعظم قوة الحياة فى الشخص المتغذى فكأن المتقرب به تقرب بحياته والتقريب بالنفس الى الله اسنى القربات ألا ترى الشهداء فى سبيل الله لما تقربوا بأنفسهم الى الله فى قتال أعداء الله كانت لهم الحياة الدائمة والرزق الدائم والفرح بما أعطاهم الله فلا يقال فى الشهداء أموات لنهى الله عن ذلك لان الله أخذ بابصار الخلق عن ادراك حياتهم كما أخذ بابصارهم عن ادراك الملائكة والجن مع معرفتنا انهم معنا حضور ولا نعتقد أيضا فى الشهداء انهم أموات بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء وخبر الله صدق فثبتت لهم الحياة لما قصدوا القربة الى الله بنفوسهم ﴿حكى عن بعض شباب الصالحين﴾ انه كان بمنى يوم النحر وكان فقيرا متجردا لا يقدر على شئ من الدنيا فنظر الى الناس يتقربون الى الله بنحر بدنهم وبالبقر والغنم وما قدروا عليه من الحيوان فقال الشاب الهى ان الناس قد تقربوا اليك فى هذا اليوم بما وصلت أيديهم اليه مما أنعمت به عليهم ومالعبدك المسكين شئ يتقرب به اليك فى هذا اليوم سوى نفسه فاقبلها فما فرغ من كلامه حتى فارق الدنيا فقبضه الله قبض الشهداء سبيل الله ولنا بيت من قصيدة فى هذا المعنى

وأهدى من القربان نفسا معيبة * وهل يرىء خالق بالعيوب تقربا

وفى مثل هذا يقول بعضهم وقد رأى بمنى مثل ما رآه هذا الشاب من الحاج فانشد

* تهدى الاضاحى وأهدى مهجتى ودمى *

﴿وصل فى فصل البيع وقت النداء للصلاة من يوم الجمعة﴾

اختلفوا فى البيع فى وقت النداء فمن قائل يفسخ ومن قائل لا يفسخ قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع فأمر بترك البيع فى هذا الوقت قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وقال عليه السلام فى الجهاد انه جهاد النفس وهو الجهاد الأكبر وقال تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ولا أكفر من النفوس بنعم الله ولا يلى الانسان أقرب اليه من نفسه وجهاد النفس أعظم من جهاد العدو لان الانسان لا يخرج الى جهاد العدو الا بعد جهاده لنفسه وجهاد العدو قد يقع من العبد للرياء والسمعة والحمية وجهاد النفس أمر باطن لا يطلع عليه الا الله كالصوم فى الاعمال وأحق بيع النفس من الله اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فيترك جميع أغراضه ومراداته ويأتى الى مثل هذا السوق فيبيع من الله نفسه ومثل هذا البيع لا يفسخ هذا مذهب من يقول بعدم الفسخ ومن يقول بالفسخ اعتباره هو أن يقول جميع أفعال العبادات أضافها الى العباد الا عبادة بين العبادة الواحدة الصوم فأضافه الى نفسه والعلة فى ذلك أنها صفة صمدانية سلبية لا تنبغى الا لله من حيث

ذاته لامن حيث كونه لها وكل ماعداذات الحق فانه متغذ بالغذاء الذي يليق به مما يكون في استعماله بقاء ذلك المتغذي والعبادة الثانية الصلاة فانه قال قسمت الصلاة بيني و بين عبدي بنصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي فدل هذا الحديث على صحة ماعلكه العبد فانه أضاف نصف الصلاة الى نفسه تعالى وأضاف نصفها الى عبده فهو وان كان عبده فهو مالك لما أضافه الله اليه فهو بالنظر الى ماأضافه اليه في الصلاة غير مملوك فقال بفسخ البيع ومعنى فسخ البيع انه لايضيف الى الله في هذه الحالة ماهو مضاف اليه فان في ذلك منازعة الحق حيث أضاف أمرا اليك فرددته أنت عليه وهذا سوء أدب فأي مصل ردّ على الله هذا النصف الثاني الذي أضافه الى العبد وملكه اياه في حال الصلاة فهو بيع مفسوخ ولهذا قال تعالى في هذا الحال وذروا البيع يقول مرادي منكم في هذه الحال ان يكون نصف الصلاة لكم فالموفق هو الذي يتأدب مع الله في كل حال

﴿وصل بل فصل في آداب الجمعة﴾

اعلم ان آداب الجمعة ثلاثة وهو الطيب والسواك والزينة وهو اللباس الحسن ولا خلاف فيه بين أحد من العلماء (وصل الاعتبار في ذلك) أما الطيب فهو علم الانفاس الرحمانية وهو كل مايرد من الحق مما تطيب به المعاملة بين الله و بين عبده في الحال والقول والفعل * وأما السواك فهو كل شيء يتطهر به لسان القلب من الذكر القرآني وهو أتم الطهارة وكل مايرضي الله فانه تنبعث من هذه أوصافه روائح طيبة الهية يشمها أهل الروائح من المكاشفين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في السواك انه مطهرة للفم ومرضاة للرب وان السواك يرفع الحجب بين الله و بين عبده فيشاهده فانه يتضمن صفتين عظيمتين الطهور ورضي الله وقد أشار الى هذا المعنى الخبر في قوله صلى الله عليه وسلم صلاة بسواك خير من سبعين صلاة بغير سواك وفي سواك اشارة للمصلين بربهم لابأنفسهم وقد ورد ان لله سبعين حجابا فناسب بين ماذكرته لك و بين هذه الاخبار تبصر عجائب * وأما اللباس الحسن فهو التقوى قال تعالى ولباس التقوى ذلك خير أي هو خير لباس وقال خذوا زينتكم عند كل مسجد ولا تقوى أقوى من الصلاة فان المصلي مناج مشاهد ولهذا قال استعينوا بالصبر والصلاة وقال لعبده قل واياك نستعين فقد أقام الصبر والصلاة مقام نفسه في المعونة فكل مصل يتحدث في صلاته مع غير الله في قلبه فما هو المصلي الذي يناجي ربه ولا يشاهده فان حال المناجاة والشهود لايحجز أحد من المخلوقات يقرب من عبد تكون حالته هذه خوفا من الله وهذا المصلي قليل فهو مصل بصورته الظاهرة من قيام وركوع وسجود غير مصل بباطنه الذي هو المطلوب منه ولكن نرجو في هذا الموطن ان يشفع ظاهره في باطنه كما يشفع في بعض الأحوال باطنه في ظاهره وسبب ذلك ان الحركات الظاهرة ان لم يكن لها في الباطن حضور تثبت به وتظهر عنه والا فاتكون ولا يظهر لها وجود فذلك القدر من الحضور المرعي شرعا هو من الباطن فيتأيد مع الفعل الظاهر فيقوى على مايقع للمصلي من الوسوسة في الصلاة فلا يكون لها تأثير في نقص نشأة الصلاة عناية من الله ان الله بالناس لرؤف رحيم ولما كان اللباس الحسن من الزينة التي أمر بها العبد في الصلاة لم يكن أحسن زينة يلبسها العبد في مناجاة ربه من زينته بالعبودية والزينة الأخرى الزينة بربه في قوله كنت سمعه و بصره و يده ورجله ولسانه فاثبت العبد بالضمير وزينه به تعالى في عباداته كلها انتهى الجزء الثاني والاربعون

﴿وصول بل فصول صلاة السفر والجمع والقصر﴾

السفر يؤثر في الصلاة القصر باتفاق وفي الجمع باختلاف * اما القصر فان العلماء اتفقوا على جواز قصر الصلاة للمسافر الاعائشة فانها قالت لايجوز القصر الا للخائف لقوله عز وجل ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم انما قصر لانه كان خائفا واختلفوا من ذلك في خمسة مواضع أنا أذكرها ان شاء الله ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ قد بينا لك في هذا الباب ان السفر حال لازم لكل ماسوى الله في الحقائق الالهية بل لكل من يتصف بالوجود وهو سفر الاكابر من الرجال تخلقا بقوله تعالى يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان وحديث النزول الى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الباقي من الليل وهو الادلاج عند العرب بتشديد الدال فسفر الاكابر من الرجال بالعلم والتحقق

وسفر فى الاسماء الالهية بالتخلق وهو سفر حاله نازل عن الحال الاول وسفر ثالث فى الاكوان بالاعتبار وهو حال دون الحالين وسفر جامع لهذه الاسفار كلها فى أحوالها وهو أعظم أسفار الكون والاول أعظم الاسفار وأجلها فاذادعا الحق المسافر للصلاة قصر عن صلاة المقيم لوضع الفرق فكما تميز المقيم من المسافر وحال الاقامة من حال السفر تميز حكم صلاة المقيم من حكم صلاة المسافر واما قول عائشة وهو قول الله فى الخوف فان العبد مطلوب فى كل نفس بمراقبة الحق فى حكمه تعالى فى ذلك النفس بماشرع له تعالى فيه خاصة وما كل أحد يقدر على مراعاة هذا المقام مع الحق فلا يزال فى خوف دائما فالعارف اذا حصل فيه وخاف ان يلتبس عليه مناجاة الحق فى الانفاس اقتصر من المناجاة على مايختص بذلك النفس فكان الخوف سببا للقصر وهو قول الله تعالى الذى ذهبت اليه عائشة وسيأتى تحقيق ماأومأنا اليه فيما بعد ولما قلنا ان العلماء اختلفوا من ذلك فى خمسة مواضع تعين علينا ان نذكرها واعتبارانها موضعا موضعا ان شاء الله تعالى كما جرت عادتنا فى عبادات هذا الكتاب

﴿وصل فى فصل الموضع الاول من الخمسة﴾

وهو حكم القصر اختلف علماء الشريعة فى ذلك على أربعة أقوال فمن قائل ان القصر للمسافر فرض متعين و به أقول ومن قائل ان القصر والاتمام كلاهما فرض مخير له كالخيار فى واجب الكفارة ومن قائل ان القصر سنة ومن قائل ان القصر رخصة والاتمام أفضل ﴿وصل الاعتبار فى ذلك﴾ من رأى ان التمكين فى التلوين اقامة قال الاتمام أفضل ومن راعى التلوين مع الانفاس سواء كان مشعورا به أو غير مشعور به قال ان القصر فرض متعين ومن راعى التلوين والتمكين خيره فى القصر والاتمام بحسب صاحب الوقت وحاكمه فان كان صاحب الوقت التلوين بالحال والتمكين بالعلم قصر وان كان صاحب الوقت التمكين بالحال والتلوين بالعلم أتم ومن لم يراع التلوين ولا التمكين وكان بحكم الطريق لا بحكم لسالك فيه قال ان القصر سنة

﴿وصل فى فصل الموضع الثانى من الخمسة المواضع﴾

وهى المسافة التى يجوز فيها القصر اختلف العلماء فى ذلك فمن قائل فى أربعة برد ومن قائل مسافة ثلاثة أيام ومن قائل فى كل سفر قريبا كان أو بعيدا وبه أقول فانى أعتبر فيها مسمى السفر باللسان ﴿وصل الاعتبار﴾ فى ذلك البريد اثنا عشر ميلا ولما كانت المسافة تطلب المقدار بذاتها والعدد يلزم المقادير وكانت مراتب العدد اثنى عشرة مرتبة لا يزاد عليها ولا ينقص وهى واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة مائة ألف هذه بسائط الاعداد وما زاد عليها فمركب منها فاذا مشى الانسان فى طريق الله فى الاربعة الاركان التى قامت منها نشأته وهى اخلاطه يقطع كل ركن بهذه الاثنى عشرة وأما الاكابر فيقطعونها فى الاربعة الأسماء الالهية التى هى أمهات الأسماء كلها وعليها توقف وجود العالم وهو الحى العالم المريد القادر لاغير و بهذه الأسماء يثبت كونه الها فاذا نظر العبد فى هذه الأربعة مع الأربعة التى له كانت ثمانية ونظر الى نفسه وعقله فكانت العشرة ونظر الى توحيد ذاته وتوحيد الوهيته كانت اثنى عشرة وتم البريد فنظر هذا أيضا فى الاربع المراتب وهو قوله الأول والآخر والظاهر والباطن حقا وخلقا وصرف فى كل حال من هذه الاحوال الاثنى عشر ثبتت بذلك أربعة برد فيقصر الصلاة وأما الثلاثة الأيام فيوم كما قال أبو يزيد حين سئل عن الزهد فقال هو هين ما كنت زاهدا سوى ثلاثة أيام اليوم الواحد زهدت فى الدنيا واليوم الثانى زهدت فى الآخرة واليوم الثالث زهدت فى كل ما سوى الله ومن كانت هذه حاله قصر صلاته فانه قد سافر أكمل الاسفار بلا خلاف واما القصر فى مسافة ينطلق عليها اسم سفر ولا بد فى اللسان ولا راعى البعد ولا القرب فهو الذى يراعى عالم المكلفين فمن سافر منهم قصر فاذا سافر الانسان ببصره للاعتبار قصر وان سافر بسمعه أيضا قصر وان سافر بفكره فى المعقولات قصر وصورة قصره قصور نظره على ما يعطيه حاله فى وقته فان أعطاه الكل كان بحسبه وان أعطاه البعض كان بحسبه وهذا هو مذهب الجماعة وعليه عولوا

﴿وصل فى فصل الموضع الثالث من الخمسة المواضع﴾

وهو اختلافهم فى نوع السفر الذى تقصر فيه الصلاة فمن قائل ان ذلك مقصور على سفر الطاعات والافعال المقربة الى الله

ومن قائل بهذا وبالسفر المباح أي ذلك كان ومن قائل بكل سفر مما يسمى سفر اقربة كان أو مباحا أو معصية وبه أقول ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ قال تعالى واليه ترجعون هذا في الاعيان وقال في الاعيان وفي الاحوال وقال واليه يرجع الامر كله وقال ألا الى الله تصير الامور وقال مامن دابة الاهو آخذ بناصيتها فهذه الآيات كلها وأمثالها تدل على سفر الانسان الى الله فيقصر فان الله هو الغاية لكل مسافر سواء سافر منه أو من كون نفسه أو كون من الا كوان وفيه أوفي أسماء ربه والحق سبحانه غاية الطرق قصدت الطرق أو لم تقصد فما هو غاية قصد السالك فان السالك مقيد القصد ولا بد والله لايتقيد الابالاطلاق فان الاطلاق تقييد فلهذا أمرنا بالتقصير في كل ماينطلق عليه اسم سفر قربة كان أو مباحا أو معصية ومن راعى أو كان مشهده قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لم ير التقصير الا في سفر الطاعة أو في سفر الطاعة والمباح لان الصلاة قربة الى الله سعادية والمذهب الاول أولى فان المعصية لم يثبت كونها معصية عند هذا المسافر فيها الا بكونه مؤمنا أو على مذهب خاص بالمؤمن بها انها معصية فهو ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا وهو مسافر فلاي معنى نراعي حكم المعصية فنقول بانه لا يقصر بكونه سافر في غير مايرضي الله وغاب صاحب هذا القول عن حكم الايمان بهذه المعصية من هذا المسافر انه مؤمن بانها معصية فهو في طاعة فانه قد أرضى الرب سبحانه من كونه مؤمنا بانها معصية والايمان في حكمه أقوى من الفعل المعين المسمى معصية فاعتمه ان يحكم له بجواز القصر وهو مسافر بايمانه بها في طاعة أيضا والحسنة بعشر والسيئة واحد ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فكيف ان كانوا مائتين والمعصية في عشرين والآيات التي احتج بها من تعيين الصراط والجنة انما ذلك فيمن ليس بمؤمن ومن ليس بمؤمن فما هو مخاطب بتمام ولا قصر لان الصلاة لا تجب عليه الا بعد الايمان وان كان مخاطبا بالجملة فمذهبنا أولى في هذه المسئلة

﴿وصل في فصل الموضع الرابع من الخمسة المواضع﴾

وهو الموضع الذي منه يبدأ المسافر بالقصر قال بعض العلماء لا يقصر حتى يخرج من بيوت القرية ولا يتم حتى يدخل أول بيوتها ومن قائل لا يقصر اذا كانت قرية جامعة حتى يكون منها بنحو ثلاثة أميال ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ الانسان جسم وروح فمادام روح الانسان مستوطنا في جسمه وعالم حسه يجري بحكم طبيعته فهو مقيم غير مسافر فيتم صلاته فاذا سافر الروح عن جسمه وتركه وراءه بحال فناء فقد غاب عنه في أول قدم واذا غاب عنه فسنته القصر في الصلاة ومعنى القصر هنا ما يختص به الروح من حكم الصلاة من كونه روحا لامن كونه مدبرا الجسم فانه في هذه الحال غائب عن جسمه فلا يبقى عليه من حكم الصلاة الا ما يختص به ومن راعى كون جسميته ذات ثلاث شعب وهو مايحويه من الطول والعرض والعمق وهو سار في كل مسمى بالجسم الا في مذهب المتكلمين فان الجسم عندهم طول بلا عرض يعني أقل جسم وفي مذهب غيرهم ثمانية جواهر هي أقل الاجسام فانه جمع بين الطول من كونه جوهرين والعرض من كونه أربعة جواهر وهو السطح والعمق من كونه ثمانية جواهر وهو سطحان وأربعة خطوط وسواء كان عند هذا الروح جسمه الخاص به أو انتقل عن جسمه في غيبته المدبر له الى جسم آخر طبيعي يشاهده فما زال من حكم الجسمية فلا يقصر حتى يغيب عنها بالكلية ويتجرد عن مشاهدة الجسمية ويبقى روحا فحينئذ يبتدئ بصلاته الخاصة به وهو القصر فهذا اعتبار صاحب الثلاثة الايام والقرية الجامعة وهي الجسمية الشاملة لجسمه ولجسم غيره فان من أصحابنا من يقول انه من انتقل في غيبته من صورة حسه الى صورة محسوسة فلا يسمى غائبا كانت تلك الصورة ما كانت روحانية أو اسمائية أو معنوية أو جسمية مهما تجلت له في الصور الجسمية فهو مقيم في الجسم فيجب عليه الاتمام في الصلاة التي يدخلها القصر والاتمام وهي الرباعية فان الثنائية وهي الصبح لا يدخلها القصر فان الركعة الواحدة لوحدانية الحق والركعة الثانية لوحدانية العبد فلا بد من مصل ومصلى له فلا قصر في صلاة الصبح وأما الثلاثية وهي المغرب فان الركعتين اللتين يجهر فيهما فهما شفعية الانسان وكونهما يجهر فيهما بالقراءة لانهما انتصبا دليلا على الحق والدليل لا يكون الاعلانية ظاهرا معلوما ودليل بغير مدلول لا يصح فكانت الركعة الثالثة لوجود المدلول وهو الحق وكانت القراءة فيها سرا لكونه غيبا فلا سبيل الى القصر في المغرب فانه دليل على العبد وشفعيته وعلى الحق وأحديته فلم يبق القصر الا في الرباعية لوجود

الشفعيتين

الشفعيتين فيهافألحقت بالصبح لحكم الاحدية في جناب الحق وجناب العبد وهو قول من قال

وفي كل شئ له آية * تدل على انه واحد

فما قال اثنان ولا قال شيآن فاعتبر أحدية كل شئ من كونه شيأ ومن كونه آية على أحدية الحق حتى لا يعرف الواحد الا بالواحد ولهذا كان يقول الحسن بن هانئ شاعر وقته وددت ان هذا البيت الواحد لي بجميع شعري ثم عمل في معناه وما جاء مثله ولا أعطى من حسن مساق المعنى ما أعطاه هذا البيت وخرج عن علمي في هذا الوقت ما عمله الحسن ولو كان في حفظي في هذا الوقت لسقته في هذا الموضع حتى يعرف فضل هذا البيت وانه في الكلام المعجز وما أظن وقع لقائله وهو أبو العتاهية الا بحكم الاتفاق

﴿وصل في فصل الموضع الخامس من الخمسة المواضع﴾

وهو اختلافهم في الزمان الذي يجوز للمسافر اذا أقام فيه في بلد أن يقصر * حكى أبو عمر بن عبد البر في هذه المسئلة احد عشر قولا ما حضرني في هذا الوقت فلينظرها في كتبه من أراد أن يقف عليها فلنذكر منها ما تيسر على ذكري فمن قائل اذا أزمع المسافر على اقامة أربعة أيام أتم وقال غيره خمسة عشر يوما وقال غيره عشرين يوما وقال غيره اذا أزمع على أكثر من أربعة أيام والاولى عندي في هذه المسئلة ان ينظر في مدة اقامة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة الى ان رجع الى المدينة فانه كان يقصر في تلك المدة ﴿وصل في الاعتبار في ذلك﴾ اذا قام السالك في المقام بنية الاقامة فيه أتم من نفسين الى عشرين نفسا فان يوم العارف نفسه المكمل الالهي وان كان في كل نفس يطلب الترقي فيمسكه الله فيه فلا يعطيه حكمه ما مشى به في أنفاسه ولم يشعر بها الا ان نيته الرحلة في كل نفس فهو يقصر دائما عمره كله فهو بمنزلة من يتعرض للفتح فلا يفتح له ويجمع له الى أن يموت فيرى عند موته ما أخفي له فيه من قرة أعين فيعلم عند ذلك أنه كان مسافرا ولم يشعر لكونه ما فتح له في حياته الاولى ولا شاهد ما شاهده غيره من السائرين الى الله

﴿وصل في فصول الجمع بين الصلاتين﴾

اتفق العلماء كلهم على الجمع بين الظهر والعصر في أول الظهر يوم عرفة بعرفة وعلى الجمع بين المغرب والعشاء بتأخير المغرب الى وقت العشاء بالمزدلفة واختلفوا فيما عدا هذين المكانين فذهب أكثر الناس الى الجمع بينهما في المواضع التي يجوز الجمع والاحوال ومنع بعضهم ذلك باطلاق فيما عدا موضع الاتفاق وأما الذي أذهب اليه فان الاوقات قد ثبتت بلا خلاف فلا تخرج صلاة عن وقتها الا بنص غير محتمل اذ لا ينبغي أن يخرج عن أصل ثابت بأمر محتمل هذا لا يقول به من شم رائحة من العلم وكل حديث ورد في ذلك فمحتمل وتكلم فيه مع احتماله أو صحيح لكنه ليس بنص وأما ان أخر صلاة الظهر الى الوقت المشترك فجمع على هذا الحد وكذلك في المغرب مع العشاء فقد صلى كل صلاة في وقتها وهو الصحيح الذي يعول عليه فان الحديث الثابت الذي هو نص هو حديث أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفره اذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر حتى يصليها مع العصر فهو محتمل كما ذكرناه واذا ارتحل بعد أن تزيغ الشمس صلى الظهر وحده ثم ركب ولم يكن يقدم العصر اليها لانه ليس وقتها باتفاق فيقوى بهذا احتمال التأخير أنه صلى الظهر في آخر وقتها وأوقع بعضها في الوقت المشترك وهو الذي يصلح لايقاع الصلاتين معا الا انه لا يتسع فيصلي من الظهر ثلاث ركعات فيه أو ما نقص عن ذلك ويصلي من العصر فيه بقدر ما بقي من الوقت المشترك وهذا هو الاولى والاحوط ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ الجمع في المعرفة بلا خلاف في توحيد الله في الوهته وهو أن لا اله الا هو ولا يعرف هذا الا بعد معرفة المألوه فهو الجمع بين المعرفتين بالاتفاق وهذا هو جمع عرفة وأما جمع المزدلفة فهو موضع القربة وهو موضع جمع فحكم اسم الموضع على من حل فيه بالجمع ألا ترى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن الرجل في سلطانه ولا يقعد في بيته على تكرمته الا باذنه فجعل الحكم والامامة لصاحب المنزل وهذا المنزل يسمى جمعا فالامامة له والحكم فجمع فيه بين الصلاتين لما تعطيه حقيقته بالاتفاق أيضا وجمع النبي صلى الله عليه وسلم في هاتين بين التقدم والتأخر ولا واسطة بينهما في هذا الموضع حتى تكمل مراتب الاشياء لاجل أهل القياس فان الله قد علم من عباده انهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخذون القياس أصلا فيما لا يجدون فيه نصا من كتاب ولا سنة ولا اجماع فوفق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى

الجمع في هذا اليوم تقديم صلاة العصر وتأخير صلاة المغرب ليقيس مثبتو القياس التأخير لهذا التأخير والتقديم لهذا التقديم وقد قرّر الشارع حكم المجتهد أنه حكم مشروع فاثبات المجتهد القياس أصلا في الشرع بما أعطاه دليله ونظره واجتهاده حكم شرعيّ لا ينبغي يردّ عليه من ليس القياس من مذهبه وان كان لا يقول به فان الشارع قد قرّره حكما في حق من أعطاه اجتهاده ذلك فمن تعرّض للردّ عليه فقد تعرّض للردّ على حكم قد أثبته الشارع وكذلك صاحب القياس ان ردّ على حكم الظاهريّ في استمساكه بالظاهر الذي أعطاه اجتهاده فقد ردّ أيضا حكما قرّره الشارع فليلزم كل مجتهد ما أدّاه اليه اجتهاده ولا يتعرّض الى تخطئة من خالفه فان ذلك سوء أدب مع الشارع ولا ينبغي لعلماء الشريعة أن يسيؤا الادب مع الشرع فيما قرّره

﴿وصل في فصل صورة الجمع﴾

اختلف القائلون في صورة الجمع في السفر فمنهم من رأى أن تؤخر الصلاة الاولى وتصلى مع الثانية ومنهم من رأى ان تقدّم الاخرى الى الاولى ان شاء وان يؤخر الاولى الى الآخرة ان شاء فمن راعى تأخير الاولى فاعتباره المعرفة بالله فان بالله كان ولا شئ معه وان العالم متأخر عن وجود الحق بالوجود فان وجوده مستفاد من وجود الحق فلما أردنا المعرفة به من كونه الها للعالم أخرناه في المعرفة الى وقت معرفتنا بنا فلما عرفنا أنفسنا عرفناه بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه فصلينا الاولى في وقت الثانية ومن راعى الوجود في الاعتبار قدّم الآخرة الى الاولى وجعل وجود عين العبد هو وجود الحق فالحق العالم بالله فعلمه من الله وعلم الله بالله ومن راعى الامرين معا في الاعتبار قدّم ان شاء وأخر ان شاء ولكل طريقة طائفة والكامل منا من عرف كل طريقة وكل طائفة وكان فيها خارجا عنها وهم الاكابر من الرجال (فصل) ومن الفصول المبيحة للجمع السفر بالاتفاق من القائلين به واختلفوا في الجمع في الحضر وفي شروط السفر المبيح له فمنهم من جعل السفر نفسه مبيحا للجمع أيّ سفر كان وبأيّ صفة كان ومنهم من اشترط فيه ضربا من السير ونوعا من أنواع السفر في الحديث اذا عجل به السير فجعل العلة في الجمع التعجيل وأما النوع فقد تقدم من سفر القربة والمباح والمعصية ﴿وصل في الاعتبار في ذلك﴾ لا يصح الجمع بين الصلاتين الا فيما ذكرناه في عرفة وجمع وأما السفر على الحقيقة وهو سفر الانفاس فلا يصح فيه الجمع اذا كان الجمع عبارة عن اخراج احدى الصلاتين عن وقتها وما قال به في طريقنا بالاعتبار الا من لا معرفة له بالذوق في ذلك ولو جعل صاحب هذا القول باله من حركاته الظاهرة ونظره وسمعه وجوارحه لرآها في كل زمان تتغير وما عنده خبر لغفلته عن نفسه ولهذا قال الله لنا وفي أنفسكم أفلا تبصرون

﴿وصل في فصل الجمع في الحضر لغير عذر﴾

قال ابن عباس في جمع النبيّ صلى الله عليه وسلم بين الصلاتين من غير عذر انه أراد أن لا يحرج أمّته وهو موافق لقول الله عز وجل ما عليكم في الدين من حرج وقوله عليه السلام دين الله يسر وقال به جماعة من أهل الظاهر وقال ما عداهم لا يجوز الجمع لغير عذر مبيح للجمع ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ الجمع لاهل الحجاب رفق بهم في التكليف وجائز لهم لرفع الحرج فان الحرج في العبادة هو تضعيف التكليف فان العمل في نفسه كلفة فاذا انضافت اليه المشقة كان تكليفا على تكليف وأما أهل المشاهدة فلا جمع عندهم الا بجمع وعرفة وما عدا ذينك فلا

﴿وصل في فصل الجمع في الحضر بعذر المطر﴾

فأجازه بعضهم ليلا كان أو نهارا ومنعهم بعضهم في النهار وأجازه في الليل وأجازه بعضهم في الطين دون المطر في الليل والذي أذهب اليه ان المصلي اذا كان مذهبه ان الصلاة لا تصح الا في الجماعة وما عنده جماعة الا في المسجد فانه يجمع بين الصلاتين ليلا ونهارا اذا كان في جماعة وان كان مذهبه جواز صلاة الفذ مع وجود الجماعة فلا يجوز له الجمع الا ان كان في المسجد وجمع الامام على أي مذهب كان ذلك الامام اذا كان الامام مجتهدا لا مقلدا الا أن اليوم تقليد ذلك المجتهد في جميع نوازله كما هم عليه عامة الفقهاء في عصرنا هذا ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ الجمع للمقيم جائز فانه محجوب عن شهود سفره فانه مسافر من حيث لا يشعر في كل نفس باختلاف الاحوال والخواطر وحديث النفس والحركات

الظاهرة والباطنة فاذا انضاف الى ذلك عذر المطر وهو العلم المنزل فهو علم ظاهر الشريعة الذي جاء بالجمع جاز له الجمع لما دل عليه هذا العلم المشروع فينبغي أن لا يعدل عنه فمن راعى الحرج أضاف الطين اليه وأجاز ذلك في صلاة الليل ومن لم يراع الحرج أجاز ذلك ليلا ونهارا ولم يجزه في الطين

﴿وصل في فصل الجمع في الحضر للمريض﴾

فمنهم من أباح له الجمع ومنهم من منع وبالاول أقول لحديث ابن عباس الصحيح وقد تقدم ذكره ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ الكسل مرض النفس فلا يجوز الجمع ان كان مرضه الكسل وما في معناه فان كان مرضه استيلاء الاحوال عليه بحيث انه يخاف أن يغلب عليه الحال كما يخاف المريض أن يغمى عليه جاز له الجمع فان الحال مرض والمقال صحة فالجهلاء من أهل طريقنا يقولون بشرف الحال على العلم لجهلهم بالحال ما هو فالاحوال يستعيذ منها الاكابر من الرجال في هذه الدار وهي من أعظم الحجب ولهذا جعلت الطائفة الاحوال مواهب والمقامات مكاسب والدنيا عند الاكابر دار كسب لا دار حال فان الكسب يعليك درجة والحال يخسر صاحبه وقته فلا يرتقي به بل هو من بعض نتائج مقامه استعجله في الدنيا ولهذا كانت الاحوال مواهب ولو كانت مكاسب لوقع بها الترقي فشرف الحال في الآخرة لا في الدنيا وشرف العلم والمقام في الدنيا والآخرة أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة من العلم فقال له وقل رب زدني علما ولم يأمره بطلب الزيادة من الحال فلو عرف هذا القائل شرف العلم وكان عنده منه ذوق صحيح لوافق الحق تعالى في الذي شرّف العلماء به ولما كان مطرودا من هذه الصفة التي وصف الحق بها نفسه والخواص من ملائكته وعباده ولم يبلغ تلك الدرجة أخذ يحامي عن نفسه بأن جعل الحال أشرف من العلم وهو بحمد الله عريّ عن العلم والحال وأما أصحاب الاحوال الالهية الصحيحة رضي الله عنهم فهم عالمون بشرف العلم على الحال ومطالبهم العلم فان الحال يحول بينهم وبين ما خلقوا له فيتبرّؤن منه ومما يدلك على ذلك ان أصحاب الحال وان سرّ به فتراه عند الموت يتبرأ منه ويزول عنه ويتمنى انه لم يكن صاحب حال فالحال ليس بأمر مقرّب الى الله والدنيا محل أسباب التقريب والآخرة محل القربة فيجعل كل صفة تحكم في موضعها فالحال حكمه في الآخرة والعلم حكمه في الدنيا والآخرة وفي كل موطن لانّ شرفه هو الأتم

﴿وصل في فصول صلاة الخوف﴾

أجمع الناس على ان صلاة الخوف جائزة واختلفوا في صورتها بحسب اختلاف الروايات الواردة فيها من صلاته صلى الله عليه وسلم اياها الا أبا يوسف فانه شذ عن الجماعة فقال لا تجوز صلاة الخوف على صورة ما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بامام واحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك خاص به وانما تصلى صلاة الخوف بامامين كل امام يصلي ركعتين بطائفة ما دامت تحرس الاخرى والذي أذهب اليه ان الامام مخير في الصور التي ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأيّ صورة صلاها أجزأته صلاته وصحت صلاة الجماعة الا الرواية التي فيها الانتظار بالسلام فان عندي فيها نظرا لكون الامام يصير فيها تبعا تابعا وقد نصبه الله متبوعا وسبب توقفي في ذلك دون جزم من طريق المعنى فان النبيّ صلى الله عليه وسلم أمر الامام أن يصلي بصلاة المريض وأضعف الجماعة والتأويل الذي يحمله اقتداء أبي بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الطحاوي ان أبا بكر كان هو الامام في صلاته بالناس وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراوي فكان الناس يقتدون بأبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معنى الاقتداء هنا انه كان يخفف لاجل مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا التأويل ليس ببعيد فقد يكون الامام في هذه الحالة اماما مؤتما وبلفظ الامامة وردت الرواية عن الصاحب فلهذا لم يترجح عندي نظر في رواية الانتظار والاختلاف في صور صلاة الخوف معلوم مسطور في كتب الحديث ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ الحق يكون مع العبد بحسب حال العبد أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فأيّ شئ كان حال العبد كان الحق معه بحسبه يعامله به قال الله تعالى فاذكروني أذكركم ان ذكر العبد ربه في نفسه ذكره الله في نفسه وان ذكر العبد

ربه فى ملأ ذكره الله فى ملأ فالعبد ينزل فى هذه المسئلة منزلة امام والحالة الاخرى أن يكون حال العبد مع الله على صورة مايكون حال الحق مع العبد مثل قوله يحبهم ويحبونه فأهل طريق الله على ماتقضى به الحقائق فى هذه المسئلة ان حب العبد لولا ما أحبه الله أولا ما رزقه محبته ولا وفقه اليها ولا استعمله فيها وهكذا جميع مايكون فيه العبد من الامور المقربة الى الله عزوجل فهذا المقام عند أهل الله من الغفلة فيه فلهذا اشبهناه بصلاة الخوف

﴿وصل فى فصل صلاة الخائف عند المسايفة﴾

فمن الناس من قال لايصلى ومن الناس من قال يصلى بعينيه ايماء والذى أذهب اليه انه مأمور فى ذلك الوقت بالصلاة على قدر ما يمكنه أن يفعله منها وذلك ان كل حال ماعدا حال المسايفة فهو استعداد للجهاد والقتال ماهو عين الجهاد ولا عين القتال فاذا وقعت المسايفة ذلك هو عين الجهاد والقتال الذى أمر الله عباده بالثبات فيه والاستعانة بالصبر والصلاة فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ثم توعد من لم يثبت فقال ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم يعنى ان قتل فى تلك الحالة وبئس المصير وقال فى تلك الحالة واستعينوا بالصبر وهو حبس النفس عن الفرار فى تلك الحال والصلاة فأمره بالصلاة وانها من المأمور المعينة له على خذلان العدو وجعلها من أفعال الجهاد فوجبت الصلاة والفرار فى تلك الحال من الكبائر فأمره الله بالصبر وهو الثبات فى تلك الحال والصلاة فوجبت عليه كما وجب الصبر فيصليها على قدر الامكان فان الله يقول فاتقوا الله ما استطعتم وقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر على الراحلة يومى ايماء مع الأمان فاحرى ايقاع الفرض مع الخوف ووجود الامن والبشرى انها من أسباب النصر فيصلى على قدر استطاعته فى ذلك الوقت وعلى تلك الحال بحيث ان لايترك القتال ولا يتوانى فيه فذلك استطاعة الوقت فان المكلف بحكم وقته وسواء كان على طهارة أو على غير طهارة والمخالف هذا ماحقق النظر فى أمر الله ولا ما أراده الله برفع الحرج عن المكلف فى دين الله فى قوله تعالى ما عليكم فى الدين من حرج وبعد هذا فانى أقول لايخلو هذا المكلف اذا كان فى هذا الموطن على هذه الحال اما ان يكون مجتهدا أو مقلدا فان كان من أهل الاجتهاد فلا كلام فانه يعمل بحسب مايقتضيه دليله ويحرم عليه مخالفة دليله وان كان مقلدا فالاولى به عندنا ان يقلد من قال بجواز الصلاة فى حال المسايفة وعلى غير طهارة فيها فان القرآن يعضده ولا حجة للمقلد فى التخلف عن تقليد من يقول بالصلاة فانه أبرأ لذمته وأولى فى حقه ويكون ممن ذكر الله على كل أحيانه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصحيح عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وما خصت حالا من حال * وصل الاعتبار فى ذلك * حال المسايفة هو حال العبد مع الشيطان فى وسواسه وحين توسوس اليه نفسه والله فى تلك الحالة أقرب اليه من حبل الوريد فهو مع قربه فى حرب عظيم فاذا نظر العبد فى هذه الحال الى هذا القرب الالهى منه فانه يصلى ولابد من هذه حالته ولو قطع الصلاة كلها فى محاربته فانه انما حارب به بالله فانه يؤدى الاركان الظاهرة كما شرعت بالقدر الذى هو فيه من الحضور مع الله فى باطنه فى صلاته كما يؤدى المجاهد الصلاة حال المسايفة بباطنه كما شرعت بالقدر الذى يستطيعه من الايماء بعينيه والتكبير بلسانه فى جهاد عدوه فى ظاهره فان وسوسة الشيطان فى ذلك الوقت لم تخرجه عما كلفه الله من أداء ما افترضه عليه وطهارته فى وقت الوسوسة عين محاربته كاسباغ الوضوء على المكاره وان أخطر له الشيطان اذا رأى عزمه فى الجهاد فى الله ان يقاتل ليقال رغبة منه وحرصا ان يحبط عمل هذا العبد وكان قد أخلص النية أولا عند شروعه فى القتال انه يقاتل ذابا عن دين الله ولتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى والكافر هنا هو المشرك من جهة الشرك خاصة وانما قلنا هذا لان أهل الله يعرفون ما أشرت به اليهم فى هذا القول فلا يبالى بهذا الخاطر فان الاصل الذى بنى عليه صحيح والأساس قوى وهو النية فى أول الشروع فان عرض الشيطان له بترك ذلك العمل الذى قد شرع فيه على صحة ووسوس اليه انه فاسد بما خطر له من الرياء فيرد عليه بقوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم فتندفع بهذه الآية الشبهة التى ألقاها اليك من ترك العمل

﴿وصل

﴿وصل في فصل صلاة المريض﴾

أجمع العلماء على ان المريض اذا بقي عليه عقل التكليف انه مخاطب باداء الصلاة وانه يسقط عنه منها ما لا يستطيعه من قيام و ركوع وسجود واختلفوا فيمن استطاع ان يصلي جالسا وفي هيئة الجلوس وفي هيئة الذي لا يقدر على الجلوس ولا على القيام فأما المصلي جالسا فقال قوم هو الذي لا يستطيع القيام أصلا وقال قوم هو الذي يشق عليه القيام من المرض * وأما صفة الجلوس فقال قوم يجلس متربعا في الجلوس الذي هو بدل من القيام وكره ابن مسعود الجلوس متربعا * وأما الذي لا يقدر على القيام ولا على الجلوس فقوم قالوا يصلي مضطجعا وقوم قالوا يصلي كيف تيسر له وقوم قالوا يصلي ورجلاه الى القبلة وقوم قالوا يصلي على جنب من لا يستطيع الجلوس فان لم يستطع على جنب صلى مستلقيا و رجلاه الى القبلة والذي أذهب اليه وأقول به ان الله قد رفع عن المسلم المكلف الحرج في دين الله وأمره ان يتقي الله ما استطاع فليصل المريض على قدر استطاعته وكما يتيسر له و رفع الحرج عنه الذي يضر به في الزيادة من مرضه ولا يترك الصلاة أصلا ولو سقط عن استطاعته الاتيان بجميع الاركان وجميع الشروط المصححة لصلاة الصحيح فان خطاب الشارع انما يكلفه على حاله الذي يقدر عليه فان الله ما كلف نفسا الا وسعها وما آتاها وخفف عنها أكثر من هذا بقوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا متصلا بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فكأنه يقول وان أعطاها وفعلته بمشقة هي عسر في حق المكلف فكان اليسر قوله ما عليكم في الدين من حرج فما أشد رفقه بعباده (وصل الاعتبار في ذلك) الامراض ثلاثة أنواع بدنية ونفسية وعقلية لا رابع لها فالبدنية هي التي كنا بصددها وهي التي يعرفها علماء الرسوم والامراض النفسية الهموم المشتملة على أداء حق لله وجب عليها والامراض العقلية الشبه المضلة القادحة في الادلة وفي الايمان تحول بين العقل من العاقل و بين صحة الايمان * فأما الامراض النفسية مع وجود الايمان فان الايمان في هذا المؤمن للنفس بمنزلة وجود العقل لمريض المرض البدني فيؤدي صلاته في مناجاة ربه ومشاهدته كما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يجهز الجيش في الصلاة فان المؤمن الصادق ماله حديث الامع ربه ولا يناجي أحدا من عباد الله دون ان يرى في ذلك مناجاة ربه بحسب ما يليق فصاحب مرض النفس المؤمن يناجي ربه من حيث ايمانه في عين همومه فيكون شغله منه فيه به فلا يبرح في همه وايمانه بالله يقول له همك هو الله ونظرك فيه انما هو بالله فان الله هو الوجود والموجود وهو المعبود في كل معبود وفي كل شيء وهو وجود كل شيء وهو المقصود من كل شيء وهو المترجم عنه كل شيء وهو الظاهر عند ظهور كل شيء وهو الباطن عند فقد كل شيء شيأ وهو الاول من كل شيء وهو الآخر من كل شيء فلا تفوت المؤمن عبادة الله في كل وجه وعلى كل حال فان الامراض النفسية لا تقدح في الايمان وأما الامراض العقلية فهي القادحة في الايمان والايمان له تعلقان تعلق بوجود الحق وتعلق بتوحيد الحق * وأما الايمان بأحدية الحق من حيث ذاته فذلك من مدارك النظر العقلي عند أهل النظر وعندنا من وجه أفكارنا وامامن جهة الذكر والكشف فلا وكذلك توحيد الحق يدرك بالايمان ويدرك بالنظر ولم تتعرض شريعة لاحدية الذات بطريق التنصيص عليها وان كانت ترد مجملة فلهذه الاتدخل في سلك الايمان فان كان المرض العقلي قد حال بينك و بين صحة الايمان بوجود الحق فقد حال بينك وبين العلم الضروري فان العلم بوجود الصانع عند ظهور الصنعة للناظر ضروري وان لم يعلم حقيقة الصانع ولا ماهيته ولا ما يجب ان يكون عليه ويجوز و يستحيل الا بعد نظر فكري واخبار الهي نبوي فهذا مرض لا طب فيه ومن فقد العلم الضروري كان بمنزلة المريض الذي قد استفرغ المرض نفسه بحيث لا يعلم أنه مريض ولا ما هو فيه فيرتفع عنه خطاب الشرع لانه لا عقل له وأما اذا كان معه الايمان أو العلم الضروري بوجود الحق الخالق في المرض المزيل لصحة التوحيد بان يقلد فيكون مؤمنا أو ينظر ويستدل فيكون عالما فان حصل عن نظر واستدلال فرضه ان لا يقبل من الشارع ما جاء به من صفات الحق القادحة في أحدية الذات مع صحة توحيد الاله عقلا وشرعا صلى وأقام عبادته مع هذا المرض فانه نافعه اذ عقله فيه من المرض بحيث ان لا يستطيع الا هذا القدر الذي ذكرناه من توحيد الله تعالى فان المؤمن الصحيح

الايمان هو الذى يعبد الله الذى وصفه الشارع والمؤمن المريض فى ايمانه هو الذى يعبد الله الذى دل عليه العقل لاغير وقد نبهتك على أمر يتضمن عذر كل من اعتذر واذا صح التوحيد فهو المطلوب من كل موجود فكيف اذا انضاف الى ذلك اداء العبادات المشروعة فى الحركات الخارجة والداخلة

﴿وصل فى فصل الاسباب التى تفسد الصلاة وتقتضى الاعادة﴾

فاتفقوا على أنه كل من أخل بشرط من شروط صحة الصلاة عمدا أو نسيانا أوجبت عليه الاعادة كاستقبال القبلة والطهارة بذلك أقول الا انى أزيد فى العمد من غير عذر (الاعتبار) شروط السعادة التوحيد أعنى عدم الخلود فى النار وشروط النجاة من كل مقام مهلك من مقام الآخرة ما لا تصح النجاة منه الا بوجوده من غير نظر الى الرحمة التى وسعت كل فان قلب العارف أوسع من رحمة الله وان كان وجوده من رحمة الله فان رحمة الله يستحيل ان تسع الله فان الله لا يتصف بانه مرحوم وقلب العارف بالله يسع الحق كما قال وسعنى قلب عبدى المؤمن فرحمة الله وسعت كل شئ وقلب العبد العارف يسع الحق والرحمة التى وسعت كل شئ ويسع كل شئ فهو الواسع المطلق والعلة فى ذلك كون الوجود وجود الحق فتنبه يا غافل عن درك هذه المعاقل

﴿وصل فى فصل الحدث الذى يقطع الصلاة هل يقتضى الاعادة أم يبنى على ما مضى من صلاته﴾

فذهب الاكثرون الى انه لا يبنى لا فى الحدث ولا فى غيره مما يقطع الصلاة الا فى الرعاف فقط ومنهم من قال ولا فى الرعاف أيضا ومن قائل يبنى فى الاحداث كلها والذى أقول به ان كل حدث يقطع الصلاة فلا يخلو اما ان يكون من الاحداث التى تنتقض معه الطهارة أو يكون من الاحداث التى تقطع الصلاة ولا تنتقض به الطهارة فان كان مما يؤثر فى الطهارة فانه لا يبنى وان لم يؤثر فانه يبنى ولكن بشرط أن لا يزيد على ما لا بد من فعله فى ازالة ذلك السبب القاطع للصلاة فان زاد لم يبن وأعاد (وصل الاعتبار فى ذلك) القاطع للمناجاة والحائل بينك وبين المشاهدة هل يؤثر فى الدار الآخرة عند الرؤية بحيث ان يكون كالفواق بين الحلبتين أو لا يؤثر وتتصل الرؤية والمشاهدة فان كان القاطع حدثا وهو ما يؤثر فى الايمان فانه لا يكون ثمرة لما تقدم له قبل هذا الحدث من المناجاة المشروعة فهو بمنزلة الذى لا يبنى وان كان القاطع رؤية سبب واستنادا اليه فانه يجنى ثمرة ما تقدم له من المناجاة قبل طروء هذا القاطع السببى وهو بمنزلة الذى يبنى بلا شك

﴿وصل فى فصل المصلى﴾

الى سترة أو الى غير سترة فيمر بين يديه شئ هل يقطع الصلاة عليه أو لا يقطع فمن قائل لا يقطع الصلاة شئ ومن قائل يقطعها المرأة والكلب والحمار اذا مر بين يديه أو بينه وبين سترته والذى أقول به ان المار مأثوم وان المصلى مأمور بأن يحول بينه وبين المرور ويدفعه ما استطاع فان لم يفعل ولم يدفعه فالمصلى مأثوم والصلاة صحيحة بكل وجه والحد الذى يلزمه دفعه عنه هو حد موضع جبهته فى سجوده من الارض فاذا حال بينه وبين موضع سجوده فذلك المأمور بأن يدفعه ويقاتله وما زاد على ذلك فلا يلزم المصلى دفعه ولا قتاله والاثم يتعلق بالمار فى القدر الذى يسمى بين يديه عند العرب اذ لم يحد الشارع فى ذلك شيأ (الاعتبار فى ذلك) الحق قبلة العبد فمن مر بين الله وبين عبده بنفسه لا بربه فوباله يحور عليه وللمصلى الذى هو المناجى أن ينبهه ويرده عن رؤية نفسه فى ذلك فانه مأمور بالنصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم ولكافة الناس أجمعين فان تعين عليه موضع النصيحة ولم ينصح كان آثما والمناجى على حاله صحيح المناجاة على كل حال وان كان مأثوما فان كان المار خاطرا يخطر له فى حال صلاته بينه وبين ربه فان كان فى صلاة صحيحة بقلبه فمن المحال أن يمر به خلاف ما هو به بحسب الآية التى يكون فيها أو الذكر وأما غير ذلك فلا يجد منفذا وأما ان كان ساهيا عن نفسه ومرت الخواطر فلا يخلو فى أول العقد والاستحضار ان كان حاضرا مع ربه فلا يبالى بما خطر له وصلاته صحيحة فانه حاضر مع نفسه انه مناج ربه فان كان ممن يناجى ربه فى كل شئ فى حال صلاته كعمر بن الخطاب أو يرى ان كل شئ صادر عن الحق فى حال مناجاته بينه وبين ربه كأبى بكر فصلاته فى باطنه صحيحة

وذلك الصادر لايخلو من أن يكون ذا ارادة أولا يكون فان لم يكن فلا شئ عليه وان كان ذا ارادة فلايخلو اما أن يكون مجبورا فى مروره بين يديه فى عين اختياره عنده ولا يكون الاختيار فالمختار يأثم والمجبور ليس بآثم

﴿وصل فى فصل النفخ فى الصلاة﴾

فقوم كرهوه وقوم أوجبوا منه الاعادة وقوم فرّقوا بين أن يسمع أولا يسمع فاعلم ان راجع ذلك الى انه كلام أوليس بكلام وهو غير حسن بلا خلاف ﴿وصل الاعتبار فى ذلك﴾ عيسى عليه السلام حاضر مع ربه فى كل حال ولم يقطع نفخه الروح فى الطائر حضوره مع ربه ونفخه وقع باذنه وكيف يؤذن له فيما يحجبه عن حضوره مع ربه وهو مطلوب هو وكل مخلوق أن لا يزال الحق بين أعينهم وفى سرائرهم كالا يزال بعينه وهو المراقبة فى الطرفين فمن اعتبر النفخ بدلا من كن جعله كلاما ومن اعتبره لا بمعنى كن وانما اعتبره سببا لم يجعله كلاما ويجعل قوله باذنى معمولا لقوله فيكون طائرا لا لقوله فتنفخ فيه

﴿وصل فى فصل الضحك فى الصلاة﴾

اتفقوا على انه يقطع الصلاة واختلفوا فى التبسم فمن قائل هو بمنزلة الضحك فقال يقطع الصلاة ومن قائل لا يلحق بالضحك فلا يقطع الصلاة (وصل الاعتبار فى ذلك) الضحك للمناجى يقدح فى الهيبة والادب وغير الاديب لا يناجى فان تبسم لا يخلو اما أن يتبسم من أجل ضحك ربه فى نازلة تقع كمثل عجوز موسى عليه السلام وقصة هناد فمن الادب أن يتبسم العبد فى مثل هذه النوازل لضحك الحق وأما ان كان فى نازلة تعطى التبسم لنفسه فتبسم فانه سيئ الادب فلا يصلح للحضور و يحال بينه وبين الحضور فيستأنف التوبة والعمل فهو بمنزلة من يقول ان التبسم يقطع الصلاة

﴿وصل فى فصل صلاة الحاقن﴾

فمن قائل تبطل صلاته و يعيد ومن قائل بالكراهة والذى أذهب اليه ان النهى لا يدل على فساد المنهى وانما يدل على تأثيم فاعله فقط فتكون صلاة الحاقن جائزة وهو مأثوم كالمصلى فى الدار المغصوبة (وصل الاعتبار فى ذلك) الخبيث السريرة فى حال الصلاة المفكر فى سوء يفعله أو يوقعه بأحد اذا فرغ من صلاته مع كونه مؤمنا فالصلاة صحيحة وهو ممن حدث نفسه بسوء وقد عفى عن ذلك مالم يعمل أو يتكلم به

﴿وصل فى فصل المصلى يردّ السلام على من يسلم عليه﴾

فرخصت فيه طائفة و به أقول فانه ذكر الله وهو من الاذكار المشروعة فى التشهد فى الصلاة فله أصل يرجع اليه والدعاء فى الصلاة جائز وفيه ذكر الناس مثل قول المصلى اغفرلى ولوالدىّ ومنع ذلك قوم بالقول وأجازوه بالاشارة ومنعه آخرون على الاطلاق وأجاز قوم أن يردّه فى نفسه وقال قوم يردّ اذا فرغ من الصلاة (وصل الاعتبار فى ذلك) قال تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا فجاء بالفاء فلا يجوز التأخير ولم يخص صلاة من غيرها فكل ذكر لله مشروع بدعاء أو غيره معين كتشميت العاطس وردّ السلام فانه يجوز التلفظ به فى الصلاة وغيرها اذا لم يكن واجبا فكيف والوجوب مقرون بردّ السلام وتشميت العاطس اذا حمد الله انتهى الجزء الثالث والاربعون

﴿بسم الله الرّحمن الرّحيم﴾

﴿وصل فصل القضاء﴾

اتفق المسلمون على وجوبه على الناسى والنائم واختلفوا فى العامد والمغمى عليه والذى أذهب اليه ان الناسى والنائم وجب على كل واحد منهما أداء الصلاة التى نام عنها أو نسيها فان أراد الفقهاء بالقضاء وجوب الصلاة عليه كما ورد بلدون بالاداء فيه أقول وان أرادوا به الفرقان بين من أداها فى الوقت المعلوم المخاطب به اليقظان الذى يعصى العامد لتركها فيه و بين أدائها فى وقت تذكر الناسى و يقظة النائم بالقضاء فلا بأس وان أرادوا بالقضاء خلاف ماذكرناه وانه غير مؤدّ للصلاة وانه صلاها فى غير وقتها على خلاف صورة ماذكرناه فلا أقول به فان الناسى والنائم غير مخاطب بتلك الصلاة فى حال

نسيانه ونومه وما ذلك وقتها فى حقهما فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها ولولا ان الشارع جعل للناسى والنائم وقتا عند الذكرى واليقظة لسقطت تلك الصلاة عنهما مع خروج الوقت المعلوم لها عند المتيقظين الذاكرين كما تسقط عن المغمى عليه ﴿وصل الاعتبار فى ذلك﴾ الناسى هو العارف بأنه ما فى الوجود الا الله وصفاته وأفعاله وانه عين الوجود فيلزم صاحب هذا المقام من المعرفة بالله من الادب مع الله ما تقتضيه هذه المعرفة وهو معلوم مذكور فى هذا الكتاب وفى علم طريق الله فاذا نسى هذا العارف هذه المعرفة وأساء الادب مع الله الذى تعطيه هذه المعرفة لم يؤاخذ به بل ان كان له ذكر مقرر فى حق من ليست له هذه المعرفة فهو عند الله بحسب ما ذكر مقرره فى حق ذلك ان خيرا فخير وان شرا فشر فان الناسى قد يكون سبب نسيانه استفراغه فى شغل محرم أو فى شغل مباح أو فى شغل مندوب فيكون مأجورا فى نسيانه من حيث ذلك المندوب لا من حيث النسيان ويكون مأثوما من حيث ذلك المحرم ويكون معرى عن الاجر والوزر من حيث ذلك المباح فاذا تذكر هذا الناسى معرفته عاملها بما يقتضيه أدبها وتعين عليه فيما مضى من أحكامها وآدابها فى حال نسيانه فى حركاته وسكناته أن يحضرها فى نفسه على الحد الذى يقتضيه معرفته فيها فاذا أحضرها أحضر فى نفسه ما ينبغى لها من الآداب فذلك وقتها فان لم يفعل آخذه الله بما كان فيها فى حال نسيانه من سوء الادب بسبب عدم استحضارها فى وقت الذكرى فان الله يقول أقم الصلاة لذكرى وأما اعتبار النائم العارف هذه المعرفة فهو الذى حجبه النظر فى طبيعته وما لها من الحكم فيه من غير نظر الى مكونها وهو ضرب خاص من النسيان لانه تارك للعمل أو غير موجود منه العمل المطلوب فى تلك الحالة فان كان نظره الذى هو نومه فى حكم طبيعته من حيث ما تقتضيه حقيقتها لذاتها غير ذاكر ولا مشاهد لموجد عينها لم يؤاخذه الله بما نقصه من الادب الذى يطلب به الحاضر مع معرفته فتى استيقظ هذا النائم أحضر الحق فى نفسه موجد العين تلك الطبيعة مع تقرير حكمها التابع لوجود عينها كالاحوال فيتأدب بالحضور الذى يليق بتلك المسئلة مع الله فيكون بمنزلة من لم ينم فى ذلك الاستحضار فان لم يفعل عوقب من كونه لم يستحضره لا من كونه كان قد نام عنها فان كانت الاسباب الموجبة لنومه أمورا كان حظه فيها على حكم وجه الشرع لها فيتعلق الاثم به من حيث ذلك السبب وحكم الشرع لا من حكم نومه أو يتعلق به الاجر ان كان حكم الشرع فيه الاجر من حيث ذلك السبب لا من حيث نومه سواء فهكذا ينبغى أن يكون نوم العارفين ونسيانهم فى هذا الاعتبار فى المعرفة بالله فان خطاب الشرع اذا تعلق بالظاهر كان اعتباره فى الباطن واذا تعلق خطاب الشرع بالباطن كان اعتباره فى الظاهر فالعالم لا يزال ناظرا الى الشارع بمن علق الحكم فيما جاء به فى هذه المسئلة الخاصة هل بالظاهر مثل الحركات أو بالباطن مثل النية والحسد والغل وتمنى الخير للمؤمنين والظن الحسن والظن القبيح فحيث ما علق الشارع خطاب اللسان الظاهر به كان الاعتبار فى مقابله أو فى مقابل الحكم كالظن الحسن يقابله الظن القبيح ويقابله الفعل الحسن فى الظاهر هذه مقابلة الموطن كفعل الخير مع الذمى من كونه مقرا بربه غير عارف بما ينبغى له

﴿وصل فى فصل العامد والمغمى عليه﴾

اختلف العلماء فيه فمن قائل ان العامد يجب عليه القضاء ومن قائل لا يجب عليه القضاء وبه أقول وما اختلف فيه أحد أنه آثم وأما المغمى عليه فمن قائل لا قضاء عليه وبه أقول ومن قائل بوجوب القضاء وهو الاحسن عندى فانه ان لم تكتب له فى نفس الامر فريضة كتبت له نافلة فهو الاحوط فالقائلون بوجوب القضاء منهم من اشترط القضاء فى عدد معلوم فقالوا يقضى فى الخمس فادونها ﴿وصل الاعتبار فى ذلك﴾ أما العامد فى ترك ما أمر الله به فلا قضاء عليه فانه ممن أضله الله على علم فينبغى أن يسلم اسلاما جديدا فانه مجاهر وهذا لا يمكن أن يقع ممن أخذ علمه بالله عن ذوق وكشف وانما يقع هذا ممن أخذ علمه بالله عن دليل ونظر فيقول الحركات والسكنات كلها بيد الله فما جعل فى نفسى أداء ما أمرنى بأدائه يقول وعلى الحقيقة فهو الآمر والسامع والمخاطب فهو على بصيرة والمخاطب تشقيه وتحول بينه وبين سعادته فتضره فى الآخرة وان التذ بها فى الدنيا ولا يضر الله شئ وهذه مجاهرة بحق لا تنفع فلو كان عن ذوق وكشف منعته هيبة الجلال وعظيم المقام وسلطان الحال الذوقى أن يكون مثل هذا ويترك أداء حق الله على صحو فهو بمنزلة من

بسبب السلطان لعدم نظره اليه فاذا فاجأه حكمت الهيبة على قلبه فسارع الى أمر مثل هذا العلم لا ينفعه فانه عن دليل كأعمى يمشي بعصا لا عن بصيرة كمن يقتدي ببصره في طريقه وأما اعتبار المغمي عليه فهو صاحب الحال الذي أفناه الجلال أو هيمه الجمال فلا يعقل فيكون الحق متوليه في تلك الغيبة في حسه بما شاء أن يجري به عليه وقد أقمت أنا في هذه الحالة مدة ولم أخل بشيء من حركات الصلاة الظاهرة بالجماعة على أتم ما يمكن اماما ولا علم لي بشيء من هذا كله فلما أفقت وردت الى حسي في عالم الشهادة أعلمني الحاضرون انه ما فاتني شيء مما توجه على من التكليف كما يتوجه على العاقل الذاكر ومن أهل طريقنا من لا تكون له هذه الحالة وهي حالة شريفة حيث لم يجر عليه لسان ذنب (وحكى) عن الشبلي انه كان يأخذه الوله ويرد في أوقات الصلوات فاذا فرغ من الصلاة أخذه الوله فقال الجنيد حين قيل له عنه الحمد لله الذي لم يجر عليه لسان ذنب فقد يمكن أن يكون الشبلي في ذلك الوقت يصلي به وهو غير عالم بذلك وحكم الناس الحاضرون عليه بأنه مردود اليه أو من أدائه الصلاة مثل ما اتفق لنا فقالوا بصورة الظاهر منه وهو في نفس الامر لا علم له ومنهم من يرد وليس كلامنا الا فيمن أخذ عن نفسه في وقت أداء فرض عليه في الظاهر وأما في غير ذلك الوقت فما هي مسئلتنا وأما الذين اشترطوا الخمس فما دونها لان كل صلاة من الخمس أصل مغايرة للاخرى في الوقت وبعض الصفات فاذا انقضت الخمس كان ما بعد الخمس بصفة كل واحدة منهن فاعتبرهن لكونهن أصولا وما قصر هذا الفقيه في مثل هذا فانها حكمة بالغة لمن عرف الحقائق من هذا الطريق ومن عرف ان الحقيقة تقتضي أن لا تكرار لم يقل بذلك وهو الاصل الاول والعارف بحسب ما يفتح عليه في وقته

﴿وصل في فصل صفة القضاء﴾

القضاء نوعان قضاء لجملة الصلاة وقضاء لبعضها أما قضاء الجملة فله صفة وشرط ووقت فأما الصفة فهي بعينها صفة الاداء فيما في نفس الصلاة من الاعراض فان اختلفت الاحوال مثل أن يذكر صلاة نسيها في حال سفره في حال حضره وبالعكس فبهذا معنى اختلاف الاحوال فمن قائل يقضي مثل الذي عليه ولا يراعي وقت الذكر ومن قائل يقضي أربعا أبدا سفرية كانت أو حضرية ومن قائل يقضي أبدا فرض الحال أعني وقت الذكر فان كان في سفر والذي نسيها حضرية قضاها سفرية وبالعكس وبه أقول فان ذلك وقتها عندنا ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ من رأى ان الحال له حكم في المقام قال بقولنا ومن رأى ان الحال لا حكم لها لان الدنيا ليست بقوة للحال عمل بحكم المقام فأدى مثل ما عليه ومن رأى ان المقام الذي هو فيه الاصل الذي يعقد عليه ولا حكم لمقام آخر مع تداخل المقامات بعضها على بعض كالورع والزهد يجمعهما الترك والتسليم والتفويض والتوكل يجمع ذلك كله عدم الاعتراض في المقدور والرضى بحكم الله في وارد الوقت فيعمل بالاتم الاعم وهو الذي يقضي أربعا أبدا والشارع انما يعتبر الاحوال وعليها تتوجه الاحكام والذوات محال للاحوال تبعا فيد المختار الميتة عليه حرام واذا اتصف يد المختار بالاضطرار فالميتة له حلال وهو يد بعينه وانما اختلفت الاحوال فاختلفت الاحكام فلهذا يقضي الحضرية سفرية اذا كان حاله السفر في وقت الذكر ويقضي السفرية حضرية اذا كان حاله الحضر في وقت الذكر ﴿وصل في الشرط﴾ وأما شرطه الذي اختلف فيه فهو الترتيب واختلفوا في وجوب ترتيب القضاء في المنسيات من الصلاة مع الصلاة الحاضرة في وقت الذكر وترتيب المنسيات بعضها مع بعض اذا كانت أكثر من واحدة فذهب قوم الى أن الترتيب واجب فيها في الخمس صلوات فما دونها وانه يبدأ بالمنسيات وان فات وقت الحاضرة حتى لو ذكرها وهو في نفس الصلاة الحاضرة فسدت عليه الصلاة التي هو فيها مع الذكرى وقال بعضهم بمثل هذا القول الا انهم رأوا وجوب الترتيب مع اتساع وقت الحاضرة واتفق هؤلاء على سقوط وجوب الترتيب مع النسيان وقال آخر لا يجب الترتيب ولكن ان كان في وقت الحاضرة اتساع فالترتيب حسن ﴿وصل الاعتبار في هذا الشرط﴾ الحكم عند المحققين للوقت لا لغيره وذكر المنسي له الوقت فالحكم له ولا اتساع للوقت عندنا فانه زمن فرد وانما الاتساع في بعض الاوقات المشروعة للاحكام واتساع الاوقات عند العارفين انما هو مثلا من كونها صلاة أو هيئة مخصوصة في عبادة فتلك الهيئة وذلك الاسم يصحبها دائما في وقتها وفي تكرار تلك الصورة

فى أوقات متعددة فمن هنالك يقولون باتساع الوقت وهو أوقات ومن لم يكن من العارفين صاحب نفس قال باتساع الوقت وهم أهل الشرب والرى والاول أعرف بالحقائق وأكشف لدقائق الامور فان التجليات والاحوال تختلف مع الانفاس ومايعلم ذلك الا القليل من العلماء بالله من أهل الله فان الحس والطبع حجب ان العقل عما تعطيه مرتبته من النظر فى دقائق الامور ولطائفها وبسائطها ﴿وصل تنبيه﴾ هذه المسئلة مالم أصل يرجع اليه فيها فان أوقات الصلوات المنسيات مختلفة ولا يكون الترتيب فى القضاء الا فى الوقت الواحد الذى يكون بعينه وقتا للصلاتين معا وهذا يتصور فى مذهب من يقول بالجمع بين الصلاتين فيكون له أصل يرجع اليه فى نظره

﴿وصل فى فصل﴾

القضاء الثانى الذى هو قضاء بعض الصلاة فلهذا الفوات سببان الواحد النسيان والثانى مايفوت المأموم من صلاة الامام ﴿اعتبار السببين﴾ أما النسيان فيعلم مايقتضيه المقام الذى هو فيه مما ينبغى أن يعامله به فينسى بعض الوجوه مما يقدح فيما يتتجه من المنازل والكرامات والسبب الثانى هو أن يكون للامام الذى هو الشرع المتبع فيه قول وحكم فما وصل اليه فاذا أخذ فى تحصيل المقام وأكمله على حد ما علمه رأى نقصا فى نتيجته فطلب علم السبب فوجد نفسه قد ترك منه ماينبغى له أن يستعمله ولم يكن له علم بذلك فعثر على حديث نبوى أو آية من كتاب الله تعالى فاته العمل بذلك فعمل على ذلك فصح له نتائج المقام فهذا بمنزلة مافاته من صلاة الامام كأبى يزيد البسطامى أوحشه السراج ليلة وكان حاله الورع فقال لاصحابه انى أجد فى السراج وحشة فقالوا ياسيدنا استعرنا قارورة من البقال لنسوق فيها الدهن مرة واحدة فسقناه فيها مرتين فقال عرفوا البقال وارضوه ففعلوا وزالت الوحشة وكان رضى الله عنه فى حال كان وقته التجريد وعدم الادخار فقال يوما لاصحابه فقدت قلبى فاطلبوا البيت فوجدوا فيه معلاق عنب فقال رجع بيتنا بيت البقالين فتصدقوا به فوجد قلبه واتفق لشيخنا أبى مدين وكان وقته التجريد وعدم الادخار فنسى فى جيبه دينارا وكان كثيرا مايرتب منقطعا فى جبل الكواكب وكانت هنالك غزالة تأتى اليه فتدر عليه فيكون ذلك قوته فلما جاء الى الجبل جاءت الغزالة وهو محتاج الى الطعام فدبدبه على عادته اليها ليشرب من لبنها فنفرت عنه ومازالت تنطحه بقرونها وكلما مد يده اليها نفرت منه ففكر فى سبب ذلك فتذكر الدينار فاخرجه من جيبه ورمى به فى موضع فقده ولا يجده فجاءت اليه الغزالة وآنست به ودرت عليه

﴿وصل فى فصل المأموم يفوته بعض الصلاة مع الامام﴾

اذا دخل الانسان والامام قد هوى الى الركوع فقال قوم اذا أدرك الامام ولم يرفع رأسه من الركوع وركع معه فهو مدرك للركعة وليس عليه قضاؤها وهؤلاء اختلفوا فى شرط هذا الداخل هل من شرط هذا الداخل أن يكبر تكبيرتين تكبيرة للاحرام وتكبيرة للركوع أو تجزيه تكبيرة الركوع وان كانت تجزيه فهل من شرطها أن ينوى بها تكبيرة الاحرام أم ليس ذلك من شرطها فقال بعضهم تكفيه تكبيرة واحدة اذا نوى بها تكبيرة الاحرام وقال قوم لابد من تكبيرتين وقال قوم تجزيه تكبيرة واحدة وان لم ينو بها تكبيرة الافتتاح وأما القول الثانى فذهب قوم الى أنه اذا رفع الامام فقد فاتته الركعة مالم يدركه قائما قاله أبو هريرة وقول ثالث وهو اذا انتهى الداخل الى الصف الاخير وقد رفع الامام رأسه ولم يرفع بعضهم فأدرك ذلك انه يجزيه لان بعضهم أئمة لبعض والذى أذهب اليه فى ذلك انه من راعى الركعة اللغوية قال من أدركه فى حال الانحناء ومن راعى الركعة الشرعية وهى القيام والانحناء والسجود قال انه لم يدركه اذا لم يدركه قائما فى حال تكبيره ودخوله فى الصلاة أعنى هذا الداخل ومراعاة الركعة الشرعية أولى غير أن الشرع أيضا قد سمى الانحناء ركوعا كما هو فى اللغة فى قوله صلى الله عليه وسلم حين نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها فى ركوعكم يريد وقت الانحناء وبالجملة فهى مسئلة فيها نظر وكل ناظر بحسب ما أعطاه دليله الذى أداه اليه اجتهاده ومذهبنا فى هذه المسئلة ما كملته على ماهو عندى لما فيه من الطول وما نعبدالله الناس بنظرى فهو حكم يخصنى أعطانيه دليلى ﴿وصل الاعتبار فى ذلك﴾ امام العلماء بالله هو الحق سبحانه فاذا نزل اليهم فى ألطافه

الخفيـة بأوصاف البشرية من الفرح بهم والضحك لهم والتبشبش لقدومهم عليـه يريدون مناجاته في بيته ياعبـدي ياعبدي ان شردت عني دعوتك الي بالحال وهو عبارة عن دخول وقت الصـلاة بالقول وهو عبارة عن الاذان ياعبدي وان عصيتني سترت عليك بأن سترتك عن أعين من وليته اقامة حدودي فيك وفي أمثالك فلم أواخذك وتحببت اليك بالنعم وجررت على خطيئتك ذيل الكرم فمحا آثارها كرمي ودعتك الي بالقدوم على نعمي فان رجعت الي قبلتك على ما كان منك من بفعل معك ذلك مع غناه عنك وفقرك اليه غيري فهذا من الحق بمنزلة الركوع من العبد فاذا فات المصلي أن يدرك من الحق مثل هـذا كما فاته أن يسمع قول الحق في صـلاته حمدني عبدي وأثنى علي عبـدي ومجدني عبدي وفوض الي عبـدي بسمعه لا بايمانه وتعلق العبد لمولاه وتحبب اليه وعرف انه مانزل اليه سبحانه هذا النزول الا لسر خفي أبطنـه فيه فينزهه العبـد عن كل مانزل فيه اليه بأن يقول سبحانك ليس كمثلك شئ ولهذا أمر العبد بالتنزيه في الركوع ليقابل بذلك نزول الحق اليه بمثل ماذكرناه من كونه سبحانه يصلي علينا فينزلنا في صـلاته علينا على ثلاث مراتب المرتبة الواحـدة أن يجعلنا في صلاته علينا كالوطاء الذي نصلي عليه والثانية أن يصـلي علينا صلاتنا على الجنازة والثالثة كالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولكل نوع طائفة معينة لها حال معين فانه سبحانه قـد ذكر أنه يصلي علينا فقال هو الذي يصلي عليكم وملائكته كما قال فجمع بينه وبين ملائكته في الصـلاة على نبيه فقال هو الذي يصـلي عليكم وملائكته يصـلون على النبي يا أيها الذين آمنوا بصـلاتنا عليه صلوا عليه وقد أمره بالجزاء فقال وصـل عليهـم ان صـلاتك سكن لهم فما أعجب القرآن لمن تدبر آياته وتذكر فينبغي للعبـد أن يكون بين يدي الحق عند صلاته عليه كالجنازة ميتا لا حراك له ولا دعوى وهو في قبلة ربه فان وافق ركوع العبـد نزول الحق اليه بمثل قوله قل كل يعمل على شاكلته فقد أدرك الركعة ومن لم يقابل نزول الحق بركوعه عند هـذا النزول الالهي بالاسم الكريم اليه فما أدرك الركعة لغوية كانت أو شرعية فان اعتباره في ادراكه فاتهما قبل أن يركع يعني قبل أن ينحني فهو قيامه بمصالح عباده ونظره لهم في قيامه بهم فانه القائم على كل نفس بما كسبت بعين الرحمة فيرزقهم ويحسن اليهم وهم به مشركون وكافرون وقل عن الادبار ماشئت ويدعوهم وهم عنـه معرضون وعلى هواهم الذي اتخـذوه الها مقبلون وكذلك في السجود في مذهب من يرى الركعة المعتبرة للشرع انها القيام من قيامه والانحناء من حنوه على عباده باسمه الحنان عاذكرناه والسجود الالهي وهو أعظم النزول الالهي الذي أنزل الحق فيه نفسه منزلة عبده وهو قوله مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني وأكثر من هذا النزول الالهي فلا يكون ثم فسر ذلك بأن فلانا مرض وفلانا جاع وفلانا ظمئ فأنزل نفسـه منازلهم في أحوالهم وأضاف ذلك اليـه في كنايته عن نفسه بهـذه الاحوال فمن أدرك ذلك كله من الحق في صلاته فقد أدرك الركعة الالهية من حيث ان الحق امامه فيقابله العبـد بما يستحق هـذا الانعام الالهي من الشكر بالثناء بأوصاف السلب والتنزيه والكبرياء والعلو والعظمة والجبروت فهذه هي الركعـة المشروعة والخلاف في هـذه المسئلة يؤول الى اختلاف العلماء في الاخـذ ببعض دلالة الاسماء أو بكلها فقد يسمى بعض الركعة ركعة كما يسمى كلها بجميع أجزائها ركعة كما يقال في أمر النبي صلى الله عليه وسـلم في غسل الذكر فمن غسل رأس ذكره أجزأه فانه ينطلق عليه اسم الذكر فيقال في اللسان فيمن غسل رأس ذكره انه غسل ذكره وان لم يعمه كغسل اسم اليد

﴿وصل في فصل عما يتعلق بهذا الباب﴾

اذا سها المأموم عن اتباع الامام في الركوع حتى يسجد فقال قوم اذا فاته ادراك الركوع معه فقد فاتته الركعة ووجب عليه قضاؤها وقال قوم يعتد بالركعة اذا أمكنه أن يتم من الركوع قبل أن يقوم الامام الى الركعة الثانية وقال قوم يتبعه ويعتد بالركعة مالم يرفع الامام رأسـه من الانحناء من الركعة الثانية وهـذه الاقوال المختلفة تنبني عندي على مفهوم من قوله صلى الله عليه وسـلم انما جعل الامام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه الحديث فهل من شرط المأموم أن يقارن فعله فعل الامام أو ليس من شرطه وهل هـذا شرط في جميع أجزاء الركعة المشروعة الثلاثة وهو القيام والانحناء والسجود أم

أنما هو شرط في بعضها واذا كان الامام في فعل جزء من أجزاء الركعة والمأموم في جزء آخر وقد قال لاتختلفوا عليه فهو اختلاف عليه وهذا الحديث اذا حققه الانسان مع أحاديث أخر معلومة في هذه المسئلة عينها فانه يبدو له أن كل قول في هذه المسئلة مما حكيناه له متعلق لجميع أقوالهم مشروعة وان اختلفت فالحمد لله الذي جعل في الامر سعة ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ سهو العبد عن اتباع الحق فيما أمره به ونهاه عنه أو فيما ينبغي أن يتأدب به معه في مقابلة انعامه واحسانه شكرا مؤثر في ابطال مافاته من علم ما كان يحصل له من تجليه في ذلك القدر الذي فاته واختلف أصحابنا في هذه المسئلة على ماذكره فقال قوم اذا فاتتك نظرة واحدة من الحق في وقتك وقد كنت تشهده قبل ذلك مستصحبا من وقت معرفتك به الذوقية وكان مافاتك منه في نظرة وقتك أكثر مما نالته مما تقدم الى وقتك وانا أذكر ما السبب في ذلك وهو أن كل نظرة تكون من العبد الى الحق في تجليه له تتضمن معرفة كل نظرة ولدتها مما تقدمتها وتزيد على ذلك بما تعطيه حقيقة نظرة الوقت فقد فاته خير كثير فعليه قضاء مافات ليحصل له هذا العلم ووقع لهم في هذا غلط كبير من حيث لايشعرون وذلك ان المصلي اذا فاته مع الامام مافاته فما أدرك فهي أول صلاته و يتم على ماهي الصلاة المشروعة وماعنده ناقص الا اذا كان القضاء بمعنى الاداء فهو صحيح وأما غلط أصحابنا فان الذي تقدم هذه النظرة الوقتية من نظرات التجلي فهي هنا بحكم التبعية لهذه النظرة وكل نظرة في وقتها في عين سلطانها وأين تصرف الشيء في ملكه من تصرفه في ملك غيره فافهم ثم نرجع ونقول وقال قوم من أصحابنا بان هذا التجلي الذي هو فيه يتضمن مافاته ومانا له فيعتد بما أدركه فانه ينا له فيه والذي أذهب اليه هو ماذكرناه من أن ادراك الامر بحكم التضمن ماهو مثل ادراكه بحكم التصريح ومشاهدة العين فان الواحد الذي هو سلطان الوقت هو ادراك تفصيلي عيني له ذوق خاص والآخر المضمن ادراك اجمالي غير عيني فله ذوق آخر متميز عن ذوقه في وقته أين الرؤية لصاحب الورث الموسوي منا وان كان من مشكاة محمد صلى الله عليه وسلم من الرؤية المحمدية من المحمدي الخالص مع كونها تتضمن الرؤية الموسوية لكنها هنا تبع وفي زمان سلطانها شيء آخر فتتفاضل الورثة في الميراث بحكم طبقاتهم فمن الورثة من يحوز المال كله والوارث النصف والربع والثمن والثلث والسدس الى غير ذلك فالجامع بين الادراكين كل ادراك في مقامه لايساوي ولايماثل المدرك لاحدهما دون الآخر من الطرفين فان الذائق العسل على حدة ثم يذوقه في شراب التفاح مثلا فقد أدركه ذوقا في الحالين ولكن يجد فرقانا بين الذوقين بلاشك وأين حكمه عسلا من حكمه شرابا أو شراب تفاح

﴿وصل في فصل اتيان المأموم بما فاته من الصلاة مع الامام هل هو قضاء أو أداء على اصطلاح الفقهاء﴾

فان قلت فهل اتيان المأموم بما فاته من الصلاة مع الامام قضاء أو في الظاهر قلنا في الجواب ان الشرع المقرر فيه ثلاث مذاهب مذهب ان ما يأتي به بعد سلام الامام فهو قضاء وان ما أدرك مع الامام ليس هو أول صلاته ومذهب آخر ان الذي يأتي به بعد سلام الامام فهو أداء وان ما أدركه مع الامام هو أول صلاته وبه أقول ومذهب ثالث فرق بين الاقوال والافعال فقال يقضي في الاقوال يعني في القراءة و يكون مؤديا في الافعال فمن أدرك ركعة من صلاة المغرب على المذهب الاول أعني مذهب القضاء قام اذا سلم الامام الى ركعتين يقرأ فيهما بأم القرآن وسورة ولايجلس بينهما وعلى المذهب الثاني يقوم الى ركعة واحدة يقرأ فيها بأم القرآن وسورة يجهر فيها ويجلس ثم يقوم الى ركعة يقرأ فيها بأم القرآن سرا فقط وعلى المذهب الثالث يقوم الى ركعة يقرأ فيها بأم القرآن وسورة ثم يجلس ثم يقوم الى ركعة ثانية يقرأ فيها بأم القرآن وسورة وهذه المذاهب الثلاثة قد وردت في الحديث وردفي الخبر فما أدركتم فصلوا ومافاتكم فأتموا والاتمام يقتضي أن يكون ما أدركه هو أول صلاته وفي رواية فما أدركتم فصلوا ومافاتكم فاقضوا والقضاء يوجب أن يكون ما أدرك فهو آخر صلاته ومن استعمل الحديثين أعني الروايتين وجمع بين القضاء والاداء فقال يقضي في الاقوال و يكون مؤديا في الافعال كما بيناه قبل ﴿وصل اعتبار هذا الفصل﴾ من اعتبر الحكم للاسم الالهي الذي هو سلطان الوقت وصاحبه فلا يخلو ان كان هو عين ذلك الاسم الذي له حكم تلك الصلاة كلها من أولها الى آخرها في حق الامام والمأموم فانه مؤد بلاشك فان ذلك الاسم لاينفصل عن حكم وقته بسلام الامام بل حتى يسلم و ينفصل كل من كان في حكم الامام

فان تلك الحالة من ذلك الاسم تستصحب لهذا الذي فاته ما فاته ولو أدركه في آخر جلوس في صلاته ومن اعتبر الحكم للاسم الذي يعطي الركوع وهو غير الاسم الذي يعطي القيام والقراءة وكل حركة في الصلاة لها اسم الهي مخصوص وان شاركه اسم آخر أو أسماء أخر الهية قال بالقضاء ومن اعتبر حكم الاشتراك بين الاسماء في الصلاة وان لكل اسم فيها نصيبا قال يؤدي في كذا ويقضي في كذا أي يأخذ من تجلي الاسم الفلاني ما يعطيه من المعارف ومن الاسم الآخر ما يعطيه من العلوم وبالذوق في ذلك تميز الاشياء عند العارفين والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل وليس جهول بالامور كمن دري فألق سمعك وأحضر بكلك عسى أن تكون من أهل التحصيل فتكون من المفلحين

﴿وصل في فصل حكم سجود السهو﴾

اختلفوا في سجود السهو هل هو فرض أو سنة فمن قائل انه سنة ومن قائل انه فرض لكن ليس هو من شرط صحة الصلاة وفرّق مالك بين سجود السهو في الافعال وبين السجود للسهو في الاقوال وبين الزيادة والنقصان فقال سجود السهو الذي يكون للافعال الناقصة واجب وهو عنده من شروط الصلاة ﴿وصل في اعتبار هذا الفصل﴾ لما كان السهو سببه الشك أو النسيان والمطلوب اليقين فلا يعبد الله الا من كان على بينة من ربه أزكاها وأعدلها وأقواها الايمان الذي يجده المؤمن بربه في نفسه مما لا يقدر على دفعه ودونه في القوة والطهارة ما هو مبناه على الادلة النظرية فان انضاف الى المؤمن أو الى صاحب النظر الكشف كان أقوى من كل واحد من الاثنين على انفراد بلا شك وهذا لا يدخله سهو في صلاته وصاحب النظر وحده هو الذي يدخله السهو وكذلك المؤمن المتزلزل فسجود السهو عليه فرض واجب وهو أنه يرجع في النظر الى نفسه وفقره وامكانه وعجزه ليستدل بذلك على معبوده وغناه ووجوب وجوده ونفوذ اقتداره فان في ذلك العلم ترغيما للشيطان الذي ألقى اليه الشك في علمه أو عبادته ولما كانت الصلاة مناجاة الحق وشهوده وقد قيل له اعبد الله كأنك تراه وقيل له ان الله في قبلة المصلي فاذا توجه في صلاته وقيد الحق بجهة الاستقبال كما قيل له الا انه أخلاه عن الاحاطة به ومثله كالشخص القائم ينظر اليه ويناجيه في قبلته فقد سها عما يجب للاله من الاحاطة به والاطلاق عن التقييد وهو الذي أيضا سماه الشرع بقوله ليس كمثله شئ فينبغي لمن هذه حالته أن يسجد لسهوه وهو أن يرد ذلك التشبيه والتخيل والتصور الى نفسه وهو السجود ويقول سبحان ربي الاعلى ثلاثا واحدة لحسه والثانية لخياله والثالثة لعقله فينزهه عن ان يكون مدركا لحسه فيتقيد به أو لقيد خياله أو بقيد عقله فذلك ترغيم للشيطان

﴿وصل في فصل في مواضع سجود السهو﴾

فمن قائل ان موضعه أبدا قبل السلام ومن قائل بعد السلام أبدا ومن قائل ان كان النقصان فقبل السلام وان كان لزيادة فبعد السلام ومن قائل يسجد قبل السلام في المواضع التي سجد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل السلام ويسجد بعد السلام في المواضع التي سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد السلام فما كان من سجود في غير تلك المواضع فانه يسجد قبل السلام ومن قائل لا يسجد للسهو الا في المواضع الخمسة التي سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط واما غير ذلك فان كان فرضا أتى به وان كان ندبا لم يكن عليه شئ والذي أقول به واذهب اليه ان المواضع التي سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها فما سجد له قبل السلام يسجد له قبل السلام وما سجد له بعد السلام يسجد له بعد السلام وأما غير ذلك مما سها فيه المصلي فهو مخير ان شاء سجد لذلك قبل السلام وان شاء سجد له بعد السلام ﴿وصل اعتبار هذا الفصل﴾ قال الله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد فان قدم نظره لله على نظره لنفسه فيما سها فيه كان كمن سجد قبل السلام وهو مقام الصديق ما رأيت شيأ الا رأيت الله قبله وان قدم نظره في نفسه على نظره في ربه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه كان كمن سجد بعد السلام وهو مقام من قال ما رأيت شيأ الا رأيت الله بعده وهو مقام أصحاب الادلة العقلية على وجود الصانع أي ما رأيت شيأ الا وكان لي دليلا على الله فهو يتقلب في الادلة دائما واما الزيادة والنقصان فهو للعقل ما نقصه من حيث فكره من علمه بربه مما لا يستقل بدركه مما وصفه به الشارع

بعد ذلك ولم يكن العقل يدل على ان ذلك الوصف يستحقه جلال الله بل كان يحيله عليه معنى واطلاقا وأما الزيادة فما يحكم به الخيال على ربه من التقييد والتحديد من غير اعتقاد تنزيه فيما قيده به وحدده فهذا سهو الزيادة وذلك سهو النقصان فان الله يقول ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فليس كمثله شئ من هذه الآية هو دليل العقل وهو السميع البصير هو دليل السمع فجمع معتقد هذا بين الدليلين السمعي والعقلي وأما المواضع التي سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي خمسة شك فسجد ١ وقام من اثنتين ولم يجلس فسجد ٢ وسلم من اثنتين فسجد ٣ وسلم من ثلاث فسجد ٤ وصلى خمسا ساهيا فسجد ٥ واختلف الناس في سجوده هل سجد للزيادة والنقصان أو لسهو فمن قائل لسهو ومن قائل للزيادة والنقصان والذي أقول به أنه سجد لهما السجدة واحدة لسهوه والثانية للزيادة والنقصان فكان للنقص اتماما وكان للزيادة خيرا نورا على نور

﴿وصل في فصل الافعال والاقوال التي يسجد لها القائلون بسجود السهو﴾

اتفق العلماء على ان السجود يكون عن سنن الصلاة دون الفرائض ودون الرغائب فالرغائب لا شئ عندهم فيها اذا سها عنها المصلي في الصلاة مالم تكن أكثر من رغيبة واحدة مثل ما يرى مالك أنه لا يجب سجود من نسيان تكبيرة واحدة ويجب بأكثر من واحدة وأما الفرائض فلا يجزي عنها الا الاتيان بها وجبرها اذا كان السهو عنها مما لا يوجب اعادة الصلاة بأسرها وأما سجود السهو للزيادة فانه يقع عند الزيادة في الفرائض والسنن جميعا فهذه الجملة لا خلاف بينهم فيها وكل ما يقول فيه علماء الشريعة مستحب فذلك هو المرغب فيه وما عداه فهو سنة أو فرض والسنة والرغيبة عندهم من باب الندب ويختلف عندهم بالاقل والاكثر في تأكيد الامر بها وذلك بحسب قرائن أحوال تلك العبادة حتى ان بعضهم يرى في بعض السنن ما اذا تركت عمدا ان كانت فعلا أو فعلت عمدا ان كانت تركا أن حكمها في الاثم حكم الواجب مثل لو ترك الانسان الوتر أو الفجر دائما كان آثما فأما الجلسة الوسطى فاتفقوا على سجود السهو لتركها واختلفوا في الجلسة الوسطى هل هي فرض أو سنة واختلفوا هل يرجع الامام اذا سبح به اليها أو ليس يرجع وان رجع متى يرجع فقال الاكثر يرجع مالم يستو قائما وقال قوم يرجع مالم تنعقد الركعة التي قام اليها وقال قوم يرجع ان فارق الارض قيد شبر واذا رجع عند الذين لا يرون رجوعه فالاكثر على ان صلاته جائزة وقال قوم تبطل ﴿وصل الاعتبار في هذا الفصل﴾ فروض العبادات الحضور مع الحق عند الشروع فيها وسنن العبادات حضور المكلف فيها من حيث ماهو مكلف والرغائب فيها احضور فنائه فيها بتولي الحق أحكامها في جميع أفعالها فمن سها عن الفرائض لم تصح العبادة ولم تجبر الا بها لا بسجود السهو وقد بينت لك ما معنى اعتبار سجود السهو ومن سها عن السنن سجد لها سجود السهو ومن سها عن الرغائب فهو مخير ان شاء سجد وان شاء لم يسجد وأما الجلسة الوسطى فقد تكلمنا في اعتبارها في فصل واحد مع السجدة الآخرة فيما تقدم فأما سجود السهو لها فان السجدة الاولى لسهوه والاخرى للنقص والجلوس لجبر عينها فأشبهت الفرائض التي تجبر بعينها الا بسجود السهو

﴿وصل في فصل صفة سجود السهو﴾

فقال قوم اذا كانت بعد السلام فيتشهد فيها ويسلم منها وقال قوم اذا كانت قبل السلام يتشهد لها فقط وان السلام من الصلاة هو سلام منها وقال قوم ممن يرى القبلية للنقصان والبعدية للزيادة انه لا يتشهد للتي قبل السلام وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سلم من سجود السهو بعد السلام ولم يثبت التشهد في السهو وان كان قد روى ﴿وصل الاعتبار في هذا الفصل﴾ أما قبل السلام فالسلام من الصلاة والتشهد يغني عن تكراره مثل الطواف والسعي أعني طواف القدوم للقارن فان العمرة تطلب طوافا وسعيا والحج يطلب مثل ذلك وفي مذهب من يرى أنه يجزئ من ذلك طواف واحد وسعي واحد ومن لا يرى ذلك ويرى أن الواجب عليه طوافان وسعيان يرى التشهد والسلام ولكن صاحب هذا المذهب لا يصح أن يقول بالفرق بين الزيادة والنقصان كان صاحب المذهب الاول لا يصح أن يقول بالسجود بعد السلام انما وقع الترغيم للشيطان في ذلك لكونه شرع للسهو السجود دون غيره من أفعال الصلوات

لكونه أمر بالسجود فلم يسجد والسهو أغلبه انما يقع من الشيطان فلا يجبر الا بصفة لا يمكن للشيطان أن يدنو من العبد اذا كان موصوفا بها فشرع له السجود لسهوه فانه ثبت فى الخبر ان الانسان اذا سجد اعتزل الشيطان يبكى و يقول أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلى النار فالانسان فى حال سجوده محفوظ من الشيطان أن يقربه ولو اقترب منه الشيطان فى سجود سهوه لسها فى سجود سهوه فى حال سجوده وكان يتسلسل الامر ولهذا لم يرد شرع فيمن سها فى سجود سهوه ولو وقع فليس من الشيطان واذا لم يكن من الشيطان فلا يكون ترغيما له الا اذا كان السهو من فعله فالسهو لا يلزم أن يكون ولا بد من فعل الشيطان وانما سببه غيبوبة المصلى عن عبادته فنفس غيبته عنها يكون عنها السهو وأسباب الغيبة عن عقل المصلى نفسه فى أى جزء هو من صلاته كثيرة فمنها شيطانية ومنها غلب مشاهدته عليه تقتضيها آية من كتاب الله فى توحيد أو حكم من أحكام الدين أو جنة أو نار أو ما يستلزم احداهما فاذا كانت من الشيطان كان سجود السهو له ترغيما على ترغيم من كونه سجودا ومن كونه ما أثر وسواسه فيه بما جبر عليه سجوده لسهوه ولهذا يستحب لكل مصل أن يسجد بعد كل صلاة سجدتى السهو اذ كان الانسان لا يخلو أن يغيب لحظة فى نفس صلاته عن كونه مصليا فما زاد فيكون فى ذلك ترغيم للشيطان وهو مذهب الترمذى الحكيم ورأيت جماعة الزيدية تقول به فى حق المأمومين ورأيتهم يفعلون ذلك واستحسنته منهم وان اختلفت المقاصد فهو ترغيم للشيطان على كل حال قال ابن المنذر فى هذه المسئلة اختلف العلماء فيها على ستة أقوال فمن قائل لا تشهد فيها ولا تسليم وبه قال أنس والحسن وعطاء ومن قائل فيها تشهد وتسليم وبالقولين أقول غير انى أقول ان التشهد والتسليم فيها ولا بد الا انه اذا كان السجود قبل السلام اكتفى بتشهد الصلاة والسلام منها عن تشهد السهو والسلام منه كالقارن واذا كان بعد السلام تشهد وسلم ومن قائل فيها تشهد دون تسليم وهو قول الحكم وحماد والنخعى ومن قائل فيها تسليم وليس فيها تشهد وهو قول ابن سيرين ومن قائل ان شاء تشهد وسلم وان شاء لم يفعل قاله عطاء ومن قائل ان سجد قبل السلام لم يتشهد وان سجد بعد السلام تشهد وهو قول ابن حنبل قال ابن المنذر قد ثبت انه صلى الله عليه وسلم كبر فيها أربع تكبيرات وانه سلم وفى ثبوت التشهد نظر انتهى الجزء الرابع والاربعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل فى فصل سجود السهو لمن هو)

اتفق العلماء على ان سجود السهو انما هو للامام وللمنفرد واختلفوا فى المأموم يسهو هل عليه سجود أم لا فالجماعة انه لا سجود عليه ويحمل عنه الامام وقال مكحول يسجد المأموم لسهوه وبه أقول فانه ما رأينا ان الشارع فرق بين الامام والمأموم حين ذكر سجود السهو وانما ذكر المصلى خاصة ولم يخص حالا من حال (الاعتبار فى هذا الفصل) ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تجزى نفس عن نفس شيأ وكل نفس بما كسبت رهينة فاذا بحثت عن كشف هذا المعنى علمت ان الامام لا يحمل سهو المأموم وان مكحولا كحل عينه فى هذه المسئلة بكحل الاصابة فانجلى عين بصيرته والله الموفق لا رب غيره

(وصل فى فصل)

المأموم يفوته بعض الصلاة وعلى الامام سجود سهو متى يسجد المأموم اختلف العلماء فيمن هذه حاله فمن قائل يسجد مع الامام ثم يقوم لقضاء ما عليه وسواء سجد الامام قبل السلام أو بعده ومن قائل يقضى ثم يسجد ومن قائل اذا سجدهما قبل التسليم سجدهما معه واذا سجد بعد التسليم سجدهما بعد ان يقضى ومن قائل يسجدهما مع الامام ثم يسجدهما ثانية بعد القضاء والذى أقول به لا يخلو المأموم ان يعلم ما سهى فيه الامام أو لا يعلم فان لم يعلم فلا يخلو الامام اما ان يسجدهما قبل السلام فيسجدهما معه فاذا سلم الامام قام لقضاء ما عليه وان سجدهما الامام بعد السلام فلا يتبعه

ويقوم لقضاء ما عليه ولا سجود عليه لسهو الامام وان سجد هذا المأموم بعد القضاء فهو أحوط بل استحب لكل مصل ان يسجد بعد القضاء كل صلاة يصليها دائما منفردا أو خلف امام بعد السلام وان علم المأموم بسهو الامام فلا يخلو اما ان يكون سهوه فيما فات هذا المأموم أو فيما أدرك معه من الصلاة فان كان فيما فاته فلا يتبعه في سجوده ولو سجد قبل السلام وان كان يعلم ان سهو الامام فيما أدرك معه من الصلاة فان سجد قبل السلام اتبعه وان سجد بعد السلام يقضي ما فاته ثم يسجد الا ان يكون سهو الامام فيما سهى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أدركه معه هذا الداخل فانه يتبع الامام في سجوده قبل السلام وبعده وحينئذ يقوم لقضاء ما عليه ﴿وصل الاعتبار في هذا الفصل﴾ يلزم الائتمام بالامام مادام يسمى اماما فاذا زال عنه اسم الامام لم يلزم اتباعه وامامة الرسول لا ترتفع فالاتباع لازم ومحبة الله لمن اتبعه لازمة بلا شك يقول الله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وقيل له قل فاتبعوني يحببكم الله واذا أحب الله عبده كان جميع قواه وجوارحه وهو لا يتصرف الا بقواه وجوارحه فلا يتصرف الا بالله فيكون محفوظ التصرف في حركاته وسكناته ثم لتعلم انه من جهة اتصافه بها تكليف المكلف فقد زال عنه اما بالكلية واما بالتعليق عنه جميع الفقهاء وعندنا ليس كذلك لانه ما ثم حال ولا صفة في مكلف تخرج عن حكم الشرع ممن غلب عليه الحال أو الجنون أو النسيان أو النوم أو الذي لم يبلغ حد الحلم فلم يخرج أحد من هؤلاء عن حكم الشرع فانه قد شرع لكل صاحب حال وصفة حكما اما بالاحاطة أو غير ذلك من أحكام الشرع لانه لا يخلو عن حكم مشروع لصاحب تلك الحالة فما ثم الا مكلف فما ارتفع التكليف فان هؤلاء الذين تقول فيهم الفقهاء قد ارتفع عنهم خطاب الشرع لم يرتفع فان الشرع قد أباح له التصرف فيما يقتضيه طبعه كالحيوان ولا حرج عليه في ذلك فكيف يقال زال عنه حكم الشرع والشرع قد حكم له بالاباحة كما حكم للعاقل البالغ بالاباحة فيما أباح له فان الحكم في الاشيا للشرع لا للعقل والشرع هو حكم الله في الاشياء وما ثم شئ خرج عن حكم الله فيه بامر ما هذا نظر أهل الله لانهم لا يزالون في كل نفس حاضرين مع الله وأحكام الشرع وان تعلقت بالأعيان فانها مبنية على الأحوال فما خوطبت عين بأمر ما الا لحال هي عليه لاجل ذلك الحال خوطب بما خوطب به لا لعينه فان العين لا تزال باقية والأحوال تتغير فيتغير حكم الشرع على العين لتغير الحال فحال الطفولة والاغماء والجنون وغلبة الحال والفنا والسكر والمرض للشرع فيها أحكام كما لحال الرجولة والافاقة والصحة والبقاء والصحو وعدم غلبة الحال للشرع فيها أحكام فحكم الشرع سار في جميع الاحوال لمن عقل سريان الحق في وجود الاعيان

﴿وصل في فصل التسبيح والتصفيق من المأمومين لسهو الامام﴾

فقال قوم التسبيح للرجال والنساء وقال آخرون التسبيح للرجال والتصفيق للنساء وبه أقول واليه أذهب للخبر الوارد فيه ﴿وصل الاعتبار في هذا﴾ من اعتبر الانسانية ألحق النساء بالرجال كما ألحقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجال في الكمال ومن اعتبر الذكورة والأنوثة وقول الله تعالى وللرجال عليهن درجة وغلب الفاعل على المنفعل فرق بين الرجال والنساء فجعل التسبيح للرجال والتصفيق للنساء فان كلام المرأة يثير الشهوة بالطبع ولا سيما ان كان في كلامها خضوع وانكسار وفي خيال السامع انها أنثى وفي قلبه مرض والله قد نهاهن عن الخضوع في القول فقال ولا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ففي هذه الآية اباحة كلام النساء الرجال على وصف خاص ولا شك ان المصلي في حال مناجاة ربه فاذا سبحت المرأة به خيف عليه الميل الطبيعي الخيالي اليها فهو مع التصفيق لا يؤمن عليه فكيف مع الكلام فالعارف هنا مع ما يعتبره مع الحق في مناجاته فاما ان يناجيه بعقله واما بنفسه وطبعه وهو بحسب قوته فان كان صحيحا قويا فلا يبالي بما وقعت المناجاة فيستوي عنده الرجال والنساء وان عرف نفسه ان فيها بقية من ذاتها وعندها مرض فرق بين عقله وطبعه حتى يتخلص هكذا هو نظر أهل الله في نفوسهم

﴿وصل في فصل سجود السهو لموضع الشك﴾

اختلف العلماء فيمن شك في صلاته فلم يدركم صلى واحدة أو اثنتين أو ثلاثا أو أربعا فمن العلماء من قال يبني على اليقين

وهو الاقل ولا يجزيه التحرى ويسجد ومنهم من قال ان كان أول أمره فسدت صلاته وان تكرر ذلك منه تحرى وعمل على غلبة الظن ثم يسجد سجدتين بعد السلام وقال قوم انه ليس عليه اذا شك لا رجوع الى يقين ولا تحر وانما عليه السجود فقط اذا شك والذى أذهب اليه فى هذه المسئلة هذا القول الأخير وان كان البنيان على اليقين أحوط

وصل فى اعتبار هذا الفصل الخاطر الاول اذا عرفه الانسان اعتمد عليه والشك هو التردد بين أمرين أو أمور من غير ترجيح وغلبة الظن المايل بالترجيح لاحد المشكوكين من غير قطع وليس له رجوع لا الى يقين ولا الى غلبة ظن فان الحكم لصاحب الوقت وهو الشك وكما لزم المحذور فيما نقص من فعل العبادة كذلك يلزم فى الزيادة فانه شرع لم يأذن به الله والسجود انما خوطب به الشاك فلو ان الذى بنى على يقين يزول عنه الشك كان حكمه حكم من لم يشك وامنا فى الزيادة فى تلك العبادة فالذى شرع ذلك العمل هو الذى شرع السجود للشك فاخوطب بالسجود من تيقن ولا من غلب على ظنه فن شك فى دليل عقله فى معرفة ربه وفى دليل سمعه المعارض دليل عقله فى معرفة ربه فلم يثق باحد الدليلين لانه لم يترجح عنده أحد الدليلين فانه لا يقدران يرفع عن نفسه صدق الخبر المتواتر الذى عارضه دليل عقله فى علمه بما ينبغى لجلال الله من التنزيه فى دليل عقله ولم يقدران يدفع عن نفسه لايمانه ما وصف الحق نفسه بما ينبغى له عند هذا المؤمن لو رود النص المتواتر به فلولا انه ابتغى له ما ورد به الخبر النبوى الذى يوجب القطع وتعارض الدليلان ولم يجد وجها للترجيح ولا للجمع فهذا هو الشاك فليسجد سجدتى السهو اذ سهى عن العمل بالايمان من غير نظر فى الدليلين ويفرغ المحل ويخليه بصدق التوجه وهو السجود لهذا الموصوف بالنقيضين والسجود محل القربة من الله ومحل بعد الشيطان منه فانه يعتزل من العبد فى حال سجوده وهو فى حال سجوده صاحب شبهة فلا بد بعمله على الايمان ان ينقدح له ان هذه الصفة صفته فى قلبه علم بالله لم يكن عنده يرفع عنه الشك بان يعطيه ذلك العلم اما الجمع بين الدليلين واما الترجيح بالعثور على فساد ما يناقض الايمان من أحد الدليلين و يعثر على الشبهة التى أوجبت التعارض قال الله تعالى واتقوا واهنا بسجدتى السهو و يعلمكم الله هنا الجمع بين الدليلين المتعارضين أو الترجيح أو ابطال أحد الدليلين

﴿وصل فى فصل﴾

ماهو من الصلاة فرض على الاعيان وما ليست بفرض على الاعيان اعلم ان من الصلاة ماهى فرض على الاعيان وهى ماتكلمنا فيها فيما مضى من هذا الباب ومنها ما ليست بفرض على الاعيان فاما التى ليست بفرض على الاعيان فنها ماهى سنة ومنها ماهى فرض على الكفاية ومنها ماهى نفل والذى أذهب اليه انه ما ثم فرض الا الصلوات الخمس وما عداها ينبغى أن يسمى صلاة تطوع كما سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الخبر الوارد فى حديث الاعرابى نظر عندى اذ قال الاعرابى يا رسول الله هل على غيرها قال لا الا ان تطوع يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم لا الا ان تطوع بصلاة فتلزمك لزوم الفرائض فان قوله هل على غيرها يعنى من عند الله ألزمنيها ابتداء والصلاة اذا تطوعت بها مثل النذر ألزمك الله الاتيان بها بالزامك نفسك اياها ثم ان هذه صلاة التطوع للشرع فيها أحوال مختلفة ادى ذلك الاختلاف الى أن يجعل لها أسماء مختلفة لتعرف بها وجلتها فيما أحسب عشرة الوتر وركعتا الفجر والنفل وتحية المسجد وقيام رمضان والكسوف والاستسقاء والعيدان وسجود القرآن عند من يجعله صلاة فاذا فرغنا من هذه العشرة واعتبار اتها سقنا صلاة الجنائز وصلاة الاستخارة وغير ذلك مما يسمى فى الشرع صلاة وان لم يكن فيها ركوع ولا سجود ولا احرام ولا تسليم كالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المأمور بها شرعا منزلا وحكمة ذلك ﴿وصل الاعتبار﴾ الصلاة تقتضى العبودية ولما انقسمت الصلاة الى قسمين كما قدمنا الى ماهو فرض أعيان والى ما ليس بفرض انقسمت العبودية الى قسمين عبودية اضطرار وبها أصلى فرائض الاعيان وعبودية اختيار وبها أصلى ما عدا فرض الاعيان وسماها الحق تعالى نوافل وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم تطوعا قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك يقول بعض الصالحين ما لاحد نافلة مقطوع بها الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا تصح النوافل الا لمن كملت فرائضه ومن نقصت فرائضه

عن الكمال كلت له من تطوعه فان زاد التطوع حينئذ يصح اسم النافلة وماشهد الله بها لاحد الا لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال له أمرا ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال تعالى فى الخبر الصحيح عنه ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل فسمى مازاد على الفرائض نوافل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاعرابى فى تعليم ما بنى عليه الاسلام فذكر الفرائض فقال هل على غيرها قال عليه السلام لا الا ان تطوع فسمى مازاد على الفرائض تطوعا فالفرض عبودية اضطرار لان المعصية تتحقق بفعله أو بتركه وماعداه فعبودية اختيار لكنه مختار فى الدخول فيها ابتداء فاذا دخل فيها عندنا لزمته أحكام عبودية الاضطرار ولابد وليس له ان يخرج عن حكمها حتى يفرغ من تلك العبادة ولهذا لما قال له هل على غيرها قال له عليه السلام لا يعنى انه مافرض الله عليك ابتداء من عنده الا ماذكرته لك الا ان تطوع الا أن تشرع أنت فى أمثالها مما رغبك الحق فيه فان تطوعت ودخلت فيها وجب عليك الوفاء بها كما وجب فى فروض الاعيان فهذا معنى قوله لا الا ان تطوع فيجب عليك ما أوجبته على نفسك وفى هذا الباب دخل النذر وأمثاله قال تعالى ولا تبطلوا أعمالكم فالوتر لمعرفة الحق فى الاشياء كلها وركعتا الفجر للشكر لقيام الليل على ما وفق له وللنائم على قيامه الى أداء فرض الصبح ودخول المسجد للسلام على الملك فى بيته وقيام رمضان لكون رمضان اسما من أسماء الله فوجب القيام لذكر الملك قال يوم يقوم الناس لرب العالمين والكسوف للتجلى الذى يعطى الخشوع * سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكسوف فقال ما تجلى الله لشئ الا خشع له وهو ما يظهر لعين الرائى من التغير فى الشمس أو القمر وان لم يتغيرا فى أنفسهما فأبدى الحق لعين الرائى ما فى نفس الشمس والقمر فى ذلك الزمان من الخشوع لله فى صورة ذهاب النور بالحجاب النفسى الطبيعى فى كسوف القمر وبالحجاب العلمى فى كسوف الشمس والاستسقاء طلب الرحمة والعيدان تكرار التجلى وسجود القرآن الخضوع عند كلام الله ولهذا أمر بالانصات والاستماع والصلاة على الميت العبد يتخذ الله وكيلا نائبا عنه فيما ملكه اياه شكرا على ما أولاه حين حرم من قيل له وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فأخرجه من أيديهم بغير اختيار منهم قال تعالى والذى خبث لا يخرج الا نكدا والذين اتخذوا الله وكيلا صاروا أمواتا بين يديه ولهذا أعطاهم صفة التقديس وهى الطهارة فأمرنا بغسل الميت ليجمع بين الطهارتين فانه فى قبلة المصلى عليه بينه وبين الله فهو يناجى الله فيه له فان المصلى على طهارة والحق هو القدوس وصار الميت بين الله وبين المصلى عليه فلابد أن يكون طاهرا وطهارته المعنوية لا يشعر بها الا أهل الكشف فأمر أهل الشريعة فى ظاهر الحكم ان يغسل الميت حتى يتيقن من لا كشف له طهارته وسيأتى اعتباره فى بابه ان شاء الله تعالى وصلاة الاستخارة وهى تعيين ما اختار الله لهذا العبد فعله أو تركه ليكون على بينة من ربه كما قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه فهذه فائدة صلاة الاستخارة وستأتى فى بابها ان شاء الله فلنذكر ما شرطناه فصلا فصلا ان شاء الله ليعرف الناس مقاصد العارفين فى عباداتهم التى امتازوا بها عن العامة مع مشاركتهم فى الامر العام بجميع المكلفين والله الموفق لا رب غيره

﴿وصل فى فصل صلاة الوتر﴾

خرج أبو داود عن أبى أيوب الانصارى انه صلى الله عليه وسلم قال الوتر حق على كل مسلم فمن أحب أن يوتر بثلاث فليفعل ومن أحب أن يوتر بواحدة فليفعل وخرج أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوتر بسبع وتسع وخمس والحديث العام بوتره صلى الله عليه وسلم ما خرجه عن عبد الله بن قيس قال قلت لعائشة بكم كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يوتر بأربع وثلاث وبست وثلاث وثمان وثلاث وعشر وثلاث ولم يكن يوتر بأنقص من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة وخرج النسائى عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة المغرب وتر صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل واختلف الناس فى الوتر هل هو واجب أو سنة فمن قائل انه واجب والواجب عند صاحب هذا القول بين الفرض والسنة ومن قائل انه سنة مؤكدة وقد تقدم الكلام فى حكمه وبقى الكلام فى صفته ووقته والقنوت فيه وصلاته على الراحلة فلنذكر أولا من أحاديث الامر به ما تيسر ليتبين للناظر فيها الوجوب وعدم الوجوب فمن ذلك ما خرجه أبو داود عن خارجة بن حذافة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان

الله عز وجل قد أمدكم بصلاة وهي خير لكم من حمر النعم جعلها لكم فيما بين صلاة العشاء الى طلوع الفجر فهذا يدخل فيه الوتر وغير الوتر وهذا الحديث هو من رواية عبد الله بن راشد عن عبد الله بن أبي مرة ولم يسمع منه وليس له الا هذا الحديث وكلاهما ليس ممن يحتج به ولا يكاد ورواه عبد الله بن أبي مرة عن خارجة ولا يعرف له سماع من خارجة ولما ذكر الترمذي هذا الحديث بهذا الاسناد قال فيه حديث غريب وخرجه الدارقطني من حديث النضر بن عبد الرحمن عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث وفيه أن الله قد أمدكم بصلاة وهي الوتر والنضر ضعيف عند الجميع ضعفه البخاري وابن حنبل وأبو حاتم وأبو زرعة والنسائي وقال فيه ابن معين لا تحل الرواية عنه وقد ضعفه غير هؤلاء وقد روي أيضا من طريق العزرمي والعزرمي متروك وروي من طريق حجاج بن أرطاة وهو ضعيف ورواه أبو جعفر الطحاوي من حديث نعيم بن حماد وهو ضعيف وأما حديث البزار عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الوتر واجب على كل مسلم ففي اسناده جابر الجعفي وأبو معشر المديني وغيرهما وكلهم ضعفاء وأما حديث أبي داود في ذلك فهو عن عبيد الله بن عبد الله العتكي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا وعبيد الله هذا وثقه يحيى بن معين وقال فيه أبو حاتم صالح الحديث وأما حديث أبي أحمد بن عدي من حديث أبي حباب حديث ثلاث على فريضة وعليكم تطوع فذكر منهن الوتر وأبو حباب كان يدلس في الحديث وحديث البزار عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أمرت بركعتي الفجر والوتر وليس عليكم في اسناده جابر بن يزيد الجعفي وهو ضعيف وخرجه الدارقطني من حديث عبد الله بن محرز من رواية أنس وابن محرز متروك وذكر أبو داود من حديث علي عن النبي صلى الله عليه وسلم يا أهل القرآن أوتروا فان الله وتر يحب الوتر وقد تقدم اعتبار حكمه فيما تقدم في فصل عدد الصلوات المفروضات على الاعيان وغير المفروضات على الاعيان وهو الفصل الذي يليه هذا الفصل

﴿وصل في فصل صفة الوتر﴾

فمنهم من استحب أن يوتر بثلاث يفصل بينهما بسلام ومنهم من لا يفصل بينهما بسلام ومنهم من يوتر بواحدة ومنهم من يوتر بخمس لا يجلس الا في آخرها وقد أوتر بسبع وتسع واحدى عشرة وبثلاث عشرة وهو أكثر ما روي في ذلك في وتره صلى الله عليه وسلم قد بينا لك في الاعتبار قبل هذا في كون المغرب وتر صلاة النهار فأمر بوتر صلاة الليل لتصح الشفعية في العبادة اذ العبادة تناقض التوحيد فانها تطلب عابدا ومعبودا والعابد لا يكون المعبود فان الشئ لا يذل لنفسه ولهذا قسم الصلاة بين العبد والرب بنصفين فلما جعل المغرب وتر صلاة النهار والصلاة عبادة غارت الاحدية اذ سمعت الوترية تصحب العبادة فشرعت وتر صلاة الليل لتشفع وتر صلاة النهار فتأخذ بوتر الليل ثارها من وتر صلاة النهار وهذا يسمى الذحل وترا وهو طلب الثار فان أوتر بثلاث فهو من قوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ومن أوتر بواحدة فهو مثل قوله لا قود الا بحديدة فمن فصل في الثلاث بسلام راعى لا قود الا بحديدة وراعى حكم الاحدية ومن لم يفصل راعى أحدية الاله فمن أوتر بواحدة فوتره أحدي ومن أوتر بثلاث فهو توحيد الالوهة ومن أوتر بخمس فهو توحيد القلب ومن أوتر بسبع فهو توحيد الصفات ومن أوتر بتسع فقد جمع في كل ثلاث توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الافعال ومن أوتر باحدى عشرة فهو توحيد المؤمن ومن أوتر بثلاث عشرة فهو توحيد الرسول وليس وراء الرسالة مرمى فانها الغاية وما بعدها الا الرجوع الى النبوة لان عين العبد ظاهر هنالك بلا شك ومن السنة أن يتقدم الوتر شفع والسبب في ذلك ان الوتر لا يؤمر بالوتر فانه لو أمر به لكان أمرا بالشفع وانما المأمور بالوتر من ثبتت له الشفعية فيقال له أوترها فان الوتر هو المطلوب من العبد فما أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قط الا عن شفع قال تعالى والشفع والوتر وقد قدمنا ان الشفعية حقيقة العبد اذ الوترية لا تنبغي الا لله من حيث ذاته وتوحيد مرتبته أي مرتبة الاله لا تنبغي الا لله من غير مشاركة والعبودية عبوديتان عبودية اضطرار ويظهر ذلك في أداء الفرائض وعبودية

اختيار و يظهر ذلك فى النوافل و رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوتر قط الا عن شفع نافلة غير أن قوله ان صلاة المغرب وتر صلاة النهار وشرع الوتر لوترية صلاة الليل وصلاة النهار منها فرض ونفل وعلمنا أن النفل قد لا يصليه واحد من الناس كضمام بن ثعلبة السعدى فقد أوتر له صلاة المغرب الصلوات المفروضة فى النهار فقد يكون الوتر يوتر له صلاة العشاء الآخرة اذا أوتر بواحدة أو بأكثر من واحدة مالم يجلس فان النفل لا يقوى قوة الفرض فان الفرض بقوته أوتر صلاة النهار وان كانت صلاة المغرب ثلاث ركعات يجلس فيها من ركعتين ويقوم الى ثالثة وقد ورد النهى عن أن يشتبه فى وتر الليل بصلاة المغرب لئلا يقع اللبس بين الفرائض والنوافل فمن أوتر بثلاث أو بخمس أو بسبع وأراد أن يوتر الفرض فلا يجلس الا فى آخر صلاته حتى لا يشتبه بالصلاة المفروضة فاذا لم يجلس قامت فى القوة مقام وترية المغرب وان كان فيه جلوس لقوة الفرضية فيتقوى الوتر اذا كان أكثر من ركعة اذا لم يجلس بقوة الاحدية

﴿وصل فى فصل وقت الوتر﴾

فمن وقته متفق عليه وهو من بعد صلاة العشاء الآخرة الى طلوع الفجر ومنه مختلف فيه على خمسة أقوال فمن قائل يجوز بعد الفجر ومن قائل بجوازه مالم تصل الصبح ومن قائل يصلى بعد الصبح ومن قائل يصلى وان طلعت الشمس ومن قائل يصلى من الليلة القابلة هذه الاقوال حكاها أبو بكر بن ابراهيم بن المنذر فى كتاب الاشراف فى الخلاف والذى أقول انه يجوز بعد طلوع الشمس وهو قول أبى ثور والاوزاعى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل المغرب وتر صلاة النهار مع كونه لا يصلى الا بعد غروب الشمس فكذلك صلاة الوتر وان تركها الانسان من الليل فانه تارك للسنة فان صلاها بعد طلوع الشمس فانها توتر له صلاة الليل وان وقعت بالنهار كما أوترت صلاة المغرب صلاة النهار وان كانت وقعت بالليل ﴿وصل الاعتبار﴾ الوتر لا يتقيد بالاوقات وان ظهر فى الاوقات اذ لو تقيد لم يصح له الانفراد فان القيد ضد الاطلاق لاسيما وقد بينا لك فيما ذكرناه فى هذا الكتاب وفى كتاب الزمان ان الوقت أمر عدمى لا وجود له والوتر أمر محقق وجودى وكيف يتقيد الامر الوجودى بالامر العدمى حتى يؤثر فيه هذا التأثير ونسبة التأثير الى الامر الوجودى أحق وأولى عند كل عاقل واذا لم يتقيد الوقت الوتر فليوتر متى شاء ومثابرته على ايقاعه قبل الفجر أولى فانه السنة والاتباع فى العبادات أولى وانما هذا الكلام الذى أوردناه هو على ما تعطيه الحقائق فى الاعتبارات فافهم كما انه اذا اعتبرنا فى الوتر الدخل عما وقع من وتر صلاة المغرب من كونها عبادة فطلب الثار لا يتقيد بالوقت وانما أمره مهما ظفر عن يطلبه أخذ ثاره منه من غير تقييد بوقت فعلى كل وجه من الاعتبارات لا يتقيد بالوقت

﴿وصل فى فصل القنوت فى الوتر﴾

قد تقدم الكلام فى شرح ألفاظ قنوت الوتر فى فصل القنوت من هذا الباب واختلف الناس فيه فمن قائل يقنت فى الوتر ومن قائل بالمنع ومن قائل بالجواز فى نصف رمضان الاول ومن قائل فى نصف رمضان الآخر ومن قائل بجوازه فى رمضان كله وعندى أن كل ذلك جائز فمن فعل من ذلك ما فعل فله حجة ليس هذا موضعها ﴿وصل فى الاعتبار﴾ الوتر لما لم يصح الا أن يكون عن شفع اما فروض أو مسنون لم يقو قوة توحيد الاحدية الذاتية التى لا تكون نتيجة عن شفع ولا تتولد فى نفس العارف عن نظر مثل من عرف نفسه عرف ربه فهذه معرفة الوترية لا معرفة الاحدية الذاتية والقنوت دعاء وتضرع وابتهال وهو ما يحمله الوتر من أثر الشفع المقدم عليه الذى هو هذه المعرفة الوترية نتيجة عنه فتعين الدعاء من الوتر ولهذا دعا الحق عباده وقال فليستجيبوا لى وقال والله يدعو الى الجنة والمغفرة وقال والله يدعو الى دار السلام فوصف نفسه بالدعاء وهو الوتر سبحانه فاقتضى الوتر القنوت فاذا أوتر العبد ينبغى له أن يقنت ولاسيما فى رمضان فان رمضان اسم من أسماء الله تعالى فتأكد الدعاء فى وتر رمضان أكثر من غيره من الشهور فاعلم

﴿وصل فى فصل صلاة الوتر على الراحلة﴾

فمنهم من منع من ذلك لكونه يراه واجبا فيلحقه بالفرض قياسا وموضع الاتفاق بين الائمة ان الفرض لا يجوز على الراحلة وأكثر الناس على اجازة صلاة الوتر على الراحلة لثبوت الاثر فى ذلك وبه أقول ﴿وصل فى الاعتبار فى هذا

﴿الفصل﴾ الصلاة المقسومة بين الله وبين العبد ليست في الافعال وانما هي في قراءة المصلي فاتحة الكتاب وما في معناها من أقوال الانسان في الصلاة عند أهل الله فيجوز الوتر على الراحلة وهو مصل ومن راعى تنزيه الحق جل جلاله في كل فعل في الصلاة واعتباره فيما يناسب الحق من ذلك قال لايجوز الوتر على الراحلة لان من شروط صحة الصلاة مايسقط في مشي الراحلة اذا توجهت لغير القبلة فان اعترض بوتر النبي صلى الله عليه وسلم على الراحلة حيث توجهت فاعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كله وجه بلاقفا فانه قال صلى الله عليه وسلم اني أراكم من خلف ظهري فأثبت الرؤية بالحالة ومقامه فثبتت الوجهية له وذكر الخلف والظهر لبشريته فانهم مايرون رؤيته ويرون خلفه وظهره ولما ورثته صلى الله عليه وسلم في هذا المقام وكانت لي هذه كنت أصلي بالناس بالمسجد الازهر بمدينة فاس فاذا دخلت المحراب أرجع بذاتي كلها عينا واحدا فأرى من جميع جهاتي كما أرى قبلتي لايخفى على الداخل ولا الخارج ولا واحد من الجماعة حتى انه ربما يسهو من أدركني في ركعة من الصلاة فاذا سلمت ورددت وجهي الى الجماعة ادعو أرى ذلك الرجل يجبر مافاته فيخل بركعة فأقول له فاتك كذا وكذا فيتم صلاته ويتذكر فلا يعرف الاشياء ولا هذه الاحوال الا من ذاقها ومن كانت هذه حاله فحيث كانت القبلة فهو مواجهها هكذا ذقته بنفسي فلا ينبغي أن يصلي على الراحلة الا صاحب هذا الحال ورأيت مقالة لبعض أهل الظاهر انه لايجوز الوتر الا على الراحلة فقط لا على غير الراحلة من حمار وبغل وفرس ولا على الراحلة الا الوتر فقط فما أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قط على راحلته حيث توجهت الا والقبلة في وجهه كما قررناه ومن كان له مثل هذه الحال يثبت له في صلاته وجميع تصرفاته قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله ووجه الله للمصلي انما هو في قبلته فدل ان من حاله هذا الوصف ويرى القبلة بعين منه تكون في الجهة التي تليها فهو مصل للقبلة

﴿وصل في فصل من نام على وتر ثم قام فبدا له أن يصلي من الليل﴾

فمن قائل يصلي ركعة تشفع له وتره ثم يصلي ماشاء ثم يوتر ومن قائل لايشفع وتره فان الوتر لا ينقلب شفعا بهذه الركعة التي يشفعه بها والتنفل بركعة واحدة غير الوتر غير مشروعة فهو شرع لم يأذن به الله والوتر مختلف فيه بين سنة مؤكدة ووجوب وأين التنفل من السنن المؤكدة أو الصلاة الواجبة والحكم هنا للشرع وقد قال صلى الله عليه وسلم لا وتران في ليلة ومن راعى المعنى المعقول قال ان هذه الركعة الواحدة تشفع تلك الركعة الوترية واتباع الشرع أولى في ذلك بلاشك

﴿اعتبار هذا الفصل﴾ الوتر لايتكرر فان الحضرة الالهية لاتقتضي التكرار لما هي عليه من الاتساع والله واسع عليم ولما كان العلم صفة احاطته قرن معه السعة واشتق له اسمها كما اشتق من العلم فاعلم ذلك فلا وتران في ليلة فأحدية الحق لاتشفعها أحدية كل مخلوق فانه لكل شيء أحدية لابد من ذلك وبأحديته عرف كل شيء أحدية خالقه وهي الآية التي لله في كل شيء الدالة على أحديته وهو الذي أشار اليه القائل بقوله وهو أبو العتاهية وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد ولا يكون لشيء أحديتان فلا يشفع وتره من قام يصلي ممن نام على وتر ومن راعى أحدية الالوهة وأضافها الى أحدية الذات الموصوفة بالالوهة فان أحدية المرتبة لاتعقل الا مع أحدية صاحب المرتبة قال من قام من الليل يريد الصلاة وكان قد نام على وتر يضيف الى تلك الركعة التي نام عليها وهي التي أوتر بها ركعة عند قيامه يشفعها به ثم يصلي بعد تلك الركعة مايشاء مثنى مثنى فاذا خشي الصبح أوتر بواحدة فكل قائل من العلماء له اعتبار خاص يسوغ له فيما ذهب اليه من ذلك

﴿وصل في فصل ركعتي الفجر﴾

ركعتا الفجر قبل صلاة فرض الصبح بمنزلة الركعتين قبل صلاة فرض المغرب فان الصحابة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا سمعوا أذان المغرب تبادروا الى صلاة هاتين الركعتين قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم بحديث عبد الله بن مغفل ذكره مسلم في صحيحه وكان يخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراهم ولا ينكر عليهم وقد قال صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة يريد الاذان والاقامة فانها أذان بلاشك ولا يحافظ على الركعتين قبل المغرب الا من استبرأ لدينه الا أن تعجله الاقامة فانه اذا كانت الاقامة فلا صلاة الا التي أقيم لها وهي سنة متروكة مغفول

عنها ومارأيت فى زماننا من يحافظ عليهما من الفقهاء الاصاحبنا زين الدين يوسف بن ابراهيم الشافعى الكردى وفقه الله لذلك وفى هاتين الركعتين قبل صلاة المغرب من الاجر مالايعلمه الاالله فان لله بين كل أذان واقامة تجل خاص واطلاع فمن ناجاه فى ذلك الوقت اختص بأمر عظيم وهو كاقلنا فى الخبر المروى الذى صححه الكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة يريد الاذان والاقامة فسماها أذانا لانها اعلام بالقيام الى الصلاة وحضور الامام كما يقال فى الشمس والقمر القمران فى لسان العرب وكذلك العمران فى أبى بكر وعمر وهى صلاة الاولياء الاوابين وكان الصدر الاول شديد المحافظة عليهما وسبب ذلك التوفيق الالهى أن النفل عبودية اختيار والفرض عبودية اضطرار فيحتاج فى عبودية الاضطرار الى حضور تام بمعرفة ماينبغى للسيد المعبود من الآداب والجلال والتنزيه فتقوم عبودية الاختيار لها كالرياضة للنفس وكالعزلة بين يدى الخلوة فان دخول العبد للفرض من النفل ما يكون مثل دخوله من الفعل المباح لانه لابدأن يبقى للداخل فى خاطره مماتقدم له قبل دخوله أثر فلهذا حافظ عليهما من حافظ وركعتا الفجر كذلك فان النافلة قبل الفرض كصدقة من الشخص على نفسه يقول الله اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة فما ظنك بمناجاة الحق تعالى آكد وأوجب وحكم ركعتى الفجر سنة بالاتفاق فان النبى صلى الله عليه وسلم قضاها بعد طلوع الشمس حين نام عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس فصلاهما ثم صلى الصبح وماهى عندنا قضاء وانه صلاها فى وقتها كما صلى الصبح فى وقتها فان ذلك وقت صلاة النائم والناسى فلا يقال قضاها على اصطلاح الفقهاء

﴿وصل فى فصل القراءة فى ركعتى الفجر﴾

استحب بعضهم أن يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فقط وقال بعض العلماء لابأس أن يضيف الى أم القرآن سورة قصيرة وقال بعضهم ليس فى القراءة فى ركعتى الفجر توقيت يستحب والذى أذهب اليه أن يوجز فيهما ويخفف فى كمال بلا توقيت والفاتحة لابد منها فانها عين الصلاة فى الصلاة ومن لم يقرأ بها فى صلاته فما صلى وقد وردت السنة بتحسينهما وان زاحمك الوقت ﴿وصل فى اعتبار هذا الفصل﴾ سبب التخفيف فيهما من السنة للخبر الوارد ان مقدار الزمان فى محاسبة الله عباده يوم القيامة بأجمعهم كركعتى الفجر فكان يخففهما رحمة بأمته وهى بالجملة صلاة فحكمها حكم الصلاة وماعدا الفرائض وان كانت عبودية اختيار فان فى ركعتى الفجر شبهة عبودية اضطرار لما تتضمنه صلاة النفل من الفرائض فالعبد فى النافلة وماعدا الفرائض من الصلوات بمنزلة عبد قد عتق منه شقص أو بمنزلة المكاتب أو بمنزلة المدبر فان فى هؤلاء من روائح الحرية ماليست للعبد الذى ماله هذه الحالات فالسنن من النوافل حال العبودية فيها حال المكاتب والمدبر والنافلة التى ليست بسنة أى ليست من فعله صلى الله عليه وسلم دائما ولا من نطقه بتعيينه بمنزلة عبد عتق منه شقص فهو حر من حيث انه عتق منه ماعتق وهو عبد من حيث مابقى منه دون عتق مابقى فهذه حالة فى العبودية بين عبودية الاضطرار وعبودية الاختيار كالسنن بين الفرائض والنوافل سواء فأما من رأى فى القراءة فيها الفاتحة فقط فلأنها الكافية فان بها يصح أنه صلى وأما من زاد السورة بعد الفاتحة فليعلم المنزلة التى حصلت له من هذه الخاصة لان السورة بالسين هى المنزلة قال النابغة فى ممدوحه

ألم تر ان الله أعطاك سورة ٭ ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمس والملوك كواكب ٭ اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وسور القرآن منازله وكما أنه لكل سورة آيات كذلك لكل منزلة لاحد عند الله دلالات وأوضحها المعرفة بالله فالتأييد فى الافصاح عنها وهذه الدلالة سيدة الدلالات كآية الكرسى سيدة آى القرآن فهو قرآن من حيث مااجتمع العبد والرب فى الصلاة وهو فرقان من حيث ماتميز به العبد من الرب مما اختص به فى القراءة من الصلاة والعبد فى الفاتحة قد أبان الحق بمنزلته فيها وانه لاصلاة له الابها فانه تعرفه بمنزلته من ربه وانها منزلة مقسمة بين عبد ورب كما ثبت فينبغى للعبد أن يقرأ سورة بعد الفاتحة من غير أن تتقدمه روية فيما يقرأ من السور والآيات من سورة واحدة أو من سور فان تقدم الروية فى تعيين مايقرأ بعد الفاتحة يقدح فى علم من يريد الوقوف على وجه الحق فى منزلته عند الله فهو الخاطر الاول

فاذا فرغ المصلي من قراءة فاتحة الكتاب قرأ ما تيسر له من القرآن وما يجري الله على لسانه منه من غير أن يختار آية معينة أو يتردد فينظر آية سورة يقيمه الله فيها أو أي آية من سورة أو سور يجري الله على لسانه ان لم يكمل السورة بالقراءة فيعلم بذلك العالم الحاضر المراقب منزلته من الله في ذلك الوقت التي حصلت له من قراءة فاتحة الكتاب من قسمه الذي له منها ومن قسم ربه بجزأيها كان منه من الثناء على ربه والسؤال بالسورة التي يقرؤها فان أتمها فالمنزلة له بكمالها بلا شك وان اقتصر منها على ما اقتصر حظه منها أي من تلك المنزلة بحسب ما اقتصر عليه منها والسنة اتمام السورة في الخبر الصحيح يقال لقارئ القرآن يوم القيامة اقرأ وارق فان منزلتك عند آخر آية تقرأ فاختر لنفسك أيها الانسان واصغ الى ما يلوح لك البرهان

﴿وصل في فصل صفة القراءة فيهما﴾

فمن العلماء من استحب الاسرار ومنهم من استحب الجهر ومنهم من خير والذي أذهب اليه اذ لم يرد في ذلك نص توقف عنده أن يسمع بالقراءة نفسه من جهة سمعه بحيث أن لا يسمع غيره قراءته وهي حالة بين الجهر والاسرار مناسبة لوقتها فان وقتها وقت برزخي بين الليل والنهار ما هو ليل فيجهر ولا هو نهار فيسر ولولا ان النص في قراءة فرض الصبح ورد بالجهر لكان الحكم فيها كذلك ثم صلاة المغرب جمعت بين الجهر لما فيها من الليل وبين الاسرار لما فيها من النهار فأشبهت في الوقت النائم فان النائم في موطن برزخي فيكون النائم يرى في نومه صيحات وزعقات وأمورا عظاما والذي الى جانبه لا يعلم بما هو فيه هذا النائم فعاملة الوقت بهذه الصفة من القراءة أولى للمناسبة وليفرق بمثل هذه الصفة في القراءة بينها وبين قراءة صلاة الصبح لتتميز من الفريضة ومن الحكمة تميز المراتب وارتفاع اللبس في الاشياء ومع هذا فالذي عندي أنه مخير والذي يقول بالجهر يلحقها بصلاة الليل لان الليل ما لم تطلع الشمس في العرف لا في الشرع والذي يسرها يجعل طلوع الفجر من النهار المشروع للصائم الامساك فيه ولم يعتبر ذلك في المغرب وسماه ليلا لقوله ثم أتموا الصيام الى الليل وللشرع أن يعتبر المعنى الواحد باعتبارين في وقتين أو من وجهين له ذلك وقد قيل في تفسير قوله وفار التنور يريد ضوء الفجر وهو المعلوم من لسان العرب فاذا فار التنور وظهر انبغى للعبد أن يكون في صلاة ركعتي الفجر كما قال تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وطلوع الفجر تجل رحماني للمعاش كطلوع الليل للسكون يقول تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله لما يتضمنه النهار غالبا من الحركات في المعاش وقوام النفوس ومصالح الخلق وتنفيذ الاوامر واظهار الصنائع واقامة المصنوعات في نشأتها وتحسين هيآتها فهو تجل الهي رحماني بهذا العالم فلهذا استحببنا الاسرار بحيث أن يسمع نفسه فلا تسمع الا همسا أي صوتا خفيا خشوعا لله تعالى وخضوعا وأدبا مع الحق وانما شرع الجهر في الصبح عند هذا التجلي لانه مأمور أمر فرض واجب بالكلام من الله فهو يتكلم عن أمر الهي يعصي بتركه اذا قصده على حسب ما شرع له كما قال تعالى في حق هذا الفرض عند هذا التجلي الذي ذكرناه في مثل هذا اليوم يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا فورد الاذن فتعين الجهر والنافلة ليست لها هذه المرتبة في هذا التجلي فلا تسمع في النافلة الا همسا فحصل الفرق بين المأمور والمختار والله الهادي

﴿وصل في فصل﴾

من جاء الى المسجد ولم يركع ركعتي الفجر فوجد الصلاة تقام أو وجد الامام يصلي فمن الناس من جوز ركوعهما في المسجد والامام يصلي ومن الناس من قال لا يركعهما أصلا في هذا الحال وبه أقول ومن الناس من قال لا يخلو اما أن يكون خارج المسجد أو داخل المسجد فان كان قد دخل المسجد فلا يركعهما وان كان لم يدخل بعد فاختلف أصحاب هذا القول في الذي يكون خارج المسجد وقد سمع الاقامة أو قد رأى الامام يصلي والناس يصلون فمنهم من قال ان لم يخف أن يفوته الامام بتلك الركعة فليركعهما وان خاف فلا يركعهما ويدخل مع الامام في الصلاة ويقضيهما بعد طلوع الشمس وقال المخالف يركعهما من هو خارج المسجد ما غلب على ظنه انه مدرك ركعة واحدة مع الامام من صلاة الصبح

﴿وصل الاعتبار في هذا الفصل﴾ يبطل التيمم مع وجود الماء والقدرة على استعماله ولا شك انه كل مازاد على الفرض فهو نافلة سواء وكد أولم يوكد فان الفرض آكد منه بلا شك والوقت للفرض بالاقامة الحاصلة فقد أخرت النافلة اذ لا تتحقق الزيادة على الشيء الا بعد حصول الشيء فان الزيادة تؤذن بوجود من ادعليه متقدم في الوجود وهو الفرض وهو الاصل في التكليف وكذلك هو في نفس الامر فان الفرض هو المشروع الذي يأثم تاركه والنفل انما يكون بعد ثبوته فان كونه زائد ايبطل فانه لما يكون زائدا وما ثبت أمر قبله يزيد عليه هذا فيصح عليه اسم الزائد ومن اعاة الاصول أولى فالدخول مع الامام في الصلاة أو عند سماع الاقامة أولى من صلاة ركعتي الفجر وقد غلظ في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهر الكراهة لمن فعل ذلك وقال لمن صلاهما وصلاة الصبح تقام أتصلي الصبح أربعا يكرّر عليه كارها منه ذلك الفعل وهذا هو عين الدليل على جوازها مع الكراهة فانه صلى الله عليه وسلم ما أمره أن يقطعها ولا أن يخرج عنها فلو فعل محظورا ما أبقاه عليه فثبت انه عمل مشروع لا يبطله من شرع فيه فان الله يقول ولا تبطلوا أعمالكم ولكن لا يعود اليه بعد علمه بأن الشرع يكرهه وانما يكره له الشروع فيه

﴿وصل بل فصل في وقت قضاء ركعتي الفجر﴾

فمن قائل يقضيها بعد صلاة الصبح وبه أقول وقال قوم يقضيها بعد طلوع الشمس وأصحاب هذا القول اختلفوا فمنهم من جعل لها هذا الوقت غير متسع ومنهم من وسع فقال يقضيها من لدن طلوع الشمس الى وقت الزوال ولا يقضيها بعد الزوال والقائلون بالقضاء منهم من استحب ذلك ومنهم من خير ﴿وصل الاعتبار في هذا الفصل﴾ كل حق لله واجب أو مرغب فيه اذا فات وقته لم يقيده وقت فان الشرع ما قيده فليؤدّه قاضيا متى شاء ما لم يمت الا أن يكون عن نسيان فهو مؤدّ وذلك وقته ولا يكون قاضيا فقط في نوم ولا نسيان

﴿وصل في فصل الاضطجاع بعد ركعتي الفجر﴾

فذهب قوم الى وجوبها وبه أقول للامر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب قوم الى أنها سنة وذهب قوم أنه مستحب ولم يره قوم ولا شك ولا خفاء على كل من عرف شرع الله من المحدثين لا من الفقهاء الذين يقلدون أهل الاجتهاد كفقهاء زماننا ولا علم لهم بالقرآن ولا بالسنة وان حفظوا القرآن ورأوا فيه ما يخالف مذهب شيخهم لم يلتفتوا اليه ولا عملوا به ولا قرؤا على جهة اقتباس العلم واعتمدوا على مذهب امامهم المخالف لهذه الآية والخبر ولا عذر لهم عند الله في ذلك فأول من يتبرأ منهم يوم القيامة امامهم فانهم لا يقدرون أن يثبتوا عنه انه قال للناس قلدوني واتبعوني فان ذلك من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم فان قالوا فالله أمرنا باتباعهم فقال فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقد سألناهم فأفتونا قلنا لهم انما نسألهم لينقلوا الينا حكم الله في الامور لا رأيهم فانه قال أهل الذكر وهم أهل القرآن فان الذكر هو القرآن فاذا وجدنا الحكم عند قراءتنا القرآن مخالفا لفتواه تعين علينا الاخذ بكتاب الله أو بالحديث وتركنا قول ذلك الامام الا أن ينقل الينا ذلك الامام الآية أو الخبر فيكون عملنا بالآية أو الخبر لا بقوله فحينئذ ليس لنا أن نعارضه بآية أخرى ولا خبر لعدم معرفتنا باللسان وبما يقتضيه الحكم فان كان لنا علم بذلك فنحن واياهم سواء وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضطجع بعد ركعتي الفجر وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة الامر بالاضطجاع لكل من ركع ركعتي الفجر فالذي أذهب اليه أن تارك الاضطجاع عاص وان الوجوب يتعلق به فليضطجع ولا بدّ ولو قضاه متى قضاه وان كانت الفاء تعطي التعقيب فان بعض المتأخرين من المجتهدين الحفاظ من أهل الظاهر قال ان صلاة الصبح لا تصح لمن ركع ركعتي الفجر ولم يضطجع فان لم يركع ركعتي الفجر صحت صلاة الصبح عنده ﴿وصل الاعتبار في هذا الفصل﴾ الاضطجاع بعد ركعتي الفجر وقبل صلاة الصبح لان الكراهة قد تعلقت بالمكلف فانه لا يصلي بعد طلوع الفجر الا ركعتي الفجر ثم يصلي الصبح فقد أشبهت الفريضة فجاء الاضطجاع بينها وبين صلاة الصبح لتتميز السنة من الفرض وليقوم الى الفرض من اضطجاع حتى يعلم أنه قد انفصل عن ركعتي الفجر فانه لو قام الى الصبح بعد ركعتي الفجر لا لتبست بالرباعية من

الصلوات ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن صلاها والمؤذن يقيم أتصلى الصبح أربعا فيستحب أن يفصل بينهما وبين الصبح بأمر يعرف الحاضر أنه قد انفصل عن صلاة الفجر فشرع النبي صلى الله عليه وسلم الاضطجاع فعلا وأمر افعل وأمر فلا حجة للمخالف عن التخلف عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولا عن الاقتداء به والله يقول لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر فانظر منزلة من لم يقتد في نقيضها

﴿وصل في فصل النافلة﴾

هل تثنى أو تربع أو تثلث فما زاد فمن قائل تثنى ولا بد أن يسلم في كل ركعتين ليلا أو نهارا ومن قائل بالتخيير ان شاء ثنى وثلث وربع وسدس وثمن وماشاء ومن قائل بالتفريق بين صلاة النهار فقال يربع ان شاء وصلاة الليل مثنى مثنى والذى أقول به في غير الوتر هو مخير بين أن يسلم من اثنتين وهو أولى ولاسيما في صلاة الليل ويربع في صلاة النهار ان شاء ولاسيما في الاربع قبل الظهر وان شاء سدس وثمن وماشاء من ذلك واما التثليث والتخميس والتسبيع من النوافل فذلك في صلاة الوتر فانه ماجاء شرع بافراد ركعة في غير الوتر ولكن هو مخير ان شاء لم يسلم ويجلس في كل ركعتين الى الثالثة والخامسة والسابعة وان لم يجلس الا في آخرها من الشفع ثم يقوم الى الواحد وان شاء لم يجلس الا في آخر الركعة الوترية ويؤخر السلام في الاحوال كلها الى الركعة الوترية ﴿وصل الاعتبار في هذا الفصل﴾ لما كان الشروع فيهما مبنيا على الاختيار كان الاختيار أيضا في القدر من ذلك من غير توقيت فانه ماورد من الشرع في ذلك منع ولا أمر بالاقتصار على ماوقع في ذلك من فعله صلى الله عليه وسلم واتباع السنة أولى وأحق وان جوّز ذلك لمن وقع منه فترجح الاتباع والاقتداء على الابتداع وان كان خيرا فان الفضل في الاتباع والاتباع أليق بالعبد وأحق بمرتبته من أن يبتدع من نفسه فان في الابتداع والتسنين ضربا من السيادة والتقدم ولولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض له أن يسن ماسن وكان يقول صلى الله عليه وسلم اتركوني ماتركتكم وكره المسائل وعابها وما فرض على غيره أن يسن ولوشغل الانسان نفسه باستعمال السنن والفرائض لاستغرق أوقاته ولم يتسع له أن يسن هيهات تحجاب الانسان بر ياسته عن سياسته والذى أعتمد عليه من السنن المنطوق بها والثابتة من فعله صلى الله عليه وسلم صلاة ركعتى الفجر وأربع ركعات في أول النهار وأربع ركعات قبل الظهر وأربع ركعات بعد الظهر وأربع ركعات قبل العصر وركعتين قبل المغرب وست ركعات بعد المغرب وثلاث عشرة ركعة بالليل منها الوتر وأربع ركعات بعد صلاة الجمعة فما زاد على ذلك فهو خير على خير ونور على نور وان صلى ست ركعات بعد الظهر ليجمع بين فعله و بين ماحض عليه وهى الاربع كان أولى وللناس في هذا مذاهب وماذكرت الاما اخترته مماجاء به النص أو الفعل والحديث العام الصلاة خير موضوع والاستكثار من الخير حسن ولكن الذى ذكرناه من حسنه وطول فيه في أفعال ذلك وتدبر قراءتها وأذكارها أخذ من الزمان بقدر الذى يكثر الركوع بالتخفيف والذى ذهبنا اليه أولى وعليه أدركت شيوخنا من أهل الله وقد ورد في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يقوم من الليل فيصلى ركعتين فيا حسنهن ويا طولهن وكان ركوعه قريبا من قيامه ورفعه من الركوع قريبا من ركوعه وسجوده كذلك فكانت صلاته قريبا من السواء والاصل الركوع فتكون أفعال الصلوات في الخفض والرفع من نسبة الركوع فيها في حال الوقت من الطول والقصر ومن السنة الركعة الاولى أطول من الثانية وكل مازاد قصر عن التى قبلها وكذلك في الفرائض فاعلم ذلك انتهى الجزء الخامس والاربعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿وصل في فصل قيام شهر رمضان﴾

ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه فهو مرغب فيه وهو المسمى التراويح والاشفاع لان صلاته مثنى مثنى واختلفوا في عدد ركعاتها التى يقوم بها الناس في رمضان ما المختار

منها اذلانص فى ذلك فاختار بعضهم عشرين ركعة سوى الوتر واستحسن بعضهم ستاوثلاثين ركعة والوتر ثلاث ركعات وهو الامر القديم الذى كان عليه الصدر الاول والذى أقول به فى ذلك أن لاتوقيت فيه فان كان ولا بدّ من الاقتداء فالاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فانه ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه مازاد على ثلاث عشرة ركعة بالوتر شيأ لافى رمضان ولافى غيره الا انه كان يطوّلهنّ ويحسنهنّ فهذا هو الذى اختاره ليجمع بين قيام رمضان والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ﴿وصل الاعتبار فى هذا الفصل﴾ رمضان اسم من أسماء الله تعالى فالقيام فى هذا الشهر من أجل هذا الاسم لانه اذا ورد وجب القيام له قال تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ورمضان اسمه سبحانه فيقوم العارف اجلالا لهذا الاسم الذى اختص به هذا الشهر الكريم هذا يحضر العارف فى قيامه ثم ان لهذا الشهر من نعوت الحق حكماليس لغيره وهو فرض الصوم على عباد الله وهو صفة صمدانية يتنزه الانسان فيها عن الطعام والشراب والنكاح والغيبة وهذه كلها نعوت الهية يتصف بها العبد فى حال صومه فاذا جاء الليل قام العبد بين يدى الحق بصفاته التى كان عليها فى نهاره وفرض له القيام فى وقت الفطر ليعلم أنه عبد فقير متغذ ليس له ذلك التنزه حقيقة وانما هو أمر عرض له ينبهه على التخلق بأوصاف الله من التنزيه عن حكم الطبيعة ولهذا أخبرنا تعالى فى الحديث المروى عنه ان الصوم له وكل عمل ابن آدم لابن آدم يقول ان التنزه عن الطعام والشراب والنكاح لى لالك ياعبدى لانى القائم بنفسى لا أفتقر فى وجودى الى حافظ يحفظه علىّ وأنت تفتقر فى وجودك لحافظ يحفظه عليك وهو أنا فجعلت لك الغذاء وأفقرتك اليه لينبهك انى أنا الحافظ عليك وجودك ليصح عندك افتقارك ومع هذا الافتقار طغيت وتجبرت وتكبرت وتعاظمت فى نفسك وقلت من هو مثلك أنا ربكم الأعلى وماعلمت لكم من اله غيرى وأنا وأنا وأنا وما استحييت فى ذلك من فضيحتك بجوعك وعطشك وبولك وخراءتك وتألمك بالحرّ والبرد والآلام العارضة يا ابن آدم رهصتك ثلاث رهصات الفقر والمرض والموت ومع ذلك انك وثاب فقيام رمضان قيام فى الله فمن كان الحق ظرفه فان الله بكل شئ محيط فهذا معنى الظرفية فليس له خروج عنه فاحاطته بك فى رمضان احاطة تشريف وتنزيه حيث شرع لك فرضا فى عبوديتك الاضطرارية للاتصاف بما ينبغى له لالك وهو التنزه عن الغذاء وملابسة النساء طول النهار وهو النصف من عمر وجودك ثم تستقبل الليل فتخرج من ربوبيتك المنزهة عن الغذاء والنكاح الى عبوديتك بالفطر والكل رمضان فأنت فى رمضان كما أنت فى الصلاة من قوله قسمت الصلاة بينى وبين عبدى بنصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى كذلك رمضان قسمه بينه وبين عبده بنصفين نصف له وهو قوله الصوم لى وهو زمان النهار والنصف للعبد وهو الليل زمان فطره وقد قال فى الصلاة انها نور وقال فى الصوم انه ضياء والضياء هو النور قال تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء وقال وجعل الشمس سراجا وشرع القيام فى ليل رمضان ورغب فيه للمناسبة التى بين الصلاة والصوم فى القسمة والنور ليكون ليله بصلاته مثل نهاره بصومه فبالنهار يتحد به وبالليل يتوحد له كما قلنا

اذا صحت عزائمنا ❊ ففى الاسرار نتحد

والعزيمة النية والنية شرط فى الصوم من الليل فنحن فى الصوم مع الحق كما قالت بلقيس فى عرشها كأنه هو وهو كان هو وانما جهلها أدخل كاف التشبيه كذلك جهل الانسان يقول أنا الصائم وكيف ينبغى للمتغذى أن يكون صائما هيهات قال الله الصوم لى لالك فأزال عنه دعوى الصوم كما أزال عن بلقيس تشبيه العرش بعرشها فعلمت بعد ذلك انه هو لاغيره فهذا معنى قولنا اذا صحت عزائمنا ففى الاسرار نتحد فان قلت الصائم هو الانسان صدقت وان قلت الصوم لله لاللانسان صدقت ولامعنى للاتحاد الاصحة النسبة لكل واحد من المتحدين مع تميز كل واحد عن الآخر فى عين الاتحاد فهو هو وما هو هو كما قلنا فى بعض مانظمناه فى هذا المعنى فى حال غلب على

لست أنا ولست هو ❊ فمن أنا ومن هو هو ❊ فما هو قل أنت أنا ❊ ويا أنا هو أنت هو

لا وأنا ماهو أنا ❊ ولا هو ماهو هو ❊ لوكان هو مانظرت ❊ أبصارنا به له

ما

مافى الوجود غيرنا ◦ أنا وهو وهو وهو ◦ فمن لنا بنا لنا ◦ كماله به له

ولما رأينا فيما روينا أن الله أنزل لقاءه منزلة فطر الصائم فقال للصائم فرحتان فرحة عند فطره لانه غذاء طبيعته وهو الغذاء الحجابى اذ المغذى هو الله تعالى وفرحة عند لقاء ربه وهو غذاؤه الحقيق الذى به بقاؤه فجعل هاتين الفرحتين للصائم فى الحجاب وفى رفع الحجاب فنظمنا فى شرف الرغيف اذ هو الغذاء المعتاد عندنا وله الشكل الكرى وهو أفضل الاشكال فخصصنا الرغيف بالذكر دون غيره من الامور التى يكون بها الغذاء فقلنا فيما سخر الله فى حقه من العالم وطلب الهمم كلها جهته لتصل اليه فان كل حيوان يطلب غذاءه بلاشك بل كل موجود حتى مالا يقال فقلنا

اذا عاينت ذا سير حثيث ◦ فذاك السير فى طلب الرغيف
لان الله صيره حجابا ◦ على اسميه المهيمن واللطيف
به وله تجارات الدرارى ◦ وأرواح اللطائف والكثيف
وتسخير العناصر والبرايا ◦ وتكوين المعادن فى الكهوف
وتسيير المثقفة الجوارى ◦ بموج البحر والريح العصيف
وقطع مهامه فيح تبارى ◦ بها الانعام بالسير العنيف
فمن شرف الرغيف يمين ربى ◦ عليه للوضيع وللشريف
يضج الخلق ان عدموه وقتا ◦ عن اذن الواحد البر الرؤف
له صلوا وصاموا واستباحوا ◦ دم الكفار والبر العفيف
له تسعى الطيور مع المواشى ◦ له يسعى القوى مع الضعيف
فمن ساع له من غير شك ◦ وللسبب الثقيل أو الخفيف
هو المعنى ونحن اذا نظرنا ◦ به عند التفكر كالحروف
هو الجود الذى ما فيه شك ◦ فيا شوقى لذا الجود الظريف
فديتك من رغيف فيه سر ◦ جلى بالتليد وبالطريف
فقل للمنكرين صحيح قولى ◦ لقد غبتم عن المعنى الطريف
أليس الله صيره عديلا ◦ لرؤيته على رغم الانوف

فالصفة التى يقوم بها المصلى فى صلاته فى رمضان أشرف الصفات لشرف الاسم لشرف الزمان فاقام الحق قيامه بالليل مقام صيامه بالنهار الا فى الفرضية رحمة بعبده وتخفيفا ولهذا امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقومه بأصحابه لئلا يفترض عليهم فلا يطيقونه ولو فرض عليهم لم يثابروا عليه هذه المثابرة ولا استعدوا له هذا الاستعداد ثم الذين ثابروا عليه فى العامة يؤدونه أشأم اداء أو نقصه لا يذكرون الله فيه الا قليلا لا يتمون ركوعه ولا سجوده ولا يرتلون قراءته وماسنه من سنه أعنى من الاجتماع على قارئ واحد على ماهم الناس اليوم عليه من المتميزين من الخطباء والفقهاء وأئمة المساجد وفى مثل صلاتهم فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل ارجع فصل فانك لم تصل فمن عزم على قيام رمضان المسنون قيامه المرغب فيه فليقم كما شرع الشارع الصلاة من الطمأنينة والخشوع والوقار وتدبر ما يتلى والانزكه أولى والقيام فيه أول الليل كما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فى الليلتين أو الثلاثة منه أولى ويكون فى المسجد أولى منه فى البيت بخلاف سائر النوافل وانما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بيته وصلى فيه رحمة بأمته ان يفترض عليهم فيعجزوا عنه أو يتكاسلوا وهو كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وقال بالمؤمنين رؤف رحيم والصلاة فيه مثنى مثنى كما ورد فى الخبر فى صلاة الليل انها مثنى مثنى

﴿وصل فى فصل صلاة الكسوف﴾

وانها سنة بالاتفاق وانها فى جماعة واختلفوا فى صفتها والقراءة فيها والاوقات التى تجوز فيها وهل من شرطها

الخطبة أم لا وهل كسوف القمر فى ذلك مثل كسوف الشمس الخلاف فى صفتها وردت فيها روايات مختلفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين ثابت وغير ثابت وما من رواية الا وبها قائل فأى شخص صلاها على أى رواية كانت جازله ذلك فانه مخير فى عشر ركعات فى ركعتين و بين ثمان ركعات فى ركعتين و بين ست ركعات فى ركعتين و بين أربع ركعات فى ركعتين وان شاء صلى ركعتين ركعتين على العادة فى النوافل حتى تنجلى الشمس وان شاء دعا الله تعالى بتضرع وخشوع حتى تنجلى فاذا انجلت صلى ركعتين شكرا لله تعالى وانصرف والعمل على هذه الرواية أحب الى لما فيها من احترام الجناب الالهى والرحمة بالامة المصلين لها فانهم لاستيلاء الغفلات والبطالة عليهم لا يقومون بشروط ما تستحقه الصلاة من الحضور والآداب فربما يمقت المصلى ولا يشعر أو تثقل عليه تلك العبادة فيتبرم منها فلذلك جعلنا رواية الدعاء من غير صلاة أولى فانه فى حقهم أحوط وكان العلاء بن زياد يصلى لها فاذا رفع رأسه من الركوع نظر اليها فان كانت انجلت سجد وان لم تكن انجلت مضى فى قيامه الى أن يركع ثانيا فاذا رفع رأسه من الركوع نظر الى الشمس فان انجلت سجد والا مضى فى قيامه حتى يركع هكذا حتى تنجلى ﴿وصل الاعتبار﴾ الكسوف آية من آيات الله يخوف الله به عباده فاذا وقع فالسنة أن يفزع الناس الى الصلاة كسائر الآيات المخوفات مثل الزلازل وشدة الظلمة واشتداد الريح على غير المعتاد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكسوف فقال اذا تجلى الله لشئ خشع له كل شئ والحديث غير ثابت من طريق الرواية صحيح المعنى وعندنا ان التجلى لا زال دائما وانما يجهل الناس به أداهم الى أن يقولوا أو يقال لهم مثل هذا لعدم علمهم بخرق العادة انما هو فى أن يعلم خاصة كما كان خرق العادة فى اسماع السامعين تسبيح الحصى وما زال الحصى مسبحا ولا شك ان النفوس ما تنبعث وتهتز الا للآيات الخارقة للعادة والآيات الالهية منها معتاد وغير معتاد والقرآن قد ورد فى الآيات المعتادة كثير فى قوله ومن آياته ومن آياته ويذكر أمورا معتادة ثم يقول ان فى ذلك لآيات ولكن لا ترفع العامة بها رأسا لجرى العادة واستيلاء الغفلة وعدم الحضور وسبب كسوف الشمس والقمر معروف والذى لا يعرف كونه عن تجل الهى الا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم أو عارف صاحب كشف وقد جعل الله الكسوف آية على ما يريد أن يحدثه من الكوائن فى العالم العنصرى وفى العالم الذى يظهر فيه الكسوف وفى الزمان فانه قد يكسف ليلا فلا أثر له عندنا ويكون الحدث أيضا بحسب البرج الذى يقع الكسوف فيه وهو علم قطعى أعنى علم وقوع الكسوف لا علم ما يحدث الله فيه أو عنده و يكون الكسوف فى مكان أكثر منه فى مكان آخر وفى مكان دون مكان ويبتدئ فى مكان وفى مكان آخر ما ابتدأ بل هو على حاله وهذا كله يعرفه العلماء به فانه راجع الى حركات معلومة معدودة عند أهل هذا الشأن وسبب كسوف الشمس من القمر اذا كان فى مسامتتها فعلى قدر ما يسامتها منه يغيب منها عن أبصارنا فذلك الظل الذى نراه فى الشمس هو من جرم القمر وقد يحجبها كلها فيظلم الجو فيقع الابصار على جرم القمر فتتخيل العامة ان ذلك المرئى هو ذات الشمس والشمس نيرة فى ذاتها على عادتها الى أن يشاء الله تكويرها ولذلك يعرف زمان كسوفها ومقداره عند العارفين بتسيير الكواكب ولا يكون أبدا الا فى آخر الشهر العربى فان القمر فى ذلك الزمان يكون فى المحاق والاحتراق تحت الشعاع فان أعطى الحساب ما يؤدى الى المسامتة عندنا وقع الكسوف بلا شك وكذلك كسوف القمر انما هو أن يحول ظل الارض بينه و بين الشمس فعلى قدر ما يحول بينهما يكون الكسوف فى ذلك الموضع ولهذا يعرف والخطأ فيه قليل جدا ولو لم يكن الامر على هذا ما علم فان الامور العوارض لا تعلم الا باعلام الله على لسان من شاء من عباده وعندنا هى عوارض لا فى نفس ما رتب الله فى ذلك عنده ما أوحى فى كل سماء أمرها والامور الجارية على أصولها ثابتة لا تنخرم يعلمها العلوم بتلك الاصول وهى معتادة موضوعة لله تعالى واضعها ما هى عقلية ولا رسب ذلك طبيعى ولهذا يجوز خرق العادة فيها وهكذا كل موضوع الى أن يخرم الله ذلك الاصل فلله المشيئة فى ذلك وله الامر من قبل ومن بعد ولذلك لا يقال فى حكم المنجم انه علم لأن الاصول التى يبنى عليها انما هى عن وضع الهى وترتيب عالم حكيم استمرت به العادة ما ذلك لذواتها وما كان بالوضع قد يمكن زواله فان الواضع له قد يضعه الى أجل مخصوص معين ما عندنا

علم به فما من زمان نقدره الا و يجوز تغيير ما وضع فيه من الامور فان لم يكن فبارادة الواضع لا بنفسه وما كان بهذه المثابة لا يكون القائل بوقوعه على علم قطعي ولو وقع فانه لا يعرف ما في نفس الواضع الا بجهتين اما أن يكون هو المعرف بما في نفسه وهو الصادق وأما بعد ظهور الشئ فيعلم انه لولا ما كان في نفس الواضع ما وقع والواضع هو الله تعالى وجل فالعالم المؤمن يقول في مثل هذا ان أبقى الله الترتيب على حاله وسيره في المنازل على قدره ولم يخرق العادة فيه فلا بدّ أن يقع هذا الامر الذي ذكرناه فلهذا ينفي العلم عن المنجم وكل ما هو مثله من حظ الرسل وغيره فضوء القمر لما كان مستفادا من الشمس أشبه النفس في الاخذ عن الله نور الايمان والكشف واذا كملت النفس وصح لها التجلي على التقابل وهي ليلة البدر وربما التفتت الى طبيعتها فظهرت فيها ظلمة طبيعتها فحالت تلك الظلمة بينها وبين نورها العقلي الايماني الالهي كما حال ظل الارض بين القمر الذي هو بمنزلة النفس وبين نور الشمس فعلى قدر ما نظرت الى طبيعتها انحجبت عن نور الايمان الالهي فذلك كسوفها فهذا كسوف القمر وأمّا كسوف الشمس فهو كسوف العقل فان الله خلقه ليعقل عن الله ما يأخذ عنه فحالت النفس التي هي بمنزلة القمر بينه وبين الحق تعالى من حيث ما يأخذ عنه من اسمه النور سبحانه من كون نسبته الى الارض من قوله وهو الله في السموات وفي الارض وقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله فيريد العقل أن يأخذ عن الحق من علم ما يوجده في الارض فتحول النفس بينه وبين علم ما يوجده في الارض بشهواتها حتى لا ينظر اليه سبحانه فيما يحدثه فيها والارض عبارة عن عالم الجسم فيحجب العقل لحجاب النفس الحيوانية الشهوانية فذلك بمنزلة كسوف الشمس فلا تدركها أبصار الناظرين ممن هو في تلك الموازنة ويفوت العقل من العلم بالله بقدر ما انحجب عنه من عالم الاجسام فلهذا شرع الله التوجه الى مناجاته المعبر عن ذلك بصلاة الكسوف وشرع الدعاء لرفع ذلك الحجاب فان الحجاب جهل و بعد في الحال الذي ينبغي له الكمال ولهذا لم يكن الكسوف الا عند الكمال في النيرين في القمر ليلة بدره وهو كماله في الاخذ من الوجه الذي يلينا وكسوف الشمس في ثمانية وعشرين يوما من سير القمر في جميع منازل الفلك فلما وصل الى نهايته وأراد أن يقابل الشمس من الوجه الآخر حتى يأخذ عنها على الكمال في عالم الارواح مثل أخذه في الرابع عشر في عالم الاجسام النازل ليفيض من نوره على أبصار الناظرين انعاما منه فاشتغلت الشمس باعطائها النور للقمر في عالم الارواح العالم العلوي اسعافا لطلبته واكراما لقدومه عليها في حضرتها كان الكسوف لهذا الاسعاف ولهذا لا يكون للكسوفات حكم في الارض الا في الاماكن التي يظهر فيها الكسوف وأما الاماكن التي لا يظهر فيها الكسوف فلا حكم يظهر فيها له ولا أثر أي ما يفعل الله عند ذلك شيأ في العالم من الكوائن التي يفعلها عند ظهور الكسوف اذ لا فاعل الا الله فان الامور بتقدير العزيز العليم صنعة حكيم حتى ان الشمس اذا أعطى الحساب أنها تكسف ليلا لم يكن لذلك الكسوف حكم في ظاهر الارض التي لم يظهر الكسوف فيها وكذلك كسوف القمر في الحكم فكذلك ظاهر الانسان و باطنه فقد يقع الكسوف في الاعمال أي في العلم الذي يطلب العمل بالاحكام المشروعة وقد يقع في العلوم التي تتعلق بالباطن ولا حكم لها في الظاهر فتؤثر في موضع تعلقها اما في علم العمل واما في العلم الذي لا يطلب العمل بحسب ما يقع فيتعين على من تكون حالته مثل هذه أن يتضرع الى الله فان أخطأ المجتهد فهو بمنزلة الكسوف الذي يكون في غيبة المكسوف فلا وزر عليه وهو مأجور وان ظهر له النص وتركه لرأيه أو لقياسه الجلي في زعمه فلا عذر له عند الله وهو مأثوم وهو الكسوف الظاهر الذي يكون له الاثر المقرر عند علماء الاحكام بسير الكواكب وأكثر ما يكون هذا في الفقهاء المقلدين الذين قالوا لهم لا تقلدونا واتبعوا الحديث اذا وصل اليكم المعارض لما حكمنا به فان الحديث مذهبنا وان كنا لا نحكم بشئ الا بدليل يظهر لنا في نظرنا انه دليل وما يلزمنا غير ذلك لكن ما يلزمكم اتباعنا ولكن يلزمكم سؤالنا في كل وقت في النازلة الواحدة قد يتغير الحكم عند المجتهد ولهذا كان يقول مالك اذا سئل في نازلة هل وقعت فان قيل لا يقول لا أفتي وان قيل نعم أفتي في ذلك الوقت بما أعطاه دليله فأبت المقلدة من الفقهاء في زماننا أن توفي حقيقة تقليدها لامامها باتباعها الحديث الذي أمرها به امامها وقلدته في الحكم مع وجود المعارض فعصت الله في قوله وما آتاكم الرسول فخذوه وعصت الرسول

فى قوله فاتبعونى فانه ماقاطها الاعن أمر ربه سبحانه وعصت امامها فى قوله خذوا الحديث اذا بلغكم واضربوا بكلامى الحائط فهؤلاء فى كسوف دائم مسرمد عليهم الى يوم القيامة فلاهم مع الله ولا مع رسوله صلى الله عليه وسلم ولا مع امامهم فهم فى براءة من الله ورسوله وامامهم فلا حجة لهم عند الله فانظر وامع من يحشر هؤلاء فالصلاة المشروعة فى الكسوف انما هى المناجاة الحق فى رفع ظلمة النفس وظلمة الطبع كما يقول اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم وهم أهل الانوار غير المغضوب عليهم مثل أهل ظلمة الطبع ولا الضالين مثل أهل ظلمة النفس فالله يحوّل بيننا وبين ما يكسف عقولنا ونفوسنا ويجعلنا أنوارا كلنا اولمن يقتدى بنا انه الملئ بذلك والقادر عليه وأمّا اعتبار عدد الركعات فى الركعتين فاعلم ان الركعتين ظاهر الانسان وباطنه أوعقله وطبعه أومعناه وحرفه أوغيبه وشهادته وأما العشرة فهو تنزيهه فى الركعتين خالقه تعالى وجل عن القبل والبعد والكل والبعض والفوق والتحت واليمين والشمال والخلف والامام فيرجع هذا التنزيه من الله عليه فانه عمل من أعماله فتكون له برجوع هذا العمل عليه هذه الاحكام كلها فلا قبل له فانه لم يكن الا الله والله لا يتصف بالقبلية ولا بعد له فانه باق بابقاء الله فلا بعد ولا كل له فانه لا يتجزئ ولا يتحيز من حيث لطيفته ومن لا كل له من ذاته فلا بعض له ومن لا يتصف بهذه الصفات فلا جهات له فلا جهات للانسان الا من حيث صورة جسمه ونشأته فان نشأته الجسدية بها ظهرت الجهات الستة فهو عين الجهات ماهو فى جهة من نفسه وأما اعتبار الثمانية فى اثنتين فالثمانية الذات والصفات فتغيب الذات الكونية وصفاتها فى الذات الاحدية وتندرج أنوار صفاتها فى صفاتها وهو قوله تعالى كنت سمعه وبصره وذكر جوارحه فلا تقع عين الاعليه ظاهرا او باطنا من عرف نفسه عرف ربه فهكذا هو الامر فى الباطن وأما فى الظاهر فما تقع العين الا على العبد والحق مدرج فى هذا الحق بضم الحاء الكيانى ماهو كاندراج العرض فى المحل ولا كالمظروف فى الظرف وأمّا اعتبار الست فى اثنتين فهو قوله فأينما تولوا فثم وجه الله وقوله والله بكل شئ محيط وأمّا اعتبار الاربعة فى الثنتين فهو قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وعلى كل طريق يأتى اليه منها ملك مقدس بيده السيف صلتا فان كان المؤتى اليه من العارفين لم يكن له ملك يحفظه بل هوا كسير وقفه من أى ناحية جاءه قبل منه وقلب جسده ذهبا ابريزا فيعود الآتى من الخاسرين

﴿وصل فى فصل فى القراءة فيها﴾

اختلف العلماء فى القراءة فيها أعنى فى السر والجهر بها فمن قائل يقرأ فيها سرا ومن قائل يقرأ فيها جهرا ﴿اعتبار هذا الفصل﴾ ان كان كسوفه نفسيا أسرّ فى مناجاته وذكر الله فى نفسه وان كان كسوفه فى عقله جهر فى قراءته وهو بحثه عن الادلة الواضحة وفيها الظاهرة الدلالة القريبة المأخذ التى يشركه فيها العقلاء من حيث ماهم أهل فكر ونظر واستدلال والآخرون أهل كشف وتجل يتتجه الهمم الى الرياضات وهى تهذيب الاخلاق والخلوات والمجاهدات وتطويل المناجاة والتضرّع الى الله تعالى فيهما شرع وهو اعتبار طول القراءة فى صلاة الكسوف فانه روى أنه كان يقوم فيها بقدر سورة البقرة والقيام الثانى ربما يكون على النصف والقيام الثالث على النصف من الثانى وهكذا فى القيام الرابع والخامس وسبب ذلك ان عالم الارواح ما يتعبهم القيام ولا يدركهم ملل لان النشأة نورية خارجة عن حكم الاركان وأما نشأة تقوم من العناصر تؤول الى الاستحالات العبدية والقريبة فيعبر عن ذلك بالنصب والتعب وكلما نزل فيهما من معدن الى نبات الى حيوان الى انسان كان التعب أقوى فى آخر الدرجات وهو الانسان والنصب أعم فانه سريع التغير فان له الوهم ولاشك ان الاوهام تلعب بالعقول كتلاعب الافعال بالاسماء

﴿وصل فى فصل الوقت الذى تصلى فيه﴾

اختلف العلماء فى الوقت الذى تصلى فيه صلاة الكسوف فمن قائل تصلى فى جميع الاوقات المنهىّ عن الصلاة فيها وغير المنهىّ ومن قائل لا تصلى فى الاوقات المنهى عن الصلاة فيها ومن قائل تصلى فى الوقت الذى تصلى فيه النافلة ومن قائل تصلى من الضحى الى الزوال لاغير ﴿وصل الاعتبار﴾ كما لا يتعين للكسوف وقت لا يتعين للصلاة له لان الصلاة

تابعة للاحوال وقد ثبت الامر بالصلاة لها وما خص وقتا من وقت وهي صلاة مأمور بها بخلاف النافلة فانها غير مأمور بها فان حملنا الصلاة على الدعاء دعونا في الوقت المنهي عن الصلاة فيه وصلينا في غيره من الاوقات وبه أقول

﴿وصل في فصل الخطبة فيها﴾

اختلف علماء الشريعة في ذلك فمن قائل ان الخطبة من شرطها ومن قائل ليس في صلاة الكسوف خطبة والذي أذهب اليه أنه يستحب للامام أن يخطب بالناس ليذكرهم ويحذرهم فان الكسوف من الآيات التي يخوف الله بها عباده ﴿وصل الاعتبار في هذا الفصل﴾ الخطبة موعظة وذكرى والآية منبهة وذكرى والكسوف آية تخويف فوقعت المناسبة فترجح جانب من يقول باشتراط الخطبة وقد ثبت أن النبيّ صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم ذكر الناس بعد الفراغ من الصلاة

﴿وصل في فصل كسوف القمر﴾

فمن قائل يصلى لكسوف القمر في جماعة كصلاة كسوف الشمس ومن قائل لا يصلى له في جماعة واستحب صاحب هذا القول أن يصلى له افذاذ ركعتين ركعتين كسائر النوافل والذي أذهب اليه الصلاة في الجماعة أولى ان قدر عليها ﴿اعتبار هذا الفصل﴾ لما كان كسوف الشمس سببه القمر كان كسوف القمر كالعقوبة له لكسوفه الشمس فتضمن كسوف القمر آيتين فكانت الصلاة له في الجماعة أولى فان شفاعة الجماعة لها حرمة أكثر من حرمة الواحد فالجمع لها ينبغي أن يكون آكد من الجمع بكسوف الشمس وكسوف القمر نفسيّ كما قدمنا والنفس أبدا هي المزاحمة للربوبية بخلاف العقل فكان ذنبها أعظم وحالها أخطر فاجتماع الشفعاء عند الشفاعة أولى من اتيانهم افذاذا ومن اعتبر في الكسوفات الخشوع كما ورد في الحديث الذي تقدم كان منبها على الخشوع للمصلي فان الله يقول قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون وقال وانها يعني الصلاة لكبيرة الا على الخاشعين وخشوع كل خاشع على قدر علمه بربه وعلمه بربه على قدر تجليه له

﴿وصل في فصل صلاة الاستسقاء﴾

فمن قائل بصلاة الاستسقاء ومن قائل لا صلاة فيه والحجة لمن قال بالصلاة انه من لم يذكر شيأ فليس بحجة على من ذكر وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم خرج بالناس يستسقي فصلى بهم ركعتين جهر فيهما بالقراءة وحوّل رداءه ورفع يديه واستسقى واستقبل القبلة والعلماء مجمعون على ان الخروج الى الاستسقاء والبروز عن المصر والدعاء والتضرّع الى الله تعالى في نزول المطر سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا في الصلاة في الاستسقاء كما ذكرنا والذي أقول به ان الصلاة ليست من شرط صحة الاستسقاء والقائلون بأن الصلاة من سنته يقولون أيضا ان الخطبة من سنته وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم صلى فيه وخطب واختلف القائلون بالخطبة هل هي قبل الصلاة أو بعدها فاتفق القائلون بالصلاة ان قراءتها جهر واختلفوا هل يكبر فيها مثل تكبير العيدين أو مثل تكبير سائر الصلوات ومن السنة في الاستسقاء استقبال القبلة واتفقوا والدعاء ورفع اليدين وتحويل الرداء باتفاق واختلفوا في كيفية تحويل الرداء فقال قوم يجعل الاعلى أسفل والاسفل أعلى وقال قوم يجعل اليمين على الشمال والشمال على اليمين والذي أقول به أن يجمع بين الثلاث الكيفيات الاعلى أسفل واليمين على الشمال والباطن ظاهرا واختلفوا متى يحوّل ثوبه فقال قوم عند الفراغ من الخطبة وقال قوم اذا مضى صدر من الخطبة والذي أذهب اليه ان وقت التحويل وقت الدعاء فانه سؤال بالحال في تحويل الحالة واختلفوا في وقت الخروج اليه فقيل في وقت صلاة العيدين وقيل عند الزوال وروى أبو داود ان النبيّ صلى الله عليه وسلم خرج الى الاستسقاء حين بدا حاجب الشمس ﴿وصل الاعتبارات﴾ في جميع ما ذكرناه • اعتبار الاستسقاء • الاستسقاء طلب السقيا وقد يكون طالب السقيا لنفسه أو لغيره أو لهما بحسب ما تعطيه قرائن الاحوال فأما أهل الله المختصون به الذين شغلهم به عنهم وعز فهم بأنهم ان قاموا فهم معه وهو معهم وان رحلهم رحلوا به اليه فلا يبالون في أيّ منزل أنزلهم اذ كان الحق مشهودهم في كل حال فان عاشوا في الدنيا فبه عيشهم وان انقلبوا الى الاخرى

فاليه انقلابهم فلا أثر لفقد الاسباب عندهم ولا لوجودها فهؤلاء لا يستسقون في حق نفوسهم اذ علموا ان الحياة تلزمهم لانها أشد افتقارا اليهم منهم اليها وفائدة الاستسقاء ابقاء الحياة الدنيا فاستسقاء العلماء بالله في الزيادة من العلم بالله كما قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم حين أمره وقل رب زدني علما هذا الدعاء هو عين الاستسقاء فاذا استسقى النبي صلى الله عليه وسلم ربه في انزال المطر والعلماء بالله لم يستسقوه في حق نفوسهم وانما استسقوه في حق غيرهم ممن لا يعرف الله معرفتهم تخلقا بصفته تعالى حيث يقول كما ورد في الحديث الصحيح قال الله تعالى استسقيتك عبدي فلم تسقني قال وكيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك فلان فلم تسقه فهذا الرب قد استسقى عبده في حق عبده لا في حق نفسه فانه يتعالى عن الحاجات كذلك استسقاء النبي والعلماء بالله انما يقع منهم لحق الغير فهم ألسنة أولئك المحجوبين بالحياة الدنيا عن لزوم الحياة لهم حيث كانوا تخلقا بالاستسقاء الالهي اذ الفقير المحقق من لا يقوم به حاجة معينة فتملكه لعلمه بأنه عين الحاجة فلا تقيده حاجة فان حاجة العالم الى الله مطلقة من غير تقييد كما ان غناه سبحانه عن العالم مطلق من غير تقييد من حيث ذاته فهم يقابلون ذاتا بذات وينسبون الى كل ذات ما تعطيها حقيقتها وما أحسن ما شرع في الاذان والاقامة في قوله حي على الصلاة ولم يقل الى الصلاة فيقيده بالغاية ومن كان معك فلا يكون غايتك ولا تقل حي كلمة اقبال ولا يطلب الاقبال الا من معرض وكل معرض فقد قلنا نعم لما كان العبد متحققا بالله كان هو الناظر والمنظور والشاهد والمشهود وغاب عين العبد ولم يبق الا الرب وأراد الحق سبحانه أن يشهد العبد عين عبوديته ليعرفه بما أنعم عليه به مما لم يعط ذلك لغيره من العبيد ولا يعرف ذلك حتى يرد لنفسه ومشاهدة عينه مقارنة لمشاهدة ربه ولم يجعل ذلك في شيء من عباداته الا في الصلاة فقال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فلا بد للمصلي من أجل قسمه من الصلاة أن يقوم فيه اذ لا يليق ذلك القسم الذي للعبد من الصلاة أن يكون لله فقال له حي على الصلاة أي أقبل على الصلاة من أجل القسم الذي يحصل منها فاعراضه انما كان عن نفسه لا عن ربه لان العلم بالله أعطاه ذلك فقال له أقبل على صلاتك لتشهدني وتشهد نفسك فتعرف مالي ومالك فتتصف بالحكمة وفصل الخطاب وترى ما أنت فيه فلم يأت بالي فانها أداة تؤذن بالفقد والامر في نفسه ليس كذلك فاذا كان الحق يستسقي عبده فالعبد أولى واذا كان الحق ينوب عن عبده في استسقاء عبده يسقي عبده فالعبد أولى أن يستسقي ربه ليسقي عبده وهو أولى بالنيابة عن مثله من الحق عنه اذ ليس كمثله شيء فمن الادب مع الله الاستسقاء في حق الغير فان أصحاب الاحوال محجوبون بالحال عن العلم الصحيح فصاحب الحال اذا لم يكن محفوظا عليه أدبه لم يؤاخذ بسوء الادب اذ كان لسانه لسان الحال وصاحب العلم مؤاخذ بأدنى شيء لانه ظاهر في العالم بصورة الحق وكم بين من يظهر في وجوده بربه وبين من يظهر بحاله شتان بين المقامين وما أبعد ما بين المنزلتين شاهد العلم عدل وشاهد الحال فقير الى من يزكيه في حاله ولا يزكيه الا صاحب العلم ولما كان العلم بهذه العزة شرعت التزكية في حكم الشرع بغلبة الظن فيقول أحسبه كذا وأظنه كذا لانه لا يعلم كل أحد ما منزلة ذلك المزكى عند الله فلا يزكى على الله أحدا واذا افتقر صاحب الحال الى التزكية بغلبة الظن فهو الى العالم صاحب العلم أفقر وأفقر فانه مع من يزكيه كلاهما محتاجان الى صاحب العلم العلم منجلي يظهر نفسه والحال ملتبس يحتاج الى دليل يقوي به اضعفه أن يلحق بدرجة الكمال فصاحب الحال يطلب العلم وصاحب العلم لا يطلب الحال أي عاقل يكون من يطلب الخروج من الوضوح الى اللبس فاذا فهمت ما قررناه تعين عليك الاستسقاء فاشرع فيه

﴿وصل اعتبار البروز الى الاستسقاء﴾ الاستسقاء له حالان الحال الواحدة أن يكون الامام في حال أداء واجب فيطلب منه الاستسقاء فيستسقي على حالته تلك من غير تغيير ولا خروج عنها ولا صلاة ولا تغير هيئة بل يدعو الله ويتضرع في ذلك الحال هذا بمنزلة من يكون حاضرا مع الله فيما أوجب الله عليه فيتعرض له في خاطر مما يؤديه الى السؤال في أمر لا يؤثر السؤال فيه في ذلك الواجب الذي هو بصدده بل ربما هو مشروع فيه كسنتنا ألا ترى ان الشارع قد شرع للمصلي أن يقول في جلوسه بين السجدتين اللهم اغفر لي وارحمني وارزقني واجبرني فتشرع له في الصلاة طلب الرزق والاستسقاء طلب الرزق فليس من هذه حالته أن يبرز الى خارج المصر ولا يغير هيئته فانه في أحسن الحالات وعلى أحسن الهيئات لان أفضل الامور أداء الواجبات دخل اعرابي على رسول

الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة من باب المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر خطبة الجمعة فشكا اليه الجدب فطلب منه أن يستسقى الله فاستسقى له ربه كما هو على منبره وفى نفس خطبته ما تغير عن حاله ولا أخر ذلك الى وقت آخر وأما الحالة الاخرى فهو أن لا يكون العبد فى حال أداء واجب فيعرض له ما يؤديه الى أن يطالب من ربه ابتداء فى حق نفسه أو غيره مما يحتاج أن يتأهب له أهبة جديدة على هيئة مخصوصة فيتأهب لذلك الامر ويؤدى بين يديه أمرا واجبا ليكون بحكم عبودية الاضطرار فان المضطر تجاب دعوته بلا شك كذلك العبد اذا لم يكن فى حال أداء واجب وأراد الاستسقاء برز الى المصلى وجمع الناس وصلى ركعتين فالشروع فى تلك الصلاة عبودية اختيار وأداء ما فيها من قيام وركوع وسجود وجلوس عبودية اضطرار فانه يجب عليه فى الصلاة النافلة بحكم الشروع الركوع والسجود وكل ما هو فرض فى الصلاة فاذا دعا عقيب عبودية الاضطرار فقمن أن يستجاب له ويدخل فى الهيئة الخاصة من رفع اليد وتحويل الرداء واستقبال القبلة والتضرع الى الله والابتهال فى حق المحتاجين الى ذلك كائنا من كان ولما ذكرناه وقع الخلاف فى البروز الى الاستسقاء وقد برز رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خارج المدينة فاستسقى بصلاة وخطبة (واعتبار البروز من المصر الى خارجه) خروج الانسان من الركون الى الاسباب الى مقام التجريد والفضاء حتى لا يكون بينه وبين السماء الذى هو قبلة الدعاء حجاب سقف ولا غيره وهو خروج من عالم ظاهره مع عالم باطنه فى حال الافتقار الى ربه بنية التخلق بربه فى ذلك أو بنية الرحمة بالغير أو بنفسه أو بمجموع ذلك كله

﴿وصل الاعتبار فى الوقت الذى يبرز﴾ ان برز من ابتداء طلوع حاجب الشمس الى الزوال وذلك عند ما يتجلى الحق لقلب العبد التجلى المشبه بالشمس لشدة الوضوح ورفع اللبس وكشف المراتب والمنازل على ما هى عليه حتى يعلم ويرى أين يضع قدمه لئلا يهوى أو يخطئ الطريق أو تؤذيه هوام أفكار ردية ووساوس شيطانية فان الشمس تجلو كل ظلمة وتكشف كل كربة فان لطلوعها شرع أهل الاسباب فى طلب المعاش والمستسقى طالب عيش بلا شك فما دام الحق يطلب العبد لنفسه لما ينقبض من الظل من طلوع الشمس الى الزوال ليكون طلبه للاشيا من الله بربه لا بنفسه لذلك نبه على ذلك بقبض الظل الى حد الزوال فاذا قضيت حاجته التى سأل فيها فمن شأن صاحب هذا الحال اذا حصلت له حاجته أنه يؤديها الى المحتاج وقد انقبض ظله فأخذ الحق فى الاحتجاب عن عبده ليبقى مع نفسه فيما أعطاه فى سؤاله مما تحتاج اليه نفسه فيشهده نفسه شيأ فشيأ كما يمتد الظل ويظهر بدلوك الشمس الى حين الغروب فاذا احتجب عنه بقى مع نفسه متفرغا اليها بما حصله وهو المعبر عنه بالعشاء فينضم الى وكره ويجمع أهله على مائدته بما اكتسبه فى يومه فلهذا كان البروز الى المصلى من طلوع الشمس فان النبى صلى الله عليه وسلم لما برز الى الاستسقاء خرج حين بدا حاجب الشمس فاعتبرناه على ذلك الحد للمناسبة والمطابقة ﴿وصل اعتبار الصلاة فى الاستسقاء﴾ لما شرع الله فى الصلاة الدعاء بقوله اهدنا الصراط المستقيم والاستسقاء دعاء مخصوص فأراد الحق أن يكون ذلك الدعاء فى مناجاة مخصوصة يدعو فيها بتحصيل قسمه المعنوى من الهداية الى الصراط المستقيم صراط النبيين الذين هداهم الله تهمما بطلب الاول الذى فيه السعادة المخصوصة بأهل الله ثم بعد ذلك يستسقون فى طلب ما يعم الجميع من الرزق المحسوس الذى يشترك جميع الحيوانات وجميع الناس من طائع وعاص وسعيد وشقى فيه فابتدأ بالصلاة ليقرع باب التجلى واستجابة الدعاء فيما يزلف عند الله فيأتى طلب الرزق عقيب ذلك ضمنا ليرزق الكافر بعناية المؤمن والعاصى بعناية الطائع فلهذا شرعت الصلاة فى الاستسقاء فعبودية الاختيار قبل عبودية الاضطرار تأهب واستحضار وتزيين محل وتهيؤ وعبودية الاختيار عقيب عبودية الاضطرار شكر وفرح وبشرى بحصول عبودية الاضطرار فالاولى بمنزلة النافلة قبل الفرض والثانية بمنزلة النافلة بعد أداء الفرض لما بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر تنفل حتى تورمت قدماه فسئل فى ذلك فقال أفلا أكون عبدا شكورا وعبادة الشكر عبادة مغفول عنها ولهذا قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وما بأيدى الناس من عبادة الشكر على النعماء الا قولهم الحمد لله والشكر لله لفظا ما فيه كلفة وأهل الله يزيدون على مثل هذا اللفظ العمل بالابدان والتوجه بالهمم قال اعملوا آل داود شكرا ولم يقل قولوا والامة المحمدية

أولى بهذه الصفة من كل أمة اذ كانت خير أمة أخرجت للناس ﴿وصل اعتبار التكبير فيها﴾ من شبهها بصلاة العيد الاول عيد فطر فهو خروج من حال صيام والصيام يناسب الجدب فان الصائم يعطش كما تعطش الارض فى حال الجدب وعيد الاضحى هو عند زمان الحج وأيام عشر الحج أيام ترك زينة وهذا شرع للمحرم ترك الزينة وشرع لمن أراد أن يضحى اذا أهل هلال ذى الحجة ان لا يقص ظفرا ولا يأخذ من شعره ولما لم يكن زينة الارض الا بالازهار والازهار لا تكون الا بالامطار وهذه الاحوال تقتضى عدم الزينة فاشبهت الارض الجدبة التى لا زينة لها لعدم الزهر لعدم المطر فأشبهت صلاة الاستسقاء صلاة العيدين فكبر فيها كما يكبر فى العيدين وسيأتى اعتبار عدد التكبير فى صلاة العيدين ومن حمل صلاة الاستسقاء على سائر أكثر السنن والنوافل وصلوات الفرائض لم يزد على التكبير المعلوم شيأ وهو أولى فان حالة الاستسقاء حالة واحدة ما هى مختلفة الانواع فان المقصود انزال المطر فلا يزيد على تكبيرة الاحرام شيأ لانه ما ثم حالة تطلب تكبيرة أخرى زائدة على تكبيرة الاحرام فيحرم على المصلى فى الاستسقاء فى تكبيرة الاحرام جميع ما تلتذ به النفوس من الشهوات ويفتقر الى ربه فى تلك الحالة كما حرم على الارض الجدبة الماء الذى به حياتها وزينتها ونسمتها يناسب حال العبد بالاحرام حال الارض فيما حرمت من الخصب ﴿وصل اعتبار الخطبة﴾ فى الاستسقا الخطبة ثناء على الله بما هو أهله ليعطى ما هو أهله فيثنى عليه ثناء آخر بما يكون منه وهو الشكر على ما أنعم والمصلى مثن على الله بما هو أهله وعلى ما يكون منه وهو القسم الواحد الذى لله من الصلاة فالخطبة ينبغى أن تكون فى الاستسقاء ومن رأى ان الصلاة ثناء على الله يقول حصل المقصود فأغنى عن الخطبة وتضاعف الثناء على الله أولى من الاقتصار على حال واحدة فان الخطبة تتضمن الثناء والذكرى فان الذكرى تنفع المؤمنين والاستسقاء طلب منفعة بلا شك ﴿وصل اعتبار متى يخطب﴾ التشبه بالنسبة لكونها سنة أولى من التشبه بالفريضة وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أن لا تشبه صلاة الوتر بصلاة المغرب فيكره لمن أوتر بثلاث أن يأتى بها على صورة صلاة المغرب فتشبيه الاستسقاء بالعيدين أولى فيخطب لها بعد الصلاة الا أن يرد نص صريح بأن النبى صلى الله عليه وسلم خطب لها قبل الصلاة فيكون النص فيها فلا تقاس على سنة ولا على فريضة بل تكون هى أصلا فى نفسها يقيس عليها من يجيز القياس فى دين الله واذا كان العيد يخطب فيه بعد الصلاة مع المراد بالخطبة تذكير الناس وتعليمهم وهم لا يقيمون بل يتصرف أكثرهم بتمام الصلاة فالخطبة فى الاستسقاء بعد الصلاة أولى لانهم لا ينصرفون حتى يستسقى الامام بهم فانهم للاستسقاء خرجوا والخطبة انما تكون بعد الصلاة و بعد الدعاء بالاستسقاء فلا ينصرف الناس فيحصل المقصود من الخطبة ألا ترى الى عبد الملك بن مروان كيف اختطب فى العيد قبل الصلاة فقيل له فى المجلس فى ذلك معيرا عليه فعله وان النبى صلى الله عليه وسلم ما اختطب فى العيدين الا بعد الصلاة فقال عبد الملك قد ترك ما هنالك يريد أن الناس قد تركوا الجلوس للخطبة وكانت الصحابة لا ينصرفون من صلاة العيد حتى يخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع السنة أولى ولو لم يبق الا الامام وحده لانه لا يلزمه أكثر من الاقتداء ولا يعلل كذلك الانسان اذا فرغ من مناجاة ربه فى صلاته يثنى على الله فى نفسه فيما ينصرف اليه وذلك حتى لا يبرح مع الله فى عموم أحواله فاذا فعل ذلك كان بمنزلة الخطبة بعد الصلاة فلا يزال فى شغله مع الله فى كل حال والله الموفق لا رب غيره ﴿وصل اعتبار فى القراءة جهرا﴾ يجهر المصلى بالقراءة فى الاستسقاء ليسمع من وراءه ليحول بينهم و بين وساوسهم بما يسمعونه من القرآن ليدبروا آياته و يشغلوا نفوسهم عن وساوسها بالتفكر فى معانى القرآن وليثابوا من حيث سمعهم فقد يكون حسن استماعهم لقراءة الامام من الاسباب الموجبة لنزول المطر لكونهم أدوا واجبا بامتثالهم أمر الله بقوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون والمطر من رحمة الله وهم ما أخرجهم الا طلبهم اياه من الله تعالى وقد وعد به لمن استمع القرآن فان أفعال الترجى من الله حكمها حكم الواجب وان الامام ذاكر ربه فى ملأ وهو الجماعة فى صلاته جهرا ودعائه فيذكره الله فى ملأ خير منهم فقد يكون فى ذلك الملأ من يسئل الله تعالى فى قضاء حاجتهم ما توجه اليه فيها هذا الامام وجماعته فيمطرون بدعاء ذلك الملك فان الملائكة تقول ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فقدمت الرحمة على العلم لموضع حاجة العباد اليها وأدبا مع الله فان الله قدمها فى العطاء

على العلم فقال آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وقد ورد ان الله يقول لعبده ادعني بلسان لم تعصني به وهو لسان أمثالى من العصاة فكيف بلسان الملائكة الذين لايعصون الله ما أمرهم و يفعلون مايؤمرون فالجهر بالقراءة فيها أولى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر بالقرآن فيها أعنى فى صلاة الاستسقاء ﴿وصل اعتبار تحويل الرداء﴾ اشارة الى تحويل الحال الذى أخرجهم من الجدب الى الخصب ومن حال شظف العيش الى رغده فان ذلك من الفأل الحسن كما تحول أهل هذا المصر فى خروجهم الى الاستسقاء من حال البطر والاشر وكفران النعم الى حال التوبة والافتقار واظهار الفاقة والمسكنة فطلبوا التحويل بالتحويل ولسان الافعال أفصح من لسان الاقوال فانهم القائلون بذلك الفعل أى ربنا اناهدنا اليك ورجعنا عما كنا عليه من مخالفتك فان التنعم بالنعم وما كنا فيه من الخصب على جهة البطر أوجب لنا الجدب والقحط ونرجو بكرمك ان توجب لنا الافتقار والذلة والمسكنة والخشوع والخصب فان الشئ لايقابل الا بضده حتى ينتجه فان قلت فقوله تعالى ولئن شكرتم لأزيدنكم قلنا الشاكر فى حال شكره هو عين فقره الى ماليس عنده وهو الزيادة التى تزاد له على النعمة التى يكون فيها وهى نعمة باطنة وهى توبته التى أعطاه الله فى باطنه وظاهره وهى نعمة توجب الشكر والشكر يطلب المزيد فتعمه النعمة ظاهرا بنزول المطر وباطنا بالحمد على ما أنعم الله به عليهم

شكر لنعمة ربى نعمة أخرى * منه على لهذا يطلب الشكرا
فقرى اليه وما عندى سوى نعم * من الاله بها ارساله تترى
هو الغنى وفقرى منة ظهرت * منه على فنلت الزهو والفخرا
بالفقر فخرى وبالفاقات سلطنتى * على الوجود فلا أدرى ولا أدرى

ألا ترى التاجر رب المال الغزير والخير الكثير الذى لو قسم ماله عليه وعلى أهله وأولاده وأتباعه طول أعمارهم لكفاهم وفضل عنهم ومع هذا يخاطر بماله ونفسه فى ركوب البحار والسبل المخوفة فى طلب زيادة درهم فما أخرجه عن أهله وهون عليه مفارقة وطنه وولده ودعته وأحوجه الى ركوب هذه الاخطار الا فقره وتوهمه تحصيل هذا الدرهم الزائد على ما عنده وربما تلفت نفسه وماله بغرق أو قطاع طريق أو أسر المحقق عنده الحاصل فى أمر متوهم يمكن أن يحصل ويمكن أن لا يحصل فاذا أراد من هذه حالته من التجار وتخرجه فاقته ولا بدله من السفر فليحول نيته الى نية أخرى فينظر الى الجهة التى يقصدها فى سفره و يعلم ان الله قد سخر عباده فى قضاء حوائج بعضهم لبعض فيقول ان البلد الفلانى يحتاجون الى كذا وكذا ويذكر السلع التى يطلبها أهل ذلك البلد يارب فان قعدت أنا وغيرى ولم أحمل اليهم هذا الذى يحتاجون اليه كلفناهم التعب ومفارقة الاولاد والوصول الينا لتحصيل ما يحتاجون اليه فنحن نؤثر تعبنا على تعبهم ونحمل اليهم ما يحتاجون اليه ويكون ما يكسبه من زيادة الدرهم تبعا لهذه النية هكذا يكون متجر الموفقين الصادقين الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فى الحديث الصحيح التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء فانظر ما أحسن هذه النسبة بهذا التنبيه فان النبى صلى الله عليه وسلم والانبياء عليهم السلام جاؤا من عند الله الى عباد الله بما يحتاجون اليه مما فيه سعادتهم فاجروا على ذلك الاجر التام وهذا حال التاجر لمن عقل يقول تعالى هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم مع حصول المشقة فى ذلك من مفارقة الاهل فى دخوله فى الايمان دونهم ومفارقة الوطن بالهجرة الى دار الاسلام فانظر ما أعجب كلام النبوة وهذا كله من تحويل الحالات لهذا يحول رداءه من يستسقى ومن لم يوفق الى هذا النظر الذى له فيه الاجر التام والمعرفة الصحيحة أخرجه ما يخرج الناس اليوم وهو الفقر الذى قام به لطلب تلك الزيادة المتوهمة التى يمكن أن تحصل ويمكن أن لا تحصل مع كثرة المال الذى يقع له به الغنى لو استغنى فلما لم يكن عنده غنى فى نفسه بما عنده وقام به الخوف على ماله والفقر الى الزيادة خاطر بنفسه وماله وعمى عن علمه بأن المسافر وماله على قلت فأزعجه هذا الفقر المتوهم وحال بينه و بين أهله وولده وأحبابه وهو على غاية من السرور والفرح بذلك السفر لتوهمه حصول الارباح فحال الشاكر وفقره الى طلب الزيادة

أولى فان الزيادة محققة والربح هناك متوهم فان الله صادق فى اخباره ثم ان الشاكر الذى له هذه الزيادة المحققة بشكره هو فى أهله لا يفارق وطنه ولا أهله ولا ولده ولا يغرى بنفسه ولا يركب الاخطار ولا يتعب بدنه ولو تصدق بماله كله فهو كتاجر باع بنسيئة فهو له مدخر يجده يوم فقره وحاجته عند الله فان رزقه الذى تقوم به نشأته وأرزاق عياله لابد منها يأتى بها الله كما قال لقمان يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير فهذا تاجر باع بنسيئة الى أجل وأجله زمان القيامة فهو حلول الاجل فهذا يا أخى حكمة تحويل الرداء

﴿وصل اعتبار كيفية تحويله﴾ وهو على ثلاث مراتب يجمعها كلها العالم اذا أراد أن يخرج من الخلاف الذى بين علماء الشريعة وهو أن يرد ظاهره باطنه و باطنه ظاهره وأعلاه أسفله وأسفله أعلاه والذى على يمينه على يساره والذى على يساره على يمينه وكل ذلك تأكيد فى الاشارة الى تحويل الحالة التى هم عليها فأما اعتبار ظاهر الرداء و باطنه فهو تأثير أعمال ظاهره فى باطنه أعنى فى قلبه بما تنتجه هذه الاعمال وأعمال باطنه أيضا المحمودة تظهر بالفعل على ظاهره مثل نيته أن يتصدق فيتصدق أو ينوى فعل خير ما فيفعله فما كان فى باطنه قد ظهر بالفعل على ظاهره من أسر سريرة ألبسه الله رداءها ومن عمل عملا صالحا أثر له فى نفسه وقلبه المحبة والطلب الى الشروع فى عمل آخر ولاسيما ان أنتج له ذلك العمل فى الدنيا علما فى نفسه كما قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يكن يعلم وقال تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وأما تحويل أعلى الرداء وأسفله فهو الحاق العالم الاعلى بالاسفل فى التسخير والحاق العالم الاسفل بالاعلى فى الطهارة والتقديس فينزل الاعلى رحمة بالاسفل و يرفع الاسفل عناية الى رتبة الاعلى فى النسبة الى الله تعالى والافتقار اليه وان الله كما توجه الى أعلى الموجودات قدرا وهو القلم الاعلى والعقل الاول بما أعطاه من العلم والسعادة كذلك توجه الى أدنى الموجودات قدرا وأشقاهم وأخسهم منزلة عند الله على حد واحد فان الله من حيث ذاته ما فيه مفاضلة لانه لا يتصف بالكل فيتحقق فيه البعض وما من جوهر فرد من العالم كله أعلاه وأسفله الا وهو مرتبط بحقيقة الهية ولا تفاضل فى ذلك الجانب الاعز الاحمى فهو مستو على عرشه الاعلى ولو دليتم بحبل لهبط على الله اجتمع أربعة من الاملاك على الكعبة واحد نازل من السماء وآخر عرج من الارض السفلى والثالث جاء من ناحية المشرق والرابع من ناحية المغرب فسأل كل واحد منهم صاحبه من أين جئت فكلهم قالوا من عند الله و روينا عن بعض شيوخنا حديثا يرفعه أو يبلغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله فى السماء كما هو فى الارض وان الملأ الاعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم فساوى بين العالمين فى الطلب ومعلوم ما بينهما من التفاوت فى العرف واتفق لى فى هذا المشهد ذوقا وذلك انى حملت فى يدى شيأ محقرا بحيث يراه الناس ما كان يقتضيه منصبى فى الدنيا وهو ذو رائحة خبيثة من هذا السمك المالح فتخيل أصحابى انى حملته مجاهدة لنفسى لعلو منصبى عندهم عن حمل مثل ذلك وقالوا الشيخ ما قصر فلان فى مجاهدته فقال حتى نسأله بأى نية حمله فسألنى الشيخ بحضور الجماعة وذكر لى ما ذكروه فقلت لهم أخطأتم فى التأويل على والله ما نويت شيأ من ذلك ولكنى رأيت الله على علو قدره ما نزه نفسه عن خلق مثل هذا فانزه نفسى عن حمله فشكرنى الشيخ وتعجب الاصحاب وهو من هذا الباب بل والله فى حملى اياه شرفنى فانه نظير القدرة فى ايجاد عينه ولا فرق عند العارفين بين العالى والدون المعتاد هذا خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك وأين ادراك الشم من الرائحتين فلا تنظروا فى الاشياء المتفاضلة الا بارتباطها بالحقائق الالهية واذا كان هذا نظركم فانكم لا تحقرون شيأ من العالم فلا تقس الله ولا تحمله على نفسك وخذ الاشياء على ما أعطيها الحقائق وأما تحويل ما هو على اليمين الى الشمال و بالعكس فاعتباره ان صفات السعداء فى الدعاء الخشوع والذلة وهم أهل اليمين فى الدنيا فتتحول هذه الصفة على أهل الشمال فى الدار الآخرة فكأن السعداء أخذوها منهم فى الدنيا قال تعالى فى حق السعداء الذين هم فى صلاتهم خاشعون وقال خاشعين لله وقال أعنى فى عكس الصفة عليهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار وقال فى حق الاشقياء فى الدار الآخرة خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى وقال وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية وتحويل آخر وهو أن يتصف العبد السعيد فى الآخرة بما يتصف به العبد الشقى فى الدنيا فى الثروة

والملك والسلطان فينقلب اليه المؤمن في الآخرة ويتحوّل اليه ويتحوّل عنه الكافر في الآخرة فيظهر المؤمن في الآخرة بنعيم الكافر الشقيّ في الدنيا ويظهر الكافر المنعم في الدنيا في الآخرة بصفة الشقاء والبؤس الذي كان فيه المؤمن في الدنيا فهذا اعتبار اليمين والشمال في تحويل الرداء ﴿وصل في اعتبار وقت التحويل وهو في الاستسقاء في أول الخطبة أو بعد مضيّ صدر الخطبة﴾ فاعلم أن اعتبار التحويل في أول الخطبة هو أن يكون الانسان في حال نظره لربه بربه فينظر في أول الخطبة لربه بنفسه وهو قوله في أول الصلاة حمدني عبدي فلو كان حال المصلي في وقت الحمد حال فناء بمشاهدة ربه أنه تعالى حمد نفسه على لسان عبده لم يصدق من جميع الوجوه حمدني عبدي وهو الصادق سبحانه في قوله حمدني عبدي فلا بدّ أن يكون العبد يشاهد نفسه في حمده ربه وهو صدق ومن قال بعد مضيّ صدر من الخطبة فهو اذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين فكان في أول الخطبة يثني على ربّه بربه بحال فناء عامّ ومشهد سنيّ ربّه عن نفسه فانه بكلامه حمده فلما أوقع الخطاب كان ثناؤه بنفسه على ربّه فيحول عن حالته تلك في هذا الوقت فهذا اعتبار تعيين التحويل في أول الخطبة أو بعد مضيّ صدر الخطبة ﴿وصل اعتبار استقبال القبلة﴾ من كان وجها كله يستقبل ربّه بذاته كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه كما يرى من أمامه فكان وجها كله فينبغي للمستسقي ربّه أن يقبل على ربه بجميع ذاته فانه ما فيه جزء محسوس أو معنوي ظاهر أو باطن الا وهو فقير محتاج الى رحمة الله به في استجلاب نعمه أو بقاء النعم عليه وهذا يجيب الله المضطرّ في الدعاء فان المضطرّ هو الذي دعا ربّه عن ظهر فقر اليه وما منع الناس الاجابة من الله في دعائهم اياه الا كونهم يدعونه عن ظهر غنى لالتفاتهم الى الاسباب وهم لا يشعرون وينتجه عدم الاخلاص والمضطرّ المضمون له الاجابة مخلص مخلص ما عنده التفات الى غير من توجه اليه أخبرني الرشيد الفرغانيّ رحمه الله عن فخر الدين شيخه ابن خطيب الريّ عالم زمانه ان السلطان حبسه وعزم على قتله وماله شفيع عنده مقبول قال فطمعت أن أجمع همي على الله في أمري أن يخلصني من يد السلطان لما انقطعت بي الاسباب وحصل اليأس من كل ما سوى الله فما تخلص لي ذلك لما يرد على من الشبه النظرية في اثبات الله الذي ربطت معتقدي به الى أن جمعت همتي وكليتي على الاله الذي تعتقده العامّة ورميت من نفسي نظري وأدلتي ولم أجد في نفسي شبهة تقدح عندي فيه وأخلصت اليه التوجه بكلي ودعوته في التخلص فما أصبح الا وقد أفرج الله عني وأخرجني من السجن فهذا اعتبار استقبال القبلة فان ذلك اشارة الى القبول ﴿وصل اعتبار الوقوف عند الدعاء﴾ القيام في الاستسقاء عند الدعاء مناسب لقيام الحق بعباده فيما يحتاجون اليه فانه طلب للرزق بانزال المطر الذي تركن نفوسهم اليه ويستبشرون بقول الله الرجال قوّامون على النساء والنفوس كلها في مقام الانوثة لمن عقل فان كل منفعل فرتبته رتبة الانثى وما ثم الا منفعل والفعل مقسم على الحقيقة بين الفاعل والمنفعل فمن الفاعل الاقتدار ومن المنفعل القبول للاقتدار فيه وهنا سر يتضمن أجيب دعوة الداعي اذا دعاني فليستجيبوا لي فالذي يجعل الله الرزق على يديه قائم على من يرزق بسببه فشرع القيام في الدعاء في الاستسقاء كأنه يقول بحال قيامه بين يدي ربّه ارزقنا ما نقوم به على عيالنا بما تنزله من الغيث علينا فانه السبب في وجود ما به قوام أنفسنا انك على كل شيء قدير ﴿وصل اعتبار الدعاء في هذا الباب﴾ الدعاء مخ العبادة وبالمخ تكون القوّة للاعضاء كذلك الدعاء مخ العبادة به تقوى عبادة العابدين فانه روح العبادة ان الذين يستكبرون عن عبادتي العبادة هنا عين الدعاء سيدخلون جهنم داخرين وهو البعد عن الله فان جهنم سميت به لبعد قعرها ﴿وصل اعتبار رفع الايدي عند الدعاء﴾ على الكيفيتين الايدي محل القبض والعطاء فبها ما أخذ وبها ما أعطى فلها القبض بما تأخذ والبسط بما تعطي فيرفع العبد يديه مبسوطتين ليجعل الله فيهما ما سأله من نعمه فان رفعها وجعل بطونها الى الارض فرفعها تشهد العلو والرفعة ليدي ربي تعالى التي هي اليد العليا ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ويجعل الداعي بطون يديه الى الارض في الاستسقاء أي أنزل علينا مما بيديك من الخير والبركة ما تسد به فقرنا وفاقتنا التي علقتها بالاسباب فأوحدها اليك وفرغها بما تنزله من الغيث من أجلها فهذا وأشباهه اعتبار صلاة الاستسقاء وأحوال أهله وكون صلاتها ركعتين هو قول الله وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة

فالركعة الواحدة للنعمة الظاهرة يسدبها الخلل الظاهر والركعة الثانية للنعمة الباطنة يسأل فيها مايكون فيه غذاء الارواح والقلوب من العلوم والمعارف والتجلي واليد النعمة انتهى الجزء السادس والار بعون

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿وصل في فصل ركعتي تحية المسجد﴾

اختلف علماء الشريعة في الركعتين لدخول المسجد فمن قائل انهما سنة ومن قائل بوجوبهما والذي أذهب اليه وأقول به ان هاتين الركعتين لاتجب على من دخل المسجد الا ان أراد القعود في المسجد فان وقف ولا يجلس أو عبر فيه ولم يقعد فهو مخير عندي ان شاء ركعهما وان شاء لم يركعهما ولا حرج عليه و يأثم بتركهما ان قعد ولم يركعهما الا أن يدخل في الوقت المنهي عن الصلاة فيه أو يكون على غير طهارة ﴿وصل في اعتبار هذا الفصل﴾ لايخلو هذا الداخل في المسجد أن يدخل في زمان اباحة النافلة أو في زمان النهي عن صلاة النافلة فان دخل في زمان النهي فلا يركع فانه رعاية تخيل بعض الناس ان الامر بتحية المسجد يعارض حديث النهي عن الصلاة في الاوقات المنهي عن الصلاة فيها فاعلم ان النهي لايعارض به الامر الثابت عند الفقهاء الا عندنا فان لنا في ذلك نظرا وهو ان النهي اذا ثبت والامر اذا ثبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا اذا نهانا عن أمر بامتثال ذلك النهي مطلقا من غير تخصيص وان نجتنب كل منهي عنه يدخل تحت حكم ذلك النهي وقال في الامر الثابت صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث واذا أمرتكم بأمر فافعلوا منه مااستطعتم فقد أمرنا بالصلاة عند دخول المسجد ونهانا عن الصلاة في أوقات معينة فقد حصلنا بالنهي الثابت في حكم من لايستطيع اتيان ماأمر به في هذه الحال لوجود النهي فانتفت الاستطاعة شرعا كما تنتفي عقلا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل فافعلوا منه مااستطعتم الاستطاعة المشروعة ولا المعقولة فوجب العموم في ذلك فيقول ان النهي المطلق منعني من الاتيان بجميع مايحويه هذا الامر الوارد من الازمنة فلا أستطيع اتيان هذه الصلاة في هذا الوقت المخصص بالنهي شرعا فاعلم ذلك المسجد بيت الله والكرسي تجليه لمن أراد أن يناجيه فمن دخل عليه في بيته وجب عليه ان يحييه بما أمره أن يحييه فعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نحيي بيت ربنا فانه يقول في بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال يقول عبد الله بن عمر لو كنت مسبحاً أتممت يعني متنفلا وسبحة الضحى صلاة الضحى اذا دخلنا المسجد نسلم على الحاضرين فيه من الملأ الاعلى بقولنا السلام عليكم ان كان هنالك من البشر أحد من كان من صبي أو امرأة أو رجل فاذا لم يكن أحد ممن يسمى انسانا فلا يخلو هذا الداخل اما أن يكون ممن كشف الله عن بصره غطاء الحجاب المعتاد فيدرك من فيه من الارواح العاقلين من جن وملك فيسلم عليهم كما يسلم على من وجد فيه من البشر وان لم يكن من أهل الكشف فلمن فيه فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين و ينوي كل صالح لله من جميع عباده من كل ماسوى الله فيصيب ذلك السلام كل عبد صالح لله في السماء والارض ولا يقل السلام على الله فان الله هو السلام وليركع ركعتين بين يدي ربه عز وجل وليجعل الحق تعالى في قبلته وتكون تلك الصلاة بما فيها من الركوع والسجود مثل التحية التي تحيا بها ملوك الاعاجم اذا دخل عليهم أو ظهروا لرعاياهم وقد مضى اعتبار أحوال الركوع والقيام والجلوس والسجود فهاتان الركعتان سجود تحية فان كان دخوله في غير وقت صلاة أعني دخل في الاوقات المنهي عن ايقاع الصلاة فيها فعندما يدخل المسجد يقوم بين يدي ربه عز وجل خاضعا ذليلا مراقبا ممتثلا امر سيده في نهيه عن الصلاة في ذلك الوقت كانهاه أن يقول في تحياته في الصلاة السلام على الله فان رسم له سيده تعالى بالقعود في بيته فليركع ركعتين شكر الله تعالى على ذلك حيث أمره سيده بالقعود عنده في بيته فهاتان الركعتان في ذلك الوقت ركعتا شكر ومن ركع قبل الجلوس ومافي نيته ان يجلس وهو وقت صلاة فتانك الركعتان تحية لله لدخوله عليه في بيته ومن راعى من أهل الله من العارفين دخوله على الحق في بيته ولم يخطر له خاطر التقييد بالاوقات كان ركوعه ركوع تحية لدخوله ومن كان حاله الحضور مع الله على الدوام ومناجاته في كل حال فليست بتحية مطلقا ولكنهما ركعتا

شكر لله تعالى حيث جعله من المتقين بدخوله المسجد حيث قال المسجد بيت كل تقي فاضافه الى المتقين من عباده وقد كان مضافا الى الله

﴿وصل في فصل سجود التلاوة﴾

اختلف علماء الشريعة في سجود التلاوة هل هو واجب أو سنة فمن الناس من قال انه واجب ومن الناس من قال انه سنة وليس بواجب ﴿وصل الاعتبار في هذا الفصل﴾ لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر الثابت عنه ان الله عز وجل يقول قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين ولم يذكر في المقسوم الا تلاوة الفاتحة ولم يتعرض للهيئات من قيام أو ركوع أو سجود أو جلوس فلما لم يذكر الا التلاوة ومن القرآن فاتحة الكتاب من العبد لله تعالى مافيها من تلاوة فاتحة الكتاب وهذا الحديث دليلنا على وجوب قراءة الفاتحة على المصلي فسمينا التالي مصليا أو مناجيا لله تعالى بما يخص الله من الصفات وبما يخص العبد منها كشفا محققا في جميع القرآن المسمى كلام الله فثم آية تخص جناب الحق فهي لله خاصة وثم آية تخص جناب العبد فهي له خاصة وثم آية يقع فيها الاشتراك فهي بين الله وبين عبده والعمل في ذلك كالعمل في الفاتحة المنصوص عليها الجاء في الذي يتلوه من كلامه تعالى مواضع ينبغي السجود فيها فعين لنا الشارع مانسجد فيه مما لا نسجد فيه فاشترط فيها من اشترط الطهارة والوقت للسجود والقبلة وسيأتي فصل ذلك كله فنسجد فيما سجد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونترك فيما ترك وان كان اللفظ بالامر يقتضي السجود ولكن لا نسجد لكون الشارع ماشرع السجود الا في مواضع مخصوصة معينة عينها لنا الشارع فعلا وقولا لا نتعدى ولا نزيد عليها والخلاف في عددها معلوم والسجود المشروع في غير التلاوة مذكور كسجود الانسان عند رؤية الآيات وكسجود الشكر وغير ذلك فلنذكر عدد عزائم السجود الوارد في القرآن ونجمع المختلف فيه الى المجمع عليه

﴿وصل في ذكر سجود القرآن العزيز﴾

اعلم ان سجدات القرآن العزيز من احدى عشرة سجدة الى خمس عشرة سجدة فمنها ماورد بصيغة الخبر ومنها ماورد بصيغة الامر السجدة الاولى من ذلك في سورة الاعراف في خاتمتها اما الاعراف فهو سور بين الجنة والنار باطنه فيه الرحمة وهو مايلي الجنة وظاهره من قبله العذاب وهو مايلي النار منه وعليه رجال تساوت حسناتهم وسيآتهم فلم ترجح في الوزن كفة على كفة فلم تثقل موازينهم ولا خفت فانه ماوضع الله لاحد منهم في ميزانه تلفظه بلا اله الا الله فانه ماثم سيئة تعادلها الا الشرك وكما لا يجتمع الشرك والتوحيد في قلب شخص واحد كذلك لا يدخل في الميزان الا لصاحب السجلات لسبب آخر نذكره في هذا الكتاب أو قد ذكرناه في باب القيامة فيما تقدم وأما خاتمة هذه السورة فقوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا وهذه الآية روينا انها نزلت في القراءة في الصلاة والسجود ركن من أركان الصلاة وختم هذه السورة بذكر الملائكة وسجودهم لله فوصفهم فقال ان الذين عند ربك وهم المقربون من الملائكة لا يستكبرون عن عبادته يقول يذلون ويخضعون له ويسبحونه أي ينزهونه عن الصفات التي لا يليق به وهي التي تقربوا بها اليه من الذل والخضوع وصدقهم الله في هذه الآية في قولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فاخبر الله عنهم بما أخبروه عن نفوسهم وله يسجدون وصفهم بالسجود له عز وجل مع هذه الاحوال المذكورة وقال الله تعالى لما ذكر النبيين عليهم السلام لمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر انه تعالى أتاهم الكتاب والحكمة والنبوة قال له أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وهم بشر مثله فما ظنك بالملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون وأي هدى أعظم مما هدى الله تعالى به الملائكة فسجد هذا التالي في هذه السجدة اقتداء بسجود الملأ الأعلى وبهديهم فمن سجد فيها ولم يحصل له نفحة مما حصل للملائكة في سجودها من حيث ملكيته الخاصة به فما سجدها وهكذا في كل سجدة ترد ورأى أصحاب الاعراف ان موطن القيامة قد سجد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ماطلب من ربه فتح باب الشفاعة تعظيما لله وهيبة واجلالا وسمع الله يقول يوم يكشف عن ساق بأمر الآخرة تقول العرب كشفت الحرب عن ساقها وهو اذا حمي الوطيس واشتد الحرب وعظم الخطب فعلموا انه موطن سجود فلما

دعوا الى السجود هنالك سجد أصحاب الاعراف امتثالا لأمر الله فرجحت كفة حسناتهم بهذه السجدة وثقلت فسعدوا لانها سجدة تكليف مشروعة فى ذلك الموطن عن أمر الهى فيدخلون الجنة ﴿وصل السجدة الثانية﴾ وهى سجود الظلال بالغدو والآصال مع سجود عام وهذه سجدة سورة الرعد وهى عند قوله تعالى ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وظلال الارواح أجسادها فأخبر الله تعالى انه يسجد له من فى السموات وهم الاعلون ومن فى الأرض وهم الأسفلون عالم الأجساد الذين قاموا بالنشأة العنصرية طوعا للارواح من حيث علمهم ومقامهم وللاجسام من حيث ذواتهم وأعيانهم وكرها فى الارواح من حيث ذواتهم وفى الأجسام من حيث رياستهم وتقدمهم على أبناء جنسهم وهذا سجود اخبار فتعين على العبد ان يصدق الله فى خبره عمن ذكر فانه من أهل الارض بجسده ومن أهل السموات بعقله فهو الملك البشرى والبشر الملكى فيسجد طائعا لربه وكرها من تقييده بجهة خاصة لا يقتضيها علمه وان كان ساجدا فى نفس الأمر سجودا ذاتيا وان لم يشعر بذلك فيوقعها عبادة فان ذلك أنجى له وذكر الغدو والآصال لامتداد الظلال فى هذه الأوقات فجعل امتدادها سجودا فهى فى الغدو تتقلص رجوعا الى أصلها الذى منه انبعثت وخوفا على نفسها من الاحتراق فكأنها تقتصر على ذاتها وفى الآصال تمتد وتطول بالزيادات من اظهار نعم الله التى أسبغها عليها والغدو والآصال من الأوقات المنهى عن الصلاة فيها فاخرج حكم السجود فى هذه الأوقات عن حكم النافلة وجعل حكمه حكم الفرائض أو المقضى من النوافل فتعين على التالى فى هذه الآية السجود فيجازى من باب من صدق به تعالى فى خبره فسجدة الأعراف سجدة اقتداء بهدى الملائكة وهذه سجدة تصديق بتحقيق ﴿وصل السجدة الثالثة﴾ سجود العالم الاعلى والأدنى فى مقام الذلة والخوف سجود هذه السجدة عند قوله ويفعلون ما يؤمرون فذكر الملائكة والظلال وسجدوا فى الاعراف سجود اختيار لما يقتضيه جلال الله وهنا أثنى الله عز وجل عليهم بأنهم يفعلون ما يؤمرون فسجدوا شكرا لله لما أثنى الله عز وجل عليهم بأنهم يفعلون ما يؤمرون فسجدوا شكرا لله لما أثنى الله عز وجل عليهم بما وفقهم اليه من امتثال أوامره فسجدها العبد رغبة فى أن يكون ممن أثنى الله عليه بما أثنى على ملائكته فهى للعبد سجود ذلة وخضوع فانه يقول تتفيأ ظلاله الضمير فى ظلاله يعود على الشئ المخلوق وقد قلنا ان الاجساد ظلال الارواح فلا تتحرك الا بتحريك الارواح اياها تحريكا ذاتيا ثم قال عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون أى أذلاء فهو سجود ذلة وخضوع فمن سجد هذه السجدة ولم يشاهد سجود ظله فى اليمين اذا وقع له التجلى فى الشمائل ولا شاهد سجود ظله فى الشمائل اذا وقع له التجلى فى اليمين ولم يحصل له التأثير فى عالم الكون خاصة فان الآثار فى حضرة العين سهلة الوجود وما تظهر الرجال أصحاب القوة واليمين الا فى تأثيرهم فى الكون فهذا من خصوص سجود هذه السجدة ﴿وصل السجدة الرابعة﴾ سجود العلماء بما أودع الله فى كلامهم من علوم الاسرار والاذواق وهو سجود تسليم وبكاء وخشوع وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا يقول وبالحق أنزلناه لتحكم به بين الناس فيما اختلفوا فيه من الحق وبالحق نزل لذاته وما أرسلناك خطاب لمن أنزل عليه تبيانا لكل شئ الا مبشرا تبشر قوما برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وتبشر قوما بعذاب أليم ونذيرا معلما عن تبشره وبما تبشر وقرآنا وكلاما جامعا الامور شتى فرقناه أى فصلناه آيات بينات فى سور منزلات لتقرأه أى تجمعه وتجمع عليه الناس على الناس على مكث تؤدة مرتلا ونزلناه عما يجب له من التعظيم الى مخاطبة من لا يعرف قدره وما قدروا الله حق قدره قل يا أيها النبى آمنوا به صدقوا به أولا تؤمنوا أو ترددوه ولا تصدقوا به ان الذين أوتوا العلم أعطوا العلامات التى تعطى اليقين والطمأنينة فى الاشياء من قبله ممن تقدمه من أمثاله اذا يتلى تتبع آياته بعضها بعضا بالمناسبة التى بين الآية والآية يخرون للاذقان سجدا يقعون على وجوههم مطأطئين اذلاء والسجود التطاطى أسجد البعير اذا طأطأ لراكبه ويقولون سبحان ربنا أى وعده صدق وكلامه حق ان كان وعد ربنا لمفعولا واقعا كما وعد الوعد يستعمل فى الخير

والشرّ والوعيد في الشرّ خاصة فالوعد في الخير من الله لا بدّ منه والوعيد قد يعفو و يتجاوز فانه من صفة الكريم عند العرب ومما تمدح به الأعراب سادتها وكبراءها يقول شاعرهم

وانى اذا أوعدته أووعدته ٭ لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

و يخرون للاذقان يبكون على مافرط منهم مما لا يستدركونه ولو عفى عنه فالكتابة على المحو ما تقوم في الصفا كالكتابة على غير المحو و يزيدهم خشوعا اى ذلة والخشوع لا يكون أبدا من الخاشع الاعن تجلى ولا بدا ما على الظاهر واما على الباطن أو عليهما معا فهذه السجدة سجدة زيادة في الخشوع والخشوع كما قلنا لا يكون الاعن تجلى الهى فزيادة الخشوع دليل على زيادة التجلى فهذا يسمى سجود التجلى فافهم ﴿وصل السجدة الخامسة﴾ وهي سجود الانعام العام الرحمانى عن الدلالات وهي في سورة مريم عند قوله اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجدا وبكيا وهي سجدة النبيين المنعم عليهم فهذا بكاء فرح وسرور وآيات قبول ورضى فان الله قرن هذا السجود بآيات الرحمن والرحمة لا تقتضى القهر والعظمة وانما تقتضى اللطف والعطف الالهى فدمعت عيونهم فرحا بما بشرهم الله من هذه الآيات فالصورة صورة بكاء لجريان الدموع والدموع دموع فرح لا دموع ترح وكمد وحزن لان مقام الاسم الرحمن لا يقتضيه وفي هذه السورة في قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن فرح أبو يزيد وطار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر وقال يا عجبا كيف يحشر اليه من هو جليسه فان الله يقول أنا جليس من ذكرني والمتقى ذاكر لله ذكر حذر فلما حشر الى الرحمن وهو مقام الامان مما كان فيه من الحذر فرح بذلك واستبشر وكان دمع أبي يزيد دمع فرح كيف حشر منه اليه حين حشر غيره الى الحجاب وأما قوله في هذه السورة عن ابراهيم الخليل في قوله انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فقرن العذاب بالاسم الرحمن ولا يقتضيه هنا في الظاهر فاعلم انه أشار له الى الاسم الذى هو أبوه معه في الحال فانه مع الرحمن بلا شك لحصول العافية والخير والرزق والصحة الذى هو فيه وعليه والمعنى الآخر في مساق هذا الاسم مع العذاب مثل رحمة الطبيب بصاحب الاكلة فهو يعذبه في الوقت بقطع العضو الذى فيه الاكلة رحمة به حتى يحيا ومن رحمته نصب الحدود في الدنيا لتكون لهم طهارة الى الاخرى وهكذا في كل دار ان نظرت بعين التحقيق فاعلم ذلك فمن سجد هذه السجدة ولم ير النعيم في العذاب فما سجدها كما قال القائل

أريدك لا أريدك للثواب ٭ ولكني أريدك للعقاب

وكل مآربي قد نلت منها ٭ سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

وأما رابعة العدوية فضربت رأسها ركن جدار فادماه فقيل ما تحسين بالالم فقالت شغلي بموافقة مراده فيما يجرى شغلني عن الاحساس بما ترون من شاهد الحالة ﴿وصل السجدة السادسة﴾ وهي سجود المعادن والنبات سجود المشيئة والحيوان و بعض البشر وعمار الافلاك والاركان سجود مشاهدة واعتبار قال الله تعالى ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء فذكر سبحانه كل شئ في هذه الآية ولم يبعض الا الناس فانه قال وكثير من الناس وجعل ذلك من مشيئته فيبادر العبد بالسجود في هذه الآية ليكون من الكثير الذى يسجد لله لا من الكثير الذى حق عليه العذاب فاذا رأى هذا العبد ان الله تعالى قد وفقه للسجود ولم يحل بينه و بين السجود علم انه من أهل العناية الذين التحقوا بمن لم يبعض سجودهم عمن في السموات ومن في الارض والشمس في غروبها والقمر في محاقه والنجوم في مواقعها والجبال في اسكانها والشجر في اقامتها على سوقها والدواب في تسخيرها و بعض الناس بمن له الشهود فمن سجد هذه السجدة من أهل الله ولم يشهد كل عالم فيه ممن ذكر ويشهد سجود بعضه من كله ومن بقى منه ولم يسجد فما سجدها ﴿وصل السجدة السابعة﴾ وهي سجدة الفلاح والايمان عن خضوع وذلة وافتقار وهي في آخر الحج في قوله يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون فهذا سجود الفلاح وهو البقاء والفوز والنجاة فكان فعل الخير بمبادرته للسجود عند ما سمع

هذه الآية تتلى سببا لايمانه اذ كان الله قد أثنى بالمؤمنين فى هذه الآية وأمرهم بالركوع والسجود له فالتحق بالملائكة فى كونهم يفعلون ما يؤمرون فسجد العبد فأفلح وهى سجدة خلاف فمن سجد هذه السجدة ولم يعرف نسبة البقاء الالهى والابقاء ولم يفرق بين من هو باق ببقائه ومن هو باق بابقائه فاز فامتاز بعلامته عن انحاز وجاز وتجاوز عند ما التجاوز قال بالتثبت فى بعض الامور وفى بعضها بالتجافى سجد هذه السجدة ﴿وصل السجدة الثامنة﴾ وهو سجدة النفور والانكار عند أهل الاعتراف قال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا لما قيل لهم اسجدوا للرحمن فسجدها المؤمن عند ما يتلو ليمتاز بها عن الكافر المنكر لاسمه الرحمن فهذه تسمى سجدة الامتياز والله يقول وامتازوا اليوم أيها المجرمون فيقع الامتياز بين المنكرين للاسم الرحمن وبين العارفين به يوم القيامة بالسجود الذى كان منهم عند التلاوة وزادهم هذا الاسم نفورا لجهلهم به ولهذا قالوا وما الرحمن على طريق الاستفهام فهذا سجود انعام لا سجود قهر فان الكفار أخطؤا حيث رأوا ان الرحمن يناقض التكليف ورأوا ان الامر بالسجود تكليف فلا ينبغى أن يكون السجود لمن هو هذا الاسم الرحمن لما فيه من المبالغة فى الرحمة فلو ذكر بالاسم الذى يقتضى القهر لسارع الكافر الى السجود خوفا كما صدر من الجبار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من رؤساء الجاهلية حيث قال له يا محمد اتل على مما جئت به حتى أسمع فتلا عليه حم السجدة فلما وصل الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وهما من العرب وحديثهما مشهور عندهم بالحجاز فلما سمع هذه الآية ارتعدت فرائصه واصفر لونه واضطرب من شدة ما سمع ومعرفته بذلك وقال هذا كلام جبار فما زادهم نفورا الا اقتران التكليف بالاسم الرحمن فان الرحمن من عصاه عفا عنه وتجاوز فلا يكلفه ابتداء فلو علم هذا الجاهل ان أمره تعالى بالسجود للرحمن لا يناقض التكليف وانما يناقض المؤاخذة ويزيد فى الجزاء الحسنى لبادر الى ذلك كما بادر المؤمن فمن سجد هذه السجدة ولم يفرق بين العلم والخبرة وهو علم الاذواق ومنه قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم ﴿وصل السجدة التاسعة﴾ وهى سجدة السر الخفى عن النبأ اليقين وموضع السجود من هذه السورة مختلف فيه فقيل عند قوله يعلنون وقيل عند قوله رب العرش العظيم فهذا هو سجود توحيد العظمة ان سجد فى العظيم وان سجد فى قوله ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون يقول ان الشمس التى يسجدون لها وان اعتقدوا انها تعلم ما يعلنون فالسجود لمن يعلم ما يخفون وما يعلنون أولى ثم انهم يسجدون للشمس لكونها تخرج لهم بحرارتها ما خبأت الارض من النبات فقال الله لهم ينبغى لكم أن تسجدوا للذى يخرج الخبء فى السموات وهو اخراجه ما ظهر من الكواكب بعد أفولها وخبئها ثم يظهرها طالعة من ذلك الخبء وفى الارض ما يخرجه من نباتها فالشمس ليس لها ذلك بل بظهورها يكون خبء ما فى السموات من الكواكب فالله أولى بأن يسجد له من سجودكم للشمس فان حكمها عند الله كحكم الكواكب فى الافول والطلوع فطلوعها من الخبء الذى يخرجه الله فى السماء مثل سائر الكواكب فهذا سجود الرجحان فان الدليل هنا فى جناب الله أرجح منه فى الدلالة على ألوهة الشمس حين اتخذتموها الها لما ذكرناه فمن سجد هذه السجدة ولم يقف على لغات البهائم ولا علم منطق الطير ولم ينكح جميع الكواكب وحروف النطق بحيث يلتذ بها التذاذه بالكواعب ﴿وصل السجدة العاشرة﴾ وهى سجدة التذكر والذكر بتسبيح وتواضع عن دلالات منصوبة سجود عقل واستبصار وهذه سجدة الم تنزيل التى الى جانب سورة لقمان الحكيم انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ان حرف تحقيق وتنكير يقول ان الذى يصدق بآياتنا انها آيات نصبناها دلالات على وجودنا وصدق ارسالنا ما هى عن همم النفوس عند جميعها هم الذين اذا ذكروا بها والتذكر لا يكون الا عن علم غفل عنه أو نسيان من عاقل فانما يتذكر أولوا الألباب يقول انها مدركة بالنظر العقلى انها دلالات على ما نصبناها عليه فاذا ذكروا بها وقعوا على وجوههم أى حرصوا على معرفة ذواتهم فنزهوا ربهم بما نزه به نفسه على السنة رسله ولم يعطهم العلم الأنفة عن ذلك فمن سجد هذه السجدة ولم يقف على مدارك عقله ولم يفرق بين ما يعطيه نظره وبين

ما يعطيه إيمانه فيزيد به إيمانا لا عقلا ويأخذ العلم والحكمة حيث وجدها ولا ينظر إلى المحل الذي جاء بها وان العاقل يعرف الرجال بالحق وغير العاقل يعرف الحق بالرجال وهذا من أكبر أغاليط النظر فان المعنى الذي يندرج في اللفظ الذي يقصد به المتكلم إيضاح أمر هو في الحق المطلوب يقبله الجاهل من الرسول اذا جاء به ويجهله ويرده من الوارث والولي اذا جاء به فلو قبل العلم لذات العلم لكان ممن تذكر فان الله تعالى يقول في حق ما أنزل من القرآن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب به ثلاث طبقات من الناس فهو في حق طائفة بلاغ يسمعون حروفه إيمانا بها انها من عند الله لا يعرفون غير ذلك وطائفة تلا عليها اليدبروا آياته أي يتفكروا فيها حتى يعلموا ان الآتي بها لم يأت بها من نفسه بل هي من عند مرسله سبحانه وليتذكر أرباب العقول ما كانوا قد علموه قبل أي ما جاؤا بما تحيله الادلة الغامض ادراكها فانها الدلالات وهم أهل الكشف والجمع والوجود فمن لم يحصل ما ذكرناه في سجوده هذه السجدة فما سجد

﴿وصل السجدة الحادية عشرة﴾ وهي لنا سجدة شكر في حضرة الأنوار ولصاحبها سجدة توبة لا من حوبة وليست من عزائم السجود وهذه سجدة سورة ص في قوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فسجدها توبة وشكرا معا والظن على بابه يقول ظن داود انما اختبرناه فان الفتنة في اللسان الاختبار تقول العرب فتنت الفضة على النار أي اختبرتها فطلب طلبا مؤكدا الستر من ربه فان الاستفعال يؤذن بالتأكيد ووقع خاضعا ورجع الى الله فيما طلب عنه لا لحوله وقوته وهذا دليل على أنه كان عنده من القوة ما يستتر به فلم يفعل ورجع الى الله في ذلك ويؤيد هذا قول الله له ولا تتبع الهوى فلو لم يكن في قوته التحكم به فيما يريده بما نهي عنه فقضينا حاجته فيما رجع الينا فيه وسترناه عن الاغيار في حضرتنا فجل قدره مع تصريحنا بخلافته عنا في الحكم في عبادي والتحكم والتصريف ثم قال وان له عندنا لزلفى مما هو له منا لا يرجع من ذلك الى الاكوان والاغيار شيء وحسن مآب وخاتمة حسنة أي مشهود لان الحسنة والحسنى من الاحسان وهو مقام الشهود الذي يعطي الحقائق على ما هي عليه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاحسان لجبريل عليه السلام بما أشرنا اليه فمن سجد هذا السجود وهو سجود الانابة وفي السجود فيها خلاف فاذا سجدها الانسان ولم يجد فيها ما وجد داود عليه السلام من التقريب الالهي وعلم خاتمة أمره وبما ذا يختم له ونهاية مقامه ومنزلته عند ربه في الدار الآخرة هذا اذا سجدها سجود داود واذا سجدها سجود رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجد الزيادة في جميع أحواله في كل حال بما يليق به من علم وعمل في كل دار بما يليق بتلك الدار فان الزيادات في الدار بحسب ما وضعت لها فالدنيا دار تكليف وعمل والآخرة دار جزاء والدنيا أيضا دار جزاء لمن عقل عن الله هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر زاد في عبادة ربه فقام حتى تورمت قدماه شكرا لله على ذلك وهذا جزاء العبد على المغفرة فهي دار جزاء فيوم الدين هو يوم الدنيا والآخرة فوضع الحدود جزاء ويجازي أهل الشقاء بما عملوه من مكارم الاخلاق في الدنيا ما أنعم به عليهم من النعم حتى انقلبوا الى الآخرة وقد جنوا ثمر خيرهم في الدنيا فلو لم تكن الدنيا أيضا دار جزاء ما كان هذا فمن لم يدرك في سجوده أمثال هذه العلوم فلم يسجد

﴿وصل السجدة الثانية عشرة﴾

وهي سجدة الاجتهاد وبذل المجهود فيما ينبغي لجلال الله من التعظيم والالتذاذ به وهي في حم السجدة وفي موضع سجودها خلاف فقيل عند قوله ان كنتم اياه تعبدون فمن سجد هنا جعلها سجدة شرط ومن سجدها عند قوله لا يسأمون كانت عنده سجدة نشاط ومحبة لما كانت حاجة الخلق الى الليل ليسكنوا فيه ويتخذوه لباسا يحول بينهم وبين أعين الناظرين والى النهار ليتسببوا فيه في تحصيل أقواتهم ورأوا ان الشمس يكون النهار بطلوعها ويكون الليل بغروبها نسبوا وجود الليل والنهار اليها فعبدوها وهم الشمسية رأينا منهم خلقا كثيرا ببلاد يونان ونزلت عند واحد من علمائهم فسألته لم أشركتم مع الله في عبادته عبادة الشمس فقال لي ما عبدنا الشمس لكونها الها حاشى لله بل الله اله واحد وانما نظر علماؤنا فيها لهذا النير الاعظم من المنافع في العالم ثم عدد ما ربط الله به من المنافع فعرفنا أنه لو لم يكن له عناية من الله به ما ولاه على هذه الامور فطلبنا القربة اليه بالتعظيم ليكون لنا أحسن

وساطة عند الله فى تغليبنا والشمس عند نا عبد فقير الى الله تعالى الا ان الله به عناية هذا قوله لى ونحن على مائدته نأكل ضيافته يقول الله تعالى فى هذه السجدة ومن آياته الضمير يعود على الله الليل والنهار وان حدث عن الشمس فما هو من آياته بل هو من آياتى ثم قال والشمس والقمر وأخبرهم أن الله محى آية الليل وهو القمر فلا يظهر لنوره حكم فى ابصر الا بالليل ونوره معار فانه انعكاس نور الشمس فانه لها كالمرآة فالنور الذى يعطيك القمر انما هو للشمس وهو موصل لا غير لانه محو وجعل آية النهار مبصرة يعنى نورها ظاهر البصر وجعلنا ذلك الطلوع والغروب ان يكون حسابه بالشمس ليعلم فصول سنته ومن يكون حسابه بالقمر عدد السنين والحساب يقول الله فى الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج فقال لهم اذا كانت عبادتكم للشمس والقمر لهذه العلة فأنا خالق هذه الآيات دلالات على فاسجدوا لله الذى خلقهن لجميع الليل والنهار والشمس والقمر فى الضمير وغلب هنا التأنيث على التذكير لان الليل والنهار والشمس والقمر منفعلون لا فاعلون فهو تشبيه واضح لمن عقل وجمعهن جمع من يعقل من المؤنث ينبه بذلك أيضا على نقص الدرجة التى تنبغى للذكورية ولم يقل خلقهم حتى لا يعظم قدرهم بتغليب التذكير عليهم فان العرب تغلب المذكر على المؤنث فى كلامها تقول زيد والفواطم خرجوا ولا تقول خرجن فالله الذى خلقهن أولى بأن تعبدوه منهن لان مرتبة الفاعل فوق مرتبة المنفعل فالحق أولى وأحق أن يعبد ممن له النقص من طريقين من كونه مخلوقا ومن كونه مؤنثا وقال ان الذين عند ربك يعنى العلماء بالله من الملائكة الذين هم دون مقعر فلك القمر يسبحون له بالليل والنهار وهم أعلم بالله منكم فلو كان ما اتخذتموه من هؤلاء آلهة لكانت الملائكة أولى بالسجود لهن منكم لعلمكم انهم أعلم فهم يسجدون لله من غير سآمة ولا فتور ﴿وصل السجدة الثالث عشرة﴾ وهى سجدة الطرب واللهو تنبيه الغافلين عن الله وهى سجدة خاتمة سورة النجم وفى السجود فيها خلاف واقترن بسجودها الامر الالهى والذلة والمسكنة لان السامدين اللاهون فيقول لهم وان كنتم أهل غناء فتغنوا بالقرآن فهو أولى بكم فاسجدوا لله واعبدوا وقد ورد فى الخبر ما أذن الله لنبى كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن يقول ما استمع كاستماعه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن فجعل التغنى به من السنة وهى لغة حميرية يقولون اسمد لنا أى غن لنا فى وقت حصادهم لينشطوا للعمل وكانت العرب اذا سمعت القرآن غنت حتى لا تسمع القرآن وكانوا يقولون ما أخبر الله عنهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون كما يفعله اليوم من لم يوفقه الله من العلماء اذا سمعوا كلام أهل الله بما يمنحهم الله من الاسرار يقولون هذا هذيان وفشار وأما المتغالون فيقولون هذا كفر ولو سئلوا عن معنى ما سمعوا ما عرفوا فقال الله أفمن هذا الحديث يعنى من القرآن فيما وعظهم به منهم وتوعدهم ووعدهم تعجبون تكثرون التعجب كيف جاء به مثل هذا وما أنزل على عظمائكم كما قالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وتضحكون أى تهزؤن منه اذا أتى به وهؤلاء هم الذين ذكرنا من جهلهم انهم لا يعرفون الحق الا بالرجال وأنتم سامدون يقول لاهون فلا تفعلوا ولا تتكبروا واخضعوا لله الذى هذا كلامه بلغتكم وتذللوا لمنزله فان فى القرآن ما يبكى من الوعيد وما يضحك ويتعجب فيه من الفرح باتساع رحمة الله ولطفه بعباده ولا تبكون وفى القرآن من الوعيد والمخاوف ما يبكى بدل الدموع دما لمن دبر آياته وأنتم سامدون وفى القرآن هذا كله فما لكم عنه معرضون وموطن الدنيا موطن حذر ولا سيما والموت فيكم رائح وغاد مع الانفاس ولا تتفكروا الى أين تصيرون والى أين تسافرون وأين تحطون ما هى الدنيا موطن أمان والعالم الحكيم هو الذى يعامل كل موطن بما يستحقه ﴿وصل السجدة الرابع عشرة﴾ وهى سجدة الجمع والوجود فمن سجد سجدة النجم ولم يتجل له فى علم النغمات والالحان المطربة الفلكية ورأى ان أصوات كل مصوت مزامير من مزامير الحق فى العالم ويشهد داود عليه السلام فى هذا الكشف ويرى الاصوات والحروف ناطقة بكل معنى عجيب يهز الجبال الراسيات طربا ويضحك الثكلى سرورا وفرحا فما سجدها وهذه السجدة الاخرى فى سورة اذا السماء انشقت وفيها خلاف وسجدها أبو هريرة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسجد فيها عند قوله واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون فهذا سجود الجمع لانه سجود عند القرآن والجمع يؤذن بالكثرة وقد تكون

الكثرة

الكثرة بالامثال وغيرها والاحدية وان كانت لله تعالى فالمقطوع به أحدية الالوهية أي لا اله الا الله وأحدية الكثرة من حيث أسماؤه الحسنى وأما الحق فلا يقال فيه من حيث ما هو عليه في نفسه كل ولا بعض ويقال في الواحد منا رأيت زيدا نفسه عينه كله لاحتمال أنك قد ترى وجهه دون سائر جسده فاعطى التأكيد بالكل رؤية جميعه فلولا وجود الكثرة فيه ما قلت كله يقول فاذا سمع القرآن الذي هو جامع صفات الله من التنزيه والتقديس كيف لا يتفكر السامع جمعيته فيسجد لمن له جميع صفات التنزيه فمن سجد في هذه السورة ولم يقف على علم المولد وما تجنه الحاملات في بطونها من أنواع الحوامل من العالم كالارض والسحاب والنساء وجميع الاماني وما تحمله الكتب في حروفها من المعاني فانها من جملة الحاملات ولم يقف فيها على رجوعه من أين جاء ويرى صورة حاله عيانا حالا وعاقبة بحيث أن يحلف على ما رآه لقطعه به فما سجد ﴿وصل السجدة الخامس عشرة﴾ وهي سجدة العقل الاول سجود تعليم عن شهود ورجوع الى الله وهذه سجدة سورة العلق عند قوله واسجد واقترب فهي سجدة طلب القرب من الله تعالى وجاءت بعد كلمة ردع وزجر وهو قوله كلا لما جاء به من لا يؤمن بالله واليوم الآخر يقول له ربه اسجد واقترب لما تعتصم مما دعاك اليه فتأمن غائلة ذلك انتهى الجزء السابع والاربعون

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿وصل في فصل وقت سجود التلاوة﴾

منع قوم السجود في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها وأجاز قوم السجود بعد صلاة العصر وبعد صلاة الصبح ما لم تدن الشمس الى الغروب أو الطلوع والذي أقول به بالسجود في كل وقت لان متعلق النهي الصلاة وليس السجود من الصلاة شرعا الا في الصلاة كما أن له أن يقرأ الفاتحة في كل وقت وان كانت قراءتها في الصلاة من الصلاة ﴿الاعتبار﴾ هذا الفصل السجود قربة تعريف وتنزيه بما يستحقه الاله من العلو والرفعة عن صفات المحدثات ومثل هذا لا يتقيد بوقت دون وقت بل نسبة تعظيمه واجلاله الى الاوقات على السواء كما أن للعبد أن يناجي ربه بتلاوته كتابه العزيز في كل وقت وهو محمود في ذلك مأجور عند الله عز وجل

﴿وصل في فصل من يتوجه عليه حكم السجود﴾

أجمعوا على أنه يتوجه على القارئ في صلاة كان أو غير صلاة السجود واختلفوا في السامع فمن قائل عليه السجود ومن قائل عليه السجود بشرطين أحدهما أن يسجد القارئ والآخر أن يكون قعد ليسمع القرآن وأن يكون القارئ ممن يصلح أن يكون اماما للسامع وقيل عن بعضهم يسجد السامع لسجود القارئ وان كان القارئ لا يصلح للامامة اذا جلس اليه ليسمع والذي أذهب اليه انه لا سجود عليهما وان كرهنا لهما ذلك ﴿الاعتبار﴾ يجب السجود على القلب واذا سجد لا يرفع أبدا بخلاف سجود الوجه اتفق لسهل بن عبد الله في أول دخوله الى هذا الطريق انه رأى قلبه قد سجد وانتظر أن يرفع فلم يرفع فبقي حائرا فما زال يسأل شيوخ الطريق عن واقعته فما وجد أحدا يعرف واقعته فانهم أهل صدق لا ينطقون الا عن ذوق محقق فقيل له ان في عبادان شيخا معتبرا لو رحلت اليه ربما وجدت عنده علم ما تسأل عنه فرحل الى عبادان من أجل واقعته فلما دخل عليه سلم وقال يا أيها الشيخ أيسجد القلب فقال له الشيخ الى الأبد فوجد شفاءه فلزم خدمته ومدار هذه الطريقة على هذه السجدة القلبية اذا حصلت للانسان حالة مشاهدة عين فقل كمل وكملت معرفته وعصمته فلم يكن للشيطان عليه من سبيل وتسمى هذه العصمة في حق الولي حفظا كما تسمى في حق النبي والرسول عصمة ليقع الفرق بين الولي والنبي أدبا منهم مع الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ليختصوا باسم العصمة ومع هذا فاني أبين الفرق بينهما وذلك ان الانبياء لهم العصمة من الشيطان ظاهرا وباطنا وهم محفوظون من الله في جميع حركاتهم وذلك لانهم قد نصبهم الله للناس ولهم المناجاة الالهية فالانبياء المرسلون معصومون من المباح ان يفعلوه من أجل نفوسهم لانهم يشرعون بافعالهم وأقوالهم فاذا فعلوا مباحا يأتونه للتشريع

ليقتدى بهم و يعرفون الاتباع عين الحكم الالهى فيه فهو واجب عليهم ليبينوا للناس ما نزل اليهم يقول الله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وللورثة من هذا التبليغ حظ وافر والولى محفوظ من الأمر الذى يقصد الشيطان عند القائه فى قلب الولى ماشاء الله ان يلقى اليه فيقلب عينه بصرفه الى الوجه الذى يرضى الله فيحصل بذلك على منزلة عظيمة عند الله ولولا حرص ابليس على المعصية ما عاد الى هذا الولى مرة أخرى فانه يرى ما جاء به ليبعده بذلك من الله يزيده قربا وسعادة والانبياء معصومون ان يلقى الشيطان اليهم فهذا الفرق بين العصمة والحفظ وانما جعلوا الحفظ للولى أيضا أدبا مع النبى فان الشيطان ماله سبيل على قلوب بعض الأولياء من أجل العلم الذى أعطاه التجلى الالهى لقلوبهم يقول تعالى وحفظا من كل شيطان مارد وهو أعظم الشياطين فانه لايلقى الى أحد الا مايليق بمقامه فيأتى الى الولى فما يلقى اليه الافعل الطاعات ويزوعه فيها ويخرجه من طاعة الى طاعة أعلى فلا يرى الولى فيها أثرا لهدى نفسى فيبادر الى فعلها و يقنع الشيطان المارد منه بهذا الاخذ عنه على جهالة فلو كان على بينة من ربه فى ذلك لكان أولى فالشيطان لايقدر أن يقدح فى علم التجلى الالهى بوجه من الوجوه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حق شيطانه أعنى قرينه الموكل ان الله أعانه عليه فأسلم أى انقاد اليه فلا يأمره الا بخير بخلاف من كان عنده العلم بالله عن نظر فكرى واستدلال فان الشيطان يلقى اليه الشبهة فى أدلته ليحيره و يرده الى محل النظر ليموت على جهل بربه أو شك أو حيرة أو وقفة والولى الحاصل عنده العلم عن التجلى هو على بصيرة محفوظ من كل شبهة فان الشيطان أعنى شيطان الانس والجن ليس له على قلب صاحب علم التجلى الالهى سبيل فى ربه وهذا لايكون لاحد من الاولياء الالمن سجد قلبه فان الشيطان لايعتزل عن الانسان الا فى حال سجوده فى الظاهر والباطن فان لم يسجد قلب الولى فليس بمحفوظ وهذه مسئلة دقيقة عظيمة فى طريق أهل الله ما تحصل الا الافراد يعز وجودهم وهم الذين هم على بينة من ربهم والبينة تجليه تعالى ويتلوتلك البينة شاهد من العبد معدل وهو سجود القلب فاذا اجتمعت البينة الربانية والشاهد التالى عصم القلب وحفظ ودعا صاحبه الخلق الى الله على بصيرة وعلى هذا المقام من طريق القوم أسباب حار فيها القوم مثل قول أبى يزيد دعوت الخلق الى الله كذا وكذا سنة ثم رجعت اليه فوجدتهم قد سبقونى وقيل له فى هذا المقام أيعصى العارف فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا وهذا غاية فى الادب حيث لم يقل نعم ولا لا وهذا من كمال حاله وعلمه وأدبه رضى الله عنه وعن أمثاله

﴿وصل فى فصل صفة السجود﴾

فمن قائل يكبر اذا خفض واذا رفع ومن قائل لايكبر الا اذا كانت السجدة فى الصلاة حينئذ يكبر لها فى الخفض والرفع والذى أذهب اليه التكبير وان كان لم ينقل ولا خلافه ﴿وصل فى اعتبار هذا الفصل﴾ تكبير الحق عن السجود محمود على أى حال كان فانه تنزيه و ينبغى للعبد أن يعطى اللسان حظه من هذا السجود وليس الا التلفظ بالتكبير كما سجد سائر أعضائه كل عضو بحقيقته

﴿وصل فى فصل الطهارة للسجود﴾

فمن قائل لايسجد الا على طهارة ومن قائل يسجد وان لم يكن طاهرا وبه أقول وعلى طهارة أولى وأفضل فان النبى صلى الله عليه وسلم تيمم لرد السلام وقال انى كرهت ان أذكر الله الا على طهر أو قال على طهارة ﴿الاعتبار فى هذا الفصل﴾ طهارة القلب شرط فى صحة السجود لله عز وجل من كونه ساجدا وطهارة الجوارح فى وقت السجود معقولة من طريق المعنى فانها فى وقت السجود غير متصرفة فى أمر آخر بخلاف القلب ولهذا اذا سجد قلب العبد لم يرفع أبدا والجوارح فى حال السجود فى غير الصلاة متصرفة فى عبادة لم يشترط فى فعلها استعمال ماء ولا تراب وان كان على طهارة فهو أولى وأفضل وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنه يسجد للتلاوة على غير طهارة

﴿وصل فى فصل السجود للقبلة﴾

اختلف العلماء رضى الله عنهم فى السجود للتلاوة للقبلة فمن قائل يسجد فى التلاوة لاى وجهة كان وجهه والاولى

استقبال

استقبال القبلة ومن قائل لا بد من استقبال القبلة والذى أقول به بالسجود لاى وجه كان فان الله يقول فأينما تولوا فثم وجه الله واذا قدر على القبلة فهو أولى للجمع بين الظاهر والباطن ﴿وصل فى اعتبار ذلك﴾ ان الله جل جلاله عن التقييد فهو قبلة القلوب فأينما تولوا فثم وجه الله حقيقة منزهة بلا خلاف بين أهل الله فاذا سجد العبد لله فقد سجد للقبلة المعتبرة فان الله بكل شئ محيط لا تقيده الجهات ولا تحصره الايفيات وهو بالعين فى كل أين ليس ذلك لسواه ولا يوصف به موجود الا اياه فان جمع الساجد بين القبلتين كما جمع فى خلقه بين النشأتين باليدين فيقيد من يقبل التقييد ويطلق من يقبل الاطلاق فيعطى كل ذى حق حقه كما ان الله أعطى كل شئ خلقه

﴿وصل فى فصل صلاة العيدين حكما واعتبارا﴾

صلاة العيد تكرار الشهود ٭ بما يبدو وعلى من الوجود
اذا جلى لنا ما كان منه ٭ لنا منى به فى كل عيد
فعيدى من وجودى يوم جود ٭ يمن به على بلا مزيد
أكبره بسبع ثم خمس ٭ عن القرب المقيد بالوريد
واطلب منه ما تعطيه ذاتى ٭ لذاك اليوم من لبس جديد
ولوانى أقول بعين كونى ٭ لميزت المراد من المريد
ولكن عنه أعنى حين أكنى ٭ بحال فى هبوط أو صعود
أناجيه به فى كل حال ٭ ويحجبنى بلذات المزيد
وأرفع ستره عن عين ذاتى ٭ فتغنينى المطالع عن وجودى
بماء حياته طهرى ومن لم ٭ يجد ماء تيمم بالصعيد
وعين تيممى ردى بذاتى ٭ الى بلا شهود فى شهود

صلاة العيدين سنة بلا أذان ولا اقامة هما يوما سرور عيد الفطر لفرحته بفطره فيعجل بالصلاة للقاء ربه فان المصلى يناجى ربه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه فأراد أن يعجل بحصول الفرحتين فشرعت صلاة عيد الفطر وحرم عليه صوم ذلك اليوم ليكون فى فطره مأجورا أجر الفرائض فى عبودية الاضطرار لتكون المنوبة عظيمة القدر وفى صلاة عيد الاضحى مثل ذلك لصيامه يوم عرفة فى حق من صامه فانه صوم مرغب فيه فى غير عرفة وحرم عليه صوم يوم الاضحى ليؤجر أجر الواجبات فانهما من أعظم الاجور ولما كان يوم زينة وشغل باحوال النفوس من أكل وشرب وبعال شرع فى حق من ليس بحاج فى ذلك اليوم أن يستفتح يومه بالصلاة بمناجاة ربه لتحفظه سائر يومه فان الصلاة فى ذلك اليوم فى أول النهار كالنية فى الصلاة فكما ان النية تحفظ عليه هذه العبادة وان صحبته الغفلة فى أثناء صلاته فالنية تجبر له ذلك فانها تعلقت عند وجودها بكمال الصلاة فكمهاسار فى الصلاة وان غفل المصلى كذلك الصلاة فى يوم العيد تقوم مقام النية واليوم يقوم مقام الصلاة فما كان فى ذلك اليوم من الانسان من لهو ولعب وفعل مباح فهو فى حفظ صلاته الى آخر يومه ولهذا سميت صلاة العيد أى تعود اليه فى كل فعل يفعله من المباحات بالاجر الذى يكون للمصلى حال صلاته وان غفل لصحة نيته ولهذا حرم عليه الصوم فيه تشبيها بتكبيرة الاحرام وليقابل به نية الصوم فى حال وجوب الصوم فيكون فى فطره صاحب فريضة كما كان فى صومه فى رمضان صاحب فريضة فجميع ما يفعله من المباحات فى ذلك اليوم مثل سنن الصلاة فى الصلاة وجميع ما يفعله من الفرائض فى ذلك اليوم والواجبات من جميع العبادات بمنزلة الاركان فى الصلاة فلا يزال العبد فى يوم العيدين حاله فى أفعاله كلها حال المصلى فلهذا قلنا سميت صلاة العيد بخلاف ما يقول من ليس من طريقنا ولا شرب بشربنا من انه سمى بذلك لانه يعود فى كل سنة فهذه الصلوات الخمس تعود فى كل يوم ولا تسمى صلاة عيد وان كان لا يلزم هذا ولكن هو قول فى الجملة يقال فان قيل لا رتباطه يوم العيد بالزينة قلنا والزينة مشروعة فى كل صلاة فان الله يقول خذوا زينتكم عند كل مسجد

للمؤمنين من بني آدم فلما عاد الفطر عبادة مفروضة سمي عيدا وعادما كان مباحا واجبا

﴿فصول ما أجمع عليه أكثر العلماء﴾

الغسل مستحسن في هذا اليوم للخروج الى الصلاة بلا خلاف أعني في استحسانه والسنة ترك الاذان والاقامة الا ما أحدثه معاوية على ما ذكره أبو عمر بن عبد البر في أصح الاقاويل عنه في ذلك والسنة تقدم الصلاة على الخطبة في هذا اليوم الا ما فعله عثمان بن عفان رضي الله عنه وبه أخذ عبد الملك بن مروان رحمه الله نظرا واجتهادا ومبني على ما فهم من الشارع من المقصود بالخطبة ما هو وأجمعوا أن لا توقيت في القراءة في صلاة العيدين مع استحباب قراءة سبح اسم ربك الاعلى في الاولى وفي الثانية الغاشية وكذلك سورة ق في الاولى وسورة القمر في الثانية اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿الاعتبار في هذا الفصل﴾ الغسل وهو الطهارة العامة والطهارة تنظيف فليلبس أحسن لباسه ظاهرا وهو الريش وباطنا وهو لباس التقوى والمراد بالتقوى هنا ما يقي به الانسان كشف عورته أو ألم الحر والبرد وهو خير لباس من الريش ولما توفرت الدواعي على الخروج في هذا اليوم الى المصلى من الصغير والكبير وما شرع من الذكر المستصحب للخارجين سقط حكم الاذان والاقامة لانهما للاعلام لينبه الغافلين والتهيؤ هنا حاصل لحضور القلب مع الله يغني عن اعلام الملك بلمته التي هي بمنزلة الاذان والاقامة للاسماع والتي أحدث معاوية مراعاة للنادر وهو تنبيه الغافل فانه ليس ببعيد أن يغفل عن الصلاة بما يراه من اللعب بالتفرج فيه وكانت النفوس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوفرة على رؤيته صلى الله عليه وسلم وفرجها في مشاهدته وهو الامام فلم يكن يشغلهم عن التطلع اليه شاغل في ذلك اليوم فلم يشرع أذانا ولا اقامة وأما تقديم الصلاة على الخطبة فان العبد في الصلاة مناج ربه وفي الخطبة مبلغ للناس ما أنزل اليه من التذكير في مناجاته فكان الاولى تقديم الصلاة على الخطبة وهي السنة فلما رأى عثمان بن عفان ان الناس يفترقون اذا فرغوا من الصلاة ويتركون الجلوس الى استماع الخطبة قدم الخطبة مراعاة لهذه الحالة على الصلاة تشبيها بصلاة الجمعة فانه فهم من الشارع في الخطبة اسماع الحاضرين فاذا افترقوا لم تحصل الخطبة لما شرعت له فقدمها ليكون لهم أجر الاستماع ولو فهم عثمان رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم خلاف هذا ما فعله واجتهد ولم يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ما يمنع منه ولقرائن الاحوال أثر في الاحكام عند من ثبتت عنده القرينة وتختلف قرائن الاحوال باختلاف الناظر فيها ولاسيما وقد قال صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني أصلي وقال في الحج خذوا عني مناسككم فلو راعى صلى الله عليه وسلم صلاة العيد مع الخطبة مراعاة الحج ومراعاة الصلاة لنطق فيها كما نطق في مثل هذا وكذلك ما أحدثه معاوية كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره خال المؤمنين فالظن بهم جميل رضي الله عن جميعهم ولا سبيل الى تجريحهم وان تكلم بعضهم في بعض فلهم ذلك وليس لنا الخوض فيما شجر بينهم فانهم أهل علم واجتهاد وحديثو عهد بنبوة وهم مأجورون في كل ما صدر منهم عن اجتهاد سواء أخطؤا أم أصابوا وأما التوقيت في القراءة فما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك كلام وان كان قد قرأ بسورة معلومة في بعض أعياده مما نقل الينا في أخبار الآحاد وقد ثبت في القرآن المتواتر أن لا توقيت في القراءة في الصلاة بقوله فاقرؤا ما تيسر من القرآن ولا يكلف الله نفسا الا ما آتاها وهو ما يتذكره في وقت الصلاة والقرآن كله طيب وتاليه مناج ربه بكلامه فان قرأ بتلك السورة فقد جمع بين ما تيسر والعمل بفعله صلى الله عليه وسلم فهو مستحب والتأسي به مشروع لنا وليس بفرض ولا سنة

﴿وصل في فصل التكبير في صلاة العيدين﴾

فقال قوم يكبر بعد تكبيرة الاحرام وقبل القراءة في الركعة الاولى سبع تكبيرات وقيل بتكبيرة الاحرام ويكبر في الثانية بعد تكبيرة القيام الى الركعة الثانية خمس تكبيرات وقال آخرون يكبر في الاولى قبل القراءة وبعد تكبيرة الاحرام ثلاث تكبيرات ويكبر في الركعة الثانية بعد القراءة ثلاث تكبيرات ثم يكبر للركوع وحكى أبو بكر بن ابراهيم بن المنذر في التكبير اثني عشر قولا ﴿وصل في اعتبار هذا الفصل﴾ زيادة التكبير في صلاة العيدين على

التكبير المعلوم فى الصلوات تؤذن بأمر زائد يعطيه اسم العيد فانه من العودة فيعاد التكبير لانها صلاة عيد فيعاد كبرياء الحق تعالى قبل القراءة لتكون المناجاة عن تعظيم مقرّر مؤكد لان التكرار تأكيد للتثبيت فى نفس المؤكد من أجله مراعاة لاسم العيد اذ كان للاسماء حكم ومرتبة عظمى فان بها شرف آدم على الملائكة فاسم العيد أعطى اعادة التكبير لان الحكم له فى هذا الموطن وبعد القراءة فى مذهب من يراه لاجل الركوع فى صلاة العيد وسبب ذلك ان العيد لما كان يوم فرح وزينة وسرور واستولت فيه النفوس على طلب حظوظها من النعيم وأيدها الشرع فى ذلك بتحريم الصوم فيه وشرع لهم اللعب فى هذا اليوم والزينة وفى هذا اليوم لعبت الاحابشة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ينظر اليهم وعائشة رضى الله عنها خلفه صلى الله عليه وسلم وفى هذا اليوم دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنيتان فغنتا فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ولما أراد أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين دخل أن يغير عليهما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فانه يوم عيد فلما كان هذا اليوم يوم حظوظ النفوس شرع الله تضاعف التكبير فى الصلاة ليتمكن من قلوب عباده ما ينبغى للحق من الكبرياء والعظمة لئلا تشغلهم حظوظ النفوس عن مراعاة حقه تعالى بما يكون عليهم من أداء الفرائض فى أثناء النهار أعنى صلاة الظهر والعصر وباقى الصلوات قال الله تعالى ولذكر الله أكبر يعنى فى الحكم فمن رآه ثلاث تكبيرات فلعوالمه الثلاثة لكل عالم تكبيرة فى كل ركعة ومن رآه سبعا فاعتبر صفاته فكبر لكل صفة تكبيرة فان العبد موصوف بالصفات السبعة التى وصف الحق بها نفسه فكبره أن تكون نسبة هذه الصفات اليه سبحانه كنسبتها الى العبد فقال الله أكبر يعنى من ذلك فى كل صفة والمكبر خمسا فيها فنظره فى الذات والاربع الصفات التى يحتاج اليها العالم من الله أن يكون موصوفا بها وبها ثبت كونه الها فيكبره بالواحدة لذاته بليس كمثله شئ ويكبره بالاربع هذه الصفات الاربع خاصة على حد ما كبره فى السبع من عدم الشبه فى المناسبة فاعلم ذلك وأما رفع الايدى فيها فاشارة الى أنه ما بأيدينا شئ مما ينسب الينا من ذلك وأما من لم يرفع يديه فيها فاكتفى برفعها فى تكبيرة الاحرام ورأى ان الصلاة أقرب بالسكينة فلم يرفع اذ كانت الحركة تشوّش غالبا ليتفرغ بالذكر بالتكبير خاصة ولا يعلق خاطره بيديه ليرفعهما فينقسم خاطره فكل عارف راعى أمرا فعمل بحسب ما أحضره الحق فيه

﴿وصل فى فصل فى التنفل قبل صلاة العيد وبعدها﴾

فمن قائل لا يتنفل قبلها ولا بعدها ومن قائل بالعكس ومن قائل لا يتنفل قبلها ويتنفل بعدها والذى أقول به ان الموضع الذى يخرج اليه لصلاة العيد لا يخلو اما أن يكون مسجدا فى الحكم كسائر المساجد فيكون حكم الاتى اليه حكم من جاء الى مسجد فمن يرى تحية المسجد فليتنفل كما أمر فى ركعتى دخول المسجد وان كان فضاء غير مسجد موضوع فهو مخير ان شاء تنفل وان شاء لم يتنفل ﴿وصل الاعتبار فى هذا الفصل﴾ المقصود فى هذا اليوم فعل ما كان مباحا على جهة الفرض والندب خلاف ما كان عليه ذلك الفعل فى سائر الايام فلا يتنفل فيه سوى صلاة العيد خاصة والفرائض اذا جاءت أوقاتها فان حركة الانسان فى ذلك اليوم فى أمور مقرّبة مندوب اليها وفى فرض ومن كان فى أمر مندوب اليه مربوط بوقت فينبغى أن يكون له الحكم من حيث ان الوقت لذلك المندوب المعين فهو أولى به فلا يتنفل وقد ندب الى اللعب والفرح والزينة فى ذلك اليوم فلا يدخل مع ذلك مندوبا آخر يعارضه فاذا زال زمانه حينئذ له أن يبادر الى سائر المندوبات ويرجع ما كان مندوبا اليه فى هذا اليوم مباحا فيما عداه من الايام وهذا هو فعل الحكيم العادل فى القضايا فان لنفسك عليك حقا واللعب واللهو والطرب فى هذا اليوم من حق النفس فلا تكن ظالما نفسك فتكون كمن يقوم الليل ولا ينام فان تفطنت فقد نبهتك

﴿وصل فى فصول الصلاة على الجنازة﴾

الصلاة على الميت شفاعة من المصلى عليه عند ربه ولا تكون الشفاعة الا لمن ارتضى الحق أن يشفع فيه ولم يرتض سبحانه من عباده الا العصاة من أهل التوحيد سواء كان ذلك عن دليل أو ايمان وهذا شرع تلقين الميت ليكون

الشفيع على علم بتوحيد من يشفع فيه وآخر شافع حيث كان الاسم الرؤف يشفع عند الاسم الجبار المنتقم في نجاة من عنده علم التوحيد مع وصول الدعوة اليه وتوقفه في القبول فان الموحد الذي لم تصل اليه الدعوة لا يدخل النار فلا تكون الشفاعة الا في العصاة الذين بلغتهم الدعوة فمنهم من آمن ومنهم من توقف ايمانه بهذا الشخص من أجل ما جاء به لانه استند الى عظيم لا ينبغي أن يفترى عليه فاحتاج الى دليل يقطع به على صدق دعواه فيما يبلغه انه من عند الله فلهذا توقف اذ لم يرزقه الله العلم الضروري ابتداء بصدق دعوى هذا الرسول قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يعني نبعثه بالآيات البينات على صدق دعواه وكذا أخبر الله تعالى انه أيد الرسل بالبينات ليعذر الانسان من نفسه والايمان نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده فاذا انضاف الى نور العلم فهو نور على نور فانشرح في حال الميت الذي يصلى عليه وما يجب له وما يجب من أجله علينا من تجهيزه على الصفات التي أمرنا الشارع بها فمن ذلك التلقين التلقين عند الموت اذا احتضر فان الهول شديد والمقام عظيم وهو وقت الفتنة التي هي فتنة المحيا بما يكشفه المحتضر عند كشف الغطاء عن بصره فيما بين مالا يعاينه الحاضر ويتمثل له من سلف من معارفه على الصور التي تعرفهم فيها وهم الشياطين تتمثل اليه على صورهم بأحسن زي وأحسن صورة ويعرفونه انهم ما وصلوا الى ما هم فيه من الحسن الا بكونهم ماتوا مشركين بالله فينبغي للحاضر بن عنده في ذلك الوقت من المؤمنين أن يلقنوه شهادة التوحيد ويعرفوه بصورة هذه الفتنة لينتبه بذلك فيموت مسلما موحدا مؤمنا فانه عند ما يتلفظ بشهادة التوحيد ويتحرك بها لسانه أو يظهر نورها من قلبه بتذكره اياها فان ملائكة الرحمة تتولاه وتطرد عنه تلك الصور الشيطانية التي تحضره الحالة الثانية من التلقين وكذلك ينبغي أن يلقن اذا أنزل في قبره وستر بالتراب من أجل سؤال القبر فان الملكين منظرهما فظيع وسؤالهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام ما فيه تعظيم ولا تبجيل في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن يقولا له ما تقول في هذا الرجل وهذه هي فتنة الممات المستعاذ منها وأما استعاذة الانبياء عليهم السلام منها فانهم مسؤلون عمن أرسل اليهم وهو جبريل عليه السلام كما نسأل نحن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ في التشهد في الصلاة من فتنة المحيا والممات اعلاما بأن الانبياء تفتن في الممات كما يفتن المؤمنون فأمر المؤمنين بالاستعاذة من ذلك في الصلاة فان الانسان في الصلاة في مقام قربة من الله بمناجاته فيسأله على الكشف ﴿وصل﴾ ومما يستحب من الشروط المخاطب بها أهل الميت أن يستقبلوا به القبلة عند الاحتضار فان كان على قفاه فيستقبل القبلة برجليه وان كان على جنبه فيستقبل القبلة بوجهه ﴿وصل﴾ ومما يستحب تعجيل دفنه والاسراع به الى قبره فان كان سعيدا أسرعتم به الى خير وان كان شقيا فشر تضعونه عن رقابكم فيراعى الميت في السعادة ويراعى الحي الذي هو حامله بوضع الشر عنه فهذا اسراع من أجل الميت وهذا اسراع من أجل حامله وانما ورد التفسير من الشرع في الاسراع بهذا ليعلم ان الله ما كلف عباده الا من أجل الخير لا لينا لوا بذلك شرا فاعتبر في حق الشقي حامله فقال أسرعوا بالجنازة فانه شر تضعونه عن رقابكم واعتبر في حمل السعيد الميت فقال أسرعوا به فانه خير تقدمونه اليه فما ألطف حكم الشارع وقد ورد أن العجلة من الشيطان الا في ثلاث منها تجهيز الميت ومن تجهيزه الاسراع به الى دفنه فيقول الميت وهو على نعشه حين يحمل اذا كان سعيدا قدموني قدموني واذا كان شقيا يقول الى أين تذهبون بي يسمع ذلك منه كل دابة الا الثقلين ﴿وصل﴾ ومما يتعلق بالحي من الميت أيضا غسله وهو كالطهارة للصلاة وفعله مخاطب به الحي واختلف الناس فيه أعني في حكمه فمن قائل انه فرض على الكفاية ومن قائل انه سنة على الكفاية فمن قال بوجوبه فللامر الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم اغسلنها ثلاثا أو خمسا وقوله في المحرم اغسلوه فهذا أمر في الصيغة بلا شك فاذا اقترنت معه قرينة حال تخرجه مخرج التعليم لصفة الغسل جعلته سنة ومن رأى أنه يتضمن الامر والصفة قال بالوجوب (واعتبار) الميت الجاهل والموت الجهل فيجب على العالم تعليم الجاهل لان من جهل الجاهل أنه لا يعلم ان السؤال يجب عليه فيما لا يعلمه فيتعين على العالم أن يعلمه أن من لا يدري حكم الشرع في حركاته أن يسأل أهل الذكر ومتى لم يفعل فقد عصى ويعلمه ما يتعين عليه تعلمه اياه فتلك طهارته وهذا هو غسل الميت في الاعتبار مختصر

﴿فصل

﴿فصل في الاموات الذين يجب غسلهم﴾

فأمّا الاموات الذين يجب غسلهم فاتفقوا على غسل الميت والمقتول الذي لم يقتل في معترك حرب الكفار واختلفوا في الشهيد المقتول في حرب الكفار وفي غسل المشرك وفي غسل من ينطلق عليه اسم شهيد وفيمن قتله مشرك في غير المعترك فمن قائل يغسل كل هؤلاء ومن قائل لا يغسلون فمن رأى أن الغسل عبادة يعود ما فيها من الثواب على المغسول قال لا يغسل المشرك ومن رأى ان غسل الميت تنظيف قال يغسل المشرك وأمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بغسل عمه أبي طالب وهو مشرك وأمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بقتلى أحد أن يدفنوا في ثيابهم ولا يغسلون فمن رأى أن الشهيد لا يغسل لطلاق الشهادة قال لا يغسل من نص النبيّ صلى الله عليه وسلم انه شهيد ومن رأى وفهم من النبيّ صلى الله عليه وسلم بقرينة حال ان الشهيد الذي لا يغسل هو المقتول في المعترك في حرب الكفار قال يغسل ما عداه ﴿وصل اعتبار هذا الفصل﴾ المقتول في سبيل الله في معترك حرب الكفار حيّ يرزق وانما أمرنا بغسل الميت وهذا الشهيد الخاص لا يقال فيه انه ميت ولا يحسب انه ميت بل هو حيّ بالخبر الالهي الصدق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولكن الله أخذ بأبصارنا عن ادراك الحياة القائمة به كما أخذ بأبصارنا عن ادراك أشياء كثيرة كما أخذ أيضا بأسماعنا عن ادراك تسبيح النبات والحيوان والجماد وكل شئ قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وقال تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون بحياتهم كما يحيي الميت عند السؤال ونحن نراه من حيث لا نشعر ونعلم قطعا انه يسأل ولا يسأل الا من يعقل ولا يعقل الا من هو موصوف بالحياة فنهينا أن نقول فيهم أموات وأخبرنا انهم أحياء ولكن لا نشعر وما ورد مثل هذا فيمن لم يقتل في سبيل الله فهو ميت وان كان شهيدا أو هو حيّ مثله وما أخبرنا بذلك الشهيد هو الحاضر عند الله ولهذا قال عند ربهم وانما يغسل الميت ويطهر ليحضر عند ربه طاهرا فيلقاه في البرزخ بعد الموت على طهارة مشروعة وهذا الشهيد حاضر عند ربه بمجرد الشهادة التي هي القتل في سبيل الله فانه لا يغسل وهو عند ربه ﴿وصل في اعتبار غسل المشرك﴾ وهو القائل بالاسباب بالركون اليها والاعتماد عليها والاعتقاد بان الله يفعل الاشياء بها لا عندها وذلك لعدم علمه لضعف نفسه واضطراب ايمانه كما ضطرب في صدق وعده تبارك وتعالى في الرزق مع قسمه سبحانه عليه لعباده فقال فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون فهذا ضرب من الشرك الصريح لا الخفي لغلبة الطبع عليه في مألوف العادة قال بعضهم موبخا لمن اضطرب ايمانه

وترضى بصرّاف وان كان مشركا ❊ ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا

فيجب على العلماء بالله طهارة قلب هذا الميت وغسله باليقين والطمأنينة حتى يتنظف قلبه فيجب غسل المشرك ومن رأى أن مثل هذا الشرك لا يقدح في الايمان بالرزق ويقول انما اضطرب بالطبع لكون الحق ما عين الوقت ولا المقدار منه فاعلم انّ الله بحكمته قد ربط المسببات بالاسباب وانّ ذلك الاضطراب ما هو عن تهمة من المؤمن في حق الله وانه رب الا يرزقه وانما ذلك الاضطراب اضطراب البشرية والاحساس بألم الفقد وعدم الصبر فان الله قد أعلمه انه يرزقه ولا بدّ سواء كان كافرا أو مؤمنا لكونه حيوانا فقال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ولكن ما قال له متى ولا من أين فما عين الزمان ولا السبب بل أعلمه انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فما يدري عند فقد السبب المعتاد لحصول الرزق عنده وجوده هل فرغ وجاء أجله أم لا فيكون فزعه واضطرابه من الموت فان الموت فزع انما للمؤمن فما قدّم من اساءة واما للعارف فللحياء من الله عند القدوم عليه والكافر لفقد المألوفات فالصورة في الخوف واحدة والاسباب مختلفة ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ❊ تنوّعت الاسباب والداء واحد

وان كان لم يفرغ رزقه في علم الله فيكون اضطرابه لجهله بوقت حصول الرزق كما قدمنا بانقطاع السبب فيخاف من طول المدة وألم الجوع المتوقع والحاجة الداعية له الى الوقوف فيمن لا يسهل عليه الوقوف بين يديه في ذلك لعزة نفسه عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجوع ويقول انه بئس الضجيع فانه يلاءم من الله يحتاج من قام به

الى صبر ولا علم له هل يرزقه الله الصبر عند ذلك أم لا فان القليل من عباد الله من يرزقه الله الصبر عند البلاء ولهذا شرع التطبب لسكون النفس وخور الطبيعة بالاستناد الى سبب حصول الصحة المتوهمة وهو اختلاف الطبيب اليه قال تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وهذه كلها أسباب بلاء يبتلى الله به عباده حتى يعلم الصابرين منهم كما أخبر وهو العالم بالصابر منهم وغير الصابر ثم قال وبشر الصابرين على ما ابتليتهم به من ذلك ثم من فضله ورحمته نعت انا الصابرين لنسلك طريقهم ونتصف بصفاتهم عند حلول الرزايا والمصائب التى ابتلى الله بها عباده فقال فى نعت الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون يريد فى رفعها عنهم ثم أخبر بما يكون منه لمن هذه صفته فقال أولئك عليهم صلوات من ربهم يقول ان الله يشكرهم على ذلك ورحمة بازالتها عنهم وأولئك هم المهتدون الذين بانت لهم الامور على ما هو الامر عليه فمن رأى هذا قال لا يغسل المشرك أى هذا المشرك لان ايمانه بتوحيد الله صحيح فلا يطهر من حيث انه مؤمن بل طهر وغسل فمن كونه ضعيف اليقين فى الاعتماد على مراد الله فيما قطعه من الاسباب فى حقه

﴿وصل فى ذكر من يغسل ويغسل﴾

اتفق العلماء رضى الله عنهم ان الرجل يغسل الرجل والمرأة تغسل المرأة لاخلاف بينهم فى ذلك اذا ماتت (الاعتبار) الكامل فى المرتبة يرى منه الكامل ايضا فيها مع ماهم فيه من التفاضل فيها قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض مع اجتماعهم فى الرسالة والكمال وقال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض مع اجتماعهم فى درجة النبوة فاذا رأى الكامل من الكامل أمرا يجب عليه تطهيره منه طهره منه ولزم الكامل الآخر اتباعه فى ذلك لا يأنف من ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حق موسى كليم الله عليه السلام ولا نشك فى كمالهما لو كان موسى حيا ما وسعه الا أن يتبعنى وسبب ذلك مع وجود الكمال ان الحكم لصاحب الوقت وهو الحكم الناسخ وهو الحى والحكم المنسوخ هو الميت فللوقت سلطان ولو كان صاحبه ينقص عن درجة الكمال فله السلطان على الكامل فكيف وهو كامل فالنسخ له كالموت فينوب عنه فى تطهيره فانه لو كان حيا الطهر نفسه كما ان الكامل لو كشف له عما نقصه لتعمل فى تحصيله وكذلك حكم من نقص عن درجة الكمال فى الطريق فينبغى للمريد أن يغسل المريد اذا طرأ منه ما يوجب غسله وينبغى للآخر أن يقبل منه فانهم أهل انصاف مطلبهم واحد وهو الحق فانا مأمورون بذلك فان ذلك موت فى حقه والله يقول فى هؤلاء وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وأمرنا بالتعاون على البر والتقوى ونهانا عن التعاون على الاثم والعدوان فان صاحب الشهوة الغالبة عليه فى الطبع وصاحب الشبهة الغالبة عليه فى العقل محجوبان عن حكم ما فيها لان صاحب الشبهة يتخيل انها دليل فى نفس الامر وصاحب الشهوة يتخيل انها فى الله فى نفس الامر فيتعين على العالم بهذا وان كان ليس محله الكمال ويكونان هذان أكمل منه أو لهما الكمال الا انه يعلم تلك المسئلة فيجب عليه أن يطهره من تلك الشبهة لاتصاف صاحبها بالموت فيها لانه لا علم له بها وكذلك صاحب الشهوة فان كانت تلك الشبهة فى معترك حروب النظر الفكرى والاجتهاد فى طلب الادلة فغلبته كان قتيلا بها وهو فى نفس الامر فى سبيل الله من يد مشرك فانه ما قصد الا الخير فهو فى سبيل الله فان الشبهة تشارك الدليل فى الصورة فهو حى غير متصف بالموت فلا يجب غسله على الحى العالم بكون ما هو فيه انه شبهة فليس للمجتهد أن يحكم على المجتهد فان الشرع قرر حكمهما كمن يرى ان صفات الحق تعالى ذاته بما يجب لتلك النسب من الحكم ويرى آخر ان صفات الحق أعيان زائدة على ذات الحق وقد اجتمعا فى كون الحق حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما هذا فى العقائد وذلك عن نظر واجتهاد فهو قتيل ميت عند النافى صاحب شبهة وهو حى عند نفسه وعند من يرى به صاحب دليل وان أخطأ فلا يجب غسله وكذلك فى الظنيات ليس للشافعى مثلا اذا كان حاكما أن يرد شهادة الحنفى اذا كان عدلا مع اعتقاد تحليل النبيذ ويحده عليه ان شرب به الحنفى لكونه حاكما يرى تحريمه لدليله فيجب عليه اقامة الحد وكالحنفى اذا كان حاكما وقد رأى شافعيا تزوج بابنته المخلوقة من ماء الزنا منه ويشهد عنده فلا يرد شهادته اذا كان عدلا ويفرق بينه وبين زوجته التى هى ابنته لصلبه المخلوقة من

ماء

ماء الزوال لكونه حا كما ذا سلطان فانه صاحب الوقت فهذا بمنزلة الشهيد لا يغسل وان كنا نشهد حسا أن روحه فارقت بدنه كسائر القتلى والحكم لله ليس لغيره وقد قرر حكم المجتهد فليس لنا ازالة حكم اجتهاده فان ذلك ازالة حكم الله في حقه أصل هذا الباب في قبول الكامل ما يشير به الانقص في المسئلة التي هو أعلم بها منه حديث تأبير النخل قوله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أنتم أعلم بمصالح دنياكم ورجع الى قوله وكذلك رجوعه صلى الله عليه وسلم الى قولهم يوم بدر في نزوله على الماء

﴿وصل في فصل المرأة تموت عند الرجال والرجل يموت عند النساء وليس بزوجين﴾

اختلف العلماء رضي الله عنهم في الرجل يموت عند النساء والمرأة تموت عند الرجال وليس بزوجين على ثلاثة أقوال فمن قائل يغسل كل واحد منهما صاحبه ومن قائل يممه ولا يغسله ومن قائل لا يغسل واحد منهما صاحبه ولا ييممه والذي أقول به يغسل كل واحد منهما صاحبه خلف ثوب يكون على الميت ان كان من ذوي المحارم أو ستر مضروب بين الميت وبين غاسله وصورة غسله يصب الماء عليه من غير مد يد الى عضو من أعضاء الميت الا ان كان من ذوي المحارم فيجتنب مد اليد الى الفرجين ويكتفي بصب الماء عليهما بالحائل لا بد من ذلك هذا الذي أذهب اليه في مثل هذه المسئلة

﴿الاعتبار في هذا الفصل﴾ الموت في الاعتبار في هذا الطريق شبهة تطرأ على هذا الشخص في نظره طرو الموت على الحي أو شهوة طبيعية تحكم عليه وتعمية فيأتيها بشبهة عنده هي انه يرى ربه في الاشياء فهو ميت عند الجماعة بلا خلاف كاملا كان أو ناقصا عن درجة الكمال فقد قال الله في الكامل وعصى آدم ربه فغوى أي خاف وهو قد أكل بالتأويل وظن أنه مصيب غير منتهك للحرمة في نفس الامر وكان متعلق النهي القرب لا الاكل فيقوى التأويل وقال في الكمل الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لما ألجأتهم الغيرة الالهية التي نطقتهم بقولهم أتجعل فيها فقال اني أعلم ما لا تعلمون وأما غير الكامل فرتبته معروفة والناقص قد يكون مريدا بين يدي الكامل داخلا تحت حكمه وطاعته شبيه الزوجين وهو كالواحد من الامة مع نبيه المبعوث اليه فهذا العارف الكامل مع تلميذه فقد يموت الكامل في مسئلة ما لا يعلمها ويعلمها المريد فيشهدها الشيخ من التلميذ مثل ما تقدم في الحديثين قبل هذا فهكذا حال التلامذة مع الشيوخ فان الشيوخ ما تقدموا عليهم الا في أمور معينة هي مطلوبة للاتباع فان كان المريد مريدا لغير ذلك الشيخ وأعني بالمريد التلميذ والرجل من الناس لغير ذلك النبي في الزمان الذي قبل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كانت المسئلة التي جهلها هذا الناقص مما تختص بالطريق العام من حيث ما هو طريق الى الله فان لغير شيخه أن يطهره منها بما تبين له فيها وله أن يقبل منه ان أراد الفلاح وفي الطريق حقه وان كانت المسئلة التي جهلها غير عامة وتكون خاصة بالنظر الى مقام ذلك الشيخ وان كان نقصا عند هذا الشيخ الآخر فليس له أن يرد ذلك المريد عن تلك المسئلة كما انه ليس لمجتهد أن يرد مجتهدا آخر الى حكم ما أعطاه دليله ولا لمقلد مجتهد أن يرد مقلدا لمجتهد آخر عن مسئلته التي قلد فيها امامه اذ قال له هذا حكم الله فان كانت المسئلة عامة مثل أن يقدح في التوحيد أو في النبوات فله تطهيره منها سواء كان ذلك المريد تحت حكمه أو لم يكن وصورة غسله وطهارته التي يلزمه هو أن يعرفه وجه الحق في المسئلة ولا يبالي أخذ بها أو لم يأخذ كغسل الميت فان كان محلا لقبول الغسل انتفع به وان لم يكن محلا ولا أهلا لقبول الغسل وأريد بالمحل الاهلية وان غسل فهو كغسل المشرك لم ينتفع به وقد أدى الحي ما عليه فان الداعي الى الله ما يجب عليه الا البلاغ كما قال ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ما يلزمه خلق القبول والهداية في نفس السامع فمن علم عدم القبول قال لا يغسل واحد منهما صاحبه وان كانت المسئلة في العقائد قال بالغسل وان كانت في فروع الاحكام قال بالتيمم فان موضع التيمم من الشخصين ليس بعورة فان الوجه والكفين من المرأة ما هما عورة فله أن ييممها وتيممه اذا مات كذلك الحكم الشرعي العام لا يتوقف سماع المريد على أحد من أهل الفتوى بل يأخذه المريد من كل شيخ والشيخ من كل مريد لان الحكم ليس لواحد منهما بل هو لله بخلاف المباحات والمندوبات في الرياضات والمجاهدات فليس للمريد أن يخرج عن حكم شيخه في ذلك

﴿وصل في فصل غسل من مات من ذوي المحارم﴾

اختلف قول بعض الائمة في ذوي المحارم فقول ان الرجل يغسل المرأة والمرأة تغسل الرجل وقول لا يغسل أحد منهما صاحبه وقول تغسل المرأة الرجل ولا يغسل الرجل المرأة وقد تقدم في الفصل قبل هذا مذهبنا في هذا ﴿وصل في الاعتبار﴾ ذو والمحارم أهل الشرع كلهم فالرجل منهم الكامل هو الذي أحكم العلم والعمل بجمع بين الظاهر والباطن والناقص منهم هم الفقهاء الذين يعلمون ولا يعملون ويقولون بالظاهر ولا يعرفون الباطن كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فاذا وقع ذو محرم في شبهة أو شهوة من الكمال أو النقص فان كانت في العقائد فيغسل كل واحد منهما صاحبه أي يعرفه بوجه الصحة في ذلك سواء كان العالم بها ناقصا أو كاملا وان كانت في الاحكام لا يغسل كل واحد منهما صاحبه فانه حكم مقرر في الشرع وسواء كان كاملا أو ناقصا ومن رأى أن المرأة تغسل الرجل وهو غسل الناقص الكامل فللناقص أن يطهر الكامل اذا تحقق أن الكامل وقع في شبهة ولا بد مثل الفقيه يرى العارف قد زل بارتكاب محرم شرعا بلا خلاف فله أن ينكر عليه والعارف أعلم بما فعل فان كان كما علمه الفقيه تعين عليه قبول ذلك التطهير بتوبة منه ورجوع عنه وان كان في باطن الامر على صحة وان الفقيه أفتى بالصورة ولم يعلم باطن الامر فقد وفى الفقيه ما يجب عليه فيغسل الناقص الكامل لا يغسل الكامل الناقص في مثل هذه المسئلة وهو أن يكاشف الكامل ببراءة شخص عما ينسب اليه مما يوجب الحد وقد حكم الحاكم الناقص باقامة الحد عليه فليس للكامل أن يرد حكم الفقيه في تلك المسئلة لعلمه ببراءة المحدود فليس للكامل في مثل هذا أن يرد على الناقص كذلك ليس للرجل أن يغسل المرأة اذا ماتت لانها عورة قال صلى الله عليه وسلم في المرأة التي لاعنت زوجها وكذبت وعرف ذلك وقد حكم الله بالملاعنة وفي نفس الامر صدق الرجل وكذبت المرأة فقال صلى الله عليه وسلم لكان لي ولها شأن فترك كشفه وعلمه لظاهر الحكم

﴿وصل في فصل غسل المرأة زوجها وغسله اياها﴾

أجمعوا على غسل المرأة زوجها واختلفوا في غسله اياها فقال قوم يغسلها ومنع قوم من ذلك (الاعتبار في هذا الفصل) مريد الشيخ اذا رأى الشيخ قد فعل ما لا يقتضيه الطريق عند الشيخ فللمريد أن ينبه الشيخ على ذلك أو ضع احتمال أن يكون غافلا وليس له أن يسكت عنه وليس للشيخ اذا رأى المريد قد وقعت منه طاعة بالنظر الى مذهبه وهي معصية بالنظر الى مذهب الشيخ وحكم الشرع بصحتها بالنظر الى من وقعت منه فانها وقعت عن اجتهاد فليس للكامل وهو الشيخ وان عرف ان ذلك المجتهد أو المقلد له قد أخطأ في اجتهاده أن يرد عليه فلا يغسل الرجل زوجته اذا ماتت ومن ذهب الى انه يغسلها قال باعتباره يتعين على الشيخ أن يعرف المريد الذي هو الناقص ان ذلك الامر قد أخطأ فيه المجتهد هذا حد غسله فان كان المريد هو المقلد للمجتهد لزمه أن يرجع الى كلام شيخه وان كان المريد هو المجتهد فيحرم عليه الرجوع الى كلام الشيخ في تلك المسئلة الا ان قام له كلام الشيخ مقام المعارض في الدلالة فحينئذ يكون كلام الشيخ أقوى من دليل المجتهد فيلزم المجتهد أن يرجع الى كلام شيخه وهو من اجتهاده أعني رجوعه لرجحان ذلك الدليل الذي هو تصديقه الشيخ على الدليل الذي كان عنده لاحتمال كذب الراوي أو تخيل الغلط منه في قياسه لما أثر في نفسه من صدق الشيخ في ذلك

﴿وصل في فصل المطلقة في الغسل﴾

أجمعوا على أن المطلقة المبتوتة لا تغسل زوجها واختلفوا في الرجعية فقالوا تغسل وقالوا لا تغسل (الاعتبار) المريد يخرج عن حكم شيخه بالكلية فليس له أن يقدح في شيخه ولو قدح لم يقبل منه فانه في حال تهمة لارتداده وهو ناقص فكيف يطهر الكامل وهو في حال نقصه فان كان تخلف المريد عن شيخه حياء منه لزلة وقع فيها أو فترة حصلت له فهو مثل الطلاق الرجعي فان حكم الحرمة في نفس المريد للشيخ ما زالت وان تخلف عنه أو هجره الشيخ تأديبا له في بعض الشيوخ تلميذا له كان قد زل فاستحيي أن يجتمع بالشيخ فتركه فلما لقيه استحيي وأخذ التلميذ طريقا غير طريق الشيخ

فلحقه الشيخ ومسكه وقال له ياولدي لاتصحب من يريد أن يراك معصوما في مثل هذا الوقت يحتاج الى الشيخ فأزال ما كان أصابه من الخجل ورجع الى خدمته فاذا كان المريد بمنزلة صاحبة الطلاق الرجعي فاخرجت عن حكمه كان اعتباره كما ذكرناه فيما تقدم في الموضع الذي يغسل فيه الناقص الكامل

﴿وصل في فصل حكم الغاسل﴾

قال قوم يجب الغسل على من غسل ميتا وقال قوم لايجب على من غسل ميتا غسل (الاعتبار) العالم اذا علم غيره وطهره من الجهل بما حصل له من العلم فلا يخلو اما أن علمه ربه أي وهو حاضر مع الله ان الله هو المعلم مثل قوله الرحمن علم القرآن فلا غسل عليه فان الله هو الغاسل لذلك الجاهل من جهله بما علمه الله على لسان هذا الشيخ وان كان الغاسل علمه بنفسه وغاب في حال تعليمه عن شهود ربه انه معلمه على لسانه في ذلك الوقت وجب عليه الغسل من تلك الغفلة التي حالت بينه وبين الحضور مع ربه في ذلك التعليم

﴿وصل في فصل صفات الغسل﴾

فمن ذلك هل ينزع عن الميت قميصه عند الغسل أم لا فمن قائل تنزع ثيابه وتستر عورته وقال بعضهم يغسل في قميصه ﴿الاعتبار﴾ صاحب الشبهة أو الشهوة الغالبة الطبيعية وان كانت مباحة اذا اتصف صاحبها بالموت تشبيها فان الغاسل له ان كان قادرا على أن يظهر له الحق من نفس شبهته وشهوته فهو كمن غسل الميت في قميصه ولم ينزعه عنه وان لم يقدر على تطهيره الا بازالة تلك الشبهة المقصورة كان كمن نزع ثياب الميت وحينئذ غسله

﴿وصل في فصل وضوء الميت في غسله﴾

فذهب قوم الى ان الميت يوضأ وذهب قوم الى انه لايوضأ وقال قوم ان وضئ فحسن ﴿الاعتبار﴾ الوضوء في الغسل طهر خاص في طهر عام اذا كانت المسئلة تطلب بعض عالم الشخص كزلة تقع من جوارحه فانه يغسل تلك الجوارح الخاصة بما تستحقه من الطهارة كالعين والاذن واليد والرجل واللسان والايمان هو الغسل العام فيجمع بين طهارة الجوارح على الخصوص وبين الايمان لابد من ذلك فان الغسل غير مختلف فيه والوضوء مختلف فيه والجمع بين عبادتين اذا وجد السبيل اليهما أولى من الانفراد بالاعم منهما

﴿فصل في التوقيت في الغسل﴾

فمن العلماء من أوجبه ومنهم من لم يوجبه فانه لم ذلك ﴿الاعتبار﴾ بأي شئ وقع التطهير من هذه الشبهة كان من غير تعيين ولا توقيت ما تقع به ومن قال بوجوب التوقيت قال نحن مأمورون بالتخلق باخلاق الله والله يقول وكل شئ عنده بمقدار وهو التوقيت وما ننزله الا بقدر معلوم ولكن ينزل بقدر مايشاء وقال صلى الله عليه وسلم فيمن زاد على ثلاث مرات في الوضوء انه قد أساء وتعدى وظلم وجعله موقتا من واحدة الى ثلاث وكره الاسراف في الماء في الغسل والوضوء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد

﴿وصل منه﴾

والذين أوجبوا التوقيت فيه اختلفوا فمنهم من أوجب الوتر أي وتر كان ومنهم من أوجب الثلاثة فقط ومنهم من حد أقل الوتر في ذلك ولم يحد الاكثر فقال لاينقص من الثلاث ومنهم من حد الاكثر فقال لايتجاوز السبعة ومنهم من استحب الوتر ولم يحد فيه حدا ﴿الاعتبار﴾ أما الوتر في الغسل فواجب لانه عبادة ومن شرطها الحضور مع الله فيها وهو الوتر فينبغي أن يكون الغسل وتر الحكم الحال وهو من واحد الى سبعة فان زاد فهو اسراف اذا وقعت به الطهارة فوتريته في الغسل بحسب مايخطر له في حال الغسل وهي سبع صفات أمهات فيها وقع الكلام بين أهل النظر في الالهيات وهي الحياة والعلم والقدرة والارادة والكلام والسمع والبصر والعبد قد وصف بهذه الصفات كلها وقد ورد ان الحق قال في المتقرب بالنوافل ان الله يكون سمعه وبصره وغير ذلك فقد تبدلت نسبة هذه الصفات المخلوقة للعبد بالحق فبالله يسمع وبه يبصر وبه يعلم وبه يقدر وبه يكون حيا وبه يريد وبه يتكلم فقد

غسل ضفاته بربه فكان طاهرا مقدسا بصفاته فهذا توقيت غسل الميت من واحد الى سبعة بحسب ماينقص و يزيد وقدعم هذا جميع ماوقع من الخلاف فى شفعه ووتره وقليله وكثيره وحده وترك حده ففكر فيه واغسل الميت منك بمثل هذا الغسل والكامل مع الناقص كالعاقل المؤمن مع العاقل وحده أو مع المؤمن

﴿وصل فى فصل مايخرج من الحدث من بطن الميت بعد غسله﴾

الحدث يخرج من بطن الميت بعد غسله فنهم من يقال يعاد ومنهم من قال لايعاد الغسل والذى قال بأنه يعاد اختلفوا فى العدد الى سبع وأجمعوا على انه لايزاد على السبع (الاعتبار) الشبهة تطرأ بعد حصول الطهارة لسرعة زوالها من خياله لضعف تصوره فيعاد عليه التعليم سبع مرات فان استنكحه ذلك كان كمن استنكحه سلس البول وخروج الريح لايعاد عليه التعليم فانه غير قابل لثبوته وانما اجمعنا على السبع لانه غاية الكمال فى العلم الالهى بكونه الها ولهذا ربط الله الحكمة فى وجود الآثار فى العالم العنصرى عن سير السبعة الدرارى فى الاثنى عشر برجا لجعل السائر من سبعة فعلمنا انه غاية كمال الوجود وجعل كمال السير فى اثنى عشر لانه غاية مراتب العدد من واحد الى تسعة ثم العشرات ثم المئون ثم الآلاف فهذه اثناعشر وفيها يقع التركيب الى مالايتناهى من غير زيادة كذلك سير السبعة فى الاثنى عشر برجا ذلك تقدير العزيز العليم ﴿وصل﴾ اختلفوا فى عصر بطن الميت قبل ان يغسل فنهم من رأى ذلك ومنهم من لم يره (الاعتبار) العصر اختبار الكبير الصغير فى حاله هل عنده شبهة فيما هو فيه يخاف عليه منها ان تقدح فى طهارته اذا طهره الكبير أم لا حتى يدعوه على بصيرة منه انه صاحب شبهة يتوقى ظهورها فى وقت آخر فيحفظ المربى نفسه فى أول الوقت قبل ان ينشب فيقع التعب ويعظم انتهى الجزء الثامن والار بعون بانتهاء السفر السابع يتلوه فى الجزء التاسع والار بعين وصل فى الاكفان وهو كاللباس للمصلى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿وصل فى فصل فى الاكفان﴾

الكفن للميت كاللباس للمصلى وهو مايصلى عليه لافيه كالصلاة على الحصير والثوب الحائل بينك و بين الارض لانه فى موضع سجودك لوسجدت فاشبه مايصلى عليه فأما المرأة فترتيب تكفينها ان تغطى الغاسلة أولا الحقو وهو الازرة التى تشد على وسط الانسان ثم الدرع وهو القميص الكامل ثم الخمار وهو الذى تغطى به رأسها ثم الملحفة ثم تدرج بعد فى ثوب آخر يعم الجميع فهذه خمسة أثواب هكذا على الترتيب أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلى الثقفية حين غسلت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثو با بعد ثوب يناولها اياه و يأمرها بأن تفعل به ماذكرناه على ذلك الترتيب هذا هو السنة فى تكفين المرأة وأما الرجل فالنص فى صفة تكفينه الا انه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة بحضور من حضر من علماء الصحابة ولم يبلغنا أن أحدا منهم ولا ممن بلغه أنكر ذلك ولا تنازعوا فيه ولكن فى قول الراوى ليس فيها قميص ولا عمامة احتمال ظاهر والنص فى الثلاثة الاثواب من الراوى بلا شك الا ان الوتر مستحب فى الاكفان فمن الناس من رأى ان الرجل يكفن فى ثلاثة أثواب والمرأة فى خمسة أثواب أخذا بما ذكرناه ومنهم من يرى أقل مايكفن فيه الرجل ثوبان والسنة ثلاثة أثواب وأقل ماتكفن فيه المرأة ثلاثة أثواب والسنة خمسة أثواب ومن الناس من لم ير فى ذلك حدا ولكن يستحب الوتر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الذى مات محرما يكفن فى ثو بين ﴿وصل فى اعتبار هذا الفصل﴾ المقصود من التكفين أن يوارى الميت عن الابصار ولهذا لما كفن مصعب بن عمير يوم أحد فى الثوب الواحد الذى كان عليه وكان نمرة قصيرة لاتعممه بالستر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغطى بها رأسه ويلقى على رجليه من الاذخر حتى يستر عن الابصار ولما خلق الانسان من تراب كان من له حضور مع الله من أهل الله اذا شاهدوا التراب تذكروا ماخلقوا منه فينظروا فى قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى يعنى يوم

البعث

البعث والمصلي يناجي ربه فاذا وقف المصلي في المناجاة وليس بينه وبين الارض حائل وكانت الارض مشهودة لبصره ذكرته بنشأته وبما خلق منه وباهاته وذلته فان الارض قد جعلها الله ذلولا مبالغة في الذلة بهذه البنية قال الشاعر

ضروب بنصل السيف سوق سمانها * اذا عدموا زادا فانك عاقر

فهذه بنية فعول للمبالغة في الكرم ولا أذل ممن يطأه الاذلاء ونحن نطأها وجميع الخلائق ونحن عبيد أي أذلاء فربما شغل المصلي النظر في نفسه وما خلق منه عن مناجاة ربه بما يقرأ من كلامه فيغيب عما يقول للحق وما يقول له الحق وهو سوء أدب من التالي فكان الحائل أولى لما نهى المصلي أن يستقبل رجلا مثله في قبلته أو يصمد الى سترته صمدا وليجعلها على حاجبه الايمن أو الايسر هذا كله حتى لا يقوم له مقام الوثن غيرة الهية فانهم كانوا يصورونه على صورة الانسان فأمر بسترة الميت لانّ الميت بين يدي المصلي والمصلي يناجي الحق في قبلته شفيعا في هذا الميت وسيأتي اعتباره في الصلاة على الميت ان شاء الله تعالى

﴿وصل في فضل المشي مع الجنازة﴾

المشي مع الجنازة كالسعي الى الصلاة فقال بعضهم من السنة المشي امامها وقال آخرون المشي خلفها أفضل والذي أذهب اليه أن يمشي راجلا خلفها قبل الصلاة عليها فيجعلها امامه كما يجعلها في الصلاة وبعد الصلاة يمشي أمامها خدمة لها بين يديها الى منزلها وهو القبر ظنا بالله جميلا انّ الله قبل الشفاعة فيها عند الصلاة عليها وان القبر لها روضة من رياض الجنة فان الله قد ندب الى حسن ظنّ عبده به فقال أنا عند ظن عبدي بي فليظنّ بي خيرا وروى ان الله سئل من أحب اليك عيسى أم يحيى عليهما السلام فقال الله تعالى للسائل أحسنهما ظنا بي يعني عيسى فان الخوف كان الغالب على يحيى والاولى أن لا يركب أدبا مع الملائكة لا غير فان الملائكة تمشي مع الجنازة ما لم يصحبها صراخ فان صحبها صراخ تركتها الملائكة فعند ذلك أنت مخير بين الركوب والمشي فان الميت على نعشه كالشخص في المحفة محمول قال صاحبنا أبو المتوكل وقد رأينا نعشا يحمل وعليه الميت فأشار اليه وقال

مازال يحملنا ونحمله الورى * عجبا له من حامل محمولا

وصل الاعتبار فيه المشي امام الجنازة لان الماشي شفيع لها عند الله فيتقدم ليخلو بالله في شأنها فان الشفيع لا يدري هل تقبل شفاعته فيها أم لا حتى اذا وصلت الى قبرها وصلت مغفورا لها بكرم الله في قبول سؤال الشافع وان كانت من المغفور لهن لها قبل ذلك كان الماشي امامها من المعرفين بقدومها لمن تقدم عليه في منزلها الذي هو قبرها فهو كالحاجب بين يديها تعظيما لها يشهد ذلك كله أهل الكشف وأما الماشي خلفها فانه يراعي تقديمها بين يديه كما يجعلها بين يديه في الصلاة عليها ليعتبر بالنظر اليها فيها فان الموت فزع وان الملك معها وان النبي صلى الله عليه وسلم قام عندما رأى جنازة يهودي فقيل له انها جنازة يهودي فقال أليس معها الملك وقال مرة أخرى ان الموت فزع وقال مرة أخرى أليست نفسا ولكل قول وجه أرجى الاقوال أليست نفسا لمن عقل فكان قيامه مع الملك وفي هذا الحديث قيام المفضول للفاضل عندنا وعند من يرى ان الملائكة أفضل من البشر على الاطلاق وهكذا قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مبشرة أريتها وأما قوله صلى الله عليه وسلم في هذا أليست نفسا في حق يهودي فانه أرجى ما يتمسك به أهل الله اذا لم يكونوا من أهل الكشف وكانت بصائرهم منورة بالايمان في شرف النفس الناطقة وان صاحبها ان شقي بدخول النار فهو لكن يشقى هنا بأمراض النفس من هلاك ماله وخراب منزله وفقد ما يعز عليه ألما روحانيا لا ألما حسيا فان ذلك حظ الروح الحيواني وهذا كله غير مؤثر في شرفها فانها منفوخة من الروح المضاف الى الله بطريق التشريف فالاصل شريف ولما كانت من العالم الاشرف قام لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بكونها نفسا فقيامه لعينها وهذا اعلام بتساوي النفوس في أصلها وروى القشيري في رسالته عن بعض الصالحين انه قال من رأى نفسه خيرا من نفس فرعون فما عرف فذمه وأخبر انه ليس له أن يرى ذلك وهذه مسئلة من أعظم المسائل تؤذن بشمول الرحمة وعمومها لكل نفس وان عمرت النفوس الدارين ولابد من عمارة الدارين كما ورد وان الله سيعامل النفوس بما يقتضيه

شرفها بسر لا يعلمه الا أهل الله فانه من الاسرار المخصوصة بهم فكان الحديجمعهم كذلك المقام يجمعهم لذا نهم ان شاء الله تعالى قال تعالى في الذين شقوا ان ربك فعال لما يريد ولم يقل عذابا غير مجذوذ كما قال في السعداء فانه قال يا أيها الانسان ولم يخص شخصا من شخص بل الظاهر انه يريد من خالف أمره وعصاه مطلقا الا من أطاعه ما غرك بربك الكريم فنبه الغافل عن صفة الحق التي هي كرمه فانه من كرمه أوجده ولهذا قال له الذي خلقك فسوّاك فعدلك يقول له بكرمه أوجدك ليقول له العبد يارب كرمك غرني فقد يقولها البعض الناس هنا في خاطره وفي تدبره عند التلاوة فيكون سبب توبته وقد يقولها في حشره وقد يقولها وهو في جهنم فتكون سببا في نعيمه حيث كان فانه ما يقولها الا في الوقت الذي قد شاء أن يعامله بصفة الكرم والجود فان رحمته سبقت غضبه ورحمة الله وسعت كل شئ منة واستحقاقا وبالاصل فكل ذلك منة منه سبحانه فانه الذي كتب على نفسه الرحمة للمتقي والمتقي عنته سبحانه اتقاه وجعله محلا للعمل الصالح

﴿وصل في فصل صفة الصلاة على الجنازة﴾

فنها عدد التكبير واختلف الصدر الاول في ذلك من ثلاث الى سبع وما بينهما لاختلاف الآثار وورد حديث أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يكبر على الجنازة أربعا وخمسا وستا وسبعا وثمانية وقد ورد انه كبر ثلاثا ولما مات النجاشيّ وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر عليه أربعا وثبت على أربع الى أن توفاه الله تعالى ﴿وصل الاعتبار في هذا الفصل﴾ أكثر عدد الفرائض أربع ولا ركوع في صلاة الجنائز بل هي قيام كلها وكل وقوف فيها للقراءة له تكبير فكبر أربعا على أتم عدد ركعات الصلاة المفروضة فالتكبيرة الاولى للاحرام يحرم فيها أن لا يسأل في المغفرة لهذا الميت الا الله تعالى والتكبيرة الثانية يكبر الله تعالى من كونه حيا لا يموت اذا كانت كل نفس ذائقة الموت وكل شئ هالك الا وجهه والتكبيرة الثالثة لكرمه ورحمته في قبول الشفاعة في حق من يشفع فيه أو يسأل فيه مثل الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم لما مات وقد كان عرفنا انه من سأل الله له الوسيلة حلت له الشفاعة فان النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يشفع فيمن صلى عليه وانما يسأل له الوسيلة من الله لتحضيضه أمته على ذلك والتكبيرة الرابعة تكبيرة شكر لحسن ظنّ المصلي بربه في انه قبل من المصلي سؤاله فيمن صلى عليه فانه سبحانه ما شرع الصلاة على الميت الا وقد تحققنا أنه يقبل سؤال المصلي في المصلى عليه فانه أذن من الله تعالى في السؤال فيه فهو لا يأذن وفي نفسه انه لا يقبل سؤال السائل قال تعالى في الشفاعة يوم القيامة ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له وقد أذن لنا أن نشفع في هذا الميت بالصلاة عليه فقد تحققنا الاجابة بلا شك ثم يسلم بعد تكبيرة الشكر سلام انصراف عن الميت أي لقيت من ربك السلام ولهذا شرع النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يكفوا عن ذكر مساوي الموتى فان المصلي قد قال في آخر صلاته عليه السلام عليكم فأخبر عن نفسه أن الميت قد سلم منه فان ذكره بمساءة بعد هذا فقد كذب نفسه في قوله السلام عليكم فانه ما سلم منه من ذكره بسوء بعد موته فان ذلك يكرهه الميت ويكرهه الله للحيّ فان الحيّ يذكره به ولا ينتهي عن فعل مثله فيؤديه ذلك الى أن يكون قليل الحياء من ربه

﴿وصل في فصل رفع الايدي عند التكبير في الصلاة على الجنائز والتكتيف﴾

وأما رفع الايدي عند كل تكبيرة والتكتيف فانه مختلف فيهما ولا شك ان رفع اليدين يؤذن بالافتقار في كل حال من أحوال التكبير يقول ما بأيدينا شئ هذه قد رفعناها اليك في كل حال ليس فيها شئ ولا نملك شيأ وأما التكتيف فانه شافع والشافع سائل والسؤال حال ذلة وافتقار فيما يسأل فيه سواء كان ذلك السؤال في حق نفسه أو في حق غيره فان السائل في حق الغير هو نائب في سؤاله عن ذلك الغير فلا بدّ أن يقف موقف الذلة والحاجة لما هو مفتقر اليه فيه والتكتيف صفة الاذلاء وصفته وضع اليد على الاخرى بالقبض على ظهر الكف والرسغ والساعد فيشبه أخذ العهد في الجمع بين اليدين يد المعاهد والمعاهد أي أخذت علينا العهد في أن ندعوك وأخذنا عليك العهد بكرمك في أن تجيبنا فقلت واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني ولم يقل دعاني في حق نفسه ولا في حق غيره

ثم أذنت لنا في الدعاء للميت والشفاعة عندك فيه فلم يبق الا الاجابة فهي متحققة عند المؤمن ولهذا جعلنا التكبيرة الاخيرة شكرا والسلام سلام انصراف وتعريف بما يلقى الميت من السلام والسلامة عند الله ومنا من الرحمة والكف عنه ذكر مساويه

﴿وصل في فصل القراءة في صلاة الجنازة﴾

فمن قائل ما في صلاة الجنازة قراءة انما هو الدعاء وقال بعضهم انما يحمد الله و يثني عليه بعد التكبيرة الاولى ثم يكبر الثانية فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يكبر الثالثة فيشفع للميت ثم يكبر الرابعة ويسلم وقال آخر يقرأ بعد التكبيرة الاولى بفاتحة الكتاب ثم يفعل في سائر التكبيرات مثل ما تقدم آنفا وبه أقول وذلك انه اذ لا بد من التحميد والثناء فبكلام الله أولى وقد انطلق عليها اسم صلاة فالعدول عن الفاتحة ليس بحسن وبه قال الشافعي وأحمد وداود

﴿وصل الاعتبار في هذا الفصل﴾ قال أبو يزيد البسطامي أطلعت على الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات قال بعض شيوخنا رأى أبو يزيد عالم نفسه هذه الصفة تكون لمن لا معرفة له بربه ولا يتعرف اليه وتكون لا كمل الناس معرفة بالله فالعارف المكمل يرى نفسه ميتا بين يدي ربه عز وجل اذ كان الحق سمعه وبصره ويده ولسانه يصلي عليه قال تعالى هو الذي يصلي عليكم فاذا كان الحق هو المصلي فيكون كلامه القرآن والعارفون لا بد لهم من قراءة فاتحة الكتاب يقرأها الحق على ألسنتهم ويصلي عليهم فيثني على نفسه بكلامه ثم يكبر نفسه عن هذا الاتصاف في ثنائه على نفسه بلسان عبده في صلاته على جنازة عبده بين يدي ربه عز وجل ويكون الرحمن في قبلته وهو المسؤل ويكون المصلي هو الحي القيوم ثم يصلي بعد التكبيرة الثانية على نبيه المبلغ عنه قال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فلو لم يكن من شرف الملائكة على سائر المخلوقات الا جمع الضمير في يصلون بينهم وبين الله لكفاهم وما احتيج بعد ذلك الى دليل آخر ونصب الملائكة بالعطف حتى يتحقق ان الضمير جامع للمذكورين قبل ثم يكبر نفسه على لسان هذا المصلي من العارفين عن التوهم الذي يعطيه هذا التنزل الالهي في تفاضل النسب بين الله وبين عباده من حيث ما يجتمعون فيه ومن حيث ما يتميزون به في مراتب التفضيل فربما يؤدي ذلك التوهم ان الحقائق الالهية يفضل بعضها على بعض بتفاضل العباد اذ كل عبد في كل حالة مرتبط بحقيقة الهية والحقائق الالهية نسب تتعالى عن التفاضل فلهذا كبر الثالثة ثم شرع بعد القراءة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء للميت من قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى لكان هذا القرآن الذي أنزل عليك يا محمد واذا كان الامر على هذا الحد والميت في حكم الجمادات في الظاهر لذهاب الروح الحساس فكان حكمه حكم الجماد وقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله فوصفه بالخشية وعين وصفه بالخشية عين وصفه بالعلم بما أنزل عليه قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فالمعنى الذي أوجب له عدم الخشية انما هو ارتباط الروح بالجسد فحدث من المجموع ترك الخشية لعشق كل واحد منهما بصاحبه فلما فرق بينهما رجع كل واحد منهما الى ربه بذاته فعلم ما كان قبل قد جهله بتركيبه فصحبته الخشية لعلمه فأول ما يدعى به للميت في الصلاة عليه ويثني على الله به في الصلاة عليه القرآن فان الميت في مقام الخشية من جهة روحه ومن جهة جسمه فاذا عرف العارف فلا يتكلم ولا ينطق الا بالقرآن فان الانسان ينبغي له ان يكون في جميع أحواله كالمصلي على الجنازة فلا يزال يشهد ذاته جنازة بين يدي ربه وهو يصلي على الدوام في جميع الحالات على نفسه بكلام ربه دائما فالمصلي داع أبدا والمصلى عليه ميت أو نائم أبدا فمن نام بنفسه فهو ميت ومن مات بربه فهو نائم نومة العروس والحق ينوب عنه ولنا في هذا المعنى

يا نائما كم ذا الرقاد * وأنت تدعى فانتبه كان الاله يقوم عنك بما دعاك وثقت به

لكن قلبك نائم * عما دعاك ومنتبه في عالم الكون الذي * يرديك مهما مت به

فانظر لنفسك قبل سيرك ان زادك مشتبه

اللهم أبدله دارا خيرا من داره يعني النشأة الأخرى فيقول الله قد فعلت فان نشأة الدنيا هي داره وهي دار منتنة كثيرة

العالي والامراض والتهدم تختلف عليها الأهواء والامطار و يخرج بهاميرور والليل والنهار والنشأة الآخرة التى يدخلها وهى داره كاقدوصفها الشارع من كونهم لايبولون ولايتغوطون ولايمتخطون نزهها عن القذارات وان تكون محلا تقبل الخراب أوتؤثر فيها الاهواء ثم يقول وأهلا خيرا من أهله فيقول قدفعلت فان أهله فى الدنيا كانوا أهل بغى وحسد وتدابر وتقاطع وغل وشحناء قال تعالى فى الاهل الذى ينقلب اليه الميت ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين ثم يقول وزوجا خيرا من زوجه وكيف لا يكون خيرا وهن قاصرات الطرف مقصورات فى الخيام ولاتشاهد فى نظرها أحسن منه ولايشاهد أحسن منها قدزينت له وزين لها وطيبت له وطيب لها كما قال تعالى فى الجنة ويدخلهم الجنة عرّفها لهم أى طيبها من أجلهم فلايستنشقون منها الا كل طيب ولا ينظرون منها الا كل حسن فدعاؤهم فى الصلاة على الميت مقبول لانه دعاء بظهر الغيب وما من خير يدعون به فى حق الميت الا والملك يقول لهذا المصلى على جهة الخبر ولك بمثله ولك مثليه نيابة عن الميت ومكافأة له للمصلى على صلاته عليه خبر صدق وقول حق فقد تحقق حصول الخير للمصلى والمصلى عليه فانه ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الانسان المؤمن اذا دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك له ولك بمثله ولك مثليه اخبارا عن الله تعالى من هذا الملك لهذا الداعى وخبر الملك صدق لايدخله مين فعلى الحقيقة انما صلى على نفسه وما أحسنها من رقدة بين ربه عزوجل وبين المصلى عليه فان كان المصلى عليه عارفا بربه محبوبا عنده حب من يكون الحق سمعه وبصره ولسانه فليس المصلى سوى ربه وليستقبل فى الصلاة الرب عزوجل فيكون الميت فى رقدته بين ربه وربه فما أعلاها من رقدة ليتها الى الابد فنسأل الله تعالى لنا ولاخواننا اذا جاء أجلنا ان يكون المصلى علينا عبدا يكون الحق سمعه وبصره ولسانه لنا ولاخواننا وأولادنا وآبائنا وأهلينا ومعارفنا وجميع المسلمين من الجن والانس آمين بعزته وكرمه ولما كان حال الموت حال لقاء الميت ربه واجتماعه به لجمعه ماتفرّق فى سائر الكتب والصحف المنزلة واختص من القرآن الفاتحة لكونها مقسمة بالخبر الالهى بين الله وبين عبده وقد سماها الشرع صلاة وقال قسمت الصلاة بينى وبين عبدى بنصفين وخص الفاتحة بالذكر دون غيرها من سور القرآن فتعينت قراءتها بكل وجه فى الصلاة على الميت لكونها تتضمن ثناء ودعاء ولابد لكل شافع أن يثنى على المشفوع عنده بما يليق بالشفاعة وأى ثناء أعظم من الرحمن الرحيم والمدح محمود لذاته وثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشئ أحب الى الله تعالى من أن يمدح والله تعالى قد وصف عباده المؤمنين بالحامدين وذم ولعن من ذم جناب الله ونسب اليه مالايليق به من الفقر والبخل اذ قالت اليهود يد الله مغلولة كنت بذلك عن البخل فاكذبهم الله بقوله بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء فعم الكرم يديه فلاتيأسوا من روح الله فهذه عندنا من أرجى آية تقرأ علينا فتعين على الشافع ان يمدح ربه بلاشك فانه أمكن لقبول الشفاعة مع الاذن فيها فمالم مانع من القبول وورد فى الخبر الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان غدا يوم القيامة وأراد أن يشفع يحمد الله أولا بين يدى الشفاعة بمحامد لايعلمها الآن يقتضيها ذلك الموطن بحاله فان الثناء على المشفوع عنده انما يكون بحسب جنايات المشفوع فيهم فيتقدم بين يدى شفاعته من الثناء على الله بحسب ماينبغى له لذلك الموطن من مكارم الاخلاق وموطن القيامة ماشوهد الآن ولاوقع فلهذا قال لاأعلمها الآن

﴿وصل فى فصل التسليم من الصلاة على الجنازة﴾

اختلف الناس فيه هل هو تسليمة واحدة أو اثنتان فالاكثر على انه تسليمة واحدة وقالت طائفة يسلم تسليمتين وكذلك اختلفوا هل يجهر فيها بالسلام أو لايجهر والذى أذهب اليه وأقول به ان حكم السلام من صلاة الجنازة فى الامام والمأموم حكم السلام من الصلاة سواء ولو كان وحده ﴿الاعتبار﴾ لما كان الشافع بين يدى المشفوع عنده وأقام المشفوع فيه بينه وبين ربه ليعين المشفوع فيه كما يحضر الشفيع نازلة من يشفع من أجلها بالذكر عند من يشفع عنده فأقام حضور الجانى بين يديه مقام النازلة التى كان يحضرها بالذكر ولو لم يحضر الجانى فهو فى حال غيبة عن كل من دون ربه بتوجهه اليه فاذا فرغ من شفاعته رجع الى الحاضرين عنده من بشر وملك وجان مؤمن فسلم عليهم كما يفعل فى

الصلاة سواء وهي بشرى من الله في حق الميت كأنه يقول لهم ماثم الا السلامة له ولكم وان الله قد قبل الشفاعة بما قررناه من الاذن فيها وكل من قال ان الميت اذا كان من أهل الصلاة عليه وصلى عليه لا تقبل الشفاعة فيا عنده خبر جملة واحدة لا والله بل ذلك الميت سعيد بلا شك ولو كانت ذنوبه عدد الرمل والحصى والتراب اما المختصة بالله من ذلك فمغفورة وأما ما يختص بمظالم العباد فان الله يصلح بين عباده يوم القيامة فعلى كل حال لا بد من التيسير ولو بعد حين ولهذا ينبغي للمصلي على الميت اذا شفع في صلاته عند الله أن لا يخص جناية بعينها وليعم في ذكره كل ما ينطلق عليه به انه مسيء اساءة تحول بينه وبين سعادته وليسأل الله التجاوز عن سيآته مطلقا وأن يعترف عن الميت بجميع السيآت وان لم يحضر المصلي التعميم في ذلك فان الله ان شاء عممه بالتجاوز وان شاء عامل الميت بحسب ما وقعت فيه الشفاعة من الشافع ولهذا ينبغي للمصلي على الميت أن يسأل الله له في التخليص من العذاب لا في دخول الجنة لانه ماثم دار ثالثة انما هي جنة أو نار وذلك انه ان سأل في دخول الجنة لا غير فان الله يقبل سؤاله فيه ولكن قد يرى في الطريق أهوالا عظاما فلهذا ينبغي ان تكون شفاعة المصلي في ان ينجي الله من صلى عليه مما يحول بينه وبين العافية واستصحابها له فان ذلك أنفع في حق الميت واذا فعل هكذا صح التعريف بالسلام من الصلاة أي قد لاقى السلامة من كل ما يكره

﴿وصل في فصل تعين الموضع الذي يقوم الامام فيه المصلي من الجنازة﴾

واختلفوا أين يقوم الامام من الجنازة فقالت طائفة يقوم في وسطها ذكرا كان أو أنثى وقال قوم يقوم من الذكر عند رأسه ومن الانثى عند وسطها ومنهم من قال يقوم منهما عند صدرهما وقال قوم يقوم منهما حيث شاء ولا حد في ذلك وبه أقول ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ للخيال والوهم سلطان ومقصود المصلي انما هو سؤال الله تعالى والحديث معه في حق هذا الميت واحضار الميت بين يديه فلا يبالي أين يقوم منه فان التردد في ذلك يفصم الخاطر عن المقصود ولا سيما ان كانت الجنازة أنثى فيتوهم الامام اذا وقف عند وسطها ان يسترها عمن خلفه فلم يسترها عن نفسه ويقدح ذلك التوهم في حضوره في حقها مع الله فان الحق انما يستقبله على الحقيقة من الانسان قلبه فاذا كان قلب المصلي بهذه المثابة من التفرقة واستحضار ما لا ينبغي بالتوهم فقد أساء الادب في الشفاعة ومن هذه حاله فليس بشفيع وكان هذا المصلي أولى باسم الميت من الميت لسوء أدبه مع الله ومع الموت ومع الميت فلا يحضر المصلي أين يقوم من الجنازة وليستفرغ همته في الله الذي دعاه الى الشفاعة فيها عنده وكم من مصل على جنازة والجنازة تشفع فيه جعلنا الله من الشافعين هنا وهناك الانسان مكلف من رأسه الى رجليه وما بينهما فانه مأمور بأن لا ينظر الى ما لا يحل له النظر اليه شرعا وبجميع ما يختص براسه من التكليف ومأمور بأن لا يسعى باقدامه الى ما لا يحل له السعي اليه وفيه ومنه وما بينهما مما كلفه الله أن يحفظه في تصرفه من يد وبطن وفرج وقلب فلو تمكن للمصلي أن يعم الميت بذاته كلها الفعل فليقم منها حيث ألهمه الله والقيام عند قلبه وصدره أولى فانه كان المستخدم لجميع الاعضاء بالخير والشر فذلك المحل هو أولى أن يقوم المصلي الشافع عنده بلا شك ويجعله بينه وبين الله ويعينه فانه اذا غفر له غفر لسائر جسده فان جميع الاعضاء تبع للقلب في كل شيء دنيا وآخرة ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ان في الجسد بضعة اذا صلحت صلح سائر الجسد واذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب كذلك اذا قبلت الشفاعة فيها قبلت في سائر الجوارح أراد الشرع بالقلب هنا المضغة التي يحوي عليها الصدر ولا يريد بالقلب لطيفته وعقله وفي هذا التنبيه هنا سر لمن فهم وعلم لا يحصل الا بالكشف يقول تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال وليتذكر أولوا الالباب كما قال أيضا ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وفي باب الاشارة عن الحق فيريد بالصلاح والفساد اذا أراد المضغة ما يطرأ في البدن من المرض والصحة والموت فان القلب الذي هو هذه المضغة هو محل الروح الحيواني ومنه ينتشر الروح الحيواني في جميع ما يحس من الجسد وما ينمى وهو البخار الخارج من تجويف القلب الذي يعطيه الدم الذي أعطاه الكبد فاذا كان الدم صالحا كان البخار مثله فصلح الجسد وبالعكس فهو تنبيه من الشارع لنا بما هو الامر عليه فان العلم بما هو الامر عليه في هذا الجسم الطبيعي العنصري الذي هو آلة للطيفة الانسان المكلفة في اظهار ما كلفه الشارع اظهاره

من الطاعات التى تختص بالجوارح فاذا لم يتحفظ الانسان فى غـذائه ولم ينظر فى صـلاح مزاجه وروحه الحيوانى المدبر لطبيعة بدنه اعتلت القوى وضعفت وفسـد الخيال والتصوّر من الابخرة الفاسـدة الخارجة من القلب وضعف الفكر وقل الحفظ وتعطل العـقل بفساد الآلات التى بها يدرك الامور فان الملك انما هو بوزعته ورعاياه وكذلك الامر أيضا ان صلح فاعتبر الشارع الاصـل المفسد اذا فسد لهذه الآلات واصلح لهذه الآلات اذا صلح اذلا طاقة للانسان على ما كلفه ربه الابصلاح هذه الآلات واستقامتها وسلامتها من الامور المفسـدة لها ولا يكون ذلك الا من القلب فهذا من جوامع الـكلم الذى أوتيه صـلى الله عليه وسلم فلو أراد بالقلب العقل هنا ما جمع من الفوائد ما جمع بارادته القلب الذى يحوى عليه الصـدر ولهذا جاء باسم المضغة والبضعة لرفع الشك حتى لا يتخيل خلاف ذلك ولا يحمله السامع على العقل وكذلك قال الله ولـكن تعمى القلوب التى فى الصـدور فاذا فسدت وعميت عن ادراك ما ينبغى فان فساد عين البصيرة فيما يعطيه البصر انما هو من فساد البصر وفساد البصر انما هو من فساد محـله وفساد محله انما هو من فساد روحه الحيوانىّ الذى محله القلب فقيام المصلى عند صدر الجنازة عند الصلاة عليها أولى وأحق لاجل قلبه الذى هو الاصل فى صلاحه وفساده

﴿وصل فى فصل ترتيب الجنائز عند الصلاة﴾

واختلفوا فى ترتيب جنائز اذا اجتمع الرجال والنساء عند الصلاة عليهنّ فقال قوم يجعـل الرجال مما يلى الامام والنساء مما يلى القبلة وقال قوم فيـه بالعكس وقال قوم يصلى على الرجال على حـدة مفردين وعلى النساء على حـدة مفردين والذى أقول به ان كان فى الجنائز ذكران جعل أحـدهما مما يلى الامام والآخر مما يلى القبلة ويجعـل النساء فيما بينهما وان لم يكن الا رجل واحـد جعل مما يلى الامام وان جعـل مما يلى القبلة فهو أولى وكل هذا امام يرد حـد مشروع يوقف عنده وقد بحثنا أن نجد فى ذلك حـدا للشرع فلم نجد وقد ورد عن بعض الصحابة انهم كانوا يجعلون الرجال مما يلى القبلة والنساء مما يلى الامام فاذا سئلوا عن ذلك قالوا هى السـنة وهو أولى عندى ومثل هذا اذا وقع يدخل فى المسـند عندهم والتوقيف فى الحـكم أولى ولهذا احتاط من فرّق فى الصـلاة بين الرجال والنساء والذى يترجح عنـدى تقديم الرجال مما يلى القبـلة فان النبىّ صـلى الله عليه وسـلم لما دفن قتلى أحد كان يقدم الافضـل مما يلى القبلة ويدفن الجماعة فى قبر واحد فـكان تقديم الافضـل مما يلى القبلة أولى لانه الى الله أقرب شرعا والله أعلم (الاعتبار) النساء محل التكوين فهنّ الى المكوّن أقرب فهم أولى بالقبلة من الرجال وان وقع التكوين فى الرجال مرّة واحـدة ولم يكن سوى تكوين حواء من آدم فالحـكم للغالب ولا سيما وقد جعـل فى مقابلة تكوين حواء من آدم تكوين عيسى فى مريم من غـير فحل وبقى الغالب فى الاناث انهنّ محـل التكوين فهنّ أولى بالقبـلة ليكون كل مولود يولد على الفطرة فانه اداوله خروج الينا وهو حديث عهد بربه كما جاء عن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فى الغيث انه حديث عهد بربه فـكان الرجال أولى بأن يكونوا مما يلى الامام والاعتبار الآخر ان الرجـل الميت اذا كان مما يلى الامام كان سترة للامام عن المرأة فان المرأة عورة ومجاورة الميت لها أولى لعدم الشهوة من مجاورة الحىّ فالنساء أولى بالتقـدم مما يلى القبلة من الرجال وكان الحق أولى بإمائه وسـترهنّ عن الامام أو المصـلى عليهن فان كان الامام عارفا بحيث ان يعلم من نفسـه أن الحق سمعه وبصره فلا يبالى أيقدم النساء اليه أو الرجال وتقـدم النساء أولى مما يلى من هو بهذه الصـفة والرجال مما يلى القبلة فانه أقوى فى الاعتبار لان أكثر الاكوان الطبيعيـة انما كونها الحق عند الاسـباب فتقديم النساء مما يلى الامام الذى يكون بهـذه المثابة أولى فانه اعتبار محقق فان الامام الموصوف بهذه الصـفة آلة والحق غالب على أمره ولـكن أكثر الناس لا يعلمون وفى هذه المسئلة من الاسرار البـديعة العجيبة ما لو وقف عليها العقلاء لتعجبوا وحاروا وعلموا حكمة الله فى الاشـياء وما معنى حجابه النور والظلمة وما اذا يحده هـذا الحجاب والحق لا يقبل الحد ولا يحتجب عنه شئ ولا يحجبه شئ اذ لو حجبه شئ لحـكم عليـه ذلك الحجاب بالحد ولا يصح أن يقبل الحجاب فلا يصح أن يكون العبد محجوبا عن الله ولـكن يكون محجوبا عن نسـبة خاصة قال تعالى فى الفجار انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فأضاف الرب اليهم وهى النسـبة التى يرجونها منـه لم يجدوها لانهم طلبوها من غير جهة ما تـكون فيه فـكانوا كمن يقصـد الشرق بنيته وهو يمشى الى

الغرب

القرب بجسمه و يتخيل ان حركته الى جهة قصده وهو قوله تعالى و بدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون فانهم لما استيقظوا من نوم غفلتهم ووصلوا الى منزل وحطوا عن رحالهم طلبوا ما قصدوه فقيل لهم من أوّل قدم فارقتموه فما ازددتم منه الا بعدا فيقولون ياليتنا نرد ولا سبيل الى ذلك فلهذا وصفوا بالحجاب عن ربهم الذى قصدوه بالتوجه على غير الطريق الذى شرع لهم فاذا علمت ما اعتبرناه فالقرب الجنائز على قدر مقامك ولا تحكم فالحكم ليس لك وانما هو للشارع فان وقفت من الشارع فى ذلك المقام من طريق الكشف على حكم صحيح ثابت فى ذلك فاعمل به ولا تتعداه وقف عنده فماذا بعد الحق الا الضلال

﴿وصل فى فصل من فاته التكبير على الجنازة﴾

اختلفوا فى الذى يفوته بعض التكبير على الجنازة فى مواضع منها هل يدخل بتكبير أم لا ومنها هل يقضى مافاته أم لا وان قضى فهل يدعو بين التكبيرات أولا فمن قائل يكبر أوّل دخوله ومن قائل ينتظر حتى يكبر الامام وحينئذ يكبر وأمّا قضاء مافاته فمن قائل يقضى مافاته من التكبير والدعاء ومن قائل يقضى مافاته من التكبير نسقا من غير دعاء والذى أذهب اليه ان الذى يدرك مع الامام من التكبير هو أوله ثم تمم صلاته بتكبيراتها والدعاء (الاعتبار) التكبير تعظيم الحق فليسارع اليه ولا ينتظر الامام و يقضى مافاته من التكبير نسقا من غير دعاء فان الله تعالى يقول من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين والمدعو له هنا الميت فيعطى الميت بالذكر من المصلى أفضل مما يعطيه لو دعاله والمقصود بالدعاء للميت انما هو النفع والنفع الاعظم قد حصل بالذكر

﴿وصل فى فصل الصلاة على القبر لمن فاتته الصلاة على الجنازة﴾

فقال قوم لا يصلى على القبر وقال قوم لا يصلى على القبر الا وليها فقط اذا فاتته الصلاة عليها وكان قد صلى عليها غير وليها وقال قوم يصلى على القبر من فاتته الصلاة على الجنازة واتفق القائلون باجازة الصلاة على القبر أن من شرط ذلك حدوث الدفن واختلف هؤلاء فى المدة فى ذلك فأكثرها شهر و بالصلاة على القبر أقول من غير مدة ﴿وصل الاعتبار فى هذا الفصل﴾ لا يصلى على الميت حتى يوارى عن الابصار فى أكفانه فلا فرق أن يوارى بأكفانه أو يوارى بقبره وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة على الميت بعد مادفن فى قبره فالاعتبار أن الجسم خلق من التراب وعاد الى أصله فلا فرق بينه فى حال انفصاله و بروزه على وجه الارض أو حصوله تحت التراب فهو منها فان كان المراد بتلك الصلاة الروح المدبر لهذا الجسم فالروح قد عرج به الى بارئه وقد فارق الجسد فلا مانع من الصلاة عليه وان كان المراد بتلك الصلاة الجسد دون الروح فسواء كان فوق الارض أو تحت الارض فانّ الشارع مافرّق فكل واحد من الانسان قد رجع الى أصله فالتحق الروح منه بالارواح والتحق العنصرىّ منه بالعنصر

﴿فصول من يصلى عليه ومن أولى بالتقديم﴾

فمن ذلك الصلاة على من هو من أهل لا اله الا الله فمن قائل يصلى عليهم مطلقا ولو كانوا من أهل الكبائر والاهواء والبدع وكره بعضهم الصلاة على أهل البدع و بالاوّل أقول ولم يجز آخرون الصلاة على أهل الكبائر ولا على أهل البغى والبدع ولو علم هذا القائل ان المصلى على الجنازة شفيع وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خبأت دعوتى شفاعة لاهل الكبائر من أمتى ﴿وصل اعتبار هذا الفصل﴾ قال صلى الله عليه وسلم صلوا على من قال لا اله الا الله ولم يفصل ولا خصص وعم بقوله من وهى نكرة تم فالمفهوم من هذا الكلام الصلاة على أهل التوحيد سواء كان توحيدهم عن نظر أو عن ايمان أعنى عن تقليد للرسول أو عن نظر وايمان معا ومعنى الايمان أن يقولها على جهة القربة المشروعة من حيث ماهى مشروعة وهذا لا سبيل الى الوصول الى معرفته من القائل لها الا بوحى أو كشف فانه غيب وما كلف الله نفسا الا وسعها ولهذا ربطه بالقول ومن لا يتصوّر منه القول أو لم يسمع انه قالها كالصبىّ الرضيع فان الرضيع يلحق بأبيه فى الحكم فيصلى عليه ومن لم نسمع منه يلحق بالدار والدار دار الاسلام وهو بين المسلمين ولم يعرف منه دين أصلا لا الاسلام ولا غيره وكان مجهولا فانه يحكم له بالدار فيصلى عليه فاذا كانت عناية الدار تلحقه بالمحقق اسلامه فما ظنك

بعناية الله وهذا من عناية الله وأهل لا اله الا الله بكل وجه وعلى كل حال لا يقبلهم الخلود في النار الا من أشرك أو سن الشرك فانهم لا يخرجون من النار أبدا فالاهواء والبدع وكل كبيرة لا تقدح في لا اله الا الله لا تعتبر مؤثرة في أهل لا اله الا الله فان التوحيد لا يقاومه شئ مع وجوده في نفس العبد ولولا النص الوارد في المشرك وفيمن سن الشرك لعمت الشفاعة كل من أقر بالوجود وان لم يوحد فان المشرك له ضرب من التوحيد أعني توحيد المرتبة الالهية العظمى فان المشرك جعل الشريك شفيعا عند الله يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فوحد هذا المشرك الله في عظمته ليست للشريك عنده هذه الرتبة اذ لو كانت له ما اتخذه شفيعا والشفيع لا يكون حاكما فلهم رائحة من التوحيد وبهذه الرائحة من التوحيد وان لم يخرجوا من النار لا يبعد أن يجعل الله لهم فيها نوعا من النعيم في الاسباب المقرونة بها الآلام وأدنى ما يكون من تنعيمهم أن يجعل المقرور في الحرور ونقيضه الذي هو المحرور في الزمهرير حتى يجد كل واحد منهما بعض لذة كما كانت لهم هنا بعض رائحة من التوحيد فيخلقهم الله على مزاج يقبلون به نعيم هذه الاسباب المعتادة بوجود الالم عندها في المزاج الذي لا يلائمه ذلك وما ذلك على الله بعزيز فانه الفعال لما يريد وما ورد نص يحول بيننا وبين ما ذكرناه من الحكم فبقي الامكان على أصله في هذه المسئلة وفي الشريعة ما يعضده من قوله ورحمتي وسعت كل شئ وقوله رحمتي سبقت غضبي

﴿وصل في فصل من قتله الامام حدا﴾

فمن الناس من لم ير أن يصلي عليه الامام ومنهم من رأى انه يصلي عليه الامام وبه أقول ﴿اعتبار هذا الفصل﴾ الغاسل غير ممنوع من الصلاة على من غسله والامام هنا غاسل فان القتل هنا للمقتول طهور معنوي مكفر وقد ورد في ذلك الخبر فللامام أن يصلي عليه لتحقق طهوره والعجب من صاحب هذا المذهب الذي يمنع من صلاة الامام عليه وهو عنده لو مات من عليه هذا الحد صلى عليه الامام مع تحققه بأنه مشغول الذمة بهذا الحد الواجب عليه وانه غير طاهر النفس فان أمره الى الله ان شاء آخذه به وان شاء عفا عنه وبهذا وردت الاخبار فالاولى أن يصلي عليه الامام اذا قتله حدا كالغاسل سواء فانه لا معنى لاقامة الحدود على المؤمنين في الدنيا الا ازالتها عنهم في الآخرة بخلاف من قتل سياسة أو كفر الا حدا

﴿وصل في فصل من قتل نفسه هل يصلى عليه أم لا يصلى عليه﴾

فقيل يصلى عليه ومن قائل لا يصلى عليه وبالاول أقول ﴿وصل اعتبار هذا الفصل﴾ لما أذن الله عز وجل في الشفاعة بالصلاة على الميت علمنا أنه عز وجل قد ارتضى ذلك وان السؤال فيه مقبول وأخبر ان الذي يقتل نفسه في النار خالدا مخلدا فيها أبدا وان الجنة عليه حرام وما ورد نهي عن الصلاة على من قتل نفسه فيحمل ذلك على من قتل نفسه ولم يصل عليه فيجب على المؤمنين الصلاة على من قتل نفسه لهذا الاحتمال فيقبل الله شفاعة المصلي عليه فيه ولا سيما والاخبار الصحاح والاصول تقضي بخروجه من النار ويخرج الخبر الوارد بتأبيد الخلود مخرج الزجر والحكمة المشار اليها في هذه المسئلة في قول الله تعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة ففيه اشارة حقيقة فالاشارة يسارعون وسابقوا ومن تقرب الي شبرا تقربت منه ذراعا والموت سبب لقاء الله فكان الانسان في حياته يسافر ويقطع المنازل بانفاسه الى لقاء ربه وقد جعل له حدا مخصوصا فاستعجل اللقاء فبادر اليه قبل وصوله الى ذلك الحد وهو السبب الذي لا تعمل له في لقائه فان كان عن شوق للقاء الحق فانه يلقاه برفع الحجب ابتداء فانه قال حرمت عليه الجنة والجنة الستر أي منعت عنه أن يستر عني فانه بادرني بنفسه ولم يقل ذلك على التفصيل فحمله على وجه الخير للمؤمن لما يعضده من الاصول أولى وأما قوله عليه السلام فيمن قتل نفسه بحديدة وبسم وبالتردي من الجبل فلم يقل في الحديث من المؤمنين ولا من غيرهم فتطرق الاحتمال واذا دخل الاحتمال رجعنا الى الاصول فرأينا ان الايمان قوي السلطان لا يتمكن معه الخلود على التأبيد الى غير نهاية في النار فنعلم قطعا ان الشارع أخبر بذلك عن المشركين في تعيين ما يعذبون به أبدا فقال من قتل نفسه بحديدة منهم فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا أي هذا

الصنف من العذاب هو حكمه في النار وكذلك من شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا أي هذا النوع من العذاب يعذب به هذا الكافر وقد ورد من قتل نفسه بشيء عذب به وأما المؤمن خائن الايمان بتوحيد الله أن يقاومه شيء فتعين ان ذلك النص في المشرك وان لم يخص الشارع في هذا الخبر صنفا بعينه فان الادلة الشرعية تؤخذ من جهات متعددة ويضم بعضها الى بعض ليقوي بعضها بعضا لان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا كذلك الايمان بكذا يشد للايمان بكذا فيقوى بعضه بعضا فان أهل الجنة اذا يرون ربهم رؤية نعيم بعد دخولهم الجنة كما ورد في الخبر في الزيارة اذا أخذ الناس أماكنهم في الجنة فيدعون الى الرؤية فيمكن ان الله قد خص هذا الذي بادره بنفسه فقتل نفسه أن يكون قوله حرمت عليه الجنة قبل لقائي فيتقدم للقاتل نفسه لقاء الله رؤية نعيم وحينئذ يدخل الجنة فان القاتل نفسه يرى ان الله أرحم به مما هو فيه من الحال الموجبة له الى هذه المبادرة فلولا ما توهم الراحة عند الله من العذاب الذي هو فيه لما بادر اليه والله يقول أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا والقاتل نفسه اذا كان مؤمنا فظنه بربه حسن فظنه بربه الحسن هو الذي جعله أن يقتل نفسه وهذا هو الاليق أن يحمل عليه لفظ هذا الخبر الالهي اذ لا نص بالتصريح على خلاف هذا التأويل وان ظهر فيه بعد فليبعد الناظر في نظره من الاصول المقررة التي تناقض هذا التأويل بالشقاء المؤبد فاذا استحضرها ووزن عرف ما قلناه وفي الاخبار الصحاح أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من ايمان فلم يبق الا ما ذكرناه ولم يقل الله في هذا الخبر الا انه حرم عليه الجنة خاصة فان قلنا ولا بد بالعقوبة فتكون الجنة محرمة عليه أن يدخلها دون عقاب مثل أهل الكبائر فيكون أصابي القاتل نفسه وغيره من أهل الكبائر في حكم المشيئة فان صاحب السجلات لا يدخل النار مع انه من أهل الكبائر اذ ليس معه سوى قول لا اله الا الله في طول اسلامه مدة حياته في الدنيا فغايته أن يتحقق انفاذ الوعيد في القاتل نفسه قبل دخول الجنة وانه لا يغفر له والله أكرم أن ينسب اليه نفاذ الوعيد بل ينسب اليه المشيئة وترجيح الكرم كما وصف بعض الاعراب مع كونه من أهل الاغراض نفسه

وانى اذا أوعدته أو وعدته ۞ لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

وانما ورد في الشرع نص في الايعاد وورد في الوعد ولا تحسبن الله مخلف وعده فالايعاد في الشر خاصة والوعد يكون في الخير والشر معا

﴿وصل في فصل حكم الشهيد المقتول في المعركة﴾

فمن قائل لا يصلي عليه ولا يغسل ومن قائل يصلي عليه ولا يغسل (الاعتبار) الحياة المنسوبة الى الشهيد في المعركة من رأى أن الله أخذ بأبصارنا عن ادراك حياة الشهيد وانه حي يرزق كحياة زيد وعمرو في نفس الامر وهذا ليس ببعيد فان الحي بهذه المثابة لا يصلي عليه ومن رأى أن الصلاة انما هي الدعاء له بكونه انقطع عمله في الدنيا وان كان حيا عند ربه لكنه غير عامل قال يصلي عليه أي يدعى له مثل ما يدعى للميت لانقطاعه عن العمل المقرب له الى الدرجات التي لا تحصل الا بالعمل من العامل نفسه أو ممن ينوب عنه في عمله كمن يصوم عن وليه اذا مات أو يحج عنه اذا مات أو لم يستطع فتقوم الصلاة على الشهيد من المصلي مقام العمل منه لو كان في حال لم ينقطع العمل منه

﴿وصل في فصل حكم الصلاة على الطفل﴾

فمن قائل لا يصلي عليه حتى يستهل صارخا ومن قائل يصلي عليه اذا كمل أربعة أشهر لوجود الروح عند هذه المدة (الاعتبار) أمرنا الله بالصلاة على الميت في السنة ولم يقل الميت عن حياة متقدمة فنحن اذا رأينا صورة الجنين ولو كان أصغر من البعوضة بحيث تكون أعضاؤه مصورة حتى يعلم انه انسان وان كان قبل نفخ الروح فيه فانه ينطلق بالشرع على تلك الصورة انها ميتة قال تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فأطلق علينا اسم الموت قبل نفخ الروح فالمصلي على الجنين اذا خرج عينه بالطرح وشاهدناه صورة وان لم ينفخ فيه روح للصورة الظاهرة وتحقق اسم الموت فلا مانع للصلاة عليه بوجه من الوجوه ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا يصلي على ميت

الابعد ان تتقدمه حياة ماتعرض لذلك وان كان لم يقع الامر الافيمن تقدمت له حياة ومايدل عدم النقل على رفع الحكم بل المفهوم من الشرع الصلاة على الميت من غير تخصيص الاما خصصه الشارع من النهي عن الصلاة على الكافر وغير ذلك ممن نص على ترك الصلاة عليه وليس للطفل فيه مدخل بل قد ذكر الترمذي عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الطفل يصلى عليه ولا يرث ولا يورث حتى يستهل صارخا فقد حكم بالصلاة عليه وما حكم بالميراث مثل ما حكم على من مات عن حياة فهذا الخبر يقوّي ماذهبنا اليه من وجود صورة الانسان وان لم نعلم ان موته عن حياة ولا عن غير حياة وحديث المغيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الطفل يصلى عليه وذهب بعضهم الى أن الطفل لا يصلى عليه أصلا واحتج بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل على ابنه ابراهيم وهو ابن ثمانية أشهر فيعارض هذا القائل بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم صلى على ابنه ابراهيم ويقوّي هذا الحديث حديث المغيرة وجابر

﴿وصل في فصل حكم الاطفال من أهل الحرب اذا ماتوا﴾

فقيل حكمهم حكم آبائهم لا يصلى عليهم ومن قائل حكمهم حكم من سباهم من المسلمين والذي أقول به انه متى قدر المسلم على الصلاة على من مات من الاطفال الصغار الذين لم يحصل منهم التمييز ولا العقل انه يصلى عليهم فانهم على فطرة الاسلام (الاعتبار) الطفل مأخوذ من الطفل وهو ماينزل من السماء من الندا غدوة وعشية وهو أضعف ماينزل من السماء من الماء فالطفل من الكبار كالرش والوبل والسكب وغير ذلك من أنواع نزول المطر ولما كان بهذا الضعف والضعيف مرحوم أبدا والصلاة رحمة فالطفل يصلى عليه اذا مات بكل وجه ولا معنى لترك الصلاة عليه

﴿وصل في فصل من أولى بالتقديم في الصلاة على الميت﴾

واختلفوا فيمن أولى بالتقديم في الصلاة على الميت فقيل وليه وقيل الوالي وبه أقول فانه ثبت أنّ النبي صلى الله عليه وسلم صلى على الجنازة ولم ينقل عنه قط انه اعتبر الولي ولا سأل عنه وقدم الحسين بن علي سعيد بن العاص وهو والي المدينة في الصلاة على الحسن بن علي والحاقه في هذه المسئلة بصلاة الجمعة وصلاة الجماعة أولى من الحاقه بالولي في مواراته ودفنه (الاعتبار) الوالي له اطلاق الحكم في العموم والخصوص فهو أقوى ممن له الحكم في بعض الامور فهو أولى بالصلاة على الميت وبمناجاة الحق والشفاعة في الميت فانه نائب الله ونظر الحق الى من استخلفه أعظم من نظره فيمن لم يجعل له ذلك المنصب العام في الخلافة وكلامه أقبل عنده فانه فوّض اليه الحكم فيما ولاه عليه والوالي على الحقيقة هو الله تعالى فمن ثبت له هذا الاسم بالوجه الاعم فالاعم فهو أولى بالصلاة على الميت والوالي من له حكم الوقت من الاسماء الالهية فيشفع عند من ولا ممن الاسماء في الميت ممن هو أعم تعلقا منه وهو الرحمن فان رحمته وسعت كل شئ

﴿وصل في فصل وقت الصلاة على الجنازة﴾

فقال قوم لا يصلى عليها في الوقت المنهي عن الصلاة فيه وقال قوم لا يصلى في الغروب والطلوع وقال قوم يصلى عليها بعد صلاة الصبح مالم يكن الاسفار وبعد صلاة العصر مالم يكن الاصفرار وقال قوم يصلى عليها في كل وقت وبه أقول غير انه لا يقبر في ثلاث ساعات الميت وان أجزنا الصلاة عليه فيها لورود النص أن لا نقبر فيها موتانا وهي الطلوع والغروب والاستواء ﴿الاعتبار في هذا الفصل﴾ الصلاة مناجاة وسؤال على حضور ومشاهدة فلا تتقيد بوقت مالم يقيدها الشرع ومايقيد صلاة الجنازة فانها مافيها سجود وأما الاستواء فانه وقت تسعير النار والقبر أول منزل من منازل الآخرة ولم نقل الموت فان الموت حال لا منزل والقبر منزل فان دفن في ذلك الوقت يشاهد الميت تسعير النار فربما أدركه رعب والله رفيق بالمؤمن فلم يبح لنا أن نقبر في ذلك الوقت موتانا رحمة بهم وأما الطلوع والغروب فانهما ساعات يسجد فيهما الكفار بجهنم تتقدم لاخذهم لصنيعهم ذلك فاذا قبر الميت في ذلك الوقت ربما أبصر مبادرة النار لاخذ هذه الطوائف فيدركه رعب لاقبالها حتى يظن أنها تريده كمن يكون ماشيا في طريق وخلفه من عليه طلب فيرى أمامه شخصا يقصد طلب من يأتي خلفه يفرق منه لفظاعة منظره فربما يتخيل هذا الشخص انه المقصود لذلك المقبل فلا يأمن من يأتي حتى يجاوزه فيعلم انه طالب غيره فان الكافر اذا سجد لغير الله بادرت جهنم لاخذه غيرة أن يسجد لغير الله فاذا رفع رأسه

من السجدة نكصت على عقبها عن أمر الله تعالى لعل هذا الساجد لا يعود الى مثلها و يتوب فانه فى دار قبول التوبة فلهذا لم يتم اقبالها اليه فالانسان مادام حيا اذا كان كافرا يرجى له الاسلام واذا كان مسلما يخاف عليه الكفر فانها ماهى دار طمأنينة لمخلوق مالم يبشر ومع البشرى يرتفع الخوف لصدق الخبر و يبقى الحكم للحياء والخشوع لخوف المبشر واصفراره للحياء خاصة لا للخوف

﴿وصل فى فصل فى الصلاة على الجنازة فى المسجد﴾

فأجازها بعضهم وكرهها بعضهم واما اذا كانت الجنازة خارج المسجد والمصلى فى المسجد ففى هذه الصلاة خلاف أيضا واما الصلاة على الجنائز فى المقابر ففيه خلاف و بالجواز أقول فى ذلك كله ﴿وصل الاعتبار فى هذا الفصل﴾ المصلى على الجنائز شفيع فحيثما كان يشفع فان الحق يقول وهو معكم أينما كنتم فنحن نعلم أنه مع الجنازة حيث كانت ومعى حيث كنت فلا يتقيد بالمكان فالصلاة على الجنازة جائزة فى كل مكان من غير تقييد ولا موضع أقذر من موضع فرعون فان المشرك نجس ومع هذا جاءه موسى وهرون وقال الله لهما اننى معكما أسمع وأرى وكنت أقول بالصلاة على الجنائز حيث كانت فى مسجد وغيره حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو ينهى عن دخول الجنائز المسجد وعن الصلاة عليها فانتهيت فما صليت بعد ذلك على جنازة فى المسجد فان النبى صلى الله عليه وسلم يقول من رآنى فقد رآنى فان الشيطان لا يتمكننى

﴿وصل فى فصل فى شرط الصلاة على الجنازة﴾

فقال الاكثرون الطهارة شرط فيها كالقبلة سواء واختلفوا فى التيمم لها لمن خاف فواتها فقال قوم يتيمم لها وقال قوم لا يتيمم لها ولا يصلى عليها بتيمم والذى أقول به أن الطهارة لا تشترط ولكن أكره التوجه الى الله وذكره على غير طهارة شرعية ﴿وصل فى اعتبار هذا الفصل﴾ قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وهكذا ينبغى أن يكون الامر فان الله فى كل حال مع العبد ولا سيما المؤمن انتهى الجزء التاسع والاربعون

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿وصل فى فصل فى صلاة الاستخارة﴾

وردأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن وورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر أن يصلى لها ركعتين و يوقع الدعاء عقيب الركعتين اللتين يصليهما من أجلها بعد السلام منهما وأستحب له أن يقرأ فى الاولى فاتحة الكتاب وقوله تعالى وربك يخلق مايشاء و يختار ما كان لهم الخيرة أوسورة قل ياأيها الكافرون وفى الركعة الثانية يقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ويدعو بالدعاء المروى فى ذلك عقيب السلام يفعل ذلك فى كل حاجة مهمة يريد فعلها وقضاءها ثم يشرع فى حاجته فان كان له فيها خيرة عند الله يسر له أسبابها الى أن تحصل فتكون عاقبتها محمودة وان تعذر شئ من أسبابها عليه ولم يتفق تحصيلها بيسر فلا يضاد القدر و يعلم انه لو كان له فيها خيرة عند الله ما تعذرت أسبابها فيعلم ان الله قد اختار له تركها فلا يتألم لذلك وسيحمد عاقبة تركها وينبغى لاهل الله أن يصلوا صلاة الاستخارة فى وقت معين يعينونه من ليل أو نهار فى كل يوم فاذا قالوا الدعاء بعد السلام من الركعتين يقولون فى الموضع الذى أمر أن يسمى حاجته كما سنذكره يقول اللهم ان كنت تعلم ان جميع ما أتحرك فيه فى حقى وفى حق غيرى وجميع مايتحرك فيه غيرى فى حقى وفى حق أهلى وولدى وماملكت يمينى خيرلى فى دينى ودنياى وعاجل أمرى وأجله من ساعتى هذه الى مثلها من اليوم الآخر فيسره لى وأقدره ورضنى به وان كنت تعلم ان جميع ما أتحرك فيه فى حقى وفى حق غيرى وجميع مايتحرك فيه غيرى فى حقى وفى حق أهلى وولدى وماملكت يمينى من ساعتى هذه الى مثلها من اليوم الآخر شر لى فى دينى ودنياى وعاجل أمرى وآجله كما سيأتى فى الدعاء بعد هذا ان شاء الله فانه اذا فعل ذلك مايتحرك بحركة ولا يتحرك فى حقه بحركة الا كان له فيها خير محقق فعلا أو تركا جربت هذا دائما يفعل هذا فى كل يوم فى وقت بعينه يلزمه لا يغيره وصورة دعاء الاستخارة اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك

بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الأمر وتسمى حاجتك خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاقدره لى و يسره لى ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر وتذكر حاجتك شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه وأقدر لى الخير حيث كان ثم ارضنى به فالعارف اذا استخار ربه فى حاجة معينة كانت أومبهمة فيحضر فى قلبه عند قوله اللهم أى يا ألله اقصد فادخل هنا الارادة لان القصد الارادة فحذف الهمزة واكتفى بالهاء من اللهم لقربها فى المخرج والمجاورة وليدلك بذلك على عظيم الوصلة فان شرح اللهم أى يا الله أمنا بالخير أى اقصدنا وقوله انى آنية الشئ حقيقته كناية عن نفسه وقوله أستخيرك بعلمك يقول أى يا ألله أقصد حقيقتى بما اختاره علمك مالى فيه خير فانك تعلم ما يصلح لى من الخير ولا أعلم هذا الذى توجهت فى طلبه وتقدر على ايجاده ولا أقدر على ذلك فان كان لى فى فعله وظهور عينه خير قد علمته فاقدره لى أى افعله لى وان كان الخير لى فى تركه وعدم ظهور عينه فاصرفه عنى لكونى استحضرته فى خاطرى وتخيلته فقد حصل ضرب من الوجود وهو تصوره فى خيالى فلا تجعله حاكما علىّ بظهور عينه فهذا معنى قوله فاصرفه عنى ثم قال واصرفنى عنه أى حل بينى و بينه واجعل بينى و بينه الحجاب الذى بين الوجود والعدم حتى لا أستحضره ولا يحضر لى عينا وتخيلا وقوله واستقدرك بقدرتك لانّ القدرة صفة الايجاد وهى أخص تعلقا من العلم فيصرف بالعلم و يوجد بالقدرة ولا يصرف بها فقدّم العلم على القدرة لانه قد يكون له الخيرة فى ترك ما طلب فعله و وجوده فكأنه يقول وان كان فى تحصيل ما طلبت تحصيله خير لى فانى أستقدرك بقدرتك أى أقدرنى على تحصيله وان كان ممن يقول بنسبة الفعل للعبد كالمعتزلة وتكون الاضافة فى قوله بقدرتك أى بالقدرة التى تخلقها فى عبادك وان كان ممن لا يقول بنسبة الفعل الى العبد فقوله بقدرتك يعنى قدرة الحق التى هى صفته المنسوبة اليه بحكم الصفة لا بحكم الخلق وقوله فانك تقدر ولا أقدر يتجه هذا القول من الطائفتين أى فانك تقدر أن تخلق لى القدرة على فعله ان كان قد علمت ان لى فيه خيرا وقد يريد الاخبار عن حقيقة نفى القدرة عن العبد فيقول فانك تقدر على ايجاده وتحصيل ما طلبته ولا أقدر أى مالى قدرة أحصله بها لعلمه ان القدرة الحادثة مالها التكوين ولا تتعدى محلها وقوله وارضنى به أى اجعل الفرح والسرور عندى بحصوله أو بعدم حصوله من أجل ما اخترته لى فى سابق علمك وأقدر لى الخير حيث كان وأنت أعلم بالاماكن والزمان والاحوال التى لى الخير فيها من غيرها فانك أنت علام الغيوب أى ما غاب عنا من ذلك تعلمه أنت ولا أعلمه أنا ثم لتعلم ان العلم بالامر لا يتضمن شهوده فدل ان نسبة رؤيتك الاشياء غير نسبة علمك بها فالنسبة العلمية تتعلق بالشهادة والغيب فكل مشهود معلوم ما شهد منه وما كل معلوم مشهود وما ورد فى الشرع قط ان الله يشهد الغيوب وانما ورد يعلم الغيوب ولهذا وصف نفسه بالرؤية فقال ألم يعلم بان الله يرى ووصف نفسه بالبصر و بالعلم ففرّق بين النسب وميز بعضها عن بعض ليعلم ما بينها ولما لم يتصوّر ان يكون فى حق الله غيب علمنا ان الغيب أمر اضافى لما غاب عنا فكأنه يقول من يقول وأنت علام الغيوب أى ما غاب عنا وكذلك عالم الغيب والشهادة أى ما غاب عنا وما نشهده و يشهده وما يلزم من شهود الشئ العلم بحده وحقيقته و يلزم من العلم بالشئ العلم بحده وحقيقته عدما كان أو وجودا والا فما علمته والاشياء كلها مشهودة للحق فى حال عدمها ولو لم تكن كذلك لما خصص بعضها بالايجاد عن بعض اذ العدم المحض الذى ليس فيه أعيان ثابتة لا يقع فيه تمييز شهود بخلاف عدم الممكنات فكون العلم ميز الاشياء بعضها عن بعض وفصل بعضها عن بعض هو المعبر عنه بشهوده اياها وتعيينه لها أى هى بعينه يراها وان كانت موصوفة بالعدم فما هى معدومة لله الحق من حيث علمه بها كما ان تصور الانسان المخترع للاشياء صورة ما يريد اختراعها فى نفسه ثم يبرزها فيظهر عينها لها فاتصفت بالوجود العينى وكانت فى حال عدمها موصوفة بالوجود فى الوجود الذهنى فى حقنا والوجود العلمى فى حق الله فظهور الاشياء من وجود الى وجود من وجود علم الى وجود عين والمحال الذى هو العدم المحض ما فيه أعيان تمييز فهذا معنى بعض ما يتضمنه دعاء الاستخارة وأما قوله و يسره لى يريد الاسباب التى هى علامات ودلائل على تحصيل المطلوب

﴿فصول جوامع فيما يتعلق بالصلاة وبها خاتمة الباب﴾

﴿وصل في اقامة الصلاة﴾

اقامة الصلاة ظهور نشأتها على أتم خلقها وخلقها يختلف باختلاف من تنسب اليه فاذا نسبت الصلاة الى الله فلها نشأة تخالف نشأة نسبتها الى غير الله من ملك و بشر وغيرهما من المخلوقين فالحق ينشئها نشأة تامة ولهذا قال ورحمتي وسعت كل شئ لتمام خلقها اذ كانت الصلاة المنسوبة اليه في قوله هو الذي يصلي عليكم رحمته بعباده وسيأتي ذكر ذلك ونسبة الصلاة الى الملك أيضا يخرجها و يديمها تامة النشأة أي صلاة أظهرها فما يظهرها الا تامة فلا تكون صلاة الملك الا تامة النشأة والخلق وكذلك كل صلاة منسوبة الى جماد ونبات وحيوان ما عدا الانس والجن فان صلاتهما اذا أنشآها قد تكون مخلقة أي تامة الخلقة وغير مخلقة أي غير تامة الخلق فلنذكر أولا صلاة الحق فنقول ﴿وصل﴾ قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم وما قال ان الله وملائكته يصلون على النبي خصوصا بخصوص صلاة فان الضمير في قوله يصلون يجمع الحق والملائكة ولا يمكن للملائكة أن تلحق صلاة الله على عبده فانها لا تتعدى مرتبتها فيكون الحق ينزل في هذه الصلاة الى صلاة الملائكة لاجل الضمير الجامع فتكون صلاة الله على النبي من مقام صلاة الملائكة على النبي بخلاف قوله هو الذي يصلي عليكم فانه هنا ما جاء بالملائكة الا بعد ما ذكرنا وفصل بنا بين صلاته و بين الملائكة بقوله عليكم ثم قال ليخرجكم فأفرد الخروج اليه وما جاء بضمير جامع يجمع بين الله و بين الملائكة في الصلاة على المؤمنين كما فعل في قوله يصلون على النبي فتميز النبي صلى الله عليه وسلم على سائر البشر بمرتبة لم يعطها أحد سواه أي ما ذكر لنا ذلك فعمنا كنا والنبي صلى الله عليه وسلم من جملتنا بقوله هو الذي يصلي عليكم وأفرد نفسه في ذلك ثم قال وملائكته فأفرد الملائكة بالصلاة على العباد وفيهم النبي فلجميع الخلق توحيد الصلاة من الله وتوحيد الصلاة من الملائكة وخص النبي صلى الله عليه وسلم وحده فيما أخبرنا به بأن جمع له بصلاة جامعة اشترك فيها الله وملائكته فقال ان الله وملائكته يصلون على النبي ومعلوم ان الصلاة في الجمعية ما هي الصلاة التي في حال الافراد فان الحالتين متميزتان ففاز النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصلاة ثم أمرنا أن نصلي عليه صلى الله عليه وسلم لنمثل هذه الصلاة الجامعة وهو ان نصلي عليه اذا كان الحق لساننا كما ورد في الخبر فحينئذ تصح الصلاة التي أمرنا بها و بهذه المثابة كانت صلاة الملائكة في هذا المقام الذي جمع بينهم و بين الله في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فان في تلك الصلاة كان نطقهم فثبت شرفه صلى الله عليه وسلم على سائر البشر في هذه المرتبة فانه شرف محقق الوجود بالتعريف وان ساواه أحد ممن لم نعرف به فذلك شرف امكاني فتعين فضله بالتعيين على من لم يتعين وان كان قد صلى عليه مثل هذا في نفس الامر ولم نخبر فثبت له الفضل بكل حال فلما قال تعالى بعد قوله هو الذي يصلي عليكم بعد قوله يا أيها الذين آمنوا ولم يقل عباد اهل بالوجود و بالتوحيد فحمله على الوجود الذي هو أعم أولى لانه أعم في الرحمة فقال لهم اذكروا الله ذكرا كثيرا أي في كل حال وسبحوه أي صلوا له فسأل ابن عمر لو كنت مسبحا أتممت يريد مصليا تماما غير قصر ولهذا قال بكرة وأصيلا يعني صلاة الغداة والعشي وكذلك قال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وعشيا وحين تظهرون فجمع الصلوات الخمس في هذه الآية وله الحمد أي الثناء المطلق في السموات والارض فما تقدير الكلام فلما قال هذا وأمرنا بالذكر والصلاة قال هو الذي يصلي عليكم فأخبر انه يصلي علينا فالمفهوم من هذا أمر ان الامر الواحد انه يصلي علينا فينبغي لنا ان نذكره بالمدح والثناء ونصلي له بكرة وأصيلا فان في ذلك غذاء العقول والارواح كما ان غذاء الجسم في هذه الاوقات في قوله لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ورزق كل مخلوق بحسب ما تطلبه حقيقته فالارواح غذاؤها في التسبيح فقيل لها سبحه أي صل له في هذه الاوقات واذكره على كل حال فقيد التسبيح وما قيد الذكر بوقت فعلمنا ان التسبيح ذكر خاص مربوط بهذه الاوقات والامر الآخر انكم اذا صليتم وذكرتم الله فانه يصلي عليكم فصلاتنا وذكرنا له سبحانه بين صلاتين من الله تعالى صلى علينا فصلينا له فصلى علينا فمن صلاته الاولى علينا صلينا له ومن صلاته الثانية علينا كانت السعادة لنا بأن جنينا ثمرة صلاتنا له

وذكرنا ثم قال وملائكته أيضا تصلي عليكم بما قد شرع لها من ذلك وهو قوله ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ يعني القيامة والمعصومين من وقوع السيئات منهم فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم فهذا كله قول الملائكة فصلاة الملائكة علينا كصلاتنا على الجنازة سواء لمن عقل ثم قال ليخرجكم بلام السبب من الظلمات الى النور ابتداء منه ومنة وبدعاء الملائكة وهو هذا الذي ذكرناه ولهذا قال وملائكته وهو قولهم وقهم السيئات فان السيئات ظلمات فمنهم من يخرجهم من ظلمات الجهل الى نور العلم ومن ظلمات المخالفة الى نور الموافقة ومن ظلمات الضلال الى نور الهدى ومن ظلمات الشرك الى نور التوحيد ومن ظلمات الحجاب الى نور التجلي ومن ظلمات الشقاء والتعب الى نور السعادة والراحة ثم قال وكان بالمؤمنين أي بالمصدقين رحيما أي يرحمهم لما صدقوا به من وجوده الذي هو أعم من التصديق بالتوحيد ثم يندرج بعد الايمان بالوجود الالهي كل ما يجب به الايمان على طبقاته ثم قال تحيتهم يوم يلقونه سلام أي اذا وقع اللقاء بشر بالسلامة انه لا يشقى بعد اللقاء أبدا فلله رجال يلقونه في الحياة الدنيا ويبشرون بالسلام وثم من يلقاه اذا مات وثم من يلقاه عند البعث وثم من يلقاه في تفاصيل مواقف القيامة على كثرتها ومنهم من يلقاه بعد دخول النار وبعد عذابه فيها ومتى وقع اللقاء حياه الله بالسلام فلا يشقى بعد ذلك اللقاء فلهذا جعل السلام عند اللقاء ولم يعين وقتا مخصوصا لتفاوت الطبقات في لقائه فآخر لاق يلقاه المؤمن بوجوده خاصة فانه قال بالمؤمنين ولم يقيد فلا نقيد وقوله وأعد لهم أجرا كريما كل أجر على قدر ما عنده من الايمان وأقلهم أجرا المؤمن بوجود الله الى ما هو أعظم في الايمان فصلاة الله رحمته بخلقه ولهذا قال وكان بالمؤمنين رحيما وقال الرحمن على العرش استوى والعرش ما حوى ملكه كله بما وجد ورحمتي وسعت كل شئ وعرشه وسع كل شئ والنار ومن فيها من الاشياء والرحمة سارية في كل موجود فصلاة الحق كائنة على كل موجود والخلق صور خيالية محركهم الحق والناطق عنهم الحق فهم مصرفون تجري عليهم أحكام القدرة وهم محو في عين ثبوتهم وعدم في حال وجودهم أولئك هم الصامتون الناطقون والميتون الاحياء كحياة الشهداء فالعقل يشهد ما لا يشهد البصر فاقامة الصلاة الالهية عموم رحمته بمخلوقاته فهي مخلوقة قال تعالى أعطى كل شئ خلقه والرحمة شئ وخلقها بتعميمها وكذلك صلاة الملائكة تامة الخلقة فانها دعت للذين تابوا كما ذكر وقالت أيضا وقهم السيئات فعمت فما بقي أمر الا دخل في صلاة الملائكة من طائع وعاص على أنواع الطاعات والمعاصي ﴿وصل﴾ وأما صلاة الانسان والجن وهو قوله تعالى الذين يقيمون الصلاة فاقامة البشر لها أن تنسب اليهم بمعنى الرحمة كما نسبت الى الحق وبمعنى الدعاء والرحمة كما نسبت الى الملائكة وبمعنى الدعاء والرحمة واتمام التكبير والقيام والركوع والسجود والجلوس كما ورد في الخبر فمن أتم ركوعها وسجودها وما شرع فيها وان كان في جماعة مما تستحقه صلاة الجماعة والا تمام فقد أكمل خلقها وان كان انتقص منها شئ كانت له بحسب ما نتقص منها والله لا يقبلها ناقصة فيضم بعض الصلوات الى بعض فان كانت له مائة صلاة وفيها نقص كملت بعضها من بعض وأدخلت على الحق كاملة فتصير المائة صلاة مثلا ثمانين صلاة أو خمسين أو عشرة أو زائدا على ذلك أو ناقصا عنه هكذا هي صلاة الثقلين ﴿وصل﴾ قال الله تعالى ألم تر أن الله يسبح له من في السموات ومن في الارض والطير صافات كل أي كل هؤلاء قد علم صلاته الضمير يعود على الله من قوله صلاته أي صلاة الله عليه بنفس وجوده ورحمته به في ذلك وقوله وتسبيحه الضمير يعود في تسبيحه على كل أي ما يسبح ربه به وهو صلاته له فوصف الحق نفسه بالصلاة وما وصف نفسه بالتسبيح فعم بهذه الآية العالم الاعلى والاسفل وما بينهما ﴿وصل﴾ من غيرة الله أن تكون لمخلوق على مخلوق منة لتكون المنة لله ما خلق مخلوقا الا وجعل لمخلوق عليه يدا بوجه ما فان أراد الفخر مخلوق على مخلوق بما كان منه اليه نكس رأسه ما كان من مخلوق آخر اليه فالعارفون مثل الانبياء والرسل والكمل من العلماء بالله لا يخطر لهم ذلك لمعرفتهم بحقائق الامور وما ربط الله به العالم وما يستحقه جلاله مما ينبغي أن يفرد به ولا يشارك فيه فنصب الاسباب وأوقف الامور بعضها على بعض وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار عند

ماذكر ان الله قد هداهم به قال لو شئتم أن تقولوا القلتم وجدناك طريدا فآويناك وضعيفا فنصرناك الحديث فذكر ما كان منهم في حقه وكان الله قادرا على نصره من غير سبب ولكن فعل ما تقتضيه الحكمة لما جبل عليه من خلقه الله على صورته فقال لرسوله صلى الله عليه وسلم وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم فهذا الخرو بدومنة يتعرض فيها علة ومرض لكن عصم الله نبيه من ذلك فجعل سبحانه في مقابلة هذه العلة دواء كما هي أيضا دواء لما هو لها دواء فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه فان افتخرنا بالصلاة عليه على طريق المنة وجدناه قد صلى علينا حين أمر بذلك وان تصور في الجواز العقلي أن يمتن بصلاته علينا منعته من ذلك صلاتنا عليه أن يذكر هذا مع كونه السيد الاعظم ولكن لم يترك له سبحانه المنة على خلقه ليكون هو سبحانه المنعم المنان على عباده بجميع ماهم فيه ومايكون منهم في حق الله من الوفاء بعهوده فاجعل بالك لما نبهتك عليه فانه من أسرار المعرفة بالله وبمراتب ماسوى الله ان كنت فطنا

﴿وصل﴾ اعلم أن الله قد ربط اقامة الصلاة بأزمان وهي الاوقات المفروض فيها اقامة الصلوات المفروضات فقال تعالى فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وربطها بأماكن وهي المساجد قال تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع أي أمر الله أن ترفع حتى تميز البيوت المنسوبة الى الله من البيوت المنسوبة الى المخلوقين ويذكر فيها اسمه بالاذان والاقامة والتلاوة والذكر والموعظة يسبح يقول يصلي له فيها أي من أجل ان أمرهم الله بالصلاة فيها بالغدو والآصال رجال ولم يذكر النساء لان الرجل يتضمن المرأة فان حواء جزء من آدم فاكتفى بذكر الرجال دون النساء تشريفا للرجال وتنبيها على لحوق النساء بالرجال فسمى النساء هنا رجالا فان درجة الكمال لم تحجر عليهن بل يكملن كما تكمل الرجال وثبت في الخبر كمال مريم وآسية امرأة فرعون فقال لا تلهيهم تجارة أي لا تشغلهم تجارة ولا بيع فالتجارة أن يبيع ويشتري معا والبيع أن يبيع فقط فمدحهم بالتجارة وهو البيع والشراء في أي شئ كان مما أمر الله بالتجارة فيه قال تعالى هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وقال في البيع ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وهو الثمن وجعلها الثمن للحديث الوارد في الخصمين من الظالم والمظلوم اذا أصلح الله بين خلقه يوم القيامة فيأمر الله المظلوم أن يرفع رأسه فينظر الى علين فيرى مايبهره حسنه فيقول يارب لاي نبي هذا لاي شهيد هذا فيقول الله تعالى لمن أعطاني الثمن قال ومن يملك ثمن هذا قال أنت بعفوك عن أخيك هذا فيقول يارب قد عفوت عنه فيقول خذ بيد أخيك فادخل الجنة ولما أورد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث تلا فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين عباده يوم القيامة فالمؤمن ممدوح في القرآن بالتجارة والبيع فيما ملك بيعه وما صرح الله فيه بأنه يشتري خاصة فان التجارة معاوضة وقبض ثمن والبيع بيع مايملكه والشراء شراء ماليس عندك وما وصف بالشراء في القرآن الا من أشهدهم الله عن جناية فقال أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا والسبب في أن المؤمن ما وصفه الله بالشراء فانه خلقه الله وملكه جميع ما خلق الله في أرضه الذي هو مسكنه ومحله فقال خلق لكم ما في الارض جميعا فجميع ما في الارض ملكه فما بقي له مايشتريه وحجر عليه الضلالة وهي صفة عدمية فانها عين الباطل وهو عدم ولم يأمرنا الله باتباعه فانه من العدم خرجنا الى الوجود فلا نطلب ما خرجنا منه هذا تحقيقه لانه خلقنا للعبادة فاذا اشترينا الضلالة بالهدى فقد اخترنا العدم على الوجود والباطل على الحق الذي خلقنا له فلم يصف المؤمن بالشراء ومما ملكه الله ما هو مباح له وما هو واجب عليه أن لا يخرجه ولا يبيعه وهي الواجبات والفرائض فيبيع صنف المباحات بالواجبات فلهذا شرع له البيع فيما أبيح له بيعه فالمؤمن الكيس الفطن ينظر الوقت الذي يكون فيه بحكم الاباحة يقول مالي ربح في هذا الملك والدنيا دار تجارة فلنبع هذا المباح بواجب فهو أولى بي ولا نخسر وقتي فيكون في فرجة مع اخوانه فيقول يارب أحب أن أبيع هذا المباح بواجب فيقول الله له ذلك اليك فيبيع الفرجة بالاعتبار فيما يعطيه ذلك المكان من الحسن والجمال من الدلالة على الله عز وجل فيفكر في حسن خلق الله وكماله وجماله فتكون فرجته أتم وأفرح لقلبه وليس من المباح في شئ فانه قد باعه بهذا الواجب فاعتبر الحق جانب البيع ولم يعتبر في

حق المؤمن جانب الابتياع فكان المؤمن ملك حلة الاباحة وحلة الوجوب فخلع عن نفسه حلة الاباحة ولبس حلة الوجوب وكلاهما له فسمى خلعه لها بيعا وما سمى لباسه للوجوب شراء فانهما ملكه ورحله ومتاعه والانسان لا يشترى ما يملكه ولما حجر الله الضلال على خلقه ورجع من رجع منهم الضلال على الهدى اشتروا الضلالة فانهم لم يكونوا يملكونها الهدى الذى ملكهم الله اياه فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فى ذلك الشراء لان الله ما شرع لعباده الشراء ثم قال تعالى بعد قوله ولا بيع عن ذكر الله أى لا يلهيهم شئ عن ذكر الله حين سمعوا المؤذن فى هذا البيت يدعوا الى الله وهو حاجب الباب فقال لهم حى على الصلاة أى أقبلوا على مناجاة ربكم فانه قد تجلى لكم فى صدر بيته وهى القبلة فان الله فى قبلة العبد فبادر أهل الله من بيعهم وتجارتهم المعلومة فى الدنيا الى هذا الذكر عندما سمعوه فأقاموا الصلاة أى أتموا نشأتها حين أنشؤها بحسن الائتمام بامامهم وحسن الركوع والسجود وما تضمنه من ذكر الله الذى هو أكبر ما فيها كما أخبر الله تعالى فقال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بسبب تكبيرة الاحرام فانه حرم عليه التصرف فى غير الصلاة ما دام فى الصلاة فذلك الاحرام نهاه عن الفحشاء والمنكر فانتهى فصح له أجر من عمل بأمر الله وطاعته وأجر من انتهى عن محارم الله فى نفس الصلاة وان كان لم ينو ذلك وانظر ما أشرف الصلاة كيف أعطت هذه المسئلة العجيبة وهى أن الانسان اذا تصرف فى واجب فان له ثواب من تصرف فى واجب ويتضمن شغله بذلك الواجب عدم التفرغ لما نهى عنه أن يأتيه من الفحشاء والمنكر فيكون له ثواب من نوى أن لا يفعل فحشاء ولا منكرا فان أكثر الناس تاركون ما لهم هذا النظر لعدم الحضور باستحضار الاولى ولو لم يكن الامر كذلك لما أعطى فائدة فى قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والصلاة فعل العبد فهو بصلاته ممن ينهى عن الفحشاء والمنكر فيكون له بالصلاة أجر من ينهى عن الفحشاء والمنكر وهو لم يتكلم فله أجر عبادتين أجر الصلاة وهى عبادة وأجر النهى عن الفحشاء وهو عبادة وقليل من أصحابنا من يجعل ذهنه فى عباداته الى أمثال هذه المراقبات فى التعريف الالهى على لسان الشارع فى الكتاب والسنة ثم قال ولذكر الله أكبر يعنى فيها فهو أكبر من جملة أفعالها فانها تشتمل على أقوال وأفعال فقال ولذكر الله فى الصلاة أكبر أحوال الصلاة وما كل أقوال الصلاة ذكر فان فيها الدعاء وقد فرق الحق بين الذكر والدعاء فقال من شغله ذكرى عن مسئلتى وهى الدعاء فما هو الذكر هنا الذكر الخارج عن الصلاة حتى ترجحه على الصلاة انما هو الذكر الذى فى الصلاة فهذا من ربط الصلاة بالمكان والحال ومن أحوال اقامة الصلاة فيمن أمر غيره بالبر ونسى نفسه توبيخ الله من هذه صفته وجعله اياه بمنزلة من لا عقل له فقال أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون والبر من جملة أحوال الصلاة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أقرت الصلاة بالبر والسكينة ثم أمر من هذه صفته أن يستعين بالصبر والصلاة يعنى بالصبر على الصلاة فقدم حبس النفس عليها فان الله يقول وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها فانه يريد الصلاة وأما قوله وأنتم تتلون الكتاب فانكم تجدون فيه قوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون فى أثر قوله يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وهذه حالة من أمر بالبر غيره ونسى نفسه أفلا تعقلون يقول أما لكم عقول تنظرون بها قبيح ما أنتم عليه ثم ذكر الخشوع للصلاة فقال وانها لكبيرة الا على الخاشعين فان الخشوع لله لا يكون الا عن تجلى الهى والصلاة مناجاة فلا بد من تجل ان رأيته خاشعا وان لم يخشع فى صلاته فما صلى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل التجلى الالهى سببا لوجود الخشوع فى القلب ولا سيما فى الصلاة والتجلى لأكثر الناس اما بالحضور وهو لا فراد واما بالاستحضار الخيالى وهو الغالب فى عموم الخواص فان الله فى قبلة المصلى وأما خشوع الاكابر الذين التحقوا بالملا الأعلى فخشوعهم عن التجلى الحقيقى فهم فى صلاتهم دائمون وان أكلوا وشربوا ونكحوا واتجروا فأمرهم الله تعالى اذا كانوا فى مثل هذه الحال أن يستعينوا بالصلاة والصبر عليها فان المصلى يناجى ربه فاذا حصل العبد فى محل المناجاة مع ربه دائما استلزمه الحياء من الله فلا يمكن له أن يأمر أحدا ببر وينسى نفسه منه بل يبتدئ بنفسه والبر هو الاحسان والخير ومن جملة ذلك أن يكون محتاجا للقمة يأكلها ويرى غيره محتاجا اليها والحاجة على السواء فيعطى غيره

ويغذى نفسه وقد قال له ربه ابدأ بنفسك وشرع له ذلك حتى فى الدعاء اذا دعا الله لاحد أن يبدأ بنفسه أحق وغذاء الارواح الطاعات فهى محتاجة اليها ومن جملة طاعاتها الامر بالطاعات فيقوم هذا الغافل القليل الحياء من الله فيأمر غيره بالبرّ وهو على الفجور ويغذى نفسه فلا يأمرها بذلك فهو بمنزلة من يغذى غيره ويترك نفسه وهو فى غاية الحاجة الى ذلك الغذاء ونفسه أوجب عليه من ذلك الغير والسبب فى ذلك ما أبينه لك ان شاء الله ﴿وصل﴾ وذلك أن جميع الخيرات صدقة على النفوس أى خير كان حسا ومعنى فينبغى للمؤمن أن يتصرّف فى ذلك بشرع ربه لا بهواه فانه عبد مأمور تحت أمر سيده فان تعدّى شرع ربه فى ذلك لم يبق له تصرف الا هوى نفسه فسقط عن تلك الدرجة العلية الى ما هو دونها عند العامّة من المؤمنين وأمّا عند العارفين فهو عاص فاذا اخرج الانسان بصدقته فأول محتاج يلقاه نفسه قبل كل نفس محتاجة وهوانما أخرج الصدقة للمحتاجين فان تعدّى أول محتاج فذلك لهواه لا لله فان الله قال له ابدأ بنفسك وهى أول من يلقاه من أهل الحاجة وقد شرع له فى الاحسان أن يبدأ بالجار الاقرب فالاقرب فان رجح الابعد فى الجيران على الاقرب مع التساوى فى الحاجة فقد اتبع هواه وما وقف عند حدّ ربه وهذا سار فى جميع أفعال البرّ وسبب ذلك الغفلة عن الله تعالى فأمر بالصفة التى تحضره مع الله وهى الصلاة ﴿وصل﴾ ومن تأثير الصلاة بالحال قول الله للمؤمنين اذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون فأمرهم بالذكر والشكر أمرهم أن يستعينوا على ذلك بالصبر والصلاة وأخبرهم انّ الله مع الصابرين عليها وعلى كل مشقة ترضى الله مما كلف عباده بها لان الصبر من المقامات المشروطة بالمشقات والمكاره والشدائد المعنوية والحسية وجعل الصبر هنا لما ذكرناه وللتطابق فى قوله واشكروا لى ولا تكفرون والشكر من المقامات المشروطة بالنعماء والمحبة ليس للبلاء فى الشكر دخول ولا للصبر فى النعم دخول كما يراه من لا معرفة له بحقائق الامور فالصلاة هنا والصبر عليها وهو الدوام والثبات وحبس النفس عليها مؤثرة فى الذكر والشكر فالصبر هنا هو قوله وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها فلذلك ذكر الصبر مع الصلاة فكما يؤثر الصبر على الذكر والشكر فى الذكر والشكر كذلك يؤثر فى الصلاة سواء وتؤثر الصلاة من حيث الصبر عليها فى الذكر والشكر ومن حيث هى صلاة وذلك ان الصلاة مناجاة بين الله وبين عبده فاذا ناجى العبد ربه فأولى ما يناجيه به من الكلام كلامه الذى شرع له أن يناجيه به وهو قراءة القرآن فى أحوال الصلاة من قيام وهو قراءة الفاتحة وما تيسر معها من كلامه ومن ركوع وهو قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم فى ركوعه فهو ذاكر به فى صلاته بكلامه المنزل وكذلك فى سجوده يقول سبحان ربى الاعلى فانه لما نزل قوله سبح اسم ربك الاعلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم فأمرنا الله بذكره وشكره والفاتحة تجمع الذكر والشكر وهى التى يقرأها المصلى فى قيامه فالشكر فيها قوله الحمد لله رب العالمين وهو عين الذكر بالشكر الى كل ذكر فيها وفى سائر الصلاة فذكر الله فى حال الصلاة وشكره أعظم وأفضل من ذكره سبحانه وشكره فى غير الصلاة فان الصلاة خير موضوع العبادات وقد أثرت هذه الصلاة فى الذكر هذا الفضل وهو يعود على الذاكر وينبغى لكل من أراد أن يذكر الله تعالى ويشكره باللسان والعمل أن يكون مصليا وذاكرا بكل ذكر نزل فى القرآن لا فى غيره وينوى بذلك الذكر والدعاء الذى فى القرآن ليخرج عن العهدة فانه من ذكره بكلامه فقد خرج عن العهدة فيما ينسب فى ذلك الذكر الى الله وليكون فى حال ذكره تاليا لكلامه فيقول من التسبيحات ما فى القرآن ومن التحميدات ما فى القرآن ومن الادعية ما فى القرآن فتقع المطابقة بين ذكر العبد بالقرآن لانه كلام الله وبين ذكر الله اياه فى قوله أذكركم فيذكر الله الذاكر له أيضا وذكره كلامه فتكون المناسبة بين الذكرين فاذا ذكره بذكر يخترعه لم تكن تلك المناسبة بين كلام الله فى ذكره للعبد وبين ذكر العبد فان العبد هنا ما ذكره بما جاء فى القرآن ولا نواه وان صادفه باللفظ ولكن هو غير مقصود ثم ان هذا الذكر بالقرآن جاء فى الصلاة فالتحق بالاذكار الواجبة والاذكار الواجبة عند الله أفضل فان العبد مأمور بقراءة الفاتحة فى الصلاة ولهذا أوجبها من أوجبها من العلماء وكذلك العبد مأمور بالتسبيح فى الركوع والسجود بما نزل فى القرآن وهو قوله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم واجعلوها فى سجودكم فأمر والمصلى مأمور

أن يسبح الله ثلاثة فما زاد في ركوعه بما أمر به وفي سجوده ثلاثة فما زاد بما أمر به وذلك أدناه وأمره محمول على الوجوب وهذا رأي بعض العلماء وهو اسحاق بن ابراهيم بن راهويه ان ذلك واجب وانه من لم يسبح ثلاث مرات في ركوعه وسجوده لم تجز صلاته وقال الله تعالى استعينوا على ذكري وشكري بالصبر والصلاة فلولا ما علم الحق ان الصلاة معينة للعبد لما أمره بها فأنزلها منزلة نفسه فان الله قال للعبد قل وإياك نستعين يعني في عبادتك فجعل للعبد ان يستعين بربه وأمره أن يستعين في ذكره وشكره بالصلاة فأنزل الصلاة منزلة نفسه وفي معونة العبد على ذكره وشكره وناهيك بأولى الله من حالة وصفة وحركات وفعل أنزله الحق في أعظم الاشياء وهو ذكر الله منزلة نفسه فكأنه من دخل في الصلاة فقد التبس بالحق والحق هو النور ولهذا قال الصلاة نور فأنزلها منزلة نفسه قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرّة عيني في الصلاة وقرّة عيني ما تسرّ به عند الرؤية والمشاهدة فالمصلي متلبس في صلاته بالحق مشاهد له مناج فجمعت الصلاة بين هذه الثلاثة الاحوال وكذلك قوله في هذه الآية واشكروا لي يقال شكرته وشكرت له فشكرته نص في أنه المشكور عينه وقوله وشكرت له فيه وجهان الوجه الواحد أن يكون مثل شكرته والوجه الثاني أن يكون الشكر من أجله فاذا كان الشكر من أجله يقول له سبحانه اشكر من أولاك نعمة من عبادي من أجلي ليكون شكره للسبب عين شكره لله فانه شكره عن أمره وجعل المنعم هنا نائبا عن ربه وطاعة النائب طاعة من استخلفه من يطع الرسول فقد أطاع الله فلهذا قال سبحانه واشكروا لي ولم يقل واشكروني ليعم الحالتين وقال في الوجهين استعينوا في ذلك بالصبر والصلاة كما أمر بالمعونة فيما يوجب الشكر وهو الاحسان بالانعام فقال وتعاونوا على البرّ وهو الاحسان بالانعام والتقوى أي اجعلوا ذلك وقاية وهي مناسبة للصلاة فان الصلاة وقاية عن الفحشاء والمنكر ما دام العبد متلبسا بها فان الله سمى نفسه بالواقي والصلاة واقية والعبد متلبس بصلاته وهي وقاية مما ذكرناه والله هو الواقي فانظر ما أشرف حال الصلاة لمن نظر واستبصر فالسعيد من ثابر عليها وحافظ وداوم ومن شرفها ان الله ما علق الوعيد الا بمن سها عنها لا فيها فقال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل في صلاتهم فان العبد في صلاته بين مناج ومشاهد فقد يسهو عن مناجاته لاستغراقه في مشاهدته وقد يسهو عن مشاهدته لاستغراقه في مناجاته بما يناجيه به من كلامه ولما كان كلامه سبحانه مخبرا عما يجب له من صفات التنزيه والثناء ومخبرا عما يتعلق بالاكوان من أحكام وقصص وحكايات ووعد ووعيد جال الخاطر في الاكوان لدلالة الكلام عليها وهو مأمور بالتدبر في التلاوة فربما استرسل في ذلك الكون لمشاهدته اياه فيه فيخرج من كون ذلك الكون مذكورا في القرآن الى عينه خاصة لا من كونه مذكورا لله على الحد الذي أخبر به عنه فيسمى مثل هذا اذا أثر شكا له في صلاته فلا يدري ما مضى من صلاته فشرع ان يسجد سجدتي سهو يرغم بهما الشيطان ويجبر بهما النقصان ويشفع بهما الرجحان فتتضاعف صلاته فيتضاعف الأجر وذلك في النفل والفرض سواء وما توعد الله بمكروه من سها في صلاته فمن تنبه لما ذكرناه وأومأنا اليه يعلم فضل الله ورحمته بعباده والناس عن مثل هذا غافلون فلا يعرف شرف العبادات الا عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان ولا برهان جعلنا الله وإياكم ممن صبر وصلى وسبق وما صلى بمنه ويمنه

﴿وصل في اختلاف الصلاة﴾

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة يختلف حكمها باختلاف أحوال المصلي اذا كان المصلي مخلوقا والمصلى له ويختلف باختلاف المصلى عليه اذا كان المصلي هو الله تعالى فاما الاول فمعلوم ان الانسان محل التغيير واختلاف الأحوال عليه فتختلف صلاته لاختلاف أحواله وقد تقدم من اختلاف أحوال المصلين ما قد ذكرناه في هذا الباب مثل صلاة المريض وصلاة الخائف وأن اختلافها باختلاف حال المصلي من أجله مثل صلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء واما اختلافها باختلاف المصلى عليه فمثل صلاة الحق على عباده قال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه فسأل المؤمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كيفية الصلاة التي أمرهم الله ان يصلوها عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم أي مثل

صلاتك على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فهذا يدلك على اختلاف الصلاة الالهية لاختلاف أحوال المصلى عليهم ومقاماتهم عند الله ويظهر من هذا الحديث فضل ابراهيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طلب ان يصلى عليه مثل الصلاة على ابراهيم فاعلم ان الله أمرنا بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأمرنا بالصلاة على آله فى القرآن وجاء الاعلام فى تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم ايانا الصلاة عليه بزيادة الصلاة على الآل فما طلب صلى الله عليه وسلم الصلاة من الله عليه مثل صلاته على ابراهيم من حيث أعيانهما فان العناية الالهية برسول الله صلى الله عليه وسلم أتم اذ قد خص بأمور لم يخص بها نبي قبله لا ابراهيم ولا غيره وذلك من صلاته تعالى عليه فكيف يطلب الصلاة من الله عليه مثل صلاته على ابراهيم من حيث عينه وانما المراد من ذلك ما أبينه ان شاء الله وذلك ان الصلاة على الشخص قد تصلى عليه من حيث عينه ومن حيث ما يضاف اليه غيره فكان الصلاة من حيث ما يضاف اليه غيره هي الصلاة من حيث المجموع اذ للمجموع حكم ليس للواحد اذا انفرد واعلم ان آل الرجل فى لغة العرب هم خاصته الأقربون اليه وخاصة الانبياء وآلهم هم الصالحون العلماء بالله المؤمنون وقد علمنا ان ابراهيم كان من آله أنبياء ورسل لله ومرتبة النبوة والرسالة فقد ارتفعت فى الشاهد فى الدنيا فلا يكون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته نبي يشرع الله له خلاف شرع محمد صلى الله عليه وسلم ولا رسول وما منع المرتبة ولا حجرها من حيث لا تشريع ولاسيما وقد قال صلى الله عليه وسلم فيمن حفظ القرآن ان النبوة أدرجت بين جنبيه أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقال فى المبشرات انها جزء من أجزاء النبوة فوصف بعض أمته بأنهم قد حصل لهم المقام وان لم يكونوا على شرع يخالف شرعه وقد علمنا بما قال لنا صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام ينزل فينا حكما مقسطا عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا نشك قطعا انه رسول الله ونبيه وهو ينزل فله عليه السلام مرتبة النبوة بلاشك عند الله وماله مرتبة التشريع عند نزوله فعلمنا بقوله صلى الله عليه وسلم انه لا نبي بعدى ولا رسول وان النبوة قد انقطعت والرسالة انما يريد بهما التشريع فلما كانت النبوة أشرف مرتبة وأكملها ينتهى اليها من اصطفاه الله من عباده علمنا ان التشريع فى النبوة أمر عارض بكون عيسى عليه السلام ينزل فينا حكما من غير تشريع وهو نبي بلاشك فخفيت مرتبة النبوة فى الخلق بانقطاع التشريع ومعلوم ان آل ابراهيم من النبيين والرسل الذين كانوا بعده مثل اسحق ويعقوب ويوسف ومن انتسل منهم من الانبياء والرسل بالشرائع الظاهرة الدالة على ان لهم مرتبة النبوة عند الله أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلحق أمته وهم آله العلماء الصالحون منهم بمرتبة النبوة عند الله وان لم يشرعوا ولكن أبقى لهم من شرعه ضربا من التشريع فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد أى صل عليه من حيث ماله آل كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم أى من حيث انك أعطيت آل ابراهيم النبوة تشريفا لابراهيم فظهرت نبوتهم بالتشريع وقد قضيت ان لا شرع بعدى فصل على وعلى آلى بأن تجعل لهم مرتبة النبوة عندك وان لم يشرعوا فكان من كمال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ألحق آله بالانبياء فى المرتبة وزاد على ابراهيم بأن شرعه لا ينسخ وبعض شرع ابراهيم ومن بعده نسخت الشرائع بعضها بعضا وما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه على هذه الصورة الا بوحى من الله وبما أراه الله وأن الدعوة فى ذلك مجابة فقطعنا أن فى هذه الامة من لحقت درجته درجة الانبياء فى النبوة عند الله لا فى التشريع ولهذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكد بقوله فلا رسول بعدى ولا نبي فأكد بالرسالة من أجل التشريع فأكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن جعل آله شهداء على أمم الانبياء كما جعل الانبياء شهداء على أممهم ثم انه خص هذه الامة أعنى علماءها بأن شرع لهم الاجتهاد فى الاحكام وقرر حكم ما أداه اليه اجتهادهم وتعبدهم به وتعبد من قلدهم به كما كان حكم الشرائع للانبياء ومقلديهم ولم يكن مثل هذا لامة نبي ما لم يكن نبي يوحى منزل فجعل الله وحى علماء هذه الامة فى اجتهادهم كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم لتحكم بين الناس بما أراك الله فالمجتهد ما حكم الا بما أراه الله فى اجتهاده فهذه نفحات من نفحات التشريع ما هو عين التشريع فلآل محمد صلى الله عليه وسلم وهم المؤمنون من أمته العلماء مرتبة النبوة عند الله تظهر فى الآخرة وما لهم حكم فى الدنيا الا هذا القدر من الاجتهاد المشروع لهم فلم يجتهدوا فى الدين

والاحكام الا بأمر مشروع من عند الله فان اتفق أن يكون أحد من أهل البيت بهذه المثابة من العلم والاجتهاد ولهم هذه المرتبة كالحسن والحسين وجعفر وغيرهم من أهل البيت فقد جمعوا بين الأهل والآل فلا تتخيل أن آل محمد صلى الله عليه وسلم هم أهل بيته خاصة ليس هذا عند العرب وقد قال تعالى أدخلوا آل فرعون يريد خاصته فان الآل لا يضاف بهذه الصفة الا للكبير القدر في الدنيا والآخرة فلهذا قيل لنا قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم أي من حيث ما ذكرناه لا من حيث أعيانهما خاصة دون المجموع فهي صلاة من حيث المجموع وذكرناه لانه تقدم بالزمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ثبت أنه سيد الناس يوم القيامة ومن كان بهذه المثابة عند الله كيف تحمل الصلاة عليه كالصلاة على ابراهيم من حيث أعيانهما فلم يبق الا ما ذكرناه وهذه المسئلة هي عن واقعة الهية من وقائعنا فالله الحمد والمنة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال علماء هذه الامة كأنبياء سائر الامم وفي رواية أنبياء بني اسرائيل وان كان اسناد هذا الحديث ليس بالقائم ولكن أوردناه تأنيسا للسامعين أن علماء هذه الامة قد التحقت بالانبياء في الرتبة ۞ وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم في قوم يوم القيامة تنصب لهم منابر يوم القيامة ليسوا بأنبياء ولا شهداء تغبطهم الانبياء والشهداء يعني بالشهداء هنا الرسل فانهم شهداء على أممهم فلا تريد بهؤلاء الجماعة من ذكرناهم وغبطهم اياهم فيما هم فيه من الراحة وعدم الحزن والخوف في ذلك الموطن والانبياء والرسل وعلماء هذه الامة الصالحون الوارثون درجات الانبياء خائفون وجلون على أممهم وأولئك لم يكن لهم أمم ولا اتباع وهم آمنون على أنفسهم مثل الانبياء على أنفسهم آمنون وما لهم أمم ولا اتباع يخافون عليهم فارتفع الخوف عنهم في ذلك اليوم في حق نفوسهم وفي حق غيرهم كما قال تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر يعني على نفوسهم وغيرهم من الانبياء والعلماء ولكن الانبياء والعلماء يخافون على أممهم واتباعهم ففي مثل هذا تغبطهم في ذلك الموقف فاذا دخلوا الجنة وأخذوا منازلهم تبينت المراتب وتعينت المنازل وظهر عليون لاولي الالباب فهذه مسئلة عظيمة الخطر جليلة القدر لم نر أحدا ممن تقدمنا تعرض لها ولا قال فيها مثل ما وقع لنا في هذه الواقعة الآن كان وما وصل الينا فان لله في عباده اخفياء لا يعرفهم سواه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل فقد تبين لك أن صلاة الحق على عباده باختلاف أحوالهم فالله يجعلنا من أجلهم عنده قدرا ولا يحول بيننا وبين عبوديتنا وتلخيص ما ذكرناه هو أن يقول المصلي اللهم صل على محمد بأن تجعل آله من أمته كما صليت على ابراهيم بأن جعلت آله أنبياء ورسلا في المرتبة عندك وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم بما أعطيتهم من التشريع والوحي فأعطاهم الحديث فنهم محدثون وشرع لهم الاجتهاد وقرره حكما شرعيا فأشبهت الانبياء في ذلك فحقق ما أومأنا اليه في هذه المسئلة تر الحق حقا انتهى الجزء الحسون ﴿ باب الزكاة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿الباب السبعون في أسرار الزكاة﴾

أخت الصلاة هي الزكاة فلا تقس ۞ النص في هذى وتلك على السوا
قامت على الثمين نشأتها لنا ۞ حلت على التقسيم عرش الاستوا
ولذاك تقسم في ثمانية من الـ ۞ أصناف شرعا وهو حكم من استوى
جاء الكتاب بذكرهم وصفاتهم ۞ وعلى مقامهم العلي قد احتوى
فزكت بها أموالهم وذواتهم ۞ وتقدست بصلاة من أخذ اللوا
ذاك النبي محمد خير الورى ۞ في جنسه وله العلو على السوى
نال المحبة من عنايته فما ۞ يشكو القطيعة والصبابة والجوى

قال الله تعالى آمرا عباده وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا والقرض هنا صدقة التطوع فورد

الامر بالقرض كما ورد باعطاء الزكاة والفرق بينهما أن الزكاة موقتة بالزمان والنصاب وبالاصناف الذين تدفع اليهم والقرض ليس كذلك وقد تدخل الزكاة هنا فى القرض فكأنه يقول وآتوا الزكاة قرضا لله بها فيضاعفها لكم مثل قوله تعالى فى الخبر الصحيح جعت فلم تطعمنى فقال له العبد وكيف نطعم وأنت رب العالمين فقال الله ان فلانا استطعمك فلم تطعمه أما انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى والخبر مشهور صحيح فالقرض الذى لا يدخل فى الزكاة غير موقت لا فى نفسه ولا فى الزمان ولا بصنف من الاصناف والزكاة المشروعة والصدقة لفظتان بمعنى واحد قال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقال تعالى انما الصدقات للفقراء فسماها صدقة فالواجب منها يسمى زكاة وصدقة وغير الواجب فيها يسمى صدقة التطوع ولا يسمى زكاة شرعا أى لم يطلق الشرع عليه هذه اللفظة مع وجود المعنى فيها من النمو والبركة والتطهير فى الخبر الصحيح أن الاعرابى لما ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم أن رسوله زعم أن علينا صدقة فى أموالنا وقال له صلى الله عليه وسلم صدق فقال له الاعرابى هل علىّ غيرها قال لا الا أن تطوع فلهذا سميت صدقة التطوع يقول ان الله لم يوجبها عليكم فمن تطوع خيرا فهو خير له ولهذا قال تعالى بعد قوله وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله وان كان الخير كل فعل مقرب الى الله من صدقة وغيرها ولكن مع هذا فقد انطلق على المال خصوصا اسم الخير قال تعالى واذا مسه الخير منوعا أى جبل على ذلك يؤيده ومن يوق شح نفسه فالنفس مجبولة على حب المال وجمعه قال تعالى وانه لحب الخير لشديد يعنى المال هنا فجعل الكرم فيه تخلقا لا خلقا ولهذا سماها صدقة أى كلفة شديدة على النفس لخروجها عن طبعها فى ذلك ولهذا آنسها الحق تعالى بقول نبيه للانفس ان الصدقة تقع بيد الرحمن فيربيها كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله وذلك لامرين أحدهما ليكون السائل يأخذها من يد الرحمن لا من يد المتصدق فان النبى صلى الله عليه وسلم يقول انها تقع بيد الرحمن قبل أن تقع بيد السائل فتكون المنة لله على السائل لا للمتصدق فان الله طلب منه القرض والسائل ترجمان الحق فى طلب هذا القرض فلا يخجل السائل اذا كان مؤمنا من المتصدق ولا يرى أن له فضلا عليه فان المتصدق انما أعطى لله القرض الذى سأل منه وليربيها له فهذا من الغيرة الالهية والفضل الالهى والامر الآخر ليعلمه انها موضوعة فى موضع تربو له فيه وتزيد هذا كله ليسخو باخراجها ويتقى شح نفسه وفى جبلة الانسان طلب الارباح فى التجارة ونمو المال فلهذا جاء الخبر بأن الله يربى الصدقات ليكون العبد فى اخراج المال من الحرص عليه الطبيعى لاجل المعاوضة والزيادة والبركة بكونه زكاة كما هو فى جمع المال وشح النفس من الحرص عليه الطبيعى فرفق الله به حيث لم يخرجه عما جبله الله عليه فيرى التاجر يسافر الى الاماكن القاصية الخطرة المتلفة للنفوس والاموال ويبذل الاموال ويعطيها رجاء فى الارباح والزيادة ونمو المال وهو مسرور النفس بذلك فطلب الله منه المقارضة بالكل اذ قد علم منه أنه يقارض بالثلثين وبالنصف ويكون فرحه بمن يقارضه بالكل أتم وأعظم فالبخيل بالصدقة بعد هذا التعريف الالهى وما تعطيه جبلة النفوس من تضاعف الاموال دليل على قلة الايمان عند هذا البخيل بما ذكرناه اذ لو كان مؤمنا على يقين من ربه مصدقا له فيما أخبر به عن نفسه فى قرض عبده وتجارته لسارع بالطبع الى ذلك كما يسارع به فى الدنيا مع اشكاله عاجلا وآجلا فان العبد اذا قارض انسانا بالنصف أو بالثلث وسافر المقارض الى بلد آخر وغاب سنين وهو فى باب الاحتمال أن يسلم المال أو يهلك أو لا يربح شيأ واذا اهلك المال لم يستحق فى ذمة المقارض شيأ ومع هذه المحتملات يسمح الانسان ويعطى ماله وينتظر ما لا يقطع بحصوله وهو طيب النفس مع وجود الاجل والتأخير والاحتمال فاذا قيل له أقرض الله وتأخذ فى الآخرة أضعافا مضاعفة بلا ثلث ولا نصف بل الربح ورأس المال كله لك وما تصبر الا قليلا وأنت قاطع بحصول ذلك كله تأبى النفس وما تعطى الا قليلا فهل ذلك الا من عدم حكم الايمان على الانسان فى نفسه حيث لا يسخو بما تعطيه جبلته من السخاء به ويقارض زيدا وعمرا كما ذكرناه طيب النفس والموت أقرب اليه من شراك نعله كما كان يقول بلال

كل امرئ مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله

ولهذا سماها الله صدقة أي هي أمر شديد على النفس تقول العرب رمح صدق أي صلب شديد قوى أي تجد النفس لاخراج هذا المال لله شدة وحرجا كما قال ثعلبة بن حاطب ﴿وصل مؤيد﴾ قال تعالى في حق ثعلبة بن حاطب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين وما أخبر الله تعالى عنه أنه قال ان شاء الله فلو قال ان شاء الله لفعل ثم قال تعالى في حقه فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون وذلك أن الله لما فرض الزكاة جاء مصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه زكاة غنمه فقال هذه أخية الجزية وامتنع فأخبر الله فيه بما قال فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فلما بلغه ما أنزل الله فيه جاء بزكاته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منه ولم يقبل صدقته الى أن مات صلى الله عليه وسلم وسبب امتناعه صلى الله عليه وسلم من قبول صدقته أن الله أخبر عنه أنه يلقاه منافقا والصدقة اذا أخذها النبي منه صلى الله عليه وسلم طهره بها وزكاه وصلى عليه كما أمره الله وأخبر الله ان صلاته سكن للمتصدق يسكن اليها وهذه صفات كلها تناقض النفاق وما يجده المنافق عند الله فلم تمكن لهذه الشروط أن يأخذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة لما جاء بها بعد قوله ما قال وامتنع أيضا بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أخذها منه أبو بكر وعمر لما جاء بها اليهما في زمان خلافتهما فلما ولى عثمان بن عفان الخلافة جاء بها فأخذها منه متأولا انها حق الاصناف الذين أوجب الله لهم هذا القدر في عين هذا المال وهذا الفعل من عثمان من جملة ما انتقد عليه وينبغي أن لا ينتقد على المجتهد حكم ما أداه اليه اجتهاده فان الشرع قد قرر حكم المجتهد ورسول الله صلى الله عليه وسلم ما نهى أحدا من أمراته أن يأخذ من هذا الشخص صدقته وقد ورد الامر الالهي بايتاء الزكاة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا قد يفارق حكم غيره فانه قد يختص رسول الله صلى الله عليه وسلم بامور لا تكون لغيره لخصوص وصف اما تقتضيه النبوة مطلقا أو نبوته صلى الله عليه وسلم فان الله يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم في أخذ الصدقة تطهرهم وتزكيهم بها وما قال يتطهرون ولا يتزكون بها فقد يكون هذا من خصوص وصفه وهو رؤف رحيم بامته فلولا ما علم أن أخذه يطهره ويزكيه بها وقد أخبره الله أن ثعلبة بن حاطب يلقاه منافقا فامتنع أدبا مع الله فمن شاء وقف لوقوفه صلى الله عليه وسلم كأبي بكر وعمر ومن شاء لم يقف كعثمان لامر الله بها العام وما يلزم غير النبي صلى الله عليه وسلم أن يطهر ويزكي مؤدي الزكاة بها والخليفة فيها انما هو وكيل من عينت له هذه الزكاة أعني الاصناف الذين يستحقونها اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نهى أحدا ولا أمره فيما توقف فيه واجتنبه فساغ الاجتهاد وراعى كل مجتهد الدليل الذي أداه اليه اجتهاده فمن خطأ مجتهدا فما وفاه حقه وان المخطئ والمصيب منهم واحد لا بعينه ﴿وصل﴾ اعلم أن الله تعالى لما قال الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم كان ذلك قبل فرض الزكاة التي فرض الله على عباده في أموالهم فلما فرض الله الزكاة على عباده المؤمنين طهر الله بها أموالهم وزال بأدائها اسم البخل من مؤديها فانه قال فيمن أنزلت الزكاة من أجله فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فوصفهم بعدم قبول حكم الله فاطلق عليهم صفة البخل لمنعهم ما أوجب الله عليهم في أموالهم ثم فسر العذاب الاليم بما هو الحال عليه فقال تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وذلك ان السائل اذا رآه صاحب المال مقبلا اليه انقبضت أسارير جبينه لعلمه أنه يسأله من ماله فتكوى جبهته فان السائل يعرف ذلك في وجهه ثم ان المسؤل يتغافل عن السائل ويعطيه جانبه كأنه ما عنده خبر منه فيكوى بها جنبه فاذا علم من السائل أنه يقصده ولا بد أعطاه ظهره وانصرف فأخبر الله أنه تكوى بها ظهورهم فهذا حكم مانعي الزكاة أعني زكاة الذهب والفضة وأما زكاة الغنم والبقر والابل فأمر آخر كما ورد في النص انه يبطح لها بقاع قرقر فتنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها وتعضه بأفواهها فلهذا خص الجباه والجنوب والظهور بالذكر في الكي والله أعلم بما أراد فأنزل الله الزكاة كما قلنا طهارة للاموال وانما اشتدت على الغافلين الجهلاء لكونهم اعتقدوا أن الذي عين لهؤلاء الاصناف ملك لهم وان ذلك من أموالهم وما علموا ان ذلك المعين

ماهولهم وانه فى أموالهم لامن أموالهم فلا يتميز لهم الا بالاخراج فاذا ميزوه حين ذلك يعرفون أنه لم يكن من مالهم وانما كان فى مالهم مدرجا هذا هو التحقيق وكانوا يعتقدون ان كل ما بأيديهم هو مالهم وملك لهم فلما أخبر الله أن لقوم فى أموالهم حقا يؤدونه وماله سبب ظاهر تركن النفس اليه لامن دين ولا من بيع الا ماذكر الله تعالى من ادخار ذلك له ثوابا الى الآخرة شق ذلك على النفوس للشاركة فى الاموال ولما علم الله هذا منهم فى جبلة نفوسهم أخرج ذلك القدر من الاموال من أيديهم بل أخرج جميع الاموال من أيديهم فقال تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه أى هذا المال ما لكم منه الا ما تنفقون منه وهو التصرف فيه كصورة الوكلاء والمال لله وما تبخلون به فانكم تبخلون بما لا تملكون لكونكم فيه خلفاء وعلى ما بأيديكم منه أمناء فنبههم بأنهم مستخلفون فيه وذلك لتسهل عليهم الصدقات رحمة بهم يقول الله كما أمرنا كم أن تنفقوا مما أنتم مستخلفون فيه من الاموال أمرنا رسولنا ونوابنا فيكم أن يأخذوا من هذه الاموال التى لنا بأيديكم مقدارا معلوما سميناه زكاة يعود خيرها عليكم فما تصرف نوابنا فيما هو لكم ملك وانما تصرفوا فيما أنتم فيه مستخلفون كما أيضا أبحنا لكم التصرف فيه فلماذا يصعب عليكم فالمؤمن لا مال له ولله المال كله عاجلا وآجلا فقد أعلمتك أن الزكاة من حيث ما هى صدقة شديدة على النفس فاذا أخرج الانسان الصدقة تضاعف له الاجر فان له أجر المشقة وأجر الاخراج وان أخرجها عن غير مشقة فهذا فوق تضاعف الاجر بما لا يقاس ولا يحد كما ورد فى الماهر بالقرآن انه ملحق بالملائكة السفرة الكرام والذى يتتعتع عليه القرآن يضاعف له الاجر للمشقة التى ينالها فى تحصيله ودرسه فله أجر المشقة وأجر التلاوة والزكاة بمعنى التطهير والتقديس فلما أزال الله عن معطيها من اطلاق اسم البخل والشح عليه فلا حكم للبخل والشح فيه وبما فى الزكاة من النمو والبركة سميت زكاة لان الله يربيها كما قال ويربى الصدقات فزكوا فاختصت بهذا الاسم لوجود معناه فيها ففى الزكاة البركة فى المال وطهارة النفس والصلابة فى دين الله ومن أوتى هذه الصفات فقد أوتى خيرا كثيرا وأما قوله فيها ان تقرضه قرضا حسنا فالحسن فى العمل أن تشهد الله فيه فانه من الاحسان وبهذا فسر الاحسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله عنه جبريل عليه السلام وذلك ان تعلم أن المال مال الله وان ما ملكك اياه بتمليك الله وبعد التمليك نزل اليك فى ألطافه الى باب المقارضة يقول لك لا يغيب عنك طلبى منك القرض فى هذا المال من أن تعرف أن هذا المال هو عين مالى ما هو لك فكما لا يعز عليك ولا يصعب اذا رأيت أحدا يتصرف فى ماله كيف شاء كذلك لا يعز عليك ولا يصعب ما أطلبه منك مما جعلتك مستخلفا فيه لعلمك بأنى ما طلبت منك الا ما أمنتك عليه لاعطيه من أشاء من عبادى فان هذا القدر من الزكاة ما أعطيته قط لك بل أمنتك عليه والامين لا يصعب عليه أداء الامانة الى أهلها فاذا جاءك المصدق الذى هو رسول رب الامانة ووكيلها أديته أمانته عن طيب نفس فهذا هو القرض الحسن فان الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فانك اذا رأيته علمت أن المال ماله والعبد عبده والتصرف له ولا مكره له وتعلم ان هذه الاشياء اذا عملتها لا يعود على الله منها نفع واذا أنت لم تعملها لا يتضرر بذلك وان الكل يعود عليك فالزم الاحسان اليك تكن محسنا الى نفسك واذا كنت متقيا أذى شح نفسك جمع لك هذا الفعل الاحسان والتقوى فيكون الله معك فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ومن المتقين من يوق شح نفسه بأداء زكاته ومن المحسنين من يعبدنى كأنه يرانى ويشهدنى ومن شهوده اياى علمه انى ما كلفته التصرف الا فيما هو لى وتعود منفعته عليه منة وفضلا مع الثناء الحسن له على ذلك والله ذو الفضل العظيم ﴿وصل ايضاح﴾ واعلم أن الله فرض الزكاة فى الاموال أى اقتطعها منها وقال لرب المال هذا القدر الذى عينته بالفرض من المال ما هو لك بل أنت أمين عليه فالزكاة لا يملكها رب المال ثم ان الله تعالى أنزل نفوسنا منا منزلة الاموال منا فى الحكم فجعل فيها الزكاة كما جعلها فى الاموال فكما أمرنا بزكاة الاموال قال لنا فى النفوس قد أفلح من زكاها كما أفلح من زكى ماله كما ألحقها بالاموال فى البيع والشراء فقال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم فجعل الشراء والبيع فى النفوس والاموال وفى هذه الآية مسئلة فقهية كذلك جعل الزكاة فى الاموال والنفوس فزكاة الاموال معلومة كما سنذكرها فى هذا الباب على التفصيل ان شاء

الله وزكاة النفوس بوجه أبينه لك ان شاء الله أيضا على الاصل الذى ذكرناه ان الزكاة حق الله فى المال والنفس ماهو حق لرب المال والنفس فنظرنا فى النفس ماهو لها فلا تكليف عليها فيه بزكاة وماهو حق الله فتلك الزكاة فيعطيه لله من هذه النفس لتكون من المفلحين بقوله قد أفلح من زكاها ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون فاذا نظرنا الى عين النفس من حيث عينها قلنا ممكنة لذاتها الا زكاة عليها فى ذلك فان الله لا حق له فى الامكان تعالى الله علوا كبيرا فانه تعالى واجب الوجود لذاته غير ممكن بوجه من الوجوه ووجدنا هذه النفس قد اتصفت بالوجود قلنا هذا الوجود الذى اتصفت به النفس هل اتصفت به لذاتها أم لا فرأينا ان وجودها ماهو عين ذاتها ولا اتصفت به لذاتها فنظرنا لمن هو فوجدناه لله كما وجدنا القدر المعين فى مال زيد المسمى زكاة ليس هو بمال لزيد وانما هو أمانة عنده كذلك الوجود الذى اتصفت به النفس ماهو لها انما هو لله الذى أوجدها فالوجود لله لا لها والوجود الله لا وجودها فقلنا لهذه النفس هذا الوجود الذى أنت متصفة به ماهو لك وانما هو لله خلعه عليك فأخرجه لله واضفه الى صاحبه وابق أنت على امكانك لا تبرح فيه فانه لا ينقصك شئ مما هو لك وأنت اذا فعلت هذا كان لك من الثواب عند الله ثواب العلماء بالله وتلك منزلة لا يقدر قدرها الا الله وهو الفلاح الذى هو البقاء فيبقى الله هذا الوجود لك لا يأخذه منك أبدا فهذا معنى قوله قد أفلح من زكاها أى قد أبقاها وجودة من زكاها وجود فوز من الشرك أى من علم ان وجوده لله أبقى الله عليه هذه الخلعة يتزين بها منعما دائما وهو بقاء خاص ببقاء الله فان الخائب الذى دساها هو أيضا باق ولكن بابقاء الله لا ببقاء الله فان المشرك الذى هو من أهل النار ما يرى تخليص وجوده لله تعالى من أجل الشريك وكذلك المعطل وانما قلنا ذلك لئلا يتخيل من لا علم له ان المشرك والمعطل قد أبقى الله الوجود عليهما فبينا أن ابقاء الوجود على المفلحين ليس على وجه ابقائه على أهل النار ولهذا وصف الله أهل النار بأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون بخلاف صفة أهل السعادة فانهم فى الحياة الدائمة وكم بين من هو باق ببقاء الله وموجود بوجود الله وبين من هو باق بابقاء الله وموجود بالايجاد لا بالوجود وبهذا فاز العارفون لانهم عرفوا من هو المستحق لنعت الوجود وهو الذى استفاده من الحق فهذا معنى قوله قد أفلح من زكاها فوجبت الزكاة فى النفوس كما وجبت فى الأموال ووقع فيها البيع والشراء كما وقع فى الاموال وسيرد طرف من هذا الفصل عند ذكرنا فى هذا الباب فى الرقيق وما حكمه واذا لم تلحق النفس بالرقيق فتسقط فيه الزكاة وان كان الرقيق يلحق بالاموال من جهة ما كما سنذكره ان شاء الله فى داخل هذا الباب كما سأذكر أيضا فيما تجب فيه الزكاة من الانسان بعد ما تجب فيه من أصناف المال فى فصله ان شاء الله من هذا الباب ﴿وصل﴾ وأما قوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى أى ان الله لا يقبل زكاة نفس من أضاف نفسه اليه فانه قال فلا تزكوا أنفسكم فأضافها اليكم أى اذا رأيتم ان أنفسكم لكم لا لى والزكاة انما هى حق وأنتم أمناء عليها فاذا ادعيتم فيها فتزعمون انكم أعطيتمونى ماهو لكم وانى سألتكم ماليس لى والامر على خلاف ذلك فمن كان بهذه المثابة من العطاء فلا يزكى نفسه فانى ماطلبت الا ماهو لى لا لكم حتى تلقونى فينكشف الغطاء فى الدار الآخرة فتعلمون فى ذلك الوقت هل كانت نفوسكم التى أوجبت الزكاة فيها لى أو لكم حيث لا ينفعكم علمكم بذلك ولهذا قال فلا تزكوا أنفسكم فأضاف النفوس اليكم وهى له ألا ترى عيسى عليه السلام كيف أضاف نفسه اليه من وجه ماهى له وأضافها الى الله من وجه ماهى لله فقال تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك فأضافها الى الله أى نفسى هى نفسك وملكك فانك اشتريتها وماهى فى ملكى فأنت أعلم بما جعلت فيها وأضاف نفسه اليه فانها من حيث عينها هى له ومن حيث وجودها هى لله لا له فقال تعلم مافى نفسى من حيث عينها ولا أعلم مافى نفسك من حيث وجودها وهو من حيث ماهى لك والنفس وان كانت واحدة اختلفت الاضافات لاختلاف النسب فلا يعارض قوله فلا تزكوا أنفسكم ماذكرناه من قوله قد أفلح من زكاها فان أنفسكم هنا يعنى أمثالكم قال النبى صلى الله عليه وسلم لا أزكى على الله أحدا وسيرد الكلام ان شاء الله فى هذا الباب فى وجوب الزكاة وعلى من تجب وفيما تجب فيه وفى كم تجب ومن كم تجب ومتى تجب ومتى لا تجب ولمن تجب وكم يجب له ومن تجب له باعتبارات ذلك كله فى الباطن بعد أن نقررها فى الظاهر بلسان الحكم المشروع كما فعلنا فى الصلاة لنجمع بين الظاهر والباطن لكمال النشأة فانه ما يظهر فى العالم صورة من أحد من

خلق الله بأى سبب ظهرت من اشكال وغيرها الا ولتلك العين الحادثة فى الحس روح تصحب تلك الصورة والشكل الذى ظهر فان الله هو الموجد على الحقيقة لتلك الصورة بنيابة كون من أكوانه من ملك أو جن أو انس أو حيوان أو نبات أو جماد وهذه هى الاسباب كلها لوجود تلك الصورة فى الحس فلما علمنا أن الله قد ربط بكل صورة حسية روحا معنويا بتوجه الهى عن حكم اسم ربانى لهذا اعتبرنا خطاب الشارع فى الباطن على حكم ماهو فى الظاهر قدما بقدم لان الظاهر منه هو صورته الحسية والروح الالهى المعنوى فى تلك الصورة هو الذى نسميه الاعتبار فى الباطن من عبرت الوادى اذا جزته وهو قوله تعالى ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار وقال فاعتبروا ياأولى الابصار أى جوزوا واعبروا بما رأيتموه من الصور بأبصاركم الى ماتعطيه تلك الصور من المعانى والارواح فى بواطنكم فتدركونها ببصائركم وأمر وحث على الاعتبار وهذا باب أغفله العلماء ولاسيما أهل الجمود على الظاهر فليس عندهم من الاعتبار الا التعجب فلا فرق بين عقولهم وعقول الصبيان الصغار فهؤلاء ماعبروا قط من تلك الصورة الظاهرة كما أمرهم الله والله يرزقنا الاصابة فى النطق والاخبار عما أشهدناه وعلمناه من الحق علم كشف وشهود وذوق فان العبارة عن ذلك فتح من الله تأتى بحكم المطابقة وكم من شخص لايقدر أن يعبر عما فى نفسه وكم من شخص تفسد عبارته صحة مافى نفسه والله الموفق لارب غيره * واعلم أنه لما كان معنى الزكاة التطهير كما قال تعالى تطهرهم وتزكيهم بها كان لها من الاسماء الالهية الاسم القدوس وهو الطاهر ومافى معناه من الاسماء الالهية ولما لم يكن المال الذى يخرج فى الصدقة من جملة مال المخاطب بالزكاة وكان بيده أمانة لاصحابه لم يستحقه غير صاحبه وان كان عند هذا الآخر ولكنه هو عنده بطريق الامانة الى أن يؤديه الى أهله كذلك فى زكاة النفوس فان النفوس لها صفات تستحقها وهى كل صفة يستحقها الممكن وقد يوصف الانسان بصفات لايستحقها الممكن من حيث ماهو ممكن ولكن يستحق تلك الصفات الله اذا وصف بها لتميزها عن صفاته التى يستحقها كما أن الحق سبحانه وصف نفسه بما هو حق للممكن تنزلا منه سبحانه ورحمة بعباده فزكاة نفسك اخراج حق الله منها فهو تطهيرها بذلك الاخراج من الصفات التى ليست بحق لها فتأخذ مالك منه وتعطى ماله منك وان كان كما قال تعالى بل لله الامر جميعا وهو الصحيح فان نسبتنا منه نسبة الصفات عند الاشاعرة منه فكل ماسوى الله فهو لله بالله اذ لايستحق ان يكون له الا ماهو منه قال صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وهى اشارة بديعة فانها كلمة تقتضى غاية الوصلة حتى لايقال الا انه هو وتقتضى غاية البعد حتى لا يقال انه هو اذ ماهو منك فلا يضاف اليك فان الشئ لايضاف الى نفسه لعدم المغايرة فهذا غاية الوصلة ومايضاف اليك ماهو منك فهذا غاية البعد لانه قد أوقع المغايرة بينك وبينه فهذه الاضافة فى هذه المسئلة كيد الانسان من الانسان وكحياة الانسان من الانسان فانه من ذات الانسان كونه حيوانا وتضاف الحيوانية اليه مع كونها من عين ذاته ومالا تصح ذاته الا بها فتمثل هذه الاصابة تعقل ماأومأنا اليه من نسبة الممكنات الى الواجب الوجود لنفسه فان الامكان للممكن واجب لنفسه فلا يزال انسحاب هذه الحقيقة عليه لانها عينه وهى تضاف اليه وقد يضاف اليه ماهو عينه فهذا معنى قوله لله الأمر جميعا أى ماتوصف أنت به ويوصف الحق به هو لله كله فمالك لاتفهم مالك بما فى قوله أعطنى مالك فهو نفى من باب الاشارة واسم من باب الدلالة أى الذى لك واصليته من اسم المالية ولهذا قال خذ من أموالهم أى المال الذى فى أموالهم مما ليس لهم بل هو صدقة منى على من ذكرتهم فى كتابى يقول الله ألاتراه قد قال ان الله فرض علينا زكاة أو صدقة فى أموالنا فجعل أموالهم ظرفا للصدقة والظرف ماهو عين المظروف فالصدقة ماهو عين مالك بل مالك ظرف له فما طلب الحق منك ماهو لك فالزكاة فى النفوس آكد منها فى الاموال ولهذا اقدمها الله فى الشراء فقال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ثم قال وأموالهم فالعبد ينفق فى سبيل الله نفسه وماله وسيرد من ذلك فى هذا الباب ماتقف عليه ان شاء الله ﴿وصل فى وجوب الزكاة﴾ الزكاة واجبة بالكتاب والسنة والاجماع فلا خلاف فى ذلك أجمع كل ماسوى الله على ان وجود ماسوى الله انما هو بالله فردوا بوجودهم اليه سبحانه لهذا الاجماع ولا خلاف فى ذلك بين كل ماسوى الله فهذا اعتبار الاجماع فى زكاة الوجود فرددنا ماهو لله الى الله فلا موجود ولا موجد الا الله

وأما الكتاب فكل شيء هالك الا وجهه وليس الوجه الا الوجود وهو ظهور الذوات والاعيان وأما السنة فلا حول ولا قوة الا بالله فهذا اعتبار وجوب الزكاة العقلي والشرعي ﴿وصل في ذكر من تجب عليه الزكاة﴾ اتفق العلماء على انها واجبة على كل مسلم حر بالغ عاقل مالك للنصاب ملكا تاما هذا محل الاتفاق واختلفوا في وجوبها على اليتيم والمجنون والعبد وأهل الذمة والناقص الملك مثل الذي عليه الدين أوله الدين ومثل المال المحبس الاصل ﴿وصل﴾ اعتبار ما اتفقوا عليه المسلم هو المنقاد الى ما يراد منه وقد ذكرنا أن كل ما سوى الله قد انقاد في رد وجوده الى الله وانه ما استفاد الوجود الا من الله ولا بقاء له في الوجود الا بالله وأما الحرية فمثل ذلك فانه من كان بهذه المثابة فهو حر أي لا ملك عليه في وجوده لاحد من خلق الله جل جلاله وأما البلوغ فاعتباره ادراكه للتمييز بين ما يستحقه ربه عز وجل وما لا يستحقه واذا عرف مثل هذا فقد بلغ الحد الذي يجب عليه فيه رد الامور كلها الى الله تعالى علوا كبيرا وهي الزكاة الواجبة عليه وأما العقل فهو أن يعقل عن الله ما يريد الله منه في خطابه اياه في نفسه بما يلهمه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ومن قيد وجوده بوجود خالقه فقد عقل نفسه اذ العقل مأخوذ من عقال الدابة وعلى الحقيقة عقال الدابة مأخوذ من العقل فان العقل متقدم على عقال الدابة فانه لولا ما عقل ان هذا الحبل اذا شدت به الدابة قيدها عن السراح ما سماه عقالا وأما قولهم المالك للنصاب ملكا تاما فلكه للنصاب هو عين وجوده لما ذكرناه من الاسلام والحرية والبلوغ والعقل وأما قولهم ملكا تاما اذ التام هو الذي لا نقص فيه والنقص صفة عدمية قال فهو عدم فالتام هو الوجود فهو قول الامام أبي حامد وليس في الامكان أبدع من هذا العالم اذ كان ابداعه عين وجوده ليس غير ذلك أي ليس في الامكان أبدع من وجوده فانه ممكن لنفسه وما استفاد الا الوجود فلا أبدع في الامكان من الوجود وقد حصل فانه ما يحصل للممكن من الحق سوى الوجود فهذا معنى اعتبار قولهم ملكا تاما وأما اعتبار ما اختلفوا فيه فمن ذلك الصغار فقال قوم تجب الزكاة في أموالهم وقال قوم ليس في مال اليتيم صدقة وفرق قوم بين ما تخرجه الارض وبين ما لا تخرجه فقالوا عليه الزكاة فيما تخرجه الارض وليس عليه زكاة فيما عدا ذلك من الماشية والناض والعروض وفرق آخرون بين الناض وغيره فقالوا عليه الزكاة الا في الناض خاصة * اعتبار ما ذكرنا اليتيم من لا أب له بالحياة وهو غير بالغ أي لم يبلغ الحلم بالسن أو الانبات أو رؤية الماء قال تعالى لم يلد وقال سبحانه ان يكون له ولد فليس الحق بأب لاحد من خلق الله ولا أحد من خلقه يكون له ولدا سبحانه وتعالى فمن اعتبر التكليف في عين المال قال بوجوبها ومن اعتبر التكليف في المالك قال لا يجب عليه لانه غير مكلف كذلك من اعتبر وجوده لله قال لا تجب الزكاة فانه ما ثم من يقبلها لو وجبت فانه ما ثم الا الله ومن اعتبر اضافة الوجود الى عين الممكن وقد كان لا يوصف بالوجود قال بوجوب الزكاة ولا بد اذ لا بد للاضافة من تأثير معقول ولهذا انقسم الموجودات الى قسمين الى قديم والى حادث فوجود الممكن وجود حادث أي حدث له هذا الوصف ولم يتعرض للوجود في هذا التقسيم هل هو حادث أو قديم لانه لا يدل حدوث الشيء عندنا على انه لم يكن له وجود قبل حدوثه عندنا وعلى هذا يخرج قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وهو كلام الله القديم ولكن حدث عندهم كما تقول حدث عندنا اليوم ضيف فانه لا يدل ذلك على انه لم يكن له وجود قبل ذلك فمن راعى ان الوجود الحادث غير حق للموصوف به وانه حق لغير الممكن قال بوجوب الزكاة على اليتيم لانه حق للواجب الوجود فيما اتصف به هذا الممكن كما راعى من يرى وجوبها على اليتيم في ماله انها حق للفقراء في عين هذا المال فيخرجها منه من يملك التصرف في ذلك المال وهو الولي ومن راعى ان الزكاة عبادة لم يوجب الزكاة لأن اليتيم ما بلغ حد التكليف وقد أشرنا الى ذلك ولنا

الرب حق والعبد حق * ياليت شعري من المكلف

هذا في البالغ والصغير غير مكلف وهو اليتيم وهكذا سائر العبادات على هذا النحو فان الشيء لا يعبد نفسه واذا تحقق عارف مثل هذا وتبين انه ما ثم الا الله خاف من الزلل الذي يقع فيه من لا معرفة له ممن ذمه الشارع من القائلين باسقاط الاعمال نعوذ بالله من الخذلان فنظر العارف عند ذلك الى الاسماء الالهية وتوقف أحكام بعضها على بعض وتفاضلها في

التعلقات كما قد ذكرنا في غير ما موضع فيوجب العبادات من ذلك الباب و بذلك النظر ليظهر ذلك الفعل في ذلك المحل من ذلك الاسم الالهي" القائم به اذا خاطبه اسم الهي" من له حكم الحال والوقت فتمين على هذا الاسم الالهي" الآخر ان تحرك هذا المحل لما طلب منه فسمي ذلك عبادة وهو أقصى ما يمكن الوصول اليه في باب اثبات التكاليف في عين التوحيد حتى يكون الآمر المأمور والمتكلم السامع وأما اعتبار من فرق بين ما تخرجه الارض و بين ما لا تخرجه الارض فاعتباره ما يظهره من الموصوف بالوجود الذي هو الممكن من الاشياء على يديه مما هو سبب ظهورها فان أضاف وجود ذلك الى ما أضاف اليه وجوده قال لا زكاة وان لم يضف واعتبر ظهورها منه قال بالواجب وأما من فرق بين الناض وما سواه فالناض لما كان له صفة الكمال أو التشبه بالكمال ونزل ما سوى الناض عن درجة الكمال أو التشبه بالكمال واتصف بالنقص أوجب الزكاة في الناقص ليطهره من النقص ولم يوجبه في الكمال فان الكمال لا يصح أن يكون في غيره اذ لا كمال الا في الوحدة ومن ذلك أهل الذمة رالا كثر على أنه لا زكاة على ذمي" الا طائفة روت تضعيف الزكاة على نصارى بني تغلب وهو أن يؤخذ منهم ما يؤخذ من المسلمين في كل شيء وقال به جماعة ورووه من فعل عمر بهم وكأنهم رأوا أن مثل هذا توقيف وان كانت الاصول تعارضه والذي أذهب اليه أنه لا يجوز أخذ الزكاة من كافر وان كانت واجبة عليه مع جميع الواجبات الا انه لا يقبل منه شيء مما كلف به الا بعد حصول الايمان به فان كان من أهل الكتاب ففيه عندنا نظر فان أخذ الجزية منهم قد يكون تقريرا من الشارع لهم دينهم الذي هم عليه فهو مشروع لهم فيجب عليهم اقامة دينهم فان كان فيه أداء زكاة وجاؤا بها قبلت منهم والله أعلم وليس لنا طلب الزكاة من المشرك وان جاء بها قبلناها يقول الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة و يقول الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والكافر هنا المشرك ليس الموحد ﴿وصل﴾ الاعتبار قال الله تعالى لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة الال" الله اسم من أسمائه والذمة العهد والعقد فان كان عهدا مشروعا فالوفاء به زكاته فالزكاة على أهل الذمة فان عليهم الوفاء بما عوهدوا عليه من أسقط عنهم الزكاة رأى أن الذمي" اذا عقد ساوى بين اثنين في العقد ومن ساوى بين اثنين جعلهما مثلين وقد قال تعالى ليس كمثله شيء فلا يقبل توحيد مشرك فان المشرك مقر" بتوحيد الله في عظمته لقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فهذا توحيد بلا شك ومع هذا منع الشرع من قبوله واعلم أن الدليل يضاد" المدلول والتوحيد المدلول والدليل مغاير فلا توحيد فمن جعل الدليل على التوحيد نفس التوحيد لم يكن هنالك من تجب عليه زكاة فلا زكاة على الذمي" والزكاة طهارة فلابد من الايمان فان الايمان طهارة الباطن وليس الايمان المعتبر عندنا الا أن يقال الشيء لقول المخبر على ما أخبر به أو يفعل ما يفعل لقول المخبر لا لعين الدليل العقلي" وعلم الشرك من أصعب ما ينظر فيه لسريان التوحيد في الاشياء اذ الفعل لا يصح فيه اشتراك البتة فكل من له مرتبة خاصة به لا سبيل له أن يشرك فيها وما ثم الا من له مرتبة خاصة لكن الشرك المعتبر في الشرع موجود وبه تقع المؤاخذة ﴿وصل متمم﴾ اعلم أن الكفار مخاطبون بأصل الشريعة وهو الايمان بجميع ما جاء به الرسول من عند الله من الاخبار وأصول الاحكام وفروعها وهو قوله صلى الله عليه وسلم وتؤمنوا بي و بما جئت به وهو العمل بحسب ما اقتضاه الخطاب من فعل وترك فالايمان بصدقة التطوع انها تطوع واجب وهو من أصول الشريعة واخراج صدقة التطوع فرع ولا فرق بينها و بين الصدقة الواجبة في الايمان بها وفي اخراجها وان لم يتساويا في الاجر فان ذلك لا يقدح في الاصل فان افترقا من وجه فقد اجتمع من الوجه الاقوى فالايمان أصل والعمل فرع لهذا الاصل بلا شك ولهذا الايخلص للمؤمن معصية أصلا من غير أن يخالطها طاعة فالمخلط هو المؤمن العاصي فان المؤمن اذا عصى في أمر ما فهو مؤمن بأن ذلك معصية والايمان واجب فقد أتى واجبا فالمؤمن مأجور في عين عصيانه والايمان أقوى ولا زكاة على أهل الذمة بمعنى أنها لا تجزى عنهم اذا أخرجوها مع كونها واجبة عليهم كسائر جميع فروض الشريعة لعدم الشرط المصحح لها وهو الايمان بجميع ما جاءت به الشريعة لا بها ولا ببعض ما جاء به الشرع فلو آمن بالزكاة وحدها أو بشيء من الفرائض انها فرائض أو بشيء من النوافل أنها نافلة ولو ترك الايمان بأمر واحد من فرض أو نفل لم يقبل منه ايمانه الا أن يؤمن بالجميع ومع هذا فليس لنا أن نسأل ذميا زكاته فان أتى بها

من نفسه فليس لنا ردّها لانه جاء بها الينامن غير مسئلة فيأخذها السلطان منه لبيت مال المسلمين لا يأخذها زكاة ولا يردّها فان ردّها عليه فقد عصى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما العبد فالناس فيه على ثلاثة مذاهب فمن قائل لا زكاة فى ماله أصلا لانه لا يملكه ملكا تاما اذ للسيد انتزاعه ولا يملكه السيد ملكا تاما أيضا لان يد العبد هى المتصرفة فيه اذن فلا زكاة فى مال العبد وذهبت طائفة الى أن زكاة مال العبد على سيده لان له انتزاعه منه وقالت طائفة على العبد فى ماله الزكاة لان اليد على المال توجب الزكاة فيه لمكان تصرفها فيه تشبيها بتصرف الحر قال شيخنا وجمهور من قال لا زكاة فى مال العبد على أن لا زكاة فى مال المكاتب حتى يعتق وقال أبو ثور فى مال المكاتب الزكاة والذى أقول به أنه لا يخلو الامر اما ان يرى أن الزكاة حق فى المال ولا يراعى المالك فيجب على السلطان أخذها من كل مال بشرطه من النصاب وحلول الحول على من هو فى يده ومن رأى أن وجوب الزكاة على أرباب المال جاء ماذكرناه من المذاهب فى ذلك فالاولى كل ناظر فى المال هو المخاطب باخراج الزكاة منه اعتبار ذلك العبد وما يملكه لسيده فبأى شئ أمره سيده وجبت عليه طاعته والزكاة حق أوجبه الله فى عين المال لاصناف مذكورين وهو بأيدى المؤمنين فانه لا يخلو مال من مالك أى عن يد عليه لها التصرف فيه فالزكاة أمانة بيد من هو المال بيده لهؤلاء الاصناف وما هو مال للحر ولا للعبد فوجب أداؤه لاصحابه ممن هو عنده وله التصرف فيه حرا كان أو عبدا من المؤمنين والكل عبيد الله فلا زكاة على العبد لانه مؤدّ أمانة والزكاة عليه يعنى ايصال هذا الحق الى أهله فان الله يأمركم أن تؤدّوا الامانات الى أهلها وتطهيره المال الذى فيه الزكاة بالزكاة أعنى باخراجها منه والزكاة على السيد لانه يملكه من باب ما أوجبه الحق لخلقه على نفسه مثل قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله فسأكتبها وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقوله أوف بعهدكم فكل من رأى أصلا مما ذكرناه ذهب فى مال العبد مذهبه ﴿وصل﴾ ومن ذلك المالكون الذين عليهم الديون التى تستغرق أموالهم وتستغرق ما تجب فيه الزكاة من أموالهم وبأيديهم أموال تجب الزكاة فيها فمن قائل لا زكاة فى ماله حبا كان أو غيره حتى يخرج منه الدين فان بقى منه ما تجب فيه الزكاة زكى والا فلا وقالت طائفة الدين لا يمنع زكاة الحبوب ويمنع ما سواها وقالت طائفة الدين يمنع زكاة الناض فقط الا أن تكون له عروض فيها وفاء له من دينه فانه لا يمنع وقال قوم الدين لا يمنع زكاة أصلا الاعتبار فى ذلك الزكاة عبادة فهى حق الله وحق الله أحق أن يقضى بذا ورد النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله قد جعل الزكاة حقا لمن ذكر من الاصناف فى القرآن العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد والدين حق مترتب متقدم فالدين أحق بالقضاء من الزكاة ﴿وصل﴾ ومن ذلك المال الذى هو فى ذمة الغير وليس هو بيد المالك وهو الدين فمن قائل لا زكاة فيه وان قبض حتى يمر عليه حول وهو فى يد القابض وبه أقول ومن قائل اذا قبضه زكاه لما مضى من السنين وقال بعضهم يزكيه لحول واحد وان قام عند المديان سنين اذا كان أصله عن عوض فان كان على غير عوض مثل الميراث فانه يستقبل به الحول (اعتبار الباطن فى ذلك) لا مالك الا الله ومن ملكه الله اذا كان ما ملكه بيده بحيث يمكنه التصرف فيه فحينئذ تجب عليه الزكاة بشرطها ولا مراعاة لما مر من الزمان فان الانسان ابن وقته ما هو لما مضى من زمانه ولا لما يستقبله وان كان له أن ينوى فى المستقبل ويتمنى فى الماضى ولكن فى زمان الحال هذا كله فهو من الوقت لا من الماضى ولا من المستقبل فلا مراعاة لما مر على ذلك المال من الزمان حين كان بيد المديان فانه على الفتوح مع الله تعالى دائما الذى بيده المال هو الله فالزكاة واجبة فيه لما مر عليه من السنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حج عن أبيك وأمر صلى الله عليه وسلم ولى الميت بما على الميت من صيام رمضان وما هو الا ايصال ثمرة العمل لمن حج عنه أو صام عنه مما هو واجب عليه الا أن فرّط فله حكم آخر ومع هذا فمن حج عنه أو عمل عنه عمل ما فهو صدقة من عمل هذا العمل على المعمول عنه ميتا كان المعمول عنه أو غير ميت غير أن الحى لا يسقط عنه الواجب عليه الا اذا لم يستطع فعله فان فعله وليه عنه كان له أجر من أدّى ما وجب عليه وليس ذلك الا فى الحج بما ذكرناه والثواب ما هو له بقابض الا ان كان المعمول عنه ميتا فانه أخراوى فان كان حيا فالقابض عنه الوكيل وهو الله فاذا قبضه أعطاه فى الآخرة لمن

عمل له هنا في الدنيا ﴿وصل من اعتبار هذا الباب﴾ ومن اعتباره الشخص يتمنى أن لو كان له مال لعمل به برًّا فيكتب الله له أجر من عمل فان نيته خير من عمله ويكتب له على أوفى حظ وهو في ذمة الغير ليس بيده منه شيء فاذا حصل له ما تمناه من المال أو مما تمناه مما يتمكن له به الوصول الى عمل ذلك البر وجب عليه أن يعمل ذلك البر الذي نواه فان لم يفعل لم يكتب له أجر ما نواه فلو مات قبل اكتساب ما تمنى كتب له أجر ما نواه قال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة أي هما اختبار لاقامة الحجة في صدق الدعوى أو كذبها ﴿وصل﴾ ومن هذا الباب اختلافهم في زكاة الثمار المحبسة الاصول فمن قائل فيها الزكاة ومن قائل لا زكاة فيها وفرق قوم بين أن تكون محبسة على المساكين فلا يكون فيها زكاة وبين أن تقوم على قوم بأعيانهم فتجب فيها الزكاة وبوجوب الزكاة أقول كانت على من كانت بتعيين أو بغير تعيين فان كانت بتعيين قوم وجب عليهم اخراج الزكاة وان كانت بغير تعيين وجب على السلطان أخذ الزكاة منها بحكم الوكالة اعتبار الباطن في ذلك الثمر هو عمل الانسان المكلف والعمل قد يكون مخلصا لله كالصلاة والصيام وأمثالهما وقد يكون فيه حق للغير كالزكاة الا أنه مشروع مثل أن يعمل الانسان عملا فيقول هذا لله ولوجوهكم فهو لوجوهكم أو مالي الا الله وأنت قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال هذا الله ولوجوهكم ليس لله منه شيء ثم شرع ان هذا قوله أن يقول هذا الله ثم لفلان ولا يدخل واو التشريك فهذا العمل فيه لله وهو نظير الزكاة في المال المحبس الاصل وفيه الخلق وهو قوله ثم لفلان بحرف ثم لا بحرف الواو وهو ما يبقى بيد الموقوف عليه من هذا الثمر الزائد على الزكاة فهذا اعتبار من يرى فيه الزكاة ومن يرى أنه لا زكاة فيه أي لا حق لله فيها فاعتباره قول النبي صلى الله عليه وسلم فهو لوجوهكم ليس لله منه شيء أي لا حق فيه لله ومن رأى أن الزكاة حق الفقراء رأى في اعتباره أن زكاة الثمر المحبس الاصل وهو العمل من هذا العبد الذي هو محبس على سيده لا يعتق أبدا يقول ان العمل هو لله بحكم الوقفية وللحور العين وأمثالهم من ذلك العمل نصيب وهو المعبر عنه بالزكاة كما قال بعضهم في حق المجاهدين

أبواب عدن مفتحات * والحور منهن مشرفات
فاستبقوا أيما استباق * وبادروا أيها الغزاة
فبين أيديكمو جنان * فيها حسان منعمات
يقلن والخيل سابقات * مهورنا الصبر والثبات

فالصبر والثبات من عمل الجهاد بمنزلة الزكاة من الثمر وكونه محبس الاصل هو قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فما خلقهم الا لعبادته فهم موقوفون عليه ثم جعل في أعمالهم التي هي بمنزلة الثمر من الشجر نصيبا لله وهو الاخلاص في العمل وهو من العمل وحق لصاحب العمل وهو ما يحصل له من الثواب عليه وهو بمنزلة الزكاة التي يطلبها الثواب فهذا اعتبار زكاة الثمر المحبس الاصل باختلافهم والله الهادي ﴿وصل﴾ ومن هذا الباب على من تجب زكاة ما تخرجه الارض المستأجرة فقال قوم من العلماء ان الزكاة على صاحب الزرع وقال قوم ان الزكاة انما تجب على رب الارض وليس على المستأجر شيء وبالقول الاول أقول ان الزكاة على صاحب الزرع ﴿وصل﴾ الاعتبار في ذلك الامام والمؤذن والمجاهد والعامل على الصدقة وكل من يأخذ على عمله أجرا ممن يستأجره على ذلك والارض المستأجرة هي نفس المكلف وما تخرجه هو ما يظهر عن هذه النفس من العمل والزارع الحق تعالى يقول تعالى أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ورب الارض هو الشارع وهو الحق سبحانه من كونه شارعا كما هو في الزرع من كونه موفقا قال تعالى مخبرا عن بعض أنبيائه وما توفيقي الا بالله فهو سبحانه يبذر حب الهدى والتوفيق في أرض النفوس فتخرج أرض النفوس بحسب ما زرع فيها وفيما يظهر من هذه الارض ما يكون حق لله فيه ومنها ما يكون فيه حق للانسان فما هو لله فهو المعبر عنه بالزكاة وما بقي فهو للانسان والاجارة مشروعة فان الله اشترى منا نفوسنا ثم أجرنا اياها بالعشر فقال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فالحسنة منا هي العشر الذي نعطيه سبحانه مما زرعه في أراضي نفوسنا من الخير الذي أنبت هذا العمل الصالح فهو سبحانه رب الارض وهو الزارع وهو المؤجر وهو المستأجر وهو

الذى يجب عليه الزكاة وهو الذى يأخذ الصدقات كما قال وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ولكن بوجوه ونسب مختلفة فهو المعطى والآخذ لا اله الا هو ولا فاعل سواه فيوجب من كونه كذا ويجب عليه من كونه كذا قال تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أى أوجب وفرض لم يوجب ذلك عليه موجب بل هو سبحانه الموجب على نفسه منة منه وفضلا علينا لحقائق أسمائه بما تعرّف الينا وعلى حقائق هذه الاسماء أتت الشرائع الالهية كلها قل كلّ من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا وقسم فقال فى نسق هذا الكلام ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وهو ما يسوءك فأنت محل أثر السوء فمن حيث هو فعل لا يتصف بالسوء وهو للاسم الالهى الذى أوجده فانه يحسن منه ايجاد مثل هذا الفعل فلا يكون سوءا الا من يجده سوأ أو من يسوءه وهو نفس الانسان اذ لا يجد الالم الا من يوجد فيه ففيه يظهر حكمه لا من يوجده فانه لا حكم له فى فاعله فهذا معنى قوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وان كانت الحسنة كذلك فذلك يحسن عند الانسان فانها أيضا تحسن من جانب الحق الموجد لها فاضيفت الحسنة الى الله فانه الموجد لها ابتداء وان كانت بعد الايجاد تحسن أيضا فيك ولكن لا تسمى حسنة الا من كونها مشروعة ولا تكون مشروعة الا من قبل الله فلا تضاف الا الى الله ولهذا قلنا فى السيئة انها من قبل الحق حسنة لانه بينها لتجتنب فتسوء من قامت به اما فى الدنيا واما فى العقبى فقد يكون الترك سيئة وليس بفعل وقد يكون الفعل سيئة وكذلك الحسنة قد تكون فعلا وتركا والتوفيق الالهى هو المؤثر فى الفعل والترك من حيث ما هو ترك له ومن حيث ما هو ظاهر منه اذا كان فعلا وما من حق واجب على العبد من ترك وفعل الا ولله فيه حق يقوم به الحاكم نيابة عن الله فان كان ما بقى من ذلك الفعل أو الترك حق لله تعالى فهو حق لله من جميع وجوهه لا حق لمخلوق فيه كالصلاة واقامة الحدود وان كان ما بقى من ذلك الفعل أو الترك حق لمخلوق كضرب أو شتم أو غصب مال ففيه حق لله وهو ما ذكرناه وفيه حق للمخلوق والحق الذى فيه لله هو عين الزكاة الذى فى جميع أفعال الله فى خلقه والحاكم نائبه فيما استخلفه فيه فان شاء قبضه وان شاء تركه على ما يعطيه الحال والمصلحة ولا حرج عليه فى ذلك وهو المسمى تعزيرا فيما لا حدّ فيه فتقطع يد السارق ولا بدّ وان أخذ المال من يده وعاد الى صاحبه فالحاكم مخير ان شاء عزره بذلك القدر الذى فيه لله من الحق المشروع وان شاء لم يعزره ويترك ذلك لله حتى يتولاه فى الآخرة بلا واسطة ﴿وصل﴾ ومن هذا الباب أرض الخراج اذا انتقلت الى المسلمين وهى الارض التى كانت بيد أهل الذمة هل فيها عشر مع الخراج أم لا فمن قائل ان فيها العشر أعنى الزكاة ومن قائل ليس فيها عشر فاعلم أن الزكاة اما أن تكون حق الارض أو حق الحب فان كانت حق الارض لم تجب الزكاة لانه لا يجتمع فيها حقان وهو العشر والخراج وان كانت حق الحب كان الخراج حق الارض والعشر حق الحب والخلاف فى بيع أرض الخراج معلوم عند العلماء ﴿وصل﴾ الاعتبار فى ذلك الاعمال البدنية بمنزلة الزرع والبدن بمنزلة الارض والهوى حاكم على الارض فاذا انتقلت هذه الارض الى حكم الشرع الذى هو العمل بما يقتضيه الاسلام فخراج الارض هو ما لله عليه من الحقوق من حيث ان جعلها ذات ادراكات وهو علم يستقل بادراكه العقل فلله فى هذه الارض الخراج اذ شكر المنعم محمود وهو المنعم بها سبحانه فاذا حصلت هذه الارض فى يد المسلم أعنى الشرع وانتقلت اليه فالمسلمون على قسمين عارف وغير عارف فالعارف اذا زرع الاعمال الصالحة فى هذه الارض رأى ان الزكاة حق العمل لا حق الارض فأوجب الزكاة فى العمل وهو ان يردّ الاعمال الى عاملها وهو الحق سبحانه وغير العارف يرى ان العمل للقوى البدنية وقد وجب عليها الخراج فلا تجب عنده الزكاة حتى لا يجتمع عليها حقان فانه لا يرى العمل الا لنفسه فانه غير عارف ولم يكلف الله نفسا الا ما آتاها وقال ذلك مبلغهم من العلم وأما قولنا فى هذه المسئلة فانه يجتمع فى الارض حقان ولا يبعد ذلك لان الارض من كونها بيد من هى بيده يمنع غيره من التصرّف فيها الا باذنه فعليه حق فيها يسمى الخراج ومن حيث انه زرعها فاختلف حال الارض بكونها قد زرعت من كونها لم تزرع فوجب فيها حق آخر من كونها ذات زرع فوجب العشر فيها من كونها مزدرعة ووجب الخراج فيها من كونها بيده وحكمه عليها وكذلك نأخذه فى الاعتبار ﴿وصل﴾ وأما أرض العشر اذا انتقلت الى الذمى فزرعها فمن

قائل

قائل ليس فيها شئ أعنى لا خراج ولا عشر وقال النعمان اذا اشترى الذمى أرض عشر تحوّلت أرض خراج فكأنه رأى ان العشر حق أرض المسلمين والخراج حق أرض الذميين ومن يرى هذا فينبغى ان أرض الذمى اذا انتقلت الى المسلم ان تعود أرض عشر (اعتبار ذلك) للعقل حكم فى النفس من حيث ذاته ونظره وللشرع حكم فى النفس فاذا سلب العقل النفس من يد الشرع بشبهة اشتراها بها فهل يقبل الله منه كل عمل حد صورته الشرع ولكن كان عمله من جهة العقل لا من جهة الشرع فنا من قال يقبل ويجازى عليه فى الدنيا ان لم يكن موحدا وكان مشركا فان كان موحدا قبل منه وجوزى عليه جزاء غير المؤمن فان المؤمن له فى عمله يوم القيامة جزاآن جزاء من حيث انه مؤمن عامل بشريعة وجزاء من حيث ان ذلك العمل من مكارم الاخلاق وانه خير وقد قال صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام حين أسلم وكان قد فعل فى الجاهلية خيرا أسلمت على ما أسلفت من خير فجازاه الله بما كان منه من خير فى زمان جاهليته فان الخير يطلب الجزاء لنفسه فاذا اقترن به الايمان تضاعف الجزاء لزيادة هذه الصفة فان لها حقا آخر فحكم الشرع العشر وحكم العقل الخراج ﴿وصل﴾ اذا أخرج الزكاة فضاعت فقال قوم تجزى عنه وقال قوم هو لها ضامن حتى يضعها موضعها وقوم فرّقوا بين أن يخرجها بعد ان أمكنه اخراجها وبين أن يخرجها أوّل زمان الوجوب والامكان فقال بعضهم ان أخرجها بعد أيام من الامكان والوجوب ضمن وان أخرجها فى أوّل الوجوب ولم يقع منه تفريط لم يضمن وقال قوم ان فرط ضمن وبه أقول وان لم يفرّط زكى ما بقى وقال قوم بل يعد الذاهب من الجميع ويبقى المساكين ورب المال شريكين فى الباقى بقدر حظهما من حظ رب المال مثل الشريكين يذهب بعض المال المشترك بينهما ويبقيان شريكين على تلك النسبة فى الباقى فالحاصل فى المسئلة خمسة أقوال قول انه لا يضمن باطلاق وقول انه يضمن باطلاق وقول ان فرّط ضمن وان لم يفرّط لم يضمن وقول ان فرط ضمن وان لم يفرط زكى ما بقى والقول الخامس يكونان شريكين فى الباقى وأما اذا ذهب بعض المال بعد الوجوب وقبل تمكن اخراج الزكاة فقيل يزكى ما بقى وقال قوم حال المساكين وحال رب المال حال الشريكين يضيع بعض مالهما وأما اذا وجبت الزكاة وتمكن الاخراج فلم يخرج حتى ذهب بعض المال فانه ضامن باتفاق والله أعلم الا فى الماشية عند من يرى أن وجوبها انما يتم بشرط خروج الساعى مع الحول وهو مذهب مالك ﴿وصل الاعتبار فى ذلك﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنحوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم وانفاق الحكمة عين زكاتها ولها أهل كما للزكاة أهل فاذا أعطيت الحكمة غير أهلها وأنت تظن انه أهلها فقد ضاعت كما ضاع هذا المال بعد اخراجه ولم يصل الى صاحبه فهو ضامن لمن ضاع لانه فرط حيث لم يتثبت فى معرفة من ضاعت عنده هذه الحكمة فوجب عليه أن يخرجها مرّة أخرى لمن هو أهلها حتى تقع فى موضعها وأما حكم الشريكين فى ذلك كما تقرّر فان حامل الحكمة اذا جعلها فى غير أهلها على الظن فهو أيضا مضيع لها والذى أعطيت له ليس بأهل لها فضاعت عنده فيضيع بعض حقها فيستدرك معطى الحكمة غير أهلها ما فاته بأن ينظر فى حال من ضاعت عنده الحكمة فيخاطبه بالقدر الذى يليق به ليستدرجه حتى يصير أهلا لها ويضيع من حق الآخر على قدر ما نقصه من فهم الحكمة الاولى التى ضاعت عنده والحال فيما بقى من وجوه الخلاف فى الاعتبار على هذا الاسلوب سواء فمن قال بعموم قوله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار فسأله من ليس بأهل للحكمة فضاعت الحكمة قال لا يضمن على الاطلاق ومن أخذ بقوله صلى الله عليه وسلم لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها قال يضمن على الاطلاق وضمانها انه يعطيه من الوجوه فيما سأله ما يليق به وان لم يصح ذلك فى نفس الامر كالابنية فيمن لا يتصف بالتحيز ومن أعرض عن الجواب الاوّل الى جواب فى المسئلة يقتضيه حال السائل والوقت قال يزكى ما بقى ويكون حكم ما مضى وضاع كحكم مال ضاع قبل الحول ومن قال يتعين عليه النظر فى حال السائل فلما لم يفعل فقد فرط فان فعل وغلط لشبهة قامت له تخيل انه من أهل الحكمة فلم يفرط فهو بمنزلة من قال ان فرط ضمن وان لم يفرط لم يضمن والقول الخامس قد تقدم فى الشريك ولا يخلو العالم أن يعتقد فيما عنده من العلم الذى يحتاج الخلق اليه أن يكون عنده كالامانة فحكمه فى ذلك حكم الامين أو يعتقد

فيه انه دين عليهم فحكمه حكم الغريم والحكم فى الامانة والدين والضياع معلوم فيمشى عليه الاعتبار بتلك الوجوه والله أعلم

﴿وصل اذا مات بعد وجوب الزكاة عليه﴾

قال قوم تخرج من رأس ماله وقال قوم ان أوصى بها أخرجت من الثلث والافلاشئ عليه ومن هؤلاء من قال يبدأ بها ان ضاق الثلث ومنهم من قال لايبدأ بها ﴿وصل﴾ الاعتبار فى ذلك الرجل من أهل طريق الله يعطى العلم بالله وقد قلنا ان زكاة العلم تعليمه فجاء مريد صادق متعطش فسأله عن مسئلة من علم ماهو عالم به فهذا أوان وجوب تعليمه اياه ماسأله عنه كوجوب الزكاة بكمال الحول والنصاب فلم يعلمه ماسأله فيه من العلم فان الله يسلب العالم تلك المسئلة فيبقى جاهلا بها فيطلبها فى نفسه فلا يجدها فذلك موته بعد وجوب الزكاة فان الجهل موت قال أومن كان ميتا فأحييناه أو يكون العالم يجب عليه تعليم من هو أهل فعلم من ليس بأهل فذلك موته حيث جهل الاهلية ممن هو للحكمة أهل ووضعها فى غير أهلها ففى الاول قد منع المريد الصادق تلك المسئلة واسكن عن مشاهدة هذا العالم بأن سمعه يعلمها غيره أو يعلمها ممن قد علمه ذلك العالم قبل ذلك فيكون فى ميزان العالم الاول وان كان قد جهلها فهذا ممن يجزى عنه ويخرج من رأس ماله فان اعتذر ذلك العالم للمريد واعترف بعقوبته وذنبه ففتح الله على المريد بها فاعترافه بمنزلة من أوصى بها وأما اخراجها من الثلث فان المريض لايملك من ماله سوى الثلث لا غير فكأنها وجبت فيما يملك وكذلك هذا العالم لايملك فى هذه الحالة من نفسه الاالاعتذار والثلثان الآخران لايملكهما وهو المنة فلامنة له فى التعليم بعد هذه الواقعة ولايجب عليه فانه قد نسيها وبالجملة فينبغى لمن هذه حالته ان يجدد توبة عما وقع فيه ويستغفر الله فيما بينه وبين الله فان الله يحب التوابين ﴿وصل فى خلافهم فى المال يباع بعد وجوب الصدقة فيه﴾ فقال قوم يأخذ المصدق الزكاة من المال نفسه ويرجع المشترى بقيمته على البائع وقال قوم البيع مفسوخ وقال قوم المشترى بالخيار من انفاذ البيع ورده والعشر مأخوذ من الثمرة أو من الحب الذى وجبت فيه الزكاة وقال مالك الزكاة على البائع وبه أقول ﴿وصل الاعتبار فى ذلك﴾ قال تعالى قد أفلح من زكاها يعنى النفس لانه قد صيرها مالاتجب فيه الزكاة والعبد مأمور بزكاة نفسه ثم ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم فباع بعض المؤمنين نفسه من الله بعد وجوب الزكاة عليه فان العبد اذا آمن وجبت عليه زكاة نفسه فباعها من الله بعد وجوب الزكاة فلاتخلو الزكاة اما أن تكون فى عين المال أو تكون فى ذمة المكلف فان كانت فى ذمة المكلف وجبت على البائع وان كانت فى نفس المال وجب تزكيتها على من بيده المال فى عين ذلك المال فيخرجها المشترى من المال ويرجع بالقيمة على البائع واذا كان وجوبها على البائع فللبائع أن يزكى ذلك القدر مما عنده من المال كالشيخ المرشد يملك نفوس تلامذته فيزكى منها بقدر ماوجب عليه فى نفسه من الزكاة قبل بيعها من الله اذ قد كانت وجبت عليه الزكاة فى نفسه فتقوم له زكاة نفوس من عنده من المريدين مقام ذلك وان كان ممن يقول بفسخ البيع فانه يرجع فى بيعه حتى يزكيها وحينئذ يبيعها من الله وان كان ممن يقول المشترى بالخيار من انفاذ البيع ورده فذلك الى الله ان شاء قبلها وزكاها وان شاء ردها على البائع حتى يزكيها ﴿وصل﴾ ومن هذا الباب اختلافهم فى زكاة المال الموهوب واعتباره ان الموهوب له بالخيار ان شاء قبل الهبة وقد عرف مافيها من الحق فأوصل الحق منها الى مستحقه ومسك مابقى وان شاء رد قدر مايجب فيها من الزكاة على البائع حتى يؤديها والموهوب له هو الحق هنا والذين لهم الزكاة من هذه النفس ماتطلب منهم الجنة ومن فيها هل هو حق لهم من نفس المؤمن انتهى الجزء الحادى والستون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿وصل فى حكم من منع الزكاة﴾ ولم يجحد وجوبها ذهب أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى ان حكمه حكم المرتد فقاتلهم وسبى ذريتهم وخالفه فى ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأطلق من استرق منهم وبقول عمر قال الجمهور

وذهبت طائفة الى تكفير من منع فريضة من الفرائض وان لم يجحد وجوبها ﴿وصل الاعتبار فى ذلك﴾ اعلم ان فى نفس المؤمن حظ الجنان ومن فيه منها الزكاة ولله ما بقى وهو الذى يصح فيه البيع والى هذا ذهبت جماعة المحققين من أهل طريق الله لتعدد أصناف من تجب لهم الزكاة من أنفسهم عليهم فالجنة فيها أصناف يطلبون من نفس المؤمن ما يستحقونه وهى الزكاة فالقصر يطلبه بالسكنى والزوجات يطلبنه بما احتجن اليه منه فالثمانية الاعضاء المكلفة من الانسان كما يجب فيها الزكاة على الانسان كذلك لها نسبة فى أن تأخذ الزكاة من جهة أخرى فيقوم ما فى الجنان مقام من يقسم عليهم ما يليق به فمن منع الزكاة من نفسه عن أحد هؤلاء الاصناف وهو مقر بها انها واجبة عليه فهو ظالم غير كافر الا فى الصلاة خاصة فان تاركها كافر فان الشرع سماه كافرا بمجرد الترك وما أدرى ما أرادوا انما مانع الزكاة فهو ظالم حيث مسك حق الغير الذى يجب لهم وسأذكر بعد هذا ان شاء الله ما تجب فيه الزكاة والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿وصل فى ذكر ما تجب فيه الزكاة﴾

اتفق العلماء على ان الزكاة تجب فى ثمانية أشياء محصورة فى المولدات من معدن ونبات وحيوان فالمعدن الذهب والفضة والنبات الحنطة والشعير والتمر والحيوان الابل والبقر والغنم هذا هو المتفق عليه وهو الصحيح عندنا وأما الزبيب ففيه خلاف (الاعتبار فى ذلك) الزكاة تجب من الانسان فى ثمانية أعضاء البصر والسمع واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب ففى كل عضو وعلى كل عضو من هذه الاعضاء صدقة واجبة يطلب الله بها العبد فى الدار الآخرة وأما صدقة التطوع فعلى كل عرق فى الانسان صدقة كما قال صلى الله عليه وسلم يصبح على كل سلامى من الانسان صدقة والسلامى عروق ظهر الكف وقيل العروق فكل تسبيحة صدقة وكل تهليلة صدقة وكذلك التحميد والتكبير فالزكاة التى فى هذه الاعضاء هى حق الله تعالى الذى أوجبها على الانسان من هذه الاعضاء الثمانية كما أوجبها فى هذه الثمانية من الذهب والورق وسائر ما ذكرنا مما تجب فيه الزكاة بالاتفاق فتعين على المؤمن أداء حق الله تعالى فى كل عضو فزكاة البصر ما يجب لله تعالى فيه من الحق كالغض عن المحرّمات والنظر فيما يؤدّى النظر اليه من القربة عند الله كالنظر فى المصحف وفى وجه العالم وفى وجه من يسرّ بنظرك اليه من أهل وولد وأمثالهم وكالنظر الى الكعبة اذا كنت لها مجاورا فانه قد ورد أنّ للناظر الى الكعبة عشرين رحمة فى كل يوم وللطائف بها ستين رحمة وعلى هذا النحو تنظر فى جميع الاعضاء المكلفة فى الانسان من تصرفها فيما ينبغى وكفها عما لا ينبغى (بيان وايضاح) واعلم ان هذه الاصناف قد أحاطت بمولدات الاركان كما قلنا وهى المعدن والنبات والحيوان وما ثم رابع ففرض الله الزكاة فى أنواع مخصوصة من كل جنس من المولدات لطهارة الجنس فتطهر النوع بلا شك من الدعوى التى حصلت فيه من الانسان بالملك فانّ الاصل فيه الطهارة من حيث أنه ملك لله مطلقا وذلك انّ الاصل الذى ظهرت عنه الاشياء من أسمائه القدوس وهو الطاهر لذاته من دنس المحدثات فلما ظهرت الاشياء فى أعيانها وحصلت فيها دعاوى الملاك بالملكية طرأ عليها من نسبة الملك الى غير منشئها ما أزالها عن الطهارة الاصلية التى كانت لها من اضافتها الى منشئها قبل أن يلحقها هذا الدنس العرضى بملك الغير لها وكنى بالحدث حدثا وهذه الاجناس لا تصرف لها فى أنفسها فأوجب الله على مالكها فيها الزكاة وجعل ذلك طهارتها فعين الله فيها نصيبا يرجع الى الله عن أمر الله لينسبها الى مالكها الاصلىّ فتكتسب الطهارة فانّ الزكاة انما جعلها الله طهارة الاموال وكذلك فى الاعتبار فان هذه الاعضاء المكلفة هى طاهرة بحكم الاصل فانها على الفطرة الاولى ولا تزول عنها تلك الطهارة والعدالة الا ترى انها تستشهد يوم القيامة وتقبل شهادتها لزكاتها الاصلية وعدالتها فان الاصل فى الاشياء العدالة لانها عن أصل طاهر والجرحة طارئة قال تعالى انّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا وقال يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وقال تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا وقال تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم فهذا كله اعلام من الله لنا ان كل جزء فينا شاهد عدل زكى مرضى وذلك بشرى خير لنا ولكن أكثر الناس لا يعلمون صورة

الخير فيها فان الامر اذا كان بهذه المثابة يرجى أن يكون المآل الى خير وان دخل النار فان الله أجل وأعظم وأعدل من أن يعذب مكرها مقهورا وقد قال الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان وقد ثبت حكم المكره فى الشرع وعلم حد المكره الذى اتفق عليه والمكره الذى اختلف وهذه الجوارح من المكرهين المتفق عليهم انهم مكرهون فتشهد هذه الاعضاء بلاشك على النفس المدبرة لها السلطانة عليها والنفس هى المطلوبة عند الله عن حدوده والمسؤلة عنها وهى مرتبطة بالحواس والقوى لا انفكاك لها عن هذه الادوات الجسمية الطبيعية العادلة الزكية المرضية المسموع قولها ولا عذاب للنفس الا بوساطة تعذيب هذه الجسوم وهى التى تحس بالآلام المحسوسة لسريان الروح الحيوانى فيها وعذاب النفس بالهموم والغموم وغلبة الاوهام والافكار الرديئة وما ترى فى رعيتها مما تحس به من الآلام وما يطرأ عليها من التغييرات كل صنف بما يليق به من العذاب وقد أخبر بمآلها الايمانها الى السعادة لكون المقهور غير مؤاخذ بما جبر عليه وما عذبت الجوارح بالالم الالاحساسها أيضا باللذة فيما نالته من حيث حيوانيتها فافهم فصورتها صورة من أكره على الزنى وفيه خلاف والنفس غير مؤاخذة بالهم مالم تعمل ماهمت به بالجوارح والنفس الحيوانية مساعدة بذاتها مع كونها من وجه مجبورة فلا عمل للنفوس الا بهذه الادوات ولا حركة فى عمل للادوات الا بالاغراض النفسية فكما كان العمل بالمجموع وقع العذاب بالمجموع ثم تقضى عدالة الادوات فى آخر الامر الى سعادة المؤمنين فيرتفع العذاب الحسى ثم يقضى حكم الشرع الذى رفع عن النفس ماهمت به فيرتفع أيضا العذاب المعنوى عن المؤمن فلا يبقى عذاب معنوى ولا حسى على أحد من أهل الايمان و بقدر قصر الزمان فى الدار الدنيا بذلك العمل لوجود اللذة فيه وأيام النعيم قصار تكون مدة العذاب على النفس الناطقة والحيوانية الدراكة مع قصر الزمان المطابق لزمان العمل فان أنفاس الهموم طوال فما أطول الليل على أصحاب الآلام وما أقصره بعينه على أصحاب اللذات والنعيم فزمان الشدة طويل على صاحبه وزمان الرخاء قصير (افصاح) واعلم ان للزكاة نصابا وحولا أى مقدارا فى العين والزمان كذلك الاعتبار فى زكاة الاعضاء لها مقدار فى العين والزمان فالنصاب بلوغ العين الى النظرة الثانية فانها المقصودة والاصغاء الى السماع الثانى وكذلك التوانى فى جميع الاعضاء لاجل القصد والمقدار الزمانى يصحبه فلنذكر ما يليق بهذا الباب مسئلة مسئلة على قدر ما يلقى الله عز وجل فى الخاطر من ذلك والله الموفق والهادى الى صراط مستقيم

﴿وصل فى زكاة الحلى﴾

اختلف العلماء رضى الله عنهم فى زكاة الحلى فمن قائل لازكاة فيه ومن قائل فيه الزكاة (الاعتبار فى ذلك) الحلى ما يتخذ للزينة والزينة مأمور بها قال الله تعالى يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده وأضافها اليه ما أضافها الى الدنيا ولا الى الشيطان والزكاة حق له وما كان مضافا اليه لايكون فيه حق له لانه كله له فلا زكاة فى زينة الله ومن اتخذه لزينة الحياة الدنيا وسلب عنه زينة الله أوجب فيه الزكاة وهو أن يجعل لله نصيبا فيه يحيى به ما أضاف منه الى نفسه ويزكو ويتقدس كما شرع الله للانسان أن يستعين بالله ويطلب العون منه فى أفعاله التى كلفه سبحانه أن يعملها وهو العامل سبحانه لاهم فكذلك ينبغى أن يجعل الزكاة فى زينة الحياة الدنيا وان كانت زينة الله التى أخرج لعباده فأوجبوا الزكاة فى تلك الزينة كما أوجبها من أوجبها فى الحلى

﴿وصل فى زكاة الخيل﴾

اختلفوا فى الخيل فالجمهور على انه لازكاة فى الخيل وقال قوم اذا كانت سائمة وقصد بها النسل ففيها الزكاة أعنى اذا كانت ذكرانا واناثا ﴿وصل الاعتبار فى ذلك﴾ هذا النوع من الحيوان وأمثاله من جملة زينة الله قال تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وهى من زينة الله التى أخرج لعباده ثم انه من الحيوان الذى له الكر والفر فهو أنفع حيوان يجاهد عليه فى سبيل الله فالاغلب فيه أنه لله وما كان لله فما فيه حق لله لانه كله لله النفس مركبها البدن فاذا كان البدن فى مزاجه وتركيب طبائعه بحيث أن يساعد النفس المؤمنة الطاهرة على ما تريد منه من الاقبال على طاعة الله والفرار عن مخالفة الله كان لله وما كان لله فلا حق فيه لله لانه كله لله واذا كان البدن يساعد

وقتاولا يساعدوقتا آخرخلل فيه كان ردّالنفس بالقهر فيمالايساعدفيه من طاعة الله زكاة فيه كمن يريد الصلاة و يجد كسلا فى أعضائه وتكسرا فيتثبط عنها مع كونه يشتهيها فأداء الزكاة فى ذلك الوقت أن يقيمها ولا يتركها مع كسلها وهى فى ذلك الوقت سائمة من السآمة اعتبار متخذة للنسل لان فيها ذكرانا وأناثا أى خواطر عقل وخواطر نفس ﴿وصل﴾ فى سائمة الابل والبقر والغنم وغير السائمة فان قوما أوجبوا الزكاة فيها كلها سائمة وغير سائمة وذهب الاكثرون الى ان لازكاة فى غير السائمة من هذه الثلاثة الانواع (اعتبار هذا الوصل) السائمة الافعال المباحة كلها وغير السائمة ماعدا المباح فمن قال الزكاة فى السائمة قال ان المباح لما كانت الغفلة تصحبه أوجبوا أن يحضر الانسان عند فعله المباح أنه مباح باباحة الشارع ولولم يبح فعله ما فعله فهذا القدر من النظر هو زكاته وأما غير السائمة فلا زكاة فيها لانها كلها أفعال مقيدة بالوجوب أو الندب أو الحظر أو الكراهة فكلها لاتخيير على الاطلاق للعبد فيها فكلها لله تعالى وما كان لله لازكاة فيه فان الزكاة حق لله فى هذا كله وألحق بعض أصحابنا المندوب والمكروه بالمباح فجعل فيه الزكاة كالمباح سواء وقالت طائفة أخرى ما هو مثل المباح فان فيه ما يشبه الواجب والمحظور وفيه ما يشبه المباح فان كان وقته تغليب أحد النظرين فيهما كان حكمه بحكم الوقت فيهما وهو أن يحضر له فى وقت الحاقهما بالمباح وفى وقت الحاقهما بالواجب والمحظور والصورة فى الشبه أن السائمة مملوكة وغير السائمة مملوكة فالجامع بينهما الملك ولكن ملك غير السائمة أثبت لشغل المالك بها وتعاهده اياها والسائمة ليست كذلك وان كانت ملكا وكذلك المندوب والمكروه وهو مخير فى الفعل والترك فأشبه المباح وهو مأجور فى الفعل فيهما والترك فأشبه الواجب والمحظور وهذا أسدّ مذاهب القوم عندنا ومن قال الزكاة فى الكل قال انما أوجب ذلك فى الكل سائمة وغير سائمة لان الافعال الواقعة من العبد منسوبة للعبد نسبة الهية وان اقتضى الدليل خلافها فوجبت الزكاة فى جميع الافعال لما دخلها من النسبة الى المخلوق وصورة الزكاة فيها استحضارك أن جميع ما يقع منك بقضاء وقدر عن مشاهدة وحضور تام فى كل فعل عند الشروع فى الفعل وذلك القدر هو زمان الزكاة بمنزلة انقضاء الحول وقدر ذلك الفعل الذى يمكن الردّ فيه الى الله ذلك هو نصاب ذلك الفعل وهذا مذهب العلماء بالله ان الافعال كلها لله بوجه وتضاف الى العبد بوجه فلا يحجبهم وجه عن وجه كما لا يشغله شأن عن شأن

﴿وصل فى زكاة الحبوب وأما ما اختلفوا فيه من النبات بعد اتفاقهم على الاصناف الثلاثة﴾

فنهم من لم ير الزكاة الا فى تلك الاصناف الثلاثة ومنهم من قال الزكاة فى جميع المدخر المقتات من النبات ومنهم من قال الزكاة فى كل ما تخرجه الارض ما عدا الحشيش والحطب والقصب (الاعتبار فى كونه نباتا) فهذا النوع مختص بالقلب فانه محل نبات الخواطر وفيه يظهر حكمها على الجوارح فكل خاطر نبت فى القلب وظهر عينه على ظاهر أرض بدنه ففيه الزكاة لشهادة كل ناظر فيه انه فعل من ظهر عليه فلابد أن يزكيه بردّه الى الله ذلك هو زكاته وما لم يظهر فلا يخلو صاحبه لما نبت فى قلبه ما نبت هل كان ممن رأى الله فيه أو قبله فان كان من هذا الصنف فلا زكاة عليه فيه فانه لله ومن رأى الله بعده من أجله فتلك عين الزكاة قد أدّاها وان لم ير الله بوجه وجبت عليه الزكاة عند العلماء بالله ولم تجب عليه الزكاة عند الفقهاء من أهل الطريق لان الشارع لم يعتبرالهم حتى يقع الفعل فكان نباتا سقطت فيه الزكاة كما سقطت المؤاخذة عليه فان كان النبات من الخواطر التى فيها قوت للنفس وجبت الزكاة لما فيها من حظ النفس فان كان حظ النفس تبعا فلا زكاة فان قوت هذا الذى هذه صفته فهو الله الذى به يقوم كل شئ قيل لسهل بن عبد الله ما القوت قال الله قيل له سألناك عن قوت الاشباح قال الله فلما ألحوا عليه قال ما لكم وها دع الديار الى مالكها ان شاء عمرها وان شاء خربها

﴿وصل فى النصاب بالاعتبار﴾

وأما النصاب فى الاعضاء فهو أن تتجاوز فى كل عضو من الاوّل الى الثانى ولكن من الاوّل المعفوّ عنه لا من الاول المندوب فان الاول المعفوّ عنه لازكاة فيه فانه لله والثانى لك ففيه الزكاة ولابدّ سواء كان فى النظرة الاولى أو السماع الاول أو اللفظة الاولى أو البطشة الاولى أو السعى الاول أو الخاطر الاول والجامع كل حركة لعضو لا قصد له فيها فلا زكاة عليه فاذا

كانت الثانية التالية لها فانها لاتكون الا نفسية عن قصد فوجبت الزكاة أى طهارتها والزكاة فيها هى التوبة منها لاغير فلتلحق بالحركة الاولى فى الطهارة من أجل التوبة والتوبة زكاتها هذا حد النصاب فيما تجب فيه الزكاة من جميع ما تجب فيه الزكاة ولا حاجة لتعدادها فى الحكم الظاهر المشروع فى تلك الاصناف لان المقصود الاعتبار وقد بان فاكتفينا بذلك عن تفصيله وقد تقدم اعتبار وقت الزكاة وبقى لنا اعتبار من أخرج الزكاة قبل وقتها فان قوما منعوا من ذلك وبه أقول وأجازه بعضهم (اعتباره) تطهير المحل للخاطر قبل وقوعه بالاستعداد له مع علمه بما يخطر له من جهة الكشف الذى هو عليه فان قطع بحضوره ولا بد لم يجزه فانه راجع الى الطهارة الاولى واذا وقع فلا بد من طهارة لوقوعه بلاشك فلا يتعدى بالامور أوقاتها فان الحكم للوقت ومن أخرجها قبل الوقت فقد عطل حكم الوقت

﴿وصل فى ذكر من تجب لهم الصدقة﴾

وهم الثمانية الذين ذكر الله فى القرآن الفقراء والمساكين والعاملون عليها والمؤلفة قلوبهم والرقاب والغارمون والمجاهدون وابن السبيل اعتبارهم الاعضاء المذكورة تخرج الزكاة من أفعالها وترد على أعيانها وهو المعبر عنه بثوابها فى أفعال هذه الاعضاء الزكاة وعلى أعيانها تقسم الزكاة فمن زكى نظره بنفسه أعطى الزكاة بصره فعاد يبصر بربه بعد ما كان يبصر بنفسه وكذلك من زكى سمعه بنفسه أعطى الزكاة سمعه فصار يسمع بربه وهو قوله كنت سمعه وبصره وكذلك يتكلم ويبطش ويسعى كل ذلك بربه ويتقلب فى أموره كلها بربه ﴿وصل﴾ فى تعيين الاصناف الثمانية الذين تقسم الزكاة عليهم اعتبارا فنهم الفقراء قال الله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله يقول فرضها الله لهؤلاء المذكورين فلا يجوز أن تعطى الى سواهم وفى اعطائها الصنف الواحد خلاف والذى أذهب اليه أنه من وجد من هؤلاء الاصناف قسمت عليهم الصدقة بحسب ما يوجد منهم لكن على الاصناف لا على الاشخاص ولو لم يوجد من صنف منهم الا شخص واحد دفع اليه قسم ذلك الصنف وان وجد من الصنف أكثر من شخص واحد قسم على الموجودين منه ما تعين لذلك الصنف قل الاشخاص أو كثروا وكذلك العامل عليها اقسمه فى ذلك البلد بحسب ما يوجد من الاصناف فان وجد الكل فلكل صنف ثمن الصدقة الى سبع وسدس وخمس وربع وثلث ونصف وللكل ثم انا نقدم من قدم الله بالذكر فى العطاء وكذلك أفعل هنا فى تعيينهم فى هذا الباب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاء فى حجة وداعه الى السعى بين الصفا والمروة تلا قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله ابدأ بما بدأ الله به وحدثنى بحكاية فى هذا بعض أشياخنا قال أراد رجل من أهل الخير وان الحج فبقى يتردد هل يمشى فى البحر أو فى البر وما ترجح عنده واحد منهما فقال اسأل أول رجل اجتمع به حيث ما قال لى سلكت ذلك الطريق قال فأول من لقيه يهودى خمار فى أمره هل اسأله فعزم على سؤاله فشاوره فقال له يامسلم أليس الله يقول هو الذى يسيركم فى البر والبحر فقدم البر فقدم ما قدم الله وهذا هو الطريق نبدأ بما بدأ الله به ونقدم ما قدم الله فانه من التزم ذلك رأى خيرا فى حركاته (اعتبار الفقير) الذى يجب اعطاء الصدقة له لانه يجب عليه أخذها عند أهل الطريق الا عندنا فانه واجب عليه أخذها اذا أعطيته ولا يسألها أصلا ولو تحقق بالعبودية أسنى مرتبة فيها وجاءته أخذها فان الزكاة وان كانت لهؤلاء الاصناف فانها حق الله فى هذه الاموال وللعبد أن يأكل من مال سيده فانه حقه وانما حرمت على أهل البيت تخصيصا لهذه الاضافة وسواء تحققوا بالعبودية أو لم يتحققوا فلو كان ذلك للتحقق بالعبودية ما حرمت الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان على قدمه الامر وليس كذلك فأهل الله أولى من تصرف فى حقوق الله ثم نرجع فنقول الفقير عندنا الذى ليس وراءه مرتبة للفقر هو الذى يفتقر الى كل شئ ولا يفتقر اليه شئ والى الآن فما رأيت احدا تحقق بهذه الصفة يقول الله تعالى من باب الغيرة الالهية يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله فقد كنى عن نفسه فى هذه الآية بكل ما يفتقر اليه والله هو الغنى الحميد فما افتقر فقير الا الى الله عرف ذلك هذا الشخص أو لم يعرفه فان الفقير الالهى يرى الحق عين كل شئ وهو فى عبوديته منغمس مغمور حين رأى الله

تسمى له باسم كل شئ يفتقر اليه ومافى الوجود شئ الا ويفتقر اليه مفتقر ما من جميع الاشياء ولا يفتقر اليه شئ لوقوف هذا الفقير عند هذه الآية يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد فتحقق بهذه الآية فأوجب الله الطهارة والزكاة حيث تأدب مع الله وعلم ما أراد الله بهذه الآية فانها من أعظم آية وردت فى القرآن للعلماء بالله الذين فهموا عن الله فلم يظهر عليه صفة غنى بالله ولا بغير الله فيفتقر اليه من ذلك الوجه فصح له مطلق الفقر فكان الله غناه بما هو من الاغنياء بالله فان الغنى بالله من افتقر اليه الخلق وزهاء ليهم بغناه بربه فذلك لا يجب له أن يأخذ هذه الزكاة فما قدم الحق الفقراء بالذكر وفوقهم من هو أشد حاجة منهم لا مسكين ولا غيره فان الفقير هو الذى انكسر فقار ظهره فلا يقدر على أن يقيم ظهره وصلبه فلا حظ له فى القيومية أبدا بل لا يزال مطاطئ الرأس لانكساره فافهم هذه الاشارة والمساكين المسكين من السكون وهو ضد الحركة والموت سكون فاذا تحرك الميت فبتحريك غيره اياه لا بنفسه فالمسكين من يدبره غيره فلهذا فرض الله له ان يعطى الزكاة ولا يقال فيه انه آخذها وهو لا يتصف بالحاجة ولا بعدم الحاجة ولهذا قلنا فى الفقير انه مافوقه من هو أشد حاجة منه فان المسكين هو عين المسلم المفوض أمره الى الله عن غير اختيار منه بل الكشف أعطاه ذلك ولهذا ألحقناه بالميت فالمسكين كالارض التى جعلها الله لنا ذلولا فى ذل ذلة ذاتية تحت عز كل عزيز كان من كان فذلك المسكين لتحققه ان العزة لله وان عزته هى الظاهرة فى كل عزيز وهذه معرفة نبوية يقول تعالى اما من استغنى فأنت له تصدى فعند المحققين ضميره لله وان كانت الآية جاءت عتابا ولكن فى حق فهم العرب ونحن مع شهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وذوقه ومرتبته فان العارفين منا ولهم هذا المقام حسنة من حسنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تبالى بذلك العزيز فنقول انه عن أشقاه الله بعزه فان هذا المسكين ماذل الا للصفة وهذه الصفة لا تكون الا لله عنده حقيقة لم تدنسها الاستعارة قط فهذا المسكين لم ير بعينه الا الله اذ كان لا يرى العزة الا عزته تعالى لا بعينه ولا بقلبه ونظر الى ذلة كل ما سواه تعالى بالعين التى ينبغى أن ينظر اليهم بها فتخيل المخلوق الموصوف عند نفسه بالعزة انه ذل هذا المسكين لعزه وانما كان ذلك للعز خاصة والعز ليس الا لله فوفى المقام حقه فثل هذا هو المسكين الذى يتعين له اعطاء الصدقة والعاملين عليها العامل المرشد الى معرفة هذه المعانى والمبين لحقائقها والمعلم والاستاذ والدال عليها وهو الجامع لها بعلمه من كل من تجب عليه فله منها على قدر عمالته وليس الامر فى حقه منها الا كما قدمناه والاولى بالمرشد أن يقول ما قالت الرسل ان أجرى الا على الله فقد يكون هذا القدر الذى لهم من الزكاة الالهية فلهم أخذ زكاة الاعتبار لا زكاة المال فان الصدقة الظاهرة على الانبياء حرام لانهم عبيد والعبد لا يأخذ الصدقة من حيث ما تنسب الى الخلق فاعلم ذلك والمؤلفة قلوبهم فهم الذين تألفهم الاحسان على حب المحسن لان القلوب تتقلب فتألفها هو أن تتقلب فى جميع الامور كما تعطى حقائقها ولكن لعين واحدة وهى عين الله فهذا تألفها عليه لا تملكها عيون متفرقة لتفرق الامور التى تتقلب فيها فان الجداول اذا كانت ترجع الى عين واحدة فينبغى مراعاة تلك العين والتألف بها فانه ان أخذته الغفلة عنها ومسكت تلك العين ماءها لم تنفعه الجداول بل يبست وذهب عينها واذا راعى العين وتألف بها تبحرت جداولها واتسعت مذانبها وفى الرقاب فهم الذين يطلبون الحرية من رق كل ما سوى الله فان الاسباب قد استرقت رقاب العالم حتى لا يعرفوا سواها وأعلاهم فى الرق الذين استرقتهم الاسماء الالهية وليس أعلى من هذا الاسترقاق الا استرقاق أحدية السبب الاول من كونه سببا لا من حيث ذاته ومع هذا فينبغى لهم أن لا تسترقهم الاسماء لغلبة نظرهم الى أحدية الذات من كونها ذاتا لا من كونها الها ففى مثل هذه الرقاب تخرج الزكاة والغارمين هم الذين أقرضوا الله قرضا حسنا عن أمره وهو قوله عز وجل آمرا أقرضوا الله قرضا حسنا عطف على أمرين واجبين وهما قوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وثلث بقوله وأقرضوا الله قرضا حسنا فالقرض ثالث ثلاثة ولكن ما عين ما تقرضه كما لم يعين ما تزكيه كما لم يعين صلاة بعينها فعمت كل صلاة أمرنا باقامتها وكل زكاة وكل قرض الا انه نعت قرضا بقوله حسنا مع تأكيده بالمصدر وسبب ذلك ان الصلاة والزكاة العبد فيهما عبد اضطرار وفى القرض عبد اختيار فمن الناس من أقرض الله قرض اختيار وهو الذى لم يبلغه الامر به وبلغه ان تقرضوا الله أو قوله من ذا

الذى يقرض الله قرضا حسنا فيأخذ الزكاة الغارم الاول الذى أعطى على الوجوب الصدقة بحكم الوجوب أى انها تجب له ويأخذها الثانى باختيار المصدق حيث ميزه دون غيره ولا سيما فى مذهب من يرى فى عدد هؤلاء الاصناف انه حصر المصرف فى هؤلاء المذكورين أى لا يجوز أن تعطى لغيرهم فاذا أعطيت لصنف منهم دون صنف فقد برئت الذمة وهى مسئلة خلاف فهذا القرض بآية من ذا الذى يقرض الله وان تقرضوا الله لا يأخذها بحكم الوجوب والمقرض بآية الامر يأخذها بحكم الوجوب لان المأمور أدّى واجبا فجزاؤه واجب وكان حقا علينا نصر المؤمنين فان الايمان واجب فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون وهذه كلها واجبات فأوجب الجزاء بالرحمة لهم بلا شك وفى سبيل الله فيمكن ان يريد المجاهدين والانفاق منها فى الجهاد فان العرف فى سبيل الله عند الشرع هو الجهاد وهو الاظهر فى هذه الآية مع انه يمكن ان يريد بسبيل الله سبل الخير كلها المقربة الى الله فأما هذا الصنف بحكم ما يقتضيه الطريق فسبيل الله ما يعطيه هذا الاسم الذى هو الله دون غيره من الاسماء الحسنى الالهية فيخرجها فيما تطلبه مكارم الاخلاق من غير اعتبار صنف من أصناف المخلوقين كرزق الله عباده بل ما تقتضيه المصلحة العامة لكل انسان بل لكل حيوان ونبات حتى الشجرة يراها تموت عطشا فيكون عنده بما يشترى لها ما يسقيها به من مال الزكاة فيسقيها بذلك فانه من سبيل الله ولا قائل بهذا وان أراد المجاهدين فالمجاهدون معلومون بالعرف من هم والمجاهدون أنفسهم أيضا فى سبيل الله فيعاونون بذلك على جهاد أنفسهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر يريد جهاد النفوس ومخالفتها فى أغراضها الصارفة عن طريق الله تعالى وابن السبيل وأبناء السبيل معلومون وهم فى الاعتبار أبناء طريق الله لان الالف واللام للتعريف فهما بدل من الاضافة ونصيب هؤلاء من الزكاة التى هى الطهارة الالهية التى ذكرناها فيما قبل ﴿وصل متمم﴾ ثم لتعلم وفقك الله ان الامور التى يتصرّف فيها الانسان حقوق الله كلها غير أن هذه الحقوق وان كانت كثيرة فانها بوجه ما منحصرة فى قسمين قسم منهما حق الخلق لله وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان لنفسك عليك حقا ولعينك عليك حقا ولزورك عليك حقا والقسم الآخر حق الله لله وهو قوله صلى الله عليه وسلم لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى وهذا الحق الذى لله هو زكاة الحقوق التى للخلق لله وهذه الحقوق بجملتها فى ثمانية أصناف العلم والعمل وهما بمنزلة الذهب والفضة ومن الحيوان الروح والنفس والجسم فى مقابلة الغنم والبقر والابل ومن النبات الحنطة والشعير والتمر وفى الاعتبار ما تنبته الارواح والنفوس والجوارح من العلوم والخواطر والاعمال الغنم للروح والبقر للنفس والابل للجسم وانما جعلنا الغنم للارواح لان الله جعل الكبش قيمة روح نبىّ مكرّم فقال وفديناه بذبح عظيم فعظمه وجعله فداء ولد ابراهيم نبىّ ابن نبىّ فليس فى الحيوان بهذا الاعتبار أرفع درجة من الغنم وهى ضحايا هذه الامة الا تراها أيضا قد جعلت حق الله فى الابل وهو فى كل خمس ذود شاة وجعلت مائة من الابل فداء نفس ليس برسول ولا نبىّ فانظر أين مرتبة الغنم من مرتبة الابل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بالصلاة فى مرابض الغنم والصلاة قربة الى الله وأماكنها مساجد الله فرابض الغنم من مساجد الله فلها درجة القربة والابل ليست لها هذه المرتبة وان كانت أعظم خلقا ولهذا جعلناها للاجسام ألا ترى انه من أسمائها البدنة والجسم يسمى البدن والبدن من عالم الطبيعة والطبيعة بينها وبين الله درجتان من العالم وهما النفس والعقل فهى فى ثالث درجة من القربة فهى بعيدة عن القرب الالهىّ ألا ترى النبىّ صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة فى معاطن الابل وعلل ذلك بكونها شياطين والشيطنة البعد يقال ركية شطون اذا كانت بعيدة القعر والصلاة قرب من الله والبعد يناقض القرب فنهى عن الصلاة فى معاطن الابل لما فيها من البعد وكذلك الجسم الطبيعى أين هو من درجة القربة التى للروح وهو العقل فانه الموجود الاوّل وهو المنفوخ منه فى قوله ونفخت فيه من روحى فلهذا جعلنا الروح بمنزلة الكبش والجسم بمنزلة الابل وأما كون البقر فى مقابلة النفوس وهى دون الغنم فى الرتبة وفوق الابل كالنفس فوق الجسم ودون العقل الذى هو الروح الالهىّ وذلك ان بنى اسرائيل لما قتلوا نفسا وتدافعوا فيها أمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا الميت ببعضها فيحيى باذن الله فلما حيى

به

به نفس الميت عرفنا ان بينها و بين النفس نسبة فجعلناها للنفس ثم ان الروح الذي هو العقل يظهر عنه مما زرع الله فيه من العلوم والحكم والاسرار مالا يعلمه الا الله وهذه العلوم كلها منها ما يتعلق بالكون ومنها ما يتعلق بالله وهو بمنزلة الزكاة من الحنطة لانها أرفع الحبوب وان النفس يظهر عنها مما زرع الله فيها من الخواطر والشهوات مالا يعلمه الا الله تعالى فهذه انباتها وهو بمنزلة التمر وزكاة الله منها الخاطر الاول ومن الشهوات الشهوة التي تكون لاجل الله وانما قرناها بالتمر لان النخلة هي عمتنا فهي من العقل بمنزلة النخلة من آدم فانها خلقت من بقية طينته وأما الجوارح فزرع الله فيها الاعمال كلها فأنبتت الاعمال وحظ الزكاة منها الاعمال المشروعة التي يرى الله فيها فهذه ثمانية أصناف تجب فيها الزكاة فأما العلم الذي هو بمنزلة الذهب فيجب فيها ما يجب في الذهب وأما العمل الذي هو بمنزلة الفضة فيجب فيه ما يجب في الورق وأما الروح فيجب فيه ما يجب في الغنم وأما النفس فيجب فيها ما يجب في البقر وأما الجوارح فيجب فيها ما يجب في الابل وأما ما ينتجه العقل من المعارف وينبته من الاسرار فيجب فيها ما يجب في الحنطة وأما ما تنتجه النفس من الشهوات والخواطر وتنبته من الواردات فيجب فيه ما يجب في التمر وأما ما تنتجه الجوارح من الاعمال وتنبته من صور الطاعات وغيرها فيجب فيه ما يجب في الشعير ﴿وصل في اعتبار الاقوات بالاوقات﴾ اعلم أن الاوقات في طريق الله للعلماء العاملين بمنزلة الاقوات لصالح الاجسام الطبيعية وكما أن بعض الاقوات هو زكاة ذلك الصنف كذلك الوقت الالهي هو زكاة الاوقات الكيانية فان في الوقت أغذية الارواح كما ان في الاقوات أغذية الاشباح الحيوانية والنباتية وغذاء الجوارح الاعمال والعلم والعمل معدنان بوجودهما تنال المقاصد الالهية في الدنيا والآخرة كما ان بالذهب والفضة تنال جميع المقاصد من الاعراض والاغراض فلنبين ما يتعلق بهذا النوع وهذه الانواع من حق الله الذي هو الزكاة ﴿وصل في مقابلة وموازنة الاصناف الذين تجب لهم الزكاة بالاعضاء المكلفة من الانسان﴾ وهم الفقراء يوازنهم من الاعضاء الفرج ويوازن المساكين البطن ويوازن العاملين القلب ويوازن المؤلفة قلوبهم بالسمع ويوازن الرقاب بالبصر ويوازن الغارمين باليد ويوازن المجاهدين باللسان ويوازن ابن السبيل بالرجل فان اعتبرت هذه الموازنة بين هؤلاء الاصناف وبين هذه الاعضاء على ما ذكرناه تجد حكمة ما أشرنا اليه فالفقر في الفرج واضح وكذلك المسكنة في البطن ظاهر والعامل بالقلب صريح والمؤلفة قلوبهم بالسمع بين والرقاب بالبصر واقع والغارم باليد افصاح والمجاهد باللسان صحيح وابن السبيل بالرجل أوضح من الكل

﴿وصل في معرفة المقدار كيلا ووزنا وعددا﴾

خرّج مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس في حب ولا تمر صدقة حتى يبلغ خمسة أوسق ولا فيما دون خمس ذود صدقة ولا فيما دون خمس أواق صدقة يريد من الورق فجعل الوسق في الحبوب وهي النبات وهو مكيال معروف وهو ستون صاعا فالخمسة الاوسق ثلاثمائة صاع وهو ما ينبته التخلق بالاسماء أعني الاخلاق الالهية من الاخلاق في الانسان لانا قد روينا ان لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها دخل الجنة وكلها أخلاق يصرفها الانسان مع المخلوقات ومع من ينبغي ان تصرف معه على حد أمر الله والزكاة منها هو الخلق الذي يصرفه مع الله فانه أولى من يتخلق معه فانه من المحال ان يبلغ الانسان بأخلاقه مرضاة العالم وايثار جناب الله أولى وهو أن يتخلق مع كل صنف بالخلق الالهي الذي صرفه الله معه فيكون موافقا للحق وقوله ولا فيما دون خمس ذود صدقة فهذا من عدد الاعيان ولا ينعت بالعين الا العمل لا العلم فان مقدار العلم معنوي ومقدار العمل حسي ولا فيما دون خمس أواق صدقة والاوقية أربعون درهما والاربعون في الاوقية نظير الاربعين صباحا من أخلصها ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فاذا ظهرت من العبد في خمسة أحوال كما هي في الزكاة خمس أواق حال في ظاهره له أوقية وهو اخلاص ظاهره وحال في باطنه مثله وحال في حده مثله وحال في مطلعه مثله وحال في المجموع مثله فهذه خمسة أحوال مضروبة في أربعين يكون الخارج مائتين وهو حد النصاب فيها خمسة دراهم من كل أربعين درهما درهم وهو ما يتعلق بكل أربعين من التوحيد المناسب لذلك النوع ومقادير المعاني والارواح اقدار من قوله وما قدروا

الله حق قدره ومقادير المحسوسات من الاعمال أوزان و بالاوزان عرفت الاقدار

﴿وصل في توقيت ماسقي بالنضح ومالم يسق به﴾

ذكر البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سقي بالنضح نصف العشر ومالم يسق بالنضح العشر (واعتباره) اعمال المراد واعمال المريد فالمريد مع نفسه لربه فيجب عليه نصف العشر وهو ان يزكي من عمله ماظهرت فيه نفسه والمراد مع ربه لامع نفسه فيجب عليه العشر وهو نفسه كله فانه لانفس له لرفع التعب عنه وكذلك اعتباره في العلم الموهوب والعلم المكتسب لم يخلص لله منه الانصفه والموهوب كله لله والكل عبارة عن قدر الزكاة لاغير وهو ماينسب الى الله من ذلك العلم أو العمل ومانيسب الى العبد من حيث حضور العبد مع نفسه في ذلك العلم أو العمل

﴿وصل في اخراج الزكاة من غير جنس المزكي﴾

في كل خمس ذود من الابل شاة (اعتباره) ألا لله الدين الخالص فزكاة الاعمال الاخلاص والاخلاص ليس بعمل لافتقاره الى الاخلاص وهو النية

﴿وصل في فصل الخليطين في الزكاة﴾

ذكر الدارقطني عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخليطان مااجتمعا على الحوض والراعي والفحل ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى فالمعاونة في الشيء اشتراك فيه وهذا معنى الخليطين فالحوض كل عمل أو علم يؤدي الى حياة القلوب فيستعينا عليه بحسب مايحتاج كل واحد منهما من صاحبه فيه وهو في الانسان القلب والجارحة خليطان فالجارحة تعين القلب بالعمل والقلب يعين الجارحة بالاخلاص فهما خليطان فيما شرعا فيه من عمل أو طلب علم وأما الراعي فهو المعنى الحافظ لذلك العمل وهو الحضور والاستحضار مثل الصلاة لايمكن أن يصرف وجهه الى غير القبلة ولايمكن أن يقصد بتلك العبادة غير ربه وهذا هو الحفظ لتلك العبادة والقلب والحس خليطان فيه وأما الفحل فهو السبب الموجب لما ينتجه ذلك العلم أو العمل عند الله من القبول والثواب فهما شريكان في الاجر فتأخذ النفس مايليق بها مما يعطيه العلم و يأخذ الحس الذي للجسم مايليق به من حسن الصورة في الدار الآخرة والمعنى الذي أنتجهما هذا هو الفحل وهما فيه خليطان

﴿وصل فيما لاصدقة فيه من العمل﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس في العوامل صدقة ولا في الجبهة صدقة خرج هذا الحديث الدارقطني عن علي رضي الله عنه والعوامل هي الابل التي يعمل عليها والجبهة الخيل وقد تقدم كلام الزكاة في الخيل ﴿وصل﴾ الاعتبار في ذلك الهيا كل عوامل الارواح لانها عليها تعمل ما كلفت من العمل و بها يقع العمل منها ولازكاة على العامل في بدنه وانما الزكاة على الروح العامل بها وزكاته قصده وتقواه وهو الاخلاص لله في ذلك العمل قال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم

﴿وصل في فصل اخراج الزكاة من الجنس﴾

خرج أبو داود عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى اليمن فقال خذ الحب من الحب والشاة من الغنم والبعير من الابل والبقر من البقر ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ زكاة الظاهر ماقيده به الشرع من الاعمال الواجبة التي لها شبه في المندوب ففريضة الصلاة زكاة النوافل من الصلاة فانها الواجبة أو صلاة ينذرها الانسان على نفسه أو أي عبادة كانت وكذلك في الباطن زكاة من جنسه وهو ان يكون الباعث له على العبادة خوف أو طمع والزكاة في الباعث الباطن من ذلك ان تكون ماتستحقه الربوبية من امتثال أمرها ونهيها الارغبة ولارهبة الاوقاص

﴿وصل في ذكر مالا يؤخذ في الصدقة﴾

ذكر أبو داود في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤخذ في الصدقة هرمة ولاذات عوار ولاتيس الغنم الاأن يشاء المصدق ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ الهرمة مثل قوله تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقال ليصل أحدكم

نشاطه ولا ذات عوار وهو العمل بغير نية أو نية بغير عمل مع التمكن من العمل وارتفاع المانع وأما مشيئة المصدق في تيس الغنم فاعتباره أن لا يجحف على صاحب المال وهو الحضور في العمل من أوله الى آخره فرب ما يقول لا يقبل العمل الا هكذا او يكفي في العمل النية في أول الشروع ولا يكلف المكلف أكثر من هذا فان استحضر المكلف النية في جميع العمل فله ذلك وهو مشكور عليه حيث أحسن في عمله وأتى بالا نفس في ذلك والجامع لهذا الباب اتقاء ما يشين العبادات مثل الالتفات في الصلاة والعبث فيها والتحدث في الصلاة في النفس بالمحرّمات والمكروهات وتخيلها وأمثال هذا مما هو مثل الجعرور ولون الحبيق في زكاة التمر وأمثال ذلك من العيوب

﴿وصل في فصل زكاة الورق﴾

قد تقدم ان الورق هو العمل وان الذهب هو العلم والزكاة في العمل الفرض منه والزكاة في العلم أيضا الفرض منه فان نوافل الاعمال والعلوم كثيرة وهي التي زكاتها الفرائض لكون الزكاة واجبة وما كان من النوافل صدقة تطوع فهي حضور العبد في ذلك العمل من الشروع فيه الى آخره وزكاة أخرى أعني زكاة تطوع وهو ان يقصد بعمله ذلك تكملة الفرائض فانه ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فان كانت تامة كتبت له تامة وان كان انتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبدي من تطوع فان كان له تطوع قال الله اكملوا لعبدي فريضته من تطوعه قال ثم تؤخذ الاعمال على ذاكم يعني الزكاة والصوم والحج وما بقي من الاعمال الواجبة عليه فاما ان يقصد بعمله تلك النافلة تكملة الفرائض أو تعظيم جناب الحق بدخوله في عبودية الاختيار لا بعمله على ذلك طمع في جنة ولا خوف من نار

﴿وصل في فصل زكاة الركاز﴾

خرّج مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الركاز الخمس وهو ما يوجد من المال في الارض من دفن الجاهلية أو الكفار ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ ما هو مركوز في طبيعة الانسان هو الركاز وهو حب الرياسة والتقدم على أبناء الجنس وجلب المنافع ودفع المضار والخمس فيه اذا وجد الرياسة في قلبه فليقصد بها اعلاء كلمة الله على كلمة الذين كفروا كما هي في نفس الامر فان في نفس الامر كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى والكفر هنا هو الشرك لا غيره وكما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخيلاء في الحرب في شأن أبي دجانة حين أخذ السيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحقه فمشى به مصلتا خيلاء بين الصفين فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم على تلك الصورة قال هذه مشية يبغضها الله ورسوله الا في هذا الموطن وزكاتها ما ذكرناه من قصد اهانة الكفار والحط من قدرهم واعلاء كلمة الله التي هي الاسلام وعدم المبالاة بالمشركين وكذلك جلب المنافع ودفع المضار فزكاة جلب المنافع ان يقصد بالمنفعة المعونة له على القيام بطاعة الله من نوم أو أكل أو شرب أو راحة أو ادّخار مال وأمثال ذلك واما دفع المضار ان لا يدفعها الا من أجل انها تحول بينه وبين ما يريده من اقامة طاعة الله ودينه وما يؤول اليه من السعادة في الآخرة فذلك خمس ركازها فان قلت كيف يضرّ بدينه فأعني به ان لم يدفع تلك المضرّة عن نفسه والا حالت بينه وبين اداء فرض من فرائض الله أو حالت بينه وبين أسباب الخير فدفعها خمس ركازها ما في جبلتها من دفع مضار لا تؤدّي الى تعطيل فرض تعين عليه اداؤه أو مرغب فيه وقد سئل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن الركاز فقال هو الذهب الذي يخلق الله في الارض يوم خلق السموات والارض يعني المعادن

﴿وصل في فصل من رزقه الله مالا من غير تعمل فيه ولا كسب﴾

ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في حصول مثل هذا المال لا زكاة فيه حتى يحول عليها الحول وهو في يده وجه اعتبار ذلك ما يظهر على العبد من مكارم الاخلاق مما لا يأتيها على جهة القربة الى الله فانه ينتفع بذلك في الدار الآخرة ولا يلزمه ان ينوي بها القربة الى الله ولا بد ولكن بالاخلاف ان نوى بذلك القربة فهو أولى وأفضل في حقه والحديث الوارد في ذلك ما ذكره أبو داود عن ضباعة بنت الزبير قالت ذهب المقداد لحاجته فاذا جرذ يخرج من

جعفر دينارا ثم لم يزل يخرج دينارا دينارا حتى أخرج سبعة عشر دينارا ثم أخرج دينارا ثم أخرج خرقة حمراء فيها دينار فكانت تسعة عشر دينارا فذهب بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وقال له خذ صدقتها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل قربت الجحر قال لا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيها

﴿وصل في فصل زكاة المدبر﴾

قال الراوي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نخرج الصدقة مما نعده للبيع ﴿وصل في الاعتبار فيه﴾ اذا حدث الانسان نفسه في نفسه بأن يعمل خيرا أو يأتي خلقا كريما من مكارم الاخلاق فلينو بما احدث به نفسه من ذلك القربة الى الله

﴿وصل في فصل الصدقة قبل وقتها﴾

وقال به بعض الائمة لحديث أبي داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان العباس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعجيل صدقته قبل أن تحل فرخص له وقال مرة فأذن له تكلم في هذا الحديث ولو صح فهي رخصة في قضية عين لا يقاس عليها ﴿وصل في اعتبار ذلك﴾ نية الصلاة الواجبة على المكلف لا تجب الا عند الشروع فيها فان نواها الانسان قبل ذلك من حين شروعه في الوضوء ثم استصحب النية الى أن شرع في الصلاة جازله ذلك وحصل على خير كثير ولكن لا تجزيه الصلاة المقيدة بالوقت قبل دخول الوقت الا في مذهب من يرى الجمع بين الصلاتين في أول الوقت فلا يبعد أن يجوز تعجيل الصدقة والاسترواح في مثل هذا من قوله أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ومثاله أيضا في الاعتبار من جازله النظر الى المخطوبة فامتنع من ذلك حياء من الله وعذرا أن يزيد في النظر على قدر الحاجة فلم يفعل حتى عقد عليها وعندي في النظر الى المخطوبة تقسيم وهو ان كانت المخطوبة من ذرية الانصار ولم ينظر اليها قبل العقد فهو عاص وان نظر الى وجهها قبل العقد كان نظره قربة الى الله وطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم وأما غير الانصارية فلا وان نظر فهو أولى اذا خطب وأما ماذكرناه من الجمع بين الصلاتين اذا ضم الثانية الى الاولى فهو في الباطن أن يجد في البسملة روح الفاتحة والسورة التي يريد قراءتها فان البسملة في كل سورة مفتاحها

﴿وصل في فصل زكاة الفطر﴾

اختلف العلماء في حكم زكاة الفطر فمن قائل انها فرض ومن قائل انها سنة ومن قائل انها منسوخة بالزكاة ﴿اعتبار الفطر﴾ الحمد لله فاطر السموات والارض أولم يروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما والفطر الفتق ومنه كل مولود يولد على الفطرة وأول مافتق الله اسماع المكونات في حال ايجادها وهي حالة تعلق القدرة بين العدم والوجود بقوله كن فتكونوا بأنفسهم عند هذا الخطاب امتثالا لأمر الله وتلك كلمة الحضرة وأول مافتق اسماعهم به وهم في الوجود الاول قوله ألست بربكم فقالوا بلى فهذا خصوص بالبشر والتكوين عموم وأول مافتق به ألسنتهم بقولهم بلى وأول مافتق معي الصائمين ما أكلوه يوم عيد الفطر قبل الخروج الى المصلى وأول مافتق به معي أهل الجنة أكلهم زيادة كبد النون فينبغي للعبد في صدقة الفطر يوم العيد أن الصفة الصمدانية لا تنبغي الا لله تعالى فان الصوم لله لا للعبد وهذه الزكاة فرض على كل انسان حر أو عبد صغيرا وكبير ذكر أو أنثى أن يعرف ما تستحقه الربوبية من صفة الصمدانية ثم انها لا تجزي عندنا الا من التمر والشعير غير ذلك لا يجزي فيها وعند الجمهور من العلماء تجوز من المقتات به وهي مسئلة خلاف والقوت ماتقوم به هذه النشأة الطبيعية وقوت الارواح ماتتغذى به من علوم الكشف أو الايمان خاصة فان بهذا القدر من العلم تقوم نشأة الارواح الناطقة وزكاتها علم الكشف خاصة

﴿وصل في فصل وجوبها على الغني والفقير والحر والعبد والذكر والانثى والصغير والكبير﴾

أوجبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل اثنين صغير أو كبير (اعتباره) متعلم وعالم وقوله حر أو عبد اعتباره من تحرر عن رق الاكوان فكان وقته شهوده كونه سوى اعتقها أو عبدا من كان وقته شهود العبودية من غير نظر

الى الاكوان وقوله ذكرا وأنثى اعتباره فى الذكر العقل وفى الانثى النفس و يعتبر فيهما أيضا فى الذكر الناظر فى العلم الالهى وفى الانثى الناظر فى علم الطبيعة فنسب كل ناظر الى مناسبه من جهة ماهو ناظر فيه وقوله غنى أو فقير اعتباره غنى بالله أو فقير الى الله وقوله صاعا من تمر الصاع أربعة امداد نشأته صاع من أربعة اخلاط لكل ركن أو خلط مد لكمال نشأته روحا وعقلا وجسما ومرتبة ثم شهوده فيها الاربع النسب التى بمضيها ربه فى ايجاد عينه وأصول كونه من حياة وعلم وارادة وقدرة لكل صفة مد ليكون الجملة صاعا اذ بهذه النسب يصح كونه ربا وكونك مربوبا عبد الله تعالى

﴿وصل فى فصل اخراج زكاة الفطر عن كل من يمونه الانسان﴾

ذكر الدارقطنى من حديث ابن عمر رضى الله عنه قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون ﴿وصل الاعتبار فى ذلك﴾ الاستاذ يقصد بالتلميذ فى التربية مالا يعلمه التلميذ حتى يحصل له ماقصد به الشيخ من الفائدة فذلك زكاة تعليمه فان فضل ذلك المنوى يعود على التلميذ فكان التلميذ أعطاه الاستاذ لما يعود عليه من الفضل فقد يفتح على الاستاذ بصدق التلميذ فيما ليس عنده ويشجر فى هذه المسئلة الولى يزكى مال اليتيم الذى فى حجره وتحت نظره

﴿وصل فى فصل اخراجها عن اليهودى والنصرانى﴾

ذكر أبو الحسن الدارقطنى رحمه الله فى كتابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى اخراج زكاة الفطر عن اليهودى والنصرانى (الاعتبار فى ذلك) نية الخير فى العمل فيمن ليس من جنسك يعود فضله عليك وأنا مؤمن بما هو اليهودى والنصرانى به مؤمن بما هو حق فى دينه وفى كتابه من حيث ايمانى بكتابى قال تعالى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله فمن هناك يخرجها عنه فانى ممن أمونه أيضا فان كتابى يتضمن كتابه ودينى يتضمن دينه فدينه وكتابه مندرج فى كتابى ودينى النفس اذا أشركت فى العمل طلب حظها فهى بمنزلة اليهودى والنصرانى الذين يقولان ان عزيرا ابن الله والمسيح ابن الله ويجب على المؤمن اخراج الزكاة عنها وهى بهذه الصفة فان النبى عليه السلام قام الى جنازة يهودية وقال أليست نفسا فهذا اعتبار اخراج الزكاة عن اليهودى والنصرانى هذا اذا اعتبرت المعنى فاذا اعتبرت اشتقاق اللفظ من النصرة والهدى فالزكاة عنهم القصد بها وجه الله لاغير ذلك انتهى الجزء الثانى والحسون

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿وصل فى فصل وقت اخراج زكاة الفطر﴾

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس الى المصلى (الاعتبار فى ذلك) المسارعة فى ايصال الراحات الى المفتقرين اليها وحينئذ يخرج الى المصلى وهو قوله فقدموا بين يدى نجواكم صدقة والمصلى يناجى ربه وهو خارج الى المصلى فذلك خير له وأطهر

﴿وصل فى فصل المتعدى فى الصدقة﴾

قال الراوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال المتعدى فى الصدقة كمانعها خرجه أبو داود (الاعتبار فى ذلك) لنفسك عليك حق ولعينك عليك حق فاذا كلفتها فوق طاقتها أعللتها فأدى ذلك الى تعطيل خير كثير فكنت بمنزلة المانع من الخير فى عين ماتريده من الخير وأنت تعلم أن النفس انما هى بهذه الجوارح فاذا تعطلت الآلات وضعفت عن العمل بحملها الاول على الشدائد من العمل كنت كالمانع عن العمل ولنا فى هذا المعنى

مايفعل الصنع النحرير فى شغل ❊ آلاته أذنت فيه بافساد

والزيادة فى الحد نقص من المحدود

﴿وصل فى فصل زكاة العسل﴾

ذكر الترمذي عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في العسل في كل عشرة أزقاق زق (الاعتبار في ذلك) العلم الذي يأخذه الولي من طريق الوحي مما يتعلق بالغير يجب عليه اذا أعطاه له فانه من أجلهم أعطيه وانما خصصناه بالوحي دون غيره من الصفات اذ صفات تحصيل العلم كثيرة لانا شبهناه بالعسل وهو نتيجة وحي قال تعالى وأوحى ربك الى النحل فزكاته تعليمه

﴿وصل في فصل الزكاة على الاحرار لا على العبيد﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس في مال المكاتب زكاة حتى يعتق ذكره الدارقطني من حديث جابر (الاعتبار في ذلك) كما لا يجوز للعبد أن يأخذ الصدقة قيل ولهذا منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقة لتحققه بعبوديته فلم يخرج منه صلى الله عليه وسلم شيء في حركة ولا سكون يكون به حرا بغفلة ولا بغير غفلة جملة واحدة واجتبى آله عناية به في هذا الحكم فكذلك لا يجب في ماله زكاة حتى يكون حرا فان العبد لا يملك مع سيده وعلة الزكاة على الحر دعوى الملك والعبد لا دعوى له في شيء العبد عين قيمته وهو ثمنه الذي اشترى به فكما لا يتصور في ثمنه دعوى ولا ابابة فيما بيده السيد من التصرف فيه كذلك العبد وكل عبد لم يكن نظره في ثمنه في معاملة سيده فلا تحقق له في عبوديته ولا معرفة له بنفسه هذا مذهب الطائفة بلا خلاف واذا كان العبد مع سيده بهذه المثابة غاب العبد وظهر السيد فان أصل الظهور الدعوى ويكون السيد في هذه الحال يقوم عند الغير بصفة العبد تشريفا للعبد وهو قوله تعالى جعت فلم تطعمني ومرضت فلم تعدني وهما من صفة العبد الجوع والمرض وكذا قال الله في الجواب مرض فلان فلم تعده فلو عدته لوجدتني عنده فالله عند عبد هذه صفته والعبد اذا كانت هذه صفته كان عند ربه فافهم

﴿وصل في فصل أين تؤخذ الصدقات﴾

خرج أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدقة لا تؤخذ الا في دورهم (اعتباره) دار الانسان جسمه وأخذ الصدقات من الارواح الانسانية انما هو في الدار الآخرة فلا بد من حشر الاجسام فانه لا تؤخذ الصدقات عن وجبت عليه الا في داره وليس للارواح الاناسي ديار الا أجسامهم

﴿وصل في فصل أخذ الامام شطر مال من لا يؤدي زكاة ماله بعد أخذ الزكاة منه﴾

ذكر أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث أخذ الزكاة ومن منعها فانا آخذها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا الحديث (اعتباره) ما يملكه الانسان من أعماله ينقسم قسمين قسم يختص بنفسه وقسم يختص بجوارحه والزكاة التي تجب عليه في عمله هو ما فرض الله عليه من أعماله مندوبها ومباحها فاذا لم يؤد زكاة ماله نظر الله في أعماله التي عملها في الوقت الذي وجب عليه فيه أداء فرض الله فان كان من مكارم الاخلاق لم يجازه عليها بما يستحقه من الثواب ومسك ذلك الثواب عنه عن زكاة عمل وقته وان كان من سفسافها ضاعف عليه الوزر فانه صاحب عمل مذموم في حال تركه لاداء ما وجب عليه فجمع بين أمرين مذمومين عمل وترك وان كان في فعل مباح أخذ بترك الواجب خاصة وأما أخذ شطر عمله فهو الشطر الذي يتصور فيه الدعوى وهو العمل فان التكليف ينقسم الى عمل وترك فالترك لا دعوى فيه فيبقى العمل فيأخذه الحق منه بالحجة بأن الله هو الفاعل لذلك العمل فاذا كوشف بهذا لم يبق له على ما يطلب جزاء اذ الجزاء من كونه عاملا وقد تبين له ان العامل هو الله فيبقى في الحيرة الى ان يمن الله عليه اما بعد العقوبة أو قبل العقوبة فيغفر له فهذا شطر ماله الذي يؤخذ منه في الدار الآخرة حيث يتصور الحساب

﴿وصل في فصل رضى العامل على الصدقة﴾

ذكر الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن أنس قال أتى رجل من بني سليم فقال يا رسول الله اذا أديت الزكاة الى رسولك فقد برئت منها الى الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اذا أديتها الى رسولي فقد برئت منها ولك أجرها واثمها على من بدلها وذكر أبو داود من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيأتيكم ركب مبغضون فاذا جاؤكم فرحبوا بهم وخلوا بينهم وبين ما يبتغون فان عدلوا فلانفسهم وان ظلموا فعليها وارضوهم فان

تمام زكاتكم رضاهم وليدعوا لكم وفى حديثه أيضا عن بشير بن الخصاصية قال فقلنا يارسول الله ان أصحاب الصدقة يعتدون علينا أفنكتم من أموالنا بقدر مايعتدون علينا قال لا (وصل الاعتبار فى ذلك) المصدّق هو الوقت ورضاه ان يوفى له بما يقتضيه حاله بما جاء به وان جاء بشدّة وقهر مثل مايجد الانسان من خاطر فى عمل من الاعمال أى من أعمال الخير الا انه شاق ربما أدّى الى تلف فكان أبو مدين رضى الله عنه يقول فيه الدية على القاتل قال تعالى فى المهاجر ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وصورة التعدّى فيه ان الله قد جعل لنفسك عليك حقا ولعينك عليك حقا فاعتديت عليك فى ذلك وهو قوله فى المصطفين فمنهم ظالم لنفسه فالمتعدى هو الوقت وهو الخاطر الذى يخطر بما خطر وهو المتعدى وهو العادل

﴿وصل فى فصل المسارعة بالصدقة﴾

فان مسلم بن الحجاج ذكر فى صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تصدّقوا فيوشك الرجل يمشى بصدقته فيقول الذى أعطيها لو جئتنا بها بالامس قبلتها وأما الآن فلا حاجة لى بها فلا يجد من يقبلها ﴿وصل الاعتبار فى ذلك﴾ المسارعة بالتوبة وهى من الفرائض فان أخرها الى الاحتضار لم تقبل وهنا مسئلة دقيقة القليل من أصحابنا من يعثر عليها وهى ان المراد قد يكون غير تائب فيكون له كشف من الله عناية به فيكون أوّل مايكشف له ان الله هو خالق كل شئ فلا يرى لنفسه حركة ظاهرة ولا باطنة ولا عملا ولا نية ولا شيأ الا لله ليس بيده من الامر شئ فهل تتصوّر منه توبة فى هذه الحال أم لا وهو يرى انه مسلوب الأفعال وان تاب فهل تقبل توبته مع هذا الكشف أو يكون بمنزلة من تاب بعد طلوع الشمس من مغربها فان شمس الحقيقة قد طلعت له هنا من مغرب قلبه بصحة علمه وهذا من أصعب الاحوال على قلب المراد المجذوب فان قبول التوبة وقبول العمل انما هو مع الحجاب حجاب اضافة العمل اليك وهنا ماخرج شئ عنه حتى يقبله بل هو فى يديه والقبول لا يكون الا من الغير فاعلم ان نسبة الناظر ماهى نسبة العامل فالناظر يقبل من العامل والعامل هو المتصرّف فى هذه الذات التى هى محل ظهور العمل أى عمل كان فتتصوّر التوبة من صاحب هذا الكشف ويكون الله هو التوّاب هنا وهذا أقصى مشهده فليسارع الى الطاعات على أىّ حال كان ولا يتوقف فانّ الانفاس ليست له ولا تكليف الا هنا ويوم القيامة اذ يدعون الى السجود سجود تمييز لا سجود ابتلاء فيتميز فى دعاء الآخرة الى السجود من سجد لله ممن سجد اتقاء ورياء وفى الدنيا لم يتميز لاختلاط الصور

﴿وصل فى فصل ماتتضمنه الصدقة من الاثر فى النسب الالهية وغيرها﴾

فن ذلك قوله تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وخرّج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا فانظر ياأخى كيف جعل هويته خلفا من نفقتك وانك أحييت من تصدّقت عليه فأحياك الله به حياة أبدية لانه ان لم يكن الحق حياتك فلا حياة فان قلت لو كان ذلك النصب الياء ورفع اللام قلنا الهوية عين الذات والهوية تخلف الشئ المتصدق به باسم الحىّ تكون به حياة ذلك المنفق وأسماؤه ليست غيره ولكن هكذا تقع العبارة عنها لما يعقل فى ذلك من اختلاف النسب وكلامنا فى هذه المعانى انما هو مع أصحابنا الذين قد علموا ما نقول ونشير به اليوم على ماتقرّر عندنا فى الاصطلاح فى ذلك فالاجنبىّ لا يقبل اعتراضه ألا ترى الملك يقول اللهم أعط منفقا خلفا مع انه وعد بالخلف ووعده صدق والانفاق هنا من الهلاك والاتلاف أى أتلف ما كان عنده منه ولا خلاء فاجعل مكانه ما يناسب أثره فيمن أتلف من أجله فهو أجر من أحيا ألا ترى الآخر يقول اللهم أعط ممسكا تلفا لان الملائكة لسان خير فيقول هذا الملك اللهم أعط ممسكا ما أعطيت المنفق حتى يتلف ماله مثل صاحبه فكأنه يقول اللهم ارزق الممسك الانفاق حتى ينفق فان كنت لم تقدر فى سابق علمك ان ينفقه باختياره فأتلف ماله حتى تأجره فيه أجر المصاب فأصيب خيرا وأنت قد قلت ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض طوعا وكرها فهذا قد تلف ماله كرها فأعد عليه ثوابا من وجد به راحة وان لم يقصده هذا الذى رزئ فى ماله بالتلف فهذا دعاء له بالخير لا ما يظنه من لا معرفة له بمراتب

الملائكة فان الملك لا يدعو بشر ولا سيما في حق المؤمن بوجوده فكيف بتوحيده فكيف بما جاء من عنده ولا شك ان دعاء الملك مجاب لوجهين الواحد لطهارته والثاني انه دعاء في حق الغير فهو دعاء لصاحب المال بلسان لم يعصه به وهو لسان الملك اذ هذا موجود في لسان بني آدم مع كونهم عصاة الالسنة ولكن قال الله تعالى لموسى عليه السلام ادعني بلسان لم تعصني به فقال وما هو قال دعاء أخيك لك ودعاؤك له فان كل واحد منكما ما عصاني بلسان غيره الذي دعاني به في حقه فما دعاني له الا بلسان طاهر وأضاف الدعاء اليه لان الداعي نائب عن المدعو له ولسان الداعي ما عصى الله به المدعو له ومن ذلك أيضا ما خرجه مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال لي أنفق أنفق عليك فقد أخبر الله تعالى ان انفاقك جعل الحق ينفق عليك فهذا من أثر الصدقة في النسبة الالهية ومن ذلك ما ذكره الترمذي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة تطفئ غضب الرب وتدفع عن ميتة السوء وهو حديث حسن غريب فهذا من أثر الصدقة الدفع واطفاء نار الغضب فان الله يغضب يوم القيامة غضبا لم يغضب قبله مثله وان يغضب بعده مثله على الوجه الذي يليق بجلاله فان الغضب الذي خاطبنا به معلوم بلا شك ولكن نسبته الى الله مجهولة لان الغضب مجهول أو يحمل على ما ينتجه في الغاضب أو يحمل على معنى آخر لا نعلمه نحن اذ لو كان ذلك لخوطبنا بما لا نفهم فلا يكون له أثر فينا ولا يكون موعظة فان المقصود الافهام بما نعلم ولكن انما جهلنا النسبة خاصة لجهلنا بالمنسوب اليه لا بالمنسوب فاعلم ذلك ولقد جرى لبعض شيوخنا من أهل الموازنة بالمغرب الاقصى ان السلطان رفع اليه في حقه أمور يجب قتله بها فأمر باحضاره مقيدا وينادي في الناس أن يحضروا بأجمعهم حتى يسألهم عنه وكان الناس فيه على كلمة واحدة في قتله والقول بما يوجب ذلك وزندقته فمر الشيخ في طريقه برجل يبيع خبزا فقال له أقرضني نصف قرصة فأقرضه فتصدق بها على شخص عابر ثم حمل وأجلس في ذلك الجمع الاعظم والحاكم قد عزم عليه ان شهد فيه الناس بما ذكرعنه انه يقتله شر قتلة وكان الحاكم من أبغض الناس فيه فقال يا أهل مراكش هذا فلان ما تقولون فيه فنطق الكل بلسان واحد انه عدل رضي فتعجب الحاكم فقال له الشيخ لا تعجب فما هي هذه المسئلة ببعيدة أي غضب أعظم غضبك أو غضب الله وغضب النار قال غضب الله وغضب النار قال وأي وقاية أعظم وزنا وقدرا نصف قرصة أو نصف تمرة قال نصف قرصة قال دفعت غضبك وغضب هذا الجمع بنصف رغيف لما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال ان الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء وقد فعل الله ذلك دفع عني شركم وميتة السوء بنصف رغيف مع حقارتكم وعظم صدقتي فان صدقتي أعظم من شق تمرة وغضبكم أقل من غضب النار وغضب الرب فتعجب الحاضرون من قوة ايمانه وأسوأ الموتات أن يموت الانسان على حالة تؤديه الى الشقاء ولا يغضب الله الا على شقي فانظر الى أثر الصدقة كيف أثرت في الغضب الرباني وفي أسوأ الموتات وفي سلطان جهنم فالمتصدق على نفسه عند الغضب ليس الا بأن يملكها عند ذلك فان ملكه اياها عند الغضب صدقة عليها من حيث لا يشعر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد من يملك نفسه عند الغضب فان الغضب نار محرقة فهذا من صدقة الانسان على نفسه ثم ان الله قد ذكر انه لا يغفر لمشرك ومع هذا فان الله يهون عليه بقدر ما أنفق وقد ذكر أبو داود عن عائشة قالت يا رسول الله أين عبد الله بن جدعان قال في النار قال فاشتد عليها فقال يا عائشة ما الذي اشتد عليك قالت كان يطعم الطعام ويصل الرحم قال أما انه يهون عليه بما تقولين فيه انه يخفف عنه بمجرد ما يذكر به من مكارم الاخلاق وقال البخاري في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الكلمة الطيبة صدقة وكل تسبيحة صدقة وكل تهليلة صدقة وغير ذلك من الاذكار والافعال التي تقتضيها مكارم الاخلاق ولقد ذكر مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دينار أنفقته في سبيل الله دينار أنفقته في رقبة دينار تصدقت به على مسكين دينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك

﴿وصل في فصل من أنفق مما يحبه﴾

قال

قال الله عز وجل لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون وكان عبد الله بن عمر يشتري السكر ويتصدق به ويقول اني أحبه عملا بهذه الآية وأحب مال الانسان نفسه فان أنفقها في سبيل الله نال بذلك ما في موازنتها فانه من استهلك شيأ فعليه فجته والحق قد استهلك نفس هذا العبد فانه أمرك بانفاق ما تحب وما لها قيمة عنده الا الجنة ولهذا اذا لم تجد شيأ وجدت الله فانه لا يوجد الا عند عدم الاشياء التي ركن اليها ونفس الانسان هي عين الاشياء كلها وقد هلكت فقيمتها ما ذكرناه فانظر الى فضل الصدقة ما أعلاه

﴿وصل في فصل الاعلان بالصدقة﴾

من الاسم الظاهر والاستفتاح بها من الاسم الاول والتأسي بها من قوله فاتبعوني يحببكم الله ومسئلة الامام الناس لذوي الفاقة اذا وردوا عليه وليس عنده في بيت المال ما يعطيهم هو القلب الخالي من العلم الذي تتعدى منفعته للغير من جوارحه ومن يحسن الظن به فيسأل الاسماء الالهية تعطيه من الاحوال والعلوم ما تستعين بها قواه الظاهرة والباطنة على ما كلفها الله من الاعمال فان الله أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم انه يصبح على كل سلامى كل يوم صدقة وجعل كل تسبيحة صدقة وكل تهليلة صدقة الى غير ذلك وهذه أحوال تحتاج الى نية واخلاص ولا تكون النية الا بعد معرفة من يخلص له وهو الله تعالى فلا بد للامام أن يسأل ما يتصدق به على كل سلامى وعن كل سلامى والقلب مسؤل عن رعيته وهي جميع قواه الظاهرة والباطنة والحديث الجامع النبوي لما قررناه واعتبرناه ما خرجه مسلم عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى بهم ثم خطب فقال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع برّه من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة قال فجاء رجل بصرة من الانصار تكاد كفه تعجز عنها بل عجزت قال ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سنّ في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينتقص من أجورهم شيأ ومن سنّ في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينتقص من أوزارهم شيأ

﴿وصل في فصل شكوى الجوارح الى الله النفس والشيطان بما يلقيان اليهنّ من السوء﴾

أهل الكشف يرون ويسمعون شكوى الجوارح الى الله تعالى من النفس الخبيثة التي تدبر البدن وتصرف الجوارح في السوء بما يلقي اليها الشيطان والنفس من حيث هيكلها النوري تشكو النفس الحيوانية القابلة ما يلقي اليها الشيطان من السوء الذي تصرفه في القوى الظاهرة والباطنة فاذا اصدقوا في شكواهم آمنهم الله مما يخافون ورزقهم قبول ما يلقي اليهم الملك واستعملهم التوفيق بذلك الالقاء في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله حتى تورثه تلك الاعمال مشاهدة الحق تعالى ومناجاته على الكشف والشهود بلا واسطة يخاطبهم خطاب تقرير على نعم وآلاء والعامة العمي من أهل الحروف والرسوم لا يشعرون صم بكم عمي فهم لا يعقلون ولا يسمعون هذه الشكوى لقوة صممهم وطمس عيونهم فلو عملوا بما كلفوا لعلمهم الله مثل هذا العلم ورأوه مشاهدة عين كما يراه وينا له أهل الله تعالى ويقول الله تعالى في حق واحد منهم وعلمناه من لدنا علما واتقوا الله ويعلمكم الله وان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويجعل لكم نورا تمشون به وقد أشار صلى الله عليه وسلم الى ما ذكرناه في حديث يعم ما وقع في الدنيا والاشارة به الى ما ذكرناه وهو ما خرجه البخاري عن أخي جدنا عدي بن حاتم قال بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتى اليه رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتى اليه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال فان طالت بك حياة لترين

الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا الا الله قلت فيما بيني و بين نفسي فأين دعار طيء الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه و بينه ترجمان يترجم له فيقول له ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم و ينظر عن يساره فلا يرى الا جهنم قال عدي سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة الحديث أما قوله لا تخاف أحدا الا الله فهو الخوف الاعظم فانه هو المسلط و بيده ملكوت كل شيء فأين الامان فهذا تنبيه على ادبارنا فان الشخص الذي يكون في مثل هذه الحال هو في أمان في دنياه وفي ماله وعلى نفسه ممن يؤذيه وهذا مقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله هو الذي رزقه الامان في تلك الحال فيخاف من الله مما في غيبه مما لا يعلمه ولا يعلم أوانه ولو كان هذا الملتمس يخاف الله مطلقا لتعلق خوفه على دينه فان سبيل الشيطان الى قلبه ليست آمنة كما أمنت السبيل الظاهرة التي تمر فيها السفار من الناس واذا خاف الله شغله خوفه عن ماله ونفسه ولو لم تكن السبيل آمنة لكان هذا الخائف في أمان فانه لا يخطر له خاطر الا في دينه الذي يخاف عليه أن يسلبه حتى انه لو أصيب في طريقه بتلف مال أو نفس لوقوع لصوص عليه مريبا فرح بذلك واستبشر لما له فيه من الاجر الجزيل المدخر والكفارات وكان حكمه حكم تاجر باع بنسيئة بربح كثير فما أحسن تشبيه النبوة بقوله لا تخاف أحدا الا الله فأين الامان وهو صلى الله عليه وسلم ما ذكر ذلك لعدي الا في ان الامان المعتاد حاصل في ذلك الوقت لما شكا الرجل من قطع السبيل ولكن أدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الامان الخوف من الله لاولي الالباب والنهى ليعم الخطاب العامة بالامان والخاصة بالخوف فهو تبيين أحوال خاصة الله أي كونوا على مثل هذه الحالة في أمنكم خائفين من الله تعالى وهذا من جوامع الكلم لمن نظر واستبصر

﴿وصل في فصل الصدقة على الاقرب فالاقرب ومراعاة الجوار في ذلك﴾

أقرب أهل الشخص اليه نفسه فان الله يقول في قربه من عبده انه أقرب اليه من حبل الوريد فكأنه يقول انه أقرب اليه من نفسه فهي أولى بما يتصدق به من غيرها كما ان الله أولى بالقرض لانه أقرب اليه من نفسه ولكل متصدق عليه صدقة تليق به من المخلوقين ثم جوارحه ثم الاقرب اليه بعد ذلك وهو الاهل ثم الولد ثم الخادم ثم الرحم والجار كما يتصدق على نفسه وطالب الفائدة منه واذا تحقق العارف بربه حتى كان كله نورا وكان الحق سمعه و بصره وجميع قواه كان حقا كله فمن كان أهل الله فانه أهل هذا الشخص الذي هذه صفته بلا شك كما هم أهل القرآن أهل الله وخاصته كذلك من هم أهل الله وخاصته هم أهل هذا الذي ذكرناه فانه حق كله كما قال صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعلني نورا لما رأى الحق سمى نفسه نورا فانه نائب الله في عباده فالمتصدق على أهل الله هو المتصدق على أهله اذا كان المتصدق بهذه المثابة كنت يوما عند شيخنا أبي العباس العريبي باشبيلية جالسا وأردنا أو أراد أحد اعطاء معروف فقال شخص من الجماعة الذي يريد أن يتصدق الاقربون أولى بالمعروف فقال الشيخ من فوره متصلا بكلام القائل الى الله فيا بردها على الكبد والله ما سمعتها في تلك الحالة الا من الله حتى خيل لي انها كذا نزلت في القرآن مما تحققت بها وأشربها قلبي وكذا جميع من حضر فلا ينبغي ان يأكل نعم الله الا أهل الله ولهم خلقت و يأكلها غيرهم بحكم التبعية فهم المقصودون بالنعم ومن عداهم كما قلنا انما يأكلها تبعا بالمجموع ومن حيث التفصيل فما منه جوهر فرد ولا فيه عرض الا وهو يسبح الله فهو من أهل الله فما من العالم من هو خارج عن هذه الاهلية العامة وما فازت الخاصة الا بالاطلاع على هذا كشفا وهذه المسئلة في طريق الله من أغمض المسائل اذ ليس المجموع سوى هذه الاجزاء فالا بعض عين الكل فكل جزء و بعض طائع وليس الكل ولا المجموع بهذه الصفة لكن ما ثم طاعة أحدية الجمع وهي طاعة متميزة عن طاعة مفردات هذا المجموع وقد ورد في خبر في النفقة على الاهل المعلوم في الظاهر المقرر وفضلها ما يكون هذا اعتباره وهو ما خرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم دينارا أنفقته في سبيل الله دينارا أنفقته في رقبة دينار تصدقت به على مسكين دينارا أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك

﴿وصل في فصل صلة أولي الارحام وان الرحم شجنة من الرحمن﴾

افهم رزقك الله الفهم عن الله لما كانت الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله يعني بمن هي شجنة منه ومن قطعها قطعه الله كانت الصدقة على أولي الارحام صدقة وصلة بالرحمن وعلى غير الرحم صدقة تقع بيد الرحمن مافيها صلة بالرحمن هذه الصورة الآدمية خليفة فنزله يعطي ان يكون الخليفة ظاهرا بصورة من استخلفه فمن تصدق على نفسه بما فيه حياتها كانت له صدقة وصلة بالله الذي الرحمن من نعوته فان الله خلق آدم على صورته على خلاف فهم في الضمير قال الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم فوصف الله بالرحمن وخرّج الترمذي عن سلمة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة كلما قويت النسبة عظمت المنزلة هذا عند أصحابنا والامر عندنا ليس كذلك فانه كلما بعدت النسبة عظمت المنزلة ولنا في ذلك

رأيت ربي بعين ربي * فقلت ربي فقال أنت

فيتخيل فيه بعض العارفين ان هذا البيت على النمط الاول وليس كذلك فضمير المتكلم من هذا البيت عين العبد بربه لا بنفسه فتدبر هذا النظم فانه من أعجب المعارف الالهية يحتوي على أسرار عظيمة وعلم كبير

﴿وصل في فصل تصدق الآخذ على المعطي بأخذه منه﴾

النفس تتصدق على العقل بقبولها منه مايلقي اليها اذ بعض النفوس لا تقبل والنفس تتصور نفوس مريديها وهم أيتام لا أم لهم لان نفوسهم ماتت عنهم فليس لهم مدبر الاهذه النفس التي لشيخهم فتتصدق عليهم بما يلقي الله اليها من الروح الالهي اذا كانت في مقام الحال المؤثر بالفعل فتجد نفس المريد أمورا لا يعطيها مقامه ولا حاله خارجة عن كسبه فيتخيل ان الله قد فتح عليه بلا واسطة وذلك الفتح اذا كان من حال نفس هذا الشخص الذي هو الشيخ فان المريد يتيم في حجر الشيخ وله على ذلك أجر عظيم عند الله فانه مامن نبي الا قال في افادته وتبليغه لما قيل له قل ما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على الله فهو تعليم يقتضي الاجر وهذا هو الاجر الذي لا يخرجك عن عبوديتك فأنت العبد في صورة الاجير ما هو أجر الاجير فان الاجير من استؤجر فهو أجنبي والسيد لا يستأجر عبده لكن العمل يقتضي الاجرة ولا يأخذها وانما يأخذها العامل والعامل العبد فهو قابض الاجرة من الله فأشبه الاجير في قبض الاجرة وفارقه بالاستيجار يؤيد ماذكرناه ماخرّجه مسلم في صحيحه عن بلال عن النبي صلى الله عليه وسلم سأله عن صدقة المرأة على زوجها وعلى أيتام في حجرها فقال أجران أجر القرابة وأجر الصدقة

﴿وصل في فصل معرفة من هما أبوا نفس الانسان﴾

المدبرة لجسمه وقواه النفس الجزئية التي هي نفس الانسان هي ولد جسمه الطبيعي فهو أمها والروح الالهي أبوها ولهذا تقول في مناجاتها يارب بنا ورب آبائنا العلويات وامهاتنا السفليات فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي مريم أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا فكان عيسى عليه السلام ولدها وهي أمه الجسم المسوى نفخ فيه من الروح نفسا فالجسم أم والمنفوخ منه أب غير أن هذا الولد كاليتيم الذي لا أب له لان عقله لم يستحكم بالنظر اليه فكأنه لا عقل له فهو بمنزلة الصغير الذي لا أب له يعلمه ويؤدبه فتسوسه نفسه النباتية التي هي جسمه بما خلقها الله عليه من صلاح المزاج فتكون القوى الباطنة والظاهرة في غاية الصفاء والاعتدال فتفيد النفس من العلوم التي هي بمنزلة صدقة المرأة على ولدها اليتيم فيحصل لهذا الشخص من جهة جسمه من العلم الالهي جزاء لما تصدق به على نفسه مالا يقدر قدره الا الله قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم هل لي أجر في بني أبي سلمة أنفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا انما هم بني قال نعم لك فيهم أجر ما أنفقت عليهم خرّجه مسلم في صحيحه

﴿وصل في فصل المتصدق بالحكمة على من هو أهل لها﴾

وهي الصدقة على المحتاجين قال تعالى ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى وقال وأما السائل فلا تنهر يعني السائل عن العلم الانسان يتصدق بالعلم على أهل الله الذين هم أهله الحكمة لا ينبغي أن يتعدى بها أهلها ويجتنب تلك الصدقة عند الله أي لا يرى له فضلا على من علمه ولا تقدما يستدعي بذلك خدمة منه في أدب وتعظيم وتسخير في مقابلة ما أفضل عليه ان فعل ذلك لم يحتسب ذلك عند الله وقد لقينا أشياخا على ذلك وهو طريقنا وقد نبه الشرع عليه في علم الرسوم وعاله فقال ان المسلم اذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة يعني تقع بيد الرحمن خرّج هذا الحديث مسلم عن أبي مسعود البدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿وصل في فصل العلم اللدنيّ والمكتسب﴾

العلم علمان موهوب ومكتسب فالعلم الموهوب لا ميزان له والعلم المكتسب هو ما حصل عن التقوى والعمل الصالح وتدخله الموازنة والتعيين فان كل تقوى وعمل مخصوص له علم خاص لا يكون الا له فمن يتقي الله لله ومن يتقي الله للنار ومن يتقي الله للشيطان ومن يتقي الله ان لا يتقي الله وكل تقوى لها عمل خاص وعلم خاص يحصل ان له هذه التقوى فانفاق الرجل على نفسه الذي له به صدقة هو ما يغذيه بها به من هذه العلوم المكتسبة التي بها حياته الابدية في الدنيا والآخرة وذلك ان كل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ولا معروف الا الله فلا أهل الا أهل الله فالناصح نفسه من وقى عرضه فانه من صدقاته على نفسه ووقاية العرض أن لا يجري عليه من جانب الحق لسان ذمّ لا غير فيكون محمودا بلسان الشرع وبكل لسان الحيّ من ملك وحيوان ونبات ومعدن وفلك وكل ما عدا الثقلين وبعض الثقلين وهل يتصوّر أن يقي عرضه من جميع الثقلين هذا لا يتصوّر لان الاصل الذي هو الله لم يق عرضه من ألسنة خلقه الا انه يمكن أن يرتفع عن العرض واذا أمكن فقد وقى نفسه الذي هو عرضه أن يكون له أثر في نفسه لانه وقى عرضه أن يقال فيه وهو معنى قوله وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه فان أنفق ليثنى محمدا في ألسنة الخلق فهو لما أنفق فان ابتغى اعادة الثناء على الله من حيث انه آل الله فان أنفق في هذا الشان ولا يرى انه المنفق وأنفق في معصية ابليس ولا يرى العصمة والانفاق الامن يد الله فمثل هذا يستثنى في كل انفاق اذا كان هذا حاله وذوقه فلا يجد الثواب على من يعود الاعلى معطيه فيد الله منفقة ويد الرحمن آخذة منها

فيد الله منفقة • ويد الرحمن آخذة
فالتي للجود خالية • والتي للعبد عاطلة
فصلت آياته عجبا • وهي للاعيان واصلة
لو تراها في تقلبها • وهي في الاكوان جائلة
قلت اغراضي تصرّفها • وهي بالبرهان ساكنة

ويؤيد ما ذكرناه ما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما وقى به رجل عرضه فهو صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها الاما كان من نفقة في بنيان أو معصية ذكر هذا الحديث أبو أحمد من حديث جابر قال عبد الحميد وهو الذي روى عنه أبو أحمد قلت لابن المنكدر ما وقى به الرجل عرضه يعني ما معناه قال يعطي الشاعر وذا اللسان

﴿وصل في الفصل بين العبودية والحرّية﴾

اضافة الانسان بالعبودية الى ربه أو الى العبودية أفضل من اضافته بالحرّية الى الغير بأن يقال حرّ عن رق الاغيار فان الحرّية عن الله ما تصح فاذا كان الانسان في مقام الحرّية لم يكن مشهوده الأعيان الاغيار لان بشهودهم تثبت الحرّية عنهم وهو في هذه الحال غائب عن عبوديته وعبودته مع ان مقام العبودية أشرف من مقام الحرّية في حق الانسان والعبودة أشرف من العبودية وقد أشار صلى الله عليه وسلم الى مثل هذا في حديث ميمونة بنت الحارث لما أعتقت وليدة لها في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أعطيتها أخوالك

لكان

لكان أعظم لاجرك فقام العبودية يرجح على ثواب الحرية كما رجح الفقر الى الله على الغنى بالله بعض أشياخنا حدثني عبد الله القافاط بجزيرة طريف سنة تسعين وخمسمائة وقد جرى بيننا الكلام على أفاضلة بين الغني والفقير أعني الغني الشاكر والفقير الصابر وهي مسئلة طبوليه والنحر في ذلك حال الفقر والغنى فقال لي حضرت عند بعض المشايخ أو حكاها لي عن أبي الربيع الكفيف المالقي تلميذ أبي العباس بن العريف الصنهاجي قال لو أن رجلين كان عند كل واحد منهما عشرة دنانير فتصدق أحدهما من العشرة بدينار واحد وتصدق الآخر بتسعة دنانير من العشرة التي عنده أيهما أفضل فقال الحاضرون الذي تصدق بالتسعة فقال بماذا فضله وفقالوا له لانه تصدق بأكثر مما تصدق به صاحبه فقال حسن ولكن نقصكم روح المسئلة وغاب عنكم قيل له وما هو قال فرضناهما على التساوي في المال فالذي تصدق بالاكثر كان دخوله الى الفقر أكثر من صاحبه ففضل بسبقه الى جانب الفقر وهذا لا ينكره من يعرف المقامات والاحوال فان القوم ما وقفوا مع الاجور وانما وقفوا مع الحقائق والاحوال وما يعطيه الكشف وبهذا فضلوا على علماء الرسوم ولو تصدق بالكل وبقي على أصله لاشئ له كان أعلى فنقصه من الدرجة والذوق على قدر ما يمسك به ألا ترى ما قاله شيخنا أبو العباس السبتي رحمه الله في المحتضر يوصي بالثلث فان المحتضر ما يملك من المال الا الثلث فخرج عما يملك وما أبقى شيأ وأجازله الشارع ان يتصدق بالثلث كله الذي يملكه وهو محمود في ذلك شرعا فلقي الله فقيرا على حكم الاصل كما خرج من عنده رجع اليه صفر اليدين قال بعضهم في هذا المعنى

اذا ولد المولود يقبض كفه * دليل على الحرص المركب في الحي

ويبسطها عند الممات مواعظا * ألا فانظروني قد خرجت بلا شئ

فكان أفضل ممن لم يتصدق بذلك الثلث الذي يملكه أو تصدق بأقل من الثلث وينوي بما يبقيه انه صدقة على ورثته وفيه اشارة عجيبة

﴿وصل في فصل فضل من ترك صدقة بعد موته جارية في الناس من مال أو علم﴾

العارف بالله محتضر في نفسه لو أطاق الكلام أفاد الناس علما بربهم وقد عقل لسانه فنقل عنه تلميذ مسئلة في العلم النافع من توحيد وغيره أفادها السامعين الحاضرين فان ذلك العارف المحتضر يجني ثمرتها والتلميذ يجني ثمرة نقله عند الله ويجزي الله بها الميت جزاء وجوب فانها من سعيه يقول الله وأن ليس للانسان الا ما سعى وأفضل ما أكله الرجل من كسبه وان ولده من كسبه والتلميذ ولد ديني بلا شك فما هو من سعي الانسان فهو له عند الله بطريق الايجاب الالهي الذي أوجبه على نفسه وأما ما عمل عنه غيره بحكم النيابة مما لم يؤذن فيه الميت ولا أوصى به ولا له فيه تعمل فان الله يعطيه ذلك المقام اذا وهبه اياه غيره فيأخذه الميت لا من طريق الوجوب الالهي لكن يجب عليه أخذه ولا بد فانه أتاه من غير مسئلة وفي الحديث الصحيح ما أتاك من غير مسئلة فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك وقد وردت من ذلك رائحة في علم الرسوم فيما خرجه مسلم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله ان أمي افلتت نفسها ولم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر ان تصدقت عنها قال نعم

﴿وصل في فصل ما تعطيه النشأة الآخرة﴾

قال الله تعالى كما بدأكم تعودون ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون وبدأنا على غير مثال وعلمنا ذلك كذلك يعيدنا على غير مثال اعلم أن من ثواب الدار الآخرة ونسبة الانسان اليه علم النشأة الآخرة ولم يبعد عليه أن يكون الشخص في أماكن مختلفة في الزمن الواحد وهذا أمر تحيله العقول ويشهد بصحته الكشف فهو محال عقلا وليس بمحال نسبة الهية كل مصل يناجي ربه والانسان مخلوق من حيث حقيقته التي نشأ عليها في الدار الآخرة على الصورة العارف يكون مع كثير من الاسماء الالهية في أحوال مختلفة مع أحدية العين من العارف ومن المسمى ويراه كل انسان بحسب عينه الذي يحب هذا الرجل أن يظهر اليه به فيكون زيد المصلي في حال صلاته يراه عمرو نائما ويراه خالد كاتبا ويراه محمد خائطا ويراه قاسم آكلا والعين واحدة وكل ذلك بالفعل مشهود لكل راء وكل راء في بلد غير بلد صاحبه كما يدخل

فى أى صورة شاء من صور سوق الجنة وما سمعت عن أحد نبه على هذا المقام الاعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى دخوله فى حين واحد من جميع أبواب الجنة الثمانية وعن ذى النون المصرى فى مسائله المشهورة مثل الميت يراه وليمميتا لاحراكبه و يراه الآخر بعينه حيا يسأل فى الآن الواحد اما حديث أبى بكر رضى الله عنه فذكره البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أنفق زوجين من شئ من الاشياء فى سبيل الله دعى من أى أبواب الجنة ياعبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام باب الريان فقال أبو بكر ماعلى هذا الذى يدعى من تلك الابواب من ضرورة وقال هل يدعى منها كلها أحد يارسول الله قال نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر ودعاء الله الناس الى الدخول يوم القيامة دعاء واحد لدخول الجنان فيدخل الواحد من الباب الواحد وآخر من بابين وثلاثة وأعمهم دخولا من دخل من الابواب الثمانية لان أعضاء التكليف ثمانية لكل عضو باب فلا تنكره فى الثواب فى الآن الواحد وأنت تشهده فى العمل من فعل وترك كغاض بصره فى حال استماع موعظة فى حال تلاوة فى حال صيام فى حال تصدق فى حال ورع فى حال تحصين فرج كل ذلك بنية قربة الى الله تعالى وفى كل باب منازل كالايمان بالله بضع وسبعون شعبة أعلاها لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق ولا أذى أعظم من أذى الشرك ولا طريق أعظم من طريق الايمان فختم بمثل مابه بدأ فلا اله الا الله نفى ماسوى الله ممن يدعى أو يدعى فيه الالوهة واماطة الاذى نفى الاذى عن الطريق فاجتمع آخر الدائرة بأولها وانعطف عليها وما بين هذين بقية شعب الايمان ولكل شعبة منزل فى جنة الايمان فمن علم ماقلناه يدخل من أبواب الجنة كلها فى زمان واحد والنشأة الآخرة تعطى هذه الامور كما أعطت النشأة الدنيا جمع شعب الايمان فى الانسان فى زمان واحد ولا يستحيل ذلك

﴿وصل فى فصل اعطاء الطيب من الصدقات عن طيب نفس﴾

واعلم أن الطيب من الصدقات هو أن تتصدق بما تملكه ولا تملك الاما علك أن تملكه عن طيب نفس وأعلى ذلك أن تكون فيه مؤديا أمانة سماها الشارع صدقة بلسان الرسم فتكون يدك يد الله عند الاعطاء ولذا قلنا أمانة فان أمثال هذا لا ينتفع بها خالقها وانما يستحقها من خلقت من أجله وهو المخلوق فهى عند الله من الله أمانة لهذا العبد يؤديها اليه امامنه اليه واما على يد عبد آخر هذا أطيب الصدقات لانها على حد العلم الصحيح خرجت فاذا حصلت فى يد المتصدق عليه أخذها الرحمن بيمينه فان كان المعطى فى نفس هذا العبد حين يعطيها هو الله المعطى فلتكن يده تعلو يد المتصدق عليه وهو السائل ولا بد فان اليد العليا هى يد الله وهى المنفقة وان شاهد هذا المعطى يد الرحمن آخذة منه حين يناولها السائل فتبقى يده من حيث ان المعطى هو الله تعلو على يد الرحمن كما هى فان الرحمن صفة لله ونعت من نعوته ولكن ما أخذها منها عينها وانما ناله منها التقوى المعطى فى اعطائه وأكمل وجوهه ماذكرناه فشهد المعطى ان الله هو المعطى وان الرحمن هو الآخذ وان الرحمة هى المعطى وهى الصدقة فاذا أخذها الرحمن فى يده بيمينه جعل محلها هذا العبد فأعطاه الرحمن اياها فلا يمكن الا ذلك فان الصدقة رحمة فلا يعطيها الا الرحمن بحقيقته وتناولها الله من حيث ماهو موصوف بالرحمن الرحيم لامن حيث مطلق الاسم والصدقة تقع بيد الرحمن قبل أن تقع بيد السائل هكذا جاء الخبر فتسل هذه الصدقة اذا أكلها السائل أثمرت له طاعة وهداية ونورا وعلما وهذا كله هو تربية الرحمن لها فان جميع ما أعطته قوة هذه الصدقة فى نفس السائل مما ذكرناه من طاعة وهداية ونور وعلم يراه فى الآخرة فى ميزانه وفى ميزان من أعطاه وهو المتصدق نائب الله فيقال له هذه ثمرة صدقتك قد عادت بركتها عليك وعلى من تصدقت عليه فان صدقتك على زيد هى عين صدقتك على نفسك فان خيرها عليك يعود وأفضل الصدقات ما يتصدق به الانسان على نفسه فيحضر هذا أيضا المتصدق على أكمل الوجوه فى نفسه فمثل هذه الصدقة لايقال لمعطيها يوم القيامة من أين تصدقت ولا لمن أعطيت فانه بهذه المثابة فان كان الآخذ له فى هذه المرتبة تساويا فى السعادة وفضل المتصدق بدرجة واحدة لاغير وان لم يكن بهذه المثابة فتكون بحيث الصفة التى يقيمه الله فيها فان كانت الصدقة صدقة تطوع فهى متناهية

كونية فان كانت زكاة فرض فهي منة الهية فان كانت نذرا فهي الهية كونية قهرية فان النذر يستخرج به من البخيل وان كانت هذه الاعطية هدية فما هو من هذا الباب فان هذا الباب مخصوص باعطاء ما هو صدقة لا غير فتكبر هذه الصدقة في يد الرحمن حسا ومعنى فالحس منها من حيث ما هي محسوسة فتجدها في الجنة حسية المشهد مرئية بالبصر والمعنى فيها من حيث ما قام به من الكسب الحلال والتقوى فيه والمسارعة بها وطيب النفس بها عند خروجها ومشاهدته ما ذكرناه من الشئون الالهية فيها فيجدها في الكثيب عند المشاهدة العامة ويجدها في كل زمان تمر عليه الموازين لزمان اخراجها وهو في الجنة فيختص من الله بشهود في عين جنته لا يشهده الا من هو بهذه المثابة خرّج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله وكل من نزل في صدقته عن هذه الدرجة التي وصفناها كانت منزلته عند الله بحسب علمه وقصده فالصدقة لا تكون الا من الاسم الغنيّ الشديد ذي القوّة المتين بطريق الامتنان غير طالب الشكر عليها فان اقترن معها طلب الشكر فليست من الاسم الغنيّ بل من الاسم المريد الحكيم العالم فان خطر للمتصدق أن يقرض الله قرضا حسنا بصدقته تلك مجيبا لامر الله فهذا الباب أيضا ملحق بالصدقة لكونه مأمورا بالقرض وقد يكون القرض نفس الزكاة الواجبة فان طلب عوضا زائدا ينتفع به على ما أقرض خرج عن حد القرض وكان صدقة غير موصوفة بالقرضية فانه لم يعط القرض المشروع فان الله لا ينهى عن الربا ويأخذه منا كذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كل قرض جرّ نفعا فهو ربا وهو أن يخطر له هذا عند الاعطاء فلا يعطيه الا لهذا والمعطي الذي هو المقترض أن يحسن في الوفاء ويزيد فوق ذلك ما شاء من غير أن يكون شرطا في نفس القرض فان الله قد وعد بتضاعف الاجر في القرض ولكن لا يقرضه العبد لاجل التضاعف بل لاجل الامر والاحسان في الجزاء يوم القيامة لله تعالى على ذلك وهذا معنى قوله حسنا في وصف القرض فان الله بما أنا عما شرع لنا لا يغيره لك ألا تراه قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأله يوم القيامة أن يحكم بالحق الذي بعثه به بين عباده وبينه فقال له قل رب احكم بالحق والالف واللام في الحق للحق المعهود الذي بعث به وعلى هذا تجري أحوال الخلق يوم القيامة فمن أراد أن يرى حكم الله يوم القيامة فلينظر الى حكم الشرائع الالهية في الدنيا حذو النعل بالنعل من غير زيادة ولا نقصان فكن على بصيرة من شرعك فانه عين الحق الذي اليه مآلك ولا تغتر وكن على حذر وحسن الظن بربك واعرف مواقع خطابه في عباده من كتابه العزيز وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

﴿وصل في فصل اخفاء الصدقة﴾

اعلم أن اخفاء الصدقة شرط في نيل المقام العالي الذي خص الله به الابدال السبعة وصورة اخفائها على وجوه منها أن لا يعلم بك من تصدقت عليه وتتلطف في ايصال ذلك اليه بأيّ وجه كان فان الوجوه كثيرة ومنها أن تعلمه كيف يأخذ وأنه يأخذ من الله لا منك حتى لا يرى لك فضلا عليه بما أعطيته فلا يظهر عليه بين يديك أثر ذلة أو مسكنة ويحصل له علم جليل بمن أعطاه فتغيب أنت عن عينه حين تعطيه فانه قد قررت عنده انه ما يأخذ سوى ما هو له فهذا من اخفاء الصدقة ومنها أن تخفى كونها صدقة فلا يعلم المتصدق عليه بين يدي المتصدق فاذا أخذها العامل الذي نصبه السلطان أخذها بعزة وقهر منك فاذا حصلت بيد السلطان الذي هو الوكيل من قبل الله عليها أعطاها السلطان أربابها الثمانية وأخذها أربابها بعزة نفس لا بذلة فانه حق لهم بيد هذا الوكيل فلا يعلم الآخذ في أعطيته من هو رب ذلك المال على التعيين فلم يكن للغنيّ رب المال على هذا الفقير منة ولا عزة ولا يعرف هل وصل اليه على التعيين من ماله على التعيين فكان هذا أيضا من اخفاء الصدقة لانه لم يعلم المتصدق عين من تصدق عليه ولا علم المتصدق عليه عين المتصدق وليس في الاخفاء أخفى من هذا فلم تعلم شماله ما أنفقته يمينه هذا هو عين ذلك وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيه من اخفاء الصدقة في الابانة عن المنازل السبعة التي هي خصائص الحق المستظلين يوم القيامة بظل عرش الرحمن لانهم من أهل الرحمن خرّج البخاري عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام

عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

﴿وصل فى فصل من عين له صاحب هذا المال الذى بيده قبل أن يتصدق به عليه﴾

انّ من عباد الله من يكشف له فيما بيده من الرزق وهو ملك له أنه لفلان ولفلان ويرى أسماء أصحابه عليه ولكن على يده فاذا أعطى من هذه صفته صدقة هل تكتب له صدقة قلنا نعم تكتب له صدقة من حيث ما نسب الله الملك له وان كوشف فلا يقدح فيه ذلك الكشف ألا ترى الى المحتضر قد زال عنه اسم الملك وحجر عليه التصرف فيه وما أبيح له منه الا الثلث وما فوق ذلك فلا يسمع له فيه كلام لانه تكلم فيما لا يملك واعلم ان النفس قد جبلت على الشح قال تعالى واذا مسه الخير منوعا وقال ومن يوق شح نفسه وسبب ذلك انه ممكن وكل ممكن فقير بالاصالة الى مرجح يرجح له وجوده على عدمه فالحاجة له ذاتية والانسان ما دامت حياته مرتبطة بجسده فان حاجته بين عينيه وفقره مشهود له وبه يأتيه اللعين فى وعده فقال الشيطان يعدكم الفقر فلا يغلب نفسه ولا الشيطان الا الشديد بالتوفيق الالهى فانه يقاتل نفسه والشيطان المساعد لها عليه ولهذا سماها الشارع صدقة لانها تخرج عن شدة وقوة يقال رمح صدق أى قوى شديد فلو لم يأمل البقاء وتيقن بالفراق هان عليه اعطاء المال لانه مأخوذ عنه بالقهر شاء أم أبى فمن طمع النفس أن تجود فى تلك الحالة لعل تحصل بذلك فى موضع آخر قدر ما فارقته كل ذلك من حرصها فلم تجد مثل هذه النفس عن كرم ولا وقاها الله شحها ذكر مسلم فى ذلك عن أبى هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أى الصدقة أعظم أجرا قال أما وأبيك لتنبأنه أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان فينبغى لمن لم يقه الله شح نفسه وقد وصل الى هذا الحد وارتفع عنه فى تعيينه لفلان طائفة من ماله أن يكون ذلك صدقة فليجعل فى نفسه عند تعيينه انه مؤد أمانة وان ذلك وقتها فيحشر مع الامناء المؤدين أماناتهم لا مع المتصدقين ولا يخطر له خاطر الصدقة ببال ان أراد أن ينصح نفسه

﴿وصل فى فصل ضروب الملك والتمليك عند أهل الله﴾

العارف يقول الله له هذا ملكك فيقبله منه بالادب والعلم فى ذلك انه ملك استحقاق لمن يستحقه ومن هو حق له وملك أمانة لمن هو له بيده أمانة وملك وجود لمن هو موجود عنه فالاشياء كلها ملك لله وجودى وهى للعبد بحسب الحال فلا بد له فى نفس الامر من المنفعة به على النفس فهو ملك استحقاق له وهو من الطعام والشراب ما يتغذى به فى حين التغذى به مما يتغذى لا مما يفضل عنه ويخرج من سبيله وغير ذلك ومن الثياب ما يقيه من حر الهواء وبرده وأما ما عدا هذا القدر فهو بيده ملك أمانة لمن يدفع به أيضا ما دفع هو به عن نفسه مما ذكرناه فلا يخلو العارف اما أن يكون ممن كشف أسماء أصحاب الاشياء مكتوبة عليها فيمسكها لهم حتى يدفعها اليهم فى الوقت الذى قدره الحكيم وعينه فيفرق ما بين ما هو له فيسميه ملك استحقاق لان اسمه عليه وهو يستحقه وبين ما هو لغيره فيسميه ملك أمانة لان اسم صاحبه عليه والكل بلسان الشرع ملك له فى الحكم الظاهر أو يكون هذا العارف ممن لم يكشف له ذلك فلا يعرف على التعيين ما هو رزقه من الذى هو عنده فاذا كوشف فيعمل بحسب كشفه فان الحكم للعلم فى ذلك وان لم يكاشف فالاولى به أن يخرج عن ماله كله صدقة لله ورزقه لا بد أن يأتيه ثقة بما عند الله ان كان قد بقى له عند الله ما يستحقه وان لم يبق له عند الله شئ فلا ينفعه امساك ما هو ملك له شرعا فانه لا يستحقه كشفا فى نفس الامر وهو تارك له وهو غير محمود هذه أحوال العارفين وقد يخرج صاحب الكشف عن ماله كله عن كشفه لانه يرى عليه اسم الغير فلا يستحق منه شيأ فيشبه بالصورة من خرج عن ماله كله من غير كشف فان لم يكن عنده ثقة بالله فيذمه الشرع ان خرج عن كل ماله ثم بعد ذلك يسأل الناس الصدقة فمثل هذا لا تقبل صدقته كما قد ورد فى ذلك فى حديث السائل فى الرجل الذى تصدق عليه بثوبين ثم جاء رجل آخر يطلب أن يتصدق عليه أيضا وأتى هذا المتصدق عليه الاول أحد

ثوبه صدقة عليه فاشتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال خذ ثوبك ولم يقبل صدقته فاذا علم من نفسه أنه لا يسأل ولا يتعرّض فحينئذ له أن يخرج عن ماله كله ولكن بميزان الافضلية ان كان عالما اذا لم يكن له كشف فان كان صاحب كشف عمل بحسب كشفه ولقد خرّج أبو داود مايناسب ماذكرناه من حديث عمر بن الخطاب قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندي وقلت اليوم أسبق أبا بكر ان سبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لاهلك قلت مثله قال وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال ما أبقيت لاهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله قلت لا أسابقك الى شئ أبدا فينبغي للعالم بنفسه أن يعامل نفسه بما يعامله به الشرع الحاكم عليه ولا ينظر المريد لما يخطر له في الوقت فيكون تحت حكم خاطره فيكون خطأه أكثر من اصابته وهنا يتميز العاقل العالم من الجاهل ولكن هذا كله لمن لا كشف له من أهل الله وقد سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر لما أتاه بماله كله لمعرفته بحاله ومقامه وما قال له هلا أمسكت لاهلك شيأ من مالك وأثنى على عمر بذلك بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكره عليه وقال لكعب بن مالك في هذا الحديث امسك بعض مالك وكان كعب بن مالك قد انخلع من ماله كله صدقة لخاطر خطر له فلم يعامله رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاطره وعامله بما يقتضيه حاله فقال امسك عليك بعض مالك فهو خير لك

﴿وصل في فصل ما ينظره العارف في فضل الله وعدله ومكر الله تعالى﴾

ان من مكر الله وعدله وفضله أن يبين للناس ما فيه مصلحتهم هذا من فضله وأما عدله ومكره هو أن يعاملهم بصفاتهم فالعارفون في مثل هذا المقام ينظرون في أحوال أنفسهم وفيما يؤتيهم الله في بواطنهم وظواهرهم ويزنون ذلك بالميزان الذي وضعه الرحمن ليقيم الوزن بالقسط ولا يخسر الميزان فان اعتدلت الكفتان فذلك العلم الصحيح وان ترجحت كفة العطاء على كفة الحال فلينظر في الحال فان كان مما يحمده الشرع فذلك اما جزاء معجل واما زيادة فضل وان كان الحال مما يذمه لسان الشرع فذلك مكر من الله وان كان الحال مما لا يذم ولا يحمد فذلك عدل من الله يؤول اما الى فضل ان شكر الله وعمل بطاعته في المستأنف بتلك الاعطية أو يؤول الى مكر خفيّ ان عمل فيه بمعصية الله فان ألهم الاستغفار والتوبة أو أن ذلك مكر الهيّ فلا يخلو اما أن يتدارك الامر أو يبقى على حاله فان بقي على حاله فهو مكر في مكر وان تدارك الامر فذلك من فضل الله وزال عنه حكم المكر في هذه الحال فمن مكر الله وفضله اليد العليا خير من اليد السفلى فان الصدقة تقع بيد الرحمن ففيه مكر وفضل فانه قد ورد أنها تقع بيد الرحمن قبل وقوعها بيد السائل وقد ذكر البخاريّ عن حكيم بن حزام فيما نبهنا عليه أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وخير الصدقة عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله فهذا الحديث يتضمن تفصيل ماذكرناه من الاحوال وأعلى الغنى الغنى بالله والاستعفاف هنا القناعة بالقليل فان العفو يرد في اللسان ويراد به القليل وهو من الاضداد والصدقة عن ظهر غنى هي الصدقة والدعاء عن ظهر فقر هو الدعاء المجاب بلا شك وأين الداعي عن ظهر فقر والمعطي عن ظهر غنى

﴿وصل في فصل حاجة النفس الى العلم﴾

اعلم أن حاجة النفس الى العلم أعظم من حاجة المزاج الى القوت الذي يصلحه والعلم علمان علم يحتاج منه مثل ما يحتاج من القوت فينبغي الاقتصاد فيه والاقتصار على قدر الحاجة وهو علم الاحكام الشرعية لا ينظر منها الا قدر ما تمس الحاجة اليه في الوقت فان تعلق حكمها انما هو بالافعال الواقعة في الدنيا فلا تأخذ منه الا قدر عملك والعلم الآخر هو ما لا حد له يوقف عنده وهو العلم المتعلق بالله ومواطن القيامة فان العلم بمواطن القيامة يؤدي العالم بها الى الاستعداد لكل موطن بما يليق به لان الحق بنفسه هو المطالب في ذلك اليوم بارتفاع الحجب وهو يوم الفصل فينبغي للانسان العاقل أن يكون على بصيرة من أمره معدا للجواب عن نفسه وعن غيره في المواطن التي يعلم انه يطلب منه الجواب فيها ولهذا ألحقناها بالعلم بالله وينبغي لطالب العلم أن لا يسأل في المسؤل الا الله لا عين المسؤل هكذا ينبغي

ان يكون عليه السائل من الحضور مع الله فليستكثر هذا السائل من السؤال فان الله هو المسؤل فان لم يحضر له ذلك ولم يشاهد سوى الاستاذ ولا يرى العلم الا منه ولا يرده ذلك العالم الى الله بقوله الله أعلم ولا يقول له من العلم ما يرده الى الله فيه فذلك الذي أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره مسلم من حديث أبي هريرة من سأل الناس أموالهم تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقلل أو ليستكثر وانما أراد الله تعالى من عباده ان يرجعوا اليه في المسائل لا الى أمثالهم الا بقدر ما يتعلمون منهم كيف يسألون الله وهو حد التقوى المشروع فقال واتقوا الله ويعلمكم الله من أعلمته طريق التقوى ويعلمكم الله فكان هو سبحانه المعلم وسواء كانت المسئلة في العلم أو في غير العلم من أعراض الدنيا كما قال لموسى عليه السلام ربه عز وجل فيما أوحى اليه به أو كلمه به سلني حتى الملح تلقيه في عجينك وقال في باب الاشارة لا التفسير الرحمن علم القرآن في أي قلب يكون ويستقر وعلى أي قلب ينزل خلق الانسان علمه البيان لتبين للناس ما نزل اليهم فأضاف التعليم اليه لا الى غيره هذا كله من الغيرة الالهية ان يسأل المخلوق غير خالقه ليريح عباده من سؤال من ليس بأيديهم من الامر شيء وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا وما خص صلى الله عليه وسلم مسئلة من مسئلة فقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما في المسئلة ما مشى أحد الى أحد يسأله شيأ وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها وأراد من الناس ان يعملوا بما علمهم الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ويسألون الله في أعمالهم ان يزيدهم علما الى علمهم منه فيتولى بنفسه تعليم عباده فان الله غيور فلا يحب ان يسأل غيره وان سأل غيره بلسان الظاهر فيكون القلب حاضرا مع الله عند سؤاله ان الله هو المسؤل الذي بيده ملكوت كل شيء بالمعنى فان الاسم الظاهر من الله هو هذا الشخص فانه من جملة الحروف المرقومة في رق الوجود المنشور فيأخذ هذا السائل جوابه من الله اما بقضاء الحاجة واما بالدعاء ولهذا كان سؤال الرجل السلطان أولى من سؤال غير السلطان لان وجود الحق أظهر فيه من غيره من السوقة والعامة ولهذا رفعت الكدية عن الذين يسألون الملوك فانهم نواب الله وهم موضع حاجة الخلق وهم المأمورون ان لا ينهروا السائل يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو النائب الاكبر وأما السائل فلا تنهر ولهذا يسأل الله تعالى يوم القيامة النواب وهم الرعاة عن من استرعاهم عليه ويسأل الرعايا ما فعلوا فيهم ثم نرجع الى مسائل الصدقة التي نحن في بابها فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل كدوح يكدح بها الرجل في وجهه فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك الا ان يسأل ذا سلطان في أمر لا يجد منه بدا وهذا نص ما ذكرناه وهو حديث خرجه أبو داود عن سمرة بن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك سؤال الصالحين العارفين أهل المراقبة أولى من سؤال السلاطين الا أن تكون هذه الصفات في السلطان فان أصحاب هذه الصفات أقرب نسبة الى الله تعالى وقد رأينا بحمد الله من السلاطين من هو بهذه المثابة من الدين والورع والقيام للحق بالحق رحمهم الله وقد ورد في الخبر أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسأل يا رسول الله قال لا وان كنت سائلا ولا بد فسل الصالحين فالعارفون اذا سألوا في أمر تعين لهم من مصالح دنياهم انما يسألون الله بالله في العالم والعلماء بالله الذين استفرغهم شهود الله شغلهم ذكر الله عن المسئلة من الله فهؤلاء أصحاب أحوال فأعطاهم العلم به وهو أفضل ما أعطى السائلون فاذا علموه علم ذوق لم يذكروه الا به وبه فأعطاهم بهذا الذكر أمرا جعلهم ان يتركوا الذكر له وبه فأعطاهم الرؤية اذ كانت الرؤية أرفع من المشاهدة وهي أفضل صدقة تصدق الله بها على المقربين من عباده

﴿وصل في فصل أخذ العلماء بالله من الله العلم الموهوب﴾

اعلم ان العلماء بالله لا يأخذون من العلوم الا العلم الموهوب وهو العلم اللدني علم الخضر وأمثاله وهو العلم الذي لا تعمل لهم فيه بخاطر أصلا حتى لا يشوبه شيء من كدورات الكسب فان التجلي الالهي المجرد عن المواد الامكانية من روح وجسم وعقل أتم من التجلي الالهي في المواد الامكانية وبعض التجليات في المواد الامكانية أتم من بعض فاذا وقع للعالم بالله من تجل الهي اشراف على تجل آخر لم يحصل له ثم حصل له بعد ذلك فأعطاه من العلم به ما لم يكن عنده لم يقبله في العلم الموهوب وألحقه بالعلم المكتسب وكل علم حصل له عن دعاء فيه أو بدعاء مطلق فهو مكتسب وذلك لا يصلح الا للرسل

صلوات الله عليهم فانهم فى باب تشريع الاكتساب فاذا وقفوا مع نبوّتهم لامع رسالتهم كان حالهم مع الله حال ماذكرناه من ترك طلب ماسواه والاشراف فهم مع الله واقفون واليه ناظرون وبه ناطقون فى كل منطوق به ومنظور اليه وموقوف عنده وكانهم به ناطقون هم به سامعون يذكرون عبادة تعبدا ويطيعون عبادة تعبدا ويجتهدون ولا يفترون عبادة لاتعرضا ولا طلبا الاوفاء لما يقتضيه مقام من كلفهم من حيث ماهو مكاف لامن وجه آخر ومقام من كاف فهو يعبهم من لدنه علما لم يكن مطلوبا لهم فيكون مكتسبا ومن أسمائه سبحانه المؤمن وهو من نعوت العبد لامن أسماء العبد فانه اذا كان اسما لم يعلل واذا كان صفة ونعتا علل فهو لله اسم وللعبد صفة هذا هو الادب مع الله وقد ورد فى معنى ماأشرنا اليه حديث ذكره أبو عمر ابن عبد البرّ النمرى عن خالد بن عدىّ الجهنى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من جاءه من أخيه معروف من غير اشراف ولا مسئلة فليقبله ولا يردّه فانما هو رزق ساقه الله اليه فجمع هذا الحديث بين الامر بالقبول والنهى عن الردّ فحصل فيه التكليف كله فانّ التكليف ماهو سوى أمر ونهى ومما يؤيد صحة هذا الحديث ماخرّجه مسلم فى صحيحه عن ابن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى عمر بن الخطاب العطاء فيقول أعطه يارسول الله أفقر اليه منى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذه فتموّله أو تصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك فالاكابر لا يسألون أحدا شيأ الا اذا كان الله مشهودهم فى الاشياء ولا يردّون شيأ أعطوه فان الادب مع الله ان لاتردّ على الله ماأعطاك وفتنة العلم أعظم من فتنة المال فان شرف المال شرف عارض لايتعدّى أفواه الناس ليس للنفس منه صفة وشرف العلم حلية تتحلى بها النفس ففتنته أعظم ولا زوال له عن صاحبه فى حال فقره وغناه ونوائبه والمال يزول عن صاحبه بلص يأخذه أو حرق أو غرق أو هدم أو زلزلة أو جائحة سماوية أو فتنة أو سلطان والعلم منك فى حصن حصين لايوصل اليه أبدا يلازم الانسان حيا وميتا دنيا وآخرة وهو لك على كل حال وان كان عليك فى وقت مافهو لك فى آخر الامر وان أصابتك الآفات من جهته فلا تكترث فليس الاثر فيه حيث لم تعمل به فما أصبت الامن تركك العمل به لامنه فاذا نجوت أخذ بيدك الى منزلته ومنزلته معلومة ومعلومه الحق فينزلك بالحق على قدر ذلك العلم فلا تكن من الجاهلين

﴿وصل فى فصل ايجاب الله الزكاة فى المولدات﴾

اعلم انّ الله أوجب الزكاة فى المولدات وهى ثلاثة معدن ونبات وحيوان فالمعدن ذهب وفضة والنبات حنطة وشعير وتمر والحيوان ابل وبقر وغنم فعم جميع المولدات وأطلق عليها اسم المولدات لانها تولدت عن أم وأب عن فلك وحركته الذى هو بمنزلة الجماع وهو الاب والاركان الام فكان المال محبوبا للانسان حب الولد ألا ترى الله قرنه بالولد فى الفتنة فقال انما أموالكم وأولادكم فتنة فقدّم المال على الولد فى الذكر والله عنده أجر عظيم اذا رزأكم فى شئ منهما فالزكاة وان كانت طهارة الاموال وطهرت أربابها من صفة البخل فهى رزء فى المال بلا شك فلصاحبها أجر المصاب وهو من أعظم الاجور والولد شجنة من الوالد كالرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله قال بعض الشعراء فى الاولاد وهو من شعر الحماسة

وانما أولادنا بيننا * أكبادنا تمشى على الارض

يجعل الولد قطعة من الكبد وقال عيسى عليه السلام لاصحابه قلب كل انسان حيث ماله فاجعلوا أموالكم فى السماء تكن قلوبكم فى السماء فحث على الصدقة لما علم ان الصدقة تقع بيد الرحمن وهو يقول أأمنتم من فى السماء والصدقة تطفئ غضب الرب فانظر ماأعجب كلام النبوّة وماأدقه وأحلاه فمن ألحق الولد بالوالد ووصله به فله أجر من وصل الرحم فينبغى للانسان ان يلحق ماله من حيث ماهو مولد مولود بأبيه الذى تولد عنه لانه قطعة منه فللانسان المتصدق فى صدقة زكاته أجر المصيبة وأجر صلة الرحم اذا زكى ماله والصبر على فقد المحبوب من أعظم الصبر ولا يصبر على ذلك الا مؤمن أو عارف فان الزاهد لازكاة عليه لانه ماترك له شيأ تجب فيه الزكاة لان الزهد يقتضى ذلك والعارف ليس كذلك لان العارف يعلم ان فيه من حيث ماهو مجموع العالم من يطلب المال فيوفيه حقه فتجب عليه الزكاة من ذلك

الوجه وهو زاهد من وجه ولهذا رجحنا قول من يقول ان الزكاة واجبة فى المال لا على المكلف وانما هو مكلف فى اخراجها من المال اذ المال لا يخرج بنفسه فجمع العارف بين الاجرين بخلاف الزاهد والعارفون هم الكمل من الرجال فلهم الزهد والادخار والتوكل والاكتساب ولهم المحبة فى جميع العالم كله وان تفاضلت وجوه المحبة فيحبون جميع ما يقع فى العالم بحب الله فى ايجاد ذلك الواقع لا من جهة عين الواقع فاعلم ذلك فان فيه دقيق مكر الهى لا يشعر به الا الادباء العارفون فان العارف يعلم ان فيه جزءا يطلب مناسبة من العالم فيوفى كل ذى حق حقه كما أعطى الله كل شئ خلقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لنفسك عليك حقا ولعينك عليك حقا وهكذا كل جزء فيك ولهذا يشهد عليك يوم القيامة اذا استشهده الحق عليك وانظر فى حكمة السامرى حيث علم ما قال عيسى عليه السلام من أن حب المال ملصق بالقلوب صاغ لهم العجل لما رأى منهم من حليهم لعلمه أن قلوبهم تابعة لاموالهم فسارعوا الى عبادته حين دعاهم الى ذلك فالعارف من حيث سره الربانى مستخلف فيما بيده من المال فهو كالوصى على مال المحجور عليه يخرج عنه الزكاة وليس له فيه شئ فلذلك قلنا انه حق فى المال فان الصغير لا يجب عليه شئ وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالتجارة فى مال اليتيم حتى لا تأكله الصدقة والعامى وان كان مثل العارف فى كونه جامعا فان العامى لا يعلم ذلك فأضيف المال اليه فقيل له أموالكم فيخرج منها الزكاة فالعارف يخرجها اخراج الوصى والعامى يخرجها بحكم الملك فما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون وكلا الفريقين صادق فى حاله وصاحب دليل الهى فيما نسب اليه فلولا المحبة ما فرضت الزكاة ليثابوا ثواب من رزئ فى محبوبه ولولا المناسبة بين المحب والمحبوب لما كانت محبة ولا تصور وجودها ومن هنا تعلم حب العارف للمال من أى نسبة هو وحبه لله من أى نسبة هو ولا يقدح حبه فى المال والدنيا فى حبه لله وللآخرة فان ما يحبه منه لامر ما الا ما يناسب ذلك الامر فى الالهيات وفى العالم حبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فصحت المناسبة ومن نعمه المعرفة به والعارف يطلبها منه فهى نسبة فقير الى غنى يطلب منه ما بيده له ليحصله فما طلب منه الا أمرا حادثا اذ معرفة المحدث بالقديم معرفة حادثة فالمناسبة بينه وبين المعرفة الحدوث وهى بيد المعروف فيتعلق الحب بالمعروف لهذه المناسبة والمعرفة به لا تنقضى ولا تتناهى فالحب لا ينقضى وحصول مثل هذه المعرفة عن التجلى فالتجلى لا ينقضى فالمعرفة مال العارف وزكاة هذا المال التعليم وهى درجة الهية قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله فهو المعلم فلهذا قلنا ان التعليم درجة الهية وجعل أصناف الزكاة ثمانية لما فيها من صلاح العالم فهى فيما تقوم به الابدان من الغذاء وقضاء الحاجات مطلقا وفى هذين الامرين صلاح العالم فهم حملة العرش الثمانية والعرش الذى هو الملك محمول لهم فى تلك الحقيقة كانت فى ثمانية أصناف مجمع عليها وما عداها مما اختلف فيه فهو راجع اليها ولما كان العرش الملك وكان حملة هذا العرش الذى هو عبارة عنا كان هؤلاء الاصناف الثمانية حملته وكان هذا القدر من المال المعبر عنه بالزكاة كالاجرة لحملهم ﴿وصل﴾ انما سمى المال مالا لانه يميل بالنفوس اليه وانما مالت النفوس اليه لما جعل الله عنده من قضاء الحاجات به وجبل الانسان على الحاجة لانه فقير بالذات فمال اليه بالطبع الذى لا ينفك عنه ولو كان الزهد فى المال حقيقة لم يكن مالا ولكان الزهد فى الآخرة أتم مقاما من الزهد فى الدنيا وليس الامر كذلك وقد وعد الله بتضعيف الجزاء الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف فلو كان القليل حجابا لكان الكثير منه أعظم حجابا الا ترى الى موطن التجلى والكشف وهو الدار الآخرة وهى محل الرؤية والمشاهدة مع تناول الشهوات النفسية مطلقا من غير تحجير وكله كن من كل انسان فيها لما كان مثل هذا حجابا لكان حجاب الآخرة أكثف وأعظم بما لا يتقارب فسبحان من جعل له فى كل شئ بابا اذا فتح ذلك الباب وجد الله عنده وعين فى كل شئ وجها الهيا اذا تجلى عرف ذلك الوجه من ذلك الشئ قال الصديق ما رأيت شيأ الا رأيت الله قبله فانه لا يراه الا بعينه اذ كان الحق بصره فى هذا الموطن فيرى نفسه قبل رؤية ذلك الشئ والانسان هو المحل لذلك البصر فلهذا قال ما رأيت شيأ الا رأيت الله قبله وسماها الله زكاة لما فيها من الربو والزيادة ولهذا تعطى قليلا وتجدها كثيرا فلو أعطيته لرفع الحجاب لكونه حجابا لكان الثواب حجبا كثيرة أعظم من هذا الحجاب فلم يكن بحمد الله ما أعطيته حجابا ولا ما وصلت اليه من ذلك حجابا

فاعلم ذلك وانظر فى تصرّف العارف فى الدنيا كيف هو ولا تحمل تصرّفه على تصرّفك وجهلك وسوء تأويلك فترى الزاهد عنده ذلك أفضل منه هيهات هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب بل هي للعارف صفة كمالية سليمانية هب لى ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك أنت الوهاب فما أليق هذا الاسم بهذا السؤال أتراه عليه السلام سأل ما يحجبه عن الله أو سأل ما يبعده من الله ثم انظر الى أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمكنه الله من العفريت الذى فتك عليه فأراد أن يقبضه ويربطه بسارية من سوارى المسجد حتى ينظر الناس اليه فتذكر دعوة أخيه سليمان فرده الله خاسئا فهذه حالة سليمانية حصلت لمحمد صلى الله عليه وسلم وما رده عنها الزهد فيها وانما رده عن ذلك الادب مع سليمان عليه السلام حيث طلب من ربه ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمنا من هذه القصة ان قوله لا ينبغي أنه يريد لا ينبغي ظهوره فى الشاهد للناس لاحد وان حصل بالقوة لبعض الناس كمسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع العفريت فعلمنا انه أراد الظهور فى ذلك لأعين الناس ثم ان الله أجاب سليمان عليه السلام الى ما طلب منه بأنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوة أخيه سليمان حتى لا يمضى ما قام بخاطره من اظهار ذلك ثم ان الله تمم هذه النعمة لسليمان عليه السلام بدار التكليف فقال له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فرفع عنه الحرج فى التصريف بالاسم المانع والمعطى فاختص بجنة معجلة فى الحياة الدنيا وما حجبه هذا الملك عن ربه عز وجل فانظر الى درجة العارف كيف جمع بين العينين وتحقق بالحقيقتين فأخرج الزكاة من المال الذى بيده اخراج الوصى من مال المحجور عليه بقوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فجعل ماله كالانفاق من حقيقة الهبة فيه فى ماله هو ملك لحقيقة أخرى فيه هو وليها من حيث الحقيقة الالهية جعلنا الله من العارفين العلماء وبما أودع فيه من قرة أعين

﴿وصل فى فصل قبول المال أنواع العطاء﴾

اعلم أن المال يقبل أنواع العطاء وهو ثمانية أنواع لها ثمانية أسماء فنوع يسمى الانعام ونوع يسمى الهبة ونوع يسمى الصدقة ونوع يسمى الكرم ونوع يسمى الهدية ونوع يسمى الجود ونوع يسمى السخاء ونوع يسمى الايثار وهذه الانواع كلها يعطى بها الانسان ويعطى بسبعة منها الحق تعالى وهي ما عدا الايثار فان قال أجنبي فمن أى حقيقة الهية ظهر الايثار فى الكون وهو لا يعطى على جهة الايثار لانه غنى عن الحاجة والايثار اعطاء ما أنت محتاج اليه اما فى الحال واما بالمآل وهو أن تعطى مع حصول التوهم فى النفس انك محتاج اليه فتعطيه مع هذا التوهم فيكون عطاؤك ايثارا وهذا فى حق الحق محال فقد ظهر فى الوجود أمر لا ترتبط به حقيقة الهية فنقول قد قدمنا أن الغنى المطلق انما هو للحق من حيث ذاته معرّى عن نسبة العالم اليه فاذا نسبت العالم اليه لم تعتبر الذات فلم تعتبر الغنى وانما اعتبرت كونها الها فاعتبرت المرتبة فالذى ينبغى للرتبة هو ما تسمت به من الاسماء وهي الصورة الالهية لا الذات من حيث عينها بل من كونها الها ثم انه أعطاك الصورة التى هي الخلافة وسماك بالاسماء كلها على طريق المحمدة فقد أعطاك ما هي المرتبة موقوفة نسبتها اليه وهي الاسماء الحسنى فان قلت فان المعطى لا يبقى عنده ما أعطاه قلنا هذا يرجع الى حقيقة المعطى ما هو فان كان محسوسا فان المعطى يفقده بالاعطاء وان كان معنى فانه لا يفقده بالاعطاء ولهذا حددنا الايثار باعطاء ما أنت محتاج اليه ولم تتعرض لفقد المعطى ولا لابقائه فان ذلك راجع الى حقيقة الأمر الذى أعطيت ما هو فاعلم ذلك فمن هذه الحقيقة صدر الايثار فى العالم وما بعد هذا البيان بيان فالانعام اعطاء ما هو نعمة فى حق المعطى اياه مما يلائم مزاجه ويوافق غرضه والهبة الاعطاء لينعم خاصة والهدية الاعطاء لاستجلاب المحبة فانها عن محبة ولهذا قال الشارع تهادوا تحابوا والصدقة اعطاء من شدة وقهر واباية فأما فى الانسان لكونه جبل على الشح ومن يوق شح نفسه واذا مسه الخير منوعا فاذا أعطى بهذه المثابة لا يكون عطاؤه الا عن قهر منه لما جبلت النفس عليه وفى حق الحق هذه النسبة حقيقة ما ورد من التردد الالهى فى قبضه نسمة المؤمن ولا بدّ له من اللقاء يريد قبض روحه مع التردد لما سبق فى العلم من ذلك فهو فى حق الحق كأنه وفى حق العبد هو لا كأنه أدبا الهيا ودليل العقل يرى مثل هذا

لقصوره وعدم معرفته بما يستحقه الاله المعبود والحق عرف بهذه الحقيقة التي هي عليها عباده فقبلتها العقول السليمة من حكم أفكارها عليها بصفة القول التي هي عليه حين ردتها العقول التي هي بحكم أفكارها وهذه هي المعرفة التي طلب منا الشارع أن نعرفه بها ر بنا ونصفه بها لا المعرفة التي أثبتناه بها فان تلك مما يستقل العقل بادرا كها وهي بالنسبة الى هذه المعرفة نازلة فانها ثبتت بحكم العقل وهذه ثبتت بالاخبار الالهي وهو بكل وجه أعلم بنفسه منا به والكرم العطاء بعد السؤال حقا وخلقا والجود العطاء قبل السؤال حقا لاخلقا فاذا نسب الى الخلق فن حيث انه ما طلب منه الحق هذا الامر الذي عينه الخلق على التعيين وانما طلب الحق منه أن يتطوّع بصدقة وما عين فاذا عين العبد ثوبا أو درهما أو دينارا أوما كان من غير أن يسأل في ذلك فهو الجود خلقا وانما قلنا لاخلقا في ذلك لانه لا يعطي على جهة القربة الا بتعريف الهي ولهذا قلنا حقا لاخلقا واذا لم يعتبر الشرع في ذلك فالعطاء قبل السؤال لا على جهة القربة موجود في العالم بلا شك ولكن غرض الصوفي أن لا يتصرف الا في أمر يكون قربة ولا بد فلا منه وحقه عن مراعاة حكم الشرع في ذلك والسخاء العطاء على قدر الحاجة من غير مزيد لمصلحة يراها المعطي اذ لو زاد على ذلك ربما كان فيها هلاك المعطى اياه قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء والايثار اعطاء ما أنت محتاج اليه في الوقت أو توهم الحاجة اليه قال تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وكل ما ذكرناه من العطاء فانه الصدقة في حق العبد لكونه مجبولا على الشح والبخل كما ان الامر في الاعطيات الالهية من هذه الاقسام الثمانية انما هو الوهب وهو الاعطاء لينعم لا لأمر آخر فهو الوهاب على الحقيقة في جميع أنواع عطائه كما هو العبد متصدق في جميع أعطياته لانه غير مجرد عن الغرض وطلب العوض لفقره الذاتي فما ينسب الى الله بحكم العرض ينسب الى المخلوق بالذات وما ينسب الى الحق بالذات كالغنى ينسب الى المخلوق بالعرض النسبي الاضافي خاصة قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ من أموالهم صدقة أي ما يشتد عليهم في نفوسهم اعطاؤها ولهذا قال ثعلبة بن حاطب هذه أخية الجزية لما اشتد عليه ذلك بعد ما كان عاهد الله كما أخبرنا الله في قوله ومنهم من عاهد الله الآية فلما رزقه الله مالا وفرض الله الصدقة عليه قال ما أخبر الله به عنه وقوله بخلوا به هي صفة النفس التي جبلت عليه وهي اذا حكمت على العبد استبدله الله بغيره نسأل الله العافية وهكذا ورد وان تتولوا عما استأهلوه من الانفاق وبخلتم يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم أي على صفتكم بل يعطون ما يسألون كما قال فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين فان الملك أوسع من أن يضيق عن وجود شيء فالصدقة أصل كوني والوهب أصل الهي ومما يؤيد ما ذكرناه ان الملائكة قالت من جبلتها حيث لم ترد الخير الا لنفسها وغلب عليها الطبع في ذلك عن موافقة الحق فيما أراد أن يظهره في الكون من جعل آدم خليفة في الارض فعرفهم بذلك فلم يوافقوه لحكم الطبع في الطمع في أعلى المراتب ثم تستر حكم الطبع لئلا تنسب الى النقص من عدم موافقة الحق فاقام لهم صورة الغيرة على جناب الحق والايثار لعظمته وذهلوا عن تعظيمه اذ لو وقفوا مع ما ينبغي له من العظمة لوافقوه ما وافقوه وان كانوا قصدوا الخير فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك أي فنحن أولى من هذا فرجحوا نظرهم على علم الله في خلقه لذلك قال لهم اني أعلم ما لا تعلمون فوصفهم بنفي العلم الذي علم الحق من هذا الخليفة عالم يعلموا وأثنوا على أنفسهم فسئلتهم جعت ذلك حيث أثنوا على أنفسهم وعدلوها وجرحوا غيرهم وما ردوا العلم في ذلك الى الله فهذا من بخل الطبع بالمرتبة وهذا يؤيد ان الملائكة كما ذهبنا اليه تحت حكم الطبيعة وان لها أثرا فيهم قال تعالى ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون والخصام من حكمها وقد ورد اختصام ملائكة الرحمة وملائكة العذاب في الشخص الذي مات بين القريتين فوصفهم بالخصام ولولا أن مرتبتها دون النفس وفوق الهباء لسرى حكمها ومن أراد أن يقف على أصل هذا الشان فلينظر الى تضاد الاسماء الالهية فن هنالك ظهرت هذه الحقيقة في الجميع فهم مشاركون لنا في حكم الطبيعة ومن حكمها البخل والشح فيمن تركب منها وهو من الاسم المانع في الاسماء وسببه فينا ان الفقر والحاجة ذاتي لنا ولكل ممكن ولهذا افتقرت الممكنات الى المرجح لامكانها فالكون عن الطبيعة شحيح بخيل بالذات كريم بالعرض

فما فرض الله الزكاة وأوجبها وطهر بها النفوس من البخل والشح الا لهذا الامر المحقق فالفرض منها أشد على النفس من صدقة التطوّع للجبر الذى فى الفرض والاختيار الذى فى التطوّع فانه فى الفرض عبد بحكم سيده وفى الاختيار لنفسه ان شاء وان شاء

﴿وصل فى فصل الادّخار من شح النفس وبخلها﴾

اعلم انه من شح النفس الادّخار والشبهة فيه الى وقت الحاجة فاذا تعين المحتاج كان العطاء وعلى هذا أكثر بعض نفوس الصالحين وأما العامة فلا كلام لنا معهم وانما نتكلم مع أهل الله على طبقاتهم والقليل من أهل الله من يطلب على أهل الحاجة حتى يوصل اليهم ما بيده فرضا كان أو تطوّعا فالفرض من ذلك قد عين الله أصنافه ورتبه على نصاب وزمان معين والتطوّع من ذلك لا يقف عند شئ فان التطوّع اعطاء ربوبية فلا يتقيد والفرض اعطاء عبودية فهو بحسب ما يرسم له سيده واعطاء العبودية أفضل فان الفرض أفضل من النفل وأين عبودية الاضطرار من عبودية الاختيار وهذا الصنف قايل فى الصالحين وشبهتهم أنا لم نكلف الطلب عليهم والمحتاج هو الطالب فاذا تعين لى بالحال أو بالسؤال أعطيته والذين هم فوق هذه الطبقة التى تعطى على حد الاستحقاق فهم أيضا أعلى من هؤلاء وهم الذين يعطون ما بأيديهم كرما الهيا وتخلقا فيعطون المستحق وغير المستحق وهو عندنا من جهة الحقيقة الآخذ مستحق لانه ما أخذ الا بصفة الفقر والحاجة لا بغيرها سواء كانت الاعطية ما كانت من هدية أو وهب أو غير ذلك من أصناف العطايا كالتاجر الغنى صاحب الآلاف يجوب القفار ويركب البحار ويقاسى الاخطار ويتغرّب عن الاهل والولد ويعرض بنفسه وبماله للتلف فى أسفاره وذلك لطلب درهم زائد على ما عنده فحكمت عليه صفة الفقر وأعمته عن مطالعة هذه الاهوال وهوّنت عليه الشدائد لان سلطان هذه الصفة فى العبد قوية فمن نظر هذا النظر الذى هو الحق فانه يرى أن كل من أعطاه شيأ وأخذه منه ذلك الآخر فانه مستحق لمعرفته بالصفة التى بها أخذها منه الا أن يأخذها قضاء حاجة له لكونه يتضرر بالردّ عليه أو ليستر مقامه بالاخذ فذلك يده يد حق كما ورد ان الصدقة تقع بيد الرحمن قبل وقوعها بيد السائل فيربيها له كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله فهذا أخذ من غير خاطر حاجة فى الوقت وغاب عن أصله الذى حركه للاخذ وهو أن ذلك تقتضيه حقيقة الممكن فهذا شخص قد استترت عنه حقيقته فى الاخذ بهذا الامر العرضى فنحن نعرفه حين يجهل نفسه فما أعطى الا غنى عما أعطاه سواء كان لغرض أو عوض أو ما كان فانه غنى عما أعطى وما أخذ الا مستحق أو محتاج لما أخذ لغرض أو عوض أو ما كان لان الحاجة الى تربية ما أخذه حاجة اذ لا يكون مربيا الا بعد الاخذ فافهم فانه دقيق غامض بسبب النسبة الالهية فى التربية للصدقة مع الغنى المطلق الذى يستحقه والنسب الالهية لا ينكرها الا من ليس بمؤمن خالص فان الله يقول وأقرضوا الله قرضا ويقول جعت فلم تطعمنى وظمئت فلم تسقنى وبين ذلك كله فلم يمتنع جل وتعالى عن نسبة هذه الاشياء اليه تنبيها منه لنا انه هو الظاهر فى المظاهر بحسب استعداداتها واليد العليا هى المنفقة فهى خير بكل وجه من اليد السفلى التى هى الآخذة فالمعطى بحق والآخذ بحق ليسا على السواء فى المرتبة ولا فى الاسم ولا فى الحال فما من شئ الا وله وجه ونسبة الى الحق ووجه ونسبة الى الخلق ولهذا جعله انفاقا فقال وأنفقوا مما رزقناكم ومما رزقناهم ينفقون فراعى عز وجل فى هذا الخطاب أكابر العلماء لانهم الذين لهم العطاء من حيث ما هو انفاق لعلمهم بالنسبتين لانه من النفق وهو جحر اليربوع ويسمى النافقاء له بابان اذا طلب من باب ليصاد خرج من الباب الآخر كالكلام المحتمل اذا قيدت صاحبه بوجه أمكن أن يقول لك انما أردت الوجه الآخر من محتملات اللفظ ولما كان العطاء له نسبة الى الحق والغنى ونسبة الى الخلق والحاجة سماه الله انفاقا فعلماء الخلق ينفقون بالوجهين فيرون الحق فيما يعطونه معطيا وآخذا ويشاهدون أيديهم هى التى يظهر فيها العطاء والاخذ ولا يحجبهم هذا عن هذا فهؤلاء لا يرون الا مستحقا فكل آخذ انما أخذ بحكم الاستحقاق ولو لم يستحقه لاستحال القبول منه لما أعطيه كما يستحيل عليه الغنى المطلق ولا يستحيل عليه الفقر المطلق ثم ان الذين ينتظرون مواقيت الحاجة ويدّخرون كما ذكرنا للشبهة التى وقعت لهم فمنهم من يدّخر على بصيرة ومنهم من يدّخر لا عن بصيرة فلا نسلم لهم

ادّخارهم فى ذلك لانه لاعن بصيرة وليس من أهل الله فان أهل الله هم أصحاب البصائر والذى عن بصيرة فلا يخلو اما أن يكون عن أمر الهى يقف عنده و يحكم عليه أولا عن أمر الهى فان كان عن أمر الهى فهو عبد محض لا كلام لنا معه فانه مأمور كانظنه فى عبد القادر الجيلى فانه كان هذا مقامه والله أعلم لما كان عليه من التصرف فى العالم وان لم يكن عن أمر الهى فاما أن يكون عن اطلاع ان هذا القدر المدخر لفلان لايصل اليه الاعلى يدهذا فيمسكه لهذا الكشف وهذا أيضا من وجوه عبد القادر وأمثاله واما ان يعرف أنه لفلان ولابد ولكن لم يطلع على انه على يده أو على يد غيره فامساك مثل هذا الشيخ فى الطبيعة وفرح بالوجود و يحتجب عن ذلك بكشفه من هو صاحبه و بهذا احتججنا على عبد العزيز بن أبى بكر المهدوى فى ادّخاره فوقف ولم يجد جوابا فانه ادّخر لاعن بصيرة ان ذلك على يده ولا عن بصيرة ان ذلك المعين عنده صاحبه فافتضح بين أيدينا فى الحال ومثل هذا ينبغى أن لايدخر ولقد أنصف سيد الطائفة عاقل زمانه المنصف بحاله أبو السعود بن الشبل حيث قال نحن تركنا الحق يتصرف لنا فلم نزاحم الحضرة الالهية فلو أمر وقف عند الامر أو عين له وقف مع التعيين وفيه خلاف بين أهل الله فانه من الرجال من عين لهم ان ذلك المدخر لايصل الى صاحبه الاعلى يده فى الزمان الفلانى المعين فنهم من يمسكه الى ذلك الوقت ومنهم من يقول ما أنا حارس أنا أخرجه عن يدى والحق تعالى ما أمرنى بامساكه فاذا وصل الوقت فان الحق يردّه الى يدى حتى أوصله الى صاحبه وأكون ما بين الزمانين غير موصوف بالادّخار لأنى خزانة الحق ما أنا خازنه اذ قد تفرغت اليه وفرغت نفسى له لقوله وسعنى قلب عبدى فلا أحب أن يزاحمه فى تلك السعة أمر ليس هو فاعلم ذلك فقد نبهتك على أمر عظيم فى هذه المسئلة فلا تصح الزكاة من عارف الا اذا ادّخر عن أمر الهى أو كشف محقق معين انه ما يسبق فى العلم أن يكون لهذا الشئ خازن غيره فحينئذ يسلم له ذلك وما عدا هذا فانا نزكى من حيث نزكى العامة انتهى الجزء الثالث والستون

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿وصل فى فصل تقسيم الناس فى الصدقات المعطى منهم والآخذ﴾

اعلم أن الناس على أربعة أقسام فيما يعطونه وفيما يأخذونه قسم يستعظم ما يعطى و يستحقر ما يأخذ وقسم يستحقر ما يعطى و يستعظم ما يأخذ وقسم يستحقر ما يعطى وما يأخذ وقسم يستعظم ما يعطى وما يأخذ وهؤلاء منهم من يتقى وهم الذين لايرون وجه الحق فى الاشياء ومنهم من لايتقى وهم الذين يرون وجه الحق فى الاشياء وقد يتقون لحاجة الوقت وقد لايتقون لاطلاعهم على فقرهم المطلق فنهم ومنهم فان مشاربهم مختلفة وكذلك مشاهدهم وأذواقهم بحسب أحوالهم فان الحال للنفس الناطقة كالمزاج للنفس الحيوانية فان المزاج حاكم على الجسم والحال حاكم على النفس ثم اعلم ان استعظام الصدقة مشروع قال تعالى فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير وقال وأطعموا القانع والمعتر يعنى من البدن التى جعلها سبحانه من شعائر الله قال ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق يعنى البدن وفى هذه القصة قال ومما رزقناهم ينفقون وقد ذكرنا فى شرح المنفق الذى الانفاق منه كونه له وجهان فكذلك هنا فقال لن ينال الله لحومها ونال الحق منها التقوى منا فيها ومن تقوانا تعظيمها فقد يكون استعظام الصدقة من هذا الباب عند بعض العارفين فلهذا يستعظم ما يعطى ان كان معطيا أو ما يأخذ ان كان آخذا وقد يكون مشهده ذوقا آخر وهو أول مشهد ذقناه من هذا الباب فى هذا الطريق وهو انى حملت يوما فى يدى شيأ محقرا مستقذرا فى العادة عند العامة لم يكن أمثالنا يحمل مثل ذلك من أجل ما فى النفوس من رعونة الطبع ومحبة التميز على من لايلحظ بعين التعظيم فرأيت الشيخ ومعه أصحابه مقبلا فقال له أصحابه ياسيدنا هذا فلان قد أقبل وما قصر فى الطريق لقد جاهد نفسه نراه يحمل فى وسط السوق حيث يراه الناس كذا وذكروا له ما كان بيدى فقال الشيخ فلعله ما حمله مجاهدة لنفسه قالوا له فلم لاهذا قال فاسألوه اذا اجتمع بنا فلما وصلت اليوم سلمت على الشيخ فقال لى بعد ردّ السلام بأى خاطر حملت هذا فى يدك وهو أمر محقر مستقذر وأهل منصبك من

أرباب الدنيا لا يحملون مثل هذا في أيديهم لحقارته واستقذاره فقلت له يا سيدنا حاشاك من هذا النظر ما هو نظر مثلك ان الله تعالى ما استقذره ولا حقره لما علق القدرة بإيجاده كما علقها بإيجاد العرش وما تعظمونه من المخلوقات فكيف بي وأنا عبد حقير ضعيف استحقر وأستقذر ما هو بهذه المثابة فقبلني ودعا لي وقال لأصحابه أين هذا الخاطر من حال المجاهد نفسه فقد يكون استعظام الصدقة من هذا الباب في حق المعطي وفي حق الآخذ فلاستعظام الاشياء وجوه مختلفة يعتبرها أهل الله أوحى الله الى موسى عليه السلام اذا جاءتك من أحد بقلاية مسوسة فاقبلها فاني الذي جئت بها اليك فيستعظمها المعطي من حيث انه نائب عن الحق تعالى في ايصالها ويستعظمها الآخذ من حيث ان الله جاء بها اليه فيد المعطي هنا يد الحق عن شهود أو ايمان قوي فان الله يقول ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فأضاف القول اليه والعبد هو الناطق بذلك وقال تعالى في الخبر كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا وقد يكون استعظامها عند أهل الكشف لما يرى ويشاهده ويسمع من تسبيح تلك الصدقة أو الهدية أو الهبة أو ما كانت لله تعالى وتعظيمها لخالقها باللسان الذي يليق بها وقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده فتعظم عنده لما عندها من تعظيم الحق وعدم الغفلة والفتور دائما كما تعظم الملوك الصالحين وان كانوا فقراء مهانين عبيدا كانوا أو إماء وأهل بلاء كانوا أو معافين ويتبركون بهم لانتسابهم الى طاعة الله على ما يقال فكيف بصاحب هذا المشهد الذي يعاين فمن كان هذا مشهده أيضا من معط وآخذ يستعظم خلق الله اذ هو كله بهذه المثابة وقد يقع التعظيم له أيضا من باب كونه فقيرا الى ذلك الشيء محتاجا اليه من كون الحق تعالى جعله سببا لا يصل الى حاجته الا به سواء كان معطيا أو آخذا اذا كان هذا مشهده وقد يستعظم ذلك أيضا من حيث قول الله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله فتسمى الله في هذه الآية بكل شيء يفتقر اليه وهذا منها وأسماء الحق معظمة وهذا من أسمائه وهو دقيقة لا يتفطن اليها كل أحد الا من يشاهد هذا المشهد وهو من باب الغيرة الالهية والنزول الالهي العام مثل قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه مع ما عبد في الارض من الحجارة والنبات والحيوان وفي السماء من الكواكب والملائكة وذلك لاعتقادهم في كل معبود أنه اله لا لكونه حجرا ولا شجرة ولا غير ذلك وان أخطؤا في النسبة فما أخطؤا في المعبود فلهذا قال وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه فكان من قضائه انهم اعتقدوا الاله وحينئذ عبدوا ما عبدوا فهذا من الغيرة الالهية حتى لا يعبد الا من له هذه الصفة وليس الا الله سبحانه في نفس الامر فقد نستعظم الصدقة من هذا الكشف ❁ وأما استحقارها عند بعضهم فلمشهد آخر ليس هذا فان مشاهد القوم وأحوالهم وأذواقهم ومشاربهم تحكم عليهم بقوتها وسلطانها وهل كل ما ذكرناه في الاستعظام الا من باب حكم الاحوال والاذواق والمشاهد على أصحابها فمنها ان يشاهد امكان ما تعطيه من صدقة ان كان معطيا أو ما يأخذه ان كان آخذا والامكان للممكن صفة افتقارية وذلة وحاجة وحقارة فيستحقر صاحب هذا المشهد كل شيء سواء كان ذلك من أنفس الاشياء في العادة أو غير نفيس وقد يكون مشوبا أيضا في الاستحقار من يعطي من أجل الله ويأخذ بيد الله رأيت بعض أهل الله فيما أحسب فاني لا أزكي على الله أحدا كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله وقد نهانا الله عن ذلك وقد سأل فقير شخصا أن يعطيه صدقة لله فأخرج الرجل المسؤل صرة فيها قطع فضة بين كبير وصغير فأخذ يفتش فيها بيده وذلك الرجل الصالح ينظر اليه ثم رد وجهه الي وقال لي تعلم على م يبحث هذا المتصدق قلت لا قال على قدر منزلته عند الله فانه يعطي من أجل الله فاذا رأى قطعة كبيرة يعدل عنها ويقول ما تساوي عند الله هذا القدر الى ان عمد الى أصغر قطعة وجدها فأعطاها السائل فقال ذلك الصالح هذه قيمتك عند الله الا كل شيء محتقر في جنب الله لكن هذا كرم الهي يستند الى غيرة الهية وذلك ان الناس يوم القيامة ينادي مناد فيهم من قبل الله أين ما أعطي لغير الله فيؤتى بالاموال الجسام والعقار والاملاك ثم يقال أين ما أعطي لوجهي فيؤتى بالكسر اليابسة والفلوس وقطع الفضة المحقرة والخليع من الثياب فغار الحق لذلك ان يعطى لوجهه من نعمته مثل ذلك فأخذ الصدقة بيده وربّاها حتى صارت مثل جبل أحد أكبر ما يكون فيظهرها له على رؤس الاشهاد ويحقر ما أعطي لغير الله فيجعله هباء منثورا فلا بد من الاستحقار لمن هذا مشهده وأمثال هذا مما

يطول ذكره وقد نبهنا على ما فيه كفاية من ذلك مما تدخل فيه الاربعة الاقسام التي قسمنا العالم اليها في أول هذا الفصل

﴿وصل في فصل أحوال الناس في الجهر بالصدقة والكتمان﴾

من الناس من راعى صدقة السرّ لاجل ثناء الحق على ذلك في الحديث الحسن الذي يتضمن قوله ما تدري شماله ما تنفق يمينه وما جاء في صدقة السرّ واعتناء الله بذلك فيسرّ بها لعلم الله بما أنفق لا لغير ذلك من اخلاص وشبهه لان القوم قد حفظهم الله عن الشرك الجليّ والخفيّ فمن يخلصون وما ثم الا الله لا رب غيره وذلك لمشاهدتهم الحق في الاعمال عاملا فيعلمون ان الحق تعالى ما ذكر باب السرّ في مثل هذا وفضله على الاعلان في حق من يرى هذا النظر الا لعلمه في ذلك وان لم يطلع عليه لا لاجل الاخلاص والجهر اذا الجهر والسرّ قد تساويا في حق هؤلاء في المعطي والآخذ ومن هذا الباب قوله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم الحديث وأمّا صاحب الاعلان بالصدقة فليس هذا مشهده ولا أمثاله وانما الغالب على قلبه وبصره مشاهدة الحق في كل شئ فبكل حال عنده أعمال بلا شك ما يشهد غير هذا فيه لمن بالصدقة كما يذكره في الملأ فان من ذكره في الملأ فقد ذكره في نفسه فان ذكر النفس متقدم بلا شك وما كل من ذكره في نفسه ذكره في ملأ فهذه حالة زائدة على الذكر النفسي لا مرتبة تفوت صاحب ذكر النفس فان ذكر النفس لا يطلع عليه في الحالتين فهو سرّ بكل وجه فصدقة الاعلان تؤذن بالاقتدار الالهيّ فمن يخفيها أو يسرّها وهو الظاهر في المظاهر الامكانية وهذه كانت طريقة شيخنا أبي مدين وكان يقول قل الله ثم ذرهم أغير الله تدعون وقد يعلن بها للتأسي وراثة نبوية وامّا ما يذكره عامة أهل هذا الطريق كأبي حامد والمحاسبي وأمثالهما من العامة من الرياء وطلب الاخلاص فانما ذلك خطاب الحق بلسان العموم ليعم بذلك ما هو لسان من لا يرى لا الله ونحن انما نتكلم مع أهل الله في ذلك ولقد كان شيخنا يقول لأصحابه اعلنوا بالطاعة لله حتى تكون كلمة الله هي العليا كما يعلن هؤلاء بالمعاصي والمخالفات واظهار المنكرات ولا يستحيون من الله قال بعض السادة لاصحاب شيخ معتبر بماذا كان يأمركم شيخكم قال كان يأمرنا بالاجتهاد في الاعمال ورؤية التقصير فيها فقال أمركم والله بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالاعمال ورؤية مجريها ومنشيها فهذا من هذا الباب فقد نبهتك على دقائق صدقة السرّ والاعلان في نفوس القوم مع الخلاف الذي بين علماء الرسوم في الصدقة المكتوبة وصدقة التطوّع وهو مشهور لا يحتاج الى ذكره لشهرته من أجل طلب الاختصار والاقتصاد وفي صدقة الاعلان ورد من سنّ سنة حسنة الحديث وامّا الكامل من أهل الله فهو الذي يعطي بالحالتين ليجمع بين المقامين ويحصل النتيجتين وينظر بالعينين ويسلك النجدين ويعطي باليدين فيعلن في وقت في الموضع الذي يرى ان الحق رجح فيه الاعلان ويسرّ بها في وقت في الموضع الذي يرى ان الحق رجح فيه الاسرار وهذا هو الاولى بالكمل من أهل الله في طريق الله تعالى

﴿وصل في فصل صدقة التطوّع﴾

صدقة التطوّع عبودية اختيار مشوبة بسيادة وان لم تكن هكذا فما هي صدقة تطوّع فانه أوجبها على نفسه ايجاب الحق الرحمة على نفسه لمن تاب وأصلح من العاملين السوء بجهالة فهذه مثابة ربوبية مشوبة بحكم عليه بها فان الله تعالى لا يجب عليه شئ بايجاب غيره فهو الموجب على نفسه الذي أوجبه من حيث ما هو موجب فمن أعطى من هذا الوجوب من هذه المنزلة ثم نفرض ان هذه المرتبة الالهية اذا فعلت مثل هذا ونفرض طائرا أو بابا مناسبا على هذا الفصل فنعطيه بعينه لمن أعطى بهذا الوجوب من هذه المنزلة وهم افراد من العارفين بصدقة التطوّع فان الحق من ذلك المقام يثيبه اذا كان هذا مشربه وهذه مسئلة ذوقية مشهودة للقوم ولكن ما رأيت أحدا نبه عليها قبلي الى الان كان وما وصل اليّ فانه لا بد لاهل الله المتحققين بهذا المقام من ادراك هذا ولكن قد لا يجريه الله على ألسنتهم أو تتعذر على بعضهم العبارة عن ذلك وقد ذكرناها في كتابنا هذا في غير هذا الموضع بأبسط من هذا القول وأوضح من هذه العبارة وبهذا الاعتبار تعلو صدقة التطوّع على صدقة الفرض ابتداء فان هذا التطوّع أيضا قد يكون واجبا بايجاب الله اذ أوجبه العبد على نفسه كالنذر فان الله أوجبها بايجاب العبد وغير النذر قد يلحق بهذا الباب قال الاعرابيّ في صحيح الحديث

يارسول الله في الزكاة هل على غيرها قال لا الا ان تطوّع فيحتمل ان الله يوجب عليه ذلك اذا تطوّع به فيلحقه بدرجة الفرض فيكون في الثواب على السواء مع زيادة أجر التطوّع في ذلك فيعلو على الفرض الاصلي بهذا القدر والله يقول لا تبطلوا أعمالكم فنهى والنهي يعم العمل به بخلاف الامر فالشروع في الشرع ملزم وهو الاظهر فسوّى في النهي بين المفروض وغير المفروض وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم النافلة في الصلاة والصيام ولا يجوز عندنا ذلك في الفرائض وهي مسئلة خلاف في قضاء الفرض الموقت وليس معنى التطوّع في ذلك كله الا ان العبد عبد بالاصالة ومحل لما يوجبه عليه سيده فهو بالذات قابل للوجوب والايجاب عليه فالمتطوّع انما هو الراجع الى أصله والخروج عن الاصل انما هو بحكم العرض فمن لزم الاصل دائما فلا يرى الا الوجوب دائما لانه مصرّف مجبور في اختياره تشبيها بالاصل الذي أوجده فانه قال ما يبدّل القول لديّ فما يكون منه الا ما سبق به العلم فانتفى الامكان بالنسبة الى الله فما ثم الا ان يكون أو لا يكون غير هذا ما في الجناب الالهي ومنه قال في حديث التردّد ولا بدّ له من لقائي أي لا بدّ له من الموت وقوله أفمن حقت عليه كلمة العذاب وقوله حق القول مني لاملأنّ فليس في الاصل الأمر واحد عند الله فليس في الكون واقع الأمر واحد علمه من علمه وجهله من جهله هذا تعطي الحقائق فالحكم للوجوب والامكان لا عين له بكل وجه الواحد اذا لم يكن فيه الا حقيقة الوحدة من جميع الوجوه فليس للكثرة وجه فيه تخرج عنه بذلك الوجه فلا يخرج عنه الا واحد فان كان في الواحد وجوه ومعان أو نسب مختلفة فالكثرة الظاهرة عنه لا تستحيل لاجل هذه الوجوه الكثيرة فاجعل بالك من هذه المسئلة فانك من هنا تعرف من أين جئت ومن أنت وهل أنت واحد أو كثير ومن أيّ وجه يقبل الواحد الكثرة و يقبل الكثير الوحدة ولماذا كانت الحكمة في الكثرة أوسع منها في الواحد والواحد هو الاصل فبماذا خرج الفرع عن حكم الاصل وما ثم من يعضده وهل النسب التي أعطت الكثرة في الاصل هل ترجع الى الاصل أو تعطيها أحكام الفرع وليست في الاصل أعيان وجودية هذا كله يتعلق بهذه المسئلة فسبحان الواحد الموحد بالواحد وأحدية الكثرة فان للكثرة أحدية تخصها لا بدّ من ذلك بها سميت تلك الكثرة المعينة وتميزت عن غيرها فما وقع التميز بين الاشياء آحادا أو كثيرين الا بالوحدة ولو اشترك فيها اثنان ما وقع التميز والتميز حاصل فالوحدة لا بدّ منها في الواحد والمجموع فما ثم الا واحد أصلا وفرعا فانظر يا أخي فيما نبهتك عليه فانه من لباب المعرفة الالهية وانظر ما تعطيه صدقة التطوّع وما أشرف هذه الاضافة

﴿وصل في استدراك تطهير الزكاة • وصل في الزكاة من غير الجنس في المال المزكى﴾

فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل خمس من الابل شاة وصنف الشاة غير صنف الابل فالاصل في هذه المسئلة هل يطهر الشيء بنفسه أو يطهر بغيره فالاصل الصحيح ان الشيء لا يطهر الا بنفسه هذا هو الحق الذي يرجع اليه وان وقع الخلاف في الصورة فالمراعاة انما هي في الاصل لما فرض الله الطهارة للعبادة بالماء والتراب وهما مخالفان في الصورة غير مخالفين في الاصل فالاصل انه من الماء خلق كل شيء حيّ وقال في آدم خلقه من تراب فما أوقع الطهارة في الظاهر الا بنفس ما خلق منه كالحيوانية الجامعة للشاة والابل والمالية للشاة والابل وغير ذلك فلولا هذا الامر الجامع ما صحت الطهارة فلهذا صحت الزكاة في بعض الاموال بغير الصنف الذي تجب فيه الزكاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تطهير الانسان من الجهل من عرف نفسه عرف ربه فبمعرفته صحت طهارته لمعرفته بربه فالحق هو القدّوس المطلق وتقديس العبد معرفته بنفسه فما طهر الا بنفسه فتحقق هذا

﴿وصل في فصل النصاب﴾

النصاب المقدار وهو الذي يصح ان يقال فيه كم ويكون كيلا ووزنا وقد بين الشارع نصاب المكيل ونصاب الموزون (الاعتبار في هذا) المكيل المعقول لما ورد في الخبر النبوي من تقسيم العقل في الناس بالقفيز والقفيزين والاكثر والاقل فالحقه الشارع بالمكيل وان كان معنى فهو صاحب الكشف لاتم الاعم الاجلى وقد عرّفناك قبل ان الحضرات ثلاث عقلية وحسية وخيالية والخيالية هي التي تنزل المعاني الى الصور المحسوسة أعني تجليها فيها اذ لا عقلها

الاهكذا ومن هذه الحضرة قسم الشارع العقل كيلا لكون العقل أظهره له الحق في صورة المكيل أعني المعقول لما أراد الله من ذلك وأما الموزون فالاعمال وهي أيضا معان عرضية تعرض للعامل فألحقها الله بالموزون فقال ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وقال فمن يعمل مثقال ذرة فأدخل العمل في الميزان فكان موزونا ولكن في هذه الحضرة المثالية التي لاتدرك المعاني الا في صورة المحسوس حتى التجلي الالهي في النوم فلا ترى الحق الا صورة وقد ورد في ذلك من الاخبار مايغني عن الاستقصاء في تحقيق ذلك وهو شيء يعلمه كل انسان اذ كل انسان له تخيل في اليقظة والمنام ولهذا يعبر مايدركه الخيال كما عبر الشارع عليه السلام من صورة اللبن الى العلم ومن صورة القيد الى الثبات في الدين فهذا معرفة النصاب بما هو نصاب لا بما هو نصاب في كذا فان ذلك يرد في نصاب ماتخرج منه الزكاة ويندرج في هذا الباب معرفة ماله كمية واحدة وكميات كثيرة فان لنا في ذلك مذهبا من أجل أن قطعة الفضة أو الذهب قد تكون غير مسكوكة فتكون جسما واحدا فاذا وزنت أعطى وزنها النصاب أو أزيد من ذلك فمن كونها جسما واحدا هل لذلك الجسم كمية واحدة أو كميات كثيرة أعني أزيد من واحد فاعلم ان الاعداد تعطي في الشيء كثرة الكميات وقلتها والعدد كمية فان كان العدد بسيطا غير مركب فليس له غير كمية واحدة وهو من الواحد الى العشرة الى عقد العشرات عقدا عقدا كالعشرين والثلاثين الى المائة الى المائتين الى الالف الى الالفين وانتهى الامر فاذا كان الموزون أو المكيل ينطلق عليه وهو جسم واحد أحد هذه الالقاب العددية فانه ذو حكم واحد فان انطلق عليه غير هذه الالقاب من الاعداد مثل أحد عشر أو مثل مائة وعشرين أو مثل ثلاثمائة ومثل ثلاثة آلاف أو ماتركب من العدد فكمياته من العدد بحسب ماتركب أو يكون الموزون ليس جسما واحدا كالدراهم والدنانير فله أيضا كميات كثيرة فان كان العدد مركبا والموزون مجموعا من آحاد كان العدد والموزون ذو كميات فان كان أحدهما مركبا أو مجموعا والآخر ليس بمجموع أو ليس بمركب كان ماليس بمركب ولا مجموع ذو كمية واحدة وكان المركب والمجموع ذا كميات فاعلم ذلك وتحدث الكميات في الاجسام بحدوث الانقسام اذ الاجسام تقبل القسمة بلاشك ولكن هل يرد الانفصال بالقسمة على الاتصال أم لا فان ورد على الاتصال كما يراه بعضهم فالجسم الواحد ذو كميات وان لم يرد على الاتصال كما يراه بعضهم فليس له سوى كمية واحدة وهذا التفصيل الذي ذكرناه نحن من كميات الموزون وكميات العدد على هذا مارأينا أحدا تعرض اليه وهو مما يحتاج اليه ولابد ومن عرف هذه المسئلة عرف هل يصح اثبات الجوهر الفرد الذي هو الجزء الذي لايقبل القسمة أم لايصح ثم لتعلم ان من حكمة الشرع بجمعه أصناف العدد فيما تجب فيه الزكاة وهي الفردية فجعلها في الحيوان فكان في ثلاثة أصناف والثلاثة الاول الافراد وهي الابل والبقر والغنم وجعل الشفعية في صنفين في المعدن وهو الذهب والفضة وفي الحبوب وهو الحنطة والشعير وجعل الاحدية في صنف واحد من الثمر وهو التمر خاصة هذا بالاتفاق بلا خلاف وماعدا هذا مما يزكى فبخلاف غير مجمع عليه فمنه خلاف شاذ ومنه غير شاذ

﴿وصل في فصل زكاة الورق﴾

اتفقوا على انه خمس أواق للخبر الصحيح والاوقية أربعون درهما هذا هو النصاب في الورق وزكاته خمسة دراهم وذلك ربع العشر ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ لكل صنف كمال ينتهي اليه فالكمال في الصنف المعدني حازه الذهب وسيأتي ذكره في زكاة الذهب والورق على النصف من درجة الكمال والمدة الزمانية لحصول الكمال المعدني ستة وثلاثون ألف سنة والورق ثمان عشرة ألف سنة وهو نصف زمان الكمال وجميع المعادن تطلب درجة الكمال لتحصلها فتطرأ في الطريق علل تحول بينهم وبين البلوغ الى الغاية فالواصل منها الى الغاية هو المسمى ذهبا ومانزل عن هذه الدرجة لمرض غلب عليه حدث له اسم آخر من فضة ونحاس واسرب وقزدير وحديد وزئبق فيكون الذهب عن اتحاد أبويه بالنكاح والتسوية في التناسب واستيلاء حرارة المعدن في الكل على السواء ولم يعرض للابوين من البرودة واليبوسة ما أثر في هذا الطالب درجة الكمال قبل تحكم سلطان حرارة المعدن فاذا كان السالك بهذه المثابة بلغ الغاية فوجد عين الذهب فان دخل عليه في سلوكه من البرودة فوق مايحتاج اليه

أمر ضه وحال بينه و بين مطلوبه حدث له اسم الفضة فما نزلت عن الذهب الا بدرجة واحدة والكمال فى الاربعة وقد نقص هذا عن الكمال بدرجة واحدة من أربعة والاربعة أول عدد كامل ولهذا يتضمن العشرة فكان فى الفضة ربع العشر لنقصان درجة واحدة عن الذهب بغلبة البرودة والبرودة أصل فاعلى والحرارة أصل فاعلى والرطوبة واليبوسة فرعان منفعلان فتبعت الرطوبة البرودة لكونهما منفعلة عنها فلهذا تكونت الفضة على النصف من زمان تكوين الذهب ولما كان المنفعل يدل على الفاعل و يطلبه بذاته لهذا استغنى بذكر المنفعل عن ذكر ما انفعل عنه لتضمنه اياه فقال تعالى ولا رطب ولا يابس ولم يذكر ولا حار ولا بارد وهذا من فصاحة القرآن واعجازه حيث علم أن الذى أتى به وهو محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن ممن اشتغل بالعلوم الطبيعية فيعرف هذا القدر فعلم قطعا ان ذلك ليس من جهته وانه تنزيل من حكيم حميد وأن القائل بهذا عالم وهو الله تعالى فعلم النبى صلى الله عليه وسلم كل شئ بتعليم الله اياه واعلامه لا بفكره ونظره و بحثه فلا يعرف مقدار النبوة الا من أطلعه الله على مثل هذه الامور فانظر ما أحكم علم الشرع فى فرض الزكاة فى هذه الاصناف على هذا الحد المعلوم فى كل صنف صنف لمن نظر واستبصر

﴿وصل فى فصل نصاب الذهب﴾

المتفق عليه فى نصاب الذهب ما نذكره ان شاء الله فقالت طائفة تجب الزكاة فى عشرين دينارا كما تجب فى مائتى درهم ومن قائل ليس فى الذهب شئ حتى يبلغ أربعين دينارا ففيه دينار واحد وهو ربع العشر أعنى عشرها لان عشر الاربعين أربعة وربع الاربعة واحد ومن قائل ليس فى الذهب زكاة حتى يبلغ صرفه مائتى درهم أو قيمتها فاذا بلغ ففيه ربع عشره سواء بلغ عشرين دينارا أو أقل أو أكثر هذا فيما كان من ذلك دون الاربعين حينئذ يكون الاعتبار فى الذهب ما ذكرناه فاذا بلغ الاربعين كان الاعتبار بها نفسها لا بالدراهم لا صرفا ولا قيمة ﴿الاعتبار فى ذلك﴾ فى كل أربعين دينارا دينار وهو ربع العشر من ذلك قد ذكرنا ان الفضة لما حكم عليها وهى تطلب الكمال الذى ناله الذهب طبع واحد وهو البرودة من الاربع الطبائع فأخذت من الذهب طبعا واحدا أخرجته عن محل الاعتدال فلهذا أخذ من الاربعين التى هى نصاب الذهب دينار واحد وهو ربع العشر لانك اذا ضربت أربعة فى عشرة كان الخارج أربعين فالاربعة عشر الاربعين والواحد ربع الاربعة فهو ربع عشرها وهو الواحد الذى أخذته الفضة وصارت به فضة فى طلبها درجة الكمال فنقص من الذهب هذا القدر فكانت زكاته دينارا وهذا الدينار قد اجتمع مع الخمسة الدراهم فى كونه ربع عشر ما أخذ منه فان العشرين عشر المائتين وربع العشرين خمسة فكان فى المائتين خمسة دراهم وهى ربع عشرها فمن حمل الذهب على الفضة وقال ان فى عشرين دينارا كما فى مائتى درهم أو من قال بالصرف والقيمة بمائتى درهم فأوجب الزكاة فيما هذا قيمته وصرفه من الذهب وهذا فيما دون الاربعين فانه ما ورد نهى فيما دون الاربعين من الذهب كما ورد فى الورق فانه قال ليس فيما دون خمس أواق صدقة ولم يقل ليس فيما دون الاربعين فلهذا ساغ الخلاف فى الذهب ولم يسغ فى الورق واجتمعا فى ربع العشر بكل وجه واعتبر العشر والربع منه لتضمن الاربعة العشرة فضربت فيها ولم تضرب فى غيرها الا ان الاربعة تتضمن عينها وما تحتها من العدد فيكون من المجموع عشرة ولهذا قيل فى الاربعة انه أول عدد كامل فان الاربعة عينها وفيها الثلاثة فتكون سبعة وفيها الاثنان فتكون تسعة وفيها الواحد فتكون عشرة فمن ضرب الاربعة فى العشرة كان كمن ضرب الاربعة فى نفسها بما تحوى عليه فوجبت الزكاة لنظرها النفسها فى ذلك ولم تنظر الى بارئها وموجدها فأخذ الحق منها نظرها الى نفسها وسماه زكاة لها أى طهارة من الدعوى فبقيت لربها بما فيها يتعين له فيها حق يتميز لانها كلها لله لا لذاتها

﴿وصل فى فصل الاوقاص وهى ما زاد على النصاب مما يزكى﴾

أجمع العلماء على زكاة الاوقاص فى الماشية وعلى انه لا أوقاص فى الحبوب واختلفوا فى أوقاص الذهب والورق وتركت الزكاة فى أوقاص الذهب والورق أقول فان الحاقهما بالحبوب أولى من الحاقهما بالماشية فان الحيوان مجاور للنبات والنبات مجاور للمعدن فالحاقه فى الحكم بالمجاور أحق فان الجار أحق بصقبه ﴿وصل فى اعتبار هذا﴾ الكمال لا يقبل

النقص والزكاة نقص من المال ولهذا لما كمل الحيوان بالانسانية لم يكن فيه زكاة فان الاشياء ما خلقت الا لطلب الكمال فلا كامل الا الانسان وأكمل المعادن الذهب ولهذا لا يقبل النقص بالنار مثل ما يقبله سائر المعادن فان قلت فالفضة قد نزلت عن درجة الكمال فهي ناقصة فوجبت الزكاة في أوقاصها قلنا وأشركها الحق في الزكاة اذا بلغت النصاب في الذهب ولم يفعل ذلك في سائر المعادن فلولا ان بينهما مناسبة قوية لما وقع الاشتراك في الحكم فليكن في الاوقاص كذلك فان قلت ان الزكاة نقص من المال ومن بلغ الكمال لا ينقص والذهب قد بلغ الكمال والزكاة فيه اذا بلغ النصاب وهو ذهب في النصاب وذهب في الاوقاص ما زال عنه حكم الكمال قلنا كذلك أقول هكذا كان ينبغي لو يجري على هذا الاصل لكن عارضنا أصل آخر الهي وهو التبدل والتحول في الصور عند التجلي الالهي واختلاف النسب والاعتبارات على الجناب الالهي والعين واحدة والنسب مختلفة فهي العالمة من كذا والقادرة والخالقة من كذا فالحق سبحانه ما فرض الزكاة في أعيان المزكى من كونها أعيانا بل من كونها على الخصوص أموالا في هذه الاعيان خاصة لا في كل ما ينطلق عليه اسم مال فاعتبرنا لما جاء الحكم بالزكاة فيهما اذا بلغا النصاب المالية وما اعتبرنا أعيانهما واعتبرنا في الاوقاص أعيانهما لا المالية فرفعنا الزكاة فيهما كما اعتبرنا في تحول التجليات الاعتقادات والمرتبة وما اعتبرنا الذات واعتبرنا في التنزيه الذات وما اعتبرنا المرتبة ولا الاعتقادات فلما كان أصل الوجود وهو الحق تعالى يقبل الاعتبارات سرت تلك الحقيقة في بعض الموجودات بل في الموجودات مطلقا فاعتبرنا فيها وجودها مختلفة تارة لامور عقلية وتارة لامور شرعية ألا ترى الرقيق وهو انسان وله الكمال اذا اعتبرنا فيه المالية أو اعتبارنا أيضا في المشترى له التجارة قومناه عليه بالقيمة وأنزلناه منزلة ما يزكى من المال فاخرجنا من قيمته الزكاة ألا ترى كمالية الحق لا تقبل وصفا من نعوت المحدثات فلما تجلت في حضرة التمثل للابصار المقيدة بالحس المشترك تبعت الاحكام هذا التجلي الخاص فقال تعالى جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني ومرضت فلم تعدني ولما وقع النظر فيه من حيث رفع النسب قال ليس كمثله شيء وقال والله الغني عن العالمين فمن كان غنيا عن الدلالة عليه كان هو الدليل على نفسه لشدة وضوحه فانه لا شيء أشد في الدلالة من الشيء على نفسه وقد نبهتك على ان الاحكام تتبع الاعتبارات والنسب وبعد أن وقع الحكم من الشارع في أمر تا ما حكم به عليها فلا بد لنا أن ننظر ما اعتبر فيه حتى حكم عليه بذلك الحكم وبهذا يفضل العالم على الجاهل فاذا تقرر هذا فاعلم ان البلوغ بالسن أو الانبات أو الحلم للعقل هو كالنصاب في المال فكما ان النصاب اذا وجد في المال وجبت الزكاة فيه كذلك يجب التكليف على العاقل اذا بلغ ثم بعد أو ان البلوغ يستحكم عقله لمرور الازمان عليه كما يزيد المال بالتجارة فتظهر الاوقاص فمن لم يجد في استحكام عقله ان الله هو الفاعل مطلقا وان العبد لا أثر له في الفعل وجبت عليه الزكاة في الاوقاص والزكاة حق الله في المال فنضيف الى الله من أعماله ما ينبغي أن يضيف وهنا رجلان منهم من يضيف الى الله ما يضيفه على جهة الحقيقة ويضيف الى نفسه من أعماله ما يضيف على جهة الادب كقوله فأردت أن أعيبها وكقوله فأراد ربك أن يبلغا أشدهما وكقول الخليل واذا مرضت فهو يشفيني وكقوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ومنهم من يضيف ذلك العمل كله الى الانسان عقلا وشرعا كالمعتزلي ويضيف الى الله من ذلك خلق القدرة له في هذا العامل لا غير وأما من لا يرى الافعال في استحكام عقله الا من الله ولا أثر للعبد فيها لم ير الزكاة في الاوقاص لانه ما ثم ما يرد الى الله فانه علم ان الكل لله كما قال شيبان الراعي لما سئل عن الزكاة فقال لابن حنبل والشافعي وهما كانا السائلين على مذهبنا أو على مذهبكم ان كان على مذهبنا فالكل لله لا نملك شيأ وان كان على مذهبكم ففي كل أربعين شاة من الغنم شاة فاعتبر شيبان أمرا فأوجب الزكاة واعتبر أمرا آخر فلم يوجب الزكاة والمال هو المال بعينه

﴿وصل في فصل ضم الورق الى الذهب﴾

فمن قائل نضم الدراهم الى الدنانير فاذا كان من مجموعهما النصاب وجبت الزكاة ومن قائل لا يضم فضة الى ذهب ولا ذهب الى فضة وبه أقول (الاعتبار في ذلك) قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لعينك عليك حقا ولنفسك عليك حقا

فكل

فكل ونم وان كان الانسان هو الجامع لعينه ونفسه الحيوانية ولكن جعل الله لكل واحد منهما حقا يخصه فحق العين هذا النوم وحق النفس النباتية التغذي وهو الاكل فلا يضم شئ الى شئ فان النوم ما يقوم مقام الاكل ولا الاكل يقوم مقام النوم فلا يضم شئ الى شئ والذي يرى ضم الشئ الى الشئ يرى ضم النوم الى الاكل فان الاكل سبب في حصول النوم لما يتولد منه من الابخرة المرطبة التي يكون بها النوم فتنال العين حقها والنفس حقها فلا بأس بضم الذهب الى الفضة لحصول الحق من ذلك المجموع

﴿وصل في فصل الشريكين﴾

فمن قائل ان الشريكين لا زكاة عليهما في مالهما حتى يكون لكل واحد منهما نصاب وبه أقول ومن قائل ان المال المشترك حكمه حكم مال رجل واحد (الاعتبار في ذلك) العمل من الانسان اذا وقع فيه الاشتراك فليس فيه حق لله فلا زكاة فيه لان الله تعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو الذي أشرك وقال صلى الله عليه وسلم من قال هذا لله ولوجوهكم فهو لوجوهكم ليس لله منه شئ والنصاب بالاشتراك غير معتبر فان الشريكين في حكم الانفصال وان كانا متصلين فان الاتصال هو الدليل على وجود الانفصال اذ لولا الفصل لم يكن الاتصال واذا كان الحكم للانفصال ولم يبلغ أحدهما ما عنده النصاب في ماله لم تجب عليه الزكاة فان الزكاة وان كانت تطلب المال فما تطلبه الا من المكلف باخراجه ألا ترى المال الذي في بيت المال ما فيه زكاة لاشتراك الخلق فيه مع وجود النصاب فيه وحلول الحول اذا أمسكه الامام ولم يفرقه اصلحة رآها في ذلك فلما اعتبر الخلق المشتركين فيه لم تبلغ حصة واحد منهم النصاب ولم يتعين أيضا رب المال فاذا عينه الامام ودفع اليه ما يبلغ النصاب فقد خرج من بيت المال وتعين مالكه فزال ذلك الحكم فاذا مضى عليه الحول أدى زكاته انتهى الجزء الرابع والخمسون

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿وصل في فصل زكاة الابل﴾

الزكاة فيها بالاتفاق وقدرها ونصابها مذكور في أحكام الشريعة (الاعتبار) حكم الشارع على الابل انها شياطين فأوجب فيها الزكاة لتطهر بذلك من هذه النسبة اذ الزكاة مطهرة رب المال من صفة البخل الشيطنة البعد يقال بئر شطون اذا كانت بعيدة القعر وسمي الشيطان لبعده من رحمة الله لما أبى واستكبر وكان من الكافرين والافعال والاعمال اذا لم تنسب الى الله فقد أبعدت عن الله فوجبت الزكاة فيها وهو ما لله فيها من الحق يردها اليه سبحانه فاذا ردت اليها كتسبت حلة الحسن فقيل أفعال الله كلها حسنة والزكاة واجبة على المعتزلي من حيث اعتقاده خلق أعمال العباد لهم والاشعري تجب عليه الزكاة لاضافة كسبه في العمل الى نفسه وكان في كل خمس ذود شاة والخمس هو عين الزكاة من الورق وهو ربع العشر فصار حكم العدد الذي كان زكاة يزكى أيضا كمن يرى الزكاة في الاوقاص فيخرج من كل أربعة دنانير درهما ومن أربعين درهما درهما وكما أخرجت من الذهب درهما في الاوقاص وليس الورق من صنف الذهب كذلك الشاة تخرج في زكاة خمس من الابل وليست من صنفها كذلك يؤخذ حق الله من الجارحة بالحرق بالنار والقطع في السرقة والنفس المكلفة هي السارقة وليست من جنس الجارحة وتطهرت من حكم السرقة بقطع اليد كما تطهر الخمس من الابل باخراج الشاة وليست من صنف المزكى وقد تقدم حكم الاوقاص فلا يحتاج الى ذكره هنا

﴿وصل في صغار الابل﴾

فمن قائل تجب فيها الزكاة ومن قائل لا تجب (الاعتبار) الصغير لا يجب عليه التكليف حتى يبلغ فلا زكاة في صغار الابل والصغير يعلم الصلاة ويضرب عليها وهو ابن عشر سنين ولا يضرب الا على واجب والبلوغ ما حصل فتجب الزكاة في صغار الابل العقل اذا وجد من الصبي وان لم يبلغ فمن اعتبر البلوغ أسقط التكليف ومن اعتبر استحكام العقل أوجب

التكليف فيما نص الشرع عليه لان الحكم في ذلك له قال تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم وقال وآتيناه الحكم صبيا وقال في المهد آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت في المهد وغيره وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتي ومن برّه بها كونه برّأها مما نسب اليها بشهادته وأتى في كل ما ادّعاه ببنية الماضي ليعرف السامع بحصول ذلك كله عنده وهو صبي في المهد وقد ذكر أن الله تعالى أوصاه بالصلاة والزكاة مادام في الحياة وانه آتاه الكتاب والحكمة ولكن غاب عن أبصار الناس ادراك الكتاب الذي آتاه حتى ظهر في زمان آخر وأما الحكمة فظهر عينها في نفس نطقه بمثل هذه الكلمات وهو في المهد والانسان صغير من حيث جسمه لعدم مرور الازمان الكثيرة عليه في هذه الصورة وأصغر مدّته زمان تكوينه ثم لاتزال مدّته تكبر الى حين موته فكلما كبر جسمه صغر عمره فلا ينفك من اضافة الكبر والصغر اليه فزيادته نقصه ونقصه زيادته فانظر ما أعجب هذا التدبير الالهي

﴿وصل في فصل زكاة الغنم﴾

الاتفاق على الزكاة فيها بلا خلاف وبالله التوفيق (الاعتبار في هذا الوصل) قال تعالى في نفس الانسان قد أفلح من زكاها وقد تقدّم الكلام عليها وان الله أقام الرأس من الغنم مقام الانسان الكامل فهو قيمته فانظر ما أكمل مرتبة الغنم حيث كان الواحد منها فداء نبيّ مكرّم فقال وفديناه بذبح عظيم فعظمه الله وناب مناب هذا النبيّ المكرّم وقام مقامه فوجبت الزكاة في الغنم كما أفلح من زكى نفسه شعر

فداء نبيّ ذبح ذبح لقربان * وأين ثؤاج الكبش من نوس انسان
وعظمه الله العظيم عناية * بنا أو به لم أدر من أيّ ميزان
ولاشك ان البدن أعظم قيمة * وقد نزلت عن ذبح كبش لقربان
فياليت شعري كيف ناب بذاته * شخيص كبيش عن خليفة رحمان

﴿وصل في فصل زكاة البقر﴾

والاتفاق أيضا من علماء الشريعة على الزكاة فيها (الاعتبار في ذلك) يقول الله سبحانه في نفس الانسان قد أفلح من زكاها يعني النفس ولما كانت المناسبة بين البقر والانسان قوية عظيمة السلطان لذلك حيّ بها الميت لما ضرب ببعض البقرة فجاء بالضرب اشارة الى الصفة القهرية لما شمخت نفس الانسان أن تكون سبب حياته بقرة ولاسيما وقد ذبحت وزالت حياتها فحيي بحياتها هذا الانسان المضروب ببعضها وكان قد أبى لما عرضت عليه فضرب ببعضها فحيي بصفة قهرية للانفة التي جبل الله الانسان عليها وفعل الله ذلك ليعرفه ان الاشتراك بينه وبين الحيوان في الحيوانية محقق بالحد والحقيقة وهذا هو كل حيوان جسم متغذ حساس فالانسان وغيره من الحيوان وانفصل كل نوع من الحيوان عن غيره بفصله المقوّم لذاته الذي به سمي هذا انسانا وهذا بقرا وهذا غنما وغير ذلك من الانواع وما أبى الانسان الا من حيث فصله المقوّم وتخيل ان حيوانيته مثل فصله المقوّم فأعلمه الله بما وقع ان الحيوانية في الحيوان كله حقيقة واحدة فأفاد ما لم يكن عنده وكذلك ذلك الميت ما حيي الا بحياة حيوانية لا بحياة انسانية من حيث انه ناطق وكان كلام ذلك الميت مثل كلام البقرة في بني اسرائيل حيث قالت ما خلقت لهذا انما خلقت للحرث ولما قال النبيّ صلى الله عليه وسلم هذا الخبر الذي جرى في بني اسرائيل قال الصحابة تعجبا البقرة تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر وان الله قد قال ما هو أعجب من هذا ان الجلود قالت أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ وهنا علم غامض لمن كشف الله عن بصيرته فوجبت الزكاة في البقر كما ظهرت في النفس ثم مناسبة البرزخ بين البقر والانسان فان البقر بين الابل والغنم في الحيوان المزكى والانسان بين الملك والحيوان ثم البقرة التي ظهر الاحياء بموتها والضرب بها برزخية أيضا في سنها ولونها فهي لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فهذا مقام برزخي فهي لا بيضاء ولا سوداء بل صفراء والصفرة لون برزخي بين البياض والسواد فتحقق ما أومأنا اليه في هذا الاعتبار فانه يحتوي على معان جليلة وأسرار لا يعرفها الا أهل النظر والاستبصار

﴿وصل في فصل الحبوب والتمر﴾

فقد عرفت أيضا ماتجب الزكاة فيه من ذلك بالاتفاق ﴿الاعتبار في ذلك﴾ النفس النباتية وهي التي تمى بالغذاء فزكاتها في الانسان بالصوم ولكن له شرط في طريق الله وهو أن الصائم انما يمسك عن الاكل بالنهار فليأخذ ما كان يستحق أن يأكل بالنهار و يتصدق به ليخرج بذلك من البخل فاذا لم يفعل ذلك عند ناواستوفى في عشائه مافاته بالنهار فما أمسك و بهذا ينفصل صوم خواص أهل الله عن صوم العامة وماتسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الارحمة بالعامة حتى يجدوا ماينا سوا به فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان مواصلا فليواصل حتى السحر مع انه رغب في تعجيل الفطر وتأخير السحور قال تعالى وما أرسلناك الارحمة للعالمين وهذا الاعتبار فيما يزكى من الحبوب وبالله التوفيق ﴿وصل﴾ وأما التمر فهو أيضا كما قلنا الزكاة فيه بالاتفاق وقد تقدم ذلك ﴿وأما اعتبار التمر في الزكاة﴾ فاعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل النخلة عمة لنا وشبهها بالمؤمن حين سأل الناس عنها ووقع الناس في شجر البوادي ووقع عند عبدالله بن عمر انها النخلة أصاب ما أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهذا الحديث يحتج على اباحة الحزورات التي نستعملها الناس فكما ان التمر تجب فيه الزكاة شرعا كذلك المؤمن لما شارك الحق في هذا الاسم تعين للحق فيه حق كما تعين في جميع الاسماء الحسنى يسمى ذلك الحق زكاة فيزكى المؤمن هذه النسبة اليه بالصدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله واعطاء الامان منه لكل خائف من جهته فاذا اصدق في ذلك كله صدقه الله تعالى لانه لايصدق سبحانه الا الصادق ولا يصدقه تعالى الامن اسمه المؤمن لاغير فصدق العبد رد لاسم الله المؤمن عليه كرد صورة الناظر في المرآة على الناظر ليصدقه سبحانه فيما صدق فيه هذا العبد فهذا زكاة من نسبة الايمان اليه فأعطى حق الله من ايمانه بما صدق فيه من أقواله وأفعاله وأحواله وبمت أصناف مايزكى من الاموال المتفق عليها ويلحق بها ما اختلف فيه فانه لايخلو ان يكون ما اختلف فيه نباتا أوحيوانا أو معدنا وقد بينا ذلك في المتفق عليه فليحكم في المختلف فيه بذلك الحكم وليعتبر فيه مايليق بذلك الصنف حتى لايطول الكلام ومذهبنا في هذا الكتاب الاقتصار والاختصار بجهد الطاقة فان الكتاب كبير يحتوى على مالابد منه في طريق الله من الامهات والاصول فان الابناء والفروع تكاد لاتنحصر بل لاتنحصر والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿وصل في فصل الخرص﴾

الاتفاق على اجازة الخرص فيما يخرص من النخيل وغير ذلك وهو تقدير النصاب في ذلك حتى يقوم مقام الكيل ﴿الاعتبار في ذلك﴾ هو موضع خطر يحتاج الى معرفة وتحقيق في المقادير و بصيرة حادة قال تعالى قتل الخراصون وهذه اشارة تلحق بالتفسير وان لم ترد بها التفسير ولكن لتقارب المعنى والمكيل والموزون بمنزلة العلم والخرص بمنزلة غلبة الظن والاصل العلم ثم انه اذا تعذر العلم حكمنا بغلبة الظن وذلك لايكون الافي الاحكام الشرعية أعني في فروع الاحكام فان الحاكم لايحكم الابشهادة الشاهد وهو ليس قاطعا فيما شهد به من ذلك والاصل في الحكم المشروع غلبة الظن حتى في السعادة عند الله فان الله يقول أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فحسن الظن بالله اذا غلب على العبد أنتج له السعادة كما ان سوء الظن بالله يرديه وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فما اختلف العلماء في حكم الحاكم بين الخصمين بغلبة الظن واختلفوا في حكمه بعلمه فكانت غلبة الظن في هذا النوع أصلا متفقا عليه يرجع اليه وكان العلم في ذلك مختلفا فيه والحق تعالى وان لم يكن عنده الا العلم فانه يحكم بالشهود ولهذا جاء قل رب احكم بالحق أي بما شرعت لي وأرسلتني به وفي هذا الطريق معرفة الله بالعقل بطريق الخرص ولهذا تقبل الشبهة القادحة في الادلة ومعرفة الله من طريق الشرع المتواتر مقطوع بها لاتقدح فيها شبهة عند المؤمن أصلا وان جهلت النسبة فالعلم بالله من جهة الشرع وهو تعريف الحق عباده بما هو عليه فانه أعلم بنفسه من عباده و به فان العلم به منه ان يعلم انه جامع بين التنزيه والتشبيه وهذا في الادلة النظرية غير سائغ أعني الجمع بين الضدين في المحكوم عليه ليس ذلك الاهنا خاصة فلا يحكم عليه خلقه والعقل ونظره وفكره من خلقه فكلامه في موجده بأنه ليس كذا أوهو كذا خرص بلا شك

والخارص قد يصيب وقد يخطئ والعلم بالله من حيث القطع أولى من العلم به من حيث الخرص وان كان الخرص لابد منه فى العلم بالله ابتداء

﴿وصل فى فصل ما أكل صاحب التمر والزرع من ثمره وزرعه قبل الحصاد والجداد﴾

فمن قائل يحسب ذلك عليه فى النصاب ومن قائل لا يحسب عليه ويترك الخارص لرب المال ما أكل هو وأهله ويأكل ﴿الاعتبار﴾ ثمر الانسان وزرعه أعماله وأعماله واجبة ومندوب اليها ومباحة خاصة وأما المكروه والمحظور فلا دخول لهما هنا ولا سيما المحظور خاصة فى الزكاة وقد يدخل فى الزكاة بوجه خاص فى فعل المحظور وذلك ان المؤمن لا تخلص له معصية أصلا من غير أن تكون مشوبة بطاعة وهم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فالطاعة التى تشوب كل معصية هى الايمان بها انها معصية وكما هى طاعة فى عين معصية فهى قرب فى عين بعد فذلك الايمان هو زكاتها فيطهر المحظور بالايمان فهو قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات فاذا أعطى هذا القدر فى عمل المعصية وقع الترجى للعبد من الله فى القبول وهو قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وهؤلاء منهم عسى الله أن يتوب عليهم أى يرجع عليهم بالرحمة والقبول والغفران وتبديل السيئات فهذه عناية الزكاة أثرت فى الحظر * وأما فى أعمال الطاعات فنصابها الذى تجب فيه الزكاة زكاتها المباح من عامله خاصة وهو الذى يخص النفس فان الزكاة وان كانت حق الله فما هى حق الله الا من حيث انه شرعها فهى راجعة الينا فان الله عين مصارفها بذكر الاصناف الذين يأخذونها فتصدق الله على الانسان بالمباح فى الثمانية الاعضاء من جميع أعماله فتلك الزكاة التى أعطاها الله من جميع أعماله وذلك لفقره ومسكنته وعمله وتألفه على طاعة ربه واجتماعه من حيث ايمانه عليها وفكاك رقبته من رق الواجبات فى أوقات المباحات وان اندرجت فيها أعنى الواجبات لانه يجب عليه اعتقاد المباح انه مباح الى غير ذلك فمن حسبه عليه فى النصاب فلكونه من جملة ما شرع له لان المباح مشروع كالواجب فلهذا يتصرف فيه تصرف من أبيح له لا تصرف الطبع ومن قال لا يحسب عليه فلكونه وان كان مباحا انما راعى سقوط التكليف فى المباح لان المكلف لا يكون مخيرا فان التكليف مشقة والتخيير لا مشقة فيه وان تضمن الحيرة والتردد

﴿وصل فى فصل وقت الزكاة﴾

فجمهور العلماء فى الصدر الاول مجمعون على وجوب الزكاة فى الذهب والفضة والماشية باشتراط الحول وما خالف فى ذلك أحد من الصدر الاول فيما نقل الينا الا ابن عباس ومعاوية لانه لم يثبت عندهما فى ذلك حديث صحيح ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم ان الحول فيه كمال الزمان فأشبه كمال النصاب فكما وجبت بكمال النصاب وجبت بكمال الزمان ومعنى كمال الزمان تعميمه للفصول الاربعة فيه ولهذا ينتظر بالعنين الحول الكامل حتى تمر عليه الفصول الاربعة فلا تغير فى حاله شيأ أى لا حكم لها فى عنته لعدم استعداده لتأثيرها وكمال الانسان انما هو فى عقله فاذا كمل فى عقله فقد كمل حوله فوجب عليه اخراج الزكاة وهى ان يعلم ما لله عليه من الحقوق فيجتهد فى أداء ذلك و وقت الحبوب والتمر يوم حصاده وجده من غير اشتراط الحول اذ قد مر الحول على الاصل وهو ما الخريف والشتاء والربيع والصيف فيه من الاثر فكانه ما خرج عن حكم الحول بهذا الاعتبار فمن العبادات ما هى مرتبطة بالحول كالحج والصيام وما ذكرناه من صنف مامن أصناف المال المزكى ومن العبادة الواجبة ما لا يرتبط بالحول كالصلاة والعمرة ونوافل الخيرات ما عدا الحج فان واجبه ونافلته سواء فى الحول

﴿وصل فى فصل زكاة المعدن﴾

فمن العلماء من راعى فيه الحول مع النصاب تشبيها بالذهب والفضة ومنهم من راعى فيه النصاب دون الحول تشبيها بما تخرجه الارض مما تجب فيه الزكاة ﴿وصل الاعتبار فى هذا﴾ المعدن الطبيعة التى تتكون عنها الاجسام ونفوس الاجسام الجزئية والطبيعية أربع حقائق بتأليفها ظهر عالم الاجسام وفى العلم الالهى ان العالم ظهر عن الله تعالى من كونه

حياء العالم بدا قادرا لا غير وكل اسم له حكم فى العالم فداخل تحت حيطة هذه الاربعة الاسماء الامهات فمن راعى النصاب دون الحول اعتبر هذا فانه فوق الزمان فاذا تكوّن عن الانسان ما يتكوّن عن الطبيعة فقد بلغ النصاب فوجبت الزكاة وهى الخاق ذلك بالاربع الصفات الثابتة فى العلم الالهى الذى لا يصح التكوين الا بها والطبيعة آلة لا اله ومن اعتبر الحول مع النصاب فانه اذا تكوّن عن الانسان ما يتكوّن عن العناصر لا عن الطبيعة والعناصر لا يتكوّن عنها شئ الا بمرور الازمان عليها وهى حركات الافلاك التى فوقها فركاتها مقيدة بالزمان وهى اعطاء حق الله تعالى من ذلك التكوين باضافته الى الوجه الخاص الالهى الذى له فى كل ممكن من غير نظر الى سببه وهذا هو عالم الخلق والامر والاول هو عالم الامر خاصة فاعلم ذلك

﴿وصل فى فصل حول ربح المال﴾

فطائفة رأت ان حوله يعتبر فيه من يوم استفيد سواء كان الاصل نصابا أو لم يكن وبه أقول وطائفة قالت حول الربح هو حول الاصل أى اذا كمل الاصل حولا زكى الربح معه سواء كان الاصل نصابا أو أقل من نصاب اذا بلغ الاصل مع ربحه نصابا وانفرد بهذا مالك وأصحابه وفرّقت طائفة بين أن يكون رأس المال الحائل عليه الحول نصابا أو لا يكون فقالوا ان كان نصابا زكى ربحه مع رأس المال وان لم يكن نصابا لم يزك ﴿وصل الاعتبار فى هذا﴾ الاعمال هى المال وربحها ما يكون عنها من الصور كالمصلى أو الذاكر يخلق له من ذكره وصلاته ملك يستغفر له الى يوم القيامة فالصور التى تلبس الاعمال هى أرباحها كمانع الزكاة يأتيه ماله الذى هو قدر الزكاة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوّق به ويقال له هذا كنزك والاعمال على قسمين عمل روحانى وهو عمل القلوب وعمل طبيعىّ وهو عمل الاجسام وهى الاعمال المحسوسة فما كان من عمل محسوس اعتبر فيه الحول وما كان من عمل معنوى لم يعتبر فيه الحول لانه خارج عن حكم الزمان ولا بدّ من اعتبار النصاب فى المعنى والحس وقد تقدّم اعتبار النصاب وهو المقدار قبل هذا من هذا الباب وصورة الزكاة فى ذلك الربح هو ما يعود منه على العامل من الخير من كونه موصوفا بصفات الذين لا عطائهم الزكاة من فقير ومسكين وغير ذلك وهو قول النبىّ صلى الله عليه وسلم فيما يخلق من الاعمال من صور الاملاك انه يستغفر له ذلك الملك الى يوم القيامة ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بمكة فى المنام وهو يقول ويشير الى الكعبة يا سا كنى هذا البيت لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت فى أىّ وقت كان من ليل أو نهار أن يصلى فى أىّ وقت شاء من ليل أو نهار فان الله يخلق له من صلاته ملكا يستغفر له الى يوم القيامة ومصداق بعض هذا الخبر ما روى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال يا بنى عبد مناف لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت وصلى فى أىّ وقت شاء من ليل أو نهار خرّجه النسائىّ فى سننه والله أعلم

﴿وصل فى فصل حول الفوائد﴾

وهو ما يستفاد من المال من غير ربحه فقال بعض العلماء ان العلماء أجمعوا على ان المال اذا كان أقل من نصاب واستفيد اليه مال آخر من غير ربحه فكمل من مجموعهما نصاب أنه يستقبل به الحول من يوم كمل واختلفوا اذا استفاد مالا وعنده نصاب مال آخر قد حال عليه الحول فقال بعضهم يزكى المستفاد ان كان نصابا لحوله ولا يضم الى المال الذى وجبت فيه الزكاة وبه أقول وقال بعضهم الفوائد كلها تزكى لحول الاصل اذا كان الاصل نصابا وكذلك الربح عندهم ﴿وصل اعتبار هذا الفصل﴾ من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فقد استفاد من عمل غيره ما لم يكن من عمله فيكون ربحه وانما هو عمل والحكم فى ذلك فى الاعتبار على ما هو فى الحكم الظاهر كما فصلناه فى المذاهب على اختلافها فيما اختلفوا فيه واجماعها فيما أجمعوا عليه كما تقدّم فى الفصول قبله من الاعتبار فى ذلك سواء

﴿وصل فى فصل اعتبار حول نسل الغنم﴾

من العلماء من قال حول النسل هو حول الامّهات كانت الامّهات نصابا أو لم تكن ومن قائل لا يكون حول النسل حول الامّهات الا أن تكون الامّهات نصابا ﴿وصل الاعتبار فى ذلك﴾ ألحقنا بهم ذرّياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ وهذا فى الذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان فهذه الذرية بمنزلة نوافل الخيرات والامّهات مثل فرائض

الخيرات وكما يتقرب بالفرائض كذلك يتقرب بالنوافل وقد وردت الاخبار بما تنتجه نوافل الخيرات من القرب الالهى بجعل لها حكما فى نفسها فهذا اعتبار من أفرد نسل الغنم بالحكم ومن ألحقها بالامهات كما ذكرنا فى المذهبين واعتباره ان نوافل الخيرات فرائض وكان حكمها حكم الفرائض فلهذا ضمت اليها فان صلاة التطوع وهى النافلة التى لاتجب على الانسان ولا يعصى بتركها اذا شرع فيها فى صلاة نافلة أو صيام أو حج فانه يلزمه ما فيها من الفرائض فالركوع والسجود والقيام فى صلاة النافلة فرض فيها واجبة عليه لا تصح أن تكون صلاة الا بهذه الاركان ولهذا قال الله أكملوا لعبدى فريضته من تطوعه فيكمل فرض المفروض من فرض التطوع كان العمل ما كان فحق الله فى نوافل الخيرات ما تحوى عليه من الفرائض وهو زكاتها وما فى ذلك من الفضل يعود على عاملها ولهذا يكون الحق سمعه وبصره فى التقرب بالنوافل

﴿وصل فى فصل فوائد الماشية﴾

قد تقدم اعتبار مثله فى فوائد الناض فأغنى عن ذكره فى هذا الفصل وانما جئنا به لننبه عليه

﴿وصل فى فصل اعتبار حول الديون﴾

فيمن يرى الزكاة فيه فان قوما قالوا يستقبل به الحول من اليوم الذى قبضه يعنى الدين من غريمه والذين يقولون فى الدين الزكاة اختلفوا فمن قائل يعتبر فيه من أول ما كان دينا وان مضى عليه حول زكى زكاة حول وان مرت عليه أحوال زكى لكل حول مر عليه من زكاة فأنزله صاحب هذا المذهب منزلة المال الحاضر ومن قائل يزكيه لعام واحد خاصة وان أقام أحوالا عند الذى عنده الدين فلا زكاة فيه الا هذا القدر ولا أعرف له حجة فى ذلك (الاعتبار فى هذا) الحج عن الميت ومن لا يستطيع كما ورد فى النص وصيام ولى الميت عن الميت اذا مات وعليه صيام فرض رمضان فصار حقا لله فيه على الولى الذى يحج أو يصوم فذلك الحق هو قدر الزكاة التى فى الدين وتبرأ ذمة الذى عنده الدين كما ان الذى عنده الدين لا زكاة عليه فيما عنده لانه ليس بمالك له ومن يرى انه لا زكاة عليه فيه ما دام عند المديون يرى انه ليس للانسان الا ما سعى وليس بيده مال يسعى فيه بخير بل خيره منه كونه وسع على المديون بما أعطاه من المال فعين هذا الفعل قام فيه مقام الزكاة فأغنى عن أن يزكيه وأى خير أعظم ممن وسع على عباد الله وقد قرر العلماء ان المقصود بالزكاة انما هو سد الخلة والذى يأخذ الدين لولا حاجته ما أخذه والذى يعطيه ذلك فقد سد منه تلك الخلة فأشبه الزكاة من هذا الوجه فهذا اعتبار من لا يرى زكاة فيه حتى يقبضه ويستقبل به الحول من يوم قبضه وآية الديون على ما قلناه قوله تعالى وأقرضوا الله قرضا حسنا ومن ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ولما كان فى القرض سد الخلة لذلك قالت اليهود ان الله فقير ونحن أغنياء أى من أجل فقره طلب القرض منا وغابوا عن الذى أراده الحق تعالى من ذلك من غاية وصلته بخلقه كما جاء فى الصحيح جعت فلم تطعمنى وشبه ذلك والباب واحد وقد تقدم الكلام فى القرض فى أول الباب

﴿وصل فى فصل حول العروض عند من أوجب الزكاة فيها﴾

وقد تقدم اعتبار الحول والذى أذهب اليه انه لا زكاة فيها لعدم النص فى ذلك وكأنه شرع زائد وهو القياس المرسل لا شرع مستنبط من شرع ثابت والله أعلم فمن العلماء من اشترط مع العروض وجود الناض ومنهم من اعتبر فيه النصاب ومنهم من لم يعتبر ذلك وقال أكثر العلماء المدير وغير المدير حكمه واحد وانه من اشترى عرضا وحال عليه الحول قومه وزكاه وقال قوم بل يزكى ثمنه لا قيمته ﴿وصل الاعتبار فى هذا﴾ العروض هو ما يعرض على الانسان من أعمال البر مما لا نية له فى ذلك أو يكون من الاعمال التى لا تشترط فيها النية وله الثواب عليها كما قال صلى الله عليه وسلم أسلمت على ما أسلفت من خير أى لك ثوابه وان لم يكن فعلك فيه عن شرع ثابت لكنه مكارم خلق فصادف الحق فجوزى عليه فلو لم يكن فى ذلك العمل الذى عرض حق لله لنسبة تعطيه ما صح أن يثنى عليه فذلك زكاته من حيث لا يشعر

﴿وصل فى فصل تقدم الزكاة قبل الحول﴾

فن العلماء من منع من ذلك و بالمنع أقول ظاهرا لا باطنا ومنهم من جوّز ذلك (الاعتبار) اعتبار التجويز وقدّموا لانفسكم وماتقدّموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله وسارعوا الى مغفرة من ربكم وأولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون وقوله صلى الله عليه وسلم فيمن أتى بالشهادة قبل أن يسألها فعظم مافيهما من الاجر على أجر من أتى بالشهادة بعد أن طولب بأدائها وأمّا اعتبار المنع فان الحكم للوقت فلا ينبغى أن يفعل فيه مالا يقتضيه وهنا دقائق من العلوم من علوم الاسماء الالهية وهل يحكم اسم فى وقت سلطنة اسم آخر مع بقاء حكم صاحب الوقت وهل يشتركان فى الوقت الواحد فيكون الحكم لكل واحد من الاسماء حكم فى وقته وهل حكم الوقت هو الحاكم على الاسم بأن جعله بحكم الاستعداد المحكوم فيه الذى أعطاه الوقت فما وقع حكم الا فى وقته الى مثل هذا فاعلمه و يكفى هذا القدر من اعتبار باب الزكاة والحمد لله انتهى الجزء الخامس والخمسون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الباب الحادى والسبعون فى أسرار الصوم﴾

يا ضاحكا فى صورة الباكى * أنت بنا المشكوّ والشاكى
الصوم امساك بلا رفعة * ورفعة من غير امساك
وقد يكونان معا عند من * يثبت توحيدا باشراك
صيدت عقول عن تصاريفها * بلا حبالات وأشراك *
صيدت عقول عن تصاريفها * بصارم للشرع بتّاك *
فسلمت مارد برهانها * وآمنت من غير ادراك
جرى بها نجم الهدى سابحا * مابين املاك بأفلاك
لولاك يا نفسى لما كنته * كأنه لولاك لولاك *
صومى عن الكون ولا انفطرى * بذا اله الخلق أولاك
وانوى بذاك الصوم من حيث هو * فانه بالطبع غذاك
فى الصوم معنى لو تدبرته * ماحل مخلوق بمغناك
لا مثل للصوم كذا قال لى * شارعه فيدرى ذاك
لانه ترك فأين الذى * * عملته أو أين دعواك
فيرجع الامر الى أصله * بذاك ربى قد تولاك
والصوم ان فكرت فى حكمه * وأصل معناه بمعناك
ثم أتى من عنده مخبر * عن صومك المشروع عراك
فالصوم لله فلا تجهلى * وأنت مجلاه فاياك
الصوم لله وأنت التى * تموت جوعا فاعلمى ذاك
أنتك الرحمن من أجل من * يظهر منك حين سوّاك
سبحان من سوّاك أهلا له * ولم ينل ذلك الاّك
فأنت كالارض فراش له * وعينه المنعوت بالباكى
وصنعة الله ترى عينها * يبنكما فأين مجلاك
لما دعوت الله من ذلة * به تعالى بك لباك *

والقلم الارفع فى لوحه * سطر عنه وصفك الزاكى
فأنت عين الكل لاعينه * أدناك من وجه وأقصاك
اياك ان ترضى بما ترتضى * من أجل ما يرضيك اياك
كونى على أصلك فى كل ما * يريد لا تنسى فينساك
هذا هو العلم الذى جاءنى * من قائل ليس بأفاك *
أنزله عن أمر علامه * ما بين زهاد ونساك *
والحمد لله الذى خصنى * بعلم اضواء وأحلاك
وخصنى بصورة لم يكن * كمالها الا بأبواك *

اعلم أيدك الله ان الصوم هو الامساك والرفعة يقال صام النهار اذا ارتفع قال امرؤ القيس * اذا صام النهار وهجرا * أى ارتفع ولما ارتفع الصوم عن سائر العبادات كلها فى الدرجة سمى صوما ورفعه سبحانه بنفى المثلية عنه فى العبادات كما سنذكره وسلبه عن عباده مع تعبدهم به وأضافه اليه سبحانه وجعل جزاء من اتصف به بيده من انايته وألحقه بنفسه فى نفى المثلية وهو فى الحقيقة ترك لا عمل ونفى المثلية نعت سلبى فتقوت المناسبة بينه وبين الله قال تعالى فى حق نفسه ليس كمثله شئ فنفى أن يكون له مثل فهو سبحانه لا مثل له بالدلالة العقلية والشرعية وخرج النسائى عن أبى امامة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت مرنى بأمر آخذه عنك قال عليك بالصوم فانه لا مثل له فنفى أن يماثله عبادة من العبادات التى شرع لعباده ومن عرف انه وصف سلبى اذ هو ترك المفطرات علم قطعا انه لا مثل له اذ لا عين له تتصف بالوجود الذى يعقل ولهذا قال الله تعالى الصوم لى فهو على الحقيقة لا عبادة ولا عمل واسم العمل اذا أطلق عليه فيه تجوز كاطلاق لفظة الموجود على الحق المعقول عندنا تجوزا اذ من كان وجوده عين ذاته لا تشبه نسبة الوجود اليه نسبة الوجود الينا فانه ليس كمثله شئ

﴿ايراد حديث نبوى الهى﴾

خرج مسلم فى الصحيح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به والصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يسخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى امرؤ صائم انى صائم والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما اذا أفطر فرح بفطره واذا لقى ربه عز وجل فرح بصومه واعلم انه لما نفى المثلية عن الصوم كما ثبت فيما تقدم من حديث النسائى والحق ليس كمثله شئ لقى الصائم ربه عز وجل بوصف ليس كمثله شئ فرآه به فكان هو الرائى المرئى فلهذا قال صلى الله عليه وسلم فرح بصومه ولم يقل فرح بلقاء ربه فان الفرح لا يفرح بنفسه بل يفرح به ومن كان الحق بصره عند رؤيته ومشاهدته فما رأى نفسه الا برؤيته ففرح الصائم لحوقه بدرجة نفى المماثلة وكان فرحه بالفطر فى الدنيا من حيث ايصال حق النفس الحيوانية التى تطلب الغذاء لذاتها فلما رأى العارف افتقار نفسه الحيوانية النباتية اليه ورأى جوده بما أوصل اليها من الغذاء أداء لحقها الذى أوجبه الله عليه قام فى هذا المقام بصفة حق فأعطى بيد الله كما يرى الحق عند لقائه بعين الله فلهذا فرح بفطره كما فرح بصومه عند لقاء ربه ﴿بيان ما يتضمنه هذا الخبر﴾ ولما كان العبد موصوفا بأنه ذو صوم واستحق اسم الصائم بهذه الصفة ثم بعد اثبات الصوم له سلبه الحق عنه وأضافه الى نفسه فقال الا الصيام فانه لى أى صفة الصمدانية وهى التنزيه عن الغذاء ليس الا لى وان وصفتك به فانما وصفتك باعتبار تقييد ما من تقييد التنزيه لا باطلاق التنزيه الذى ينبغى لجلالى فقلت وأنا أجزى به فكان الحق جزاء الصوم للصائم اذا انقلب الى ربه ولقيه بوصف لا مثل له وهو الصوم اذ كان لا يرى من ليس كمثله شئ الا من ليس كمثله شئ كذا نص عليه أبو طالب المكى من سادات أهل الذوق من وجد فى رحله فهو جزاؤه ما أوجب هذه الآية فى هذه الحالة ثم قوله والصيام جنة وهى الوقاية مثل قوله واتقوا الله أى اتخذوه وقاية وكونوا له أيضا

وقاية فأقام الصوم مقامه فى الوقاية وهو ليس كمثله شئ والصوم من العبادات لا مثل له ولا يقال فى الصوم ليس كمثله شئ فان الشئ أمر ثبوتى أو وجودى والصوم ترك فهو معقول عدمى ووصف سلبى فهو لا مثل له لانه ليس كمثله شئ فهذا الفرق بين نعت الحق فى نفى المثلية و بين وصف الصوم بها ثم ان الشارع نهى الصائم والنهى ترك ونعت سلبى فقال لا يرفث ولا يصخب فما أمره بعمل بل نهاه أن يتصف بعمل ما والصوم ترك فصحت المناسبة بين الصوم و بين ما نهى عنه الصائم ثم أمر أن يقول لمن سابه أو قاتله انى صائم أى تارك هذا العمل الذى عملته أنت أيها المقاتل والساب فى جانبى فنزه نفسه عن أمر ربه عن هذا العمل فهو مخبر انه تارك أى ليس عنده صفة سب ولا قتال لمن سابه وقاتله ثم قال والذى نفس محمد بيده يقسم صلى الله عليه وسلم لخلوف فم الصائم وهو تغير رائحة فم الصائم التى لا توجد الا مع التنفس وقد تنفس بهذا الكلام الطيب الذى أمر به وهو قوله انى صائم فهذه الكلمة وكل نفس الصائم أطيب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين عند الله فجاء بالاسم الجامع المنعوت بالاسماء كلها فجاء باسم لا مثل له اذ لم يتسم أحد بهذا الاسم الا الله سبحانه فناسب كون الصوم لا مثل له وقوله من ريح المسك فان ريح المسك أمر وجودى يدركه الشام و يلتذ به السليم المزاج المعتدل فجعل الخلوف عند الله أطيب منه لان نسبة ادراك الروائح الى الله لا تشبه ادراك الروائح بالمشام فهو خلوف عندنا وعنده تعالى هذا الخلوف فوق طيب المسك فى الرائحة فانه روح موصوف لا مثل لما وصف به فلا تشبه الرائحة الرائحة فان رائحة الصائم عن تنفس ورائحة المسك لا عن تنفس من المسك * ولنا واقعة فى مثل هذا كنت عند موسى بن محمد القباب بالمنارة بحرم مكة بباب الحزورة وكان يؤذن بها وكان له طعام يتأذى برائحته كل من شمه وسمعت فى الخبر النبوى ان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ونهى أن تقرب المساجد برائحة الثوم والبصل والكراث فبت وأنا عازم أن أقول لذلك الرجل أن يزيل ذلك الطعام من المسجد لاجل الملائكة فرأيت الحق تعالى فى النوم فقال لى عز وجل لا تقل له عن الطعام فان رائحته عندنا ماهى مثل ماهى عندكم فلما أصبح جاء على عادته الينا فأخبرته بما جرى فبكى وسجد لله شكرا ثم قال لى يا سيدى ومع هذا فالادب مع الشرع أولى فأزاله من المسجد رحمه الله ولما كانت الروائح الكريهة الخبيثة تنفر عنها الامزجة الطبيعية السليمة من انسان وملك لما يحسونه من التأذى لعدم المناسبة فان وجه الحق فى الروائح الخبيثة لا يدركه الا الله خاصة ومن فيه مزاج القبول له من الحيوان أو الانسان الذى له مزاج ذلك الحيوان لا ملك ولهذا قال عند الله فان الصائم أيضا من كونه انسانا سليم المزاج يكره خلوف الصوم من نفسه ومن غيره وهل يتحقق أحد من المخلوقين السالمين المزاج بربه وقتا ما أو فى مشهد ما فيدرك الروائح الخبيثة طيبة على الاطلاق ما سمعنا بهذا وقولى على الاطلاق من أجل ان بعض الامزجة يتأذى بريح المسك والورد ولا سيما المحرور المزاج وما يتأذى منه فليس بطيب عند صاحب ذلك المزاج فلهذا قلنا على الاطلاق اذ الغالب على الامزجة طيب المسك والورد وأمثاله والمتأذى من هذه الروائح الطيبة مزاج غريب أى غير معتاد ولا أدرى هل أعطى الله أحدا ادراك تساوى الروائح بحيث أن لا يكون عنده خبث رائحة أم لا هذا ما ذقناه من أنفسنا ولا نقل الينا ان أحدا أدرك ذلك بل المنقول عن الكمل من الناس وعن الملائكة التأذى بهذه الروائح الخبيثة وما انفرد بادراك ذلك طيبا الا الحق هذا هو المنقول ولا أدرى أيضا شأن الحيوان من غير الانسان فى ذلك ماهو لانى ما أقامنى الحق فى صورة حيوان غير انسان كما أقامنى فى أوقات فى صور ملائكته والله أعلم ثم ان الشرع قد نعت الصوم من طريق المعنى بالكمال الذى لا كمال فوقه حين أفرد له الحق بابا خاصا وسماه باسم خاص يطلب الكمال يقال له باب الريان منه يدخل الصائمون والرى درجة الكمال فى الشرب فانه لا يقبل بعد الرى الشارب شربا أصلا ومهما قبل فما ارتوى أرضا كان أو غير أرض من أرضين الحيوانات خرج مسلم من حديث سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم يقال أين الصائمون فيدخلون منه فاذا دخل آخرهم أغلق فلا يدخل منه أحد ولم يقل ذلك فى شئ من منهى العبادات ولا مأمورها الا فى الصوم فبين بالريان انهم حازوا صفة كمال فى العمل اذ قد اتصفوا بما لا مثل له كما تقدم

وما الا بماثل هو الكامل على الحقيقة والصائمون من العارفين هنا دخلوه وهناك يدخلون منه على علم من الخلائق أجمعين فلنذكر ان شاء الله في هذا الباب أحكام الصوم المشروع وتوابعه ولواحقه وأنواعه وواجبه ومندوبه كما ذكرنا فيما تقدم من أخواته من زكاة وصلاة في العموم والخصوص على طبقاتهم في ذلك وله عند نامراتب أولها الصوم العام المعروف الذي تعبدنا الله به وهو الصوم الظاهر في الشاهد على تمام شروطه فاذا فرغنا من الكلام على أحكام المسئلة التي نوردها في ذلك انتقلنا الى الكلام بلسان الخواص وخلاصتهم على صوم النفس بما هي آمرة للجوارح وهو امساكها عما حجر عليها في مسئلة مسئلة وارتفاعها عن ذلك وعلى صوم القلب الموصوف بالسعة لنزول الالهي حيث قال تعالى وسعني قلب عبدي فنتكلم على صومه وهو امساكه هذه السعة أن يعمرها أحد غير خالقه فان عمرها أحد غير خالقه فقد أفطر في الزمان الذي يجب أن يكون فيه صائما لايثار الرب مسئلة مسئلة والكلام على جملة المفطرات في نوع كل صوم على الاختصار والتقريب فانه باب يطول وسأورد في هذا الباب من الاخبار النبوية ما نقف عليه ان شاء الله تعالى

﴿وصل في فصل تقسيم الصوم﴾

اعلم ان الصوم المشروع منه واجب ومنه مندوب اليه والواجب على ثلاثة أنواع منه ما يجب بايجاب الله تعالى اياه ابتداء وهو صوم شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أي في صيامه أو عدة من أيام أخر في حق المسافر أفطر أو لم يفطر عندنا وعند غيرنا ان أفطر وفي حق المريض ومنه ما يجب لسبب موجب وهو صيام الكفارات ومنه ما يجب من الله بما أوجبه الانسان على نفسه وهو غير مكروه وهو صوم النذر فانه يستخرج به من البخيل ومأثم واجب غير ما ذكرنا وأما المندوب فمنه ما يتقيد بالزمان المرغب فيه كصوم الايام البيض والاثنين والخميس وأشباه ذلك من الايام والشهور ومنه ما يتقيد بالحال كصيام يوم وفطر يوم وهو أعدل الصوم وكالصيام في سبيل الله ومنه ما لا يتقيد بزمان وهو أن يصوم الانسان متى شاء متطوعا بذلك

﴿وصل في فصل الصوم الواجب الذي هو شهر رمضان لمن شهده﴾

فلنقدم في ذلك ذكر رمضان وبعد هذا نتكلم في أحكام صومه خرج مسلم من حديث أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين زاد النسائي في كتابه ونادى مناد في كل ليلة يا طالب الخير هلم ويا طالب الشر أمسك رواه النسائي عن عرفجة عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان مجيء رمضان سببا في الشروع في الصوم فتح الله أبواب الجنة والجنة الستر فدخل الصوم في عمل مستور لا يعلمه منه الا الله تعالى لانه ترك وليس بعمل وجودي فيظهر للبصر أو يعمل بالجوارح فهو مستور عن كل ما سوى الله لا يعلمه من الصائم الا الله تعالى والصائم الذي سماه الشرع صائما لا الجائع وغلق الله أبواب النار فاذا أغلقت أبواب النار عاد نفسها عليها فتضاعف حرها عليها وأكل بعضها بعضا كذلك الصائم في حكم طبيعته اذا صام غلق أبواب نار طبيعته فوجد للصوم حرارة زائدة لعدم استعمال المرطبات ووجد ألم ذلك في باطنه وتضاعفت شهوته للطعام الذي يتوهم الراحة بتحصيله فتقوى نار شهوته بغلق باب تناول الاطعمة والاشربة وصفدت الشياطين وهي صفة البعد فكان الصائم قريبا من الله بالصفة الصمدانية فانه في عبادة لا مثل لها فاقرب بها من صفة ليس كمثله شئ ومن كانت هذه صفته فقد صفدت الشياطين في حقه وقد ورد في الخبر ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فسدوا مجاريه بالجوع والعطش أي هذه الاسباب معينة له على ما يريده من الانسان من التصرف في الفضول وهو ما زاد على التصرف المشروع ثم اعلم علمك الله من لدنه علما وجعل لك في كل أمر حكمة وحكما ان رمضان اسم من أسماء الله تعالى وهو الصمد ورد الخبر النبوي بذلك روى أحمد بن عدي الجرجاني من حديث نجيح أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا رمضان فان رمضان اسم من أسماء الله تعالى وان كان في هذا الاسناد أبو معشر فان علماء هذا الشان قالوا فيه انه مع ضعفه يكتب حديثه فاعتبره ورضي الله عنهم ولذلك قال الله

تعالى

تعالى شهر رمضان ولم يقل رمضان وقال فمن شهد منكم الشهر ولم يقل رمضان فتقوى بهذا حديث أبي معشر مع قول العلماء فيه انه يكتب حديثه مع ضعفه فزاد قوة في هذا الحديث بما أيده القرآن من ذلك . فما فرض الله الصوم الذي لا مثل له ابتداء الا في شهر سماه سبحانه باسم من أسمائه فلا مثل له في الشهور لانه ليس في أسماء شهور السنة من له اسم تسمى الله به الا رمضان فجاء باسم خاص اختص به معين وليس كذلك في اضافة رجب بقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه انه شهر الله المحرم فالكل شهور الله وما نعته هنا الا بالمحرم وهو أحد الشهور الحرم ثم ان الله تعالى أنزل القرآن في هذا الشهر في أفضل ليلة تسمى ليلة القدر فأنزله فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان من كونه رمضان وأما من كونه ليلة القدر فأنزله كتابا مبينا أي بينا انه كتاب وبين كون الشئ كتابا وقرآنا وفرقانا مراتب مميزة يعلمها العالمون بالله فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال رمضان لقوله ليس كمثله شئ فلو قيل لسكان مثلا في هذا الاسم فأضاف لفظ الشهر اليه حتى تنتفي عنه المثلية في الشهور خاصة ويبقى ليس كمثله شئ على رتبته من كل وجه وقد فرض الله صومه وندب الى قيامه وهو يتضمن صوما وفطرا لانه يتضمن ليلا ونهارا واسم رمضان ينطلق عليه في حال الصوم والافطار حتى يتميز من رمضان الذي هو اسم الله تعالى فان الله تعالى له الصوم الذي لا يقبل الفطر ولنا الصوم الذي يقبل الفطر وينتهي الى حد وهو ادبار النهار واقبال الليل وغروب الشمس فكان اطلاقه على الحق لا يشبه اطلاقه على الخلق وندب الى القيام في ليله لتجليه تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وان كان التجلي لله في كل ليلة من السنة ولكن تجليه في رمضان في زمان فطر الصائمين ما هو مثل تجليه للمفطر من غير صوم لان هذا وجود فطر عن ترك مشروع موصوف بانه لا مثل له وذلك الآخر لا يسمى مفطرا بل يسمى آكلا اذا كان الفطر الشق فهذا الاكل للصائم شق أمعائه بالطعام والشراب بعد سدها بالصوم حيث قال سد مجاريه بالجوع والعطش وكان القيام بالليل لان القيام نتيجة قوة في المحل وسبب قوى المحل الغذاء وكان بالليل لمناسبة الغيب فان القوة عن الغذاء غيب غير محسوس انتاج القوة عن الغذاء * ولما شمل رمضان الصوم والفطر والقيام وعدم القيام لذلك ورد في الخبر لا يقولن أحدكم اني قمت رمضان كله وصمته قال الراوي فلا أدري أكره التزكية أو قال لابد من نومة أو رقدة فجعل الاستثناء في قيام ليله لا في صوم نهاره خرج هذا الحديث أبو داود عن أبي بكرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالفطر هنا هو الادبار والاقبال والغروب سواء أكل أو لم يأكل فصوم شهر رمضان واجب على كل انسان مسلم بالغ عاقل صحيح مقيم غير مسافر وهو عين هذا الزمان المعلوم المشهور المعين من الشهور الاثنى عشر شهرا الذي بين شعبان وشوال والمعين من هذا الزمان صوم الايام دون الليالي وحد يوم الصوم من طلوع الفجر الى غروب الشمس فهذا هو حد اليوم المشروع للصوم لا حد اليوم المعروف بالنهار فان ذلك من طلوع الشمس الى غروبها ولما اتصف من ليس كمثله شئ بالاول والآخر كذلك وصف الصوم الذي لا مثل له بأول وآخر فأوله الطلوع الفجري وآخره الغروب الشمسي فلم يجعل أوله يشبه آخره لانه اعتبر في أوله ما لم يعتبر في آخريته مما هو موجود في آخريته موصوف فيه الصائم بالافطار وفي أوليته موصوف فيه بالصوم ولا فرق بين الشفق في الغروب والطلوع من حين الغروب الى حين مغيب الشفق أو من حين الانفجار الى طلوع الشمس ولهذا عدل الشرع الى لفظة الفجر لان حكم انفجاره لوجود النهار حكم غروب الشمس لاقبال الليل وحصوله فكما علم بانفجار الصبح اقبال النهار وان لم تطلع الشمس كذلك عرفنا بغروب الشمس اقبال الليل وان لم يغرب الشفق فانظر ما أحكم وضع الشريعة في العالم فالجامع بين الاول والآخر في الصوم وجود العلامة على اقبال زمان الصوم وزمان الفطر وهو ادبار النهار كما ان بالفجر ادبار الليل فرمضان أعم من صيامه وسيأتي الكلام على الوصال في موضعه وهل صاحبه يسمى صائما أم لا بعد ان ذكرنا تحديد يوم الصوم سواء كان في شهر رمضان أو في غيره فلننظر في تحديد الشهر فأقل مسمى الشهر تسعة وعشرون يوما وأكثره ثلاثون يوما هذا هو الشهر العربي القمري خاصة الذي كلفنا ان نعرفه وشهود العادين بالعلامة أيضا لكن أصحاب العلامة يجعلون شهرا تسعة وعشرين وشهرا ثلاثين والشرع تعبدنا في ذلك برؤية الهلال وفي الغيم بأكمال المقدارين الا في شعبان

اذا غم علينا هلال رمضان فان فيه خلافا بين ان نتم شعبان الى أكثر المقدارين وهو الذى ذهبت اليه الجماعة واما ان نرده الى أقل المقدارين وهو تسعة وعشرون وهو مذهب الحنابلة ومن تابعهم ومن خالف من غير هؤلاء لم يعتبر أهل السنة خلافه فانهم شرعوا ما لم يأذن به الله والذى أقول به ان يسأل أهل التسيير عن منزلة القمر فان كان على درج الرؤية وغم علينا عملنا عليه وان كان على غير درج الرؤية كملنا العدة ثلاثين وأما الشهور التى لا تعد بالقمر فلها مقادير مخصوصة أقل مقاديرها ثمانية وعشرون وهو المسمى بالرومية فبراير وأكثرها مقدارا ستة وثلاثون يوما وهو المسمى بالقبطية مسرى وهو آخر شهور سنة القبط ولا حاجة لنا بشهور الاعاجم فيما تعبدنا به من الصوم فأما انتهاء الثلاثين فى ذلك فهو عدد المنازل والنازلين اللذين لا يخنسان وهما الشمس المشبهة بالروح التى ظهرت به حياة الجسم الحس والقمر المشبه بالنفس لوجود الزيادة والنقص والكمال الزيادى والنقصى والمنازل مقدار المساحة التى يقطعها ما ذكرناه دائبا فان بالشهر ظهرت بسائط الاعداد ومركباتها بحرف العطف من أحد وعشرين الى تسعة وعشرين و بغير حرف العطف من أحد عشر الى تسعة عشر وحصر وجود الفردية فى البسائط وهى الثلاثة وفى العقد وهى الثلاثون ثم تكرار الفرد لكمال التثليث الذى عنه يكون الانتاج فى ثلاثة مواضع وهى الثلاثة فى البسائط والثلاثة عشر فى العدد الذى هو مركب بغير حرف عطف والثلاثة والعشرون بحرف العطف وانحصرت الاقسام ولما رأينا أن الروح يوجد فتكون الحياة ولا يكون هناك نقص ولا زيادة فلا يكون للنفس عين موجودة لها حكم كموت الجنين فى بطن أمه فقد نفخ الروح فيه أو عند ولادته لذلك كان الشهر قد يوجد من تسعة وعشرين يوما فاذا علمت هذا فقد علمت حكمة مقدار الشهر العربى واذا عددناه بغير سير الهلال ونوينا شهرا مطلقا فى ايلاء أو نذر عملنا بالقدر الاقل فى ذلك ولم نعمل بالاكثر فاذا قد حزنا بالاقل حد الشهر ففرغنا وانما نعتبر القدر الاكثر فى الموضع الذى شرع لنا ان نعتبره وذلك فى الغيم على مذهب أو يعطى ذلك رؤية الهلال لقوله صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته

﴿وصل فى فصل اذا غم علينا فى رؤية الهلال﴾

اختلف العلماء اذا غم الهلال فقال الاكثرون تكمل العدة ثلاثين فان كان الذى غم هلال أول الشهر عد الشهر الذى قبله ثلاثين وكان أول رمضان الحادى والثلاثين وان كان الذى غم هلال آخر الشهر أعنى شهر رمضان صام الناس ثلاثين يوما ومن قائل ان كان المغمى هلال أول الشهر صيم اليوم الثانى وهو يوم الشك ومن قائل فى ذلك يرجع الى الحساب بتسيير القمر والشمس وهو مذهب ابن الشخير و به أقول ﴿وصل اعتبار هذا﴾ تقدم حديث سبب الخلاف خرج مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فضرب بيده فقال الشهر هكذا وهكذا ثم عقد ابهامه فى الثالثة صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غمى عليكم فاقدروا ثلاثين وقد ورد أيضا من حديث ابن عمر أنه قال صلى الله عليه وسلم انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الابهام والشهر هكذا وهكذا وهكذا يعنى تمام ثلاثين فهذا الحديث الثانى رفع الاشكال وحديث اقدروا من حمله على التضيق ابتدأ بصوم رمضان من يوم الشك ومن حمله على التقدير حكم بالتسيير وبه أقول اعلم انه لا ترفع الاصوات الا بالرؤية وبه سمى هلالا فتى ما طلع هلال المعرفة فى أفق قلوب العارفين من الاسم الالهى رمضان وجب الصوم ومتى طلع هلال المعرفة فى أفق قلوب العارفين من الاسم الالهى فاطر السموات والارض وجب الفطر على الارواح من قوله السموات وعلى الاجسام من قوله والارض وطلع هنا أى ظهر فانه غارب بتلو الشمس فان غم على العارف ولم يره من أجل الحجاب الحائل من عالم البرزخ فان الغيم برزخ بين السماء والارض فيقدر العارف لهلال المعرفة فى قلبه بحاله وذلك ان ينظر فى هلال عقله بتسييره فى منازل سلوكه حالا بعد حال ومقاما بعد مقام فان كان مقامه يعطى الكشف وان النداء قد جاءه من خلف حجاب كما جاء وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب غير أن حجاب الطبيعة قام له فى ذلك الوقت فى أمر من أمور ممن شغل الخاطر بمال أو أهل وان كان فى الله فيعمل

بحساب ذلك ويعامل اسم الله رمضان بما يليق به وان لم يشهده فان الحال اقتضى له ذلك وان لم يعطه الحال لصحة الحساب أخر حكم ذلك الاسم الالهي الى وقته

﴿وصل في فصل اعتبار وقت الرؤية﴾

اتفقوا على انه اذا رؤى من العشاء على ان الشهر من اليوم الثاني واختلفوا اذا رؤى في سائر أوقات النهار أعني أول ما يرى فأكثر العلماء على ان القمر في أول وقت رؤى من النهار انه لليوم المستقبل كحكمه في موضع الاتفاق ومن قائل اذا رؤى قبل الزوال فهو لليلة الماضية وان رؤى بعد الزوال فهو لليلة الآتية وبه أقول ﴿وصل في الاعتبار فيه﴾ حكم الاسم الالهي في أي حال ظهر من الاحوال فالحكم له في الحال بالتجلي وفي الاستقبال بالاثر حتى يأتي حكم اسم آخر يزيل حكم الاول وأما من يعتبر الرؤية قبل الزوال وبعده فاعلم ان الاستواء هو المسمى في الطريق موقف السواء وهو الموقف الذي لا يتميز فيه سيد من عبد ولا عبد من سيد فان قلت فيه في تلك الحالة سيد صدقت وان قلت فيه عبد صدقت لان لك شاهد حال في كل قول يشهد لك بصدق ما تقول فقل ما شئت فيه تصدق وهو مثل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فكونه رمى حق وكونه لم يرم حق يقول تعالى كنت يده التي يبطش بها فان قلت ان الرامي هو الله صدقت وان قلت ان الرامي هو محمد صلى الله عليه وسلم صدقت هذا هو موقف السواء فان كنت في موقف أبي بكر الصديق ما رأيت شيأ الا رأيت الله قبله فتكون ممن رآه قبل الزوال فالحكم الماضي وأنت بالحال في أول الشهر وذلك اليوم هو أوله وان كنت عثماني المشهد أو صاحب دليل فكر فتقول ما رأيت شيأ الا رأيت الله بعده وهو الذي رآه بعد الزوال فحكمه في المستقبل ووقته في الاستواء وقت وجه الدليل له نسبة الى الدليل ونسبة الى المدلول ثم يظهر الزوال وهو رجوع الظل من خط الاستواء الى الميل العيني فانه راجع الى العشي وهو طلب الليل

﴿وصل في فصل اختلافهم في حصول العلم بالرؤية بطريق البصر﴾

اختلف العلماء في ذلك فكلهم قالوا ان من أبصر هلال الصوم وحده أن عليه ان يصوم الا ابن أبي رباح فانه قال لا يصوم الا برؤية غيره معه واختلفوا هل يفطر برؤيته وحده فمن قائل لا يفطر ومن قائل يفطر وبه أقول وكذلك يصوم لرؤيته وحده ولكن مع حصول العلم في الرؤيتين وأما حصول العلم بالرؤية من طريق الخبر فمن قائل لا يصام ولا يفطر الا بشاهدين عدلين ومن قائل يصام بواحد ويفطر باثنين ومن قائل ان كانت السماء مغيمة أعني في موضع الهلال قبل واحد وان كانت مصحية لم يقبل الا الجم الغفير أو عدلان وكذلك في هلال الفطر فمن قائل اثنان ومن قائل واحد ﴿وصل في الاعتبار في ذلك﴾ فيما يراه أهل الله من التجلي في الاسماء الالهية هل يقف مع رؤيته أو يتوقف حتى يقوم له شاهد من كتاب أو سنة قال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة يريد انه نتيجة عن العمل عليهما وهو الذي أردناه بالشاهد وهما الشاهدان العدلان وقال تعالى أفمن كان على بينة من ربه وهو صاحب الرؤية ويتلوه شاهد منه وهو ما ذكرناه من العمل على الخبر اما كتاب أو سنة وهو الشاهد الواحد والشاهدان الكتاب والسنة وانما احتجنا الى العمل عليهما دون العثور على النقل الذي يشهد لصاحب هذا المقام لان ذلك يتعذر الا بخرق العادة وهو أن نعرف من هناك بآية الدليل أو الخبر وقد رأينا هذه الجماعة من أصحابنا يحتجون على مواجيدهم بالقرآن وما تقدم لهم به حفظ و بالسنة وقد رويناها عن أبي يزيد البسطامي ومتى لم يعط ذلك لم يحكم عليه بقبول ولا برد كاهل الكتاب اذا أخبر وناعن كتابهم بأمر لا نصدق ولا نكذب بهذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنتركه موقوفا والذي أعرف من قول الجنيد لعلمي بالطريق انه أراد أن يفرق بين ما يعطى لصاحب الخلوات والمجاهدة والرياضة على غير طريق الشرع بل بما تقتضيه النفوس من طريق العقل و بين ما يظهر للعاملين على الطريقة المشروعة بالخلوات والرياضات فيشهد له سلوكه على الطريقة المشروعة الالهية بأن ذلك الظاهر له من عند الله على طريق الكرامة به فهذا معنى قول الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وفي رواية مشيد أي هو نتيجة عن عمل مشروع الهي ليفرق بينه

و بين مايظهر لارباب العقول أصحاب النواميس الحكمية والمعلوم واحد والطريق مختلف وصاحب الذوق يفرق بين الامرين ﴿وصل في فصل زمان الامساك﴾

اتفقوا على ان آخره غيبوبة الشمس واختلفوا في أوله فمن قائل الفجر الثاني وهو المستطير ومن قائل هو الفجر الأحمر الذي يكون بعد الابيض وهو قول حذيفة وابن مسعود وهو نظير الشفق الاحمر الذي يكون في أول الليل والذي أقول به هو تبينه للناظر اليه حينئذ يحرم الاكل وهذا هو نص القرآن حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود يريد بياض الصبح وسواد الليل ﴿وصل الاعتبار في هذا﴾ غيبوبة الشمس هي انقضاء مدة حكم الاسم الالهي رمضان في الصوم فانه الذي شرع الصوم فانتهاء مدة حكمه في الصوم هو مغيب الشمس وان كان اسم رمضان كما هو لم يزل عن ولايته فان له حكما آخر فينا وهو القيام وتولى الحكم في المحل الذي كان موصوفا بالصيام الاسم الذي هو فاطر السموات والارض ولكن بتولية اسم رمضان اياه فهو النائب عنه كما انه في الصوم رفيع الدرجات وممسك السموات والارض أن تزولا أو ان تقع على الارض الا باذنه فأفطر الصائم وبقي حكمه مستمرا في القيام الى الحد الذي يحرم فيه الاكل الاسم الالهي رمضان فتولى الاسم الممسك ويبقى الاسم الفاطر والباقي على المريض والمسافر والمرضع والحامل وذلك الحد هو الفجر الابيض المستطير وهو الأولى من الفجر الاحمر الاعند من يقول بفار التنور انه الفجر كما ان الاخذ بالتواتر أولى من الاخذ بالخبر الواحد الصحيح والقرآن متواتر وهو القائل حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر فان أصل الالوان البياض والسواد وما عداهما من الالوان فبرازخ بينهما تتولد من امتزاج البياض والسواد فتظهر الغبرة والحمرة والخضرة الى غير ذلك من الالوان فما قرب للبياض كانت كمية البياض فيه أكثر من كمية السواد وكذلك في الطرف الآخر وجاءت السنة في حديث حذيفة بالحمرة دون البياض فقال هو النهار الا ان الشمس لم تطلع وهو محتمل والبياض المذكور في القرآن ليس بمحتمل فرجحنا الابيض على الاحمر بوجهين قوي بين القرآن وعدم الاحتمال واعتبارهما حكم الايمان وهو الابيض فانه مخلص لله غير ممتزج والاحمر للنظر الاجتهادي وهو حكم العقل ونظر العقل ممتزج بالحس من طريق الخيال لانه يأخذ عن الفكر عن الخيال عن الحس اما بما يعطيه واما بما تعطيه القوة المصورة وهو قاطع بما يعطيه الا انه تدخل عليه الشبهة القادحة فلهذا أعطينا الشفق الاحمر لنظر المجتهد اذ الحمرة لون حدث من امتزاج البياض والسواد وهو امتزاج خاص وأما اعتبار التبين في قوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم ولا يتبين حتى يكون الطلوع واليه أذهب في الحكم فلم يحرم الاكل مع حصول الطلوع في نفس الامر لكن ما حصل البيان عند الناظر كذلك الحق وان كان في نفس الامر هو الظاهر في المظاهر الامكانية لكن لم يتبين ذلك لكل أحد وكما عفا الشارع عن الآكل في أكله وأباح له الاكل مع تحقق طلوع الفجر في نفس الامر لكن ما تبين له كذلك ما وقع من العبد الذي لا يعرف ان الحق هو الظاهر في المظاهر الامكانية بافعاله وأسمائه لا يؤاخذ بها من جهل ذلك حتى يتبين له الحق في ذلك فيكون على بصيرة في قوله اذا أحببته كنت سمعه و بصره فكان العبد مظهر الحق وقد ثبت أن الله قال على لسان عبده في الصلاة سمع الله لمن حمده فنسب القول اليه واللسان للعبد الذي هو محل القول واللسان مظهر امكاني وكما يحرم على المكلف الاكل عند تبين الفجر كذلك يحرم على صاحب الشهود أن يعتقد أن ثم في الوجود غير الله فاعلا بل ولا مشهودا اذ كان قد عم في الحديث القوى والجوارح وما ثم الاهذان

﴿وصل في فصل ما يمسك عنه الصائم﴾

أجمعوا على انه يجب على الصائم الامساك عن المطعوم والمشروب والجماع وهذا القدر هو الذي ورد به نص الكتاب في قوله تعالى فالآن باشروهن وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ﴿وصل في الاعتبار في هذا﴾ اما المطعوم فهو علم الذوق والشرب فالصائم على صفة لا مثل لها ومن اتصف بما لا مثل له فحكمه ان لا مثل له والذوق أول مبادي التجلي الالهي فاذا دام فهو الشرب والذوق نسبة تحدث عند الذائق اذا طعم المذوق

والصوم ترك والترك ماله صفة وجودية تحدث فان الترك ليس بشئ وجودي يحدث لانه نعت سلبي والطعم يضاده فلهذا حرم تناول المطعوم على الصائم لانه يزيل حكم الصوم عنه * وأما المشروب فهو تجل وسط والوسط محصور بين طرفين ان هو وسط لهما والحصر يقضي بالتحديد في المحصور والصوم صفة الهية والله لا يقتضي الحصر ولا يتصف به ولا بالحد ولا يتميز بذلك عنه نافيناقض المشروب الصوم فلهذا حرم على الصائم المشروب ثم ان المشروب لما كان تجليا أذن بوجود الغير المتجلي له والغير في الصائم لا عين له لان الصوم لله ليس لنا وأنا المنعوت به فقد أنزلني الحق بهذه الصفة منزلته والشئ لا يتجلى لنفسه فالصائم لا يتناول المشروب ويحرم عليه ذلك * وأما الجماع فهو لوجود اللذة بالشفعية فكل واحد من الزوجين صاحب لذة فيه فكل واحد مثل للآخر في الجماع ولهذا سمي جماعا لاجتماع الزوجين والصائم لا مثل له لا اتصافه بصفة لا مثل لها فحرم الجماع على الصائم هذا موضع الاجتماع على هذه الثلاثة التي تبطل الصوم ولا يكون الموصوف بها أو بأحدها صائما

(وصل في فصل ما يدخل الجوف مما ليس بغذاء)

اختلفوا فيما يدخل الجوف مما ليس بغذاء كالحصى وغيره وفيما يدخل الجوف من غير منفذ الطعام والشراب كالحقنة وفيما يرد باطن الاعضاء ولا يرد الجوف مثل ان يرد الدماغ ولا يرد المعدة فمن قائل ان ذلك يفطر ومن قائل لا يفطر *(وصل في فصل الاعتبار)* مشاركة الحكماء أصحاب الافكار أهل الله فيما يفتح لهم من علم الكشف بالخلوة والرياضة من طريق النظر وأهل الله تعالى بهما من طريق الايمان واجتمعا في النتيجة فمن فرق من أصحابنا بينهما بالذوق وان مدرك هذا غير مدرك هذا وان اشتركا في الصورة قال لا يفطر ومن قال المدرك واحد والطريق مختلف فذلك اعتبار من قال يفطر وأما اعتبار باطن الاعضاء ما عدا الجوف فهو ان يكون الصائم في حضرة الهية فأقيم في حضرة مثالية مثل قوله أعبد الله كانك تراه فهل لمن خرج من عباد الله في ذوقه عن حكم التشبيه والتمثيل ان يؤثر فيه قول الشارع أعبد الله كأنك تراه فيترك علمه وذوقه وينزل الى هذه المنزلة أدبا مع الشرع وحقيقة من الكشف فيكون قد أفطر أو لا ينزل ويقول أنا مجموع من حقائق مختلفة وفيّ ما يبقيني على ما أنا عليه وفيّ ما تطلبه مشاهدة هذا التنزل وهو كوني متخيلا أو ذا خيال فيعلم ان الحق قد طلب مني ان نشهده في هذه الحضرة من هذه الحقيقة ومن كل حقيقة فيّ فيتعين لهذا التجلي المثالي مني هذه الحقيقة التي تطلبه وتبقى على ما أنا عليه من حقيقة ان لا خيال ولا تخيل فهذا اعتبار من يرى انه لا يفطر ما يرد باطن الاعضاء الخارجة عن المعدة

(وصل في فصل القبلة للصائم)

فمن علماء الشريعة من أجازها ومنهم من كرهها على الاطلاق ومنهم من كرهها للشاب وأجازها للشيخ *(اعتبار هذا الفصل)* هذه المسئلة نقيض مسئلة موسى عليه السلام فانه طلب الرؤية بعد ما حصل له الكلام فالمشاهدة والكلام لا يجتمعان في غير التجلي البرزخي وهو كان مقام شهاب الدين عمر السهروردي الذي مات ببغداد رحمه الله فانه روى لي عنه من أثق بنقله من أصحابه انه قال باجتماع الرؤية والكلام فمن هنا علمت ان مشهده برزخي لابد من ذلك غير ذلك لا يكون والقبلة من الاقبال والقبول على الفهوانية من حضرة اللسن فانه محل الكلام وكان الاقبال عليه أيضا بالكلام المسموع اذ كان في المشاهدة المثالية ومن كان فيها يتصور منه طلب الاقبال على الفهوانية فاذا كلم لم يشهده وهذا المقام الموسوي ذقته في الموضع الذي ذاقه موسى عليه السلام غير أني ذقته في بلة في الرمل على قدر الكف وذاقه موسى عليه السلام في حاجته وهي طلبه النار لاهله ففرحت حيث كان ماء وأعماقلنا اذا كلم لم يشهده لان النفس الطالبة تستفرغ لفهم الخطاب فتغيب عن المشاهدة فهو بمنزلة من يكره القبلة اذ الصائم صاحب المشاهدة لان الصوم لا مثل له والمشاهدة لا مثل لها وأما من أجازها فقال التجلي مثالي فلا أبالي فان الذات من وراء ذلك التجلي والتجلي لا يصح الا من مقام المتجلي له وأما لو كان التجلي في غير مقام المتجلي له لم يصح طلب غير ما هو فيه لان مشاهدة الحق فناء ومع الفناء لا يتصور طلب فان اللذة أقرب من طلب الكلام لنفس المشاهد ومع هذا فلا يلتذ المشاهد في حال المشاهدة

قال أبو العباس السيارى رحمه الله ما التذ عاقل بمشاهدة قط لان مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة وأما من كرهها للشاب فاعتباره المبتدى فى الطريق أجازها للشيخ واعتباره المنتهى فان المنتهى لا يطلب الرجوع من المشاهدة الى الكلام فيترك المشاهدة ويقبل على الفهوانية اذ لا تصح الفهوانية الا مع الحجاب كما قال وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب والمنتهى يعرف ذلك فلا يفعله وأما المبتدى وهو الشاب فما عنده خبرة بالمقامات فانه فى مقام السلوك فلا يعرف منها الا ما ذاقه والنهاية انما تكون فى المشاهدة وهو يسمع بها من الاكابر فيتخيل انه لا يفقد المشاهدة مع الكلام والمبتدى فى مشاهدة مثالية فيقال له ليس الامر كما تزعم ان كلمك لم يشهدك وان أشهدك لم يكلمك ولهذا لم يجوزها للشاب وأجازها للشيخ لان الشيخ لا يطلب الفهوانية الا اذا كان وارثا للرسول فى التبليغ عن الله فيجوز له الاقبال على الفهوانية لفهم الخطاب

﴿وصل فى فصل الحجامة للصائم﴾

فمن قائل انها تفطر والامساك عنها واجب ومن قائل انها لا تفطر ولكنها تكره للصائم ومن قائل انها غير مكروهة للصائم ولا تفطر ﴿وصل فى اعتبار هذا الفصل﴾ الاسم الحى يرد على الاسم رمضان فى حال حكمه فى الصائم فى شهر رمضان أو على الاسم الممسك الذى يمسك السموات والارض ان تزولا أو يمسك السماء ان تقع على الارض اذ كانت الحياة الطبيعية فى الاجسام بخار الدم الذى يتولد من طبخ الكبد الذى هو بيت الدم للجسد ثم يسرى فى العروق سريان الماء فى الطوارق لسقى البستان لحياة الشجر فاذا طمى يخاف ان ينعكس فعله فى البدن فيخرج بالفصاد أو بالحجامة ليبقى منه قدر ما يكون به الحياة فلهذا جعلنا الحكم للاسم الحى أو الممسك فان بالحياة تبقى سموات الارواح وأرض الاجسام وبه يكون حكم المحيى أقوى بما هو بنفسهما اسمان الهيان اخوان فاذا وردا على اسم الله رمضان فى حكم الصائم أو على الاسم الالهى الذى به أضاف الحق الصوم لنفسه فى غير رمضان وجدا فى المنزل الاقرب لهذا المحل الاسم الالهى الضار والمميت استعانا بالاسم الالهى النافع فصار والثلاثة أسماء الهية يطلبون دوام هذه العين القائمة فمن كره طلب الحجامة فلم يفطر الصائم ولم يكره فان بوجودها ثبت حكم الاسم الالهى رمضان لها ومن قال تكره ولا تفطر فوجه الكراهة فى الاعتبار ان الصائم موصوف بترك الغذاء لانه حرم عليه الاكل والشرب والغذاء سبب الحياة للصائم وقد أمر بتركه فى حال صومه وازالة الدم انما هو فى هذه الحال بالحجامة من أجل خوف الهلاك فقام مقام الغذاء لطلب الحياة وهو ممنوع من الغذاء فكره له ذلك وبهذا الاعتبار وبالذى قبله يكون الحكم فيمن قال انها تفطر والامساك عنها واجب ﴿وصل فى فصل القىء والاستقاء﴾ فمن قائل فيمن ذرعه القىء انه لا يفطر الصائم وهم الاكثرون ومن قائل انه يفطر وهو ربيعة ومن تابعه وكذلك الاستقاء الجماعة على انه مفطر الا طاوس فانه قال ليس بمفطر ﴿وصل فى اعتبار هذا الفصل﴾ المعدة خزانة الاغذية التى عنها تكون الحياة الطبيعية وابقاء الملك على النفس الناطقة الذى به يسمى ملكا وبوجوده تحصل فوائد العلوم الوهبية والكسبية والنفس الناطقة تراعى الطبيعة والطبيعة وان كانت خادمة البدن فانها تعرف قدر ما تراعيها النفس الناطقة التى هى فى الملك فاذا أبصرت الطبيعة ان فى خزانة المعدة ما يؤدى الى فساد هذا الجسم قالت للقوة الدافعة أخرجى الزائد المتلف بفاؤه فى هذه الخزانة فأخذته الدافعة من الماسكة وفتحت له الباب وأخرجته وهذا هو الذى ذرعه القىء فمن راعى كونه كان غذاء فخرج على الطريق الذى منه دخل عن قصد ويسمى لاجل مروره على ذلك الطريق اذا دخل مفطرا أفطر عنده بالخروج أيضا ومن فرق بين حكم الدخول وحكم الخروج ولم يراع الطريق وهما ضدان قال لا يفطر وهذا هو الذى ذرعه القىء فان كان للصائم فى اخراجه تعمل وهو الاستقاء فان راعى وجود المنفعة ودفع الضر لبقاء هذه البنية فقام عنده مقام الغذاء والصائم ممنوع من استعمال الغذاء فى حال صومه وكان اخراجه ايكون عنه فى الجسم ما يكون للغذاء قال انه مفطر ومن فرق بين حكم الدخول وحكم الخروج قال ليس بمفطر وهذا كله فى الاعتبار الالهى أحكام الاسماء الالهية التى يطلبها استعداد هذا البدن لتأثيرها فى كل وقت فان الجسم لا يخلو من حكم اسم الهى فيه فان استعد المحل لطلب اسم الهى

غير

غير الاسم الذي هو الحاكم فيه الآن زال الحكم ووليه الذي يطلبه للاستعداد ونظيره اذا خامر أهل بلد على سلطانهم فجاؤا بسلطان غيره لم يكن للاول مساعد فيزول عن حكمه ويرجع الحكم الذي طلبه الاستعداد فالحكم أبدا انما هو للاستعداد والاسم الالهي المعد لا يبرح حكمه دائما لا ينعزل ولا يصح المخامرة من أهل البلد عليه فهو لا يفارقه في حياة ولا موت ولا جمع ولا تفرقة ويساعده الاسم الالهي الحفيظ والقوي وأخواتهما فاعلم ذلك ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم خرجه البخاري عن ابن عباس وخرج أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه القضاء وان استقاء فليقض رواة هذا الحديث كلهم ثقات

﴿وصل في فصل النية﴾

فمنهم من رأى النية شرطا في صحة الصيام وهو الجمهور ومنهم من قال لا يحتاج رمضان الى نية الا أن يكون الذي يدركه صوم رمضان مريضا أو مسافرا فيريد الصوم ﴿وصل في الاعتبار فيه﴾ النية القصد وشهر رمضان لا يأتي بحكم القصد من الانسان الصائم فمن راعى ان الصوم لله لا للعبد قال بالنية في الصوم فانه ما جاء شهر رمضان الا بارادة الحق من الاسم الالهي رمضان والنية ارادة بلا شك ومن راعى ان الحكم للوارد وهو شهر رمضان فسواء نواه الصائم الانساني أو لم ينوه فان حكمه الصوم فليست النية شرطا في صحة صومه فان لم يجب عليه وخيره مع كونه ورد كالمريض والمسافر صار حكمهما بين أمرين على التخيير فلا يمكن أن يعدل الى أحد الامرين الا بقصد منه وهو النية

﴿وصل في فصل من هذا الفصل وهو تعيين النية المجزئة في ذلك﴾

فمن قائل لا بد في ذلك من تعيين صوم رمضان ولا يكفيه اعتقاد الصوم مطلقا ولا اعتقاد صوم معين غير صوم رمضان ومن قائل ان أطلق الصوم أجزأه وكذلك ان نوى فيه غير صيام رمضان أجزأه وانقلب الى صيام رمضان الا أن يكون مسافرا فان للمسافر عنده أن ينوي صيام غير رمضان في رمضان ومن قائل ان كل صوم نوى في رمضان انقلب الى رمضان المسافر والحاضر في ذلك على السواء ﴿وصل الاعتبار فيه﴾ قال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى فالحكم للمدعو بالاسماء الالهية لا للاسماء فانها وان تفرقت معانيها وتميزت فان لها دلالة على ذات معينة في الجملة وفي نفس الامر وان لم تعلم ولا يدركها أحد فانه لا يقدح ذلك في ادراكنا وعلمنا أن ثم ذاتا ينطلق عليها هذه الاسماء كذلك الصوم هو المطلوب سواء كان مندوبا أو واجبا على كثرة تقاسيم الوجوب فيه ومن راعى الاسم الالهي رمضان فرق بينه وبين غيره فان غيره هو من الاسم الممسك لا من اسم رمضان والاسماء الالهية وان دلت على ذات واحدة فانها تتميز في أنفسها من طريقين الواحد من اختلاف ألفاظها والثاني من اختلاف معانيها وان تقاربت غاية القرب وتشابهت غاية الشبه وأسماء المقابلة في غاية البعد كالضار والنافع والمعز والمذل والمحيي والمميت والهادي والمضل فلا بد من مراعاة حكم ما تدل عليه من المعاني وبهذا تميز العالم من الجاهل وما أتى الحق بها متعددة الا لمراعاة ما تدل عليه من المعاني ومراعاة قصد الحق تعالى في ذلك أولى من غيره فلا بد من التعيين لحصول الفائدة المطلوبة بذلك اللفظ المعين دون غيره من تركيبات الالفاظ التي هي الكلمات الالهية ومن اعتبر حال المكلف وهو الذي فرق بين المسافر والحاضر وله في التفرقة وجه صحيح لان الحكم يتبع الاحوال فيراعي المضطر وغير المضطر والمريض وغير المريض وكذلك الاسماء تراعي أيضا فيراعي اسم الخمر اذا تخللت من اسم الخل فيتغير الحكم الالهي في هذا الجسم المعين بتغير الاسماء كما تغيرت الاسماء في بعض الاشياء لتغير الاحوال اذ كان التغيير في ذلك لحكم اسم الهي أوجب له تغير الاسم فتغير الحكم

الحكم للمدعو بالاسماء * ما الحكم للاسماء في الاشياء
لكن لها التحكيم في تصريفها * فيه كمثل الحكم للانواء
في الزهر والاشجار في أمطارها * وفتاوق الاشياء كالانداء
لعبت بها الارواح في تصريفها * كتلاعب الافعال بالاسماء

﴿وصل في فصل وقت النية للصوم﴾

فمن قائل لا يجزى الصيام الا بنية قبل الفجر مطلقا في جميع أنواع الصوم ومن قائل تجزى النية بعد الفجر في صوم التطوع لا في الفروض ومن قائل تجزئ النية بعد الفجر في الصيام المتعلق وجوبه بوقت معين والنافلة ولا تجزى في الواجب في الذمة ﴿وصل الاعتبار في ذلك﴾ الفجر علامة على طلوع الشمس فهو كالاسم الالهي من حيث دلالته على المسمى به لا على المعنى الذي تميز به عن غيره من الاسماء والقاصد للصوم قد يقصده اضطرارا واختيارا والانسان في علمه بالله قد يكون صاحب نظر فكري أو صاحب شهود فمن كان علمه بالله عن نظر في دليل فلا بدّ أن يطلب على الدليل الموصل اليه الى المعرفة فهو بمنزلة من نوى قبل الفجر ومدة نظره في الدليل كالمدة من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والمعرفة بالله على قسمين واجبة كمعرفته بتوحيده في ألوهيته ومعرفة غير واجبة كمعرفته بنسبة الاسماء اليه التي تدل على معان فانه لا يجب عليه النظر في تلك المعاني هل هي زائدة عليه أم لا فثل هذه المعرفة لا يبالي متى قصدها هل بعد حصول الدليل بتوحيد الاله أو قبله وأمّا الواجب في الذمة فكالمعرفة بالله من حيث ما نسب الشرع اليه في الكتاب والسنة فانه قد تعين بالدليل النظري ان هذا شرعه وهذا كلامه فوقع الايمان به فحصل في الذمة فلا بد من القصد اليه من غير نظر الى الدليل النظري وهو الذي اعتبر فيه النية قبل الفجر لانه عنده علم ضروري وهو المقدم على العلم النظري لان العلم النظري لا يحصل الا أن يكون الدليل ضروريا أو مولدا عن ضروري على قرب أو بعد وان لم يكن كذلك فليس بدليل قطعي ولا برهان وجودي

﴿وصل في فصل الطهارة من الجنابة للصائم﴾

فالجمهور على ان الطهارة من الجنابة ليست شرطا في صحة الصوم وان الاحتلام بالنهار لا يفسد الصوم الا بعضهم فانه ذهب الى أنه اذا تعمد ذلك أفسد صومه وهو قول ينقل عن النخعي وطاوس وعروة بن الزبير وقد روى عن أبي هريرة ذلك في المتعمد وغير المتعمد وكان يقول من أصبح جنبا في رمضان أفطر وكان يقول ما أنا قلته محمد صلى الله عليه وسلم قاله ورب الكعبة وقال بعض المالكيين ان الحائض اذا طهرت قبل الفجر فأخرت الغسل ان يومها يوم فطر ﴿وصل الاعتبار في هذا﴾ الجنابة الغربة والغربة بعد والحيض أذى والاذى يوجب البعد وأعني الاذى الخاص مثل قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله أي أبعدهم واللعنة البعد وسببه وقوع الاذى منهم فهو بعيد من الاسم القدوس والصوم يوجب القرب من الله الذي ليس كمثله شئ والصوم لا مثل له في العبادات فكما لا يجتمع القرب والبعد لا يجتمع الصوم والجنابة والأذى ومن راعى ان الجنابة حكم الطبيعة فكذلك الحيض وقال ان الصوم نسبة الهية أثبت كل أمر في موضعه فقال بصحة الصوم للجنب وللطاهرة من الحيض قبل الفجر اذا أخرت الغسل فلم تتطهر الا بعد الفجر وهو الاولى في الاعتبار لما تطلبه الحكمة من اعطاء كل ذي حق حقه فان الحكيم عز وجل يقول اعطى كل شئ خلقه ثم هدى أي بين وأثنى الله بهذا القول لما حكاه عن موسى انه قاله لفرعون ولم يجرحه تعالى في هذا القول كما جرّح من قال ان الله فقير وان الله ثالث ثلاثة

﴿وصل في فصل صوم المسافر والمريض شهر رمضان﴾

فمن قائل انهما ان صاماه وقع وأجزأهما ومن قائل انه لا يجزيهما وان الواجب عليهما عدة من أيام أخر والذي أذهب اليه انهما ان صاماه فان ذلك لا يجزيهما وان الواجب عليهما أيام أخر غير أني أفرق بين المريض والمسافر اذا أوقعا الصوم في هذه الحالة في شهر رمضان فأمّا المريض فيكون الصوم له نفلا وهو عمل برّ وليس بواجب عليه ولو أوجبه على نفسه فانه لا يجب عليه وأما المسافر لا يكون صومه في السفر في شهر رمضان ولا في غيره عمل برّ واذا لم يكن عمل برّ كان كمن لم يعمل شيأ وهو أدنى درجاته أو يكون على ضدّ البرّ ونقيضه وهو الفجور ولا أقول بذلك الا أني أنفي عنه ان يكون في عمل بر في ذلك الفعل في تلك الحال والله أعلم ﴿الاعتبار﴾ السالك هو المسافر في المقامات بالاسماء الالهية فلا يحكم عليه الاسم الالهي رمضان بالصوم الواجب ولا غير الواجب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ليس من البر

الصيام في السفر واسم رمضان يطلبه بتنفيذ الحكم فيه الى انقضاء شهر سلطانه والسفر يحكم عليه بالانتقال الذي هو عدم الثبوت على الحال الواحدة فيبطل حكم الاسم الالهي "رمضان في حق المسافر الصائم ومن قال انه يجزيه جعل سفره في قطع أيام الشهر وجعل الحكم فيه الاسم رمضان فجمع بين السفر والصوم وأمّا حكم انتقاله المسمى سفرا فانه ينتقل من صوم الى فطر ومن فطر الى صوم وحكم رمضان لا يفارقه ولهذا شرع صيامه وقام جواز الوصال فيه أيضا مع انتقاله من ليل الى نهار ومن نهار الى ليل وحكم رمضان منسحب عليه ولهذا أجزأ المسافر صوم رمضان وأمّا المريض فحكمه غير حكم المسافر في الاعتبار فان العلماء أجمعوا على ان المريض ان صام رمضان في حال مرضه أجزأه والمسافر ليس كذلك عندهم فضعف استدلالهم بالآية فاعتباره أن المرض يضاد الصحة والمطلوب من الصوم صحته والضدان لا يجتمعان فلا يصح المرض والصوم واعتبرناه في شهر رمضان دون غيره لانه واجب بايجاب الله ابتداء فالذي أوجبه هو الذي رفعه عن المريض فلا يصح ان يرجع ما ليس بواجب من الله واجبا من الله في حال كونه ليس بواجب

﴿وصل في فصل من يقول ان صوم المسافر والمريض يجزيهما في شهر رمضان فهل الفطر لهما أفضل أم الصوم﴾

فمن قائل ان الصوم أفضل ومن قائل ان الفطر أفضل ومن قائل انه على التخيير فليس أحدهما بافضل من الآخر (الاعتبار) من اعتبر أن الصوم لا مثل له وانه صفة للحق قال انه أفضل ومن اعتبر أنه عبادة فهو صفة ذلة وافتقار فهو بالعبد أليق قال ان الفطر أفضل ولا سيما السالك والمريض فانهما محتاجان الى القوّة ومنبعها الفطر عادة فالفطر أفضل ومن اعتبر ان الصوم من الاسم الالهي "رمضان وان الفطر من الاسم الالهي "الفاطر وقال لا تفاضل في الاسماء الالهية بما هي أسماء للاله تعالى قال ليس أحد الاسمين بأفضل من الآخر لأن المفطر في حكم الفاطر والصائم في حكم الرفيع الدرجات وحكم الممسك وحكم اسم رمضان وهذا مذهب المحققين رفع الشريف والاشرف والوضيع والشريف الذي في مقابلته من العالم الذي هو عبارة عن كل ما سوى الله تعالى

﴿وصل في فصل هل الفطر الجائز للمسافر هل هو في سفر محدود أو غير محدود﴾

فمن قائل انه يفطر في السفر الذي يقصر فيه الصلاة وذلك على حسب اختلافهم في هذه المسئلة ومن قائل انه يفطر في كل ما ينطلق عليه اسم سفر وبه أقول ﴿الاعتبار في ذلك﴾ المسافرون الى الله وهو الاسم الجامع وهو الغاية المطلوبة والاسماء الالهية في الطريق اليه كالمنازل للمسافرين ومنازل القمر المقدرة لسير القمر في الطريق الى غاية مقصوده وأقل السفر الانتقال من اسم الى اسم فان وجد الله في أول قدم من سفره كان حكمه بحسب ذلك وقد انطلق عليه انه مسافر وليس لا كثره عندنا نهاية ولا حد لقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك فهذا اعتبار من قال يفطر فيما ينطلق عليه اسم سفر ومن قال بالتحديد في ذلك فاعتباره بحسب ما حدد فمن اعتبر الثلاثة في ذلك كان كمن قال الاحدية أو الواحد لا حكم له في العدد وانما العدد من الاثنين فصاعدا والسفر هنا الى الاسم الله ولا سفر اليه الا به فأول ما يلقاه من كونه مسافرا اليه في الفردية وهي الثلاثة أول الافراد فهذا هو السفر المحدود ثم يؤخذ الاعتبار في تحديد العلماء تقصير الصلاة في باب الصلاة من هذا الكتاب وانا قد ذكرناه في صلاة القصر من هذا الكتاب

﴿وصل في فصل المرض الذي يجوز فيه الفطر﴾

فمن قائل المرض هو الذي يلحق من الصوم فيه مشقة وضرر ومن قائل انه المرض الغالب ومن قائل انه أقل ما ينطلق عليه اسم مرض وبه أقول وهو مذهب ربيعة بن أبي عبد الرحمن ﴿الاعتبار﴾ المريد تلحقه المشقة وهو صاحب مكابدة وجهد ومن أجل ذلك شرع لنا واياك نستعين وقال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة فيعينه الاسم "القوي" على ما هو بصدده فهذا مرض يوجب الفطر وأمّا من اعتبر المرض بالميل وهو الذي ينطلق عليه اسم مرض وهو مذهب محمد بن عبد الجبار النفري "صاحب المواقف من رجال الله كذا أحسبه والانسان لا يخلو عن ميل بالضرورة فانه بين حق وخلق و بين حق وحق من حيث الاسماء الالهية وكل طرف يدعوه الى نفسه فلا بد له من الميل

اماعنه أواليه به أو بنفسه بحسب حاله ولاسيما أهل طريق الله فانهم فى مباحهم فى حال ندب أو وجوب فلايخلص لهم مباح أصلا فلايوجد أحد من أهل الله تكون كفتاميزانه على الاعتدال والانسان هو لسان الميزان فلابد فيه من الميل الى جانب داعى الحق وهذا هو اعتبار من يقول بالفطر فيما ينطلق عليه اسم مرض وان الله عند المريض بالاخبار الالهى الثابت ألاتراه يلجأ اليه و يكثر من ذكره على أى دين كان أونحلة فانه بالضرورة يميل اليه و يظهر لك ذلك بينا فى طلب النجاة مما هو فيه فان الانسان بحكم الطبع يجرى اذا مسه الضر الى طلب من يزيله عنه وليس الا الله قال تعالى واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه وان جهل الطريق اليها فما جهل الاضطرار فانه حاله ذوقا ونحن انما نراعى القصد وهو المطلوب وأمامن اعتبر المرض الغالب فهو مايضاف الى العبد من الافعال فانه ميل عن الحق فى الافعال اذهى له والموافق والمخالف يميل بها الى العبد سواء مال اقتدارا أوخلقا أوكسبا فهذا ميل حسى شرعى وهو قولهم ربنا آمنا بما أنزلت فأضافوا الايمان اليهم ايجادا وقول الله لهم آمنوا بالله تقرير الصحة مانسبوه من الافعال اليهم بهذه الاضافة فهذا هو الشرعى فهذا بمنزلة المرض وانه الميل الغالب لانه بين الحق والخلق

﴿وصل فى فصل متى يفطر الصائم ومتى يمسك﴾

فمن قائل يفطر فى يومه الذى خرج فيه مسافرا ومن قائل لايفطر يومه ذلك واستحب العلماء لمن علم انه يدخل المدينة ذلك اليوم ان يدخلها صائما فان دخلها مفطرا لم يوجبوا عليه كفارة ﴿الاعتبار﴾ اذا خرج السالك فى سلوكه من حكم اسم الهى كان له الى حكم اسم آخر الهى دعاه اليه ليوصله اليه حكم اسم آخر ليس هو الذى خرج عنه ولا هو الذى يصل اليه كان بحكم ذلك الاسم الذى يسلك به وهو معه أينما كان قال تعالى وهو معكم أينما كنتم وان اقتضى له ذلك الاسم الصوم كان بحكم صفة الصوم وان اقتضى له الفطر كان بحكم صفة الفطر فاذا علم انه يحصل فى يومه الذى هو نفسه بفتح الفاء فى حكم الاسم الذى دعاه اليه و يريد النزول عليه كان بحكم صفة ذلك الاسم من فطر أو صوم لا أعين له حالا من الاحوال لان الاحوال تختلف ولا حرج عليه فيما كان من ذلك و بالله التوفيق

﴿وصل فى فصل المسافر يدخل المدينة التى سافر اليها وقد ذهب بعض النهار﴾

اختلف العلماء فيمن هذه حاله فقال بعضهم يتمادى على فطره وقال آخرون يكف عن الاكل وكذلك الحائض تطهر تكف عن الاكل (وصل الاعتبار فى هذا الفصل) كان له مطلوب فى سلوكه فوصل اليه هل يحجبه فرحه بما وصل اليه عن شكر من أوصله اليه فان حجبه تغير الحكم عليه وراعى حكم الامساك عنه وان لم يحجبه ذلك اشتغل عند الوصول بمراعاة من أوصله فلم يخرج عن حكمه وتمادى على الصفة التى كان عليها فى سلوكه عابدا لذلك الاسم عبادة شكر لا عبادة تكليف وكذلك الحائض وهو كذب النفس ترزق الصدق فتطهر عن الكذب الذى هو حيضها والحيض سبب فطرها فهل تمادى على صفة الفطر بالكذب المشروع من اصلاح ذات البين والكذب فى الحرب وكذب الرجل لزوجته أوتستلزم ماهو صدق فى محمود وواجب ومندوب فان الصدق المحظور كالغيبة والنميمة مثل الكذب المحظور يتعلق بهما الاثم والجاب على السواء مثاله من يتحدث بما جرى له مع امرأته فى الفراش فأخبر بصدق وهو من الكبائر وكذلك ماذكرناه من الغيبة والنميمة انتهى الجزء السادس والستون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿وصل فى فصل هل يجوز للصائم بعض رمضان أن ينشئ سفرا ثم لا يصوم فيه﴾

اختلف العلماء فيمن هذه حاله فمن قائل يجوز له ذلك وهو الجمهور ومن قائل لم يجز له الفطر روى هذا القول عن سويد بن غفلة وغيره (الاعتبار) لما كان عندنا وعند أهل الله كلهم ان كل اسم الهى يتضمن جميع الاسماء ولهذا ينعت كل اسم الهى بجميع الاسماء الالهية لتضمنه معناها كلها ولان كل اسم الهى له دلالة على الذات كماله دلالة على المعنى الخاص به واذا كان الامر كما ذكرناه فأى اسم الهى حكم عليك سلطانه قد يلوح لك فى ذلك الحكم معنى اسم

الهى

الحي" آخر يكون حكمه في ذلك الاسم أجلى منـه وأوضح من الاسم الذي أتت به في وقته فتنشئ سلوكا اليه فمن قائل منا يبقى على تجلي الاسم الذي لاح له فيه ذلك المعنى ومنا من قال ينتقل الى الاسم الذي لاح له معناه في التضمن فانه أجلى وأتم فالرجـل مخير اذا كان قويا على تصريف الاحوال فان كان تحت تصريف الاحوال كان بحكم حال الاسم الذي يقضي عليه سلطانه

﴿وصل في فصل المغمى عليه والذي به جنون﴾

اتفق الفقهاء على وجوبه على المغمى عليه واختلفوا في المجنون فمنهم من أوجب القضاء عليه ومنهم من لم يوجب القضاء وبه أقول وكذلك عندي في المغمى عليه واختلفوا في كون الاغماء والجنون مفسد الصوم فمن قائل انه مفسد ومن قائل انه غير مفسـد وفرق قوم بين أن يكون أغمي عليه قبل الفجر أو بعد الفجر وقوم قالوا ان أغمي عليه بعد ما مضى أكثر النهار أجزأه وان أغمي عليـه أول النهار قضى (الاعتبار) الاغمـاء حالة فناء والجنون حالة وله وكل واحد من أهل هذه الصفة ليس بمكلف فلا قضاء عليـه على ان القضاء في أصله عندنا لا يتصور في الطريق فان كل زمان له وارد يخصه فـالزمان يكون فيه حكم الزمان الذي مضى فـامضى من الزمان مضى بحاله وما نحن فيـه فنحن تحت سلطانه ومالم يأت فلا حكم له فينا فان قالوا قد يكون من حكم الزمان الحـالي الذي هو الآن قضاء ما كان له أداؤه في الزمان الاول قلنا له فهو مؤدّ اذن اذ هذا زمان أداء ما سميته قضاء فان أردت به هذا فسلم في الطريق فأنت سميته قاضيا وزمان الحال ما عنده خبر لا بـامضى ولا بـا يأتي فانه موجود بين طرفي عدم فلا علم له بالمـاضي ولا بما جاء به ولا بمـا فات صاحبه منه وقد يشـبه ما يأتي به زمان الحال ما أتى به زمان المـاضي في الصورة لا في الحقيقة كما تشبه صـلاة العصر في زمان الحال الوجودي صـلاة الظهر التي كانت في الزمان المـاضي في أحوالهـا كلها حتى كأنها هي ومعلوم أن حكم العصر ما هو حكم الظهر حتى لو رأينا شخصا محافظا على الصلوات في أوقاتها واتفق انه نسي الظهر أو نام عنها حتى دخـل وقت العصر فرأيناه يصلي أربعا في ذلك الوقت صلاة الظهر ويغلب علينا انه يصلي العصر للشبه الكثير الذي بينهما وليست هذه هذه

﴿وصل في فصل صفة القضاء لمن أفطر في رمضان﴾

فمن العلماء من أوجب التتابع في القضاء كما كان في الاداء ومنهم من لم يوجبه وهؤلاء منهم من خير ومنهم من استحب والجماعة على ترك ايجابه (الاعتبار) اذا دخـل الوقت في الواجب الموسع بالزمان طلب الاسم الاول من المكلف الاداء فاذا لم يفعل المـكلف وأخر الفعل الى آخر الوقت تلقاه الاسم الآخر فيكون المـكلف في ذلك الفـعل قاضيا بالنسـبة الى الاسم الاول وانه لو فعله في أول دخول الوقت كان مؤديا من غير دخـل ولا شبهة وكان مؤديا بالنسبة الى الاسم الآخر فالصائم المسافر أو المريض اذا أفطر انمـا الواجب عليـه عدة من أيام أخر في غير رمضان فهو واجب موسـع الوقت من ثاني يوم من شوال الى آخر عمره أو الى شعبان من تلك السنة فيتلقاه الاسم الاول ثاني يوم من شوال فان صامه كان مؤديا من غير شبهة ولا دخل وان أخره الى غير ذلك الوقت كان مؤديا من وجه قاضيـا من وجه وبالتتابع في ذلك في أول زمانه يكون مؤديا بلا شك وان لم يتابع فيكون قاضـيا فمن راعى قصر الامل وجهل الاجل أوجب ومن راعى اتساع الزمان خير ومن راعى الاحتياط استحب وكل حال من هذه الاحوال له اسم الهي" لا يتعدى حكمه فيه فان الـكون في قبضة الاسماء الالهية تصرّفه بطريقين بحسب حقائقها وبحسب استعدادات الاكوان لها لابد من الامرين لذي عينين فان الاوصاف النفسية للاسماء وغير الاسماء لا تنقلب فافهم ذلك وتحققه تسعد ان شاء الله تعالى

﴿وصل في فصل من أخر قضاء رمضان حتى دخل عليه رمضان آخر﴾

اختلف العلماء فيمن هذه حاله فقالت طائفة عليه القضاء والـكفارة وقالت طائفة عليه القضاء ولا كفارة عليه وبه أقول (الاعتبار) المقامات التي لهـا جهات كثيرة مختلفة قد يغـفل السالك عن حكمها في جهة ما من جهات متعلقاتهـا كالورع فان له حكما في جهات كثيرة منها في الطعام والشراب واللباس والاخذ والنظر والاستماع والسعي واللمس والشم فان عمر بن الخطاب أتي بمسك من المغانم قبل أن تأخذه القسمة ليعرض عليه فسك بأنفه لئلا ينال

من رأى شيأ دون المسلمين قبل أن تأخذه القسمة ورع فاسئل عن ذلك فقال انما ينتفع من هذا بريحه وكذلك الورع في النسب والاسماء فاذا فات السالك وجه من وجوه متعلقات مثل هذا المقام وانتقل الى غيره من المقامات وقد بقيت عليه بقية من حكم هذا المقام الذي انتقل عنه فاذا تعين عليه استعماله في وقت آخر فالة تطلبه بذلك من مطعم أوغيره يتذكر ما فاته قبل ذلك منه فنا من قال عليه الكفارة وكفارته التوبة مما جرى منه في تفريطه والاستغفار ومنا من قال لا كفارة عليه فانه لم يتعمد ولا قصد انتهاك الحرمة وانما جاء في ذلك عذر من تأويل في المسئلة أو غفلة والانسان في هذا الطريق مؤاخذ بالغفلات عند بعضهم ولهذا أوجب الكفارة عليه من أوجبها ومن يرى انه غير مؤاخذ بالغفلات لم يوجب عليه كفارة والقضاء مجمع عليه عند الجميع وصورته انه اذا نال منه أحد أمرا حرم على المتناول تناوله منه عرضا كان أو مالا أو أمرا دنيا من جرح أو غيره وله أن يعفو عنه فيما يتناول ذلك منه فيعفو ويحسن ولا يؤاخذ بكل جريمة من الغير في حقه مما يعطي الورع المتعدي في ذلك أن لا يفعله فهذا هو صورة القضاء ثم انه يستقصي جميع جهات متعلقات ذلك المقام جهده حتى لا يترك منه شيأ فتدبر هذه المسئلة فانها من أنفع المسائل في طريق الله

﴿وصل في فصل من مات وعليه صوم﴾

فمن قائل يصوم عنه وليه ومن قائل لا يصوم أحد عن أحد واختلف أصحاب هذا القول فبعضهم قال يطعم عنه وليه وبعضهم قال لا صيام ولا اطعام الا أن يوصي به وقال قوم يصوم فان لم يستطع أطعم وفرق قوم بين النذر والصيام المفروض فقالوا يصوم عنه وليه في النذر ولا يصوم في الصيام المفروض (الاعتبار) قال الله عز وجل والله ولي المؤمنين وقال تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فالمريد صاحب التربية يكون الشيخ قد أهله وخصه بذكر مخصوص لنيل حالة مخصوصة ومقام خاص فمات قبل تحصيله فنا من يرى ان الشيخ لما كان وليه وقد حال الموت بينه وبين ذلك المقام الذي لو حصل له نال به المنزلة الالهية التي يستحقها رب ذلك المقام فيشرع الشيخ في العمل الموصل الى ذلك المقام نيابة عن المريد الذي مات فاذا استوفاه أحضر ذلك الميت احضار من مثله في خياله بصورته التي كان عليها وألبس تلك الصورة الممثلة ذلك الامر وسأل الله أن يبقي ذلك عليه فحصلت نفس ذلك الميت في ذلك المقام على أتم وجوهه منة من الله وفضلا والله ذو الفضل العظيم وهذا مذهب شيخنا أبي يعقوب يوسف بن يخلف الكومي وما رأيت أحدا من مشايخي سواه فانتفعت به في الرياضة وانتفع بنا في مواجيده فكان لي تلميذا وأستاذا وكنت له مثل ذلك وكان الناس يتعجبون من ذلك ولا يعرف واحد منهم سبب ذلك وذلك سنة ست وثمانين وخمسمائة فانه كان قد تقدم فتحي على رياضتي وهو مقام خطر فأفاء الله علي بتحصيل الرياضة على يد هذا الشيخ جزاه الله عني كل خير ومن أهل الله من يقول لا يقوم أحد عن أحد في العمل ولكن يطلبه له بهمته ودعائه والجماعة على ذلك وهذا الاول نادر الوقوع فهذا اعتبار من يقول لا يصوم أحد عن أحد واعتبار من يقول يصوم عنه وليه ومن قال لا صيام ولا اطعام الا أن يوصي به فهو أن يقول المريد عند الموت للشيخ اجعلني من همتك واجعل لي نصيبا من عملك عسى الله أن يعطيني ما كان في أملي وهذا اذا فعله المريد كان سوء أدب مع الشيخ حيث استخدمه في حق نفسه وتهمة منه للشيخ في نسيان حق المريد والاصل في ذلك أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه في حقه مرافقته في الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أعني على نفسك بكثرة السجود فنبهه بهذا العمل على نفسه وسوء أدبه معه والطريق يقتضي ان الشيخ لا ينسى أهل زمانه فكيف مريده المختص بخدمته فانه من فتوة أهل هذا الطريق ومعرفتهم بالنفوس انهم اذا كان يوم القيامة وظهر ما لهم من الجاه عند الله خاف منهم من آذاهم هنا في الدنيا فأول ما يشفعون يوم القيامة فيمن آذاهم قبل المؤاخذة وهذا نص أبي يزيد البسطامي وهو مذهبنا فان الذين أحسنوا اليهم يكفيهم عين احسانهم فهم باحسانهم شفعاء أنفسهم عند الله بما قدموه من الخير في حق هذا الولي وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ومن عفا وأصلح فأجره على الله وذلك للعافين عن الناس بل الولي لا ينسى من يعرف الشيخ وان كان الشيخ لا يعرفه فيسأل الله تعالى أن يغفر ويعفو عمن سمع بذكره فسبه وذمه أو أثنى عليه خيرا وهذا

ذقته من نفسي وأعطانيه ربي بحمد الله ووعدني بالشفاعة يوم القيامة فيمن أدركه بصري ممن أعرف ومن لا أعرف وعين لي هذا المشهد حتى عاينته ذوقا صحيحا لا أشك فيه وهذا مذهب شيخنا أيضا أبي اسحق بن طريف وهو من أكبر من لقيته ولقد سمعت هذا الشيخ يوما وأنا عنده بمنزله بالجزيرة الخضراء سنة تسع وثمانين وخمسمائة وقال لي يا أخي والله ما أرى الناس في حق الأولياء عن آخرهم ممن يعرفني قلت له كيف تقول يا أبا اسحق فقال ان الناس الذين رأوني أو سمعوا بي اما أن يقولوا في حقي خيرا أو يقولوا ضد ذلك فمن قال في حقي خيرا وأثنى علي فما وصفني الا بصفته فلولا انه أهل ومحل لتلك الصفة ما وصفني بها فهذا عندي من أولياء الله تعالى ومن قال في شرا فهو عندي ولي أطلعه الله على حالي فانه صاحب فراسة وكشف ناظر بنور الله فهو عندي ولي فلا أرى يا أخي الا أولياء الله وما قال لي هذا الا من أجل كلام جرى بيني وبينه في حق انسان من أهل سبتة كان خلف هذا الشيخ بخلاف ما كان يلقاه به فهذا بلغ من حسن اعتقاده وكان من الشيوخ الذين تحسب عليهم أنفاسهم ويعاقبون على غفلاتهم ومات في عقوبة غفلة ذكرناها في الدرة الفاخرة عند ذكري اياه فيها وأما من فرق بين النذر والصوم المفروض فان النذر أوجبه الله عليه بايجابه والصوم المفروض الذي هو رمضان أوجبه الله عليه ابتداء من غير ايجاب العبد فلما كان للعبد في واجب النذر تعمل بايجابه صام عنه وليه لانه عن وجوب عبد فينوب عنه في ذلك عبد مثله حتى تبرأ ذمته والصوم المفروض ابتداء لم يكن للعبد فيه تعمل فالذي فرضه عليه هو الذي أماته فلو تركه صامه فكانت الدية على القاتل وقال تعالى فمن خرج مهاجرا الى الله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله فالذي فرق كان فقيه النفس سديد النظر عالما بالحقائق وهكذا حكمه في الاعتبار

﴿وصل في فصل المرضع والحامل اذا أفطرتا ماذا عليهما﴾

فمن قائل يطعمان ولا قضاء عليهما وبه أقول فانه نص القرآن والآية عندي مخصصة غير منسوخة في حق الحامل والمرضع والشيخ والعجوز ومن قائل تقضيان فقط ولا اطعام عليهما ومن قائل تقضيان وتطعمان ومن قائل الحامل تقضي ولا تطعم والمرضع تقضي وتطعم والاطعام مد عن كل يوم أو تحفن حفنات ويطعم كما كان أنس يصنعه (الاعتبار) الحامل الذي يملكه الحال والمرضع الساعي في حق الغير يتعين عليهما حق من حقوق الله فمن رأى ان الدين قبل الوصية قدم حق الغير على حق الله لمسيس الحاجة فانه حكم الوقت ومن قدم حق الله على حق الغير ورأى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان حق الله أحق بالقضاء ورأى أن الله قدم في القرآن الوصية على الدين في آية المواريث فقدم حق الله واليه أذهب قال تعالى من بعد وصية يوصي بها أو دين ويرجع عندي حق الغرماء اذا لم يف ما بقي لهم من مال هذا الميت في بيت المال يؤديه عنه السلطان من الصدقات فانهم من الثمانية الاصناف فلصاحب الدين أمر يرجع اليه في دينه وليس للوصية ذلك فوجب تقديمها بلا شك عند المنصف وأما المرضع وان كانت في حق الغير فحق الغير من حقوق الله حيث شرع الله أداءها وصاحب الحال ليس في حق من حقوق الله لانه غير مكلف في وقت الحال والمرضع كالساعي في حق الغير فهو في حق الله فانه في أمر مشروع له فقد وكلناك بعد هذا البيان والتفصيل الى نفسك في النظر فمن ينبغي له القضاء والاطعام أو أحدهما ممن ذكرنا

﴿وصل في فصل الشيخ والعجوز﴾

أجمع العلماء على انهما اذا لم يقدرا على الصوم أن يفطرا واختلفوا اذا أفطرا هل يطعمان أو لا يطعمان فقال قوم يطعمان وقال قوم لا يطعمان وبه أقول غير أنهم استحبوا لهم الاطعام والذي أقول به ان الاطعام انما شرع مع الطاقة على الصوم وأما من لا يطيقه فقد سقط عنه التكليف في ذلك وليس في الشرع اطعام من هذه صفته من عدم القدرة عليه فان الله ما كلف نفسا الا وسعها وما كلفها الاطعام فلو كلفها مع عدم القدرة لم نعدل عنه وقلنا به (الاعتبار) من كان مشهده أن لا قدرة له كأمثالنا أو يقول ان القدرة الحادثة ما لها أثر ايجاد في المقدور وكان مشهده ان الصوم لله فقد انتفى عنه الحكم بالصوم والاطعام يقول الله وهو يطعم ولا يطعم وقال مصدقا لخليله الذي يطعمني فقرره ولم يرده والاطعام انما هو عوض عن واجب يقدر عليه ولا واجب فلا عوض فلا اطعام وهجير صاحب هذا المقام لا قوة الا بالله

وليس له في اياك نستعين مدخل ولا في نون نفعل وألف أفعل لكن له من هذه الاحرف الاربعة الزوائد حرف التاء المنقوط من أعلى بضمير المخاطب وقد تكون الياء المنقوطة من أسفل بفعل بضمير الهوية فاعلم ذلك وبالله التوفيق

﴿وصل في فصل من جامع متعمدا في رمضان﴾

أجمعوا أن عليه القضاء والكفارة وقيل لا يجب عليه الا القضاء فقط لان الكفارة في ذلك لم تكن عزمة لقرائن الاحوال لانه صلى الله عليه وسلم لم يأمره عند عدم العتق والاطعام أن يصوم ولا بد اذ كان صحيحا ولو كان مريضا لقال له اذا وجدت الصحة فصم وقال قوم ليس عليه الا الكفارة فقط ليس عليه قضاء والذي أذهب اليه أنه لا قضاء عليه واستحب له أن يكفر ان قدر على ذلك والله أعلم بحكمه في ذلك (الاعتبار) القدرتان تجتمعان على ايجاد ممكن من ممكن فيما ينسب من ذلك الى العبد في الفعل عن كل من لا يصل عقله الى معرفة ذلك اما بعتق رقبة من الرق مطلقا ومقيدا فان أعتقه من الرق مطلقا فهو أن يقيم نفسه في حال كون الحق عينه في قواه وجوارحه التي بها تميز عن غيره من الانواع بالصورة والحد واذا كان في هذا الحال وكان هذا نعته كان سيدا وزالت عبوديته مطلقا لان العبودية هنا راحت اذ لا يكون الشئ عبد نفسه فهو هو قال أبو يزيد في تحقق هذا المقام مشيرا تاليا اني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني هذا أوحى الله به لموسى وهو خطاب يعم الخلق أجمعين واما ان كان العبد مقيدا فهو ان يعتق نفسه من رق الكون فيكون حرا عن الغير عبد الله فان عبوديتنا لله يستحيل رفعها وعتقها لانها صفة ذاتية له واستحال العتق منها في هذه الحال لا في الحال الاول وقد نبه على ذلك بقوله تعالى قل اللهم مالك الملك فسماه مالكا ليصح له اسم المالك ولم يقل مالك العالم وقال أيضا وهو من باب الاشارة والتحقيق قل أعوذ برب الناس ملك الناس فمن باب التحقيق لما سماهم الناس ولم يسمهم باسم يقتضي لهم ان يكونوا حقا أضاف نفسه اليهم باسم الملك ومن باب الاشارة اسم فاعل من النسيان معرفا بالالف واللام لانه نسي ان الحق سمعه وبصره وجميع قواه في حال كونه كله نورا وهو المقام الذي سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه أن يقيم فيه أبدا فقال واجعلني نورا فان الله من أسمائه النور بل هو النور للحديث الثابت نور أني أراه وقد صحفه بعض النقلة فقال نوراني أراه فحصل في هذا التصحيف معنى بديع وهو اذا جعل عبده نورا فيرى الحق فيه ومنه فعند ذلك يكون نورانيا لا غير فهو في ذاته نور وفي عبده نوراني فافهم ما قلناه فلما لم يتذكر الناسي هذه الحال وهو في نفسه عليها غافل عنها خاطبه الحق مذكرا له بها في القرآن الذي نعبده بتلاوته ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب ما كانوا قد نسوه فهذا يدلك على انهم كانوا على علم متقدم في شيئية الثبوت وأخذ العهد واما الاطعام في الكفارة فالطعام سبب في حفظ الحياة على متناوله فهو في الاطعام متخلق بالاسم المحيي لما أمات بما فعله عبادة لا مثل لها كان عليها فكان منعوتا بالمميت في فعلها لانه تعمد ذلك فأمر بالاطعام ليظهر اسم المقابل الذي هو المحيي فافهم واما صوم شهرين في كفارته فالشهر عبارة في المحمديين عن استيفاء سير القمر في المنازل المقدرة وذلك سير النفس في المنازل الالهية فالشهر الواحد يسير فيها بنفسه ليثبت ربوبية خالقه عليه عند نفسه والشهر الآخر يسير فيه بربه فانه رجله التي يسعى بها من باب ان الحق جميع قواه وجوارحه فانه بقواه قطع هذه المنازل والحق عين قواه فقطعها بربه لا بنفسه واما قول هذا الفاعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمره بالصوم في الكفارة أي اتصف بصفة الحق فان الصوم له فقال من الصوم أتى علي فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحكه علامة على خفة الامر ولما علم ان الحق أنطقه وما أراد ذلك الناطق وان جهله ذلك الاعرابي فكأنه قال له في قوله كفر بالصوم أي كن حقا فنطق ان يقول من الحق أتى علي فاني لما كنت حقا زال التكليف عني فان الحق لا يكلف فلماذا تبقيني حقا أنزلني الى العبودية فأوجب علي الكفارة التي هي الستر أي لانذكر أن ذلك عصيتني في ولهذا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أتعطيها الافقر مني ما بين لابتيها أفقر مني فأضاف كمال الفقر اليه لانه رجع الى العبودية عن سيادته فعظم ذله وفقره فان استصحاب الفقر لا ألم له في الفقير مثل ألم من كان غنيا ثم

يفتقر فان ألمه أشد والحسرة عنده أعظم فان حكمه حكم من استؤسر وكان حرّا فيجد ألم الاسترقاق لكونه حصل فيه عن حرّية

من كان ملكا فعاد ملكا * قد حاز هلكا ومات فتكا

والعبد الاصلى المؤثل القن لا يجد ذلك فلهذا قال ما بين لابتيها أفقر منى أنطقه الله بذلك من حيث لا يشعر حتى يكون مناسبا لما أنطقه به أيضا فى قوله من السوء أتى على فانظر حكمة الله فى اجراء هذه الحقائق فى عباده من حيث لا يشعرون فهو المتكلم على الحقيقة لا هم فهذا حكم الكفارة على من هذا فعله والحمد لله فقد دخل فى هذا جميع الاقوال التى ذكرنا فى هذه المسئلة اذا تدبرتها فلا حاجة للاطالة فى ذلك فانه كالتكرار وان كان ذكرها يتضمن فوائد زائدة على ما ذكرنا لاختلاف النسب ولكن يكفى هذا فى اعتبار هذه المسئلة

﴿وصل فى فصل من أكل أو شرب متعمدا﴾

فقال قوم عليه القضاء والكفارة التى أوجبها فى الجماع وقال آخرون لا كفارة عليه والذى أقول به انه لا قضاء عليه ولا كفارة فانه لا يقضيه أبدا ولكن يكثر من صوم التطوّع لتكمل له فرضيته من تطوعه فان الفرائض عندنا المقيدة بالاوقات اذا ذهب وقتها بتعمد من الواجبة عليه لا يقضيها أبدا مطلقا فليكثر من التطوّع الذى يناسبها الا الحج وان كان مربوطا بوقت ولكنه مرّة واحدة فى العمر الا من يقول بالاستطاعة ولكن متى حج كان مؤدّيا و يكون عاصيا فى التأخير مع الاستطاعة ﴿الاعتبار﴾ الاكل والشرب تغذيه فأحياه الاكل والشرب عنده هذا السبب لان حياته مستفادة كما كان وجوده مستفادا ليتميز الممكن الواجب بالغير عن الواجب بنفسه والصوم لله لا للعبد فلا قضاء عليه ولا كفارة ومن قال بالكفارة أوجب عليه ستر مقامه وحكمه فيها حكم المجامع فى الاعتبار سواء ومن قال بالقضاء عليه يقول ما أوجب عليه القضاء الا كونه غيرا كما كان فى أصل التكليف كما كان فى صوم رمضان سواء فيقضيه بردّه الى من الصوم له فان الصوم للعبد الذى هو لله كمن سلف شيأ من غيره فقضاؤه ذلك الدين انما هو ردّه الى مستحقه مع ما عاد عليه من الانتفاع به والعبد انما يصوم مستسلفا ذلك لان الصمدانية ليست له والصوم صمدانية فهو لله لا له فاعلم ذلك

﴿وصل فى فصل من جامع ناسيا لصومه﴾

فقيل لا قضاء عليه ولا كفارة و به أقول وقيل عليه القضاء دون الكفارة وقيل عليه القضاء والكفارة ﴿الاعتبار﴾ هذا من باب الغيرة الالهية لما اتصف العبد بما هو لله وان كان مشروعا وهو الصوم أنساه الله انه صائم فأقامه فى مقام وحالة تفسد عليه صيامه تنبيها له ان هذه الحقيقة لا يتصف بها الا الله غيرة الهية ان يراجع فيما هو له بضرب من الاشتراك فلما لم يكن للعبد فى ذلك قصد ولا انتهاك بحرمة المكلف سقط عنه القضاء والكفارة والجماع قد عرفت معناه فيمن جامع متعمدا ومن قال عليه القضاء دون الكفارة قال يشهد بالصمدية له دون نفسه فى حال قيامها به فيكون موصوفا بها لا موصوفا بها مثل قوله وما رميت اذ رميت فنفى وأثبت ومن قال عليه القضاء والكفارة قال النسيان هو الترك والصوم ترك وترك الترك وجود نقيض الترك كما أن عدم العدم وجود ومن هذه حاله فلم يقم به الترك الذى هو الصوم فما امتثل ما كلف فلا فرق بينه وبين المتعمد فوجب عليه القضاء والكفارة والاعتبار قد تقدم فى ذلك وانه ليس فى الحديث ان ذلك الاعرابى كان ذاكرا لصومه حين جامع أهله ولا غير ذاكر ولا استفصله رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان ذاكرا لصومه أو غير ذاكر وقد اجتمعا فى التعمد للجماع فوجب على الناسى كما وجب على الذاكر لصومه ولا سيما فى الاعتبار فان الطريق تقتضى المؤاخذة بالنسيان لانه طريق الحضور فالنسيان فيه غريب

﴿وصل فى فصل هل الكفارة مرتبة كما هى فى الظاهر أو على التخيير﴾

فانه قال له أعتق ثم قال له صم ثم قال له أطعم فلا يدرى أقصد عليه السلام الترتيب أم لا فقيل انها على الترتيب أولها العتق فان لم يجد فالصوم فان لم يستطع فالاطعام وقيل هى على التخيير ومنهم من استحب الاطعام أكثر من العتق ومن الصيام ويتصوّر هنا ترجيح بعض هذه الاقسام على بعض بحسب حال المكلف أو مقصود الشارع فمن رأى

انه يقد التغليظ وان الكفارة عقوبة فان كان صاحب الواقعة غنيا أو ملكا خوطب بالصيام فانه أشق عليه وأردع فان المقصود بالحدود والعقوبات انما هو الزجر وان كان متوسط الحال في المال ويتضرر بالاخراج أكثر مما يشق عليه الصوم أمر بالعتق أو الاطعام وان كان الصوم عليه أشق أمر بالصوم ومن رأى ان الذي ينبغي ان يقدم في ذلك ما يرفع الحرج فانه تعالى يقول وما جعل عليكم في الدين من حرج فيكلف من الكفارة ما هو أهون عليه وبه أقول في الفتيا وان لم أعمل به في حق نفسي لو وقع مني الا ان لا أستطيع فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها وما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا وكذلك فعل فانه قال ان مع العسر يسرا ثم ان مع العسر يسرا فأتى بعسر واحد ويسرين معه فلا يكون الحق يراعي اليسر في الدين ورفع الحرج ويفتي المفتي بخلاف ذلك فان كون الحدود وضعت للزجر ما فيه نص من الله ولا رسوله وانما يقتضيه النظر الفكري فقد يصيب في ذلك وقد يخطئ ولا سيما وقد رأينا خفيف الحد في أشد الجنايات ضررا في العالم فلو أريد الزجر لكانت العقوبة أشد فيها وبعض الكبائر ما شرع فيها حد ولا سيما والشرع في بعض الحدود في الكبائر التي لا تقام الا بطلب المخلوق وان أسقط ذلك سقطت والضرر باسقاط الحد في مثله أظهر كولي المقتول اذا عفا وليس للامام أن يقتله وأمثال هذا من الخفة والاسقاط فيضعف قول من يقول وضعت الحدود للزجر ولو شرعنا نتكلم في سبب وضع الحدود واسقاطها في أماكن وتخفيفها في أماكن وتشديدها في أماكن أظهرنا في ذلك أسرارا عظيمة لانها تختلف باختلاف الاحوال التي شرعت فيها والكلام فيها يطول وفيها اشكالات مثل السارق والقاتل واتلاف النفس أشد من اتلاف المال وان عفا ولي المقتول لا يقتل قاتله وان عفا رب المال المسروق أو وجد عند السارق عين المال فرد على ربه ومع هذا فلا بد أن تقطع يده على كل حال وليس للحاكم أن يترك ذلك ومن هنا تعرف ان حق الله في الاشياء أعظم من حق المخلوق فيها بخلاف ما تعتقده الفقهاء قال صلى الله عليه وسلم حق الله أحق أن يقضى (الاعتبار) الترتيب في الكفارة أولى من التخيير فان الحكمة تقتضي الترتيب والله حكيم والتخيير في بعض الاشياء أولى من الترتيب لما اقتضته الحكمة والعبد في الترتيب عبد اضطرار كعبودة الفرائض والعبد في التخيير عبد اختيار كعبودة النوافل وفيها رائحة من عبودية الاضطرار وبين عبادة النوافل وعبادة الفرائض في التقريب الالهي بون بعيد في علو المرتبة فان الله جعل القرب في الفرائض أعظم من القرب في النوافل وان ذلك أحب اليه ولهذا جعل في النوافل فرائض وأمرنا أن لا نبطل أعمالنا وان كان العمل نافلة لمراعاة عبودية الاضطرار على عبودية الاختيار لان ظهور سلطان الربوبية فيها أجلى ودلالتها عليها أعظم

﴿وصل في فصل الكفارة على المرأة اذا طاوعت زوجها فيما أراد منها من الجماع﴾

فمن قائل عليها الكفارة ومن قائل لا كفارة عليها وبه أقول فان النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي ما ذكر المرأة ولا تعرض اليها ولا سأل عن ذلك ولا ينبغي لنا أن نشرع ما لم يأذن به الله (الاعتبار) النفس قابلة للفجور والتقوى بذاتها فهي بحكم غيرها بالذات فلا تقدر تنفصل عن التحكم فيها فلا عقوبة عليها والهوى والعقل هما المتحكمان فيها فالعقل يدعوها الى النجاة والهوى يدعوها الى النار فمن رأى انه لا حكم لها فيما دعيت اليه قال لا كفارة عليها ومن رأى ان التخيير لها في القبول وان حكم كل واحد منهما ما ظهر له حكم الا بقبولها اذ كان لها المنع مما دعيت اليه والقبول فلما رجحت أتيت ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر فقيل عليها الكفارة

﴿وصل في فصل تكرر الكفارة لتكرر الافطار﴾

فقيل انه من وطئ ثم كفر ثم وطئ في يوم واحد ان عليه كفارة أخرى وقيل من وطئ مرارا في يوم واحد فليس عليه الا كفارة واحدة واختلفوا أيضا فيمن وطئ في يوم من رمضان ولم يكفر حتى وطئ في يوم ثان فقال بعضهم عليه لكل يوم كفارة وقال بعضهم عليه كفارة واحدة ما لم يكفر عن الجماع الاول والذي أقول به ان عليه كفارة واحدة لانها ما شرعت الا لمراعاة رمضان في حال الصوم لا لمراعاة الصوم لانه لو أفطر في صوم القضاء لم يكفر ولو كانت هذه الكفارة مثل كفارة الظهار لم يوجب عليه كفارة أخرى اذا كفر عن الجماع الاول فلما أوجبها بعد الوقوع لهذا جعلناها تلزمه

اذا أوقع الوطء بعد تكفير وطء قبله متعددا كان ذلك الاول أو واحدا (الاعتبار) الروح الواحد يدبر أجساما متعددة اذا كان له الاقتدار على ذلك ويكون ذلك في الدنيا الاولى بخرق العادة وفي الآخرة نشأة الانسان تعطي ذلك وكان قضيب البان ممن له هذه القوة ولذي النون المصري كما يدبر الروح الواحد سائر أعضاء البدن من يد ورجل وسمع و بصر وغير ذلك كما تؤاخذ النفس بأفعال الجوارح على مايقع منها كذلك الاجساد الكثيرة التي يدبرها روح واحد أي شئ وقع منها يسأل عنه ذلك الروح الواحد وان كان عين مايقع من هذا الجسم من الفعل مثل مايقع من الجسم الآخر فيكون مايلزمه من المؤاخذة على فعل أحد الجسمين يلزمه على فعل الآخر وان كان مثله وقسم المذاهب على هذا الحد فيما يلزم الروح الواحد من تكرار الفعل بتعدد الاجسام المماثل لتعدد الزمان في حق المجامع في رمضان فاعلم ذلك

﴿وصل في فصل هل يجب عليه الاطعام اذا أيسر وكان معسرا في وقت الوجوب﴾

فمن قائل لاشئ عليه وبه أقول ومن قائل يكفر اذا أيسر (الاعتبار) المسلوب الافعال مشاهدة وكشفا معسر لاشئ له فلا يلزمه شئ فان حجب عن هذا الشهود وأثبت ذلك من طريق العلم بعد الشهود كتخيل المحسوس بعد ماقد كان أدركه بالحس فان الاحكام الشرعية تلزمه بلا شك ولا يمتنع الحكم في حقه بوجود العلم ويمتنع بوجود المشاهدة فانه يشاهد الحق محركا له ومسكنا وكذلك ان كان مقامه أعلى من هذا وهو أن يكون الحق سمعه و بصره على الكشف والشهود فمنا من قال بحكمه حكم صاحب العلم فان الله قد أوجب على نفسه ولا يدخل بذلك تحت حد الواجب ومنا من ألحقه بمشاهدة الافعال منه تعالى كما قدمناه فلا يلزمه الحكم كما يلزمه هنالك فتارة ينطلق على هذا العبد اسم الحق وتارة ينطلق عليه اسم العبد مع اختلاف هذه الاحوال وفي كل واحد من هذه المراتب يلزمه الحكم من وجه و ينتفي عنه من وجه

﴿وصل في فصل من فعل في صومه ماهو مختلف فيه كالحجامة والاستقاء و بلع الحصى والمسافر يفطر أول يوم يخرج عند من يرى انه ليس له أن يفطر﴾

فكل من أوجب في هذه الافعال وأشباهها الفطر اختلفوا فمن قائل منهم عليه القضاء ومن قائل منهم عليه القضاء والكفارة وهكذا كل مختلف فيه والذي أذهب اليه مماذكرناه ان الاستقاء فيه القضاء للخبر وقد تقدم اعتبار ماذكرناه من هذه الافعال فمن أفطر في يوم يجوز له الافطار فيه كالمرأة تفطر قبل أن تحيض ثم تحيض في ذلك اليوم والمريض والمسافر يفطران قبل المرض وقبل السفر ثم يمرض في ذلك اليوم أو يسافر فمذهبنا عليه القضاء ولا كفارة وانما أوجبنا عليه القضاء لانها حاضت أو مرض أو سافر وأما حكمه في الاثم حكم من أفطر متعمدا حتى انها لو لم تحض أو لم يمرض أو لم يسافر مايقضي ذلك اليوم أبدا ولو أكثر من صيام التطوع ومع هذا فأمرهم الى الله لانهم أفطروا في يوم يجوز لهم الفطر فيه عند الله وأما الظاهر فما قلناه (الاعتبار) في هذا الفعل رائحة من الكشف الذي للنفوس واستطلاع على الغيب من حيث لايشعر وسببه انهما من عالم الغيب وان كانت النشأة الجسمية أمها فان الروح الالهي أبوها فلها الاطلاع من خلف حجاب رقيق بحيث انه لو دخل صاحب هذا الفعل طريق أهل الله سارع اليه الكشف لاستعداده وتأهله لذلك ومثل هذا لايسمى اتفاقيا اذ الامر الاتفاقي عندنا لايصح فان الامر كله لله والله لايحدث شيأ بالاتفاق وانما يحدثه عن علم صحيح وارادة وقضاء غيبي وقدر فلا بد من كون ماهو كائن في علمه وانما بقي هل يتعلق بمن ظهر عليه مثل هذا الفعل الالهي اثم أم لا فعندنا الاثم متعلق به ولو حصل له العلم الصحيح بأنه في يوم يجوز له الافطار فيه ولم يتلبس بالسبب فانه ماشرع له الفطر الامع التلبس بالحال الذي تسمى به حائضا ومريضا ومسافرا في اللسان الظاهر هذا مذهب المحققين من أهل الله وهو مذهبنا في مثل هذه المسئلة والحكم في صاحبها الله ان شاء عفا وان شاء آخذ فلا وعد لا الا ان كان حاله ممن قد أعلم مايقع منه من الجرائم مشاهدة وكشفا ومن اطلاعه على المقدور عليه اطلاعه انه غير مؤاخذ بذلك عند الله فان لم يطلع فلا يبادر ولا يكن له تعمل في ذلك مالم يعلم علم الله فيه فان علم انه مؤاخذ ولا بد فيعلم ان

الله قدراعى حكم الظاهر فى العموم فيتهيأ القضاء الله النافذ فيه وهذا أعني نائب ابليس بواقع أصلا وان كان جائزا عقلا فيل لابليس لم أبيت عن السجود قال يارب لو أردت منى السجود لسجدت قال له متى علمت انى لم أردمنك السجود بعد حصول الاباية والمخالفة أو قبل ذلك فقال يارب بعد وقوع الاباية علمت فقال بذلك آخذتك واعلم ان من عباد الله من يطلعهم الله على ما قدر عليهم من المعاصى فيسارعون اليها من شدة حيائهم من الله ليسارعوا بالتوبة وتبق خلف ظهورهم ويستريحون من ظلمة شهودها فاذا تابوا رأوها عادت حسنة على قدر ما تكون ومثل هذا لا يقدح فى منزلته عند الله فان وقوع ذلك من مثل هؤلاء لم يكن انتهاكا للحرمة الالهية ولكن بنفوذ القضاء والقدر فيهم وهو قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فسبقت المغفرة وقوع الذنب فهذه الآية قد يكون لها فى حق المعصوم وجه وهو أن يستر عن الذنوب فتطلبه الذنوب فلا تصل اليه فلا يقع منه ذنب أصلا فانه مستور عنه أو يستر عن العقوبة فلا تلحقه فان العقوبة ناظرة الى محال الذنوب فيستر الله من شاء من عباده بمغفرته عن ايقاع العقوبة به والمؤاخذة عليه والاول أتم فتقدمت المغفرة من قبل وقوع الذنب فعلا كان أو تركا فلا يقع الا حسنة يشهدها وحسنها ومن عباد الله من لم يأت فى نفس الامر الا ما أبيح له ان يأتيه بالنظر الى هذا الشخص على الخصوص وهذا هو الاقرب فى أهل الله فانه قد ثبت فى الشرع ان الله يقول للعبد حالة خاصة افعل ما شئت فقد غفرت لك فهذا هو المباح ومن أتى مباحا لم يؤاخذه الله به وان كان فى العموم فى الظاهر معصية فما هو عند الشرع فى حق هذا الشخص معصية ومن هذا القبيل هى معاصى أهل البيت عند الله قال عليه السلام فى أهل بدر وما يدريكم لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم وفى الحديث الثابت ان عبدا أذنب ذنبا فيقول رب اغفرلى فيقول الله أذنب عبدى ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب الى ان قال فى الرابعة أو فى الثالثة افعل ما شئت فقد غفرت لك فأباح له جميع ما كان قد حجر عليه حتى لا يفعل الا ما أبيح له فعله فلا يجرى عليه عند الله لسان ذنب وان كنا نجهلها من هذه صفته وهذا حكمه عند الله أن نعرفه فلا يقدح ذلك فى منزلته عند الله فمن هذه حالته ما فعل الا ما أبيح له فعله أو تركه فان الحكم يترتب على الاحوال فقال أهل الكشف على اختلاف أحوالهم ما هو حال من ستر عنه حاله فمن سوى بينهما فقد تعدى فيما حكم به ألا ترى المضطر ما حرمت الميتة عليه قط منذ وجد الاضطرار وغير المضطر ما أحلت له الميتة قط هذا ظاهر الشرع فاحكام الشرائع على الاحوال ونحن فيما جهلنا حاله ان نحسن الظن به ما وجدنا لذلك سبيلا

﴿وصل فى فصل من أفطر متعمدا فى قضاء رمضان﴾

فأكثر العلماء على انه لا كفارة عليه واليه أذهب وعليه القضاء وقال بعضهم عليه قضاء يومين ولصاحب هذا القول وجه دقيق خفى أداه الى هذا القول وهو أنه مخير فى القضاء فى ذلك اليوم فاختار القضاء ثم بدا له فأفطر ولو كان متنفلا أوجبنا عليه بالشروع قضاء ذلك اليوم فهذا هو اليوم الواحد واليوم الآخر يوم رمضان الذى عليه فما قصر فى نظر صاحب هذا القول وقال قتادة عليه القضاء والكفارة ﴿الاعتبار﴾ من كان مشهده الاسم الالهى رمضان فى حال القضاء كان حكمه حكم الاداء فيمن أفطر متعمدا فى رمضان قد تقدم الكلام فيه وما فيه من الخلاف فهو بحسب ما هو عنده فيجرى على ذلك الاسلوب فيه وفى اعتباره ومن لم يكن مشهده الاسم الالهى الذى يخص شهره الذى أوقع فيه القضاء لا شهر رمضان ولا اسم رمضان بل مشهده الاسم الذى يحكم عليه بالامساك فلا يكفر ولكن فمن كان مذهبه ان يكفر فى شهر رمضان وفى قوله تعالى فعدة من أيام أخر كفاية فانه قد سماها أخر فما هى أيام رمضان وانما هى أيام صوم على التنكير أى يوم شاء ولا يسمى يوما الا بكماله فاذا لم يكمل فى حقه فليس بيوم صومه * الاسماء التى للشهور القمرية رمضان لشهر رمضان الرفيع لشوال الرحمن لذى قعدة المريد لذى حجة المحرم للمحرم العلى لصفر المحيى لربيع الاول المعيد لربيع الآخر الممسك لجمادى الاولى الرب بمعنى الثابت لجمادى الآخرة العظيم لرجب الفاصل والحاكم لشعبان وما فى معنى كل اسم من هذه الاسماء الالهية

﴿وصل

﴿وصل في فصل الصوم المندوب إليه﴾

وسأذكر من ذلك ما هو مرغب فيه بالحال كالصوم في الجهاد وبالزمان كصوم الاثنين والخميس وعرفة وعاشوراء والعشر وشعبان وأمثال ذلك وما هو معين في نفسه من غير تقييده بيوم مخصوص من أيام الجمعة كعاشوراء وعرفة فمن كونه معين الشهر ألحقناه بالزمان ومن كونه مجهولا في أيام الجمعة لم نقيده بالزمان ومنه ما هو معين في الشهور كشهر شعبان ومنه ما هو مطلق في الايام مقيد بالشهور كالايام البيض وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ومنه ما هو مطلق كصوم أي يوم شاء ومنه ما هو مقيد بالتوقيت كصيام داود صيام يوم وفطر يوم وما يجري هذا المجرى وأما صوم يوم عرفة في عرفة فمختلف فيه وفي غير عرفة مرغب فيه الا انه على كل حال يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده * وأما صوم الستة الايام من شوال فرغب فيها والخلاف في وقتها من شوال وفي تتابعها وفيها خلاف شاذ وهو أن يوقع أول يوم منها في شوال وباقي الايام في سائر أيام السنة

﴿وصل في فصل الصوم في سبيل الله﴾

خرج مسلم في الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله الا باعد الله بذلك اليوم وجهه من النار سبعين خريفا فذكر صوم العبيد لا صوم الاحرار والعبيد بالحال قليل وبالاعتقاد جميعهم والصوم تشبيه الحق وهذا نفاه عن العبد بقوله تعالى الصوم لي وليس للعبيد من الصوم الا الجوع فالتنزيه في الصوم لله والجوع للعبد فاذا أقيم العبد في التشبيه بالاله المعبر عنه بالتخلق بالاسماء في صفة القهر والغلبة للمنازع الذي هو العدو ولهذا جعله في الجهاد أعني الصوم لان السبيل هنا في الظاهر الجهاد عرفناه بقرائن الاحوال لا مطلق اللفظ فان أخذناه على مطلق اللفظ لا على العرف وهو نظر أهل الله في الاسماء يراعون ما قيد الله وما أطلقه فيقع الكلام بحسب ما جاء فجاء بلفظ التنكير في السبيل ثم عرفه بالاضافة الى الله تعالى والله هو الاسم الجامع لجميع حقائق الاسماء كلها وكلها طرق مخصوص وسبيل اليها فأي بر كان فيه العبد فهو في سبيل بر وهو سبيل الله فانه أتى بالاسم الجامع فعم كما عم التنكرة أي لا تعين وكذلك نكر يوما وما عرفه ليوسع بذلك كله على عبيده في القرب الى الله ثم نكر سبعين خريفا فأتى بالتمييز والتمييز لا يكون الا نكرة ولم يعين زمانا فلم ندر هل سبعين خريفا من زمان أيام الرب أو أيام ذي المعارج أو أيام منزلة من المنازل أو أيام واحد من الجواري الخنس والكنس أو من أيام الحركة الكبرى أو من الايام المعلومات عندنا فأبهم الامر فساوى التنكير الذي في مساق الحديث وكذلك قوله وجهه أبهمه هل هو وجهه الذي هو ذاته أو وجهه المعهود في العرف وكذلك قوله من النار بالالف واللام هل أراد به النار المعروفة أو الدار التي فيها النار لانه قد يكون على عمل يستحق دخول ذلك الدار ولا تصيبه النار وعلى الحقيقة فما منا الا من يردها فانها الطريق الى الجنة ولو لم يكن في المعنى الا كون الصراط عليها في الآخرة وفي الدنيا حفت بالمكاره وقد ألقيتك على مدرجة التحقيق في النظر في كلام الله وفي كلام المترجم عن الله من رسول مرسل أو ولي محدث

﴿وصل في فصل تخيير الحامل والمرضع في صوم رمضان مع الطاقة عليه بين الصوم والافطار﴾

فاشبه المفروض من وجه وهو اذا اختاره وقبل التخيير كان حكمه في حقه حكم المباح المخير في فعله وتركه فأشبه التطوع وفعل المندوب اليه خير من تركه ولهذا قال فيه وأن تصوموا خير لكم خرج مسلم عن سلمة بن الاكوع قال كنا في رمضان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء صام ومن شاء أفطر وافتدى بطعام مسكين حتى نزلت هذه الآية فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمنهم من جعل ذلك نسخا ومنهم من جعله تخصيصا وهو مذهبنا فبقي حكم الآية في الحامل والمرضع اذا خافتا على ولدهما وسماه الله تطوعا وقال فمن تطوع خيرا فهو خير له فنكر خيرا فدخل فيه الاطعام والصوم ذكر البخاري عن ابن عباس في قوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وقال أبو داود عن ابن عباس أثبتت في الحبلى والمرضع وقال الدارقطني عن ابن عباس في هذا يطعم كل يوم مسكينا نصف صاع من حنطة اعلم ان الحق اذا خير العبد فقد حيره فان

حقيقته العبودية فلا يتصرف الا بحكم الاضطرار والجبر والتخيير نعت السيد ماهو نعت العبد وقد أقام السيد عبده في التخيير اختبارا وابتلاء ليرى هل يقف مع عبوديته أو يختار فيجري في الاشياء مجرى سيده وهو في المعنى مجبور في اختيار مع كون ذلك عن أمر سيده فكان لا يزول عن عبوديته ولا يتشبه بربه فيما أوجب الله عليه التخيير فمن العبيد من حار ولا يدري ما يرجح ومن العبيد من قال ان ربي يقول ما كان لهم الخيرة فنفي فأنا واقف مع النفي فلا أخرج عن عبوديتي طرفة عين ومنهم من قال ان ربي يقول ما كان لهم الخيرة من ذواتهم بل أنا أبحت لهم التصرف على الاختيار اخترت لهم ذلك وعينت لهم محالها ومن محالها ما جاء في هذه الآية من التخيير بين الصوم والفطر وبعض الكفارات ولسانه عباده على ان الصوم خير لهم اذا اختاروه وأبان لهم بذلك عن طريق الافضلية ليرجحوا الصوم على الفطر فكان هذا من رفقه سبحانه بهم حيث أزال عنهم الحيرة في التخيير بهذا القدر من الترجيح ومع هذا فالابتلاء له مصاحب لانه تعالى لم يوجب عليه فعل مارجحه له بل أبقى له الاختيار على بابه ولذلك لا يأثم بالافطار فمن صامه فقد أدى واجبا فانه فرض عليه فعل أحدهما لا على التعيين فاذا عينه المكلف وهو العبد تعينت الفرضية فيه وهو في أصله مخير فيه فهو يشبه صوم التطوع فيحصل للعبد الذي هذا حاله اذا صامه أجر الفرض وأجر التطوع وأجر المشقة فهو أعظم أجرا وأكثر من الذي يؤدي الواجب غير المخير وكذلك الاجر في الكفارات المخير فيها أجر الوجوب وأجر التطوع وهذا من كرم الله في التكليف انتهى الجزء السابع والخمسون

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿وصل في فصل تبييت الصيام في المفروض والمندوب اليه﴾

خرج النسائي عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له يكتب له الصيام من حين يبيت من أول الليل كان أو وسطه أو آخره فيتفاضل الصائمون في الاجر بحسب التبييت ويؤيد ذلك الوصال فكما يكتب له في ايصال يومه بالطرف الاول من ليله يكتب له في اتصال طرفه الآخر من ليله بيومه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان مواصلا فليواصل حتى السحر وسيرد الكلام في الوصال والسحور في هذا الباب فان في هذا الحديث أعني من كان مواصلا اشعارا بالترغيب في أكلة السحور رفقا بالليل أيضا في الوصال محل للصوم ومحل للفطر فصوم الليل على التخيير كصوم التطوع في اليوم والصوم لله في الزمانين فانه يتبع الصائم ففي أي وقت انطلق عليك اسم صائم فان الصوم لله وهو بالليل أوجه لكونه أكثر نسبة الى الغيب والحق سبحانه غيب لنا من حيث وعدنا برؤيته وهو من حيث أفعاله وآثاره مشهود لنا والحق على التحقيق غيب في شهود وكذلك الصوم غيب في شهود لانه ترك والترك غير مرئي وكونه منويا فهو مشهود فاذا نواه في أي وقت نواه من الليل فلا ينبغي له ان يأكل بعد النية حتى تصح النية مع الشروع فكل ما صام فيه من الليل كان بمنزلة صوم التطوع حتى يطلع الفجر فيكون الحكم عند ذلك لصوم الفرض فيجمع بين التطوع والفرض فيكون له أجرهما ولما كان الصوم لله وأراد أن يتقرب العبد بدخوله فيه واتصافه به الى الله تعالى كان الاولى ان يبيته من أول الثلث الى آخر من الثلث الاول أو الاوسط فان الله يتجلى في ذلك الوقت في نزوله الى السماء الدنيا فيتقرب العبد اليه بصفته وهو الصوم فان الصوم لا يكون الا لله الا اذا اتصف به العبد وما لم يتصف به العبد لم يكن ثم صوم يكون لله فانه في هذا الموطن كالقرى لنزول الحق اليه وعليه ولما كان الصيام بهذه المثابة كما ذكرناه تولى الله جزاء مباشرته لم يجعل ذلك لغيره كما كان الصيام من العبد لله من غير واسطة كان الجزاء من الله للصائم من غير واسطة ومن يلقى سيده بما يستحقه كان اقبال السيد على من هذا فعله أتم اقبال لان السيد ظهر في هذا الموطن ظهور مستفيد فقابله بنفسه ولم يكل كرامته لغيره والله غني عن العالمين

﴿وصل في فصل في وقت فطر الصائم﴾

خرج مسلم عن عبد الله بن أبي أوفى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في شهر رمضان فلما غابت

الشمس قال يافلان انزل فاجدح لنا قال يارسول الله ان عليك نهارا قال انزل فاجدح لنا قال فنزل فجدح فأتاه به فشرب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال اذا غابت الشمس من ههنا وجاء الليل من ههنا فقد أفطر الصائم فسواء أكل أو لم يأكل فان الشرع أخبر أنه قد أفطر أي ان ذلك ليس بوقت للصوم وانه بالغروب تولاه الاسم الفاطر واتيان الليل ظهور سلطان الغيب لاظهور مافي الغيب فجاء ليستر ما كانت شمس الحقيقة كشفته غيرة لعدم احترام المكاشفين لما عاينوه من شعائر الله وحرماته فان البصر قد أدرك مالو اعتبر في شئ منه ماوفى بما يجب عليه من التعظيم الالهي له فلما فاتت الحرمة منهم ستره الليل غيرة فدخل في غيب الليل غير أن الانسان اذا دخل في الغيب واتصف به أدرك ما فيه من علوم الانوار لامن علوم الاسرار وعلوم الانوار هو كل علم يتعلق به منافع الاكوان كلها كما ان الليل اذا جاء ظهرت بمجيئه أنوار الكواكب والله جعلها لنهتدي بها في ظلمات البر والبحر وهما علم الاحسان وعلم الحياة وعلوم الاسرار خفيت عن أبصار الناظرين وهي غيب الغيب فصار الغيب على هذا فيه مايدرك به وفيه مالا يدرك ولما قال صلى الله عليه وسلم فقد أفطر الصائم فالاولى بالصائم ان يعجل الفطر عند الغروب بعد صلاة المغرب فانه أولى لان الله جعل المغرب وتر صلاة النهار فينبغي ان يؤديها بالصفة التي كان عليها بالنهار وهو الامساك عن الطعام والشراب واستحب له اذا فرغ من الفريضة ان يشرع في الافطار ولو على شربة ماء أو تمر قبل النافلة فان فاعل ذلك لا يزال بخير خرج مسلم عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر فسمى الاكل أو الشرب فطرا مع انه قال عنه انه أفطر بمجيء الليل وغروب الشمس فجمع بالاكل بين فطرين فطر بالفعل وفطر بالحكم فمن قال بالمفهوم يرى انه اذا لم يفطر بالاكل زال عنه الخير الذي كان يأتيه بالاكل لو أكل معجلا فانه اذا أخر لم يحصل على ذلك الخير الذي أعطاه التعجيل وكان محروما خاسرا في صفقته ثم انه تفوته الفرحة التي للصائم عند فطره أي يفوته ذوقها وحلاوتها وهي لذة الخروج من الجبر الى الاختيار ومن الحجر الى السراح ومن الضيق الى السعة وهو المقام المحمدي والبقاء في الحجر مقام يوسفي جاء الرسول ليوسف من العزيز بالخروج من السجن فقال يوسف ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة فلم يخرج واختار الاقامة في السجن حتى يرجع اليه الرسول بالجواب وان كان مطابقا لدخوله في السجن فانه دخله عن محبة واستصحبته تلك الحالة وهو قوله رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه فكانت محبة اضافية لم تكن محبة حقيقية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخي يوسف لو كنت أنا لاجبت الداعي يقول سارعت الى الخروج من السجن لان مقامه صلى الله عليه وسلم يعطي السعة فانه أرسله الله رحمة ومن كان رحمة لا يحتمل الضيق فلهذا قلنا بلذة فرحة فطر الصائم انه مقام محمدي لا يوسفي وانما قلنا بتعجيل الصلاة فيفطر بعد المغرب وقبل التنفل فانه من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قدمناه على الفطر لان الصلاة وان كانت للعبد فانها حق الله والفطر حق نفسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للشخص الذي ماتت أمه وعليها صوم وأراد أن يقضيه عنها فقال له عليه السلام أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضيه قال نعم قال فحق الله أحق ان يقضى فقدم حق الله وجعله أحق بالقضاء من حق المخلوق وذكر مسلم عن أبي عطية قال دخلت أنا ومسروق على عائشة فقلنا يا أم المؤمنين رجلان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحدهما يعجل الافطار ويعجل الصلاة والآخر يؤخر الافطار ويؤخر الصلاة قالت أيهما الذي يعجل الافطار ويعجل الصلاة قال قلنا عبد الله بن مسعود قالت كذلك كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان صلى الله عليه وسلم قد جعله الله أسوة يتأسى به فقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فكان يفطر بأن يشق أمعاءه بشئ من رطب أو تمر أو حسوات من ماء قبل ان يصلي المغرب وبعد الصلاة كان يأكل ماقدر له قال أبو داود في سننه عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفطر على رطبات قبل ان يصلي فان لم تكن رطبات فعلى تمرات فان لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء فقدم الرطب لانه أحدث عهدا بربه من التمر كما فعل صلى الله عليه وسلم في المطر حين نزل برز بنفسه صلى الله عليه وسلم اليه وحسر الثوب عنه حتى أصابه المطر فسئل عن فعله ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انه حديث عهد بربه

﴿وصل في فصل صيام سر الشهر﴾

اعلم انه صوم يوم ورد به الامر من النبي صلى الله عليه وسلم روينا من طريق أبي داود عن عبد الله بن العلاء عن المغيرة بن قرّة قال قام معاوية في الناس يوم مسحل الذي على باب حمص فقال يا أيها الناس انا قد رأينا الهلال يوم كذا وكذا وأنا متقدّم بالصوم فمن أحب أن يفعل فليفعله قال فقام اليه مالك بن هبيرة السبئي فقال يا معاوية أشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم شيء من رأيك قال فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صوموا الشهر وسره فاعلم ان السر ضدّ الشهرة وبها سمي الشهر شهر الاشتهار مو تمييزه واعتناء المسلمين به وأصحاب تسيير الكواكب فرغب في الصوم في حال السرّ والاعلان واعلم ان سر الشهر هو الوقت الذي يكون فيه القمر في قبضة الشمس تحت شعاعها كذلك العبد اذا أقيم في مشهد من مشاهد القرب الذي تطلبه عيون الاكوان فيه فلا تبصره وذلك مقام الاخفياء الابرياء الذين لم يتميزوا في العامّة في هذه الدار تحققا بصفة سيدهم حيث لم يجعل سبيلا الى رؤيته في هذه الدار لحصول دعاوى الكون في المرتبة الالهية فقالوا ينبغي أن لا نظهر الا بظهور مولانا وذلك في الآخرة حيث يقول لمن الملك اليوم فلا يجرأ أحد يدّعيه فهنالك تظهر هذه الطبقة ان لله أخفياء في عباده وضنائن اكتنفهم في صونه فلما تشبهوا بسيدهم في هذه الصفة من الستر وعدم الظهور لزمهم صوم سر الشهر فان الصوم صفة صمدانية فاتصفوا بصفة الحق في هذا التقريب كما اتصفوا به في الاعلان في صوم الواجب كشهر رمضان فانه ظهر هنالك باسم رمضان وسمي به الشهر حجابا عنه تعالى والعامة تقول صمت رمضان والعارف يقول شهر رمضان معلنا فان الله قال لهم فمن شهد منكم الشهر وهو اعلان رمضان وشهرته فليصمه الا المسافر فان المسافر اليه يسافر ليشهده فما هو في حال شهود في وقت سفره والمريض مائل عن الحق لان المرض النفسيّ ميل النفس الى الكون فلم يشهد الشهر والحيض كذب النفس ولذلك هو أذى في المحل ينافي الطهارة التي توجب القرب وهو الصدق ورد في الخبر الصحيح ان العبد اذا كذب الكذبة تباعد منه الملك ثلاثين ميلا من نتن ما جاء به فجاء بالثلاثين الذي هو كمال عدّة الشهر القمريّ الذي استسر في شعاع الشمس فكانت الحائض بعيدة من شهود الشهر لما ذكرناه والحق سبحانه لا يقرّب عبده الا ليمنحه ويعطيه ثم يبرزه الى الناس قليلا قليلا لئلا يبهرهم بهاء نور ما أعطاه لضعف عيون بصائرهم رحمة بالعامة فلا يزال يظهر لهم قليلا قليلا فلا يبدي لهم من العلم بالله الذي أعطاه في حال ذلك السرار الا قدر ما يعلم انه لا يذهلهم الى أن تعتاد عيون بصائرهم الى أن يظهر لهم في صورة كمال الاعطية بالخلعة الالهية وهو قوله من يطع الرسول فقد أطاع الله فذلك بمنزلة القمر ليلة البدر فهو القمر الذي كان حصل له ليلة السرار في حضرة الغيب من وجه باطنه فان ضوء البدر كان في السرار من الشمس في الوجه الذي ينظر الى الشمس في حين المسامتة والظاهر لا نور فيه وفي ليلة الابدار ينعكس الامر فيكون الظهور بالاسم الظاهر وكذلك فعل الحق مع عامّة عباده احتجب عنهم غاية الحجاب كالسرار في القمر فلم يدركوه فقال ليس كمثله شيء رحمة بهم فلم يجدوا في اذهانهم ولا في طبقات أحوالهم ما يذهلهم فجاء سرّا في رحمة حجاب هذه الآية وهذا غاية نزول الحق الى عباده في مقام الرحمة لهم ثم استدرجهم قليلا قليلا بمثل وهو السميع البصير وقل هو الله أحد الله الصمد وقوله ألم يعلم بأن الله يرى الى ان تقوّت أنوار بصائرهم بالمعرفة بالله وأنسوا به قليلا قليلا الى أن يتجلى لهم في المعرفة التامة التنزيهية التي لو تجلى لهم فيها في أوّل الحال لهلكوا من ساعتهم فقال عز من قائل وهو معكم أينما كنتم فقبلوه ولم ينفروا منه ونسوا حال ليس كمثله شيء فكان بقاؤهم في ذلك المقام بقطع اليأس لرفع المناسبة من جميع الوجوه ألا ترى أهل الميت تنقطع وحشتهم من ميتهم لانهم لا يرجون لقاءه في الدنيا فلا يبقى لهم حزن وأهل الغائب ليس كذلك فانهم لم ييأسوا من لقائه وكتبه وأخباره ترد عليهم مع الآنات الى وقت اللقاء عند قدومه فسبحان الحكيم الخبير يدبر الامر يفصل الآيات لعلنا نعقل عنه فلمثل هذا وقع صيام سر الشهر والشهر مثلا مضروبا لمن يعقل عن الله ففي صيام سر الشهر مقام جمعية الهمة على الله حتى لا يرى غير الله وهو قوله صلى الله عليه وسلم لي وقت لا يسعني فيه غير ربي لانه في تجلّ خاص به ولهذا أضافه اليه فقال ربي ولم يقل الله ولا الرب ومما

يؤيد قولنا انه يريد بصوم السر من الشهر الجمعية تحضيضه وتحريضه على صوم سر شعبان وأن يقضيه من فاته فان شعبان من التفريق ولهذا قيل انه ما سمي هذا الشهر بلفظ شعبان الا لتفرق قبائل العرب فيه وكذا قال الله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل فالشعوب في الاعاجم كالقبائل في العرب أي فرقكم شعوبا وميز قبيلة من قبيلة وسميت المنية شعوبا لانها تفرق بين الميت وأهله فكان صيام سر شعبان آكد من صيام سر غيره من الشهور لما فيه من التفريق خرج مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل هل صمت من سر هذا الشهر شيأ قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أفطرت من رمضان فصم يومين مكانه وفي طريق أخرى أيضا لمسلم عن ابن عمر هل صمت من سر شعبان وفي هذا الفصل علوم وأسرار الهية يعرفها من تحقق بما نبهنا عليه وأسعد الناس بذلك أهل الاعتبار من الذين يراعون تسيير الشمس والقمر لحفظ أوقات العبادات فان معرفة منزلة القمر والشمس في ضرب المثل من أعظم الدلائل على العلم الالهي الذي يختص بالكون والامداد الرباني والحفظ لبقاء أعيان الكائنات وان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أي حاضر فيما يلقى اليه المخبر فيمثله نصب عينيه فكأنه يشاهده فانه خبر صدق جاء به صادق أمين

جاء به صادق أمين * يخبر عن كل ما يكون
في كل كون بكل وجه * من كل صعب وما يهون
مما تراه القلوب كشفا * معنى وما تدرك العيون

جاء به من رب الدار يعلمه بما أودع فيهما من كل شيء مليح قال تعالى وكل شيء فصلناه تفصيلا ذلك لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما

﴿وصل في فصل في حكمة صوم أهل كل بلد برؤيتهم﴾

خرج مسلم في صحيحه عن كريب ان أم الفضل بنت الحارث بعثته الى معاوية بالشام قال فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل علي رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال فقال متى رأيتم الهلال فقلت رأيناه ليلة الجمعة فقال أنت رأيته فقلت نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية فقال لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه فقلت أولا تكتفي برؤية معاوية وصيامه فقال لا هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدنك وقواك بلدك وأقليمك وعالمك رعيتك وأنت مخاطب بالتصرف فيهم بالقدر الذي حدّ لك الحق في شرعه وأنت الراعي المسئول عنهم لا غيرك فان الله ما كلف أحدا الا بحاله ووسعه ما كلف أحدا بحال أحد فكل نفس بما كسبت رهينة وكل نفس تجادل عن نفسها وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه فاذا اطلع هلال المعرفة في قلبك من الاسم الالهي رمضان فقد دعاك في ذلك الطلوع الى الاتصاف بما هو له وهو الصوم فأمرك بتقييد جوارحك كلها الظاهرة وتقييد قواك الباطنة وأمرك بقيام ليله ورغبك فيه وهو المحافظة على غيبه وجعل لك فيه فطرا في أول الليل وأمرك بالتعجيل به وغذاء في آخره وأمرك بتأخيره ذلك الى أن يكون في التأخير بمنزلة من قال هو النهار الا ان الشمس لم تطلع وذلك لحكمة التحقق بالاسم الآخر في ليل رمضان كما كنت في يومه فانك بين طرفي تحليل وتحريم فما خاطبك الحق الا منك ولا خاطبك الا بك وهكذا مع كل مكلف في العالم من ملك وجن وانسان بل من كل مخلوق حال ذلك المخلوق ينزل الحكم عليه بصفة الكلام سواء ضم ذلك الكلام حروف هجاء أو لم تضمه هو عين الكلام الالهي في العالم ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده ولقد أنطقني سبحانه في ذلك بما أنا ذاكره من الابيات ان شاء الله تعالى

ناداني الحق من سمائي * بغير حرف من الهجاء
ثم دعاني من أرض كوني * بكل حرف من الهجاء
وقال لي كله كلامي * فلا تعرّج على سوائي

ولاترى ان ثم غيرى * فانه غاية التنائى

فلما علمت انه لكل بلد رؤية وماوقف حكم بلد على بلد علمت ان الامر شديد وان كل نفس مطلوبة من الحق فى نفسها لاتجزى نفس عن نفس شيأ وانّ تقلب الانسان فى العبادة من وجه بذاته ومن وجه بربه ليس لغيره فيه مساغ ولادخول وأرانى ذلك فى واقعة فاستيقظت من منامى وأنا أحرك شفتىّ بهذه الابيات التى ماسمعتها قبل هذا الامنى ولامن غيرى وهى هذه

قال لى الحق فى منامى * ولم يكن ذاك من كلامى
وقتا أناديك فى عبادى * وقتا أناجيك فى مقامى
وأنت فى الحالتين عندى * فى كنف الصون والذمام
فمن صلاة الى زكاة * ومن زكاة الى صيام
ومن حرام الى حلال * ومن حلال الى حرام
وأنت فى ذا وذاك منى * كمثل مقصورة الخيام

فلوعلم الانسان من أىّ مقام ناداه الحق تعالى بالصيام فى قوله ياأيها الذين آمنوا وانه المخاطب فى نفسه وحده بهذه الجمعية فانه قال يصبح على كل سلامى منكم صدقة فجعل التكليف عاما فى الانسان الواحد واذا كان هذا فى عروقه فأين أنت من جوارحه من سمعه و بصره ولسانه و يده و بطنه ورجله وفرجه وقلبه الذين هم رؤساء ظاهره وان كل جارحة مخاطبة بصوم يخصها من امساكها فيما حجر عليها ومنعت من التصرف فيه بقوله كتب عليكم الصيام واعلم ان الله ناداك من كونك مؤمنا من مقام الحكمة الجامعة لتقف بتفصيل مايخاطبك به على العلم بما أراده منك فى هذه العبادة فقال كتب عليكم الصيام أى الامساك عن كل ماحرّم عليكم فعله أوتركه كما كتب على الذين من قبلكم يعنى الصوم من حيث ماهو صوم فان كان أيضا يعنى به صوم رمضان بعينه كماذهب اليه بعضهم غيرأن الذين قبلنا من أهل الكتاب زادوا فيه الى ان بلغوابه خمسين يوما وهو مماغيروه وقوله كما كتب أى فرض على الذين من قبلكم وهم الذين هم لكم سلف فى هذا الحكم وأنتم لهم خلف لعلكم تتقون أى تتخذوا الصوم وقاية فان النبىّ صلى الله عليه وسلم أخبرنا ان الصوم جنة والجنة الوقاية ولايتخذوه وقاية الااذا جعلوه عبادة فيكون الصوم للحق من وجه مافيه من التنزيه ويكون من وجه ماهو عبادة فى حق العبد جنة ووقاية من دعوى فيما هو لله لاله فان الصوم لامثل له فهو لمن لامثل له فالصوم لله ليس لك ثم قال أياما معدودات العامل فى الايام كتب الاول بلاشك فانه ماعندنا بما كتب على من قبلنا هل كتب عليهم يوم واحد وهو عاشوراء أوكتب عليهم أيام والذى كتب علينا انما هو شهر والشهر اماتسعة وعشرون يوما واما ثلاثون يوما بحسب مانرى الهلال والايام من ثلاثة الى عشرة لاغير فطابق لفظ القرآن ماأعلمنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عدد أيام الشهر فقال الشهر هكذا وأشار بيده يعنى عشرة أيام ثم قال وهكذا يعنى عشرة أيام وهكذا وعقد ابهامه فى الثالثة يعنى تسعة أيام وفى المرّة الاخرى لم يعقد الابهام فأراد أيضا عشرة أيام وذلك لما قال تعالى أياما معدودات عدد الشارع أيام الشهر بالعشرات حتى يصح ذكر الايام موافقا لكلام الله فانه لوقال ثلاثون يوما لكان كما قال فى الايلاء لعائشة قد يكون الشهر تسعة وعشرين يوما ولم يقل هكذا وهكذا كما قال فى عدد شهر رمضان فعلمنا انه أراد موافقة الحق تعالى فيما ذكر فى كتابه ثم قال فمن كان منكم مريضا أوعلى سفر فعدة من أيام أخر فأتى بذكر الايام أيضا وأشار الى المخاطبين بقوله منكم وهم الذين آمنوا مريضا يعنى فى حبس الحق أوعلى سفر وهم أهل السلوك فى الطريق الى الله فى المقامات والاحوال والسفر من الاسفار وهو الظهور لانه انما سمى السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال فيه فأسفر لهم المقام والحال فى هذا السلوك ان العمل ليس لهم وان كانوا فيه وانما الله هو العامل بهم كما قال تعالى ومارميت اذرميت ولكنّ الله رمى فعدة من أيام أخر يعنى فى وقت الحجاب فانها أيام أخر حتى يجد التكليف محلا يقبله بالوجوب وقد تقدم الكلام فى مثل هذا من هذا الباب فلينظر هناك ثم قال وعلى الذين

يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوّع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون يقول من يطيق الصوم قد خيرناه بين الصوم والاطعام فانتقل من وجوب معين الى وجوب غير معين عند المكلف وان كان محصورا وقد علم الله ما يفعل المكلف من ذلك فألحقه بالتطوّع فان كل واحد منهما غير واجب بعينه فأى شئ اختار كان تطوّعا منه به اذ له ان يختار الآخر دونه ثم رجح الله له الصوم الذى هو له ليقوم به اذ صفة الصوم من حيث ما هى عبادة لا مثل له فان قلت فالاطعام صفته أيضا فانه المطعم قلنا لو ذكر الاطعام دون الفدية لكان ولما قرن بالاطعام الفداء وأضافه اليه كان كأن المكلف وجب عليه الصوم والله لا يجب عليه شئ فى الادب الوضعى الحقيقى الاما أوجبه على نفسه ومن حصل تحت حكم الوجوب فهو مأسور تحت سلطانه فتعين الفداء وكان الاطعام فراعى الله الصوم هناك فجعله خيرا له فانه صفته ألا تراه يقول وفديناه بذبح عظيم من أسر الهلاك ان كنتم تعلمون قد تكون ان هنا بمعنى ما يقول ما كنتم تعلمون ان الصوم خير من الاطعام لولا ما أعلمتكم و يكون معناها أيضا ان كنتم تعلمون الافضل فيما خيرتكم فيه فقد أعلمتكم يعنى مرتبة الصوم ومرتبة الاطعام ثم قال شهر رمضان يقول شهر هذا الاسم الالهى الذى هو رمضان فأضافه الى الله تعالى من اسمه رمضان وهو اسم غريب نادر الذى أنزل فيه القرآن يقول نزل القرآن بصومه على التعيين دون غيره من الشهور هدى أى بيانا للناس والقرآن الجمع فلهذا جمع بينك و بينه فى الصفة الصمدانية وهى الصوم فما كان فيه من تنزيه فهو لله فانه قال الصوم لى ومن كونه عبادة فهو لك هدى أى بيانا للناس على قدر طبقاتهم وما رزقوا من الفهم عنه فان لكل شخص شربا فى هذه العبادة و بينات فكل شخص على بينة تخصه بقدر ما فهم من خطاب الله فى ذلك من الهدى وهو التبيان الالهى والفرقان فانه جمعك أولا معه فى الصوم بالقرآن ثم فرّقك لتتميز عنه بالفرقان فأنت أنت وهو هو فى حكم ما ذكرناه من استعمالك فيما هو له وهو الصوم فهو له من باب التنزيه وهو لك عبادة لا مثل لها فمن شهد منكم الشهر فليصمه يقول فليمسك نفسه فى هذه الشهرة يعنى ينزهها بالذلة والافتقار حتى تعظم فرحته عند الفطر ومن كان مريضا مائلا والمرض الميل أو محبوسا فان المريض فى حبس الحق أو على سفر سلوك فى الاسماء الالهية علم ذوق أو مسافرا عنه الى الاكوان فعدة من أيام أخر أيام معدودات لا يزاد فيها ولا ينقص منها يريد الله بكم اليسر فيما خاطبكم به من الرفق فى التكليف ولا يريد بكم العسر وهو ما يشق عليكم أكد بهذا القول قوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج فعرف اليسر هنا بالالف واللام يشير الى اليسر المذكور المنكر فى سورة ألم نشرح أى ذلك اليسر أردت بكم وهو قوله فان مع العسر يسرا فى عسر المرض يسر الافطار ثم ان مع العسر عسر السفر يسرا يسر الافطار أيضا فاذا فرغت من المرض أو السفر فانصب نفسك للعبادة وهو الصوم يقول اقضه والى ربك فارغب فى المعونة كان شيخنا أبو مدين رحمه الله يقول فى هذه الآية فاذا فرغت من الاكوان فانصب قلبك لمشاهدة الرحمن والى ربك فارغب فى الدوام واذا دخلت فى عبادة فلا تحدّث نفسك بالخروج منها وقل ياليتها كانت القاضية ولتكملوا العدّة برؤية الهلال أو بتمام الثلاثين ولتكبروا الله تشهدوا له بالكبرياء تفردوه به ولا تنازعوه فيه فانه لا ينبغى الا له سبحانه فتكبروه عن صفة اليسر والعسر فانه قال فى الاعادة وهو أهون عليه فهو أعلم بما قال واحذر من تأويلك وحمله عليك فكبره عن هذا على ما هداكم أى وفقكم لمثل هذا و بين لكم ما تستحقونه عما يستحقه تعالى ولعلكم تشكرون فجعل ذلك نعمة يجب الشكر منا عليها لكوننا نقبل الزيادة والشكر صفة الهية فان الله شاكر عليم فطلب منا بهذه الصفة الزيادة لكونه شاكرا فانه قال لئن شكرتم لازيدنكم فنبهنا بما هو مضمون الشكر لنزيده فى العمل واذا سألك عبادى عنى لكونك حاجب الباب فانى قريب بما شاركناهم فيه من الشكر والصوم الذى هو لى فأمرناهم بالصوم وعرفناهم أنه لنا ما هو لهم فمن تلبس به تلبس بما هو خاص لنا فكان من أهل الاختصاص مثل أهل القرآن هم أهل الله وخاصته أجيب دعوة الداعى على بصيرة اذا دعانى يقول كما جعلناك تدعو الناس الى الله على بصيرة جعلنا الداعى الذى يدعونا اليه على بصيرة من اجابتنا اياه ما لم يقل لم يستجب لى فليستجيبوا لى أى لما دعوتهم لى من طاعتى وعبادتى فانى ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فدعوتهم الى ذلك على ألسنة رسلى وفى

كتبي المنزلة التي أرسلت رسلي بها اليهم وأ كذلك بالسين أعني الاستجابة لما علم من ابايتنا و بعدنا عن اجابته لي أي من أجلي لا تتملون ذلك رجاء تحصيل ماعندي فتكونون عبيد نعمة لا عبيدي وهم عبيدي طوعا وكرها لا انفكاك لهم من ذلك وليؤمنوا بي يصدقوا بإجابتي اياهم اذا دعوني ولكن ايمانهم بي لا بانفسهم لانه من آمن بنفسه لا بالله لم يستوعب ايمانه مااستحقه فاذا آمن بي وفى الامر حقه فاعطى كل ذي حق حقه وهذا هو الذي يصدق بالاخبار كلها ومن آمن بنفسه فانه مؤمن بما أعطاه دليله والذي أمر نه بالايمان به متناقض الدلالة متردد بين تشبيه وتنزيه فالذي يؤمن بنفسه يؤمن ببعض ويكفر ببعض تأو يلا لا ردا فمن تأول فايمانه بعقله لا بي ومن ادعى في نفسه انه أعلم بي مني فما عرفني ولا آمن بي فهو عبد يكذبني فيما نسبته الى نفسي بحسن عبارة فاذا سئل يقول أردت التنزيه وهذا من حيل النفوس بما فيها من العزة وطلب الاستقلال والخروج عن الاتباع لعلهم يرشدون أي يسلكون طريق الرشد كما يفعل الموفقون الذين اذا رأوا سبيل الرشد اتخذوه سبيلا فيمشي بهم الى السعادة الابدية فكانت اجابة الحق اياهم حين دعوه ونهاية طريقهم الى مافرحت به نفوسهم من تحليل ما كان حرم عليهم في حال صومهم من أول اليوم الى آخره فقال أحل لكم ليلة الصيام أي الليلة التي انتهى صومكم اليها الا الليلة التي تصبحون فيها صائمين فهي صفة تصحبكم الى ليلة عيد الفطر ولو كانت اضافة ليلة الصيام الى المستقبل لم تكن ليلة عيد الفطر فيها فانك لا تصبح يوم العيد صائما ولو صمت فيه لكنت عاصيا ولا يلزم هذا في أول ليلة من رمضان فان الا كل وأمثاله كان حلالا قبل ذلك فمازال مستصحب الحكم فلهذا اجعلناه للصوم الماضي الرفث يعني الجماع الى نسائكم الجماع بالنساء ولم يقل الازواج ولا غير ذلك فان في هذا الاسم معنى ما في النساء وهو التأخير فقد كن أخرن عن هذا الحكم الذي هو الجماع زمان الصوم الى الليل فلما جاء الليل زال حكم التأخير بالاحلال فكانه يقول الى ما أخرتم عنه وأخرن عنه من أزواجكم وماملكت أيمانكم ممن هو محل الوطء هن لباس لكم وأنتم لباس لهن أي المناسبة بينكم صحيحة ماهي مثل ما تلبستم بنا في صومكم حيث اتصفتم بصفة هي لي وهو الصوم فلستم لباسا لي في قولي وسعني قلب عبدي ولست لباسا لكم في قولي بكل شئ محيط فان اللباس محيط بالملبوس به ويستره علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم من الخيانة لشهادتي عليكم حين قبلتم الامانة لما عرضتها عليكم فقلت في حاملها انه كان ظلوما جهولا ظلوما لنفسه بأن كلفها مالا يدري علم الله فيه عند حمله اياها جهولا بقدرها وما يتعلق من الذم به اذا من خان فيها ولما كان الجهول أعمى وأضل سبيلا لا يدري كيف يضع رجله ولا يرى أين يضع رجله قال علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم لما تحجره عليكم فيما تحجره عليكم فتاب عليكم أي رجع عليكم وعفا عنكم أي بالقليل الذي أباحه لكم من زمان الاحلال الذي هو الليل وانما جعله قليلا لبقاء التحجير فيه في المباشرة للمعتكف في المساجد بلا خلاف وفي غير المسجد بخلاف والمواصل فالآن باشروهن وهو زمان الفطر في رمضان وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا مافرض الله من أجلكم حتى تعلموه فتعملوا به من كل ماذكره في هذه الآية وكلوا واشربوا أمر باعطاء ماعليك لنفسك من حق الا كل والشرب حتى يتبين لكم الخيط الابيض اقبال النهار من الخيط الاسود ادبار الليل من الفجر الانفجار الضوء في الافق ثم أتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد فأبقى تحجير الجماع على من هذه حالته وكذلك في الا كل والشرب للذي ينوي الوصال في صومه يقول صلى الله عليه وسلم من كان مواصلا فليواصل حتى السحر وهو اختلاط الضوء والظلمة يريد في وقت ظهور ذنب السرحان ما بين الفجرين المستطيل والمستطير وواصل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه يومين ورأوا الهلال تلك حدود الله التي أمركم أن تقفوا عندها فلا تقربوها لئلا تتسرفوا على ماوراءها وهنا علم غامض لا يعلمه الا من أعطيه ذوقا عناية الهية كالخضر وغيره فربما تزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء كذلك يبين الله آياته أي دلالاته للناس اشارة فيتذكر بها لعلهم يتقون يتخذون تلك الدلائل وقاية من التقليد والجهل فان المقلد ماهو على بينة من ربه وماهو صاحب دلالة وجعله بمعنى الترجي لانه ما كل من رزق الدليل ووصل الى المدلول وحصل له العلم وفق لاستعمال ماعلمه ان كان من العلوم التي غايتها العمل

وصل

﴿وصل في فصل السحور﴾

خرّج مسلم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسحروا فان في السحور بركة وأمر صلى الله عليه وسلم بالسحور ورغب فيه بما ذكر حديث ثان لمسلم وخرّج مسلم أيضا عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور حديث ثالث للنسائي خرّج النسائي عن العرباض بن سارية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعو الى السحور في شهر رمضان فقال هلموا الى الغداء المبارك حديث رابع للنسائي وخرّج النسائي أيضا عن عبد الله بن الحارث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلت على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر فقال انها بركة أعطاكم الله اياها فلا تدعوها حديث خامس لمسلم والبخاريّ خرّج مسلم عن ابن عمر قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنان بلال وابن أمّ مكتوم الاعمى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أمّ مكتوم قال ولم يكن بينهما الا أن ينزل هذا ويرقى هذا زاد البخاريّ فانه لا يؤذن حتى يطلع الفجر يعني ابن أمّ مكتوم خرّجه البخاريّ من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبيّ صلى الله عليه وسلم حديث سادس لابي داود خرّج أبو داود عن أبي هريرة قال قال النبيّ صلى الله عليه وسلم اذا سمع أحدكم النداء والاناء على يده فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه حديث سابع للنسائي خرّج النسائي عن عاصم عن ذر قال قلنا لحذيفة أي ساعة تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو النهار الا أن الشمس لم تطلع حديث ثامن لمسلم خرّج مسلم عن أنس قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا الى الصلاة قلت كم كان قدر ما بينهما قال خمسين آية حديث تاسع لمسلم خرّج مسلم عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرّنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيده يعني معترضا فهذه أحاديث السحور قد ذكرتها ليقف من سمع كلامي في السحور عليها حتى يعلم أنا ما خرجنا فيما نذهب اليه من الاعتبار عما أشار اليه صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا لان سيد هذه الطائفة أبا القاسم الجنيد يقول علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة يقول رضي الله عنه وان كنا أخذنا علمنا عن الله ما أخذناه من الكتب ولا من أفواه الرجال فاعلمنا الله تعالى علما به نخالف ما جاءت به الانبياء صلوات الله عليهم من عند الله بما ذكرته من الاخبار ولا ما أنزله الله في كتاب بل هو عندنا كما أخبر الله عن عبده خضر انه آتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما وهذا هو علم الوهب الالهيّ الذي أنتجه التقوى والعمل على الكتاب والسنة الذي لو عمل أهل الكتاب بما أنزل اليهم وأقاموا التوراة والانجيل لا كلوا من فوقهم اشارة الى هذا المقام أعني علم الوهب ومن تحت أرجلهم اشارة الى علم الكسب وهو العلم الذي يناله أهل التقوى من هذه الامّة فانه علم كسب اذ كان نتيجة عمل وهو التقوى فاعلم ان السحور مشتق من السحر وهو اختلاط الضوء والظلمة يريد زمان أكلة السحور فله وجه الى النهار وله وجه الى الليل فبماله وجه الى النهار سماه غداء فرجح فيه حكم النهار على حكم الليل كما عمل في الفطر فأمر بتعجيله فرجح فيه النهار أيضا على الليل بوجود آثار الشمس فانّ الاكل وقع فيه قبل زوال آثار النهار ودلائله فان النهار قد أدبر لان حقيقة النهار من طلوع حاجب الشمس الاول الى غروب حاجب الشمس الآخر فبمغيبه يغيب قرص الشمس وآثار النهار من أول الليل من مغيبه الى مغيب البياض وآثاره في آخر الليل من طلوع الفجر الاول الى طلوع الشمس الا انه لا يمنع الاكل طلوع الفجر الاول شرعا وفي الفجر الثاني خلاف وموضع الاجماع الاحمر وما كان قبل ذلك فليس بسحر وانما هو ليل وبعده انما هو نهار وهكذا صفة الشبهة لها وجه الى الحق ولها وجه الى الباطل في الامور العقلية وكذلك المتشابه له وجه الى الحل وله وجه الى الحرمة ولهذا سمي الفجر الاول الكذاب وما هو كذاب وانما أضيف الكذب اليه لانه ربما يتوهم صاحب السحور ان الاكل محرم عنده وليس كذلك فان علته ضرب الشمس أي طرح شعاعها على البحر فيأخذ الضوء في الاستطالة فاذا ارتفعت ذهب ذلك الضوء المنعكس من البحر الى الافق فجاءت الظلمة وقرب بروز الشمس الينا فظهر ضوءها في الافق كالطائر الذي فتح جناحيه ولهذا سماه مستطيرا فلا يزال في

زيادة الى طلوع الشمس كذلك الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء وأمّا ما ينفع الناس فيمكث أى يثبت وهو الفجر الصادق وما بينهما هو السحر كان ما بين الوجهين اللذين يظهران فى الشبهة هو العلم الصحيح يظهر بها انها شبهة فيتميز بعلمك بها الحق من الباطل كما تميز بانتكاس الفجر الكذاب الى الارض والظلمة الظاهرة عند ذلك ان ذلك الفجر الاول لا يمنع من يريد الصوم من الاكل وهذا سمته العرب ذنب السرحان لانه ليس فى السباع أخبث منه ولا أكثر محالا فانه يظهر الضعف ليحقر فيغفل عنه فينال مقصوده من الافتراس فان ذنبه يشبه ذنب الكلب فيتخيل من لا يعرفه انه كلب فيأمن منه فهو شبيه المنافق فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت بأكلة السحور وقال انها بركة أعطاكم الله اياها فأكد أمره بها بنهيه أن لا ندعها فكما صرّح بالامر بها صرّح بالنهى عن تركها وأكد فى وجوبها فأشبهت صلاة الوتر فانها صلاة مأمور بها على طريق القربة المأمور بها فهى سنة مؤكدة وعند بعض علماء الشريعة واجبة وأكلة السحور أشد فى التأكيد من الوتر فى جنس الصلاة لما ورد فى ذلك من التصريح بالنهى عن تركها وهو بمنزلة البحث عن الشبهة حتى يعرف بذلك الحق من الباطل فهذه هى البركة التى فى أكلة السحور فان البركة الزيادة فزادت على سائر الاكلات شمولها الامر بها والنهى عن تركها وليس ذلك الحكم لغيرها من الاكلات ثم ان النبىّ صلى الله عليه وسلم جعلها فصلا بين منزلة أهل الكتاب ومنزلتنا فهى اما من اختصاصنا بها الحق على سائر الامم من أهل الكتاب واما من أمرنا بالمحافظة عليها حتى نتميز من أهل الكتاب حيث أنزلت عليهم كما أنزلت علينا ففرّطوا فى حقها كما فعلوا فى أشياء كثيرة وكلا الوجهين سائغ وهذا يعم تعجيل الفطر وتأخير السحور فان اعتبرنا ان أهل الكتاب هم القائمون بكتابهم علمنا ان الله اختصنا بفضل تعجيل الفطر وتأخير السحور عليهم وأنه ما أنزل ذلك عليهم فحرموا فضلها وان اعتبرنا ان أهل الكتاب هم الذين أنزل عليهم كتاب من الله سواء عملوا به أو لم يعملوا تأكد عندنا ان الله انما أكد فى ذلك حتى نتميز عن أهل الكتاب اذ قد أمروا بذلك فأضاعوه بترك العمل فمن رأى أكلة السحور بضم الهمزة اكتفى باللقمة الواحدة ليقع الفرق بينه وبين أهل الكتاب وهو أقل ما يكون ومن فتح الهمزة أراد الغداء ثم من التأكيد فيها محافظة النبىّ صلى الله عليه وسلم عليها وعلى تأخيرها ودعاؤه اليها فسنها قولا وفعلا فقال هلموا الى الغداء المبارك كما قال حىّ على الصلاة ثم انه صلى الله عليه وسلم من تأكيده فى ذلك وتغليبه للاكل على تركه مع التحقق ببيان المانع وهو الفجر الصادق انك اذا سمعت النداء به اذا كان فى البلد من يعلم انه لا ينادى الا عند الطلوع الذى به تصح الصلاة كابن أم مكتوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سمع المتسحر ذلك وجب عليه الترك فقيل له ان سمعته والاناء فى يدك وأنت تشرب فلا تقطع شربك من الماء مع هذا التحقق حتى تقضى حاجتك منه كما قال حذيفة هو النهار الا ان الشمس لم تطلع فجعل الحكم لحال الوقت وهو الوجود فكان الدفع أهون من الرفع لان المدفوع معدوم والذى تريد رفعه موجود حاكم بالفعل وهو أنك آكل أو شارب فالحكم له حتى يرتفع بنفسه كذلك الاسم الحاكم فى الوقت على العبد اذا طلبه اسم آخر لا حكم له عليه كان الاولى بالعبد أن لا ينفصل من هذا الاسم الالهىّ حتى لا يبقى له حكم عليه يطالبه به فاذا فرغ من حكمه تلقى بالادب ذلك الاسم الالهىّ الذى يطلبه أيضا هكذا فى الدنيا والآخرة كشخص حكم عليه اسم التوّاب عن فعل تقابلت فيه الاسماء الالهية فى حال الذنب فقال المنتقم أنا أولى به وقال الراحم والغفار أنا أولى به فتقابلت الاسماء فى حال العاصى أىّ اسم الهى يحكم عليه وفيه فوجدوا التوّاب فتقوّى الاسم الراحم على المنتقم وقال هذا نائبى فى المحل فانه لولا مارحته ما تاب فدفع المنتقم عن طلبه وتسلمه الراحم وصار التوّاب يرجع به الى ربه من طاعة الى طاعة بعد ما كان يرجع به من معصية أو كفر الى طاعة فهذا التائب ما ينعزل لان التوبة قد لا تكون من ذنب بل يرجع الى الله فى كل حال فى كل طاعة فان وجد فى المحل الاسم الخاذل وهو حكمه فى العبد فى حال وقوع المخالفة منه فحينئذ يكون تقابل الاسماء المتقابلة أعظم وأشد فان هذا الفعل يستدعيهما وكان الخاذل بينه وبين هذه الاسماء مواطأة من حيث لا يشعر بما فعله كل واحد منهما فيقول الراحم ان الخاذل دعانى فهو يساعدنى على المنتقم ويقول المنتقم انه دعانى فساعدنى على الراحم فاذا أقبلا لا يرى منه مساعدة لاحدهما فان كان الخذلان كفرا جاء

الاسم العدل الحكم ليحكم بين الاسمين المتقابلين الراحم واخوانه والمنتقم واخوانه فيقول ان الله أمرنى أن احكم بينكما وهو قوله فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا فيقول للطائفتين من الاسماء ارقبوا هذا العبد الى آخر نفس فان فارق هذا الجسم وهو على كفره فليتسلمه المنتقم وتتأخر أنت عنه أيها الراحم وجماعتك فيقول الراحم سبقت الرحمة الغضب فأنا السابق فلا أتأخر فيقول له العدل انما يعتبر السبق فى انتهاء المدى والمدى بعد ما انتهى فاترك المنتقم الى ان يستوفى منه مقدار زمان المخالفة والخذلان فذلك انتهاء المدى فاذا انتهى فلك تجديد المطالبة فيحكم الله عند ذلك بما يشاء فان يعتنى بما كما حكمت بما يعطيه علمى وان ولى المفضل أو المنتقم حكم أيضا بحسب ما أذن له فيه فينفصلون على هذا الحد وان كان الخاذل فى هذا المحل لم يمت كفرا وأعلى معصية ووقع هذا التقابل بين الاسماء فجاء الحكم العدل وكلم كل واحدة من الطائفتين وسمع دعواهما وان كل واحد منهما يدعى الحق له فيطالبهم بالبينة فيقول المنتقم أى بينة أوضح من وقوع الفعل اما تراه سكران ان كان يشرب الخمر أو سارقا أو قاتلا أو ما كان من أمور التعدى فيقول الحكم هذه الافعال وان وقعت فهى موضع شبهة والحاكم لا يحكم الا ببينة فان وقوع الشرب للخمر لا يؤذن بأنه ارتكب محرما ربما غص بلقمة وربما هو مريض فما استعمل الا ما يحل له استعماله وربما قتل هذا القاتل أبيه أو أحدا من هذا القاتل وليه واعتدى عليه بمثل ما اعتدى لا أعلم ذلك الا بدليل فصورته صورة مخذول ولكن بهذه الشبهة فيه ولى خصمى يسلم لى ان هذا امتعض حد الله فى شربه الخمر أو قتله أو ما كان من أفعال المعاصى فى ذلك الحال فيقول الراحم نعم صدق الآن لى فى المحل سلطان أقوى يا بيّنة منى وهو معى على المنتقم قال له الحاكم ومن هو قال الاسم المؤمن قد نزل عنده فى دار الايمان وهو قلبه فله الامان قال فادعه فجاء فقال أنت فى هذا المحل عابر سبيل أو هو محلك وملكك فيقول هو محلى وملكى وما عارضنى فى ملكى صاحب هذا الفعل الذى هو العاصى فجزاه الله خيرا عنى يستعملنى فى كل حال بحسب تعطيه حقيقتى وأنا محتاج اليه فيقول المنتقم تأخر عنه حتى نشاور الاسم المريد الذى هو الحاجب الاقرب الى الله فان له المشيئة فى هذا العبد وفى هذا الحكم فلا يزال الامر متوقفا الى انتهاء المدى وهو الاجل المسمى الذى هو الموت فان مات على المخالفة تسلمه المريد وان تاب عند الموت تأخر المنتقم عنه بالكلية وتسلمه الراحم وأصحابه فانتهاء المدى فى العاصى انما هو الى زمن الموت وفى الكافر كما قررناه فاعلم ذلك انتهى الجزء الثامن والخمسون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿وصل فى فصل صيام يوم الشك﴾

خرّج الترمذىّ عن عمار بن ياسر قال من صام اليوم الذى شك فيه فقد عصى أبا القاسم قال هذا حديث حسن صحيح جمهور العلماء على النهى عن صيام يوم الشك على انه من رمضان واختلفوا فى تحرّى صيامه تطوّعا فمنهم من كرهه ومنهم من أجازه وأمّا حديث عمار عندى فما هو نص ولا مرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو يحتمل أن يكون عن نظر من عمار ويحتمل أن يكون عن خبر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم ان صامه على انه من رمضان ثم جاء الثبت انه من رمضان أجزأه (الاعتبار) لما كان الشك يتردّد بين أمرين من غير ترجيح أشبه حال العبد اذا كان الحق سمعه وبصره فان نظر الناظر الى كون الحق سمعه قال انه حق وان نظر الى اضافة السمع الى العبد بالهاء من قوله سمعه قال انه عبد وما ثم حالة ترجح أحد الناظرين على الآخر فيسقطان واذا سقطا بقيا بحكم الاصل والاصل هو وجود عبد ورب هذا هو الاصل النظرى والشرعى من وجه وأمّا أصل الاصل المراعى قبل هذا الاصل بل الذى هذا الاصل فرع عنه فهو وجود رب فى عين عبد فهذا هو أصل الاصول الكشفى الشرعى من وجه فاعمل بحسب ما يتقوى عندك فى ذلك وما هو مشربك فقف عنده حتى يتبين لك وجه الحق فى المسألة فتكون عند ذلك من أهل الكشف والوجود

﴿وصل فى فصل حكم الافطار فى التطوّع﴾

حكى بعضهم الاجماع على انه ليس على من دخل فى صيام تطوع فأفطر لعذر قضاء واختلفوا اذا قطعه لغير عذر عامدا فمن قائل عليه القضاء ومن قائل ليس عليه القضاء (الاعتبار) اذا دخل فى فعل بعبودية الاختيار فقد ألزم نفسه العبودية اذا رجع الى أصله فى ذلك الالزام فحكمه حكم عبودية الاضطرار فيلزمه فى التطوع ما يلزمه فى الواجب ومن راعى كون الحق جعل هذا العبد مختارا فقال لا يرفع حكم الحق عنى فى هذا الفعل فانه يؤدى الى منازعة الحق حيث يجعل الاختيار فى موضع الاضطرار فيعامله معاملة الاختيار فان شاء قضى اختيارا أيضا وان شاء لم يقض وفى هذه المسألة طول فى الاعتبار يكفى هذا القدر منه فى هذا الكتاب فان التكليف يثبت عين العبد مضطرا كان أو مختارا

﴿وصل فى فصل المتطوع يفطر ناسيا﴾

اختلف العلماء فيه فطائفة قالت عليه القضاء وقالت طائفة أخرى لا قضاء عليه و بترك القضاء أقول للخبر الوارد فيه (الاعتبار) الناسى هو التارك لما اختار بعد ما اختار فان كان عن هوى نفس فالقضاء عليه وان كان عن شغل بمقام أو حال أو اسم الهى فلا قضاء عليه والقضاء هنا الحكم عليه بحسب ما تطوع به

﴿وصل فى فصل صوم يوم عاشوراء﴾

اختلفوا أى يوم هو من المحرم فقيل العاشر وهو الصحيح و به أقول وقيل التاسع (الاعتبار) هنا حكم الاسم الاول والآخر فمن أقيم فى مقام أحدية ذاته صام العاشر فانه أول آحاد العقد ومن أقيم فى مقام الاسم الآخر الالهى صام اليوم التاسع فانه آخر بسائط العدد ولما كان الصوم أعنى صوم عاشوراء مرغبا فيه وكان فرضه قبل فرض رمضان على الاختلاف فى فرضيته صح له مقام الوجوب وكان حكمه حكم الواجب فمن صامه حصل له قرب الواجب وقرب المندوب اليه فكان لصاحبه مشهدان وتجليان يعرفهما من ذاقهما من حيث انه صام يوم عاشوراء

﴿وصل فى فضل صوم يوم عاشوراء﴾

ذكر مسلم عن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى صيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله فقامت حركة يومه فى القوة مقام قوى أيام السنة كلها اذا عومل كل يوم بما يليق به من عبادة الصوم فحمل بقوته عن الذى صامه جميع ما أجرم فى السنة التى قبله فلا يؤاخذ بشئ مما اجترح فيها فى رمضان وغيره من الايام الفاضلة والليالى مع كون رمضان أفضل منه وكذا يوم عرفة وليلة القدر و يوم الجمعة فمثله مثل الامام اذا صلى بمن هو أفضل منه كابن عوف حين صلى برسول الله صلى الله عليه وسلم المقطوع بفضله فانه يحمل سهو المأموم مع كونه أفضل فلا يستبعد أن يحمل صوم يوم عاشوراء جرائم المجرم فى أيام السنة كلها ولو شاهدت الامر أوكنت من أهل الكشف عرفت صحة ما قلناه وما أراده الشارع والعارف اذا قال احتسب على الله فانما يقولها عن حسن ظن بالله وانما هى لفظة أدب يستعملها مع الله مع انه على علم من الله انه يكفرها الله يقول الله عسى الله أن يتوب عليهم وهو سبحانه يعلم ما يجريه فى عباده ومع هذا أتاه بلفظ الترجى والمخلوق أولى بهذه الصفة فانها له حقيقة لو لم يعلمه الله فاذا أعلمه الله بقى على الاصل أدبا مع الله تعالى ألا تراه صلى الله عليه وسلم مع قطعه بأنه يموت فان الله يقول له انك ميت وانهم ميتون فكيف استثنى لما أتى البقيع ووقف على القبور وسلم عليهم قال وانا ان شاء الله بكم لاحقون فاستثنى فى أمر مقطوع به وسواء كان الاستثناء فى الموت أوفى الايمان فان كليهما مقطوع له بهما وذلك أدب الهى فان الله قال له ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله فلما أتى فى قوله لاحقون باسم الفاعل استثنى امتثالا لامر الله تعالى

﴿وصل فى فصل من صامه من غير تبييت﴾

ذكر البخارى عن سلمة بن الاكوع قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أسلم أن ينادى فى الناس من كان أكل فليتم بقية يومه ومن لم يكن أكل فليصم فان اليوم يوم عاشوراء فجعل حكمه حكم من لم يبيت صوم من شك فى أول يوم من رمضان فأكل ثم ثبت انه من رمضان فأمر بالامساك والقضاء وهذا حديث صحيح وقال فليتم بقية يومه ولم يسمه صائما فيقوى هذا الحديث حديث القضاء الذى ذكره أبو داود عن عبد الرحمن بن سلمة عن عمه ان أسلم

أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال صمتم يومكم هذا قالوا لا قال فأتموا بقية يومكم واقضوه يعني يوم عاشوراء وإن كان هذا الحديث لم يلحقوه بالصحيح فراعى حرمة اليوم لما لله فيه من السر الذي يرفع فضله على عباده وظهر هنا فضل الامساك عن الطعام والشراب وإن لم يكن صائما وهو الجوع الذي تشير اليه الصوفية في كلامها وفيه أقول

أجوع ولا أصوم فان نفسي ❊ تنازعني على أجر الصيام

فلو فنيت أجيرتها لقلنا ❊ بإيجاب الصيام وبالقيام

فان العبد عبد الله مالم ❊ يكن في نفسه هدف لرامي

ولما أمر بقضائه أكد تشبيهه برمضان لا بالنذر المعين اذا فات يومه فانه لا يقضي وإن أمسك صاحبه بقية يومه اذا لم يبيت ولما أمرنا بصيامه وحرض في ذلك وكان قد أمرنا بمخالفة أهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك فيما شرعوه لأنفسهم مما لم يأذن به الله وبدلوا وغيروا ولم يتميز عندنا ما شرعوه لأنفسهم مما شرع لهم نبيهم فلذلك أمرنا بمخالفتهم الا فيما قرره النبي صلى الله عليه وسلم لنا مما كان شرعا لهم فعلمناه على القطع مثل رجم الثيب واقامة الصلاة لمن تذكر بعد نسيانه فلما تعين علمنا به فان الله تعالى يقول في الانبياء أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية وقال عليه الصلاة والسلام نحن أولى بموسى منكم فكنى بنحن عن نفسه وأمته فكنا أولى بموسى من اليهود لانهم لم يؤمنوا بكل ما أتى به موسى ولو آمنوا بكل ما أتى به موسى لآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبكتابه ونحن أمرنا بالايمان به وبما أنزل عليه ثم أخبر الحق عنا بذلك وخبره صدق فاستحال في أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمن المؤمن منهم ببعض ويكفر ببعض فهذه عناية الهية حيث أخبر بعصمتنا من ذلك فهي بشرى لنا قال تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ومما جاء به موسى صوم يوم عاشوراء فآمنا به وصمناه عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضا بخلاف عندنا كما صامه موسى فرضا ثم ان الله فرض علينا رمضان وخيرنا في صوم عاشوراء فنصومه من طريق الاولوية فنجمع بين اجر الفريضة فيه والنفل درجة زائدة على المؤمنين من قوم موسى عليه السلام ولما أمرنا صلى الله عليه وسلم بمخالفة اليهود أمرنا بأن نصوم يوما قبل عاشوراء وهو التاسع ويوما بعده وهو الحادي عشر فقال للناس صلى الله عليه وسلم صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود صوموا قبله يوما وبعده يوما ولم يقل خالفوا موسى فان الله قد عصمنا من مخالفة الانبياء بل أسقط الله عنا بعض شرائعهم كما أسقط عنا بعض ما شرعه لنا ونحن مؤمنون بكل ناسخ ومنسوخ في كل شرع ولا يلزم من الايمان وجود العمل الا ان يكون العمل مأمورا به فبهذا القدر نخالف اليهود ولهذا توهم علماؤنا ان عاشوراء هو التاسع من المحرم لا غير وقد روينا في ذلك ما يؤيد ما قلناه من انه اليوم العاشر وهو أثار روينا من حديث أبي أحمد بن عدي الجرجاني الذي رواه من حديث ابن حي عن داود بن علي عن أبيه عن جده ان النبي عليه السلام قال لئن بقيت الى قابل لاصومن يوما قبله ويوما بعده والحديث الثاني وهو ما رواه مسلم من حديث الحكم بن الاعرج قال أتهيت الى ابن عباس وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت له أخبرني عن صوم يوم عاشوراء فقال اذا رأيت هلال المحرم فاعدد وأصبح اليوم التاسع صائما قلت هكذا كان محمد صلى الله عليه وسلم يصومه قال نعم يعني لو عاش الى العام القابل يؤيد ما قلناه ما رواه أيضا مسلم عن ابن عباس قال حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان في العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما صام التاسع على انه عاشوراء لو صامه وصام يوم عاشوراء بتحقيق يوم العاشر من المحرم فلا ينبغي ان يقال التاسع هو عاشوراء مع وجود هذه الاخبار وقد ذكرنا حكمة يوم التاسع والعاشر في الاسم الاول والاسم الآخر في هذا الفصل وكذلك أيضا أقول في صيام اليوم الذي بعد عاشوراء حتى يعلم التناسب فيما أشرنا اليه من ذلك فنقول أيضا انه ملحق بالاسم الاول كما عاشوراء في العاشر فان العاشر أول العقد والحادي عشر أول تركيب الاعداد

تركيب البسائط مع العقد فانظر حكمة الشارع في أمره بصوم يوم قبله ويوم بعده متصلا به حتى لا تقول اليهود ان صومه مقصود لنا فانه يكره في الفرائض مثل هذا الا ان يكون الانسان على عمل يعمله فلا يبالي الا ان وقع التحجير وقد نهينا ان تقدم رمضان بيوم أو يومين قصدا الا ان يكون في صيام نصومه ثم من الحكمة ان حرم علينا صيام يوم الفطر حتى لا نصل صيام رمضان بصوم آخر تمييزا لحق الفرض من النفل بخلاف اعتبار يوم الجمعة وسيأتي الكلام في صومه ان شاء الله تعالى في هذا الباب

﴿وصل في فضل صوم يوم عرفة﴾

ورد في الحديث الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيام يوم عرفة أحتسب على الله ان يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده خرجه مسلم من حديث أبي قتادة فمن صام هذا اليوم فانه أخذ بحظ وافر مما أعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمره كله في الحكم حكم الصائم يوم عرفة وخصه باسم عرفة لشرف لفظة المعرفة التي هي العلم لان المعرفة في اللسان الذي بعث به نبينا صلى الله عليه وسلم تتعدى الى مفعول واحد فلها الاحدية فهي اسم شريف سمى الله به العلم فكان المعرفة علم بالاحدية والعلم قد يكون تعلقه بالاحدية وغيرها بخلاف لفظ المعرفة فقد تميز اللفظان بما وضعا له وقد ينوب العلم مناب المعرفة في اللسان بالعمل كذا ذكره النحاة واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى لا تعلمونهم الله يعلمهم تأويله لا تعرفونهم فعدوا العلم الى مفعول واحد للنيابة والمعرفة ما لها حكم الا في الاحدية وذهلوا عما نبهناهم عليه فان العلم أيضا انما طلب الاحدية ولهذا صح للمعرفة ان تكون من أسمائه لان العلم هو الاصل فانه صفة الحق ليست المعرفة صفته ولا له منها اسم عندنا في الشرع وان جمعها والعلم حد واحد لكن المعرفة من أسماء العلم كما قلنا والعارف من أسماء العالم فينا بالاحدية وأما قولنا ان العلم انما هو موضوع للاحدية مثل المعرفة ولهذا اسمينا العلم معرفة لانا اذا قلنا علمت زيدا قائما فلم يكن مطلوبنا زيدا لنفسه ولا مطلوبنا القيام لعينه وانما مطلوبنا نسبة قيام زيد وهو مطلوب واحد فانها نسبة واحدة معينة وعلمنا زيدا وحده بالمعرفة والقيام وحده بالمعرفة فنقول عرفت زيدا وعرفت القيام وهذا القدر غاب عن النحاة وتخيلوا ان تعلق العلم بنسبة القيام الى زيد هو عين تعلقه بزيد والقيام وهذا غلط فانه لو لم يكن زيد معلوما له والقيام أيضا معلوما له قبل ذلك لما صح ان ينسب ما لا يعلمه الى ما لا يعلمه لانه لا يدري هل تصح تلك النسبة أم لا وهذا النوع من العلم يسمى عند أصحاب ميزان المعاني التصور وهو معرفة المفردات والتصديق وهو معرفة المركبات وهو نسبة مفرد الى مفرد بطريق الاخبار بالواحد عن الآخر وهو عند النحويين المبتدأ والخبر وعند غيرهم الموضوع والمحمول ثم نرجع الى بابنا فنقول فعلمنا شرف يوم عرفة من حيث اسمه لما وضع له من تعلقه بالاحدية انما الله اله واحد والاحدية أشرف صفة الواحد من جميع الصفات وهي سارية في كل موجود ولولا انها سارية في كل موجود ما صح ان نعرف أحدية الحق سبحانه فما عرف أحد الا من نفسه ولا كان على أحديته دليل سوى أحديته من عرف نفسه عرف ربه هكذا قال صلى الله عليه وسلم وقال أبو العتاهية

وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

والآية أحدية كل شيء وهي التي يمتاز بها عن غيره من أمثاله فالاحدية تسري في كل شيء من قديم وحادث ومعدوم وموجود ولا يشعر بسريانها كل أحد لشدة وضوحها وبيانها كالحياة عند أرباب الكشف والايمان فانها سارية في كل شيء سواء ظهرت حياته كالحيوان أو بطنت حياته كالنبات والجماد فانه حي بغير منازع وما من شيء مما سوى الله الا وهو يسبح الله بحمده ولا يسبحه الا من يعلمه ومن شرط العالم ان يكون حيا فلا بد ان يكون كل شيء حيا ولما كانت الاحدية للمعرفة والاحدية لله تعالى في ذاته رجحنا صوم يوم عرفة على فطره في غير عرفة فان كنا في عرفة علمنا ان الصوم لله لا لنا فرجحنا فطره على صومه لشهود عرفة فافهم فالصوم لله حقيقة والاحدية له حقيقة فوقعت المناسبة بين الصوم ويوم عرفة فان كل واحد لا مثل له فان صومه يفعل فيما بعده وليس ذلك لغيره في حق كل أحد ويفعل فيما قبله لانه زماني فيتقيد بالقبلية والبعدية والمقصود ان فعله عام كصفة الحق في ايجاد الممكنات عامة لا تختص بممكن دون ممكن وان كان الامر

لله من قبل ومن بعد بخفاء مبنيا غير مضاف لعدم تقييده عز وجل بالقبل والبعد فهذا الذي ليوم عرفة ليس لغيره من الازمان فقد تميز على جنسه وان كان ثم اعمال هي أقوى منه في العمل ولكن ليست زمانية أي ماهي لعين الزمان غاية عاشوراء ان يكفر السنة التي قبله فتعلقه بالواقع وعرفة تعلقه بالواقع وغير الواقع فعاشوراء رافع وعرفة رافع ودافع فجمع بين الرفع والدفع فناسب الحق فان الحق يتعلق بالموجود حفظا و بالمعدوم ايجادا فكثرت المناسبة بين يوم عرفة و بين الاسماء الالهية فترجح صومه في غير عرفة وان كان له هذا الحكم في عرفة الا ان فطره أعلى في عرفة من صومه لما قلنا وفي الحكم الظاهر للاتباع والاقتداء قال في الاتباع فاتبعوني يحببكم الله وقال في الاقتداء لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وأفطر في هذا اليوم في عرفة وانما اختلف علماء الرسوم في صومه في عرفة لا في غيرها لمظنة المشقة فيها والضعف عن الدعاء غالبا والدعاء في هذا اليوم هو المطلوب من الحاج فان أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة كالمسافر في رمضان في فطره فمن العلماء من اختار الفطر فيه للحاج وصيامه لغير الحاج للجمع بين الاثرين وقد قدمنا في أول الفصل الخبر المروي الصحيح في صيامه فنذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصمه بعرفة رحمة بالناس الذين تدركهم المشقة في صيامه كذا توهم علماء الرسوم والامر على ماقلناه فانه كان قادرا على صومه في نفسه و ينهى أمته عن صيامه بعرفة ومثل هذا وقع في الشرع كنكاح الهبة فهو له خاصة وهو حرام على الامة بلا خلاف وكالوصال وان جاز فعلى كراهة خرج مسلم عن أم الفضل ان الناس تماروا عندها يوم عرفة في صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم هو صائم وقال بعضهم ليس بصائم فأرسلت اليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فالرحمة هنا عندنا ان أعلمهم ان الفطر في يوم عرفة في عرفة هي السنة وعند علماء الرسوم طلب الرفق والحجة لنا في قوله خذوا عني مناسككم فمنها عدم الصوم في ذلك الموضع في ذلك اليوم والامر لايتوقف في الاخذ به اذا ورد ممن يخرجه عن الاخذ به واما حديث النهي عن صيام يوم عرفة في عرفة ففي اسناده مهدي بن حرب الهجري وليس بمعروف خرجه النسائي من حديثه عن أبي هريرة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم عرفة بعرفة واما حديث الترمذي عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة و يوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الاسلام وهي أيام أكل وشرب قال أبو عيسى حديث عقبة حديث حسن صحيح فكأنه يشير بهذا القول الى ماقلناه و يشير الى مقام المعرفة والعارف فان مقام المعرفة لايعطي الصوم اذ يعرف العارف الصوم لمن هو فكان يوم عيده يوم حصوله في هذا المقام وأيام العيد أيام سرور فأراد ان يسري السرور ظاهرا وباطنا في النفس الناطقة بترك الصوم وفي الحيوانية بالاكل والشرب فجمع بين السرورين ولم يتعرض لتحريم الصوم في هذا الحديث ولكن قرنه بالصوم المحرم وهو يوم النحر و بالصوم المكروه وهو صوم أيام التشريق وانه صلى الله عليه وسلم رجح الاكل والشرب فيه في الظاهر ولم يتعرض للنهي عن ذلك وحرمنا صيام يوم عيد الاضحى بخبر غير هذا سأورده ان شاء الله ثم قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر أهل الاسلام ولم يقل أهل الايمان دل على مراعاة الظاهر هذا ولهذا قلنا انه راعى النفس الحيوانية التي سرورها بالاكل والشرب في يوم عيدها فاعلم ذلك

﴿وصل في فصل صيام الستة من شوال﴾

قد تقدم ذكر الخلاف في وقتها وفي هذا الخبر عندي نظر لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يثبت الهاء في العدد أعني في الستة فقال وأتبعه ستا من شوال وهو عربي والايام مذكرة والصوم لايكون الا في اليوم وهو النهار فلابد من اثبات الهاء فيه فهذا سبب كون الحديث منكر المتن مع صحة طريق الخبر فيترجح عندي انه اعتبر في ذلك الوصال فوصل صوم النهار بصوم الليل والليلة مقدمة على النهار لان النهار مسلوخ منها أو تكون لغة شاذة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس كان فيه من هذه لغته ومع هذا فمن استطاع الوصال في هذه الايام الستة فهو أولى عملا بظاهر لفظ الخبر والوصال لم يقع النهي عنه نهي تحريم وانما راعى الشفقة والرحمة في ذلك بظاهر الناس لئلا يتكلفوا

الحرج والمشقة فى ذلك ولو كان حراما ما واصل بهم صلى الله عليه وسلم وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق وقال من يشادّ هذا الدين يغلبه وخرّج مسلم عن أنس بن مالك واصل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر شهر رمضان فواصل ناس من المسلمين فبلغه ذلك فقال لومدّ لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم فمن لم يقدر ان يواصلها كلها فليواصل حتى السحر فى كل يوم فتدخل الليلة فى الصوم كل ليلة ويكون حد السحر لفطرها حد الغروب للنهار فى حق من لا يواصل فى الصحيح انه عليه السلام قال أيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر خرّجه البخارى عن أبى سعيد ومما يؤيد قولنا انه أراد الرحمة بالناس فى ذلك ما خرّجه مسلم أيضا عن عائشة قالت نهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم قالوا انك تواصل قال انى لست كهيئتكم انى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى فكوشف صلى الله عليه وسلم بحال تلك الجماعة التى خاطبهم انهم ليست لهم هذه الحال وانه ما أراد بذلك انه مختص به دون أمته فانا قد وجدناه ذوقا من نفوسنا فى وصالنا فبتنا فى حال الوصال فأطعمنا ربنا وسقانا فى مبيتنا ليلة وصالنا فأصبحنا أقوياء لانشتهى طعاما ورائحة الطعام الذى أكلناه الذى أطعمنا ربنا يشم منا ويتعجبون الناس من حسن رائحته فسألونا من أين لك هذه الرائحة فى هذا الذى طعمت فما رأينا مثلها فمنهم من أخبرته بالحال ومنهم من سكت عنه فلو كان هذا خصوصا برسول الله صلى الله عليه وسلم ما نلناه فصح لنا الوصال والفطر فجمع لنا بين الاجرين والفرحتين وحكمة الوصال ان الحق قال الصوم له وأمر نا بما هو له وجعله عبادة لا مثل لها فاذا فرّق بالفطر بين اليومين فما واصل فاذا لم يفطر تحقق الوصال فيشير بذلك الى ايصال صوم العبد بالصوم المضاف الى الحق ليبين له ان للعبد ضربا من التنزيه بالصوم كما ان للحق من الصوم التنزيه فهو اشعار حسن للعارفين وكذا هو فى نفس الامر فان العبد له تنزيه يخصه ولاسيما اذا كان عمله تنزيها الحق فان عمله يعود عليه وهو التنزيه فان تنزيه الحق ماهو بتنزيه المنزه بل هو تعالى منزه الذات لنفسه ما نحن نزهناه فلذلك يعود تنزيهنا علينا حين حرمه غيرنا فمن قدر على الوصال فى هذه الستة الايام فهو أحق وأولى فان وجد أحد نقلا عن العرب فى اللسان حذف الهاء فى عدد المذكر حمل الحديث على تلك اللغة ولقد روينا ان الله حين أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم ومكروا مكرا كبّارا لم يعرف هذا اللحن الحاضرون ولا عرفوا معناه فبينما هم كذلك اذ أتى أعرابى قد أقبل غريبا فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه وقال يا محمد انى رجل من كبّار قومى بضم الكاف وتشديد الباء فعلم الحاضرون ان هذه اللفظة نزلت بلحن ذلك العربى وأصحابه فعلموا معناها فما يبعد ان يكون حذف الهاء جائزا فى عدد المذكر فى لغة بعض الاعراب ولو كان ذلك لم يقدح فيما ذهبنا اليه من الحقائق المشهودة لنا فيكون الشارع العالم يقصد الامرين معا فى هذه اللفظة فى حق من هى لغته وفى حق من ليست له بلغة وجعلها ستا ولم يجعلها أكثر ولا أقل وبين ان ذلك صوم الدهر لقول الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها على هذا أكثر العلماء بالله وهذا فيه حد مخصوص وهو ان يكون عدد رمضان ثلاثين يوما فان نقص نزل عن هذه الدرجة وعندنا انه يجبر بهذه الستة من صيام الدهر ما نقصه بالفطر فى الايام المحرّم صومها وهى ستة أيام يوم الفطر ويوم النحر وثلاثة أيام التشريق ويوم السادس عشر من شعبان يجبر بهذه الستة الايام ما نقص بايام تحريم الصوم فيها والاعتبار الآخر وهو المعتمد عليه فى صوم هذه الايام من كونها ستة لاغير ان الله تعالى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وكان من المقصود بذلك الخلق فاظهر فى هذه الستة الايام من أجلنا ما أظهر من المخلوقات كما ورد فى الخبر فكان سبحانه لنا فى تلك الايام فجعل لنا صوم هذه الستة الايام فى مقابلة تلك لان نكون فيها متصفين بما هو له وهو الصوم كما اتصف هو بما هو لنا وهو الخلق ولهذا كان أحمد السبتى ابن أمير المؤمنين هارون الرشيد يصوم ستة أيام من كل جمعة ويشتغل بالعبادة فيها فاذا كان يوم السبت احترف فيما يأكله بقية الاسبوع وبهذا سمى السبتى فلقيته بالطواف يوم جمعة بعد الصلاة وأنا أطوف فلم أعرفه غير انى أنكرته وأنكرت حالته فى الطواف فانى ما رأيته يزاحم ولا يزاحم ويخترق الرجلين ولا يفصل بينهما فقلت هذا روح تجسد بلا شك فمسكته وسلمت عليه فردّ علىّ السلام وماشيته ووقع بينى وبينه كلام ومفاوضة فكان منها انى قلت لم خصصت يوم السبت بعمل الحرفة فقال لان الله سبحانه ابتدأ

خلقنا يوم الاحد وانتهى الفراغ منه فى يوم الجمعة فجعلت تلك الايام لى عبادة لله تعالى لا أشتغل فيها بما فيه حظ لنفسى فاذا كان يوم السبت انفردت لحظ نفسى فاحترفت فى طلب ما أتقوّت به فى تلك الايام هكذا كل جمعة فانه سبحانه نظر الى ما خلق فى يوم السبت فاستلقى ووضع احدى يديه على الاخرى وقال أنا الملك لظهور الملك ولهذا سمى يوم السبت والسبت الراحة ولهذا أخبر تعالى انه ما مسه من لغوب فيما خلقه واللغوب الاعياء فهى راحة لا عن اعياء كما هى فى حقنا فتعجبت من فطنته وقصده فسألته من كان قطب الزمان فى وقتك فقال أنا ثم ودعنى وانصرف فلما جئت المكان الذى أقعد فيه للناس فقال لى رجل من أصحابى من المجاورين يقال له نبيل بن خزر بن خزرون السبتى من أهل سبتة انى رأيت رجلا غريبا لا نعرفه بمكة يكلمك ويحادثك فى الطواف من كان ومن أين جاء فذكرت له قصته فتعجب الحاضرون من ذلك فهذا اعتبار الستة الايام من الوجه الصحيح وانما حذف الهاء الشارع ان صحت الرواية لاعتبار الليالى لانها دلائل الغيب بخلاف النهار والغيب مما انفرد به الحق فلا يطلع على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول وكذلك علم الحكمة فى الاشياء لا يكون علما الا لاهل الله واما أهل الفكر والقياس فانهم يصادفون الحكمة بحكم الاتفاق فلا يكون علما عندهم وعند أهل العلم بالله يعلمون ان ذلك هو المراد بذلك الامر فيكون علما لهم بذلك الاعتبار فيقصدونه لا بحكم الاتفاق فان بعض الناس اذا رأى كلام أهل الله فى مثل هذا يقولون باحتماله لا يقطعون به حملا على نفوسهم ورتبتهم فى العلم وهو قول الله تعالى فى حق من هذه حالته ذلك مبلغهم من العلم فاعلم بذلك والله الموفق للصواب

﴿وصل فى فصل غرر الشهر وهى الثلاثة الايام فى أوّله﴾

خرّج مسلم عن معاذة انها سألت عائشة أ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام قالت نعم فقلت لها من أىّ أيام الشهر كان يصوم قالت لم يكن يبالى من أىّ أيام الشهر يصوم ٭ اعلم ان كل شهر يرد على الانسان انما هو ضيف ورد عليه من جانب الحق فوجب على الانسان القيام بحقه المسمى ضيافة وهو الضيف وحق الضيف ثلاثة أيام فلهذا شرع الشارع فى الشرع المندوب اليه ثلاثة أيام من كل شهر ورغبنا فى أوله فقلنا نصوم ذلك فى الثلاث الغر منه لان الشرع ورد بتعجيل الطعام للضيف فقال العجلة من الشيطان الا فى ثلاث فذكر منها اطعام الضيف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من غرّة كل شهر خرّجه النسائى عن ابن مسعود والصيام صفة للحق واختصه من جميع الاعمال لنفسه وهو عمل مختص بهذه النشأة لا يكون ذلك للملك فلا يشهده سبحانه ملك مقرّب فى مشهد صومى ولا يتجلى له سبحانه فى مشهد صومى أبدا فانه من خصائص هذه النشأة وكانت هذه الضيافة ثلاثة أيام لكل شهر لانه وارد من الحق وراجع اليه سبحانه حامد الله فى تلقيه اياه أو ذاماله بحسب ما يلقاه العبد به فأحسن ما يتلقاه به ما هو صفة الهية وهو الصوم ولله تعالى ثلاثمائة خلق كذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم والثلاثة من الثلاثمائة عشر العشر فانّ عشر الثلاثمائة ثلاثون وهو الشهر وعشر الثلاثين ثلاثة فهى عشر العشر فهو قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فيقبل الحق تلك الثلاثة ثلاثين فيجازيه بالثلاثين ثلاثمائة خلق فانه قال عشر أمثالها فكأنه صام الشهر كله فلذلك جوزى بالثلاثمائة اذ كانت الثلاثون قبلت عملا لا جزاء فانها مثل الحسنة والحسنة عمل والمثلان هما اللذان يشتركان فى صفات النفس فانظر فى حكمة الشارع ما ألطفها وأحسنها فى ترغيبه ايانا فى صوم ثلاثة أيام من كل شهر وما نبه عموم الخلق على عين الجزاء فان حصول الجزاء اذا جاء فجأة من غير أن يعرف سببه ولا ينتظر كان ألذ فى نفس العامة والصيام خلق الهى فكان جزاؤه من جنسه وهى الثلاثمائة خلق الهىّ يتصف بها الصائم هذه الثلاثة الايام كما اتصف بالصيام وهو وصف الهى والعامىّ الذى لم يصم على هذا الحد يكون جزاؤه من كونه لم يأكل ولم يشرب فيقال له كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب قال تعالى كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية يعنى أيام الصوم فى زمان التكليف وأهل الله الذين يصومون هذه الثلاثة الايام وأىّ صوم كان على استحضار ما ذكرنا من أنه يتلبس بوصف الهىّ يكون جزاؤه من هذه صفته قوله من وجد فى رحله فهو جزاؤه ولما لم تكن هذه الصفة عملا للملك لم يحضر مع الصائم

فى حضرة هذا التجلى فلا يعرف هذا التجلى ذوقا ذاتيا والانسان يشهده تعالى اذا كان من أهل العلم بالله الكامل فى جميع مايشهده فيه الملك كان الملك فى أى مقام كان ومع هذا فلا يدل على ان الانسان أعظم عند الله من الملك فالانسان أكمل نشأة والملك أكمل منزلة كذا قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشهد واقعة أبصرته صلى الله عليه وسلم فيه فسألته لكن الانسان أجمع بالذوق من الملك لاجل جمعيته و بعض الناس يغلط فى هذا المقام من أجل تشكل الروحانى فى أى صورة شاء وماعلم ان التكحل فى العينين ليس كالكحل فالانسان الكامل لا الانسان الحيوانى أكمل نشأة للحقائق التى أنشئ عليها حقائق الاسماء الالهية وحقائق العالم وهو الذى أنشأه الله على الصورة فهو بجمعيته حق كله فالحق مجلاه اذ كان له الكمال فيراه بكل عين ويشهده فى كل صورة ولا يدل هذا على انه أفضل عند الله فان هذا كان لجمعيته فلا يقال فى الشئ انه أفضل من نفسه وانما تقع الفضيلة بين الغير ين ولا غير فان الملك جزء من الانسان والجزء من الكل والكل من الجزء ماليس للجزء من الكل والمثلان لا يتفاضلان فيما هما مثلان فيه فان تفاضلا فما هما مثلان ولنا فى ذلك من قصيدة فى واقعة عجيبة وقد نوديت بمسوك الدار

مسكنتك فى دارى لاظهار صورتى * فسبحانكم مجلى وسبحان سبحانا

فما أبصرت عيناك مثلى كاملا * ولا أبصرت عينى كمثلك انسانا

فلم يبق فى الامكان أكمل منكمو * نصبت على هذا من الشرع برهانا

فأى كمال كان لم يك غيركم * على كل وجه كان ذلك ما كانا

ظهرت الى خلقى بصورة آدم * وقررت هذا فى الشرائع ايمانا

وسميته لما تجلى بصورتى * الى ناظرى حقا وان كان انسانا

فقل فيه ماتهواه ان شئت انه * ليقبله عينا وان كان أكوانا

فلو كان فى الامكان أكمل منكمو * لكان وجود النقص فى اذا كانا

لانك مخصوص بصورة حضرتى * وأكمل منها مايكون فقد بانا

فانك وجودى فالتقابل حاصل * فزن ذاتكم انى وضعتك ميزانا

بجد علم ماقد قلت فيك مسطرا * ولا أحدا أوجدته منك ريانا

ظهرت لنا مجلى فعاينت صورتى * وعاينت فيك الكون رمزا وتبيانا

وساررتكم لما رأيت سراركم * وأعلنت قولى اذ تجليت احسانا

وماأنت ذاتى لا ولا أنا ذاتكم * فان كنت لى عينا فلا تبده الآنا

فأخبرنا من كان يعلن سره * وأربحنا من كان يخفيه كتمانا

فمن كان ذا كتم لسرى وغيرة * سيلقى غدا دار وحالدى وريحانا

اذا كنت لى عينا أكون لكم يدا * وأظهركم بالحال سرا واعلانا

وصيرت قلبى للتجلى منصة * ومهدته حبا لخيلك ميدانا

وأملاته من كل شهم غشمشم * لعواك فرسانا تجول وركبانا

وجئتك بالاسما يقدم جمعها * من أسمائه الحسنى خبيرا وحنانا

وأنزلتها تبنى الفنا بفنائكم * وأرسلتها عينا معينا وطوفانا

وهبتك ياعبدى من أسماء ذاتكم * ملابس أعياد ضروبا وألوانا

فان كنت لى كنت أنت ولا تقل * أنا أنت بل كن فى الخليقة رحمانا

فتحقق أيدك الله ما أشرنا اليه فى صيام ماذكرناه من الثلاثة الايام من كل شهر فهى فى حقنا على حد ماذكرناه وتقبل هذه الثلاثة الايام فى حق العامة زكاة ذلك الشهر وفى مجموع السنة زكاة تلك السنة وهى ستة وثلاثون يوما فهى

مثل العشر فى زكاة الحبوب فان العامة مع النفس التى تطلب الغذاء وهى النفس النباتية لا الحيوانية فان الحيوان مايطلب الغذاء من كونه حيا وانما يطلبه من كونه نباتا فلا تخلط بين الحقائق ولهذا جوزوا من حيث امتنعوا فى زمان الصوم من استعمال مايغون به وهو الغذاء ورحمهم الله تعالى بالسحور وعوضا من أكل النهار فما نقص الصائم من غذائه شئ اذا تسحر ورغب الله فى أكلة السحور وسماه غذاء حتى لا يكون للنفس النباتية مقال يطالبه حق من الله فان ترك العبد السحور تعين عليه من النفس طلب حقها ومن الله الذى أمره بايصال حقها اليها فان المكلف مأمور أن يؤدى الى كل ذى حق حقه وكما فرقنا بيننا و بين أهل الكتاب فى أكلة السحور وكان الاعتبار فى سحورنا غير ماتعتبره العامة لذلك كان صومنا يخالف صومهم من هذه الجهة فنحن مشاركون لهم فيما تطلبه النفس النباتية منا ومنهم وهم لا يشاركوننا فيما يختص بالنفس الناطقة التى هى العقل من ايصال الحق الى مستحقه فان لنفسك عليك حقا وهو أشدّ حقوق الاكوان بعد حق الله عليك لان خصمك بين جنبيك ومامن حق لكون من الاكوان على أحد الا ولله فيه حق على ذلك الكون فاحفظ نفسك فاذا كان غدا فى موطن الجزاء والتجلى ظهر الفرق بين الفرق والتفاضل فكم بين نفس تحشر بنعوت الهية و بين نفس محرومة من ذلك فتصرف فيها يوم القيامة الى ما كانت صرفتها فى الدنيا من الانكباب على ماتطلبه هذه النشأة الطبيعية من الاتساع فيما هو فوق الحاجة فلا فرق بينه و بين سائر الحيوانات وهذا هو الانسان الحيوان و ربما أكثر الحيوان اذا اكتفى ماله همة فى المستأنف والانسان ليس كذلك لا يزال مهموما ومهموما فى الحال والاستقبال فيجمع ولا يشبع لانه خلق هلوعا اذا مسه الشرّ جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون وهم المتأخرون عن هذه الصفة التى جبلوا عليها فان المصلى هو المتأخر عن السابق فى الحلبة فهذا معنى قوله الا المصلين هنا فى الاعتبار وقد يكون تفسير الآية فانه سائغ ولكن حمله على الاشارة أعصم فنفوس العامة التى هى بهذه المثابة محجوبة فى الدنيا والآخرة ليرتفع عنهم الالم كما ارتفع هنا وكذلك أهل الله فكما هم الخلق فى الدنيا كذلك يكونون غدا يوم القيامة ولولا حشر الاجسام فى الآخرة لقامت بنفوس الزهاد والعارفين فى الآخرة حسرة الفوت واتعذبوا لو كان الاقتصار على الجنات المعنوية لا الحسية فخلق الله فى الآخرة جنة حسية وجنة معنوية وأباح لهم فى الجنة الحسية ماتشتهى أنفسهم ورفع عنهم ألم الحاجات فشهواتهم كالارادة من الحق اذا تعلقت بالمراد تكون فما أكل أهل السعادة لدفع ألم الجوع ولا شربوا لدفع ألم العطش ولما اشتغلوا هنا بالله من حيث ما كلفهم فهم يجرون فى الامور بالميزان الذى حدّ لهم خائفين من أن يطففوا أو يخسروا الميزان جعل لهم سبحانه الاشتغال فى الآخرة بالجنة الحسية لاجسامهم الطبيعية جزاء وفاقا قال تعالى ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون والعارفون وغير العارفين فى هذه الصورة الحسية على السواء ويفوز العارفون بما يزيدون عليهم بجنات المعانى جنى الجنتين للعارفين دان فبأىّ آلاء ربكما تكذبان ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فهذا الاشتغال منع العامة وعلماء الرسوم فى الدنيا والآخرة وأهل الله معهم من حيث نفوسهم النباتية والحيوانية فى هذا الشغل وهم مع الله من ذلك الوجه الآخر فكما أنه ماحجبهم فى الدنيا ماهم عليه من الحاجة الى الغذاء مع قوة سلطانه فى الدنيا لدفع آلام الجوع والعطش والاحساس بأنواع الاشياء المؤلمة كذلك لا يحجبهم فى الآخرة نعيم الجنان المحسوس عن الله فى الاتصاف بأسمائه التى تليق بالدار الآخرة لان لها أسماء الهية لا يعلمها اليوم أحد أصلا فان الاسماء الالهية انما يظهرها مواطنها يقول النبىّ صلى الله عليه وسلم فأحمده بمحامد لا أعلمها الآن فان الموطن يعين الاسماء فانه عن آثارها ولكن هذا الذى نذكره من النعيم الذى لا حسرة فيه انما يكون فى الجنة لا فى القيامة فان يوم القيامة يوم التغابن المشكل فالسعيد يقول ياو يلتا ليتنى زدت والشقىّ يقول ياحسرتا على مافرّطت ولهذا سمى يوم الحسرة لاظهاره مثل هذا لانه من حسرت الثوب عنى فظهر ماتحته أى أزلته

﴿وصل فى فصل من جعل الثلاثة الايام من كل شهر صوم أيام الثلاثة البيض﴾

خرّج النسائى من حديث جابر بن عبد الله عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر

أيام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة فهذا ظهور حق فى خلق وهو ظهور الشمس لاعينها فى القمر ليالى ابداره وهى الليالى البيض وأيامها تسمى الايام البيض لان الليل من أوّله الى آخره لا يزال فيها منوّرا فجعل لياليها أياما لازالة ظلمة الليل وطلوع الشمس بوساطة القمر مكملا فجعلها شهادة وكانت غيبا يستر فيها كل شئ فصار يظهر فيها كل ما كان مستورا بظلمة الليل فالنهار وان كان ولد الليل فهو من أعدائه لانه ينفره أبدا كما قال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم

ياحذري من حذري * لو كان يغني حذري

فالنهار ولد عاق لا يزال يطرد أباه و يهجحه ليلا ونهارا على قدر ما يقدر عليه فظهور الشمس فى مرآة القمر ظهور حق فى خلق لان النور اسم من أسماء الله تعالى فظهر باسمه النور فى ظهور القمر قال تعالى وجعل القمر فيهن نورا فهو مجلى لنور الشمس وجعل الشمس سراجا فان النور الحق هو سبحانه فانه الممدّ بالنورية لكل منوّر والسراج نور ممدود بالدهن الذى يعطيه بقاء الاضاءة عليه ولهذا جعل الشمس سراجا وكذلك جعل نبيه صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا لانه يمدّه بنور الوحى الالهىّ فى دعائه الى الله عباده ومن شرط من يدعى الاجابة الى ذلك وجعله بالى فى قوله الى الله وهو حرف غاية وهو انتهاء المطلوب فتضمنت حرف الى أن المدعوّ لابدّ أن يكون له سعى من نفسه الى الله فان مشى فى الظلمة فانه لا يبصر مواقع الهلكة فى الطريق فتحول بينه و بين الوصول الى الله الذى دعاه اليه بحفرة يقع فيها او بئر يتردّى فيها أو شجرة أو حائط يضرب فى وجهه فيصرفه عن مطلوبه أو الطريق الموصلة اليه يضل عنها لعدم التمييز فى الطرق فانّ هذه كلها كالشبه المضلة للانسان فى نظره اذا أراد القرب من الله بالعلم من حيث عقله وافتقر الى نور يكشف به ما يصدّه عن مطلوبه و يحرمه الوصول اليه لما دعاه فجعل الحق شرعه سراجا منيرا يتبين لذلك المدعوّ بالسراج الطريق الموصلة الى من دعاه اليه فقال تعالى يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه أى بأمره لم يكن ذلك من نفسك ولا من عقلك ونظرك وسراجا منيرا أى يظهر به للمدعوّ ما يمنعه من الوصول فيجتنبه على بصيرة كما قال ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى فجعل لنا سهما مما وصفه به الحق من صفة السراج المنير فهو نور ممدود بامداد الهى لا بامداد عقلى ثم ان الحق سبحانه لما كان من أسمائه تعالى الدهر كما ورد فى الصحيح لاتسبوا الدهر فان الله هو الدهر فأمر بتنزيه الزمان من حيث ما سمى دهرا لكون الدهر اسما من أسماء الله تعالى فصار لفظ الدهر من الالفاظ المشتركة كما تنزه الحروف أعنى حروف المعجم من حيث انها كتب بها كلام الله تعالى وعظمناها فقال فأجره حتى يسمع كلام الله ونهانا أن نسافر بالمصحف الى أرض العدو وما سمع السامع الا أصواتا وحروفا فلما جعلها كلامه أوجب علينا تنزيهها وتقديسها وتعظيمها فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم مخبرا لنا ان صيام الايام البيض صيام الدهر من باب الاشارة ما هو صيامكم فاضاف الصوم الى الدهر وهو قوله تعالى الصوم لى ولما جعله صيام الدهر وأنت الصائم فى هذه الايام كان الدهر كمثل الشمس فى ظهورها فى القمر وكان القمر كالانسان الصائم وكان نور القمر كالصوم المضاف الى الانسان اذ كان هو محل وهو مجلى الدهر تعالى فهو صوم حق فى صورة خلق كما قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فالقائل الله والسماع متعلق بلفظ العبد فهو نطق الهىّ فى خلق فهو قول الله فى هذه الحال لا قول العبد فالسمع على الحقيقة انما تعلق بكلام الله على لسان العبد الذى هو مجرى الحروف المقطعة فينبغى للناصح نفسه ان يصوم الغرر من أول كل شهر على نية ما ذكرناه لك من الاعتبار و يصوم الايام البيض على هذا الاعتبار الآخر وهو صوم النيابة عن الحق فلك جزاء الحق لا الجزاء الذى يليق بك وكل شئ له فما من يقوم مقامه ان يكون جزاءه له وكذلك هذا الصائم بهذا الحضور فانه فى عبادة لا مثل لها بنيابة الهية و مجلى اسم الهىّ يقال له الدهر فله كل شئ كما كان الدهر ظرف كل شئ فلا جزاء لهذا الصائم غير من ناب عنه اذ كان مجلاه ولهذا قال وأنا أجزى به معناه انا جزاؤه بسبب كونه صائما بحق شهودىّ مشهود له ما هو للحق لا للعبد فقد عرفتك كيف تصوم الايام البيض وما تحضره فى نفسك عند ما تريد أن تشرع فيها وهى صفة كمال العبد فى الاخذ عن الله كما كان القمر فى هذه الايام موصوفا بالكمال

فى أخذه النور من الشمس من الاسم الظاهر للخلق فان له أيضا كمالا آخر فى الوجه الآخر منه من الاسم الباطن ليلة السرار وهو تجلى فى تلك الليلة من غير امداد يرجع الى الخلق بل هو فى السرار بما يخصه من حيث ذاته خالص له وهو الذى أشرنا اليه فى صوم سرر الشهر المأمور به شرعا وقد تقدم فاجعل بالك لما فتحناه الى عين فهمك عناية من الله بك من حيث لا تشعر ولا يحجبنك عن هذا العلم الغريب الذى بيناه تلك الرؤيا الشيطانية التى رؤيت فى حق أبى حامد الغزالى حكاها علماء الرسوم وذهلوا عن أمر الله تعالى سبحانه لنبيه فى قوله وقل رب زدنى علما لم يقل عملا ولا حالا ولا شيأ سوى العلم أتراه أمره بأن يطلب الحجاب عن الله والبعد منه والصفة الناقصة عن درجة الكمال أتراه فى قوله ضرب بيده يعنى ضربة الحق اياه فعلمت فى تلك الضربة علم الاولين والآخرين لاى شئ لم يذكر العمل ولا الحال حكى أصحاب الرسوم عن شخص سموه وهو أنه رأى أبا حامد الغزالى فى النوم فقال له وسأله عن حاله فقال له لولا هذا العلم الغريب لكا على خير كثير فتأولها علماء الرسوم على ما كان عليه أبو حامد من علم هذا الطريق وقصد ابليس بهذا التأويل الذى زين لهم ان يعرضوا عن هذا العلم فيحرموا هذه الدرجات هذا اذا لم يكن لابليس مدخل فى الرؤيا وكانت الرؤيا ملكية واذا كانت الرؤيا من الله والرائى فى غير موطن الحس والمرئى ميت فهو عنده الحق لا فى موطن الحس والعلم الذى كان يحرض عليه أبو حامد وأمثاله فى أسرار العبادات وغيرها ما هو غريب عن ذلك الموطن الذى الانسان فيه بعد الموت بل تلك حضرته وذلك محله فلم يبق العلم الغريب على ذلك الموطن الا العلم الذى كان يشتغل به فى الدنيا من علم الطلاق والنكاح والمبايعات والمزارعة وعلوم الاحكام التى تتعلق بالدنيا ليس لها الى الآخرة تعلق البتة لانه بالموت يفارقها فهذه العلوم الغريبة عن موطن الآخرة وكالهندسة والهيئة وأمثال هذه العلوم التى لا منفعة لها الا فى الدار الدنيا وان كان له الاجر فيها من حيث قصده ونيته فالخير الذى يرجع اليه من ذلك قصده ونيته لا عين العلم فان العلم يتبع معلومه ومعلومه هذا كان حكمه فى الدنيا الا فى الآخرة فكأنه يقول له فى رؤياه لو اشتغلنا زمان شغلنا بهذا العلم الغريب عن هذا الموطن بالعلم الذى يليق به و يطلبه هذا الموضع لكا على خير كثير ففاتنا من خير هذا الموطن على قدر اشتغالنا بالعلم الذى كان تعلقه بالدار الدنيا فهذا تأويل رؤياه هذا الرائى لا ماذكروه ولو عقلوا وتفطنوا فى قوله العلم الغريب فلو كان علمه بأسرار العبادة ومايتعلق بالجناب الاخروى لما كان غريبا لان ذلك موطنه والغربة انما هى لفراق الوطن فثبت ماذكرناه فاياك ان تحجب عن طلب هذه العلوم الالهية والاخروية وخذ من علوم الشريعة على قدر ماتمس الحاجة اليه مما ينفرض عليك طلبه خاصة وقل رب زدنى علما على الدوام دنيا وآخرة

﴿وصل فى فصل صيام الاثنين والخميس﴾

خرج النسائى عن اسامة بن زيد قال قلت يارسول الله انك تصوم حتى تكاد لاتفطر وتفطر حتى تكاد لاتصوم الا يومين ان دخلا فى صيامك والا صمتهما قال أى يومين قلت يوم الاثنين ويوم الخميس قال ذانك يومان تعرض فيهما الاعمال على رب العالمين فأحب ان يعرض عملى وأنا صائم فاعلم ان أسماء الايام الخمسة جاءت بأسماء العدد أولها الاحد وآخرها الخميس واختص السادس باسم العروبة وفى الاسلام باسم الجمعة والسابع بيوم السبت فسميا بالحال لا باسم العدد كما أقسم بالخمسة الخنس الجوارى وهى التى لها الاقبال والادبار ولم يجعل معهن فى هذا القسم الشمس والقمر وان كانا من الجوارى ولكنهما ليسا من الخنس كذلك الجمعة والسبت وان كانا من الايام لم يجعل اسمهما من أسماء العدد فلنذكر هنا مايختص بالاثنين والخميس كما نذكر فى صيام الجمعة والسبت والاحد مايختص بهن أيضا فى موضعه من هذا الباب فيوم الاثنين لآدم صلوات الله عليه ويوم الخميس لموسى صلى الله عليه وسلم لجمع بين آدم ومحمد صلى الله عليه وسلم الجمعية فى الاسماء وجوامع الكلم فكما كان آدم علم الاسماء كلها كذلك محمد صلى الله عليه وسلم أوتى جوامع الكلم والاسماء من الكلم فتلبس بيوم الاثنين الذى هو خاص بآدم لهذه المشاركة وأما موسى فجمع بينه و بين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين الرفق وهو الذى تطلبه الرحمة وكان النبى صلى الله عليه وسلم أرسله الله رحمة للعالمين وكان

موسى في ليلة الاسراء لما اجتمع به رسول الله صلى الله عليه وسلم و بمن اجتمع من الانبياء عليهم السلام لم يأمره أحد من الانبياء ولا نبهه على الرفق بأمته الا موسى صلى الله عليه وسلم لما فرض الله علينا في تلك الليلة خمسين صلاة فما سأله أحد من الانبياء لما رجع عليهم ما فرض الله على أمتك الا موسى عليه السلام فنبهه بنا دون سائر الانبياء عليهم السلام فلما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين صلاة قال له موسى عليه السلام راجع ربك في ذلك الحديث وفيه فما زلت أرجع بين ربي تبارك وتعالى و بين موسى عليه السلام حتى فرضها خمسة في العمل وجعل أجورها أجر خمسين فنقص من التكليف وأبقى الاجر على ما كان عليه في الاصل فلما جمع بينه و بين موسى في صفة الرفق بنا تلبس معه بيوم الخميس الذي هو لموسى عليه السلام وكان يتذكر بآدم في صوم الاثنين ما هو عليه من العلم و يتذكر بموسى في صوم الخميس الرحمة التي أرسل بها للعالمين وهما في حال لا يأكلان ولا يشربان فيه لانهما قد فارقا الحياة الدنيا وما هما في عالم النشء الجسمي الذي يطلب الغذاء بل هما في برزخ لا غذاء فيه بين النشأتين فأراد صلى الله عليه وسلم لما وقعت بينه و بينهما المشاركة فيما ذكرناه أن يتلبس في هذين اليومين اللذين يجتمع معهما فيهما بترك الطعام والشراب موافقة لهما ليتفرغ صلى الله عليه وسلم لتحصيل ما أداه الى الاجتماع بهما في هذين اليومين وجعله صوما دون ان يعتبره اتساعا من الغذاء فحسب حتى يكون تركه ذلك عملا مشروعا فتلبس بصفة هي للحق وهو الصوم فصامهما ليعرض عمله على رب العالمين في ذينك اليومين وهو متلبس بصفة الحق اذ كان الصوم له ولما كان الصوم بالنسبة الى العباد يدخله الفساد لما كان قابلا لذلك و يقبل الصلاح أيضا كان العرض على رب العالمين لا على اسم غيره والرب هو المصلح فيصلح ما دخل في هذا الصوم من الفساد ان كان دخله فساد من حيث لا يشعر و يتعلق هذا الحكم بالعلامة خاصة وهي الدلالة على الله تعالى ولذلك قال على رب العالمين من العلامة وفساد العلامة انما هو من طرو الشبهة عليها في النظر العقلي وما ثم شبهة أعظم من نسبة الصوم لله دون سائر الاعمال ووصف العبد به فاذا حصل العرض الذي هو التجلي والكشف بان للصائم ما لله من الصوم وما للعبد منه فزالت الشبهة التي يقبلها العقل بالكشف الالهي فهذا معنى مصلح العلامة وأما اذا اعتبرته برب العالمين أي مغذيهم فغذاء الصائم في هذا العرض هو ما يفيده الحق في هذا الصوم من العلوم المختصة بهذين اليومين من علم الاسماء وعلم الاثنتي عشرة عينا التي في العلم بها العلم بكل ما سوى الله وهو علم الحياة التي يحيا بها كل شئ وهو العلم المتولد بين النبات والجماد من المولدات بصفة القهر فان العيون الاثنتي عشرة انما ظهرت بضرب العصا الحجر فانفجرت منه بذلك الضرب اثنتا عشرة عينا بريد علوم المشاهدة عن مجاهدة بسبب الضرب وعلوم ذوق لان الماء من الاشياء التي تذاق و يختلف طعمها في الذوق فيعلم بذلك نسبة الحياة كيف اتصف بها المسمى جمادا حتى أخبر عنه الصادق انه يسبح بحمد الله لان الحق أضاف ذلك الى الحجر بقوله منه ومن لا كشف له ولا ايمان لا يثبت للجماد حياة فكيف تسبيحا نعوذ بالله من الخذلان فيعلم بهذا الكشف نسبة الحياة أيضا الى النبات لان الضرب كان بالعصا وهي من عالم النبات و بضربه بها ظهر ما ظهر ومن لا كشف له لا يعلم ان النبات حي الا من يصرف الحياة الى النمو فيعلم في يوم الخميس اذا صام من أجل الامداد روحانية موسى عليه السلام فيه علم الاثنتي عشرة عينا على الكشف والمشاهدة وهو علم ما يتعلق بمصالح العالم قد علم كل أناس مشربهم من تلك العيون فمن علمها علم حكم الاثنتي عشر برجا وعلم منتهى أسماء الاعداد وهي اثنا عشر وعلم الانسان بما هو ولي لله تعالى

فانظر الى شجر يقضي على حجر * وانظر الى ضارب من خلف أستار

وكان الحجاب عليه والستر موسى عليه السلام كما كان الحجاب للاعرابي على كلام الله محمدا صلى الله عليه وسلم فبصوم يوم الاثنين يجمع بين خلق وحق في بساط مشاهدة وحضور لتحصيل علم الاسماء الالهية و بصوم يوم الخميس يجمع حفظ نفسه وحفظ الاربع من جهاته التي يدخل عليه منها الشبه المضلة فانها طرق الشيطان من قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم عن أمر واستفزز ومن خلفهم عن أمر وأجلب عليهم وعن أيمانهم عن أمر وشاركهم وعن شمائلهم عن أمر وعدهم وهو بعينه في الوسط فان به تميزت هذه الجهات الاربع وكان المجموع في هذه الحضرة خمسة فاعتصم

بصوم يوم الخميس لكون الخمسة من خصائصه وموسى صاحبه فيها وهو لفظ غليظ يفرق الشيطان منه لفظاظته فيعتصم الصائم يوم الخميس بهذا الحضور والذي ذكرناه من الشيطان الذي أرصد له على هذه الجهات ومن قبول نفسه لما يرد به هذا الشيطان لو ورد عليه وهو الشئ الخامس الساعد للشيطان فيما يرومه فيكون موسى حاجب هذه الابواب فيبقى الصائم فيها مستريحا آمنا وهو صاحب الصوم في ذلك اليوم ولم يقل ذلك في آدم في صوم الاثنين وجعلناه في الاعتبار جمع حق وخلق لئلا يطرأ عليه الخلل في صومه من حيث لا يشعر فان آدم صاحب ذلك اليوم قبل من ابليس الازلال من حيث لا يشعر ومن لم يدفع عن نفسه فأحرى أن لا يقدر ان يدفع عن غيره فحمل الاثنين على حق وخلق للاشتراك في صفة الصوم ولم يعتبر آدم في هذا الموطن ونسبة الخمسة الخنس ليوم الخميس الذي هو لموسى لكونها لها الكر والفر بما لها من الاقبال والادبار في السير فلها الحكم والقوة بذلك على غيرها لقوة الخمسة التي جمعتها فان الخمسة من الاعداد تحفظ نفسها وتحفظ العشرين وما ثم عدد له هذه المرتبة ولا هذه القوة الا هذه الخمسة ومن حفظ نفسه وغيره كان أقوى شبها بما تطلبه العقول من التشبه بمن له هذه الصفة قال تعالى ولا يؤوده حفظهما وقال وهو على كل شئ حفيظ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل انتهى الجزء التاسع والخمسون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل في فصل صيام يوم الجمعة)

اختلف العلماء في صوم يوم الجمعة فمن قائل يكره صومه ومن قائل يكره صومه الا ان يصام قبله أو بعده خرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصم أحدكم يوم الجمعة الا أن يصوم قبله أو يصوم بعده وخرج البخاري عن جويرية بنت الحارث ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال أصمت أمس قالت لا قال تريدين ان تصومي غدا قالت لا قال فأفطري * اعلم ان يوم الجمعة هو آخر أيام الخلق وفيه خلق من خلقه الله على الصورة وهو آدم فيه ظهر كمال أتمام الخلق وغايته وبه ظهر أكمل المخلوقات وهو الانسان وهو آخر المولدات حفظ الله به الاسم الآخر على الحضرة الالهية وحفظه الله بالاسم الآخر فهو الذي ينظر اليه من الاسماء الالهية ولما جمع الله خلق الانسان فيه بما أنشأه تعالى عليه من الجمع بين الصورتين صورة الحق وصورة العالم سماه الله بلسان الشرع يوم الجمعة ولما زينه الله بزينة الاسماء الالهية وحلاه بها وأقامه خليفة فيها بها فظهر بأحسن زينة الهية في الكمال وخصه الله تعالى بأن جعله أوسع من رحمته تعالى فان رحمته لا تسعه سبحانه ولا تعود عليه وان محلها الذي لها الاثر فيه انما هو المخلوقون ووسع القلب الحق سبحانه فلهذا كان أوسع من رحمة الله وهذا من أعجب الاشياء أنه مخلوق من رحمة الله وهو أوسع منها ومن كان مجلى كمال الحق فلا زينة أعلى من زينة الله فأطلق الله عليه اسما على ألسنة العرب في الجاهلية وهو لفظ العروبة أى هو يوم الحسن والزينة فظهر الحق في كماليته في أكمل الخلق وهو آدم فلم يكن في الايام أكمل من يوم الجمعة فان فيه ظهرت حكمة الاقتدار بخلق الانسان فيه الذي خلقه الله على صورته فلم يبق للاقتدار الالهي كمال يخلقه اذ لا أكمل من صورة الحق فلما كان أكمل الايام وخلق فيه أكمل الموجودات وخصه الله بالساعة التي ليست لغيره من الايام والزمان كله ليس سوى هذه الايام فلم تحصل هذه الساعة لشئ من الازمان الا ليوم الجمعة وهي جزء من أربع وعشرين جزأ من اليوم وهي في النصف منه وهو المعبر عنه بالنهار فهي في ظاهر اليوم وفي باطن الانسان لان ظاهر الانسان يقابل باطن اليوم وباطن الانسان يقابل ظاهر اليوم ألا تراه أمر في رمضان بالقيام بالليل والقيام حكم ظاهر الانسان فان الظاهر منه هو المستريح بالنوم وجعل الله النوم له سباتا أى راحة والليل محل التجلي الالهي والنزول الرباني واستقبال هذا النزول بالقيام الكوني واجب في الطريق أدبا الهيا وهذا النزول في الليل يقوم مقام الساعة التي في نهار الجمعة لكن النزول في كل ليلة والساعة خاصة بيوم الجمعة فانها ساعة الكمال والكمال لا يكون الا واحدا في كل جنس ان كان ذلك الجنس ممن له استعداد الكمال كاستعداد الانسان وما هو ثم مما قبله غير الانسان فالانسان كامل بربه لاجل الصورة ويوم الجمعة كامل بالانسان لكونه خلق فيه وما خلق فيه الا في الساعة المذكورة فيه فانها

أشرف ساعاته والحكم فيها للروح الذي في السماء السادسة وهي سماء العدل والاعتدال صفات وكمال الباطن فان سلطان هذا اليوم هو الروح الذي في السماء الثالثة وله الاستبداد التام في يومه في الساعة الاولى منه والثامنة فهو الحاكم بنفسه تجليا وسائر ساعاته يجري حكمه فيه بنوابه والعلم أكمل الصفات فخص الاكمل بالاكمل والصوم لا مثل له في العبادات فأشبه من لا مثل له في نفي المثلية ومن لا مثل له قد اتصف بصفتين متقابلتين من وجه واحد وهو الاول والآخر وهو ما بينهما اذ كان هو الموصوف وكذلك هو بين الظاهر والباطن وهاتان الصفتان في المعنى واحدة وانما كان الانقسام فيما ظهر عنهما من الحكم فأطلق عليها اسم الظاهر لظهور الحكم عنها واسم الباطن لخفاء سببه فهما نسبتان له فلما لم يكن بد من اثبات هذه الصفة النسبية التي هي معقول حكمها غير معقول حكم الموصوف لم يكن بد من اثباتها وكل حكم له أولية وآخرية في المحكوم عليه فهو الاول والآخر من حيث المعنى واحد ومن ابتدائه وانتهائه طرفان فيما لا ينقسم ولما كان الامر على ما قررناه كان من أراد أن يصوم الجمعة يصوم يوما قبله أو يوما بعده ولا يفرده بالصوم لما ذكرناه من الشبه في صيام ذلك اليوم وقيام ليلته اذ كان ليس كمثله يوم فانه خير يوم طلعت فيه الشمس فما أحكم علم الشرع في كونه حكم ان لا يفرد بالصوم ولا ليلته بالقيام تعظيما لرتبته على سائر الايام وهو اليوم الذي اختلفت فيه الامم فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فما بينه الله لاحد الا لمحمد صلى الله عليه وسلم لمناسبته الكمالية فانه أكمل الانبياء ونحن أكمل الامم وسائر الامم وأنبياؤها ما أبان الحق لهم عنه لانهم لم يكونوا من المستعدين له لكونهم دون درجة الكمال أنبياؤهم دون محمد صلى الله عليه وسلم وأممهم دوننا في الكمال فالحمد لله الذي اصطفانا فنحن بحمد الله يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم عين الساعة التي فيها التي بها فضل يوم الجمعة على سائر الايام كما فضلنا نحن بمحمد صلى الله عليه وسلم على سائر الامم والصوم لله من وجه التنزيه والصوم للانسان عبادة وموضع الاشتراك الصوم فصوم يوم الجمعة بما هو منه لله وصوم اليوم المضاف اليه بما هو للعبد منه اذ بصيام العبد صح ان يكون الصوم لله وبصيام اليوم المضاف الى يوم الجمعة صح صوم يوم الجمعة والله عليم حكيم

﴿وصل في فصل صيام يوم السبت﴾

خرج أبو داود عن عبد الله بن بشر عن أخيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم فان لم يجد أحدكم الا عود عنب أو لحاء شجر فليمضغه قال أبو داود هذا منسوخ قال أبو عيسى في هذا الحديث حديث حسن وخرج النسائي عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم يوم السبت والاحد أكثر ما يصوم ويقول انهما يوما عيد للمشركين فانا أحب ان أخالفهم واختلف العلماء في صوم يوم السبت فمن قائل بصومه ومن قائل لا يصام اعلم ان يوم السبت عندنا هو يوم الابد الذي لا انقضاء ليومه فليله في جهنم فهي سوداء مظلمة ونهاره لاهل الجنان فالجنة مضيئة مشرقة والجوع مستمر دائم في أهل النار وضده في أهل الجنان فهم يأكلون عن شهوة لا لدفع ألم جوع ولا عطش فمن كان مشهده القبض والخوف اللذين هما من نعوت جهنم قال يصومه لان الصوم جنة فيتقي به هذا الامر الذي أذهله وقد ورد في كتاب الترغيب لابن زنجويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من صام يوما ابتغاء وجه الله بعده الله من النار سبعين خريفا ومثل هذا ومن كان مشهده البسط والرجاء والجنة وعرف ان يوم السبت انما سمي سبتا لمعنى الراحة فيه وان لم تكن الراحة عن تعب وهو يوم ما بين ابتداء الخلق الذي وقع في يوم الاحد وبين انتهاء الخلق الذي وقع في يوم الجمعة وتلك الستة الايام التي خلق الله فيها الخلق وقال في يوم السبت وقد وضع احدى الرجلين على الاخرى أنا الملك وأحكم العالم وقدر في الارض أقواتها وأوحى في كل سماء أمرها ووضع الموازين وأحال الخلق بعضهم على بعض وجعل منهم المفيض والقابل وأكمل استعداداتهم على أتم الوجوه وفعل كما أخبر من انه أعطى كل شئ خلقه ووصف نفسه بالفراغ قال من هذا مشهده الحكمة تعطي الفطر في هذا اليوم فهجر صومه ولما في ذلك من التعب الذي يضاد الراحة فان الصوم مشقة لانه ضد ما جبل عليه الانسان من التغذي وأما من صامه لمراعاة خلاف المشركين فشهده أن مشهد المشرك الشريك الذي نسبه فما ولي الشريك أمورهم في زعمهم بما ولوه

جعل لهم ذلك اليوم عيد الفرحه بالولاية فأطعمهم فيه وسقاهم ولست أعني بالشريك الذى عبدوه واستندوا اليه وانما أعني بالشريك صورته القائمة بنفوسهم لا عينه فهو الذى أعطاهم السرور فى هذا اليوم وجعله عيدا لهم وأما الذين جعلوه شريكا لله فلا يخلو ذلك المجعول ان يرضى بهذا المحال أولا يرضى فان رضى كان بمثابتهم كفرعون وغيره وان لم يرض وهرب الى الله مما نسبوا اليه سعد هو فى نفسه ولحق الشقاء بالناصبين له فمن صامه بهذا الشهود فهو صوم مقابلة ضد لعدم المناسبة بين المشرك والموحد فأراد أن يتصف أيضا فى حكمه فى ذلك اليوم بصفة التقابل بالصوم الذى يقابل فطرهم ولذلك كان يصومه صلى الله عليه وسلم

﴿وصل فى فصل صوم يوم الاحد﴾

فمن اعتبر ماذكرنا من هذا الشهود فانه يوم عيد للنصارى صامه لمخالفتهم ومن اعتبر فيه انه أول يوم اعتنى الله فيه بخلق الخلق فى أعيانهم صامه شكرا لله تعالى فقابله بعبادة لا مثل لها فاختلف قصد العارفين فى صومهم ومن العارفين من صامه لكونه الاحد خاصة والاحد صفة تنزيه للحق والصوم صفة تنزيه ورتبة منيعة الحمى لما فى الصوم من التحجير على الصائم عن الحظ النفسى من الافطار والاستمتاع من الجماع والتنزيه عن الذام فالصائم محجور عليه ان يغتاب أو يرفث أو يجهل أو يتصف بمذموم شرعا فى تلك الحال فوقعت المناسبة بينه و بين الاحد فى صفة التنزيه فصامه لذلك وكل له شرب معلوم فعامله بأشرف الصفات ولهذا كان للصوم من الطبيعة الحرارة واليبوسة لفقد الغذاء وهو ضد ما تطلبه الطبيعة فانها تطلب لاجل الحياة الحرارة لا منفعلها وتطلب الرطوبة التى هى منفعلة عن البرودة فقابلها الصائم بالضد فقابلها بالاصل ومنفعله فانه مأمور بمخالفة النفس والنفس طبيعية محضة منازعة للاله بذاتها لتوقف وجود عالم الاجسام كله عليها ولولاها لم يظهر لعالم الاجسام عين فزهت وتاهت لذلك فقيل للروح المدبر لهذا الجسم العنصرى المأمور بحفظ الاعتدال على هذا الجسد والنظر فى مصالحه اذا رأيت النفس الطبيعية فى هذا المقام من الزهو والخيلاء فامنعها عن الطعام والشراب والاستمتاع بالجماع بنية المخالفة لطاونية التنزيه عما تتخيله الطبيعة انك مفتقر اليها فى ذلك ولتعلم الطبيعة انها محكوم عليها فتذل تحت العبودة والافتقار لطلب الغذاء من هذا المدبر لهذا الهيكل فسمى مثل هذا التدبير صوما فان منعها عن ذلك كله لاصلاح المزاج لا يسمى صوما وذلك الفعل للروح انما هو من تدبير الطبيعة فسمى مثل هذا حمية لا صوما فان نوى الروح بهذه الحمية ومساعدة الطبيعة فيما أمرته به صلاح مزاج هذا البدن لاجل عبادة الله وأن يقوم بجميع ما أمره الله به من العبادة فى حركاته وسكناته التى لا تظهر منه الا بصلاح المزاج أجر فى تلك الحمية وان لم تكن صوما فهذا قد أبنت لك بعض أسرار صوم يوم الاحد

﴿وصل فى فصل ان التجلى المثالى الرمضانى وغيره اذا كان فهو لوقته﴾

خرّج مسلم فى صحيحه عن أبى البخترى قال لقينا ابن عباس فقلنا انا رأينا الهلال فقال بعض القوم هذا ابن ثلاث وقال بعض القوم هو ابن ليلتين فقال أى ليلة رأيتموه فقلنا ليلة كذا وكذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله مدّه للرؤية فهو لليلة رأيتموه قالت السادة من أهل الله الحكم للوقت والانسان أو الصوفى ابن وقته لا يحكم عليه ماض ولا مستقبل غير أن الانسان لا يعرف انه ابن وقته مع حكم الوقت عليه والصوفى يعلم انه بحكم وقته كذا هو فى نفس الامر فلهذا قلنا ان الصوفى ابن وقته لاطلاعه على ذلك ولعلمه انه فيما يحكم عليه به وفيه أثر النبوّة وما كل انسان يعلم ذلك مع انه كذا فى نفس الامر فتى ما ظهر للانسان هذا الحكم واتصف على علم بأنه ابن وقته فذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم هو لليلة رأيتموه فانا نعلم قطعا اذا كان الهلال فى الشعاع انه متجل لنا ولكن لا نراه كما نعلم قطعا ان الكواكب فى السماء بالنهار متجلية لنا ولكن لا نراها لضعف الادراك البصرى فلا ننسب اليه فاذا رأيناه فانه الوقت الذى نراه فيه لنعلمه فيحكم علينا بما يعطيه ذلك التجلى فان كان رمضان أثر فينا نية الصوم وان كان هلال فطر أثر فينا نية الفطر وان لم يكن الا هلال شهر من الشهور أثر فينا العلم بزوال حكم الشهر الذى انقضى وحكم الشهر الذى هذا هلاله وتختلف أحوال الناس فتمتاز الاوقات به لانقضاء الآجال فى كل شئ من المبايعات والمداينات والا كرية وأفعال

الحج يقول الله تعالى يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج كما قررناه

﴿وصل في فصل الشهادة في رؤيته﴾

فان لم نره وأخبرنا به رجل واحد أو اثنان فهل تدخل تحت حكم الوقت وتقوم لنا الشهادة مقام الرؤية فأقول لايخلو حكم هذا الهلال في ظهوره ان يظهر بحكم يوافق الغرض النفسي أو يخالفه فان خالف قبلنا فيه شهادة الواحد ويكون الشاهد الآخر ما أمرنا به من مخالفة النفس فان النفس بطبعها ماتريد هذا الحكم فينبغي لنا ان نعمل به في هلال الصوم ولما كان الفطر فيه غرض النفس طلبنا شاهدا آخر في الظاهر يشهد لنا حتى يكون فطرنا عبادة لا لاجل غرض النفس وربما اشترطنا فيهما العدالة وان مثل هذا الفطر الذي هو عيد الفطر عبادة وصومه حرام فانا فيه أعني في رؤية هلال الفطر مستقبلو عبادة لوجوب الفطر فيه وتحريم الصوم كما انا في هلال رمضان مستقبلو عبادة لوجوب الصوم وتحريم الفطر فلا فرق ومع هذا يحتاج الى شاهدين في هلال الفطر جريا على الاصل ولولا الخبر الوارد في هلال الصوم لاجرينا مجرى هلال الفطر وان كان الامر فيه على الاحتمال ولكن لنا ماظهر فيحتاج في هلال الفطر الى شاهدين ظاهرين وفي هلال الصوم الى شاهدين ظاهر وباطن فالباطن شاهد الامر بمخالفة النفس يقول تعالى ونهى النفس عن الهوى والصوم ليس للنفس فيه هوى طبيعي فما صمنا الا بشاهدين ولا أفطرنا الا بشاهدين لان كل واحدة من العبادتين حكم وجودي فلا بد لكل نتيجة من مقدمتين وهما في هذه العبادات الشاهدان فلنذكر الاخبار الواردة في ذلك لتفيد الواقف على هذا الكتاب ما أخذناه حتى لايفتقر الى كتاب آخر فيتعب فأقول حديث وارد في سنن أبي داود خرج أبو داود عن ربعي بن خراش عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال اختلف الناس في آخر يوم من رمضان فقدم أعرابيان فشهدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه لاهلا الهلال أمس عشية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يفطروا وأن يغدوا الى مصلاهم حديث آخر أيضا من سنن أبي داود خرج أبو داود أيضا عن ابن عمر قال تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رأيته فصام وأمر الناس بصيامه حديث ثالث عن أبي داود أيضا خرج أبو داود أيضا عن الحسين بن الحرث ان أمير مكة خطب ثم قال عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننسك للرؤية فان لم نره وشهد شاهدا عدل نسكنا بشهادتهما ثم قال ان فيكم من هو أعلم بالله ورسوله مني وشهد هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأومأ بيده الى رجل قال الحسين فقلت لشيخ الى جنبي من هذا الذي أومأ اليه فقال هذا عبد الله بن عمر وأمير مكة كان الحارث بن حاطب الجمحي حديث رابع للدارقطني وذكر الدارقطني من حديث ابن عمر وابن عباس قالا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجاز شهادة رجل واحد على رؤية هلال رمضان وقالا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجيز شهادة الافطار الا برجلين وهذا الحديث ضعيف

﴿وصل في فصل الصائم ينقضي أكثر نهاره في رؤية نفسه دون ربه﴾

لما كان الصوم حكما أضافه الله اليه وعرى الصائم عنه مع كونه أمر بالصيام فانبغى للصائم أن يكون مدة صومه ناظرا فيه الى ربه حتى يصح كونه صائما الا يغفل عنه فان الحق لايضيفه اليه حتى يصح انه صوم ولا يصح الا بصيام العبد على الصورة التي شرع الله له فيه أن يأتي بها فان لم يصمه على حد ما شرع له فما هو صائم واذا لم يكن صائما فما ثم صوم يرده الله اليه فان الصائم قد يحسب انه صائم وقد فعل في صومه فعلا أوجب له ذلك الفعل أن يخرج عن صومه كالغيبة اذا وقعت منه وأمثالها فهو مفطر أي ليس بصائم وان لم يأكل فان كان لذلك الفعل كفارة وأتى بها فهو صائم فيحافظ الصائم على هذا فان فيه ايثار الحق على نفسه فيجازيه على قدر المؤثر به وهو الله تعالى فمن راعى ربه عز وجل راعاه الله تعالى فما يكون جزاؤه الا هو من وجد في رحله فهو جزاؤه وقد وجد في رحله فان الحق في قلب عبده المؤمن الحاضر معه لابثمن ذلك والصوم وجد عند الله فانه لما صح صوم الصائم طلب رحله فقيل له أخذه الله فكان الله جزاءه فقال الصوم لي وأنا أجزي به حديث مروي في فساد الصوم ذكر أبو أحمد بن عدي الجرجاني من حديث خراش بن عبد الله عن

أنس عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال من تأمل خلق امرأة حتى يستبين له حجم عظامها من وراء ثيابها وهو صائم فقد أفطر خراش هذا مجهول لانه كان يحدث من صحيفة كانت عنده وهذا الحديث منها والذي يرويها عنه ضعيف كذا ذكر شيخنا أبو محمد عبد الحق

﴿وصل في فصل حكم صوم السادس عشر من شهر شعبان﴾

صومه عندنا حرام وهو عندنا من أحد الايام الستة التي يحرم صومها وهي هذا اليوم ويوم عيد الفطر ويوم عيد الاضحى وثلاثة أيام التشريق خرّج الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بقي نصف من شعبان فلا تصوموا قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح لما كانت ليلة النصف من شعبان ليلة يكتب فيها ملك الموت من يقبض روحه في تلك السنة فيخط على اسم الشقيّ خطاً أسود وعلى اسم السعيد خطاً أبيض به يعرف ملك الموت السعيد من الشقيّ فكان الموت هذا الشخص مشهوداً لانه زمن الاطلاع على الآجال واستحضارها عند المؤمن الذي ماله هذا الاطلاع فاذا أتتها ليلة السادس عشر لم ينفك صاحب هذا الشهود أو المستحضر عن ملاحظة الموت فهو معدود بحاله في أبناء الآخرة وبالموت يسقط التكليف فما هو على حالة يبيت فيها الصوم لشهود حالة الصفة التي تقطع الاعمال فبقي سكران من أثر هذه المشاهدة فمن بقيت عليه الى دخول رمضان منع من صوم النصف ومن لم تبق له منع من صوم السادس عشر خاصة من أجل انه لم يبيت ليلا ولا ليلة السادس عشر ليلة نسخ الآجال وهي ليلة النصف وانما خص بعض العلماء من أهل الظاهر السادس عشر أنه محل لتحريم الصوم فيه ما ذكره وهو أنه رحمه الله أورد حديثا صحيحا حدثناه جماعة أبو بكر محمد بن خلف بن صاف اللخمي وأبو القاسم عبد الرحمن بن غالب المقرى وأبو الوليد جابر ابن أبي أيوب الحضرمي وأبو العباس ابن مقدام كل هؤلاء قالوا حدثنا أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني المقرئ قال حدثنا أبو محمد عليّ بن أحمد قال حدثنا عبد الله بن الربيع قال حدثنا عمر بن عبد الملك قال حدثنا محمد بن بكر قال حدثنا أبو داود حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراورديّ قال قدم عباد بن كثير المدينة فمال الى مسجد العلاء بن عبد الرحمن فأخذ بيده فأقامه فقال اللهم ان هذا يحدث عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا انتصف شعبان فلا تصوموا فقال العلاء اللهم ان أبي حدثني عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال أبو محمد ابن حزم هكذا رواه سفيان عن العلاء والعلاء ثقة روى عنه شعبة وسفيان الثوري ومالك وابن عيينة ومسعر بن كدام وأبو العميس وكلهم يحتج بحديثه فلا يضره غمز ابن معين له ولا يجوز أن يظن بأبي هريرة مخالفة ماروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم والظن أكذب الحديث فمن ادعى ههنا اجماعا فقد كذب قال أبو محمد وقد كره قوم الصوم بعد النصف من شعبان جملة الا أن الصحيح المتيقن مقتضى لفظ هذا الخبر النهي عن الصيام بعد النصف من شعبان ولا يكون الصيام في أقل من يوم ولا يجوز أن يحمل على النهي صوم باقي الشهر اذ ليس ذلك بينا ولا يخلو شعبان أن يكون ثلاثين أو تسعا وعشرين فاذا كان ثلاثين فانتصافه بتمامه خمسة عشر يوما وان كان تسعا وعشرين فانتصافه في نصف اليوم الخامس عشر ولم ينه الا عن الصيام بعد النصف فحصل من ذلك النهي عن صيام السادس عشر بلا شك انتهى كلام أبي محمد في كتاب المحلي ومنه نقلته وهو روايتي عن هؤلاء الجماعة الذين ذكرناهم في أول مساق حديث العلاء وغيرهم عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه وهو الذي ذهب الى أن صوم السادس عشر لا يجوز وعليه ماذكرناه عنه

﴿وصل في فصل صيام أيام التشريق﴾

اختلف العلماء رضي الله عنهم في صيام أيام التشريق فمن قائل بجواز صومها ومن قائل بجواز صوم المتمتع فيها ومن قائل بالكراهة ومن قائل بمنع الصوم مطلقا فيها أيام التشريق هي الثلاثة الايام التي بعد يوم النحر وهي أيام أكل وشرب وذكر لله تعالى ذكر مسلم في كتابه عن نبيشة الهذلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك وهذه صفة أهل الجنة فحيث وجدت هذه الصفة زال معها كل عمل في حال حكمها الا العبادة فانها حقيقة لا تزول عن الانسان دنيا

ولا آخرة والصوم ترك وعبادة فمن اعتبر العبادة فيه أجاز الصوم فيه ومن اعتبر ما رجح الشرع من انها أيام أكل وشرب وذكر لله تعالى ولم يقل ليالى أكل وشرب فهو خبر الحق لانه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فهو اعلام الحق على جهة الخبر والخبر لا يدخله النسخ فأوجب الفطر فيها عبادة وأبيحة العمل فمن صام فيها فقد رجح نظره على خبر الله تعالى بما ينبغى أن يعمل فيها ومن نازع الله فى شئ قال انه له فقد عرض بنفسه للهلاك فان الصوم له والفطر لك وما رخص فى صومها المجتهد الالمن لم يجد الهدى كذا قال البخارى عن عائشة وابن عمر ثم جعل لك فيها ذكر الله وهو قوله تعالى فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فأمركم فيها بذكر الله فان العرب كانت فى هذه الايام فى الموسم تذكر أنسابها وأحسابها بالاجتماع قبائل العرب فى هذه الايام تريد بذلك الفخر والسمعة فهذا معنى قوله كذكركم آباءكم أى اشتغلوا بالثناء على الله بما هو عليه على طريق الفخر اذ كنتم عبيده وفخر العبد بسيده فانه مضاف اليه وأكبر من ذلك من كونه منه كما قال صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته والعبد لا فخر له بأبيه بل فخره بسيده وان افتخر العبد بابيه فانما يفتخر به من حيث ان أباه كان مقربا عند سيده لانه عبد مثله ممتثلا لامره واقفا عند حدوده ورسومه فانه أيضا عبد الله فلهذا قال كذكركم آباءكم فنهاهم عن ذكر آبائهم ولكن رجح ذكرهم الله على ذكرهم آباءهم بقوله أو أشد ذكرا وهو الموصى عباده بقوله أن اشكر لى ولوالديك أى كونوا أتم من ايثار ذكر الله والفخر به من كونه سيدكم وأنتم عبيده على ما كان عليه آباؤكم وذكر الله أكبر وأى عبادة كان فيها العبد وفيها ذكر الله فان ذكر الله أكبر ما فيها من أفعال تلك العبادة وأقوالها قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر يعنى الذى فيها أكبر من جميع أفعالها فانك اذا ذكرت الله فيها كان جليسك فى تلك العبادة فانه أخبر أنه جليس من ذكره واذا كان جليسك فلا يخلو اما أن تكون ذا بصر الحى فتشهده أو تكون غير ذى بصر الحى فتشهده من طريق الايمان انه يراك فتكون فى هذه الحال مثل الاعمى يعلم انه جليس زيد وان كان لا يراه فهو كأنه يراه فالرائى له يشهده محرّكا له فى جميع أفعاله والذى لا يراه يحس بأن ثم محرّكا له فى أفعاله بحس الايمان لا بحس الشهود البصرى وهو قوله كأنك تراه فانه بالذكر يعلم انه جليسه ألم يعلم بأن الله يرى وجليس الحق لا يمكن أن يكون الا فى خلوة معه ضرورة لا يتمكن أن يثبت مع هذا العبد اذا جالسه الحق جليس آخر جملة واحدة فى خاطره لانها مجالسة غيب قيل لبعضهم اذكرنى فى خلوتك بالله قال له اذا ذكرتك فلست فى خلوة مع الله فكما انه لا يكلم الله خلقه الا من وراء حجاب والحجاب عين الكلام كذلك لا تكلمه أنت ولا تذكر عنده نفسك ولا غيرك الا من وراء حجاب لا بدّ من ذلك فان المشاهدة للبهت والخرس فلا بدّ للذاكر وان كان الحق جليسه أن يكون أعمى ولا بدّ وعماه ذكره فالحق جليس غيب عند كل ذاكر فمن غلب عليه مشاهدة الخيال فى حق ربه من قوله كأنك تراه وهو استحضار فى خيال فمثل ذلك يجمع بين المشاهدة والكلام فان الجليس فى تلك الحال مثال لا من ليس كمثله شئ وهذا كان حال الشهاب ابن أخى النجيب رحمه الله على ما نقل الىّ الثقة عندى من قوله ان الانسان يجمع بين المشاهدة والكلام أين هذا الذوق من ذوق المحقق أبى العباس السيارى من الرجال المذكورين فى رسالة القشيرى حين قال ما التذ عاقل بمشاهدة قط لان مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة أين هذا الذوق من ذوق الشهاب فافهم فانه موضع غلط لاكابر المحققين من أهل الله فكيف بمن هو دونهم وقد أخبرنا عمن رأيناه من أهل الله المنتمين الى الله أنه يقول بذلك أعنى مثل قول الشهاب فان كان صاحب علم تام فيقوله على حسب ما رسمناه وان كان دون ذلك فانما يقوله كما يقوله من لا علم له بالحقائق ولو قاطعا بحضورى كنت أفاوضه فيها حتى أعرف بأى لسان يقول ذلك فكنت أنسبه الى ما قال على التعيين فاعلم انه ان كان قال ذلك على مجرى التحقيق علمنا انه فوق ما يقول ومنهم من هو تحت ما يقول والذين هم تحت ما يقولون طائفتان طائفة فى غاية العلم بالله بما فى وسع البشر أن يعلموه من الله والطائفة الاخرى فى غاية البعد والحجاب عن الله وهم الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم الذين لا يرون شيأ فوق علم الرسوم فهم يشبهون الطبقة العالية فى كونهم تحت ما يقولون

كأنهم شاركوهم فى اسم العلم وانفصلوا عنهم بمن أعنى بالمعلوم أى بمن تعلق علمهم به وهذا كله مدرك أهل أيام التشريق فان أكلوا فيها فمن حيث انها أيام أكل وشرب وذكر وان صاموا فيها فمن حيث انها أيام ذكر الله فشغلهم الذكر عن الاكل والشرب فامتناعهم عن الاكل امتناع حال لا امتناع عبادة

﴿وصل فى فصل صيام يوم الفطر والاضحى﴾

هذان اليومان محرم صومهما بحديث أبى هريرة وحديث أبى سعيد أما حديث أبى سعيد الثابت فانه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يصح صيام يومين يوم الفطر من رمضان ويوم النحر وبه يحتج من يرى صيام أيام التشريق لان دليل الخطاب يقتضى ان ما عدا هذين اليومين يصح الصيام فيها والا كان تخصيصهما عبثا وأما حديث أبى هريرة الثابت أيضا فى مسلم فهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام يومين يوم الاضحى ويوم الفطر ويوم الفطر هو يوم يفطر الناس والاضحى يوم يضحون هكذا فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره الترمذى عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فيه حديث حسن صحيح وسبب منع الصوم له فى هذين اليومين لان بالفطر والاضحى صح له التمييز بينه وبين ربه فعلم ماله وما لربه فحرم عليه التلبس بالصوم فى هذين اليومين اللذين هما دليلان على العلم بالفارق والتمييز فلم يتمكن مع ذلك التلبس بالصوم فان الصوم لله اذ كان صفة صمدانية منزهة من كانت صفته عن الطعام والشراب فلو تلبس بالصوم مع مشاهدة وجه هذا الدليل لم يكن صادقا فى اخباره عن نفسه انه فى هذا المقام فكان فطره فى هذين اليومين عبادة وتكليفا مشروعا ليجمع بين الحالتين فأعطاه الكشف العبادة من ذلك لما ذكرناه وأعطاه التكليف الشرعى الاجر فى ذلك اذ عمل بحكمه لما نهاه صلى الله عليه وسلم عن صيامهما ولهذا قلنا فى رؤية هلال الفطر انه مستقبل عبادة كما قاله بعض العلماء فى هلال الصوم وغاب عن تحريم الصوم فى هلال الفطر فأوجب فى رؤيته شاهدين

﴿وصل فى فصل من دعى الى طعام وهو صائم﴾

فمن قائل يجيب الداعى ولا بد بالاتفاق واختلفوا هل يفطر أو يبقى على صومه فمن قائل انه يعرّف صاحب الدعوة انه صائم ويدعو له وبه قال أبو هريرة ومن قائل انه لا يأكل ويصلى الصلاة المشروعة غير المكتوبة ويدعو للداعى وبه يقول أنس ومن قائل هو مخير بين الفطر وتمام الصوم ولكن ان أفطر قضاه وبه يقول طلحة بن يحيى وغيره ومن قائل ان شاء أفطر ولا قضاء عليه وبه يقول شريك ومجاهد ومن قائل يفطر ان شاء ما لم ينتصف النهار وبه يقول جعفر ابن الزبير ومن قائل بالتخيير فى القضاء اذا أفطر وبه تقول أم هانئ وسماك بن حرب اعلم وفقك الله توفيق العارفين ان الذى يشرع فى الصوم ابتداء من نفسه من غير أن يعين الحق عليه ذلك اليوم الذى يصبح فيه صائما فانه عقد عقده مع الله على طريق القربة اليه تعالى من هذه العبادة الخاصة التى تلبس بها وشرع فيها والله يقول له ولا تبطلوا أعمالكم فان كان فى مقام السلوك فلا يعوّد نفسه نقض العهد مع الله تعالى فان الله يقول وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم ولا سيما فيما أوجبته على نفسك وعقدت عليه مع ربك وهو قوله الا أن تطوّع وان كان من أهل العلم بالله الاكابر الذين حكموا أنفسهم وصحت لهم الخلافة على نفوسهم فهم لا يرون متكلما ولا آمرا ولا داعيا فى الوجود الا الله على ألسنة العباد كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فهو فى جميع نطق العالم كله حالا ومقالا بهذه الصفة فان صحة مقام الشهود تحكم عليهم بذلك فانهم لا ينكرون ما يعرفون وكما يقول المحجوب فلان تكلم يقول صاحب هذا المقام الحق تكلم على لسان هذا العبد بكذا وكذا أى شئ كان ثم ان المتكلم لا يخلو اما أن يكون فى هذا المقام أيضا فيرى انه ينطق بالحق لا بنفسه أو لا يكون فى هذا المقام فللمدعوّ أن ينظر فى حال الداعى فان دعاه ربه أجاب دعوته وقال انى صائم ولم يأكل ودعا لاهل البيت وصلى عندهم وان شاء أكل ان عرف ان أكله مما يسرّ به الداعى فهو مخير لكماله وتحققه بالصفة فان الكامل له التخيير فى المشيئة أبدا فان شاء وان شاء لم عزم فان عزيمته مثل قوله ما يبدّل القول لدىّ ومثل قوله ولا يبدّله من تلقاء نفسى وأمثال ذلك وان دعاه هذا الداعى بنفسه فانه لا يدعو الا الله

فانه مايدعو الا من يصح منه الاكل والشرب ولولا ماهذا شهوده مادعاه فليس لهذا السامع أن يأكل وليتم صومه ولا بدّ
فان حق الله أحق بالقضاء وقد تعين عليه حق الله بما أدخل نفسه من هذا التلبس بالصوم فان قالت له نفسه الاكلة
مادعاك انما كانت الدعوة لي لا لك فاجابتي لدعوته هو عين أكلي فانه يقول لها انما كان لك ذلك لو لم تدخل نفسك
ابتداء مع الحق في هذه العبادة من غير ان يلزمك بها فلما تلبست بها تعين عليك اتمامها فان ذلك من حقك الذي
أوجبته على نفسك وحقك عليك أولى من حق غيرك عليك وقد عرّفك الحق بذلك على لسان نبيك فقال ان أفضل
الصدقات ماتصدقت به على نفسك وقال في القاتل نفسه حرّمت عليه الجنة وقال في القاتل غيره اذا مات ولم يقتص منه
ان شاء غفر له وان شاء عاقبه فان أفطرت فرّطت في حق نفسك وأدّيت حق غيرك وفي حق نفسك حق الله فتمنعها
من الفطر وتشغلها بالصلاة عوضا من ذلك يريد انه يكون مناجيا لله تعالى الذي هو أشرف داع وأكمله وقد دعاه الى
الصلاة في هذه الحال فانه قال له على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وان كان صائما فليصل فأمره بالصلاة في هذه الحال

﴿وصل في فصل صيام الدهر﴾

لايصح الا للدهر لا لغير الدهر فان صيام الدهر في حق الانسان انما هو ان يصوم السنة بكمالها ولا يصح له ذلك من
أجل يوم الفطر والاضحى فان الفطر فيهما واجب بالاتفاق فلهذا ما يصح فان الدهر اسم الله والصوم له فما كان لله
فما هو لك وانما يكون لك مالم يحجره عليك فاذا حجره وهو بالاصالة ليس لك فقد أخبرك انه لا يحصل فان فعلته
عملت في غير معمل وطمعت في غير مطمع

﴿وصل في فصل صيام داود ومريم وعيسى عليهم السلام﴾

أفضل الصيام وأعدله صوم يوم في حقك وصوم يوم في حق ربك وبينهما فطر يوم فهو أعظم مجاهدة على النفس
وأعدل في الحكم ويحصل له في مثل هذا الصوم حال الصلاة كحالة الضوء من نور الشمس فان الصلاة نور والصبر ضياء
وهو الصوم والصلاة عبادة مقسومة بين رب وعبد وكذلك صوم داود عليه السلام صوم يوم وفطر يوم فتجمع مابين
ماهو لك وماهو لربك ولما رأى بعضهم ان حق الله أحق لم ير التساوي بين ماهو لله وماهو للعبد فصام يومين وأفطر يوما
وهذا كان صوم مريم عليها السلام فانها رأت انّ للرجال عليها درجة فقالت عسى اجعل هذا اليوم الثاني في الصوم في
مقابلة تلك الدرجة وكذلك كان فان النبيّ صلى الله عليه وسلم شهد لها بالكمال كما شهد به للرجال ولما رأت ان شهادة
المرأتين تعدل شهادة الرجل الواحد فقالت صوم اليومين مني بمنزلة اليوم الواحد من الرجل فنالت مقام الرجال بذلك
فساوت داود في الفضيلة في الصوم فهكذا من غلبت عليه نفسه فقد غلبت عليه ألوهيته فينبغي ان يعاملها بمثل ماعاملت
به مريم نفسها في هذه الصورة حتى تلحق بعقلها وهذه اشارة حسنة لمن فهمها فانه اذا كان الكمال لها لحوقها بالرجال
فالاكمل لها لحوقها بربها كعيسى بن مريم ولدها فانه كان يصوم الدهر ولا يفطر ويقوم الليل فلا ينام وكان ظاهرا
في العالم باسم الدهر في نهاره وباسم القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم في ليله فادّعى فيه الالوهية فقيل انّ الله هو المسيح
ابن مريم وما قيل ذلك في نبيّ قبله فانه غاية ماقيل في العزير انه ابن الله ماقيل هو الله فانظر ما أثرت هذه الصفة من خلف
حجاب الغيب في قلوب المحجوبين من أهل الكشف حتى قالوا انّ الله هو المسيح بن مريم فنسبهم الى الكفر في ذلك
اقامة عذر لهم فانهم ما أشركوا بل قالوا هو الله والمشرك من يجعل مع الله الها آخر فهذا كافر لا مشرك فقال تعالى لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم فوصفهم بالستر واتخذوا ناسوت عيسى مجلى ونبه عيسى على هذا المقام
فيما أخبر الله تعالى تبيينا لهم فيما قالوا فقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم فقالوا كذلك نفعل فعبدوا الله
فيه ثم قال لهم انه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة أي حرّم الله عليه كنفه الذي يستره والله قد وصفهم بالستر
حيث وصفهم بالكفر فهي آية يعطي ظاهرها نفس مايعطي ماهو عليه الامر في ذلك والتأويل فيها يلحق بالذم فان
تفطنت لما ذكرناه وقعت في بحر عظيم لا ينجو من غرق فيه أبدا فانه بحر الابد فما أحكم كلام الله لمن نظر فيه واستبصر
وكان من الله فيه على بصيرة

﴿وصل

﴿وصل في فصل صوم المرأة التطوع وزوجها حاضر﴾

ذكر مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصوم المرأة وبعلها شاهد الا باذنه الحديث الاتفاق على وجوب صوم رمضان ولهذا زاد أبو داود في هذا الحديث غير رمضان فاعلم ان المرأة هي النفس المؤمنة وبعلها المتحكم فيها انما هو ايمانها بالشرع لا الشرع ثم الشارع يشرع لايمانها به ماشاء ان يشرع فلا تدخل في فعل ولا تشرع في عمل الا باذنه أي بحكمه وقليل من عباد الله من يفعل هذا فتلحظ حكم الشرع في جميع أفعاله عند الشروع في الفعل فلو أنهم فعلوا ذلك لكان خيرا لهم ولهذا يفوتهم خير كثير وعلم كبير

﴿وصل في فصل صوم المسافر﴾

ثبت في الصحيحين مسلم والبخاري عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من البر أن تصوموا في السفر لفظة من في هذا الحديث من رواية البخاري فان حديث مسلم ليس البر بغير من سمي السفر سفرا لانه يسفر عن أخلاق الرجال لما فيه من المشقة والجهد لاهل الثروة واليسار فكيف حال الضعفاء فمن أسفر له عمله عن عامله صار عن صومه بمعزل وتركه للعامل فلا يدعيه مع انه صائم وهذا هو الصوم الذي لا يشوبه رياء عنده فانه ليس من البر أو ليس البر أن يدعي الانسان فيما يعلم انه ليس له انه له ولو كان بربه متحققا وهذه اشارة فقف عندها فقد طال الكلام في هذا الباب

﴿وصل في فصل في عدد أيام الوجوب في الصوم﴾

عدد أيام الوجوب في الصوم مائتا يوم وستة وعشرون يوما والنذر لا ينضبط فنحصره وغايته سنة ينقص منها ستة أيام أو ثلاثة أيام من أجل من يحرم صوم أيام التشريق أو يومين وهو موضع الاتفاق يوم الاضحى ويوم الفطر وأقل النذر في الصوم يوم واحد فان نظرت الى أقله قلت سبعة وعشرون يوما ومائتان وما عدا هذا العدد فليس بواجب منها لمن جامع في رمضان والظهار وقتل الخطأ ستون ستون ستون ومنها رمضان ثلاثون ومنها للفداء في الحج ثلاثة واليمين ثلاثة وللتمتع عشرة وللنذر واحد على الاقل ومنها ما هو واجب مخير وموسع ومعين بالزمان مضيق فاعلم انه لو لم يكن بين الصوم وبين هذه الافعال التي أوجبته أو الافعال التي يكون عوضا عنها مناسبة ما صح ان يقوم مقامها وذلك من كل صوم يكون كفارة وهو قولنا الواجب المخير فنه ما يحل به ما كان حرم عليه ومنه ما يسقط به حق الله عليه ومنه ما يسقط به حق الله وحق الغير عليه وقيل لي لما عرفت بهذه الايام ووجوبها قد وكلناك الى نفسك في استخراج هذه المناسبات وما أنت وحدك بل كل من عرفها حتى علمها تحجر عليه ان يعلم بها اذا علمها بأي طريق فهذا منعني من ايضاح هذه المناسبات فالوقوف عند الاوامر الالهية والاشارات الربانية على أهل هذه الطريق واجب

﴿وصل في فصل السواك للصائم﴾

ثبت في الحسان عن عامر بن ربيعة انه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا أحصي نسوك وهو صائم فمن قال به مطلقا في سائر اليوم وبه أقول ومن قال بكراهيته لمن بعد الظهر فمن راعى حكم الخلوف كرهه وهو ناقص النظر في ذلك فانه ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب فهو طاهر مطهر يرضي الرب وينظف الاسنان من القلح والصفرة التي تطلع عليها فان البزار روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه مالكم تدخلون علي قلحا استاكوا فقد كرما هو حظ البصر وما تعرض للشم والخلوف لا يزيله السواك فانه تغير في المعدة يظهره التنفس فصاحب هذا النظر والذي يقول استنوق الجمل سواء واذا كان الخلوف من الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك فيوم القيامة تتغير رائحته برائحة المسك فما هو هناك خلوف وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في حق الصائم نهي عن التسوك في حال صومه أصلا ولا كراهة بل هو أمر مندوب اليه مرغب فيه مطلقا من غير تقييد بزمان ولا حال وهو أقرب الى الوجوب منه الى الندب مما أكد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا الخبر يعم القلب الصائم لما ظهرت من فيه رائحة يتأذى منها جليسه اذا كان غير مؤمن وأما المتحلي بالايمان حاشاه

من التأذي فانه من الايمان ان يعرف منزل الخلوف للصائم عند الله فهو يستحسن للغرض النفسي ما يستقبحه السليم النظر فكيف حال المؤمن اذا أحس بما يرضي الرب يلهج به فرحا وعندنا بالذوق علامة ايمانه ان يدرك ذلك الخلوف مثل رائحة المسك هنا فاذا ورد مثل هذا الخبر في تشريف هذه الرائحة على أمثالها من الروائح باعتناء الله بها انجبر قلب الصائم ورغب في الزيادة من الصوم وعلم ان الملائكة ورجال الله لا يتأذون في مجالسته من خلوف فمه فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنوا آدم وورد ذلك في روائح الثوم وأمثاله لا في خلوف فم الصائم فان تسوك الصائم كان أعلى منزلة ممن لم يتسوك في أي وقت كان فانه في زيادة عمل يرضي الله وهو التسوك واعلم ان الخلوف ليس للانسان وانما هو أمر تقتضيه الطبيعة للتعفين الذي يكون فيما يبقى في المعدة من فضول الطعام ولم يحجبه بطعام جديد طيب الرائحة فيخرج النفس من القلب فيمر على المعدة فيخرج بما يمر عليه من طيب وخبيث حسا كما يجده الملك معنى اذا كذب العبد الكذبة تباعد منه الملك ثلاثين ميلا من نتن ما جاء به يجد ذلك النتن من الكاذب بالادراك الشمي أهل الروائح فان كان حاكم وهو من أهل هذا المقام وله هذه الحال وشهد عنده بالزور في حكومة تعين عليه أن لا يمضي الحكم للمشهود له وان حكم له فانه آثم عند الله وهذه مسئلة عظيمة الفائدة لاهل الاذواق فان الحاكم وان لم يحكم بعلمه فلا يجوز له ان يخالف علمه أصلا وذلك في الاموال وأما في الابشار فما يجب عليه امضاء الحكم على المحكوم عليه لامر آخر لا احتاج الى بيانه ولما كان الصوم سبب الخلوف والصوم لله وجب على المؤمن ان يحتمل ما يجده من خلوف فم الصائم وراعى الله تعالى الواجد لذلك بأن أمر الصائم بتعجيل الفطر وتأخير السحور لازالة الرائحة من أجل جلسائه وجعل له فرحة بالطبع بفطره (اعتبار آخر في المقابلة) أمر بتعجيل الفطر وتأخير السحور لتكون المناجاة في هاتين الصلاتين بريح طيبة اذ كان زمن الصوم قد انقضى بخلوفه بعد انقضاء زمن الصوم ما هو خلوف الصائم فان خلوف الصائم انما هو في حال صومه ثم ان الله يقول في هذا الخبر الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طيب خلوف فم الصائم عند الله انما ذلك في يوم القيامة اذا اتفق للصائم أن لا يزيله فان أزاله بسواك أو بما لا يفطر الصائم كان أطهر وأطيب وانتقل من طيب الى طيب وأرضى الله فان الخلوف لا أثر له في الصوم وقد ورد أن الله أحق من تجمل له ومن التجمل استعمال ما يطيب الروائح ويزيل ما فيها من الخبث فان الله جميل يحب الجمال وكل شئ جماله بما يناسبه وما يقتضيه مما يتنعم به المدرك من طريق ذلك الادراك عينه من سمع وبصر وشم وذوق ولمس بمسموع ومبصر ومشموم ومطعوم وملموس ثم انه قد ورد صلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك فمن باب الاشارة صلاتك بربك أفضل من صلاتك بنفسك فأشار الى السوى والسبعون اشارة في اعتبار الغالب في عمر الانسان فان المسبعات كثيرا ما يعتبرها الشرع في البسائط والمركبات وأما طريقة تفسير هذا الحديث فكونه جمع بين طهارتين الوضوء والسواك والمقصود بالوضوء هنا المضمضة وهي من فرائض الوضوء عندنا بالسنة والفم هو محل المناجاة فان الصلاة محادثة مع الله نهارا ومسامرة ليلا واختصاص سر أي مسارة وتبليغ جهر القائم والقاعد والراقد على جنب واذا كنت من عالم الاشارة وصليت بسواك فلا تصل به الا من اسمه السبوح القدوس فان القدوس يعطي التسوك وانما فرقنا في التعبير بين الاشارة والتحقيق لئلا يتخيل من لا معرفة له بما أخذ أهل الله انهم يرمون بالظواهر فينسبونهم الى الباطنية وحاشاهم من ذلك بل هم القائلون بالطرفين كان شيخنا أبو مدين يذم الطرفين على الانفراد ويقول ان الجامع بين الطرفين هو الكامل في السنة والمعرفة والاشتراك وقع في تلفظه بسواك والكاف في السواك أصلية من نفس الكلمة وهي في الاستثناء مضافة ما هي أصلية ومن جعلها من باب التحقيق نظرا الى كون اضافة المخاطب أمرا واحدا جعلها أصلية في الاضافة كالكلمة الواحدة واعتبر التركيب فيها اعتبار تركيب الحروف في الكلمة فلا يصح وجود اضافة مثل هذا الخطاب الا بكاف الاضافة كما لا يصح اسم السواك بغير كاف فانظر ما أدق نظر أهل الله هذا لو كان ذلك عن فكر لقد كانوا يتفاضلون به غيرهم فكيف بمن لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ان الله هو الرزاق والعلم رزق الارواح ذو القوة المتين

﴿وصل

﴿وصل في فصل من فطر صائما﴾

لما ورد الخبر الذي خرّجه الترمذيّ عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء وقال فيه حديث صحيح فالصائم له أجر في فطره كما كان له في صومه فلمن فطره أجر فطره لا أجر صومه فافهم وعلمنا من هذا الخبر أن الفطر من تمام الصوم وانه من أعان شخصا على عمل كان مشاركا له فيما يؤدّي اليه ذلك العمل من الخير لا مشاركة توجب نقصا بل هو على التمام لكل واحد من الشريكين كما جاء في الحديث من سنّ سنة حسنة الحديث فجعل الفطر من تمام الصوم وأنه جزء منه ومن تلبس بجزء من الشيء المتناسب الاجزاء حصل له خير ذلك الشيء وان لم يحصل ولا اتصف بذلك الامر كله كما اتصف به صاحبه كمن اتصف بجزء من أجزاء النبوّة فله أجر من تبتت له النبوّة وفضلها من غير ان يتلبس بها كلها فليس بنبيّ ولهذا ورد أنه يأتي يوم القيامة ناس ليسوا بأنبياء يغبطهم الانبياء اذ كانت الانبياء نالت هذه الفضيلة بما في النبوّة من الاثقال والمشاق وهؤلاء بجزء منها فقد اتصفوا أو أكثر من جزء وتلبسوا به وربما كان هذا الجزء منها وبما لا مشقة فيه ونالوا فضل من تلبس بها كلها كالفقير مع صاحب المال فيما يتمناه من فعل الخير اذا رأى صاحب المال أو العلم يفعل في ذلك ما لا يتمكن للفقير فعله فهما في الاجر سواء وما اشتركا الا في النية وزاد عليه صاحب النية بسقوط الحساب والمسألة فيم أنفق وبم اكتسب فهؤلاء هم الذين يغبطهم النبيون في ذلك المقام ولكن في القيامة في الموقف لا في الجنة وهو قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر فان الرسل تخاف على أممها لا على أنفسها والمؤمنون خائفون على أنفسهم لما ارتكبوه من المخالفات وهؤلاء ما لهم اتباع يخافون عليهم ولا ارتكبوا المخالفة توجب لهم الخوف فلا يحزنهم الفزع الاكبر وكذلك الانبياء يعطى لكل نبيّ أجر الامة التي بعث اليهم سواء آمنوا به أو كفروا فان نية كل نبيّ يودّ لو أنهم آمنوا فتساوى الكل في أجر التمني ويتميز كل واحد عن صاحبه في الموقف بالاتباع فالنبيّ يأتي ومعه السواد الاعظم وأقل وأقل حتى يأتي نبيّ ومعه الرجلان والرجل ويأتي النبيّ وليس معه أحد والكل في أجر التبليغ سواء وفي الامنية فمن فطر صائما فقد اتصف بصفة الهية وهي اسمه الفاطر فان الله فطر الصائم مع غروب الشمس سواء أكل أولم يأكل أو شرب أولم يشرب فهو مفطر شرعا أخرجه غروب الشمس من التلبس بالصوم وهذا فطره بما أطعمه فلما حصل في هذه الدرجة كان متخلقا بما هو لله كما كان الصائم متلبسا في صومه بما هو لله من التنزه عن الطعام والشراب والصاحبة وكل وصف مفسد للصوم

﴿وصل في فصل صوم الضيف﴾

لما خرّج الترمذيّ عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نزل على قوم فلا يصومن تطوّعا الا باذنهم علمنا ان الصوفية أضياف الله فانهم سافروا من حظوظ أنفسهم وجميع الاكوان ايثارا للجناب الالهيّ فنزلوا به فلا يعملون عملا الا باذن من نزلوا عليه وهو الله فلا يتصرّفون ولا يسكنون ولا يتحرّكون الا عن أمر الهيّ ومن ليست له هذه الصفة فهو في الطريق يمشي يقطع مناهل نفسه حتى يصل الى ربه فحينئذ يصح ان يكون ضيفا واذا أقام عنده ولا يرجع كان أهلا لان أهل القرآن وهو الجمع به تعالى هم أهل الله وخاصته ﴿حكاية﴾ كان شيخنا أبو مدين بالمغرب قد ترك الحرفة وجلس مع الله على ما يفتح الله له وكان على طريقة عجيبة مع الله في ذلك الجلوس فانه ما كان يردّ شيأ يؤتى اليه به مثل الامام عبد القادر الجيليّ سواء غير أن عبد القادر كان أنهض في الظاهر لما يعطيه الشرف فقيل له يا أبا مدين لم لا تحترف أولم لا تقول بالحرفة فقال أقول بها فقيل له فلم لا تحترف فقال الضيف عندكم اذا نزل بقوم وعزم على الاقامة كم توقيت زمان وجوب ضيافته عليهم قالوا ثلاثة أيام قال وبعد الثلاثة الايام قالوا يحترف ولا يقعد عندهم حتى يحرجهم قال الشيخ الله أكبر نحن فونا عن أضياف ربنا تبارك وتعالى نزلنا عليه في حضرته على وجه الاقامة عنده الى الابد فتعينت الضيافة فانه تعالى ما دل على كريم خلق لعبده الا كان هو أولى بالاتصاف به قالوا نعم قال وأيام ربنا كما قال كل يوم كألف سنة مما تعدّون فضيافته بحسب أيامه فاذا أقمنا عنده ثلاثة آلاف سنة وانقضت ولا نحترف

يتوجه اعتراضكم علينا ونحن نموت وتنقضي الدنيا ويبقى لنا فضلة عنده تعالى من ضيافتنا فاستحسن ذلك منه المعترض
فانظر في هذا النفس ان كنت منهم

﴿وصل في فصل استيعاب الايام السبعة بالصيام﴾

لما ورد في الخبر الذي خرجه الترمذي عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من الشهر السبت
والاحد والاثنين ومن الشهر الآخر الثلاثاء والاربعاء والخميس علمنا انه صلى الله عليه وسلم أراد أن يتلبس
بعبادة الصوم في كل يوم من أيام الجمعة ائتلافا امتنانا منه على ذلك اليوم فان الايام تفتخر بعضها على بعض بما يوقع العبد
المعتبر فيها من الاعمال المقربة الى الله من حيث انها ظرف له فيريد العبد الصالح أن يجعل لكل يوم من أيام الجمعة
وأيام الشهر وأيام السنة جميع ما يقدر عليه من أفعال البر حتى يحمده كل يوم و يتجمل به عند الله و يشهد له فاذا لم يقدر
في اليوم الواحد أن يجمع جميع الخيرات فيفعل فيه ما يقدر عليه فاذا عاد عليه من الجمعة الاخرى عمل فيه ما فاته فيه في الجمعة
الاولى حتى يستوفي فيه جميع الخيرات التي يقدر عليها وهكذا في أيام الشهر وأيام السنة واعلم ان الشهور تتفاضل أيامها
بحسب ما ينسب اليه كما تتفاضل ساعات النهار والليل بحسب ما ينسب اليه فيأخذ الليل من النهار من ساعته و يأخذ النهار
من الليل والتوقيت من حيث حركة اليوم الذي يعم الليل والنهار كذلك أيام الشهور تتعين بقطع الدراري في منازل
الفلك الاقصى لا في الكواكب الثابتة التي تسمى في العرف منازل وللقمر أيام معلومة في قطع الفلك وللكاتب أيام أخر
والزهرة كذلك وللشمس كذلك وللاحمر كذلك وللمشترى كذلك وللمقاتل كذلك فينبغي للعبد أن يراعي هذا
كله في أعماله فانه ماله من العمر بحيث أن يفي بذلك فان أكبر هذه الشهور لا يكون أكبر من نحو ثلاثين سنة لاغير
وأما شهور الكواكب الثابتة في قطعها في فلك البروج فلا يحتاج اليه لان الأعمار تقصر عن ذلك لكن لها حكم
في أهل جهنم كما انه لحركات الدراري حكم على من هو في الدرك الاسفل من النار وهم المنافقون خاصة والباطنية مالهم
في الدرك الاسفل منزل وان منزلهم الاعلى من جهنم والكفار لهم في كل موضع من جهنم منزل وأما أهل الجنان
فالدائر عليهم فلك البروج ولا يقطع في شيء فلا تنتهي حركته بالرصد لان الرصد لا يأخذه وهو متماثل الاجزاء فلهذا
كانت السعادة لانهاية لها فظهر بها الخلود الدائم في النعيم المقيم الى ما لا يتناهى والنار ما حكمها حكم أهل النعيم فان الدائر
عليهم فلك المنازل والدراري وهذه الافلاك تقطع في فلك متناهي المساحة فلهذا يرجى لهم أن لا يتسرمد عليهم العذاب
مع كون النار دار ألم والعذاب حكم زائد على كونها دارا فانا نعلم ان خزنتها في نعيم دائم ماهم فيها معذبين مع كونهم
ماهم منها بمخرجين لانهم لها خلقوا وهي دائمة والساكن فيها دائم لكونه مخلوقا لها فتحقق ما ختمنا به هذا الصوم
من سبق الرحمة وغلبتها صفة الغضب والله أجل وأعلى أن لا يكون له في كل منزل تجل وهو تعالى الخير المحض الذي لا شر
فيه والوجود الذي لا عدم يقابله والوجود رحمة مطلقة في الكون والعذاب شيء يعرض لامور تطرأ وتعرض فهو عرض
لعارض والعوارض لا تتصف بالدوام ولو اتصفت ما كانت عوارض وما هو عارض قد لا يعرض فلهذا يضعف القول
بتسرمد العذاب فان الرحمة شملت آدم بجملته وكان حاملا لكل بنيه بالقوة فعمت الرحمة الجميع اذ لا تحجير ولا كان
يستحق أن يسمى آدم مرحوما وفيه من لا يقبل الرحمة والحق يقول فتاب عليه وهدى أي رجع عليه بالرحمة و بين له
انه رجع عليه بها فعمته ولله الحمد والله عند حسن ظن عبده به

﴿وصل في فصل قيام رمضان﴾

ليس لاسم الهي حكم في شهر رمضان الا الاسم الالهي رمضان وفاطر السموات والارض في كل عبد سواء كان ممن
يجب عليه صوم رمضان أم لا يجب عليه الا عدة من أيام أخر وذلك في كل فعل عبادة يقام فيها العبد فمن جملة أفعال البر فيه
قيام ليله لمناجاة رمضان تبارك وتعالى تارة على الكشف اذا كان مواصلا وتارة من خلف حجاب الاسم الفاطر فان
الاسماء الالهية يحجب بعضها بعضا وان كان لكل واحد من الحاجب والمحجوب سلطنة الوقت فان بعضها أولى بالحجابة
من بعض وذلك سار في جميع أحوال الخلق ذكر أبو أحمد ابن عدي الجرجاني من حديث عمرو بن أبي عمرو عن

المطلب عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل رمضان شدّ مئزره ثم لم يأو الى فراشه حتى ينسلخ رمضان وخرّج أيضا مسلم عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر تعني العشر الآخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله وجدّ وشدّ المئزر وقيام الليل عبارة عن الصلاة فيه هذا هو المعروف من قيام الليل في العرف الشرعي والناس في مناجاة الحق فيه على قسمين فمنهم من يناجيه بالاسم الممسك وهو أيضا من حجاب الاسم رمضان ومنهم من يناجيه بالاسم الفاطر وهو أيضا من حجابه والناس على اختلاف في أحوالهم

لولا مزاحمة الرحمن أعمالي ＊ مازاحمته على التكوين اخواني

يقول كن وحصول الكون ليس لنا ＊ وماله في وجود الكون من ثاني

يقول صم فاذا صمنا يقول لنا ＊ هذا الصيام لنا فأين أعياني

ان قلت لي لم أخاطبكم بما هو لي ＊ فلي شهود على التكليف آذاني

أسمعتني ثم بعد السمع تسلبني ＊ فالصوم لي ولكم في الشرع قسمان

ان كنت تسلبني عنه فشأنكمو ＊ في الصوم ماهو في التحقيق من شاني

والاسم الفاطر على هذا في ليل شهر رمضان أقوى حكما فينا من الممسك فمن كان حاله في امساكه يطعمه ربه ويسقيه في مبيته في حال كونه ليس بآكل ولاشارب في ظاهره فهو مفطر وان كان صائما وقد ذقت هذا ومن هنا علمت ان قوله صلى الله عليه وسلم لست كهيئتكم اني أبيت يطعمني ربي ويسقيني انه نفي أن تشبهه تلك الجماعة التي خاطبهم فلم يكن لهم هذه الحالة اذ لو أراد الامة كلها ماذقته وقد وجدته ذوقا والحمد لله وان لم يكن ممن يطعمه ربه ويسقيه في حال وصال صومه فهو متطفل على من هذه صفته وهو كلابس ثوبي زور ولذلك يكره له الوصال اذا لم تكن له هذه الصفة حالا يشهدها ذوقا في نفسه ويظهر أثرها عليه في يقظته والله يحب الصدق في موطنه كما يحب الكذب في موطنه وهذا ليس بموطن حب الكذب فان الله يكرهه في هذا الموطن انتهى الجزء الستون

＊(بسم الله الرحمن الرحيم)＊

فاذا ناجى الله العبد في هذا الزمان الخاص بالحال الالهي الخاص فينبغي أن يحضر معه الحضور التام الذي لا يلتفت معه الى غيره بجمعيته فيناجيه في كل حركة منه وسكون حسا من حيث انه هو الباطن ومعنى من حيث انه هو الظاهر اذ كان الحس ظاهرا والمعنى باطنا فلا يقوم المعنى الابين يدي الظاهر فانه لو قام بين يدي الباطن والمعنى باطن الحرف الذي هو المحسوس والحس كان قيام الشئ بين يدي نفسه والشئ لا يقوم بين يدي نفسه لانه قام للاستفادة والشئ لا يستفيد من نفسه نفسه ألا ترى نزول الحق للتعليم والتعريف لنا وهو العليم بكل شئ بما كان ويكون ومع هذا أنبأ عن حقيقة لا ترد تعليما لنا بما هو الامر عليه وان الحكم للاحوال فأنزل نفسه منزلة المستفيد وجعل المفيد له من خطابه فقال ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين مع انه هو العالم بما يكون منهم ولكن الحال يمنع من اقامة الحجة له سبحانه علينا وقال فلله الحجة البالغة فلم يبق بالابتلاء لاحد حجة على الله فسم بذلك الابتلاء احتمال قولهم لو حكم بعلمه فيهم أن يقولوا لو بلوتنا وجدتنا واقفين عند حدودك وهذا يسمى علم الخبرة وهو الاسم الخبير في قوله تعالى عليما خبيرا فهذه رائحة الهية في الاستفادة للشئ من غيره لامن نفسه فنحن أولى بهذه الصفة فلذلك جعلنا ظاهر العبد يناجي الاسم الباطن وباطن العبد يناجي الاسم الظاهر ويقوم بين يديه قيام مستفيد فيهبه ماشاء أن يهبه فاذا رأيت المستفيد قد استفاد في قيامه خرق العوائد المدركة بالحس المسماة كرامات الاولياء في العموم وآيات الانبياء الرسل عليهم السلام فذلك أعطية الاسم الظاهر واذا رأيته قد استفاد علوما وحكما تحار العقول فيها أوتردها أوتقبلها من حيث مايدركها بالقوة المفكرة فذلك كله أعطية الاسم الباطن فاجعل بالك لما نبهتك عليه ونصحتك لتعلم من تناجي ولا تخلط فيخلط عليك فان الله يقول وللبسنا عليهم ما يلبسون وقال ومكروا ومكر الله ثم نفى المكر عنهم فقال بل لله المكر جميعا

يعني المكر المضاف الى عباده والمكر المضاف اليه سبحانه والله سبحانه قد أمرني على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
بالنصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم خطابا عاما ثم خاطبني على الخصوص من غير واسطة غير مرة بمكة وبدمشق
فقال لى انصح عبادى فى مبشرة أريتها فتعين على الامر أكثر مما تعين على غيرى فالله يجعل ذلك لى من الله عناية
وتشريفا لا ابتلاء وتمحيصا فمن قام بين يدى الله تعالى بهذه المعرفة فهو القائم وان كان نائما فانه ما نام الا به ومن لم يقم بين
يديه بهذه المعرفة فهو نائم وان كان قائما فكن رقيبا عليه فى قلبك فانه الذى وسعه كما هو رقيب عليك فانك لا تعلم مواقع
آثاره فيك وفى غيرك الا بالمراقبة واعلم ان القائمين فى شهر رمضان فى قيامهم على خاطرين منهم القائم لرمضان ومنهم
القائم لليلة القدر التى هى خير من ألف شهر والناس فيها على خلاف والقائم فيه لرمضان لا يتغير عليه الحال بزيادة ولا
نقصان والقائم لليلة القدر يتغير عليه الحال بحسب مذهبه فيها * واختلف الناس فى ليلة القدر أعنى فى زمانها فمنهم
من قال هى فى السنة كلها تدور وبه أقول فانى رأيتها فى شعبان وفى شهر ربيع وفى شهر رمضان وأكثر ما رأيتها فى
شهر رمضان وفى العشر الآخر منه ورأيتها مرة فى العشر الوسط من رمضان فى غير ليلة وتر وفى الوتر منها فانا على يقين
من انها تدور فى السنة فى وتر وشفع من الشهر الذى ترى فيه فمن قام من أجل ليلة القدر فقد قام لنفسه وان كان قيامه
لترغيب الحق فى التماسها ومن قام لاجل الاسم الذى أقامه رمضان أو غيره فقيامه لله لا لنفسه وهو أتم والكل شرع
فمن الناس عبيد ومنهم أجراء ولاجل الاجارة نزلت الكتب الالهية بما بين الاجير والمستأجر فلو كانوا عبيدا ما كتب
الحق كتابا لهم على نفسه فان العبد لا يوقت على سيده انما هو عامل فى ملكه ومتناول ما يحتاج اليه فهؤلاء لهم أجرهم
والعبيد لهم نورهم وهو سيدهم فانه نور السموات والارض قال تعالى أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم
لهم أجرهم يعنى الاجراء وهم الذين اشترى الحق منهم أنفسهم ونورهم وهم العبيد والاماء جعلنا الله واياكم من أعلاهم
مقاما وأحبهم اليه انه الولى المحسان * واعلم ان ليلة القدر اذا صادفها الانسان هى خير له فيما ينعم الله به عليه من
ألف شهر ان لو لم تكن الا واحدة فى ألف شهر فكيف وهى فى كل اثنى عشر شهرا فى كل سنة هذا معنى غريب لم يطرق
أسماعكم الا فى هذا النص ثم يتضمن معنى آخر وهو أنها خير من ألف شهر من غير تحديد وان كان الزائد على ألف شهر
غير محدود فلا يدرى حيث ينتهى فما جعلها الله انها تقاوم ألف شهر بل جعلها خيرا من ذلك أى أفضل من ذلك من غير
توقيت فاذا نالها العبد كان كمن عاش فى عبادة ربه مخلصا أكثر من ألف شهر من غير توقيت كمن يتعدى العمر الطبيعى
يقع فى العمر المجهول وان كان لا بد له من الموت ولكن لا يدرى هل بعد تعدية العمر الطبيعى بنفس واحد وبآلاف من
السنين فهكذا ليلة القدر اذا لم تكن محصورة كما قدمناه واعلم ان الشهر هنا بالاعتبار الحقيقى هو العبد الكامل اذا
مشى القمر الذى جعله الله نورا فأعطاه اسما من أسمائه ليكون هو تعالى المراد لا جرم القمر فالقمر من حيث جرمه مظهر
من مظاهر الحق فى اسمه النور فيمشى فى منازل عبده المحصورة فى ثمانية وعشرين فاذا انتهى سمى شهرا على
الحقيقة لانه قد استوفى السير واستأنف سيرا آخر هكذا من طريق المعنى دائما أبدا فان فعل الحق فى الكائنات
لا يتناهى فله الدوام ببقاء الله تعالى كما ان العبد يمشى فى منازل الاسماء الالهية وهى تسعة وتسعون التاسع والتسعون
منها الوسيلة وليست الا لمحمد صلى الله عليه وسلم والثمانية والتسعون لنا كالثمانية والعشرين من المنازل للقمر ويسميه
بعض الناس الانسان المفرد والعشرون خمس المائة لانها فى الاصل مائة اسم لكن الواحد أخفاه للوترية فان الله وتر
يحب الوتر فالذى أخفاه وتر والذى أظهره وتر أيضا وانما قلنا منبهين على منازل القمر ثمانيا وعشرين منزلة لانها قامت
من ضرب أربعة فى سبعة ونشأة الانسان قامت من أربعة أخلاط مضروبة فى سبع صفات من حياة وعلم وارادة وقدرة
وكلام وسمع وبصر فكان من ضرب المجموع بعضه فى بعضه الانسان ولم يكن له ظهور الا بالله من اسمه النور لان
النور له اظهار الاشياء وهو الظاهر بنفسه فحكمه فى الاشياء حكم ذاتى كذلك الشهر ما ظهر الا بسير القمر من حيث
كونه نورا فى المنازل قال تعالى والقمر قدرناه منازل فاذا انتهى فيها سيره فهو الشهر المحقق وما عداه مما سمى شهرا فهو
بحسب ما يصطلح عليه فلا منافرة ولله تعالى فى كل منزلة من العبد ينزلها اسم النور حكم خاص قد ذكرناه فى هذا

الكتاب فى نعت السالك الداخل والسالك الخارج أيضا والفاصل بين السالكين ليلة الابدار وهى ليلة النصف من ثمانية وعشرين ليلة الرابع عشر من الشهر المحقق وليلة السرار منه والنور فيه كامل أبدا فان له وجهين والتجلى له لازم لا ينفك عنه فاما فى الوجه الواحد واما فى الوجهين بزيادة ونقص فى كل وجه فله الكمال من ذاته لا بد منه وله الزيادة والنقص من كونه له وجهان فكلما زاد من وجه نقص من وجه آخر وهو هو لحكمة قدرها العزيز العليم

وفى كفتى ميزاننا لك عبرة ✻ وأنت لسان فيه ان كنت تعقل

اذا رجحت احداهما طاش أختها ✻ وأنت لما فيها تميل وتسفل

وجعل سبحانه اضافة الليل الى القدر دون النهار لان الليل شبيه بالغيب والتقدير لا يكون الا غيبا لانه فى نفس الانسان والنهار يعطى الظهور فلو كان بالنهار لظهر الحكم فى غير محله ومناسبه فان الفعل فى الظاهر لا يظهر الا على صورة ما هو فى النفس تخرج من غيب الى شهادة بالنسبة الى الله ومن عدم الى وجود بالنسبة الى الخلق فهى ليلة يفرق فيها كل أمر حكيم فينزل الامر اليها عينا واحدة ثم يفرق فيها بحسب ما يعطيه من التفاصيل كما تقول فى الكلام انه واحد من كونه كلاما ثم يفرق فى المتكلم به بحسب أحوال الذى يتكلم به الى خبر واستخبار وتقرير وتهديد وأمر ونهى وغير ذلك من أقسام الكلام مع وحدانيته فهى ليلة مقادير الاشياء والمقادير ما تطلب سوانا فلهذا أمرنا بطلب ليلة القدر وهو قوله صلى الله عليه وسلم التمسوها لنستقبلها كما يستقبل القادم اذا جاء من سفره والمسافر اذا جاء من سفره فلا بد له اذا كان له موجود من هدية لاهله الذين يستقبلونه فاذا استقبلوه واجتمعوا به دفع اليهم ما كان قد استعد به لهم فتلك المقادير فيهم وبذلك فليفرحوا فمنهم من تكون هديته لقاء ربه ومنهم من تكون هديته التوفيق الالهى والاعتصام وكل على حسب ما أراد المقدر أن يهبه ويعطيه لا تحجير عليه فى ذلك وعلامتها محو الانوار بنورها وجعلها دائرة منتقلة فى الشهور وفى أيام الاسبوع حتى يأخذ كل شهر من الشهور قسطه منها وكذلك كل يوم من أيام الاسبوع كما جعل رمضان يدور فى الشهور الشمسية حتى يأخذ كل شهر من الشهور الشمسية فضيلة رمضان فيعم فضل رمضان فصول السنة كلها فلو كان صومنا المفروض بالشهور الشمسية لما عم هذا التعميم وكذلك الحج سواء وكذلك الزكاة فان حولها ليس بمعين انما ابتداؤه من وقت حصول المال عند المكلف فما من يوم فى السنة الا وهو رأس حول لصاحب مال فلا تنفك السنة الا وأيامها كلها محل للزكاة وهى الطهارة والبركة فالناس كلهم فى بركة زكاة كل يوم يعم كل من زكى فيه ومن لم يزك وانما محى نور الشمس من جرم الشمس فى صبيحة ليلتها اعلاما بأن الليل زمان اتيانها والنهار زمان ظهور أحكامها فلهذا تستقبل ليلا تعظيما لها فان فاته ادراكها ليلا فليرقب الشمس فاذا رأى العلامة دعا بما كان يدعو به فى الليلة لو عرفها فان محو نور الشمس انورها كنور الكواكب مع ظهور الشمس لا يبقى لها نور فى العين وبهذا يتقوى مذهب من يجعل الفجر حمرة الشفق لقوله تعالى هى حتى مطلع الفجر أى الى مطلع الفجر فذلك القدر هو الذى تميز به حد الليل من النهار الفجر الطالع ما هو ذلك الفجر فى ليلة القدر من نور الشمس وانما هو نور ليلة القدر ظهر فى جسم الشمس كما ان نور القمر انما هو نور الشمس ظهر فى جرم القمر فلو كان نور القمر من ذاته لكان له شعاع كما هو للشمس ولما كان مستعارا من الشمس لم يكن له شعاع كذلك الشمس لها من نور ذاتها شعاع فاذا محت ليلة القدر شعاع الشمس بقيت الشمس كالقمر لها ضوء فى الموجودات بغير شعاع مع وجود الضوء فذلك الضوء نور ليلة القدر حتى تعلو قيد رمح أو أقل من ذلك فحينئذ يرجع اليها نورها فترى الشمس تطلع فى صبيحتها صبيحة ليلة القدر كأنها طاس ليس لها شعاع من وجود الضوء مثل طلوع القمر لا شعاع له وانما ذكرت لك ذلك لتعلم بأى نور تستنير فى صبيحة ليلة القدر فتعلم ان الحكم فى الانوار كلها لمن نور السموات والارض وأنزل الانوار ما يفتقر الى مادة وهو المصباح فاذا أنزل الحق نوره فى التشبيه الى مصباح وهو نور مفتقر الى مادة تمده وهى الدهن فما هو أعلى منه من الانوار أقرب الى التشبيه وأعلى فى التنزيه وانما أعلمنا الحق بذلك وجاء بكاف الصفة فى

قوله كمشكاة الى آخر الآية اعلاما أنه نور كل نور بل هو كل نور وشرع لنا طلب هذه الصفة فكان صلى الله عليه وسلم يقول واجعلني نورا وكذلك كان صلى الله عليه وسلم

﴿وصل في فصل التماسها مخافة الفوت﴾

خرّج الترمذيّ عن أبي ذرّ قال صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم بنا حتى بقي سبع من الشهر فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل ثم لم يقم بنا السادسة وقام بنا في الخامسة حتى ذهب شطر الليل فقلنا له يا رسول الله لو نفلتنا بقية ليلتنا هذه فقال انه من قام مع الامام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة ثم لم يصل بنا حتى بقي ثلاث من الشهر وصلى بنا في الثالثة ودعا أهله ونساءه وقام بنا حتى تخوّفنا أن يفوت الفلاح قيل وما الفلاح قال السحور وقال هذا حديث حسن صحيح انظر ما أعجب قول هذا الصاحب حيث سمي السحور فلاحا والفلاح البقاء ينبه ان الانسان انما هو في الصوم بالعرض فانه لا بقاء له فان الصوم لله ألا تراه يزول حكمه عن الصائمين بزوال الدنيا فهو في الآخرة يأكل و يشرب بما أسلف في أيام الصوم وهي الايام الخالية يعني الماضية قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية أيام الصوم في الدنيا والآخرة دار بقاء وأكلها دائم وظلها والسحور أكلة غذاء فنبه ان الانسان في بقائه آكل لا صائم فهو متغذ بالذات صائم بالعرض فالغذاء باق فسماه فلاحا أي بقاء وهو من السحر والسحر له وجهان كما ذكرنا وجه الى الليل ووجه الى النهار وهو الوقت الذي بين الفجرين كذلك الانسان له البقاء الذي هو الفلاح وهو السحور في مقامه الذي هو فيه فله وجه الى الواجب الوجود لنفسه ووجه الى العدم لا ينفك عن ذلك في أيّ حالة كان من وجود أو عدم ولذلك سمي ممكنا ودخل في جملة الممكنات فهذه الصفة له باقية وان ظهر بنعت الحق في وقت فليس له فيه بقاء وانما بقاؤه فيما قلناه ولهذا قال الصاحب لما اتصف في ليلته بالقيوم قال تخوّفنا أن يفوتنا الفلاح وهو أن ينقضي زمان الليل وما عرفنا نفوسنا اذ في معرفتنا بها معرفة ربنا لكنهم ما فاتهم الفلاح بحمد الله بل أشهدهم الله نفوسهم بالغذاء ليشهدوا ان القيومية له ذاتية وقيومية العبد انما هي بامداد ما يتغذى به ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فجعل القيومية للغذاء وان كان هو القائم بها فكأنه يقول وان تلبسنا بالتماس هذه الليلة من الاسم الوتر تعالى فلم يغننا ذلك الالتماس عن حظوظ نفوسنا التي بها بقاؤنا وهو التغذي فان التماسنا لها انما هو لما ينالنا من خيرها في دار البقاء فالتمسناها بالعبادة الا لحظ نفسيّ نبقى به في الدار الآخرة والسحور رب الوقت في الحال وهو سبب في بقاء الحياة الدنيا للعمل الصالح فتخوّفنا أن يفوتنا حكمه اذ كان ذلك الحكم عين طلبنا بالالتماس وان اختلف الدار ثم جعلها صلى الله عليه وسلم في الوتر من الليالي دون الشفع لانه انفرد بها الليل دون النهار فانه وتر من اليوم واليوم شفع فان اليوم عبارة عن ليل ونهار ولكن في تلك السنة لورود النص فانها قد تكون في الاشفاع الا في تلك السنة لما ورد في الخبر من التماسها في الاوتار من العشر الآخر ولمعنى آخر أيضا وهو أن الطلب اذا كان في ليالي وتر الشهر كان الوتر حافظا لهذا العبد لما تعطيه هذه الليلة من البركات والخير وهو في وتر من الزمان المذكور له وترية الحق فيضيف ذلك الخير الى الله لا الى الليلة وان كانت سببا في حصوله ولكن عين شهود الوتر يحفظه من نسبة الخير لغير الله مع ثبوت السبب عنده فلو كانت في ليلة شفع وهي سبب لم يكن لهذا العبد من يذكره تذكير حال في وقت التماسه اياها أو في شهوده اياها اذا عثر عليها فكان محصلا للخير من يد غير أهله فيكون صاحب جهل وحجاب في أخذ ذلك الخير فما كان يقاوم ما حصل له فيها من الخير ما حصل له من الحرمان والجهل لحجابه عن معطي الخير فلهذا أيضا جعلت في أوتار الليالي فافهم وجعلت في العشر الآخر لانها نور والنور شهادة وظهور فهو بمنزلة النهار اذ سمي النهار لاتساع النور فيه والنهار متأخر عن الليل لانه مسلوخ منه والعشر الآخر متأخر عن العشر الاوسط والاول فكان ظهورها والتماسها في المناسب الأبعد وما رأيت أحدا رآها في العشر الاول ولا نقل الينا وانما تقع في العشر الوسط والآخر خرّج مسلم عن أبي سعيد قال اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاوسط من رمضان يلتمس ليلة القدر وكذلك التجلي الالهيّ ما ورد قط في خبر صحيح نبويّ ولا سقيم ان الله يتجلى في الثلث الاول من الليل وقد ورد أنه يتجلى في الثلث الاوسط والآخر من الليل وليلة القدر انما هي حكم تجل

الهي

الحق فكانت في الثلث الاوسط والآخر من الشهر ولم تكن في الثلث الاول فان الاول أنت ولا بد فالاولية لك في معرفتك ربك وأنت وهو لا تجتمعان كالدليل والمدلول لا يجتمعان فمن عرف نفسه عرف ربه فقدمك فانك الدليل فالاولية لك في المعرفة النظرية والكشفية فان معرفة الكشف لا تكون الا بعد رياضة ومجاهدة فلا بد من تقدمك نظرا او كشفا كان علمه بك اعلاها هو من علمه به فلو لم يتصف بأنه عالم بنفسه ما علمك فتفطن في علم الله بك من أين هو فانها مسئلة دقيقة جدا ذكرناها في كتابنا الموسوم بعقلة المستوفز وفي هذا الكتاب

﴿وصل في فصل في التماسها في الجماعة بالقيام في شهر رمضان﴾

خرج أبو داود عن مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ناس في رمضان يصلون في ناحية المسجد فقال من هؤلاء فقيل هؤلاء ناس ليس معهم قرآن وأبي بن كعب يصلي بهم وهم يصلون بصلاته فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصابوا ونعم ما صنعوا فالجمعية فيها أحق للمناسبة فان قدرها أعظم من ألف شهر لياليه وأيامه فلها مقام هذا الجمع وأنزل الله فيها القرآن قرآنا أي مجموعا وأنزله بنون الجمع والعظمة فجمع في انزاله فيها جميع الاسماء بقوله انا أنزلناه في ليلة القدر وفيها تنزل الملائكة ما نزل فيها واحد والروح القائم فيهم مقام أبي في الجماعة التي يصلي بهم من كل أمر وكل يقتضي جميع الامور التي يريد الحق تنفيذها في خلقه وحتى مطلع الفجر نهاية غاية فانها تتضمن حرف الى التي للغاية ولا تكون نهاية الا عن ابتداء فكان جماعة هذه الليلة ليلة جمع فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابوا ونعم ما صنعوا يغبطهم لما ذكرناه والباعث لالتماسها أمور تقتضيها وهي البواعث على التماسها وهو عظم قدرها وعظم من أنزلها وحقارة من التمسها عند نفسه بالتماسها فانه شاهد بالتماس هذا الخير العظيم القدر على نفسه بافتقار عظيم يقابله لان العبد كلما أراد أن يتحقق بعبودية حقر قدره الى أن يلحق نفسه بالعدم الذي هو أصله ولا أحقر من العدم فلا أحقر من نفس المخلوق فسمي أيضا ليلة القدر لمعرفة أهل الحضور فيها بأقدارهم أعني بحقارتها مع ان الخير الذي ينالونه شر كالمتمسين في الامكان والافتقار وأفقر الموجودات من افتقر الى مفتقر فلا أفقر من الانسان فانه لا أعرف بالله منه لجمعيته وعقله ومعرفته بنفسه

﴿وصل في فصل الحاقها من قامها برسول الله صلى الله عليه وسلم في المغفرة﴾

قال الله تعالى يخاطب محمدا صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وذكر مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر وفي مسلم فيوافقها ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقول يستر عنه ذنبه حتى لا يخجل وان كان ممن قيل له افعل ما شئت فقد غفرت لك كما ورد في الصحيح فيكون قد ستر عنه خطاب التحريم وأبيح له شرعا فما تصرف الا في مباح فان الله لا يأمر بالفحشاء فلولا عظم قدرها ما ألحقها الله بصفة العلم الذي هو أشرف الصفات ولهذا أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة منه ومعنى قولي ألحقها الله لما ورد في الصحيح ان العبد اذا أذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب يقول الله له في الثالثة افعل ما شئت فقد غفرت لك وما ثم سبب موجب لاباحة ما حرم عليه فعله الا العلم فلحق فضل ليلة القدر بمرتبة العلم فيما ذكرناه وقال صلى الله عليه وسلم من حرم خيرها فقد حرم ذكره النسائي وأي خير أعظم من رفع التحجير فذلك جنة معجلة

﴿وصل في فصل الاعتكاف﴾

الاعتكاف الاقامة بمكان مخصوص وفي الشرع على عمل مخصوص بحال مخصوص على نية القربة الى الله جل جلاله وهو مندوب اليه شرعا واجب بالنذر وفي الاعتبار الاقامة مع الله على ما ينبغي لله ايثارا لجناب الله فان أقام بالله فهو أتم من ان يقيم بنفسه فأما العمل الذي يخصه فمن قائل انه الصلاة وذكر الله وقراءة القرآن لا غير ذلك من أعمال البر والقرب ومن قائل جميع أعمال البر المختصة بالآخرة والذي أذهب اليه ان له ان يفعل جميع أفعال البر التي لا تخرجه عن الاقامة بالموضع الذي أقام فيه فان خرج فليس بمعتكف ولا يثبت فيه عندي الاشتراط وقد ثبت عن عائشة ان السنة للمعتكف ان لا يشهد جنازة ولا يعود مريضا فاعلم ان الاقامة مع الله اذا كانت بالله فله التصرف في جميع أعمال البر المختصة بمكانه

الذي اعتكف فيه والخارجة عنه التي يخرجه فعلها عن مكانه فان الله يقول وهو معكم أينما كنتم واذا كانت الاقامة بنفسك لله فقد عينت مكانا لها فالتزمها به حتى يتجلى لك في غير ما ألزمتها به فافهم

﴿وصل في فصل المكان الذي يعتكف فيه﴾

فمن قائل لا يجوز الاعتكاف الا في الثلاثة المساجد التي تشد الرحال اليها ومن قائل الاعتكاف عام في كل مسجد ومن قائل لا اعتكاف الا في مسجد تقام فيه الجمعة ومن قائل تعتكف المرأة في مسجد بيتها ومن قائل يجوز الاعتكاف حيث شاء الا أنه ان اعتكف في غير مسجد جاز له مباشرة النساء وان اعتكف في مسجد فليس له مباشرة النساء وبه أقول الا اني ازيد أنه ان نوى الاعتكاف في أيام تقام فيها الجمعة فلا يعتكف الا في مكان يمكن له مع الاقامة فيه أن يقيم الجمعة سواء كان في المسجد أو في مكان قريب من المسجد يجوز له اقامة الجمعة فيه * اعلم ان المساجد بيوت الله مضافة اليه فمن استلزم الاقامة فيها فلا ينبغي له ان يصرف وجهه لغير رب البيت فانه سوء أدب فانه لا فائدة للاختصاص باضافتها الى الله الا ان لا يخالطها شيء من حظوظ الطبع ومن أقام مع الله في غير البيت الذي أضافه الى نفسه جاز له مباشرة أهله الا في حال صومه في اعتكافه ان كان صائما ومباشرة المرأة رجوع العقل من حال العقل عن الله الى مشاهدة النفس سواء جعلها دليلا أو غير دليل فان جعلها دليلا فالدليل والمدلول لا يجتمعان فلا تصح الاقامة مع الله وملابسة النفس وأعلى الرجوع الى النفس وملابستها ان يلابسها دليل واما ان لم يلابسها دليل فلم يبق الا شهود الطبع فلا ينبغي للمعتكف ان يباشر النساء في مسجد كان أو في غير مسجد ومن كان مشهده سريان الحق في جميع الموجودات وانه الظاهر في مظاهر الاعيان وان باقتداره واستعداداتها كان الوجود في الاعيان رأى ان ذلك نكاح وأجاز مباشرة المعتكف المرأة اذا لم يكن في مسجد فان هذا المشهد لا يصح فيه ان يكون للمسجد عين موجودة فانه لا يرى في الاعيان من هذه حالته الا الله فلا مسجد أي لا موضع تواضع ولا تطأطؤ فافهم

﴿وصل في فصل قضاء الاعتكاف﴾

ذكر مسلم عن أبي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان فسافر عاما فلم يعتكف فلما كان العام المقبل اعتكف عشرين ليلة الاقامة مع الله على الدوام هو طريق أهل الله وطالب الثناء العام ولذلك صاحبها الحمد لله على كل حال وهو ذكر الضراء وهو الذكر الاعم الاتم فانه اذا حمده العبد على الضراء فكيف يكون مع السراء فان السراء من جملة أحوال العبد وقد دخل تحت عموم قوله كل حال وهو الطرفان وما بينهما وحمد السراء مقيد فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في السراء الحمد لله المنعم المفضل فيقيده وهذا هو حمد أيضا أعم من الاول وان ظهر فيه التقييد ولكن لا يفطن له كل أحد فان من نعم الله على عبده وانعامه ان وفقه ان يقول عند الضراء الحمد لله على كل حال فهذا من اسمه المنعم المفضل عليه بهذا القول فاذا اتفق ان ينقل الله من له صفة الاقامة معه على كل حال الى من يرى الله بعد كل شيء فنزيله هذه الحال عن الاقامة مع الله دائما فيكون بمنزلة المسافر الذي يناقض الاعتكاف فيجب عليه القضاء اذا رجع الى حاله الاول وصورة قضائه الاقامة مع الله الثابت بالدليل الشرعي فانها أيام أخر وهي العشر الوسط بين العشرين الآخر والاول كذلك هي النعوت التي جاءت بها الشريعة من صفات التشبيه بين الحس والعقل وهي حضرة الخيال ففي هذه الحضرة يقضي الاعتكاف وفي العشر الآخر المتصلة به يعتكف على عادته بصفات التنزيه عقلا وشرعا من ليس كمثله شيء

﴿وصل في فصل تعيين الوقت الذي يدخل فيه الذي يريد الاعتكاف الى المكان الذي يقيم فيه﴾

خرج مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل في معتكفه اعلم ان المعتكف وهو المقيم مع الله على جهة القربة دائما لا يصح له ذلك الا بوجه خاص وهو أن يشهده في كل شيء هذا هو الاعتكاف العام المطلق وثم اعتكاف آخر مقيد يعتكف فيه العبد مع اسم ما الهي يتجلى له ذلك الاسم بسلطانه فيدعوه الى الاقامة معه * واعتبار مكان الاعتكاف في المعاني هو المكانة وما ثم اسم الهي الا وهو

بين اسمين الهيين فان الامر الالهي دوري ولهذا لا يتناهى أمر الله في الاشياء فان الدائرة لا أول لها ولا آخر الا بحكم الفرض ولهذا خرج العالم مستديرا على صورة الامر الذي هو عليه في نفسه حتى في الاشكال فأول شكل قبل الجسم الشكل المستدير وهو الفلك ولما كانت الاشياء الكائنة من الله عند حركات هذه الافلاك بما قدره العزيز العليم أعطت الحكمة ان تكون على صورته في الشكل أو ما يقاربها فما من حيوان ولا شجرة ولا ورقة ولا حجر ولا جسم الا وفيه ميل الى الاستدارة ولا بد منها لكنها تدق في أشياء وتظهر بينة في أشياء واجعل بالك في كل ما خلق الله تعالى من جبل وشجر وجسم ترفيه انعطافا الى الاستدارة ولذلك كان الشكل الكري أفضل الاشكال ولما كان التجلي الاعظم العام يشبه طلوع الشمس ومع التجلي الشمسي يكون الاعتكاف العام قيل للمعتكف بترجمان اسم الهي ادخل في اعتكافك في وقت ظهور علامة التجلي الاعظم وهو طلوع الفجر وبعد صلاة الصبح ليقرب عليك الفتح ولا يفيدك هذا الاسم الالهي الذي أفتمعه أو تريد الاقامة معه عن التجلي الاعظم الذي هو بمنزلة طلوع الشمس فتجمع في اعتكافك بين التقييد والاطلاق فانه لو دخل المعتكف أول الليل بعدت عليه المسافة الزمانية وطال المدى فربما نسي ما هو الامر عليه فان الانسان مجبول على النسيان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسي آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته وهذا الحديث بشرى من النبي صلى الله عليه وسلم للناس كافة فان آدم رحمه الله فرحمت ذريته كانوا حيثما كانوا جعل لهم رحمة تخصهم بأي دار أنزلهم الله تعالى فان الامر اضافي وان الاصول تحكم على الفروع وهذا يدلك على ان هذه النفوس الانسانية نتيجة عن هذه الاجسام العنصرية ومتولدة عنها فانها ما ظهرت الا بعد تسوية هذه الاجسام واعتدال أخلاطها فهي للنفوس المنفوخة فيها من الروح المضاف اليه تعالى كالاماكن التي تطرح الشمس شعاعاتها عليها فتختلف آثارها باختلاف القوابل أين ضوء نور الشمس في الاجسام الكثيفة منه في الاجسام الصقيلة فلهذا تفاضلت النفوس لتفاضل الامزجة فترى نفسا سريعة القبول للفضائل والعلوم ونفسا أخرى في الضد منها وبينهما متوسطات فهكذا هو الامر ان فهمت قال تعالى فاذا سويته يعني جسم الانسان ونفخت فيه من روحي ولهذا قلنا ان النسيان في الانسان أمر طبيعي يقتضيه المزاج كما ان التذكر أمر طبيعي أيضا في هذا المزاج الخاص وكذلك جميع القوى التي تنسب الى الانسان الا ترا ما يقل فعل هذه القوى في أشخاص ويكثر في أشخاص فنبه الشارع بدخول المعتكف مكان اعتكافه بعد صلاة الفجر قبل طلوع الشمس

﴿وصل في فصل اقامة المعتكف مع الله ما هي﴾

اعلم ان الاقامة مع الله انما هو أمر معنوي لا أمر حسي فلا يقام مع الله الا بالقلب كما لا يتوجه في الصلاة الى الله الا بالقلب وكما تتوجه بوجهك الى المسماة قبلة وهي الكعبة كذلك يقام بالحس مع أفعال البر وقد يكون من أفعال البر ملاحظة النفس ليؤدي اليها حقها المشروع لها فان لنفسك عليك حقا وقد يؤثر نفسه على غيرها بايصال الخير اليها وهو الذي شرعه الله لنا وما الناظر بق الى الله الا ما شرعه ولهذا يكلف الانسان نفسه بعض مصالحها ليعود خير ذلك اليها كخروج المعتكف الى حاجة الانسان واقباله على ما كان من نسائه وأهله ليصلح بعض شأنه في حال اقامته واعتكافه ذكر مسلم عن عائشة انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اعتكف يدني الي رأسه فأرجله وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان وقال النسائي عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني وهو معتكف في المسجد فيتكئ على باب حجرتي فأغسل رأسه وأنا في حجرتي وسائره في المسجد وفي هذا دليل لمن يقول بالحكم للاغلب فانه ما أخرجه كون رأسه في غير المسجد عن الاعتكاف لان الاكثر منه في المسجد فراعى حكم الاكثر في الجرمية

﴿وصل في فصل ما يكون عليه المعتكف في نهاره﴾

ذكر أبو أحمد من حديث عبد الله بن بديل بن ورقاء المكي عن عمرو بن دينار عن ابن عمر عن عمر أنه نذر أن يعتكف في المسجد الحرام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف وصم (اعتباره) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد الاقامة مع الله أن يقيم معه بصفة هي لله وهي الصوم ليكون مع الله بالله لله فلا يرى منه شئ

الاالله وهذه حالة أهل الله • قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أولياء الله قال الذين اذا رؤا ذكر الله أي لتحققهم بالله يغيبون به عنهم وعن عيون الخلق فاذا رآهم الناس لم يروا غير الله فتذكرهم بالله رؤيتهم مثل الآيات المذكرات وهذا هو المقام الذي سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعلني نورا فأجاب الله تعالى دعاءه فأخبرنا انه بعثه الى الناس بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فجعله نورا كما سأل فان قوله لربه واجعلني نورا فأكون بذاتي عين الاسم الالهي النور ومن كان الحق سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله ولا ينطق عن الهوى فما هو هو وما بقي لمن يراه ما يرى الا الله عرف ذلك الرائي أو لم يعرفه فهكذا يشاهده أهل العلم بالله من المؤمنين الخلفاء يظهر في العالم والسوقة بصفات من استخلفها قالت بلقيس في عرشها كأنه هو وما كان الا هو ولكن حجبها بعد المسافة وحكم العادة وجهلها بقدر سليمان عليه السلام عند ربه فهذا حجبها ان تقول هو هو فقالت كأنه هو وأي مسافة أبعد من ليس كمثله شيء من مثله أشياء قال الكامل صلى الله عليه وسلم انما أنا بشر مثلكم عن أمر الله قيل له قل فقال قل انما أنا بشر مثلكم و بهذا علمنا انه عن أمر الله لانه نقل الامر لنا كما نقل المأمور وكان هذا القول دواء للمرض الذي قام بمن عبد عيسى عليه السلام من أمته فقالوا ان الله هو المسيح بن مريم وفاتهم علم كثير حيث قالوا ابن مريم وما شعروا ولهذا قال الله تعالى في اقامة الحجة على من هذه صفته قل سموهم فانهم يسمونهم الاعيان يعرفون به من الاسماء حتى يعقل عنهم ما يريدون فاذا سموهم تبين في نفس الاسم أنه ليس الذي طلب منهم الرسول المبعوث اليهم ان يعبدوه وانما قلنا هو لما يعطيه الكشف الصحيح في الخصوص والايمان الصريح في العموم كما ورد به الخبر النبوي الالهي من ان الله اذا أحب عبده كان سمعه وبصره وذكر قواه وجوارحه والانسان ليس غير هذه الامور المذكورة الذي جعل الحق هويته عينها فان كنت مؤمنا عرفت بمن أنت وان كنت صاحب شهود صحيح عرفت من شاهدت وأكثر من هذا البيان النبوي عن الله ما يكون في قوة الانسان حتى يكون المؤمن صاحب حال عيان فيعرف عند ذلك من هو عين هذه الاكوان والاعيان

﴿وصل في فصل زيارة المعتكف في معتكفه المقيم مع الله من حيث اسم ما تطلبه أسماء أخر الهية في أعيان أكوان ليظهر سلطانها فيه منازعة للاسم الذي هو مقيم معه﴾

ذكر البخاري عن صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوره في معتكفه في المسجد في العشر الاواخر من رمضان فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب فقام النبي صلى الله عليه وسلم معها يقلبها حتى اذا بلغت باب أم سلمة الحديث فهذا اسم الهي حرك صفية لتزوره حتى يأخذ بوساطتها النبي صلى الله عليه وسلم من الاقامة مع الاسم الالهي الذي أجاءها فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مع هذا الاسم زمان حديثه معها ثم أخرجه من موضع جلوسه حين شيعها وهو نوع سفر لا بل هو سفر بر الرجل بامرأته تعظيما لحرمتها وقصدها فان السفر انتقال ولم ينتقل الاحكم ذلك الاسم عليه من مكانه فان المعتكف اذا انتقل الى حاجة الانسان من وضوء وما لا بد منه فان ذلك كله من حكم الاسم الذي أقام معه في مدة اعتكافه وما من حركة يتحركها الانسان في اعتكافه وغير اعتكافه الاعن ورود اسم الهي عليه هذا مفروغ منه عندنا في الحقائق الالهية وأسماء الله لا تحصى كثرة وما من شأن المعتكف تشييع الزائر فما حرك لذلك الا حكم الاسم الالهي الذي حرك الزائر اليه فالعين لا تعرف الا انها زائرة لقضاء غرضها من نظر أو حديث والعارف يشهد الاسماء الالهية ما رأيت شيأ الا رأيت الله قبله فالاسم الالهي الذي حرك صفية من وراء حجاب صفية ومعه كان يتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم وله قام وشيع وكان مطلب ذلك الاسم اظهار سلطانه فيه وقد ظهر وقد بينا ذلك في مجاراة الاسماء الالهية في أول هذا الكتاب وفي عنقاء مغرب

﴿وصل في فصل اعتكاف المستحاضة في المسجد﴾

كذب النفس لها مشروعة ليس بحيض ولذلك تصلي المستحاضة ولا تصلي الحائض ورد عن عائشة على ما ذكره البخاري انه اعتكف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة مستحاضة من أزواجه الحديث فمن وضع الاشياء

فى مواضعها فقد أعطاها ما تستحقه عليه وهو حكيم وقته فان الحكمة تعطى وضع كل شئ فى موضعه والله عليم حكيم وما ثم شئ مطلق أصلا لانه لا يقتضيه الامكان ولا تعطيه أيضا الحقائق فان الاطلاق تقييد فما من أمر الا وله موطن يقبله وموطن يدفعه ولا يقبله لابد من ذلك كالاغذية الطبيعية للجسم الطبيعى ما من شئ يتغذى به الا وفيه مضرة ومنفعة يعرف ذلك العالم بالطبيعة من حيث ماهى مدبرة للبدن وهو المسمى طبيبا او يعرفه الطبيعى مجملا والتفصيل للطبيب فما فى العالم لسان حمد مطلق ولا لسان ذم مطلق والاصل الاسماء الالهية المتقابلة فان الله سمى لنا نفسه بهما من كونه متكلما كالمنزه والمشبه والموحد والمشرك ونطق عباده بالصفتين ثم قال سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين هذا آخر الجزء الحادى والستين

﴿الباب الثانى والسبعون فى الحج وأسراره﴾

الحج فرض الحى على الناس * من عهد والدنا المنعوت بالناسى
فرض علينا ولكن لانقوم به * وواجب الفرض ان نلق على الراس
فان حرمت باحرام تجردكم * عن كل حال باعسار وافلاس
دعتك حالته فى كل منزلة * من المنازل بالعارى و بالكاسى
فيه الاجابة للرحمن من كثب * بنعت عبد ادنى والياس
فيه العبادات من صوم ومن صلة * ومن صلاة وحكم الجود والباس
وفى الطواف معان ليس يشبهها * الا تردد رب الجن والناس
انى قتيل خلاخيل كلفت بها * عند الطواف وأقراط ووسواس
وفى المحصب شرع الفرد ناسبه * رمى الجمار لخناس بوسواس
الله خصصه فى بطن عرنته * يوم الوقوف باذلال وابلاس
وكن مع الفرق فى جمع بمزدلف * فاعليك بذاك الفرق من باس
من حج لله لا بالله كان كمن * سعى لظلمته بضوء نبراس
فى يوم غيم شديد الحر فاعتبروا * فيما تفوه به للخلق أنفاسى
وكن اذا أنت دبرت الامور به * ما بين عقل الحى واحساس
واحذر شهودا اساف ثم نائلة * اذا سعيت كأسقف وشماس
وفى منى فانحر القربان فى صفة * تدعى بها عند ذاك النحر بالقاسى
وتربة الذات لاشفع بزائلها * مصونة بين حفاظ وحراس
عطرية النشر معسول مقبلها * محفوفة بيهار الروض والآس
مكلومة بالذى نالته من صفتى * وما يكون لذاك الكلم من آسى

اعلم أيدك الله ان الحج فى اللسان تكرار القصد الى المقصود والعمرة الزيارة ولما نسب الله تعالى البيت اليه بالاضافة فى قوله لخليله ابراهيم عليه السلام وطهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود وأخبرنا انه أول بيت وضعه للناس معبدا فقال ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت جعله نظيرا ومثالا لعرشه وجعل الطائفين به من البشر كالملائكة الحافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم أى بالثناء على ربهم تبارك وتعالى وثناؤنا على الله فى طوافنا أعظم من ثناء الملائكة عليه سبحانه بما لا يتقارب ولكن ما كل طائف يتنبه الى هذا الثناء الذى نريده وذلك ان العلماء بالله اذا قالوا سبحان الله أو الحمد لله أو لا اله الا الله انما يقولونها بجمعيتهم الحضرتين والصورتين فيذكرونه بكل جزء ذاكر لله فى العالم و يذكر أسمائه اياه ثم انهم ما يقصدون من هذه الكلمات الا ما نزل منها فى القرآن لا الذكر الذى يذكرونه فهم فى

هذا الثناء نواب عن الحق يثنون عليه بكلامه الذي أنزله عليهم وهم أهل الله بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم أهل القرآن وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته فهم نائبون عنه في الثناء عليه فلم يشب ثناءهم استنباط نفسي ولا اختيار كوني ولا أحدثوا ثناء من عندهم فاسمع من ثنائهم الا كلامه الذي أثنى به على نفسه فهو ثناء الهي قدوس طاهر نزيه عن الشوب الكوني قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فأجره حتى يسمع كلام الله فأضاف الكلام اليه لا الى نبيه صلى الله عليه وسلم ولما جعل الله تعالى قلب عبده بيتا كريما وحرما عظيما وذكر أنه وسعه حين لم يسعه سماء ولا أرض علمنا قطعا ان قلب المؤمن أشرف من هذا البيت وجعل الخواطر التي تمر عليه كالطائفين ولما كان في الطائفين من يعرف حرمة البيت فيعامله في الطواف به بما يستحقه من التعظيم والاجلال ومن الطائفين من لا يعرف ذلك فيطوفون به بقلوب غافلة لاهية وألسنة بغير ذكر الله ناطقة بل ربما يطوفون بفضول من القول وزور وكذلك الخواطر التي تمر على قلب المؤمن منها مذموم ومنها محمود وكما كتب الله طواف كل طائف للطائف به على أي حالة كان وعفا عنه فيما كان منه كذلك الخواطر المذمومة عفا الله عنها ما لم يظهر حكمها على ظاهر الجوارح الى الحس وكما ان في البيت يمين الله للمبايعة الالهية ففي قلب العبد الحق سبحانه من غير تشبيه ولا تكييف كما يليق بجلاله سبحانه حيث وسعه وأين مرتبة اليمين منه على الانفراد منه سبحانه ففيه اليمين المسمى كلتا يديه فهو أعظم علما وأكثر احاطة فانه محل لجميع الصفات وارتفاعه بالمكانة عند الله لما أودع الله فيه من المعرفة به ثم ان الله تعالى جعل لبيته أربعة أركان لسر الهي وهي في الحقيقة ثلاثة أركان لانه شكل مكعب الركن الواحد الذي يلي الحجر كالحجر في الصورة مكعب الشكل ولاجل ذلك سمي كعبة تشبيها بالكعب فاذا اعتبرت الثلاثة الاركان جعلتها في القلب محل الخاطر الالهي والركن الآخر ركن الخاطر الملكي والركن الثالث ركن الخاطر النفسي فالالهي ركن الحجر والملكي الركن اليمني والنفسي المكعب الذي في الحجر لا غير وليس للخاطر الشيطاني فيه محل وعلى هذا الشكل قلوب الانبياء مثلثة الشكل على شكل الكعبة ولما أراد الله ما أراد من اظهار الركن الرابع جعله للخاطر الشيطاني وهو الركن العراقي فيبقى الركن الشامي للخاطر النفسي وانما جعلنا الخاطر الشيطاني للركن العراقي لان الشارع شرع أن يقال عنده أعوذ بالله من الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق وبالذكر المشروع في كل ركن تعرف مراتب الاركان وعلى هذا الشكل المربع قلوب المؤمنين وما عدا الرسل والانبياء المعصومين ليميز الله رسله وأنبياءه من سائر المؤمنين بالعصمة التي أعطاهم وألبسهم اياها فليس لنبي الا ثلاثة خواطر الهي وملكي ونفسي وقد يكون ذلك لبعض الاولياء الذين لهم جزء وافر من النبوة كسليمان الدنبلي لقيته وهو ممن له هذا الحال فأخبرني عن نفسه ان له بضعا وخمسين سنة ما خطر له خاطر قبيح ولا كثر الاولياء هذه الخواطر وزادوا بالخاطر الشيطاني العراقي فمنهم من ظهر عليه حكمه في الظاهر وهم عامة الخلق ومنهم من يخطر له ولا يؤثر في ظاهره وهم المحفوظون من أوليائه ولما اعتبر الله الشكل الاول الذي للبيت جعل له الحجر على صورته وسماه حجر المحجر عليه أن ينال تلك المرتبة أحد من غير الانبياء والمرسلين حكمة منه سبحانه فللاولياء الحفظ الالهي ولهم العصمة أخبرني بعض الاولياء من أهل الله وهو عبد الله بن الاستاذ المروروري ان الشيخ عبد الرزاق أو غيره الشك مني بل غيره بلا شك فاني تذكرته رأى ابليس فقال له كيف حالك مع الشيخ أبي مدين عبد صالح امام في التوحيد والتوكل كان ببجاية فقال ابليس ما شبهت نفسي فيما نلقي اليه في قلبه الا كشخص بال في البحر المحيط فقيل له لم تبول فيه قال حتى أنجسه فلا تقع به الطهارة فهل رأيتم أجهل من هذا الشخص كذلك أنا وقلب أبي مدين كلما ألقيت فيه أمرا قلب عينه فأخبر أنه يلقي في قلوب الاولياء وهو الذي ذكرناه وليس له على الانبياء سبيل وارتفاع البيت سبعة وعشرون ذراعا وذراع التحجير الاعلى فهو ثمانية وعشرون ذراعا كل ذراع مقدار لامر ما الهي يعرفه أهل الكشف فهي هذه المقادير نظير منازل القلب التي تقطعها كواكب الايمان السيارة لاظهار حوادث تجري في النفس المضاهي لمنازل القمر والكواكب السيارة لاظهار الحوادث في العالم العنصري سواء حرفا بحرف ومعنى بمعنى واعلم أن الله تعالى قد أودع في الكعبة كنزا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجه فينفقه ثم بدا له في ذلك

لمصلحة رآها ثم أراد عمر بعده أن يخرجه فامتنع اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فهو فيه الى الآن وأما أنا فسيق لى منه لوح من ذهب جيء به الىّ وأنا بتونس سنة ثمان وتسعين وخمسمائة فيه شق غلظه أصبع عرضه شبر وطوله شبر أو أزيد مكتوب فيه بقلم لا أعرفه وذلك لسبب طرأ بيني وبين الله فسألت الله أن يرده الى موضعه أدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أخرجته الى الناس لثارت فتنة عمياء فتركته أيضا لهذه المصلحة فانه صلى الله عليه وسلم ما تركه سدى وانما تركه ليخرجه القائم بأمر الله فى آخر الزمان الذى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما وقد ورد خبر رويناه فيما ذكرناه من اخراجه على يد هذا الخليفة وما أذكر الآن عمن رويته ولا الجزء الذى رأيته فيه كذلك جعل الله فى قلب العارف كنز العلم بالله فشهد لله بما شهد به الحق لنفسه من أنه لا اله الا الله ونفى هذه المرتبة عن كل ما سواه فقال شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم فجعلها كنزا فى قلوب العلماء بالله ولما كانت كنزا لذلك لا تدخل الميزان يوم القيامة وما يظهر لها عين الا ان كان فى الكثيب الابيض يوم الزور ويظهر جسمها وهو النطق بها عناية لصاحب السجلات لا غير فذلك الواحد يوضع له فى ميزانه التلفظ بها اذ لم يكن له خير غيرها فما يزن ظاهرها شيء فأين أنت من روحها ومعناها فهى كنز مدخر أبدا دنيا وآخرة وكل ما ظهر فى الاكوان والاعيان من الخير فهو من أحكامها وحقها ثم ان الله جعل هذا البيت الذى هو محل ذكر اسم الله على أربعة أركان كذلك جعل الله القلب على أربع طبائع تحمله وعليها قامت نشأته كقيام البيت اليوم على أربعة أركان كقيام العرش على أربعة حملة اليوم كذا ورد فى الخبر أنهم اليوم أربعة وغدا يكونون ثمانية فان الآخرة فيها حكم الدنيا والآخرة فلذلك تكون غدا ثمانية فيظهر فى الآخرة حكم سلطان الاربعة الاخر وكذلك يكون القلب فى الآخرة تحمله ثمانية الاربعة التى ذكرناها والاربعة الغيبية وهى العلم والقدرة والارادة والكلام ليس غير ذلك فان قلت فهى موجودة اليوم فلماذا جعلتها فى الآخرة قلنا وكذلك الثمانية من الحملة موجودون اليوم فى أعيانهم لكن لا حكم لهم فى الحمل الخاص الا غدا كذلك هذه الصفات التى ذكرناها الاحكم ينفذ لهم فى الدنيا دائما وانما حكمهم فى الآخرة للسعداء وحكم الاربعة الذين هم طبائع هذا البيت ظاهرة الحكم فى الاجسام فان قلت فما معنى قولك حكمهم قلت فان العلم لا يشاهد العالم معلومه الا فى الآخرة والقدرة لا ينفذ حكمها الا فى الآخرة فلا يعجز السعيد عن تكوين شيء وارادته غير قاصرة فما يهمّ بشيء يريد حضوره الا حضر وكلامه نافذ فما يقول لشيء كن الا ويكون فالعلم له عين فى الآخرة وليس هذا حكم هذه الصفات فى النشأة الدنيا مطلقة فاعلم ذلك فالانسان فى الآخرة نافذ الاقتدار فالله بيته قلب عبده المؤمن والبيت بيت اسمه تعالى والعرش مستوى الرحمن فأياما تدعوا فله الاسماء الحسنى فلا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها فانه يعلم الجهر وما يخفى كما انه يعلم السر وأخفى وأصفى وهو قوله وابتغ بين ذلك سبيلا فانه أخفى من السرّ أى أظهر فان الوسط الحائل بين الطرفين المعين للطرفين والمميز لهما هو أخفى منهما كالخط الفاصل بين الظل والشمس والبرزخ بين البحرين الاجاج والفرات والفاصل بين السواد والبياض فى الجسم نعلم ان ثم فاصلا ولكن لا تدركه العين ويشهد له العقل وان كان لا يعقل ما هو أى لا يعقل ماهيته فبين القلب والعرش فى المنزلة ما بين الاسم الله والاسم الرحمن وان كان أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولكن ما أنكر أحد الله وأنكر الرحمن فقالوا وما الرحمن فكان مشهد الالوهة أعمّ لاقرار الجميع بها فانها تتضمن البلاء والعافية وهما موجودان فى الكون فما أنكرهما أحد ومشهد الرحمانية لا يعرفه الا المرحومون بالايمان وما أنكره الا المحرومون من حيث لا يشعرون انهم محرومون لان الرحمانية لا تتضمن سوى العافية والخير المحض فالله معروف بالحال والرحمن منكور بالحال فقيل لهم أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى فعرفه أهل البلاء تقليد التعريف الله من وراء حجاب البلاء فافهم فقد نبهتك لامور ان سلكت عليها جلت لك فى العلم الالهىّ ما لا يقدر قدره الا الله فان العارف بقدر ما ذكرناه من العلم بالله الذوقىّ اليوم عزيز ولما كان الحج لهذا البيت تكرار القصد فى زمان مخصوص كذلك القلب تقصده الاسماء الالهية فى حال مخصوص اذ كل اسم له حال خاص يطلبه فمهما ظهر ذلك الحال من العبد طلب الاسم الذى يخصه فيقصده ذلك الاسم فلهذا تحج الاسماء الالهية بيت القلب وقد تحج اليمن

حيث ان القلب وسع الحق والاسماء تطلب مسماها فلا بد لها أن تقصد مسماها فتقصد البيت الذى ذكر أنه وسعه السعة التى يعلمها سبحانه وانما تقصده لكونها كانت متوجهة نحو الاحوال التى تطلبها من الاكوان فاذا أنفذت حكمها فى ذلك الكون المعين رجعت قاصدة تطلب مسماها فتطلب قلب المؤمن وتقصده فلما تكرر ذلك القصد منها سمى ذلك القصد المكرر حجا كما يتكرر القصد من الناس والجن والملائكة للكعبة فى كل سنة للحج الواجب والنفل وفى غير زمان الحج وماله يسمى زيارة لا حجا وهو العمرة والعمرة الزيارة وتسمى حجا أصغر لما فيهما من الاحرام والطواف والسعى وأخذ الشعر أو منه والاحلال ولم تعم جميع المناسك فسميت حجا أصغر بالنظر الى الحج الاكبر الذى يعم استيفاء جميع المناسك ولهذا يجزئ القارن بينهما طواف واحد وسعى واحد لسمى الحج لها وهكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قرانه فى حجة وداعه التى قال فيها خذوا عنى مناسككم وهكذا الحكم فى الآخرة فى الزور العام هو بمنزلة الحج فى الدنيا وحج العمرة هو بمنزلة الزور الذى يخص كل انسان فعلى قدر اعتماره تكون زيارته لربه والزور الاعم فى زمان خاص للزمان الخاص الذى للحج والزور الاخص الذى هو العمرة لا يختص بزمان دون زمان فحكمها أنفذ فى الزمان من الحج الاكبر وحكم الحج الاكبر أنفذ فى استيفاء المناسك من الحج الاصغر ليكون كل واحد منهما فاضلا مفضولا لينفرد الحق بالكمال الذى لا يقبل المفاضلة وما سوى الله ليس كذلك حتى الاسماء الالهية وهم الاعلون يقبلون المفاضلة وقد بينا ذلك فى غير موضع وكذلك المقامات والاحوال والموجودات كلها فالزيارة الخاصة التى هى العمرة مطلقة الزمان على قدر مخصوص وسأذكر ان شاء الله ما يختص بهذا الباب من الافعال الظاهرة المشروعة فى العموم والخصوص على ألسنة علماء الرسوم بالظواهر والنصوص وما يختص أيضا بها من الاعتبارات فى أحوال الباطن بلسان التقريب والاختصار والاشارة والايماء كما عملنا فيما تقدم من العبادات والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ولو شاء لهداكم أجمعين ولكن الله فعال لما يريد

﴿وصل فى فصل وجوب الحج﴾

لا خلاف فى وجوبه بين علماء الاسلام قال تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فوجب على كل مستطيع من الناس صغير وكبير ذكر وانثى حر وعبد مسلم وغير مسلم ولا يقع بالفعل الا بشروط له معينة فان الايمان والاسلام واجب على كل انسان والاحكام كلها الواجبة واجبة على كل انسان ولكن يتوقف قبول فعلها أو فعلها من الانسان على وجود الاسلام منه فلا يقبل تلبسه بشئ منها الا بشرط وجود الاسلام عنده فان لم يؤمن أخذ بالواجبين جميعا يوم القيامة وجوب الشرط المصحح لقبول هذه العبادات ووجوب المشروط التى هى هذه العبادات وقرئ بكسر الحاء وهو الاسم وبفتحها وهو المصدر فمن فتح وجب عليه أن يقصد البيت ليفعل ما أمره الله به أن يفعله عند الوصول اليه فى المناسك التى عين الله له أن يفعلها ومن قرأ بالكسر وأراد الاسم فمعناه أن يراعى قصد البيت فيقصد ما يقصده البيت وبينهما بون بعيد فان العبد بفتح الحاء يقصد البيت وبكسرها يقصد قصد البيت فيقوم فى الكسر مقام البيت ويقوم فى الفتح مقام خادم البيت فيكون حال العبد فى حجه بحسب ما يقيمه فيه الحق من الشهود والله المرشد والهادى لا رب غيره ولما كان قصد البيت قصدا حاليا لانه يطلب بصورته الساكن فلله على الناس أن يجعلوا قلوبهم كالبيت تطلب بحالها أن يكون الحق ساكنها كما قال اطلبونى فى قلوب العارفين بى فهذا معنى الكسر فيه وهو الاستعداد بالصفة التى ذكر الله ان القلب يصلح له تعالى بها ومن فتح فوجب عليه أن يطلب قلبه ليرى فيه آثار ربه فيعمل بحسب ما يرى فيه من الآثار الالهية وهذا حال غير ذلك فبالكسر يقصد الله وبالفتح يقصد القلب لما ذكرناه

﴿وصل فى فصل شروط صحة الحج﴾

لا خلاف ان من شرط صحته الاسلام اذ لا يصح عن ليس بمسلم الاسلام الانقياد الى ما دعاك الحق اليه ظاهرا او باطنا على الصفة التى دعاك أن تكون عليها عند الاجابة فان جئت بغير تلك الصفة التى قال لك تجئ بها فما أجبت دعاء الاسم الالهى الذى دعاك ولا انقدت اليه وهنا علم دقيق وهل الدعوة كانت من الله على المجموع وهو عينك وعين الصفة

أو المقصود من هذا الدعاء عين الصفة وأنت بحكم التبع لكون هذا الوصف الخاص لا يقوم بنفسه فما تكون أنت المطلوب ولا بد لك من اسم يكون لك من تلك الصفة يناديك به أو تكون أنت المدعو من حيث عينك والصفة تبع ما هي المقصود في الدعاء لانها لم يذكرها عين في هذا الدعاء الخاص فمن راعى من العارفين العين لا عين الصفة لكونه تعالى قال ولله على الناس وما قال على المسلمين ولا ذكر صفة زائدة على أعيانهم فأوجبها على الاعيان وجوبا الهيا فاذا أتى بهذا الدعاء صاحب الاسم الذي هو الناس قيل فيه انه قد أجاب اجابة ذاتية فيكون جزاء اجابته تجلي من دعاه ذاتا بذات ومن اعتبر أنه ما دعا من حيث ما هو ذات وانما دعا من حيث ما هو متكلم فما أجاب هذا المدعو الا عين الصفة لا عين الذات قيل له وكذلك المجيب المدعو ما أجاب منه الا عين صفته فان ذات المدعو من صفات من دعاه وهذه الصفة يعبر عنها بذات المدعو لان المدعو مجموع صفات ذاتية له بمجموعها يكون انسانا وهو كونه حيوانا ناطقا وليس عين هذا المجموع سوى عين ذاته ولهذا وقع الدعاء من الداعي بالاسم الجامع وهو الله فان قيل لا يصح أن يكون حقيقة هذا الاسم الجامع وانما يأتي والداعي به اسم خاص يخصصه حال المدعو ويعين الاسم الخاص به كالجائع يقول يا الله أطعمني فالله الذي دعا يعم المعطي والمانع فتتعذر الاجابة اذا قصد الداعي ما يدل عليه هذا الاسم وما قصد الداعي الا المطعم المعطي الرزاق ما قصد المانع فان أطعمه الله فما أجابه الا المطعم كذلك قوله ولله على الناس حج البيت ليس المقصود بهذا الاسم عين ما يدل عليه فان من مدلولاته أسماء الهية تمنع من اجابة المكلف وأسماء تعطي اجابة المكلف فما دعاه من هذا الاسم الا الاسم الذي يطلب اجابة المكلف المدعو ولهذا يعصي من لم يجب الدعاء بقرائن الاحوال ولو كان من حيث الاسم الله ما عصى ولا أطاع وتقابلت الامور فلهذا لا يتصور أن يدعو أحد الله من حيث حقيقة هذا الاسم ولا يدعو هذا الاسم الله أحدا من حيث حقيقته وانما يدعو ويدعى منه من حيث اسم خاص يتضمنه يعرف بالحال فاعلم ان الذات من الجانبين لا يصح أن تكون مطلوبة لانها موجودة وانما متعلق الطلب المعدوم ليوجد فما يدعى الا المعدوم لان الدعاء طلب والطلب عين الارادة والارادة لا تتعلق الا بالمعدوم قلنا وكذلك وقع فانه ما ظهر من هذا المدعو الا الاجابة وكانت معدومة مع كون ذات المدعو لما يدعى اليه موجودة فظهرت الاجابة من المدعو بعد أن لم تكن لان الاجابة لا تكون الا بعد دعاء داع وهذا المدعو المعدوم الثابت لا يصح وجوده من ذات المدعو وانما يصح في ذات المدعو اذا كان المدعو من العالم فيفتقر الى أن يقول له الداعي كن فحينئذ يكون المدعو اجابة لامره في ذات هذا المتوجه عليه الخطاب فالاجابة ذات المدعو فيما يظهر وانما وقعت الاجابة من الصفة التي ظهرت فيه فيتخيل ان الذات التي ظهرت فيها ذات هذا المدعو هو المخاطب بالتكوين وليس كذلك وهكذا هو الوجود الالهي والكوني في نفس الامر وان كان الظاهر يعطي غير هذا فما في الكون الا مسلم لغة لانه ما ثم الا منقاد للامر الالهي لانه ما ثم من قيل له كن فأبى بل يكون من غير تثبط ولا يصح الا ذلك فاذا وقع الحج ممن وقع من الناس ما وقع الا من مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام أسلمت على ما أسلفت من خير ولم يكن مشروعا من جانب الله له ذلك في حال الجاهلية وقبل بعثة الرسول فاعتبره له الله سبحانه لحكم الانقياد الاصلي الذي تعطيه حقيقة الممكن وهو الاسلام العام فمن اعتبر المجموع وجد ومن اعتبر عين الصفة وجد ومن اعتبر الذات وجد ولكل واحد شرب معلوم من علم خاص فانه يدخل فيه هذا الاسلام الخاص المعروف في العرف الحاكم في الظاهر والباطن معا فان حكم في الظاهر لا في الباطن كالمنافق الذي أسلم للتقية حتى يعصم ظاهره في الدنيا فهذا ما فعل ما فعل من الامور الخيرية التي دعي اليها الخيريتها فماله أجر والذي فعلها وهو مشرك لخيريتها نفعته بالخير المنوي فلا بد أن ينقاد الباطن والظاهر وبالمجموع تحصل الفائدة مكملة لان الداعي دعاه بالاسم الجامع والمدعو دعي من الاسم الجامع لصفة جامعة وهو الحج والحج لا يكون الا بتكرار القصد فهو جمع في المعنى فما في الكون الا مسلم فوجب الحج على كل مسلم فلهذا لم يتصور فيه خلاف بين علماء الرسوم وعلماء الحقائق وعالم الحقائق أتم من عالم الرسم في هذه المسئلة وأمثالها فان حج الطفل الرضيع صح حجه ولا تلفظ له بالاسلام ولا يعرف نية الحج ولو مات عندنا قبل البلوغ كتب الله له تلك

الجبلة عن فر يضته ولنا فى ذلك خبر نبوى فى الصبى قبل البلوغ والعبد فالصبى الرضيع الاسلام العام الذى يثبته المحقق وقد اعتبره الشرع رفعت امرأة صبيا لها صغيرا فقالت يارسول الله ألهذا حج قال لها نعم ولك أجر فنسب الحج لمن لا قصد له فيه فلولم يكن لذلك الرضيع قصد بوجه ماعرفه الشارع صاحب الكشف ماصح أن ينسب الحج اليه وكان ذلك كنبا كانت امرأة ترضع صغيرا لها فمر رجل ذو شارة حسنة وخول وحشمة فقالت المرأة اللهم اجعل ابنى مثل هذا فترك الرضيع الثدى ونظر اليه وقال اللهم لاتجعلنى مثله ومرت عليها امرأة وهى تضرب والناس يقولون فيها زنت وسرقت فقالت المرأة اللهم لاتجعل ابنى مثل هذه فترك الصغير الثدى ونظر اليها وقال اللهم اجعلنى مثلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الرجل كان جبارا متكبرا وقال فى المرأة كانت بريئة مما نسب اليها واتفق لى مع بنت كانت لى ترضع يكون عمرها دون السنة فقلت لها يابنية فأصغت الىّ ماتقول فى رجل جامع امرأته فلم ينزل مايجب عليه فقالت يجب عليه الغسل فغشى على جدتها من نطقها هذا اشهدته بنفسى وكذلك زكاة الفطر على الرضيع والجنين

﴿وصل فى فصل حج الطفل﴾

فمن قائل بجوازه ومن مانع والمجوّز له صاحب الحق فى هذه المسئلة شرعا وحقيقة فان الشرع أثبت له الحج وليس العجب الاأن الحج يثبت بالنيابة فهو بالمباشرة فى حق الطفل أثبت على كل حال وسيأتى ذكر النيابة فى هذا العمل فيما بعد ان شاء الله وأين الاسلام فى حق الصبى الصغير الرضيع فهل هو عند أهل الظاهر الابحكم التبع وأما عندنا فهو بالاصالة والتبع معا فهو ثابت فى الصغير بطريقين وفى الكبير بطريق واحد وهو الاصالة لا التبع فالايمان أثبت فى حق الرضيع فانه ولد على فطرة الايمان وهو اقراره بالربوبية لله تعالى على خلقه حين الاخذ من الظهر الذرية والاشهاد قال تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فلولم يعقلوا ماخوطبوا ولا أجابوا يقول ذوالنون المصرى كأنه الآن فى أذنى وما نقل الينا انه طرأ أمر اخرج الذرية عن هذا الاقرار وصحته ثم انه لما ولد ولد على تلك الفطرة الاولى فهو مؤمن بالاصالة ثم حكم له بايمان أبيه فى أمور ظاهرة فقال والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان يعنى ايمان الفطرة ألحقنا بهم ذريتهم فورثوهم وصلى عليهم ان ماتوا وأقيمت فيهم أحكام الاسلام كلها مع كونهم على حال لايعقلون جملة واحدة ثم قال وماألتناهم من عملهم من شئ يعنى أولئك الصغار ماأنقصناهم شيأ من أعمالهم وأضاف العمل اليهم يعنى قولهم بلى فبقى لهم على غاية التمام ما نقصهم منه شيأ لانهم لم يطرأ عليهم حال يخرجهم فى فصل ما من أفعالهم عن ذلك الاقرار الاوّل كما طرأ للكبير العاقل فنقص من عمله ذلك بقدر ماطرأ عليه فانقصه الله على قدر ما نقص فالرضيع أتم ايمانا من الكبير بلاشك فحجه أتم من حج الكبير فانه حج بالفطرة وباشر الافعال بنفسه مع كونه معمولا به فيها كما هو الامر عليه فى نفسه فان الافعال كلها لله فمن كل وجه صح له الحج حقيقة وشرعا والطفل مباشر بلاشك وغير عاقل العقل المعتبر فى الكبير بلاشك وغير متلفظ بالاسلام ولا معتقد له ولا عالم به بلاشك ونريد الاعتقاد والعلم المعروف عند أهل الرسوم فى العرف كل ذلك غير موجود فى الصبى الرضيع وقد باشر العمل وهو معمول به وأضاف الحج اليه الشارع والصبى مستطيع فى هذه الحالة بالاستعداد الذى هو عليه أن يكون معمولا به أعمال الحج كلها فهو محل للعمل لانه وقف به فى عرفة فوقف كما يقف الراكب بدابته وينسب الوقوف اليه ويطوف على راحلته ويسعى بين الصفا والمروة والراحلة هى التى تسعى وتطوف وتقف وينسب ذلك كله اليه بحكم المباشرة وأنه باشر أفعال الحج بنفسه فكذلك الصغير الرضيع يطاف به ويسعى فهو مباشر أفعال الحج ويوقف به مستطيع بالوجه الذى ذكرناه من الاستعداد لقبول مايفعل به كما استعد الكبير الراكب لقبول مافعل به راحلته من سكون وحركة وينسب العمل اليه لا الى الراحلة جريا على حكم الاصل الالهى حيث تنسب الافعال الى العباد والافعال أعنى خلقها لله تعالى على الحقيقة وهم محال ظهورها

﴿وصل فى فصل الاستطاعة﴾

فمن قائل الزاد والراحلة ومن قائل من استطاع المشى فلا تشترط الراحلة وكذلك الزاد ليس من شرطه اذا كان يمكنه

الا كتساب في القافلة ولو بالسؤال هذا في المباشرة فالراحلة عين هذا الجسم لانه مركب الروح الذي هو اللطيفة الانسانية المنفوخة فيه فيما يصدر منه بوساطة هذا الجسم من أعمال صلاة وصدقة وحج واماطة وتلفظ بذكر كل ذلك أعمال موصلة الى الله عز وجل والسعادة الابدية والجسم هو المباشر لها والروح بوساطته فلا بدّ من الراحلة ان تشترط في هذا العمل الخاص بهذه الصورة واما الزاد فمن اعتبر فيه الزيادة وهو السبب الذي بوجوده يكون التغذي الذي تكون عنه القوّة التي بها تحصل هذه الافعال فبأيّ شئ حصلت تلك القوّة سواء بذاتها أو عنده هذا الزائد المسمى زادا الا ان الله زاده في الحجاب ولهذا تعلقت به النفس في تحصيل القوّة وسكنت عند وجوده واطمأنت واحتجبت عن الله به وهي مسرورة بوجوده هذا الحجاب لما حصل لها من السكون به اذ كانت الحركة متعبة ظاهرا او باطنا واذا فقد الزاد تشوّش باطنه واضطرب طبعا ونفسا وتقلق عند فقد هذا السبب المسمى زادا او زال عنه ذلك السكون والطمأنينة فكل ما يؤديه الى السكون فهو زاد وهو حجاب أثبته الحق بالفعل وقرّره الشرع بالحكم فيقوى أساسه فلهذا كان أثر الاسباب أقوى من التجرّد عنها لان التجرد عنها خلاف الحكمة والاعتماد عليها خلاف العلم فينبغي للانسان ان يكون مثبتا لها فاعلا بها غير معتمد عليها وذلك هو القويّ من الرجال ولكن لا يكون له مقام هذه القوّة من الاعتماد أن تؤثر فيه الاسباب الا بعد حصول الابتلاء بالتجريد عن الاسباب المعتادة وطرحها من ظاهره والاشتغال بها فاذا حصلت له هذه القوّة الاولى حينئذ ينتقل الى القوّة الاخرى التي لا يؤثر فيها عمل الاسباب واما قبل ذلك فغير مسلم للعبد القول به وهذا هو علم الذوق وحاله والعالم الذي يجد الاضطراب وعدم السكون فليس ذلك العلم هو المطلوب والمتكلم عليه فانه غير معتبر بل اذا أمعنت النظر في تحقيقه وجدته ليس بعلم ولا اعتقاد فلهذا الأثر له ولا حكم في هذه القوّة المطلوبة التي حصلت عن علم الذوق والحال وهذا هو مرض النفس واما وجود الاحساس بالآلام الحسية من جوع وتعب فذلك لا يقدح فانه أمر يقتضيه الطبع ليس للنفس فيه تعمل وليس بألم نفسيّ

﴿وصل في الاستطاعة بالنيابة مع العجز عن المباشرة﴾

فمن قائل بلزوم النيابة ومنهم من قال لا يلزم مع العجز عن المباشرة وقد ثبت شرعا عندنا الامر بالحج عمن لا يستطيع لوليه أو بالاجارة عليه من ماله ان كان ذا مال وسيأتي تفصيل ذلك ان شاء الله • فاعلم ان النيابة صحيحة فان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فناب منابه في ذلك القول وقال فأجره حتى يسمع كلام الله فناب الرسول صلى الله عليه وسلم مناب الحق لو باشر الكلام منه بلا واسطة وقال في النيابة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض وقال في العموم وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والاستخلاف نيابة فان المال لله والتصرّف لك فيه على حدّ من استخلفك فيه فهذا كله نيابة العبد عن الله في الامور واما نيابة الحق عن العبد فقوله تعالى لبني اسرائيل ان لا تتخذوا من دوني وكيلا وقال آمرا لا اله الا هو فاتخذه وكيلا وقال صلى الله عليه وسلم مخاطب ربه اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والوكالة نيابة عن الموكل فيما وكله فيه ان يقوم مقامه فانبت لك الشئ وسألك ان تستنيبه فيه بحكم الوكالة فمن كل وجه النيابة مشروعة وهل تصح من جهة الحقيقة أم لا فمنا من يقول انها تصح من جهة الحقيقة فان الاموال ما خلقت الا لنا اذ لا حاجة لله اليها فهي لنا حقيقة ثم وكلنا الحق تعالى ان يتصرّف لنا فيها لعلمنا انه أعلم بالمصلحة فتصرّف على وجه الحكمة التي تقتضي ان تعود على الموكل منه منفعة فأتلف ماله هذا الوكيل الحق تعالى بغرق أو حرق أو خسف أو ما شاء تجارة له ليكسبه بذلك في الدار الآخرة أكثر مما قيل انه في ظاهر الامر اتلاف وما هو اتلاف بل هي تجارة بيع بنسيئة يسمى مثل هذه التجارة رزءا لكن ربحها عظيم وهذا علم يعرفه الوكيل لا الموكل وهو يحفظ عليه ماله المصلحة أخرى يقتضيها علمه فيها ومنا من وكل الله فاستخلفه الوكيل في التصرّف على حدّ ما رسمه الوكيل لعلم الوكيل بالمصلحة فصار الموكل وكيلا عن وكيله وهو الذي لا يتعدّى الامر المشروع في تصرّفه فهو وان كان المال له فالتصرّف فيه بحكم وكيله وهذا نظر غريب ومنا من قال لا تصح من جهة الحقيقة فان الله ما خلق الاشياء والاموال من الاشياء الا له تعالى لتسبيحه ووقعت المنفعة لنا بحكم التبعية ولهذا قال وان من شئ الا يسبح بحمده فاذا

خلق الأشياء من أجله لا من أجلنا فالناشئ نوكاه فيه لكن نحن وكلاؤه فى الاشياء فحدّ لنا حدودا فنتصرّف فيها على ما حدّ لنا فان زدنا على مارسم لنا أو نقصنا عاقبنا فلو كانت الاموال لنا لكان تصرّفنا فيها مطلقا وما وقع الامر هكذا بل حجر علينا التصرّف فيها فما هى وكالة مفوّضة بل مقيدة بوجوه مخصوصة من رب المال الذى هو الحق الموكل وعلى كل وجه فالنيابة حاصلة امامنه تعالى واما منا وقد ثبتت فى أى طرف كان انتهى الجزء الثانى والستون

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿وصل فى فصل صفة النائب فى الحج﴾

اختلف علماء الرسوم سواء كان المحجوج عنه حيا أو ميتا هل من شرطه ان يكون قد حج عن نفسه أم لا فمن قائل ليس من شرطه ان يكون قد حج عن نفسه وان كان قد حج عن نفسه فهو أفضل ومن قائل ان من شرطه ان يكون قد قضى فريضته وبه أقول * اعلم انه من رأى ان الايثار يصح فى هذا الطريق قال لا يشترط فيه ان يكون قد حج عن نفسه وألحق ذلك بالفتوة حيث نفع غيره وسعى فى حقه قبل سعيه فى حق نفسه فله ذلك ولا سيما ان رأى ان مثل هذا الفعل هو فى حق نفسه لما له فى الايثار من الاجر فما آثر الا نفسه ومن رأى ان حق نفسه أوجب عليه من حق غيره وعامل نفسه معاملة الاجنبى وانها الجار الأحق فهو بمنزلة من قال لا يحج عن غيره حتى يكون قد حج عن نفسه وهو الاولى فى الاتباع وهو المرجوع اليه لانه الحقيقة وذلك انه ان سعى أوّلا فى حق نفسه فهو الاولى بلا خلاف وان سعى فى حق غيره فان سعيه فيه انما هو فى حق نفسه فانه الذى يجنى ثمرة ذلك بالثناء عليه والثواب فيه فلنفسه سعى فى الحالتين ولكن يسمى بسعيه فى حق غيره مؤثر التركه فيما يظهر حق نفسه لحق غيره الواجب على ذلك الغير لا عليه فانه فى هذا أدّى ما لا يجب عليه وجزاء الواجب أعلى من جزاء غير الواجب لاستيفاء عين العبودية فى الواجب وفى الآخر رفعة وامتنان حالى على المتفق عليه فهو قائم فى حق الغير بصفة الهية لان لها الامتنان وهو فى قيام حق نفسه من طريق الوجوب تقيمه صفة عبودية محضة وهو المطلوب الصحيح من العبد الذى يضيف الفعل المذموم والمكروه فى الطبع والعادة والعرف الى نفسه ايثارا منه لجناب ربه حتى لا ينسب اليه ما جرى عليه لسان ذم كالذنب ولسان كراهة الطبع كالمرض وسائر العيوب غيرة على ذلك الجناب الالهى وفداء له بنفسه وكذلك لو وقى عرض أخيه بعرضه كالمؤمن مع المؤمن ووقى ضررا كبيرا من نبىّ ورسول بنفسه كان أعلى ممن لم يفعل ذلك وآثر نفسه وهذا يرجع الى قدر من آثرته على نفسك فمن راعى الايثار والفتوة عمم ومن راعى من آثرته قسم الامر الى ما ذكرناه فهو بحسب ما يقام فيه ويخطر له هذا كله ما لم يقع فيه اجارة فان وقعت النيابة باجارة فلها حكم آخر

﴿وصل فى الرجل يؤاجر نفسه فى الحج﴾

فكرهه قوم مع الجواز ومنعه قوم العمل يقتضى الاجرة لذاته وهى العوض فى مقابلة ما أعطى من نفسه وما بقى الا من تؤخذ فمن قال لا يأخذ من الله تعالى لانه المستخدم لنا فى ذلك العمل فالاجرة عليه ما من نبىّ ولا رسول الا قد قال اذ قيل له قل فأمر فقال ما أسألكم عليه من أجر يعنى فى التبليغ ان أجرى الا على الله فأخرجوا عن الاجرة والتبليغ عن الله من أفضل القرب الى الله وان الله استخدمه فى التبليغ مع كونه عبدا فتعينت عليه الاجرة سبحانه بتعيينه عوضا عما أعطاه من نفسه فيما استخدمه فيه وترك مباحه الذى هو له وتخييره ومن رأى ان العوض انما يستحقه من وقعت له المنفعة فى ذلك التبليغ طلب الاجرة من المتعلم لان المنفعة هو حصلها فالعوض يطلب منه فموضع الاجماع ثبوت الاجارة لان المانع لا يمنعها وانما يمنعها الخلق من جانب الحق غيرة ان يعبد لامر لا لعينه لما فى ذلك من عدم تعظيم الجناب الالهى وهذا موجود كثير مثل النهى ان يفرد يوم الجمعة بصيام لعينه وكذلك قيام ليلتها وكذلك من يستحسن فعل عبادة بموضع يستحسنه وليس هذا من شأن القوم فانهم قد أدركوا حرمان ذلك ذوقا وخسرانه * مرّ رجل من القوم مع جماعة ممن سخر لهم الهواء وهم يسيرون فيه فالتفت واحد منهم فى طريقه فنظر الى الارض واذاهم قد جازوا

بقعة خضراء فيها عين خرارة فاستحسن ذلك طبعا فخطر له لو ركع فيها ركعتين فسقط من بين الجماعة ومارجع بعد ذلك الى تلك الحالة لانه ماطلب العبادة لما يستحقه الحق وانما كان الباعث لذلك الطلب الطبع فى ذلك المكان لحسنه طبعا فعوقب فمن رأى هذا قال لا أجرة الا من الله اذ العمل بذاته يطلب الاجرة ولا بد

﴿وصل فى فصل حج العبد﴾

فمن قائل بوجوبه عليه ومن قائل لا يجب عليه حتى يعتق وبالاول أقول وان منعه سيده مع القدرة على تركه لذلك كان السيد عند نامن الذين يصدّون عن سبيل الله كان أحمد بن حنبل فى حال سجنه أيام المحنة اذا سمع النداء للجمعة توضأ وخرج الى باب السجن فاذا منعه السجان ورده قام له العذر بالمانع من أداء ما وجب عليه وهكذا العبد فانه من جملة الناس المذكورين فى الآية اعلم ان من استرقه الكون فلا يخلو اما ان استرقه بحكم مشروع كالسعى فى حق الغير والسعى فى شكر من أنعم عليه من المخلوقين نعمة استرقه بها فهذا عبد لا يجب عليه الحق فانه فى أداء واجب حق مشروع يطلبه به ذلك الزمان وهو عند الله عبد لغير الله عن أمر الله لاداء حق الله وان كان استرقه غرض نفسى وهوى كانى ليس للحق المشروع فيه مراعاة وجب عليه اجابة الحق فيما دعاه الله من الحج اليه فى ذلك الفعل فاذا نظر الى وجه الحق فى ذلك الغرض كان ذلك عتقه فوجب الحج عليه وان غاب عنه ذلك لغفلة لم يجب عليه وكان عاصيا لمعرفته بأن الله خاطبه بالحج مطلقا وان كان مشهده فى ذلك الوقت انه مظهر والمخاطب بالحج الظاهر فيه وليس عينه لم يوجب الحج عليه وهذا هو العبد الخاص لله وهذه عبودة لا عتق فيها ألا ترى ان الشارع قد قال فى الصبى يحج والعبد يحج قبل ان يعتق ثم يموت قبل العتق ويموت الصبى قبل البلوغ ان ذلك الحج يكتب له عن فريضته وذلك لانه خرج بالموت عن رق الغير فعتق بالموت وحينئذ كتب له ذلك الحج باداء واجب وان كان فعله فى غير زمان الوجوب على من يقول بذلك

﴿وصل فى فصل هذه العبادة هل هى على الفور أو على التراخى والتوسعة﴾

فمن قائل على الفور ومن قائل على التراخى وبالفور أقول عند الاستطاعة الاسماء الالهية على قسمين فى الحكم فى العالم من الاسماء من يتمادى حكمه ماشاء الله ويطول فاذا نسبته من أوله الى آخره قلت بالتوسع والتراخى كالواجب الموسع بالزمان فكل واجب توقعه فى الزمان الموسع فهو زمانه سواء أوقعته فى أول الزمان أو فى آخره أو فيما بينهما فان الكل زمانه وأديت واجبا فاستصحاب حكم الاسم الالهى على المحكوم عليه موسع كالعلم فى استصحابه للمعلومات وكالمشيئة وهكذا المكلف ان شاء فعل فى أول وان شاء فعل فى آخر ولا يقال ههنا وان شاء لم يفعل لان حقيقة فصل أثر وحقيقة لم يفعل استصحاب الاصل فلا أثر فلم يكن للمشيئة هنا حكم عيانى ومن الاسماء من لا يتمادى حكمه كالموجد فهو بمنزلة من هو على الفور فاذا وقع لم يبق له حكم فيه فانه تعالى اذا أراد شيأ أن يقول له كن على الفور من غير تراخ فان الموجد ناظر الى تعلق الارادة بالكون فاذا رأى حكمها قد تعلق بالتعيين أوجد على الفور مثل الاستطاعة اذا حصلت تعين الحج

﴿وصل فى فصل وجوب الحج على المرأة وهل من شرط وجوبه أن يسافر معها زوج أو ذو محرم أم لا﴾

فقيل ليس من شرط الوجوب ذلك وقيل من شرطه وجود المحرم ومطاوعته النفس تريد الحج الى الله وهو النظر فى معرفة الله من طريق الشهود فهل يدخل المريد الى ذلك بنفسه أولا يدخل الى ذلك الا بمرشد والمرشد أحد شخصين اماعقل وافر وهو بمنزلة الزوج للمرأة واما عالم بالشرع وهو ذو المحرم فالجواب لا يخلو هذا الطالب ان يكون مرادا مجذوبا أولا يكون فان كان مجذوبا فالعناية الالهية تصحبه فلا يحتاج الى مرشد من جنسه وهو نادر وان لم يكن مجذوبا فانه لا بد من الدخول على يد موقف اماعقل أو شرع فان كان طالبا المعرفة الاولى فلا بد من العقل بالوجوب الشرعى وان طلب المعرفة الثانية فلا بد من الشرع بأخذ بيده فى ذلك فبالمعرفة الاولى يثبت الشرع عنده وبالمعرفة الثانية يثبت الحق عنده ويزيل عنه من أحكام المعرفة الاولى العقلية نصفها ويثبت له نصفها فالعقل مع الشرع فى هذه المسئلة كملك ولى فى ملكه نائبا وأيده وقواه واحتجب الملك عن رعاياه وتحكم النائب واستفحل فلما قوى

واستحكم وانصبت اليه قلوب الرعايا وأحبتـه وملكها باحسانه تقوى على الملك وعزله وخلعه على غـير علم من الرعايا فقال له الملك اذ خلعتني فلا تظهر للرعيـة انك خلعتني فتنسب الى قلة المروءة حيث وليتك على علم منهـم فجازيتني بالاساءة فربما يتطرق اليك الذم فلا تفعل وانى قد عهـدت الى الرعية عنـد ما وليتك واستنبتك ان يسـمعوا لك ويطيعوا وجعلت لك النظر فيهم بما تراه وقلت لهم ان جميع ما يأمرهم هـذا النائب فاعملوا به سواء خالف نظري ورأيي أو وافقه فاني قد علمت انه ما يأمركم الا بما فيه صلاحكم فقد مشيت لك مرادك في الملك فانك تحتاج الى في أوقات فانهم لولا اني آمرهم من حيث لا تشـعر ما أطاعوك وردّوا أمرك فليس لك مصلحة في اظهار خلعي وعزلي فانهـم ان صح عندهم عزلي لم يقبلوا منك وعزلوك ولم يسمعوا لك ولا أطاعوا فهـذا مثل العقل الذي أعطى المعرفة الاولى وهو الملك والشرع مثله مثل النائب وما خاطب الشارع الا يسمع ولا يسمع منه الا ذو عقل فبالعقل الذي ولا به يسمع المكلف خطابه لانه اذا زال العقل سقط التكليف ولم يبق للشرع عليه سلطان ولا حجة فاولو الالباب والنهى هم المخاطبون وهذا هو عين أمداد الملك للرعايا الذي أوصاه بحفظه عليهم فافهم فهذه المعرفة الثانية بالله الذي أعطاها النائب في العامة والملك الذي هو العقل لا يعرفها ولـكن أمر بقبولها حتى لا ينسب الى التقصير ولا يتحدث عنه انه عزل والملك تأول من العقلاء من تأول ما جاءت به الشريعة مما يخالف نظر العقل وسلمه آخرون فلم يقولوا فيه بشئ فانهـم قالوا قد تقرر عندنا من الملك الذي هو أولانا ان نسـمع له ونطيع على كل حال فلا نسفه رأي العقل في توليته الشرع واستنابته وهكذا وقعت صورة الحال لمن نظر واستبصر فهذا اعتبار المرأة في السفر الى الحج وما فيه من الخلاف الذي تقـدّم في وجوب ذي المحرم أو سقوطه

﴿وصل في فصل وجوب العمرة﴾

فمن قائل بوجوبها ومن قائل انها سنة ومن قائل انها تطوّع فالعمرة الزيارة للحق بعد معرفته بالامور المشروعة فاذا أراد أن يناجيه فلا يتمكن له ذلك الا بأن يزوره في بيته وهو كل موضع تصح فيه الصلاة فيميل اليه بالصـلاة فيناجيه لان الزيارة الميل ومنـه الزور وزار فلان القوم اذا مال اليهم وكذلك اذا أراد أن يزوره بخلعته تلبس بالصوم وتجمل به ليدخل به عليه واذا أراد أن يزوره بعبوديته تلبس بالحج فالزيارة لابد منها والعمرة واجبـة في أداء الفرائض سـنة في الرغائب تطوّع في النوافل غير المنطوق بها في الشرع فأيّ جانب حكم عليك بما ذكرناه حكمت على العـمرة به من وجوب أو سنة أو تطوّع فافهم

﴿وصل في فصل في المواقيت المكانية للاحرام﴾

وهي أربعة بالاتفاق وخمسة باختلاف ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق وهو المختلف فيـه أعني ذات عرق هل وقته رسول الله صـلى الله عليه وسلم أو عمر بن الخطاب وقيل العقيق وجعلوه أحوط من ذات عرق فكان سادسا بخلاف فأشبه عدد المواقيت أعداد الصـلوات فمن جعلها أربعة اعتبر أن المغرب وتر صلاة النهار فـكأنه جيء بها لغيرها لا لنفسـها كما في صلوات الفرض ومن اعتبر الفرضـية في الجميع قال خمسة ومن اعتبر قوله عليه السلام ان الله زادكم صلاة الى صلاتكم قال بوجوب الوتر لان كل فرض واجب فاجتمع الوتر مع الخمس الصلوات المفروضة بالقطع في الوجوب لا في الفرضية فارتفع عن درجة التطوّع وبما يقوى وجوبه تشبيهه بصلاة المغرب فقال في الوتر انه صلاة الليل فيقوى تشبيهه بالفرض في المغرب حيث جعل وتر الصلاة النهار وضعف المغرب عن باقي الصلوات المفروضة لسكون الوتر الذي ليس بفرض بالاتفاق شبه به فعين ما يقوى به الوتر هو الذي أضعف المغرب والصلاة نور والحج عبودية فارتبطا فان الله قسم الصلاة بينه وبين العبد والمواقيت مكانية ومواقيت الفرائض الجماعة في المساجد

﴿وصل في فصل حكم هذه المواقيت﴾

فمن مر عليها وهو يريد الحج والعمرة وتعداها ولم يحرم منها فان عليـه دما وقال قوم لا دم عليـه والذين قالوا بالدم فيهم من قال ان رجع الى الميقات وأحرم سقط عنه الدم ومنهم من قال لا يسقط وان رجع وقال قوم ان لم يرجع الى الميقات فسد

حجه اذا تعين الدم فلا يسقط عمن تعين عليه لما تعين ذبح ولد ابراهيم الخليل على ابراهيم لم يسقط عنه الدم أصلا ففداه الله بذبح عظيم وهو الكبش حيث جعل بدل افساد بنية نبيّ مكرّم فحصل الدم لانه وجب و بعد أن وجب فلا يرتفع فصارت صورة ولد ابراهيم صورة كبش كسوق الجنة يدخل فى أيّ صور شاء فذبحت صورة الكبش وليس ولد ابراهيم صورة الانسان وهذا سبب العقيقة التى كل انسان مرهون بعقيقته ﴿حكاية شهدناها﴾ قيل لبعض شيوخنا عن بنت من بنات الملوك ممن كان الناس ينتفعون بها وكان لها اعتقاد فى هذا الشيخ فوجهت اليه ليدخل عليها فدخل عليها وأبوها الملك الذى هو زوجها عنده فقام اليه السلطان اجلالا ثم نظر اليها الشيخ وهى فى النزع فقال الشيخ ادركوها قبل أن تقضى قال له الملك بماذا قال بديتها اشترها بديتها كاملة فتوقف النزع والكرب الذى كانت فيه وفتحت عينيها وسلمت على الشيخ فقال لها الشيخ لا بأس عليك ولكن ثم دقيقة بعد أن حل الموت لا يمكن أن يرجع خائبا فلا بد له من أثر ونحن قد أخذناك من يده وهو يطالبنا بحقه فلا ينصرف الا بروح مقبوضة وأنت اذا عشت انتفع بك الناس وأنت عظيمة القدر فلا نفديك الا بعظيم ما عندى من هذا الموت ولى بنت هى أحب البنات الى أنا أفديك بها ثم ردّ وجهه الى ملك الموت وقال له لا بد من روح ترجع بها الى ربك هذه بنتى تعلم محبتى فيها خذ روحها بدلا من هذه الروح فانى قد اشتريتها من الحق وباعنى اياها وابنتى جعلك وحق لمجيئك ثم قام وخرج الى ابنته وقال لابنته ومابها بأس يا بنية هبينى نفسك فانك لا تقومين للناس مقام زينب بنت أمير المؤمنين فى المنفعة فقالت يا أبت أنا بحكمك قد وهبتك نفسى فقال للموت خذها فماتت من وقتها فهذه عين مسئلة الخليل وولده صلى الله عليهما فهذه الموازنات الالهية لا يعرفها الا أهلها وعندنا ان الجعل لا بد منه ولا تلتزم أخذ روح ولا بد فانا قد رأينا مثل هذا من نفوسنا فاشتريناه وما أعطينا فيه روحا وانما فعل ذلك الشيخ لحال طرأ عليه فى نفسه أوجب عليه ما فعله من اعطاء ابنته لان مشهده فى ذلك الوقت كانت قصة ابراهيم عليه السلام فحكم عليه حال ابراهيم عليه السلام فان فهمت ما قلناه سعدت قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعدا عليه حقا يعنى الجنة فلو لم يشتر أموالهم حتى حال بينهم و بينها لكان لهم ما يصلون به الى المنعة ببقاء الحياة لبقاء الفداء الحاصل بالمال فلما أفلسهم أعدمهم فكان مشهد الشيخ من هذه الآية فيقتلون و يقتلون وكان مشهدنا نحن فى هذه المسئلة عين الشراء لا غير وهو الحى فمن كان عنده حى ولا بد فأعطينا العوض الذى اشتريناه به حياته فبقى حيا وما ظهر للموت أثر فى ذلك المشهد فهذه آثار الاحوال على قدر الشهود وهى علوم الاذواق فهى عزيزة المنال فما كل عارف يعرفها وهى موازين لا تخطى فانها بالوضع الالهىّ نزلت ليوم القيامة بخلاف نزولها فى الدنيا فانها نزلت تعريفا وعند أهل الشهود فى الدنيا كالانبياء وفى يوم القيامة نزلت حقيقة بيد حق فلذلك ما جار نبيّ فى حكم وفرضت له العصمة فى أحكامه وكذلك الولى محفوظ فى ميزانه وان كانت العامة تنسبه الى الجور فليس جورا فى نفس الامر وانما هو جور بالنظر الى موازينهم حيث لم يوافقها وكل حق فانه ثم ميزان عموم كميزان الاجماع وميزان خصوص مثل هذا الميزان وميزان المجتهد فى الحكم ولكن بقى أى ميزان أفضل فى الخصوص هل هو ميزان المجتهد أو ميزان صاحب الكشف كما اختلفوا فى احرام الرجل من الميقات أو من منزله الخارج عن الميقات فمن قائل ان الاحرام من منزله الخارج عن الميقات أفضل ومن قائل ان الاحرام من الميقات أفضل ولكن على من يجيز الاحرام قبل الميقات فمن راعى الاتباع فضل الميقات ومن راعى المسارعة الى التلبس بالعبادات مخافة الفوت فضل الاحرام من المنزل الذى خارج الميقات لكن المجمع عليه الميقات وهو تقييد والافضل التقييد فى الدين فان المباح الذى هو المطلق لا أجر فيه ولا وزر والعبادات تكليف والتكليف تقييد وجزاء تقييد الواجب أوجبه من أوجبه أعلى من الجزاء فى الغير المقيد لانه قد ورد أن الله يقول ما تقرب أحد بأحب الىّ من تقربه بما افترضت عليه فجعله أحب اليه من غير ذلك وهنا أسرار الهية لا تنجلى الا لاهل الفهم عن الله أهل الستر والكتم جعلنا الله منهم وأرجو أن أكون

﴿وصل فى فصل حكم من مر على ميقات وأمامه ميقات آخر وهو يريد الحج أو العمرة﴾

اختلف الناس فيمن يريد الحج أو العمرة فعير على ميقات وأمامه ميقات آخر فلم يحرم في الاول وتعدى الى الآخر كالمار بذي الحليفة فلم يحرم وتعدى الى الجحفة فانها في طريقه فقال قوم عليه دم وقال قوم ليس عليه شئ فمن راعى المسارعة الى التلبس بالعبادة أعني بهذه العبادة الخاصة ورأى ان المسارعة الى الخيرات سنة مؤكدة قال ان عليه دما في تعديها ومن رأى ان الاصل في الدين رفع الحرج وقول الله تعالى يريد الله بكم اليسر فارادة موافقة الحق فيما أراده أولى وكل عبادة فأ خر وقال لادم عليه فالعارف اذا كان مشهده الاسم الاول المقيد بالآخر لا الاول المطلق الذي لا يتقيد بالآخر رأى ان التلبس بالعبادة في الآخر الذي لا يجوز تعديه ولا فسحة فيه أولى فانه فيه صاحب فرض من كل وجه لا يسعه تركه ومن رأى ان التلبس بهذه العبادة بحكم الاسم الاول أولى فكونه لا علم له باتمامها فلا يدري هل يموت قبل أن يتلقاه الاسم الآخر فان لم يحرم فارق موطن التكليف وهو لم يتلبس بعبادة الله اقتضاها له الموطن فحرم تجليها الالهي فهو بحسب ما أشهده الحق وما خرج في هذا كله عن حكم اسم الهي من الاسماء على شهود منه فان قيل كيف يتعداه غير متلبس بهذه العبادة والميقات يقضي عليه بسلطانه وهو الاسم الاول قلنا لا حكم للاسماء في الاشياء الا باستعدادات الاشياء للقبول وقبولها بحسب الحال التي تكون عليها في نفسها من ذاتها فان الاسباب الخارجة الموجبة لامر ما تضعف عن مقاومة الاسباب الداخلة التي في المكلف فربما يكون حال هذا المتعدي حال الختم فيطلبه بالتأخير فيعرف ذلك الاسم الاول فيضعف موطن ميقاته عن التأثير فيه لانه ليس عين مشهده فيتعدى الى الميقات الثاني لان له الاسم الآخر ولا شك ان الآخر في الطريق يتضمن حكمه ما تقدمه مضافا الى خصوصيته بخلاف الاول فالاول يدرج في الثاني وليس الثاني مدرجا في الاول ومن أصول القوم ان العارف لو جلس مع الله كذا وكذا سنة وفاتته لحظة من الله في وقته كان الذي فاته في تلك اللحظة أكثر مما ناله قبل ذلك وسببه ان كل لحظة الهية متأخرة تتضمن ما تقدمها من اللحظات وفيها خصوصيتها التي بها تميزت وبتلك الخصوصية صحت لها الكثرة على ما تقدمها فلهذا المريد بالتعدي بأسا محمد صلى الله عليه وسلم آخر المرسلين فحصل جميع مقامات الرسل وزاد بخصوصيته بلا شك لانه آخر النبيين وفي هذا اشارة لمن فهم فان قيل اذا تلبس بالعبادة أولا ومر على الآخر وهو متلبس فقد حصل له ما في الآخر بمروره متلبسا بها قلنا هكذا هو الا انه لم يحصل له في الثاني الحكم الخاص بالثاني الذي هو الانشاء منه وهو أوليته فيفوته أولية الانشاء منه لهذه العبادة بالاسم الآخر فلهذا تعدى اليه قال السائل كذلك أيضا يفوته أولية الاول في الانشاء قلنا ان كل أولية مضافة تحكم عليها حقيقة الاولية التي لا تضاف وهي المعتبرة فما فاته ما يتحسر عليه اذ حقيقتها موجودة في أولية الآخر والآخر لا وجود له في الاول ومن نظر في الاسماء بهذه العين علم كيف يقبل تصريفها فيه ويعين لها من ذاته ما يليق بها على شهود منه وبينة وعلم صحيح وبهذا يتميز لانه في نفس الامر كذا هو ما يتلقاه منه الا ما يليق به ولكن لا علم لكل أحد بذلك وبهذا تتفاوت الناس ويرفع الله درجات بعضهم على بعض ويعلم أيضا كيف يصرفها في غيره اذا أمكنته من نفسها أو مكنته منها حاله لانه ليس في الحقيقة أن يقوم بك العلم ولا تكون عالما فهذا هو التمكن الحالي الذي تقتضيه ذاته ولا يصح غيره لان المعاني توجب أحكامها لمن قامت به ولولا ذلك ما صح وجود العالم عن الحق ألا ترى ان المحال لما لم يكن في استعداده قبول ما يقبله الممكن من الوجود لم يكن له وجود ولا يصح كالشريك لله تعالى في ألوهيته ولما كان الممكن في استعداده الذاتي قبول الايجاد وجد فلا نغب عن حقائق الامور فانها تتداخل في حكم الناظر فيها الا في نفسها ومن غاب عن الحقائق هوى في مهاوي الجهالات ويفوته درجة العلم الذي أمر الله نبيه بطلب الزيادة منه فلا شئ أشرف من العلم ولم يأمر بطلب زيادة في غيره من الصفات لانه الصفة العامة التي لها الاحاطة بكل صفة وموصوف

﴿وصل في فصل الافاقي يمر على الميقات يريد مكة ولا يريد الحج ولا العمرة﴾

اختلف العلماء فيمن ليس من أهل مكة يريد مكة ولا يريد حجا ولا عمرة ومر على ميقات من المواقيت هل يلزمه الاحرام أم لا اذا لم يكن ممن يكثر التردد الى مكة فقال قوم يلزمه الاحرام وقال قوم لا يلزمه الاحرام وبه أقول

* رجال الله على نوعين * رجال يرون انهم مسيرون ورجال يرون انهم يسيرون فمن رأى انه مسير لزمه الاحرام

على كل حال فانه مسير على كل حال ومن رأى انه يسير لا غير فهو بحكم ما بعثه على السير فان كان بعثه باعث يقتضى الاحرام أحرم فانه كمن أراد الحج أو العمرة أو هما معا وان كان باعثه غير ذلك فهو بحسب باعثه كما قاله صلى الله عليه وسلم لمن أراد الحج والعمرة وقال صلى الله عليه وسلم فى الصحيح أيضا انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فليس له أن يحرم وهو لم ينو حجا ولا عمرة وما عندنا شرع يوجب علينا أن ننوى الحج أو العمرة ولا بد ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لناما أرادوا ماحجر ولا ذم فقال فمن كانت هجرته الى الله و رسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه

﴿وصل فى فصل ميقات الزمان﴾

يقول الله تعالى الحج أشهر معلومات فمن قائل هى شوّال وذو القعدة وذو الحجة و به أقول ومن قائل شوّال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة ومن قائل فى أىّ وقت شاء من السنة وكذلك العمرة فى أىّ وقت شاء من السنة وكرهها بعضهم فى يوم عرفة و يوم النحر وأيام التشريق واختلفوا فى تكرارها فى السنة الواحدة فمنهم من استحب عمرة فى كل سنة وكره ما زاد على ذلك ومنهم من قال لا كراهة فى ذلك و به أقول اعلم أن الميقات الزمانى انما عينه الاسم الالهى "الدهر" واعلم أنّ الزمان منه ما هو فوق الطبيعة وهو مذهب المتكلمين ومنه ما هو تحت الطبيعة فله الحكم العام" فالذى له من الحكم تحت الطبيعة حكم جسمانى "يتميز بحركات الافلاك والزمان فى نفسه معقول والطريق الى معقوليته الوهم فهو امتداد متوهم تقطعه حركات الافلاك كالخلاء امتداد متوهم لا فى جسم فحاصله على هذا القول انه عدم لا وجود وأمّا الزمان الذى فوق الطبيعة فتميزه الاحوال وتعينه فى أمر وجودى" يلقيه الى العقل الاسم الدهر وتصحبه لفظة متى فى لسان العرب فتى يصحب الزمان الطبيعى" وغير الطبيعى" وقد وقع فى الامور والنسب الالهية والزمانية نسبة الزمان والمكان وهما ظرفان ففى المكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للسوداء أين الله وقوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام فذكر اعتقادهم وما جرّح وما صوّب ولا أنكر ولا عرّف ومثل هذا فى الشرع كثير وفى الزمان قوله سنفرغ لكم أيه الثقلان ولله الامر من قبل ومن بعد وقد ورد فى الصحيح لا تسبوا الدهر فانّ الله هو الدهر تنزيها لهذه اللفظة أى انها من الالفاظ المشتركة كالعين والمشترى فالدهر الزمانى مظهر للاسم الدهر والاسم بالفعل هو الظاهر فيه والفعل فى الكون للظاهر لا للمظهر وحكم المظهر انما هو فى الظاهر حيث سماه بنفسه وهذا تأوله من تأوله فقال معناه انه الفاعل فى الدهر وهذا خطأ بين لانه لم يفرق بين الفعل من حيث نسبته الى الفاعل ونسبته الى المفعول فالحق فاعل والمفعول واقع فى الدهر والفعل حال بين الفاعل والمفعول ولم يفرق هذا المتأول بين الفاعل والمفعول فهلا سلم علم ذلك لقائله وهو الله تعالى ولا تأوله تأول من لا يعرف ما يستحقه جلال الله من التعظيم

﴿وصل فى فصل الاحرام﴾

وهو أوّل التلبس بهذه العبادة ﴿حكاية الشبلى فى ذلك﴾ قال صاحب الشبلى وهو صاحب الحكاية عن نفسه قال لى الشبلى عقدت الحج قال فقلت نعم فقال لى فسخت بعقدك كل عقد عقدته منذ خلقت مما يضاد ذلك العقد فقلت لا فقال لى ما عقدت ثم قال لى نزعت ثيابك قلت نعم فقال لى تجردت من كل شئ فقلت لا فقال لى ما نزعت ثم قال لى تطهرت قلت نعم فقال لى زال عنك كل علة بطهرك قلت لا قال ما تطهرت ثم قال لى لبيت قلت نعم فقال لى وجدت جواب التلبية بتلبيتك مثله قلت لا فقال ما لبيت ثم قال لى دخلت الحرم قلت نعم قال اعتقدت فى دخولك الحرم ترك كل محرم قلت لا قال ما دخلت ثم قال لى أشرفت على مكة قلت نعم قال أشرف عليك حال من الحق لاشرافك على مكة قلت لا قال ما أشرفت على مكة ثم قال لى دخلت المسجد قلت نعم قال دخلت فى قربه من حيث علمت قلت لا قال ما دخلت المسجد ثم قال لى رأيت الكعبة فقلت نعم فقال رأيت ما قصدت له فقلت لا قال ما رأيت الكعبة ثم قال لى رملت ثلاثا ومشيت أربعا فقلت نعم فقال هربت من الدنيا هربا علمت أنك قد فاصلتها وانقطعت عنها وجدت بمشيك الاربعة أمنا مما هربت منه فازددت لله شكرا لذلك فقلت لا قال ما رملت ثم قال لى صافحت الحجر وقبلته قلت نعم فزعق زعقة وقال

ويحك انه قد قيل ان من صافح الحجر فقد صافح الحق سبحانه وتعالى ومن صافح الحق سبحانه وتعالى فهو في محل الامن أظهر عليك أثر الامن قلت لا قال ما صافحت ثم قال لي وقفت الوقفة بين يدي الله تعالى خلف المقام وصليت ركعتين قلت نعم قال وقفت على مكانتك من ربك فأديت قصدك قلت لا قال فما صليت ثم قال لي خرجت الى الصفا فوقفت بها قلت نعم قال ايش عملت قلت كبرت سبعا وذكرت الحج وسألت الله القبول فقال لي كبرت بتكبير الملائكة ووجدت حقيقة تكبيرك في ذلك المكان قلت لا قال ما كبرت ثم قال لي نزلت من الصفا قلت نعم قال نزلت كل علة عنك حتى صفيت قلت لا فقال ما صعدت ولا نزلت ثم قال لي هرولت قلت نعم قال ففررت اليه وبرئت من فرارك ووصلت الى وجودك قلت لا قال ما هرولت ثم قال لي وصلت الى المروة قلت نعم قال رأيت السكينة على المروة فأخذتها أو نزلت عليك قلت لا قال ما وصلت الى المروة ثم قال لي خرجت الى منى قلت نعم قال تمنيت على الله غير الحال التي عصيته فيها قلت لا قال ما خرجت الى منى ثم قال لي دخلت مسجد الخيف قلت نعم قال خفت الله في دخولك وخروجك ووجدت من الخوف ما لا تجده الا فيه قلت لا قال ما دخلت مسجد الخيف ثم قال لي مضيت الى عرفات قلت نعم قال وقفت بها قلت نعم قال عرفت الحال التي خلقت من أجلها والحال التي تريدها والحال التي تصير اليها وعرفت المعرّف لك هذه الاحوال ورأيت المكان الذي اليه الاشارات فانه هو الذي نفس الانفاس في كل حال قلت لا قال ما وقفت بعرفات ثم قال لي نفرت الى المزدلفة قلت نعم قال رأيت المشعر الحرام قلت نعم قال ذكرت الله ذكرا أنساك ذكر ما سواه فاشتغلت به قلت لا قال ما وقفت بالمزدلفة ثم قال لي دخلت منى قلت نعم قال ذبحت قلت نعم قال نفسك قلت لا قال ما ذبحت ثم قال لي رميت قلت نعم قال رميت جهلك عنك بزيادة علم ظهر عليك قلت لا قال ما رميت ثم قال لي حلقت قلت نعم قال نقصت آمالك عنك قلت لا قال ما حلقت ثم قال لي زرت قلت نعم قال كوشفت بشيء من الحقائق أو رأيت زيادات الكرامات عليك للزيارة فان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحجاج والعمار زوار الله وحق على المزور أن يكرم زواره قلت لا قال ما زرت ثم قال لي أحللت قلت نعم قال عزمت على أكل الحلال قلت لا قال ما أحللت ثم قال لي ودّعت قلت نعم قال خرجت من نفسك وروحك بالكلية قلت لا قال ما ودّعت وعليك العود وانظر كيف تحج بعد هذا فقد عرّفتك واذا حججت فاجتهد أن تكون كما وصفت لك فاعلم أيدك الله اني ما سقت هذه الحكاية الا تنبيها وتذكرة واعلاما ان طريق أهل الله على هذا مضى حالهم فيه والشبلي هكذا كان ادراكه في حجه فانه ما سأل الا عن ذوقه هل أدركه غيره أم لا وغيره قد يدرك هذا وقد يدرك ما هو أعلى منه وأدون منه فما منهم الا من له مقام معلوم فما اخترعت في اعتباراتي في هذه العبادات طريقة لم أسبق اليها الا ان الاذواق تتفاوت بحسب ما تكون عناية الله بالعبد في ذلك ثم نرجع ونقول على نحو ما تقدم في الفصول ولنبتدئ أولا فيما يمنع المحرم ان يلبسه وهو القميص والعمامة والبرنس والخف الا ان لا يجد النعل والسراويل الا أن لا يجد الازار ولا ثوب امسه زعفران ولا ورس وفيما ذكرناه متفق عليه ومختلف فيه وفي التفصيل تفسير ان شاء الله وحال الرجل في هذا يخالف حال المرأة فان المرأة تلبس المخيط والخفاف والخمر وما للمرأة احرام الا في وجهها وكفيها وسبب هذا كله في هذه العبادة انهم وفد الله دعاهم الحق الى بيته وما دعاهم اليه سبحانه بمفارقة الاهل والوطن والعيش المترف وحلاهم بحلية الشعث والغبرة الا ابتلاء ليريهم من وقف مع عبوديته ممن لم يقف ولهذا أفعال الحج أكثرها تعبدات لا تعلل ولا يعرف لها معنى من طريق النظر لكن تنال بما من طريق الكشف والاخبار الالهي الوارد على قلوب الواردين العارفين من الوجه الخاص الذي لكل موجود من ربه فزينة الحاج تخالف زينة جميع العبادات فانهم وفد الله الحاج منهم والمعتمر وأعني من انفرد بالحج ومن انفرد بالعمرة فهما وفدان فالقارن بينهما له خصوص وصف لانه جامع لرتبة الوفدين لان وفود الله ثلاثة على ما ذكره النسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد الله ثلاثة الغازي والحج والمعتمر انتهى الجزء الثالث والستون

بسم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

واعلم أيضا أن المرأة انما خالفت الرجل فى أكثر الاحكام فى الحج لانها جزء منه وان اجتمعا فى الانسانية ولكن تميزا بأمر عارض عرض لهما وهو الذكورية للرجل والانوثة للمرأة وخلقت منفعلة عنه ليحن اليها حنين من ظهرت سيادته بها فهو يحبها محبة من أعطاه درجة السيادة وهي تحن اليه وتحبه حنين الجزء الى الكل وهو حنين الوطن لانه وطنها مع ما يضاف الى ذلك من كون كل واحد موضعا للشهوة والتذاذ وقد تبلغ المرأة فى الكمال درجة الرجال وقد ينزل الرجل فى النقص الى ما هو أقل من درجة النقص الذى للمرأة ويجتمعان فى أحكام من العبادات ويفترقان غير أن الغالب فضل عقل الرجل على عقل المرأة لانه عقل عن الله قبل عقل المرأة لانه تقدمها فى الوجود والامر الالهى لا يتكرر فالمشهد الذى حصل للمتقدم لا سبيل ان يحصل للمتأخر لما قلناه من انه تعالى لا يتجلى فى صورة مرتين ولا لشخصين فى صورة واحدة للتوسع الالهى وهذه هى الدرجة التى يزيد بها الرجل على المرأة وأين الكل من الجزء وان لحقه فى الكمال ولكنه كمال خاص كما لحق بعض أعضاء الانسان اذا قطع فى الدية نائب الانسان فى كمالها وبعض الاعضاء على النصف من ذلك وأقل فما كل جزء يلحق بالكل فى كل الدرجات فحرم المخيط على الرجل فى الاحرام ولم يحرم على المرأة فان الرجل وان كان خلق من مركب فهو من البسائط أقرب فهو أقرب الاقربين والمرأة خلقت من مركب محقق فانها خلقت من الرجل فبعدت من البسائط أكثر من بعد الرجل والمخيط تركيب فقيل لها ابقى على أصلك وقيل للرجل ارتفع عن تركيبك فأمر بالتجرد عن المخيط ليقرب من بسيطه الذى لا مخيط فيه وان كان مركبا فانه ثوب منسوج ولكنه أقرب الى الهباء منه من القميص والسراويل وكل مخيط والهباء بسيط فالاقرب منه عومل بمعاملته وما بعد عنه تميز فى الحكم عن القريب ثم ان الرجل وهو آدم خلق على صورته وخلقت حواء على صورة آدم وخلق البنون من امتزاج الابوين لا من واحد منهما بل من المجموع حسا وحكما فكان استعداد الابناء أقوى من استعداد الابوين لان الابن جمع استعداد الاثنين فكمال الابن الكامل أعظم من كمال الاب ولهذا اختص محمد صلى الله عليه وسلم بالكمال الاتم لكونه ابنا وكل ابن فى النشأة له هذا الكمال غير أنهم فى الكمال يتفاضلون لاجل الحركات العلوية والطوالع النورانية والاقترانات السعادية فما كل ابن له هذا الكمال الثانى الزائد على نشأته فهذه دقيقة أخرى يعطيها الوجه الخاص الالهى فى التجلى للسبب الذى يكون عنه هذا الابن بعين ذلك الوجه اسم الهى يكون فى الكمال الاحاطى أكمل من غيره من الاسماء كالعالم فانه أتم فى الاحاطة من سائر الاسماء بما لا يتقارب فمن كان ذا أب وأم واسم الهى احاطى خاص رفيع الدرجات كان أكمل ممن كان ذا أب وأم واسم الهى دونه فى الاحاطة والدرجة ومن كان عن أم وأب متوهم مثالى أشبه جده لامه اذ لا أب له مثل عيسى عليه السلام فصفته صفة جده آدم فى صدوره عن الامر بذا ورد التعريف الالهى فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم أى الاسم الالهى الذى وجد عنه آدم وجد عنه عيسى خلقه من تراب الضمير يعود على آدم فعيسى أخ لحواء وهو ابن بنتها ومن كان عن أب دون أم قصر عن درجة أبيه كحواء خلقت من القصيرى فقصرت وعوجها استقامتها فانحناؤها حنوها على أبنائها وعلى ماله من الخزائن مثل انحناء الاضلاع على ما فى الجوف من الاحشاء والامعاء المختزنة فيه لصلاح صاحبه فاعوجاجها عين استقامتها التى أريدت له ولهذا اعوجاج القوس عين استقامته فان رمت ان تقيمه على الاستقامة الخطية المعلومة كسرته فلم تبلغ أنت بالاستقامة التى تطلبها منه غرضك الذى تؤمله وهذا الجهل بالاستقامة اللائقة به فما فى العالم الا مستقيم عند العلماء بالله الواقفين على أسرار الله فى خلقه فانه قد بين لنا ذلك فى قوله تعالى أعطى كل شئ خلقه وهو عين كمال ذلك الشئ فما نقصه شئ وسبب ذلك كوننا مخلوقين على من له الكمال المطلق فأشبهنا فى التقييد باطلاقه فان الاطلاق تقييد بلا شك اذ به يتميز عن المقيد فما يصدر عن الكامل شئ الا وذلك على كماله اللائق به فما فى العالم ناقص أصلا ولولا الاعراض التى تولد الامراض لتنزه الانسان فى صورة العالم كما يتنزه العالم ويتفرج فيه فانه بستان الحق والاسماء ملاكه بالاشتراك فكل اسم له فيه حصة فهذا الذى تعطيه الحقائق فالكمال للاشياء وصف ذاتى والنقص أمر عرضى وله كمال فى ذاته

فافهم فما هلك امرؤ عرف قدره فقد بان لك شأن المرأة من شأن الرجل وانهما وان افترقا من وجه فهما يجتمعان من وجه

﴿وصل في فصل اختلاف العلماء في المحرم اذا لم يجد غير السراويل هل له لباسها﴾

فمن قائل لا يجوز له لباسها فان لبسها افتدى ومن قائل يلبسها اذا لم يجد ازارا * اعلم ان الازار والرداء لما لم يكونا مخيطين لم يكونا مركبين ولهذا وصف الحق نفسه بهما لعدم التركيب اذ كان كل مركب في حكم الانفصال وهذا سبب وجوب قول القائل بأن صفات المعاني الالهية ليست بأعيان زائدة على الذات مخافة التركيب ونزع مثبتوها زائدة الى أن يقولوا فيها لا هي هو ولا هي غيره لما في التركيب من النقص اذ لو فرض انفصال المتصل لصح ولم يكن محالا من وجه انفصاله وانما يستحيل ذلك اذا استحال لاتصافه بالقدم الذي هو نفي الاولية والقديم لا شك انه يستحيل أن ينعدم بالبرهان العقلي فاذا فرضنا عدم صفات المعاني التي بوجودها يكون كمال الموصوف ظهر نقص الموصوف وان كان فرض محال لاستحالة عدم القديم والله يقول * لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * وهذا بطريق فرض المحال والحق كامل الذات فاجعل بالك بقول تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فهذا احرام الهي فانه ذكر ثوبين ليسا بمخيطين فالحق سبحانه المحرم من الرجال بما وصف به نفسه ولم يفعل ذلك بالمرأة ولا أيضا حجر ذلك عليها فانها قد تكمل في ذلك كما يكمل الرجال فلو لبسته المرأة لكان أولى بها عندنا فالمحرم قد تلبس بصفة هي للحق معنوية وفي الخلق حسية هي في الحق كبرياء وعظمة وفي الخلق رداء وازار كما تلبس الصائم بصفة هي للحق ولهذا جعل في قواعد الاسلام مجاورا له وان كان في الحقيقة وجود العظمة والكبرياء انما محلهما ظاهر العبد لا قلبه فقد تكون العظمة والكبرياء حال الانسان لا صفته ولو اتصف بهما هلك جهلا واذا كانتا حالا له في موطنهما نجا وسعد وشكر له ذلك فاول درجة هذه العبادة ان الحق المتلبس بها من عباده بريه في التنزيه عن الاتصاف بالتركيب فتلبس بالكمال في أول قدم فيها ولهذا لا نجوز نحن للمحرم ان يلبس شيأ من المخيط ولا يغطي رأسه الا لضرورة من أذى يلحقه لا يندفع ذلك الاذى الا بلباس ما حجر عليه واما ان فعله لغير أذى فما تلبس بالعبادة ولا حج ولا يفدي الا من لبس ذلك من أذى والاذى في الجناب الالهي أن ينسب الى التركيب لما فيه من النقص قال تعالى ان الذين يؤذون الله فوصف نفسه بأنه يؤذى وجعل له هذا الاذى الاسم الصبور فلا أحد أصبر على أذى من الله لقدرته على الاخذ عليه فلا يؤاخذ ويمهل فالعبد اذا لم يقمه الله في مقام شهود العظمة التي هي الازار وأقيم في مقام الادلال فانبسط على الحق وهذا موجود في الطريق وقد وردت به الاخبار النبوية في عجوز موسى وغيره لبس السراويل ستر للعورة التي هي محل السر الالهي وستر للاذى لانهما محل خروج الاذى أيضا فتأكد سترهما بما يناسبهما وهو السراويل والسراويل أشد في السترة للعورة من الازار والقميص وغيره لان الميل عن الاستقامة عيب فينبغي ستر العيب ولهذا سميت عورة لميلها فان لها درجة السر في الايجاد الالهي وأنزلها الحق منزلة القلم الالهي كما أنزل المرأة منزلة اللوح لرقم هذا القلم فلما مالت عن هذه المرتبة العظمى والمكانة الزلفى الى أن تكون محلا لوجود الروائح الكريهة الخارجة منهما من أذى الغائط والبول وجعلت نفسها طريقا لما تخرجه القوة الدافعة من البدن سميت عورة وسترت لانها ميل الى عيب فالتحقت بعالم الغيب واحتجبت عن عالم الشهادة فبالسراويل لا تشهد ولا تشهد فالسراويل أستر في حقها ولكن رجح الحق الازار لانه خلق العبد للتشبه به لكونه خلقه على صورته

﴿وصل في فصل لباس المحرم الخفين﴾

فمن قائل وهو الاكثر ان المحرم يلبس الخفين اذا لم يجد النعلين وليقطعهما أسفل من الكعبين ومن قائل يلبسهما ولا يقطعهما وعلل عطاء قطعهما بأنه فساد والله لا يحب الفساد ومطلق حديث ابن عباس ان الخفين لمن لم يجد النعلين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر قطعهما وبه قال أحمد وعطاء القدم صفة الهية وصف الحق بها نفسه وليس كمثله شئ فمن راعى التنزيه وأدركته الغيرة على الحق في نزوله لما هو من وصف العبد المخلوق قال بلباس الخف غير

المقطوع لانه أعظم فى الستر ومن راعى ظهور ما أظهره الحق لكون الحق أعرف بنفسه من عبده به ونزه نفسه فى مقام آخر لم يرد أن يتحكم على الحق بعقله وقال الرجوع اليه أولى من الغيرة عليه فان الحقيقة تعطى أن يغار له لا عليه شرعا وما شرع لباس الخفين الا لمن لا يجد النعلين والنعل واق غير ساتر فقال بقطع الخفين وهو أولى

﴿وصل فى فصل من لبسهما مقطوعتين مع وجود النعلين﴾

فمن قائل عليه الفدية ومن قائل لا فدية عليه لما اجتمع الخف مع النعل فى الوقاية من أذى العالم الاسفل وزاد الخف الوقاية من أذى العالم الاعلى من حيث ما هما عالم لمشترك الدلالة والدلالة تقبل الشبه وهو الاذى الذى يتعلق بها ولهذا معرفة الله بطريق الخبر أعلى من المعرفة بالله من طريق النظر فان طريق الخبر فى معرفة الله انما جاء بما ليست عليه ذاته تعالى فى علم الناظر فالمعرفة بالادلة العقلية سلبية وبالادلة الخبرية ثبوتية وسلبية فى ثبوت فلما كان أكشف لم يرجح جانب الستر فجعل النعل فى الاحرام هو الاصل فانه ما جاء اتخاذ النعل الا لزينة والوقاية من الاذى الارضى فاذا عدم عدل الى الخف فاذا زال اسم الخف بالقطع ولم يلحق بدرجة النعل لستره ظاهر الرجل فهو لا خف ولا نعل فهو مسكوت عنه كمن يمشى حافيا فانه لا خلاف فى صحة احرامه وهو مسكوت عنه وكل ما سكت عنه الشرع فهو عافية وقد جاء الامر بالقطع فالتحق بالمنطوق عليه بكذا وهو حكم زائد صحيح يعطى ما لا يعطى الاطلاق فتعين الاخذ به فانه ما قطعهما الا ليلحقهما بدرجة النعل غير أن فيه سترا أعلى الرجل ففارق النعل ولم يستر الساق ففارق الخف فهو لا خف ولا نعل وهو قريب من الخف وقريب من النعل وجعلناه وقاية فى الاعلى لوجود المسح على أعلى الخف فلولا اعتبار أذى فى ذلك بوجه ما مامسح أعلى الخف فى الوضوء لان احداث الطهارة مؤذن بعلة وجودية يريد ازالتها باحداث تلك الطهارة والطهارة التى هى غير حادثة ماطاهذا الحكم فانه طاهر الاصل لا عن تطهير فالانسان فى هذه المسئلة اذا كان عارفا يحسب ما يقام فيه وما يكون مشهده فان أعطاه شهوده أن يلبس مع وجود النعلين حذرا من أثر العلوّ فى ظاهر قدمه عصم بلباسه قدمه من ذلك الاثر وان كان عنده قوة الهية يدفع بها ذلك الاثر قبل أن ينزل به لبس النعلين ولم يجز له لباس المقطوعين اذ كان الاصل فى استعمال ذلك عدم النعلين فرجح الكشف والاعلان على الستر والاسرار فى معرفة الله فى الملأ الاعلى وهو علم التنزيه المشروع والمعقول فان التنزيه له درجات فى العقل مادونه تنزيه بتشبيه وأعلاه عند العقل تنزيه بغير تشبيه ولا سبيل لمخلوق اليه الا برد العلم فيه الى الله تعالى والتنزيه بغير التشبيه وردت به الشريعة أيضا وما وجد فى العقل فغاية النظر العقلى فى تنزيه الحق مثلا عن الاستواء انه انتقل عن شرح الاستواء الجسمانى عن العرش المكانى بالتنزيه عنه الى التشبيه بالاستواء السلطانى الحادث وهو الاستيلاء على المكان الاحاطى الاعظم أو على الملك فما زال فى تنزيهه من التشبيه فانتقل من التشبيه بمحدث ما الى التشبيه بمحدث آخر فوقه فى الرتبة فما بلغ العقل فى التنزيه مبلغ الشرع فيه فى قوله ليس كمثله شئ ألا تراهم استشهدوا فى التنزيه العقلى فى الاستواء بقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وأين استواء بشر على العراق من استواء الحق على العرش لقد خسر المبطلون أين هذا الروح من قوله ليس كمثله شئ فاستواء بشر من جملة الاشياء لقد صدق أبو سعيد الخرّاز وأمثاله حيث قالوا لا يعرف الله الا الله

لا يعرف الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانيها

﴿وصل فى فصل اختلاف الناس فى لباس المحرم المعصفر بعد اتفاقهم على انه لا يلبس المصبوغ بالورس ولا الزعفران﴾

فقال بعضهم لا بأس بلباس المعصفر فانه ليس بطيب وقال قوم هو طيب ففيه الفدية ان لبسه الطيب للمحرم عندنا وأعنى التطيب لا وجود الطيب عنده الذى يتطيب به قبل عقد الاحرام واستصحبه غير جائز الا اذا أراد الاحلال وقبل أن يحل فمن السنة أن يتطيب ولا أقول فى الاول والثانى ان تطيبه عليه السلام كان لحرمه وحله فانه لم يرد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ورد من قول عائشة فتطرق اليه الاحتمال بين أن يكون عن أمر فهمته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فيما اقتضاه نظرها وفهمها أو عن نص صريح منه لها فى ذلك ورأيناه قد نهى عن الطيب زمان مدة

أقامته على الاحرام الا اذا أراد الحل فالمعصفر وان كان ليس طيبا فحكمه حكم الطيب فان لبس الرداء المعصفر قبل الاحرام عند الاحرام ولم يرد نص باجتنابه فله أن يبقى عليه أو يلبسه عند الاحلال وقبل الاحلال ولا يلبسه ابتداء فى زمان بقاء الاحرام هذا هو الاظهر فى هذه المسئلة عندنا الا أن يرد نص جلى فى المعصفر فى النهى عنه ابتداء وانتهاء وما بينهما فنقف عنده الصفرة من الشئ المصفر وهو الخالى والخلى وبه سمى صفر من الشهور فى أول وضع هذا الاسم لخلو الارض فيه عن النبات فى ذلك الوقت الموافق لوضع هذا الاسم وهذا جاز مع بعده لوجود الربيع الذى أزال كون الارض خالية منه فى الهلال الاول المسمى صفرا فان خلى العبد عن نفسه فى هذه العبادة فهو الذى جاز له لباس المعصفر وان خلى عن ربه فيها لم يجز له لباس المعصفر ولهذا وجد الخلاف فيه

﴿وصل فى فصل اختلافهم فى جواز الطيب للمحرم عند الاحرام وقبل أن يحرم لما يبقى عليه من أثره بعد الاحرام﴾

فكرهه قوم وأجازه قوم وباجازته أقول بل هى السنة عندى بلا شك أما قبل الاحرام فجائز وأما اذا أحرم هل يغسل ذلك الطيب من أجل بقاء الرائحة أم لا هذا هو محل الخلاف الصحيح بين العلماء رائحة الطيب يلتذ بها صاحب الطبع السليم ولا تستخبثها نفسه وهو الثناء على العبد بالنعوت الالهية التى هى التخلق بالاسماء الحسنى لا باطلاق الاسماء وهو فى هذه العبادة الاغلب عليه مقام العبودية لما فيها من التحجير ومن الافعال التى يجهل حكمتها النظر العقلى فكأنها مجرّد عبادة فلا تقوم الا بأوصاف العبودة فمن رأى هذا امتنع من التخلق بالاسماء فى هذه الحالة وفى ابتداء الدخول فيها لانه لا يدخل فيها باسم الهى فلا يتطيب عند الاحرام خوفا من الرائحة الباقية مع الاحرام وهو بمنزلة حكم الخلق الالهى فى المتخلق اذا تخلق به ومن رأى أنه يجوز له ذلك كان مشهده أنه ما ثم خلق الا وقد اتصف به الله تعالى من أوصاف العباد من الفرح والضحك والتعجب وغير ذلك بالتصريح كما بيناه وبغير التصريح مثل قوله وأقرضوا الله ومثل قوله الله يستهزئ بهم وقوله ومكر الله وأمثال هذا فمن كان هذا مشهده قال لا يخلو الانسان العبد عن نعت الهى يكون عليه فأجاز له ذلك واعالم يحدث تطيبا فى زمان بقاء الاحرام الى أن يريد التحلل فانه فى زمان بقاء الاحرام تحت قهر اسم العبودة فليس له أن يحدث ثناء الهيا فيزيل عنه حكم ما يعطيه الاسم الحاكم لتلك العبادة فانها لا تتصوّر عبادة الا بحكم هذا الاسم فاذا زال لم يكن ثم من يقيمها الا النائب الذى هو الفدية لا غير وأمّا حكم الطيب للاحرام والاحلال فهو لسلطان الاسم الاول فان الاول من كل شئ قوى لا يغلب وصادق لا يكذب فلم يكن لغيره من الاسماء هذه القوة فلم يقاومه منازع لحقيقته الاولية فلا يكون وسطا فحكم فى أولية الاحرام وفى آخرية الاحرام وهو الذى فهمته عائشة من ذلك فقالت طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحله ولحرمه قبل وجود الاحرام منه والتحليل ولم تقل طيبته لآخر احرامه حين أراد أن ينقضى ويعقبه الاحلال وانما راعت الاحلال فى آخر أفعال الحج وهو طواف الافاضة وكذلك راعت الاحرام المستقبل ما غسل عنه طيبا

﴿وصل فى فصل مجامعة النساء﴾

أجمع المسلمون على أن الوطء يحرم على المحرم مطلقا وبه أقول غير أنه اذا وقع فعندنا فيه نظر فى زمان وقوعه فان وقع منه بعد الوقوف بعرفة أى بعد انقضاء زمان جواز الوقوف بعرفة من ليل أو نهار فالحج فاسد وليس بباطل لانه مأمور باتمام المناسك مع الفساد ويحج بعد ذلك وان جامع قبل الوقوف بعرفة وبعد الاحرام فالحكم فيه عند العلماء كحكمه بعد الوقوف يفسد ولا بد من غير خلاف أعرفه ولا أعرف لهم دليلا على ذلك ونحن وان قلنا بقولهم واتبعناهم فى ذلك فان النظر يقتضى ان وقع قبل الوقوف ان يرفض ما مضى ويجدد الاحرام ويهدى وان كان بعد الوقوف فلا لانه لم يبق زمان للوقوف وهنا بقى زمان للاحرام لكن ما قال به أحد يجبرنا على ما أجمع عليه العلماء مع انى لا أقدر على صرف هذا الحكم عن خاطرى ولا أعمل عليه ولا أفتى به ولا أجد دليلا وقد رفضت العمرة عائشة حين حاضت بعد التلبس بها وأحرمت بالحج فقد رفضت احراما وفى أمر عائشة وشأنها عندى نظر هل أردفت على عمرتها أو هل رفضتها بالكلية فان أراد بالرفض ترك الاحرام بالعمرة وان وجود الحيض أثر فى صحتها مع بقاء زمان الاحرام فالجماع

مثله فى الحكم وان لم يرد بالرفض الخروج عن العمرة وانما أراد ادخال الحج عليها فرفض أحدية العمرة لاقترانها بالحج فهى على احرامها فى العمرة والحج مردف عليها والجماع فى الحج فى الطريق لاشك ان الانسان لما كان مصرّفا تحت حكم الاسماء الالهية ومحلا لظهور آثار سلطانها فيه ولكن يكون حكمها فيه بحسب ما يمكنها حال الانسان أو زمانه أو مكانه والأحوال والأزمان تولى الأسماء الالهية عليها وان كان كل حال هى عليه أو دخول الانسان فى ظرفية زمان خاص أو ظرفية مكان ماهو الا عن حكم اسم الهى بذلك فقد يتوجه على الانسان أحكام أسماء الهية كثيرة فى آن واحد ويقبل ذلك كله بحاله لأنه قد يكون فى أحوال مختلفة يطلب كل حال حكم اسم خاص فلا يتوجه عليه الا ذلك الاسم الذى يطلبه ذلك الحال الخاص ومع هذا كله فلابد أن يكون الحاكم الاكبر اسما ماله المضاء فيه والرجوع اليه مع هذه المشاركة ثم انى أبين لك مثالا فيما ذكرناه وذلك انا نرى الانسان يجتنب ماحرّم الله على عينه أن ينظر اليه على انها كحرمة ماحرم على اذنه من الاصغاء الى الغيبة فى حال اتيانها كحرمة ماحرم عليه من جهة لسانه من كذب أو نميمة مع اعطاء صدقة فرض من زكاة أو ندب متطوع بها من جهة ما أمرت به يده المنفقة وذلك كله فى زمان واحد من شخص وحد الذى هو المخاطب من الانسان المصرّف جميع جوارحه القابل للاوامر الاسمائية فى باطنه التى تحكم عليه وتمضى تصريف الجوارح بامرها فيما يراها تتصرّف فيه وهو واحد فى نفسه ذو آلات متعدّدة فلولا تعدّد هذه الآلات ماصح أن يحكم عليه الاسم واحد فوجود الكثرة التى سببها الآلات أوجبت له مع أحديته فى نفسه قبول اختلاف أحكام الأسماء الالهية عليه فيكون الانسان منصورا من وجه مخذولا فى حين كونه منصورا ولكن من وجه آخر والعين واحدة المصرّفة المكلفة وهى النفس الناطقة ويكون عزيزا بالعز فى حال كونه ذليلا بالذل لشخص ذى عزة له عنده مكانة فلقيه فأعزه فاعتز وفى تلك الحال عينها سلط عليه الاسم المذل شخصا آخر لا يعرفه فأذله فذل من جهة هذا وعز من جهة هذا فى الزمان الواحد وحكمهما فى آن واحد والقابل لهذين الحكمين واحد العين فلهذا الذى مهدناه أمر المحرم اذا جامع أهله أن يمضى فى مقام نسكه الى أن يفرغ مع فساده ولا يعتد به وعليه القضاء من قابل على صورة مخصوصة شرعها له الشارع لأن صاحب الوقت الذى هو المحرم عليه أفعالا مخصوصة أوجبتها هذه العبادة التى تلبس بها هو الحاكم الأكبر واتفق ان هذا المحرم التفت بالاسم الخاذل الى امرأته فجامعها فى حال احرامه فلما لم يكن الوقت له شرعا وكان لغيره لم يقو قوته فأفسد منه ما أفسد وبقى الحكم لصاحب الوقت فأمره أن يمضى فى نسكه مع فساده وعاقبه بتلك الالتفاتة الى الخاذل حيث أعانه عليه بنظره الى امرأته واستحسانه لايقاع ما حكم عليه به حاكم الوقت أن يعيده من قابل فلو بطل وأزال حكمه عنه فى ذلك الوقت ووقع الجماع بعد الاحرام وقبل الوقوف رفض ما كان واستقبل الحج كما هو ولم يكن عليه الادم لاغير لما أبطل فلما لم يزل حكمه منه بذلك الفعل أمر باتمام نسكه الذى نواه فى عقده وهو مأجور فيما فعل من تلك العبادة مأزور فيما أفسد منها فى اتيانه ما حرّم عليه اتيانه كما قال تعالى فلا رفث وهو النكاح ولا فسوق ولا جدال فى الحج خرّج أبو داود فى المراسيل قال ثنا أبو توبة حدثنا معاوية يعنى ابن سلام أخبرنى يزيد بن نعيم أو زيد بن نعيم شك أبو توبة ان رجلا من جذام جامع امرأته وهما محرمان فسأل الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما اقضيا نسككما واهديا هديا ثم ارجعا حتى اذا كنتما بالمكان الذى أصبتما فيه ما أصبتما فتفرقا ولا يرى منكما واحد صاحبه وعليكما حجة اخرى فتقبلان حتى اذا كنتما بالمكان الذى أصبتما فيه ما أصبتما فتفرقا ولا يرى أحد منكما صاحبه فأحرما وأتما نسككما واهديا فهذا ترجمان الحق الذى هو الرسول قوّى الاسم الالهى الذى هو حاكم الوقت وصاحب الزمان فيما يريده من اتمام هذه العبادة مع ما طرأ فيها من الاخلال وذلك ان الاسم الحاكم لا يسمع المحكوم عليه خطابه اياه لأن الله أخذ بسمعه عنه فقال لمن فتق الله سمعه لسماع كلامه وهو المعبر عنه بالرسول بلغ لهذا المكلف عنى أن يمضى فى فعله حتى يتم وذكر له ما قال وبينه لهذا الشخص لأن الرسول ما ينطق عن الهوى والمؤمن كثير بأخيه فقام الرسول مقام الحاجب المنفذ أوامر الملك صاحب الحكم هكذا هو فى الحكم العام وأما فى العالم الأخص فهو حكم نفس طبيعية على عقل الهى رجع اليها من حيث علمه بأن لها وجها خاصا الى خالقها فغاب عن التثبت

فى ذلك فيما أوصل اليه ترجمان الحق الذى هو الرسول فوافق النفس ماحكم به عليها الطبع فيما أمرت به ولولا ذلك الوجه الخاص ماانخدع العقل واتصف باللؤم الذى هو صفة الطبع بحكم الاصالة وفى مثل هذا قلنا

يعز علينا أن تكون عقولنا * بحكم نفوس ان ذا لعظيم

اذا غلب الطبع اللئيم نجاره * على عقل شخص انه للئيم

فالعقول وان كانت عالية الاوج فان الحضيض يقابل أوجه وهو موطن الطبع النفسى فهو ينظر اليها من أوجه فيراها فى مقابلته على خط مستقيم لااعوجاج فيه وذلك الخط هو الذى يكون عليه العروج من الحضيض الى الاوج اذا زكت النفس وعليه يكون نزول العقل الى الحضيض من الاوج اذا خذل العقل وانما خذله استقامة الخط فانه على الاستقامة فطر ثم انه رأى النفس زكت بعروجها عليه فهذا الذى خدع العقل من النفس فانه لاحظ للعقل فى الطبع وساعده على النزول قول الترجمان رسول الله صلى الله عليه وسلم لودليتم بحبل لهبط على الله والعقل مجبول على طلب الزيادة من العلم بالله فأراد فى نزوله الى الطبع على ذلك الخط من وجه ليرى هل نسبة الحق الى الحضيض نسبته الى الاوج أم لا فيريد علما بالذوق بأنه على ذلك الحد أوماهو عليه بل له نسبة أخرى فتحصل له الفائدة على كل حال فلهذا القصد أيضا أمر باتمام نسكه ولم يبطل عمله ولاسيما وقد سمع ان أربعة أملاك التقوا ملك كان يأتى من المغرب وآخر مقبل من المشرق وآخر نازل من الفوق وآخر صاعد من التحت فسأل كل واحد صاحبه من أين جئت فكل قال من عند الله فلابد للعقل مع شوقه لطلب الزيادة من العلم أن يتحرك ليحصل هذا العلم بالله ذوقا حاليا لاتقليد فيه ولا يتمكن له ذلك وهو فى أوجه الاان قنع بالتقليد فنزل على ذلك الخط لطلب هذه المعارف وفى نزوله لابد أن يرى موضع اجتماع الخطوط فيشاهد علوما كثيرة فهى زلة أوجبت علما فشفع ذلك العلم فى صاحب هذه الزلة فجبر له نقصه فلولا زلة هذا المجامع فى الحج ماعرفنا حكم الشرع فيه لو وقع هذا بعد موت المترجم صلى الله عليه وسلم فمن رحمة الله حصل تقرير هذا العلم لنكون على بصيرة من ربنا فى عباداتنا

﴿وصل فى فصل غسل المحرم بعد احرامه﴾

اتفقوا على انه يجوز له غسل رأسه من الجنابة واختلفوا فى كراهية غسله من غير الجنابة فقالوا لابأس بغسله وبه أقول وكره ذلك بعضهم لما كان الرأس محل القوى الانسانية كلها ومجمع القوى الروحانية اعتبر فيه الحكم دون غيره من الاعضاء لجمعيته وله من الاسماء الالهية الله لانه الاسم المنعوت الجامع فحفظه متعين على المكلف لانه لواختل من قواه قوة أدى ذلك الاختلال امّا الى فساد يمكن اصلاحه أو الى فساد لايمكن اصلاحه وامّا الى فساد يكون فيه تلفه فيزول عن انسانيته ويرجع من جملة الحيوانات فيسقط عنه التكليف فتنقطع المناسبة بينه وبين الله وأعنى مناسبة التقريب خاصة لامناسبة الافتقار لان مناسبة الافتقار لاتزول عن الممكن أبدا الافى حال عدمه ولافى حال وجوده فاذا اغترب الانسان عن موطن عبوديته فهى جنابته فيقال له ارجع الى وطنك فلاقدم لك فى الربوبية أصلا من ذاتك فاذا أراد الحق أن يمنحك منها ماشاء نزل اليك ماأنت تصعد اليه لانه يعلمك ويعلم محلك وأينك وأنت لاتعرفه فأين تطلبه فما خرجت عن عبوديتك الاجهلك ألا تراه سبحانه لما أراد أن يهبك من الربانية ماشاء نزل اليك بأمر سماه شرعا بوساطة رسول ملكىّ فلك أمورا وجعل لك الحكم فيها على حدّ مارسم لك فمن كونك حاكما فيها هو القدر الذى أعطاك من الربوبية وعلى قدر ماحدّ لك ومنعك من تجاوزه هو ماأبقى عليك من العبودية

فأنت ملك وأنت عبد * وأنت فى أنت مستعار

ولاوجود فى غير عين * فلا احتكام ولا افتقار

قد حار مثلى من حرت فيه * فلا اضطرار ولا اختيار

* ولافناء ولابقاء * ولافرار ولا قرار

فوجب الغسل من الجنابة بالاتفاق لانك عبد بالاتفاق ولست ربا بالاتفاق وأمّا فى غير الجنابة

فحكمة الغسل لحفظ القوى * وحفظها من أوجب الحكم

لاسيما وكونها واجبا * لانها دلت على العلم
بعينها وكل علم لها * لذاتها كالكيف والكم
قضاها الله على خلقه * عالما من جودة الفهم

فمن راعى حفظ هذه القوى مما ينالها من الضرر لسد المسام وانعكاس الابخرة المؤذية لها المؤثرة فيها قال بالغسل ومن غلب الحرمة لصغر الزمان في ذلك وندور الضرر ضعف عنده الوجوب فكره ذلك ألا تراهم كيف اتفقوا في الجنابة اقوة الموجب وان كان الغسل بالماء يزيده شعثا في تلبيد الرأس والله تعالى قد أمرنا بالقاء التفث عنا لما ذكرناه من حفظ القوى وما في معناها لان الطهارة والنظافة مقصودة للشارع لانه القدوس وما له اسم يقابله فيكون له حكم ولما جهل علماء الرسوم حكمة هذه العبادة من حيث انهم ليس لهم كشف الهي من جانب الحق جعلوا أكثر أفعالها تعبدا ونعم ما فعلوه فان هذا مذهبنا في جميع العبادات كلها مع عقلنا بعلل بعضها من جهة الشرع بحكم التعريف أو بحكم الاستنباط عند أصحاب القياس ومع هذا كله فلا نخرجها عن انها تعبد من الله اذ كانت العلل غير مؤثرة في ايجاد الحكم مع وجود العلة وكونها مقصودة وهذا أقوى في تنزيه الجناب الالهي اذا فهمت

﴿وصل في فصل غسل المحرم رأسه بالخطمي﴾

أما غسل المحرم رأسه بالخطمي فانهم اتفقوا على منعه فان غسل به قال بعضهم فيه الفداء وقال بعضهم ان غسل فلا شئ عليه وبه أقول من غير منع منه ولا من غيره اذ كل سبب موجب للنظافة ظاهرا او باطنا ينبغي استعماله في كل حال فان الله جميل يحب الجمال وما ورد كتاب ولا سنة ولا اجماع على منع المحرم من غسل رأسه بشئ ولما أمر الله تعالى الانسان أن يدخل في الاحرام فيصير حراما بعدما كان حلالا وصفه بصفة العزة أن يصل اليه شئ من الاشياء التي كانت تصل اليه قبل أن يتصف بهذه المنعة اذ الاشياء تطلب الانسان لانها خلقت من أجله فهي تطلبه بالتسخير الذي خلقها الله عليه والانسان مخلوق على الصورة ومن حقيقة الصورة التي خلق عليها العزة أن تدرك أو تنال بأكثر الوجوه مثل قوله تعالى لا تدركه الابصار يعني في الدنيا وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة مع ثبوت الرؤية في الآخرة فهذه عزة اضافية لانه حجر ثم أباح فجعل لمن حصل الصورة بخلقه عزة وتحجيرا في عبادات من صوم وحج وصلاة أن يصل اليه بعض ما خلق من أجله فاعتز وامتنع عن بعض الاشياء ولم يمتنع عن أن يناله بعضها كما لم يمنع من خلق على صورته أن تناله التقوى منا والتقوى في المتقين من خلقه فقوى الشبهة في الشبه ليلحق الادلة بالشبه اذ الكل منه واليه بل الكل عينه فما حرمت عليه الاشياء على الحقيقة وانما هو الحرام على الاشياء لانه ما خلق الا لربه والاشياء خلقت له فهي تطلبه كانه يطلب ربه فامتناع في وقت كامتناع ووصول في وقت كوصول ان فهمت فقد بينت لك مرتبتك قال تعالى في حق الانسان وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وقال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وفي التوراة المنزلة على موسى عليه السلام يا ابن آدم خلقت الاشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك فأبان سبحانه لك عن مرتبتك لتعرف موطن ذلتك من موطن عزتك وأنت ما اعتززت ولا صرت حراما على الاشياء منك بل هو جعلك حراما على الاشياء ان تنالك فامرك أن تحرم فدخلت في الاحرام فصرت حراما وما جعل ذلك لك عن أمره سبحانه الا ليكون ذلك قربة اليه ومزيد مكانة عنده تعالى وحتى لا تنسى عبوديتك التي خلقت عليها بكونه تعالى جعلك مأمورا في هذه المنعة دواءلك نافعا يمنع من علة تطرأ عليك لعظيم مكانتك فلا بد أن يؤثر فيك خلقك على صورته عزة في نفسك فشرعها لك في طاعته بأمر أمرك فيه أن تكون حراما لا احتجار عليك بل احتجار الك ألا ترى من خذله الله كيف اعتز على أمثاله بقوله أنا ربكم الاعلى هل جعله في ذلك الاعلمه بمرتبته لا علمه بنفسه فالانسان عبد عينا ورتبة كما هو سيد عينا لا رتبة ولهذا اذا ادعى الرتبة قصم وحرم واذا ادعى العين عصم ورحم والانسان واحد في الحقيقة غير أنه ما بين معتنى به وغير معتنى به فهذا اعتبار هذا الفصل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الرابع والستون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿وصل في فصل دخول المحرم الحمام﴾

فمن الناس من كرهه ومن الناس من قال لا بأس به وبه أقول ليس في أحوال الدنيا من يدل على الآخرة بل على الله تعالى وعلى قدر الانسان مثل الحمام يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دخل الحمام بالشام نعم البيت بيت الحمام ينعم البدن ويزيل الدرن ويذكر الآخرة ومن هذه آثاره في العبد لا يكره له استعماله فانه نعم الصاحب وبه سمي لان الحمام من الحميم والحميم الصاحب الشفيق قال تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم أي شفيق وسمي حميما لحرارته واستعمل فيه الماء لما فيه من الرطوبة فالحمام حار رطب طبع الحياة وبها ينعم البدن وبالماء يزول الدرن وبتجريد الداخل فيه عن لباسه وبقائه عريانا لا شئ في يديه من جميع ما يملكه يذكر الآخرة والموت وقيام الناس من قبورهم عراة حفاة لا يملكون شيأ فدخول الحمام أدل على الآخرة من الموت فان الميت لا ينقلب الى قبره حتى يكسى وداخل الحمام لا يدخل اليه حتى يعرّى والتجريد أدل ثم انه من دعاء النبيّ صلى الله عليه وسلم اللهم نقني من الخطايا والذنوب كما ينقي الثوب من الدرن وتنقية البدن من الدرن والوسخ من أخص صفات الحمام ولا جله عمل واعتبار الحمام بأحوال الآخرة مجاله رحب عظيم الفائدة ما يعقله الا العلماء بالله

﴿وصل في فصل تحريم صيد البرّ على المحرم﴾

اتفقوا على ذلك وهو اتفاق أهل الله أيضا في اعتباره ومعناه قال بعضهم الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة فالزاهد الى قوله وما عند الله خير وأبقى ومال العارف الى قوله والله خير وأبقى فالخلق صيد للحق صادهم من نفوسهم برّا أو بحرا وسأبين ذلك ان شاء الله فاعلم ان الحق تعالى نصب حبالات صيد النفوس الشاردة عما خلقت له من عبادته ثم خدعهم بالحب الذي جعل لهم في تلك الحبالات أو الطعوم أو ذوات الارواح المشبهة لهم في الحياة جعلها مقيدة في الحبالات من حيث لا يشعر الناظرون اليها فمن الصيد من أوقعه في الحبالة رؤية الجنس طمعا في اللحوق بهم ليرى ما هم فيه فصار في قبضة الصائد فقيده وهو كان المقصود لانه مطلوب لعينه ومن الصيد من أوقعه الطمع في تحصيل الحب المبذور في الحبالة ثم ان الصائد له تصافير يحكي بها أصوات الطير اذا سمعها الطائر نزل فوقع في الحبالة فهو بمنزلة من سمع نداء الحق فأجاب فهذا لم يصد بالاحسان والآخر أحسن اليه بالحب المبذور في الحبالة فأبصره فقاده الاحسان فرمى بنفسه عليه فصاده فلولا الاحسان ما جاء اليه فحبيته معلول والبرّ هو المحسن والاحسان والحق غيور فأراد من هذه الطائفة الخاصة الذين جعلهم الله حراما ليكونوا له أن يجعلهم عبيد احسان فيكونون للاحسان لا له ولهذا علمهم شعائر أبا مجرّدين من المخيط ملبين لاجابته بالاهلال كما لجأ الطائر لصوت الصائد فحرم عليهم لمكانتهم صيد البرّ الذي هو الاحسان ما داموا حرما لا في المكان الحلال والحرام وسكانا في الحرام وان كانوا احلالا أو حراما فحيث ما كانت الحرمة امتنع صيد الاحسان فان الله من صفاته الغيرة فلم يرد ان يدعو هذه الطائفة المنعوتين بالاحرام من باب النعم والاحسان فيكونوا عبيد احسان لا عبيد حقيقة فانه استهضام بالجناب الالهيّ فقال من صحبك لغرض انقضت صحبته بانقضائه وصحبة العبد ربه ينبغي أن تكون ذاتية كما هي في نفس الامر لانه لا خروج للعبد عن قبضة سيده وان أبق في زعمه فما خرج عن ملكه وهو جاهل بملك سيده لأنه حيث ما مشى في ملكه مشى فما خرج عن ملك سيده ولا ملكه فلله ملك السموات والأرض فلهذا حرّم على الحاج صيد البرّ وهو قوله صلى الله عليه وسلم حبوا الله لما يغذوكم به من نعمه خطابا منه لعبيد الاحسان حيث جهلوا مقادير هم وما ينبغي لجلال الله من الانقياد بالطاعة اليه ولم يحرم صيد البحر على المحرم ما دام محرما لان صيد البحر سيده ماء وهو عنصر الحياة الذي خلق الله منه كل شئ حيّ والمطلوب باقامة هذه العبادة وغيرها انما هو حياة القلوب كما قال أو من كان ميتا فأحييناه في معرض الثناء بذلك فاذا كان المقصود حياة القلوب والجوارح بهذه العبادة وبالعبادات كلها ظاهرها وباطنها فوقعت المناسبة بين ما طلب

منه وبين الماء فلم يحرم صيده ان يتناوله ولهذا جاء بلفظ البحر لاتساعه فانه يعم وكذلك هو الامر فى نفسه فانه مامن شئ من خلقه الا وهو يسبح بحمده ولا يسبح الا حى فسرت الحياة فى جميع الموجودات فاتسع حكمها فناسب البحر فى الاتساع فلهذا أضافه الى البحر ولم يقل الى الماء لمراعاة السعة التى فى البحر فصيد البحر حلال للحلال وللحرام

﴿وصل فى فصل صيد البر اذا صاده الحلال هل يأكل منه المحرم أم لا﴾

فمن قائل يجوز له أكله على الاطلاق ومن قائل هو محرم عليه على الاطلاق ومن قائل ان لم يصد من أجله ولا من أجل قوم محرمين جاز أكله وان صيد من أجل محرم فهو حرام على المحرم وأما مذهبنا فى هذا فلم ينقدح لى فيه شئ ولا ترجح عندى فيه دليل الا انه يغلب على ظنى الخبر الصحيح الوارد أنه اذا لم يكن للمحرم فيه تعمل فلها أكله وترجيح أحد احتمالى لفظة الصيد المحرم فى الآية لأن الصيد المذكور قد يراد به الفعل وقد يراد به المصيد ولا أدرى أى ذلك أراد الحق تعالى أو أراد الامرين جميعا الفعل والمصيد فمن يرى انه الفعل لا المصيد فيقول بجواز أكله على الاطلاق ولا معنى لقول من يقول ان صيد من أجله لانى ماخوطبت بنية غيرى فان أمرت أنا الحلال أو أشرت اليه أو نبهته أو أومأت اليه فى ذلك أو أعنته بشئ فلى فيه تعمل فيحرم على ذلك وأنا آثم فيه وهذا القول وان كنت لم أره لغيرى ولكن هو من محتملات القول الثالث وهو قوله ان لم يصد من أجله قد يريد باشارته أو دلالته وقد يريد ان الحلال نوى أن يصيد ما يأكله المحرم الحلال لا تحجير عليه فى تصرفه فأشبه الحق فى هذه الصفة فان رفع التحجير تنزيه عن التقييد فهى صفة الهية وليس لاحد أن يمتنع بتقييده عن تصريف الحق له اذ كان تقييده من تصريفه فله قبول ما يصرفه فيه كما قبل تقييده لافرق فهذه عبودية محضة خالصة حيث رآها فى الحلال من كونه غير محجور عليه ما حجر على المحرم أعنى رأى الصفة الالهية التى ليس من شأنها ان تقبل الاحتجار بل هو الفعال لما يريد كما أنه تعالى أشبه المقيد المحرم فى أمور أوجبها على نفسه لعباده فى غير موضع كما قال أوفوا بعهدى أوف بعهدكم فأدخل نفسه معنا وهذا من أصعب معارض الآية قوله تعالى فعال لما يريد فانه ليس بمحل لفعله ووفاؤه بالعهد ان وفى بعهده لا بد منه لصدقه فى خبره فقد فعل ما يريد وليس بمحل لتعلق ارادته لانه موجود ولا ترجع الى ذاته من فعله حال لم يكن عليها فهذا غاية الاشكال فى العلم الالهى وان تساهل الناس فى ذلك فاعماذلك لجهلهم بمتعلق الارادة والقول الثالث أقرب الاقوال الى الصحة لانه أقرب الى الجمع بين الاحاديث الواردة فى هذا الباب وهذا النظر الذى لنا فى هذه المسئلة ماهو قول رابع فانا ماقطعنا بالحكم فى ذلك لكن يغلب على ظنى ترجيح القول الثالث على القولين وان لم يكن بذلك الصريح

﴿وصل فى فصل المحرم المضطر هل يأكل الميتة أو الصيد﴾

فمن قائل يأكل الميتة والخنزير دون الصيد ومن قائل يصيد ويأكل وعليه الجزاء و بالاول أقول فان اضطر الى الصيد صاده وعليه الجزاء لانه متعمد فاخص الله مضطرا من غير مضطر كل مخلوق فى الاضطرار يصحبه دائما الا انه حقيقته ومع اضطراره فقد كلف فالذى ينبغى له أن يقف عند ما كلف فان الاضطرار المطلق لا يرتفع عنه وانما يرتفع عنه اضطرار خاص الى كذا فجميع حركات الكون من جهة الحقيقة اضطرارية مجبور فيها وان كان الاختيار فى الكون موجودا نعرفه ولكن ثم علم آخر علمنا به ان المختار مجبور فى اختياره بل تعطى الحقائق ان لا مختار لانا رأينا الاختيار فى المختار اضطرارا يأى لا بد أن يكون مختارا فالاضطرار أصل ثابت لا يندفع يصحب الاختيار ولا يحكم على الاضطرار الاختيار فالوجود كله فى الجبر الذاتى لانه مجبور باجبار من غيره فان المجبر للمجبور الذى لولا جبره لكان مختارا مجبور فى اختياره لهذا المجبور

فالخلق مجبور ولا سيما * والاصل مجبور فأين الخيار
فكل مخلوق على شكله * فى حالة الجبر وفى الاضطرار
تميز المخلوق عن أصله * بماله من ذلة وافتقار

فكن مع الحق بأوصافه ● ما بين جبر دائم واختيار

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿وصل في فصل نكاح المحرم﴾

فمن قائل لا ينكح ولا ينكح فان نكح فالنكاح باطل ومن قائل لا بأس ان ينكح وينكح والذي أقول به انه مكروه غير محرم والله أعلم الاحرام عقد والنكاح عقد فاشتركا في النسبة فجاز الوطء للمحرم حرام والعقد سبب مبيح للوطء فحرم أو كره فانه حمى والراتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وانما اجتنبت الشبه خوفا من الوقوع في المحظور النكاح والعقد لا يصح الا بين اثنين لا يصح من واحد فحرم أو كره لانا مطالبون بمعرفة الوحدة واثبات الواحد والوحدانية والحكم الله واحد فاعلم انه لا اله الا الله التجلي في الاحدية لا يصح لان التجلي يطلب الاثنين ولا بد من التجلي فلا بد من الاثنين فعقد النكاح للمحرم جائز فالعارف على قدر ما يقام فيه من أحوال الشهود قيل للجنيد وقد سئل عن المعرفة والعارف فقال لون الماء لون انائه فأثبت الاثنين فلا بد منك ومنه ولا بد من التمييز فلا بد من الواحد فان قلت ما في الوجود الا واحد صدقت وان قلت ما في الوجود الا اثنان صدقت وان قلت ما في الايجاد الا اثنان صدقت فانه عن ذات واحدة وان قلت ما في الايجاد الا واحد صدقت لانه يستحيل تعلق قدرتين بمقدور والتوحيد غيب والاثبات شهادة وهو سبحانه عالم الغيب والشهادة فاثبت الاثنينية بالنسبة الى العالم وبالنسبة الى الله عالم بالشهادة لا غير اذ يستحيل ان يكون عنه شيء غيبا خلافا لمن يجعل العلة في الرؤية الوجود

﴿وصل في فصل المحرمين وهم ثلاثة﴾

اما قارن واما مفرد بحج أو مفرد بعمرة وهو المتمتع فهذا الفصل يستدعي ايراد حجة الوداع وبعد ايرادها نذكر ما يتعلق بأفعال هذه العبادة من الاحكام على أسلوب ما مضى فنقول حدثنا غير واحد اجازة وسماعا عن ابن صاعد العراوي عن عبد الغافر الفارسي عن الجلودي عن ابراهيم بن سفيان المروزي عن مسلم بن الحجاج القشيري عن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن في الناس في العاشرة ان النبي صلى الله عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمسون ان يأتموا برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعملوا مثل عمله فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر فارسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تصنع قال اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ثم ركب القصواء حتى اذا استوت به ناقته على البيداء نظرت الى مد بصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل من شيء عملنا به فأهل بالتوحيد لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وأهل الناس بهذا الذي يهلون فلم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ منه ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبيته قال جابر لسنا ننوي الا الحج لسنا نعرف العمرة حتى اذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ثم نفذ الى مقام ابراهيم فقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فجعل المقام بينه وبين البيت فكان أبي يقول ولا أعلم ذكره الا عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الركعتين قل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون ثم رجع الى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ ان الصفا والمروة من شعائر الله أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة حتى اذا انصبت قدماه في بطن الوادي أسرع حتى اذا صعدنا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا حتى اذا كان آخر طواف على المروة قال لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي ولجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة

ابن مالك بن جعشم فقال يارسول الله أعامنا هذا أم لأبد فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة فى الاخرى فقال دخلت العمرة فى الحج مرتين لا بل لأبد أبد وقدم على من اليمن ببدن النبى صلى الله عليه وسلم فوجد فاطمة ممن حل ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت فأنكر ذلك عليها فقالت انى أمرت بهذا قال فكان على يقول بالعراق فذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرشا على فاطمة للذى صنعت مستفتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكرت عنه فأخبرته انى أنكرت ذلك عليها فقال صدقت صدقت ماذا قلت حين فرضت الحج قال قلت اللهم انى أهل بما أهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان معى الهدى فلا تحل قال فكان جماعة البدن الذى قدم به على من اليمن والذى أتى به النبى صلى الله عليه وسلم مائة قال فحل الناس كلهم وقصروا الا النبى صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى فلما كان يوم التروية توجهوا الى منى فأهلوا بالحج فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس فأمر بقبة من شعر فضربت له بنمرة فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشك قريش الا انه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية فاجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى اذا زاغت الشمس أمر بالقصوى فرحلت له فأتى بطن الوادى فخطب الناس فقال ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوع وان أوّل دم اضعه من دمائنا دم ابن ربيعة ابن الحارث كان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوعة وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرّح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم مالن تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسئلون عنى فما أنتم قائلون قالوا نشهد انك قد بلغت وأدّيت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء ثم ينكبها الى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات ثم أذن فأقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيأ ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصوى الى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص وأردف اسامة خلفه ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شنق للقصوى الزمام حتى ان رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى أيها الناس السكينة السكينة كلما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيأ ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان واقامة ثم ركب القصوى حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى أسفر جدّا فدفع قبل ان تطلع الشمس وأردف الفضل بن عباس وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحوّل الفضل وجهه الى الشق الآخر ينظر فحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل فصرف وجهه من الشق الآخر حتى أتى بطن محسر فحرّك ناقته قليلا ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرجك على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادى ثم انصرف الى المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة ثم أعطى عليا فنحر ما غبر وأشركه فى هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت فى قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاض الى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى بنى عبد المطلب وهم يسقون على زمزم فقال انزعوا يا بنى عبد المطلب فلولا ان يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه انتهى حديث جابر ثم نرجع فنقول القارن من قرن بين صفات الربوبية وصفات العبودية فى عمل من الاعمال كالصوم أو من قرن بين العبد والحق فى أمر بحكم الاشتراك فيه على التساوى بأن يكون

لكل واحد من ذلك الامر حظ مثل ما للآخر كانقسام الصلاة بين الله و بين عبده فهذا أيضا قران وأما الافراد فمثل قوله ليس لك من الامر شيء ومثل قوله قل ان الامر كله لله ومثل قوله كل من عند الله وكقوله واليه يرجع الامر كله وما جاء من مثل هذا انما انفرد به عبد دون رب أو انفرد به رب دون عبد فما انفرد به عبد دون رب قوله تعالى أنتم الفقراء الى الله وقوله تعالى لابي يزيد يا أبا يزيد تقرب الي بما ليس لي الذلة والافتقار فهذا معنى القران والافراد في الحج وسيأتي حكم ذلك في التفصيل ان شاء الله تعالى

﴿وصل في فصل المتمتع﴾

والمتمتعون على نوعين اما قارن واما مفرد بعمرة واختلف علماء الاسلام في التمتع فمنهم من قال أن يهل الرجل بالعمرة في أشهر الحج من الميقات ممن مسكنه خارج الحرم فيكمل أفعال العمرة كلها ثم يحل منها ثم ينشئ الحج في ذلك العام بعينه وفي تلك الاشهر من غير أن ينصرف الى بلده وقال بعضهم وهو الاحسن هو متمتع وان عاد الى بلده حج أو لم يحج فان عليه هدي التمتع المنصوص عليه في قوله تعالى فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فكان يقول عمرة في أشهر الحج متعة وقال بعضهم ولو اعتمر في غير أشهر الحج ثم أقام حتى أتى الحج وحج من عامه انه متمتع وذهب ابن الزبير الى ان المتمتع الذي ذكره الله هو المحصر بمرض أو عدو وذلك اذا خرج الرجل حاجا فحبسه عدو أو أمر تعذر به حتى تذهب أيام الحج فيأتي البيت و يطوف و يسعى و يحل ثم يتمتع وعليه حجة الى العام المقبل ثم يحج و يهدي وعلى ما قال ابن الزبير لا يكون التمتع المشهور اجماعا وقال أيضا ان المكي اذا تمتع من بلد غير مكة كان عليه الهدي واتفق العلماء على ان من لم يكن من حاضري المسجد الحرام فهو متمتع والذي أقول به ان قوله تعالى ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام انه يريد بذلك أي بهذه الاشارة باجازة الصوم في أيام التشريق من أجل رجوعه الى بلده لان المكي ليس بمتمتع فان العلماء اختلفوا في المكي هل يقع منه التمتع أم لا يقع فمن قال انه يقع منه التمتع واتفقوا أنه ليس عليه دم وجعلهم الآية التي ذكرناها وهي محتملة وان الدم يمكن أن يلزمه أو بدله وهو الصوم بعد انقضاء أيام التشريق فانه من حاضري المسجد الحرام ثم ينبغي أن نذكر من أجل هذه الآية اختلافهم في حد حاضري المسجد الحرام فقال بعضهم حاضرو المسجد الحرام أهل مكة وذي طوى وما كان مثل ذلك من مكة وقال بعضهم هم أهل المواقيت فمن دونهم الى مكة وقال بعضهم من كان بينه و بين مكة ليلة وقال بعضهم من كان ساكن الحرم وقال بعضهم هم أهل مكة فقط والذي أقول به انهم ساكنو الحرم بما رد الاعلام الى البيت فانه من لم يكن فيه فليس بحاضر بلا شك فلو قال تعالى في حاضر المسجد الحرام كما نقول بما جاور الحرم لان حاضر البلد ربضه الخارج عن سوره امتد في المساحة ما امتد وانما علق سبحانه ما ذكره بحاضري المسجد الحرام وهم الساكنون فيه فمعنى التمتع تحلل المحرم بين النسكين العمرة والحج وهذا عندي ما يكون الا لمن لم يسق الهدي فان ساق الهدي وأحرم قارنا فانه متمتع من غير احلال فانه ليس له أن يحل حتى يبلغ الهدي محله و بعد أن ذكرنا حكم التمتع فلنرجع الى ما وضعنا عليه كتابنا هذا في هذه العبادات فنقول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ان أشهر الحج حضرة الهية انفردت بهذا الحكم فأي عبد اتصف بصفة سيادة من تخلق الهي ثم عاد الى صفة حق عبودية ثم رجع الى صفة سيادته في حضرة واحدة فذلك هو المتمتع فان دخل في صفة عبودية بصفة ربانية في حال اتصافه بذلك فهو القارن وهو متمتع ومعنى التمتع انه يلزمه حكم الهدي فان كان له هدي وهو بهذه الحالة من الافراد بالعمرة أو القران فذلك الهدي كافيه ولا يلزمه هدي ولا يفسخ جملة واحدة وان أفرد الحج ومعه هدي فلا فسخ فالي هنا يعني مع ولهذا يدخل القارن فيه لقوله فمن تمتع بالعمرة الى الحج أي مع الحج فتم المفرد والقارن بالدلالة فان العمرة الزيارة فاذا قصدت على التكرار وأقل التكرار مرة ثانية كانت الزيارة حجا فدخلت العمرة في الحج أي يحرم بها في الوقت الذي يحرم بالحج وأكد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن جعل للقارن طوافا واحدا وسعيا واحدا وهذا مقام الاتحاد وهو التباس عبد بصفة رب وان كان المقصود العبد فهو التباس رب بصفة عبد فاذا حل المتمتع لاداء حق نفسه ثم ينشأ الحج فقد يكون تمتعه بصفة ربانية ان كان

ممن جعل له الله نورا أو كان الحق سمعه و بصره فلا يتصرف فيما يتصرف فيه الا بصفة ربانية والصفات الالهية على قسمين صفة الهية تقتضي التنزيه كالكبير والعلي وصفة الهية تقتضي التشبيه كالمتكبر والمتعلي وما وصف الحق به نفسه مما يتصف به العبد فمن جعل ذلك نزولا من الحق الينا جعل الاصل للعبد ومن جعل ذلك للحق صفة الهية لا تعقل نسبتها اليه لجهلنا به كان العبد في اتصافه بها يوصف بصفة ربانية في حال عبوديته فيكون جميع صفات العبد التي يقول فيها لا تقتضي التنزيه هي صفات الحق تعالى لا لغيره لا غير انها تلبس بها العبد ما انطلق عليها اللسان استحقاقا للعبد والامر على خلاف ذلك وهذا هو الذي يرتضيه المحققون من أهل طريقنا على انه ما رأينا أحدا نص عليه ولا حققه ولا أبداه مثل ما فعلنا نحن وهو قريب الى الافهام اذا وقع الانصاف وذلك ان العبد ما استنبطه ولا وصف الحق به ابتداء من نفسه وانما الحق وصف بذلك نفسه على ما بلغت رسله وما كشفه لاوليائه ونحن ما كنا نعلم هذه الصفات الا انا لا له بحكم الدليل العقلي فلما جاءت الشرائع بذلك وقد كان هو ولم نكن نحن علمنا ان هذه الصفات هي له بحكم الاصل ثم سرى حكمها فينا منه فهي له حقيقة وهي لنا استعارة اذ كان ولا نحن فالامر فيها على ما مهدناه هين المأخذ قريب المتناول فلا يهولنك ذلك اذ كان الحق به متكلما وأنت السامع فان قيل لك في ذلك شئ فليكن جوابك للمعترض أن تقول له انا ما قلته هو قال ذلك عن نفسه فهو أعلم بما نسبه الى نفسه ونحن مؤمنون به على حد علمه فيه وهذا أسلم العقائد فمن كشف له الحق تعالى صورة تلك النسبة كان على علم من الله تعالى بها وقد وقاه شرا با ولولا هذا الامتزاج ما صح أن يكون الانسان والحيوان من نطفة أمشاج فأظهر الكل بالكل وضرب الكل في الكل فظهر نابه له ولنا فنحن به من وجه وما هو بنا لانه الظاهر ونحن على أصلنا وان كنا أعطينا باستعدادنا في أعياننا أمور اهاسمي بما بطنه المحجوب أسماء لنا من عرش وكرسي وعقل ونفس وطبيعة وفلك وجسم وأرض وسماء وماء وهواء ونار وجماد ونبات وحيوان وانسان وجان كل ذلك لعين واحدة ليس الا فسبحان الاعلى المخصوص بالاسماء الحسنى والصفات العلى وقد علم من هو الاولى بصفة الآخرة والأولى فهو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم والانسان ظلوم بما غصب من هذه الصفات من حيث جعلها لنفسه حقيقة جهول بمن هي له و بأنها غصب في يده فمن أراد أن يزول عنه وصف الظلم والجهالة فليرد الامانة الى أهلها والامر المغصوب الى صاحبه والامر في ذلك هين جدا والعامة تظن ان ذلك صعب وليس كذلك

﴿وصل في فصل الفسخ﴾

وهو أن ينوي الحج وليس معه هدي فيحول النية الى العمرة فيعتمر و يحل ثم ينشئ الحج فمن قائل بجوازه ومن قائل بوجوبه ومن قائل بأن ذلك لا يجوز و بالوجوب أقول العمرة حج أصغر فجاز تحويل النية اليها وكيف لا وقد تضمن فعلها الحج الاكبر فقام طواف الحج الاكبر وسعيه للقارن مقام ما للعمرة من الطواف والسعي وهما ركنان فاندرجت العمرة التي هي الحج الاصغر في الحج الاكبر وصارا عينا واحدة فجاز الفسخ لعدم الهدي فان الهدية من القادم للذي قدم عليه معتادة فاذا لم يجئ بها كان أن لا يدخل على من قصده بالنية الاولى حتى يتمتع و يهدي ولا بد ولكن لا يقدم هديه حتى ينشئ نية أخرى بالقصد على حسب ما نواه فاذا أحرم بالحج أي نوى قصد الكبير سبحانه لا المتكبر الذي هو بمنزلة العمرة التي هي حج أصغر فقدم الهدي الذي أوجبه التمتع ان نسيكة على ما تيسر واما صوم لمن قصده بتلك الزيارة فهي الهدية له فان الصوم له وهو الذي نزل عليه الحاج فلذلك كان الصوم هدية لانه يستحقها بل هي أليق به من الهدي فانه لا يناله من الهدي الا التقوى خاصة من الهدي والصوم كله هو له فهو أعظم في الهدية وانما جعله الله لمن لم يجد هديا لان الهدي ينال الحق منه التقوى و ينال العبد منه ما يكون له به التغذي وقوام نشأته فراعى سبحانه منفعة العبد مع ما للحق فيه من نصيب التقوى مع الوجود فاذا لم يجد رفق به سبحانه فأوجب عليه الصوم اذ كان الصوم له ولم يوجب عليه غير ذلك لانه ليس له من عمل العباد الا الصوم فأقامه مقام الهدية بل هو اسنى وقنع منه بثلاثة أيام في الحج رفقا به حتى يكون قد أتى اليه بشئ فيفرح القادم بتلك التقدمة التي قدمها لربه في هذا

القدوم فهذا من وجه رفق الله بعبده وأخر السبعة اذا رجع الى أهله فهنالك يأخذها منه فانه فى رجوعه أيضا قادم عليه فان الحق مع أهله أينما كانوا فاذا رجع الى أهله وجد الحق معهم فصام هدية سبعة أيام فقبلها الحق منه فى أهله أو حيثما كان فان الله مع عباده أينما كانوا ومن رأى ان العين واحدة وان اختلفت النسب لم ير أنه فسخ مع وجود الفسخ مثل قوله وما رميت اذ رميت فنفى وأثبت كذلك هذا وما فسخت اذ فسخت فمن كان شهوده فى نفسه الحج خاصة لم يحل له الاصغر والاكبر فلم يفسخ وبقى على نيته الاولى لقوله تعالى وأتموا الحج فهو بحسب مشهده والاول أتم وهو القائل بالفسخ والتعدى عن الفسخ فهو فاسخ لا فاسخ

﴿تفريع فى التمتع﴾

اختلف علماء الاسلام فيمن أنشأ عمرة فى غير أشهر الحج ثم حج من عامه ذلك فمن قائل عمرته فى الشهر الذى حل فيه فهذا متمتع عنده بلا شك فان حل فى غير أشهر الحج عنده فليس بمتمتع واشترط بعضهم أن يكون طوافه كله فى أشهر الحج وقال بعضهم ان طاف ثلاثة أشواط فى رمضان وأربعة فى شوال كان متمتعا وقال بعضهم من أهل بعمرة فى غير أشهر الحج فسواء طاف فى أشهر الحج أو لم يطف لا شئ عليه فانه ليس بمتمتع اعلم انه لما كانت أسماء الحق منها ما يعطى الاشتراك ومنها ما لا يعطى الاشتراك والذى لا يعطى الاشتراك كالمعز والمذل والذى يعطى الاشتراك كالعليم والخبير فاذا كان العبد تحت حكم اسم ما من الاسماء الالهية التى تعطى الاشتراك فهو بمنزلة من أحرم بالعمرة فى غير أشهر الحج وعملها فى أشهر الحج فهل للاسم الاول فيه حكم اذا انتقل الى الاسم الآخر فانظر ان كان أحدهما يتضمن الآخر فى أمر ما كالخبير والعالم كان فى عمله تحت حكم الآخر لانه صاحب الوقت وأنت أخيذه بأ كثر ما أخذ منك الوقت الاول وان كان مشهدك أول الانشاء وأنه المؤثر ولولاه لم يصح حكم هذا الآخر كالنية فى الصلاة ثم لا يحضر فى اثناء الصلاة فصحت الصلاة لحكم الاول وقوته فمن كان مشهده هذا نفى أن يكون هذا متمتعا فانه بحكم الانشاء لا بحكم الانتهاء فاعلم ذلك وأما أكثر شروط التمتع الذى يكون به المتمتع متمتعا فهى عند بعضهم خمسة منها أن يجمع بين العمرة والحج فى سفر واحد الثانى أن يكون ذلك فى عام واحد الثالث أن يفعل شيأ من العمرة فى أشهر الحج الرابع أن ينشئ الحج بعد الفراغ من العمرة واحلاله منها الخامس أن يكون وطنه غير مكة أما الجمع فى سفر واحد وذلك أن يدعوه اسمان فما زاد أو اسم يتضمن اسمين فما زاد كما قدمنا فيجيب فى ذلك السفر الواحد اليهما بحسب ما دعواه اليه كالمغنى اذا دعاه اليه فانه يتضمن فى المدعو حكم الاسم المعز فانه اذا استغنى اعتز والعزة لا تكون الا من الاسم المعز وما اعتز هنا الا بالاسم المغنى لانه أغناه فأورثته صفة الغنى العزة فلولا ان المغنى يتضمن الاسم المعز ما ظهرت العزة فى هذا الغنى بما استغنى به وأما العام الواحد فانه كمال الزمان اذ العام فيه كمال الزمان لحصره الفصول فكمال الزمان هو بظهور الابد الذى به كمل الدهر فان الازل نفى الاولية والابد نفى الآخرية فما بقى طرفان فليس الا دهر واحد اذ كان نسبة الازل للحق نسبة الزمان للخلق فى العامة بنسبة الزمان الماضى فينا فلهذا لا يعبر عن الفعل فيه الا بالماضى فيقولون كان ذلك فى الازل وفعل ذلك فى الازل وقد بينا حقيقة مدلول هذه اللفظة فى كتابنا هذا وفى جزء لنا سميناه الازل وأما كونه أن يكون شئ من العمرة فى أشهر الحج فهو أن يكون قصد الانسان الى ربه من حيث ما يقتضيه حق الله عليه فيه ووفاء بحق العبودية فللعمل وجه فى هذا ووجه فى هذا وأما أن ينشئ الحج بعد الفراغ من العمرة والاحلال منها فهو بمنزلة الاخلاص فى العبادة والخروج من حكم اسم الهى مقابل لاسم الهى لا يجتمعان كالضار والنافع والمعطى والمانع وأما الوطن أن يكون غير مكة فذلك بين فان العبد موطنه العبودية ولا يستطيع الخروج من موطنه الا اذا دعاه الحق اليه فلو ضمه معه موطن لما دعاه اليه

﴿وصل فى فصل فى القران﴾

فهو عندنا أن يهل بالعمرة والحج معا فان أهل بالعمرة ثم بعد ذلك أهل بالحج فهذا مردف وهو قارن أيضا ولكن بحكم الاستدراك فمن جمع بين العمرة والحج فى احرام واحد فهو قران سواء قرن بالانشاء أو بعده بزمان ما لم يطف بالبيت

وقيل مالم يطف ويركع ويكره بعد الطواف وقبل الركوع فان ركع لزمه ومن قائل له ذلك بعد الركوع من الطواف وما بقى عليه شئ من عمل العمرة الا اذا لم يبق عليه من أفعال العمرة الا الحلاق فانهم اتفقوا على انه ليس بقارن وذلك كله عند بعضهم ان ساق الهدى وبه أقول فان لم يسق معه هديا فاختلفوا فى حجه وكذلك مفرد الحج سواء فمن قائل ببطلان الحج ويجب عليه الفسخ ولابدّ ومن قائل بجواز الفسخ لا بوجوبه ومن قائل بمنعه وانه يتم حجه الذى نواه سواء ساق الهدى أم لم يسق والقارن الذى يلزمه هدى التمتع هو عند الجمهور من غير حاضرى المسجد الحرام الا ابن الماجشون فان القارن عنده من أهل مكة عليه الهدى وأما الافراد فهو ما تعرّى من هذه الصفات وهو الاهلال بالحج فقط واختلف العلماء من الصحابة فيه اذا لم يكن له هدى وقد ذكرناه آنفا فى هذا الفصل وأما الذين أجازوا الحج لمن لم يسق الهدى وفى أصل الاهلال بالحج وان ساق الهدى أىّ أفضل فمن قائل الافراد أفضل ومن قائل القران ومن قائل التمتع اعلم أن المحرم لا يحرم كان الموجود لا يوجد وقد أحرم المردف قبل أن يردف ثم أردف على احرام العمرة المتقدّم وأجزأه بلا خلاف والاحرام ركن فى كل واحد من العملين وبالاتفاق بجوازه فيترجح قول من يقول يطوف لهما طوافا واحدا وسعيا واحدا وحلاقا واحدا أو تقصيرا على من لا يقول بذلك قد تقدم لك حكم تداخل الاسماء الالهية فى الحكم وقد تقدم لك انفراد حكم الاسم الالهى الذى لا يداخله حكم غيره فى حكمه فلتنظره هنالك فمن أفرد قال الافعال كلها لله والعبد محل ظهورها ومن قرن قال الافعال لله بوجه وتنسب الى من تظهر منه بوجه يسمى ذلك كسبا عند بعض النظار وخلقا عند آخرين واتفق الكل على أن خلق القدرة المقارنة لظهور الفعل من العبد لله وانها ليست من كسب العبد ولا من خلقه واختلفوا هل لها أثر فى المقدور أم لا فمنهم من قال لها أثر فى المقدور ولا يكون مقدورها الا عنها وما صح التكليف وتوجه على العبد اذ لو لم يكن قادرا على الفعل لما كلف ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وهو ما يقدر على الاتيان به وقال فى ان القدرة لله التى فى العبد لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها والذى أعطاها انما هو القدرة التى خلق فيه فله الاقتدار بها على ايجاد ما طلب منه أن يأتى به من التكليف ومنهم من قال ليس للقدرة الحادثة أثر خلق فى المقدور الموجود من العبد وليس للعبد فى الفعل الصادر منه الا الكسب وهو اختياره لذلك الفعل اذ لم يكن مضطرا اولا مجبورا فيه وأما أهل الله الذين هم أهله فأعيان الافعال الظاهرة من أعيان الخلق انما هى نسب من الظاهر فى أعيان هذه الممكنات وان استعداد الممكنات أثرت فى الظاهر فى أعيان الممكنات ما ظهر من الافعال والعطاء بطريق الاستعداد لا يقال فيه انه فعل من أفعال المستعدّ لانه لذاته اقتضاه كما أعطى قيام العلم لمن قام به حكم العالم وكون العالم عالما ليس فعلا البتة فالاقتضا آت الذاتية العلية ليست أفعالا منسوبة الى من ظهرت عنه وانما هى أحكام له فأفعال المكلفين فيما كلفوا به من الافعال أو التروك مع علمنا بأن الظاهر الموجود هو الحق لا غيره بمنزلة ما ذكرناه من محاورة الاسماء الالهية ومجاراتها فى ميادين المناظرة وتوجهاتها على المحل الموصوف بصفة ما بأحكام مختلفة وقهر بعضها بعضا كفاعل الفعل المسمى ذنبا ومعصية يتوجه عليه الاسم العفوّ والغفار والمنتقم والمعاقب فلا بدّ أن ينفذ فيه أحد أحكام هذه الاسماء اذ لا يصح أن ينفذ فيه الجميع فى وقت واحد لان المحل لا يقبله للتقابل الذى بين هذه الاحكام فقد ظهر قهر بعض الاسماء فى الحكم لبعض والحضرة الالهية واحدة فاذا علمت هذا هان عليك ان تنسب الافعال كلها لله كما تنسب الاسماء الحسنى كلها لله تعالى أو الرحمن مع أحدية العين واختلاف الحكم فاعلم ذلك وتحققه فى جميع ما يسمى فعلا فتعرف عند ذلك من هو المكلف والمكلف وتنطق فيه بحسب مشهدك انتهى الجزء الخامس والستون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل فى فصل الغسل للاحرام)

فمن قائل بوجوبه ومن قائل ان الوضوء يجزئ عنه ومن قائل انه سنة مؤكدة آكد من غسل الجمعة اعلم ان الطهارة الباطنة فى كل عبادة واجبة عند أهل الله الا من يرى ان المكلف انما هو الظاهر فى مظاهر أعيان الممكنات فانه

براءة سنة لا وجوبا ومن يرى من أهل الله ان الاستعداد الذى هو عليه عين المظهر كما أثر فى الظاهر فيه ان يميز عن ظهور آخر بأمر ما وباسم ما من حيوان أو انسان أو مضطر أو بالغ أو عاقل أو مجنون فذلك الاستعداد عينه أوجب عليه الحكم بأمر ما كما أوجب له الاسم فقال له اغتسل لاحرامك أى تطهر بجمعك حتى تعم الطهارة ذاتك لكونك تريد أن تحرّم عليك أفعالا مخصوصة لا يقتضى فعلها هذه العبادة الخاصة المسماة حجا أو عمرة فاستعد لها بصفة تقديس أولى لأنك تريد بها الدخول على الاسم القدوس فلا تدخل عليه الا بصفته وهى الطهارة كما لم تدخل عليه الا بأمر اذ المناسبة شرط فى التواصل والصحبة فوجب الغسل ومن رأى انه انما يحرم على المحرم أفعال مخصوصة لا جميع الأفعال قال فلا يجب عليه الغسل الذى هو عموم الطهارة فانه لم يحرم عليه جميع أفعاله فيجزئ الوضوء فانه غسل أعضاء مخصوصة من البدن كما انه ما يحرم عليه الا أفعال مخصوصة من أفعاله وان اغتسل فهو أفضل وكذلك ان عم الطهارة الباطنة فهو أولى وأفضل

﴿وصل فى فصل النية للاحرام﴾

وهو أمر متفق عليه الا من شذ القصد بالمنع عين بقائك على ما أنت عليه فهذا حكم منسوب اليك تؤجر عليه وما عملت شيأ وجوديا وهو كالنهى فى التكليف وله من الأسماء المانع والقصد أبدا لا يكون متعلقه الا معدوما فيقصد فى المعدوم أبدا أحد أمرين اما ايجاد عين وهو الكون واما ايجاد حكم وهو النسبة وما ثم ثالث يقصد فمثل ايجاد العين انما قولنا لشئ اذا أردناه ولا يريده الا وهو معدوم ان نقول له كن فيكون فيظهر وجود عين المراد بعد ما كان معدوما ومثل ايجاد الحكم وهو النسبة قوله تعالى ان يشأ يذهبكم فالاذهاب معدوم وهو الذى يشاء ان شاء فان شاء أعدمه بمنع شرطه الذى به بقاء حكم الوجود عليه فيصير عليه حكم اسم المعدوم وما فعل الفاعل شيأ فتعلق القصد بالاعدام فاتصف الموجود بحكم العدم لانه كان العدم فان العدم لا يكون مع وجود حكمه وهو النسبة واذا تأملت فما ثم وجود الا الله خاصة وكل موصوف بالوجود مما سوى الله فهو نسبة خاصة والارادة الالهية انما متعلقها اظهار التجلى فى المظاهر أى فى مظاهر ما وهو نسبة فان الظاهر لم يزل موصوفا بالوجود والمظهر لم يزل موصوفا بالعدم فاذا ظهر أعطى المظهر حكما فى الظاهر بحسب حقائقه النفسية فانطلق على الظاهر من تلك الحقائق التى هو عليها ذلك المظهر المعدوم حكم يسمى انسانا أو فلكا أو ملكا وما كان من أشخاص المخلوقات كما رجع من ذلك الظهور للظاهر اسم يطلق عليه يقال به خالق وصانع وضار ونافع وقادر وما يعطيه ذلك التجلى من الأسماء وأعيان الممكنات على حالها من العدم كما ان الحق لم يزل له حكم الوجود فحدث لعين الممكن اسم المظهر وللمتجلى فيه اسم الظاهر فلهذا قلنا فكل موجود سوى الله فهو نسبة لا عين فأعطى استعداد مظهر ما ان يكون الظاهر فيه مكلفا فيقال له افعل ولا تفعل ويكون مخاطبا بأنت وبكاف الخطاب فالقصد للاحرام هو القصد للمنع ان يمنع به ما يمكن أن لا يمنع فحينئذ يصير المنع حكما والتكليفات كلها أحكام فالنية للاحرام ان يقصد بذلك المنع القربة الى الله والقربة معدومة فيكون سبب وجود حكمها هذا المنع فحصل للعبد بعد أن لم يكن فيصير مظهرا عند ذلك وهو غاية القرب ظهور فى مظهر لأن بذلك الظهور يظهر حكم المظهر فى الظاهر فيه كما يظهر بطريق القرب حكم الداعى فى المدعو بما يكون منه من الاجابة قال تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان اذ لا تكون اجابة الا بعد دعاء فأعطاه الداعى حكم الاجابة كما دعاه تعالى الى الحج الى بيته على صفة مخصوصة تسمى الاحرام فأجاب العبد رافعا صوته وهو الاهلال بالتلبية وهى قوله لبيك اللهمّ لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك

﴿وصل فى فصل هل تجزئ النية عن التلبية﴾

اختلف علماء الرسوم رضى الله عنهم فى ذلك فقال بعضهم التلبية فى الحج كتكبيرة الاحرام فى الصلاة وصاحب هذا القول يجزئ عنده كل لفظ يقوم مقام التلبية كما يجزئ عنده فى الصلاة كل لفظ يقوم مقام التكبير وهو كل ما يدل على التعظيم وقال بعضهم لا بدّ من لفظ التلبية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذوا عنى مناسككم وعما شرع

لفظ التلبية وهو قوله لبيك كما شرع الله أكبر في تكبيرة الاحرام في الصلاة فأوجب بعضهم تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم وصورتها لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وفي رواية لبيك اله الحق وفي رواية اله الخلق فهي واجبة بهذا اللفظ عند هؤلاء وعند جمهور العلماء مستحبة وبه أقول واللفظ بها أولى واختلفوا في الزيادة على هذا اللفظ وفي تبديله كما قلنا وكذلك اختلفوا في رفع الصوت بالتلبية وهو الاهلال فأوجبه بعضهم وبه أقول ولكنه عندي اذا وقع منه مرة واحدة أجزأه وما زاد على الواحدة فهو مستحب وأولى وقال بعضهم رفع الصوت بالتلبية مستحب الا في مساجد الجماعات ما عدا المسجد الحرام ومسجد منى عند بعضهم واختلفوا في التلبية هل هي ركن أم لا فقال بعضهم هي ركن من أركان الحج وبه أقول فان الله يقول فليستجيبوا لي وهو قد دعانا الى بيته فلا بد أن أقول لبيك ثم تأخذ في الفعل لما دعاني الله ان تأتيه به من الصفات وقال بعضهم ليست ركنا اعلم ان القصد الى الله تعالى بهذه العبادة الخاصة الجامعة بين الاحرام والتصرف في أكثر المباحات هو قصد خاص لاسم خاص وهو الداعي الى البيت بهذا القصد لا اليه لكن من أجله بصفة عبودية مشوبة بصفة سيادة تظهر حكم السيادة في هذه العبادة في النحر لأنه اتلاف صورة وفي الرمي بالجمار فانه وصف فعل الحق في قوله وأمطرنا عليهم حجارة روي ان ابليس تعرض لأبراهيم الخليل في أماكن هذه الجمرات مرارا فحصبه بعد ما شرع وفي زمانها وكذلك في القاء التفث فانه وصف الحق من قوله سنفرغ لكم وفرغ ربك والوفاء بما نذر فيه كذلك لقوله أوفوا بعهدكم والطواف بالبيت لكون هذا الفعل احاطة بالبيت من قوله وهو بكل شيء محيط والذكر فيها من قوله اذكروني أذكركم وذكر الله لنا أكبر من ذكرنا له الا ان ذكرنا به لا بنا فذكرنا به أكبر احاطة فان في ذكرنا نحن وهو في ذكره هو بلا نحن قرئ على أبي يزيد ان بطش ربك لشديد قال بطشي أشد يعني اذا بطش العبد به لا بنفسه وانما قول أبي يزيد عندي فشرحه خلاف هذا فان بطش العبد بطش معرى عن الرحمة ما عنده من الرحمة شيء في حال بطشه وبطش الحق بكل وجه فيه رحمة بالمبطوش به من وجه يقصده الباطش الحق فهو الرحيم به في بطشه فبطش العبد أشد لأنه لا تقوم به رحمة بالمبطوش به وما أشبه ذلك من الرمل والسعي وكل فعل له في الألوهية وصف واذا عرفت ان القصد الى البيت من الله لا اليه فليكن قصدك الى البيت بربك لا بنفسك فتكون ذا قصد الهي فانه تعالى قصد هذا البيت دون غيره من البيوت وطلب من عباده أن يقصدوه بوصف خاص وهو الاحرام وجميع أفعال الحاج وجعل أوله طوافا وآخره طوافا فختم بمثل ما به بدأ عند الوصول الى البيت فما أمرك بالقصد الى البيت لا اليه الا لكونه جعله قصدا حسيا فيه قطع مسافة أقربها من بيتك الذي بمكة الى البيت وهو معك أينما كنت فلا يصح ان تقصد بالمشي الحسي من هو معك فأعلمك انه معك ثم انه دلك على البيت الذي هو مثالك ومن جنسك أعني انه مخلوق فدلالته لك على البيت دلالته لك على نفسك في قوله من عرف نفسه عرف ربه فاذا قصدت البيت انما قصدت نفسك فاذا وصلت الى نفسك عرفت من أنت واذا عرفت من أنت عرفت ربك فتعلم عند ذلك هل أنت هو أو لست هو فانه هنالك يحصل لك العلم الصحيح فان الدليل قد يكون خلاف المدلول وقد يكون عين المدلول فلا شيء أدل على الشيء من نفسه ثم تبعد الدلالة بحسب بعد المناسبة فالانسان أقرب دليل عليه من كونه مخلوقا على الصورة ولهذا ناداك من قريب لقرب المناسبة فقال اني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني وقد سمع الله قول التي تجادلك وقد تقدم في أول الباب أسرار ظهرت في اعتبار البيت ثم جاء بلفظة البيت لما فيه من اشتقاق المبيت فكأنه انما سمي بيتا للمبيت فيه فانه الركن الاعظم في منافع البيت كقولهم الحج عرفة يريد معظمه فراعى حكم المبيت لانه في المبيت يكون النوم فهو محتاج الى من يحفظ رحله ونفسه لنومه فانه في حال يقظته يتصف بحفظ رحله ونفسه فلما راعى فيه المبيت والمبيت لا يكون الا بالليل لا بالنهار ولهذا راعى أحمد بن حنبل في غسل اليد في الوضوء قبل ادخالها في الاناء لمن قام من نوم الليل خاصة لقوله صلى الله عليه وسلم فان أحدكم لا يدري أين باتت يده فجاء بلفظ المبيت فجعل الحكم في نوم الليل ولما كان الليل محل التجلي فيه فان الحق ما جعل تجليه لعباده في الحكم الزماني الا في الليل فان فيه ينزل ربنا وفيه كان الاسراء برسول الله صلى الله عليه

ومنزل وفيه معارج الارواح فى النوم لرؤية لآيات ولما تحققت هذه الامور كلها خص سبحانه هذا المكان بلفظ البيت فسماه بيتا فافهم ما أشرنا اليه فقال جل وتعالى ولله على الناس اشارة الى النسيان ولم يقل على بنى آدم حج البيت يعنى قصد هذا المكان من كونه بيتا لينبه باسمه على ما قصد به دون غيره من استطاع اليه سبيلا أى من قدر على الوصول اليه ولذلك شرع واياك نستعين وأمثاله فالاجابة لله بالتلبية لدعائه ورفع الصوت به من أجل البيت لبعده عن المدعو فانه دعاه من البيت لانه دعاه ليراه فيه لتجليه كما أسرى بعبده ليلا ليريه من آياته التى هى دلائل عليه وقد يكون ظهور الشئ للطالب دليلا على نفسه فيكون من آياته أن يتجلى له فيراه فيكون له دليلا على نفسه وهذا مذهب ابن عباس فوجب رفع الصوت بالتلبية وهو الاهلال لاجل ما للبيت من الحظ فى هذا الدعاء فانه المقصود فى اللفظ فهو الجناب على الوجه المقصود فان كنت محمدى المشهد فلا تزد على تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فتراه بعينه فانه لا يتجلى لك بتلبيته الا ما تجلى له وقد تقرر أنه أعلم الخلق بالله والعلم بالله لا يحصل الا من التجلى وقد تجلى لك فى تلبيتك هذه فنظرته بعين محمد صلى الله عليه وسلم وهى أكمل الاعين لانه أكمل العلماء بالله والتمع العبد فى شهوده على قدر علمه به فان زدت على هذه التلبية فقد أشركت حيث أضفت اليها تلبية أخرى وأنت تعلم ان الجمع يعطى من الحكم ما لا يعطى الافراد فلا تتخيل انك لما جئت بتلبيته صلى الله عليه وسلم كاملة ثم زدت عليها ما شئت ان باستيفائك اياها يحصل لك ما حصل لمن لم يزد عليها هذا أجهل من قاله عما هى عليه حقائق الامور ألا تراه صلى الله عليه وسلم لزم تلبيته تلك وما زاد عليها ولا أنكر على أحد ما لبى به فلم يكن لزومه اياها باطلا فالزم الاتباع تكن عبدا ولا تبتدع فى العبودية حكما فتكون بذلك الابتداع ربا فانه البديع سبحانه فالزم حقيقتك تحظ به وان شاركتم لم تحظ به فانه لا يشارك فتقع فى الجهل لان الشركة لا تصح فى الوجود لان الوجود على صورة الحق وما فى الحق شريك بل هو الواحد الشركة ما لها مصدر تصدر عنه فتحقق هذا التنبيه فى الشركة فانه بعيد أن تسمعه من غيرى وان كان معلوما عنده فانه يحكم عليه الجبن الذى فطر عليه فيفزع من كون الحق أثبت الشركة وصفا فى المخلوق وما شعر هذا الناظر بقوله أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء وهو الذى أشرك فما قال ان الشركة صحيحة ولا ان الشريك موجود اذ لا يصح وجود معنى الشركة على الحقيقة لان الشريكين حصة كل واحد منهما معينة عند الله وان جهلها الشريكان فأنت الذى أشركت وما فى نفس الامر شركة لان الامر من واحد

هذا هو الحق الذى * ان قلته لا تغلب
وما سوى هذا فلا * فهو مثال يضرب

مثل تقدير وجود المحال وجوده بحكم الفرض ولما كان القصد الى البيت والبيت فى الصورة ذو أربعة أركان وفى الوضع الاول ذو ثلاثة أركان كان القصد على صورة البيت فى أكثر المذاهب فأركان الحج أربعة الاحرام والوقوف والسعى وطواف الافاضة هذا هو الذى عليه أكثر الناس ومن راعى صورة البيت فى الوضع الاول كان عنده على التثليث لم ير طواف الافاضة فرضا فأقام البيت على شكل مثلث متساوى الساقين لا متساوى الاضلاع ولا يصح أن يكون متساوى الاضلاع اذ لو كان لم يكن ثم من يميز الساقين لانه مثلهما ولا بد من تساوى الساقين والتمييز بينهما وهما اليدان والقبضتان وانما سميناساقين للاعتماد الذى فى حقيقة الساق ولما كان الاعتماد على القبضتين واليهما يرجع حكم الامر فى الدارين الجنة والنار وما ثم غيرهما كان اسم الساق أولى والتفت الساق بالساق فلا بد من التساوى حتى يصح الالتفاف عليه كله من كله وما زاد على هؤلاء الاربعة وجعل ركنا فمن نظر آخر خارج عن شكل البيت وصورته فهو بمنزلة من يطلب أمرا فيرى ما يشبهه فيقول هو هو وان كان هو اعتبار صحيح ولكن ماله هذا الظهور فى الشبه لان الصورة لا تشهد له أعنى صورة البيت الذى هو المقصود بالحج لا غير

﴿وصل فى فصل الاحرام أو صلاة﴾

وهو مستحب عند العلماء فرضا كان أو نفلا غير أن بعضهم يستحب أن يتنفل له بركعتين فانه أولى اذ كانت السنة

من

من النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة في ذلك والسنة أحق بالاتباع فانه لهذا سنت وقد قال خذوا عني مناسككم في حجه صلى الله عليه وسلم انما شرع الاحرام اثر صلاة لان الصلاة عبادة بين طرفي تحريم وتحليل فتحريمها التكبير وتحليلها التسليم فأشبهت الحج والعمرة فانهما عبادتان بين طرفي تحريم وتحليل فوقعت المناسبة ولان الصلاة أيضا أثبت الحق فيها نفسه وعبده على السواء فجعل لنفسه منها أمرا انفرد به وجعل لعبده منها حظا أفرده به وجعل منها برزخا أوقع فيه الاشتراك بينه وبين عبده فانها عبادة مبنية على أقوال وأفعال والحج كذلك ينبني على أقوال وأفعال فما فيه من التعظيم فهو لله ومن الذلة والافتقار والتفث فهو للعبد وما فيه مما يظهر فيه اشتراك فهو برزخ فوقعت المناسبة أيضا فيه أكثر من غيره من العبادات فان الصوم وان كان بين طرفي تحريم وتحليل فما يشتمل على أقوال ولا على أفعال ثم ان كان لك أهل في موضع احرامك فينبغي لك اذا أردت الاحرام أن تطأ أهلك فان ذلك من السنة ثم تغتسل وتصلي وتحرم فان المناسبة بين الحج والصلاة والنكاح كون كل واحد من هذه العبادات بين طرفي تحريم وتحليل وقد راعى الله ذلك أعني المناسبة من هذا الوجه في الصلاة والنكاح فقال حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى الآيتين وجعل هذه الآية بين آيات نكاح وطلاق تتقدمها وتتأخر عنها وعدة وفاة وفي ظاهر الامر ان هذا ليس موضعها وما في الظاهر وجه مناسب للجمع بينها وبين ما ذكرناه الا كونهما بين طرفي تحريم وتحليل متقدم أو متأخر ولما أراد الله من العبد فيما نبه به أن لا يفعل شيأ من الافعال الصادرة منه في ظاهر الامر الا وهو يعلم ان الله هو الفاعل لذلك الفعل في قوله كنت سمعه و بصره فبي يسمع و بي يبصر و بي يتحرك وقال في الصلاة ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فنسب القول اليه لا الى العبد ولم يقل بلسان عبده فلهذا شرع الاحرام عقيب صلاة ليتنبه الانسان عاذكرناه انه بربه في جميع حركاته وسكناته على اختلاف أحكامها فيكون في عبادة دائما بهذا الحضور ويكون فيها الا فيها

فالله أظهر نفسه بحقائق الا كوان في أعيانها فاعبده به

ان كنت تعبده فلست بعابد * فانظر الى قولي لعلك تنتبه

وتفطن فان الله ما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى سدى بل قال ذلك لتعرف أنت وأمثالك صورة الامر كيف هو فالاحرام للعبد نظير التنزيه للحق وهو قولك في حق الحق ليس كذا وليس كذا لكونه قال ليس كمثله شئ وسبحان ربك رب العزة عما يصفون والعزة الامتناع والتسبيح تنزيه والتنزيه بعد عما نسب اليه من الصاحبة والولد وغيرهما والاحرام منع وتنزيه و بعد عن الجماع وعن أشياء قد عين الشارع اجتنابها وهو عين التنزيه والتباعد عنها ومنع صاحب هذه العبادة من الاتصاف بها

﴿وصل في فصل نسبة المكان الى الحج من ميقات الاحرام﴾

أي من أي مكان أحرم عليه السلام فمنهم من قال من مسجد ذي الحليفة ومنهم من قال حين استوت به راحلته ومنهم من قال حين أشرف على البيداء وكل قال وأخبر عن الوقت الذي سمعه فيه يهل فمنهم من سمعه يهل عقيب الصلاة من المسجد ثم سمعه آخر يهل حين استوت به راحلته ثم سمعه آخر يهل حين أشرف على البيداء وقال علماء الرسوم في المكي اذا أحرم لا يهل حتى يأخذ في الرواح الى منى والاولى عندي أن يهل عقيب الصلاة اذا أحرم ثم اذا أخذ في الرواح ثم لا يزال يهل الى الوقت المشروع الذي يقطع عنده التلبية لان الدعاء كان لجميع أفعال الحج فالتلبية اجابة لذلك الدعاء فما بقي فعل من أفعال الحج أمامه لم يفعله فلا يقطع التلبية حتى يفرغ من أفعال الحج الذي دعاه الى فعلها هذا يقتضي النظر الا أن يرد نص من الشارع بتعيين وقت قطع التلبية فيقف عنده لقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم ولما كان الدعاء عند أهل الله نداء على رأس البعد و بوح بعين العلة فان الاجابة تؤذن في الحال بالبعد فكان النداء طلبا للقرب من حكم هذا البعد فالاجابة مقدمة بشرى من العبد للحق يبشره بالاجابة لما دعاه اليه من كونه يتجلى في صورة تعطي هذه النسب وان كانت السعادة للعبد في تلك الاجابة ولكن ما خلق الله الجن والانس الا ليعبدوه فدعاهم لما خلقهم له ولما كان في الامكان الاجابة وعدم الاجابة لذلك كانت الاجابة بشرى للداعي ان دعاءه

مسموع وأمر مطاع حين أبى غيره وامتنع ممن سمع الدعاء وربما يدخل في هذا من يقول بالتراخي مع الاستطاعة والاولى بكل وجه المبادرة عند الاستطاعة وارتفاع الموانع فجمل قوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان في مقابلة هذه البشرى بالاجابة جزاء وقال لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة جزاء أيضا فوكد البشرى لهم باجابة داعي الحق بالعبادات فقالوا لبيك أي اجابة لك لما دعوتنا اليه وخلقتنا له فلم يرجع داعي الحق خائبا ثم حققوا الاجابة بما فعلوه مما كلفوه على حد ما كلفوه من نسبة الاعمال اليهم وفنائهم عن رؤيتها منهم برؤية مجريها على أيديهم ومنشئها فيهم فهم عمال لاعمال كذا هو الامر في الحقيقة اطلع العباد على ذلك أو لم يطلعوا فشرف العالم بالاطلاع على من لم يطلع وفضل عليه يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿وصل في فصل المكي يحرم بالعمرة دون الحج﴾

فان العلماء ألزموه بالخروج الى الحل ولا أعرف لهم حجة على ذلك أصلا واختلفوا اذا لم يخرج الى الحل فقيل عليه دم وقيل لا يجزيه ووقفت على ما احتجوا به في ذلك فلم أره حجة فيما ذهبوا اليه والذي أذهب اليه في هذه المسئلة أن المكي يجوز له أن يحرم من بيته بالعمرة كما يحرم بالحج سواء ويفعل أفعال العمرة كلها من طواف وسعي وحلق أو تقصير ويحل ولا شئ عليه جملة واحدة فان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقت المواقيت لمن أراد الحج والعمرة ولم يفرق بين حج ولا عمرة قال ميقات أهل مكة من مكة وما يلزم من الافعال في نسك العمرة فعل وما يلزم من نسك الحج فعل وما خصص رسول الله صلى الله عليه وسلم قط الجمع بين الحل والحرم وانما شرع ذلك للآفاقي لا للمكي فقال لعبد الرحمن بن أبي بكر أخرج بعائشة الى التنعيم من أجل أن تحرم بالعمرة مكان عمرتها التي رفضتها حين حاضت وعائشة آفاقية وهذا هو دليل العلماء فيما ذهبوا اليه وهو دليل في غاية الضعف لا يحتج بمثل هذا على المكي والاوجه في تمشية الحكمة في المكي أن لا يخرج الى الحل اذا أحرم بالعمرة فانه في حرم الله تعالى فهو في عبودية مشاهدة قد منعه الموطن أن يكون غير عبد ثم أكد تلك العبودية بالاحرام فهو احرام في حرم تأكيد للعبودية واجلال للربوبية فاذا خرج الى الحل نقص عن هذه الدرجة والمطلوب الزيادة في الفضل ألا ترى الآفاقي لما خرج الى الحل هنالك أحرم فلم يكن المطلوب منه في خروجه أن يبقى على احلاله ثم دخل في الحرم محرما فازداد فضلا على فضل فكان المطلوب الزيادة فالمكي في حرم الله أي موجود في عين القرب من الله بالمكان فلماذا يخرج والقرب بيته وموطنه حاشا الشارع أن يرى هذا وكذلك ما قاله ولا رآه ولا أمر به والآفاقي لما كان همه متعلقا بوطنه الخارج عن الحرم كان خروجه الى الحل من أجل الاحرام بالعمرة كالعقوبة له لما كانت الهمة به متعلقة فانه في نية المفارقة لحرم الله وطلب موطنه الخارج عنه فخرج من الافضل الى ما هو دونه وأين جار الله ممن ليس بجار له والله قد وصى بالجار حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه يعني يلحقه بالقرابة أصحاب السهام في الورث وكذلك في الحج واتفق من نسك الحج الوقوف بعرفة وعرفة في الحل وما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ما شرع الوقوف بعرفة الا لكونها في الحل ولا بد للمحرم أن يجمع بين الحل والحرم ما تعرض الشارع الى شئ من ذلك ولو كان مقصودا لأبان عنه وما ترك الناس في عماية بل بين صلى الله عليه وسلم في المواقيت ما ذكرناه فوصف المناسك وعينها وأحوالها وأماكنها وأزمانها فالله يلهمنا رشد أنفسنا ويجعلنا ممن اتبع وتأسى آمين بعزته والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿وصل في فصل متى يقطع الحاج التلبية﴾

فمن قائل اذا زاغت الشمس من يوم عرفة وهو عند الزوال ومن قائل حتى يرمي جمرة العقبة كلها ومن قائل حين يرمي أول حصاة من جمرة العقبة وقد تقدم قولنا في ذلك وهو أنه ما بقي عليه فعل من أفعال الحج فلا يقطع التلبية حتى يفرغ منه فان الله يدعوه وما بقي عليه فعل من أفعال الحج فالاجابة لازمة وما ثم نص من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فانه غاية ما وصل الينا ان الواحد ما سمعه يلبي بعد ما زاغت الشمس والآخر ما سمعه يلبي حين رمى أول حصاة من جمرة العقبة والآخر ما سمعه يلبي بعد آخر رميه حصاة من آخر جمرة العقبة فصدق كل واحد منهم في أنه ما سمع مثل قولهم

في الاهلال بالحج سواء عند الاحرام والكل تقات فيما ذكروه فانه صلى الله عليه وسلم لم يشرع اتصال التلبية زمان الحج من غير فتور بحيث أن لا يتفرغ الى كلام ولا الى ذكر بل كان يلبي وقتا ويذكر وقتا ويستريح وقتا ويأكل وقتا ويخطب وقتا فسرد التلبية ماهو مشروع وان أكثر منها فلا بد من قطع في أثناء أزمان الحج فهذا كله ليس بخلاف وكذلك المعتمر لا يقطع التلبية عندنا مابقي عليه فعل من أفعال العمرة عندنا فان الذين قالوا ان المحرم بالعمرة يخرج الى الحل منهم من قال يقطع التلبية اذا انتهى الى الحرم يعني المسجد ومنهم من قال اذا افتتح الطواف ‹ واعلم انه مامن فعل من أفعال الحج والعمرة يشرع فيه المحرم الا والحق يدعوه الى فعل مابقي من الافعال لابد من ذلك فكما يلزمه الاجابة ابتداء الى الفعل يلزمه الاجابة الى كل فعل حتى يفعله فان المحرم قد دخل في الحج من حين أحرم وماقطع التلبية وطاف بالبيت وماقطع التلبية وسعى وماقطع التلبية وخرج الى عرفة وماقطع التلبية ومابعض الافعال المفروضة بالمراعاة أولى من بعض وكذلك المسنونة مابعضها أولى من بعض في المراعاة اذ لم يرد نص يوقف عنده من الشارع ففي الفرائض اجابة الله وفي السنن اجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يقول يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم فان الرسول داع بأمر الله فالله هو المجاب وعتب صلى الله عليه وسلم على ذلك المصلي الذي دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يجبه حين دعاه والمدعو في الصلاة فقال يارسول الله اني كنت في الصلاة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فما سمعت قول الله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم والتلبية اجابة وأفعال الحج مابين مفروض ومسنون واذا أنصفت فقد بان لك الحق فالزمه الا أن تقف على نص من قول الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك فالمرجع اليه وأما العارفون فانهم لا يقطعون التلبية لا في الدنيا ولا في الآخرة فانهم لا يزالون يسمعون دعاء الحق في قلوبهم مع أنفاسهم فهم ينتقلون من حال الى حال بحسب مايدعوهم اليه الحق وهكذا المؤمنون الصادقون في الدنيا بما دعاهم الشرع اليه في جميع أفعالهم واجابتهم هي العاصمة لهم من وقوعهم في محظور فهم ينتقلون أيضا من حال الى حال لدعاء ربهم اياهم فهو داع أبدا والعارف غير محجوب السمع فهو مجيب أبدا جعلنا الله ممن شق سمعه دعاء ربه وشق بصره لمشاهدة تجليه فالتجلي دائم لا ينقطع فشهود الحق مالا يرتفع فدوام لدوام واهتمام لاهتمام وانتقال لمقام وهو أعلى من مقام انتقلت منه من وجه يرجع اليك وماهو أعلى من وجه يرجع الى الحق فان الامور اذا نسبتها الى الحق لم تتفاضل في الشرف واذا نسبتها اليك تفاضلت في حقك والكمل عندنا من تكون الامور بالنسبة اليه كما تكون بالنسبة الى الله وهو الذي يرى وجه الحق في كل أمر وهذا الباب مارأيت له ذائقا فيما نقل الينا جملة واحدة ولا بد ان يكون له رجال لابد من ذلك ولكنهم قليلون فان المقام عظيم والخطب جسيم وكنت أتخيل في بعض المقتدين بنا انه حصل فيما في منه يوما عتاب في أمر شهد عندي ذلك الخطاب انه ما حصله

﴿وصل في فصل الطواف بالكعبة﴾

وصفته ان يجعل البيت عن يساره ويبتدئ فيقبل الحجر الاسود ان قدر عليه ثم يسجد عليه أو يشير اليه ان لم يتمكن له الوصول اليه ويتأخر عنه قليلا بحيث ان يدخله في الطواف بالمرور عليه ثم يمشي الى ان ينتهي اليه يفعل ذلك سبع مرات يقبل الحجر في كل مرة ويمس الركن اليماني الذي قبل ركن الحجر بيده ولا يقبله فان كان في طواف القدوم فيرمل ثلاثة أشواط ويمشي أربعة أشواط ولكن في أشواط رمله يمشي قليلا بين الركنين اليمانيين ويقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار الى ان تفرغ سبعة أشواط كل ذلك بقلب حاضر مع الله ويتخيل انه في تلك العبادة كالحافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم فيلزم التسبيح في طوافه والتحميد والتهليل وقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولنا في ذلك

جسم يطوف وقلب ليس بالطائف ‹ ذات نصدّ وذات مالها صارف
يدعى وان كان هذا الحال حليته ‹ هذا الامام الهمام الملهم العارف
هيهات هيهات ماإسم الزور يحجبني ‹ فاني له من خفايا مكره خائف

ولقد نظرت يوما الى الكعبة وهى تسألنى الطواف بها وزمزم يسألنى التضلع من مائه رغبة فى الاتصال بالمؤمن سؤال نطق مسموع بالاذن فخفنا من الحجاب بهما لعظيم مكانتهما من الحق عما نحن عليه فى أحوالنا من القرب الالهى الذى يليق بذلك الموطن فى معرفتنا فانشدتهما مخاطبا ومعرّفا بما هو الامر عليه مترجما عن المؤمن الكامل

يا كعبة الله ويا زمزمه * كم تسألانى الوصل صه ثم مه
ان كان وصلى بكما واقعا * فرحمة لارغبة فيكمه
ما كعبة الله سوى ذاتنا * ذات ستارات التقى المعلمه
ماوسع الحق سماء ولا * أرض ولا كام من كمه
ولاح للقلب فقال اصطبر * فانه قبلتنا المحكمه
منكم الينا والى قلبكم * منا فيا بينى ما أعظمه
فرض على كعبتنا حبكم * وحبنا فرض عليكم ومه
ماعظم البيت على غيره * سواك ياعبدى بأن نلزمه
قد نور الكعبة نطوافكم * بها وأبيات الورى مظلمه
ماأصبر البيت على شركهم * لولا كمو كان لهم مشأمه
لكنكم فى تواصيتمو * بالصبر تحقيقا و بالمرحمه
ماأعشق القلب بذاتى وما * أشدّه حبا وما أعلمه

وكانت بينى و بين الكعبة فى زمان مجاورتى بها مراسلة وتوسلات ومعاتبة دائمة وقد ذكرت بعض ما كان بينى و بينها من المخاطبات فى جزء سميناه تاج الرسائل ومنهاج الوسائل يحتوى فيما أظن على سبع رسائل أو ثمان من أجل السبعة الاشواط لكل شوط رسالة منى الى الصفة الالهية التى تجلت لى فى ذلك الشوط ولكن ماعملت تلك الرسائل ولاخاطبتها بها الالسبب حادث وذلك انى كنت أفضل عليها نشأتى واجعل مكانتها فى مجلى الحقائق دون مكانتى واذكرها من حيث ماهى نشأة جمادية فى أوّل درجة من المولدات واعرض عما خصها الله به من علو الدرجات وذلك لارقى همتها ولاتحجب بطواف الرسل والاكابر بذاتها وتقبيل حجرها فانى على بينة من ترقى العالم علوه وسفله مع الانفاس لاستحالة ثبوت الاعيان على حالة واحدة فان الاصل الذى يرجع اليه جميع الموجودات وهو الله وصف نفسه انه كل يوم هو فى شأن فمن المحال ان يبقى شئ فى العالم على حالة واحدة زمانين فتختلف الاحوال عليه لاختلاف التجليات بالشؤن الالهية وكان ذلك منى فى حقها لغلبة حال غلب على فلاشك ان الحق أراد ان ينبهنى على ماأنا فيه من سكر الحال فأقامنى من مضجعى فى ليلة باردة مقمرة فيها رش مطر فتوضأت وخرجت الى الطواف بانزعاج شديد وليس فى الطواف أحد سوى شخص واحد فيما أظن انتهى الجزء السادس والستون

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ وصل ﴾ فيما جرى من الكعبة فى حقى فى تلك الليلة وذلك انى لما نزلت قبلت الحجر وشرعت فى الطواف فلما كنت فى مقابلة الميزاب من وراء الحجر نظرت الى الكعبة فرأيتها فيما تخيل لى قد شمرت أذيالها واستعدت مرتفعة عن قواعدها وفى نفسها اذا وصلت بالطواف الى الركن الشامى ان تدفعنى بنفسها وترمى بى عن الطواف بها وهى تتوعدنى بكلام أسمعه بأذنى فجزعت جزعا شديدا وأظهر الله لى منها حرجا وغيظا بحيث لم أقدر على ان أبرح من موضعى ذلك وتسترت بالحجر ليقع الضرب منها عليه جعلته كالجنة الحائل بينى و بينها واسمعها والله وهى تقول لى تقدم حتى ترى ماأصنع بك كم تضع من قدرى وترفع من قدر بنى آدم وتفضل العارفين على وعزة من له العزة لاتركتك تطوف بى فرجعت مع نفسى وعلمت ان الله يريد تأديبى فشكرت الله على ذلك وزال جزعى الذى كنت أجده وهى والله فيما

يخيل لي قد ارتفعت عن الارض بقواعدها مشمرة الاذيال كما يتشمر الانسان اذا أراد أن يثب من مكانه يجمع عليه ثيابه هكذا خيلت لي قد جمعت ستورها عليها لتثب علي وهي في صورة جارية لم أر صورة احسن منها ولا يتخيل أحسن منها فارتجلت أبياتا في الحال اخاطبها بها وأستنزلها عن ذلك الحرج الذي عاينته منها فمازلت أثني عليها في تلك الابيات وهي تتسع وتنزل بقواعدها على مكانها وتظهر السرور بما أسمعها الى ان عادت الى حالها كما كانت وأمنتني وأشارت الي بالطواف فرميت بنفسي على المستجار وما في مفصل الا وهو يضطرب من قوة الحال الى ان سري عني وصالحتها وأودعتها شهادة التوحيد عند تقبيل الحجر فخرجت الشهادة عند تلفظي بها وأنا أنظر اليها بعيني في صورة سلك وانفتح في الحجر الاسود مثل الطاق حتى نظرت الى قعر طول الحجر فرأيته نحو ذراع فسألت عنه بعد ذلك من رآه من المجاورين حين احترق البيت فعمل بالفضة وأصلح شأنه فقال لي رأيته كما ذكرت في طول الذراع ورأيت الشهادة قد صارت مثل الكبة واستقرت في قعر الحجر وانطبق الحجر عليها وانسد ذلك الطاق وأنا أنظر اليه فقالت لي هذه أمانة عندي أرفعها لك الى يوم القيامة أشهد لك بها عند الله هذا قول الحجر لي وأنا أسمع فشكرت الله ثم شكرتها على ذلك ومن ذلك الوقت وقع الصلح بيني وبينها وخاطبتها بتلك الرسائل السبعة فزادت بي فرحا وابتهاجا حتى جاءتني منها بشرى على لسان رجل صالح من أهل الكشف ما عنده خبر بما كان بيني وبينها مما ذكرته فقال لي رأيت البارحة فيما يرى النائم هذه الكعبة وهي تقول لي يا عبد الواحد سبحان الله ما في هذا الحرم من يطوف بي الا فلان وسمتك لي باسمك ما أدري أين مضى الناس ثم أتت لي في النوم وأنت طائف بها وحدك لم أر معك في الطواف أحدا قال الرائي فقالت لي انظر اليه هل ترى بي طائفا آخر لا والله ولا أراه أنا فشكرت الله على هذه البشرى من مثل ذلك الرجل وتذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له وأما الابيات التي استنزلت بها الكعبة فهي هذه

بالمستجار استجار قلبي * لما أتاه سهم الاعادي
يا رحمة الله للعباد * أودعك الله في الجماد
يا بيت ربي يا نور قلبي * يا قرة العين يا فؤادي
يا سر قلب الوجود حقا * يا حرمي يا صفا ودادي
يا قبلة أقبلت اليها * من كل ربع وكل وادي
ومن بقاء فمن سماء * ومن فناء فمن مهاد
يا كعبة الله يا حياتي * يا منهج السعد يا رشادي
أودعك الله كل أمن * من فزع الهول في المعاد
فيك المقام الكريم يزهو * فيك السعادات للعباد
فيك اليمين التي كستها * خطيئتي جسدة السواد
ملتزم فيك من يلازم * هواه يسعد يوم التناد
ماتت نفوس شوقا اليها * من ألم الشوق والبعاد
من حزن ما نالها عليهم * قد لبست حلة الحداد
لله نور على ذراها * من نوره للفؤاد بادي
وما يراه سوى حزين * قد كحل العين بالسهاد
يطوف سبعا اثر سبع * من أول الليل للمنادي
بسيرة ما لها انقطاع * رهين وجد حليف اجتهاد
سمعته قال مستغيثا * من جانب الحجر آه فؤادي
قد انقضى ليلنا حثيثا * وما انقضى في الهوى مرادي

ولما نسب الله العرش الى نفسه وجعله محل الاستواء الرحمانى فقال الرحمن على العرش استوى جعل الملائكة حافين به من حول العرش بمنزلة الحرس حرس الملك والملازمين بابه لتنفيذ أوامره وجعل الله الكعبة بيته ونصب الطائفين به على ذلك الاسلوب وتميز البيت على العرش وعلى الضراح وسائر البيوت الاربعة عشر بأمر مانقل الينا انه فى العرش ولا فى غيره هذا من البيوت وهو الحجر الاسود يمين الله فى الارض لنبايعه فى كل شوط مبايعة رضوان و بشرى بقبول لما كان منا فى كل شوط مما هو لنا أو علينا فالنافلة ول وما علينا فغفران فانى رأيت فى واقعة والناس به طائفون وشرر النار يتطاير من أفواههم فأولته كلام الطائفين فى الطواف به بما لا ينبغى فاذا انتهينا الى اليمين الذى هو الحجر استشعرنا من الله سبحانه بالقبول فبايعناه وقبلنا يمينه المضافة اليه قبلة قبول فرح واستبشار هكذا فى كل شوط فان كثر الازدحام عليه لتجليها فى صورة محسوسة محصورة أشرنا اليه اعلاما بأنا نريد تقبيله واعلاما بعجزنا عن الوصول اليه ولا نقف ننتظر النوبة حتى تصل الينا فنقبله لانه لو أراد ذلك منا ماشرع لنا الاشارة اليه اذا لم نقدر عليه فعلمنا انه يريد منا اتصال المشى فى السبعة الاشواط من غير أن يتخللها وقوف الا قدر التقبيل فى مرورنا اذا وجدنا السبيل اليه ونحن نعلم ان يمين الله مطلقة ونحن فى قبضتها وما بيننا و بينها حجاب ولكن لما ظهرت فى مظهر عين محصورة يعبر عنها بالحجر قيدها استعدادهذه العين المسماة حجر النسبة ظهور اليمين بها فأثرت الضيق والحصر مع انها يمين الله لا شك ولكن على الوجه الذى يعلمه سبحانه من ذلك فصح النسب ومن هنا يعرف قولنا انه ما فى الوجود الا الله والاعيان الامكانية على أصلها من العدم متميزة لله فى أعيانها على حقائقها وان الحق هو الظاهر فيها من غير ظرفية معقولة فيظهر بصورة تلك العين لو صح أن توجد لكانت بهذه الصورة فى الحس فانظر ما أعجب أمر الوجود فعين المستفيد للوجود عين المفيد فان كانت الاستفادة غير الوجود وهى الصورة فالمستفيد الظاهر والمفيد العين لان الصورة التى ظهر بها الظاهر هى صورة عين المظهر حقيقة فكل حكم ينسب الى الظاهر انما هو منها وأفادها الظاهر بظهوره حكم التأثير فيه اذ لم يكن لها ذلك الحكم اذ كانت ولا تحل فى صورتها ولا ظهور وانما بينا لك ذلك لتعرف من هو الطائف والمطوف به والحجر والمقبل فتكون بحسب ماعلمت من ذلك فعلمك عين صورتك وفيها تحشر روحك يوم القيامة وبذلك تتميز فى الزور الاعظم فلا يفوتنك علم مانبهتك عليه والسلام

﴿وصل فى فصل حكم الرمل فى الطواف﴾

فقول بأنه سنة فأوجب فيه على من تركه الدم وقول بانه فضيلة فلا يجب فى تركه شئ وأعنى فى طواف القدوم الرمل اسراع فى نفس الخير الى الخير فهو خير فى خير وذلك لحكمة استعجال ادراك علم الامر الالهى قال الله تعالى يقول وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر فان البصر لا شئ أسرع منه فان زمان لمحه عين زمان تعلقه بالملموح ولو كان فى البعد ما كان وأبعد الاشياء فى الحس الكواكب الثابتة التى فى فلك المنازل وعند ما تنظر اليها يتعلق اللمح بها فهذه سرعة الحس فما ظنك بالمعانى المجردة عن التقييد فى سرعة نفوذها فان للسرعة حكما فى الاشياء لا يكون لغير السرعة ومن هنا يعرف قول الحق للشئ كن فيكون فكن الالهية حال المكون المخلوق ولهذا أسرع ما يكون من الحروف فى ذلك فاء التعقيب فلهذا جاء بها فى جواب الامر فان أردت أن تعرف صورة نشء العالم وظهوره وسرعة نفوذ الامر الالهى فيه وما أدركت الابصار والبصائر منه فانظر الى ما يحدث فى الهواء من سرعة الحركة بجمرة النار فى يد المحرك لها اذا أرادها فتحدث فى عين الرائى دائرة أو خطا مستطيلا ان أخذ بالحركة طولا أو أى شكل شاء ولا تشك أنك أبصرت دائرة نار ولا تشك ان ما ثم دائرة وانما أنشأ ذلك فى نظرك سرعة الحركة وهو قوله وما أمرنا وهو قوله كن الا واحدة كالجمرة كلمح بالبصر ادراك الدائرة وما هى دائرة فذلك عين الصورة المخلوقة الظاهرة لادراك العين فتحكم من حيث نظرك ببصرك و ببصيرتك وفكرك انه خلق و بعلمك و كشفك انه حق مخلوق به ما ظهر لعينك مما ليس هو فهذا عدم فى عين وجود فانظر ما ألطف هذا الادراك مع كون الحس محلا لظهوره على تقييده وكثافته وقصوره فما ظنك بما هو الامر عليه بالنسبة الى جناب الحق فسبحان من تكلم نفسه بنفسه فى أعيان خلقه كما

قال فأجره حتى يسمع كلام الله وأن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فهو المتكلم والقائل لا إله إلا هو العزيز الحكيم حقق يا أخي نظرك في سرعة البرق اذا برق فان برق البرق اذا برق كان سببا لانصباغ الهواء به وانصباغ الهواء به سبب لظهور أعيان المحسوسات به وظهور أعيان المحسوسات به سبب في تعلق ادراك الابصار بها والزمان في ذلك واحد مع تعقلك تقدم كل سبب على مسببه فزمان اضاءة البرق عين زمان انصباغ الهواء به عين زمان ظهور المحسوسات به عين زمان ادراك الابصار ما ظهر منها فسبحان من ضرب الامثال ونصب الاشكال ليقول القائل ثم وما ثم أو ما ثم وثم فوعزة من له العزة والجلال والكبرياء ما ثم الا الله الواجب الوجود الواحد بذاته الكثير بأسمائه وأحكامه القادر على المحال فكيف الامكان والممكن وهما من حكمه فو الله ما هو الا الله فمنه واليه يرجع الامر كله وهذا سر الرمل ثلاثا لا زائد ولا ناقص الواحد له والثالث لما ظهر والثاني بين الاول والثالث السبب لظهور ما ظهر عنه لا بد من ذلك فاذا حققت ما رأيت رأيت أن ثم ما رأيت تخرج ادراك العقل للامور المعقولة على هذه الصورة مثلثة الشكل وهي المقدمات المركبة من الثلاثة لانتاج المطلوب وكذلك في الحس حس ومحسوس وتعلق الحس بمحسوس لا يدري هل الحس تعلق بالمحسوس أو المحسوس انطبع في الحس قصر العقل والله وخنس الفكر وحار الوهم وطمس الفهم فالامر عظيم والخطب جسيم والشرع نازل والعقل قابل والامر نافذ والحوادث تحدث والقوى قائمة والموازين موضوعة والكلمات لا تنفد والكائنات لا تنعد وما ثم شئ مع هذا للعلوم المتعدد والعين واحدة والامر واحد حارت الحيرة في نفسها اذ لم تجد من يحار بها فالحيرة التي يتخيل ان العالم موصوف بها ليس كالتخيلات بل ذلك حيرة الحيرة فما ثم الا هو والحيرة كلت والله الالسنة عما علمته الافئدة أن تعبر عن ذلك وكلت والله الافئدة عن عقل ما هو الامر عليه فلا تدري هل هي الحائرة أم لا والحيرة موجودة ولا يعرف لها محل تقوم به فلمن هي موجودة وفيمن ظهر حكمها وما ثم الا الله

وما ثم الا الله لا شئ غيره * وما ثم اذ كانت العين واحده

لذلك قلنا في الذوات بأنها * وان لم تكن لله بالله ساجده

﴿وصل في فصل منه﴾

اختلف العلماء في أهل مكة هل عليهم رمل اذا حجوا أو لا فقال قوم كل طواف قبل عرفة مما يوصل بسعي فانه يرمل فيه وقال قوم باستحباب ذلك وكان بعضهم لا يرى عليهم رملا اذا طافوا بالبيت وهو مذهب ابن عمر على ما رواه مالك عنه اذا كانت العلة ما ذكرناها آنفا في الرمل تعين الرمل على أهل مكة وغيرهم ولا سيما والامر في نفسه ان الانسان تحت حكم كل نفس وكل نفس قادم وكل قادم فهو طائف وكل طواف قدوم فيه رمل هكذا هي السنة فيه لمن أراد أن يتبعها ومن جهل قدوم نفسه وان الانسان في كل حال مخلوق فهو قادم على الوجود من العدم لم ير عليه طوافا فانه من أهل هذه الصفة كما هم أهل مكة من مكة

﴿وصل في فصل استلام الاركان﴾

فقال قوم وهم الاكثرون باستلام الركنين فقط وقال جابر كنا نرى اذا طفنا أن نستلم الاركان كلها وقال قوم من أهل السلف باستحباب استلام الركنين في كل وتر من الاشواط وهو الاول والثالث والخامس والسابع وأجمعوا على ان تقبيل الحجر الاسود خاصة من سنن الطواف واختلفوا في تقبيل الركن اليماني الثاني أما الاستلام وهو لمس الركن باليد على نية البيعة فلا يكون الا في ركن الحجر في الحجر خاصة لكون الحق جعله يمينا له فلمسه بطريق البيعة ومن لم ير اللمس للبيعة ورآه للبركة استلم جميع الاركان فان لمسها أو التقرب منها كله بركة وما يختص ركن الحجر الا بالبيعة والمصافحة وتقع المشاركة في البركة له مع سائر الاركان ففيه كونه ركنا وزيادة فمن راعى كونه ركنا أشرك في الاستلام معه الركن اليماني والركن الثالث هو في الحجر غير معين اذ لا صورة له في البيت والركن الشامي والعراقي ليسا بركنين للبيت الاول الموضوع فلما لم يكونا بالوضع الاول الالهي لم يكونا ركنين نخالف حكمهما حكم الركنين ومن رأى ان الافعال كلها من الله رأى ان الذي عين الركنين والركن الثالث في الحجر بالوضع الاول هو الذي عين الاربعة الاركان

بالوضع الثاني اذلا واضع الا الله فاستلم الاركان كلها من كونها أركانا موضوعة بوضع الهي وفق الله من شاء من المخلوقين لاظهارها على أيديهم ولكن لادخول لهم من كونهم أركانا في التقبيل والمصافحة فينبغي للطائف اذا قبل الحجر وسجد عليه بجبهته كما جاءت السنة وصافحه بمسه اياه بيده أن يستلم ركنه حتى يكون قد استلم الاركان كلها فان لم يفعل فما استلم الا أن يرى أن الحجر الاسود من جملة أحجار الركن فيكون عين مصافحته استلامه

﴿وصل في فصل الركوع بعد الطواف﴾

طفت بالبيت سبعة وركعت * بمقام الخليل ثم رجعت
لطوافي فطفت سبعا وعدنا * لمقام الخليل ثم ركعت
لم أزل بين ذا وذاك أنادي * ياحبيب القلوب حتى سمعت
ياعبيدي فقلت لبيك ربي * ها أنا ذا أجبت ثم أطعت
فأمروا بالذي تشاؤن مني * ان باب القبول مني فتحت

أجمع العلماء على انه من سنن الطواف ركعتان بعد انقضاء الطواف وجمهورهم على انه يأتي بهما بعد انقضاء كل أسبوع ان طاف أكثر من أسبوع وأجاز بعضهم أن لا يفرق بين الاسابيع ولا يفصل بينهما بركوع ثم يركع لكل أسبوع ركعتين والذي أقول به ان الاولى أن يصلي عند انقضاء كل أسبوع فان جمع أسابيع فلا ينصرف الا عن وتر فان النبي صلى الله عليه وسلم ما انصرف من الطواف الا عن وتر فانه انصرف عن سبعة أشواط أو عن طواف واحد فان زاد فينصرف عن ثلاثة أسابيع وهي أحد وعشرون شوطا ولا ينصرف عن أسبوعين فانه شفع وبالاشواط أربعة عشر شوطا وهي شفع فجاء بخلاف السنة في طوافه من كل وجه فاعلم ان الطواف قد روي انه صلاة أبيح فيها الكلام وان لم يكن فيه ركوع ولا سجود كما سميت صلاة الجنائز صلاة شرعا وما فيها ركوع ولا سجود وأقل ما ينطلق عليه اسم صلاة ركعة وهي الوتر واذا انضاف الى الطواف ركعتان كانت وترا مثل المغرب التي توتر صلاة النهار فأشبه الطواف مع الركعتين صلاة المغرب وهي فرض فأوترا الحق شفعية العبد ولا يقال في الرابع من الاربعة انه قد شفع وترية العبد فان العبد ماله وترية في عينه فانه مركب وكل مركب فقير فيحتاج الى وتر يستند اليه لا ينفرد بشفعية في نفسه فلا يكون أبدا الا وترا ثلاثة أو خمسة أو سبعة الى ما لا يتناهى من الافراد فان كان رابعا أو سادسا فهو رابع ثلاثة لا رابع أربعة وسادس خمسة لا سادس ستة فهو واحد الاصل مضاف الى وتر فما نسبته الا لعينه اذ هو عين كل وتر لانه بظهوره أبقى اسم الوترية على من أضيف اليه فقيل رابع ثلاثة لا رابع أربعة ورابع الثلاثة لا يكون الا واحدا فسواء ورد على وتر أو على شفع الحكم فيه واحد فانك تقول فيه خامس أربعة كما تقول رابع ثلاثة فما زالت الاحدية تصحبه في كل حال فهو مثل قوله كان الله ولا شئ معه وهو الواحد وهو الآن على ما عليه كان فأقام الآن مقام الاعداد والاعداد منها أشفاع ومنها أوتار فاذا أضفت الحق اليها لم تجعله واحدا منها فتقول ثالث اثنين ورابع ثلاثة الى ما لا يتناهى فتميز بذاته فالذي ثبت له من الحكم ولا عالم ثبت له والعالم كائن فتلك الاحدية المطلقة له في حال وجود العالم وفي حال عدمه فالطائف ان انفرد بالطواف كان وترا وان أضاف اليه الركعتين كان وترا من حيث انه صلاة يقوم مقام الركعة الواحدة ومن ثم طوافه أشبه الصلاة الرباعية لوجود الثمان السجدات التي يتضمنها الاسبوع من السجود على الحجر عند تقبيله بالحس وهي ثمان تقبيلات في كل أسبوع عند الشروع فيه وفي كل شوط عند انقضائه فمن أقام الطواف بهذا الاعتبار على الطريقين جوزي بجزاء صلاة الفريضة الرباعية والثلاثية الجامعة للفرض والوتر الذي هو سنة أو واجب فالاولى أن لا يؤخر الركعتين عن أسبوعهما وليصلهما عند انقضاء الاسبوع فان قرأ في الطواف كان كمن قرأ في الصلاة ومن لم يقرأ فيه كان كمن يرى أن الصلاة تجزئ بلا قراءة واعلم أن هاتين الركعتين عقيب الطواف اعا وليهما فيك الطواف فان الطواف قام لك مقام الافلاك التي هي السموات السبع لانه شكل مستدير فلكي وكذلك الفلك فلما أنشأت سبعة أدوار في الطواف أنشأت سبعة افلاك أوحى الله في كل سماء أمرها من حيث لا يشعر بذلك الا عارف بالله فاذا

اطلعك

أطلعك الله على ما أودع فى هذه الاشواط الفلكية كنت طائفا ثم انه جعل حركات السموات التى هى الافلاك مؤثرة فى الاركان الاربعة لايجاد ما يتولد منها فأنت الاركان الاربعة لانك مركب من أربعة اخلاط ومجموعهما هو عين ذاتك الحسية التى هى الجسم فأنشأت فيك حركات هذه الاطواف السبعة الصلاة وهى المولدة من أركانك عنها وكانت ركعتان لان النشأة المولدة مركبة من اثنين جسم ونفس ناطقة وهو الحيوان الناطق فالركعة الواحدة لحيوانيتك والثانية للنفس الناطقة ولهذا جعل الله الصلاة نصفين نصفا له ونصفا للعبد وجعل الله لكل حركة دورية من هذا الاسبوع فى الصلاة أثرا ليعرف انها متولدة عنه فظهر فى الصلاة سبعة آثار جسمانية وسبعة آثار روحانية عن حركة كل شوط من أسبوع الطواف أثر فانه شكل باق وفلك معنوى لا يراه الامن يرى خلق الموجودات من الأعمال أعيانا فالآثار الموجودة السبعة الجسمانية فى نشأة الصلاة القيام الأول والركوع والقيام الثانى وهو الرفع من الركوع والسجود والجلوس بين السجدتين والسجود الثانى والجلوس للتشهد والأذكار التى فى هذه الحركات الجسمانية سبعة هى أرواحها فقامت نشأة الصلاة كاملة ولما كان فى النشأة الانسانية أمر اختصه الله وفضله على سائر النشأة الانسانية وجعله امامافيها وهو القلب كذلك جعل فى نشأة الصلاة أمرا هو أرفع ما فى الصلاة وهو الحركة التى يقول فيها سمع الله لمن حمده فان المصلى فيها نائب عن الله كالقلب نائب عن الله فى تدبير الجسد وهو أشرف هيئات الصلاة فانه قيام عن خضوع عظمت فيه ربك فى حضرة برزخية وهى أكمل النشآت لأنها بين سجود وقيام جامعة للطرفين والحقيقتين فلها حكم القائم وحكم الساجد فجمعت بين الحكمين وأثرها فى القراءة فى الصلاة أيضا سباعى عن أثر كل شوط فى الطواف وهى قراءة السبع المثانى أعنى فاتحة الكتاب وسلطانها اياك نعبد واياك نستعين فانها برزخية بين الله و بين عبده فهى جامعة والسلطان جامع وما قبلها الله مخلص وما بعدها للعبد مخلص وأعلى المقامات اثبات الله وما أوه ورب ومربوب فهو كال الحضرة الالهية فالمدح الابنا ولا شرفنا الابه فنحن به وله وهى سبع آيات لاغير وهى القراءة الكافية فى الصلاة وكما أن العبد هو الذى أنشأ فى ذاته الأشواط السبعة المستديرة الشكل الفلكية وفى ذاته أثرت ايجاد الصلاة وفى ذاته ظهرت الصلاة بكمالها فلم يخرج عن ذاته شئ من ذلك كله كذلك الأمر فى ظهور الحق فى الأعيان اكتسب من استعداد كل عين ظهر فيها حكما على الظاهر فيها والعين واحدة فقيل فيه طائف أعطاه هذا الاسم هذه الصورة التى أنشأها وهو الطواف وقيل فيه مصل أعطاه هذا الحكم صورة الصلاة التى أنشأها فى ذاته عن طوافه فهو هو وما ثم غيره

فلو رأيت الذى رأينا * وصفته بالذى وصفنا
من أنه واحد كثير * بذا عرفنا اذ عرفنا
فنحن لا وهو ذو ظهور * فالعين منه والنعت منا

وقد ذكرنا فى أول هذا الكتاب ما بقى فى الحجر من البيت ولماذا أبقاه الله فيه و بينا الحكمة الالهية فى ذلك من رفع التحجير والتجلى الالهى فى الباب المفتوح لمن أراد الدخول اليه وذلك هو بيت الله الصحيح وما بقى منه بأيدى الحجبة بنى شيبة وقع فى باطنه التحجير لأنه فى ملك محدث وهو الموجود المقيد فلابد أن يفعل ما تعطيه ذاته والحديث النبوى فى ذلك مشهور والخلفاء والأمراء غفلوا عن مقتضى معنى قوله تعالى حين مسك رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح البيت الذى أخذه من بنى شيبة فأنزل الله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها فتخيل الناس ان الأمانة هى سدانة البيت ولم تكن الأمانة الامفتاح البيت الذى هو ملك لبنى شيبة فرده اليهم مفتاحهم وأبقى صلى الله عليه وسلم عليهم ولاية السدانة ولو شاء جعل فى تلك المرتبة غيرهم وللامام ان يفعل ذلك اذا رأى فى فعله المصلحة لكن الخلفاء لم يريدوا ان يخرجوا عن هذه الرتبة من قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فهم مثل سائر ولاة المناصب ان أقاموا فيه الحق فلهم وان جاروا فعليهم وللامام النظر فيبقى بيت الله عند العلماء بالله لا حكم لبنى شيبة ولا لغيرهم فيه وهو ما بقى منه فى الحجر فمن دخله دخل البيت ومن صلى فيه صلى فى البيت كذا قال صلى الله عليه وسلم

لعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ولا يحتاج العارفون لمنة بنى شيبة فان الله قد كفاهم بما أخرج لهم منه فى الحجر بجناب الله أوسع ان يكون عليه سدنة من خلقه ولاسيما من نفوس جبلت على الشح وحب الرياسة والتقدم ولقد وفق الله الحجاج رحمه الله لرد البيت على ما كان عليه فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين فان عبد الله بن الزبير غيره وأدخله فى البيت فأبى الله الا ما هو الامر عليه وجهلوا حكمة الله فيه يقول على بن الجهم

وأبواب الملوك محجبات * وباب الله مبذول الفناء

﴿وصل فى فصل وقت جواز الطواف﴾

فمن قائل باجازة الطواف بعد صلاة الصبح والعصر وبه أقول وسبب ذلك انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم وقد استقبل الكعبة وهو يقول يا مالكى أو قال يا ساكنى الشك منى هذا البيت لا تمنعوا أحدا طاف به وصلى فى أى وقت شاء من ليل أو نهار فان الله يخلق له من صلاته ملكا يستغفر له الى يوم القيامة فمن ذلك الوقت قلت باجازة الطواف فى هذين الوقتين وكنت قبل هذه الرؤيا عندى فى ذلك وقفة فان حديث النسائى الذى يشبه حديثنا رأيتهم قد توقفوا فى الأخذ به فلما رأيت هذه المبشرة ارتفع عنى الاشكال وثبت به عندى حديث النسائى وحديث أبى ذر الغفارى والحمد لله ومن قائل بالمنع وقت الطلوع ووقت الغروب خاصة ومن قائل بالكراهة بعد العصر والصبح ومنعه عند الطلوع والغروب ومن قائل باباحته فى الاوقات كلها وهو قولنا الا انى أكره الدخول فى الصلاة حال الطلوع وحال الغروب الا أن يكون قد أحرم بها قبل حال الطلوع والغروب (تحرير ذلك) لا يخلو المصلى ان يكون قبلته موضع طلوع الشمس أو غروبها بحيث أن يستقبلها فهنالك أكره له ذلك وأما اذا لم يكن فى قبلته فلا بأس وأما عند الكعبة فالحكم له يدور من حيث شاء لا يستقبل الشمس طالعة ولا غاربة وقد فارق الكفار الذين يسجدون لها فى الصورة الظاهرة فى استقبالها وهو مفارق لهم فى الباطن بلا شك ولا ريب سياق الحديثين حديث النسائى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى عبد مناف لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت وصلى فى أى وقت شاء من ليل أو نهار وما خص حال طلوع ولا حال غروب لان العبد بشهود البيت متمكن ان لا يقصد استقبال مغرب ولا مشرق وليس كذلك فى الآفاق وما أحسن تحريه صلى الله عليه وسلم فى المصلى الى السترة أن لا يصمد اليها صمدا وليمل بها يمينا أو شمالا قليلا حديث أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ولا بعد الصبح حتى تطلع الشمس الا بمكة الا بمكة الا بمكة وهذه الاحاديث تعضد رؤيانا واعلم ان الله متجل على الدوام لا تقييد تجليه الاوقات والحجب انما ترفع عن أبصارنا قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك وقال ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون يعنى المحتضر قال ابراهيم الخليل لا أحب الآفلين وهو يحب الله بلا شك فالله ليس بآفل فتجليه دائم وتدليه لازم والذى بين ذا وذا انك اليوم نائم فلا مانع لمن كان الحق مشهده ولهذا لم يمنع فى تلك الحالة من ذكر الله والجلوس بين يديه لانتظار الصلاة والدعاء فيه وانما منع السجود خاصة لكون الكفار يسجدون لها فى ذلك الوقت وهنا تنبيه على سر معقول وهو أنه من المحال أن يكون أثر الكفر أقوى من أثر الايمان عندنا وعندهم حتى يمنع من ظهوره وحكمه كما يظهر فى هذا الامر من كون سجود الكفار للشمس وهو كفر منع المؤمن من السجود لله والمانع ابدا له القوة واعلم ان الامر فى ذلك خفى أخفاه الله الا عن العارفين فان الله بهذا المنع أبقى على الكفار بعض حق الهى بذلك القدر وقع المنع وظهرت القوة فى الحكم بمنع المؤمن من السجود فى ذلك الوقت لسجود الكفار للشمس وذلك ان الله يقول وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وكذلك فعلوا فانهم ما عبدوا الشمس الا لتخيلهم انها اله فما سجدوا الا لله لا لعين الشمس بل لعين حكمهم فيها انها الله ولقد أضافنى واحد من علمائهم فأخذت معه فى عبادتهم الشمس وسجودهم لها فقال لى ما ثم الا الله وهذه الشمس أقرب نسبة الى الله لما جعل الله فيها من النور والمنافع فنحن نعظمها لما عظمها الله بما جعل لها ثم نرجع ونقول فلما علم الحق انهم ما عبد واسواه وان أخطؤا فى النسبة والمؤمن لا يعبد الا الله فأشبه الكافر فى ايمانه بالله فكان الامر مثل الشرع الالهى ينسخ بعضه بعضا فما

أثر الكفر هنا فى الايمان ولا كان أقوى منه بل لما كان الامر كما ذكرناه فيما كان فى الكافر من اعتقاده الاله كان ذا حق ومن نسبة الالوهة للشمس كان كافرا فراعى الحق المعنى الذى قصدوه فمن هنالك ثبت لهم التخصيص بالسجود دون المؤمنين والنسخ لسجود المؤمنين فى ذلك الوقت لله فهو أثر ايمان فى ايمان لا أثر كفر فى ايمان

﴿وصل فى فصل الطواف بغير طهارة﴾

فمن قائل لا يجوز طواف بغير طهارة لا عمدا ولا سهوا ومن قائل يجزئ و يستحب له الاعادة وعليه دم لانهم أجمعوا على أن الطهارة من سنة الطواف ومن قائل اذا طاف على غير وضوء اجزأه طوافه ان كان لا يعلم ولا يجزئه ان كان يعلم و بعضهم يشترط طهارة الثوب للطائف كاشتراطه للمصلى والذى أقول به انه يجوز الطواف بغير وضوء للرجل والمرأة الا أن تكون حائضا فانها لا تطوف وان طافت لا يجزئها وهى عاصية لورود النص فى ذلك وما ورد شرع بالطهارة للطواف الا ما ورد فى الحائض خاصة وما كل عبادة تشترط فيها هذه الطهارة الظاهرة اعلم انه ما فى الوجود حال ليس فيه لله وجه يحفظ عليه وجوده من كل قائم بنفسه بذلك الوجه الالهى طهارته فما فى الوجود بحكم الحقيقة الا طاهر فان الاسم القدوس يصحب الموجودات و به يثبت قوله واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون من تفريقكم بين الله و بين عباده ولا ينبغى ان يحال بين العبد و بين سيده ولا يدخل بين العبد والسيد الا بخير لقيت بعض السياح على ساحل البحر بين مرسى لقيط والمنارة فقال لى انى لقيت بهذا الموضع شخصا من الابدال مصادفة وهو ماش على موج البحر فسلمت عليه فردّ علىّ السلام وكان فى البلاد ظلم عظيم وجور فقلت له يا هذا أما ترى الى ما فى البلاد من الجور فنظر الى مغضبا وقال لى مالك وعباد الله لا تقل الا خيرا ولهذا شرع الله الشفاعة وقبل العذر ولا شك ان النجاسة أمر عرضىّ عينه حكم شرعىّ والطهارة أمر ذاتىّ فان ظهر حكم العرض فى وقت ما كمانع الحيض من الطواف فرجع الامر الى ما تقتضيه الذات من الطهارة أيكذب المؤمن قال لا انبأ صحيح فان الكاذب لا يكون صادقا فيما هو فيه كاذب فافهم والحيض كذب النفس بالاتفاق والطواف حالة ايمان فالحائض لا تطوف كما تقول فى امامة الفاسق انها لا تجوز امامته فى حال فسقه بلا خلاف فانه من كان فاسقا فى حال فسقه ثم توضأ شرعا وأحرم بالصلاة اماما فهو فى طاعة لله ولا يجوز لنا أن نطلق عليه فى تلك الحال فاسقا فاصلينا خلف امام فاسق وكذا فعل عبد الله بن عمر الذى يحتجون به فى الصلاة خلف الفاسق وأخطؤا فأن الحجاج ليس بفاسق فى حال أدائه ما أوجب الله عليه من طاعته فى الصلاة وهذه مسئلة أغفلها الفقهاء و يغلطون فيها وما حصلوا على طائل وقد بينا انه ما تخلص قط من مؤمن معصية لا تشوبها طاعة أصلا والطاعة قد تخلص فلا تشوبها معصية فما من معصية الا والايمان يصحبها من المؤمن أنها معصية يحرم عليه فعلها والايمان بكونها معصية طاعة لله فالحجاج أو غيره فى حال فسقه مؤمن مطيع بايمانه فضعفت معصيته أن تقاوم طاعته وفى حال صلاته أو طاعته فى فعل تام من أفعاله فليس بفاسق بل هو مطيع فرجح من طمس الله على قلبه الفسق على الايمان والطاعة مع ضعف الفسوق عن الطاعة بما شابها من الايمان بكون ذلك الفعل فسوقا فقالوا لا تجوز امامة الفاسق بغير المعنى الذى ذكرناه فلو قاله الرسول صلى الله عليه وسلم أو الله تعالى لكان الوجه فيه ما قلناه فغاية درجة الفاسق فى حال فسقه المسلم ان يكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا وفى حال طاعته فليس بفاسق وأعجب ما فى هذه المسئلة أنا مأمورون بحسن الظن بالناس منهيون عن سوء الظن بعبادى وقد رأينا من علمنا أنه فسق قد توضأ وصلى فلماذا نطلق عليه اسم الفسوق فى حال عبادته وأين حسن الظن من سوء الظن به والمستقبل فلا علم لنا به فيه والماضى لا ندرى ما فعل الله فيه والحكم لوقت الطاعة التى هو عليها متلبس بها فحسن الظن أولى بالعبد اذا كان ولا بدّ من الفضول ولقد أخبرنى من أثق به فى دينه عن رجل فقيه امام متكلم مسرف على نفسه قال لى دخلت عليه فى مجلس يدار فيه الخمر وهو يشرب مع الجماعة ففرغ النبيذ فقيل له نفذ الى فلان يبعث الينا بنبيذ فقال لا أفعل فانى ما أصررت على معصية قط وان لى بين الكاسين توبة ولا أنتظره فاذا حصل فى يدى انظر هل يوفقنى ربى فأتركه أو يخذلنى فأشربه فهكذا هم العلماء رحمه الله مات هذا العالم وفى قلبه حسرة من كونه لم يلقنى واجتمعت به وما عرفنى وسألنى عنى وكان

بالاشواق الى رحمه الله وذلك بمرسية سنة خمس وتسعين وخمسمائة ولقد أشهد فى الحق فى سرى فى واقعة وقال لى بلغ عبادى ماعاينته من كرمى بالمؤمن الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها او السيئة لايقاوم فعلها الايمان بها انها سيئة فما العبادى يقنطون من رحمتى ورحمتى وسعت كل شئ وأنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيرا

﴿وصل فى فصل اعداد الطواف وهى ثلاثة القدوم والافاضة والوداع﴾

طواف القدوم يقابل طواف الوداع فهو كالاسم الاوّل والآخر ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم واتمت دورة الملك وطواف الافاضة بينهما برزخ لايبغيان فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج طواف القدوم لؤلؤ المعارف فى المناسك وطواف الوداع المرجان فبأى آلاء ربكما تكذبان فلطواف الزيارة وجه الى طواف القدوم فقد يجزئ عنه ووجه الى طواف الوداع فقد يجزئ عنه وقد قال العلماء بالقولين جميعا وسيأتى ذكرها فى هذا الفصل ان شاء الله وقد تقدم الاعتبار فى الطواف ومايشأ منه فطواف القادم كالعقل اذا أقبل على الله بالاستفادة وطواف الوداع اذا أراد الخروج الى النفس بالافادة كالرسول صلى الله عليه وسلم يقبل على الروح الامين عندما يلقى اليه من الوحى الالهى ثم الرسول يلقى الى الخلق عند مفارقة الروح لتبليغ الرسالة فالرسول بين طواف قدوم ووداع ومابينهما طواف زيارة وكانت ثلاثة أطواف لماقررناه ان ظهور العلوم لايكون الاعن ثلاث مراتب فكرية كانت أو وهبية وقد بينا لك ان البرزخ أبدا هو أقوى فى الحكم لجمعه بين الطرفين فيتصور بأى صورة شاء و يقوم فى حكم أى طرف أراد ويجزئ عنهما فله الاقتدار التام ويظهر سرّ ماقلناه فى حكم ظاهر الشرع فيه فمن ذلك انهم أجمعوا على أن الواجب من هذه الأطواف الثلاثة الذى بفوته يفوت الحج هو طواف الافاضة فان المعرّف اذا قدم مكة بعد الرمى وطواف الافاضة اجزأه عن طواف القدوم وصح حجه وان المودّع اذا طاف فى زعمه طواف الوداع ولم يكن طاف طواف الافاضة كان ذلك الطواف طواف افاضة اجزأ عن طواف الوداع لانه طواف بالبيت معمول به فى وقت طواف الوجوب الذى هو الافاضة فقبله الله طواف افاضة وأجزأ عن طواف الوداع كماذكرنا فيمن صام فى رمضان متطوعا أن وجوب رمضان يردّه واجبا لحكم الوقت ولم تؤثر فيه النية وجمهور العلماء على انه لايجزئ طواف القدوم على مكة عن طواف الافاضة كأنهم رأوا أن الواجب انما هو طواف واحد قال بعضهم اجمعوا على ان طواف القدوم والوداع من سنة الحاج الا الخائف فوات الحج فانه يجزئ عنه طواف الافاضة واستحب بعض العلماء لمن جعل طواف الافاضة يجزئ عن طواف القدوم أن يرمل فيه واما المكىّ فما عليه سوى طواف واحد وأما المتمتع فان لم يكن قارنا فعليه طوافان وان كان قارنا فطواف واحد هذا عندى وقال قوم على القارن طوافان انتهى الجزء السابع والستون

•(بسم الله الرّحمن الرّحيم)•

﴿وصل فى فصل حكم السعى﴾

فمن قائل انه واجب ان لم يسع كان عليه الحج ومن قائل انه سنة فان رجع الى بلده ولم يسع فعليه دم ومن قائل انه تطوع ولاشئ على تاركه لما كان الكمال غير محجور على النساء وان كانت المرأة انقص درجة من الرجل فتلك درجة الايجاد لانها وجدت عنه وذلك لايقدح فى الكمال فان الرجل الذى هو آدم نسبته الى ماخلق منه وهو التراب نسبة حوّاء اليه ولم تمنع هذه النسبة الترابية لادم عن الكمال الذى شهد له به وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكمال لمريم وآسية فلما اعتبر الله هذا فى المرأة جعل لها أصلا فى التشريع من حيث لم تقصد فطافت بين الصفا والمروة هاجر أم اسماعيل عليه السلام وهرولت فى بطن الوادى سبع مرّات تنظر الى من يقبل من أجل الماء لعطش قام بابنها اسماعيل فخافت عليه من الهلاك والحديث مشهور فجعلها الله أعنى جعل فعل هاجر من السعى بين الصفا والمروة وقرّره شرعا من مناسك الحج فمن رآه واجبا عظم فيه الحرمة ولم ير أنه يصح الحج بتركه كذلك الخواطر النفسية اذا أثرت الشفقة والسعى فى حق الغير أثر القبول فى الجناب الالهى فقال يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك الذى خرجت منه الى تدبيرها

البدن

البدن بالنفخ الالهي لان الرجوع لا يكون الاحال خروج منه والافما هو رجوع فانه ماقال لها أقبلي وانما قال لها ارجعي ولا يكون الامر الا كذلك فرجعوها كما لها ماقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله فوجب السعي لنداء الحق بالواسطة فكيف وقد نادى الحق عباده في كتابه المنزل علينا فقال ولله على الناس حج البيت فوجب السعي غير أن الشريعة التي شرع الله في السعي الى الجمعة أن يكون بالسكينة والوقار كالسعي في الافاضة من عرفات الى المزدلفة بالسكينة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول للناس لما رآهم أسرعوا في الافاضة من عرفات التي هي موقف حصول المعرفة بالله فلما أفاضوا عن أمره الى المزدلفة وهو مقام القربة والاجتماع بالمعروف فيها وهو تجل خاص منه لقلوب عباده ولهذا سميت جمعا ومن دلفة من الزلفى وهو القرب فقال لهم رسول الله السكينة السكينة كما قال في السعي الى الجمعة لا تأتوها وأنتم تسعون أي مسرعون في السعي وأتوها وعليكم السكينة في سعيكم والوقار فاجتمعت الجمعة وجمع في هذه الحقيقة الجمعية به تعالى في المقامين وقوله والوقار سعي في سكون وتهمد مشي المثقل لانه من الوقر وهو الثقل فان المعرفة بالله تعطي ذلك فانه من عرف شاهد ومن شاهد لم يغب فاذا دعاه من مقام الى مقام فهو لا يسرع الا من أجله وهو مشاهد له فانه به يسعى فيمشي على ترسل مشي المثقل فهذا معنى الوقار فانه لا يكون السكون في الاشياء الا عن هيبة وتعظيم لا عن اعياء وتعب فان السعي بالله لا تعب فيه ولا نصب

﴿وصل في فصل صفة السعي﴾

قال جمهور علماء الشريعة ان من سنة السعي بين الصفا والمروة أن يدعو اذا رقي في الصفا مستقبل البيت ثم ينحدر فاذا وصل الى الميل الاخضر وهو بطن الوادي رمل الى أن يصل الى الميل الثاني الاخضر وذلك كان حد الصعود الى المروة وحد سعة الوادي وانما اليوم قد ارتدم بما جاءت به السيول ولهذا جعل من جعل الميلين علامة لبطن الوادي ليكون حد الرمل المشروع في السعي ثم يسعى من غير اسراع اذا جاز الميل الثاني على صورة ما انحدر من الصفا فاذا وصل الى المروة فعل في المروة مثل ما فعل في الصفا ثم رجع يطلب الصفا من المروة فيكون حاله مثل الحال الاول في الرمل والهدو حتى يكمل سبع مرات وانما يبدأ بالصفا لان الله تهمم بها في الذكر فبدأ بها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا واقترأ الآية ثم دعا بعدها وختم بالمروة لما كان الاول نظير الآخر وكان حكمهما على السواء ختم بها لان بها تكمل السبعة لان الشيء المقابل هو من مقابله على خط السواء كما قال صلى الله عليه وسلم لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها لان استقبال الشيء واستدباره على خط واحد وكذلك لما سكت ابليس في اتيانه العبد للاغواء عن الفوقية سكت عن التحت لانه على خط استوا مع الفوق لانه لعنه الله رأى نزول الانوار على العبد من فوقه فخاف من الاحتراق فلم يتعرض في اتيانه الى الفوق ورأى التحت على خط استواء من الفوق وان ذلك النور يتصل بالتحت للاستواء لم يأت من التحت والعلة واحدة وقال عطاء ان جهل فبدأ بالمروة أجزأ عنه وقال بعضهم ان بدأ بالمروة ألغى ذلك الشوط وقد ذكرنا في حديث جابر المتقدم ما يدعو به اذا رقي على الصفا والمروة من فعله صلى الله عليه وسلم كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة فلا يغفلها الساعي بين الصفا والمروة فعندما يرقى في الصفا يعتبر اسمه من الاسف وهو حزنه على مافاته من تضييع حقوق الله تعالى عليه ولهذا يستقبل البيت بالدعاء والذكر ليذكره ذلك فيظهر عليه الحزن فاذا وصل الى المروة وهو موضع نائلة يأخذه من النيل وهو العطية فيحصل نائلة الاسف أي أجره يفعل ذلك في السبعة الاشواط لان الله امتن عليه بسبع صفات ليتصرف بها ويصرفها في أداء حقوق الله لا يضيع منها شيأ فيأسف على ذلك فيجعل الله له أجره في اعتبار نائلة بالمروة الى أن يفرغ ثم انه يرمل بين الميلين وهو بطن الوادي وبطون الاودية مساكن الشياطين ولهذا تكره الصلاة فيها وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم لما نام في بطن الوادي عن وقت صلاة الصبح قال ارتفعوا فانه واد به شيطان فان فيه أصابتهم الفتنة فيرمل في بطن الوادي ليتخلص معجلا من الصفة الشيطانية والتخلص من صحبته فيها اذ كانت مقره كما يفعل في بطن محسر بمنى يسرع في الخروج منه لانه واد من أودية النار التي خلق الشيطان منها وكذلك الاسراع في بطن عرنة وهو وادي عرفة وهو موضع وقوف ابليس يوم عرفة يحثو وصفه الله

فيه فى ذلك اليوم من الذلة والصغار والبكاء لما يرى من رحمة الله وعفوه وحط خطايا الحاج من عباده ثم ان السعى فى هذا الموضع جمع الثلاثة الاحوال وهو الانحدار والترقى والاستواء وما ثم رابع فاز درجة الكمال فى هذه العبادة أعطى ذلك الموضع وهو فى كل حال منها سالك فانحداره الى الله وصعوده الى الله واستواؤه مع الله وهو فى كل ذلك بالله لانه عن أمر الله فى الله فالساعى بين الصفا والمروة من الله الى الله مع الله بالله فى الله عن أمر الله فهو فى كل حال مع الله لله والصفا والمروة صفة جمادية مناسبة للحجارة التى ظهر بترتيبها شكل البيت المخصوص فانها بذلك الشكل أعطت اسم البيت ولولا ذلك لم يوجد اسم البيت وقد بينا لك أن الجمادات هى أعرف بالله وأعبد لله من سائر المولدات وانها خلقت فى المعرفة لاعقل لها ولا شهوة ولا تصرف الا ان صرفت فهى مصرفة بغيرها الا بنفسها ولا مصرف الا الله فهى مصرفة بتصريف الله والنبات وان خاق فى المعرفة مثلها فانه نزل عن درجتها بالنمو وطلب الرفعة عليها بنفسه حين كان من أهل التغذى وهو يعطى النمو وطلب الارتفاع والجماد ليس كذلك ليس له العلو فى الحركة الطبيعية لكن اذا رقى به الى العلو ونزك مع طبعه طلب السفل وهو حقيقة العبودية والعلو نعت الحق فانه هو العلى فالحجر يهرب من مزاحمة الربوبية فى العلو فيهبط من خشية الله وبهذا أخبر الله عنه فقال وان منها لما ذكر الحجارة لما يهبط من خشية الله فجعل هبوط الطبيعى من خشية فهو منشأ من الخشية لله والشهود له ذاتى وانما يخشى الله من عباده العلماء به فمن خشى فقد علم من يخشى وهذا هو مذهب سهل بن عبد الله التسترى فلا أعلى فى الانسان من الصفة الجمادية ثم بعدها النباتية ثم بعدها الحيوانية وهى أعظم تصريف فى الجهات من النبات ثم الانسان الذى ادّعى الالوهة فعلى قدر ما ارتفع عن درجة الجماد حصل له من تلك الرفعة صورة الهية خرج بها عن أصله فالحجارة عبيد محققون ما خرجوا عن أصولهم فى نشأتهم ثم ان الله جعل هذه الاحجار محلا لاظهار المياه التى هى أصل حياة كل حى فى العالم الطبيعى وهى معادن الحياة و بالعلم يحيى الانسان الميت بالجهل فجمعت الاحجار بالخشية وتفجر الانهار منها بين العلم والحياة قال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار مع اتصافها بالقساوة وذلك لقوتها فى مقام العبودية فلا تتنزل عن ذاتها الا انها لا تحب مفارقة موطنها لما فيه من العلم والحياة اللذين هما من أشرف الصفات فنال الساعى من الصفا الى المروة وهما الحجارة ما تعطيه حقيقة الحجارة من الخشية والحياة والعلم بالله والثبات فى مقامهم ذلك فمن سعى ووجد مثل هذه الصفات فى نفسه حال سعيه فقد سعى وحصل نتيجة سعيه فانصرف من مسعاه حى القلب بالله ذا خشية من الله عالما بقدره وبجلاله ولله وان لم يكن كذلك فما سعى بين الصفا والمروة

﴿وصل فى فصل شروطه﴾

اتفق العلماء أن من شرطه الطهارة من الحيض فأما الطهارة من الحدث فكلهم قالوا ليس من شرطه الطهارة من الحدث الا الحسن فاعلم أنه لما قررنا فى فصل السعى ما قررنا وفى اعتباره الحجارة من حكم الصفا والمروة لذلك اتفقوا أنه لا يشترط الطهارة من الحدث فى هذا النسك لانه عبد محض فيها ولم تصح له هذه العبودة الا بحدثه فلولا حدثه ما صحت عبوديته فاذا تطهر من حدثه خرج عن حقيقته وادّعى المشاركة فى الربوبية بقدر ما خرج فان كان طهرا عاما كالغسل كان أبعد له من حقيقته وان كان طهرا خاصا كالوضوء فهو أقرب والاخذ بالمناسب أتم فى الحقائق وأما من يرى الطهارة فى هذا النسك فانه يقول لا بد لكل موجود حى من نسبة فعل اليه على أى وجه كان ولا أكثر محدث بقى على أصله أتم من الحجارة ومع هذا فان الله وصفها بالخشية وهو فعل نسب اليها أى قيل انها تخشى فينبغى أن تتطهر من هذه النسبة لا من الخشية لتكون الخشية من الله فيها وكذلك التشقق نسب اليها لخروج المياه فلا بدّ من التطهير من هذه النسب ولهذا نزع الحسن الى اشتراط الطهارة فى هذا النسك وهو حسن مثل اسمه أى هو مذهب حسن فان النبى صلى الله عليه وسلم كره أن يذكر الله الا على طهر أو قال طهارة ولا بد فيه من ذكر الله فالقول بالطهارة أولى والحسن عندنا من أئمة طريق الله جل جلاله ومن أهل الاسرار والاشارات

﴿وصل فى فصل ترتيبه﴾

اتفق العلماء أن السعي ما يكون الا بعد الطواف بالبيت وأنه من سعى قبل الطواف يرجع فيطوف وان خرج عن مكة فان جهل ذلك حتى أصاب النساء في العمرة أو في الحج كان عليه حج قابل والهدي أو عمرة أخرى وقال بعضهم لا شئ عليه وقال بعضهم ان خرج عن مكة فليس عليه أن يعود وعليه دم وبه أقول اعلم أن الله لما دعانا ما دعانا الا أن نقصد البيت فلا ينبغي أن نبدأ اذا وصلنا اليه بغير ما دعانا اليه ولا نفعل شيأ حتى نطوف به فاذا قصدناه بالصفة التي أمرنا بها حينئذ نتصرف فنا بعد ذلك على حد ما رسم لنا في سائر المناسك ان كنا عبيدا اضطرارا ووفينا بمقامنا من العبودية وهكذا فعل المشرع صلى الله عليه وسلم الذي قال لنا خذوا عني مناسككم وقال الله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وقال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال من رغب عن سنتي فليس مني فأبان بفعله صلى الله عليه وسلم عن مراد الله منا في هذه العبادة هذا هو التحقيق فان اتسع العبد ادلالا بالدال اليابسة وهو عنده الخروج عن الاذلال بالذال المعجمة من الذلة لما خلقه الله على الصورة وهي تقتضي العزة أراد أن يكون له في الفعل اختيار وبهذه الارادة كان ما يصح ظهوره بالصورة اذا اختار لانه عالم انه لابد لها من الحكم في موطن ما فقدم السعي وقال وان دعانا الى بيته فلا بد من الوصول اليه والطواف به فانه ما حجر علينا أن لا نمر بغير البيت في طريقنا فلو حجر وقفنا عند تحجيره فدل سكوته على ذلك انه خيرنا اذ لابد من الطواف بالبيت لانه أمرنا بذلك فقال وليطوفوا بالبيت العتيق فجعلنا الحكم في تقديم السعي لكان خلقنا على الصورة ليكون لها حكم الاختيار والاختيار ووفاء بمقامها ومراعاة له فانه يقول عن نفسه وربك يخلق ما يشاء ويختار ونحن على الصورة فلابد من هذه الحقيقة أن يكون لها أثر ومع هذا فالاولى أن نصرف اختيار الصورة منه في غير هذا الموطن لما تقدم من بيان الشارع الذي هو العبد المحقق محمد صلى الله عليه وسلم فلم يقدم السعي على الطواف ولا المروة على الصفا في السعي وقال الله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فلم يذم أدبا معنا لنتعلم بل نزه نفسه بالغني عما دعاهم اليه وأنهم ان أجابوا الى ذلك فان الخير الذي فيه عليهم يرجع والله غني عنه وبهذا وجد رخصة من قدم السعي ثم أتبعه بالحميد أي هو أهل الثناء بالمحامد في الاولى والآخرة فله الحمد على كل حال سواء تحركت بهذا بالصورة فاخترت لما تعطيه قوة الصورة أو تحركت عبدا مضطرا فان الحمد لله في كل ذلك يقول الله بالحال لولا صورتي ما اخترت ولم تكن مختارا فصورتي هي التي كانت لها الخيرة لا لك اقامة عذر للعبد وهذا من كرم الله فلا حرج فلهذا لم يعلق به الذم ولا تعرض لذكره في عدم الاقتداء والتأسي برسوله صلى الله عليه وسلم فانه ما حجر كما قلنا وهذا تنبيه من الله غريب في الموقع حيث لم يذم ولا حمد بل جعله مسكوتا عنه

﴿وصل في فصل ما يفعله الحاج في يوم التروية اذا كان طريقه على منى﴾

يوم التروية هو يوم الخروج الى منى في اليوم الثامن من ذي الحجة والمبيت فيه ويصلي به الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر من اليوم التاسع الذي هو يوم عرفة تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمع العلماء على أن ذلك ليس بشرط في صحة الحج فاذا أصبح يوم عرفة غدا الى عرفة ووقف بها لما وصل الحاج الى البيت ونال من العلم بالله ما نال ونال في المبايعة والمصافحة ليمين الله تعالى ما يجده أهل الله في ذلك وحصل من المعارف الالهية وطوافه بالبيت وسعيه وصلاته بمنى أراد الله أن يميزه ما بين العلم الذي حصل له في الموضع المحرم وبين المعرفة الالهية التي يعطيه الله في الحل وهو عرفة فان معرفة الحل تعطي رفع التحجير عن العبد وهو في حال احرامه محجور عليه لانه محرم بالحج فيجمع في عرفة بين معرفته بالله من حيث ما هو محرم وبين معرفة الله من حيث ما هو في الحل لان معرفة الله في الحرم وهو محرم معرفة مناسبة النظير فانه بالاحرام محجور عليه وبالحرم محجور عليه وهذا خلاف حكم عرفة فانه محرم في حل فهو في عرفة أبعد مناسبة وأشد مشقة لانه تقابل ضد وتمييز فانه لم يحرم الحل باحرام الحاج ولم يحل الحاج من احرامه باحلال الموضع فلم يؤثر أحدهما في الآخر فتميز العبد بالحجر لبقائه على احرامه ليس فيه من الحق المختار شئ وتميز الحق بالحل انه غير محجور عليه فهو يفعل ما يريد لما يتوهمه الوهم بدليل العقل أن الحق يحكم على الفعل منه علمه به فما يبدله وهذا انقبض

الاختيار فاشبه المحجور عليه فيحصل له فى عرفة فى الحل معرفة ازالة هذا التحجير الذى أثبته الوهم بدليل العقل فانه فى هذا الموطن من العلم بالله ساوى الوهم العقل فحجر على الله وجعله تحت حكم علمه فى الشئ فى مذهب من يرى ان العلم صفة زائدة على ذاته قائمة به تحكم على ذاته بحسب ماتعلقت به فن قال ان علمه ذاته لا يلزمه هذا وهذه معرفة بالله بديعة عجيبة لا يعرف قدرها الامن عرفها فلما أراد الحاج حصول هذه المعرفة مر فى طريقه بمنى وهو موضع الحج الاكبر وأراد أن يذوق طعمه قبل الوقوف بعرفة اذ كان مرجعه اليه يوم النحر وهو يوم الحج الاكبر فانه فى ذلك الزمان الاول يجتمع فيه من وقف بعرفة ومن وقف بالمزدلفة فكان معظم الحاج بمنى فصلى بها وبات ليذوق ذلك فى حكم النهار وحكم الليل فيحصل بين الامر النهارى والتجلى الليلى وما يحصل فى أوقات الصلوات من الامر الخاص فى هذا الموطن حتى يرى اذا رجع اليها بعد الوقوف هل يتساوى الذوق فى ذلك أو يتغير عليه الحال لتأثير عرفة والمزدلفة فيه فكان مبيته وقعوده بمنى حالة اختيار وتمحيص ليكون من ذلك على علم فى المآل بخلاف المعرّف فانه لا يحصل له ذلك فلا يعرف هل يتغير حكم منى بعد عرفة عن حكمه قبل عرفة أم لا فهذا كان سبب ذلك

﴿وصل فى فصل الوقوف بعرفة﴾

أما الوقوف بعرفة فانهم أجمعوا على انه ركن من أركان الحج وان من فاته فعليه الحج من قابل والهدى فى قول أكثرهم ونحن لا نقول بالهدى لمن فاته فانه ليس بمتمتع لانه ما حج مع عمرته فى سنة واحدة والسنة فى يوم عرفة أن يدخلها قبل الزوال فاذا زالت الشمس خطب الامام الناس ثم جمع بين الظهر والعصر فى أول وقت الظهر ثم وقف حتى تغيب الشمس هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامامة الحج هى للسلطان الاعظم لا خلاف بينهم فى ذلك وانه يصلى وراءه برًّا كان أو فاجرا وقد قدمنا انه برّ فى وقت صلاته فما صليت الا خلف برّ ولا كان امامك الا برًّا فلا فائدة للفجور والفسق الذى يذكره علماء الرسوم فى هذه المسئلة وقد قدمنا الكلام فيها وانّ من السنة علينا فى ذلك اليوم أن نأتى الى المسجد مع الامام للصلاة ويعتبر فى ذلك المشى بالله مع الله الى الله فى بيت المعرفة لانه مسجد فى عرفة وهو مسجد عبودية ولا يصح أن يكون المسجد الا موطن عبودية لان السجود هو التطاطى وهو نزول من أعلى الى أسفل وبه سمى الساجد ساجدا لنزوله من قيامه فيعطيه مسجد عرفة المعرفة بنفسه ليكون له ذلك سلما الى معرفة ربه فانه من عرف نفسه عرف ربه الذى سجد له والمعرفة تطلب فى التعدى امرا واحدا فهو تعلقه أى تعلق علم العبد ومعرفته بأحدية الله خاصة فلو لم يقل عرفة وقال مايدل على العلم كما دل عرفة على العلم لم نجعل تعلقه بالاحدية وكنا نجعله بأمر آخر فعلمنا ان الانسان يطلب فى معرفة نفسه شفعيتها من حيث أحديتها التى تمتاز بها معرفة أحدية الحق اذ لا يعرف الواحد الامن هو واحد فبأحديتك فى شفعيتك عرفت أحديته تعالى فجاء فى المعرفة باسم عرفة لاجل القصد بمعرفة أحدية الخالق لانه لا أحدية له فى غير الذات من المناسبات الا أحدية الخالق بمعنى الموجد ولذلك تمدّح بها وجعلها فرقانا بين من ادّعى الالوهية أو ادعيت فيه فقال أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون فلو وقعت المشاركة فى الخلق لما صح ان يتخذها تمدّحا ولا دليلا مع الاشتراك فى الدلالة هذا لا يصح فيعلم قطعا ان الخالق صفة أحدية لله لا تصح لاحد غير الله فلهذا كانت معرفة الله فى عرفة معرفة أحدية اذ المعرفة هذا نعتها فى اللسان الذى خوطبنا به من الله فاذا عرفت هذا فقد عرفت

﴿وصل فى فصل الاذان﴾

اعلم ان العلماء اختلفوا فى وقت أذان المؤذن بعرفة الظهر والعصر فقال بعضهم يخطب الامام حتى يمضى صدر من خطبته أو معظمها ثم يؤذن المؤذن وهو يخطب وقال قوم يؤذن اذا أخذ فى الخطبة الثانية وقال قوم اذا صعد الامام المنبر أمر المؤذن بالاذان فأذن كالجمعة فاذا فرغ المؤذن قام الامام يخطب وعلى هذا القول رأيت العمل اليوم وهو مذهب أبى حنيفة والاول مذهب مالك والثانى قيل انه مذهب الشافعى وقد حكى عن مالك انه قال كما قال أبو حنيفة حكاه ابن نافع عن مالك والحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب الناس ثم أذن بلال ثم أقام وجمع بين الظهر والعصر ولم يتنفل بينهما حقيقة الاذان الاعلام لا الذكر وقد يكون اعلاما بذكر الله كرأيضا فكله ذكر

الا الجيعلتين فانه نداء بأمر الى عبادة معينة فمن راعى الجمع فى عين الفرق جعل لهما أذانا واحدا واقامتين ومن راعى الفرق بين الظهر والعصر جعل فى الجمع حكم التفرقة فقال بأذانين واقامتين ولهذا وقع الخلاف فقال قوم بأذانين واقامتين وقال قوم بأذان واحد واقامتين فمن راعى الصلاة جعله بعد الخطبة ومن راعى سماع الخطبة جعله قبل الخطبة ومن راعى كونه ذكر الله بصورة الاذان كالذى أمر أن يقول مثل ما يقول المؤذن على انه ذاكر لله لا مؤذن فان القائل مثل المؤذن لا يقال فيه انه مؤذن انما هو ذاكر بصفة الاذان فهذا يقول بالاذان فى نفس الخطبة ويكتفى بقرينة حال قصد الناس عرفة فى ذلك اليوم ليس لهم شغل الا الاهتمام بالافعال التى تلزمهم فى ذلك اليوم فمنها استماع الخطبة والصلاة فأغنى عن الاذان الذى هو الاعلام الا أن يقصد اعلاما بدخول وقت الصلاة لمن يجهل ذلك فيكون أذانا بذكر فان الذكر فى طريق الله لا يختص بالقول فقط بل تصرف العبد اذا رزق التوفيق فى جميع حركاته لا يتحرك الا فى طاعة الله تعالى من واجب أو مندوب اليه ويسمى ذلك ذكر الله أى انه ذكره فى ذلك الفعل انه لله بطريق القربة سمى ذكرا قالت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يذكر الله على كل أحيانه فعمت جميع أحواله فى يقظة ونوم وحركة وسكون تريد أنه ما تصرّف ولا كان فى حال من الاحوال الا فى أمر مقرّب الى الله لانه جليس الذاكرين له فجميع الطاعات كلها من فعل وترك اذا فعلت أو تركت لاجل الله فذلك من ذكر الله أى الله ذكر فيها ومن أجله فعلت أو تركت على حكم ما شرع فيها وهذا هو ذكر الموفقين من العلماء بالله وأجمع العلماء على ان الامام لو لم يخطب يوم عرفة قبل الصلاة ان صلاته جائزة بخلاف الجمعة فهذا فرق بين الجمعة وبين الصلاة فى عرفة هذا هو ما فعل النبىّ صلى الله عليه وسلم وانما خطب قبل الصلاة كما أجمعوا على ان القراءة فى هذه الصلاة سرّ لا جهر بخلاف الجمعة فالخطيب فى هذا اليوم مذكر الحق فى قلب العبد وواعظه وجوارحه كالجماعة الحاضرين سماع تلك الخطبة فهو يحرّضهم على طاعة الله ويعرّفهم ان الله ما دعاهم الى هذا الموطن للوقوف بين يديه الا تذكرة لقيام الناس يوم القيامة لرب العالمين ويعرّفهم ان الله يأتيهم فى هذا اليوم بخلاف اتيانه يوم القيامة فان ذلك الاتيان انما هو للفصل والقضاء وتمييز الفرق بعضهما من بعض بسيماهم واليوم اتيانه للواقفين فى هذا الموطن اتيان بمغفرة ورحمة وفضل وانعام ينال ذلك الفضل الالهىّ فى هذا اليوم من هو أهله يعنى المحرمين بالحج ومن ليس من أهله ممن شاركهم فى الوقوف والحضور فى ذلك اليوم وليس بحاج فحكمهم كالجليس مع القوم الذين لا يشقى جليسهم قال تعالى للملائكة فى اهل مجالس الذكر فمن جاء لحاجة له لا للذكر انهم القوم لا يشقى جليسهم فعمتهم مغفرة الله ورضوانه وضاعفه الله للمحرمين من حيث انهم أهل ذلك الموقف ما تستحقه الاهلية هذا كله وأمثاله يشعر العبد به نفسه كما ينبغى للخطيب أن يذكر الناس بمثل هذا الفضل الالهىّ لتكون عبادتهم فى ذلك اليوم شكر الله تعالى وينسون ما هم فيه من الشعث والتعب فى جنب ما حصل لهم من الله ثم يقومون للصلاة بعد الفراغ من الخطبة فيصلون فى ذلك الموطن صلاة من هو بعرفة فى حال كونهم شعثا غبرا عرايا من المخيط حاسرين عن رؤسهم واقفين على أقدامهم بين يدى رب عظيم فيصلون فى ذلك اليوم جمعا صلاة العارفين كما قلنا

صلاة العارفين لها خشوع ۞ ومسكنة وذل وافتقار

وفاعلها وحيد فى شهود ۞ عليه فى شهادته اضطرار

ولما كانت حالته فى هذا اليوم خاصة به بينه وبين ربه فى صلاته تعين عليه أن تكون قراءته سرّا وهو الذكر النفسىّ اشعار التحققه بالحق فى ذلك الموطن فانه اذا ذكره فى نفسه والقرآن ذكر ذكره الحق فى نفسه من حيث لا يشعر العبد بأن الله ذكره فان الله اذا ذكره فى نفسه فذكره فى حضرة أزلية لا حدوث فيها فكان للعبد بهذا الذكر قدم فى الازل حيث أحضره الحق فى نفسه بالذكر فانه اذا ذكره فى ملأ فقد ذكره فى حضرة حدوث والحدوث صفة العبد فما زاد منزلة بذلك الا كونه ذكرا خاصا وموطن عرفة عظيم فكانت القراءة فيه فى الصلاة نفسية لتحصل هذه المنزلة فى ذلك اليوم

﴿وصل في فصل﴾

فان كان الامام مكيا فاختلفوا هل يقصر أم لا هنا وبمنى وبالمزدلفة فمن قائل بالقصر ولا بد في هذه الاماكن كان مكيا أو لم يكن وكان من أهل الموضع أو لم يكن ومن قائل لا يقصر الا ان كان مسافرا فمن راعى السفر أراد أن يناجي الحق تعالى في هذه الصلاة في مقام الوحدانية فيجعل للحق الركعة التي يناجيه منها من حيث أحديته ويجعل لنفسه الركعة الثانية التي يناجيه فيها من حيث أحدية العبد التي بها عرف أحدية الحق في يوم عرفة لتعدى هذا الفعل الى أمر واحد ومن راعى الاتمام جعل للحق ركعتين الواحدة من حيث ذاته تعالى والثانية من حيث ما هو معلوم لنا بنسبة خاصة تقضى بأن يوصف بأنه معلوم لنا اذ قد كان غير موصوف بأنه معلوم اذ لم يكن لنا وجود في أعياننا فلم يكن ثم من يطلب منه أن يعرفه ويجعل الركعتين الاخريين الواحدة منها لذات العبد من حيث عينه والركعة الثانية من حيث امكانه الذي يعطيه الافتقار الى من يرجحه في انتسابه اليه وهذه معرفة الدليل والمشاهدة فانها دليل أيضا فان المشاهدة طريق موصلة الى العلم بالمشهود والفكر طريق موصل الى العلم بالله أيضا من حيث استقلال العقل به وان لم يشهد فهذا سر الاتمام في الصلاة والقصر لما يعطيه مكان عرفة من المعرفة بالله في الصلاة بهذا المكان

﴿وصل في فصل الجمعة بعرفة﴾

اختلف العلماء في وجوب الجمعة ومتى تجب فقيل لا تجب الجمعة بعرفة وقال آخرون ممن قال بهذا القول انه اشترط في وجوب الجمعة أن يكون هنالك من أهل عرفة أربعون رجلا ومن قائل اذا كان أمير الحاج ممن لا يفارق الصلاة بمنى ولا بعرفة صلى بهم فيهما الجمعة اذا صادفها وقال قوم اذا كان والى مكة يجمع بهم والذي أقول به انه يجمع بهم سواء كان مسافرا أو مقيما وكثيرين أو قليلين مما ينطلق عليهم في اللسان اسم جماعة وواقعة وقعت لنا في ليلة كتابتي هذا الوجه وهي مناسبة لهذا الباب كنت أرى فيما يراه النائم شخصا من الملائكة قد ناولني قطعة من أرض متراصة الاجزاء ما لها غبار في عرض شبر وطول شبر وعمق لا نهاية له فعند ما تحصل في يدي أجدها قوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الى قوله واشكروا لي ولا تكفرون فكنت أتعجب ما كنت أقدر أن أنكر أنها عين هذه الآيات ولا أنكر أنها قطعة أرض وقيل لي هكذا أنزل القرآن أو أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم فكنت أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لي هكذا أنزلت على خذها ذوقا وهكذا هو الامر فهل تقدر على انكار ما تجده من ذلك قلت لا فكنت أحار في الامر حتى قلت لغلبة الحال على في ذلك

ما ثم الاحيرة عمت ✽ كلي وبعضي وهي من جملتي
والله ما ثم حديث سوى ✽ هذا الذي قد شهدت مقلتي
فما أرى غيري وما هو أنا ✽ وذاك مجلاه وذى كلتي

فقلت هذا كشف مطابق للجمعة التي جاء بها جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة مرآة مجلوة وفيها نكتة وقال له يا رسول الله هذه الجمعة وهذه النكتة الساعة التي فيها والحديث مشهور فانظر ما أعجب الامور الالهية وتجليها في القوالب الحسية وهذا دليل على ارتباط الامر بيننا وبين الحق

فالكل حق والكل خلق ✽ وكل ما نشهدون حق
يحوى على الامر من قريب ✽ وما له في اللسان نطق
وكله مثل ما تراه ✽ وكله في الوجود صدق

انتهى امداد الواقعة الجامعة فلنرجع ونقول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل الحج نداء الحق واذن في الناس بالحج والجمعة نداء الحق اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فوقعت المناسبة فالجماعة موجودة فوجبت اقامتها بعرفة ولا سبيل الى تركها ولا سيما والحقائق تعضد ذلك فما وجد كون من الاكوان الا عن جمع معقول ولا ظهر كون في عين الا بمجموع من حقائق تظهر ذلك ولم يصح وجود حادث شرعا ولا عقلا وكل ما سوى الله حادث الا عن ذات ذات ارادة

وعلم وقدرة وحياة عقلا وذات ارادة وقول أمري شرعا ثم الوجه الآخر من أجمعية ان الحادث عن اقتدار الهي وقبول امكاني لابد منهما من شرطها وجود حياة شرعا نقول للشئ كن فثبتت الجمعية شرعا في ايجاد الاكوان وثبتت عقلا كما قررنا فالوحدة في الايجاد والوجود والموجود لا يعقل ولا ينقل الا في لا اله الا هو فهذه أحدية المرتبة وهي أحدية الكثرة فافهم فاذا أطلقت الاحدية فلا تطلق عقلا ونقلا الا بازاء أحدية المجموع مجموع نسب أوصفات أوماشئت على قدر ما أعطاه دليلك ولكل نسبة أوصفة أحدية تمتاز بها عن غيرها في نفس الامر فمن أراد أن يميزها عند السامع أوالمتعلم فما يقدر على ذلك الا بمجموع حقائق كل حقيقة معلومة عند السامع وما في العالم أعجب من هذا العلم حيث تعقل الاحدية في كل موجود ولا يصح وجود موجود حادث الا بمجموع مجموعا وهذه حيرة عظيمة

حيرة الامر حيرة • وهي في الغير غيرة

ولذلك ما طلب الحق تعالى في الايمان منا الا توحيد الاله خاصة وهو أن تعلم انه ما ثم الا اله واحد لا اله الا هو ثم قال الرحمن الرحيم فلم يكن ثم جمع يقتضي هذا الحكم وهو أن يكون الها الا هذا المسمى بهذه الاسماء الحسنى المختلفة المعاني التي افتقر اليها الممكن في وجود عينه واذا كان الامر على ما قررناه فلا واجب أوجب من اقامة الجمعة بعرفة اذا جاء وقتها وشرطها فلا أدري في العالم أجهل ممن قال لا يصدر عن الواحد الا واحد مع قول صاحب هذا القول بالعلية ومعقولية كون الشئ علة الشئ خلاف معقولية شيئيته والنسب من جملة وجوه الجمع فما أبعد صاحب هذا القول من الحقائق ومن معرفة من له الاسماء الحسنى ألا ترى أهل الشرائع وهم أهل الحق يقولون بنسبة الالوهة لهذا الموجد للممكن المألوه ومعقول الالوهة ما هو معقول الذات فالاحدية معقولة لا تمكن العبارة عنها الا بمجموع مع كون العقل يعقلها وهي أحدية المجموع وآحاده ألا ترى أن التجلي الالهي لا يصح في الاحدية أصلا وما ثم غير الاحدية وما يتعقل أثر عن واحد لا جمعية له فياليت شعري كيف جهلت العقول ما هو أظهر من الشمس فيقول ما صدر عن الواحد الا واحد ويقول ان الحق واحد من جميع الوجوه وهو يعلم أن النسب من بعض الوجوه وان الصفات في مذهب الآخر من بعض الوجوه فأين الواحد من جميع الوجوه فلا أعلم من الله بالله حيث لم يفرض الوحدة الا أحدية المجموع وهي أحدية الالوهة لله تعالى فقال هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى وهي تسعة وتسعون اسما مائة الا واحدا وكل اسم واحد مدلوله ليس مدلول عين الاسم الآخر وان كان المسمى بالكل واحدا فما عرف الله الا الله

ما يعرف الله الا الله فاعترفوا • العين واحدة والحكم مختلف
فقل لقوم أبوا الا عقولهم • هذا هو النهر المنساب فاغترفوا
ولا تقولن ان العقل ليس له • سوى دلائله فيما بدا فقفوا
هنا ولا تبرحوا حتى يجوز بكم • اليه كشف وما في الكشف منصرف

فمن طلب الواحد في عينه لم يحصل الا على الحيرة فانه لا يقدر على الانفكاك من الجمع والكثرة في الطالب والمطلوب وكيف يقدر على نفي الكثرة وهو يحكم على نفسه بأنه طالب وعلى مطلوبه بأنه مطلوب ويوم عرفة يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما عجله الحق في الدنيا لعباده الا لانقضاء أجله المحدود كما قال سبحانه وتعالى في الآخرة انه يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود ويوم عرفة يوم مغفرة عامة شاملة فاذا اتفق أن يكون يوم جمعة ففضل على فضل ومغفرة الى مغفرة وعيد الى عيد فالاولى والاحق بالامام أن يقيم فيه الجمعة فانها أفضل صلاة مشروعة هي في موضع الاولى فلها الاولية التي لا ثاني لها فينبغي أن يقيمها من ثبتت له المغفرة الالهية شرعا فطهر طهارة ظاهرة وباطنة فهو المقدس عن كل ذنب يحجب عن الله ثم انه موطن الغبرة والشعث والخشوع والابتهال والدعاء والتضرع فوجبت الجمعة فيه ان حضر يومها فيكون يوما عيدا عيد عرفة وعيد الجمعة فان لم يقمها الامام لم يعط الابعيد

واحد ولا يكون ذلك يوم جمعة أصلا بل يسلب عنه ذلك الحكم لعدم صلاة الجمعة فيه وقد زال عنه اسمه الاوّل وهو العروبة فلا جمعة ولا عروبة فان اعتبرت الرتبة الباطنة فقد يرجع عليه اسمه الاوّل وهو العروبة لا غير فتفطن لما ذكرته لك من زوال اسم الجمعة عنه لانه ما سمي به الا لاجتماع الناس فيه على امام واحد كما اجتمعنا في وجودنا على الواحد والله الهادي انتهى الجزء الثامن والستون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿وصل في فصل توقيت الوقوف بعرفة في يومه وليلته﴾

لم تختلف العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقف الا بعد الزوال وبعد ما صلى الظهر والعصر ارتفع عن مصلاه ووقف داعيا الى غروب الشمس فلما غربت دفع الى المزدلفة وأجمعوا على ان من وقف بعرفة قبل الزوال انه لا يعتد به ان فارق عرفة وانه ان لم يرجع ويقف بعد الزوال أو يقف من ليلته تلك قبل طلوع الفجر فقد فاته الحج ❊ اعلم ان العرب والزمان العربيّ في اصطلاحهم وما تواطؤا عليه يتقدم ليله على نهاره جريا على الاصل فان موجد الزمان وهو الله تعالى يقول وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فجعل الليل أصلا وسلخ منه النهار كما تسلخ الشاة من جلدها فكان الظهور لليل والنهار مبطون فيه كجلد الشاة ظاهر كالستر عليها حتى تسلخ منه فسلخ الشهادة من الغيب ووجودنا من العدم فظهر علم العرب على العجم فان العجم الذين حسابهم بالشمس يقدّمون النهار على الليل ولهم وجه بهذه الآية وهو قوله فاذا هم مظلمون واذا حرف يدل على زمان الحال أو الاستقبال ولا يكون الموصوف بأنه مظلم الا بوجود الليل في هذه الآية فكان النهار غطاء عليه ثم سلخ منه أي أزيل فاذا هم مظلمون أي ظهر الليل الذي حكمه الظلمة فاذا الناس مظلمون الممكن وان كان موجودا فهو في حكم المعدوم وأصدق بيت قالته العرب قول لبيد ❊ ألا كل شئ ما خلا الله باطل ❊ والباطل عدم فظهر هذا الحكم الاعجمي في الشرع العربيّ في يوم عرفة فان العرب والشرع أخر والليلة عرفة عن يومها كما فعلت الاعاجم أصحاب حساب الشمس فجعل الشرع العربي ليلة عرفة الليلة المتقبلة من يوم عرفة التي يكون صبيحتها يوم النحر وهو اليوم العاشر وسائر الزمان عندهم الليلة لليوم الذي يكون صبيحتها وعند الاعاجم ليلة الجمعة مثلا الذي يكون يوم السبت صبيحتها فاجتمع العرب والعجم في تأخير هذه الليلة عن يومها أعطى ذلك مقام المزدلفة المسمى جمعا فانه جمع فيه العرب والعجم على حكم واحد فجعلوا الليلة عرفة ليوم عرفة المتقدم لكون الشارع شرع انه من أدرك الوقوف بعرفة ليلة جمع قبل الفجر فقد أدرك الحج والحج عرفة وكل يوم كامل بليلته من غروب الى غروب عند العرب ومن شروق الى شروق عند العجم الا يوم عرفة فانه ثلاثة أرباع اليوم المعلوم الا ساعة وخمسة أسداس ساعة فانه من زوال الشمس الى طلوع الفجر خاصة فقد نقص من زمان يوم عرفة عن اليوم المعلوم من طلوع الفجر الى الزوال وسبب ذلك انه لما اعتبر في عرفة انه مقام المعرفة بالله التي أوجبها علينا فكان ينبغي أن لا نسمي عارفين بالله حتى نعلم ذاته وما يجب لها من كونها الها فاذا عرفناه على هذا الحد فقد عرفناه فصارت المعرفة مقسمة نصفين النصف الواحد معرفة الذات والنصف الآخر معرفة كونه الها فلما بحثنا بالادلة العقلية وأصغينا الى الادلة الشرعية أثبتنا وجود الذات وجهلنا حقيقتها وأثبتنا الالوهة لها وهو نصف المعرفة بكمالها والربع وجودها أعني وجود الذات المنسوبة اليها الالوهة والربع الرابع معرفة حقيقتها فلم نصل الى معرفة حقيقتها ولا يمكن الوصول الى ذلك والزائد على الربع الذي جهلناه أيضا هو جهلنا بنسبة ما نسبناه اليها من الاحكام فانا وان كنا نعرف النسبة من كونها نسبة فقد نجهل النسبة الخاصة لجهلنا بالمنسوب اليه فحصلت المعرفة من زوال الشمس الى طلوع الفجر ومن طلوع الفجر الى طلوع الشمس جهلنا بالنسبة ومن طلوع الشمس الى الزوال وهو ربع اليوم جهلنا بالذات فما أعطى عرفة من المعرفة بالله الا ما أعطاه زمانه فاعلم فنقص العلم بها عن درجة العلم بكل معلوم فمن لم نعلمه بحقيقته فما علمناه فعلمنا بوجود الذات من أجل الاستناد لا بالذات وعلمنا نسبة الالوهة لها الا كيفية النسبة وهو نصف المعرفة وهذا النصف يتضمن

ربعين الربع الواحد العلم بصفات التنزيه والسلوب والربع الآخر المعرفة بصفات الافعال والنسب فالحاصل بأيدينا ثلاثة أرباع المعرفة الاوّل والربع الواحد لانعرفه أبدا والذى ينظر من المعرفة المناسب لما زاد على الربع من طلوع الفجر الى طلوع الشمس هو بمنزلة ماجهلنا من نسبة وصف ماوصف الحق به نفسه من صفة التشبيه فلا ندرى كيف ننسب اليه مع ايماننا به واثباتنا له هذا الحكم مع جهلنا الكن على مايعلمه الله من ذلك فهذا فى مقابلة الزائد على ربع اليوم فلهذا نقص يوم عرفة عن سائر الايام الزمانية فتحقق صحة يوم عرفة انه من الزوال الى طلوع الفجر من ليلة عرفة

﴿وصل فى فصل من دفع قبل الامام من عرفة﴾

اختلف علماء الاسلام فيمن وقف بعرفة بعد الزوال ثم دفع منها قبل الامام و بعد الغيبوبة فقيل أجزأه لانه جمع بعرفة بين الليل والنهار فان دفع قبل الغروب قيل عليه دم وقيل لاشئ عليه وحجه تام والذى أقول به انه لاشئ عليه وان حجه تام الاركان غير تام المناسك لانه ترك الافضل لاشك أنه من ترك شيأ من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم مما لم يفترض عليه فانه ينقص من محبة الله اياه على قدر مانقص من اتباع الرسول وأكذب نفسه فى محبته لله لعدم اتمام الاتباع وعند أهل طريق الله لو اتبعه فى جميع أموره وأخل بالاتباع فى أمر واحد مما لم يفترض عليه بل خالف سنة لاتباع فى ذلك مما أبيح له الاتباع فيه أنه مااتبعه قط وانما اتبع هوى نفسه لاهو مع ارتفاع الاعذار الموجبة لعدم الاتباع هذا مقرر عندنا قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لامتك ان كنتم تحبون الله فاتبعونى فجعل الاتباع دليلا وماقال فى شئ دون شئ يحببكم الله والله يقول لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة وهو الاتباع وقال وأوفوا بعهدى فى دعوا كم محبتى أوف بعهدكم وهو انى أحبكم اذا صدقتم فى محبتى وجعل الدليل على صدقهم حصول محبة الله اياهم وحصول محبة الله اياهم دليل الاتباع وعلى قدر مانقص ينقص وعند أهل الله هو أمر لايقبل النقص وان العذر لاينقصه فانه فى حبس الله عن الاتباع فى أمر ما فالحق ينوب عنه عندى * حكاية قال أبو يزيد فى هذا الباب كنت أظن فى برّى بامى انى ماأقوم فيه لهوى نفسى بل لتعظيم الشريعة حيث أمرتنى ببرّها فكنت أجد فى نفسى لذة عظيمة كنت أتخيل ان تلك اللذة من تعظيم الحق عندى لامن موافقة نفسى فقالت لى فى ليلة باردة اسقنى يا أبا يزيد ماء فثقل علىّ التحرّك لذلك فقلت والله ماخفف علىّ ما كانت تكلفنى فعله الا الموافقة كان فى نفسى من حيث لا أشعر فابطل عمله وماسلم لها قال أبو يزيد فقمت بمجاهدة وجئت بالكوز اليها فوجدتها قد سارع اليها النوم ونامت فوقفت بالكوز على رأسها حتى استيقظت فناولتها الكوز وقد بقى فى أذن الكوز قطعة من جلد أصبعى لشدة البرد انقرضت فتألمت الوالدة لذلك قال أبو يزيد فرجعت الى نفسى وقلت لها حبط عملك فى كونك كنت تدعين النشاط فى عبادتك والاتباع ان ذلك من محبتك الله فانه ما كلفك ولاندبك وأوجب عليك الا ماهو محبوب له وكل مايأمر به المحبوب عند المحب محبوب ومما أمرك الله به يانفسى البرّ بوالدتك والاحسان اليها والمحب يفرح و يبادر لما يحبه حبيبه ورأيتك قد تكاسلت وتثاقلت وصعب عليك أمر الوالدة حين طلبت الماء فقمت بكسل وكراهة فعلمت انه كل مانشطت فيه من أعمال البرّ وفعلته لاعن كسل ولاتثاقل بل عن فرح والتذاذ به انما كان ذلك لهوى كان لك فيه لالأجل الله اذلو كان لله ماصعب عليك الاحسان لوالدتك وهو فعل يحبه الله منك وأمرك به وأنت تدعين حبه وان حبه أورثك النشاط واللذة فى عبادته فلم يسلم لنفسه هذا القدر وكذلك غير أبى يزيد من أهل الله كان يحافظ على الصف الاول دائما منسبعين سنة وهو يزعم انه يفعل ذلك رغبة فيما رغبه الله فيه موافقة لله فاتفق له عائق عن المشى الى الصف الاوّل فخطر له خاطر ان الجماعة التى تصلى فى الصف الاول اذا لم يروه يقولون أين فلان فبكى وقال لنفسه خدعتنى منذ سبعين سنة أتخيل انى لله وأنا فى هواك وماذا عليك اذا فقدوك فتاب ومارؤى بعد ذلك يلزم فى المسجد مكانا واحدا معينا ولا مسجدا معينا فهكذا حاسب القوم نفوسهم ومن كانت حالته هذه مايستوى مع من هو فاقد لهذه الصفة كذلك من وقف مع الامام لانها عبادة يشترط فيها الامام الى أن يدفع معه مايستوى فى الاتباع مثل من دفع قبله

﴿وصل في فصل من وقف بعرنة من عرفة فانه منها﴾

اختلف العلماء فيمن وقف بعرنة بعرفة فانه من عرفة فقيل حجه تام وعليه دم وقال بعضهم لا حج له عرنة من عرفة موقف ابليس فان ابليس يحج في كل سنة وذلك موقفه يبكي على مافاته من طاعة ربه وهو مجبور في الاغواء وان كان من اختياره لا برار القسم بربه فانه وان سبق له الشقاء فله شبهة يستند اليها في امتثاله أمر سيده بعد ان حقت الكلمة كلمة العذاب عليه بقوله تعالى قال اذهب واستفزز وأجلب وعدهم فانه يجد لذلك تنفيسا ومع هذا فانه يحزن لما يرى من المغفرة التي حصلت لاهل عرفة الشاملة لهم وهو فيها أعني بعرفة فلا بد له عند نفسه من طرف منها ينال همن عين المنة الالهية ولو بعد حين هذا ظنه بربه وأما خروجه من جهنم فلا سبيل اليه لانه وأتباعه من المشركين الذين هم أهل النار يملأ الله بهم جهنم ولا نقص فيها بعد ملئها فلا خروج وأمر الله الحاج أن يرتفع عن موقف ابليس فانه موقف البعد فابليس تحت حكم الاسم البعيد وأهل عرفة تحت حكم الاسم القريب فما برحوا من حكم الاسماء فحج من وقف بعرنة لكونه من عرفات تام الا انه ناقص الفضيلة كما ينافي الدفع قبل الامام فعرنة موضع مكروه للوقوف به من أجل مشاركة الشيطان ألا ترى النبي صلى الله عليه وسلم ارتفع في ذلك عن بطن الوادي الذي فاتته فيه صلاة الصبح فمل وقال انه واد به شيطان لانه هو الذي هدأ بلالا حتى نام عن مراقبة الفجر وقد ورد في الحديث ان الشيطان يعقد على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد الحديث فأراد صلى الله عليه وسلم بارتفاعه عن بطن عرنة الا البعد من مجاورة الشيطان ولو صلى في ذلك الموضع أجزأه أعني الموضع الذي أصابته فيه الفتنة ففارق الموضع مفارقة تنزيه لا مفارقة تحريم ولما كان لابليس طرف من المعرفة لذلك لم تطرده الملائكة عن عرنة بل وقف فيها غير ان الناس انعزلوا عنه في ناحية منها الا انعزال امامهم وعرفات كلها موقف وعرنه من عرفات فأمرنا بالارتفاع عن بطن عرنة لما ذكرناه ومن حمل هذا الامر على الوجوب أبطل الحج ولا تكون الافاضة للحاج الا من بطن عرنة فان حد المزدلفة حرف الوادي الذي هو عرنة وقال تعالى فاذا أفضتم من عرفات ولم يخص مكانا من مكان بل الخروج عنها بالكلية الى المزدلفة وقد علمنا ان الله يغفر لاهل الموقف من الحاج وغيرهم ورحمة الله وسعت كل شئ فالتقييد ماهو من صفة من له الوجود المطلق فبرحمة الله يحيا ويرزق كل موجود سوى الله فالرحمة شاملة وهي في كل موطن تعطي بحسب ذلك الموطن فأثرها في النار بخلاف أثرها في الجنة والله الموفق لا رب غيره

﴿وصل في فصل المزدلفة﴾

أجمع العلماء على انه من بات بالمزدلفة وصلى فيها المغرب والعشاء وصلى الصبح يوم النحر ووقف بعد الصلاة الى ان أسفر ثم دفع الى منى ان حجه تام واختلفوا هل الوقوف بها بعد صلاة الصبح والمبيت بها من سنن الحج أو فروضه فقال جماعة هو من فروض الحج ومن فاته فعليه الحج من قابل والهدى وقال بعضهم من فاته الوقوف بها والمبيت فعليه دم وقال بعضهم ان لم يصل بها الصبح فعليه دم المزدلفة اسم قرب والعمل فيها قربة فمن فاته صفة القرب في محل القرب فما حج فان الحج نشأة كاملة من هذه الافعال كلها فهي له كالصفات النفسية للموصوف اذا زال واحد منها بطل كون ذلك الموصوف وهكذا كل عبادة تقوم من أشياء مختلفة بمجموعها تصح تلك العبادة وهي المعبر عنها بأركانها فتسمى في العبادة ركنا وتسمى في الذوات والاعيان صفة نفسية غير ان النشآت وان كانت لها صفات نفسية هي التي تحفظ على ذلك الشئ عينه فلها أيضا لوازم وهي التي توجد في الحدود الرسمية وهي لا تنفك عن الموصوف بها فمن يرى ان الموصوف لا ينفك عنها كالضحك للانسان أثبت الصفة النفسية قال ببطلان الملزوم لعدم اللازم ومن قال يصح حد الشئ الذاتي دون هذا اللازم قال لا يكون للشئ حكم البطلان مع ارتفاع اللازم في الذهن وان لم يرتفع في الوجود ولما سماها الله المشعر الحرام لنشعر بالقبول من الله في هذه العبادة بالعناية والمغفرة وضمان التبعات ووصفه بالحرمة لانه في الحرم فيحرم فيه ما يحرم في الحرم كله فانه من جملته فأمر بذكر الله فيه يعني بما ذكرناه فان الشئ لا يذكر بأن يسمى وانما يذكر بما يكون عليه من صفات المحمدة فان الاسماء في أصل الوضع انما هي اعلام للمسمى بها لا نعوت

فلا يذكر بالاسم العلم الا للتعريف لتعلم من هو المذكور بما ذكرته من المحامد أو غيرها

﴿وصل في فصل رمي الجمار﴾

أما جمرة العقبة فموضع الاتفاق فيها ان ترمى من بعد طلوع الشمس الى قريب من الاستواء بسبع حصيات يوم النحر لا يرمى في ذلك اليوم غيرها واختلفوا في رميها قبل طلوع الفجر فقيل لا يجوز وعليه الاعادة يعني اعادة الرمي وقيل يجوز والمستحب بعد طلوع الشمس وبالاول أقول وقال قوم ان رماها قبل غروب الشمس يوم النحر أجزأه ولا شيء عليه وقال بعضهم استحب لمن رماها قبل غروب الشمس يوم النحر أن يريق دما واختلفوا فيمن لم يرم حتى غابت الشمس فرماها من الليل أو من الغد فقيل عليه دم وقيل لا شيء عليه ان رماها من الليل وان أخرها الى الغد فعليه دم وقال قوم لا شيء عليه وان أخرها الى الغد وأما الرعاء فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم معنى الرخصة للرعاء انما ذلك اذا مضى يوم النحر ورموا جمرة العقبة ثم كان اليوم الثالث وهو أول أيام النفر رخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرموا في ذلك اليوم له وللبوم الذي بعده فان نفروا فقد فرغوا وان أقاموا الى الغد رموا مع الناس يوم النفر الآخر ونفروا وقال بعضهم معنى الرخصة عند العلماء هو جمع يومين في يوم واحد الا ان مالكا انما يجمع عنده ما وجب فيجمع في اليوم الثالث فيرمي عن الثاني والثالث فانه لا يقضي أحد عنده الا ما وجب ورخص كثير من العلماء في جمع اليومين في يوم واحد سواء تقدم ذلك اليوم الذي أضيف اليه غيره أو تأخر واختلفوا فيمن قدم من هذه الافعال ما أخره النبي صلى الله عليه وسلم بفعله أو من أخر ما قدمه النبي صلى الله عليه وسلم منها فقال بعضهم من حلق قبل أن يرمي جمرة العقبة فعليه الفدية وقال آخرون لا شيء عليه وسيرد في سرد الاخبار النبوية الواردة في الحج ان شاء الله بعد هذا ما نقف عليه ويقع التنبيه على كل خبر بحسب ما يتضمنه وقال بعضهم ان حلق قبل أن يرمي أو ينحر فعليه دم وان كان قارنا فعليه دمان وقال بعضهم عليه ثلاثة دماء دمان للقران ودم للحلق قبل النحر وأجمعوا على أنه من نحر قبل أن يرمي فلا شيء عليه وانه من قدم الافاضة قبل الرمي والحلق انه يلزمه اعادة الطواف وقال بعضهم لا اعادة عليه وقال الاوزاعي اذا طاف الافاضة قبل أن يرمي جمرة العقبة ثم واقع أهله فعليه دم واتفقوا على ان جملة ما يرميه الحاج سبعون حصاة منها في يوم النحر سبعة وان من رمى هذه الجمرة أعني جمرة العقبة من أسفلها أو من أعلاها أو من وسطها ان ذلك كله واسع والمختار منها فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بطن الوادي وأجمعوا على انه يعيد الرمي اذا لم تقع الحصاة في العقبة وانه يرمي في كل يوم من أيام التشريق ثلاث جمار باحدى وعشرين حصاة كل جمرة بسبع وانه يجوز أن يرمي منها يومين وينفر في الثالث وقدروها عندهم أن تكون مثل حصى الخذف والسنة في رمي الجمرات في أيام التشريق أن يرمي الاولى فيقف عندها ويدعو وكذلك الثانية ويطيل المقام ثم يرمي الثالثة ولا يقف عندها والتكبير عندهم عند كل رمي جمرة حسن وان يكون رمي أيام التشريق بعد الزوال واختلفوا اذا رماها قبل الزوال في أيام التشريق فقال جمهور العلماء عليه اعادة الرمي بعد الزوال وروى عن بعض علماء أهل البيت انه قال رمي الجمار من طلوع الشمس الى غروبها وأجمعوا على ان من لم يرم الجمار أيام التشريق حتى تغيب الشمس من آخرها انه لا يرميها بعد واختلفوا في الوجوب من ذلك بين الدم والكفارة فقال بعضهم ان ترك رمي الجمار كلها أو بعضها أو واحدة منها فعليه دم وقال بعضهم ان تركها كلها كان عليه دم وان ترك جمرة واحدة فصاعدا كان عليه لكل جمرة اطعام مسكين نصف صاع حنطة الى ان يبلغ ذلك ما ترك الجميع الا جمرة العقبة فمن تركها فعليه دم وقال بعضهم عليه في الحصاة مد من طعام وفي الحصاتين مدان وفي الثلاث دم وقال الثوري مثله الا انه قال في الرابعة دم ورخصت طائفة من التابعين في الحصاة الواحدة فقالت ليس فيها شيء وقال أهل الظاهر لا شيء في ذلك وسأورد الاخبار فيما ذكرناه ان شاء الله وجمهور العلماء على ان جمرة العقبة ليست من أركان الحج وأما التحلل من الحج فهو تحللان تحلل أكبر وهو طواف الافاضة وتحلل أصغر وهو رمي جمرة العقبة **﴿اعتبار هذا الفصل﴾** الجمرات الجماعات وكل جمرة جماعة أية جماعة كانت ومنه الاستجمار في الطهارة ولهذا استحب له أن يكون أكثر من واحد حتى يوجد فيه معنى الجماعة

ولامعنى لمن يرى الاستجمار بالحجر الواحد اذا كان له ثلاثة حروف فان العرب لاتقول فى الحجر الواحد أنه جمرة ويستحب أن يكون وترا من ثلاث فصاعدا وأكثر مسبع فى العبادة لافى اللسان فان الجمرة الواحدة سبع حصيات وكذلك الجمرة الزمانية التى تدل على خروج فصل شدة البرد كل جمرة فى شباط سبعة أيام وهى ثلاث جمرات متصلة كل جمرة سبعة أيام فتنقضى الجمرات بمضى أحد وعشرين يوما من شباط مثل رمى الجمار احدى وعشرين حصاة وهى ثلاث جمرات وكذلك الحضرة الالهية تنطلق بازاء ثلاثة معان الذات والصفات والافعال ورمى الجمرات مثل الادلة والبراهين على سلب كحضرة الذات أو اثبات كحضرة الصفات المعنوية أو نسب أو اضافة كحضرة الافعال فدلائل الجمرة الاولى لمعرفة الذات ولهذا انقف عندها لغموضها اشارة الى الثبات فيها وهى مايتعلق بها من السلوب اذ لايصح أن يعرف طريق اثبات صفة معينة ولايصح أن يكون لها صفات نفسية متعددة بل صفة نفسه عينه لا أمر آخر فلابد أن تكون صفته النفسية الثبوتية واحدة وهى عينه لاغير فهو مجهول العين معلوم بالافتقار اليه وهذه هى معرفة أحديته تعالى فيأتى خاطر الشبهة بالامكان الى هذه الذات فيرميه بحصاة الافتقار الى المرجح وهو واجب الوجود لنفسه ويأتى بصورة الدليل على مايعطيه نظمه فى موازين العقول فهذه حصاة واحدة من الجمرة الاولى فاذا رماه بها مكبرا أى يكبر عن هذه النسبة الامكانية اليه فيأتيه فى الثانية بأنه جوهر فيرميه بالحصاة الثانية وهو دليل الافتقار الى التحيز أو الى الوجود بالغير فيأتيه بالجسمية فيرميه بحصاة الافتقار الى الاداة والتركيب والابعاد فيأتيه بالعرضية فيرميه بحصاة الافتقار الى المحل والحدوث بعد أن لم يكن فيأتيه بالعلية فيرميه بالحصاة الخامسة وهى دليل مساوقة المعلول له فى الوجود وهو كان ولاشئ معه فيأتيه فى الطبيعة فيرميه بالحصاة السادسة وهى دليل نسبة الكثرة اليه وافتقار كل واحد من آحاد الطبيعة الى الامر الآخر فى الاجتماع به الى ايجاد الاجسام الطبيعية فان الطبيعة مجموع فاعلين ومنفعلين حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة ولايصح اجتماعها لذاتها ولا افتراقها لذاتها ولاوجود لها الا فى عين الحار والبارد والرطب واليابس فيأتيه فى العدم وهو أن يقول له اذا لم يكن هذا ولاهذا ولاهذا ولا بعدما تقدم فما ثم شئ فيرميه بالحصاة السابعة وهى دليل آثاره فى الممكن والعدم لا أثر له وقد ثبت بدليل افتقار الممكن فى وجوده الى مرجح ووجود موجود واجب الوجود لنفسه وهو هذا الذى أثبتناه مرجحا وانقضت الجمرة الاولى ثم أتينا الى الثانية وهى حضرة الصفات المعنوية وقال لك سلمنا ان ثم ذاتا مرجحة للممكن فمن قال ان هذه الذات عالمة بما ظهر عنها فرميناه بالحصاة الاولى ان كان هذا هو الخاطر الاول الذى خطر لهذا الحاج المعنوى وقد يخطر له الطعن فى صفة أخرى أولا فيرميه بحسب مايخطر له الى تمام سبع صفات وهى الحياة والقدرة والارادة والعلم والسمع والبصر والكلام وبعض أصحابنا لايشترط هذه الثلاثة أعنى السمع والبصر والكلام فى الادلة العقلية ويتلقاها من السمع اذا ثبت ويجعل مكانها ثلاثة أخرى وهى علم مايجب له ومايجوز ومايستحيل عليه مع الاربعة التى هى القدرة والارادة والعلم والحياة فهذه سبعة علوم فيورد الخاطر الشيطانى بشبهة لكل علم منها فيرميه هذا الحاج بحصاة كل دليل عقلى على الميزان الصحيح فى نظم الادلة بحسب ماتقتضيه ويطلب التثبت فى ذلك وهو الوقوف عند الجمرة الوسطى والدعاء عندها ثم يأتى الجمرة الثالثة وهى حضرة الافعال وهى سبع أيضا فيقوم فى خاطره أولا المولدات وأنها قامت بأنفسها فيرميه بحصاة افتقارها من الوجه الخاص الى الحق عز وجل فاذا علم الخاطر الشيطانى أنه لايرجع عن علمه بالافتقار أظهر له أن افتقاره الى سبب آخر غير الحق وهو العناصر وقد رأينا من كان يعبدها بالموصل واذا خطر له ذلك فاما أن يتمكن منه بأن ينفى أثر الحق تعالى عنه فيها فان لم يقدر فقصاراه أن يتبعها شركا فيرميه بالحصاة الثانية فيريه فى دلالتها ان العناصر مثل المولدات فى الافتقار الى غيرها وهو الله تعالى لان العارف أبدا انما ينظر فى كل ممكن ممكن الوجه الخاص الذى من الله اليه ماينظر الى السبب الذى أوقف الله وجوده عليه أو ربطه به على جهة العلية أو الشرط هذا هو نظر أهل طريق الله من أصحابنا ومارأيت أحدا من المتقدمين قبلنا ولا من أهل زماننا فى علمى نبه على اثبات هذا الوجه الخاص فى كل ممكن مع كونهم لايجهلونه ولكن صدق الله فى قوله ونحن أقرب اليه منكم يعنى الاسباب ولكن لاتبصرون يعنى نسبته الينا الا الى السبب فالحمد لله الذى فتح أبصارنا

الى ادراك هذا الوجه فى كل ممكن فاذا رماه بالحصاة الثانية كما ذكرناه أخطر له السبب الذى يتوقف وجود الاركان عليه وهو الفلك فقال ان موجد هذه الاركان الفلك وصدقت فيما قلته فيرميه بالحصاة الثالثة وهى افتقار الفلك وهو الشكل الى الله من الوجه الخاص كما ذكرنا فيصدقه فى الافتقار و يقول له أنت غالط انما كان افتقار الشكل الى الجسم الذى لولاه ما ظهر الشكل فيرميه بالحصاة الرابعة وهو افتقار الجسم الى الله من الوجه الخاص فيصدقه ويقول له صحيح ما قلت من الافتقار القائم ولكن الى جوهر الهباء الذى تسميه أهل النظر الهيولى الكل الذى لم تظهر صورة الجسم الا فيه فيرميه بالحصاة الخامسة وهو دليل افتقار الهباء الى الله كما ذكرناه قبله فيقول بل افتقارها الى النفس الكلية المعبر عنها فى الشرع باللوح المحفوظ فيرميه بالحصاة السادسة وهو دليل افتقار النفس الكلية الى الله من الوجه الخاص أيضا فيصدقه فى الافتقار ولكن يقول له بل افتقارها الى العقل الاول وهو القلم الاعلى الذى عنه انبعثت هذه النفس فيرميه بالحصاة السابعة وهو دليل افتقار العقل الاول الى الله وليس وراء الله مرمى فما يجد ما يقول له بعد الله فلذلك ما يقف عند جمرة العقبة وهى آخر الجمرات لانه كما قلنا وليس وراء الله مرمى فهذا آخر برزخ جمرات العارفين بمنى موضع التمنى و بلوغ الامنية فانها أيام أكل وشرب وتمتع ونعيم فهى جنة معجلة وفيه القاء التفث والوسخ وازالة الشعث من الحاج ومن قوة التمنى الذى سمى به منى انه يبلغ بصاحبه الذى هو معدوم مما تمناه مبلغ من عنده ما تمناه هذا المتمنى بالفعل على أتم الوجوه مثل رب المال يفعل به أنواع الخير و ينفقه فى سبل البر ابتغاء فضل الله فيتمنى العديم ان لو كان له مثله ليفعل فعله فهما فى الاجر سواء بل هو أتم فانه يحصل له الاجر التام على أكمل وجوهه من غير سؤال فان صاحب الفعل يسأل عنه من أين جمعه وهل أخاص فى اخراجه و بعد هذا التعب والمشقة يحصل على أجره والمتمنى يحصل على ذلك من غير سؤال ولا مشقة من بعد رمى الجمار يحلق رأسه أعنى جمرة العقبة يوم النحر وانما سميتها جمارا وان كانت جمرة واحدة فى ذلك اليوم فان كل واحدة من الحصى باضافتها الى الاخرى تسمى جماعة فهى جمار بهذا النظر كما تقول اذا اجتمع جوهران كانا جسمين أى أطلق على كل واحد منهما باجتماعه مع الآخر جسم فهما جسمان بهذا النظر كما قال ومن كل شئ خلقنا زوجين وما خلق من كل شئ الازوجا واحدا اذ كرا وأنثى مثلا فسماه زوجين بهذا الاعتبار الذى ذكرناه لان كل واحد بالنظر الى نفسه دون أن ينضم اليه هذا الآخر لا يكون زوجا فاذا ضم اليه آخر انطلق على كل واحد منهما اسم الزوج فقيل فيهما زوجان ولما اعتبر الله هذا بالذكر لذلك قلنا نحن ثم بعد رمى الجمار فسمينا جمرة العقبة جمارا اذ كانت عدة حصيات فانى كلامنا حشو لانه لا تكرار فى الوجود للاتساع الالهى فاذا رمى جمرة العقبة حلق رأسه وهو أولى من تقصير الشعر فان الشعور بالامر ما هو عين حصول العلم به على التمام من التفصيل وانما يشعر العبد أن ثم أمرا ما فاذا حصل له زال الشعور وكان علما تاما بتفصيل ما شعر به لكن يشعر بالتفصيل فى المجمل قبل حصول العلم بتعيين تفصيله فالقاء الشعور هو ازالة الشعور بوجود العلم لان الشعر ستر على الرأس ثم يتطيب ليوجد منه رائحة ما انتقل اليه من تحليل ما كان حجر عليه كما تطيب لاحرامه حين أحرم ليوجد منه ريح ما انتقل اليه وجعله طيبا لانه انتقال فى الحالتين لخير مشروع مقرب الى الله تعالى فان الله طيب لا يقبل الا طيبا ليميز الله الخبيث من الطيب فجعل الطيب فى الحالين تنبيها على طيب الافعال ثم نحر أو ذبح قربانه ينوى بذلك تسريح روح هذا الحيوان من سجن هذا الهيكل الطبيعى المظلم الى العالم الاعلى عالم الانفساح والخير فان الحيوانات كلها عندنا ذات أرواح وعقول تعقل عن الله ولهذا قال فيها تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه فسرحنا أرواح هذه الحيوانات فى هذا اليوم شكرا لله كما خرجنا نحن فيه من حال التحجير وهو الاحرام الذى كنا عليه الى الاحلال والتصرف فى المباحات المقربة الى الله بحكم الاختيار ثم أكلنا منها ليكون جزؤ منها عندنا لتشاهد ما نحن عليه من الذكر المخصوص به ذوقا ولنجعله كالمساعد لنا فيما نرومه من الحركة فى طاعة الله تعالى اذ لا بد من الغذاء فكان أخذ هذا النوع من الغذاء أولى ثم نزلنا الى البيت زائرين ربنا تعالى ليرانا محلين كما رآنا محرمين على جهة الشكر له حيث سرح أعياننا وأباح لنا التصرف فيما كان حجره علينا فقبلنا يمينه على ذلك مبايعة وتحية ثم طفنا به سبعة أشواط وصلينا خلف مقام ابراهيم

وقد تقدّم الكلام فى المراد بالطواف والصلاة فى طواف القدوم الا انه مانبهنا على اتخاذ مقام ابراهيم مصلى لننال ما ناله
من الخلة على قدر مايعطيه حالنا فان الله أمرنا ان نتخذه مصلى ونبهنا على ماتأوّلنا صفة الصلاة على النبيّ صلى الله عليه
وسلم فقال لنا قولوا اللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد والمؤمنون آله كما صليت على ابراهيم وما اختص به الا الخلة فلما
دعونا بها الرسول الله صلى الله عليه وسلم أجاب الله دعاءنا فيه لنتخذ عنده يدا بذلك فصلى الله عنه علينا بذلك عشرا
فقام تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بالمكافأة عناية منه به عليه السلام وتشريفا لنا حيث لم تكمل المكافأة فى ذلك
للملك ولا غيره فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم عند ذلك لما حصلت الاجابة من الله فيما دعوناه فيه لنبيه صلى الله عليه وسلم
لوكنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر خليلا ولكن صاحبكم يعنى نفسه خليل الله ولو صحت له هذه الخلة من قبل دعاء
أمته بذلك لكان غير مفيد صلاتنا عليه أى دعاءنا له بذلك فان قيل قد حصلت الخلة بدعاء الصحابة أولا فما فائدة
دعائنا ونحن مأمورون فى هذا الوقت بالصلاة عليه مع حصول الخلة فهكذا حكم الاول فربما نال الخلة قبل دعاء أصحابه
وتكون نسبة دعائهم بها له كدعائنا اليوم قلنا حكم الخلة ماظهر هنا وانما يظهر ذلك فى الآخرة والحكم للمعنى لايكون
الابعد حصول المعنى فى قام المعنى بمحل ويجب حكمه لذلك المحل ففى الآخرة تنال الخلة لظهور حكمها هنالك وأمّا الذى
يظهر هنا منها لوامح تبدو وتؤذن بأنه قد أهل لها واعتنى به هذا هو الصحيح والجواب الاول ان لكل نفس منا حظا
من محمد صلى الله عليه وسلم وهو الصورة التى فى باطنه أعنى فى باطن كل انسان منه صلى الله عليه وسلم فهو فى كل نفس
بصورة مايعتقد فيه كل شخص فيدعوله بالصلاة عليه المذكورة صلى الله عليه وسلم فتنال تلك الصورة المحمدية التى
عنده تلك الحال المدعوّ بها بدعائه والصلاة عليه فما حصلت له الخلة من هذا الوجه الا بعد دعاء كل نفس وهكذا يجده أهل
الله فى كشفهم فاعلم ذلك (واقعة) اعلم وفقك الله يوما أنا كتب هذا الكلام فى مقام ابراهيم الخليل عليه السلام
ومقامه عليه السلام قوله تعالى فيه وابراهيم الذى وفى لانه وفى بما رأى من ذبح ابنه أخذتنى سنة فاذا قائل من الارواح
أرواح الملأ الأعلى يقول لى عن الله تعالى ادخل مقام ابراهيم وهو انه كان أوّاها حليما ثم تلا علىّ ان ابراهيم لاوّاه حليم
فعلمت ان الله تعالى لابدّ أن يعطينى من الاقتدار مايكون معه الحلم اذ لاحليم عن غير قدرة على من يحلم عنه وعلمت
ان الله تعالى لابدّ أن يبتلينى بكلام فى عرضى من أشخاص فأعاملهم مع القدرة عليهم بالحلم عنهم ويكون أذى كثيرا فانه
جاء حليم ببنية المبالغة وهى فعيل ثم وصف بالاوّاه وهو الذى يكثر منه التأوّه لما يشاهده من جلال الله وكونه ما فى قوّته
مماينبغى ان يعامل به ذلك الجلال الالهىّ من التعظيم اذ لاطاقة للمحدث على مايقابل به جلال الله من التكبير
والتعظيم فهذا أيضا من قصدنا مقام ابراهيم لنتخذه مصلى أى موضع دعاء فى صلاة أو أثر صلاة لنيل هذا المقام والصفة
التى هى نعت ابراهيم خليل الله وحاله ومقامه فنرجو ان يكون لنا نصيب من الخلة كما حصل من درجة الكمال والختام
والرفعة السارية فى الاشياء فى هذه الامّة الحظ الوافر بالبشرى فى ذلك ومن مقام ابراهيم أيضا انه كان أمّة قانتا لله حنيفا
ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم مطلق الشرك المعفو عنه والمذموم فيما نسب
اليه من قوله فى الكوكب هذا ربى ومن مقام ابراهيم أيضا عليه السلام انه أوتى الحجة على قومه بتوحيد الله وانه شاكر
لانعمه اجتباه فهو مجتبى وهداه أى وفقه بما أبان له الى صراط مستقيم وهو صراط الرب الذى ورد فى قول هود ان
ربى على صراط مستقيم ومن مقامه عليه السلام أيضا انه كان حنيفا مائلا فى جميع أحواله من الله الى الله عن مشاهدة
وعيان ومن نفسه الى الله عن أمر الله وايثار لجناب الله بحسب المقام الذى يقام فيه والمشهد الذى يشهده ومن كل
ماينبغى ان يمال عنه عن أمر الله ومن مقامه عليه السلام أيضا انه كان مسلما منقادا الى الله عند كل دعاء يدعوه اليه من
غير توقف والامّة معلم الخير فنرجو ماورد من هذا العلم للناس ان يكون حظى من تعليم الخير وان نقوم ونختص بأمر
واحد من جانب الله أى من العلم به مما لانشارك فيه نقوم فيه مقام الامّة لانفرادى به والقانت المطيع لله فأرجو ان
أكون ممن أطاع الله فى السرّ والعلانية ولاتكون الطاعة الا عند المراسم الالهية والاوامر الموقوفة على الخطاب
فأرجو ان أكون ممن يأمره الله فى سرّه فيمتثل مراسمه بلا واسطة ومن مقامه عليه السلام أيضا الصلاح والصلاح

عندنا أشرف مقام يصل اليه العبد و يتصف به في الدنيا والآخرة فان الصلاح صفة امتن الله بها على من وصفه بها من خاصته وهي صفة يسأل نيلها كل نبي ورسول وعندنا من العلم بها ذوق عظيم وورثناه من الانبياء عليهم السلام ما رأيته لغيرنا والصلاح صفة ملكية وروحانية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيها اذا قال العبد في التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اصابت كل عبد صالح لله في السماء والارض ومن مقام ابراهيم عليه السلام ان الله آتاه أجره في الدنيا وهو قول كل نبي ان أجري الا على الله أجر التبليغ فكان أجره أن نجاه الله من النار فجعلها عليه بردا وسلاما فأرجو من الله ان يجعل كل مخالفة ومعصية صدرت مني يكون حكمها في حكم النار في ابراهيم عليه السلام حين رمي فيها عناية من الله لا عن عمل وانه في الآخرة لمن الصالحين أي لذلك الاجر ما نقصه كونه في الدنيا فحصل له بما ناله منه في الآخرة شيئ ومن مقام ابراهيم عليه السلام الوفاء فانه الذي وفى فأرجو أن أكون من الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق و يصلون ما أمر الله به ان يوصل و يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب وعليه أدل الناس أبدا وأربي عليه أصحابي فلا أترك أحدا عاهد مع الله عهدا وهو يسمع مني ينقضه كان ما كان من قليل الخير وكثيره ولا أدعه يتركه لرخصة تظهر له تسقط عنه الاثم فيه ومع هذا فيوفي بعهد الله ولا ينقضه تماما للمقام الاعلى وكمالا فان النفس اذا تعودت نقض العهد واستحلته لا يجيئ منها شيئ أبدا فهذا كله من مقام ابراهيم الذي أمرنا ان نتخذه مصلى فقال واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى أي موضع دعاء اذا صليتم فيه ان ندعو في نيل هذه المقامات التي حصلت لابراهيم الخليل عليه السلام كما قررناه وفي هذه الواقعة أيضا قيل لي قل لاصحابك استغنموا وجودي من قبل رحلتي فنظمت ذلك وضمنته هذا اللفظ فقلت بعد ما استيقظت

قد جاءني خطاب ۞ من عند بغيتي	بأن أقول قولا ۞ لاهل ملتي
استغنموا وجودي ۞ من قبل رحلتي	لكي أرى بعيني ۞ من كان قبلتي
و في وجودي أيضا ۞ من كان علتي	فانني فقير ۞ لسد خلتي
محبتي مقامي ۞ والحال خلتي	فعينه وجودي ۞ والعلم حلتي
دعوت عين نفسي ۞ لما تولت	عن ذكرما أتاها ۞ وما استقلت
فعند ما تجلى ۞ مع الاهلة	الى شهود عيني ۞ من خلف كلتي
۞ وسد لي يمينا ۞ من أجل قبلتي	فما رأيت غيري ۞ اذ كان جلتي

ورأيت في هذه الواقعة أنواعا كثيرة من مبشرات الهية بالتقريب الالهي ومايدل على العناية والاعتناء فأرجو من الله أن يحقق ذلك في الشاهد فان الادب يعطي أن أقول في مثل هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن من عند الله يمضه مع علمه بأنه من عند الله فما قلت مثل هذا قط في واقعة الاوخرجت مثل فلق الصبح فاني في هذا القول متأس ومقتد برسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى في المنام ان جبريل عليه السلام أتاه بعائشة في سرقة من حرير وقال له هذه زوجتك فلما قصها على أصحابه قال ان يكن من عند الله يمضه فجاء بالشرط لسلطان الاحتمال الذي يعطيه مقام النوم وحضرة الخيال فكان كما رأى وكما قيل له فتزوجها بعد ذلك فاتخذت ذلك في كل مبشرة أراها وانفصلت بالاتباع فيه وما قلت هذا كله الا امتثالا لامر الله في قوله وأما بنعمة ربك فحدث وأية نعمة أعظم من هذه النعم الالهية الموافقة للكتاب والسنة ثم نرجع ونقول فاذا فرغ من طواف الافاضة ان كان عليه سعي خرج يسعى على ما قررنا قبل في السعي عند الكلام عليه والاأتى زمزم فتضلع من مائها وهي بئر فهو علم خفي في صورة طبيعية عنصرية قد اندرج فيها تحيى بها النفوس يدل على العبودية المحضة فان حكم الله تعالى في الطبيعة أعظم منه في السموات والارض لانهما من عالم الطبيعة عندنا وعن الطبيعة ظهر كل جسم وجسد وجسماني في عالم الاجسام العلوي والسفلي

(وصل) في فصل قوله تعالى يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج ولم يقل للحاج فانزل الحج في الآية منزلة الناس ما أنزله منزلة الديون والبيوع وان كان المعنى يطلبه فعلمنا ان حكم الحج عند الله ليس حكم الاشياء التي

تعتبر فيها الاهلة أعني مواقيت الاهلة والحج فعل مضاف مخصوص معين يفعله الانسان كسائر أفعاله في بيوعه ومداينانه فاعتنى بذكر هذه الافعال المخصوصة لانها أفعال مخصوصة لله عز وجل بالقصد ليس للعبد فيها منفعة دنيوية الا القليل من الرياضة البدنية ولهذا تميز حكم الحج عن سائر العبادات في أغلب أحواله وأفعاله في التعليل فأكثره تعبد محض لا يعقل لمعنى عند الفقهاء فكان بذاته عين الحكمة ماوضع لحكمة موجبة وفيه أجر لا يكون في غيره من العبادات وتجلى الهى لا يكون في غيره من الاعمال فكان الهلال في أول شهر الوقوف بمنزلة الواحد من العدد وتجلى الهلال في أول ليلة فيه تجلى الحق في العبد بالايمان الذي هو أول مطلوب بالشرع من الانسان المكلف والايمان روح وجسمه صورة التلفظ بلا اله الا الله وهي الشهادة بالتوحيد وكذلك نشهد أول ليلة الهلال ثم لا يزال يعظم التجلي في بسائط العدد الى أن ينتهي الى ليلة التاسع وهي آخر ليلة بسائط العدد التي هي آحاده فكمل تجليه في آحاد بسائط العدد فكان الوقوف بعرفة يوم التاسع فحصلت له معرفة الله تعالى بكمال البسائط ولهذا قابلها ودخل فيها بالتجرد عن المخيط وهو التركيب ألا تراه يلبس في اليوم العاشر المخيط لانه انتقل من الآحاد الى أول العقد وهي العشرة والعقد لا يكون الا بين اثنين بضم الواحد الى الآخر بصورة العطف والالتفاف وهو على قسمين أعني العقد وهو انشوطة وغير انشوطة فعقد الانشوطة يسرع اليه الانحلال فيما عهد اليه وعاهد عليه الله وغير الانشوطة لا يسرع اليه الانحلال وبقي بعد التسعة من أفعال الحج ثلاثة وهو فعل المزدلفة ومنى وطواف الافاضة والفعل المختص بالمزدلفة انما هو من أول الفجر الى طلوع الشمس وليس المبيت في المزدلفة خاصا بها الا انها ليلة عرفة والمزدلفة لا ليلة لها ولها المبيت لا الليلة كليلة سودة بنت زمعة الليلة لها والمبيت لعائشة فلسودة ليلة بلا مبيت ولعائشة مبيت ليلة سودة لا ليلتها ولهذا كانت تلك الليلة تضاف الى سودة بالذكر كذلك بقي من مراتب العدد ثلاثة بعد التاسع وهي العشرة والمائة والالف ومابقي للعدد مرتبة سوى ماذكرته كذلك ليس بعد طواف الافاضة عمل للحاج في الحج يحرم عليه به شئ هو له حلال فانه به أحل الحل كله وليس بعده لغير المكي الا طواف الوداع لانه ودع مراتب العدد وبقي التركيب فيه الى مالانهاية له فهذه اثنتاعشرة مرتبة قد حصلها العبد في التجليات الكمالية العددية ودخل في الليلة الثالث عشرة الهلال في الكمال وهي من الليالي البيض المرغب في صومها كأيام التشريق المرغب في فطرها التي يصومها المتمتع الآفاقي وانتهى نصف الشهر الذي يتضمن السلوك منه بالخروج الينا وايا سبحانه نقصد ثم نشرع في النصف الثاني من الشهر في السلوك اليه منا الى أن ينتهي الى ليلة السرار وهو الكمال الغيبي كما كان في النصف الكمال الشهادي فكمل غيبا وشهادة ودار الدور باهلال ثان وحكم آخر دنيا وآخرة فانه قال في وصف الجنة لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فجعلها محلا للزمان المعروف عند العرب مثل الدنيا فالحاج في الحج يجني ثمرة الزمان ومايحوي عليه من المعارف الالهية المختصة بشهر ذي حجة ويجني ثمرة العدد في المعارف الالهية لان العدد له حكم فيها ألا تراه قد قال واذكروا الله في أيام معدودات وقال ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحد فدخل تحت حكم العدد باسماء مخصوصة وقال ان الله ثلاثمائة خلق فأدخل الاخلاق الالهية تحت حكم العدد فله سلطان في الالهيات ذكرا واسما وخلقا فمن لم يقف عليه حرم خيرا كثيرا من المعرفة بالله ولذلك قدمنا في هذا الباب وجود الاحاد في الكثرة والكثرة في الاحاد وهو العدد فهو المعطي الفائدة للعادين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين كما قال فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فألحقهم بالعلماء كذلك الحج هو المعطي مايحوي عليه من المعارف الالهية للحاج فلهذا أضيف الميقات للحج في الهلال وما أضيف للحاج كما أضيف للناس وجعلها مواقيت لما ذكرناه فان الفعل ينتهي فيه الى نصف الشهر وهو تمام وكمال في نفس الامر فان النصف لا يؤذن بالنقص لكونه نصفا ولو كان نقصا لكان الذي حصل له متصفا في تحصيله بالنقص لانه ما حصل له النصف الآخر بل لو حصل له النصف الآخر لكان نقصا حصوله فان تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي فظهر كمال الحق في تحصيل النصف من الصلاة ولو اتصف بتحصيل النصف الثاني لكان نقصا فيما ينبغي لله من الكمال وظهر كمال العبد في تحصيل النصف من الصلاة ولو اتصف بتحصيل النصف الآخر لكان نقصا في كمال عبوديته وفيما ينبغي له من الكمال فيها فكان يوصف

باوصاف

بأوصاف الرب وليس له ذلك ألا ترى الشريك الموضوع لله تعالى من المشرك كيف لا يغفر الله هذه المظالمة فانها من حقوق الغير لا من حق الله فانه من كرم الله ما كان لله من حق على العبد وفرّط فيه غفره الله له وذلك لان حقيقته التفريط ولا يعصمه من ذلك الا الله فالعصمة فيما تقتضيه حقيقته ليست له انما هي لله وبيد الله فمن لم يخرج عن حقيقته فلا مطالبة عليه ولهذا كانت لله الحجة البالغة على خلقه فتعين ان الشرك من مظالم العباد فان الشريك يأتي يوم القيامة من كوكب ونبات وحيوان وحجر وانسان فيقول يارب سل هذا الذي جعلني الها ووصفني بما لا ينبغي لي خذ لي بظلامتي منه فيأخذ الله له بظلامته من المشرك فيخلده في النار مع شريكه ان كان حجرا أو نباتا أو حيوانا أو كوكبا الا الانسان الذي لم يرض بما نسب اليه ونهى عنه وكرهه ظاهرا او باطنا فانه لا يكون معه في النار وان كان هذا من قوله وعن أمره ومات غير موحد ولا تائب كان معه في النار الا أن الذي لا يرضى بذلك ينصب للمشرك مثال صورته يدخل معه ليعذب بها ولا عذاب على كوكب ولا حجر ولا شجر ولا حيوان وانما يدخلون معهم زيادة في عذابهم حتى يروا أنهم لن يغنوا عنهم من الله شيأ انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فيقولون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وقودها الناس والحجارة فهم جمر جهنم فالناس المشركون والحجارة المعبودون وأما من سبقت لهم الحسنى وهم الذين لم يأمروا ولم يرضوا فهم عنها مبعدون كعيسى وعزير وأمثالهما وعلى بن أبي طالب وكل من ادّعى فيه انه اله وقدس فيدخل الله معهم في جهنم مثلهم الذين كانوا يصورون في الكنائس وغيرها نكاية لهم لان كل عابد من المشركين قد مسك مثال صورة معبوده المتخيلة في نفسه فتجسد اليه تلك الصورة المتخيلة ويدخلها النار معه فانه ما عبد الا تلك الصورة التي مسكها في نفسه وتجسد المعاني المتخيلة غير منكور شرعا وعقلا فأمّا العقل فمعلوم عند كل متخيل وأمّا الشرع فقد ورد بتصوّر الاعمال والاعمال اعراض ألا ترى الموت وهو معنى نسبي اضافيّ فانه عبارة عن مفارقة الروح الجسد وان الله يمثله يوم القيامة للناس صورة كبش أملح فيوضع بين الجنة والنار ويذبح فهكذا تلك المثل وأمّا الظالم لنفسه من أهل الشرك فنفسه تطالبه عند الله بظلامتها ولا شئ أشدّ من ظلم النفس ألا ترى القاتل نفسه الجنة عليه محرّمة فثبت بهذا ان الكمال للشئ ما لا يخرجه عن حقيقته فاذا أخرج عن حقيقته وما تستحقه ذاته كان نقصا فلهذا قلنا ان النصف كمال في حق من هو سهمه مال الورث وان انقسم الى ثلث وربع وثمن وثلثين ونصف وسدس وغير ذلك وكل جزء اذا حصل لمستحق صاحب الفريضة فقد حصل له كمال نصيبه فهو موصوف بالكمال في النصيب مع كونه ما حصل له الا سدس المال ان كان له السدس ولا يتصف بالنقص قال الله وأتموا الحج والعمرة لله والعمرة بلا شك تنقص في الافعال عن أفعال الحج وكمالها اتيانها كما شرعت وكذلك الحج يتصف بالكمال اذا استوفيت صورته وكملت نشأته وهما نشأتان ينشئهما العبد المكلف أنشأهما بما أعطاه الله من خلقه على الصورة الالهية فضرب له بسهم في الربوبية بأن جعل له فعلا وانشاء فان احتجب بذلك عن عبوديته فقد نقص وشقي وكان صاحب علة ولهذه العلة جعل الله له دواء فقال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار فأضاف الجرح وهو فعل للعجماء فان ادّعى الربوبية لكونه فاعلا فهو يعلم انه أفضل من العجماء فان نسب الفعل اليها فتنكسر نفسه ويبرأ من علته ان استعمل هذا الدواء ثم يفكر في ان الشرع قد جعل جرح العجماء جبار وجرح الانسان مأخوذ به على جهة القصاص مع كون العجماء لها اختيار في الجرح وارادة ولكن العجماء ما قصدت أذى المجروح وانما قصدت دفع الاذى عن نفسها فوقع الجرح والاذى تبعا بخلاف الانسان فانه قد يقصد الاذى فمن حيوانيته يدفع الاذى ومن انسانيته يقصد الاذى فالعبد رق والرب الكريم خلق فعين الشكل وفصل الاجزاء في الكل ثم الرحمن خلق الانسان علمه البيان وهو ما ينطق به اللسان ثم الرب الاكرم علم بالقلم ما تخطه البنان فالانسان بنيان صنعة رب كريم وأكرم ورحمان فهذه أربعة أسماء توجهت على خلق الماء فجعل من الماء كل شئ حيّ اذ كان عرشه عليه فالكون المخلوق ظله بفيئه ثم ردّه اليه فالا القا رتق والقاء فتق فبين السماء من الارض فتميز الرفع من الخفض وأحكم الصنعة الانسانية وصبغها بالصبغة الايمانية في حضرة الفهوانية

بالمشاهدة الاحسانية فلما كتب رتب فوضع كل شئ مكانه وأقام أوزانه لما وضع ميزانه

فكل جزء له حكم يميزه * فى عينه أبدا من بين اخوانه
فالكل فى الكل مضروب لذى نظر * ضرب الحساب لافهام بتبيانه
لانه فى دجى الاحشاء رتبه * اذ كان سوّاه فى تعديل بنيانه
أقام نشأته من عين صورته * وعين الحق فيها وضع ميزانه
الاصل منى وحكم الوزن منه لذا * أبدته فى عينه أحكام أوزانه
وأودع العالم العلوىّ فيه بما * أعطاه من نفسه بحد امكانه
فصار جمعا لما قد كان فرّقه * من الحقائق فى أعيان أكوانه
بالجمع صح له تحصيل صورته * لم يدر ذلك لولا حكم ايمانه
أحاط علما بأن الامر فيه على * خلاف ماهو فى آيات قرآنه
من كان يقرأه يدرى حقيقته * بأنه لم يزل فى حكم فرقانه

فلولا شرف النفس مادفع الحيوان الاذى عن نفسه وماقصد أذى الغير مع جهله بأنه يلزمه من غيره مايلزمه من نفسه للاشتراك فى الحقيقة وكذلك الانسان اذا دفع الاذى عن نفسه لم يقع عليه مطالبة من الحق فان تعدى وزاد على القصاص أو تعدى ابتداء أخذ به ولكن مايتعدى الامن كونه انسانا فقد تجاوز حيوانيته الى انسانيته والاصل فى هذا التعدى من الاصل لان الاصل له الغنى وأين حكمه من حكم ماخلقت الجن والانس الاليعبدون فهذا الامر من الخالق أعنى من الاسم الخالق لامن الاسم الغنىّ فان أحصرتم عن حجكم أو عمرتكم فما استيسر من الهدى

﴿وصل فى فصل الاحصار﴾

اختلف العلماء بالذكر فى هذه الآية فى حكم المحصر بمرض أو بعدو وهل هذا المحصر فى هذه الآية بعدو أو بمرض فقالت طائفة المحصر هنا بالعدو وقالت طائفة المحصر هنا بالمرض وقال قوم المحصر الممنوع عن الحج أو العمرة بأى نوع كان من المنع بمرض أو بعدو أو غير ذلك وهو الظاهر وبه أقول مراعاة للقصد وما أوقع الخلاف الافهمهم فى اللسان لانه جاء فى الآية بالوزن الرباعىّ ونقل انه يقال حصره المرض وأحصره العدو فاما المحصر بالعدو فاتفق الجمهور على انه يحل من عمرته وحجه حين أحصر وقال الثورىّ والحسن بن صالح لايحل الايوم النحر وبالاول أقول وهو أنه يحل حين أحصر غير أنى أزيد هنا شيأ لم أر من وافقنا فى الاحلال حين الاحصار وهو أن المحرم ان كان قال حين أحرم انّ محلى حيث تحبسنى كما أمر فلا هدى عليه ويحل حيث أحصر وان لم يقل ذلك وما فى معناه فعليه الهدى والذين قالوا بالتحلل حين أحصر اختلفوا فى ايجاب الهدى عليه وفى موضع نحره عند من يقول بوجوبه على شرطنا أو على غير شرطنا فيما أحصر عنه من حج أو عمرة فقال بعضهم لاهدى عليه وان كان معه هدى تطوّع نحره حيث أحل وبنحر الهدى المتطوع به حيث أحل أقول وقال بعضهم بايجاب الهدى عليه واشترط بعضهم ذبح الهدى الواجب بالحرم واما الاعادة فمن العلماء من لايرى عليه اعادة وبه أقول فى حج التطوّع وعمرته ان كان عليه فى ذلك حرج فان لم يكن عليه فيه حرج فليعد وأما الفريضة فلا تسقط عنه الا ان مات قبل الاعادة فيقبلها الله له عن فريضته وان لم يحصل منه الاركن الاحرام بل ولو لم يحصل منه الا القصد والتعمل وقال بعضهم ان كان أحرم بالحج فعليه حجة وعمرة وان كان قارنا فعليه حجة وعمرتان فان كان معتمرا قضى عمرته ولا تقصير عليه واختار بعض من يقول بهذا القول التقصير وقد حكى بعضهم الاجماع على ان المحصر بمرض وما أشبهه عليه القضاء ولكن لاأدرى أىّ اجماع أراد فان اطلاق الفقهاء لفظة الاجماع قد تجاوزوا بها حدها الاول الى غيره فقد يطلقون الاجماع على اتفاق المذهبين ويطلقونه على اتفاق الاربعة المذاهب ولكن ماهو الاجماع الذى يتخذ دليلا اذا لم يوجد الحكم فى كتاب ولا سنة متواترة فهذا قد ذكرنا من اختلافهم فى هذه المسئلة ماذكرناه وتركنا ما لااحتياج اليه فى هذا الوقت فلنرجع الى طريقنا فنقول قوله تعالى

أحصر ثم هو من أحصر لا من حصر يقال فعل به كذا اذا أوقع به الفعل فاذا عرضه لوقوع ذلك الفعل يقال فيه أفعل ومثاله ضرب زيد عمرا اذا أوقع به الضرب وأضرب زيد عمرا اذا جعله يضرب بغيره وفى اللسان أحصره المرض وحصره العدو بغير ألف فهو فى المرض من الفعل الرباعى وفى العدو من الفعل الثلاثى فالعبد لما كان محل ظهور الافعال الالهية فيه وما تشاهد فى الحس الا منه ولا يمكن ان يكون الا كذلك نسب الله الفعل للعبد ونسب الناس الفعل للمخلوق وان كان اصاره الحق لذلك فصار فنسبة صار تجعل الفعل للعبد ونسبة اصار تجعل الفعل لله فمن راعى اصار لم يوجب عليه الهدى لان الاصل عدم الفعل من العبد ومن راعى اصاره الحق فصار أوجب عليه الهدى ولهذا فصلنا نحن فى ذلك فقلنا ان قال محلى حيث تحبسنى فقد تبرأ العبد من حكم الحصر فلا هدى عليه وان لم يقل كان الهدى عليه عقوبة للترك فالفعل من المخلوق للعبد ظهور الفعل منه بالاختيار والقصد والمباشرة حقيقة مشهودة للبصر والفعل من المخلوق من كون الحق أصاره الى ذلك فكان له كالآلة للفاعل والآلة هى المباشرة للفعل وينسب الفعل لغير الآلة بصرا وعقلا فيقال زيد الضارب والمباشر للضرب والذى يقع به الضرب انما هو السوط لا زيد هكذا أفعال العباد فهم للحق كالآلة لزيد النجار أو الخائك أو الخائط أو ما كان وبهذا القدر تعلق الجزاء والتكليف لوجود الاختيار من الآلة والاصل الغفلة الغالبة وهى مسئلة دقيقة فى غاية الغموض ولا دليل فى العقل يخرج الفعل عن العبد المخلوق ولا جاء به نص من الشارع لا يحتمل التأويل فالافعال من المخلوقين مقدرة من الله ووجود أسبابها كلها بالاصالة من الله وليس للعبد ولا المخلوق فيها بالاصالة مدخل الا من حيث ما هو مظهر لها ومظهر اسم فاعل واسم مفعول يقال فى الصنع اذا اختل فى صنعته شئ لعدم مساعدة الآلة مع علمه بالصنعة قد أخل منها بكذا وكذا أو يستفهم لم أخللت بها مع علمنا بأنك عالم بها فيقول لم تساعدنى الآلة على ابراز ما كان فى علمى ويقول المصنوع ما قصر لظهور عينه لا القصد الصانع فمن حيث الصنعة فى المصنوع ما اختل شئ ومن حيث مصنوع ما كان المراد سواء اذا كان الصانع المخلوق اختل فان كان الخالق فما اختل فى الصنعة شئ لان الكل مقصود لعدم قصور تعلق الارادة فكل واقع وغير واقع مراد للحق أراد الله ايجاد عرض ما ولم يرد ايجاد محل يقوم به هذا العرض فلم يمكن ايجاد ذلك العرض ما لم يكن المحل فلا بد من وجود المحل اذ كان لا بد من وجود العرض فوجود العرض عن ايجاد اختيارى ووجود المحل عن ايجاد غير اختيارى ولا يجوز أن يكون اضطراريا اذ كان لا بد من وجود ذلك العرض فاضطرار الكون من حقيقة عدم هذا الاختيار المحقق فتفطن فانك ان لم تعرف الامور من جهة حقائقها لم تعرف ان العالم خرج على صورة الحق برتبط ما فيه من الحقائق بالحقائق الالهية وهذا مدرك صعب عليه حجب كثيرة لا ترتفع بفكر ولا بكشف فالامر دائر بين تأثير حق فى خلق وخلق فى حق قال تعالى أجيب دعوة الداعى اذا دعانى وقال ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله فللناقة شرب أعنى ناقة صالح ولكم شرب يوم معلوم ضرب مثال لقوم يعقلون وما منا الا له مقام معلوم فالحصر عم الوجود فكل موجود موصوف بحصره فهو محصر من ذلك الوجه وقد أبنت لك ما لا يقدر على دفعه كشف ولا دليل عقل نظرى والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿وصل فى فصول أحكام القاتل للصيد فى الحرم وفى الاحرام﴾

وقد تقدم من حكم الصيد طرف فى هذا الباب والكلام هنا فى قتله لا فى صيده فى الحرم كان أو فى الحل لقوله لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم الآية وهى آية محكمة واختلفوا فى تفاصيلها على حسب فهمهم فيها فمن ذلك هل الواجب قيمته أو مثله فذهب بعضهم الى ان الواجب المثل وقال بعضهم هو مخير بين القيمة والمثل قتل الصيد شهادة للصيد فهو حى يرزق لانه قتل تعديا بغير حق فى سبيل الله اذ سبيل الله حرمه والحرمة صفة المحرم والبقعة فهذا الصيد المتعدى عليه اما بهاتين الصفتين أو باحداهما فمن تعمد قتله محرما أو فى الحرم فقد تعدى عليه فعاد ما أراد به من الموت وان لم يقم به على القاتل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فالصيد مقتول لا ميت والقاتل ميت لا مقتول فهذا هو الميت المكلف كما يطلب الجواب من الميت فى قبره عند السؤال مع وصفه بالموت وهذا هو الموت المعنوى فكلف بجزاء مثل

ماقتل من النعم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره كما يعذب الميت في قبره ومن عاد لمثل ذلك الفعل فينتقم الله منه اما باعادة الجزاء فانه وبال والوبال الانتقام وأما ان يسقط عنه في الدنيا هذا الوبال المبين و ينتقم الله منه بمصيبة يبتليه بها اما في الدنيا واما في الآخرة فانه لم يبين واعلم ان كل علم من علوم الاسرار المصونة في خزائن الغيرة التي لا يوهب الا لاهله فانه قال صلى الله عليه وسلم لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها فهي كالصيد في حق الحرم أو الاحرام أو هما معا أعني في الحالين فاذا قتلها وهو أن يمنحها غير أهلها فلا يعرف قدرها فتفوت عنده وعاد وبالها عليه فيكفر بها و يتزندق فذلك عين الجزاء يحكم به عدلان وهما الكتاب والسنة فان كان الجزاء مثلا فيبحث عن جاهل عنده حكمة لا يعرف قدرها فيبين له عن مكانتها حتى يحيي بها قلبه فيقتل متعمدا من ذلك الشخص عين الجهل القائم به الذي كان سبب اضاعة هذا العلم عنده وصورة العقوبة والوبال فيه عليه انه حرم حكمة ذلك الجهل في ذلك الجاهل حتى رآها صفة مذمومة منهيا عنها مستعاذا بالله منها في قوله أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين فحرم ماهو كمال في نفس الامر اذ كان الجهل من جملة الاسرار المخزونة في أعيان الجاهلين فحفظها تبرم العالم منها فكانهم تبرؤا عن حقائقهم فالذي تبرؤا منه وقعوا فيه فانهم تبرؤا من الجهل بالجهل لو عقلوه فحكم جهلهم فيهم أعظم من جهل الجهلاء فانهم ماتفطنوا لقول الله فلا تكونن من الجاهلين فلا ينتهي الا عن معلوم محقق عنده فانه ان لم يعلم الجهل فلا يدري مانهي عنه واذا علمه فقد اتصف به فان الجهل ان لم يكن ذوقا فلا يحصل له العلم به فانه من علوم الاذواق ألا ترى الطائفة قد أجمعوا على ان العلم بالله عين الجهل به تعالى وقال الله تعالى في الجاهل ذلك مبلغهم من العلم فسمى الجهل علما لمن تفطن وهي صفة كيانية حقيقية للعبد ان خرج منها ذم وان بقي فيها حمد فانه ما علم من الله سوى ماعنده وماعنده ينفد فانه عنده وما هو هو لا ينفد وهو هو عين الجهل والذي عنده عين العلم فهو عين الدلالة والدليل وهو الدال فهو عين العلم بالله

والعلم بالله نفي العلم بالله ۞ والثبت من صفة المنعوت بالساهي
فالعلم جهل لكون العين واحدة ۞ والجهل علم بكون الله في اللاهي

انتهى الجزء التاسع والستون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿وصل في فصل اختلافهم في آية قتل الصيد في الحرم والاحرام في كفارته هل هي على الترتيب أم لا﴾

الآية قوله فجزاء مثل ماقتل من النعم الى آخر الآية اختلفوا في هذه الآية هل هي على الترتيب وبه قال بعضهم انه المثل أوّلا فان لم فالاطعام فان لم فالصيام أو الآية على التخيير وقال به بعضهم وهو أن الحكمين مخيران الذي عليه الجزاء وبه أقول فان كلمة أو تقتضي التخيير ولو أراد الترتيب لقال وأبان كما فصل في كفارات الترتيب فمن لم يجد فذهبنا في هذه المسئلة ان المثل المذكور هنا ليس كما رآه بعضهم ان يجعل في النعامة بدنة وفي الغزالة شاة وفي البقرة الوحشية بقرة انسية بل في كل شئ مثله فان كانت نعامة اشترى نعامة صادها حلال في حل وكذلك كل مسمى صيد مما يحل صيده وأكله من الطير وذوات الاربع أو كفارة باطعام وحد ذلك عندي ان ينظر الى قيمة ما يساوي ذلك المثل فيشتري بقيمته طعاما فيطعمه المساكين أو عدل ذلك صياما فننظر الى أقرب الكفارات شبها بهذه الكفارة الجامعة لهدي أو اطعام أو صيام فلم نجد الا من حلق رأسه وهو محرم لاذى نزل به ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فذكر الثلاثة المذكورة في كفارة قاتل الصيد فجعل الشارع هنالك في الاطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع وجعل الصيام ثلاثة أيام فجعل لكل صاع يوما فننظر القيمة فان بلغت صاعا أو أقل فيوم فان الصوم لا يتبعض وان بلغت القيمة ان نشتري بها صاعين أو دون الصاعين أو أكثر من الصاع فيومان وهكذا ما بلغت القيمة وأعني بالقيمة قيمة المثل يشترى بها طعاما فيطعم والصيام محمول على ماحصل من الطعام بالشراء على ماقررناه فهو مخير بين المثل والاطعام بقيمة المثل والصيام

بحسب ماحصل من الطعام من قيمة المثل والمثل والطعام تناوله سبب فى بقاء حياة المتغذى به لان هذا المتغذى أتلف نفسا وأزال حياة غيرها وكفر ذلك بما يكون سببا لابقاء حياة فكأنه أحياها زمان بقائها بحصول ذلك الغذاء من المثل أو الطعام وأما الصيام فانها صفة ربانية فكان ان يأتى بها هذا القاتل ان لم يكفر بالمثل أو بالاطعام فان أبيت فاخرج عن التحجير حتى يكون قاتل الصيد غير محجور عليه فلا يكلف شيأ قال وما هو قال الصوم فانه لى وأنا لا أتصف بالحجر على فتلبس بصفتى تحصل فى الحى عن الحجر عليك فاذا صمت كان الصوم لى والجوع لك فما فى الصوم من الجوع فى حقك الذى ليس لى يكون كفارة لان الجوع من الاسباب المزيلة للحياة من الحى فأشبه القتل الذى هو سبب مزيل للحياة من الحى ولم تزل حياتك بهذا الجوع لانه جوع صوم والصوم من صفاتى وهو غير مؤثر فى الحياة الازلية فلهذا لم يعم جوع الاتلاف والحق سبحانه مذهب الاشياء لا معدمها لانه فاعل والفاعل من يفعل شيأ فان لاشئ لا يكون مفعولا فهو وان أذهب الاشياء من موطن كان لها وجود فى موطن آخر فان السكون الذى منه الاجتماع والافتراق لا يدل على عدم الاعيان فالموت اذهاب لا اعدام فانه انتقل من دنيا الى آخرة التى أولها البرزخ فلما كان الاذهاب من صفات الحق لا الاعدام كما قال تعالى ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين ولم يقل يعدمكم لذلك لم يجعل جوع الصوم جوع اتلاف النفس وان كان اذهابا لا اعداما وذلك أنه لا يصح الاعدام لهذا الموجود لان المتصف بالوجود انما هو الحق الظاهر فى أعيان المظاهر فالعدم لا يلحق به أصلا فانه يقول للشئ اذا أراده كن فيكون هو

نظرت فى كون من قالت ارادته * اذا توجهه للاشياء كن فتكون
فعند ما حققت عينى تكونه * اذا به عينه لا غيره فأكون
فخذ فديتك علما كنت تجهله * وانظر الى أصعب الاشياء كيف يهون
فالعلم أشرف نعت ناله بشر * وصاحب العلم محفوظ عليه مصون
ان قام قام به أو راح راح به * والحال والمال فى حكم الزوال يكون
وليس ناظم هذا غيره فله * ماقلت فهو الذى فى عين كل مكون
لولا تجليه فى الاعيان ماظهرت * نعوت كان به وكائن ويكون
لذا تسمى بدهر لا انقضاء له * ولا ابتداء فشكل الكون منه كنون

﴿وصل فى فصل هل يقوّم الصيد أو المثل﴾

فذهبنا فقد تقدم ان المثل يقوّم ويبنا ما هو المثل فقال بعضهم يقوّم الصيد وقال قوم يقوّم المثل وهو قولنا وخالفناهم فى المثل ما هو وكذلك اختلفوا فى تقدير الصيام بالطعام وقد تقدم مذهبنا فيه فقالت طائفة لكل مدّ يوما وقال قوم لكل مدين يوما

﴿وصل فى فصل قتل الصيد خطأ﴾

اختلف فقيل فيه الجزاء وقيل لاشئ عليه فيه وبه أقول فان قتل الخطأ هو قتل الله ولا حكم على الله فانه بالنسبة الى الله مقصود القتل وبالنسبة الينا خطأ لظهور القتل على أيدينا وعدم القصد فيه فالمقتول متعمد أى مقصود بالقتل غير مقصود بالقتل فلهذا تصوّر الاختلاف لاطلاق الحكمين فيه فمن راعى انه قتله من كونه ظاهرا فى مظهر القاتل ما أوجب الجزاء لان تلك العين التى ظهر فيها أعماته الحكم عليه بأن لا جزاء لانه قاصد للقتل ومن راعى انه القاتل من خلف حجاب الكون الظاهر ولكن ما أوقعه وظهر فى الوجود الا على يد الظاهر أوجب الجزاء لان الحكم لما ظهر والقصد غيب وما تعبدنا به فالقاتل ان عرف من نفسه انه قتل غير قاصد فأوجب عليه ظاهر الشرع بالحكمين الجزاء جبرا كان ذلك له صدقة تطوّع بوجوب شرعى فى أصل مجهول عند الحاكم فجمع هذا القاتل بين أجر التطوّع والواجب فأسقط عنه ما يسقطه الواجب وللتطوّع معا وان لم يره أحد مضى ولا شئ عليه

﴿وصل فى فصل اختلافهم فى الجماعة المحرمين اشتركوا فى قتل صيد﴾

اختلفوا اذا اشترك جماعة محرمون في قتل صيد فقيل على كل واحد جزاء وقيل عليهم جزاء واحد والذي أقول به ان عرف كل واحد من الشركاء انه ضربه في مقتل كان على كل من ضرب به في مقتل جزاء ومن جرحه في غير مقتل فلا جزاء عليه وهو آثم حيث تعرّض بالاذى لما حرم عليه الجماعة هنا اذ يأثم الانسان بجميع ما كلف من أعضائه الثمانية فعليه لكل عضو توبة من حيث ذلك العضو ومن رأى التوبة من جانب من تاب اليه لا ما تاب منه فهو القائل بجزاء واحد وفرّق بعضهم بين المحرمين يقتلون الصيد وبين المحلين يقتلون الصيد في الحرم فقال في المحرمين على كل واحد منهم جزاء وقال في المحلين جزاء واحد

﴿وصل في فصل هل يكون أحد الحكمين قاتلا للصيد﴾

فذهب قوم الى أنه لا يجوز وأجازه قوم فمن رأى انه لا فاعل الا الله وهو الحاكم وهو الفاعل أجاز ذلك ومن رأى ان الفعل للمخلوق لم يجز ذلك وبالاول أقول وأثبت القول الثاني على غير الوجه الذي يعتقده القائل به

﴿وصل في فصل اختلافهم في موضع الاطعام﴾

فقيل يطعم في الموضع الذي قتل فيه الصيد ان كان هناك طعام أوفي أقرب المواضع اليه ان لم يكن هناك ما يطعم وقال بعضهم حيثما أطعم أجزأه وبه أقول لان الله ما عين وقال بعضهم لا يطعم الا مساكين مكة من كان الله قبلته لم يخصص الاطعام بموضع معين ومن كان قبلته البيت حدد

﴿وصل في فصل اختلافهم في الحلال يقتل الصيد في الحرم بعد اجماعهم على أن المحرم اذا قتل الصيد انّ عليه الجزاء﴾

فقال قوم عليه الجزاء وقال قوم لا شئ عليه وبه أقول

﴿وصل في فصل المحرم يقتل الصيد ويأكله﴾

فمن قائل عليه كفارة واحدة وبه أقول وقيل عليه كفارتان وبه قال عطاء وفيه وجه عندي فان الشرع اعتبره فما أطلق أكله الا لمن لم يعن عليه بشئ فأحرى اذا كان هو القاتل فان أكله يحرم عليه كما حرم عليه صيده كما حرم عليه قتله فهذه ثلاثة حرم صيد وقتل وأكل لما كان الآكل لنفسه سعى ومن حق نفسه عليه أنه لا يطعمها الا ما لها حق فيه وما لا حق لها فيه فقد ظلمها فجوزي جزاء من ظلم نفسه

﴿وصل في فصل فدية الاذى﴾

أجمع العلماء على انها واجبة على من أماط الاذى من ضرورة وهو وجوب اللعنة على الذين يؤذون الله ورسوله فوجب دفع الاذى حرمة للمحرم ووجبت الكفارة حرمة للاحرام الكلام في الله بما لا ينبغي أذى فوجبت اماطته حرمة للحق ولا فاعل الا الله فوجبت الكفارة وهي الستر لهذه النسبة بأن لا يضاف مثل هذا الفعل الى الله تعالى وجل والكفارات كلها استر حيثما وقعت واختلفوا فيمن أماط الاذى من غير ضرورة فقال قوم عليه الفدية المنصوص عليها وقال قوم عليه دم وبه أقول فانه غير متأذ في نفسه أي انه ليس بذي ألم لذلك ولذلك جعل محل الاذى الرأس الحس به وما جعله الشعر فأثم ضرورة توجب الحلق لما كان الانسان مخلوقا على الصورة وجبت اماطة الاذى عنه للنسبة عناية به ووجبت الكفارة فيما أوجب الله عليه فعله أو أباحه له لئلا يشغله الاحساس بالاذى عن ذكر الله وما شرع الحج الا لذكر الله فوجبت الكفارة حيث لم يصبر على الاذى فما وفى الصورة حقها فانه ورد انه ما أحد أصبر على أذى من الله وبهذا سمي الصبور وبعدم المؤاخذة مع الاقتدار سمي الحليم

﴿وصل في فصل﴾

اختلافهم هل من شرط من وجبت عليه الفدية باماطة الاذى أن يكون متعمدا أم الناسي والمتعمد سواء فقال قوم هما سواء وقال آخرون لا فدية على الناسي وبه أقول والناسي هنا هو الناسي لاحرامه وكلاهما متعمد لاماطة الاذى فاذا وجبت على المضطر وهو الذي قصد ازالتها لازالة الاذى مع تذكره الاحرام فهي على الناسي أوجب لانه مأمور بالذكر الذي يختص بالاحرام فاذا نسي الاحرام فما جاء بالذكر الذي للمحرم فاجتمع عليه اماطة الاذى ونسيان الاحرام فكانت

الكفارة

الكفارة أوجب وأصل ما ينبني عليه هذا الباب وجميع أفعال العبادات كلها اعلم اضافة الافعال هل تضاف الى الله أو الى العباد أو الى الله والى العباد فان وجودها محقق ونسبتها غير محققة فلنقل أولا في ذلك قولا اذا حققته ونظرت فيه نظر منصف عرفته أو قاربت فانى أفصل ولا أعين الامر على ماهو في نفسه لما فيه من الضرر واختلاف الناس فيه والخلاف لا يرتفع من العالم بقولى فابقاؤه في العموم على ابهامه أولى وعلماء رجالنا يفهمون ما أومى اليه فيها فاقول ان الله قد قال انه ما خلق الله الخلق الا بالحق وتكلم الناس في هذا الحق المخلوق به وما صرح أحد به ما هو الا انهم أشاروا الى أمور محتملة فاعلم ان الحق المخلوق به والعالم المخلوق أمران محققان انهما أمران عند الجميع غير أنهما نظير الجوهر الهبائى والصورة ومعلوم عند الجماعة ان الافعال تصدر من الصور ولكن من هو الصورة هل العالم أو المخلوق به الذى هو الحق الذى قال فيه ما خلقناهما الا بالحق وبالحق أنزلناه وبالحق نزل فمن رأى ان الحق المخلوق به مظهر صور العالم ظهرت فيه بحسب ما نعطيه حقائق الصور على اختلافها نسب الافعال الى الخلق ومن رأى ان أعيان الممكنات التى هى العالم هو الجوهر الهبائى وان الحق المخلوق به هو الصورة فى هذا العالم وتنوعت أشكال صوره لاختلاف أعيان العالم فاختلفت عليه النعوت والالقاب كما تنسب الاسماء الالهية من اختلاف آثارها فى العالم فمن رأى هذا نسب الفعل الى الله بصورة الصورة الظاهرة ومن رأى أن ظهور الصورة لا يتمكن الا فى الجوهر الهبائى وان الوجود لا يصح للجوهر الهبائى فى عينه الا بحصول الصورة فلا تعرف الصورة الا بالجوهر الهبائى ولا يوجد الجوهر الهبائى الا بالصورة نسب الافعال الى الله بوجه والى العباد بوجه فعلق المحامد والحسن بما ينسب من الافعال للحق وعلق المذام والقبيح بما ينسب من الافعال للعباد بالخلق الذى هو العالم لحكم الاشتراك العقلى والتوقف فى العلم بكل واحد منهما وتوقف كمال الوجود على وجودهما وقد رميت بك على الجادة فهذا تفسير وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فنفى الرمى عمن أثبته له يقول الله فى هذه الآية عين ما قلناه فى هذه المسئلة وذهبنا اليه والله يقول الحق وهذا قوله وهو يهدى السبيل أى يبينه لتمشى عليه ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم فمشينا عليه بحمد الله فأثبت بهذه الآية ان أعيان العالم هو الجوهر الهبائى الا انه لا يوجد الا بوجود الصورة وكذلك أعيان العالم ما اتصفت بالوجود الا بظهور الحق فيها فالحق المخلوق به لها كالصورة وقد أعلمتك ان الفعل كله انما يظهر صدوره من الصورة وهو القائل ولكن الله رمى فكان الحق عين الصورة التى تشاهد الاعمال منها فتحقق ما ذكرناه فانه لا أوضح مما بين الله فى هذه الاية وبيناه نحن فى شرحنا اياها على التفصيل والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم صراط الله والصراط الذى عليه الرب والصراط المضاف الى الحقيقة فى قوله وان هذا صراطى مستقيما ولكل صراط حكم ليس للآخر فافهم والسلام وأما صراط الذين أنعمت عليهم فهو الشرع

﴿وصل فى فصل اختلافهم فى توقيت الاطعام والصيام﴾

اختلفوا فى توقيت الاطعام والصيام فالاكثرون على أن يطعم ستة مساكين وقال قوم عشرة مساكين والصيام عشرة أيام واختلفوا فى كم يطعم كل مسكين فقال بعضهم مدين بمد النبى صلى الله عليه وسلم لكل مسكين وقال بعضهم من البر نصف صاع ومن التمر والزبيب والشعير صاع وأما قص الاظفار فقال قوم ليس فيها شئ وقال قوم فيه دم وفروع هذا الباب كثيرة جدا فمن اعتبر الستة المساكين نظر الى ما يطعم الصفات مما تطلب فوجدناها ستة كونية عن ستة الهية فما للالهية من الحكم للكونية من الحكم واطعامها ما تطلبه لبقاء حقيقتها فانه لها كالغذاء للاجسام الطبيعية فالمعلوم للعلم طعام فبه يتعلق وكذلك الارادة والقدرة والكلام والسمع والبصر وأما الحياة فليس لها مدخل فى هذا الباب فغاية حقيقتها الشرطية لا غير وهو باب آخر ولما كانت الحضرة حضرتين كان من المجموع اثنا عشر وهو نهاية أسماء بسائط العدد الذى يعم الحضرتين فان العدد يدخل عليهما ولهذا ورد تعدد الصفات والاسماء المنسوبة الى الله وأما حكمه فى الكون فلا يقدر أحد على انكاره كما انها أيضا نهاية انتهاء وزن الفعل الذى هو مركب من مائة وثمانين درجة وسأبين حكمها ان شاء الله فأما أوزان الفعل فى الاسماء فهى اثنا عشر وزنا كل وزن يطلب ما لا يطلبه الآخر وهى

محصورة في هذا العدد كما هي أبنية أسماء العدد محصورة في الاثني عشر فمن ذلك في تسكين عين الفعل ثلاثة وفي فتحه ثلاثة وفي ضمه ثلاثة وفي كسره ثلاثة فالمجموع اثنا عشر فالتسكين مثل فعل كدعد وفعل كقفل وفعل كهند والمفتوح العين فعل مثل جمل وفعل مثل صرد وفعل مثل عنب والمضموم العين فعل مثل عضد وفعل مثل عنق وفعل لم يوجد له اسم على وزنه في اللسان وعلله أهل هذا الشان بأنهم استثقلوا الخروج من الكسر الى الضم ومبنى كلامهم على التخفيف وهذا التعليل عندنا ليس بشئ بسطناه في النسخة الاولى من هذا الكتاب وقد مرت بنا كلمة للعرب على وزن فعل بكسر فاء الفعل وضم عينه لا أذكرها الآن الا أنها لغة شاذة والمكسور العين فعل مثل كتف وفعل مثل ابل ولم يوجد على وزن فعل سوى دئل وهو اسم دويبة تعرفها العرب ثم ان الله أجرى حكمته في خلقه أن لا تأخذ العرب في أوزان الكلام الا هذه الاحرف الثلاثة الفاء والعين واللام ولها ثلاث مراتب في النشأة وأخذوا من كل مرتبة حرفا أخذوا الفاء من حروف الشفتين عالم الملك والشهادة وأخذوا العين من حروف الحلق عالم الغيب والملكوت وأخذوا اللام من الوسط عالم البرزخ والجبروت وهو من حروف اللسان الذي له العبارة والتصرف في الكلام فكان مجموع هذه الحروف التي جعلوها أصولا في أوزان الكلام مائة وثمانين درجة وهو شطر الفلك الظاهر وهو الذي يكون له الاثر أبدا في التكوين والشطر الغائب لا أثر له الا حيث يظهر وسبب ذلك ان أشعة أنوار الكواكب تتصل بالمحل العنصري وهو مطارح شعاعاتها والعناصر قابلة للتكوين فيها فاذا اتصلت بها سارع التعفين فيها لما في الانوار من الحرارة وفي ركن الماء والهواء من الرطوبة فظهرت أعيان المكونات ان الله خمر طينة آدم بيده والتخمير تعفين وما غاب عن هذه الانوار فلا أثر له فيه ألا ترى في كسوف الشمس اذا اتفق أن يكون بالليل لا حكم له عندنا لعدم مشاهدة الظاهر ظاهر كرة الارض التي نحن عليها فلا حكم له الا حيث يظهر بتقدير العزيز العليم فانه حيث يظهر يشهده ما حضر عنده فيؤثر فيه لشهوده عادة طبيعية أجراها الله وهذا من أدل دليل على قول المعتزلي في ثبوت أعيان الممكنات في حال عدمها وان لها شيئية وهي قوله تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيرانا سبحانه في حال عدمنا في شيئية ثبوتنا كما يرانا في حال وجودنا لانه تعالى ما في حقه غيب فكل حال له شهادة يعرفه صاحب الشهادة فيتجلى تعالى للاشياء التي يريد ايجادها في حال عدمها في اسمه النور تعالى فينفهق على تلك الاعيان أنوار هذا التجلي فتستعد به لقبول الايجاد استعداد الجنين في بطن أمه في رابع الاشهر من حمله لنفخ الروح فيه فيقول له عند هذا الاستعداد كن فيكون من حينه من غير تثبط فانظر الى هذه الحكمة ما أجلاها ثم انه من تمام الحكمة انه اذا كان في القابلات للتكوين من لا يقبله لحقيقة هو عليها الا بزيادة درجات وهو بين أصله وحقيقته فانه يكرر اللام من هذا الوزن اذا كانت حروف الوزن من نفس الكلمة ومن أصولها مثل جعفر وزنه فعلل فكرر واحدا من أصل الاوزان لان حروف الموزون كلها أصول فان كان الحرف في الكلمة زائدا جئنا به على صورته ولم نعطه حرفا من حروف الفعل فنقول في وزن مكتسب مفتعل فالاصول أبدا هي التي تراعى في الاشياء وهي التي لها الآثار فيها وقال بعضهم ان الجياد على أعراقها تجري يقول على أصولها فمن كان أصله كريما فلا بد أن يؤثر فيه أصله وان ظهر عنه لؤم فهو أمر عارض يرجع الى أصله ولا بد في آخر الامر وكذلك اللئيم الاصل وهذه مسئلة قليل من يتفطن لها وهي لماذا ترجع أصول الممكنات هل أصلها كريم فيكون واجب الوجود أصلها أو يكون أصلها لئيما وهو الامكان فلا يزال الفقر والبخل واللؤم يصحبها ويكون ما نسبت اليها من المحامد بحكم العرض وهنا أسرار ودقائق وكلناك لنفسك في الاطلاع عليها فان ظهوره في العموم يتعذر فتركنا علم ذلك لمن يطلعه الله عليه فيقف على ما هو الامر عليه في نفسه وقد بقي من أمهات مسائل هذا الباب يسير نذكر اعتبارها في سرد أحاديث ما يتعلق بهذا الباب ان شاء الله تعالى

انتهى الجزء السبعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ وصل فصول الاحاديث النبوية فيما يتعلق بهذا الباب ولا أذكرها بجملتها وانما أذكر منها ما تمس الحاجة اليه ﴾

وبعد أن قد ذكرنا حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جابر بن عبد الله فلنذكر في بقية هذا الباب ما تيسر من الأخبار النبوية فمن ذلك

﴿ حديث فضل الحج والعمرة ﴾

خرّج مسلم في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فالكفارة تعطي الستر والجنة تعطي الستر غير أن ستر العمرة لا يكون الا بين عمرتين وستر الحج لم يشترط فيه ذلك الا أنه قيده بأنه يكون مبرورا والبر الاحسان والاحسان مشاهدة أو كالمشاهدة فانه قال صلى الله عليه وسلم في تفسير الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فصارت الجنة عن حج مقيد بصفة بر فقام البر للحج مقام العمرة الثانية للعمرة الاولى والسبب في ذلك ان التكفير والجنة نتيجة والنتيجة لا تكون عن واحد فان ذلك لا يصح وانما تكون عن مقدمتين فحصل التكفير عن عمرتين وحصلت الجنة عن حج مبرور أي يكون عن صاحب صفة بر فما أعجب مقاصد الشارع فالعمرة الزيارة وهي زيارات أهل السعادة لله تعالى هنا بالقلوب والاعمال وفي الدار الآخرة بالذوات والاعيان وبين الزيارتين تعجب مواقع بين الزائرين وبين أهليهم من أهل الجنان وفي حالة الدنيا بين المعتمرين وبين غيرهم فلا يدرك ما حصلوه في تلك الزيارة من الاسرار الالهية والانوار فلو تجلى بشيء منها الابصار من ليس لهم هذا المقام لاحرقهم وذهب بوجودهم فكان ذلك الستر رحمة بهم وقد عاينا ذلك في المعارف الالهية مشاهدة حين زرناه بالقلوب والاعمال بمكة التي لا تصح العمرة الا بها وأما الزيارة من غير تسميتها بالعمرة فتكون لكل زائر حيث كان وكذلك الحج فهي زيارة مخصوصة كما هو قصد مخصوص ولما فيهما من الشهود الذي يكون به عمارة القلوب تسمى عمرة فهذا معنى التكفير في هذا العمل الخاص وقد يكون التكفير في غير هذا وهو أن يسترك عن الانتقام ان ينزل بك لما تلبست به من المخالفات ومن الناس من يكون له التكفير سترا من المخالفات أن تصيبه اذا توجهت عليه لتحل به لطلب النفس الشهوانية اياها فيكون معصوما بهذا الستر فلا يكون للمخالفة عليه حكم وهذان المعنيان خلاف الاول ومن الناس من يجمع ذلك كله وفي الدنيا من هذه الاحكام الثلاثة كلها وفي الآخرة اثنان خاصة وهو الستر الاول والستر أن لا يصيبه الانتقام وأما الستر عن المخالفات فلا يكون الا في الدنيا لوجود التكليف والآخرة ليست بمحل للتكليف الا في يوم القيامة في موطن التمييز حين يدعون الى السجود فهو دعاء تمييز لا دعاء تكليف الا الحديث الذي خرّجه الجيلي في كتاب الموازنة لم يثبت ولما اقترن به الامر أشبه التكليف فجوزوا بالسجود جزاء المكلفين كما تجيء الملائكة اليهم من عند الله بالامر والنهي وليس المراد به التكليف وهو قولهم للسعداء لا تخافوا ولا تحزنوا وهذا نهي وأبشروا بالجنة وهذا أمر وليس بتكليف كذلك اذا أمروا بالسجود انما هو للتمييز والفرقان بين من سجد لله خالصا وسجد اتقاء ورياء وسمعة لاجتماعهم في السجود لله فلذلك وقع الشبه لانهم ما سجدوا مخلصين له الدين كما أمروا فميز الله يوم القيامة بينهما كما ميز بين المجرمين قال تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون

﴿ حديث ثان في الحث على المتابعة بين الحج والعمرة ﴾

لان كل واحد منهما قصد زيارة بيت الله العتيق خرّج النسائي عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور ثواب دون الجنة فجعل في الاول العمرة الى العمرة وكذلك الحج والبر وهنا جعل الحج والعمرة مقدمتين ليكون منهما أجر آخر ليس ما أعطاه الحديث الاول وهو نفي الفقر فيحال بينك وبين عبوديتك اذا جمعت بين هاتين العبادتين وما ثم الا عبد ورب والعبد لا يتميز عن الرب الا بالافتقار فاذا أذهب الله بفقره كساه حلة الصفة

الربانية فأعطاه أن يقول للشيء اذا أراده كن فيكون وهذا سر وجود الغنى في الفقر ولا يشعر به كل أحد فانه لا يقول لشيء كن فيكون حتى يشتهيه ولهذا قال تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم فما طلب الا ما ليس عنده ليكون عنده عن فقر لما طلب لان شهوته أفقرته اليه ودعته الى طلبه ليس ذلك المشتهى طلبه وعنده الصفة الربانية التي أوجبت له القوة على ايجاد هذا المشتهى المطلوب فقال له كن عن فقر بصفة الهية فكان هذا المطلوب في عينه فتناول منه ما لاجله طلب وجوده وليس هو كذا في حق الحق لان الله لم يطلب تكوين الموجودات لافتقاره اليها وانما الاشياء في حال عدمها الامكاني لها تطلب وجودها وهي مفتقرة بالذات الى الله الذي هو الموجد لها لفقرها الذاتي وفي وجودها من الله فقبل الحق سؤالها وأوجدها لها ولاجل سؤالها الا من حاجة قامت به اليها لانها مشهودة له تعالى في حال عدمها ووجودها والعبد ليس كذلك فانه فاقد لها حسا في حال عدمها وان كان غير فاقد لها علما اذ لولا علمه بها ما عين بالايجاد شيأ عن شيء دون شيء غير أن العبد مركب من ذاتين من معنى وحس وهو كماله فما لم يوجد الشيء المعلوم للحس فما كمل ادراكه لذلك الشيء بكمال ذاته فاذا أدركه حسا بعد وجوده وقد كان أدركه علما فكمل ادراكه للشيء بذاته فتركيبه سبب فقره الى هذا الذي أراد وجوده وامكانه سبب فقره الى مرجحه وأما الحق تعالى فليس بمركب بل هو واحد فادراكه للاشياء على ما هي الاشياء عليه من حقائقها في حال عدمها ووجودها ادراك واحد فلهذا لم يكن في ايجاده الاشياء عن فقر كما كان لهذا العبد المخلوع عليه صفة الحق وهذه مسئلة لو ذهب عينك جزاء لتحصيلها لكان قليلا في حقها لانها مزلة قدم زل فيها كثير من أهل طريقنا والتحقوا فيها بمن ذم الله تعالى في كتابه من قولهم ان الله فقير وهذا سببه فما وجد الممكن ولا وجدت المعرفة الحادثة الا لكمال رتبة الوجود وكمال رتبة المعرفة لا لكمال الله بل هو الكامل في نفسه سواء وجد العالم أو لم يوجد وعرف بالمعرفة المحدثة أو لم يعرف كما انه على الحقيقة لا يعرف ولا يعرف منه ممكن الا نفسه وأما في الذنوب فانها من حكم الاسم الآخر لان ذلك من الامر بمنزلة الذنب من الرأس متأخرة عنه لان أصله طاعة فانه ممتثل للتكوين اذ قيل له كن فما وجد الا مطيعا ثم عرض له بعد ذلك مخالفة الامر المسمى ذنبا فأشبه الذنب في التأخر فانتفى بالاصل لانه أمر عارض والعرض لا بقاء له وان كان له حكم في حال وجوده ولكن يزول فهذا يدلك على ان المآل الى السعادة ان شاء الله ولو بعد حين ثم ان للذنب من معنى الذنب صفتين شريفتين اذا علمها الانسان عرف منزلة الذنب عند الله وذلك ان ذنب الدابة له صفتان شريفتان ستر عورتها وبه تطرد الذباب عنها بتحريكها اياه وكذلك الذنب فيه عفو الله ومغفرته وشبه ذلك مما لا يشعر به مما يتضمنه من الاسماء الالهية يطرد عن صاحبه أذى الانتقام والمؤاخذة وهما بمنزلة الذباب الذي يؤذي الدابة فلا يصيب الانتقام الا للابتر الذي لا ذنب له يقول تعالى ان شانئك هو الابتر أي لا عقب له أي لا يترك عقبا ينتفع به بعد موته كما قال عليه السلام أو ولد صالح يدعو له ولدا كان أو سبطا ذكرا أو أنثى يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ان الذي ألحق بك الشين هو الابتر فلم يعقب وعقب الشيء مؤخره ولهذا قلنا في الذنب انه مؤخر لانه في عقب الدابة وبعدمه يكون أبتر فلو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم ولم يقل فيعاقبهم فغلب المغفرة وجعل لها الحكم فأصل وجود الذنب بذاته لما يتضمنه من المغفرة والمؤاخذة فيطلب تأثير الاسماء وليس أحد الاسمين المتقابلين في الحكم أولى من الآخر لكن سبقت الرحمة الغضب في التجاري فلم تدع شيأ الا وسعته رحمته ومن رحمة الطبيب بالعليل صاحب الآكلة ادخال الالم عليه بقطع رجله فافهم واجعل بالك فمؤاخذات الحق عباده في الدنيا والآخرة تطهير ورحمة والتنبيه أيضا على ذلك ان العقاب لا يكون الا في الذنب والعقوبة لفظة تقتضي التأخير عن المتقدم فهي تأتي عقيبه فقد تجد العقوبة الذنب في المحل وقد لا تجده اما بان يقلع عنه واما ان يكون الاسم العفو والغفور راستعانا عليه بالاسم الرحيم فزال فترجع العقوبة خاسرة ويزول عن المذنب اسم المذنب لانه لا يسمى مذنبا الا في حال قيام الذنب به وهو المخالفة والغفران في نفس الذنب وما يأتي عقيبه لانه غير متيقن بالمؤاخذة والانتقام عليه فلا يأتي الغفران عقيبه فلا يسمى الغفران عقابا وجزاء الخير يسمى ثوابا لثورانه وعجلته فيكون في نفس الخير المستحق له لانه من ثاب الى الشيء اذا ثار اليه بالعجلة والسرعة ولهذا قال سارعوا

الى مغفرة من ربكم وقال يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون فجعل المسارعة فى الخير واليه ولا يسابق اليها الا بالذنوب وطلب المغفرة فانها لا ترد الا على ذنب وان كانت فى وقت تستر العبد عن ان تصيبه الذنوب وهو المعصوم والمحفوظ فلها الحكمان فى العبد محو الذنب بالستر عن العقوبة أو العصمة والحفظ ولا ترد على تائب فان التائب لا ذنب له اذ التوبة ازالته فما ترد المغفرة الا على المذنبين فى حال كونهم مذنبين غير تائبين فهناك يظهر حكمها وهذا ذوق لم يطرق قلبك مثله قبل هذا وهو من أسرار الله فى عباده الخفية فى حكم أسمائه الحسنى لا يعقل ذلك الا أهل الله شهودا فمثل هذا يسمى التضمين فانه أمر بالمسابقة الى المغفرة وما أمر بالمسابقة الى الذنب ولما كان العفو والغفران يطلب الذنب وهو مأمور بالمسابقة الى المغفرة فهو مأمور بما له يكون ليظهر حكمها فما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب ولكن من حيث ما هو فعل لا من حيث ما هو حكم وانما أخفى ذكره هنا وذكر المغفرة لقوله ان الله لا يأمر بالفحشاء والامر من أقسام الكلام فما أمر بالذنوب وانما أمر بالمسابقة والاسراع الى الخير وفيه والى المغفرة فافهم واما التشبيه بنفى الكير خبث الحديد والفضة والذهب وهو ما تعلق بهذه الاجسام فى المعادن من أصل الطبيعة استعانوا بالنار على ازالة ذلك واستعانوا على النار باشعال الهواء واستعانوا على تحريك الهواء بالكير فما نفى الخبث الا عن مقدمتين وهما النار والهواء فلولا وجودهما لبين القوتين العلمية والعملية ما وقع نفى هذا الخبث وقد تقدم الكلام فى الحج المبرور وان كان له هنا معنى آخر ليس هو ذلك المعنى المتقدم ولكن يقع الاكتفاء بذلك الاول مخافة التطويل فان أسرار الله فى الاشياء لا تنحصر بل ينقدح فى كل حال لاصحاب القلوب ما لا يعلمه الا الله والعامة لا تعلم ذلك ولهذا تقول الخواص من عباد الله ما ثم تكرار للاتساع الالهى وانما الامثال تحجب بصورها القلوب عن هذا الادراك فتتخيل العامة التكرار والله واسع عليم فمن تحقق بوجود هذا الاسم الواسع لم يقل بالتكرار بل هم فى لبس من خلق جديد

﴿حديث ثالث فى فضل اتيان البيت شرفه الله﴾

خرج مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه وفى لفظ البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج لله فلم يرفث ولم يفسق الحديث فاعلم انه يوم خروج المولود من بطن أمه خرج من الضيق الى السعة بلا شك ومن الظلمة الى النور والسعة هى رحمة الله التى وسعت كل شئ والضيق نقيض رحمة الله مع ان الرحمة وسعته حيث أوجدت عينه وجعلت له حكما فى نفوس العالم حسا ومعنى يقول تعالى واذا ألقوا منها مكانا ضيقا والمولود على النقيض من الحق فى هذه المسئلة فان الحق لما كان له نعت لا شئ موجود الا هو كان ولا منازع ولا مدع مشاركة فى أمر ولا موجب لغضب ولا استعطاف غنى عن العالمين فكان بنفسه لنفسه فى ابتهاج الازل والتذاذ الكمال بالغنى الذاتى فكان الله ولا شئ معه وهو على ما عليه كان فلما أوجد العالم كانت هذه الحالة لهذا المولود ولكن على النقيض زاحمه العالم فى الوجود العينى وما قنع حتى زاحمه فى الوحدة وما قنع حتى نسب اليه ما لا يليق به فوصف نفسه لهذا كله بالغضب على من نازعه فى كل شئ ذكرناه فكان مثل من خرج من السعة الى الضيق ومن الفرح الى الغم فانتقم وعذب بصفة الغضب وعفا وتجاوز بصفة الكرم وحفظ وعصم بصفة الرحمة فظهر الاستناد من الموجودات الى الكثرة فى العين الواحدة فاستند هذا الى غير ما استند هذا فزال ابتهاج التوحيد والاحدية بالاسماء الحسنى وبما نسب اليه من الوجوه المتعددة الاحكام فلم يبق للاسم الواحد ابتهاج فرجع الامر الى أحدية الالوهية وهى أحدية الكثرة لما تطلبه من الاسماء ابقاء مسمى الاحدية فقال والحكم الواحد ولم يتعرض الى ذكر النسب والاسماء والوجوه فان طلب الوحدة ينافى طلب الكثرة فلا بد أن يكون هذا الامر هكذا فصير قاصد بيته لحج أو عمرة من أجل الله فى حال من ولدته أمه أى انه خرج من الضيق الى السعة فشبهه بمثله وهو المولود ولم يشبهه بوصفه تعالى الذى ذكرناه آنفا ولكن اشترط فيه انه لا يرفث فانه ان نكح أولد فلا يشبه المولود فانه اذا أولد خرج من السعة الى الضيق فانه حصل له فى ماله مشاركة بالولد وصار بحكم الولد أكثر منه بحكم نفسه فضاق الامر عليه ولا سيما اذا تحرك

والده بما لا يرضيه فانه يورثه الحرج وضيق الصدر لمزاحمة الثاني فلهذا اشترط في الآتي الى البيت ان لا يرفث ولا يفسق أي لا يخرج على سيده فيدعي في نعته ويزاحمه في صفاته اذ الفسوق الخروج فمن بقي في حال وجوده مع الله كما كان في حال عدمه فذلك الذي أعطى الله حقه وهذا الداء العضال احاله على استعمال دواء أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ يقول له كن معي في شيئية وجودك كما كنت اذ لم تكن موجودا فأكون أنا على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه فمن استعمل منا هذا الدواء عرف حق الله فأعطاه ما يجب له ومن لم يعرف ولا استعمل هذا الدواء وخلط كثرت أمراضه وآلامه في عين أفراحه وأغضب الحق عليه فيما هو فارح مسرور به ففي بعض أفراحك غضبه فتنبه الى ما في هذا الحديث من الاسرار على هذا الاسلوب وأمثاله فان فيه علوما يطول الكتاب بتفصيلها وتعيينها

﴿حديث رابع في فضل عرفة والعتق فيه﴾

خرّج مسلم عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم أكثر من ان يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وانه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء حتى يقولوا مغفرتك ورضاك عنهم فقصد الحق مباهاة الملائكة بهم وسؤاله اياهم ما أراد هؤلاء فجاب رقيق على قصد المباهاة جبرا لقلوب الملائكة ولما ظهر الاباق في عبيد الله واسترقتهم الاهواء والشهوات وصاروا عبيدا لها وخلق الله النار من الغيرة الالهية فغارت لله وطلبت الانتقام من العبيد الذين أبقوا وقد جاء الخبران العبد اذا أبق فقد كفر والكفر سبب الاسترقاق فصاروا عبيدا للاهواء بالكفر فاحتالت النار على أخذهم من يد الاهواء للانتقام فلما استحقتهم النار وأرادت ايقاع العذاب بهم اتفق ان وافق من الزمان يوم عرفة فجاء اليوم شفيعا عند الله في هؤلاء العبيد بأن يعتقهم من ملك النار اذ كانت النار من عبيد الله المطيعين له فجاد الله عليهم بشفاعة ذلك اليوم فأعتق الله رقابهم من النار فلم يكن للنار عليهم سبيل فكثر خير الله وطاب وطهر الله قلوبهم من الشهوات المردية لا من أعيان الشهوات فأبقى أعيان الشهوات عليهم وأزال تعلقها بما لا يرضي الله فلما أوقفهم بعرفات أظهر عليهم أعيان الشهوات لتنظر اليها الملائكة ولما كانت الملائكة لا شهوة لهم كانوا مطيعين بالذات ولم يقم بهم مانع شهوة يصرفهم عن طاعة ربهم فلم يظهر سلطان لقوة الملائكة عندهم اذ ليس لهم منازع فكانوا عقولا بلا منازع فلما أبصرت الملائكة عقول هؤلاء العبيد مع كثرة المنازعين لهم من الشهوات ورأوا حضرة البشر ملأى منها علموا انه لولا ما رزقهم الله من القوة الالهية على دفع حكم تلك الشهوات المردية فيهم ما أطاقوا وانهم بما ابتلاهم الله بما ابتلى به البشر من الشهوات ما أطاقوا دفعها فقصرت نفوسهم عندهم وما هم فيه من عبادة ربهم وعلموا ان القوة لله جميعا وان الله بهم عناية عظيمة السلطان وهذا كان المراد من الله التباهي مع هذه الحالة ولذلك وصف الحق نفسه بالدنوّ منهم ليستعينوا بقربه على دفع الشهوات المردية من حيث لا تشعر الملائكة ثم يقول الله للملائكة وهو أعلم ما أراد هؤلاء لينظروا الى سلطان عقولهم على شهواتهم وما هم فيه من الالتجاء والتضرع والابتهال بالدعاء ونسيان كل ما سوى الله في جنب الله

﴿حديث خامس في الحاج وفد الله﴾

خرّج النسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد الله ثلاثة الغازي والحاج والمعتمر أراد وفد طلبه في بيته لا غير فان الله معهم أينما كانوا فما وفد عليك من أنت معه ولكن لله تعالى في عباده نسب واضافات كما قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا فجعلهم وفود الرحمن لان الرحمن لا يتقى وكانوا حين كانوا متقين في حكم اسم الهي تجلى الحق فيه لهم فكانوا يتقونه فلما أراد أن يرزقهم الامان مما كانوا فيه من الاتقاء حشرهم الى الرحمن فلما وفدوا عليه أمّهم وكذا نسبتهم الى رب البيت لما تركوا الحق خليفة في الاهل والمال كما جاءت به السنة من دعاء المسافر فارقوا ذلك الحال واتخذوه اسما الهيا جعلوه صاحبا في سفرهم وجاءت به السنة والعين واحدة في هذا كله ولذلك وردأنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل فاذا قدموا على البيت وهو قد رأى الله بحضرته تحجب لهم عنده الاسم الالهي الذي صحبهم في السفر عن أمر الاسم الذي تخلف في الاهل وهو الاسم الحفيظ فتلقاهم رب البيت

وأبرزلهم جينه فقبلوه وطافوا ببيته الى ان فرغوا من حجهم وعمرتهم وفى كل منسك يتلقاهم اسم الحى ويتسلمهم من يد الاسم الالهى الذى يصحبهم من منسك الى منسك الى ان يرجعوا الى منازلهم فيحصلوا فى قبضة من خلفوه فى الاهل فهذا معنى وفد الله ان عقلت

﴿حديث سادس الحج للكعبة من خصائص هذه الامة أهل القرآن﴾

ذكر الترمذى عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ثم لم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا أو نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول فى كتابه العزيز ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال هذا حديث غريب وفى اسناده مقال واعلم انه لو كان أهل التوراة والانجيل مخاطبين بالحج الى هذا البيت لم يقل له فلا عليه ان يموت يهوديا أو نصرانيا أى ان الله ما دعاهم اليه أى انه من كان بهذه المثابة فليس من أهل القرآن الوكيل يملك التصرّف فى مال الموكل ولا يملك المال وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فأمره بالانفاق فيما حدّله ان ينفقه فيه ومما حدّله الانفاق فى الحج الوكيل الحق الموكل العبد الوكيل هنا اعلم بالمصالح من الموكل وقد ظهر له المصلحة فى الحج والمال بيد الوكيل وهو وكيل لا ينزع بده من المال فان أعطاه ما يحج به ولم يحج ثبت سفهه الموكل فحكم عليه الحاكم بالحجر فحجر عليه الاسلام وألحقه بالسفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون فان شاء حكم عليه بحكم اليهود أو بحكم النصارى الذين لم يخاطبوا بهذه المصلحة فلا نصيب له فى الاسلام لان الحج ركن من أركانه وقد استطاع ولم يفعل واذا فارق الاسلام فلا يبالى الى أية ملة يرجع

﴿حديث سابع فى فرض الحج﴾

خرّج مسلم عن أبى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذرونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فدعوه وقال النسائى من حديث ابن عباس لو قلت نعم لوجبت ثم اذن لا تسمعون ولا تطيعون ولكنها حجة واحدة لما ثبت ان المكلف أحدىّ فى ألوهته وانه قال والحكم الله واحد ثم أمر بالقصد اليه فى بيته موحدا القصد فجعلها حجة واحدة لمناسبة الاحدية تختم الاركان بمثل ما به بدأ وهو الاحدية فبدأ بلا اله الا الله وختم بالحج فجعله واحدة فى العمر فلا يتكرّر وجوبه بالايام كتكرّر وجوب الصلوات ولا بالسنين كتكرّر وجوب الزكاة بالحول ووجوب الصيام بدخول رمضان فى كل سنة والحج ليس كذلك فانفرد بالاحدية لان الآخر فى الالهيات عين الاول فيحكم له بحكمه وفى متن هذا الخبر حكم كثيرة يطول ذكرها لو شرعنا فيها والاحاديث كثيرة فى هذا الباب فلنأخذ من كل حديث بطرف على قدر ما يلقى الروح من أمره على قلبى بلمته أو ما شئت

﴿حديث ثامن فى الصرورة﴾

خرّج أبو داود عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صرورة فى الاسلام وفى الحديث الذى خرّجه الدارقطنى عنه أن النبىّ صلى الله عليه وسلم نهى ان يقال للمسلم صرورة وكلا الحديثين متكلم فيه الصرورة هو الذى لم يحج قط والمسلم من ثبت اسلامه وفى نية المسلم الحج ولا بدّ والانسان فى صلاة ما دام ينتظر الصلاة كما هو فى حج ما دام ينتظر الاسباب الموصلة الى الحج فلا يقال فيه انه صرورة فانه حاج ولا بدّ وان مات فله أجر من حج بانتظاره كالومات منتظر الصلاة لكتب مصليا فلا صرورة فى الاسلام

﴿حديث تاسع فى اذن المرأة زوجها فى الحج﴾

خرّج الدارقطنى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأة لها زوج ولها مال ولا يأذن لها فى الحج ليس لها ان تنطلق الا باذن زوجها وفى اسناد هذا الحديث رجل مجهول يقال انه محمد بن أبى يعقوب الكرمانى رواه

عن حسان بن ابراهيم الكرماني ان منعها زوجها فهو من الذين يصدون عن سبيل الله ان كان لها محرم تسافر معه عندنا في هذه المسئلة اذا كانت أفاقية وأما ان كانت من أهل مكة فلا تحتاج الى اذنه فانها في محل الحج كما لا تستأذنه في الصلاة ولا في صوم رمضان ولا في الاسلام ولا في أداء الزكاة لما كان الحج القصد الى البيت على طريق الوجوب لمن لم يحج كذلك قصد النفس الى معرفة الله ليس لها من ذاتها النظر في ذلك فانها مجبولة في أصل خلقها على دفع المضار المحسوسة والنفسية وجلب المنافع كذلك وهي لا تعرف ان النظر في معرفة الله مما يقربها من الله أم لا وهي به في الحال متضررة لما يطرأ عليها في شغلها بذلك من ترك الملاذ النفسية فلا بد من يحكم عليها في ذلك و يأذن لها في النظر بمنزلة اذن الزوج للمرأة فمنا من قال يأذن لها العقل فاذا أذن لها في النظر في الله بما تعطيه الادلة العقلية فان العلم بالشئ كان ما كان أحسن من الجهل به عند كل عاقل فان النفس تشرف بالعلم بالاشياء على غيرها من النفوس ولا سيما وهي تشاهد النفوس الجاهلة بالعلوم الصناعية وغير الصناعية تفتقر الى النفوس العالمة فيتبين لها مرتبة شرف العلم هذا اذا لم يعلم ان الخوض في ذلك مما يقرب من الله و ينال به الحظوة عند الله ومنا من قال الزوج في هذه المسئلة انما هو الشرع فان أذن لها في الخوض في ذلك اشتغلت به حتى تناله فتعرف منه توحيدنا قهها وما يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز أن يفعله فيعلم بالنظر في ذلك ان بعثة الرسل من جانب الله الى عباده ليبينوا لهم ما فيه نجاتهم وسعادتهم اذا استعملوه واجتنبوه فيكون وجوب النظر في ذلك شرعا من حيث انه أوجب عليهم النظر لثبوته في نفسه وهي مسئلة خلاف بين المتكلمين هل تجب معرفة الله على الناس بالعقل أو بالشرع وعلى كل حال فزوج النفس هنا اما الشرع في مذهب الاشعري واما العقل في مذهب المعتزلي ليس لها من نفسها في هذا التصرف الخاص حكم ولا نظر بطريق الوجوب الا ان كان لها بذلك التلذذ اذ لها ب رياسة من حيث انها ترى النفوس تفتقر اليها فيما تعلمه وجهلته نفوس الغير فتكون عند ذلك بمنزلة المرأة وان كان لها زوج اذا كانت بمكان الحج في زمان الحج عندنا ولا سيما ان كان صاحبها أيضا من يحج فأكد في الامر

﴿حديث عاشر سفر المرأة مع العبد ضيعة﴾

ذكر البزار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سفر المرأة مع عبدها ضيعة في اسناده مقال سفر النفس في معرفة الله مع الايمان بالشرع غاية المحمدة والسعادة ويكون في تلك الحالة العقل من جملة عبيدها لانها الحاكمة عليه بأن يقبل من الشارع في معرفة الله كل ما جاء به فان سافرت مع عقلها في معرفة ما أتى به هذا الشارع من العلم بصفات الحق مما يحيله دليله وانفردت معه دون الايمان فانها تضيع عن طريق الرشد والنجاة فان كان السفر الاول قبل ثبوت الشرع فليكن العبد هناك الهوى لا العقل والنفس اذا سافرت في صحبة هواها أضلها عن طريق الرشد والنجاة وما فيه سعادتها قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى يعني ان تسافر معه فانه على الحقيقة عبدها لانه من جملة أوصافها التي ليس له عين الا بوجودها فهي المالكة له فاذا اتبعته صار مالكا لها وهو لا عقل له ولا ايمان فيرمي بها في المهالك فتضيع فاعتبر الشارع ذلك في السفر المحسوس في المرأة مع عبدها وجعله تنبيها لما ذكرناه

﴿حديث أحد عشر في تلبيد الشعر بالعسل في الاحرام﴾

خرّج أبو داود عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لبد رأسه بالعسل لما كان الشعر من الشعور والتلبيد أن يلصق بعضه ببعض حتى يصير كاللبد قطعة واحدة وهو أن يرد الانسان ما تمدّ عنده من الصفات والمناسبة الالهية شرعا والاسماء الحسنى وعقلا كالمعاني الثابتة بالادلة النظرية برد ذلك الى عين واحدة كما قال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وقال والهكم اله واحد ثم انه لبده بالعسل دون غيره من خطمي وغيره مما يكون به التلبيد وذلك ان العسل لما أنتجه صنف من الحيوان ممن له نصيب في الوحي صحت المناسبة بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ممن يوحى اليه والنحل ممن يوحى اليه فالعسل من النحل بمنزلة العلوم التي جاء بها النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم من قرآن وأخبار قال تعالى وأوحى ربك الى النحل فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرفنا في ردّنا ما تعدّد من الاحكام لعين واحدة لا يكون عن نظر عقلي وانما يكون عن وهب الهي وكشف رباني الذي لا تقدح فيه شبهة فهذا أعني تلبيد الرأس بالعسل دون غيره من الملبدات

﴿حديث ثاني عشر المحرم لا يطوف بعد طواف القدوم الا طواف الافاضة﴾

خرّج البخاري عن ابن عباس قال انطلق النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة يعني في حجة الوداع الحديث وفيه ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة يعني طواف القدوم أصل اعمال العبادات مبنية على التوقيف ينبغي ان لا يزاد فيها ولا ينقص منها والمحرم بالحج كالمحرم بالصلاة فلا ينبغي ان يفعل فيها الا ما شرع ان يفعل فيها ومن الافعال في العبادات ما هو مباح له فعله أو تركه ومنها ما يكون من الفعل فيها مرغبا ومنها أفعال تقدح في كمالها ومنها أفعال تبطلها ولو كانت عبادة لكن تعين عليه كلام وهو في الصلاة فان تكلم بذلك بطلت الصلاة وفعل فعلا يجب عليه مما يبطل الصلاة فعله ولا خلاف بين العلماء في أنه ان طاف لا يؤثر في حجه فسادا ولا بطلانا الحقائق لا تتبدل فالتطوع لا يكون وجوبا والتطوع ما يكون المكلف فيه مخيرا ان شاء فعله وان شاء تركه فله الفعل والترك فمن رأى الترك لم يؤثر في حكم التطوع تحريما ولا كراهة ومن رأى الفعل لم يؤثر في حكمه وجوبا وهذا سار في جميع أحكام الشرائع الخمسة فنسبة التطوع للعبد نسبة أفعال الله الى الله لا يجب عليه فعلها ولا تركها ولهذا جعل المشيئة في ذلك فأكمل ما يكون العبد في اتصافه بصفة الحق في تصرفه في المباح فان الربوبية ظاهرة فيه والاباحة مقام النفس وعينها وخاطرها من الاحكام الخمسة الشرعية لانها على الصورة أوجدها الله فلا بد أن يكون حكمها هذا واما شبه الايجاب فلا يكون ذلك الا في النذر لا غيره فان الحق أوجب على نفسه أمورا ذكرها الله في كتابه وصاحب النذر أوجب على نفسه ما لم يوجب الله عليه ابتداء فما أوجب الله على العبد الوفاء بنذره الا بالنسبة التي أوجب على نفسه فتقوى الشبه في وجوب النذر كما نقوى في التطوع واما التحريم ففيه من الشبه تحجير المماثلة فقال ليس كمثله شيء فحجر على الكون ان يماثله أو يماثل مثله المفروض فكان عين التحجير عليه ان يتجلى في صورة تقبل التشبيه فان كان نفس الامر يقتضي نفي التشبيه فقد شاركنا في ذلك فانه لا يقبل التشبيه بنا ولا نقبل التشبيه به وان لم يكن في نفس الامر كذا وانما اختار ذلك أي قام في هذا المقام لعبيده فقد حكم على نفسه بالتحجير فما له ان يقوم في خلافه كما حجر علينا فعلى الحالتين قد حصل نوع من الشبه واما الوجوب فصورة الشبه انه على ما يجب له ونحن على ما يجب لنا قال لابي يزيد تقرّب الي بما ليس لي الذلة والافتقار فله الغنى والعزة من حيث ذاته واجبة ولنا الذلة والافتقار من حيث ذاتنا واجب هذا هو الوجوب الذاتي واما الوجوب بالموجب فانه أوجب علينا ابتداء أمورا لم نوجبها على أنفسنا فيكون قد أوجب علينا بايجابنا اياها على أنفسنا كالنذر فأوجب على نفسه ان يخلق الخلق ابتداء أوجبه عليه طلب كمال العلم به وكمال الوجود فهما الذي طلبا منه خلق الخلق لما كان له الكمال وما رأى لكماله محكما لم يكن لكماله تعلق فطلب فأوجب بطلبه عليه ان يوجد له صورة يرى نفسه فيها لان الشيء لا يرى نفسه في نفسه عند المحققين وانما يرى نفسه في غيره بنفسه ولذلك أوجد الله المرآة والاجسام الصقيلة لنرى فيها صورنا فكل أمر ترى فيه صورتك فذلك مرآتك قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة أخيه فخلق الخلق فكمل الوجود به وكمل العلم به فما بين كمال الحق نفسه في كمال الوجود فهذا واجب بموجب فوقع الشبه بالوجوب بالموجب كما وقع فيما وقع من الاحكام وحكم الندب والكراهة يلحقان بالمباح وان كان بينهما درجة فالمندوب هو ما يتعلق بفاعله الحمد ولا يذم بترك ذلك الفعل وشبهه في الجناب الالهي ما يعطيه من النعم لعباده زائدا على ما ندعو اليه الحاجة فيحمد على ذلك وان لم يفعله فلا يتعلق به ذم لان الحاجة لا تطلبه اذ قد استوفت حقها فهذا شبه المندوب واما شبه المكروه فالله يقول عن نفسه انه يكره فانه قال وأكره مساءته وقال ولا يرضى لعباده الكفر والكراهة المشروعة هي ما يحمد تاركها ولا يذم فاعلها فتشبه الندب ولكن في النقيض فاذا كان للعبد غرض فيما عليه فيه ضرر وهو أكثر ما في الناس فيسأل نيل ذلك الغرض من الله فان فعله الله فيكره

العبد ذلك الترك من الله و يقول لعل الله جعل لى فى ذلك خيرا من حيث لا أشعر وهو قوله وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وهو ما لا يوافق الغرض وهو خير لكم فان فعله لا يذمه عليه فانه يعتذر من نفسه و يقول أنا طلبته فهذا عين الشبه بين العبد والرب من جهة المكروه وانحصرت أقسام أحكام الشرع يعنى فى الحضرة الالهية وفى العبد ولهذا يقول الصوفية ان العالم خرج على صورة الحق فى جميع أحكامه الوجودية فعم التكليف الحضرتين وتوجه على الصورتين فان قلت فأين الشبه فى الجهل ببعض الاشياء وما هناك جهل قلنا قد قلنا فى ذلك

ان قلت انى لست غيراله ❊ وهو أنا فانه يجهل

لاننى أجهل من هو أنا ❊ وهو أنا فالذى نفعل

فمن يقول انه الظاهر فى المظاهر والمظاهر على ما هى عليه والظاهر فيها هو الموصوف بالعلم بأمور و بالجهل بأمور أعطاه ذلك استعداد المظهر لما انصبغ به فصح الشبه على هذا بل هو هو قال الجنيد فى هذا لون الماء لون انائه انتهى الجزء الحادى والسبعون

●(بسم الله الرحمن الرحيم)●

﴿حديث ثالث عشر بقاء الطيب على المحرم بعد احرامه﴾

خرج مسلم عن عائشة قالت كأنى أنظر الى و بيص الطيب فى مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم زاد النسائى بعد ثلاث وهو محرم يعنى بعد ثلاث ليال من احرامه الله تعالى تسمى بالطيب وجعل سبحانه فى أمور ومواطن ان يتقرب اليه بصفاته التى تسمى بها وان من صفاته الكرم وجعله فينا من صفات القرب اليه وهكذا سائر ما وصف الحق به نفسه فبقاء الطيب على المحرم من بقاء صفة الحق عليه اذ كان جعلها وتخلق بها فى وقت يجوز له التخلق بها فان صفات الحق لا يتخلق بها على الاطلاق بل عين لها أحوالا ومواطن فافهم ذلك

﴿حديث رابع عشر فى المحرم يدهن بالزيت غير المطيب﴾

خرج الترمذى عن فرقد السبخى عن سعيد بن جبير عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدهن بالزيت وهو محرم غير المقتت قال أبو عيسى المقتت المطيب وفى اسناده مقال من أجل فرقد الزيت مادة الانوار والمحرم أولى به من كل متلبس بعبادة لكثرة المناسك فى الحج فان لم يكن نوره قويا ممدودا بالنور الالهى الذى أودع الله فى الزيت وأمثاله من الادهان لبقاء النور والا يفوته كثير من ادراك معانى المناسك فنبه بالادهان بالزيت على الامداد الالهى للنور قال تعالى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور فجعله نورا يهدى الله لنوره من يشاء والهداية لا تكون الا بدليل ولا دليل هنا الا الزيت ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فكل ما أبقى عليك وجود النور فذلك النور مجعول له ومراعاة الاصول من التمكن فى العلم والحكمة

﴿حديث خامس عشر فى اختضاب المرأة بالحناء ليلة احرامها﴾

ذكر الدارقطنى عن ابن عمر أنه كان يقول من السنة أن تدلك المرأة بشئ من الحناء عشية الاحرام وتغلف رأسها بغسلة ليس فيها طيب ولا تحرم عطلا العطل الخالية من الزينة فى الصحيح ان الله جميل يحب الجمال والحق أولى من تجمل له خذوا زينتكم عند كل مسجد أراد هنا أن يلحقها بليلة القدر بين الليالى فان سائر الليالى عطل من زينة ليلة القدر كذلك المرأة اذا أحرمت بغير زينة ولما كانت مأمورة بالستر وفى الاحرام مأمورة بالكشف أراد أن يبقى لها ضربا من حكم الستر فى زمان احرامها فاختضبت بالحناء فسترت بياضها حمرة الحناء فكانت زينة وسترا فأباح للمرأة فى هذا الحديث التزين بزينة الله وزينة الله أسماؤه والمرأة فى الاعتبار نفس الانسان فمن تخلق باسماء الله وصفاته فقد تحلى بزينة الله التى أخرج لعباده فى كتابه وعلى ألسنة رسله ولا سيما فى الاشهر الحرم ولا سيما شهر ذى الحجة وأعنى بالاشهر الحرم التى للحاج أن يحرم فيها والاحرام كله شهرة فانه لا ستر فيه وسبب ازالة الستر فيه والتجرد اعاهو

لكونه جعل محرما فمنع من أمور كثيرة كان يفعلها في زمان حله فيره بازالة الستر الذي يقتضي التحجير حتى لا يجمع عليه تحجيرين الستر والاحرام

﴿حديث سادس عشر احرام المرأة في وجهها﴾

ذكر الدارقطني عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على المرأة احرام الا في وجهها رجوع الى الاصل فان الاصل أن لا حجاب ولا ستر والاصل ثبوت العين لا وجودها ولم تزل بهذا النعت موصوفة وبقبولها سماع الخطاب اذا خوطبت منعوتة فهي مستعدة لقبول نعت الوجود مسارعة لمشاهدة المعبود فلما قال لها في حال عدمها كن كانت فبانت بنفسها وما بانت فوجدت غير محجور عليها في صورة موجدها ذليلة في عز مشهدها لا تدري ما الحجاب ولا تعرفه فلما بانت المراتب للاعيان وأثرت الطبيعة الشح في الحيوان ووفره في حقيقة نفس الانسان لما ركبه الله عليه في نشأته من وفور العقل وتحكيم القوى الروحانية والحسية منه انجرت الغيرة المصاحبة للشح الطبيعي فكان أكثر الحيوان غيرة لان سلطان الشح والوهم فيه أقوى مما في سواه والعقل ليس بينه وبين الغيرة مناسبة في الحقيقة ولهذا خلقه الله في الانسان لدفع سلطان الشهوة والهوى الموجبين لحكم الغيرة فيه فان الغيرة من مشاهدة الغير المماثل المزاحم له فيما يروم تحصيله أو هو حاصل له من الامور التي اذا ظفر بها واحد لم تكن عند غيره وقد جبله الله على الحرص والطمع أن يكون كل شئ له وتحت حكمه لاظهار حكم سلطان الصورة التي خلق عليها فان من حقيقتها أن يكون كل شئ تحت سلطانها حتى ان بعض الناس أرسل حكم غيرته فيما لا ينبغي أن يرسلها فغار على الله وما خلق وما كلف الا أن يغار لله لا على الله فهذا أبلغ من العبد سلطان استحكامها في الانسان فألحقته بالجاهلين والعقل الكامل يعلم أنه خلق لربه لا لغيره وعلم بذاته أن من خلقه لا يمكن أن يزاحمه في أمر ولا يعارضه في حكم فيقول هو هو على ما هو عليه في نفسه فليس كمثله شئ وأنا أنا على ما أنا عليه في نفسي ولي أمثال من جنسي فليس له فيما أنا عليه قدم الا التحكم وليس لي فيما هو عليه الا قبول الحكم فلا مزاحمة ولا غيرة فالانسان بما هو عاقل ان كان تحت سلطان عقله فلا يغار لانه ما خلق الا لله والله لا يغار عليه فاذا غار العاقل فانما يغار من حيث ايمانه فهو يغار لله ولها مواطن مخصوص شرعه له لا تتعداه فكل غيرة تتعدى ذلك الحد فهي خارجة عن حكم العقل منبعثة عن شح الطبيعة وحكم الهوى حتى ان بعض الناس يرى أمورا قد أباحها الشرع فيجد في نفسه ان لو كان له الحكم فيها لحجرها وحرمها فيرجع نظره في مثل هذا على ما أباح الله فعله ويرى انه في رأيه أرجح من الله ميزانا ومن رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الذي خطر له وربما يتغاظ حتى يقول أي شئ أصنع هذا شئ قد أباحه الله فلتصبر على ذلك فيصبر على كره وحنق في نفسه على ربه فهو في هذه على دخن وهذا أعظم ما يكون من سوء الادب مع الله وهو عن أضله الله على علم وقد ظهر مثل هذا في الزمان الاول في آحاد الناس وأما اليوم فهو فاش في الناس كلهم فنحن نعلم ان الشارع هو الله وأن الرسول شخص مبلغ عن الله حكمه فيما أراه الله لا ينطق عن هوى نفسه ان هو الا وحي يوحى والله يقول عن نفسه وما كان ربك نسيا ودل عليه دليل العقل والله أشد غيرة من عباده وما قرر من الشرائع الا ما تقع به المصلحة في العالم فلا يزاد فيها ولا ينقص منها ومهما زاد فيها أو نقص منها ولم يعمل بما قرره فقد اختل نظام المصلحة المقصودة لله فيما نزله من الشرائع وقرره من الاحكام فأباح الله لامائه اتيان المساجد فرأى بعض الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم لو رأى ما أحدث النساء بعده لمنع النساء المساجد كما منعت نساء بني اسرائيل فرأوا ان الله لم يعلم ان مثل هذا يقع من عباده اذ كان هو المشرع سبحانه لا غيره فرجعوا نظرهم على حكم الله حتى ان بعضهم كان يغار على امرأته أن تخرج الى المسجد وكان قويا في استعمال ايمانه وكانت المرأة تحب اتيان المسجد للصلاة وكانت ذات جمال فائق ذ يمنعه الخبر الوارد في تحريم منع النساء من اتيان المساجد فيجد في ذلك شدة فلو قدرت أن يرد الله الحكم لهذا الشخص في هذه المسئلة لرجع نظره على حكم الله ومنع النساء المساجد والجائز كالواقع فما زال يحتال عليها حتى امتنعت من نفسها من اتيان المسجد فسر بذلك فلو استحكم في هذا الرجل سلطان العقل ما غار ولو استحكم فيه سلطان الايمان ما وجد حرجا في قلبه فصبر عليه مما حكم الله به في ذلك قال

تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وانما ضرب بنا المثل في هذا المساق بتعيين هذا الخبر في النساء لانا في مسئلة المرأة انها لا تستر وجهها في الاحرام والغيرة يعطى حكمها الستر وقد ثبت في الصحيح انه لا أغير من الله يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في سعد ان سعدا الغيور وأنا أغير من سعد والله أغير مني ومن غيرته حرّم الفواحش وما زاد على غيرة الله فهو في نفسه وعند نفسه أغير من الله وان ذلك الامر الذي هو عند الله ليس بفاحشة اذ لو كان عند الله فاحشة لحرّمها فان الله حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فم الحكم فهذا الشخص قد جعل فاحشة ما ليس عند الله فاحشة وأكذب الله فيما قال وجعل بغيرته التي يجدها انه أحكم من الله في نصب هذا الحكم فلا يزال من هو بهذه المثابة معذبا في نفسه فما أحسن قوله ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فلو عرض الانسان نفسه وأدخلها في هذا الميزان لرأى نفسه كافرة بعيدة من الايمان فان الله نفى الايمان عمن هذه صفته وأقسم بنفسه عليه انه ليس بمؤمن فهو حكم الهي بقسم تأكيد له فقال فلا وربك لا يؤمنون فلو كان الستر لها أصلا لما قيل لها في الاحرام لا تستري وجهك ألا ترى آية الحجاب ما نزلت ابتداء وانما نزلت باستدعاء بعض المخلوقين هي وغيرها وكثير من أحكام الشرع نزلت بأسباب كونية لولا تلك الاسباب ما أنزل الله فيها ما أنزل ولذلك يفرّق أهل الله بين الحكم الالهي ابتداء وبين الحكم الالهي اذا كان مطلوبا بالبعض عباد الله فيكون ذلك الطلب سببا لنزول ذلك الحكم فكان الحق مكلفا في تنزيله اذ لولا هذا ما أنزله بخلاف ما أنزله ابتداء فالحق يأخذ الحكم الالهي المنزل ابتداء بغير الوجه الذي يأخذ به الحكم الالهي الذي لم ينزل ابتداء فلا يغرّنك أيها السائل كون الحق أنزل الاشياء بحكم سؤالات السائلين فبادر الى قبول حكمه أيّ نوع كان منشرح الصدر طيب النفس ان أردت أن تكون مؤمنا وأمّا العاقل الوافر العقل فمستريح مع الله والحكم الالهي مستريح معه لقد كان صلى الله عليه وسلم يقول اتركوني ما تركتكم حتى قال في وجوب الحج كل عام لو قلت نعم لوجبت ولكنها حجة واحدة فكره المسائل وعابها فالله يفهمنا واياك مقاصد الشرع فلا يحجبنا ما ظهر منها عما بطن وعبادة الحج شبيهة بالناس في أحوالهم يوم القيامة شعثا غبرا متضرّعين مهطعين الى الداعي تاركين للزينة يرمون بالاحجار شغل المجانين لانهم في عبادة لو علموا ما فيها لذهلت عقولهم فكانوا كالمجانين يرمون بالحجارة فجعل الله تنبيها لهم في رمي الجمار أن المشهد عظيم يذهب بالعقول عن أماكنها وما ثم عبادة هي تعبد محض في أكثر أفعالها الا الحج وكذلك النساء في الدار الآخرة في القيامة مكشفات الوجوه كما هنّ في حال الاحرام ولولا تعلق الاغراض النفسية في انزال الحجاب ما نزلت آية الحجاب فان الله ما أخرها لهذا السبب هي وغيرها من الاحكام الموقوفة على مثل هذا الا ذخيرة لحساب هذا الشخص الذي كان سببا في تكليف الناس بها فيتمنى يوم القيامة انه لا يكون سببا في ذلك لما يشتدّ عليه والناس عن هذا غافلو ن وكذلك أهل الاجتهاد يوم القيامة وهم رجلان الواحد يغلب الحرمة والثاني يغلب رفع الحرج عن هذه الامة استمساكا بالآية ورجوعا الى الاصل فهو عند الله أقرب الى الله وأعظم منزلة من الذي يغلب الحرمة اذ الحرمة أمر عارض عرض للاصل ورافع الحرج مع الاصل واليه يعود حال الناس في الجنان يتبوّؤن من الجنة حيث يشاؤن وما أغفل أهل الاهواء وان كانوا مؤمنين عن هذه المسئلة وسيندمون والله يقول الحق وهو يهدي السبيل الوجود دار واحدة ورب الدار واحد والخلق عيال الله يعمهم هذه الدار فأين الحجاب أغير الله يرى أيتحجب الشئ عن حقيقته بجزء الكل من عينه خلقت حواء من آدم النساء شقائق الرجال هذه أدوية من استعملها في مرض الغيرة أزالت مرضه ولم تبق فيه الا غيرة الايمان فانها غيرة لا تزول في الحياة الدنيا في الموضع الذي حكمها فيه منافذ فاياك يا أخي وهوس الطبيعة فان العبد فيه ممكور به من حيث لا يشعر وما أسرع الفضيحة اليه عند الله قال صلى الله عليه وسلم ما كان الله لينهاكم عن الربا ويأخذه منكم فمن غار الغيرة الايمانية في زعمه فحكمه أن لا يظهر منه ولا يقوم به ذلك الامر الذي غار عليه حين رآه في غيره فان قام به فما تلك غيرة الايمان بل تلك غيرة الطبيعة وشحها ما وقاه الله منه

فليس بمفلح فى غيرته وما أكثر وقوع هذا وكم قاسيناه فى هذا الباب من المحجوبين حين غلبت أهواؤهم على عقولهم فما أخذ بحجزهم عن النار وهم يتقحمون فيها

مرسل الغيرة فى موطنها ۞ هو فرد أحدىّ مصطفى
والذى يرسلها مطلقة ۞ فهو دار رسمه منه عفا
مرض الغيرة داء مزمن ۞ والذى قد شرع الله شفا
فمن استعمله بل ومن ۞ حاد عنه لم يزل منحرفا
فأقل الامر فيه أن يرى ۞ وهو موصوف به معترفا

دعا بعض أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم النبىّ صلى الله عليه وسلم الى طعام فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم انا وهذه وأشار الى عائشة فقال الرجل لا فأبى أن يجيب دعوته صلى الله عليه وسلم الى أن أنعم له فيها أن تأتى معه فأقبلا يتدافعان الى منزل ذلك الرجل النبىّ صلى الله عليه وسلم وعائشة والله تعالى يقول لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة أين ايمانك لو رأيت اليوم صاحب منصب من قاض أو خطيب أو وزير أو سلطان يفعل مثل هذا أتاسياهل كنت تنسبه الا الى سفساف الاخلاق ولو لم تكن هذه الصفة من مكارم الاخلاق ما فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث ليتمم مكارم الاخلاق رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب يوم الجمعة على المنبر الحسن والحسين وقد أقبلا يعثران فى أذيالهما فلم يتمالك أن نزل من المنبر وأخذهما وجاء بهما حتى صعد المنبر وعاد الى خطبته أترى ذلك من نقص حاله لا والله بل من كمال معرفته فانه رأى بأىّ عين نظر ولمن نظر مما غاب عنه العمى الذين لا يبصرون وهم الذين يقولون فى مثل هذه الافعال أما كان له شغل بالله عن مثل هذا وهو صلى الله عليه وسلم والله ما اشتغل الا بالله كما قالت من لم تعرف فيا ليتها ما سكتت حين سمعت القارئ يقرأ ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون مساكين أهل الجنة فى شغل هم وأزواجهم يا مسكينة ذكر الشغل تعالى عن هؤلاء وما عرّفك بمن ولا بمن تفكهوا هم وأزواجهم فبماذا حكمت عليهم انهم شغلوا عن الله لو اشتغلت هذه القائلة بالله ما قالت هذه المقالة لانها لا تنسب اليهم شغلهم بغير الله حتى تتصوّر فى نفسها هذه الحالة التى تخيلتها فيهم واذا تصوّرتها لم يكن مشهودها فى ذلك الوقت الا تلك الصورة فهى المسكينة لما تحققنا من كلامها ان وقتها ذلك كان شغلا عن الله وأصحاب الجنة فى باب الامكان وهى قد شهدت على نفسها بوجود تحقيق أنها مع غير الله فى شغل وهذا من مكر الله الخفىّ بالعارفين فى تجريح الغير ببادئ الرأى والتعريض فى حق نفوسهم انهم منزهون عن ذلك هكذا صاحب الغيرة المطلقة لا يزال فى عذا بها مقيما متعوب الخاطر وهو عند الله فى عين البعد من حيث لا يشعر

﴿حديث سابع عشر فى بقاء الطيب على المحرمة﴾

ذكر أبو داود من حديث عمر بن سويد قال حدّثتنى عائشة بنت طلحة ان عائشة أم المؤمنين حدّثتها قالت كنا نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فنضمد جباهنا بالسك المطيب عند الاحرام فاذا عرقت احدانا سال على وجهها فيراه النبىّ صلى الله عليه وسلم فلا ينهانا انسمى الله بالطيب وحبب الى نبيه صلى الله عليه وسلم الطيب وانما منع المحرم من احداثه فى أثناء أفعال الحج الى وقت طواف الافاضة فانه يستعمله للاحلال قبل أن يحل كما استعمله للاحرام قبل أن يحرم فأشبه النية فى العمل لان الاحرام عمل مشروع والاحلال منه عمل مشروع فصار فى منزلة من لا يقبل العمل الا به فهى مرتبة عظمى وهو أقوى من النية فى الصحبة للمكلف فان المكلف يذهل عن النية فى أثناء الفعل فيقدح ذلك فى صورة الفعل لا فى ذات الفعل فيخرج الفعل عما يكمله حضور النية والطيب لذاته يبقى لا كلفة فيه فلا أجر له من جهته ما دام موجودا فيه فهو أقوى سلطانا من النية ولا يستعمل الطيب الا لرائحته فهو من مدارك الانفاس الرحمانية فيدفع الكربات ويرفع الهموم ويزيل الضيق والحرج ويؤدّى الى السعة والسراح والجولان فى المعارف الالهية لان الله طيب لا يقبل الا طيبا فالطيب محبوب لذاته فأشبه الكمال وهو فى المرأة سبب موجب للنظر اليها وما منعها الشارع من

ذلك فى حال احرامها مع كشف وجهها وهـذا نقيض الغيرة التى فى العامة التى ماخوطبنا بهـا فعليك بالغـيرة الايمانية الشرعيـة لاترد عليها فتشق فى الدنيا والآخرة امافى الدنيـا فلا تزال متعوب النفس واما فى الآخرة بما يؤدى الى سؤال الحق عن ذلك بما ينجرّ معها من سوء الظنّ ومن الاعتراض بالحال على الله وحصول الكراهة فى النفس عما أباحه الله

﴿حديث ثامن عشر فى المسارعة الى البيان عند الحاجة واحتزام المحرم﴾

ذكر أبو داود عن صالح بن حسان ان النبىّ صلى الله عليه وسلم رأى رجلا محرما محتزما بحبل أبرق فقال ياصاحب الحبل ألقه فيحتجون بمثل هذا الحديث ان المحرم لايحتزم والنبىّ صـلى الله عليه وسلم ماقال فيه ألقه لانك محرم فما علل للالقاء بشئ فيحتمل أن يكون لكونه محرما و يحتمل أن يكون لامر آخر وهو أن يكون ذلك الحبل اما مغصوبا عنـده واما للتشبه بالزنار الذى يجعل علامة للنصارى اعلم ان الاحتزام مأخوذ من الحزم وهو الاحتياط فى الاخـذ بالامور التى يكون فى الاخـذ بها حصول السعادة للانسان ومرضاة الرب اذا كان الحزم على الوجه المشروع فى الوجه المشروع والحبل اذا كان حبـل الله وهو السبب الموصـل الى ادراك السعادة فان كان ذلك المحتزم احتزم بحبل الله معلما بأخذ الشـدائد والامور المهمة وقال له ألقه فانما ذلك مثل قوله من يشادّ هذا الدين يغلبه وقوله ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق وكان كثيرا ما يأمر صـلى الله عليه وسـلم بالرفق وقال ان الله يحب الرفق فى الامر كله والحزم ضدّ الرفق فان الحزم سوء الظن وقد نهينا عن سوء الظنّ والامر أيسر مما يتخيله الحازم وهو يناقض المعرفة فانه لايؤثر فى القدر الكائن والامر الشديد على الواحد اذا انقسم على الجماعة هان قال بعضهم

اذا الحمل الثقيل تقسمته ٭ رقاب الخلق خف على الرقاب

ألاترى الله تعالى يقول واعتصموا بحبـل الله جميعا وقال فى الواحـد ومن يعتصم بالله وقال تعاونوا على البرّ والتقوى فيعتصم به الواحد والجماعة ولما ذكر الحبل أمر الجماعة بالاعتصام به حتى يهون عليهم ثم انه مع كونهـم جماعة قد يشق عليهم لشـدته وقد تضعف الجماعة عنه فأعانهم بنفسه وماذكر من نفسه الا ما يعلم انه الموصوف بالقدرة منـه فقال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم يد الله مع الجماعة فيستعينون به ويعينهم يكون يد الله معهم على الاعتصام بحبل الله وهو عهـده ودينه المشروع فينا الذى لايتمكن لكل واحـد منا على الانفراد الوفاء به فيحصل بالمجموع لاختلاف أحوال المخاطبين ولايكون الاهكذا فلهذا اعتبره صلى الله عليه وسلم تنبيها له فقال له ألقه هذا اعتباره الذى يحتاج اليه ولاسيما المحرم فانه محجور عليه فزاد بالحبل احتجارا على احتجار فكأنه قال له يكفيك ما أنت عليه من الاحتجار فلا تزد فما كان أرفقه بأمته صـلى الله عليه وسـلم وانما رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهميان للمحرم لان نفقته فيه الذى أمره الله ان يتزود بها اذا أراد الحج فقال وتزودوا فان خـير الزاد التقوى فالتقوى ههنا مايتخذه الحاج من الزاد ليقى به وجهه من السؤال و يتفرغ لعبادة ربّه وليس هـذا هو التقوى المعروف ولهـذا ألحقه بقوله عقيب ذلك واتقون يا أولى الالباب فأوصاه أيضا مع تقوى الزاد بالتقوى فيـه وهو أن لايكون الامن وجـه طيب ولما كان الهميان محـلا له وظرفا ووعاء وهو مأمور به فى الاستصحاب رخص له فى الاحتزام به فانه من الحزم ان تكون نفقة الرجـل صحبته فان ذلك أبعد من الآفات التى يمكن ان تطرأ عليـه فتتلفه ذكر أبو أحمد بن عدى الجرجانىّ من حديث ابن عباس قال رخص رسول الله صـلى الله عليه وسلم فى الهميان للمحرم وان كان هذا الحديث لايصح عند أهل الحديث وهو صحيح عند أهل الكشف

﴿حديث تاسع عشر فى الاحرام من المسجد الاقصى﴾

خرّج أبو داود من حديث أم سلمة انها سمعت رسول الله صـلى الله عليه وسلم يقول من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ووجبت له الجنة فى اسناده مقال (المناسبة) المسجد يناقض الرفعة فهو بعيد منها وهو سبب فى حصولها قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله والاقصى البعيد والحرام المحجور فهو بعيد فى قرب ان هو فيه فالاقصى بالنسبة الى المسجد هو بعيد عما خوطب به من هو فى المسجد الحرام

وهم أهل مكة وماهو أقصى من أهله بل هو الاقرب وهو أيضا أقصى من الاولية لان البيت الذى هو الكعبة قد حاز الاولية و بين الاقصى و بينه أربعون سنة وهو حد زمان التيه لقوم موسى عن دخول المسجد الاقصى لما كان فى عين القرب وهو مرتبة الاولية التى للمسجد الحرام فأبوا نصرة نبيه موسى وقالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فقال لهم انى تارككم تائهين فى هذه القعدة أربعين سنة لاتستطيعون دخول بيت المقدس كما لم يكن ظهوره للعبادة بعد المسجد الحرام الا بعد أربعين سنة ومابقى معهم موسى عليه السلام فى التيه الا لكونه رسولا اليهم فبقوا حيارى لاهم فى عين القرب من الاولية ولاحصل لهم غرضهم فى دخول بيت المقدس وما أخذهم الله الا بظاهر قولهم انا ههنا قاعدون فاحذر أن تكون من قوم موسى الذين صفتهم هذا بل كن من قوم موسى الذين هم أمة يقضون بالحق وبه يعدلون كذلك مقام النبوة من مقام الولادة بينهما من التوقيت الزمانى أربعون سنة فما بعث نبى الا من أربعين سنة فانه غاية استحكام العقل وقوة سلطانه وابتداء ضعف الطبيعة ثم يمشى بحكمه فيما بقى من عمره فى وفور من عقله ونقص من طبيعته فمن أحرم من المقام الابعد يطلب المقام الاقرب وكلاهما معبد كان المحرم برزخا بينهما وكان المعبدان طرفيه فما لم يصل اليه هو ما تأخر من ذنبه وما تقدم عنه هو ما تقدم من ذنبه فيغفر له ما بين المسجدين والغفر الستر فوجبت له الجنة لانها ستر عن النار لمن دخل فيها وذاته ستر على نار شهوانه فباطن الجنة نار محرقة لان الشهوة من الانسان متحكمة فيها وهى نار طبيعته بلاشك فما زال العبد السعيد مكتنفا بالستر فى التقدم أن لاتصيبه عقوبة الذنب وفى التأخر اكتنف بستر الحفظ والعصمة أن لايصيبه الذنب فهو ممن وجبت له الجنة اذا كان هذا حكمه فهو مستور فى كنف الله فهو فى الجنة وان كان فى الدنيا

﴿حديث عشرون فى التنعيم انه ميقات أهل مكة﴾

من مراسل أبى داود عن ابن عباس قال وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل مكة التنعيم كيف لايكون ميقاتهم التنعيم وهم جيران الله وأهل بيته وهم أقرب الخلق الى أولية المعابد فيتجلى لهم الحق فى اسمه الاول ولايحصل هذا التجلى الا لاهل الحرم وفيه يتفاضلون بحكم الاهلية فانهم بين عصبة وأصحاب سهام ولايحصل هذا التجلى لغيرهم ممن جاور غيره من البيوت المضافة الى الله وكل من كان فيه وفارقه فانما حكمه حكم المسافر واليه ينسب لا الى غيره كهجرة النبى صلى الله عليه وسلم ومن هاجر منه الى المدينة قبل الفتح فأثبت لهم جوار الله لما وجدوا اسم المهاجرين وانما وقع هذا الاسم لامور عرضية والبيت ثابت على أصله من الحرمة والتحريم عند الفريقين فأهل مكة بحكم الاصل مكيون جيران الله فى حرمه وهم عرب لهم حفظ الجار ومراعاة الجوار والحق يعامل عباده بما تواطؤا عليه فى أخلاقهم (اليهم يحج الخلق من كل جانب)

يقولون حج العبد والعبد لم يحج * وماحج الا من له الفعل والامر

وما ثم الا الله ماثم غيره * فمنه العطاء الجزل والنائل الغمر

واذا كان المكى فى غير مكة لايزول عنه اسم الاهلية كان الافاقى اذا كان بمكة لايزول عنه اسم الجار كانا وان حزنا بخلقنا الصورة الربانية فنحن بحكم الاصل عبيد عبودية لاحرية فيها فما نحن سادة ولاأرباب فمراعاة الاصول هى المرجوع اليها واليه يرجع الامر كله فهو الاصل فافهم هذه الآية فهم حق بها خابر ولاأثر لما يقدح فى الاصل من العوارض فان ذلك ليس قادحا فى نفس الامر

﴿حديث حادى وعشرين فى تغيير ثوبى الاحرام﴾

ذكر أبو داود عن عكرمة أن النبى صلى الله عليه وسلم غير ثوبيه بالتنعيم وهو محرم هذا من المراسيل اعتباره تغيير حال الشدة بالرخاء وذلك من كان حاله البلاء الذى يوجب للمؤمن الصبر عليه والرضى به لكونه من عند الله تعالى فتجده عند هذا البلاء شاكرا فقد عامل البلاء بما لايستحقه (وهذه مسئلة) أغفلها أيضا أصحابنا وغلطوا فى تحقيقها والعبارة عنها واحتجوا فى ذلك بما قاله أبو يزيد البسطامى الاكبر وهو

أريدك لا أريدك للثواب * ولكني أريدك للعقاب
وكل مآربي قد نلت منها * سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

فاعلم ان البلاء المحقق انما هو قيام الالم ووجوده في نفس المتألم ماهو السبب المربوط به عادة كوجود الضرب بالسوط والحرق بالنار والجرح بالحديد وما أشبه ذلك من الآثار الحسية مما يكون عنها الآلام الحسية وكذلك ضياع المال والمصيبة في الاهل والولد والتوعد بالوعيد الشديد وجميع الاسباب الخارجة عنه الموجبة للآلام النفسية عادة اذا حصلت بهذا الشخص وهي نوبالاحوام فان الاحوام يحول بينه وبين الترفه والتنعم فمثل هذه الامور في العادة يوجب الآلام فيتعين شرعا على المبتلى بها الصبر والرضى والتسليم لجريان الاقدار عليه بذلك فتسمى هذه الاسباب عذابا وليست في الحقيقة عذابا وانما العذاب هو وجود الالم عند هذه الاسباب لاعين الاسباب وكذلك اللذة التي هي نقيض الالم هي صفة للمتلذ يوصف بها وهو التنعيم والتنعم وله أسباب ظاهرة وهي نيل أغراضه كانت ما كانت فانه يتنعم بوجودها اذا حصلت فهو صاحب تنعم في مقام تنعيم فعبد على مثل هذا بالشكر لابالصبر وسمى أسباب وجود اللذة في المتلذ نعما وليس النعيم في الحقيقة الا اللذة الموجودة في النفس وهي أيضا لذات حسية ونفسية وأسباب كاسباب الآلام خارجة وقائمة بحسه فاما صاحب أسباب الآلام اذا وجد اللذة والالتذاذ في نفسه مع قيام هذه الاسباب الموجبة للآلام عادة لم يجب عليه الصبر فانه ليس بصاحب ألم وانما هو صاحب لذة متقلب في نعم من الله فيجب عليه الشكر للتنعم القائم به و بالعكس في حصول أسباب النعم يجد عندها الالم فيجب عليه الصبر قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصابني الله بمصيبة فأثبت انه مصاب بها أي نزلت به مصيبة أي سبب موجب للالم عادة فقال الا رأيت ان لله علي في تلك المصيبة ثلاث نعم النعمة الواحدة حيث لم تكن في ديني النعمة الثانية حيث لم تكن أكثر منها النعمة الثالثة ماوعد الله من الثواب عليها فأنا أنظر اليه فمثل هذا مايسمى صابرا فانه صاحب نعم متعددة فهو ملتذ بشهوده فيجب عليه شكر المنعم و بالعكس وهو وجود أسباب اللذة فينعم الله عليه بمال وعافية و وجود ولد أو ولاية جديدة يكون له فيها رياسة وأمر ونهي وهذه كلها أسباب تلتذ النفوس بها واذا كانت مطعومات شهية وملبوسات لينة فاخرة ومشمومات عطرة فهو صاحب لذة حسية فيفكر صاحب هذه الاسباب بما للحق عليه فيها من الحقوق من شكر المنعم والتكليف الالهي في ذلك ومايتعين عليه في المال والولد والولاية من التصرف في ذلك كله على الوجه المشروع المقرب الى الله واقامة الوزن في ذلك كله فعندما يخطر له هذا وهو الواجب عليه من الله ان ينظر في ذلك أعقبت هذه الاسباب الملذة في العادة هذا الفكر الموجب للالم فقام الالم به فهو صاحب بلاء لانه صاحب ألم عن ظهور أسباب نعيم فيجب عليه الصبر على ذلك الالم و يسعى في أداء مايجب عليه من الحق في ذلك أو يزهد فيه ان أفرط فيه الالم فما وقع الصبر الا في موضعه مع وجود أسباب ضده ولا وقع الشكر الا في موضعه مع وجود أسباب ضده ولهذا قال أبو يزيد * سوى ملذوذ وجدي بالعذاب * فما أراد بالعذاب هنا وجود الالم فان الالم بالشئ مضاد للتلذذ به فلا يجتمعان في محل واحد أبدا وهو طلب اللذة عند وجود سبب الالام وهو خرق عادة كنار ابراهيم عليه السلام هي في الظاهر نار ولكن ما أثرت احراقا في جسم ابراهيم ولا وجد ألما بل كانت عليه بردا وسلاما فتعين الشكر عليه لانه ماثم ألم يجب الصبر عليه فالصبر أبدا لا يكون الا مع البلاء والبلاء وجود الالم والشكر أبدا لا يكون الا مع النعماء والنعيم بوجود اللذة في المحل فما يقع الشكر من العبد الا على مسمى النعمة ولا يقع الصبر من العبد الا على مسمى الالم وهو البلا ألا ترى النبي صلى الله عليه وسلم ماغير ثوبي احرامه الا بمكان يسمى التنعيم ينبه بذلك أصحابه ومن يأتي بعده من اخوانه انكم اذا نالتكم مشقة الاحرام في الحج وما يتضمنه من الاسباب المؤلمة المؤذية فانظر فيما لله في طيها من النعم التي لاتحصى فيعقبكم رؤية ذلك تنعما والتذاذا بما أنتم بسبيله لانه سبب موجب لنيل تلك المشاهد الكرام والنعم الجسام فتهون عليكم صعوبة طريقكم فتكونون من الشاكرين فتجازوا يوم القيامة جزاء الصديقين الصابرين وجزاء الصديقين الشاكرين وكذلك في أسباب النعم اذا رأيتموها بلاء واختبارا وأديتم حقوقها

فان الكم الجزاءين جزاء الشاكر وجزاء الصابر فهذ معنى تنفيره النبي صلى الله عليه وسلم ثوبيه بالتنعيم وهو محرم فان شاء قال الحمد لله المنعم المفضل وان شاء قال الحمد لله على كل حال لوجود الحالين عند مفاعل ذلك ألا ترى تلبيته صلى الله عليه وسلم لبيك ان الحمد فعم الحالتين ثم قال والنعمة لك وما قال والبلاء منك مع ظاهر الحال من المشقة والتحجير وأعظمها امتناعه مما أحب اليه وهو التمتع بالنساء

﴿حديث ثان وعشرون لاحج لمن لم يتكلم﴾

ذكر ابن الاعرابي عن زينب بنت جابر الاحمسية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها في امرأة حجت معها مصمتة قولي لها تتكلم فانه لاحج لمن لم يتكلم يروى هذا الحديث متصلا الى زينب ذكره ابن حزم في كتاب المحلى قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وهو كلام وهو صفة الهية وأنت في عبادة مشروعة فينبغي بل يجب الكلام فيها بذكر ورد الحديث ان المناسك في الحج انما وضعت لاقامة ذكر الله وعن الكلام صدرنا وهو قوله كن فكنا فالصمت حالة عدمية والكلام حالة وجودية فالكلام له الاثر به سمي كلاما لانه من الكلم وهو الجرح والجرح أثر في البدن والانسان موجود فلا ينبغي أن يتصف الا بصفة وجودية وهو الكلام لا بوصف عدمي وهو الصمت فان حقيقة الانسان النطق فاذا صمت كذب على نفسه بالحال على ان الله قد جعل للصمت موطنا وهو صمت اضافي وهو ترك الكلام فيما لايعني أو فيما يكون عليك لا لك

﴿حديث ثالث وعشرون في رفع الصوت بالتلبية وهو الاهلال في الحج﴾

ذكر النسائي عن السائب بن خلاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاءني جبريل عليه السلام فقال يا محمد مر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية قد ثبت بالدليل العقلي والسمعي ان الله بكل شئ عليم وانه سميع قريب وقد جاء الشرع بذلك فاستوى المؤمن والعالم فلم يبق لرفع الصوت بالتلبية لجناب الحق مدخل غير أنه تعالى أخبر أنه يباهي بالحاج ملائكته فاذا رفعوا أصواتهم وضجوا بالتلبية شعثا غبرا مهطعين الى الله تعالى فانه الداعي لهم كان أعظم عند الملائكة في المباهاة المرادة للحق في ذلك ثم انه من الارواح المفارقة حالة الدنيا بالموت ممن دعانا الى الحق بعمل الحج كما روى عن ابراهيم الخليل عليه السلام انه لما بنى البيت أمره به تعالى أن يصعد عليه وأن يؤذن في الناس بالحج فقال يارب وما عسى يبلغ صوتي فأوحى اليه عليك بالنداء وعلي البلاغ فنادى ابراهيم عليه السلام يا أيها الناس ان لله بيتا فحجوه قال فأسمع الله ذلك النداء عباده فمنهم من أجاب ومنهم من لم يجب وكانت اجابتهم مثل قولهم بلى حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم فاجابوه اجابة يسمعها من كان الحق سمعه منهم من سارع الى اجابة الحق وهم الذين يسارعون في الخيرات والقائلين بأن الحج على الفور للمستطيع ومنهم من تلكأ في الاجابة فلم يسرع الا بعد حين منهم الذين يقولون الحج مع الاستطاعة على التراخي فمن هناك قضوا في هذا الوقت بما قضوا به من ذلك وهم لايشعرون لان الله تعالى ما أطلعهم على هذا المشهد لما أخرجهم الى الحياة الدنيا فهم عن الآخرة هم غافلون ثم ان الذين أجابوه منهم من كرر الاجابة ومنهم من لم يكرر فمن لم يكرر لم يحج الا واحدة ومن كرر حج على قدر ما كرر وله أجر فريضة في كل حجة وقد نبه الشارع على ذلك بتكرار التلبية في الحج فقال لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك اله الحق فأتى بخمس للتأذين بالحج تشبيها بالنداء للصلوات الخمس فيجيب لكل أذان لانه كانت قرة عينه في الصلاة ومما يؤيد ما ذهبنا اليه ان الاهلال بالحج ما شرع الا أثر صلاة لابد منها ولقد رأيت رجلا بمكة من أهلها يزيد على الثلاثين سنة عمره ما حج قط ولا اعتمر ولا طاف بالبيت فكانت أول عمرة اعتمرها معي وكنت أعلمته كيف يصنع فيها وأخبرت عن رجل بجدة على ليلة من مكة يكون عمره بضعا وثمانين سنة ماحج قط وأخبرت عن رجل من أهل مصر من أهل الثروة ماحدث نفسه بالحج قط فقبض عليه عن أمر صاحب مكة لنازلة وقعت تخيل فيه انه صاحب النازلة فجاؤا به الى صاحب مكة وهو مقيد بالحديد ليقتله فوافق يوم الوقوف بعرفة فلما أبصره الوالي قال أيها الامير ماهو هذا فخلى سبيله واعتذر اليه فاغتسل وأهل بالحج فهكذا هي العناية واما من لم يجب

ذلك النداء الابراهيمي فهم الذين لم يضرب الله لهم بسهم في الحج مع كونهم سمعوا ومن أصمه الله عن ذلك النداء فهو الذي لا يؤمن بالحج وأما الذين يحج عنهم اذا لم يحجوا فالذي يحج عنهم له الحج كاملا بثوابه وللمحجوج عنه ثواب الحج لا الحج فيحشر في الحاج وليس بحاج هذا أعطاه الكشف فلهذا قد ذكرنا ان رفع الصوت بالتلبية انما كان للمباهاة وأما المعنى الآخر في حكم الاسماء الالهية فانه من أسمائه البعيد وهو الثابت الوارد في القرآن حيث وقع فلا ينادى الا الاسم البعيد من الحالة التي ينادي فيها العبد ليجيب نداء الحق الى الحالة التي يدعوه اليها والبعد يطلب رفع الصوت بالتلبية لاظهار قوة سلطان الاسم البعيد بان له التأثير فيما بعد كتأثير القريب اذ لا مفاضلة في الاسماء الالهية كما قررناه غير مرة فاعلم ذلك انتهى الجزء الثاني والسبعون

●(بسم الله الرحمن الرحيم)●

﴿حديث رابع وعشرون في ذكر الله قبل الاهلال بالحج﴾

خرج البخاري عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما استوت به راحلته على البيداء حمد الله وسبح وكبر ثم أهل بحج وعمرة حمد الله ولم يذكر صورة التحميد فليحمل على الثناء على الله بما يقتضيه حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الموطن فانه فيه بين ما يسر مو بين ما حجر عليه فعله مما كانت له في اباحته ارادة فمن حيث ماهو صاحب سرأى من اجابة الخلق دعوة الله يقول الحمد لله المنعم المفضل ومن حيث ما حجر عليه ومنع مما له فيه ارادة يقول الحمد لله على كل حال فجمع بين الحمدين ليجمع الله له بين الدرجتين لانه كامل فيكمل له الجزاء وهكذا ينبغي أن يحضر الحاج في نفسه في ذلك الوقت عند تحميده ربه احضار الحالتين ليجمع له بين الحمدين حالا ونطقا فيحصل على الجزاءين فلهذا قال الصاحب حمد الله ولم يعين وأما التسبيح في ذلك الموطن فانه موطن التحجير والاحرام والحق منزه عن التحجير في تصريفه في خلقه فهو يصرفهم كيف يشاء لا مانع ولا تحجير عليه فوجب التسبيح لما يقتضيه الموطن ومن وجب له التسبيح فهو التكبير عن الاتصاف بمثل ماهم الناس عليه في ذلك الوقت من الحال فلا بد من التكبير فاذا أعطى الله ما ينبغي له حينئذ يتفرغ لمقصوده فيما دعي اليه من الحج والعمرة فيهل بالحج والعمرة كما ورد

﴿حديث خامس وعشرون في النهي عن العمرة قبل الحج﴾

خرج أبو داود عن سعيد بن المسيب أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فشهد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي قبض فيه ينهى عن العمرة قبل الحج وهذا مرسل وضعيف جدا فان الاحاديث الصحاح تعارضه فصار مدلول لفظ الحج في هذا الحديث انه القصد وهو النية فهي نهى أن يتقدم العمل على النية فيه فان النية ماشرعت الا عند الشروع في العمل والعمرة زيارة الحق في بيته المضاف اليه الذي دعا الناس الى الاتيان اليه فمن زاره من غير قصد وهو المسمى بالحج لغة لاشرعا فما زاره فنهى عن الزيارة قبل القصد يعني نية الزيارة على جهة القربة فيصح الحديث على هذا المعنى

﴿حديث سادس وعشرون ما يبدأ به الحاج اذا قدم مكة﴾

خرج مسلم عن عروة بن الزبير قال حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتني عائشة رضي الله عنها انه أول شئ بدأ به حين قدم مكة انه توضأ ثم طاف بالبيت لما دعا الله سبحانه عباده الى هذه العبادة ما دعاهم الا الى بيته لا الى غيره فقال ولله على الناس حج البيت وأمر خليله ابراهيم عليه السلام أن يعلو على ظهر البيت حين أكمله بالبناء أن ينادي ان لله بيتا فحجوه فلما وصلوا الى البيت لم يمكن أن يكون البدء الا الطواف به حتى يعمه من جميع جهاته ولا يطاف بالبقعة ما لم تكن محجورة بصورة ينطلق عليها اسم البيت ألا تراهم لما بقي من البقعة ما بقي خارجا اذ قصرت بهم النفقة من جهة الحجر أقاموا الفلك الباقي حائط الحجر حتى لا يكون الطواف الا بصورة زائدة على البقعة هذا كله لئلا يتخيل ان المقصود البقعة فأعلمهم الله تعالى ان المقصود صورة البيت في هذه البقعة فوقع القصد للمجموع لا للفرد ومتى لم يكن

المجموع لم يصح القصد ولاصحت العبادة وذلك لان أصل استنادنا في وجودنا ماهو للذات الغنية من كونها اذاتا بل من كون هذه الذات الها فاستنادنا للمجموع ولهذا كثرت الآلهة في العالم في ذوات مختلفة في زعم من جعلها آلهة كما كثرت البيوت في بقاع مختلفة وماصح منها أن يكون بيتا لهذه العبادة الاهذا الخاص لهذا الجمع الخاص وان كانت كلها بيوتا في بقع ثم ان الله تعالى لما اتصف بالغيرة ورأى مايستحقه من المرتبة قد نوزع فيها ورأى أن المنسوب اليهم هذا النعت وهذا الاسم لم يكن لهم فيه قصد ولا ارادة من فلك وملك ومعدن ونبات وحيوان وكوكب وانهم يتبرؤن منهم يوم القيامة قضى الله حوائج من عبدهم غيرة ليظهر سلطان هذه النسبة لانهم ماعبدوه لكونه حجرا ولا شجرا بل عبدوه لكونه الها في زعمهم فالاله عبدوا انما رأى معبودا الا هو ولهذا يوم القيامة ما يأخذهم الا بطلب المعبودين فان ذلك من مظالم العباد فمن هنالك يجازيهم الله بالشقاء لا من حيث عبادتهم فالعبادة مقبولة ولهذا يكون المآل الى الرحمة مع التخليد في جهنم فانهم أهلها فتفطن فقد اجتمعوا معنا في كوننا ماعبدنا هذه الذات لكونها ذاتا بل لكونها الها فوضعنا الاسم حقيقة على مسماه فهو الله حقا لا اله الا هو فلما أنسبنا ماينبغي لمن ينبغي سمينا علماء سعداء وأولئك جهلاء أشقياء لانهم وضعوا الاسم على غير المسمى فأخطؤا فهم عباد الاسم والمسمى مدرج فوقع التميز بيننا وبينهم في الدار فكانت دارا تسمى جنة لها ثمانية أبواب الباب الثامن وضع الاسم على مسماه حقيقة وكانت النار سبعة أبواب لان الباب الثامن هو وضع الاسم على مسماه وأهل جهنم ماوضعوه على مسماه فجهلوا فظهر الحجاب فلم يروا الا مسماهم وذهب الاسم عنهم يطلب مسماه فأخذه من استحقه وهو الله فعرفوا في الآخرة ماجهلوه في الدنيا ولم تنفعهم معرفتهم ولكن راعى الحق سبحانه قصدهم حيث أنهم ماعبدوا الا الله لا الاعيان فصيرهم في العاقبة الى شمول الرحمة بعد استيفاء حقوق المعبودين منهم ولذلك جعله من الكبائر التي لاتغفر ولكن ماكل مشرك بل المشركون الذين بعثت اليهم الرسل أو لم يوفوا النظر حقه ولا اجتهدوا فان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن المجتهد وان أخطأ فانه مأجور ولم يعين فرعا من أصل بل عم وصدق قوله ورحمتي وسعت كل شئ وقوله سبقت رحمتي غضبي وان الميزان ماهو على السواء في القبضتين وانما هو على السواء بين العمل والجزاء لذلك وضع الميزان وهذه المسئلة الميزانية غلط فيها جماعة من أهل الله منهم أبو القسم بن قسي صاحب خلع النعلين ومن تابعه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿حديث سابع وعشرون أين يكون البيت من الطائف﴾

خرج الترمذي عن جابر قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة دخل فاستلم الحجر ثم مضى على يمينه فرمل ثلاثا ومشى أربعا الحديث لما كان الحجر يمين الله وجعل للانسان المخلوق على الصورة يمينا شرع له أن يكون في طوافه بين يمين الله ويمينه فيكون مؤيدا بالقوتين معا فلا يجد الشيطان اليه دخولا لان الشيطان ليس له على اليمين سبيل وانما يلقي في قلب العبد وهو مائل الى جهة الشمال فيكون يمين الحق في الطواف في حق الطائف يحفظه وهو ذو يمين من نشأته فلا يزال محفوظا فاذا انتقل من موازنته وهو من حد الركن العراقي الى الركن اليماني تحفظه عناية البيت المنسوب الى الله فان قلت فقد أخبر الله تعالى عن ابليس انه يأتينا من قبل اليمين قلنا اليمين الذي أراد الشيطان هنا ليس هو يمين الجارحة فانه لا يلقي على الجوارح وكذلك ماهو شمال الجوارح ولا أمام الانسان ولا خلفه وأن محل القائه انما هو القلب فتارة يلقي في القلب مايقدح في أفعال مايتعلق بيمينه أو شماله أو من خلفه أو من بين يديه ونحن انما نريد باليمين هنا هذه الجهة المخصوصة فان قلت وكذا المشرك له هذه اليمين قلنا بالمجموع وقع ماوقع وما يكون المجموع الا للمؤمن وهذا معنى قوله تعالى فأما ان كان من أصحاب اليمين يريد يمين المبايعة التي بيدها الميثاق مايريد يمين الجارحة

﴿حديث ثامن وعشرون من رأى الركوب في الطواف والسعي﴾

خرج مسلم عن جابر قال طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبالصفا والمروة الحديث وكذلك أيضا وقف بعرفة وبجمع ورمى الجمار كل ذلك وهو راكب اعلام منه صلى الله عليه وسلم انه محمول في جميع أحواله من طاعة ربه وانه بغيره لا بنفسه وكان من حامله كعضو من أعضائه بالنسبة اليه فكما ان أعضاءه محمولة لنفسه

عضوا عضوا حمل الكل للجزء كذلك الانسان بجملته لمن يحمله فهو طائف لا طائف وساع لا ساع وواقف لا واقف وسعى بالحاج الا بهذه الافعال وهو محمول فيها بل هي لحامله ووقوفه ومع هذا ينسب اليه فنبهك على ما هو الامر عليه يقول لك وان قال لك اعمل فهو العامل بك لا أنت ثم ينسب العمل اليك ويجعل الجزاء للعمل لا لك غير أن العمل ليس بمحل للتنعم والتألم بالجزاء ولا بد له من قائم يقوم به فليكن محله من نسب الفعل اليه حسا وهو المكلف وعاد الحامل له كالآلة واذا كان الحامل هو الله كان المحمول لظهور ذلك الفعل فيه كالآلة له وهذا عكس الاول فانه طاف وسعى ووقف ورمى راكبا ليراه الناس فيتأسون وأهل الله فيعتبرون لمعرفتهم بما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الحالة مع تمكنه أن يفعل هذه الافعال من غير ركوب

﴿حديث تاسع وعشرون الحاق اليدين بالرجلين في الطواف﴾

ذكر الدارقطني عن أم كبشة انها قالت يا رسول الله اني آليت أن أطوف بالبيت حبوا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم طوفي على رجليك سبعين سبعا عن يديك وسبعا عن رجليك اليدان للانسان كالجناحين للطائر فكما يسبح في الارض برجليه حين يمشي كذلك يسبح في الماء بيديه اذا مشى فيه ومع كون الانسان يمشي على رجليه فانه يستعين بحركة يديه اذا مشى ولما كان باطن الانسان وهو روحه ملكا في الحقيقة من ملائكة التدبير وهم النوع الثالث من الملائكة وقد أخبر الله تعالى عن الملائكة انهم ذوو أجنحة وما خص ملكا من ملك فنعلم قطعا ان نفوسنا من حيث هي من الملائكة الذين مقامهم تدبير هذه الاجسام العنصرية انهم ذوو أجنحة وجعلت هذه الاجسام الطبيعية حجابا دوننا عن ادراكنا اياها ألا ترى الى جبريل عليه السلام لما تجسد في صورة دحية وفي صورة الاعرابي ما ظهر لعين أجنحته عين جملة واحدة حكم على سترها ظهور صورة الجسم الذي ليس من شأنه أن يكون له جناح مع كون جبريل له ستمائة جناح فلما كانت لهم السباحة بالاجنحة التي بها يمشون في الهواء وهو ركن من الاربعة الاركان كما هي الرجلان للسعي في ركن التراب ألحق اليد بالرجلين فقال لها في هذا القول طوفي سبعا عن روحك لان مشيه بالجناحين وهو قوله عن يديك وسبعا عن رجليك لان بهما يكون المشي في الطواف وغيره فضاعف عليها التكليف لما جعلت المشي في غير آلته فافهم

﴿حديث ثلاثون في الاضطباع في الطواف﴾

ذكر الترمذي عن يعلى بن أمية أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت مضطبعا وعليه برد قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح الاضطباع أن يكون طرف من الرداء على كتفك اليسرى وما بقي منه تتأبطه تحت ذراعك اليمنى ثم ترده الى صدرك الى كتفك اليسرى فتغطيها بطرفه فيكون الكتف الايمن مكشوفا والايسر مستورا هذا ليجمع بين حالتي الستر والتجلي والغيب والشهادة والسر والعلن وانما وقع الستر من جهة القلب لانه موضع الغيب من الانسان وعنه تظهر الافعال في عالم الشهادة وهي الجوارح فلولا قصده لتحريكها ما ظهرت عليها حركة فذلك تأثير الغيب في الشهادة وأصل ذلك من العلم الالهي قول الله تعالى في الذكر ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه فاعلم أن له ذكرا مستورا نسبه الى نفسه وان له ذكرا علانية والعين واحدة ما لها وجهان مع وجود الاختلاف في الحكم وعن هذه النسبة الالهية ظهر العالم في مقام الزوجية فقال ومن كل شئ خلقنا زوجين وان كان واحدا فله نسبتان ظاهرة وباطنة اذ كان هو الظاهر والباطن فما أعز معرفة الله على أهل النظر الفكري وما أقربها على أهل الله جعلنا الله من أهله

﴿حديث حادي وثلاثون السجود على الحجر عند تقبيله﴾

ذكر البزار عن جعفر بن عبد الله بن عثمان المخزومي قال رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبل الحجر ثم سجد عليه فقلت ما هذا قال رأيت خالك ابن عباس قبل الحجر ثم سجد عليه وقال رأيت عمر قبله وسجد عليه وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبله وسجد عليه لما كان الحجر أرضيا وجعل الله الارض ذلولا وهي لفظة مبالغة في الذلة فان فعولا من أبنية المبالغة في اللسان العربي قال الشاعر * ضروب بنصل السيف سوق سمانها * وانما أعطيت المبالغة

فى الذلة لكون الاذلاء وهم عبيد الله أمروا بالمشى فى مناكبها أى عليها فن وطئه الذليل فهو أشد مبالغة فى وصفه بالذلة من الذى يطؤه فكان جبر الله كسر الارض من هذه الذلة بما شرع من السجود عليها بالوجوه التى هى أشرف ما فى ظاهر الانسان والحجر من الارض فصحبه ذلك الانكسار لانه قد فارق الارض التى هى محل سجود الجباه والوجوه الذى ينجبر به انكسارها فشرع السجود على الحجر مع كونه فارق الارض فى حال الانكسار فحصل له من الجبر نصيبه بهذا السجود لانه حجر معتنى به وقبل لكونه يمينا منسوبا الى الله فتقبيله للمبايعة ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فهذه علة السجود عليه

﴿حديث ثانى وثلاثون سواد الحجر الاسود﴾

ذكر الترمذى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح آدم عليه السلام لولا خطيئته ما ظهرت سيادته فى الدنيا فهى التى سودته وأورثته الاجتباء فما خرج من الجنة بخطيئته الا لتظهر سيادته وكذلك الحجر الاسود لما خرج وهو أبيض فلا بد من أثر يظهر عليه اذا رجع الى الجنة يتميز به على أمثاله فيظهر عليه خلعة التقريب الالهى فأنزله الله منزلة اليمين الالهى التى خمر الله بها طينة آدم حين خلقه فسودته خطايا بنى آدم أى صيرته سيدا بتقبيلهم اياه فلم يكن من الالوان من يدل على السيادة الا اللون الاسود فكساه الله لون السواد ليعلم ان ابنه فسوده بهذا الخروج الى الدنيا كما سود آدم فكان هبوطه هبوط خلافة لا هبوط بعد ونسب سواده الى خطايا بنى آدم كما حصل الاجتباء والسيادة لآدم بخطيئته أى بسبب خطايا بنى آدم أمروا أن يسجدوا على هذا الحجر ويقبلوه ويتبركوا به ليكون ذلك كفارة لهم من خطاياهم فظهرت سيادته لذلك فهذا معنى سودته خطايا بنى آدم أى جعلته سيدا وجعلت اللونية السوادية دلالة على هذا المعنى فهو مدح لا ذم فى حق بنى آدم ألا ترى آدم ما ذكر الله أولا للملائكة الا خلافته فى الارض وما تعرض للملائكة فلما ظهر من الملائكة فى حق آدم ما ظهر قام ذلك الترجيح منهم لانفسهم وكونهم أولى من آدم بذلك وربحوا نظرهم على علم الله فى ذلك فقام لهم ذلك مقام خطايا بنى آدم فكان سببا للسيادة آدم على الملائكة فأمروا بالسجود له لتثبت سيادته عليهم فالسعيد من وعظ بغيره فالعاقل منا لا يعترض على الله فيما يجريه فى عباده من توليته من يحكم بهواه ولا يعمل فى رعيته بما شرع له فلله فى ذلك حكم وتدبير فان الله أمر بالسمع والطاعة وأن لا ننازع الامر أهله اذ قد جعله الله لذلك الامر فان عدل فلنا وله وان جار فلنا وعليه فنحن فى الحالين لنا فنحن السعداء وما نبالى بعد ذلك اذا أثبت الله السعادة لنا بما يفعل فى خلقه فان تكلمنا فى ولاتنا وما هم عليه من الجور سقط ما هو لنا فى جورهم وأسأنا الادب مع الله حيث رجحنا نظرنا على فعله فى ذلك لان لنا الذى هو فى جورهم هو نصيب أخروى بلا شك فقد حرمناه نفوسنا ومن حرم نفسه أجر الآخرة فهو من الخاسرين والذى لنا اذا عدلوا فهو نصيب دنيوى والدنيا فانية ونحن قد فرحنا وآثرنا نصيب الدنيا على نصيب الآخرة من حيث لا نشعر لاستيلاء الغفلة علينا فكأنا بهذا الفعل ممن أراد حرث الدنيا كما ان قوله اذا عدلوا فلهم نصيب أخروى فزهدوا فيه بجورهم فعاد عليهم وبال ذلك الجور فالمسلم من سلم وفوض ورأى ان الامور كلها بيد الله فلا يعترض الا فيما أمر أن يعترض فيكون اعتراضه عبادة وان سكت فى موضع الاعتراض كان حكمه حكم من اعترض فى موضع السكوت جعلنا الله من الادباء المهذبين الذين يقضون بالحق وبه يعدلون ﴿﴾ واقعة قيل لى فيها وفيه مناسبة من هذا الحديث ما يعلم من الله وما يجهل فقلت

العلم بالله دينى اذ أدين به ❊ والجهل بالعين ايمانى وتوحيدى

فقيل لى صدقت هذا قوله تعالى ويحذركم الله نفسه فما عندك فى تجليه فقلت

فى كل مجلى أراه حين أشهده ❊ ما بين صورة تنزيه وتحديد

فقيل لى سبحان من تنزه عن التنزيه بالتشبيه وعن التشبيه بالتنزيه قيل لابى سعيد الخراز بم عرفت الله فقال

بجمعه بين الضدين يعني في وصفه ثم تلا هو الاول والآخر والظاهر والباطن وكان بساقي دمل كنت أتألم منه من شدة وجعه فغلب علي في تلك الحال شهوده سبحانه فقلت

رأيته في دملي * فقلت داء معضل
لا راحة ترتجى ولا * ضر فقل ما أعمل
فقيل لي سلم * فقلت نعم العلم * فسلمت وما تكلمت
رأيت هذي الواقعه * لكل علم جامعه
فما رأيت مثلها * من العلوم النافعه

وخوطبت في سري فيها بأمور لا يمكنني اذاعتها ولا تلتبس علي بضاعتها غير أن التجلي للبشر لا يكون الا بالصور والعمل الالهي في البصر عند تعلق النظر وقد عرفت فالزم

﴿حديث ثالث وثلاثون شهادة الحجر يوم القيامة﴾

ذكر الترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر والله ليبعثنه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق هذا من أعجب ما في القرآن أن يكون على بمعنى اللام قال تعالى وما ذبح على النصب أي للنصب لان الشهادة عليك انما هي بما لا ترتضيه لان المشهود عليه لو اعترف ما شهد عليه ولا ينكر الا ما يتوقع من الاعتراف به الضرر فعلى عندنا هنا على بابها وهكذا كل أداة على بابها لا يعدل بها الى خلاف ما وضعت له بالاصالة الا بقرينة حال وكذلك فعل من أخرج هنا على عن بابها وجعلها بمعنى اللام جعل قرينة الحال أن النبي صلى الله عليه وسلم ما أراد بهذا القول الا تعظيم استلامه في حقنا وان الخير العظيم لنا في ذلك اذا استلمناه ايمانا وهو قوله بحق عندهم يعني بحق مشروع لانه يمين الله المنصوب للتقبيل والاستلام في استلام كل أمة طاعة هذا الايمان ولذلك نكر قوله بحق ولم يجيء به معرفا قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فجاء بالتنكير فالشرائع كلها حق فمن استلمه بحق أي حق كان في أي ملة كان دخل تحت هذا الحكم من الشهادة الحجرية بالايمان وأما من ترك على على بابها وهو الاولى فان الحق هنا وان كان نكرة فهو في المعنى معرفة وانما نكر لسريانه في كل شيء فما من شيء موجود أو متصف بالوجود الا والحق يصحبه كما قال وهو معكم أينما كنتم فأينما كنا كان الحق معنا كينونية وجودية منزهة كما يليق به وكنا أمر وجودي فالباطل عدم والحق وجود ولما جعل الحجر يمين الله ومحل الاستلام والتقبيل انبغى لنا أن نقبله بعبوديتنا ولا نحضر عند التقبيل كون الحق سمعنا وبصرنا والعامل منا فانا اذا كان مشهدنا هذا فيكون الحق مستلما يمينه ولا يستلم الا باليمين واليمين هو الحجر والشيء لا يستلم نفسه وقد اختار آدم عليه السلام يمين ربه مع علمه بأن كلتي يدي ربه يمين مباركة ومع هذا عدل الى اختيار اليمين فلما أراد العبد أن يجتني يوم القيامة ثمرة غرس الاستلام فقال له ما استلمت وانما الحق استلم يده بيده ثم يجيء بالحجر فقيل له تعرف هذا فيقول نعم فيقال له بم تشهد في استلامه اياك فيقول استلمني بك لا بعبوديته فيقال للعبد قد علمت بهذه الشهادة ان الاستلام ما كان بك وانما كان بالحق فتكون عند ذلك الشهادة على الانسان لا للانسان فلا يبقى له ما يطلبه فأخبرنا الشارع بما هو الامر عليه لنستلمه عبودية واضطرارا مكلفين بذلك تعبدا محضا كما فعل عمر بن الخطاب فان قلت فقد بايع النبي صلى الله عليه وسلم في بيعة الرضوان نفسه بنفسه وجعل يده على يده وأخذ يده بيده وقال هذا عن عثمان وكان عثمان غائبا في تلك البيعة وكذلك العبد اذا استلمه بحق يكون الحق يستلم يمينه بيده فان كلتي يديه يمين ويكون ذلك الاستلام عن هذا العبد الذي استلمه بحق فيجني ثمرته اذ قال هذا عن عثمان ويكون عذر هذا العبد كون مشهد الحال غلب عليه سلطانه حيث لم يشاهد الا الله في أعيان كل شيء من الموجودات قلنا الفرق بين المسئلتين أن المناسبة بين المثلين صحيحة والجامع بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين عثمان الانسانية وهي حقيقة النشأة والعبودية فجازت النيابة وأن يقوم كل واحد مقام الآخر والفرق الثاني أن اليد التي بايعوها هي يد الله فبايعوها بأيديهم وهنا المستلم يمين الله والمستلم يد الله أيضا ولا مناسبة

بين الله وبين خلقه وهناك المناسبة موجودة فان قيل المناسبة هنا خلقه على الصورة ولهذا اصح له التخلق بالاسماء الالهية قلنا أما الصورة فلا ننكرها وأما التخلق فلا ننكره ولكن أضاف الاستلام هنا للعبد وجعل استلامه بحق وما ثم الا الاستلام وهو بحق فما استلم الا الحق والصورة هنا ما هي عين الحق بلا شك فانها لو كانت عين الحق ما قال خلق آدم على صورته وهنا كان الحق سمعه وبصره ويده فهنا هو الحق عينه من حيث ما هو سامع وناظر وفاعل أيّ فعل كان فهو عين الصفة التي يكون لها الحكم والاثر والحال في الكون فاختر عند استلامه بأي حالة تستلم ومع هذا فكلها أحوال حسنة وبينهما فرقان بين واخراج على عن بابها في هذا الموضع أولى بالعموم وابقاؤها على بابها أولى بالخصوص والا كابر منا من يستلمه بالوجهين يستلمه بحق ويستلمه بعبودية فيجمع بين الصفتين فيكون ذا جزءين فيكون له وعليه كما كان يسلك منه واليه

﴿حديث رابع وثلاثون في الصلاة خلف المقام﴾

خرج أبو داود عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر فطاف بالبيت وصلى خلف المقام الحديث لما أمرنا الله تعالى أن نتخذ من مقام ابراهيم مصلى وقد مضى اعتباره فجعلناه بين أيدينا لنشاهده حتى لا نغفل عنه في حال صلاتنا فيذكرنا شهوده بأن نسأل الله تحصيل هذا المقام ان لم نكن فيه وان كان حالنا فيذكرنا شهوده أن نسأل الله دوامه علينا وبقاءنا فيه فلا بد في الحالين أن نكون خلفه لئلا نكون ممن نبذه وراء ظهره فلم يتذكره لعدم شهوده اياه

﴿حديث خامس وثلاثون اشعار البدن وتقليدها النعال والعهن﴾

خرج مسلم عن ابن عباس قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فأشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت عنها الدم وقلدها نعلين ثم ركب راحلته الحديث اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر في الابل انها شياطين وجعل ذلك علة في منع الصلاة في معاطنها والشيطنة صفة بعد من رحمة الله لا من الله لان الكل في قبضة الله وبعين الله والاشعار الاعلام والمحسنون ما عليهم من سبيل وانما يدعى الى الله من لم يكن عنده في الصفة التي يدعى اليها والشفاعة لا تقع الا فيمن أتى كبيرة تحول بينه وبين سعادته ولا أبعد من شياطين الانس والجن والهدية بعيدة من المهدى اليه لانها في ملك المهدي فهي موصوفة بالبعد وما يتقرب المتقرب الى الله من أهل الدعاء الى الله بأولى من رد من شرد عن باب الله وبعد الى الله لينالهم رحمة الله فان الرسل ما بعثت بالتوحيد الا للمشركين وهم أبعد الخلق من الله ليردوهم الى الله ويسوقوهم الى محل القرب وحضرة الرحمة فلهذا أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم البدن مع ذكره فيها انها شياطين ليثبت عند العالمين به ان مقامه صلى الله عليه وسلم رد البعداء من الله الى حال التقريب ثم انه أشعرها في سنامها الايمن وسنامها أرفع ما فيها فهو الكبرياء الذي كانوا عليه في نفوسهم فكان اعلاما من النبي صلى الله عليه وسلم لنا بأنه من هذه الصفة أتى عليهم لنجتنبها فان الدار الآخرة انما جعلها الله للذين لا يريدون علوا في الارض والسنام علو ووقع الاشعار في صفحة السنام الايمن فان اليمين محل الاقتدار والقوة والصفحة من الصفح اشعار بأن الله يصفح عمن هذه صفته اذا طلب القرب من الله وزال عن كبريائه التي أوجبت له البعد لانه أبى واستكبر وجعل صلى الله عليه وسلم الدلالة على ازالة الكبرياء في شيطنة البدن جعل النعال في أرقابها اذ لا يصفع بالنعال الا أهل الهون والذلة ومن كان بهذه المثابة فما بقي فيه كبرياء يشهد وعلق النعال في قلائد من عهن وهو الصوف ليذكر بذلك ما أراد الله بقوله وتكون الجبال كالعهن فاذا كانت هذه صفته كان قربانا من التقريب الى الله فصلت له القربة بعد ما كان موصوفا بالبعد اذ كان شيطانا فاذا كانت الشياطين قد أصابتهم الرحمة فما ظنك بأهل الاسلام ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم أيضا بعث الى الموحدين ليشهدوا بتوحيدهم على جهة القربة التي لا يستقل العقل بادراكها أعني بادراك هذه القربة الا من جهة الشرع فيحقق بعثه الى المشرك والموحد بوجهين فالمشرك وهو الشيطان المتكبر دعاه الى عين القربة بما ذكرناه فقبل قربه وزال عنه بما ذكرناه من الاشعار وتقليد النعال ما كان فيه من صفة البعد ثم نبه صلى

الله عليه وسلم على مقام دعوته للموحدين حيث دعاهم الى النطق بها فقربه ولم يكن لهم علم بذلك فأهدى مرة الى البيت غنما وهي من الحيوان الطاهر الذي تجوز لنا الصلاة في مرابضها فكان مثل تقريب الموحدين خرّج مسلم عن عائشة قالت أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البيت غنما فقلدها والتقليد للغنم أي هذه صفتها التي أوجبت لها القرب أن تكون قربانا

﴿حديث سادس وثلاثون يوم النحر هو يوم الحج الاكبر﴾

ذكره أبو داود عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال أي يوم هذا فقالوا هذا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر يعني الذي سماه الله في قوله وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر وانما سمي في ذلك الوقت يوم الحج الاكبر لانه كان يجمع الحاج بجملته اذ كان من الناس من يقف بعرفة وكانت الحمس تقف بالمزدلفة فكانوا متفرقين فلما كان يوم منى اجتمع فيه أهل الوقوف بالمزدلفة وبعرفة فكان يوم الحج الاكبر لاجتماع الكل فيه ولما كان ابقاء هذا الاسم عليه بعد أن صار الوقوف كله بعرفة حدث له معنى آخر في الاسلام نبه الشارع عليه ولهذا سنّ طواف الافاضة في هذا اليوم فأحل في هذا اليوم من احرامه مع كونه متلبسا بالحج حتى يفرغ من أيام منى فلما أحلّ من احرامه في هذا اليوم زال عن التحجير الذي كان تلبس به في هذه العبادة وأبيح له جميع ما كان حرم عليه وأحلّ الحل كله في هذا اليوم وكان احلاله عبادة كما كان احرامه عبادة وما زال عنه اسم الحج لما بقي عليه من الرمي فكان يوم الحج الاكبر لهذا السراح والاحلال فكانت أيام منى أيام أكل وشرب وبعال فمن أراد فضل هذا اليوم فليطف فيه طواف الافاضة ويحل الحل كله فان لم يفعل فما هو من أهل الحج الاكبر فلا يغلبنك الشيطان عن فضل هذا اليوم بأن تميز في أهله وهو يوم النحر نحر البدن وقبولها قربانا واعادة منفعتها علينا من أكل لحومها والاجر الجزيل في نحرها والصدقة بلحومها

﴿حديث سابع وثلاثون نحر البدن قائمة﴾

خرّج أبو داود عن أبي الزبير عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط أن النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا ينحرون البدنة معقولة اليد اليسرى قائمة على ما بقي من قوائمها اعلاما لما كان نحرها قربة أراد المناسبة في صفة نحرها في الوترية فأقامها على ثلاث قوائم فان الله وتر يحب الوتر والثلاث أول الافراد فلها أول المراتب في ذلك والاولية وترية أيضا وجعلها قائمة لان القيومية مثل الوترية صفة الهية فهو القائم تعالى على كل نفس بما كسبت فيذكر الذي ينحرها بقيامها ان النحر كسب له مشاهدة القائم على كل نفس بما كسبت وقد صح أن المناسك انما شرعت لاقامة ذكر الله وهذا من مناسك الحج أعني صفة النحر فيذكر الله بهذه الصفة وشفع الرجلين لقوله والتفت الساق بالساق وهو اجتماع أمر الدنيا والآخرة وأفرد اليمين من يد البدنة حتى لا تعتمد الا على وتر الاقتدار والشفع والوتر فالبدنة قائمة بحق خلاق بشفعية رجليها ووترية يدها فتذكر الله بهذه الصفة وان القيام ما صح للاشياء الا على وتر بحالة تجمع الشفعية والوترية وهي أول حالة يظهر فيها هذا الجمع وليس الا الثلاثة ولا يمكن للبدنة القيام الا على ثلاث قوائم وكان العقل في اليد اليسرى لانها خلية عن القوة التي لليمنى والقيام لا يكون الا على الاقوى لاجل الاعتماد قال في الصلاة أقيموا الصلاة وقال قد قامت الصلاة فأخبر بالماضي قبل قيام العبد لها فأراد قيام صلاة الله على العبد ليقوم العبد الى الصلاة فيقيم بقيامه نشأتها قال تعالى هو الذي يصلي عليكم فهو المشار اليه بقوله قد قامت الصلاة فالقيام معتبر في العبادات ومنه الوقوف بيوم عرفة وفي جمع وعند رمي الجمار وأعمال الحج كلها لا تصح الا من قائم

﴿حديث ثامن وثلاثون منى كلها منحر﴾

خرّج مسلم في حديث جابر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال منى كلها منحر قد قلنا ان منى من بلوغ الامنية ومن بلغ المنى المشروع فقد بلغ الغاية فجعله محلا للقرابين وهو اتلاف أرواح عن تدبير أجسام حيوانية ليتغذى بها أجسام انسانية فتنظر أرواحها اليها في حال تفريقها فتدبرها انسانية بعد ما كانت تدبرها ابلا أو بقرا أو غنما وهذه مسئلة دقيقة لم يتفطن لها الا من نوّر الله بصيرته من أهل الله ويحتوي عليها قوله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم

ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم وكانوا فى حال تفريق فى اطوار من المخلوقات يجزالله أجزاء كل مجموع وهى معينة عند أرواحها المدبرة لها فى كل حال تكون عليها من اجتماع وافتراق وتتبدل الاسماء عليها بحسب مزاجها الخاص بها فى ذلك الاجتماع ومن هنا دخلت الشبهة على القائلين بالتناسخ فلم يتحققوا معناها فزلوا وضلوا وأضلوا ولانهم نظروا فيها من حيث أفكارهم فأخطؤا الطريق فغلطوا فهم مخطئون غير كافرين الا من أنكر البعث منهم الذى هو نشأة الآخرة فهو ملحق بالكفار والارواح المدبرة لها فى كل حال لا تتبدل تبدل الصور لانها لا تقبل التبديل لاحديتها وانما تقبل التبديل المركب من أجسام وأجساد حساو برزخا فى بلوغ المنى الحاق الاسافل بالاعالى والتحام الاباعد بالادانى

فنهم من تجسد لى بأرض * ومنهم من تجسد فى الهواء * ومنهم من تجسد حيث كا

ومنهم من تجسد فى السماء * فيخبرنا ونخبره بعلم * ولكن لا نكون على السواء

فانى ثابت فى كل عين * وهم لا يقدرون على البقاء

فهم يتصورون بكل شكل * كلون الماء من لون الاناء

عملت هذه الابيات فى تجسد الارواح المفارقة لاجتماع أجسامها فى الحياة الدنيا المسمى موتا وكثيرا رأينا منهم جماعة متجسدين من الانبياء والملائكة والصالحين من الصحابة وغيرهم وهم يتجسدون فى صور المعانى المتجسدة فى صور المحسوسات فاذا تجلى المعنى وظهر فى صورة حسية تبعه الروح فى صورة ذلك الجسد كان ما كان لان الارواح المدبرة تطلب الاجسام طلبا ذاتيا فحيث ما ظهر جسم أو جسد حسا كان ذلك أو معنى تجسد كالعمل الصالح فى صورة شاب حسن الوجه والنشأة والرائحة فان الروح تلزمه أبدا فى أى صورة ما شاء ركبك اذ لم تكن

﴿الحديث التاسع والثلاثون فى رفع الايدى فى سبعة مواطن﴾

ذكر البزار عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ترفع الايدى فى سبع مواطن افتتاح الصلاة واستقبال البيت والصفا والمروة والموقفين وعند الحجر رفع الايدى فى هذه المواطن كلها للتبرى عما ينسب الى الايدى من الملك فيرفعها صفرا خالية لا شئ فيها بل الملك كله لله وهذه المواطن كلها موطن سؤال والسؤال من غنى ما لك لا يتصور وانما السؤال عن الحاجة فى صفة الفقير الذى لا يملك ما يسأل فيه فاذا سأل الغنى فتحقق من أى صفة يسأل وكما يسأل هل يسأل ما هو عنده أو ما ليس عنده فاجعل الحكم فى ذلك بحسب ما نبهتك عليه وقد اعتنى الله بالفقراء حيث جعل سؤالهم الاغنياء طلبا لهيا فى قوله وآتوا الزكاة وفى قوله وأقرضوا الله قرضا حسنا وفى قوله جعت فلم تطعمنى فاذا فهمت الصفة التى أوجبت السؤال عرفت كيف تسأل وممن تسأل وما تسأل وبيد من تقع الاعطية وما يصنع بها وتعلم رفع الايدى عند السؤال بالظهور وبالبطون وما الفرق فى أحوالهما

﴿الحديث الاربعون حديث الاستغفار للمحلقين والمقصرين﴾

خرج مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال والمقصرين لما لم يفهموا مقصود الشارع بطلب الغفر الذى هو الستر للمحلقين وهم الذين حسروا عن رؤسهم الشعر فانكشفت رؤسهم فطلب من الله سترها لما انكشفها والمقصر ليس له ذلك فلما لم يفهموا عنه قال والمقصرين خطابا لهم اذ قد قال صلى الله عليه وسلم خاطبوا الناس على قدر عقولهم أى على قدر ما يعقلونه من الخطاب حتى لا يرموا به

﴿الحديث الحادى والاربعون حديث طواف الوداع﴾

خرج مسلم عن ابن عباس قال كان الناس ينصرفون فى كل وجه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت لما كان هذا البيت أول مقصود الحاج لانه ما أمر بالحج الا الى البيت والاول يطلب الآخر فى عالم المفارقة وليس من شرطه فى كل منسوب اليه الاولية بخلاف الآخر فانه يطلب الاول بذاته لا بد من ذلك فافهم حتى تعرف اذا نسبت اليك الاولية كيف تنسبها واذا نسبت اليك الآخرية كيف تنسبها فاذا علمت أن الآخر يطلب الاول

فى عالم المفارقة وأنت من عالم حاله المفارقة لانك أفاق تعين عليك أن يكون آخر عهدك الطواف بالبيت

﴿فصل فى كفارة التمتع﴾

قال تعالى فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى لاخلاف فى وجوبها واختلفوا فى الواجب فجماعة العلماء على أن ما استيسر من الهدى شاة وقال ابن عمر ان اسم الهدى لا ينطلق الا على الابل والبقر وان معنى قوله تعالى فما استيسر من الهدى بقرة أدون من بقرة أو بدنة أدون من بدنة والذى أقول به لو أهدى دجاجة أجزأه وأجمعوا على ان هذه الكفارة على الترتيب فلا يكون الصيام الا بعد أن لا يجد هديا واختلف العلماء فى حد الزمان الذى ينتقل بانقضائه فرضه من الهدى الى الصيام فقائل اذا شرع فى الصيام فقد انتقل واجبه الى الصوم وان وجد الهدى فى أثناء الصوم ومن قائل ان وجد الهدى فى صوم الثلاثة الايام لزمه وان وجده فى السبعة لم يلزمه و بالاول أقول وأما صيام الثلاثة الايام فى الحج فاختلفوا فيمن صامها فى أيام عمل العمرة أو صامها فى أيام منى فأجازها بعضهم فى أيام منى ومنعه آخرون وقالوا اذا فاته الايام الاول وجب الهدى فى ذمته ومنعه مالك قبل الشروع فى عمل الحج وأجازه أبو حنيفة عندنا يصوم الثلاثة الايام مالم ينقض شهر ذى الحجة وأما السبعة الايام فاتفقوا على انه ان صامها فى أهله أجزأه واختلفوا اذا صامها فى الطريق فقائل يجزيه و به أقول وقائل لا يجزيه الهدى أولى فى المناسبة فى كفارة المتمتع فانه بدل من تمتعه بالهدى يمتع من تصدق عليه منه والصوم نقيض التمتع وأما مناسبة الصوم فيه فلانه تمتع بالاحلال فجوزى بنقيض التمتع وهو الصوم فرجع الحق فى هذه الكفارة التمتع بالهدى فى حق من تصدق عليه به فاذا لم يجد حينئذ قوبل بنقيض التمتع وهو الصوم انتهى الجزء الثالث والسبعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿أحاديث مكة والمدينة شرفهما الله﴾

﴿الحديث الاول فى دخول مكة والخروج منها على الاقتداء بالسنة﴾

خرج مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل مكة دخل من الثنية العليا و يخرج من الثنية السفلى الثنية العليا تسمى كداء بالمد والفتح والهمز والثنية السفلى تسمى كدى بالضم والقصر لما كانت مكة أشرف بقاع الارض وموطن الظهور بين الحق وحضرة المبايعة أشبهت كثيب المسك الابيض فى جنة عدن موطن الزور الاعظم والرؤية العامة والكثيب أشرف مكان فى جنة عدن وعدن أشرف الجنان لانها قصبة الجنة والقصبة حيث تكون دار الملك وهى دار تورث من قصدها الامداد الالهى والفتح فى العلم الالهى الذى تعطيه المشاهدة فلهذا شرع الدخول الى مكة من كداء بفتح الكاف للفتح الالهى فى كاف التكوين من قوله كن والمد للامداد الالهى بالعطاء من العلم به الذى هو أشرف هبة يعطيها من قصده والمد فى هذه الالفاظ زيادة ومكة موضع المزيد فى كل خير لانه فرع عن الاصل لان الاصل فى الكون الفقر والقصور والعجز ولهذا يجوز فى ضرورة الشعر قصر الممدود لانه رجوع الى الاصل ولا يجوز له مد المقصور لانه خروج عن الاصل فلا يخرج الا بموجب وما هو ثم فان الموجب للمد الزائد فى الحرف من الكلمة انما هو الهمزة أولا كآمن وآخرا كجاء أو الحرف المشدد مثل الطامة والصاخة والدابة والتشديد هو تضعيف الحرف والتضعيف زيادة لانه دخول حرف فى حرف وهو الادغام فهو ظهور عبد بصفة رب فكان له المزيد وأخذ المد اذلم يكن له ذلك بالاصل وكذلك ظهور رب بصفة عبد فى تنزل الهى فهو من باب الادغام تشريف العبد من الله وكل لنفسه سعى فأما السعى فى حق العبد فمعلوم محقق لافتقاره وأما الهرولة فى السعى المنسوبة الى الله فصفة تطلب الشدة فى الطلب أكثر من طلب الساعى بغير صفة الهرولة فدل على ان الطلب هنالك أشد لاجل تعطيل حكم ما تقتضيه الاسماء الالهية ولهذا يقول فى تجليه هل من تائب فأتوب عليه فهو سؤال من الاسم التواب هل من داع فأجيبه فهذا لسان الاسم المجيب هل من مستغفر فأغفر له هذا لسان الاسم الغفور لانه ان لم يكن فى الكون من يستدعى هذا الاسم

والابق معطل الحكم فلهذا كان سعيه هرولة وطلبه أشد لانه لايليق به النقص والعبد كله نقص وضعف فليس له أضعفه شدة السرعة فى السعى لانه يفتقر الى المعين بقوله واياك نستعين وأمّا اذا خرج خرج من كدى بضم الكاف والقصر وهو ما اكتسبه فى حضرة الحق من الرفعة وجار فى كاف التكوين وهو القول عندنا الفعل بالهمة فلهذا رفع الكاف قال الحق لابى يزيد اخرج الى خلقى بصفتى فمن رآك رآنى وهو ظهور صفات الربوبية عليه ألا ترى خلفاء الحق فى العباد لهم الامر والنهى والحكم والتحكم وهذه صفات الاله والسوقة مأمورة بالسمع والطاعة وأعطاه القصر فى كدى ينبهه وان كنت خرجت بصفتى فلا تحجبنك عن عبوديتك فالقصر والعجز لايفارقك فانك مهما فارقك ذلك قصمتك فخرج حين خرج من مكة حضرة الله لعبتمر فيها بشرف الحضرة مشاهد العبودية بالقصر فلهذا كان يدخل من كداء ويخرج من كدى وهذا القدر فى الحج كاف فان فروعه تطول لو تقصيناها ما وفى بها العمر فما بقى الافضل مكة والمدينة والزيارة تكون بذلك خاتمة الباب

﴿الحديث الثانى أرض مكة خير أرض الله﴾

خرج النسائى عن عبد الله بن عدى بن الحمراء انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته بالحزورة من مكة يقول لمكة انك والله لخير أرض الله وأحب أرض الله الى الله ولولا انى أخرجت منك ماخرجت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم القوم أقرؤهم للقرآن فان كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فان كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة فان كانوا فى الهجرة سواء فأقدمهم سلما فان كانوا فى السلم سواء فأكبرهم سنا فمن اجتمع فيه مثل هذه الخصال صح له التقدم ومن صح له التقدم كان متبوعا وكان أحق بالله من التابع والبيت المكى أول بيت وضع للناس معبدا والصلاة فيه أفضل من الصلاة فيما سواه فهو أقدمهم بالزمان وهو اعتبار السن فله تقدم السن وما يتقدم بالسن الامن حوى جميع الفضائل كلها فانه جاء آخرا فلو اكتفينا بهذا لكان فيه غنى عن ذكر ماسواه وان نظرنا الى الهجرة فانه بيت مقصود ينبغى الهجرة اليه والحجر الاسود من جملة أحجاره وهو أقدم الاحجار هجرة من سائر الاحجار هاجر من الجنة اليه فشرفه الله باليمين وجعله للمبايعة وأمّا أكثرهم قرآنا فانه أجمع للخيرات من سائر البيوت لما فيه من الآيات البينات من حجر وملتزم ومستجار ومقام ابراهيم وزمزم الى غير ذلك وأمّا علمه بالسنة فان السنن فيه أكثر لكثرة مناسكه واحتوائه على أفعال وتروك لاتكون فى غيره من العبادات ولافى بيت من البيوت فانه محل الحج وأمّا السلم فانه أقدم الحرم فهو سلم كله من دخله كان آمنا فصح له التقدم من كل وجه على كل بلد وكل بيت

﴿الحديث الثالث تحريم مكة﴾

خرج مسلم عن أبى هريرة أن خزاعة قتلوا رجلا من بنى ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فركب راحلته فخطب فقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ألا وانها لاتحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد بعدى ألا وانها أحلت لى ساعة من نهار ألا وانها ساعتى هذه وهى حرام لايخبط شوكها ولا يعضد شجرها ولا يلقط ساقطتها الا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما أن يعطى يعنى الدية واما أن يقاد أهل القتيل الحديث فهذا هو حمى الله وحرمه ولا موجود أعظم من الله فلا حمى ولا حرم أعظم من حرم الله ولا حماه فى الامكان فان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس كذا قال صلى الله عليه وسلم وقال أيضا فى حديث مسلم ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة الحديث وهو قوله تعالى قل انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها

﴿الحديث الرابع فى منع حمل السلاح بمكة﴾

خرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايحل لاحد أن يحمل السلاح بمكة لما كان السلاح عدة للخائف أو لمتوقع الخوف أو لآخذ بثار أو لمتعدى يدفع بذلك عن نفسه ان نوزع فى غرضه والله تعالى قد جعله حرما آمنا فلم يكن لحمل السلاح فيه معنى

﴿الحديث الخامس فى زمزم﴾

خرّج أبو داود الطيالسى عن أبى ذر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى زمزم انها مباركة طعام طعم وشفاء سقم

﴿الحديث السادس فيه﴾

خرّج الدارقطنى من حديث جابر أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال ماء زمزم لما شرب له وهذا الخبر صحيح عندى بالذوق فانى شربته لامر فحصل لى

﴿الحديث السابع فى تقريب ماء زمزم لفضله﴾

ذكره الترمذىّ عن عائشة انها كانت تحمل من ماء زمزم وتخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحمله وهو حديث حسن غريب

﴿الحديث الثامن فى دخول مكة بالاحرام﴾

ذكر أبو أحمد بن عدىّ الجرجانى من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد مكة الا باحرام من أهلها أو من غير أهلها وفى اسناده مقال ومحل الاحرام المذكور فى هذا الحديث عندى على أنه لا يدخلها الا محترما لها اذ قد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير احرام وقال فى توقيت المواقيت لمن أراد الحج والعمرة

﴿الحديث التاسع فى احتكار الطعام بمكة﴾

ذكر مسلم من حديث يعلى بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احتكار الطعام فى الحرم الحاد فيه وقال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ولا يؤخذ أحد بارادة السوء والظلم فى غير حرم مكة وأحاديث شرفها كثيرة

﴿وأما أحاديث المدينة﴾ فمنها حديث الزيارة وهو الاول خرّج الدارقطنىّ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى

﴿الحديث الثانى فى فضل من مات فيها﴾

ذكر الترمذىّ عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فانى أشفع لمن مات بها وهو حديث صحيح

﴿الحديث الثالث فى تحريم المدينة﴾

ذكر مسلم عن سعد بن أبى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أحرّم ما بين لابتى المدينة ان يقطع عضاهها أو يقتل صيدها وقال المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها الا أبدل الله فيها من هو خير منه ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء الا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح فى الماء

﴿الحديث الرابع فيمن صاد فى المدينة﴾

ذكر أبو داود عن سليمان بن أبى عبد الله قال رأيت سعد بن أبى وقاص أخذ رجلا يصيد فى حرم المدينة الذى حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلبه ثيابه فجاؤا يعنى مواليه فكلموه فيه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّم هذا الحرم وقال من أخذ أحدا يصيد فيه فليسلبه فلا أردّ عليكم طعمة أطعمنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ان شئتم دفعت اليكم ثمنه

﴿الحديث الخامس فى نقل حمى المدينة الى الجحفة﴾

ذكر مسلم عن عائشة قالت قدمنا المدينة وهى وبئة فاشتكى أبو بكر واشتكى بلال فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوى أصحابه قال اللهمّ حبب الينا المدينة كما حببت مكة وأشد وصححها لنا وبارك لنا فى صاعها ومدها وحوّل حماها الى الجحفة

﴿الحديث السادس والسابع في طيبها ونفيها الخبث﴾

ذكر مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انها طيبة يعني المدينة وانها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة وقال صلى الله عليه وسلم انما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها خرّجه مسلم من حديث جابر

﴿الحديث الثامن في عصمة المدينة من الدجال والطاعون﴾

ذكر مسلم من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الدجال ولا الطاعون

﴿الحديث التاسع في ذلك﴾

خرّج البخاري عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب لكل باب ملكان وأما حديث فضل الصلاة في مسجد المدينة والمسجد الحرام والمسجد الاقصى فمشهور

﴿الحديث العاشر في تحريم وادي وج من الطائف﴾

ذكر تحريمه أبو داود عن عروة بن الزبير قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثنية حتى اذا كنا عند السدرة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في طرف القرن الاسود حذوها فاستقبل وجاء ببصره وقال مرة واديه ووقف حتى أنفذ الناس كلهم ثم قال ان صيد وج وعضاهه حرام محرّم لله وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفا ﴿وصل﴾ وأما حكمة حرم المدينة فلان الله قرن الشهادة بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته بشهادة التوحيد تشريفا له وانه لا يكون الايمان الا بهما والله قد حرّم مكة فجعل لرسوله صلى الله عليه وسلم تحريم المدينة تأييدا لشرف الشهادة فجعل له ان يحرّم كما حرّم الله ثم ان الله وتر يحب الوتر وقد شفع حرمة الحرم بحرمة المدينة فجعل حرما ثالثا للوتر به وجعل تحريمه لله لا للنبي صلى الله عليه وسلم لانه الوتر ولهذا ما حرّم الا ما هو مجاور مكة يؤذن ان الحرمة لله فيه كالحرمة لمكة ولهذا قال حرام محرم لله فبهذا قد ذكرنا من الاحاديث الواردة في الحرمين والحرم الثالث الذي أوترهما فأما زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فلكونه لا يكمل الايمان الا بالايمان به فلا بد من قصده للمؤمن من يطع الرسول فقد أطاع الله فلما جاءت الشفعية بالطاعة والله وتر يحب الوتر ثلث الطاعة للوتر المطلوب في الاشياء كما فعل في الحرم فقال أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فأوتر ومن شرط المبايعة لاولي الامر السمع والطاعة في المنشط والمكره فان قيل فالاشهر الحرم أربعة قلنا صدقت ولما علمها الله أربعة لم يجعلها سردا من أجل حب الوترية فجعل ثلاثة منها سردا وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم فثبت الوترية وجعل الرابع رجب وسماه رجب الفرد اثباتا للوترية وذلك لان الله وتر يحب الوتر في الاشياء ليرى صورة وتريته فيها فلا يرى الا رتبته ولا يحب الا صفته ولهذا خرج العالم على صورة الاسماء الالهية ليكون مجلاه فلا يرى في الوجود الا هو سبحانه لا اله الا هو ﴿وصل﴾ رأينا ان نقيد في خاتمة هذا الباب ما رويناه من الافتخار بين الحرمين وهو ما حدّثنا به محمد بن اسمعيل بن أبي الصيف اليمني نزيل مكة قال حدّثنا حسن بن علي قال حدّثنا الحسين بن خلف بن هبة بن قاسم الشامي قال حدّثنا أبي قال حدّثنا الحسين بن أحمد ابن فراس قال حدثنا أبي عن أبيه ابراهيم بن فراس عن أبي محمد اسحق بن نافع الخزاعي عن ابراهيم بن عبد الرحمن المكيّ عن محمد بن عباس المكي قال أخبرنا بعض مشايخ المكيين ان داود بن عيسى بن موسى هو موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ولي مكة والمدينة أقام بمكة وولى ابنه سليمان المدينة فأقام بمكة عشرين شهرا فكتب اليه أهل المدينة وقال الزبير بن أبي بكر كتب اليه يحيى بن مسكين بن أيوب بن مخراق يسأله التحوّل اليهم ويعلمونه ان مقامه بالمدينة أفضل من مقامه بمكة واهدوا اليه في ذلك شعرا قاله شاعرهم يقول فيه

أداود قد فزت بالمكرمات * وبالعدل في بلد المصطفى
وصرت ثمالا لاهل الحجاز * وسرت بسيرة أهل التقى

وأنت المهذب من هاشم * وفي منصب العز والمرتجى
وأنت الرضى للذي نابهم * وفي كل حال ونجل الرضى
وبالبي أغنيت أهل الخصاص * فسدلك فينا هو المنتهى
ومكة ليست بدار المقام * فهاجر كهجرة من قد مضى
مقامك عشرون شهرا بها * كثير لهم عند أهل الحجى
فسم ببلاد الرسول التي * بها الله خص نبي الهدى
ولا ينفينك عن قربه * مشير مشورته بالهوى
* فقبر النبي وآثاره * أحق بقربك من ذي طوى

قال فلما ورد الكتاب والابيات على داود بن عيسى أرسل الى رجال من أهل مكة فقرأ عليهم الكتاب فأجابه رجل منهم يقال له عيسى بن عبد العزيز السعلبوس بقصيدة يرد عليه ويذكر فيها فضل مكة وما خصها الله تعالى به من الكرامة والفضيلة ويذكر المشاعر والمناقب فقال وفقه الله هذه القصيدة

أداود أنت الامام الرضى * وأنت ابن عم نبي الهدى
وأنت المهذب من كل عيب * كبيرا ومن قبله في الصبى
وأنت المؤمل من هاشم * وأنت ابن قوم كرام تقى
وأنت غياث لاهل الخصاص * تسد خصاصتهم بالغنى
أتاك كتاب حسود يجود * بأساقي مقالته واعتدى
يخبر يثرب في شعره * على حرم الله حيث ابتنى
فان كان يصدق فيما يقول * فلا يسجدن الى ماهنا
وأي بلاد تفوق أمها * ومكة مكة أم القرى
وربي دحا الارض من تحتها * ويثرب لاشك فيما دحا
وبيت المهيمن فينا مقيم * يصلي اليه برغم العدى
ومسجدنا بين فضله * على غيره ليس في ذا مرا
صلاة المصلي تعدله * مئين الوفا صلاة وفا
كذاك أتى في حديث النبي * وما قال حق به يقتدى
وأعمالكم كل يوم وفود * الينا شوارع مثل القطا
فيرفع منها الهي الذي * يشاء ويترك مالا يشا
ونحن تحج الينا العباد * فيرمون شعثا بوتر الحصى
ويأتون من كل فج عميق * على أنيق ضمر كالقنا
لتقضوا مناسككم عندنا * فمنهم سغاب ومنهم معى
فكم من ملب بصوت حزين * ترى صوته في الهوا قد علا
وآخر يذكر رب العباد * ويثني عليه بحسن الثنا
فكانوا أشعث أغبر * يؤم المعرف أقصى المدى
فظلوا به يومهم كله * وقوفا يضجون حتى المسا
حفاة عراة قياما لهم * عجيج يناجون رب السما

رجاه وخوفا لنا قدموا * وكل يسائل دفع البلا
يقولون يا ربنا اغفر لنا * بعفوك والصفح عمن أسا
فلما دنا الليل من يومهم * وولى النهار أجدوا البكا
وسار الحجيج له رجة * فحلوا بجمع بعيد العشا
فباتوا جميعا فلما بدا * عمود الصباح وولى الدجى
دعوا ساعة ثم شدوا النسوع * على قلص ثم أموا منى
فمن بين من قد قضى نسكه * وآخر يبدا بسفك الدما
وآخر يهدى الى مكة * ليسعى ويدعوه فيمن دعا
وآخر يرمل حول الطواف * وآخر ماض يؤم الصفا
فآبوا بالفضل مما رجوا * وما طلبوا من جزيل العطا
وحج الملائكة المكرمون * الى أرضنا قبل فيما مضى
وآدم قد حج من بعدهم * ومن بعده أحمد المصطفى
وحج الينا خليل الاله * وهجر بالرى فيمن رمى
فهذا لعمري لنا رفعة * حبانا بهذا شديد القوى
ومنا النبي نبي الهدى * وفينا تنبا ومنا ابتدى
ومنا أبو بكر بن الكرام * ومنا أبو حفص المرتجى
وعثمان منا فمن مثله * اذا عدد الناس أهل الحيا
ومنا علي ومنا الزبير * وطلحة منا وفينا انتشا
ومنا ابن عباس ذو المكرمات * نسيب النبي وحلف الندا
ومنا قريش وآباؤها * فنحن الى نفرنا المنتهى
ومنا الذين بهم تفخرون * فلا تفخرون علينا بنا
ففخر أولاء لنا رفعة * وفينا من الفخر ما قد كفا
وزمزم والحجر فينا فهل * لكم مكرمات كما قد لنا
وزمزم طعم وشرب لمن * أراد الطعام وفيه الشفا
وزمزم تنفي هموم الصدور * وزمزم من كل سقم دوا
ومن جاء زمزم من جائع * اذا ما تضلع منها اكتفى
وليست كزمزم في أرضكم * كما ليس نحن وأنتم سوا
وفينا سقاية عم الرسول * ومنها النبي امتلا وارتوى
وفينا المقام فأكرم به * وفينا المحصب والمختبى
وفينا الحجون ففاخر به * وفينا كداء وفينا كدى
وفينا الاباطح والمروتان * فبخ بخ فمن مثلنا يافتى
وفينا المشاعر منشا النبي * واجياد والركن والمتكى
وثور وهل عندكم مثل ثور * وفينا ثبير وفينا حرا
وفيه اختباء نبي الاله * ومعه أبو بكر المرتضى
فكم بين أحمد اذا جاء نفر * وبين القبيسي فما ترى

وبلدتنا حرم لم تزل * محرمة الصيد فيما خلا
ويثرب كانت حلالا فلا * تكذب فكم بين هذا وذا
وحرّمها بعد ذاك النبيّ * فمن أجل ذلك جاذا كذا
ولو قتل الوحش في يثرب * لما فدى الوحش حتى اللقا
ولو قتلت عندنا نملة * أخذتم بها أوتؤدّوا الفدا
ولولا زيارة قبر النبيّ * لكنتم كسائر من قد ترا
وليس النبيّ بها ثاويا * ولكنه في جنان العلى
فان قلت قولا خلاف الذى * أقول فقد قلت قول الخطا
فلا تفحشنّ علينا المقال * ولا تنطقنّ بقول الخنا
ولا تفخرنّ بما لا يكون * ولا ما يشينك عند الملا
ولا تهج بالشعر أرض الحرام * وكف لسانك عن ذى طوى
* والا فجاءك ما لا تريد * من الشتم في أرضكم والاذى
فقد يمكن القول في أرضكم * بسب العقيق ووادى قبا

فأجابهما رجل من بنى عجل ناسك كان مقيما بجدة مرابطا فحكم بينهما فقال

انى قضيت على الذين تماريا * فى فضل مكة والمدينة فاسألوا
فلسوف أخبركم بحق فافهموا * فالحكم وقتا قد يجور ويعدل
فانا الفتى العجلىّ جدة مسكنى * وخزانة الحرم التى لا تجهل
وبها الجهاد مع الرباط وانها * لبها الوقيعة لا محالة تنزل
من آل حام فى أواخر دهرها * وشهيدها بشهيد بدر يعدل
شهداؤنا قد فضلوا بسعادة * وبها السرور لمن يموت ويقتل
يا أيها المدنى أرضك فضلها * فوق البلاد وفضل مكة أفضل
أرض بها البيت المحرّم قبلة * للعالمين بها المساجد تعدل
حرم حرام أرضها وصيودها * والصيد فى كل البلاد محلل
وبها المشاعر والمناسك كلها * والى فضيلتها البرية ترحل
وبها المقام وحوض زمزم مترعا * والحجر والركن الذى لا يجهل
والمسجد العالى الممجد والصفا * والمشعران ومن يطوف ويرمل
هل فى البلاد محلة معروفة * مثل المعرّف أومحل يحلل
أومثل جمع فى المواطن كلها * أومثل خيف منى بأرض منزل
تلكم مواضع لا يرى بجرابها * الا الدعا ومحرم ومحلل
شرفا لمن وافى المعرف ضيفه * شرفا له ولارضه اذ ينزل
وبمكة الحسنات يضعف أجرها * وبها المسيء عن الخطيئة يسئل
يجزى المسيء على الخطيئة مثلها * وتضاعف الحسنات منه وتقبل
ما ينبغى لك ان تفاخر يا فتى * أرضا بها ولد النبيّ المرسل
بالشعب دون الردم مسقط رأسه * وبها نشا صلى عليه المرسل
وبها أقام وجاءه وحى السما * وسرى به الملك الرفيع المنزل

ونبوّة الرحمن فيها أنزلت * والدين فيها قبل دينك أوّل
هل بالمدينة هاشمى ساكن * أومن قريش ناشئ أو مكهل
الا ومكة أرضه وقراره * لكنهم عنها نبوا فتحوّلوا
وكذاك هاجر نحوكم لما أتى * ان المدينة هجرة فتحملوا
فأجرتموا وقريتموا ونصرتمو * خير البرية حقكم أن تفعلوا
فضل المدينة بين ولاهلها * فضل قديم نوره يتهلل
من لم يقل ان الفضيلة فيكمو * قلنا كذبت وقول ذلك أرذل
لاخير فيمن ليس يعرف فضلكم * من كان يجهله فلسنا نجهل
فى أرضكم قبر النبيّ و بيته * والمنبر العالى الرفيع الاطول
وبها قبور السابقين بفضلهم * عمر وصاحبه الرفيق الافضل
والعترة الميمونة اللاتى بها * سبقت فضيلة كل من يتفضل
آل النبيّ بنوا على انهم * أمسوا ضياء للبرية يشمل
يامن تنص الى المدينة عينه * فيك الصغار وصعر خدك أسفل
انا نهواها ونهوى أهلها * وودادها حق على من يعقل
قل للمدينيّ الذى يزداردا * ود الامير و يستحث و يعجل
قد جاء كم داود بعد كتابكم * قد كان حبلك فى أميرك يفتل
فاطلب أميرك واستزره ولا تقع * فى بلدة عظمت فوعظك أفضل
ساق الاله لبطن مكة ديمة * تروى بها وعلى المدينة تسبل

انتهى الجزء الرابع والسبعون

﴿ تم المجلد الاول من الفتوحات المكية ويتلوه المجلد الثانى أوله الباب الثالث والسبعون
الذى هو أول الجزء الخامس والسبعين على حسب تجزئة المؤلف ﴾